enorm graag zou ik eens een vrouw laten poseeren
als met een zaaikorf om dat figuurtje te vinden dat ik
in 't voorjaar u heb laten zien en dat ge op den
voorgrond van 't eerste schetsje ziet



Enfin zooals Mauve zegt. „de fabriek is in
volle werking".
Als ge weet en kunt denk dan om het papier Ingres
van de kleur van ongebleekt linnen zoo mogelijk
het sterkere soort. Schrijf my eens spoedig als ge kunt
in elk geval, en ontvang een handdruk in gedachten.
t. à t.
Vincent

المخلص دومًا، فنسنت

٢٦٥ خطابًا و١٠٨ اسكتشات أصلية وصور في الفترة ما بين ١٨٧٢ - ١٨٩٠

إعداد: ليو يانسن، وهانز لويتن، ونيينكه باكر   ترجمها عن الإنجليزية: ياسر عبد اللطيف ومحمد مجدي

تحرير: ياسر عبد اللطيف



Qu'est devenu le souvenir de mauve
n'en ayant plus entendu parler j'ai été
porté à croire que Tersteeg l'aurait dit
quelquechose de désagréable pour faire savoir qu'on le
refuserait ou autre misère. Naturellement
je ne m'en ferais pas de mauvais sang dans
ce cas
Je travaille dans ce moment à une étude



comme ceci
des bateaux
vu d'en haut
d'un quai
les deux
bateaux
sont d'un
rose violacé l'eau est très verte pas de
ciel un drapeau tricolore au mat
Un ouvrier avec une brouette décharge du sable.
J'en ai aussi un dessin. As tu reçu les trois
~~autres~~ dessins du jardin On finira par ne plus les
prendre a la poste parceque le format est trop grand
Je crois que je n'aurai pas un bien beau
modèle de femme. elle avait promis puis
elle a à ce qui paraît gagné des sous en

المخلص دومًا،
فنسنت

الجواهر
من رسائل فان جوخ





Nederlands
letterenfonds
dutch foundation
for literature

This Publication is an abridged edition of "Vincent van Gogh – The Letters. The Complete Illustrated and Annotated Edition, editors Leo Jansen, Hans Luijten, Nienke Bakker", Van Gogh Museum Amsterdam and Huygens INGKNAW, 2009.

المخلص دوما، فنسنت "الجواهر من رسائل فان جوخ"
رسائل
الطبعة الأولى: ٢٠١٧
رقم الإيداع: ١٥٩٢٣ /٢٠١٧
الترقيم الدولي: ٢-٠٣٧-٨٠٣-٩٧٧-٩٧٨
الغلاف: حاتم سليمان

الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.
تليفون: ٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+ - ٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+
بريد إليكتروني: info@kotobkhan.com
موقع إليكتروني: www.kotobkhan.com

صدر هذا الكتاب بدعم من مؤسسة الأدب الهولندي.

The Publisher gratefully acknowledge the support of the Dutch Foundation for Literature.



المخلص دومًا،

فنسنت

الجواهر
من رسائل فان جوخ

إعداد

ليو يانسن، وهانز لويتن، ونيينكه باكر

ترجمها عن الإنجليزية

ياسر عبد اللطيف ومحمد مجدي

تحرير

ياسر عبد اللطيف



في ذكرى

محمد توفيق

١٩٦٩ – ٢٠١٧

علاء الديب

١٩٣٩ – ٢٠١٦

فان جوخ يتحدث العربية!

"المخلص دوما، فنسنت | الجواهر من رسائل فان جوخ" هي أنطولوجيا تضم ٢٦٥ رسالة من مجمل ٩٠٣ رسالة تركها المصور الهولندي الأشهر. تغطي مرحلةً زمنية هي بالتقريب النصف الثاني من عمر الفنان الذي وضع حدًا لعذاباته الروحية والنفسية عندما أطلق النار على نفسه منهيًا حياته وهو في السابعة والثلاثين من عمره.

وكما هو معروف فإن فنسنت فان جوخ (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) هو أهم أعلام الفن التشكيلي الحديث. وخلال حياته الفنية التي شغلت السنوات العشر الأخيرة فقط من عمره القصير صنع فان جوخ عددًا هائلا من الأعمال الفنية يفوق ألفي قطعةٍ بين لوحة زيتية ورسم، أنجز معظمها خلال عاميه الأخيرين اللذين قضاهما في فرنسا. كما خلّف تراثًا أدبيًا رفيعًا مُتمثلًا في رسائله التي كان يكتبها بشكل شبه يومي كسجل حقيقي لسيرته. وقد عرف قراء العربية في السابق أطرافًا من سيرة فنسنت كما كتبها الروائي الأمريكي إرفينج ستون في عمله الشهير "شهوة للحياة" الذي تُرجم إلى العربية في القاهرة منذ عقود تحت عنوان "حياة فان جوخ". لاقت هذه الرواية نجاحًا كبيرا عند نشرها بالعربية، وساهمت في صنع أسطورة حول حياة ذلك الفنان المعَذّب توازي شهرة أعماله الفنية وتفوقها في بعض الأحيان. وقد رسمت حادثة انتحاره، ومن قبلها قصة أذنه التي قطعها ليهديها إلى إحدى فتيات الليل ملامحَ شخصية شاعت عن "المجنون الأشهب" كما كان يسميه أهالي بلدة آرل، تلك المدينة الصغيرة بالجنوب الفرنسي والتي كان قد لجأ إليها بحثًا عن الدفء والألوان المشعة بشمس المتوسط. وفي تلك المدينة تحديدًا صنع أهم أعماله الفنية وأشهرها، وهناك أيضًا بدأت رحلته الجادة مع الاضطراب النفسي. لكن ذلك الاضطراب كان يعرفه منذ زمن طويل، ولطالما

اتخذ أشكالا متباينة من الهوس الديني والولع الصوفي لتنويعات من الاكتئاب الحاد والسوداوية التي بلغت في أوجها حد الهذيان والهلاوس السمعية والبصرية.

ولد فنسنت في إقليم برابنت الخصيب جنوبي هولندا، حيث كان أبوه يعمل كاهنًا ريفيا في كنائس وأبرشيات قرى تلك المنطقة، فنشأ متشبعًا بحب الطبيعة والميل إلى نمط الحياة الريفي الوادع والبسيط، لا يقوى طويلا على البقاء في المدن المزدحمة والصاخبة. وعاش منذ استقلاله عن بيت أبويه قلقًا. وتنقل في الإقامة بين بلدات الريف الهولندي والبلجيكي والإنجليزي والفرنسي، وكذلك عاش في مدن أمستردام ولاهاي ولندن وأنتويرب. وكثيرا ما كان يسافر بين هذه المدن والبلدات سيرًا على قدميه قاطعًا المسافات الطويلة، ومُسجِّلا انطباعاته ومشاهداته في رسائل مسهبة. لقد كان عن حق أحد المشائين العظام. وقرب نهاية عمره استقرّ في باريس عاصمة القرن التاسع عشر، حيث كانت الحركة الانطباعية في أوجها. وهناك ولد من جديد مع التحاقه بالرعيل الثاني لهذه الحركة التي تعتبر الأهم في تاريخ الفن الحديث. لكنه سرعان ما ضجّ من حياة المدينة الصاخبة وأوساط الفنانين ونميمتهم التي لا تنتهي، ولجأ ثانيةً إلى الريف الفرنسي حيث سيقضي أيامه الأخيرة.

وعلى الرغم من أنه تقلّب بين عدد من المهن في أثناء رحلته وتجواله بين البلاد، من موظف في شركة لتجارة الأعمال الفنية[1] في باريس ولاهاي ولندن، إلى مساعد معلّم في مدارس الريف الإنجليزي، إلى واعظ إنجيلي في مناجم الفحم البلجيكية، إلا أنه عاش معظم حياته بلا مصدر حقيقي للدخل، سوى المساعدات الشهرية التي كان يمدّه بها شقيقه تيو. وبعد احترافه للفنّ نحو عام ١٨٨٠ لم يفلح في بيع غير عدد قليل جدًا من اللوحات، مما ضاعف من اضطرابه النفسي وساهم في تعميق عزلته. وغالبًا ما كان يُنظر له باعتباره مجنونًا فاشلًا، حتى من أفراد عائلته، ومجتمع الطبقة الوسطى المتدين المحافظ الذي نشأ فيه. ولم يحظ فنسنت بالاعتراف الفني الكامل والشهرة اللذين يستحقهما، سوى بعد وفاته عام ١٨٩٠. وعن هذا كتب الشاعر والمسرحي الفرنسي أنتونان أرتو: "لم يكن فان جوخ مجنونًا، لكنّ لوحاته كانت نارًا إغريقية، وقنابل

[1] شركة جوبيل وسي نفسها التي كان يعمل بها شقيقه تيو وحقق فيها نجاحه المهني كتاجر لوحات

ذرية، كانت وجهات نظرها هي وكل أعمال التصوير في ذلك العصر قادرةً على إزعاج النزعة الامتثالية الخام لبرجوازية الإمبراطورية الثانية (...) وحتى الطبيعة الخارجية بمناخاتها، ومدها وجزرها، وزوابع الاعتدالين لم تعد بعد مرور فان جوخ على هذه الأرض قادرةً على الاحتفاظ بجاذبيتها السابقة نفسها".

ولما كان فنسنت قد ضلّ السبيل طويلًا قبل أن يهتدي إلى طريقه الحقيقي مع الرسم والتصوير، فقد خرجت معظم أسئلته الروحية وتأملاته في الطبيعة والمجتمع والأخلاق والفن والأدب في رسائله التي دأب على كتابتها بشكل شبه يومي ومنذ فترة مبكرة من حياته. وكان شقيقه الأصغر تيو هو المتلقي الأساسي للغالب الأعظم من هذه الرسائل. وهي بمعزل عن الجانب الإخباري فيها وطلبات الدعم المادي المتواصلة، تكاد تكون قطعًا نثرية يتنقّل فيها السرد بين الوصف الفني للطبيعة والاستبطان في صورة تساؤلات يطرحها الفنان على ذاته حول الفن وماهيته أو أسئلة فلسفية تخصّ الدين والأخلاق والوجود بشكل عام. وهو غالبًا ما يخاطب تيو كمن يتحدث إلى نفسه بصوت عال. وتبقى علاقة الشقيقين فان جوخ من أغرب وأندر علاقات الأخوّة في تاريخ الأدب والفن. ولكن فضلًا عن تيو، كتب فنسنت أيضًا رسائلَ إلى والديه وشقيقاته وعدد من أقاربه وأصدقائه الفنانين كأنطون فان رابارد وإميل برنار وبول جوجان صديقه اللدود. ولكن يبقى تيو محاوره الرئيسي الذي استأثر بنحو ٩٥٪ من هذه المخاطبات.

وكثيرًا ما فُسِّر تعاطف تيو الدائم مع شقيقه المضطرب ودعمه المادي المتواصل له بنزوع تجاري لدى الأول دفعه للاستثمار في شقيقه الموهوب، حيث حتمًا ستسفر لوحاته عن كنوز مستقبلية. لكن الشواهد تشير إلى أنه لم تكن هناك أية دلالات للتنبؤ بالنجاح والشهرة الساحقين اللذين حازهما فنسنت بعد انتحاره بوقت قصير، كما أن تيو -الذي لم يكن يقلّ كثيرًا عنه مرضًا واضطرابًا- سرعان ما لحق به فتوفي بعده بستة أشهر فقط، ليدفن بجانبه في المقبرة نفسها بقرية أوفير شمالي باريس.

فان جوخ أديبًا

ذهب الشاعر الهولندي البارز توماس مولمان في حوار مع كاتب هذه السطور، إلى أن قيمة فنسنت الأدبية، كما تتجلى في رسائله قد تفوق قيمته الفنيّة كمصور ورسام. بإمكاننا إذن أن نتكلم عن فنسنت فان جوخ أديبًا كما نتكلم عنه كفنان تشكيلي.

وتبدو العلاقة الاستثنائية لفنسنت بالأدب ومبدعيه واضحةً في الرسائل؛ إذ يظهر الأدب ولعًا موازيًا إلى جانب ولعه الأساسي بفنون التصوير والرسم والحفر. وعلى العكس من معظم أبناء صنعته، كان متابعًا جيدًا للإنتاج الأدبي في كل اللغات التي أجاد القراءة بها، أي الهولندية والإنجليزية والفرنسية. وأكثر كتاب القرن التاسع عشر تأثيرًا عليه هم تشارلز ديكنز وبلزاك وإميل زولا، فضلًا عن الكتاب الدينيين والرومانسيين الذين تأثر بهم في شبابه المبكر. ونحن نستوعب جيدًا إعجابه بزولا، الذي حاول محاكاة التأثير البصري لعمل الانطباعيين في فقرات وصفية طويلة يلعب فيها بالأضواء والظلال ضمّنها بين ثنايا سرده الطويل، ولا سيما في رواية "بطن باريس" التي يستشهد بها فنسنت كثيرًا. كان التصوير الانطباعي في تلك اللحظة إذن مرجعًا بصريًا للروائيين (زولا على الأقل) على النحو الذي صارت عليه السينما بعد اختراعها وشيوعها في القرن العشرين، وبالتأكيد كان ذلك جذابًا لفنسنت الذي وجد ضالته الفنية في هذه المدرسة وانتسب إليها، إضافةً إلى تبنيه نظرية زولا في "النزعة الطبيعية". لكننا قد نندهش لإعجاب فنسنت بديكنز أو بلزاك بواقعيتهم المفرطة بمعايير ذاك الزمان، وإن عزونا ذلك لاهتمام فنسنت بتصوير حياة "الناس العاديين"، ذلك الاهتمام الذي دفعه أيضًا لتقديس مصوّر لم يكن من نجوم العصر وهو جان فرانسوا ميه مصوّر فلاحي إقليم الباربيزون الفرنسي، وأكثر الأسماء ترددا على طول رسائل فان جوخ. وللغرابة لم يُبد فنسنت إعجابًا كبيرًا بشارل بودلير شاعر عصره، وقد يرجع فتوره حيال صاحب أزهار الشر لكونه شاعرًا باريسيًا حتى النخاع، فبودلير هو منشد المدينة الحديثة ذات العمائر العالية وجمالونات حديد الزهر والجموع التي تملأ الأرصفة تحت البواكي. فيما يحنّ فنسنت دائمًا لريف آبائه والطبيعة البكر،

ويفرّ من ضجيج المتروبول وناسها كلما استطاع لذلك سبيلا. وقد نندهش أكثر لعدم معرفة فان جوخ لأعمال الأديب الأجدر بصداقته بين رجال ذاك العصر، ونعني بالتأكيد الروسي فيدور دوستويفسكي (١٨٢١ـ١٨٨١) الذي كان قد تُرجِم بالفعل للإنجليزية والفرنسية على الأقل في ثمانينيات القرن نفسه.

ولنا بعد كلّ هذا أن نقول إن موهبة فنسنت الأدبية وإن لم تكن بالضرورة تتفوّق على موهبته التشكيلية، فهي على الأقل قد سبقتها في التفتح والإفصاح عن نفسها في الخطابات. فمشروعه التشكيلي لم يبدأ ـكما أسلفنا- سوى قبل وفاته بعشر سنوات، بينما تعود بداية رسائله إلى عشر سنوات أخرى قبل ذلك. وها هو في إحدى رسائله إلى صديقه المصور إميل برنار والذي كان قد أخذ في كتابة بعض القصائد يعلّق على لا مبالاة الفنانين التشكيليين المعهودة تجاه الأدب قائلًا: "ثمة أناس كثيرون، خصوصا بين رفاقنا، يتصورون أن الكلمات لا شيء. في المقابل، ألا تظن، أنها مثيرة للاهتمام وبالصعوبة نفسها لرسم شيء ما. ثمة فن للخطوط والألوان، لكن ثمة فنًا أيضًا للكلمات التي تبقى".

وتبقى هذه الرسائل فوق كونها عملًا أدبيًا فريدًا عن شغف الفنان بعمله وموضوعه، شهادةً تاريخيةً من شخص استثنائي، ومرآة للحياة الفنية والثقافية والاجتماعية في ذلك الوقت من نهايات القرن التاسع عشر في هولندا وبلجيكا وإنجلترا وفرنسا.

كُتبت معظم رسائل فان جوخ في الأصل باللغة الهولندية. أما رسائل عاميه الأخيرين في فرنسا فقد كتبها مباشرة بالفرنسية، باستثناء مراسلاته مع والدته وشقيقته التي واصل كتابتها بلغته الأم.

وتعتبر هذه الأنطولوجيا "المخلص دوما، فنسنت..." مختارات من أقوى تلك الرسائل وأكثرها دلالة. وتكمن أهمية ترجمتها إلى العربية في كونها المرة الأولى التي تُقدم فيها هذه الخطابات إلى قُرّاء لغة الضاد بعد أن انتهت أعمال تحقيق وتحرير الأرشيف الكامل للرسائل في عام ٢٠٠٩ من قبل خبراء متحف فان جوخ في أمستردام بالتعاون

مع معهد كونستانتين هيجنز للنصوص والتاريخ الفكري التابع للأكاديمية الملكية الهولندية للآداب والعلوم. وصدرت هذه المختارات لأول مرة باللغتين الهولندية والإنجليزية عام ٢٠١٢. وقد تمت ترجمة العمل إلى العربية اعتمادًا على النسخة الإنجليزية.

أشكر الناشرة كرم يوسف على حماسها الكبير لهذا المشروع وعلى ثقتها في تكليفي به. ولم تكن الترجمة العربية لهذا السفر الضخم لتتم دون المعاونة المخلصة من الصديق الشاعر والمترجم محمد مجدي (هرمس) الذي اضطلع بترجمة ما يقلّ قليلا عن نصف الخطابات. فقد قمت بترجمة الرسائل المائة والست عشرة الأولى بينما أكمل هو حتى الرسالة رقم مائتين وستة وأربعين، ثم عاودت أنا ترجمة التسع عشرة رسالة الأخيرة، فضلا عن ترجمتي لمقدمتي المحررين الهولنديين وقيامي بأعمال التحرير العام. وخالص امتناني للكاتب والشاعر مصطفى السيد سمير الذي اضطلع بمهمة الضبط والتدقيق اللغويين ليخرج الكتاب في هذه الصورة. وأتوجه كذلك بالشكر العميق إلى الفنان والمترجم الكبير عادل السيوي لمساعداته القيمة في ترجمة مصطلحات فنون التصوير والحفر.

ياسر عبد اللطيف

مايو ٢٠١٧

رسائل لها تاريخ

تحتوي الخطابات المتبقية من مراسلات فنسنت فان جوخ، والتي تبدأ عام ١٨٧٢ وتنتهي بوفاته في ١٨٩٠، على ٩٠٣ رسالة تقدم رؤيةً مفصّلةً عن حياته ورأيه في الوجود ونشأة أعماله وتطور أفكاره عن الفنّ. كان فان جوخ، حتى وهو لا يزال على قيد الحياة، قد بدأ يكتسب صيتًا بين مجموعة صغيرة من الفنانين والنقاد الطليعيين. وبعد موته بفترة قصيرة، تزامن نمو شعبية لوحاته مع الاهتمام المتزايد بمراسلاته. وقد أدرك من اكتشفوا تلك الرسائل الرائعة أنّها لا تشهد فقط على نظرته الثاقبة وموهبته الملحوظة في الكتابة، لكنّها تلقي أيضًا الكثير من الضوء على أفكاره وطموحاته الفنية.

وفي ١٨٩٢ تم نشر مقتطفات من رسائل بعضها مكتوب بالهولندية والبعض الآخر بالفرنسية في كتالوج معرض فان جوخ بـ "كونستزال بانوراما" في أمستردام، والذي نظمه الفنان ريتشارد رولاند هولست. وفي أغسطس ١٨٩٣ ظهرت مقتطفات أطول في مجلة "فان نو ان ستراكس" الطليعية. وفي الوقت نفسه بدأ إميل برنار صديق فان جوخ في نشر مقاطع من الرسائل الفرنسية في أبريل ١٨٩٣ في مجلة "ميركور دو فرانس" كبرى المجلات الثقافية والفنية الفرنسية آنذاك، وقد استمر هذا النشر حتى ١٨٩٧ مع انقطاع في المنتصف. وتلك السلسلة كان لها أهمية بالغة في دفع الاهتمام بفان جوخ، ليس فقط كفنان ولكن أيضًا برسائله، كوثائق ذاتية بامتياز.

تُرجمت تلك المقتطفات المذكورة أعلاه إلى اللغة الألمانية ونشَرها برونو كاسيرر في برلين بين عامي ١٩٠٤ و١٩٠٥ بمجلة "كونست أند كونستلر"، وبعدها تم نشرها

ككتاب أعيد طبعه عدة مرات. وفي هولندا نُشرت رسائل فان جوخ إلى أنطون فان رابارد في ١٩٠٥، وتلك التي إلى إميل برنار نُشرت عام ١٩١١ في طبعة فخمة بفرنسا.

واكتشف الجمهور العريض في النهاية أن فان جوخ كان كاتبًا استثنائيًا للخطابات مع ظهور Brieven aan zijn broeder (رسائله إلى أخيه) في ثلاثة مجلدات نشرتها جو فان جوخ بونجر أرملة شقيقه تيو. وقد نُشرت تلك المجموعة في الوقت نفسه تقريبًا بالألمانية، وترجمت لاحقًا، كلها أو مجتزأةً، إلى عدد من اللغات الأخرى. ومن بين خطابات عائلية عديدة، أدرجت جو في كتابها خطابات فنسنت إلى شقيقه تيو فقط (وخطاباته إليها بعد زواجها من تيو عام ١٨٨٩).

وفي الفترة التالية لعبت جو دورًا حيويًا في التعريف بأعمال فان جوخ، فهي كوصية على جانب كبير من تركته الفنية كرَّست نفسها من البداية لعرض رسومه ولوحاته وبيعها)كل أعمال فان جوخ من "مجموعة العائلة" قد آلت بالميراث إلى ابن أخيه فنسنت فيليم، ولكن لمّا كان الأخير قاصرًا، فقد أدارت جو الوصية عليه، هذه التركة). وقد رأت جو في الرسائل وسيلة للتعرف على فان جوخ الإنسان، فجاءت مقدمتها للكتاب ذات طابع بيوجرافي.

وعلى الرغم من أن جو بونجر قد نشرت الرسائل وفقًا لتحفظاتها الشخصية، حاذفةً ـمن الرسائل الأولى بالذات- مقاطع قد تكون مكررة، أو تحمل إحراجا ما لأفراد العائلة ممن هم على قيد الحياة، كما أنها وضعت الرسائل في ترتيب خاطئ وفي عدة حالات، وفي أحيان أخرى حشرت الصفحات المنفصلة في غير موضعها، فقد وضعت تلك الطبعة للرسائل الأساس لدراسة أعمال وحياة فان جوخ. ولا بد من الإقرار بذلك صراحةً.

وبين ١٩٥٢ و١٩٥٤ تم إصدار طبعة مزيدة ومنقحة في أربعة مجلدات: Verzamelde brieven (رسائل مختارة)، وقد أشرفت على تحريرها جو وابنها فنسنت فيليم فان جوخ، الذي كان قد صار الحارس على مجموعة العائلة. ومنذ ظهر الإصدار الذي حررته أمه، كان قد تم نشر بعض الرسائل التي لم تكن معروفة من قبل

في مجلات وطبعات منفصلة، كرسائل فان جوخ إلى شقيقته ويل، ورسائل تيو إلى فنسنت، والرسائل المتبادلة مع بول جوجان. وهكذا، كانت (رسائل مختارة) تجميعًا لكل المراسلات المعروفة حتى وقتها، وهو الإصدار الذي وفر القاعدة لأكثر من نصف قرن، للعديد من الإصدارات حول العالم، وهي أيضًا المصدر الذي تأسس عليه الحقل المتنامي لدراسات فان جوخ في الربع الأخير من القرن العشرين.

وفي الوقت نفسه بلغت شهرة فان جوخ مبلغًا عاليًا، وصار له جمهور عريض من المهتمين، ليس فقط بلوحاته لكن أيضًا بحياته ورسائله. وجاءت رواية الكاتب الأمريكي إيرفينج ستون عن سيرته والمعنونة بـ "شهوة للحياة" (١٩٣٤) لتعطي دفعةً قويةً لهذا التطور، وكذلك فإن الفيلم السينمائي المأخوذ عنها لـ "فنسنت مينللي" (١٩٥٦) قد حدد صورة حياة فان جوخ وعذاباته لعقود. وجذبت معارض أعماله في أوروبا والولايات المتحدة واليابان جموعًا كبيرة من المعجبين. وكجزء من شهرة فان جوخ المتزايدة، تم الاعتراف برسائله كنص أدبي في حد ذاتها. والرجل الذي حاز صيتًا كمصور ورسام رائد، صار ينظر إليه أيضًا في العقود الأخيرة ككاتب موهوب. وفي نظر الكثيرين، فإن "وثائقه الإنسانية" التي لم تُكتب أصلًا بغرض النشر، هي من الأعمال الكبرى في الأدب العالمي.

ثم ظهرت طبعة مزيدة بشكل كبير عام ١٩٩٠، لكنها نشرت بالهولندية فقط. وقد تبعها في عام ٢٠٠٩ إصدار ذو طابع أكاديمي Vincent van Gogh - The Letters: The Complete Illustrated and Annotated Edition. (فنسنت فان جوخ ـ الرسائل: الطبعة الكاملة مع رسوم وحواشٍ). وقد كان ذلك الإصدار نتاج مشروع بحثي استمر لخمسة عشر عامًا تولاه فريق من المحررين والمتخصصين في أعمال فان جوخ في متحف فان جوخ وبالتعاون مع معهد كونتستانتين هيجنز للنصوص والتحرير والتاريخ الفكري التابع للأكاديمية الملكية الهولندية للآداب والعلوم. كان أول إصدار من الرسائل يحتوي على حواش وشروح، وقد ظهر على الإنترنت في الرابط التالي: (www.vangoghletters.org) وفي نسخ، (باللغات الهولندية والإنجليزية والفرنسية) ولم تكن فقط كل الرسائل منسوخة من مخطوطاتها الأصلية، ولكن كانت

تحتوي على حواش وافية بالشروح (وإن تم اختصارها في النسخة المطبوعة) وهي مزودة بصور لكل عمل فني ورد ذكره في الرسائل، سواء من أعمال فان جوخ نفسه أو لفنانين آخرين. وقد كانت الدقة والاكتمال على رأس الأولويات.

وهذه المختارات التي بين أيدينا تستند إلى طبعة ٢٠٠٩، وقد تحمّل مسؤولية الاختيار والتقديم لها المحررون نفسهم. ومنذ الذيوع الكبير لمراسلات فان جوخ، فإن شهرة أعماله الفنية وسيرة حياته ورسائله باتت على قدم المساواة. فلا يوجد مقال أو كتاب أو كتالوج أو معرض أو فيلم يتناول فان جوخ، ناهيك بأن يكون هو محوره، يستطيع أن يتجاهل رسائله. وهذا يفسر أهمية إعادة نشرها مرارًا وتكرارًا وفقًا للرؤى المتجددة، لنطاق عريض من القراء الراغبين في اقتحام المملكة الفريدة لأفكار فنان ما زال هو الضوء الملهم للفن الحديث.

حياة فنان بين التعثّر والمثابرة

كحزانى ونحن دائمًا فرحون (رسالة بولس الثانية إلى
أهل كورنثوس ٦:١٠)

تحرّك رسائل فنسنت فان جوخ (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) وأعماله الفنية الرغبات والعواطف التي نشترك فيها جميعًا. فبحب استطلاع جارف قام باستيعاب العالم المحيط به، وكانت طريقته الوحيدة للاتصال بهذا العالم هي أن يخلق عالمًا مضادًا من الكلمات والصور. أراد أن يصنع فنًّا من شأنه أن يُعزّي الناس: "فن يواسي القلوب المكلومة" (٧٣٩) عن طريق الجمع بين ألوان وخطوط لا نظير لها.

كان فان جوخ متحمسًا لدرجة التعصب، وقد فرض على نفسه عقبات منيعة ناضل طويلًا وبقوة ليتجاوزها. وصارت حياته الشخصية بكاملها رديفة للفن، ومع مرور الوقت صار يبذل قصارى جهده لدفع قضيته، معتقدًا أن ما يفعله هو مجرد أمر طبيعي. وقد جرّ عليه هذا الموقف تبعاته الخطيرة قبل وفاته بخمس سنوات: "إن حقيقة امتلاكي لمعتقد راسخ فيما يخصّ الفن ذلك يعني أيضًا أنني أعرف ما أريد أن أحققه في أعمالي، وأنني سأحاول تحقيقه حتى لو انهرت في أثناء المحاولة" (٥٣١).

كان فنسنت فان جوخ رجلًا ذا سبع صنائع وبخت ضائع حتى عام ١٨٨٠، حين قرر احتراف الفن ومواجهة مصيره تدريجيًا. ويمكننا أن نقول بأثر رجعي إنه تطوّر

كفنان بسرعة مذهلة: فقد استغرق الأمر مجرد عشر سنوات لينجز أعماله التي صارت ذات شهرة عالمية. وإن كان الاعتراف سيأتي بعد ذلك بزمن. ففقط بعد موته شبه الانتحاري في ١٨٩٠ بدأت أعماله تلقى الاهتمام الذي يليق بها، وترسّخت سمعته كفنان رائد - وهو التطور الذي لعبت فيه الرسائل دورًا حيويًا.

فنسنت فان جوخ وشخصيته المعقدة

رسم فان جوخ لنفسه شخصية صادمةً. وتصفه جو فان جوخ بونجر التي تعرفت إليه عام ١٨٩٠ ك "رجل متين، عريض المنكبين ببشرة صحية، بتعبير منشرح وشيء شديد التصميم في مظهره". كان قصير القامة بعينين خضراوين ولحية صهباء ونمش في وجهه؛ وكان شعره في لون الزنجبيل كأخيه تيو الذي يصغره بأربعة أعوام. كانت ملامح وجهه تختلج ويداه تبدوان في حركة مستمرة. وهو أقرب إلى أن يكون غير اجتماعي، مما جعل منه كائنًا صعب المعشر. كان الناس يخشونه أحيانًا لمظهره الأشعث الفظّ وأسلوبه اللاذع في الحديث. مظهره وتصرفه كانا يفضّان الناس من حوله، مما جعل حياته شاقةً.

وكان فان جوخ مقتنعًا بأنه دائما على صواب، وذلك جعل منه كائنا مزعجًا. كان إنسانا شغوفا ممسوسًا، وميله للتصرف كشخص متمحور حول ذاته جعل العديد من الناس ينفرون منه. كانوا يرونه ك "مجنون - قاتل - متشرد" (٤٠٨) وقد رفض فان جوخ أن يسمح لذلك بتكديره: "صدقني فأنا أحيانا أضحك من قلبي على اتهام الناس لي بارتكاب أفعال شريرة وحماقات لم أتخيلها قط (في حين أني حقيقةً مجرد صديق للطبيعة، وللدراسة - وللناس قبل أي شيء) (٢٥٢). وهو لم يتجنب المواجهة، باذلًا ما في وسعه. وفي مارس ١٨٨٧ وصفه تيو في خطاب لشقيقتهما ويل قائلًا "إنه عدو لنفسه".

كان فان جوخ يميل بقوة إلى استبطان ذاته: ولم يتوان عن استكشاف ووصف تقلباته المزاجية، أو إعادة تعريف موقفه الأخلاقي. وكان يفعل ذلك أساسًا إذ لا يجد

من يتكلم معه. وباختباره لحالته الذهنية، اكتشف في نفسه فردًا "شديد الحساسية". وفي عمر التاسعة والعشرين رسم صورة شديدة القسوة لنفسه:

"لا تتخيل أنني أعتقد في نفسي الكمال ـ أو أنني أعتقد أنه ليس خطئي أن عديدًا من الناس يجدونني شخصًا منفرا. في أحيان كثيرة أكون أسيان بشكل صعب ورهيب ـ في حالة توق إلى التعاطف أشبه بالجوع أو العطش ـ ثم أصبح غير مكترث، وحادًا، وأحيانا حتى أصب الوقود على اللهب لو لم أحصل على التعاطف. لا أستمتع بالصحبة، أو بالتعامل مع الناس، والحديث معهم غالبًا مؤلم وشاق بالنسبة لي. ولكن أتعرف من أين يأتي معظم هذا أو جميعه؟ من العصبية ببساطة ـ فأنا الشخص الحساس بشكل رهيب سواء جسديًا أو معنويًا، قد اكتسبت ذلك فقط خلال سنوات تعاستي الشديدة" (٢٤٤).

تلك الكلمات الأخيرة تشير إلى السنوات التي سبقت مباشرة احترافه الفن.

وعلى الرغم من اندفاعه المعروف، لم يكن فنسنت يجلس للعمل إلا بعد تأن طويل: "لأن ما هو عظيم لا يحدث من الاندفاع وحده، بل هو تتابع لأمور صغيرة تجتمع معًا (٢٧٤). ومرارًا وتكرارًا، كانت قوة الإرادة والعمل الشاق هي ما تمكن فان جوخ من تجاوز تدني حالته المعنوية. كان يقمع شعوره بالذنب تجاه شقيقه تيو، صديقه الأقرب وحامل أسراره، والوحيد الذي كان يستطيع التعامل مع شخصيته الصعبة. وكان فنسنت واعيًا بأن شقيقه يستثمر فيه إلى حد كبير، ومعرفته أنه لن يستطيع تسديد ما لتيو عليه كانت تصيبه أحيانًا باليأس.

الارتباط بتيو

يُعزى قرار فنسنت المتأخر ـ عام ١٨٨٠ حين كان في السابعة والعشرين- باحتراف الفن في جانب كبير منه لتشجيع تيو. وكون تيو هو من أقنعه بذلك أثر بشكل عظيم على علاقتهما في السنوات التالية. وقد اعتبر تيو أن من واجبه أن يمدَّ فنسنت بالدعم المادي والمعنوي. وخلال حياة فنسنت الفنية التي استمرت لعشر

سنوات، ظل تيو مُعينًا مُلتزمًا، وكان دعمه لمحاولات أخيه الفنية لا يقدّر بثمن. في البداية اعتبر فنسنت دعم أخيه المالي قرضًا سيستطيع سداده يوما ما ـ مقدمًا لما سيربحه عندما يكتشف المشترون أعماله. وعندما أخفق ذلك الطرح، اتفق الشقيقان على أن لتيو مطلق الحرية في التصرف في رسوم ولوحات فنسنت. وكان تيو يعتقد أن "الأخوّة" أكثر أهمية بما لا يقاس من الإنفاق على استثماره، ومع مرور الوقت أصبح أكثر اقتناعًا بجودة أعمال أخيه وقيمتها.

ويبدو الأمر وكأنه طريق ذو اتجاه واحد بين الشقيقين، مع أن تيو الهادئ والكريم كان دائما على استعداد لمساعدة أخيه العنيد المندفع دون مقابل. لكنه بدوره، كان يعتمد بقوة على فنسنت وقد وصفه لجو بالعبارة التالية "هو مستشار وشقيق لكلينا، بكل معاني هذه الكلمة" «b2022». واستمر الاعتماد المتبادل بين فنسنت وتيو في النمو مع السنوات، مع حدوث الكثير من الشقاقات. وفي بعض الأوقات كان فنسنت مؤذيا وعنيفًا مع تيو، محاولًا أن يشق طريقه. وقد جعل هذا العلاقة بينهما متوترة، لدرجة جعلت تيو مقتنعًا بأن من الأفضل لكليهما أن يفترقا. ومع ذلك، فقد أثبتت صداقتهما الأخوية أنها قابلة لتحمل مثل تلك الصدامات العنيفة. وقد جرجر تيو فنسنت من مصاعب الحياة، وكان يقوم بدور الحاجز بينه وبين "العالم العدائي" «٤٠٦». إن تيو الطيب الحنون، الذي شعر بمسؤوليته حيال فنسنت طوال عمره وظل دائمًا وفيًا له، قد حمى شقيقه وأنقذه من مآزق كثيرة.

العائلة المحبة الحامية

وترجع الروابط القوية بين الشقيقين لسنينهما المبكرة، عندما تربيا معا كابنين لكاهن قروي في ريف إقليم برابنت الهولندي. وكان والدهما، تيودوروس فان جوخ (١٨٢٢ـ١٨٨٥، ill. 1) وأمهما آنا فان جوخ كاربينتوس (١٨١٩ـ١٩٠٧، ill. 2) قد ربيا أبناءهما على القيم المسيحية التي وضعت أسسًا لحياة من التقوى والعمل الشاق. وكما كانت العادة بين عائلات الطبقة المتوسطة في القرن التاسع عشر، كانا يبذلان قصارى جهدهما لمنع أي فرد من العائلة من الشرود بعيدًا عن القطيع، كما يقال. كانا

يكافحان معًا لتأمين حياة محترمة، بالتزام أخلاقي صارم، وبالقناعة الراسخة أن من يصبحوا أفرادًا مميزين في المجتمع فسيجنون خيرًا وفيرًا في حياتهم. إن المنصب المتواضع الذي شغله الكاهن تيودوروس فان جوخ كان في قرى زوندرت، وهيلفويرت، وأيتن، ونيونن وكلها تقع في إقليم برابنت الشمالي جنوبي هولندا. وكواعظ يعلّق أهمية كبيرة على السلوك الأخلاقي المقبول، فقد كان يعتمد على قدر عظيم من تعاطف شعب أبرشيته.

ولم يكن فنسنت الابن الأكبر من ستة أبناء والمولود في ١٨٥٣ هو أول مولود للأسرة، فقبل ميلاده بعام واحد وضعت أمه طفلًا توفي في المهد حمل اسم فنسنت أيضًا. وجاءت آنا ثانيةً في الترتيب بعد فنسنت (١٨٥٥)، ثم تيو (١٨٥٧)، ثم إليزابيث (ليز، ١٨٥٩)، ثم ويليماين (ويل ١٨٦٢) ثم كور (١٨٦٧). وكانت أمهم طيبة القلب تعتني بالأسرة بمشاركة الأب وإحدى المربيات.

ويبدو الحب والاحترام المتبادل بين الوالدين وأبنائهم جليًا في مراسلاتهم العائلية والتي تبقت من مئات الخطابات. وكانت ذكريات سنينه الأولى السعيدة عميقة التجذر لدى فنسنت، وكانت تطفو على السطح في أثناء نوبات مرضه

كان آل فان جوخ يريدون أن يحصل كل أبنائهم على قدر من التعليم يسمح لهم بتطوير ملكاتهم إلى أقصى درجة، لكن ذلك لم يكن بالهدف اليسير من الناحية المادية. وصار همهم الأساسي هو أن يجدوا منصبًا ملائمًا لفنسنت. وفي القرن التاسع عشر كان الارتباط بالطبقة العليا هو غالبا وسيلة تقدم أفراد الطبقة الوسطى، وكان الآباء المصممون على نجاح أبنائهم يحفزونهم بل وأحيانا يهندسون لهم ارتقاء السلم الاجتماعي. وهذا يبدو في النصائح التي كان آل فان جوخ يسدونها لأبنائهم بخصوص تحركهم في المجتمع، واختيارهم للكتب التي يقرؤونها، وأي نوع من مجاملات اجتماعية يؤدونها. وبمعايير الأيام الحالية، فإن الأبناء كانوا مطيعين لأقصى درجة، ويمكن تفسير ذلك بقواعد السلوك السائدة وقتها والتي كانت تُمليها الأخلاقيات المسيحية للطبقة الوسطى. وعندما لا تسير الأمور وفق المخطط، ويكون ثمة شخص غير راغب



تيودروس فان جوخ (الأب)



آنا فان جوخ

أو غير قادر على الوفاء بهذه المعايير، فإن ذلك يقود بسهولة، كما في حالة فان جوخ، إلى شعور ممض بالذنب وإحساس دائم بالفشل في واجبات المرء حيال من يريدون مصلحته من قلوبهم.

وكان الاحتياج إلى التآزر صفةً مميزة لدى عائلة فان جوخ. والمحافظة على حياة تتسم بالتقوى وإيلاء الدعم المتبادل بين جميع الأطراف كان هو الاهتمام العام، ويصدق ذلك أيضًا على كل الأنشطة الجماعية التي كان يلتئم حولها شمل الأسرة، كالذهاب إلى الكنيسة، وإنشاد الترانيم، وقراءة وتلاوة الأشعار والروايات المقبولة أخلاقيا، وكل ما من شأنه أن يقوي العاطفة.

ساد التناغم زمنًا طويلا في أسرة فان جوخ، ولكن في ١٨٧٦ اندلع توتر بين فنسنت وأبيه، وقد استمر الخلاف قائمًا حتى وفاة الأب في ١٨٨٥. وتفاقم الفارق بين نمطي حياتيهما بشكل مطرد، وصار نشوز فنسنت الاجتماعي مصدر غضب مستمر للأب. وفنسنت بدوره كان مكدّرًا من تدخلات الأب ومن ضيق أفقه. ومتمسكًا بموقفه، مبديًا استخفافا تاما بكل المواضعات التي يعتبرها والداه في غاية الأهمية: ملابس الطبقة العاملة التي كان يرتديها، وسلوكياته غير المتوقعة وارتباطه بأناس من



فنسنت فان جوخ في سن التاسعة عشر



فنسنت فان جوخ في سن الثالثة عشر

الطبقات الدنيا كانت شوكة في جانب والديه. وقد أصبحت الأمور واضحة بالنسبة لفنسنت لاحقًا في ١٨٨٣: من حيث الشخصية أنا مختلف جدا عن باقي أفراد العائلة، وأنا حاليًا لست من آل فان جوخ. «٤١١».

العمل في تجارة الفن ١٨٦٩ - ١٨٧٦

اختلف فنسنت إلى مدرسة القرية في زوندرت وتلقى دروسًا في المنزل من إحدى المربيات. وقضى بعد ذلك عدة سنوات في مدرسة داخلية للأولاد في زفنبرجن، ثم توجه بعد ذلك إلى مدرسة ثانوية في تيلبورج: مدرسة وليم الثاني العليا. وبعد أن قضى عامًا آخر في البيت، وفي نهاية يوليو ١٨٦٩ عندما كان في السادسة عشرة، وجد أخيرًا وظيفةً لدى مؤسسة تجارة الفن الدولية جوبيل وسي Goupil & Cie في لاهاي، وكان أصغر موظف لديهم عمرًا. (ill. 5).

كان أحد أعمامه ويدعى فنسنت أيضًا (أو العم سنت) هو من أدخله إلى عالم الفن. فلسنوات كان العم سنت شريكًا في مؤسسة جوبيل وسي، وقد أوصى هناك



صالة جوبيل وسي، لاهاي، ١٩٠٠

خيرًا بابن أخيه. فحصل فنسنت هكذا على فرصة للاقتراب من عالم تجارة الفن. وازدهرت المؤسسة، ويرجع جانب كبير من نجاحها لمبيعات المطبوعات ومستنسخات الأعمال الفنية الشهيرة. ووضع عمل فان جوخ في تجارة الفن ـوقضاؤه لليوم محاطًا باللوحات والمطبوعات والصور الفوتوغرافيةـ وزياراته للمتاحف قواعدَ معرفته بالفن. وقام رئيسه هرماوس ترستيج بإعطائه مفاتيح هذا العالم وعلمه الكثير عن الفن والأدب. كان فنسنت يعيش وقتها مع عائلة روز في Lange Beestenmarkt وهو العنوان الذي أرسل منه أول مكاتباته المتبقية إلى تيو في ٢٩ سبتمبر ١٨٧٢.

كان لمؤسسة جوبيل وسي عدة أفرع، وفي مايو ١٨٧٣ بدأ فان جوخ عمله في فرع لندن. وتكشف مراسلاته من هذا العام أنه كان يلتمس مكانًا خارج العالم الآمن الذي نشأ فيه. وكان يقضي وقت فراغه في السير بقدر ما يستطيع وفي العمل بالحديقة. وأحيانا كان يصيبه الشوق للوطن. وفي الإجازات كعيدي الميلاد والفصح كان شمل الأسرة يلتئم في البيت الكهنوتي في هيلفويرت، حيث كان آل فان جوخ يقيمون وقتها. وفي ذلك الوقت كان تيو بدوره قد أصبح موظفًا لدى جوبيل وسي بادئا من فرع

بروكسل ثم انتقل إلى فرع لاهاي في نهاية ١٨٧٣ (ill. 6). وفي لندن كان فنسنت يغير محل إقامته كثيرًا: في أغسطس انتقل إلى بريكستون وبعدها بعام إلى كيننجتون. وقد تنامى إعجابه بالمدينة متوازيا مع تنامي اهتمامه بالفن والأدب. وتضم خطاباته عدة اقتباسات من كتب أثرت فيه، ومن ناحيته كان تيو يرسل إلى أخيه شعرًا. وكانت ذائقتاهما وتفضيلاتهما مواكبة لصيحة ذلك العصر: الشعر الرومانتيكي (هاينريش هايني، وألفونس دو لا مارتين) وروايات العصر الفيكتوري (جورج إليوت). كان الأدب هو تسرية الشابين وقد ساعدهما على توسعة أفقيهما. وفي مدينة لندن المتروبولية، بدأ فنسنت يشعر كمواطن عالمي حقيقي.



تيو فان جوخ، ١٨٨٩

الهوس الديني

بعد نقله إلى الفرع الرئيسي في شارع شابتال بباريس لفترة قصيرة، عاد فنسنت إلى لندن في بدايات ١٨٧٥ حيث بدأ العمل في جاليري "هولواي وأبناؤه" بشارع بيدفورد الذي تم ضمه إلى مؤسسة جوبيل وسي. وفي منتصف مايو، عاد إلى مقر باريس. وقد وصف بالتفصيل زياراته لصالون باريس ومتحف اللوفر ومتحف اللوكسمبورج، والمطبوعات التي علقها في غرفته الصغيرة بمونمارتر، حيث كان قد صار صديقًا لزميله في السكن هاري جلادويل. وليلة بعد ليلة كان ذلك الرجل الإنجليزي يتلو من الكتاب المقدس بصوت عال "نحن نعتزم قراءته حتى نهايته" «٥٥». وأضحى فان جوخ مهووسًا أكثر فأكثر بدراسة الكتاب المقدس والذهاب إلى الكنيسة. وتمتلئ رسائله في تلك الأيام بإحالات لكتابات دينية، وترانيم، وتراتيل إنجيلية،

ونصوص صلوات. إن ذلك الهوس الديني، والذي استمر لسنوات، تسبب في إهماله لعمله وكان أحد أسباب تسريحه في النهاية من وظيفته لدى جوبيل.

وفي أكتوبر عام ١٨٧٥ انتقلت أسرة فان جوخ إلى قرية أيتن، حيث حصل الكاهن فان جوخ على منصب. وقضى فنسنت معهم عيد الميلاد ورأس السنة هناك. وعندما عاد إلى باريس أخبر أن جوبيل قد قررت إنهاء عقده في أول أبريل، ولسبب واحد أنه تغيب طويلًا في رحلته، لا سيما خلال الموسم المزدحم بالعمل في نهاية العام، وإن كان السبب الآخر للانزعاج منه هو موقفه حيال العمل. كان فنسنت نفسه غير مكترث لموضوع فصله من العمل، ولكن أباه كان محبطًا بشدة، وكتب عن ذلك خطابات بلهجة شديدة المرارة إلى تيو، إذ كانت العواقب مؤلمة جدًا بالنسبة للعائلة: "يا له من تبطر! ويا لحزن العم سنت المرير. ويا لها من تجربة مريرة. نحمد الرب على أننا نعيش في عزلة نسبية هنا ونود حقيقة أن نغلق على أنفسنا فيها. إنه حزن لا يوصف" « note 65, n. 1» ' بدا فنسنت أقل انزعاجًا من فقدان ماء وجهه، وإن كان قد شعر بالذنب مؤكدًا. علمه عمله في تجارة الفن لست سنوات أشياء كثيرة، لكنه لم يجعله سعيدًا ولم يفتح له أي أفق لاكتساب مهنة. وصار مستقبله هنا غامضًا.

البحث عن نداء، ١٨٧٦ - ١٨٨٠

قضى فان جوخ أربع سنوات متنقلًا بين إنجلترا وهولندا وبلجيكا، محاولا أن يكوّن مستقبله. فبعد فصله من مؤسسة جوبيل وسي، سافر في أبريل ١٨٧٦ إلى رامسجيت بالقرب من لندن، ليعمل كمساعد مدرس في مدرسة وليام ستوكس الداخلية للأولاد. وبعد فترة اختبار مدتها شهر واحد، سُمِح له بالبقاء، لكن بلا راتب. وبعدها بفترة قصيرة، انتقلت المدرسة -بفان جوخ- إلى أيزلوورث. وهناك أخذ يستمتع بالسير طويلًا وبصحبة الفتيان، لكنه سرعان ما تحقق أنه قد يفضل العمل في السلك الكنسي، "شيء بين الكاهن والمبشر في ضواحي لندن بين العمال" «٨٤». وفوق هذا فقد كان بحاجة ماسة إلى دخل ثابت.

وفي يوليو ذهب إلى العمل في مدرسة داخلية أخرى في أيزلوورث، كان يديرها كاهن ميثودي يدعى توماس سليد جونز. وفي هذه المرحلة، صارت رسائل فنسنت إلى تيو أطول فأطول، بفضل الاستطرادات الممتدة والاقتباسات المفرطة من الكتاب المقدس. كان اهتمامه المتصاعد بالدين يصاحبه تزايد في قراءاته الأخلاقية، ومن مفضلاته كان "مشاهد من حياة كهنوتية" و"فيليكس هولت" لجورج إليوت، و"تقدم الحاج" لجون بونيان، و"محاكاة المسيح" لتوماس اي كيمبيس. وكان من أسباب سعادته أن حصل على فرصته الأولى لتقديم موعظة في الكنيسة الويزلية الميثودية في ريتشموند في شهر أكتوبر. وكانت الموعظة التي نسخها لشقيقه تيو مرفقًا إياها في رسالة، تقارن الحياة برحلة للحج «٩٦». وبعد هذا بفترة قصيرة أصبح واعظًا علمانيًا (من خارج سلك الكهنوت) في الكنيسة الأبرشانية بتورنهام جرين، وقام أيضًا بالتدريس في مدرسة الأحد التابعة لها، ولكن كمتطوع دون أجر. وفي عودته للوطن في أعياد الميلاد، وهو عادةً وقت للتفكير، وبينما تجتمع العائلة كلها في التئام حقيقي للشمل، تمت مناقشة تطلعات فنسنت المحدودة في إنجلترا، وتقرر بقاؤه في هولندا.

ورتب له العم فنسنت وظيفة كاتب وساعٍ لدى صاحب مكتبة في دوردريخت. وفي تلك الفترة بدأ تعصبه الديني يخرج عن السيطرة. رسائله وقتها كانت غاصة بالنصوص التعبدية وأفكار حول رغبته في أن يصبح واعظًا، وكان العديد من المطبوعات الإنجيلية يزين حوائط غرفته، ويخرج من قداس كنسي لآخر مستكشفًا تنوعًا كبيرًا من الطوائف المسيحية. وأصبحت عبارة القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورينثوس "كحزانى ونحن دائمًا فرحون" هي شعاره الذي يحمله ك "عباءة صالحة في عاصفة الحياة".

فشل جديد

إن صراع فان جوخ مع العالم كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا، بصراعه الذاتي الداخلي حول موقعه في هذا العالم. لقد حلم بمنصب في الكنيسة ليبشر بالإنجيل كأبيه. وقد جعل معاناته لتحقيق هذا الهدف وسيلةً لتحرير نفسه من "سيل التأنيب" الذي "سمعه

وشعر به" «١٠٦». وبتأثير من تنشئته الكالفنية تحدث أكثر من مرة عن الضمير كهبة إلهية وبوصلة أخلاقية معصومة من الخطأ. لكن وعلى الرغم من محاولاته لعيش حياته بضمير، فهو لم يستطع بشكل ما أن يجد الطريق الصحيح. عمله في متجر الكتب كان مجرد حل مؤقت، وواصلت العائلة البحث عن حل مناسب له. وتوقف العم سنت عن دعمه عندما بدا بوضوح أن ابن أخيه جاد في رغبته في أن يكون واعظًا.

أما فنسنت، والذي لم يحصل على شهادة المدرسة الثانوية، فقد لجأ لأحد أعمامه الآخرين في أمستردام للاستشارة ولمساعدته على تهيئة ذاته لدراسة اللاهوت. ولم تكن أسرته مقتنعة بأي حال بأن هذا هو طريقه الحقيقي، وكانوا قلقين على حالته العقلية غير المستقرة. وعلى الرغم من ذلك، انتقل فنسنت في مايو ١٨٧٧، وهو في مزاج طيب، للعيش في أمستردام بصحبة عمه يان فان جوخ، مدير مرافئ البحرية، وقد تعهد أحد أخواله، وهو الكاهن يوهانس سترايكر بأن يشرف على دراساته.

وثبت أن التحضير لامتحان القبول في الجامعة صعب للغاية بالنسبة لفنسنت. وكما يفعل عادةً، فقد عوض عجزه بالانهماك في مسيرات طويلة والكتابة عنها في خطابات مليئة بالفقرات الاستطرادية. ومهما حاول المواظبة على دراسته فقد تزايد لديه الشعور بالإحباط وفتور العزيمة. وكتب لثيو أن برأسه قشعريرة والتهابًا وأن أفكاره مضطربة. ومرة أخرى يتحقق من فشله في بلوغ الهدف الذي وضعه لنفسه. وبعد ذلك بسنوات سينظر لمرحلته في أمستردام "كأسوأ وقت مرَّ به" «١٥٤». وعاد إلى بيت أبويه في أيتن مهزوما وحزينًا، على أمل أنه قد يستطيع أن يصير معلمًا في مدارس الأحد.

فنسنت واعظًا إنجيليًا في البوريناج

في يوليو ١٨٧٨ ذهب فنسنت إلى بروكسل بصحبة والده والكاهن سليد جونز لبحث إلحاقه بكلية فلمنكية للدراسات الإنجيلية. ومنحوه فترة اختبار قدرها ثلاثة أشهر وأرسلوه للعمل في لاكن، حيث أقام مع عائلة أحد أعضاء هيئة التدريس. لكنه لم يُقبل في الفصل الدراسي مع ذلك، وغادر في بدايات ديسمبر ١٨٧٨ إلى البوريناج،

منطقة مناجم الفحم البلجيكية، ليبحث عن عمل تبشيري. وفي منتصف يناير من العام الجديد حصل على تعاقد لمدة ستة أشهر كواعظ من خارج سلك الكهنوت في وازمث، وهي قرية مجاورة لمونس. وكانت مهامه تتضمن قراءات من الكتاب المقدس وتعليم الأطفال وعيادة المرضى. واجه فنسنت هنا الفقر المدقع والبؤس، لكنه كرّس نفسه بالكامل للعناية بالمرضى والمصابين. وقد تماهى تمامًا مع المعوزين حتى إنه تخلى عن كل ممتلكاته ليقيم في كوخ فقير ينام فيه على الأرض.

ذلك الإظهار المبالغ فيه للإنسانية كان أحد أسباب عدم رضاء اللجنة الإنجيلية عنه، وقد اعتبرته أيضًا مفتقرًا إلى موهبة الخطابة والمهارات التنظيمية اللازمة لعقد الاجتماعات الوعظية. وفُسخ تعاقده، وفي أغسطس رحل إلى قرية كويزمس المجاورة، حيث أقام مع أحد الوعاظ الإنجيليين. وتحت تأثير "هذه المنطقة الفريدة ذات الطبيعة الخلابة" «١٥٠» صار أكثر تركيزًا في الرسم. ولسنوات ظل يرسم لمتعته الخاصة وقد يضمِّن بعض التخطيطات في رسائله من وقت لآخر. وقد أصبح الرسم، جنبًا إلى جنب مع الكتابة وسيلة هامة لتسجيل انطباعاته في صور: "أحيانًا أظل ساهرًا أرسم حتى وقت متأخر لأستدعي ذكرى ما، ولأثبت الأفكار التي تطرأ على ذهني بشكل تلقائي عن رؤيتي للأشياء. «١٥٣».

وذهب تيو لزيارته حيث تناقشا حول مستقبل فنسنت. ولا بد أن المشاعر احتدمت في هذا النقاش، فبعد مغادرة تيو مباشرة، كتب فنسنت رسالة يدافع فيها عن نفسه تكشف المخاوف وتباين وجهات النظر التي تثقل علاقته بتيو وبباقي أفراد العائلة. «١٥٤». وقد أدى الشقاق بين الأخوين في النهاية إلى انقطاع مراسلاتهما لمدة عام تقريبًا. ثم قطع فنسنت الصمت بخطاب شديد العاطفية عبر فيه عن نفسه بقوة استثنائية. كان يشعر وكأنه طير في قفص، وأنه بلا منفعة، لكنه كان يريد أن يعثر على جدوى لحياته ومهنةٍ، وقد قبل العون الذي يقدمه له تيو. «١٥٥».

كان فنسنت قد صار غريبًا بالنسبة لوالديه أيضًا. ومبكرًا في ١٨٧٥، كانا قد ناقشا "اختلاف" فنسنت عنهم، وكانت لديهم مخاوف بشأن تعصبه الديني. وعندما استُبعد من الدورة التدريبية الوعظية، ناشداه أن يتخذ طريقًا مختلفًا فيجرب صنعةً

عمليةً. وقد ظل في عينهم عنيدًا مكابرًا، ورفض أن يأخذ بنصائحهم. » b2463, n. 57». وفي أثناء إقامته في البوريناج، كان فنسنت يتخوّف من العودة إلى بيت أهله، ومع ذلك فقد قام بزيارتين لهم. وقد وجدوا سلوكه (الذي يبدو توحديًا Autistic كما يمكن أن يسمى هذه الأيام)، منذرًا بالخطر، حتى إن أباه قد فاتحه في موضوع إدخاله لمصحة نفسية في جيل ببلجيكا، لكن هذه الفكرة قد لاقت مقاومة عنيفة من فنسنت.

وبما أن ابنهم الأكبر قد عُدّ مضطربًا، فقد صارت مسؤولية الحفاظ على كرامة العائلة واقعة على عاتق تيو. وفي نوفمبر ١٨٨٧ كان قد حصل على وظيفة دائمة لدى مؤسسة جوبيل وسي في باريس، فصار قادرًا على الإسهام في مساعدة شقيقه. وحصل فنسنت على أول مصروف من تيو في مارس ١٨٨٠. كان قد صار يمارس الرسم أكثر، واستحثه تيو على جعل الفن مهنةً له. وقرر فنسنت أن يخوض التجربة، وقد كان قراره هذا حاسمًا.

الولع بالفن والصراع: بدايات فان جوخ كفنان ١٨٨٠ - ١٨٨٣



انطون فان رابارد، ١٨٨٠

أما وقد قرر فان جوخ امتهان الفن، فقد انهمك كليةً في برنامج للتعلّم الذاتي. ولأنه كان يأمل في كسب عيشه كرسّام صحفي، فقد صرف انتباهه كاملًا نحو الرسم. وكان يعرف أن عليه الابتداء من الصفر، وأن يتعلم ما في وسعه عن المواد والمنظورات والنسب والتشريح. كان يقرأ الكتب التعليمية، ويعمل من الصباح لليل في استنساخ بعض المطبوعات ورسم النماذج الموجودة في الكتب التعليمية التي يرسلها إليه تيو. لم تكن غرفته الضيقة في كويزموس صالحة نهائيا كمرسم. ذلك

الافتقاد للمساحة وحاجته لأن يكون مجاورًا للمتاحف والفنانين دفعاه للانتقال إلى بروكسل في أكتوبر ١٨٨٠. وعملًا بنصيحة المصور وليم رولوفس ـالذي نصحه تيو بزيارتهـ سجل فنسنت نفسه في الأكاديمية لدراسة دورة بعنوان "الرسم من الآثار". وبعد شهر واحد كف عن الدراسة: ومما لا شك فيه أنه أجبر على تحمل انتقادات كثيرة حول أسلوبه البدائي ومعرفته المحدودة بالتشريح والمنظورات. ومن جراء هذه التجربة، امتلأ بالحنق على التعاليم الأكاديمية، وهو ما يظهر أحيانًا في رسائله، وصار أكثر إيمانًا بأن وسائل الفنان للتعبير أكثر أهمية من التقنيات. وفي التوقيت نفسه كان قد تعرّف إلى أنطون فان رابارد، وهو مصور هولندي اقترح على فنسنت أن يزوره ليمارس الرسم في مرسمه المتسع (ill. 7). وقد جمعت الصداقة بين الرجلين، وعندما عاد فان جوخ إلى هولندا انخرطا في مراسلات مفعمة بالحيوية.

وفي نهاية أبريل ١٨٨١، عاد فنسنت ثانية إلى بيت والديه في أيتن وبقي هناك حتى نهاية العام. وكان يبيت ويعمل في غرفة داخل ملحق تابع للبيت. في تلك الشهور كان يمارس رسم المناظر الطبيعية والأشخاص وهم يعملون، متخذًا أهل القرية "موديلات" للرسم. وفي أثناء إقامة قصيرة في لاهاي زار المعارض والمتاحف ـللمرة الأولى كفنانـ وقد تلقى نصيحةً مشجعة من أنطون موف، وهو مصور ناجح من مدرسة لاهاي كان متزوجًا بابنة عمه جيت كاربينتوس. كان في أفضل حالاته عندما اقتبس جملة لموف تأملها بكثير من الرضا أن "المصنع يعمل بكامل طاقته". «١٧٢».

تصاعد التوتر

في صيف ١٨٨١، جاءت كي فوس سترايكر، ابنة الخال سترايكر التي كانت قد ترمّلت مؤخرًا، لتقيم مع عائلة فان جوخ في البيت الكنسي بأيتن. فسقط فنسنت في حبّها بولع. أخبرته بكلمات مبهمة أنها لن تستطيع أبدًا مبادلته الشعور نفسه. لكنه ألح على الأمر، وسبب لعائلته حرجًا رهيبًا وقد أعمت الرغبة عينيه. حذره أبوه أن مثل هذا السلوك "غير المحتشم والمفاجئ" يعرض الروابط العائلية للخطر«١٨٥». لكن فنسنت لم يتفاعل مع آراء ومشاعر والديه حتى إنهما طلبا منه في النهاية أن يغادر

البيت. قرر بعدها أن يعمل لفترة مع موف في لاهاي؛ وفي مرسم موف، صنع أولى دراساته الزيتية وتعلّم مبادئ الألوان المائية. وعندما عاد فان جوخ إلى أيتن بعد ثلاثة أسابيع، كان ممتلئًا بالخطط الجديدة وفي نيته البحث عن مرسم متسع في الجوار، ولكن بعد يومين فقط دخل في صدام جديد مع أبيه. وأقسم فنسنت أن لا علاقة له بالدين من الآن فصاعدًا وغادر في اليوم نفسه إلى لاهاي.

خطوة جديدة

وفي لاهاي، عثر فنسنت مباشرةً على مسكن في شينكفج على أطراف المدينة. وكان لا يزال يعاني من ردود الفعل السلبية على حبه لكي فوس، ويشعر بالسخط على قصور نظر عائلته. وعلى الرغم من أن تيو كان يلومه على أن عناده يصعّب الأمور دون داع على والديهما، إلا أنه استمر في دعمه. وفي فبراير ١٨٨١ رُقّيَ تيو لمنصب مدير فرع مؤسسة جوبيل في مونمارتر في باريس (الذي صار فيما بعد ملك بوسو، فالدون، وسي)، ومنذ ذلك الحين تولى مسؤولية نفقات فنسنت. كان تيو، وهو ذو دخل جيد، يدفع لأخيه نحو ١٥ في المائة من هذا الدخل. وكان السبب وراء أزمات فنسنت المالية المتكررة هو ميله لإنفاق النقود بلا حرص، وهي العادة التي لا يمكن فصلها عن ولعه الذي لا يهدأ بالعمل: دائمًا ما كانت تنفد منه أدوات الرسم والتلوين، وكان يحتاج إلى موديلات ليرسمهم ولا بد من نقدهم لقاء ذلك. وكان حريصًا على أن يقيم في حي ملائم للعيش والعمل في كل مرة يغير مسكنه. وذلك يصدق بالطبع على إقامته في شينكفج حيث أسس مرسمًا على الفور.



كي فو-سترايكر مع ابنها جان، ١٨٨١

كانت بدايات إقامته في لاهاي، التي كانت العاصمة الثقافية لهولندا حينئذ، مبشرةً: كان يحصل على الدعم والمشورة من ترستيج، رئيسه السابق في مؤسسة جوبيل، وقد عرّفه موف على جمعية بولتشيري للفنانين، وهو مكان مثالي لرسم الموديلات والاختلاط بالفنانين الآخرين. وتعرّف هناك إلى الفنانين الشابين جورج برايتنر وتيوفيل دي بوك. وقد ابتهج فنسنت أيضًا لتلقيه تكليفين متتاليين مدفوعي الأجر من عمه كور فان جوخ لرسم مناظر من لاهاي.

وفي نهاية يناير ١٨٨٢، قابل فنسنت سين هورنيك، وهي عاهرة حبلى أصبحت موديله المنتظمة، أم سين وابنتها كانتا أيضًا تعملان كموديلات له من وقت لآخر بأجر، وعندما صارت سين عشيقته أصبح ذلك مجانًا. وصار يذهب مع برايتنر لرسم اسكتشات في مطاعم الحساء وصالات الانتظار بمحطات السكك الحديدية. وكان موضوعه المفضل هو العمال والفقراء وأفراد الشعب من البسطاء: "أشعر أن عملي يكمن في قلب الناس، وأنني يجب أن أبقى قريبًا من الأرض، وأنني يجب أن أخوض غمار الحياة ولا بد أن أتقدم بالتعامل مع الهموم والمصاعب الكبيرة." «٢٢٦». كان فان جوخ يأمل أن يصل فنه للناس العاديين؛ كان يرغب في رسم شخوص "من الشعب للشعب." «٢٩٤». ولأنه كان لا يزال يداعب فكرة أن يصير رسامًا صحفيًا، فقد بدأ في تجميع المجلات المصورة. إن أعمال الجرافيك في هذه المجلات ـالطباعة بالحفر على الخشب التي كان يقوم بها حفارون محترفون لرسوم فنانين مشهورين ـ كانت شديدة التأثير عليه بسبب واقعيتها ووضوحها وتقنياتها العفوية. فجمع المئات من تلك المجلات، وكان يقص التصاوير منها، ويصنفها حسب الموضوعات ويحفظها في أضابير. وكان فنسنت مولعًا بشكل خاص بالمطبوعات التي لها "روح" و"شخصية". وكان يتبادل المطبوعات مع صديقه فان رابارد، وتحتوي مراسلاتهما على مناقشات مطولة لمسائل فنية وتقنية.

وكان فان رابارد أيضًا هو من أرسل إلى فنسنت كتاب ألفريد سانسييه عن المصور الفرنسي جون فرانسوا مييه. إن تلك السيرة المفرطة في رومانسيتها عن مصور منطقة الباربيزون الذي عاش حياة بسيطة بين الفلاحين كان لها تأثيرٌ حاسمٌ على

مقاربة فان جوخ للفن. وأعلن أن الأب مييه هو معلمه الروحي، وأصبحت الكثير من مقولاته أشبه بشعارات لفنسنت.

حياة عائلية

بعد أسبوعين قضاهما في المستشفى، خاضعًا للعلاج من مرض جنسي، انتقل فان جوخ في يوليو من عام ١٨٨٢ إلى مرسم أكثر اتساعًا في الشارع نفسه. وبعدها بأسبوعين انضمت له سين وابنتها ذات خمسة الأعوام ماريا، وطفلها الرضيع فيليم. وطوال فترة إقامتهما معًا، كان فان جوخ يدافع عن قراره بمشاركتها الحياة استنادًا على أطروحات جول ميشليه الأخلاقية والتعليمية عن المرأة والحب والزواج.

وبطبيعة الحال، لاقت إقامتهما معًا استهجانًا شديدًا من آل فان جوخ المحافظين. وكان فنسنت مع ذلك، لا يكترث لمعايير السلوك التي توافق وضعهم. ففي تلك الفترة كان يرتدي ملابس أفراد الطبقة العاملة، مما كان يثير غضب تيو وبقية أفراد العائلة.

وكان العم سنت قوي النفوذ في العائلة قد رأى في معيشة رجل وامرأة معًا خارج إطار الزواج الرسمي انتهاكًا جسيمًا لقواعد اللياقة الاجتماعية، ووصمة عار طالت العائلة كلها. كما أنه لم يتقبل أيضًا فكرة أن سين وأطفالها يستغلون كرم تيو.

وعلى الرغم من إدانتهما للموضوع فإن والدي فنسنت لم يقاطعاه تمامًا: وفي خريف ١٨٨٣ أرسلا إليه بنطالا ومعطفًا شتويًا، وإضافة إلى ذلك معطفًا نسائيا، كإشارة إلى أنهما لا يرفضان سين بشكل كامل، على الرغم من تحفظهما القوي. وفي ذلك الآن، كان فان جوخ يعيش سعيدًا في مسكنه المتواضع. وتكشف رسائله عن رؤيته الخاصة لواقعه: إن الواجب يحتم على الرجل أن يعين امرأةً ضالة، ومن البديهي أن هذا يكلف مالًا. كان مفهومه عن الاحترام يختلف بوضوح عن مفهوم معظم الناس ممن ينتسبون للوسط نفسه الذي جاء منه.

تجريب التقنيات والألوان

في أثناء فترة إقامته في لاهاي، حقّق فنسنت تقدما كبيرًا في الرسم، باستخدام وسائل متنوعة، من القلم الرصاص، والفحم والطباشير وحتى حبر الليتوغراف، مجربًا تقنيات جديدة. وهو يصف في خطاباته -على سبيل المثال- كيف كان يثبّت الرسوم بسكب الحليب عليها (وهي طريقة تعلمها من أحد كتب التمرين). وفي صيف ١٨٨٢ بدأ في استخدام الألوان، مصورًا المناظر الطبيعية في محيط مرسمه في مجموعة من لوحات الألوان المائية المؤثرة، كما صنع دراسات بالألوان الزيتية في الغابات وعلى الشاطئ. كانت ألوانه الخافتة تتماشى مع طيف الألوان التي كان يفضلها مصورو مدرستي لاهاي والباربيزون من الفنانين المكرسين الذين تروج أعمالهم في قاعات البيع والمعارض. وقد كرس نفسه لفترة قصيرة لصنع مطبوعات بالليتوغراف لرسوم عن العمال والفقر، كجزء من مشروع لم يكتمل قط لعمل سلسلة من المطبوعات عن الطبقة الدنيا.

كان فنسنت يرسل إلى تيو رسومًا عن أنماط من الشعب ومشاهد المدينة ومناظر الطبيعة. وتمتلئ مراسلاتهما في هذه الفترة بوصف شعري غزير للألوان:

> "أن تحتفظ بها مضيئة، وأن تحتفظ بالبريق، وعمق ذلك اللون الثري، حيث لا يوجد بساط خيالي أروع من ذلك البني الأحمر العميق في ضوء شمس خريفية غاربة، على الرغم من ترشحها عبر الأشجار.
>
> ومن الأرض تبزغ أشجار زان شابة تقبض على الضوء من جهة واحدة -وهي خضراء بشكل عبقري هناك- والناحية الظليلة من هذه الجذوع أخضر مسود دافئ. وفي ما بعد هذه الجذوع، وما بعد الأرض البنية المحمرة، ثمة سماء، أزرق رمادي شديد الرقة، دافئ -ليس أزرق تقريبا- متألق. وعلى هذه الخلفية حافة أخرى من الاخضرار الغائم وشبكة من الجذوع النحيلة والأوراق المصفرة. وبعض الشخوص يجمعون الحطب ويتحركون في المحيط ككتل معتمة لظلال غامضة." «٢٦٠».

الاحتكاك الفكري

كان فان جوخ، التجريبي الذي لا يلين، يتوق لتبادل الخبرات التقنية والأفكار الفنية مع نظرائه. وكان لديه مصطلح معبر عن ذلك وهو "احتكاك الأفكار". «٣٩٦». وكان اتصاله بالفنانين هرمان فان در ويلي وأنطون فان رابارد وسيلةً لإشباع ذلك التوق. فقد كتب رسائلَ ملأها الشغف إلى فان رابارد عن عمله، وتحاورا في مناقشات تصيب كبد الأمور. وقد واظب كل منهما على إطلاع الآخر على نشاطه برسم اسكتشات وإرفاق الرسوم مع الخطابات، ولم يتقاعسا عن النقد الصريح وأحدهما للآخر. وهذا تحديدًا ما كان يحتاجه فان جوخ، خاصةً بعد فتور علاقته مع موف بسبب تورطه مع سين هورنيك. وكان لصداقته النزيهة مع فان رابارد أثر شديد التحفيز.

كان فان جوخ يعمل غالبًا بشكل عصابي وبتصميم على استنفاد طاقته حتى الحد الأقصى. فكان من المنطقي أن يصف نفسه بالكادح أو بفرس الحقل أو ثور الجرّ، كما كان يسعى باستمرار إلى أن يمتد يوم العمل من الصباح المبكر (وفي حالته كان مبكرًا جدًا) وحتى ساعة متأخرة جدًا من الليل. "أنت تعرف أنه لا يمكن غزو الطبيعة أو إخضاعها بدون صراع رهيب، وبدون صبر غير عادي" «٤٠٣». وكان باستمرار يختبر "يده كرسام" «٢٢٠» بعمل اسكتشات عن جامعي النفايات عند مقالب القمامة على سبيل المثال، أو العمال في المحاجر أو في أحد الحقول يجمعون البطاطس، للتوصل للإحساس بِنسب الجسد الإنساني والمنظورات في المشهد الطبيعي.

في قلب الشعب: المصور الريفي في درينته ونيونن ١٨٨٣ - ١٨٨٥

في سبتمبر ١٨٨٣ أنهى فنسنت علاقته مع سين، لأنه لم يعد يثق في نياتها. وقد أرجع اللوم على عائلتها للدور المريب الذي لعبوه في هذا الخلاف؛ وقد كان متأكدًا أنها تحت تأثيرهم ستعود ثانيةً لحياة الدعارة. وانطلق إلى منطقة درينته الريفية آخذًا

معه القليل من أدوات ومواد الرسم. ولا بد أن اختياره لذلك الإقليم الشمالي كان بدافع مما سمعه من موف وفان رابارد وبرايتنر عن الطبيعة البكر هناك.

بقي فان جوخ لفترة في هوجيفين قبل أن يسافر في بدايات أكتوبر في زورق ركاب إلى نيو أمستردام/فينورد حيث أقام في النُزل الذي يديره هندريك شولتي. ومن تلك القاعدة انطلق لاستكشاف المناطق المحيطة بحثًا عن موضوعات لعمله، وهو ما أسفر عن سلسلة من المناظر الطبيعية مع أكواخ متداعية ونساء يعملن في سبخة الخث ورجل يحرق الحشائش في الغسق وعمال بجوار زورق مُحمَّل بالخث. وقد قام برحلة إلى زويلو مع السيد شولتي ووصفها لتيو في رسالة بلغة شعرية. «٤٠٢». وكان السبب الضمني لإفراط فنسنت في مديح المناظر الطبيعية لتيو، هو أن علاقة الأخير برؤسائه في العمل كانت متوترة حتى حاول فنسنت إقناعه «أن يصير مصورًا هو أيضًا بدوره، وأن يترك تجارة الفن وحياة المدينة خلف ظهره. كان الغرض من وصف مشاهد الطبيعة الجميلة بشكل مذهل هو جعل عرضه أكثر إغراءً. لكن تيو، كما هو مفهوم، لم يأخذ اقتراح شقيقه بجديّة.

وعلى الرغم من تأثره بجمال الطبيعة، فقد اكتأب فنسنت من الوحدة خلال تلك الشهور الباردة المطيرة. كان من الصعب أن يعمل خارج المسكن، ولم يكن لديه موديلات ليرسمهن، وكانت مواد الرسم تنفد منه. وكانت الأمسيات طويلةً، فانعكس هذا على طول رسائله. ودفع وضع تيو المادي الحرج وقتها فنسنت إلى مغادرة درينته واللجوء إلى بيت أبويه ثانيةً، وكانا قد انتقلا وقتها إلى نيونن بالقرب من آيندهوفن.

العودة إلى بيت أبويه

وفي الخامس من ديسمبر ١٨٨٣ وصل فان جوخ إلى البيت الكنسي المتزمت والمؤثث بشكل أنيق حيث كان أبواه يعيشان منذ نحو عام. كان المفترض أن يبقى في القرية لعامين. لكن استقباله في المنزل لم يكن دافئًا قط من وجهة نظره.



بيت الكاهن، حيث يقع الاستوديو على اليمين منه

"أنا أشعر بما يفكر فيه أبي وأمي غريزيًا بخصوصي (لا أقول عقلانيًا). هناك نفور من احتوائي في البيت مماثل للنفور من احتواء كلب أشعث كبير فيه. سيقتحم الحجرات بأرجله المبتلة، ثم إنه غليظ جدًا. سيقف في طريق كل شخص. وسينبح نباحًا مزعجًا."

تم تجهيز غرفة الغسيل خلف المنزل لتكون مرسما لفنسنت (ill. 9) على الرغم من أن موقعها وأثاثها غير ملائمين لذلك. وكانت مهمة فان جوخ الجديدة أن يصوّر الفلاحين والعمّال في أثناء عملهم. أول موضوعاته كان عن النساجين: وبين ديسمبر ١٨٨٣ ويوليو ١٨٨٤ صنع مجموعات من اللوحات والرسوم عن نساجين على أنوالهم. وفي الشهور التي كان يصعب فيها العمل في الخارج، صنع مجموعات كاملة من لوحات الطبيعة الصامتة. في بدايات عام ١٨٨٤، قرر فنسنت أنه في مقابل النقود التي يرسلها إليه تيو سيكون من حق شقيقه أن يتصرّف كما يشاء في أعماله الفنية، والأمثل أن يجد لها مشترين. وكان فنسنت لا يزال على اتصال مستمر مع فان رابارد:

كانا يمارسان التصوير معًا، ويتناقشان في مسائل تقنية، وكان فان رابارد يحترم موهبة صديقه في الرسم. وكان فان جوخ يعطي دروسًا في التصوير لبعض الفنانين الهواة في المنطقة، مما عزز ثقته بنفسه.

واعتبارًا من مايو ١٨٨٤ أجّر من راعي الأبرشية مرسمًا متسعًا إلى حد ما، غرفتين بحمام ملحق، ما منحه مساحةً كافية ومريحةً للعمل. وفي الصيف بدأ في إثارة القلق مرةً أخرى، إذ انخرط في علاقة مع جارته مارجو بيجيمان، التي كانت تعاني من اضطراب عقلي. وقد حاولت العائلتان ما في وسعهما لإنهاء هذه العلاقة، مما حدا بمارجو إلى محاولة الانتحار. وقد فكر فنسنت لوهلة أن يتزوجها، لكنه سرعان ما تخلى عن هذه الفكرة، وهو ما سبب ارتياحًا لجميع الأطراف. وفي أوقات مماثلة كان يشعر بعمق الهوة التي تفصله عن المحيطين به، وباستحالة تجاوزها.

نظرية الألوان

في أولى سنوات احترافه للفن، كان فان جوخ مُنشغلا تمامًا في المقام الأول بمسألة التكوينات، كالنسب ومجاميع الشخوص، وضبط المنظور. وكان نشاطه الرئيسي هو الرسم واهتماماته الكبرى ذات طبيعة تقنية: معالجة الخطوط على سبيل المثال، والتأثيرات التي تنتجها المواد التي يستخدمها. وكانت الألوان تلعب دورًا ثانويًا. تغير هذا الأمر في نيونن، عندما قرر أن يكرّس نفسه تمامًا للتصوير، ونتيجة لذلك استغرقته بالكامل نظرية الألوان. وتحتوي رسائل تلك الفترة على فقرات عديدة عن الفن والفنانين ونظرية الألوان، مقتبسةً أو معاد صياغتها من كتب فيليكس براكمون وتيوفيل سيلفستر وإدمون دي جونكور وألفريد سونسييه وجون جيجو وشارل بلان وتيوفيل توريه (وليم بورجر) والتي درسها جميعها بإمعان.

وقد تفتحت عيناه بما قرأه لدى بلان في كتب نظرية الفن عن طيف الألوان لدى المصور الفرنسي يوجين دولاكروا، ومن حكايات الفنان نفسه كما رواها سيلفستر وجيجو. وصور سلسلة من لوحات الطبيعة الصامتة طبق فيها معرفته الجديدة

بتأثيرات الألوان ونتائج مزجها. في البداية، لم تؤد هذه الأفكار الجديدة إلى ألوان أكثر نصاعة. وظل عالقًا في ألوانه الخافتة بسبب عدم امتلاكه لخبرة مباشرة مع نماذج قد تساعده في وضع تعاليم الكتب في ممارسة فعلية.

الفن فوق الطبيعة

كان فان جوخ يشعر بالتضامن مع العمال منبهرًا بحماسهم في العمل؛ وقد اعتبر حقيقةً أن "تصوير شخوص الفلاحين في أثناء العمل هو "قلب الفن الحديث" «٥١٥». ومع ذلك، لم يكن غرضه هو بعث الحياة في المناظر الطبيعية والشخوص، بل كان يبحث عن تسجيلها كما يراها. وفي محاكاة للفيلسوف فرانسيس بيكون والروائي إميل زولا قام بتعريف العمل الفني كـ "ركن من الطبيعة مرئي من خلال مزاج ما" «٣٦١». وكان ذلك التعبير عن الرؤية الشخصية تحديدًا هو ما نقل الواقع بشكل أكثر قوة وجعل العمل الفني "حقيقيًا أكثر من الحقيقة الأدبية" «٥١٥». كان الهدف هو تعظيم دور الحس لدى الفنان، وهو ما يتيح له لمس جوهر الواقع.

بعد مرحلة التعصب الديني، وجد إيمان فان جوخ السابق في تعاليم الكنيسة طريقه نحو مفهوم ديني للطبيعة 'إيمان ووعي بشيء متعال، باختصار بما هو "فوق" «٣٣٣». وهو ما وجد تعبيره في الطبيعة وفي دورة الفصول. وقد حاول في رسومه ولوحاته أن يقبض على إحساس ومناخ المنظر الطبيعي. وعلى أي حال، فبعد إعلانه أنه قد أصبح مصورًا ريفيًا كـ "مييه"، فقد صار موضوعه الأساسي هو الشخص البسيط الذي يزرع الأرض ويتعامل مع الطبيعة. وهو المثل الذي التزم به في ثبات. وكان التحدي الأقصى للفنان هو أن يعلو على ما هو يومي ويصل إلى "النمط المستخلص من أفراد عديدين. وذلك هو الفن الرفيع، وبهذا يعلو الفن أحيانًا عن الطبيعة. كما في "الزارع" لدى مييه "التي بها روح أكثر مما في زارع عادي في الحقل" «٢٩٨». في عمل فان جوخ قد يتسامى الزارع نحو رمز لدورة الطبيعة الأبدية و"ذلك الشيء في الأعالي".

كان لدى فان جوخ قناعة متزايدة بأن الرسوم واللوحات التي يصنعها تستحق أن تُرى كأعمال فنية، وأنه وهو "المصور الصغير" كما كان يطلق عليه أهالي نيونن - يكتسب سيطرةً على الفرشاة. "إن قماشة الرسم الخاوية تخشى المصور الحقيقي الشغوف والقادر"، كما كتب مرةً في رسالة بنبرة ثقة في الذات. «٤٦٤». كان قد غادر بيت أبويه وانتقل إلى مرسمه بعد مشادة مع شقيقته آنا، التي كانت تشعر منذ وفاة أبيهم المفاجئة، أن فنسنت لا يجب أن يظل عبئًا على والدتهم. وفي تلك المرحلة تقلصت علاقته بالعائلة، باستثناء مراسلاته مع تيو.

وكان فنسنت ينظر إلى الكثير من أعماله باعتبارها تجارب. وقد صور العشرات من وجوه الفلاحين، حتى يألفها شعوره، فيستطيع أن يجسدها في لوحات شخوص حقيقية. وظهرت نتيجة ذلك في أبريل / مايو من ١٨٨٥ في لوحة "آكلو البطاطس"، والتي اعتبرها أول لوحة احترافية يصنعها من الأساس.

جعلت ردود الأفعال السلبية الصريحة حيال ذلك الاختبار لحرفيته فان جوخ يتحقق من أنه في طريق مسدود على أصعدة عديدة. كانت أعماله غير قابلة للبيع بشكل واضح، كما كانت سلوكياته غير المحتملة تجعل الموديلات ينفرون من العمل معه، وفقد الاتصال الضروري بعالم الفن. وحاول تيو أن يفهمه أن مقاربته لا تتماشى مع "الفن الحديث" في باريس. كانت المدرسة الانطباعية قد أصبحت تيارًا سائدًا في حين كان فان جوخ لا يزال يتطلع إلى الماضي، ويسعى لأن يكون مصورًا من مدرسة الباربيزون، بعد انقضاء زمنها، كما يقال.

وكانت زيارة فان جوخ لمتحف رايكسميوزيوم في أمستردام في أكتوبر ١٨٨٥ أشبه برنين أيقظه من سباته. فحتى لحظتها كان يعتقد أن التقنية تأتي تالية في الأهمية بعد الرسالة التي ينقلها العمل الفني والشعور الذي يعبر عنه؛ إن أعمال الأساتذة القدامى، التي صار يدرسها للمرة الأولى من منظور المصور، علمته ما الذي يمكن أن يحققه بضربة فرشاة واثقة وباليتة ألوان معبرة. لكن الآلية التي يُصنع بها العمل الفني

بإمكانها أن تصنع فرقًا بالتأكيد. وفي أعماقه، ظلّ طموحه كما هو - أن ينقل رؤيته للواقع- لكنه كان يحتاج إلى تغيير في طيف الألوان الذي يستخدمه، وأن يعثر على طريقة في التصوير تمكنّه من بلوَرة تلك الرؤية بشكل أقوى.

وفي نوفمبر ١٨٨٥، غادر فان جوخ إلى أنتويرب بحثًا عن إلهام جديد ودراسة متعمقة، فالتحق هناك بأكاديمية الفنون. وكان يرجو أن توفّر له المدينة تنوعًا في الموضوعات وفرصًا لبيع لوحاته.

بدايات فان جوخ مع الفن الحديث في مرحلة أنتويرب وباريس، ١٨٨٦ - ١٨٨٨.

قام فان جوخ برحلة قصيرة إلى أنتويرب في ٢٤ نوفمبر ١٨٨٥. وقد راقت له على الفور تلك المدينة العريقة بمينائها الصاخب. وقد دفعه نهمه للفن والأفكار الحديثة الذي أثاره ما رآه في متحف ريكسميوزيم إلى زيارة كل مكان في المدينة يمكن أن يرى فيه أعمال فنانين قدامى أو معاصرين: المتاحف والكنائس برسومها الدينية للأساتذة القدامى وصالات المزادات، حتى إنه حضر إحدى حفلات اليانصيب الفنية. وأصبح يكثر من التعليقات على استخدام الألوان والتقنيات في الأعمال التي شاهدها. وأصبح يرى روبنز بشكل مختلف، أقل انتقادًا لموضوعاته وتحويره المقنع للعواطف في استخدامه الفعّال للألوان. لقد أصبح فان جوخ يرى الأشياء بعيني مصور. إن العدد القليل الذي تبقى من البورتريهات التي صوَّرها في هذه الفترة، بريشة أكثر مرونة وألوان أكثر نصاعة من تلك التي كان يستخدمها في مرحلة نيونن، تظهر كيف كان حريصًا على تطبيق رؤيته الجديدة في ممارسته للفن.

وكان يرجو أن يعقد صلات مع بعض تجار الفن، لكن تبين له أن اللوحات القليلة التي شحنها مع متاعه غير قابلة للبيع. وفهم أن فرصه في النجاح ضئيلة، ما لم يشرع في صنع لوحات عن مناظر المدينة وبورتريهات. ولم يكن من السهل عليه العثور على موديلات بأسعار في متناوله، فوق ذلك. وكان يفلح في بعض الأحيان في إقناع

عاهرة أو أي شخص بسيط في الجلوس له ليرسمهم، لكنهم غالبًا ما كانوا يرفضون. وكما قال هو وقتها، فإن التكلفة العالية لأدوات الرسم والموديلات كانت "تدمره" «٥٤٧».

الدراسة في الأكاديمية

وفرّت له الغرفة الصغيرة التي استأجرها في شارع لانجي بليدكنسرات رقم ١٩٤، مساحة شحيحة للرسم والتصوير. وفي يناير ١٨٨٦ عرض بعض أعماله الأخيرة على مدرسي أكاديمية الفنون، فتم قبوله في فصل دراسي. وهناك استطاع أن يعمل مع موديلات حقيقيات، وفي المساء يرسم نماذج جصية لتماثيل أثرية. وفي منتديات الرسم لطلبة الفنون التي كانت تعقد في الأمسيات المتأخرة، كان باستطاعته أن يرسم موديلات عاريات. وأتاحت له علاقته بالطلبة الآخرين شحذ أفكاره بطريقة ما، لكنها لم تحقق له الكثير من الرضا. فمن وجهة نظره، كان الكثير منهم مضلّلين بتعاليم معلميهم ممن يركزون بشكل خاطئ على التقنية ويستنكرون التعبير الشخصي. وكان محبطًا في الوقت نفسه من افتقاده للرفقة في وسط الفنانين وتجار الفن. وقد وجد أن المناخ الفني المضجر محبِطٌ للغاية. وهو ما عزز قناعاته أن التضامن والتعاون ضروريان لإحداث "نهضة" ما.

وفي الوقت نفسه، تدهورت صحته بطريقة منذرة بالعواقب. كان بشكل عام يوفر مصروفات الطعام والأمور الصحية لصالح نفقاته الفنية، لكن ذلك جعله في أنتويرب يشعر أنه "مرهق بالفعل ومنهك" «٥٥٨». وعملًا بنصيحة أحد الأطباء فقد منح نفسه عطلة أخيرًا. كان لا بد أن يُعالج من مرض جنسي، كذلك أسنانه كانت بحاجة لكثير من العلاج، وهي كلها أمور تكلف الكثير من النقود. وكان من المؤثر رؤية تيو، الذي كان يعارض عادةً نفقات فنسنت المفرطة على أدوات الرسم والموديلات، يرسل في التو نقودًا إضافية عندما تكون صحة شقيقه على المحك. كان تيو يتفهم هذه الأمور، لأن صحته هو نفسه كانت أكثر هشاشة من صحة شقيقه.

وفي نهاية يناير، أنهى فان جوخ فصله الدراسي في الأكاديمية وقام بتقييم التجربة: فكان سعيدا أنه قد أتى إلى أنتويرب، ليس فقط لأنها حررته من الرقابة الاجتماعية في القرية، بل أيضًا لأنها أتاحت له الكثير من دراسة الفن والرسم والتصوير عن موديلات. والأكثر أهمية، مع ذلك هو "لقد تغيرت أفكاري وانتعشت، وذلك في الحقيقة كان هدفي من المجيء إلى هنا" «٥٦٢». ومع ذلك، لم يحدث تطور فيما يخص "احتكاك الأفكار" الذي كان يبحث عنه بين أقرانه، ولا فيما يخص آماله في بيع لوحاته.

إن الفكرة التي كانت تختمر من مدة طويلة، قد أصبحت خطةً جادةً في فبراير: وضغط على تيو ليسمح له بالانتقال إلى باريس - لا في يونيو أو يوليو حين ينتهي عقد إيجار تيو فيكون حرًا في الانتقال إلى مسكن جديد يتسع لكليهما، ولكن على الفور. كان فنسنت يريد أن يمضي سنة في شحذ ملكاته كرسام للصحافة. ولهذا الغرض، كانت عيناه تتطلعان لمرسم المعلم فرنان كورمون، الذي كان معروفًا بأنه "متحرر" نسبيًا، كما كان يريد أن يستنسخ لوحات من اللوفر ومدرسة الفنون الجميلة. وحاول تيو إقناعه بأن يعود إلى نيونن حتى الصيف، لكن فنسنت غادر فجأة في أواخر فبراير تاركًا خلفه كل ممتلكاته، وديونه أيضًا، إلى العاصمة الفرنسية التي كان يعتبرها الفنانون عاصمة العالم بأسره.

باريس: فنٌ حديث وحياة حديثة

كانت أنتويرب مدينةً صاخبة بالنسبة لإقليم برابنت الريفي، أما باريس فهي أكثر من ذلك بما لا يقاس: شديدة الازدحام والفوضى، وعالمية وذات مناظر مدينية ساحرة. كانت قد مضت عشر سنوات على زيارة فنسنت لهذه العاصمة الجبارة، بالتحديثات الحضرية التي أدخلها هاوسمان عليها، والشوارع المتسعة والعمائر العملاقة التي عظّمت من هيئة المدينة، بينما احتفظت تلة مونمارتر، حيث أقام تيو وفنسنت، بطابعها الريفي إلى حد ما.



شارع ليبيك، باريس

كان يلتقي في باريس كل ما هو تقدمي في الفن والأدب والمسرح والموسيقى، وقد تأثرت الفنون بقوة بالاكتشافات العلمية الحديثة في مجالات الفيزياء والطب والطب النفسي والفلك والروحانيات، من ضمن مجالات أخرى. وهنا استمع فان جوخ لموسيقى فاجنر للمرة الأولى وشاهد عروضًا مسرحية تجريبية في مقاهي وملاهي مونمارتر. وقد شحذت الروايات الحديثة لكتاب من قبيل جي دو موباسان وجوريس كارل هيوسمان وليف تولستوي رؤيته لمجتمع يتغير بوتيرة سريعة مع حركة التصنيع.

ذهب فان جوخ إلى باريس بحثًا عن إلهام جديد لعمله. وفي البداية كان يسعى للالتحاق بصفوف الفنانين التقليديين، عوضًا عن الانطلاق في مسارات التجديد الراديكالي. وكانت العاصمة العالمية للفن تعني بالنسبة له نخبة من الأسلاف الكبار المبجلين، ممن يستطيع دراسة أعمالهم في المتاحف وقاعات العرض كجزء من جهوده لامتلاك الحرفة. وبعد وصوله بفترة قصيرة التحق بمرسم كورمون (فرنان بييستر)، وقد كان أشبه بصالون فني منفتح فكريًا يقدم دروسًا خصوصية في قاعة في بوليفار

كليشي، وكان المعلم يمرُّ هناك بضع مرات في الأسبوع ليعطي تعاليمه، ولكن في باقي الأوقات كان التلاميذ يتدربون بحريتهم. وكان كورمون يسمح لهم برسم وتصوير الموديلات بقدر ما يرغبون، ولكن التقنيات التي كان يعلمها كانت متجذرة في التقاليد الأكاديمية. وفي وقت لاحق سيقول فان جوخ ما يلي عن الأشهر الثلاثة التي قضاها مع كورمون: "«I» لم أجده مفيدًا كما توقعتُ أن يكون" «٥٦٩».

رفقة سكنية مزعجة

في السابق، وعندما كان مجيء فان جوخ إلى باريس مجرد احتمال، تخوف فنسنت وتيو من ذلك وأخبر أحدهما الآخر أن إقامتهما معًا قد تكون صعبةً. وقد كانا محقين. فالشقة التي في شارع لافال، والتي اضطر تيو بشكل مفاجئ لتخصيص غرفة لفنسنت فيها سيتم في يونيو استبدال أخرى أكثر اتساعًا بشارع لوبيك في مونمارتر بها (ill. 10). وحصل فنسنت الذي كان قد أنهى دروسه لدى كورمون على غرفة صغيرة فيها كمرسم، ولكن أسلوب حياته الفوضوي وطريقته في العمل قد تركا آثارهما في كل أرجاء المنزل، مما كان يسبب حرجًا كبيرًا لتيو الذي تتطلب وظيفته المرموقة ذات المسؤوليات بعض المجاملات الاجتماعية.

وكون الشقيقين يقطنان معًا، فإن ذلك يعني توقف المراسلة بينهما، وعليه فالرسائل ليست مصدرًا ثريًا عن أنشطة فنسنت وعلاقته بتيو في تلك الفترة. ومعرفتنا عن حياتهما معًا في باريس تأتي من شهادات معاصرين لها ومراجع وإحالات وتوصيفات لها في رسائل فنسنت اللاحقة. ويذكر الفنانون الذين احتك بهم فنسنت في هذه الفترة أن مزاجه كان يعتل بسهولة، وكان يدلي بآرائه سواء طُلِبَت منه أم لا، ويسعى دائمًا للسجال. وكثيرًا ما كانت تحتد الأجواء بين الشقيقين، وكان تيو يقترح أحيانا بيأس أنه قد يكون من الأفضل ألا يعيشا معًا. ولكن رابطتهما الأخوية لم تتأثر على الرغم من هذه المشاكل.

ريشة أكثر مرونة وألوان أكثر إشراقًا

في أثناء صيفه الأول في باريس، صور فان جوخ العديد من لوحات الطبيعة الصامتة عن الزهور ليعزز من فهمه لنظرية الألوان وليمارس التصوير من نماذج (أي استخدام الفرشاة ليعطي تحديدًا أقوى للشكل). وكان مثله الأعلى هو المصور أدولف مونتيشيللي الذي طواه النسيان حاليًا. وأصبحت فرشاته أكثر مرونة وألوانه أكثر إشراقا تحت تأثير المدرسة الانطباعية المهيمنة في باريس ذاك الوقت. وفي الفترة اللاحقة تكثفت تدريجيًا علاقات فان جوخ بالجيل الأصغر،

وبالتالي بالأفكار الأحدث. وقد صار صديقًا للشاب الذكي والطموح إميل برنار الذي لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره (ills. 11, 12)، وتولوز لوتريك الذي كان في بداية مشواره الفني القصير شديد النجاح. كما تعرف أيضًا إلى بول جوجان الفنان الواعد والتنقيطيين بول سنياك وجورج سورا اللذين كانا يجربان التصوير بنقاط الألوان غير الممزوجة والتي ستمتزج في عين المشاهد عندما ينظر إليها من مسافة. كما صار مفتونًا ببساطة وأناقة المطبوعات اليابانية.

إن انخراط فان جوخ في هذه الحركات الجديدة بات واضحًا بعد تنظيمه لمعرض للمطبوعات اليابانية في بدايات ١٨٨٧ في المقهى الذي كانت تديره محبوبته الجديدة أوجستينا سيجاتوري، ومعرضٍ آخر في العام نفسه لأعماله وأعمال بعض أصدقائه في أحد المطاعم. واستغرقه الاهتمام بالمطبوعات اليابانية، فأخذ يستنسخها بالألوان وتبنى منهجها التصويري: الخطوط الخارجية القوية، والمساحات المسطحة ذات اللون الواحد وتأثير المنظور. كما قام بتجريب التقنيات التي يستخدمها أصدقاؤه كاستخدام تولوز لوتريك للألوان المخففة، وتقنية التنقيط المميّزة لسينياك وسورا. وهو لم يقلدهم تقليدًا ساذجًا، لكنه كان يجرب مناهجهم ويتبنى منها ما يلائمه، برؤية تتوخى إشباع طموحه الأعظم.



إميل برنار وأخته مادلين، ١٨٨٨

فان جوخ الحديث

قبل ذلك بسنوات، كان فان جوخ قد أعلن أن ما هو حديث حقيقةً يجب التماسه في الفن الذي تم إنتاجه من ثلاثين أو أربعين سنة (مما يعني أن مييه كان أكثر حداثة بالنسبة له من مانيه)، وفي باريس توصل إلى قناعة مفادها: أن تكون فنانًا حديثًا يعني أن تنخرط بالكامل في الحياة الاجتماعية والفنية والفكرية لعصرك.

كما توصل لقناعة أن فنّ البورتريه هو أفضل وسيلة لتوثيق المواقف العصرية، فوق أنه نوع فني قابل للتسويق بشكل كبير. وبالطبع كانت لا تزال هناك مشكلة دفع أتعاب الموديلات، وحتى إن كانت باريس تعج بالموديلات، من المحترفين وغيرهم، فهو لم يصنع سوى نحو دزينة من البورتريهات ولوحات الشخوص في تلك السنوات. وإن كان قد جرب التقنيات الحديثة التي اكتسبها وطيف الألوان الجديد في نحو ثلاثين بورتريهًا ذاتيًا لنفسه وعدد من المناظر الطبيعية.



فان جوخ (يُرى من ظهره) مع برنار، آنيار، ١٨٨٧

ومن المدهش أن ترى كيف استطاع فان جوخ القادم من الشمال بنظرته الملتفتة إلى الماضي، أن يعيد اختراع نفسه في باريس في ما لا يزيد عن عام واحد إلا قليلًا، فيصبح فنانًا متخلصًا من كل العقائد الجامدة. ولد فان جوخ الحديث في باريس، وتلك حقيقة كان يعيها هو نفسه، عندما غادر المدينة بعد عامين. وفي أثناء تلك الفترة، حدثت أيضًا تغيرات جوهرية في علاقة فنسنت مع تيو: ليس على المستوى المالي، فقد ظل تيو دائما الراعي الكريم لشقيقه، بل على مستوى الإحساس بالندّية بينهما. ففي ما سبق كان فنسنت يستشعر الحاجة إلى تبرير خياراته وقناعاته الفنية؛ بينما صار هو وتيو الآن منخرطين كلاهما في مشروع مشترك، فتيو بدوره قد تبنى قضية الفن الطليعي، ووفقًا لفنسنت فإن تيو قد أسهم فيها بتجارة الفن، بنفس قدر إسهامه هو كفنان. وفي فبراير ١٨٨٨، عندما هرب فنسنت من حياة المدينة الضاغطة وغير الصحية، بحثًا عن ألوان "يابانية" ومناخ أكثر صحية في إقليم البروفانس جنوب فرنسا، وقد كان يدعم نفسه بتلك الرابطة الأخوية التي جعلته يفكر في نماذج سابقة

كالأخوين جونكور وبريتون وماريز. وكان فنسنت وتيو يشعران أنهما "شريكان في المصير على عدة مستويات" و"شقيقان لأكثر من سبب" «٧٩٠، ٧٩٤».

أفضل أيام حياته: فان جوخ في آرل ١٨٨٨ - ١٨٨٩

كلما غيَّر فان جوخ موطنه، كان خطابه الأول من هناك يعطي انطباعًا مشرقًا عن محيطه الجديد، ولم تكن آرل استثناءً في ذلك. كان يعتقد أن مناظر الطبيعة والسكان هناك ملهمة جدًا، لكن الحياة لن تكون أقل تكلفة كما كان يرجو. عند بداية كل مغامرة فنية جديدة، كان بشكل متكرر يسيء تقدير النفقات التي ستستلزمها. أقام في فندق بشارع كافاليري قريبًا من محطة السكك الحديدية شمال المدينة التي لم تبد له أكبر من بريدا أو مونس بأي حال «٥٧٧»، وثمة فرق كوني بينها وبين باريس العاصمة الكبرى.

وعلى الرغم من تغير حياته بشكل جوهري، ظلت أفكاره عالقة في باريس إلى حد كبير. وأحد أسباب ذلك، أنه كان لا يزال متعلقًا بأصدقائه ومعارفه الذين تركهم هناك؛ وفي شهوره الأولى في آرل، كان يسأل تيو بشكل متكرر عن هذا الشخص أو ذاك، وقد بدأ التراسل مع إميل برنار الذي بقي في باريس حتى غادر بدوره إلى مقاطعة بريتاني في منتصف أبريل. وفي الوقت نفسه كان يخطط بشكل متواصل لعرض أعمال الفنانين الطليعيين (الذين كان يشير إليهم بشكل جماعي بالانطباعيين) خارج باريس. كان لديه أمل كبير في مبادرة تيو بإرسال لوحات الانطباعيين إلى فرع شركة بوسو في لاهاي، الذي كان يديره لا يزال ه. ت. ترستيج، راعيهما السابق ومديرهما. في تلك السنوات، كان مصطلح "التصوير الحديث" في هولندا مرادفًا تقريبًا لمفهوم مدرسة لاهاي، فيما كانت الانطباعية الفرنسية شبه مجهولة هناك. وتبادل الشقيقان فان جوخ الرسائل حول الاستراتيجية التي من المفترض أن يتبعاها لإقناع ترستيج، مما أسفر عن إرسال تيو مجموعة من الأعمال إليه في مارس بينها إحدى لوحات فنسنت. ولكن لم تُبع سوى لوحة واحدة لمونتيشيللي، وتمت إعادة الأخريات. بالتأكيد لم تكن هولندا مهيئة بعد لتلقي ذلك النوع من الفن الذي أيده بضراوة الشقيقان فان جوخ.

المعارض والمبيعات

وبذل فنسنت أيضًا مجهودًا كبيرًا في خطة أخرى تحمل الهدف نفسه، وهي تأسيس جمعية للفنانين توفّر لأعضائها الدعم المادي. على أن يضع الفنانون، المكرسون منهم والمبتدئون، أعمالهم تحت تصرف الجمعية، ثم توزع العائدات فيما بينهم. وبهذه الطريقة، فإن الانطباعيين الناجحين (من أمثال مونيه) سيساندون زملاءهم من الفنانين الشبان. ولم تسفر تلك الخطة عن شيء، لكن فان جوخ واصل بحثه عن سبل لتعاون أوثق بين الفنانين. وكان باستمرار يهاجم انعدام التضامن والمنافسة العنيفة الناشبة بين الفصائل الفنية المتعصبة في باريس.

وتحت الدعوة نفسها، كان لدى فان جوخ مشروع للتعاون مع تيو، في عرض وبيع أعماله وأعمال بعض أصدقائه في نواحي مارسيليا. إذ كان يحلم بصنع اسم له هناك، بعد نجاحه المتواضع في باريس، إثر عرض ثلاث لوحات له ضمن معرض أقامته "جمعية الفنانين المستقلين".

وبخلاف المعارض التي نظّمها بنفسه، والعديد من الأعمال التي أُعطيت بالجملة لبعض تجار الفن الصغار، فذلك كان أول اعتراف للجمهور به كفنان له مكانته بين فناني الطليعة. وبالنسبة لشخص كان يتوق بشدة إلى الاعتراف به، كان من المدهش أن نرى كيف علّق باقتضاب على مشاركته واختيار الأعمال في الفترة التي سبقت المعرض. وفي السنوات التالية، وعندما بات تقديره وشيكًا، كانت ردة فعل فان جوخ هي نفسها: فأي تقريظ أو علامة على الاعتراف كانت تجعله يتراجع إلى الخلفية، كما لو كان يخشى السقوط في شرك فقدان استقلاله. فالشهرة، وفقًا لكلمات الكاتب ألفونس دوديه، كما اقتبسها فان جوخ هي "كأن تضع السيجار في فمك من طرفه المشتعل بينما أنت تدخن" «٦٧٣».

في ذلك الحين كان فنسنت يعمل بأقصى طاقته. وعلى الرغم من أنه ظلّ متواضعًا بخصوص موهبته في مقارنتها بموهبة الفنانين الآخرين، فقد غادر باريس بثقة تتزايد في قدراته وبشعور أنه قد صار "على أرض أكثر صلابة"' (٦٠٢). كانت الطبيعة في آرل ومحيطها الريفي خلابةً، وقد سحرته بضوئها وألوانها. وفي الربيع، عندما يذوب الجليد، وتتزين الأشجار بأزهى الزهور، كان يصنع لوحة تلو الأخرى، في هجوم حقيقي على طريقة فان جوخ. ومن أجل حملة كهذه، كان يحتاج إلى كميات كبيرة من الألوان وأقمشة اللوحات، التي كان يطلب من تيو أن يرسلها إليه. وقام أيضًا باستكشاف المناظر في المنطقة كلها، بقنواتها وجسورها المتحركة والبيوت الفلاحية في الحقول، ومشاهد هضبة لا كرو.

وتخفيضًا للنفقات أخذ فنسنت يرسم بالحبر وقلم البسط. وكان يصنع أقلام البسط بنفسه من البوص الذي يقتلعه في أثناء تجواله بجوار القنوات. تلك الرسوم بالحبر تعكس أسلوبًا شديد الشخصانية، وقد كانت مقدمة تمهيدية لأعمال التصوير الكثيرة المتقنة التي أنجزها فان جوخ في جنوب فرنسا. كان معجبًا بالرسامين اليابانيين الذين كانوا يستطيعون إحكام شكل أو منظر طبيعي بضربات قليلة وبسيطة من القلم أو الريشة، وقد تمكن بنفسه من أسلوب مماثل وسلس في الرسم لم يكن مسبوقًا حتى ذاك الوقت.

وبعد عودته من رحلة إلى ساحل البحر استمرت ثلاثة أيام، انخرط في حملة جديدة عالج فيها موضوعًا كان قد تخلى عنه منذ مغادرته للبارابانت: وهو الحياة الريفية، وفي هذه الحالة كان حصاد القمح في الحقول المحيطة بآرل. وبأصفر متلألئ صور تلك الحقول وحزم القمح وأكوام التبن تحت سماء متوسطية كثيفة الزرقة. وعن عدد من هذه اللوحات، صنع بعد ذلك رسومًا أرسلها إلى تيو وبعض أصدقائه كإميل برنار وجان بيتر راسل.

واستأنف أيضًا لوحات البورتريه. وعلى الرغم من وحدته، حاول فان جوخ إقامة علاقات مع أهالي آرل. وقد حال سلوكه الغريب دون فتح دائرة متسعة من الأصدقاء، لكنه عقد صداقة مع ساعي البريد جوزيف رولان، الذي صنع له عدة بورتريهات في مناسبات مختلفة. وبعد عدة أشهر، أقنع زوجة رولان بأن تجلس له ليصورها، وحتى أبناؤهم لم يستثنِهم من عمله. كان ساعي البريد رولان اشتراكيًا بشكل معلن وهو أمر لم يكن معتادًا في تلك الأيام، وكان فان جوخ يستمع لآرائه في السياسة بسعادة. كان مستمتعًا بصحبة هؤلاء البسطاء العاديين والمغروسين في الحياة الواقعية، فقام أيضًا بصنع بورتريه للبستاني باتيونس إسكاليه الذي يعكس وجهه الكالح حياة الفلاحين الاعتيادية والشاقة. وقد أضفى فان جوخ على هذه البورتريهات كثافة غير معهودة في أعماله السابقة، باستعماله أطيافًا واسعةً من أقوى الألوان الممكنة.

وكان له نوع آخر من العلاقات، وهي الصداقات التي حظي بها مع بعض الفنانين المقيمين في جوار آرل كدودج ماكنايت الذي كان يعرفه من باريس، والفنان الدنماركي كريستيان موريه بيترسن، والبلجيكي يوجين بوش. وكان فنسنت يقدر بشدة الاستفادة التي يجنيها من مناقشاته الفنية مع زملائه، لكنه لم يكن معجبًا كثيرًا بماكنايت. كان يعجبه موريه بيترسن لكنه يجده غير ناضج فنيًا. لكنه كان مولعًا ببوش، المثقف الرهيف المنحدر من عائلة فنية، فقاده ذلك لصنع بورتريه له بألوان مغالى فيها وقد وضع به بعض "الرمزية الشخصية" للتعبير عن الأفكار التي في الرأس عبر إشعاع لون فاتح على خلفية قاتمة. التعبير عن الأمل ببعض النجوم. واتقاد الكائن الحي عبر أشعة الشمس الغاربة. هذا بالتأكيد ليس نوعًا من الواقعية الزائفة، لكن أليس هو شيئًا موجودًا فعليًا؟"«٦٧٣». وفنسنت وإن كان ينطلق دائمًا من الواقع، فهو لم يسع قط لأن يخلق صورة حرفية منه، "لأن انعكاس الواقع في المرآة، لو كان من الممكن تثبيته بالألوان وكل شيء - لن يكون تصويرًا بأي حال من الأحوال، ليس سوى فوتوغرافيا" «٦٢٠». إن المصور لا بد قبل أي شيء أن يعبر عن خبرته مع الواقع.

السوداوية والتردي الصحي

كثيرًا ما كان يتردد في خطابات فان جوخ موضوع الصحة المعتلة للشقيقين، وإن كان فنسنت قد بدا متفائلًا وحيويًا خلال أشهره الأولى في آرل، إلا أنه كتب في يوليو: "بعد الأزمة التي مررت بها عندما جئت إلى هنا، لم أعد أستطيع أن أصنع خططًا أو شيئًا؛ أنا أفضل بالتأكيد حاليًا، لكن الأمل والرغبة في الإنجاز قد تحطما، وأنا أعمل مضطرًا، كي لا أعاني كثيرًا ذهنيًا، لأرفه عن نفسي" «٦٤٥». ربما تشير "الأزمة" هنا إلى الآلام الجسدية التي داهمته عندما غادر باريس؛ خلال شهوره الأولى في إقليم البروفانس كان يكتب بشكل رئيسي عن مشاكل في المعدة، ثم تحسنت حالته تدريجيًا. وهو كتيو كان يؤمن بالطب البديل الذي كان في أوج انتشاره وقتها، واستشار الشقيق بشأنه الدكتور جوربي في باريس. كان تيو يعاني من مشاكل صحية مستمرة، كالسعال المزمن والإرهاق. وفي وقت لاحق اتضح أنه مصاب بالزهري الذي سيودي بحياته. أما شكاوى فنسنت الصحية فكانت ناتجة عن العمل المتواصل وقلة الراحة والنظام الغذائي غير الصحي والإفراط في الكحوليات. وقد أوصى الدكتور جروبي بنظام صارم: طعام صحي، الأكل والنوم بمواعيد، وتحجيم العلاقات مع النساء (ويعني العاهرات). وكما كان فان جوخ يكتب أحيانًا: لا بد أن نجدد دماءنا.

كان لتلك الآلام أيضًا جانبها النفسي. في أحيان كثيرة كان يداهم فان جوخ مزاج كئيب وسوداوي؛ وكان تيو بدوره معتادًا على تلك المصاعب. ويصف فنسنت حالتهما الإشكالية: "تتكلم الآن عن الفراغ الذي تشعر به أحيانًا، إنه الشيء نفسه الذي أعاني منه (...) كلما أصبحت مضعضعًا، وعليلًا، كجرة محطمة، ازددت إبداعًا في حركة الإحياء الفني العظيمة التي نتحدث عنها" «٦٥٠». وكأنه يقول إن أي سعي لتحقيق تقدم في الفن -بأقصى قدر ممكن- هو نوع من تدمير الذات. إنه مزيج غريب من التفاؤل والقدرية، لكنه كان ناذرًا نفسه بكل إخلاص لهذه التضحية من أجل الفن.



بول جوجان مع ابنه إميل وابنته آلين، ١٨٩١

في انتظار جوجان

لم يكن ڤان جوخ وحده من بين الفنانين من خاض هذه المعركة؛ فصديقه جوجان الذي كان يعمل في مقاطعة بريتاني كان بدوره في حالة سيئة صحيًا وذهنيًا تلك الأيام، فضلًا عن كونه غارقًا في الديون، مما كان يمنعه من السفر. كان الشقيقان يؤمنان بموهبة جوجان بشدة، ويبحثان عن إمكانيات لمساندته. فيحاول تيو أن يجد مشترين لأعماله، حتى إنه اقتنى أحدها هو نفسه. (ill. 13).

وكان فنسنت يعتقد أن وضع جوجان المحزن يشير إلى طريق نحو مستقبل أفضل. وكان قد استأجر في تلك الفترة منزلًا صغيرًا في ميدان لامارتين في آرل (ill. 14). وفي البداية كان يستخدم "البيت الأصفر" كمرسم فقط، لكنه بدأ يرى فيه وسيلة لتحقيق حلمه أن يعمل هو وجوجان معًا في تلك المدينة. من هذا المرسم في الجنوب سيكونان قادرين على الانطلاق نحو ما اعتبره المسار الحتمي لمستقبل فن التصوير: التعاون والتضامن. وكان تيو ينتوي دعم هذه التجربة ماديًا لقاء عدد معين من أعمال جوجان



البيت الأصفر (على اليمين) حيث عاش فان جوخ في آرل

(كانت أعمال فنسنت بالفعل تحت تصرفه). ومضى فنسنت في خطته بالتفصيل، وذلك قبل شهور من إقدام جوجان على الخطوة، ليس لأنه كان مؤمنًا بمشاريع فنسنت، ولكن لأن تلك كانت فرصته الوحيدة لكي يغادر بريتاني.

وتوضح رسائل فان جوخ في الأشهر التي سبقت وصول جوجان لآرل أن هذين الرجلين غير متوافقين تمامًا، وإن كان فنسنت يجهز نفسه متحمسًا، فأثث منزله كمقر لإقامتهما -وهو ما أثقل على ميزانية تيو- وزينه باللوحات، محولًا إياه لبيت فنان حقيقي يستطيع جوجان أن يشعر فيه أنه في مكانه الطبيعي. ويلحظ في الوقت نفسه التطور الذي حققه فنسنت كمصور في تلك الشهور نفسها من صيف وخريف ١٨٨٨، فقد أبدع سلسلةً قوية من الأعمال، يعد بعضها الآن من أيقونات الفن الحديث: كزهور عباد الشمس الشهيرة في المزهرية، والمقهى الليلي، وعدد من البورتريهات ومناظر الحدائق، ولوحة غرفة نومه الأشهر. كان في أعلى حالاته، وكان يعرف ذلك. وقد استنزفه ذلك صحيًا ونفسيًا، فاضطر قبل فترة قصيرة من وصول جوجان في أكتوبر ١٨٨٨، إلى أن يأخذ استراحةً إجبارية لمدة يومين.

جوجان في آرل، وصراع عبقريتين.


المستشفى في آرل

كان الفنانون الشباب الذين التفوا حول جوجان في بلدة بون آفون بإقليم بريتاني يرونه كفنان المستقبل. في سنوات الانطباعية المبكرة كان قد صار صديقًا لبعض رموزها الأساسيين كإدجار ديجا وكاميل بيسارو، وترك زوجته وأطفاله ليصنع لنفسه اسمًا في باريس. واجتهد جوجان الذي لم يكن متذبذبًا بالمرة في صنع صورة فحولية عن نفسه. وفي الحقيقة، كان يمكن اعتباره النقيض التام لفان جوخ، وإن اشتركا في الوقت نفسه في أمور كثيرة، كدخولهما المتأخر لعالم الفن، والطموح للإسهام بقوة في تحديثه، والإفلاس الدائم. وكان عدم التوازن في علاقتهما راجعًا لتوقير فان جوخ لجوجان، في مقابل التعالي المهذب من قبل الأخير. وفوق ذلك، فقد نجح جوجان خلال الشهرين اللذين أقاما فيهما معًا في بيع عدد من لوحاته، كتأكيد على فكرة تفوقه.

في البداية، كان فان جوخ سعيدًا بالفعل لمصاحبة "فنان عظيم حقيقي وصديق ممتاز" «٧١٩». كانا يمارسان التصوير في الخارج معًا على أطراف آرل عند مقابر الأليكامب الرومانية الأثرية وكذلك في مباغي المدينة، حيث كان جوجان، وفقًا لفان جوخ، يحقق انتصارات كبيرة، وفي "المقهى الليلي" المذكور سلفًا. وخلال نوبات الطقس السيئ كانا يعملان معًا في المرسم الصغير بالبيت الأصفر، حيث كان فان جوخ الذي استندت أعماله دائمًا على الواقع يطيع تعاليم جوجان للتصوير من الذاكرة والخيال. كان ذلك طريقًا جانبيًا قاد لعدد من الأعمال الاستثنائية بين لوحات فان جوخ كـ "بقايا الحديقة في أيتن، وامرأة تقرأ رواية، والزارع".

كانا أيضًا بالطبع يتناقشان في الفن والأدب، وأصبح الفرق الجوهري بين مفهوميهما عن الفن واضحًا بشكل كبير: "إن المناقشات مشحونة بشكل كبير. نحن أحيانًا نخرج منها بعقول مرهقة، كبطارية الكهرباء عندما تنفد طاقتها" «٧٢٦».

وكانت الطامة الكبرى في مساء ٢٣ ديسمبر، بعد وصول جوجان بشهرين بالضبط. فقد فان جوخ عقله، وقطع جزءا من أذنه في البيت الأصفر، وذهب ليعطيها لإحدى العاهرات في حي البغاء القريب. وتم إيداعه المستشفى في الصباح التالي (ill. 15). وعلم تيو بالحادثة عن طريق برقية أرسلها إليه جوجان، فغادر في الليلة نفسها إلى آرل ليكون مع شقيقه. وبعدها بيوم، في ليلة عيد الميلاد، عاد تيو إلى باريس مُصطحبًا جوجان. وتحطم حلم المرسم المشترك الذي كان قد تحقق لوقت قصير.

المعاناة الصامتة والبحث عن توازن جديد، آرل ١٨٨٩ – ١٨٩٠.

إن الأزمة التي وقعت في نهايات ١٨٨٨ كانت مقدمة لفترة طويلة من الاضطراب الذهني لفان جوخ. كان انهياره علامة على أول سلسلة من هجمات مرضه العقلي. أخذ يقضي أيامًا في اضطراب شامل، يعاني من مخاوف لا تحتمل وهلاوس، دون أن يعي ما يفعله. كان تحت الملاحظة الدقيقة طوال فترة بقائه في المستشفى، لا سيما وأن جيرانه ناحية البيت الأصفر أصبحوا لا يريدونه بجوارهم، حتى إنهم قدموا التماسًا لعمدة المدينة بهذا الشأن. وشعر فان جوخ بخيانة جيرانه، ولكن من إرهاقه، وجد نفسه مضطرًا للاستسلام للموقف: "لو لم أكبح جماح سخطي، فسوف يعتبرونني فورًا مجنونًا خطيرا" «٧٥٠». حتى جوجان كان قد خانه، ليس فقط بمغادرته آرل بشكل متعجل، ولكن أيضًا لأنه رفض زيارته في المستشفى في اليوم التالي للحادث على الرغم من طلب فنسنت ذلك بإلحاح.

كانت استراتيجية فان جوخ للبقاء على قيد الحياة في وحدته تلك هي أن يتقبّل مصيره الحزين، ويضعه في نصابه. يقتبس من بانجلوس، الفيلسوف الزائف في رواية

"كانديد" لفولتير، قوله إن كل شيء يسير نحو الأفضل في ذلك العالم الذي هو أفضل العوالم الممكنة. وفي بعض الأحيان كان يسخر بمرارة من وضعه: مقلصًا جنونه حتى لا يداهمه ثانيةً، ويتغاضى عن أشياء كان ليلوم عليها الآخرين، ويتشبث بأفكار أكثر إيجابية.

وكان فنسنت يبجل مهنة الطب بشدة ويشعر بالامتنان والذنب تجاه تيو شقيقه، الذي كان قد استثمر الكثير من المال فيه والآن يخشى أن ما سيتحقق لن يعوض ما أنفقه: "فوق كل شيء يبدو محزنًا للغاية أن كل ما أعطيتني إياه بروح أخوية، عبر سنوات طويلة كنت فيها وحدك من يساندني، ثم أكون مضطرًا لأن أعود لأقص عليك كل هذه القصة الحزينة" «٧٦٠». ومهما حاول تيو جاهدًا أن يخفف من شعور أخيه بالذنب في رسائله، إلا أن تلك المشاعر كانت تثقل عليه كأحمال من رصاص. وفوق هذا كان مقتنعًا بأن الأمور ستزداد سوءا اعتبارًا من أبريل ١٨٨٩، حين كان من المقرر أن يتزوج تيو بجو بونجر، إذ سيكون لديه مال أقل وقتها، وأيضًا لو ترك وظيفته لدى بوسو وفالدون وسي، وهي احتمالية كان يطرحها تيو.

تضاؤل الثقة في النفس

كان فان جوخ يفرض على نفسه باستمرار قيودا كثيرة حتى يبذل قصارى جهده في الفن، ولكن وإذ خذلته قواه الصحية والنفسية، لم يعد لديه أي إيمان بالمستقبل وتقوَّض طموحه تمامًا. وقد كان يؤمن حتى لحظتها بأن عمله يمثل حلقة صغيرة في مسلسل التطور نحو فن جديد، وذلك كان كافيًا لإشعاره بالرضا الذي يحتاجه بشدة. لكنه آنئذ كان يخشى من عدم قدرته على إنتاج أي شيء ذي قيمة، وأنه قد يظل في أحسن الأحوال فنانًا من الدرجة الثانية. لقد تراجع لدرجة الشعور بالانهزام.

وكان تدهوره الصحي سببًا فعليًا في تراجع إنتاجه الفني في هذه الشهور. أعاد إنتاج بعض اللوحات التي يعتبرها مهمة كـ "التهويدة، وساعي البريد رولان، وعباد الشمس". وكمرجعية عن حالته السيئة أنجز بورتريهين ذاتيين لوجهه بالأربطة

والضمادات على أذنه، وبورتريهًا لدكتور فليكس راي، ولوحتين عن مستشفى آرل: واحدة عن العنبر وأخرى عن حديقة الفناء الداخلي. ومعظم هذه الأعمال لا تعوزها القوة ولا تحمل أي علامات على الوهن - لكن إنجازها كلفه مجهودًا عظيمًا، فلا عجب من كون إنتاجه قد نقص في تلك الفترة.

واحتفظ جيرانه بالمسافة بينهم وبينه، مما ضاعف من عزلته، لكنه لقي مع ذلك بعض الدعم. كان رولان يساعده في الأمور العملية، ويكتب لتيو من آن لآخر عن أحوال فنسنت. وكانت له محادثات جيدة مع الدكتور. وقد زاره بول سينياك وأرسل إليه خطابين، والكاهن فريدريك سال تطوع كوسيط بينه وبين السلطات. وهو من رتب دخوله مصحة سان بول دو موزول النفسية بالقرب من سان ريمي (ill. 16). وتيقن فان جوخ أنه لم يعد بإمكانه الحياة بمفرده. في بدايات مايو، أرسل إلى تيو أكثر من ثلاثين لوحة زيتية ورسمًا واحدًا، وفي ٨ مايو جعل الكاهن الخدوم سال يأخذه إلى المصحة.



مصحة سان بول دو موزول في سان ريمي

عزلة علاجية: سان ريمي، مايو ١٨٨٩ - مايو ١٨٩٠

تقع قرية سان ريمي في البروفانس على مبعدة خمسة وعشرين كيلومترا شمال شرقي آرل. وتقبع المصحة التي سيقضي فان جوخ بها عامًا من حياته بجنوبي هذه القرية وتطل على مشهد سلسلة الجبال الصغيرة المعروفة بالألبيل. ومبناها كان في الأصل ديرًا من القرن الثاني عشر، طاقم التمريض بها لا يزال يضم بعض الرهبان. وقد مُنح فنسنت غرفة صغيرة بنافذة ذات قضبان ملحقة بها غرفة إضافية لكي يعمل بها. (.ill 17) وكان العلاج يحتوي على حمام لمدة ساعتين مرتين أسبوعيًا، وتنظيم للأكل والتدخين والشراب. وكان له اتصال محدود بزملائه المرضى، ومعظمهم كان في حالة أسوأ منه بما لا يقاس.

وأوضح فان جوخ في أول رسالة كتبها من المصحة أنه يشعر بالأمان هناك، وأن لذلك تأثيرًا مهدئًا على نفسه. وهو الآن يجد نفسه في مناخ لم يعد فيه خطرًا على نفسه أو على أي شخص آخر. وساعدت الحالات الصعبة التي من حوله على وضعه لحالته الخاصة في نصابها، وبدأ في: "اعتبار الجنون مرضًا كأي مرض آخر" «٧٧٢». وكانت علة مرضه الحقيقية موضوعًا لتخمينات كثيرة؛ وربما لا نستطيع التكهن أبدًا كيف كان سيكون تشخيصه في الأيام الحالية، لافتقادنا التفاصيل اللازمة لذلك. وقد وصف الدكتور تيوفيل بيرون الطبيب المقيم بالمصحة أزمات فان جوخ بأنها "ذات طبيعة صرعية" (بمصطلحات ذلك العصر). وعلى أي حال، كان مرض فنسنت يعني أنه بعد أسابيع أو شهور من الاستقرار، قد تداهمه نوبة جديدة تستمر أيامًا أو حتى أسابيع. وخلال العام الذي قضاه هناك، عانى فان جوخ أربعًا من هذه النوبات، تركته في حالة من الاضطراب العقلي التام. لم يكن يعي



المنظر من غرفة فان جوخ في مصحة سان ريمي

أفعاله وصارت له ميول للتدمير الذاتي (كأن يأكل الأوساخ والألوان)، ولكن الأسوأ، كما قال هو لاحقًا، كان الهذيان الديني. وبعد هذه النوبات تصبح روحه في الحضيض، ويفتقد أي إرادة للحياة، وقد استغرق وقتًا طويلًا حتى استعاد توازنه.

ووفقًا لفان جوخ نفسه، فالعمل كان أفضل علاج. وكما في السابق، تحامل حتى يحمّس نفسه، بشيء من السخرية من الذات، ليستطيع العمل من جديد. وفي الوقت نفسه، كان يتجنب التفكير بعمق في المسائل الدينية والميتافيزيقية، لأنها تجذبه نحو مناطق يمكن أن تضطرب فيها أفكاره من جديد. لكن الخوف الذي انتابه في آرل ذات مرة، تمكن منه الآن بشكل حاسم: وهي القناعة أنه لن يشفى أبدًا "فالجرة المكسورة تبقى جرةً مكسورة". «٨٣٩». وهكذا لم يبلغ بعدها قط الذرى التي بلغها في أيامه السعيدة في آرل.

الأسلوب والحقيقة

على الرغم من تأرجح حالته العقلية، أنجز فان جوخ عددًا من الأعمال المذهلة خلال شهره الأول في سان ريمي. كان لحظتها مشغولًا بمفهوم "الأسلوب"، وقد تخلّى عن ألوانه المتطرفة: "عندما يكون الموضوع المصور وطريقة تصويره على وفاق، يكون للموضوع أسلوب وجودة" «٧٧٩». ثمة لوحة تعود إلى هذه المرحلة تحمل عنوان "ليلة مليئة بالنجوم" تعد واحدة من أقوى تجاربه على هذا الصعيد. انتقد تيو هذه اللوحة بحذر، وأقر فان جوخ بعدها بأنه كان مغاليًا في نشدانه للأسلوبية. وأدرك أن مقاربة منهجية مفرطة للخط وضربة الفرشاة، تتعارض مع المطلب الذي طالما وضعه على رأس الفن، وهو تعاطف الفنان مع موضوعه، ليشعر به بقوة بغرض إضفاء طابع شخصي عميق على العمل الفني.

في خريف ١٨٨٩ دارت مناقشات مكتوبة بينه وبين جوجان وإميل برنار. وكان موضوعها الأساسي هو الفن الديني. كان صديقا فان جوخ قد توصلا لمفهوم اصطناعي عن الصورة، تمتزج في العناصر بطرق ونسب ليست دائمًا "واقعية". وقد

أبدعا، على سبيل المثال، مشاهد حديثة من الكتاب المقدس، تستند في جزء منها على فن التصوير في قرون سابقة. لم يكن لدى فان جوخ شيءٌ طيبٌ ليقوله عنها. وجدها غير شخصية وغير سليمة. "لأنني أعشق الحقيقية، الممكن" «٨٢٢»: كان الواقع هو نقطة انطلاقه، وفن اليوم لا ينبغي أن يجيب عن أسئلة قديمة، ولكن أن يبتكر أخرى جديدة. وعرّضت المناقشات الحامية من هذا الطراز فان جوخ لخطر فقدان ذاته.

الحاجة إلى عائلة

في تلك الأثناء تبدلت أمور كثيرة في حياة تيو أيضًا. فبعد زواجه في أبريل ١٨٨٩ بفترة قصيرة صارت جو حُبلى (ill. 18). وكان وقع ذلك الخبر على فنسنت مُفرحًا ومُقلقًا في الآن نفسه، لأن تيو سيتحمل هكذا أعباءً أكبر، وربما يرى في فنسنت حملًا يثقل كاهله. وتحديدًا في ذلك الوقت حاول فنسنت أن يقوي علاقته مع العائلة في هولندا من جديد. فمنذ مغادرته باريس كان يراسل شقيقته ويليماين (ill. 19)، لكنه الآن صار يكتب لوالدته أيضًا في بعض الأحيان. وهذا يظهر رغبته في التواصل مع أناس يشبهونه ويثق فيهم. وهي حاجة نشأت أيضًا من استدعاءاته المتكررة لشبابه في ريف برابنت وبعض الملاحظات النوستالجية عن أيامه الأولى. كان قد صنع بعض الأعمال من الذاكرة في سان ريمي وأسماها "تذكارات الشمال" و"تذكارات برابنت"، وفكر في صنع نسخ جديدة من لوحاته في نيونن "برج الكنيسة القديمة" و"الكوخ" و"آكلو البطاطس". كان بحاجة لاستعادة يقينه القديم، فأعاد أيضًا قراءة وليم شيكسبير وتشارلز ديكنز.

وفي يناير ١٨٩٠، وبينما هو يعمل على لوحة "زهر اللوز" التي كان يصنعها كهدية ميلاد لابن شقيقه المرتقب، داهمته نوبة جديدة من المرض (الثالثة في سان ريمي). وبعد أن بدأ يتعافى، جاءه نبأ ميلاد فنسنت وليم فان جوخ، الذي ولد في ٣١ يناير ١٨٩٠. لم يكن مرتاحًا إلى أن المولود قد تسمى على اسمه، واقترح بعد فوات الأوان، أن يسمى المولود بتيو على اسم أبيه وجده.


جو فان جوخ بونجر زوجة تيو وابنها فنسنت فيليم، ١٨٩٠


ويليماين فان جوخ، ١٨٨٧

الاعتراف

وشهد الشهر نفسه، يناير ١٨٩٠ حدثًا آخر مختلفًا تمامًا. فقد نشرت مجلة "ميركور دو فرانس" أهم مطبوعة ثقافية وفنية في فرنسا، مقالًا للناقد الفني ألبير أورييه ضمن سلسلة بعنوان "المعزولون"، امتدح فيها فان جوخ. وبكلمات بليغة عبّر عن إعجابه بخطوطه المدوّخة وألوانه المتفجرة والأشكال المجنونة والرمزية غير المطروقة في أعماله، التي شاهدها في معرض ببروكسل أقامته جماعة "العشرين" للفنانين الطليعيين.

وبدا أن الاعتراف الفني قد وصل أخيرًا، وإن كان فان جوخ قد شعر به كالمثال الذي سبق ذكره للسيجار الذي يوضع في الفم من الناحية المشتعلة، ولم يرتح للاهتمام المتزايد الذي صار يحظى به. وكتب للناقد أورييه مبديًا إعجابه بالمقال وبالوصف الدقيق لما كان هو "ينتوي" أن يحققه، لكنه أضاف أنه كان من الأفضل لو أن الناقد "قد أنصف جوجان" قبل أن يمدحه هو «٨٥٣». ويظهر خطاب فان جوخ أيضًا سعادته لفهم أورييه لأعماله بشكل جيد.

في الشهور التالية لذلك، كان جزء كبير من أعماله عبارة عن ترجمة لونية لمطبوعات بالأبيض والأسود كان تيو يرسلها إليه عن أعمال لميه وديلاكروا ورامبرانت. كان قد بدأ العمل على هذا في الخريف السابق، حين كان من الصعب عليه مغادرة المصحة، ولم يكن هناك أي موديلات ليصورها. وهو أيضًا رغب في عمل هذه المستنسخات بسبب أنها، كما كتب: "دراسة أحتاجها، لأنني أريد أن أتعلّم" «٨٠٥».

وبدأ فان جوخ يأمل في مغادرة المصحة وقضاء بعض الوقت في شمال فرنسا. وكان هناك خياران: العثور على مصحة أخرى يُسمح له فيها بالعمل، أو أن يذهب ليعيش بالقرب من شخص يعتني به. وقد وجد تيو طبيبًا مستعدًا لذلك، وهو بول جاشيه الذي يقطن في أوفير سور واز، وهي قرية على مبعدة نحو ثلاثين كيلومترًا شمالي باريس. وعلى الرغم من أن فنسنت قد عانى من نوبة في أبريل، فقد تعافى منها بسرعة ملحوظة، وكان يرغب في مغادرة سان ريمي بأقصى سرعة ممكنة. وكان دكتور بيرون وتيو يعتقدان أن ذلك قد يعرضه للمخاطر، لكنه كان يموت من الضجر والحزن هناك: "بالنسبة لي فإن صبري قد نفد، نفد تمامًا يا أخي العزيز، لا أستطيع الاستمرار، لا بد أن أتحرك، حتى لو مؤقتًا" «٨٦٨».

وغادر بالفعل. واعتبر فان جوخ أن إقامته في الجنوب فشلت فشلًا ذريعًا، لكنه غادر بقناعة من استطاع أن ينجز مجموعة من الأعمال تعكس في مجملها طابع إقليم البروفانس بشكل حقيقي: الألوان والطبيعة، والمناظر والبشر. واستقل القطار راضيًا، نحو باريس يوم ١٦ مايو ١٨٩٠.

سلام خادع: أوفير سور واز، مايو - يوليو ١٨٩٠

بقي فنسنت في باريس وقتًا قصيرًا مع تيو وعائلته الصغيرة، والتقى هناك بالعديد من معارفه، ولكن سرعان ما ضغط الأمر على أعصابه. وفي يوم ٢٠ مايو وصل إلى أوفير بالقطار، وهي قرية صغيرة على نهر واز حيث تمتد الجبال والغابات والحقول إلى الشمال. وعلى هذا الصعيد، وجد فان جوخ كل شيء ملائم لهواه، فاستأجر



نُزل رافو، في بلدة أوفير سور واز حيث قضى فنسنت أيامه الأخيرة

غرفة ومساحة لتخزين أغراضه في نزل رخيص هناك كان يديره السيد رافو وزوجته (ill. 20). ووضع نفسه تحت إشراف الدكتور جاشيه المتخصص حسب دراسته في أعراض الملانخوليا. ووفقًا لفنسنت فإن الدكتور هو الآخر كان لا يقل عصبيةً ومرضًا عنه أو عن تيو. وسريعًا ما اعتبر فنسنت جاشيه صديقًا. ومن ناحيته، فإن جاشيه الذي كان يعرف العديد من الانطباعيين والفنانين الآخرين، صار معجبًا بأعمال فان جوخ. وفيما يخص إشرافه الطبي، فقد كان مقتصرًا على طمأنة فنسنت أنه سيبذل ما في وسعه كي لا يزعجه المرض، وأوصاه بأن يعمل كثيرًا ويأكل جيدًا. وكان فان جوخ يزور الطبيب بانتظام، ويأكل لديه وجبات وافرة، وهو ما كان يمقته. وكان يمارس التصوير داخل النزل أو حوله.

التطلّع بحذر للمستقبل

بالتأكيد كان من الأفضل لفنسنت أن يكون بالقرب من تيو وعائلته. في تلك الفترة الحافلة بالإبداع، كان فان جوخ ينتج لوحةً كل يوم تقريبًا: بورتريهات وطبيعة صامتة ومناظر طبيعية بأسلوب صارم يمكن أن نصفه بالبدائية. وقد أخذ أصدقاؤه ومعارفه من الفنانين يبدون تقديرًا متزايدًا لأعماله، ومن ضمنهم جوجان وماير دي

هان وجوزيف إيزاكسون وكذلك آنا بوش (شقيقة يوجين) التي كانت قد اشترت لوحته "الكرم الأحمر" في معرض مجموعة "العشرين" في بروكسل، وفي الوقت نفسه تم نشر مراجعات جيدة عن أعماله في عدد من المجلات.

وعلى الرغم من أن فنسنت لم يأمل في أن تكون نوبات جنونه قد ولّت إلى الأبد، إلا أنه قد أخذ يتطلع إلى المستقبل بحذر. كان يريد أن يصنع أعمال حفر (على مطبعة جاشيه) عن لوحات له من تلك التي أنجزها في البروفانس، وربما أيضًا يزور جوجان.

لكنه ظلّ مهمومًا بسبب الظروف المعيشية والصحّية لتيو وأسرته الصغيرة. كان ينصحهم بإلحاح بأن يسافروا إلى الريف باستمرار، ويحثهم حتى على الانتقال للعيش فيه. لكن تيو كتاجر فن كان يرغب في أن يكون له موقع للعمل، كي يكون قادرًا على تقديم المزيد للفن الحديث، ولكن مرؤوسيه في بوسو وفالدون وسي لم يكونوا ميالين لإعطائه هذه الحرية. وكان السؤال هو: هل ينبغي أن يستقل تيو بعمله عنهم، وهو ما قد يعني مستقبلًا غير مضمون من الناحية المالية. وكانت الناحية المالية هي تحديدًا ما يقلق فنسنت، واستولى عليه من جديد الشعور بالذنب من كونه عبئًا على موارد شقيقه.

وفي يوم الأحد السادس من يوليو، جرى نقاش في شقة تيو وجو حضره فنسنت مع أندرياس بونجر شقيق جو وصديق تيو، الذي أعلن عدم نيته في الدخول في شراكة عمل، محطمًا آمال الأخير في الاستقلال كتاجر فن. ولا بد أن تلك المناقشة كانت حامية الوطيس.

الوحدة والكآبة

وعاد فان جوخ قلقًا ومحبطًا إلى أوفير، وجلس للعمل مباشرة، في محاولة للتنفيس عن شعوره:

"بمجرد عودتي، جلست للعمل ثانيةً. كانت الفرشاة تسقط من يدي تقريبًا، ولأنني كنت أعرف ما أريده بوضوح، فقد صنعت ثلاث لوحات كبيرة منذ ساعتها. وهي امتدادات فسيحة لحقول قمح تحت سماء عاصفة، وقد حاولت أن أعبّر عن الحزن والوحدة والعزلة العميقة (...) أتمنى أن آخذها لك في باريس في أقرب وقت ممكن، لأنني أعتقد تقريبًا أن تلك اللوحات ستقول لك ما لا أستطيع قوله بالكلمات، ما أعتبره صحيًا ومُشجعًا في الريف" «٨٩٨».

الطبيعة كمأوى، والفن كعزاء. وتكشف الرسائل المتبادلة بين الشقيقين في تلك الأسابيع من يوليو أن تيو وجو كانا أقل قلقًا من فنسنت بخصوص مستقبلهما، وأنهما كانا يطمئنانه ما في وسعهما ذلك. "كنت أخشى بعض الشيء أن أكون خطرًا عليك، بمعيشتي على نفقتك" «٨٩٨».

وفي يوم الأحد ٢٧ يوليو ١٨٩٠، ذهب فان جوخ ليرسم في الحقول خارج أوفير. وكان قد قرر بشكل ما أن يُنهي حياته. ويبقى السبب المباشر وراء ذلك، والظروف المحيطة به مجهولين، ولكن الواضح أنه لم يعد يؤمن بالمستقبل، على الرغم من شغفه بالعمل. فأطلق الرصاص على صدره من مسدس (لم يُعرف قط كيف حصل عليه) وفقد الوعي.



قبرا فنسنت وتيو فان جوخ في أوفير سور واز

وعندما أفاق قليلًا، تمكن بشكل ما من العودة إلى النُزل الذي كان يعيش فيه، واستدعيت النجدة، لكنهم لم يتمكنوا من إنقاذه وفارق الحياة صبيحة التاسع والعشرين من يوليو.

حضر تيو منهارًا احتضار شقيقه. وقد رتَّب له الجنازة في اليوم التالي بحيث يوضع جثمانه في نعش محاط بلوحاته وزهور عباد الشمس. وقد حضرها نحو دزينة من أصدقائه ومعارفه الباريسيين في المقابر الواقعة بالحقول خارج أوفير.

وبعد وفاة فنسنت، صارت مهمة تيو هي أن يرعى تفهم وتقدير أعمال أخيه. لكن ترديه الصحي هو الآخر تمكّن منه. وفي أكتوبر ١٨٩٠ أصيب باضطراب ذهني من مضاعفات لإصابة قديمة بالزهري لم يعالجها. وتم إيداعه في المستشفى، ثم نقل لاحقًا إلى مصحة في أوتريخت، حيث توفي في يناير ١٨٩١، بعد ستة أشهر فقط من وفاة فنسنت. كرَّست جو فان جوخ بونجر، نفسها بعد ذلك للترويج لأعمال شقيق زوجها، وفي ١٩١٤ نشرت رسائل فنسنت إلى تيو. وفي العام نفسه نقلت رفات زوجها إلى قبر مجاور لقبر شقيقه في أوفير (ill. 21).

الرسـائـل

١ | لاهاي، ٢٩ سبتمبر ١٨٧٢

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو

أشكرك على رسالتك، لقد أسعدني وصولك بسلام. افتقدتك في الأيام القلائل الأولى، كان من الغريب أن أعود إلى البيت في الظهيرة فلا أجدك. قضينا حقًا بعض الأيام الممتعة معًا، وذهبنا في بعض نزهات المشي أو لنرى بعض الأشياء عندما سنحت لنا الفرصة.

يا للطقس الرهيب، لا بد أنك تشعر بالقلق في مسيرتك إلى أويسترفايك Oisterwijk. بالأمس كان هناك عجلة وتسارع بمناسبة المعرض، لكن الأضواء والألعاب النارية تم تأجيلها بسبب رداءة الطقس، فكان من الأفضل أنك لم تبق لمشاهدتها. تحيات من آل هانبيك Haanebeeks وآل روز Rooses. دائمًا.

محبك،

فنسنت

٣ | لاهاي، منتصف يناير ١٨٧٣

إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

جاءني من الوطن أنك وصلت سالمًا إلى بروكسل، وأن انطباعك الأول كان جيدًا.

أتفهَم تمامًا كيف ستكون الأمور غريبةً في البداية، ولكنك ستنجح بكل تأكيد لطيبة قلبك. لا بد أن تكتب لي في القريب كيف تسير الأمور، وعن مدى ملاءمة النُزُل لإقامتك.

أتمنى أن يكون ذلك الأخير على ما يرام. كتب لي أبي أنك صديق مقرب من شميدت Schmidt. مرحى، فأعتقد أنه رفيق رائع، وشخص سيعمل على التأكد من إطلاعك على كلّ الأمور.

كم كانت ممتعة تلك الأيام في عيد الميلاد، أنا أتذكرها كثيرًا؛ أنت أيضا ستذكرها لفترة طويلة، بما أنها كانت أيضًا أيامك الأخيرة في الوطن. لا بد أن تكتب لي تحديدًا عن نوع التصوير الذي تراه وما تجده جميلًا.

أنا مشغول الآن في بداية العام. بدأ عامي الجديد بدايةً جيدة، فقد منحوني ارتفاعا في الراتب بمقدار عشرة جيلدرات، فأصبحت أكسب الآن خمسين جيلدرًا في الشهر، وفوق هذا آخذ خمسين أخرى كمكافأة. أليس ذلك رائعًا؟ أتمنى أن أصير الآن مُعتمِدًا على نفسي بشكل كامل.

أنا سعيد للغاية لأنك جزء من هذه المؤسسة، إنها للحق مؤسسة راقية، وكلما زاد انتماء المرء لها زادت حماسته.

ربما تكون البداية أكثر صعوبة مما هي عليه في أي عمل آخر، ولكن سر بخطى واثقة وكل شيء سيكون على ما يرام.

سل شميدت عن تكلفة ألبوم كورو لمطبوعات الليتوغراف لإميل فيرنييه Emile Vernier. لقد سُئلنا عنه في المتجر، وأعرف أن هناك مخزونًا منه في بروكسل.

في خطابي القادم، سأرسل إليك صورةً فوتوغرافيةً لي، تم التقاطها الأحد الماضي.

هل ذهبت إلى قصر الدوقية بعد؟ اذهب عندما تسنح لك الفرصة.

كيف حال العم هاين Hein؟ أشعر بالأسف من أجله، وأتمنى بشدة أن يتحسّن. أبلغه تحياتي الحارة هو والعمة.

هل توقف العم سنت Cent في بروكسل؟

حسنًا يا رفيقي العزيز، كن بخير، كل معارفك هنا يقرئونك السلام ويتمنون أن تسير الأمور معك على خير وجه. ومن قِبَلي ثمن يومًا طيبا لشميدت وإدوارد وأرسل إلي أخبارك قريبًا.

وداعًا (بالفرنسية في الأصل).

أخوك المحب،

فنسنت

تعرف أن عنواني هو :

Lange Beestenmarkt 32 or Maison Goupil & Cie, Plaats.

٥ | لاهاي، الاثنين ١٧ مارس ١٨٧٣

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

حان الوقت لأكتب لك ثانيةً، أنا بدوري أتوق لأن أعرف كيف حالك وحال العم هاين، لذا فأرجو أن تكتب لي متى سمح وقتك.

لا بد أنك سمعت أنني ذاهبٌ إلى لندن، وربما في القريب العاجل. أتمنى أن نتمكّن من رؤية بعضنا البعض قبل ذلك.

سوف أذهب إلى هيلفويرت في عيد الفصح لو استطعت ذلك، لكن الأمر سيتوقف على القطع الجديدة التي سيأخذها إيترسون معه في رحلته. لن يكون باستطاعتي المغادرة قبل أن يعود.

الحياة في لندن ستكون مختلفةً جدًا بالنسبة لي، لأنني ربما سأضطر للعيش بمفردي في نُزُل، وسيكون عليّ التعامل مع أشياء عديدة لستُ مضطرًا لها الآن.

إنني أتطلع لرؤية لندن بشدة كما قد تتخيل، وقد بدأت أشعر بالحزن لاضطراري لمغادرة هذا المكان. أنا فقط ألاحظ كيف ارتبطت بلاهاي في الوقت الذي تقرر فيه أن أرحل عنها. مع ذلك فليس هناك ما نفعله، وفي نيتي ألّا أصعّب الأمور على نفسي. أعتقد أنه أمر رائع بالنسبة للغتي الإنجليزية، التي أفهمها جيدًا، ولكنني مع ذلك لا أتكلمها بالدرجة التي أتمناها.

سمعت من آنا أنهم التقطوا لك صورةً شخصية. لو استطعت توفير واحدة أخرى، فأوصيك بنفسي.

كيف حال العم هاين؟ بالتأكيد لم يتحسّن. وكيف حال العمّة؟ هل بإمكان العمّ أن يشغل نفسه طوال الوقت، أم إنه في ألم كبير؟ أبلغهما تحياتي الحارة، هما في بالي دائمًا.

كيف حال العمل معك؟ لا بد أنه على أشده، كما هو هنا. أنت ربما تعرف طريقك جيدًا الآن.

وكيف حال النزل الذي تقيم فيه؟ ألا يزال يروق لك؟ إن ذلك لأمر هام. والأهم أن تكتب لي عن نوع الأشياء التي تراها. ذات أحد منذ أسبوعين كنت في أمستردام لأرى معرضًا للتصوير ذاهبًا إلى فيينا من هناك. كان مثيرًا، وأنا كلّي فضول لمعرفة الانطباع الذي سيتركه الهولندي في فيينا.

كلي فضول لمعرفة التصوير الإنجليزي، فنحن لا نرى منه إلا القليل، لأن معظم الأعمال لا تخرج من إنجلترا. جوبيل لا يملك قاعة عرض في لندن؛ إنهم فقط يوردون للسوق.

العم سنت قادم إلى هنا في نهاية الشهر، وأتطلع لأعرف أخباره.

آل هانيبك والعمة فاي يسألون عنك باستمرار، ويرسلون إليك تحياتهم.

يا لروعة الطقس التي شهدناها، إني أنتفع منها قدر إمكاني. الأحد الماضي ذهبت إلى التجذيف مع فيليم. كم كنت أود لو بقيت هنا هذا الصيف، لكن لا بد لنا أن نتقبّل كل ما يكون. والآن وداعًا. أتمنى أن تكون بخير، واكتب لي، وتمنَّ من قِبَلي يوما طيبا للعمّ والعمة ولشميدت وإدوارد. وبالنسبة لعيد الفصح. فَلنَرجُ فقط. إلى الأبد،

أخوك المحب،

فنسنت

السيد والسيدة روز وفيليم أيضًا يقرئونك السلام

استلمت للتو خطابك، وهو ما أشكرك عليه. أنا سعيد للغاية بسبب صورتك، وهي جيدة.

لو عرفتُ شيئًا جديدًا عن رحلتي لهليلفويرت سأكتب لك على الفور. سيكون جميلًا أن نصل إلى هناك في اليوم نفسه. وداعًا.

تيو، لا بد أن أوصيك ثانيةً بالبدء في تدخين الغليون. إنه يحسن مزاجك عندما يكون معتلًا، كما أكون أنا في أغلب الأحيان هذه الأيام.

٩ | لندن، الجمعة ١٣ يونيو ١٨٧٣

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

ربما تتوق لسماع أخباري، وعليه فأنا لن أجعلك تنتظر خطابي أكثر من هذا.

لقد سمعت من الوطن أنك الآن تقيم مع السيد شميدت، وأن أبي ذهب لزيارتك. أتمنى بإخلاص أن يكون ذلك النُزل ملائمًا لك أكثر من النزل السابق، ولا شك أنه سيكون كذلك. اكتب لي قريبًا، فأنا أتوق لسماع أخبارك، وقل لي كيف تقضي أيامك حاليًا. واكتب لي تحديدًا عن التصوير الذي رأيته مؤخرًا، أيضًا إن كان هناك شيء قد نشر فيما يتعلق بفن الحفر أو الليتوغراف، لا بد أن تطلعني على ذلك أولا بأول، لأنني لا أرى الكثير هنا من ذلك الفن، بما أن فرع الشركة هنا هو مجرد مستودع للتخزين.

أما عن الأحوال، فأنا في خير حال.

وقد وقعت على نزل للإقامة يناسبني للغاية في الوقت الحالي. وهنا في النزل ثلاثة من الألمان يحبّون الموسيقى بشكل حقيقي، يعزفون على البيانو ويغنّون، وهو ما يجعل الأماسي مُبهجة عن حق. لست مشغولًا هنا كما كنت في لاهاي، فعليَّ فقط أن أتواجد في المكتب من التاسعة صباحًا حتى السادسة مساءً، ويوم السبت ينتهي دوامي في الرابعة تمامًا. أعيش في إحدى ضواحي لندن، وهو مكان هادئ نسبيًا، يشبه تيلبورج أو مكانًا من هذا القبيل.

لقد قضيت بعض الأيام الممتعة في باريس، كما تستطيع أن تتخيل، استمتعت كثيرًا بالأشياء التي رأيتها في المعرض وفي اللوفر واللوكسمبورج. إن فرع باريس لرائع، وهو أكبر بكثير مما تخيلت. وبالذات مقرّ الأوبرا.

الحياة هنا باهظة التكاليف للغاية. أدفع ١٨ شلنًا في الأسبوع للسكن، لا تتضمن أجر الغسيل، وفوق ذلك يكون عليّ أن أتناول طعامي في المدينة.

يوم الأحد الماضي خرجت مع السيد أوباخ رئيسي في العمل، وذهبنا إلى بوكس هيل، وهو تلّ مرتفع (على مبعدة نحو ست ساعات من لندن)، جزء منه من الحجر الطباشيري ومغطى بأشجار البقس، وفي جهة منه غابة لأشجار البلوط السامقة. إن الريف هنا لخلّاب، وهو مختلف كليةً عن الريف في هولندا وبلجيكا. في كل مكان يرى المرء متنزهات رائعة بأشجار سامقة وخمائل، حيث يتاح للمرء التريّض. في أثناء عطلة عيد العنصرة أيضًا قمت برحلة جميلة مع هؤلاء السادة الألمان، ولكنهم أنفقوا مبلغًا ضخمًا من المال، ولا يجوز أن أخرج هكذا معهم بعد ذلك.

سعدت لسماعي من أبينا أن العم هاين في حال لا بأس به. هلا أبلغته تحياتي هو والعمة وأطلعتهما على أخباري؟ وتمنّ يوما طيبا للسيد شميدت وإدوارد من قِبلي، واكتب لي قريبًا. وداعًا وكن بخير.

عنواني هو:

Care of Messrs Goupil & Co.
17 Southampton Street Strand
London

١١ | لندن الأحد ٢٠ يوليو ١٨٧٣
إلى تيوفان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك، وقد منحتني قدرًا عظيمًا من السعادة. أنا سعيد أنك بحال طيب وأن الإقامة لدى السيد شميدت تروق لك ما زالت. لقد سرّ السيد أوباخ

لمعرفتك. وأتمنى أن نقوم بكثير من الأعمال معك في المستقبل. إن لوحة ليندر تلك جميلة جدًا.

بالنسبة للحفر الضوئي فأنا أعرف تقريبًا كيفية ممارسته، على الرغم من أنني لم أر ذلك، وهو ليس واضحًا بالقدر الكافي بالنسبة لي كي أشرحه.

الفن الإنجليزي لم يرق لي كثيرًا، بدايةً، على المرء أن يعتاد عليه. مع ذلك هناك بعض المصورين الجيدين هنا، ومن بينهم ميليه Millais الذي صنع لوحتي الهوغنو وأوفيليا والمحفورات التي ربما كنت تعرفها، إنها جميلة جدًا. ثم هناك بوتون Boughton الذي تعرف له لوحة "الطهرانيون يذهبون إلى الكنيسة" في قاعة عرضنا الفوتوغرافية. وقد رأيت له أعمالًا جميلة جدًا. وإضافة إلى ذلك، فبين المصورين القدامى، فإن كونستابل Constable وهو رسام مناظر طبيعية عاش منذ نحو ثلاثين عاما، أعماله رائعة، هو شيء كدياز ودوبيني. وهناك رينولدز وجينسبورو اللذان رسما في الأغلب بورتريهات جميلة جدًا جدًا لنساء، ثم هناك تيرنر الذي ربما تكون رأيت له بعض أعمال الحفر.

ثمة عدد من المصورين الفرنسيين الجيدين يعيش هنا، من بينهم تيسو Tissot الذي له عدد من الصور في قاعة عرضنا الفوتوغرافية، وأوتو ويبر Otto Weber وهيلبوت Heilbuth. وذلك الأخير ينجز مؤخرًا لوحات مبهرة في جمالها بأسلوب كالذي في لوحة ليندر.

تيقن أنه عندما تواتيك الفرصة كي تكتب لي لتخبرني إن كانت هناك صور فوتوغرافية لأعمال فاوترز Wauters بجانب أعمال هوجو فان در جوز Hugo van der Goes وماري دي بورجوندي Mary of Burgundy، وإن كنت تعرف أيضًا صورًا فوتوغرافية للوحات لاجي Lagye ودي برايكلير De Braekeleer. ليس دي برايكلير الكبير هو من أقصده، لكن أعتقد أنه واحد من أبنائه كانت له ثلاث لوحات رائعة في المعرض الأخير في بروكسل بعناوين "أنتويرب" و"المدرسة" و"الأطلس".

الأمور تسير معي على ما يرام هنا. أذهب كثيرًا للتريض. هنا، حيث أقيم، المكان هادئ، وهو حيٌ بهيج وأنيق، وقد كنت محظوظا حقًا في ذلك. وأفكر بعض الأحيان مستعيدًا بحنين أيام الأحد الرائعة هاتيك في شيفيننجن Scheveningen وهكذا، لكن لا تكترث لهذا.

بالتأكيد قد سمعت أن آنا Anna في الوطن وأنها ليست في خير حال، هي بداية سيئة لعطلتها، لكن دعنا نأمل أن تكون قد تحسّنت حالتها الآن.

أشكرك على ما كتبته لي بخصوص التصوير، وتأكد أن تكتب وتخبرني إذا رأيت أي شيء للاجي أو دي بريكلير أو فوترز أو ماريس أو تيسو أو جورج سال George Saalأو يوندت Jundt أو زيم Ziem أو موف Mauve وهم جميعًا مصورون يثيرون إعجابي كثيرًا، وربما رأيت أنت شيئًا من أعمالهم في وقت ما.

مرفق طيّه نسخة من تلك القصيدة عن المصوّر الذي أقام في نُزُل البجعة، تذكرها ولا شك. إنها كمنطقة برابنت تمامًا وأنا مغرم بها جدًا. لايز نسخها لي في آخر أمسياتي بالوطن. كم كنت أود أن تكون معي هنا، وللأيام الممتعة التي قضيناها في لاهاي. ما زلت أفكر في مسيرتنا في رايسفايسفج، حيث شربنا الحليب في الطاحونة بعد المطر. لو كانت تلك اللوحات التي لدينا من طرفك سنرسلها إليك ثانيةً، سأبعث لك بصورة لتلك الطاحونة من رسم فايسنبروش. ربما كنت تذكرها "اللحن السعيد" هو اسمها المستعار "أفول رائعة". إن رايسفايسج تلك تحمل لي ذكريات ربما تكون هي الأكثر إمتاعًا. سنتكلم عنها ثانيةً عندما نلتقي.

والآن أيها الفتي الكبير، كن بخير، وتذكرني من وقت لآخر واكتب لي قريبًا. إنه لأمر منعش أن يستلم المرء رسالةً.
فنسنت

تحياتي للسيد شميدت ولإدوارد. وكيف حال العم هاين والعمة؟ اكتب لي عنهما. هل تذهب لهما أحيانًا؟ وابعث لهما بتحياتي الحارة.

ساعة المساء

ببطء تدوّي دقات ناقوس صلاة المساء فوق الحقول،
إذ يغمرها بالفرح ذهب الشمس الغاربة.
يا للَحظة المؤثرة الجليلة! إذ تُوقف كلّ أمّ في القرية فجأةً
طنين الدواليب لتبارك نفسها بإشارة الصليب؛

وفي الحقل يكبح الفلّاح جماح خيوله المهتاجة،
ويكشف رأسه خلف المحراث ليهمس: سلامًا.
يا للحظة المؤثرة الجليلة! عندما يعلن الناقوس
في المدى الشاسع الممتد انتهاء أعمال اليوم
فتخشع الجباه المتعرِّقة
لمن سقى التربة بالعرق لتزدهر.

وبدوره الفنان المستغرق
في لوحته منذ الصباح المبكر
على منحدر التلة الظليلة النائية
يعطيه الناقوس إشارة الرحيل
فيمسح ببطء فرشاته ومسطرة ألوانه
ويخفيهما مع اللوحة في حقيبته
طاويًا مقعده الصغير
هابطًا كالحالم الممر المتعرج
عبر الوادي المزهر نحو القرية.

ولكم توقف مشدوهًا، قبل أن يبلغ سفح التل،
ليتأمل بإعجاب، وليحفر في ذهنه
المشهد المنعش الذي يتجلى أمام عينيه.

ترقد أمامه القرية بتلة شمالها وأخرى في الجنوب
بين ذؤابتيهما تلتهب الشمس وتغوص في الغرب
مطلقةً كل ثروات ألوانها ومجدها المنشود.
كان الناقوس في برجه الرمادي الذي يلفّه اللبلاب داكن الخضرة
صامتًا الآن. يتدلى بلا حراك في الأعالي، وتدلّت الأوراق الخضراء ساكنةً
وفوق الأكواخ تصّاعد في استقامة من المداخن
سحب من دخان خثّ الوقود
تبدو بدورها عالقةً بلا حراك في الهواء المتلألئ.

كما لو كانت عباءة من ندى المساء
تلف تلك القرية، وهذي الحقول، وتلك التلال،
وكلّ شيء كي ينام
تحت قُبلة الشمس المغادرة، بصمت وامتنان
تستدعي مرةً أخرى السلام والرخاء اللذين نعمت بهما ثانيةً.

وسريعًا ما تقطع الصمت أصوات المساء الحلوة.
ومن بعيد في فراغ التل تتردد أصداء نفير الراعي
ببطء تدعو قطيع البقر
وبعد هذه الإشارة يظهر في طريق الجبل
الرملي والمتعرج قطيع كامل وملون من الأبقار.
يفرقع ويفرقع السوط الذي يسوقها قدمًا.
فيما هي، واحدة بعد الأخرى، تمد أعناقها بخوار ودي
نحو الحظائر التي تلوح لها حيث تنتظرها الحالبة
كل مساء لتريح ضروعها المنتفخة.
وهكذا، على الممرات الخارجة من القرية، كبريق من دواليب العربة
تأتي إلى هنا على مهل، الحركة والحياة.

هنا، كان ثمة فلاح يسحب محراثًا أو مسحاة
على زلاجة، فيما يصفر لحنًا وهو راكب بجانبه على فرسه الكميت؛
وهناك فتاة متوردة، على رأسها باقة من النفل الرقيق
معقودة مع أزهار الربيع والخشخاش، تدعو الأخريات من بعيد،
بلطف ومرح في الوقت نفسه، وبصوتها الواضح "مساء الخير".
وأبعد... لكن على المسار نفسه إلى حيث يقود طريق الرسّام
تُسمع بغتةً جلجلة ضحكات فرحة.
تترجرج من جانب إلى آخر، عربة تكاد تتداعى
تحت حمولتها من الحنطة السوداء تقترب هادرةً.
فرسها وحمولتها مزينان بالشرائط والخضرة.
الأطفال جميعًا، بأكاليل الزهور على رؤوسهم الشقراء الصغيرة
كانوا جالسين على قمتها سعداء يلوحون بأغصان نبات جار الماء،
أو ينثرون الزهور وأوراق الشجر، التي تنهمر ساقطة إلى جانب،
حول العربة تتحلق كتيبة من فتيان وصبايا القرية.
يتقافزون ويغنون بما يكفي لكي يرتعد السهل الناعس بأسره.

يبتسم الرسام بهدوء من خلف الدغل، ويرقب
إذ يشق الركب الاحتفالي طريقه في المدق.
آي هكذا تمتم، لا بد أن الرب يعتبره صوتًا سعيدًا
التهليل الذي تصب به هذه القلوب شكرها بكل بساطة
إذ هم يجمعون الثمار الأخيرة، التي تنمو سنويًا ناضجة من كدهم.
الفرح هو الصلاة الأنقى للبساطة والبراءة.

وهكذا يتأمل المسرات الهادئة والعميقة التي تحتفل الروح بها
في الحقول؛ أو هو بوعيه الفنان يعيد في نشوة صامتة تركيب
المشهد المجيد الذي مرّ من لحظة

وجد أنه قد بلغ القرية دون أن يشعر.
كان الأرجواني والأصفر قد حالا إلى الرمادي في الغرب،
وفي الشرق هناك وبالقرب من الكنيسة بزغ القرص النحاسي
لبدر التمام في الضباب المحيط.
إذ دخل نزل البجعة حيث يقيم.

يان فان بيرس
(النزيل)

١٧ | لندن أول يناير ١٨٧٤

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

شكرًا على رسالتك.

أتمنى لك بإخلاص عامًا جديدًا سعيدًا. أعرف أن الأمور تسير معك بخير في المكتب، لأني سمعت الكثير عن ذلك من السيد ترستيج Tersteeg. وقد رأيت من رسالتك أن الفن في دمك، وذلك أمر حسن يا صديقي. أنا سعيد أنك أُعجبت بمييه Millet وجاك Jacque وشريير Schreyer ولامبينيه Lambinet وفرانز هالز وسي Frans Hals& c، لأنه كما يقول موف Mauve: "هذا كلّ شيء" نعم فتلك اللوحة لميه "ترنيمة المساء" هي هكذا. إنها ثرية، وشعرية. كم أود أن أتكلم معك في الفن ثانيةً، لكننا الآن نستطيع فقط أن يكتب أحدنا للآخر عنه أحيانًا "شُف الأشياء جميلةً" على قدر استطاعتك، معظم الناس "يرون القليل من الجمال".

أكتب لك هنا أدناه أسماء بعض الفنانين الذين أحبهم بحق:

شيفر وديلاروش وهيبير وهامون. لايز وتيسو ولاجي، وميه ولاثييس وماريس وديجرو ودوباريكلير الصغير. مييه وجول بريتون وفين بيران، ويوجين غين، وبريون، وجوندت، وجورج سال، وإسرائيل، وأنكير، وكنوس، وفوتييه، وجوردان، وجالابير، وانتينيا، وكومت كاليس، وروشوسان، وميسونييه، وزاماكوا، ومادرازو، وزييم، وبودان، وجيروم، وفريمونتان، ودو تورنيمين، وباسيني. دو كامب، وبونينجتون، ودياز، وتي روسو، وترويون، ودوبريه، وبول هويه، وكورو، وشريير، وجاك، واتو ويبر، ودوبيني، ووالبيرج، وبيرنييه، واميل بريتون، وشينو، وسيزار دي كوك، والآنسة كولار، وبودمير، وكيكيك، وشيلفوت، وفيسبنبروش، وأخيرًا وليس آخرًا ماريس وموف.

cheffer, Delaroche, Hébert, Hamon. Leys, Tissot, Lagye, Boughton, Millais, Thijs Maris, Degroux, De Braekeleer Jr. Millet, Jules Breton, Feyen-Perrin, Eugène Feyen, Brion, Jundt, George Saal. Israëls, Anker, Knaus, Vautier, Jourdan, Jalabert, Antigna, Compte-Calix, Rochussen, Meissonier, Zamacois, Madrazo, Ziem, Boudin, Gérôme, Fromentin, De Tournemine, Pasini. Decamps, Bonington, Diaz, T. Rousseau, Troyon, Dupré, Paul Huet, Corot, Schreyer, Jacque, Otto Weber, Daubigny, Wahlberg, Bernier, Emile Breton, Chenu, César de Cock, Mlle Collart. Bodmer, Koekkoek, Schelfhout, Weissenbruch, and last but not least Maris and Mauve.

ويمكنني أن أمضي إلى ما لا نهاية، ثم يأتي كل القدماء، وأنا متأكد أني نسيت بعضًا من أفضل المحدثين.

واصل دائمًا التريض كثيرًا ومحبة الطبيعة، فهذه هي الطريقة الحقيقية لتعلّم فهم الفن بشكل أفضل وأفضل. المصورون يفهمون الطبيعة ويحبونها، ويعلموننا أن نرى.

ثم هناك مصورون لا يفعلون شيئًا سوى الأشياء الجيدة، ولا يستطيعون فعل شيءٍ سيئ، تماما كما هناك أناس عاديون لا يستطيعون فعل شيء ليس جيدًا.

الأمور تمضي معي على ما يرام هنا، عندي منزل رائع، وإنها لمتعة عظيمة أن تراقب لندن وطريقة الحياة الإنجليزية والإنجليز أنفسهم، ولدي أيضًا الطبيعة والفن

والشعر، وماذا يحتاج المرء أكثر من هذا؟ ومع ذلك لم أنس هولندا، بالذات لاهاي وبرابنت.

نحن مشغولون في المكتب، منهمكون بالجرد وإن كان لا يستغرق سوى خمسة أيام، فنحن إذن نجريه بشكل أسهل قليلًا منكم في لاهاي.

أتمنى أن تكون قضيت عيد ميلاد سعيدًا كما حدث معي.

حسنًا أيها الرجل، كن بخير واكتب لي قريبًا؛ كتبت في الرسالة كل ما خطر على قلمي، أتمنى أن تستطيع فهمها. وداعًا (بالفرنسية) تحياتي لكلّ من في المكتب، ولكل شخص آخر يسأل عني، وبالأخص كل من لدى العمة فاي Fie وآل هانيبيك.

فنسنت

مرفق طيه بضع كلمات للسيد روز.

١٨ | لندن، الاثنين ٩ فبراير ١٨٧٤

إلى كارولين فان ستوكم هانيبيك (D)

عزيزتي كارولين،

أشعر بالحاجة لأن أكتب لك بعض الكلمات.

يا لها من أيام سعيدة تلك التي كنّا فيها معًا. لا بد أن تعرفي أنني لم أنسك، لكن الكتابة لا تطاوعني بالسهولة التي أرغب فيها.

لدي حياة ثرية هنا "لا أملك شيئًا ولدي كلّ شيء". أحيانا آخذ في الاعتقاد أني أتحول تدريجيًا إلى كوزموبوليتي حقيقي، يعني لست رجلًا هولنديًا، ولا إنجليزيًا، ولا فرنسيًا. لكنني ببساطة رجل. والعالم هو وطني، كتلك البقعة الصغيرة من العالم التي

نشأنا فيها. لسنا هناك بعد، لكنني أواصل، علّني أستطيع إدراك ذلك. وكما مثلنا الأعلى الذي يدعوه موف "هذا كلّ شيء".

عزيزتي، وداعًا (بالفرنسية).

المخلص،

فنسنت

مصافحة لك ولفيليم حتى تشتكي أصابعك، كما كنا نفعل قديمًا.

٢٢ | لندن، الخميس ٣٠ أبريل ١٨٧٤

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

بعودة الأيام بالسعادة لك. افعل الصواب ولا تنظر للخلف، وستسير الأمور على ما يرام.

سعدت بتلقي رسالتك الأخيرة. وقد أرسلت إليك صورة من يومين.
فتاة شابة مع سيف، لجاكيه Jacquet،
لأنني فكرت أنك قد تحب الاحتفاظ بها.

إن لوحة فان جوركوم Van Gorkom ليست قذرة جدًا (بيني وبينك، أنا لم أرها، لكن أخبره على كل حال أني كتبت أنها ليست قذرة جدًا).

كيف حال موف وجيت كاربنتوس Jet Carbentus؟ اكتب لي عن أخبارهما.

حسنًا تفعل بزيارتك لآل هانيبيك.

لو جئت إلى هولندا، فسأجيء إلى لاهاي ليومين أو ثلاثة لو كان ذلك ممكنًا، لأن لاهاي في منزلة وطن ثان لي (وسأجيء للإقامة معك).

كنت لأرغب في تلك التمشية صوب دي فينك. أنا أتريض هنا على قدر استطاعتي، لكنني مشغول جدًا. إن المكان جميل جدًا هنا (حتى لو كانت مدينة) إن الليلك والزعرور البري والسيتيسوس تزهر في كل الحدائق، وأشجار الكستناء رائعة.

لو أن المرء يحب الطبيعة بحق فإنه سيجد الجمال في كلّ مكان. إلا أني في بعض الأحيان أتوق إلى هولندا، وخاصة إلى هيلفويرت.

أمارس البستنة كثيرًا وقد زرعت البازلاء الحلوة والخشخاش والبليحاء، والآن علينا أن ننتظر لنرى عمَّ ستسفر.

أستمتع بالسير من البيت إلى المكتب وفي المساء من المكتب عائدًا إلى البيت. الرحلة تستغرق نحو ثلاثة أرباع الساعة.

من الرائع أن ننتهي مبكرًا للغاية هنا؛ نحن نغلق في السادسة، ونحن لا نشتغل أقل بسبب ذلك.

أبلغ تحياتي لكلّ من أعرف من آل ترستيج وهانيبيك وكاربينتوس، وخاصة آل روز، وكل من لدى العم بومب لأنهم ذاهبون إلى كامبين، والسيد باخيزن c &.

أتمنى لك كلّ خير.
فنسنت

إن أشجار التفاح قد أزهرت هنا، ويبدو لي أن كلّ شيء هنا مبكر عما هو في هولندا.

بمجرد أن أعرف شيئًا محددًا عن رحلتي للوطن، سأكتب لك مباشرةً. أخشى أن ذلك لن يكون قبل أربعة أسابيع أو نحو ذلك. اكتب لي قريبًا.

٣٣ | لندن، السبت ٨ مايو ١٨٧٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك الأخيرة. كيف حال المريضة؟ كنت قد سمعت فعلًا من أبي أنها عليلة، لكن لم أعرف أن حالتها سيئة كما قلت.

اكتب لي عن ذلك سريعًا إن كنت ستفعل. نعم، أيها العزيز "ماذا نقول؟"

س. م. والسيد ترستيج كانا هنا وغادرا ثانيةً السبت الماضي. وفي رأيي فقد ذهبا في أحيانٍ كثيرة إلى كريستال بالاس وأماكن أخرى لا تعنيهم. كان يبدو لي أن بإمكانهم أن يجيئا ليريا أين أعيش.

سألتني عن آنا، لكننا سنناقش ذلك مرةً أخرى.

أعتقد وأتمنى أني لست على ما يعتقده العديد عني حاليًا، سنرى، لا بد أن نترك ذلك للوقت. سيقول الناس الأشياء نفسها عنك ربما في غضون عامين؛ على الأقل لو واصلت أن تكون على ما أنت عليه: يا أخي بمعنيي الكلمة.

تحياتي، وتحياتي للمريضة. مع مصافحة.

فنسنت

كي يمثل المرء على العالم لا بد أن يموت في نفسه. الشعب الذي يجعل من نفسه مبشرًا بفكر ديني لا وطن له سوى هذا الفكر.

الإنسان لم يوجد على الأرض لمجرد أن يكون سعيدًا، ولا لمجرد أن يكون مخلصًا. هو هنا لتحقيق أشياء عظيمة من خلال المجتمع، للوصول إلى الرفعة وتجاوز السوقية التي يغرق فيها وجود كل فرد تقريبًا.

رينان

٣٧ | باريس، الثلاثاء ٦ يوليو ١٨٧٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

شكرًا لرسالتك، نعم، أيها الشيخ، لقد فكرت كذلك. لا بد أن تكتب لي أحيانا وتخبرني كيف هي إنجليزيتك، هل فعلت أي شيء بخصوصها؟ إذا كان لا، فإن الأمر ليس بالكارثة الكبيرة.

لقد استأجرت غرفةً صغيرةً في مونمارتر ستعجبك؛ إنها صغيرة لكنها تُطل على حديقة صغيرة مليئة باللبلاب ونبات كرم العذراء.

أريد أن أخبرك أي مطبوعات لدي على الحائط

رويزديل	الدغل.
ديتتو	الحقول البيضاء
رامبرانت	قراءة الكتاب المقدس (غرفة هولندية واسعة في المساء، وشمعة على الطاولة) وبها تجلس أم شابة بجانب مهد طفلها لتقرأ الكتاب المقدس، وامرأة عجوز تنصت؛ إنه شيء يذكرك بـ "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" إنها قطعة قديمة من الحفر على النحاس في حجم "الدغل" نفسه رائعة.
ب دو شامباني	بورتريه لسيدة
كورو	مساء
ديتتو	ديتتو
بودمير	فونتينبلو
بونينجتون	طريق
نرويون	صباح

جول دوبريه	مساء (مكان استراحة)
ماريس	امرأة تغسل
ديتو	تعميد
ميه	أوقات اليوم الأربعة (أربع مطبوعات من قالب خشبي)
فان در ماتين	جنازة في حقل الذرة
دوبيني	فجر (صياح الديك)
شآرل	ضيافة. بيت ريفي تحيط به أشجار التنوب، مشهد شتائي مع الثلوج. مزارع وجندي أمام الباب.
أد. فرير	حائكات
ديتو	صانع البراميل

حسنًا أيهاالعزيز، كن بخير، وطول أناة وحلم، قدر المستطاع، ولنظل أصدقاء أوفياء.

الوداع (بالفرنسية).

فنسنت

٣٨ | باريس، الخميس ١٨ يوليو ١٨٧٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

العم فنسنت كان هنا مرةً ثانية، وقد بقينا معًا كثيرًا وتحدثنا في بعض الأمور. وقد سألته إن كان يعتقد أن هناك فرصة لجلبك إلى هنا، في فرع باريس. في البداية قال إنه لم يسمع عن هذا، وقال إنه من الأفضل لك أن تبقى في لاهاي، لكنني واصلت الإصرار، وتأكد أنه سيحتفظ بالموضوع في باله.

عندما يذهب إلى لاهاي، من المحتمل أن يكلمك، احتفظ بهدوئك ودعه يقول ما عنده؛ لن يؤذيك ذلك، فقد تحتاجه لاحقًا في هذا الأمر أو ذاك. ولا يجب أن تتكلم عني ما لم تكن اللحظة مناسبة.

إنه ذكي بشكل رهيب، عندما كان هنا الشتاء الماضي قال لي من ضمن ما قال: "ربما لا أعرف شيئا عن الأمور الخارقة للطبيعة، ولكن عن الأمور الطبيعية فأنا أعرف كلَّ شيء" لست واثقًا إن كانت هذه هي كلماته بدقة ولكن هذه هي خلاصتها.

أريد أيضًا أن أخبرك أن إحدى لوحاته المفضلة هي "الوهم الضائع" لجليير.

قال سانت بوف: "داخل معظم الناس شاعر يموت مبكرًا فيما الرجل يواصل حياته"، وموسيه "يعرف أن داخلنا غالبًا شاعرًا نائمًا متجدد الشباب والحياة" أعتقد أن ما سبق هو حقيقة العم فنسنت، فاعرف مع من أنت تتعامل، وكن حذرًا.

لا تتردد في سؤاله بوضوح عن إمكانية إرسالك إلى هنا أو إلى لندن.

وأشكرك على رسالة هذا الصباح، وعلى شعر روكيرت. هل لديك قصائده؟ أريد أن أعرف المزيد منه. عندما تسنح الفرصة سأرسل إليك الكتاب المقدس بالفرنسية ونسخة من كتاب "تقليد المسيح". ذلك ربما كان الكتاب المفضل للسيدة التي رسمها دي شامباني. هناك في اللوفر بورتريه آخر له يصور ابنتها، راهبة؛ وكتاب "تقليد المسيح" يرقد على مقعد بجانبها.

كتب لي أبونا يومًا: "تعرف أن الشفتين اللتين لفظتا "كن مسالمًا كالحمامات" هما نفسهما اللتان أضافتا فورًا "وحكيمًا كالثعابين". يجب أن تُبقي ذلك في ذهنك، وصدقني إلى الأبد.

أخوك المحب،

فنسنت

هل لديك صور لميسونييه في الجاليري؟ انظر لها أحيانًا؛ لقد رسم رجالًا. لا بد أنك تعرف جيدًا لوحة "المدخن" و"شاب يتناول الغداء".

٤٦ | باريس نحو الخميس ٩ سبتمبر ١٨٧٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لم تكن تتوقع أن ترجع لك هذه الرسالة مرةً أخرى، هل كنت؟

لا أيها الولد الكبير، ليس هذا هو الطريق الذي نتبعه.

إن موت ويهيوزين لأمر محزن بالتأكيد، لكنه محزن بطريقة أخرى غير التي ذكرتها.

خلِّ عينيك مفتوحتين وحاول أن تكون قويًا وحازمًا. هل كان كتاب ميشليه ذا قيمة فعلا بالنسبة له؟

أنا أرغب في اقتراح أمر عليك يا تيو، وهو ما قد يدهشك:

لا تقرأ ميشليه ثانيةً ولا أي كتاب آخر (باستثناء الكتاب المقدس) حتى نلتقي مرةً ثانية في أعياد الميلاد، وافعل ما أقوله لك، اذهب أحيانًا في المساءات إلى آل ستوكم، وبورشر. وأعتقد أنك لن تندم، ستشعر بتحرر أكبر ما إن تبدأ في هذا النظام. انتبه للكلمات التي وضعت تحتها خطوطًا في رسالتك.

هناك نوع من الأسى الهادئ، بالتأكيد، حمدًا للرب، لكن لا أعرف إن كان من حقنا أن نشعر به بعد، ها أنت ترى، أنا أقول نحن، أنا لست أكثر منك.

كتب لي أبي مؤخرًا "الأسى لا يؤذي، لكنه يجعلنا نرى الأمور بعين أكثر قداسة". هذا حقيقي "الأسى الهادئ" ذهب صاف، لكننا لسنا بعيدين عن ذلك جدًا، لم يتبق الكثير في الطريق. دعنا نأمل ونصلّ أن نقدر على بلوغ ذلك البعد وصدقني دائمًا.
اخوك المحب،
فنسنت

أنا بالفعل أبعد منك قليلًا وبالفعل أرى، واحسرتاه فتعبير "الطفولة والشباب هما الغرور" يكاد يكون صحيحًا تمامًا. فحافظ على ثباتك، أيها الولد الكبير، وأشد على يدك بمودة.

٤٩ | باريس، الجمعة ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

الشعور، مجرد الشعور البسيط بجمال الطبيعة هو ليس كالشعور الديني، على الرغم من أنني أعتقد أن الاثنين متصلان. وينطبق الشيء نفسه على الشعور الفني. لا تستسلم لذلك كثيرًا أيضًا.

تمسك بحبك للشركة وللعمل وباحترامك للسيد ترستيج. وفيما بعد سترى، أفضل من الآن، إنه يستحقها. ولكن لا تبالغ في ذلك أيضًا.

تقريبا كل شخص لديه شعور بالطبيعة، والبعض أكثر من البعض الآخر، لكن هناك القليلين ممن يشعرون أن الرب روح، وأنهم إذ يعبدونه فهم يعبدونه في الروح والحقيقة. أبونا هو أحد هؤلاء القليلين وأمنا كذلك، وكذلك العم فنسنت، كما أعتقد.

أنت تعرف أنه مكتوب "العالم يمضي وكل مجده" ومن ناحية أخرى هناك أيضًا الكلمات "النصيب الصالح الذي لن ينتزع" عن "يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" دعنا أيضًا نصلِّ لكي نكون أغنياء في الرب. ولكن لا تفكر بعمق في هذه الأمور، وهي ستتضح لك من تلقاء نفسها مع الوقت، وافعل ما أنصحك بفعله. دعنا نسأل عن نصيبنا في الحياة فقد نصبح الفقراء في مملكة الرب، خدام الرب. لم نتوصل إلى ذلك

بعد، ومع ذلك، هنالك أحيانًا شعاع في أعيننا نحن أنفسنا لا ننتبه له. فدعنا نطلب أن تكون عيننا فريدة وبذلك سنصبح فريدين تمامًا.

تحياتي إلى آل روز ولكل من يسأل عني، صدقني دائمًا.

اخوك المحب،

فنسنت

٥٥/ باريس، الاثنين ١١ أكتوبر ١٨٧٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

شكرًا على رسالة هذا الصباح. هذه المرة سأكتب لك كما أكتب في مرات نادرة، فأنا أود الآن أن أحكي لك بالتفصيل عن حياتي هنا.

كما تعرف، أنا أعيش في مونمارتر، كذلك يعيش هنا شاب إنجليزي، موظف بالشركة عمره ١٨ عامًا، وهو ابن تاجر لوحات من لندن، وربما يلتحق بشركة أبيه لاحقًا. هو لم يرحل قط بعيدًا عن وطنه، وكان شديد الجلافة، خاصةً في الأسابيع الأولى لمجيئه هنا؛ كان يأكل ما قيمته من ٤ إلى ٦ مليمات من الخبز (الخبز رخيص هنا لاحظ جيدًا) ويضيف على ذلك رطلًا من التفاح أو الكمثرى... إلخ. وعلى الرغم من كلّ ذلك فهو نحيف كوتد، بصفين قويين من الأسنان وشفتين عريضتين حمراوين، وعينين براقتين، وزوج من الآذان كبيرتين ورأس مجزوز (شعره أسود)... إلخ. إلخ.

أحب أن أؤكد لك، هو مخلوق مختلف تمامًا عن تلك السيدة التي رسمها فيليب دي شامباني. كان ذلك الشاب يتعرض لكثير من السخرية في البداية، حتى من جانبي أنا. لكنني مع ذلك أخذت في تكوين مشاعر ناحيته تدريجيًا، والآن أؤكد لك أنني أسعد كثيرًا بصحبته في المساءات. لديه قلب بريء تمامًا وغير فاسد، وهو يعمل في

الشركة بكل طاقته. كل مساء نذهب إلى البيت معا، نأكل شيئًا أو آخر في غرفتي، وبقية المساء أقرأ بصوت عال، عادةً من الكتاب المقدس، وننتوي قراءته حتى النهاية. وفي الصباح، يجيء عندي ليوقظني، عادةً بين الخامسة والسادسة؛ ثم نتناول الإفطار في غرفتي ونذهب إلى الجاليري في حدود الثامنة. مؤخرًا بدأ يأكل باعتدال أكثر، وأخذ في تجميع المطبوعات بمساعدتي.

بالأمس ذهبنا إلى اللوكسمبورج معًا وأطلعته على اللوحات التي تعجبني أكثر هناك. وبصدق، فإن الأطفال يكتشفون ما هو خفي حتى على الحكيم.

جي بريتون، وحدة، نعمة الذرة، نداء الحصّاد.

بريون، نوح، الحج إلى القديسة أوديل

بيرنييه، حقول في الشتاء

كابا، البركة والأمسية الخريفية

اميل بريتون، أمسية شتاء. بودمير، فونتينبلو

دوفورجيه، العامل وولده

مييه، كنيسة جريفيل

دوبيني، الربيع والخريف

فرانسيه، نهاية الشتاء والمقبرة

جلير، الأوهام المفقودة، المسيح في بستان الزيتون ومالاريا، وأيضًا روزا بونور وبلوفينج... إلخ.

أيضًا لوحات لـ...؟ (لا أستطيع تذكر اسمه)، دير يستقبل فيه الرهبان أحد الغرباء ويكتشفون فجأة أنه المسيح. مكتوب على جدار الدير "الإنسان يختلج والرب يقوده. من يتلقّك يتلقّني، ومن يتلقّني يتلقّ من أرسلني (بالفرنسية).

في الجاليري، ببساطة افعل ما تجده يداي لتفعله، هذا هو عملنا على طوال حياتنا، أيها الفتى الشائخ، افعله بكل قوتي.

هل فعلت ما نصحتك بأن تفعله، هل تخلصت من كتب ميشليه ورينان... إلخ. أعتقد أن ذلك سيكسبك سلامًا. بالتأكيد لن تنسى تلك الصفحة من ميشليه عن ذلك البورتريه لسيدة الذي رسمه بي دو شامباني، ولا تنس رينان أيضًا ولكن تخلص منهما. "إذا وجدت عسلًا فاحرص على ألا تأكل الكثير منه خشية ألا يتوافق معك" يقولون في الأمثال أو شيء بهذا المعنى. هل تعرف إركمان شاتريان، الجند، واترلو، وبالذات الصديق فريتز، أيضًا مدام تيريز؟ اقرأ لهم في بعض الوقت لو استطعت التحصل عليهم. إن تغيير الطعام يفتح الشهية (شريطة أن نراعي أن نأكل ببساطة، "أعطنا خبز كفاف يومنا" لم تكتب اعتباطًا) والقوس لا يتحمل أن يبقى دائمًا مشدودًا. أنت لن تسيء فهمي لو قلت لك افعل شيئًا ما أو آخر. أعرف أن لديك فطنتك لنفسك أيضًا. لا تعتقد أن كل شيء جيد، وتعلم أن تميز بين الجيد نسبيًا والشرير، واجعل هذا الشعور يرشدك للطريق الصحيح بتوجيه من أعلى، لأنه من المهم أيها الولد الكبير أن يقرر لنا الرب. اكتب لي ثانية مع بعض التفاصيل، وأبلغ تحياتي لمعارفي، وخصوصًا السيد ترستيج وأسرته، وأتمنى لك كل خير. الوداع (بالفرنسية) وصدقني دائمًا.

أخوك المحب،

فنسنت

٦١ | باريس، الجمعة ١٠ ديسمبر ١٨٧٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أرفق لك ما وعدتك به. سيعجبك كتاب جول بريتون. هناك قصيدة له بالذات أجدها مثيرة للشجون جدًا: "أوهام" مباركون هم أصحاب القلوب المتناغمة. إن "كل الأشياء تعمل معًا لصالح من يحبون الرب" لهو قول جميل، وسيكون كذلك بالنسبة لك أيضًا، وسيكون المذاق المتبقي من هذه الأيام الصعبة طيبًا.

لكن اكتب لي قريبا وأخبرني كيف تسير الأمور، وعندما يقول الطبيب أنك تتحسن إن لم تكن كذلك بالفعل.

خلال أسبوعين آمل أن أكون في أيتن، بإمكانك أن تتخيل كم أتوق إلى ذلك.

هل أخبرتك أني عدت لتدخين الغليون ثانية؟ لقد اكتشفت في غليوني صديقًا مخلصًا، وأعتقد أننا لن نفترق ثانيةً.

لقد سمعت من العم فنسنت أنك أيضًا تدخن.

أخبر كل فرد في آل روز أني أتمنى لهم يومًا طيبًا، لقد قضينا أنا وأنت وقتًا وفيرًا ممتعًا في بيتهم، وتم استقبالنا بكل ولاء.

لدينا "صباح الأحد" لإميل بريتون حاليًا. أنت تعرفها، أليس كذلك؟ هي تصور شارعًا في قرية وبيتًا ريفيًا وحظائر، وفي النهاية الكنيسة محاطة بشجر الحور.

كل شيء مغطى بالثلوج، وأشكال سوداء صغيرة ذاهبة إلى الكنيسة. إنها تخبرنا عن مدى برودة الشتاء ولكنها أيضًا تخبرنا أن هناك قلوبًا إنسانية دافئة.

أتمنى لك كل الخير أيها الولد الكبير، وصدقني دائمًا.

أخوك المحب،

فنسنت

عبوة الشوكولاتة التي تحمل العلامة X هي لك، والعبوتان الأخريان للسيدة روز، والسجائر لتدخنها مع زملائك في السكن. وداعًا (بالفرنسية)

٦٥ | باريس، ١٠ يناير ١٨٧٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لم أكتب لك منذ تقابلنا؛ وفي هذا الوقت حدث شيء لم يكن مفاجئًا بالكامل لي.

عندما رأيت السيد بوسو مرةً ثانية سألته إذا كان سعادته يجد أنه من الجيد أن أواصل العمل في الشركة هذا العام، بما أن سعادته لم يتلق أي شكوى جادة بخصوصي.

وكان الأمر كذلك بالفعل وقد أخذ سعادته الكلمات من فمي، إذا جاز التعبير، وقال إن بإمكاني المغادرة في أول أبريل (نيسان) متشكرًا للأفاضل على أي شيء يمكن أن أكون قد تعلمته في مؤسستهم.

عندما تكون تفاحة قد نضجت، لا يستدعي الأمر سوى نسمة صغيرة لتسقط من شجرتها، وكذلك الأمر هنا. بالتأكيد قد فعلت أشياءً مؤخرًا كانت خاطئة جدًا بشكل ما، وبالتالي كان لدي القليل جدًا لأقوله.

والآن أيها الفتى، أنا بالأحرى أجهل تماما ما عليّ أن أفعله، ولكن لا بد أن نحاول وأن نجعل الأمل والشجاعة يقظين.

كن طيبًا واجعل السيد ترستيج يقرأ هذه الرسالة، وقد يعرف سعادته، ولكنني أعتقد أنه من الأفضل ألا نخبر أي شخص آخر بشأن ذلك في الوقت الحالي، وتصرّف كأنه لا شيء يحدث.

اكتب لي قريبًا، وصدقني دائمًا.

أخوك المحب،

فنسنت

٦٦| باريس نحو الاثنين ١٧ يناير بالتقريب، ١٨٧٦
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

في أول صندوق ذاهب إلى لاهاي ستجد عدة طرود، أرجو أن تعتني بها.

بداية هناك واحد لك يحتوي على "فليكس هولت" عندما تقرؤه أرجوك قم بإرساله إلى أيتن، وعندما ينتهون منه هناك قم بإرساله ثانية إليّ هنا عندما تسنح لك الفرصة بذلك إذ إنه ليس ملكًا لي. إنه كتاب لمسني بعمق، وبلا شك سيكون له التأثير نفسه عليك.

هناك أيضًا طرد لأبينا، تأكد من وصوله إلى أيتن يوم عيد ميلاد أبي، ربما تستطيع إرسال "فيلكس هولت" معه ولتقرأه بعد أن يعود من أيتن، فقد يكون ذلك هو الأفضل.

في اللفافة الصغيرة المرسلة إليك ستجد ٣ أعمال حفر عن جول دوبريه، واحدة لك، وواحدة للعم يان فان جوخ، وواحدة لأبي. وأيضًا لأبي الليتوغراف عن بودمير ولوحة حفر من عمل جاك، ثم هناك ليتوغراف عن كابا من أجلك. كابا يشبه رويزديل كثيرًا، هناك لوحتان كبيرتان له في اللوكسمبورج. واحدة عن بركة محاطة بالأشجار في الخريف عند الغروب، والثانية مساء خريفي رمادي، طريق بجانب الماء وشجرتا بلوط كبيرتان.

لوحة الحفر المأخوذة عن جول دوبريه جميلة، إنها واحدة من ألبوم يحوي ٦ بورتريهات لدوبريه. إن له وجهًا بسيطًا ونبيلًا، وهو يذكرني قليلًا بموف، على الرغم من أنه أكبر عمرا، وربما في الحقيقة يبدو مختلفًا عن موف.

من الجيد أنك تتلقى دروسًا في الإنجليزية، لن تندم على ذلك.

أود أن أرسل إليك كتابي "لونجفيلو" و"حكايات أندرسون الخيالية"، سأرى إن كان بإمكاني العثور عليهما. لو أرسلتهما فاقرأ بالذات إيفنجلين لدى لونجفيلو، ومايلز ستانديش، وبارون سان كاستين وروبرت ملك صقلية... إلخ.

والآن أتمنى لك يومًا طيبًا وأشدّ على يدك. تحياتي لكل فرد في آل روز واي شخص آخر يسأل عني، وصدقني دائمًا.

اخوك المحب،

فنسنت

ابعث تحياتي ثانية لصديقي بورشيرز.

٧٣ | باريس ٢٨ مارس (آذار) ١٨٧٦
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

مجرد كلمات قلائل ربما تكون الأخيرة التي أكتبها لك من باريس.

بالتقريب سأغادر هنا مساء الجمعة لأصل إلى الوطن صباح السبت في التوقيت نفسه الذي وصلت فيه في عيد الميلاد.

بالأمس رأيت ست لوحات تقريبًا لميشيل، كم كنت أتمنى أن تكون موجودًا، طرق غائرة في تربة رملية تقود إلى طاحونة، أو رجل عائد إلى بيته في الخلاء، أو أرض رملية وسماء رمادية فوقها، بسيط جدًا ومرهف. ويبدو لي أن الحجاج في طريقهم لعمواس يرون الطبيعة كما يراها ميشيل، دائما ما أفكر فيهم عندما أرى واحدةً من لوحاته.

وفي الوقت نفسه رأيت لوحة لجول دوبريه، وواحدة كبيرة جدًا.

على مدى البصر أرض سبخة سوداء، وفي المنتصف نهر ثم في المقدمة بركة (بجوارها ثلاثة خيول) ينعكس عليهما صف من الغيوم البيضاء والرمادية من خلفها تغرب الشمس؛ وفي الأفق بعض الرمادي المحمر والأرجواني، وأعلى في السماء أزرق لطيف.

رأيت هذه اللوحات لدى دوران رويل. هناك لديهم ما لا يقل عن ٢٥ من أعمال الحفر عن مييه والعدد نفسه عن ميشيل، والكثير من دوبريه وكورو وكل الفنانين الآخرين، وتباع الواحدة بفرنك واحد فقط للقطعة. وذلك مغر في الواقع، لم أستطع أن أمنع نفسي من شراء زوج عن مييه: اشتريت الثلاث الأخيرة من صلوات المساء، وسيتلقى أخي بالتأكيد واحدةً عندما تسنح الفرصة.

سمعت أن السيد ايترسون سيجيء للعيش لدى آل روز، إنه الأصغر فيما أعتقد. اكتب لي ثانيةً في القريب. تحياتي لكل فرد في آل روز، وللسيد والسيدة ترستيج. ولأي شخص يسأل عني. أشد على يديك، وإلى الأبد.

أخوك المحب،

فنسنت

وداعًا (بالفرنسية).

٧٦ | رامسجيت، الاثنين ١٧ أبريل ١٨٧٦
إلى تيودوروس فان جوخ وآنا فان جوخ كاربينتوس (D)

أبي وأمي العزيزين،

بالتأكيد قد استلمتما الآن البرقية، وستكونان بحاجة لمعرفة المزيد من التفاصيل. سأكتب لكما بعض الأمور في القطار وسأرسلها إليكما، فتطلعان على خط سير رحلتي.

الجمعة

نريد أن نبقى معًا اليوم. أيهما أكبر: فرحة رؤية أحدنا للآخر مرةً ثانيةً، أم حزن الفراق؟

لقد افترقنا مرارًا في السابق بالفعل، لكن هذه المرة كان هناك حزن أكبر مما سبق، لدى الطرفين، ولكن هناك شجاعة أيضًا، من الإيمان الحاسم داخلنا والرغبة العظمى في المباركة، وألم يكن الأمر كما لو كانت الطبيعة متعاطفة معنا؟ لقد كان الجو غائمًا وبالأحرى كئيبًا منذ ساعتين.

الآن أنظر إلى المراعي المحيطة، وكلّ شيء هادئ جدًا والشمس تطلّ من خلف الغيوم الرمادية وتطلق وهجًا ذهبيًا على الأرض. كم يتوق كلّ منا إلى الآخر، في هذه الساعات الأولى بعد الافتراق، التي تقضونها في الكنيسة وأنا في المحطة ثم القطار، وكم نفكر في الآخرين، في تيو، وفي آنا، والشقيقات الأخريات، والأخ الصغير.

تجاوزنا زيفنبرجن بالكاد، وقد تذكرت اليوم الذي أخذتماني فيه إلى هناك، ووقفت على سلالم السيد بروفيلي أراقب عربتكما وهي تبتعد في الشارع المبتل. ثم ذلك المساء حين جاء أبي لزيارتي للمرة الأولى. وعودتي الأولى للوطن في عطلة عيد الميلاد.

السبت والأحد

كم فكرت في آنا، وأنا في المركب، كل شيء هناك ذكرني برحلتنا معًا.

كان الجو صحوًا ونهر الماس بالأخص كان جميلًا، كذلك المنظر من البحر: التلال تبرق بيضاء تحت الشمس. آخر شيء رآه المرء من هولندا كان برجًا رماديًا صغيرًا.

بقيت على سطح المركب حتى الغروب ثم صار الجو باردًا وكئيبًا.

في الصباح التالي، في القطار من هارويتش إلى لندن، كان من الجميل مشاهدة النهار يبرقش الحقول السوداء والمراعي الخضراء بالخراف والحملان، وتتناثر هنا وهناك خمائل من شجيرات شوكية وبعض أشجار البلوط الضخمة بأغصان سوداء وجذوع رمادية تكسوها الطحالب. زرقة السماء الشفقية لا تزال بها بعض النجيمات وصف من الغيوم الرمادية فوق الأفق. وسمعت هديل القبرات حتى قبل أن تشرق الشمس.

وعندما وصلنا للمحطة الأخيرة قبل لندن، كانت الشمس قد أشرقت. وتلاشى صف الغيوم الرمادية، وكانت هناك الشمس، بسيطة وكبيرة كأكبر ما تكون، شمس عيد فصح حقيقية.

كان العشب يلمع بالندى وبَرَد المساء.

مع ذلك أفضل ذلك الجو الرمادي حين افترقنا.

ما بعد ظهيرة يوم السبت بقيت على سطح المركب حتى هبطت الشمس. كانت المياه هادئة وزرقاء داكنة على مدى البصر مع أمواج عالية نسبيًا بقمم بيضاء. كان الساحل قد اختفى بالفعل عن النظر. والسماء في زرقة فاتحة صقيلة وبلا غيوم.

ثم هبطت الشمس وألقت مسحة من الضوء المبهر على المياه.

كان مشهدًا مهيبًا وجليلًا، ولا تزال تلك الأشياء البسيطة والساكنة تحرك مشاعر المرء بعمق، وآنئذ لم أستطع أن أمنع نفسي من الارتعاد، والتفكير في الصالون المكتظ بالمسافرين يدخنون ويغنون.

كان القطار سيغادر إلى رامسجيت بعد ساعتين من وصولي إلى لندن. تلك رحلة أخرى بالقطار تستغرق أربع ساعات ونصفًا. إنها رحلة جميلة، وقد مررنا بين عدة

أشياء بمنطقة تلال. كانت التلال مغطاة بعشب متناثر في الأسفل وبأشجار البلوط على قممها. إنها مشابهة جدًا لتلالنا. وبين هذه التلال قبعت قرية بكنيسة رمادية مكسوة باللبلاب كمعظم البيوت.

البساتين كانت مزدهرة، والسماء زرقاء فاتحة بسحابات بيضاء ورمادية.

وعبرنا أيضًا بكانتربري، بلدة لا تزال تحتفظ بكثير من المباني القروسطية، وبالذات كنيسة رائعة محاطة بأشجار الدردار. لقد رأيت غالبًا شيئًا من هذه البلدة في بعض اللوحات.

بإمكانكما تخيل كيف جلست أنظر خارج النافذة، أتفرج طوال الطريق حتى رامسجيت.

وصلت لبيت السيد ستوك في نحو الساعة الواحدة، كان خارج المنزل لكنه سيعود في المساء نفسه. كان ولده يحل محله في غيابه (في الثالثة والعشرين على ما أعتقد) معلمًا بإحدى مدارس لندن.

رأيت السيد ستوك في الظهيرة على المائدة. كان هناك ٢٤ صبيًا في العمر بين العاشرة والرابعة عشرة (كان مشهدًا طريفًا، رؤية كل هؤلاء الأولاد يأكلون)

المدرسة ليست كبيرة. والنوافذ تطلّ على البحر.

بعد الطعام ذهبنا للتمشية بحذاء البحر، كان المكان جميلًا. البيوت على البحر في معظمها مبنية بالطوب الأصفر على طراز قوطي بسيط ولها حدائق مليئة بشجر الأرز وشجيرات أخرى داكنة من النوع دائم الخضرة.

وهناك مرفأ مزدحم بالسفن محاط بالكتل الحجرية التي يستطيع المرء السير فوقها، وفيما أبعد تستطيع رؤية البحر في حالته الطبيعية، وكم كان ذلك جميلًا.

وبالأمس كان كلّ شيء رماديًا.

في المساء ذهبنا إلى الكنيسة مع الأولاد. على جدار الكنيسة كان مكتوبًا "ها أنا معكم دائمًا، حتى لنهاية العالم".

يذهب الأولاد للنوم في الثامنة مساءً ويستيقظون في السادسة صباحًا.

هناك مُدرّس آخر مساعد، في السابعة عشرة من عمره. نبيت أنا وهو وأربعة أولاد آخرون في بيت آخر قريب، لديّ فيه غرفة صغيرة، تحتاج جدرانها لبعض اللوحات.

والآن نكتفي بهذا القدر اليوم، يا له من وقت طيب قضيناه معًا، أشكركما، أشكركما على كلّ شيء. تحيات كثيرة لليز وألبرتين ولأخي الأصغر، ومصافحة من...

محبكم،

فنسنت

أشكركما على رسائلكما التي وصلت للتو. إلى المزيد قريبًا عندما يكون قد مرّ عليّ هنا بضعة أيام ورأيت السيد ستوك.

٧٩ | رامسجيت، الجمعة ٢٨ أبريل (نيسان) ١٨٧٦

إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

تعود عليك الأيام بخير، تهانئي القلبية بمناسبة هذا اليوم، وأتمنى أن يزداد حبّ أحدنا للآخر كلما تقدمنا في العمر.

أنا سعيد للغاية لأن لدينا الكثير من الأشياء المشتركة، ليس فقط ذكريات الماضي، ولكن أيضًا لأنك تعمل حتى الآن في الشركة نفسها التي كنتُ أعمل فيها، ولهذا أنت تعرف الكثير من الأشخاص والأماكن التي أعرف أيضًا، وأنك تحب الطبيعة والفن كثيرًا.

مرفق مع هذه الرسالة إعلان "آنا" في حالة جيدة، وهناك أيضًا إعلان في صحيفة الديلي نيوز؛ وفقط نرجو الآن أن يسفر ذلك عن شيء ما.

السيد ستوك أخبرني أنه ينتوي الانتقال بعد الإجازات -مع المدرسة بأكملها بالطبع- إلى قرية على التيمز على مبعدة ثلاث ساعات من لندن. وهو حينئذ سيؤثث المدرسة بشكل مختلف وربما يوسعها.

والآن دعني أخبرك عن تمشية قمنا بها بالأمس. قصدنا خليجًا صغيرًا متفرعًا من البحر. والطريق إليه يمر عبر حقول قمح نضر محاط بشجيرات نبات الزعرور... إلخ. عندما وصلنا إلى هناك كان على يسارنا جدار عال وشاهق من الرمال والصخور، بارتفاع منزل من طابقين على قمته تقف شجيرات قديمة من الزعرور الوحشي. كانت جذوعها وأغصانها الرمادية والسوداء، والمغطاة بالأشنة كلها معقوفة في اتجاه واحد بفعل الرياح. وأيضًا بعض الشجيرات الأخرى الأقدم.

الأرض التي كنا نسير عليها كانت مغطاة بالكامل بأحجار رمادية عريضة، والصخر الطبشوري والقواقع.

إلى اليمين كان البحر هادئًا كبركة يعكس السماء الرمادية الرقيقة التي استقرت فيها الشمس. كان البحر في حال الجزر والماء منخفضًا جدًا.

أشكرك على رسالة الأمس، أعتقد أنه من الجميل جدا أن فيليم فانيكس سيلتحق بالفرع. أبلغه سلامي الخاص. أود لو أتمشى مع كليكما من قرية بوسبيز نحو شيفينفن.

أتمنى لك يوما سعيدًا، وأبلغ تحياتي لكلّ من يسأل عني، وصدقني.

اخوك المحب،

فنسنت

أتمنى أن تكون بخير اليوم، وأن تبدأ عاما سعيدا مبروكًا. إنها سنوات هامة بالنسبة لنا نحن الاثنين، سنوات سيتوقف عليها الكثير. أتمنى أن تسير الأمور على ما يرام.

سأكون سعيدًا عندما تعثر أنا على شيء، لكن الأوضاع التي هي تبحث عنها جد شحيحة. ثمة امرأة مريضة هنا تحتاج لمن يرعاها تلقت ٣٠٠ استجابة للإعلان الذي نشرته.

أصافحك بقوة، الوداع (بالفرنسية)

٨٣ | رامسجيت، ٣١ مايو (أيار) ١٨٧٦
إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

مرحى لك، لأنك كنت في أيتن في ٢١ مايو (أيار)، للسعادة كان هناك أربعة من الستة في البيت. كتب لي أبي بالتفصيل عن كل ما دار يومها. أشكرك على رسالتك الأخيرة.

هل كتبت لك بالفعل عن العاصفة التي رأيتها مؤخرًا؟ كان البحر مصفرًا بالذات بالقرب من الشاطئ؛ ومسحة من الضوء على الأفق، وفوق ذلك سحابة رمادية قاتمة وضخمة جدًا من خلالها يبدو المطر هاطلًا في شآبيب مائلة. كانت الريح تعصف بالغبار من الممر الأبيض الصغير على الصخور نحو البحر وتضرب شجيرات الزعرور والمنثور المزهرة التي تنمو على الصخور.

على اليمين ثمة حقول لقمح نضر أخضر، وعلى البعد تبدو المدينة بأبراجها وطواحينها وأسقفها القرميدية والبيوت المبنية على الطراز القوطي، وفي الأسفل، كان المرفأ بين الرصيفين ينفتح على البحر، تشبه المدن التي كان يصورها ألبرشت دورر في أعماله الحفرية. ورأيت البحر أيضا في مساء يوم الأحد الماضي، وكل شيء كان رماديًا قاتمًا، لكن الصبح كان قد بدأ يبزغ في الأفق. كان الوقت مبكرًا للغاية، ومع ذلك كانت ثمة قبرة تهدل. والعنادل في الحدائق المواجهة للبحر. وعلى البعد، هناك ضوء الفنار وزورق الحراسة... إلخ.

في الليلة نفسها، نظرت من نافذة غرفتي نحو أسقف البيوت التي تُرى من هناك وقمم أشجار الدردار المظلمة على سماء الليل. فوق تلك الأسقف، كانت ثمة نجمة وحيدة، لكنها جميلة وكبيرة وودود. فكرت فينا جميعًا، وفكرت في سنوات حياتي التي مضت بالفعل، وفي بيتنا، وخطر في نفسي الشعور والكلمات "احفظني من أن أكون

ابنًا يجلب العار، وباركني، لا لأني أستحق، ولكن لأجل خاطر أمي، أنت المحب وقادر على كلّ شيء وبدون مباركتك المتواصلة نحن عاجزون عن فعل أي شيء"

مرفق طيه رسمة صغيرة للمشهد من نافذة المدرسة، حيث يقف الأولاد ويشاهدون آباءهم عائدين إلى المحطة بعد الزيارة. لن ينسى أولاد عديدون أبدًا المشهد من هذه النافذة. كان لا بد أن تراها هذا الأسبوع عندما كان لدينا أيام ممطرة عنيفة، وبالذات وقت الشفق عندما تضاء فوانيس الشوارع وتنعكس أضواؤها على الطرقات المبتلة.

كان السيد ستوكس متقلب المزاج في بعض الأحيان خلال تلك الأيام، وعندما يمسي الأولاد مزعجين بالنسبة له فإنه كان يحرمهم من الخبز والشاي في المساء. كان لا بد أن تراهم وقتها، واقفين في النافذة ينظرون إلى الخارج، إنه بالأحرى مشهد حزين. لديهم القليل بخلاف طعامهم وشرابهم مما يتطلعون إليه ويجعلهم يقطعون اليوم. أود أيضًا لو تراهم وهو يهبطون الدرج المظلم ويمضون في الطرقة الصغيرة نحو المائدة. وفوق ذلك، مع هذا، تسطع الشمس الودود.

ثمة حجرة أخرى عجيبة هي تلك القاعة ذات الأرضية البالية التي تحتوي على ستة أحواض يغتسلون فيها، مع ضوء ضعيف يسقط على المغسلة من نافذة ذات لوح مكسور. إنه مشهد يبعث على الأسى، بالتأكيد. كم كنت أتمنى أن أقضي معهم أو أن أكون قد قضيت الشتاء لأرى كيف سيكون.

الصغار صنعوا بقعة زيت على رسمتك الصغيرة، فسامحهم.

هنا بعض كلمات للعم جان.

والآن طاب مساؤك، ويوما طيبًا لكل من يسأل عني. أما زلت تزور بروتشرز في بعض الأحيان؟ أبلغه تحياتي إن كنت تراه ولفيليم فالكيس أيضًا ولكلّ فرد في آل روز، ومصافحة من...

أخيك المحب،

فنسنت

«sketch A»



الطريق الملكيّ، رامسجيت

٨٤ | فيلوين، السبت ١٧ يونيو (حزيران) ١٨٧٦
إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

غادرت رامسجيت إلى لندن يوم الاثنين الماضي. إنها مسيرة طويلة حقًا، وحين غادرت كان الجو حارًا بشكل قبيح، وقد ظلّ كذلك حتى المساء، عندما بلغت كانتربري. في الأمسية نفسها أوغلت في المسير حتى وصلت إلى شجرتي دردار وزان كبيرتين بجوار بركة صغيرة، حيث جلست لأستريح لبعض الوقت. في الثالثة والنصف صباحًا بدأت الطيور في التغريد لدى رؤيتها ضوء الشفق، وواصلت طريقي. كان من الجيد أن أمشي وقتها. عند ما بعد الظهيرة وصلت إلى شاثام، حيث من مسافة عبر المروج المنخفضة الغارقة جزئيا بالمياه، وحيث تتناثر بعض أشجار الدردار هنا وهناك يرى المرء نهر التيمز غاصًا بالسفن. الطقس دائما رمادي هنا، فيما

أعتقد. وهناك قابلت عربةً أقلتني ميلين إلى الأمام، وبعدها ذهب السائق إلى نزل واعتقدت أنه سيبقى طويلًا هناك، فواصلت السير ووصلت في نحو المساء إلى ضواحي لندن المعروفة جيدًا وواصلت المسير نحو المدينة على الطرق الطويلة. وبقيت في لندن يومين كنت غالبًا أقطع المدينة من طرفها إلى الطرف الآخر لرؤية أشخاص متعددين، من بينهم أحد القساوسة كنت قد كتبت إليه رسالة. مرفق ترجمة لها، أرسلها إليك لأنك لا بد أن تعرف أن الشعور الذي يسيطر عليّ إذ أبدأ في الخارج هو "أيها الأب إني لست بمستحق!" و"أيها الأب كن رحيمًا بي!" لو وجدت أي شيء سيكون وضعيةً بين الكاهن والمبشر في ضواحي لندن بين السكان من العمال. لا تخبر أحدًا عن ذلك، يا تيو. إن راتبي لدى السيد ستوكيس سيكون ضئيلًا جدًا. ربما الإقامة والطعام فقط وبعض الوقت الحرّ للتدريس، أو إذا لم يكن هناك وقت حر فعلى الأكثر سيكون الراتب ٢٠ جنيهًا في السنة.

ولكن لأكمل: قضيت ليلة واحدة عند السيد ريد والتالية عند السيد جلادويل، وقد كانا في غاية الطيبة. وقد قبلني السيد جلادويل قبلة المساء وكان لذلك أثر جيد عليّ، ربما يجعلني ذلك في وقت ما في المستقبل أبدي صداقة أكبر نحو ولده من حين لآخر. كنت أريد أن أغادر إلى ويلوين ذلك المساء، لكنهم استبقوني بالقوة، بالمعنى الحرفي للكلمة بسبب الأمطار الهاطلة. ومع ذلك، فعندما هدأت قليلًا نحو الرابعة صباحًا، غادرت قاصدًا ويلوين. بدايةً، مسيرة طويلة من طرف المدينة إلى طرفها الآخر، نحو عشرة أميال (كل ميل يستغرق ٢٠ دقيقة) ونحو الساعة الخامسة عصرًا، كنت مع شقيقتنا، وكنت سعيدًا جدًا لرؤيتها. كانت تبدو في خير حال، وستسعد أنت في غرفتها كما حدث معي، مع "الجمعة الحزينة" و"المسيح في بستان الزيتون" و"أم الآلام"... إلخ. مع نبات اللبلاب حولها عوضًا عن الإطارات. أيها الولد الكبير، عندما تقرأ خطابي إلى ذلك الكاهن ستقول ربما: إنه ليس سيئًا في النهاية، على الرغم من أنه كذلك فعلًا. فكر به كما هو، مع ذلك بين حين وآخر. مصافحة من...

اخيك المحب،

فنسنت

سيدي القس،

ابن كاهن، مضطر للعمل لكسب العيش لا مال لديه ولا وقت للدراسة في كلية "كينجز كوليج" وهو بالإضافة لذلك أكبر بعامين من العمر الاعتيادي الذي يبدأ فيه الطلاب هناك، وهو لم يبدأ حتى الدروس التحضيرية للغة اللاتينية واليونانية، وعلى الرغم من كلّ ذلك يطمح في موقع ما ذي علاقة بالكنيسة، حتى لو كان منصب أحد رجال الكهنوت ممن لديهم تدريب جامعي في غير المتناول.

أبي كاهن في إحدى قرى هولندا. عندما كنت في الحادية عشرة بدأت في الذهاب إلى المدرسة وبقيت فيها حتى السادسة عشرة. وفي ذلك الوقت تعين عليّ أن أختار مهنة ولم أعرف ماذا أختار. وعبر مكتب أحد أعمامي وهو شريك بمؤسسة جوبيل وشركاه، تجار فنّ وناشرو أعمال مطبوعة، أخذت منصبًا في فرع لاهاي. وقد عملت للشركة ثلاث سنوات. ومن هناك انتقلت إلى لندن لأتعلم اللغة الإنجليزية، وبعدها بسنتين إلى باريس. وبسبب ظروف عديدة اضطررت لترك الشركة، وأخذت أعلّم منذ شهرين في مدرسة السيد ستوكيز في رامسجيت. ولما كان هدفي أن أكون في خدمة الكنيسة، فكان لا بد أن أنظر أبعد من ذلك.

وعلى الرغم من أني لم أتلق تعليما للكنيسة، فربما كانت حياتي الماضية مع الارتحال، والإقامة في بلدان متعددة، متعاملًا مع تنوع من البشر، الأغنياء والفقراء، المتدينين وغير المتدينين، وعملي في مهن متعددة، أيامًا من العمل اليدوي بين أيام من العمل المكتبي... إلخ. وربما يعوض أيضًا إتقاني لعدة لغات ذلك النقص في تدريبي الرسمي.

لكن ما أفضل أن أسوقه كسبب لتقديم نفسي لكم هو حبي الفطري للكنيسة وما يخص الكنيسة، وهو ما يغفو نائمًا في بعض الأوقات، لكنه يستيقظ مرارًا، ولو جاز لي أن أقول ذلك، فهي محبة الله والجنس البشري على الرغم من الشعور المظيم بعدم الصلاحية والتقصير. وأيضًا عندما أفكر في حياتي الماضية وفي بيت أبي في تلك القرية الهولندية، يخامرني شعور "أيها الأب، لقد أخطأت بحق السماء ولست مستحقا بأن أدعى ابنا لك، اجعلني واحدًا من خدمك المأجورين، وكن رحيمًا بي". عندما كنت

أقيم في لندن كنت أحضر في كنيستك أحيانًا، ولم أنسك قط. والآن أطلب منك توصية في بحثي عن منصب، وأن تنظر لي بعين العطف الأبوية علني أجد ذلك المنصب. لقد تُركت كثيرًا لنفسي، أومن أن عين عطفك ستكون في صالحي. والآن

ندى الصباح المبكر

انقشع مع الظهيرة

أشكرك مقدمًا على أي شيء تنتوي فعله لأجلي...

٨٨ | ايزلوورث، الجمعة ١٨ أغسطس ١٩٧٦

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

بالأمس ذهبت لرؤية جلادويل، حيث يمكث في المنزل لبضعة أيام. ثمة حادث حزين جدًا وقع لأسرته: سقطت شقيقته، وهي فتاة مفعمة بالحيوية بعينين وشعر داكنين في السابعة عشرة من عمرها، من فوق حصانها بينما هي تمتطيه في بلاكهيث. كانت فاقدة للوعي عندما حملوها، وماتت بعدها بخمس ساعات دون أن تسترد وعيها.

ذهبت إلى هناك بمجرد سماعي بما قد حدث وعرفت أن جلادويل بالبيت. وقد غادرت هنا بالأمس في الحادية عشرة صباحًا، ومشيت مسافة طويلة حتى لويشام. الطريق مضى من طرف لندن إلى طرفها الآخر. في الخامسة عصرًا كنت عند جلادويل. كنت لأذهب لصالة العرض الخاصة بهم أولًا، لكنها كانت مغلقة.

كانوا قد عادوا جميعًا للتو من الجنازة، كان بيت حداد حقيقيًا وقد كان من الجيد أن أكون هناك. شعرت بالإحراج والخجل لرؤية الحزن العميق والمحترم لهؤلاء الناس المحترمين.

طوبى لأهل الحداد وطوبى للمحزونين وليهنؤوا دائمًا، طوبى لأصحاب القلوب الطاهرة، فالرب يواسي البسطاء. طوبى لمن يجدون الحب في طريقهم، لمن ربطهم الرب إلى بعض برباطه، لهؤلاء من تعمل كل الأشياء لديهم معًا لصالح الخير. تكلمت مع هاري لفترة طويلة، حتى المساء، عن أشياء عديدة، عن مملكة الرب وكتابه المقدس، ومشينا روحة وجيئة على المحطة نتحدث، وتلك اللحظات قبل المغادرة ربما لن تُنسى أبدًا.

يعرف أحدنا الآخر جيدًا، عمله كان هو عملي، والناس الذين يعرفهم هناك أنا أيضًا أعرفهم، كانت حياته هي حياتي، وقد سمح لي أن أرى بعمق شؤونهم العائلية، وذلك أعتقد لأني أحبهم، ليس لأني أعرف تفاصيل تلك الشؤون ولكن لأني أعرف نبرة وشعور وجودهم وحياتهم.

فمشينا جيئة وذهابا على المحطة، في ذلك العالم اليومي، ولكن بشعور لم يكن كشعور كلّ يوم.

مثل تلك اللحظات لا يدوم طويلًا، وسريعا ما اضطررنا للافتراق عن بعضنا. كان منظرًا جميلًا أن تنظر من القطار على لندن الراقدة هناك تحت الظلام، كنيسة القديس بولص وكنائس أخرى في البعد. بقيت في القطار حتى ريتشموند ثم سرت بمحاذاة نهر التيمز حتى أيزلوورث، وقد كانت مسيرة لطيفة، على اليسار كانت المتنزهات بأشجار الحور والبلوط والدردار الباسقة، وعلى اليمين النهر يعكس تلك الأشجار. كانت ليلة جميلة وجليلة في الغالب؛ وقد وصلت إلى البيت في العاشرة والربع.

أشكرك على رسالتك الأخيرة. لم تكن قد كتبت لي أن السيدة فنسنت قد ماتت؛ كم كنت أصحبها لبيتها مساءً. أما زلت تزور بورتشرز أحيانًا؟ كم أود لو كنت قد سرت معك حتى هيفين! أقوم أحيانا بتدريس تاريخ الكتاب المقدس للأولاد، ويوم الأحد الماضي قرأت معهم الإنجيل. صباحًا ومساء نقرأ الكتاب المقدس ونترنم ونصلي، وذلك حسن. وكنا نفعل ذلك في رامسجيت أيضًا، وعندما يقوم

هؤلاء الواحد والعشرون ولدًا من أسواق لندن وشوارعها بتلاوة "أبانا الذي في السماء أعطنا خبز كفافنا" أفكر في نعيق فراخ الغربان الذي سمعه الرب، وتجعلني الصلاة معهم في حال أفضل، وأن أحني رأسي أكثر منهم ورعا عند كلمة "لا تدخلنا في التجربة ونجنا من الشرير".

ما زلت ممتلئًا بيوم الأمس؛ لا بد أنه من الجيد أن تكون أخًا للرجل الذي رأيته محزونًا للغاية بالأمس، لا بد وأن بكاء الرجال أمر مبارك، كم كنت أود لو واسيت الأب، لكنني كنت محرجًا على الرغم من أني استطعت الكلام مع الابن. كان هناك شيءٌ مقدسٌ في ذلك البيت بالأمس.

هل قرأت أبدًا "حياة من أجل الحياة"، أعتقد أن اسمه بالهولندية 'Uit het leven voor het leven'

إنه للمرأة نفسها التي كتبت "جان هاليفاكس"، كنت قد وجدته جميلًا جدًا. كيف تطورت إنجليزيتك؟

كان ممتعا السير لمسافة طويلة ثانيةً، فهنا في المدرسة نمشي قليلًا جدا. عندما أفكر في حياتي مع الصراع العام الماضي في باريس، والآن هنا، حيث لا أستطيع مغادرة البيت ليوم كامل، أو على الأقل لمسافة ليست أبعد من الحديقة، أفكر أحيانًا متى سأرجع إلى العالم؟ ولو رجعت له سيكون غالبًا نوعًا آخر من العمل غير الذي قمت به طوال السنة الماضية. أعتقد أني أفضل تدريس تاريخ الكتاب المقدس للأولاد عن المشي، يشعر المرء بالأمان أكثر معه.

والآن تحياتي لكل فرد في آل روز، ولكل من يسأل عني. كيف حال آل فان در بيرغ، وآل فان ستوكومز في بويتنهوف؟ هل تسمع أي شيء منهم؟ أصافحك وأفضل الأمنيات من...

أخيك المحب جدًا،

فنسنت

ستجد مرفقًا رسالة لموف. بإمكانك قراءتها، أومن أن من الجيد ألا ننسى معارفنا القدامى، ولذلك أكتب مجددا لبعضهم، وأيضًا هؤلاء في باريس لسوك وآخرين.

لو استطعت إقناع أي شخص بقراءة "مشاهد من حياة في الكهنوت" لإليوت، وفيليكس هولت ستكون بصدد القيام بأمر طيب. إنه كتاب رائع. قم بترشيحه لكارولين ولآل موف ولو أمكن للسيد ترستيج أيضًا.

هل يمكن أن تكتب لي في البريد العائد إذا كان الرطل الهولندي من الزبد يسوى ٨٠ سنتا، وهل هو رطل مختلف، وكم نسبته من الكيلو إذن؟

أبلغ تحياتي أيضًا للسيد والسيدة ترستيج وبيتسي

أكتب لك بين ساعات الدراسة وعلى عجلة كما ترى.

٩٦ | أيزلوورث، الجمعة ٣ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٨٧٦

إلى تيو فان جوخ (D/e)

أيزلوورث

عزيزي تيو،

لقد آن الأوان ثانية لتسمع مني. أحمدُ الرب على تعافيك، وأتوق بشدة لأعياد الميلاد. ربما يأتي ذلك الوقت دون أن نعي، حتى لو كان هناك وقت طويل.

أخوك تكلّم لأول مرة في بيت الرب يا تيو يوم الأحد الماضي، في المكان الذي كتب عنه "سيحل السلام في المكان". أنا أنسخ لك ما كان كائنًا. نأمل أن تكون مرة واحدة من عديدات قادمات.

كان يومًا خريفيًا صحوًا، ومسيرة لطيفة من هنا حتى ريتشموند بحذاء التيمز، الذي كان يعكس أشجار الكستناء بحمولاتها من الأوراق الصفراء، والسماء الزرقاء الصافية، وبين قمم الأشجار تظهر تلك الأجزاء من ريتشموند التي ترقد على التل، البيوت بأسقفها الحمراء ونوافذها التي بلا ستائر وحدائقها الخضراء، وثمة برج رمادي فوقها جميعًا، وفي الأسفل الجسر الرمادي العريض بأشجار الحور الباسقة على جانبيه، وأناس يعبرونه يبدون كأشكال سوداء صغيرة. عندما وقفت على المنبر شعرت بأني شخص يبزغ من ظلام قبو تحت الأرض لضوء النهار الودود، وإنه لرائع أن أفكر أنه من الآن فصاعدًا، أينما ذهبت فسأعظ بالإنجيل، ولكي يقوم المرء بذلك على خير وجه لا بد أن يكون الإنجيل في قلبه، ربما يتوصل لذلك. قال الله ليكن النور فكان النور. هو يقول للشيء كن فيكون، يأمر فيطاع، ويطاع سريعا. أمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمُ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا. أنت تعرف ما يكفي عن العالم يا تيو لترى كيف أن واعظًا فقيرا يقف وحيدًا بمعزل عن عناية العالم ـ لكنه يستطيع أن يوقظ فينا المزيد من وعي وحزم الإيمان. غير أني لست وحدي لأن الأب معي.

أعلمُ على من يقوم إيماني
وعلى الرغم من التبدل المستمر للّيل والنهار
فأنا أعرف الصخرة التي أقف عليها
حيث ينتظر مخلصي بلا كلل.
وعندما يدهمني ليل الحياة
مدفوعًا دومًا بالعلل والشرور
ولكلِّ يوم منحته لي
سوف أحمل إليك أسمى وأنقى معاني الثناء.
الثناء أيها المسيحي في يدك اليسرى
وفي اليمنى الرب
وعندما لا أقوى على النهوض
أو أصاب بالكروب، فثمَّ الرب

عندما تعجز اليد المُحِبة للصديق المؤمن
عن العون فثمّ الرب
في الموت والاحتضار ونهاية الحياة
نعم في كلّ مكان ثمّ الرب.

كم أتوق إلى أعياد الميلاد، ولرؤيتكم جميعًا يا صديقي، يبدو لي أنني كبرت أعوامًا في هذه الشهور الأخيرة.

تتوق روحي إلى الرب
كما يتحرق الظبي اللاهث، الهارب من الطراد
لجرعة ماء باردة منعشة من النبع الجاري
نعم، إن روحي ظمأى للرب،
يا رب الحياة، متى يُسمح لي
أن أراك وأن أمجدَ اسمك في بيتك.

لماذا تعانين يا روحي
ولماذا أنت فزعة بداخلي؟
فلترع مرةً أخرى إيمان الأقدمين
ولتهنئني بتمجيد اسمه في الأعالي
وهو سيجلو عنك كربك
ويحيله إلى سعادة
الأمل فيه وعيناي تطلع إلى السماء
ولربي سأظل أرفع التسبيح.

يا ولدي، إذا لاقتنا العلل والمصاعب فلنشكره على أخذنا نحو هذه الساعات - وخلّنا لا ننسى الوداعة، لأنه مكتوب: وَإِلَى هذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ

الرُوح وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي. بالأمس مساء ذهبت إلى ريتشموند ثانيةً، وتمشيت هناك داخل أرض محاطة بالأشجار والبيوت فوقها يرتفع البرج. كان الندى راقدًا على العشب والظلام يهبط، من ناحية كانت السماء لا تزال تحفل ببريق الشمس الآخذة في الغروب هناك، وفي الناحية الأخرى كان القمر يبزغ. كانت هناك امرأة عجوز (ترتدي الأسود) وبشعر أشيب لطيف تسير بجانب الأشجار. وفي منتصف الأرض أشعل بعض الصبية نارًا كبيرة كان المرء يراها تلتهب في البعد؛ ففكرت في هذا: وعندما يدهمني ليل الحياة، مدفوعًا دومًا بالعلل والشرور، ولكل يوم منحته لي، سوف أحمل إليك أسمى وأنقى معاني الثناء. وداعًا (بالفرنسية) ومصافحة من...

أخيك المحب،

فنسنت

تحياتي إلى السيد والسيدة ترستيج، وآل هانيبيك، وفان ستوكمز، وكل فرد في آل روز وفان إيترسون ولو رأيت أي شخص آخر أنا أعرفه.

تأثر أخوك بالفعل عندما وقف على حافة المنبر وأحنى رأسه وتلا الصلاة: أيها الأب ليكن اسمك هو بدايتنا.

يوم الخميس هذا الأسبوع أرجو أن أخطب في كنيسة السيد جونز: والرب يُلحق بالكنيسة كل يوم أولئك من يستحقون النجاة لأرواحهم، عن يوحنا وتيوجينيس.

مزمور ١١٩:١٩ "غَرِيبٌ أَنَا فِي ٱلْأَرْضِ. لَا تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ".

إنه إيمان قديم وإيمان طيب أن حياتنا كتقدم الحاج - نحن غرباء في الأرض، ولكن على الرغم من أن الأمر كذلك، فنحن لسنا وحدنا لأن الأب معنا. نحن كالحجاج وحياتنا مسيرة طويلة، رحلة من الأرض إلى السماء.

بداية هذه الحياة هكذا. هناك واحدة لم تعد تذكر حزنها وتوقها للفرح لأن رجلًا قد ولد للعالم. إنها أمنا. ونهاية رحلة حجنا هو الدخول في بيت أبي حيث توجد منازل كثيرة، وحيث كان قد ذهب قبلنا ليعد لنا المكان. نهاية هذه الحياة هي ما نسميه

الموت. إنها ساعة ثقال الكلمات ويُشعر بما هو مخبوء في غرف القلب السرية من يقف بالمرصاد، إننا جميعًا لدينا مثل هذه الأمور في قلوبنا، أو نتشاءم من أمور مماثلة. هنالك حزن في الساعة التي يولد فيها إنسان للعالم، وهناك فرح أيضًا -عميق ولا يُعبّر عنه- وامتنان عظيم يبلغ السماوات العلى. نعم فملائكة الرب يبتسمون، يأملون ويبتهجون عندما يولد إنسان في العالم. وهناك حزن ساعة الموت - ولكن هناك فرحًا أيضًا غير معبر عنه عندما تحين ساعة موت إنسان خاض حربه ببسالة. هناك من قال أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. هناك رسول سمع صوتًا من السماء يقول: طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن لكي يستريحوا من أتعابهم. وأعمالهم تتبعهم. هنالك فرح حين يولد إنسان للحياة لكن هناك فرحًا أعظم عندما تمر روح عبر محنة عظيمة، عندما يولد في السماء ملاك. الحزن أفضل من الفرح -وحتى في السرور القلب حزين- وإنه من الأفضل الذهاب إلى بيت الحداد عن بيت العرس، لأنه من حزن الملامح ينتاب القلب شعور طيب. إن طبيعتنا حزينة، لكن بالنسبة لهؤلاء من تعلموا أو بصدد تعلم النظر إلى المسيح هناك دائما سبب للفرح. إنها كلمة جيدة تلك التي قالها القديس بولس: كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ. بالنسبة لهؤلاء الذين يؤمنون بالمسيح لا يوجد موت ولا حزن غير مختلط بالأمل -ولا يأس- هناك فقط ميلاد من جديد وذهاب على الدوام من الظلمة إلى النور. هم لا يحزنون كأولئك الذين لا يملكون الأمل - الإيمان المسيحي يحيل الحياة إلى حياة دائمة الخضرة.

نحن حُجّاج في الأرض وأغراب - جئنا من بعيد وذاهبون إلى بعيد. رحلتنا تنطلق من ثدي أمنا الحبيبة على الأرض إلى ذراعي أبينا في السماء. كل شيء على الأرض يتغير-لا مدينة دائمة لنا هنا- إنها تجربة كلّ شخص: إنها إرادة الرب التي ينبغي أن نفصلها عمّا هو أعز ما لدينا على الأرض - نحن أنفسنا نتغير على نواح عديدة، فنحن لم نعد على ما كنا عليه من قبل، ولن نظلّ على ما نحن عليه الآن. من الطفولة نكبر كأولاد وفتيات -ثم شبانٍ وشابات- وإذا رزقنا الله وأعاننا إلى أزواج وزوجات، ثم آباء وأمهات بدورنا، ثم بطيئا ولكن مؤكدًا فإن الوجه الذي كان له نضارة الصباح الندي تغزوه التجاعيد، والعيون التي كانت تبرق بالشباب والسعادة تتحدث الآن عن

الحزن العميق والمخلص -على الرغم من أنها قد تحتفظ بشعلة الإيمان والأمل والخير- وعلى الرغم من أنها قد تتوهج مع روح الرب. يشيب الشعر ويتساقط -حقا- إننا نمر في الأرض عبورًا، ونعبر عبورًا في الحياة - نحن حجاج وغرباء في الأرض. العالم زائل بكل مجده. اجعل أيامنا الأخيرة أقرب إليك وبالتالي أفضل من هذه.

وعليه، فلا يجب أن نحيا أي حياة كيفما اتفق - لا، فلدينا صراع لنواجهه وحرب لنخوضها. فما الذي يجب أن نفعله: يجب أن نحب الرب بكل قوانا، وكل طاقتنا، وكل قلبنا، وكل روحنا، يجب أن نحب جارنا كمحبتنا لنفسنا. هاتان الوصيتان يجب أن نحفظهما، وإذا اتبعنا ذلك وكنا مكرسين له، فلن نكون وحدنا لأن أبانا الذي في السماوات معنا، ويساعدنا ويرشدنا، ويمدنا بالقوة يومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة. إذن فنحن نستطيع أن نفعل كل شيء من خلال يسوع الذي يمدنا بالقوة. نحن غرباء على الأرض، فلا تحجب عنا الوصايا. وافتح أعيننا حتى نستطيع أن نتأمل بدائع شريعتك، علمنا أن ننفِّذ مشيئتك، وألهم قلوبنا أن محبة المسيح تُلزمنا أننا قد نكون خلقنا لنفعل ما يجب فعله للخلاص.

على الطريق من الأرض إلى السماء
عينا جلالك ترشدنا.
نحن ضعفاء وأنت قوي
فاحمنا بيديك القويتين.

علينا أن نقارن حياتنا برحلة، نذهب من المكان الذي ولدنا فيه إلى ملاذ آمن ناء. حياتنا المبكرة يمكن مقارنتها بالإبحار في نهر، وسريعا ما يصبح الموج عاليًا، والريح عاتيةً، لنجد أنفسنا في وسط البحر قبل أن نعي ذلك - وترتفع الصلوات للرب من القلب: احمني يا رب، لأن قاربي جد صغير والبحر عظيم. إن قلب الإنسان شديد الشبه بالبحر، فله عواصفه، ومده وجزره وأعماقه ولآلئه أيضًا. وللقلب الذي يطمح للرب ولحياة الرب عواصف أكثر من غيره. لنر كيف وصف صاحب المزامير عاصفة في البحر، لا بد أنه شعر بالعاصفة في قلبه كي يصفها هكذا، نقرأ في المزمور رقم ١٠٧، النازلون إلى البحر في السفن، العاملون عملا في المياه الكثيرة. هم رأوا

أعمال الرب وعجائبه في العمق. أمر فأهاج ريحا عاصفة فرفعت أمواجه. يصعدون إلى السماوات، يهبطون إلى الأعماق. ذابت أنفسهم بالشقاء. يتمايلون ويترنحون مثل السكران، وكل حكمتهم ابتلعت. فيصرخون إلى الرب في ضيقهم، ومن شدائدهم يخلصهم. يهدئ العاصفة فتسكن، وتسكت أمواجها. فيفرحون لأنهم هدؤوا، فيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه.

ألا نشعر هكذا أحيانا في بحر حياتنا. ألا يشعر كل واحد منكم معي بعاصفة الحياة أو نذرها أو ذكرياتها؟

والآن لنقرأ وصفًا لعاصفة أخرى في البحر من العهد الجديد، كما نراها في الإصحاح السادس من الإنجيل بحسب يوحنا من الآية ١٧ وحتى الآية ٢١. "فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون عبر البحر إلى كفر ناحوم. وكان الظلام قد أقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. وهاج البحر من ريح عظيمة تهب. فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة، نظروا يسوع ماشيا على البحر مقتربا من السفينة، فخافوا. فقال لهم: أنا هو، لا تخافوا. فرضوا أن يقبلوه في السفينة. وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها". أنت يا من اختبرت أعتى عواصف الحياة، أنت يا من عَبَرت فوقك كل أمواج الرب ـ ألم تسمع عندما شلّ الخوف قلبك، الصوت المحب المعروف جيدًا، بشيء في نبرته يذكرك بالصوت الذي سحر طفولتك ـ إنه صوت الذي يسمّى المخلّص وأمير السلام، يقول وكأنه يقول لك شخصيًا: "أنا هو، لا تخافوا". لا تخف. لا تجعل قلبك يضطرب. ونحن، من كانت حياتنا هادئة حتى الآن، مقارنةً بما شعر به الآخرون ـ دعنا لا نخشى عواصف الحياة، ففي قلب أعلى الأمواج في البحر وتحت غيوم السماء الرمادية سنراه يقترب، فهو من نتوق ونتطلع إليه دائمًا، ومن نحتاجه بشدة ـ ولسوف نسمع صوته: أنا هو، لا تخافوا. ولو بعد ساعة أو موسم من الكرب أو المعاناة أو المصاعب العظمى أو الألم أو الحزن ننصت له وهو يسألنا "ألا تحبني" أيها الرب إنك تعلم كلّ شيء، وتعلم أني أحبك. فلنجعل هذا القلب عامرًا بمحبة المسيح، وربما من هنا تصدر حياة يحيطها حب المسيح. أيها الرب أنت تعلم كلّ شيء وتعلم أني أحبك. عندما ننظر إلى ماضينا نشعر أحيانًا أننا

أحببناك، لأي سبب كان. أحببناك باسمك. ألم نشعر أحيانا كالأرملة أو كاليتيم -وفي الفرح والرخاء أيضًا، وربما أكثر مما في حالات الحزن- بسبب التفكير بك.

الحق أن أرواحنا تنتظرك أكثر مما هي تتطلع إلى الصباح- عيوننا مرفوعة نحوك، أنت يا من تسكن السماوات. في أيامنا أيضًا يمكن أن يكون هناك شيء كالتطلع إلى الرب.

ما الذي نبتغيه في الرب -أهو أمر عظيم؟ نعم إنه أمر عظيم، السلام لأرض قلوبنا، والراحة لأرواحنا- أعطنا ذلك الشيء الوحيد ثم لن نرغب في المزيد، نستطيع أن نمضي دون أمور كثيرة، نستطيع أن نعاني أمورًا عظيمة من أجل اسمك. نريد أن نعرف أننا لك وأنك لنا، نريد أن نكون مسيحيين. نريد أبا، وحبًا لأب، وقبولًا لأب. ولتجعل تجربة الحياة أعيننا فريدةً ومتطلعة نحوك. اجعلنا نتطور إلى الأفضل كلما تقدمنا في الحياة.

لقد تحدثنا عن العواصف في رحلة الحياة، والآن لنتحدث عن هدوء ومباهج الحياة المسيحية. وبعد، يا صديقي العزيز، دعنا نتشبث عوضًا بفترات المتاعب والعمل والحزن، فحتى الهدوء له غدره أحيانًا.

للقلب عواصفه، له فترات مذلته، ولكن له أيضًا نعيمه وحتى أيام مجده. هناك وقت للنحيب وللصلاة، لكن هناك أيضًا وقت الاستجابة للصلاة. "عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنم."

القلب الذي يصاب بالدوار
قد يمتلئ حتى يفيض
ومن يحملونه قد يخمنون ولا يعرفون
أن الرب عند ينابيعه
بعيدًا تهطل أمطاره.

أحملك سلامي - وقد رأينا كيف أن السلام قد يحل حتى في العاصفة. ولنشكر الرب الذي منحنا نعمة الميلاد والحياة في بلد مسيحي. وهل ننسى تلك الأوقات

الذهبية لأيامنا الأولى في البيت، ومنذ غادرنا ذلك المنزل ـ لأن العديد منّا عليهم أن يغادروا هذا المنزل ليكسبوا عيشهم ويشقوا طريقهم في الحياة. ألم يأخذنا "هو" إلى هنا، وهل نقصنا أي شيء. نحن مؤمنون يا رب فلتعنا على ضعف إيماننا. ما زلت أذكر النشوة، ودهشة الفرح التي شعرت بها، عندما أمعنت النظر في حياة أبويّ، عندما شعرت بفطرتي كم هما مسيحيان. وما زلت أشعر بذلك الشعور بالشباب الأبدي والحماس الذي ذهبت به إلى الرب قائلًا "سأكون مسيحيًا أنا أيضًا".

هل نحن صرنا إلى ما كنا نحلم به؟ لا، تظل أحزان الحياة، وتمدد أمور الحياة اليومية وواجباتها، وهي أكثر مما توقعنا، تحجب دافعنا للانطلاق هنا وهناك في العالم. لكنه ليس ميتًا هو فقط نائم. الإيمان والحب القديم للمسيح قد ينام فينا لكنه لا يموت والرب يوقظه. ولكن أن تولد من جديد في حياة الأبدية، حياة الإيمان، والأمل والخير ـالحياة دائمة الخضرةـ في حياة مسيحي لحياة رجل عامل بالمسيحية فذلك هبة من الرب، ومن عمل الرب، الرب وحده. فدعنا نحرث أرض قلبنا، دعنا نلقِ بشباكنا مرةً أخرى ـولنجرب مرةً أخرىـ الرب يعلم نية الروح، الرب يعرفنا أكثر مما نعرف أنفسنا لأنه قد خلقنا ولم نخلق أنفسنا. هو يعرف إلام نحتاج تحديدًا وهو يعرف ما هو صالح لنا. فليبارك بذرة كلمته التي زُرِعت في قلوبنا.

بمساعدة الرب سنجتاز الحياة. مع كل غواية سيعطينا طريقًا للهرب.

أيها الأب نصلي لك لا لتخرجنا من الحياة لكن لتنجينا من الشرير. لا تعطنا الفقر ولا الغنى، وأعطنا خبز كفافنا. واجعل أغنيتك هي مسرتنا في منازل حجنا. يا رب آبائنا كن ربنا: وليكن ناسهم هم ناسنا، وإيمانهم هو إيماننا. نحن غرباء في الأرض، لا تخف عنا وصاياك ولتدعمنا بمحبة المسيح. ولتحفظنا من التخلي عنك أو من الامتناع عن الالتحاق بك. شعبك هو شعبنا، وأنت ربنا.

حياتنا هي تقدم حاج. رأيت مرة صورةً جميلةً، كانت منظرًا طبيعيًا في المساء. وعلى البعد، على اليمين كان ثمة صفٌ من تلال تبدو زرقاء في ضباب المساء. وفوق هذه التلال روعة الغروب، الغيوم الرمادية وطبقاتها من الفضي والذهبي والبنفسجي.

والمشهد لسهل أو أرض منبسطة مغطاة بالحشائش ونبات الخلنج، جذوع شجر البتولا البيضاء تتناثر هنا وهناك بأوراقها الصفراء، لأنها في الخريف. وعبر المشهد ثمة طريق يقود إلى جبل عال وبعيد بعيد، وعلى قمة الجبل مدينة تضفي عليها الشمس الغاربة مجدًا. وعلى الطريق يسير حاج بعصا في يده. كان يسير منذ فترة طويلة مضت وهو متعب جدًا. والتقى الآن بامرأة، جسم متشح بالسواد يجعل المرء يفكر في كلمة القديس بولس "كحزانى ونحن دائمًا فرحون" ذلك الملاك أرسله الرب هناك ليشجع الحاج ويجيب عن أسئلته:

وسألها الحـــاج: هل الطريق يصعد التل إلى النهاية؟

وكانت الإجابة: نعم حتى آخر النهاية.

وســـأل ثـانيــة: وهل تستغرق الرحلة طول اليوم؟

وكانت الإجابة: من الصباح وحتى المساء يا صديقي...

وواصل الحاج كحزين لكنه دائما فرح، حزين لأنه بعيد والطريق طويل. وكله أمل إذ يتطلع إلى مدينة الأبدية في البعيد متألقة في ضوء المساء، وتذكر قولين سمعهما منذ زمن بعيد ـ أولهما يقول:

لا بد أن يكون هناك الكثير من الصراع لنخوضه
لا بد أن يكون هناك الكثير من المعاناة لنعانيها
لا بد أن يكون هناك الكثير من الصلوات لنصليها
ولكن في النهاية هناك السلام.

والآخر:

الماء يصل حتى الشفاه
لكن ألا يصل لأعلى من ذلك.

ويقول، سأكون متعبًا أكثر فأكثر ولكن أقرب وأقرب منك. أليس الإنسان صراعًا على الأرض؟ لكن هناك عزاء من الرب في هذه الحياة. ملاك من الرب يربح

الإنسان - إنه ملاك الخير. دعنا لا ننساه. وعندما يذهب كل منا لأموره اليومية وواجباته اليومية، دعنا لا ننسى - أن الأشياء ليست ما تبدو عليه، وأن الرب يعلمنا أشياء سامية من خلال أمور الحياة اليومية، أن حياتنا هي رحلة حج وأننا غرباء في الأرض، وأننا لدينا رب وأب يحفظ الغرباء وأننا جميعًا إخوة.

آمين

والآن لتكن معنا نعمة الرب يسوع المسيح، وحب الله الأب ورعاية الروح القدس إلى الأبد.

آمين

(قراءة المزمور رقم ٩١ من الكتاب المقدس)

مضروب بالرياح العاتية قد أغشاني الخوف
وفوق العاصفة بنعومة ووضوح
ما ذلك الصوت الخفيض يحيي أذني
" أنا هو، لا تخافوا"

إنه أنا من غسل روحك ونقاها
إنه أنا من أعاد البصر للأعمى
إنه أنا الرب والحياة والنور
"أنا هو، لا تخافوا"

تلك الريح العاتية والبحر المائج
قد أعملوا طاقتهم القاتلة فيّ
ولا يملكون أي زفرة غضب تجاهك
"أنا هو، لا تخافوا".

تلك الكأس المرّة التي جرعتها في البداية
لتعلم أنها لم تكن ملعونة
اليد التي تمنحك إياها مثقوبة
" أنا هو، لا تخافوا"

وعندما ترتاح قدماك في الجهة الأخرى
وسط آلاف الترحابات يا عزيزي
صوت معروف جيدًا سيحيي قلبك
"أنا هو، لا تخافوا"

عيناي تنظران عبر فراشك
وذراعاي تحت رأسك
وبركتي تحيط بمظلتك
"أنا هو، لا تخافوا"

أصافح أفكارك مرة أخرى ـ بالأمس مساء كنت في تونهام جرين بدلًا من السيد جونز، الذي كان متوعكًا. وقد مشيت هناك مع الابن الأكبر، في السابعة عشرة، لكنه من طولي نفسه وله لحية. سيلتحق بالأعمال لاحقًا، أبوه يملك مصنعًا كبيرًا؛ هو يملك قلبًا مخلصًا وحساسًا، ورغبة قوية في الدين، وكله أمل ورغبة في أن يصنع الخير للعمال لاحقًا في الحياة، وقد رشحت له فيلكس هولت بقلم إليوت. كان وقتًا جميلًا في المتنزه مع أشجار الدردار القديمة تحت ضوء القمر والندى على الحشائش. وقد كان جيدا بالنسبة لي التحدث في الكنيسة الصغيرة، إنها كنيسة صغيرة من الخشب. إلى اللقاء يا تيو. إلى اللقاء أيها الولد الكبير. أرجو أن يكون ما كتبته جديرا بقراءتك. ابق صامدًا وتعافَ سريعًا.

٩٩ | ايزلوورث، السبت ٢٥ نوفمبر ١٨٧٦
إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك الأخيرة، التي استلمتها مع واحدة أخرى من إيتن. إذن فقد عدت إلى قاعة العرض. افعل ما تستطيعه، وبكل قوتك، ولن تخفق أعمالك وصلواتك في الحصول على البركة. كم وددت لو واصلت السير حتى هيت هايكي وسبراندل مع أول الثلوج. ولكن قبل أن أمضي قدمًا سأرفق لك قصيدتين ستحبهما دون شك.

رحلة الحياة
عاشقان بجوار نبع تكسوه الطحالب
وقد مالا بوجناتهما الفضة
فامتزج شعرهما الداكن والمشمس
وسمعا همس تغريد السمان
يا لوقت الإزهار
يا لبدايات الحب الرائعة.

اثنان اقترنا منذ عتبات الدخول
وتصدح الأجراس في سعادة
فيما تنعس البتلات على الممر
يا للعروس ذات العين الصافية
يا للزهو الرقيق.

وجهان ينحنيان على مهد
ويدان فوق رأس معقودتان

تضغط إحداهما الأخرى بينما تهدهدانه
يشهدان حياة أرسلها الحب
يا للحظة الجليلة
يا للقوة الخفية.

أبوان بجوار نار المساء
واللهب الأحمر يضيء حتى ركبهما
وعلى رأسيهما اللذين ارتفعا ببطء
كالبراعم على قمم الزنابق
يا لحياة الصابرين
يا للصراع الرقيق.

لا يزال الاثنان جالسين هناك
النور الأحمر يبرق على ركبتيهما
ولكن كل الرؤوس وببطء
قد غادرت وتركت هذين الزوجين الوحيدين
يا للرحلة السريعة
يا للماضي المنفي.

النور الأحمر يبرق على الأرضية
فتتسع المسافة بينهما
ليجذبان المقعدين ليتقاربا
فيتقارب وجهاهما الشاحبان، ليقولا: "مرة أخرى"
يا للذكريات
يا للماضي الذي كان.

المقاعد الثلاثة
يجلسان وحدهما بجوار نار الحطب الزاهية
السيدة ذات الشعر الأشيب والشيخ
يحلمان بأيام خلت
فتتساقط الدموع على الخدود المتغضنة
ويعتقد كلاهما أنهما عاجزان عن الكلام
فيطلق كل قلب زفرةً.

وتتبدى للعيون الحزينة الدامعة
ثلاثة كراس صغيرة اصطفت إلى جانب بعضها
بجوار الجدار في حجرة الجلوس
بطرازها القديم تقبع هناك
بمقاعدها السوسنية وأطرها الخشبية
وظهورها المستقيمة الطويلة.

ثم هز السيد رأسه الفضي
وبصوت مرتعش قال برقة
"يا أم، تلك الكراسي الشاغرة
تجلب لنا أفكارًا شديدة الحزن هذه الليلة،
سنضعها وإلى الأبد خارج نطاق الرؤية
في الحجرة الصغيرة المظلمة بالأعلى".

فأجابت هي: لا يا أب، ليس بعد
فأنا أنظر إليها وأنسى
أن الأطفال قد رحلوا بعيدًا
يرجع الولدان وماري أيضًا

بمريولها الأزرق ذي المربعات
ويجلسون هنا كلّ يوم.

لا يزال جوني يصنع صواري سفنه الخشبية الطويلة
وويلي يقذف طلقات اللهو الرصاصية
فيما ماري تواصل أشغال التطريز بالإبرة
في وقت المساء ثلاث صلوات طفولية
تصعد إلى الرب من هذه الكراسي الصغيرة
همسًا فلا يدري أحد بذلك.

يعود جوني من البحار المتلاطمة
ويستيقظ ويلي من نوم أرض المعركة
ليقولا لي ليلة سعيدة
ماري ليست أكثر من زوجة وأم
ليست أكثر من طفلة متعبة انتهى وقت لعبها
تجيء لتستريح على حجري.

فدعها باقية هناك حتى لو كانت شاغرةً الآن
وفي كلّ مرة نخشع وحدنا
أمام عرش الأب لنصلي
سنطلب لقاء الأبناء في الأعلى
في بيت الخلاص والراحة والحب
حيث لا يغادر الأبناء أبدًا.

في رسالته كتب أبي، بين أشياء أخرى: "في تلك الظهيرة كان عليّ الذهاب إلى هوفن، فطلبت الأم عربة أجرة لكنها لم تستطع المجيء، لأنهم لم يكونوا قد صنفروا

حدوات الخيل بعد ـ ولذا فقد قررت الذهاب سائرًا والعم جان الطيب لم يرد أن يتركني أمشي بمفردي، فجاء معي. وقد كانت رحلة صعبة، لكن العم جان قال عن حق: إن الشيطان ليس أسود للدرجة التي لا تستطيع معها النظر في وجهه. وبالفعل فقد وصلنا إلى هناك وعدنا سالمين، على الرغم من الرياح العاصفة، المصحةوبة بأمطار صقيعية، فكانت الطرق زلقة كالجليد، ولا أستطيع أن أصف كم كان رائعًا أن تجلس مرتاحًا في غرفة جميلة ودافئة في المساء، لتستريح بعد العمل ـ كان العزيز تيو لا يزال معنا وقتها.

هل نذهب، نحن أيضًا، مرةً أخرى إلى كنيسة ما بهذه الطريقة. كحزانى ونحن فرحون فرحة دائمة لأننا الفقراء في مملكة الرب، لأننا وجدنا في المسيح صديقا لعمرنا هو أقرب لنا من شقيق، وهو سيصحبنا إلى نهاية الرحلة كمن يصحبنا لباب بيت الأب. فليضمن لنا الرب ذلك – فما قد صنعه الرب قد صنع عن حق.

مساء الأحد الماضي ذهبت إلى قرية بيترشام على نهر التيمز. وفي الصباح كنت في مدرسة الأحد بترنهام جرين، وذهبت بعد الغروب من هناك إلى ريتشموند ثم إلى بيترشام. هبط الظلام مبكرًا ولم أكن متأكدًا من الطريق، كان للمفاجأة طريقًا موحلًا فوق ما يشبه الجسر أو المرتفع فوق تل مغطى بأشجار الدردار المتشابكة والخمائل. وفي النهاية لمحت أسفل المرتفع ضوءا في منزل صغير، فسارعت خائضًا إليه، وهناك دلوني على الطريق.

لكن أيها الولد الكبير، كانت هناك كنيسة جميلة وصغيرة خشبية ذات ضوء خافت في نهاية الطريق المظلم، قرأت من كتاب الأعمال الإصحاح الخامس من آية ١٤ حتى ١٦، ومن الإصحاح الثاني عشر من آية ٥ وحتى ١٧، وبطرس في السجن، والإصحاح العشرين من كتاب الأعمال من آية ٧ حتى ٣٧، وموعظة بولس في مقدونيا، ثم حكيت قصة يوحنا وتيوجينس مرةً أخرى. كان هناك أورغون في الكنيسة، تعزف عليه امرأة شابة هي مدرِّسة داخلية كانت تحضر القداس.

في الصباح كان الطقس بديعًا في أثناء الطريق إلى تورنهام جرين، أشجار الكستناء والسماء الزرقاء الصافية وشمس الصباح كانت منعكسة على مياه التيمز، وكان العشب في مجد اخضراره، وفي كل مكان فيما حولي صوت أجراس كنيسة. في اليوم السابق كنت قد ذهبت في رحلة طويلة إلى لندن، غادرت هنا في الرابعة صباحًا ووصلت عند هايد بارك في السادسة والنصف، كان الضباب مخيمًا على العشب والورق يتساقط، ومن بعيد كان المرء يرى الأضواء المرتعشة لفوانيس الشوارع التي لم تكن قد أطفئت بعد، وأبراج دير ويستمنستر ومبنى البرلمان، والشمس تشرق حمراء في غبش الصباح - ومن هناك ذهبت إلى وايتشابيل، ذلك الحي الفقير بلندن، ثم لتشانسري لين وويستمنستر، ثم إلى كالفام لزيارة السيدة لوير مرةً ثانية، كان عيد ميلادها في اليوم السابق. هي بحق أرملة في قلبها تنام مزامير داوود وسفر أشعيا لم يموتا. إن اسمها مكتوب في كتاب الحياة. وأيضا ذهبت إلى منزل السيد أوباتش لأرى زوجته وأطفاله مرةً ثانية. ثم من هناك إلى لويشام حيث وصلت لدى آل جلادويل في الثالثة والنصف. كانت ثلاثة أشهر بالضبط قد مضت منذ كنت هنا ذلك السبت الذي دُفنت فيه ابنتهم، قضيت معهم نحو ثلاث ساعات، وأفكار من كل نوع خطرت لنا جميعًا، أكثر مما يمكن التعبير عنه. وهناك أيضا كتبت لهاري في باريس. أتمنى أن تراه في وقت ما.

ربما يكون جيدًا أنك ستذهب أنت أيضًا إلى باريس في وقت ما. تلك الليلة عدت إلى هنا في العاشرة والنصف. قطعت جزءا من الطريق بقطار الأنفاق. لحسن الحظ قد تلقيت بعض المال من أجل السيد جونز. أعمل حاليًا على المزمور ٤٢ : ١، روحي ظمأى للرب، للرب الحي. في بيترشام أخبرت جماعة المصلين أنهم قد يسمعون لغةً إنجليزية فقيرة، لكن عندما تحدثت تذكرت الرجل في الأمثال الذي قال "كن صبورًا معي وأنا سأتكفل بكل شيء" الرب يساعدني.

رأيت لوحة لدى السيد أوباش، أو بالأحرى تخطيطًا لبوتون: تقدم الحجاج. لو استطعت الحصول على كتاب تقدم الحجاج لبونيان، فهو يستحق القراءة جدًا. من ناحيتي فقد أحببته بقلبي وروحي.

إنه المساء الآن، وأنا ما زلت أعكف على بعض العمل لآل جلادويل في لويشام، أنسخ بعض الأشياء... إلخ. يجب على المرء أن يطرق الحديد وهو ساخن وأن يرقق القلب الإنساني عندما يتحرق في داخلنا. في الغد سأذهب إلى لندن ثانية للسيد جونز. تحت هاتين القصيدتين: رحلة الحياة، وثلاثة الكراسي الصغيرة يجب أن يكتب المرء: "لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ."

إذن فليكن. أصافحك فكريًا، وبلغ تحياتي للسيد والسيدة ترستيج ولكل فرد في آل روز وآل هانيبيك وآل فان ستوكم وآل موف. الوداع (بالفرنسية).

أخوك المحب،

فنسنت

«sketch A»



الكنائس الصغيرة في بيترسهام وتورنهام جرين

١٠٢ | دوردرخت، الأربعاء ٧، والخميس ٨ فبراير (شباط) ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

كانت تكلفة آدم بيد ٢.٦٠ جيلدر، وها أنا أعيد لك هنا ١.٤٠ جيلدر تجدها مرفقةً طيّه. والآن أتمنى فقط أن يسبب لهم بعض المتعة في البيت، ولا أشك في أنه سيفعل.

أشكرك على رسالتك، التي جعلتني سعيدًا جدًا. في المرة القادمة عندما نلتقي سينظر كل منا للآخر في عينه مباشرةً. أحيانا أفكر: كم هو رائع أن لنا الأرض نفسها تحت أقدامنا وأننا نتكلم اللغة نفسها.

الأسبوع الماضي حدث فيضان هنا. وأنا عائد من المتجر بين الثانية عشرة والواحدة، أخذت منحنى آخر حول جروت كيرك. كانت الريح تعصف بشجر الدردار المحيط به والقمر بازغًا بين الغيوم المطيرة ومنعكسًا على ماء القناة التي كانت قد امتلأت حتى حافتيها. في الثالثة فجرًا كنا جميعًا نسرع نحو بقالة ريياكن التي تقع في البيت الذي أسكنه نفسه، نحمل الأشياء للأدوار العلوية من المتجر، لأن الماء كان قد بلغ ارتفاعه ذراعًا داخل البيت. كانت هناك فوضى، وفي كل غرف الدور الأرضي كان الناس مشغولين بنقل ما يستطيعونه إلى الأدوار العليا، وثمة قارب صغير يبحر في الشارع. وفي الصباح، عندما بدأ الضوء في البزوغ، رأى المرء مجموعة من الرجال عند نهاية الشارع يخوضون الواحد خلف الآخر نحو المخازن. هناك أضرار كثيرة، الماء دخل أيضًا إلى المكان الذي يحفظ فيه السيد برات أوراقه و... إلخ. ليس بسبب الفيضان لكن بسبب الضغط القادم من تحت الأرض.

قال السيد برات إن ذلك سيكلفه الكثير من المال. وقد استغرقنا يوما ونصفًا لنقل الأشياء إلى شقة في الدور العلوي. العمل بيديك هكذا ليوم كامل هو تغير

محمود، وللأسف فقد كان لذلك السبب. كان لا بد أن ترى الشمس وهي تغرب ذاك المساء، كانت الشوارع تبرق كالذهب، بالطريقة التي اعتاد كيب أن يرسمها بها.

أتوق للحصول على صندوقي، وهو في الطريق، وذلك لكي أُعلّق بعض المطبوعات على حائطي مرةً ثانيةً. لدي الآن "المسيح المواسي" التي أعطيتها لي، وقطعتان من الحفر الخشبي، عنوانهما "العشاء في عمواس": "امْكُثْ مَعَنَا، لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ" والأخرى "الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور"؛ "عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنم". قد يجيء وقت في الحياة يكون المرء متعبًا من كلّ شيء، إذا جاز التعبير، ويخامره الشعور بأن كلّ ما يفعله خاطئ، وهناك بالتأكيد بعض الحقيقة في ذلك – هل هو شعور يجب على المرء أن يتحاشاه أو يقمعه، أم أنه بالأحرى "الحزن الذي بحسب مشيئة الله" الذي لا يجب أن يخشاه المرء ولكن النظر بعناية ما إذا كان يمكن أن يجبرنا على فعل الخير ـ هل يمكن أن "الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة"؟ وفي الأوقات المماثلة التي يشعر فيها المرء بالتعب من نفسه، قد يفكر بانتباه في الأمل والحب في كلمات "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ". "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم، ويتبعني". في أوقات مماثلة قد يفكر المرء جيدًا في "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ". لو تركنا أنفسنا لنتعلم من تجربة الحياة وقادنا "الحزن الذي بمشيئة الرب" فقد تنبع حياة جديدة من القلب المتعب. لو كنّا أخيارًا ومتعبين، فسوف نؤمن بالرب بحزم، وسوف نجد في المسيح، كلمته، صديقًا ومواسيًا. ثم قد يكون وقت نستشعر فيه "كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا."، عندما نشعر شيئًا مثل "لأن غيرة بيتك أكلتني" و"إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" وعندما نعرف ثانية ما معنى أن تكون وطيد الروح. عندها لن يذوي الأمل أبدًا.

دعنا لا ننسى "الأشياء التي سمعناها منذ البدء"

في البدء كان الكلمة، والكلمة كانت مع الله، والكلمة كانت الله، وأحب الله العالم حتى إنه منحه ابنه الوحيد، لأن من يؤمنْ به لا يفنَ وتكُن له الحياة الأبدية. لا شيء سيفرقنا عن محبة المسيح، لا شيء في الحاضر أو في المستقبل.

افرح في الأرض ومجد الربَّ في الأعالي
وخلِّ دموع الشكر تفيض من عينيك
من أجله ذلك المحاط بالبركات
في ذلك اليوم السعيد احتفل
بأعظم من رآه العالم حتى الآن
متوهجًا في أفقه.

لا تزال تُرحب بنا
هذه الليلة المباركة
حيث النجوم بسناها البهيّ
السماوي بصوت واحد تدعونا
بمجيء المسيح فلتفرحوا.

أعلم على من إيماني يقوم
وعلى الرغم من التبدل المستمر للّيل والنهار
فأنا أعرف الصخرة التي أقف عليها
حيث ينتظر مخلصي بلا كلل.
وعندما يدهمني ليل الحياة
مدفوعًا دومًا بالعلل والشرور
ولكل يوم منحته لي
سوف أحمل إليك أسمى وأنقى معاني الثناء.

كما يتحرق الظبي اللاهث، الهارب من الطراد
لمتعة جرعة ماء باردة من النبع الجاري
كذا تتوق روحي للرب
نعم، إن روحي ظمأى للرب،
يا رب الحياة، متى يُسمح لي
أن أراك وأن أجد اسمك في بيتك.

لماذا تعانين يا روحي
ولماذا أنت قلقة بداخلي؟
فلترع مرة أخرى إيمان الأقدمين
ولتهنئي بتمجيد اسمه في الأعالي
وهو سيجلو عنك كربك
ويحيله إلى سعادة
الأمل فيه وعيناي تطلع إلى السماء
ولربي سأظل أرفع التسبيح.

الأمل لن يتلاشى إلى الأبد.

صباح يوم الأحد الماضي كنت في الكنيسة الفرنسية التي هنا، وهي جادة جدا ومعتبرة وبها جاذبية كبيرة. كان النص "تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ" ونهاية الموعظة كانت "إن نسيتك يا أورشليم تنسَ يميني".

وبعد الكنيسة أخذت جولة لطيفة فوق ممشى يمر أمام الطواحين، وكانت السماء رائعة فوق المرتفعات وتنعكس على المصارف الضيقة. هناك أشياء مثيرة في بلدان أخرى، كالساحل الفرنسي الذي رأيته في دييب – الجروف الطباشيرية المكسوة بالعشب الأخضر ـ البحر والسماء ـ المرفأ بمراكبه القديمة كما صوره دوبيني، بشبَاك وأشرعة بُنّية، البيوت الصغيرة التي تضم زوجًا من المطاعم بستائر بيضاء صغيرة وفروع من

الصنوبر الأخضر على النافذة ـ العربات بخيولها البيضاء والأرسنة الزرقاء الكبيرة المزينة بشراريب حمراء ـ السائقون بأرديتهم الزرقاء، والصيادون بلحاهم وملابسهم المزينة والنساء الفرنسيات ذوات الوجوه الشاحبة والعيون العميقة نوعًا ما، بثياب سوداء وقلنسوات بيضاء، أو كشوارع لندن تحت المطر بمصابيحها، وقضاء الليل هناك على درجات كنيسة رمادية صغيرة وقديمة، كما حدث لي ذاك الصيف بعد الرحلة من رامسجيت ـ بالتأكيد هناك أشياء مثيرة في بلدان أخرى أيضًا ـ لكن يوم الأحد الماضي عندما كنت أمشي بمفردي على ذلك الممشى، فكرت كيف هي عظيمة التربة الهولندية، وشعرت بشيء مماثل لـ "فَالآنَ فِي قَلْبِي أَنْ أَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ الرَّبِّ.." ـ لأن ذكريات الماضي قد حضرتني ومن بينها كيف كنا نمشي مع أبينا لرياسبيرجن وما بعدها في أواخر أيام فبراير (شباط) نسمع صوت القُبَرات فوق الحقول الداكنة المزروعة بالقمح الأخضر، والسماء الزرقاء المتلألئة بغيومها البيضاء فوقنا، ثم الطريق المرصوف والمحفوف بشجر الزان، آه أورشليم أورشليم أو بالأحرى آه زونديرت آه زونديرت! من يعرف ربما نمشّينا معًا على شاطئ البحر هذا الصيف؟ حقيقة لا بد أن نظلّ أصدقاء أوفياء يا تيو، وبكل بساطة نؤمن بالرب ونثق بإيمان أبينا فيه هو القادر فوق كل شيء على تلبية ما نسأل عنه أو نفكر فيه، من يستطيع أن يقرر لأي درجة تصمد النعمة؟

تهانئي القلبية من أجل اليوم، إنها الواحدة والنصف صباحًا الآن وبذلك فقد أصبحنا يوم ٨ فبراير(شباط). ليحفظ الرب أبانا لنا لفترة طويلة، وليربط واحدنا بالآخر برباط وثيق ولتجعل محبتنا له ذلك الرباط يزداد قوة".

كتب لي أبونا أنه قد شاهد طيور الزرزور بالفعل، هل تذكر كيف كانت تحط في الكنيسة في زونديرت؟ لم أر منها هنا بعد، مع ذلك فهناك الكثير من الغربان في كنيسة جروت كيرك في الصباحات. الآن قد عاد الربيع تقريبًا وستعود القبرات مرة ثانية "وتجدد وجه الأرض" وذلك مكتوب، إنه يجعل كل الأشياء تتجدد، وكما يجدد وجه الأرض، فهو قادر على تجديد وتدعيم روح الإنسان وقلبه وعقله ـ طبيعة كل ابن حقيقي تماثل ذاك الذي في المثل الذي " كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ". دعنا لا ننسى كلمة " كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ"، "كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ" واكتب كلمة -woe

spiritedness ككلمتين woe وspiritedness. وآمن بالرب الذي يستطيع في زمنه الخاص أن يبدد وحدتنا تلك التي قد نشعر بها في بعض الأوقات بقوة حتى في وسط الصخب، وهو من قال عنه يوسف "أَنْسَانِي كُلَّ تَعَبِي وَكُلَّ بَيْتِ أَبِي" ولم يكن يوسف قد نسي أباه - أنت تعرف ذلك بالطبع، لكنك أيضًا تعرف ما يعنيه بهذه الكلمات. كن بخير، وأبلغ تحياتي لكلّ فرد في آل روز، وبالخصوص للسيد ترستيج وزوجته، وتقبل مصافحتي، وصدقني.

أخوك المحب،

فنسنت

قل للسيد ترستيج ألا ينزعج بسبب غياب نماذج الرسومات لفترة طويلة، إنها للمدرسة العليا، وقد اختاروا ٣٠ منها بالفعل، لكنهم ما زالوا بحاجة لاختيار بعضها للمدرسة الثانوية، لذلك فهم بحاجة للاحتفاظ بها لأسبوع آخر أو نحو ذلك، وسيرجعونها في أقرب وقت ممكن.

يا صديقي القديم، أرسل إليّ تلك الصفحة من ميشليه مرةً ثانية، تلك التي أرسلتها في المرة الأولى في قمطري داخل الصندوق وأنا أحتاجها مرةً أخرى. اكتب لي مرة ثانية قريبًا.

١٠٦ | دوردريخت، ٨ مارس ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

لا تجعل أيًا من هذه الأمور تهزك.

اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ.

شكرًا على رسالتك، اجعل قلبك طيبًا، وهو سيقوي قلبك. استلمت اليوم رسالةً طويلة من البيت يسألني فيها أبي إذا كان يناسب كلينا أن نذهب إلى أمستردام يوم الأحد القادم لنزور العم كور. لو كان مناسبًا لك فسوف أمر عليك في لاهاي يوم السبت ليلًا في القطار الذي يصل بعد الحادية عشرة بدقائق، وفي الصباح نأخذ أول قطار إلى أمستردام ونمكث حتى المساء.

علينا أن نفعل ذلك، يبدو أبي متحمسًا جدًا للفكرة، إننا سنكون معًا ثانيةً في الأحد القادم. هل هو متاح أن أبقى معك تلك الليلة؟ إن كان لا فسأذهب إلى تولاست. اكتب لي بطاقة بريدية الآن إن كنت توافق، وخلنا نبقَ قريبين أحدنا للآخر.

مرفق بعض الكلمات للعم كور، أضف إليها من عندك لو أحببت. الوقت قد تأخر، ما بعد ظهيرة اليوم تمشيت، لأنني شعرت بحاجة ماسة إلى ذلك، في الأول حول كنيسة جروت كيرك ثم حول نيو كيرك ثم إلى ذلك الممشى الذي تبدو من عليه كلّ تلك الطواحين في الأفق إذا سار المرء بطول شريط السكة الحديدية. هناك الكثير من الأشياء التي تتكلم في هذا المشهد الطبيعي الفريد وفي هذه النواحي، وكأنها تقول "كن شجاعًا ولا تخف".

هناك أيام في حياة المرء تعاني فيها كل أعضائه لأن عضوًا واحدًا يعاني، وحيث يكون هناك "حزن إلهي" فالرب ليس ببعيد، فهو الذي سيحملنا. لو كنت تؤمن بذلك، فدعنا في تلك الأيام نرغب بحماس ونطلب أشياء نتمنى حدوثها، فربما استجيب لنا. وهل لك أن تدعو لي أن أجد طريقًا أكرس له حياتي، بأكثر مما هي الحالة الآن، لخدمته وخدمة الإنجيل؟ أواصل الإصرار وأنا واثق أنه سيُستجاب لي، أقول ذلك بكلّ خشوع وأنا أركع، إذا جاز التعبير. إنه أمر هام وصعب للغاية، وأنا بالفعل أرغب فيه. قد يقول المرء إنّه من المستحيل إنسانيًا، ولكن إن فكرت فيه بجدية أكبر وغصت تحت ما هو مستحيل إنسانيًا، عندها فإن روحي تتطلع بالفعل نحو الرب، لأنه غير مستحيل بالنسبة له هو من يتكلم فينفذ، من يوصي فيكون، ويكون بسرعة. آه يا تيو، أيها الولد العزيز، لو أنها فقط تحدث لي ويرفع عن كاهلي ذلك الطوفان من الاكتئاب بسبب كل ما أخذته على عاتقي وفشلت فيه، وذلك السيل من

التأنيب الذي سمعته وشعرت به، ولو أنني أعطيت الفرصة والقوّة والحب اللازم للتطور والمثابرة والوقوف صامدًا في مواجهة ذلك وهو ما كنا سنقدم أنا وأبي من أجله شكرنا العميق للرب. أصافحك بأفكاري وتحياتي لكلّ فرد في آل روز، وادعُ لي في يومك وصدقني دائمًا.

اخوك المحب جدًا،

فنسنت

١٠٩ | دوردريخت، الجمعة ٢٣ مارس (آذار) ١٨٧٧

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أردت التأكد أنك تستلم الخطابات في أثناء رحلتك. يا له من يوم طيب ذلك الذي قضيناه معًا في أمستردام، لقد وقفت أتابع القطار الذي رحلت فيه حتى غاب عن ناظري. يا لنا من صديقين قديمين، ألسنا كذلك؟ كم سرنا معًا، بدءا من الحقول السوداء بزرع القمح النضر في زونديرت، حيث سمعنا القبرة ذاك الزمن مع أبي.

في الصباح ذهبت مع العم كور لزيارة العم سترايكر حيث تكلمنا طويلا عمّا تعرف. وفي المساء نحو السادسة والنصف اصطحبني العم كور حتى المحطة، كانت أمسية جميلة وفي كلّ شيء كان هناك الكثير الذي يبدو وكأنه يتكلم. كان الجو راكدًا وهناك بعض الضباب في الشوارع، كما هو الحال دائمًا في لندن. كان العم يعاني ألمًا في أسنانه هذا الصباح لكنه لم يستمر لحسن الحظ، وذهبنا لسوق الزهور أيضًا، من الجيد أن تحب الزهور وأغصان الصنوبر واللبلاب وشجيرات الزعرور، ولقد رأيناها منذ البداية. اكتب للبيت عن كيف قضينا الوقت معًا في أمستردام وعمّا تحدثنا عنه. وعندما وصلت إلى هنا وجدت رسالة من البيت لدى آل رياكن. أبي لم يكن قادرًا على

الوعظ يوم الأحد الماضي وقد حل محله القس كام - أعرف أن قلبه يتحرق من أجل أن يحدث شيء فأكون قادرًا على إيهاب نفسي بكاملها لاتباعه، لقد أمل أبي دائمًا في ذلك، أوه! قد يحدث ذلك وقد يكون من ورائه نعمة.

إن المطبوعة التي أعطيتني إياها التي بها "اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُول" وصورة القس هيلدرينج تم تعليقهما بغرفتي، أوه، كم أنا سعيد بهما، فهما يعطيانني الأمل. إني أكتب لك عفويًا عن خططي؛ أفكاري أصبحت واضحة وحاسمة بشأن ذلك. في الوقت الحالي أنا أفكر في كلمة "وَعْدِي أَنْ أَحْفَظَ كَلاَمَكَ" ولدي رغبة في أن أعوّد نفسي على كنوز تعاليم الكتاب المقدس لمعرفة كل تلك القصص القديمة بدقة ومحبة، ولا سيما لنتعلم من معرفتنا عن المسيح. في عائلتنا، وهي عائلة مسيحية بحق بكل معاني الكلمة كان هناك دائمًا كهنة للإنجيل على طول تاريخها، جيل وراء جيل. لماذا لا يتردد هذا الصوت في هذا الجيل وفي الذي يليه؟ لماذا لا يشعر الفرد من هذه العائلة الآن أنه منجذب لهذا الطقس ويفكر، لسبب ما، أنه يمكن ويجب أن يعلن عن نفسه ويبحث عن الوسائل لتحقيق هذا الهدف؟ إن محور صلواتي ورغبتي العميقة أن تحط فيَّ روح أبي وجدي، وأن يوهب لي أن أكون مسيحيًا وعاملًا بالإنجيل، وأن تماثل حياتي حياتيهما وهو ما أسميه - كلما كان أكثر كان أفضل، لأن النبيذ القديم طيب وأنا لا أرغب في الجديد. ليكن ربهم ربي، وناسهم ناسي، وليكن ذلك نصيبي: أن أعرف المسيح بكامل قيمته وأن ألتزم بحبه. ما هو كنه ذلك الحب، لقد شرح بجمال في عبارة :"كحزانى ونحن دائمًا فرحون"، وفي رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ١٣ "وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء". إنها في قلبي اليوم، كلمات الحاج الذاهب إلى عمواس عندما دخل المساء وهبطت الشمس: "فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا..".

أنت تحبها أيضًا جملة "كحزانى ونحن دائمًا فرحون" احفظها في عقلك لأنها كلمات طيبة وهي معطف واق في عاصفة الحياة، خلها في ذهنك في هذا الوقت مع كل التجارب التي عانيتها مؤخرًا. وكن حذرًا فعلى الرغم من أن ما عانيته ليس بالقليل، فلو كنت أراه حقيقيًا فهناك ما هو أعظم في مخزن الأيام، وأنت أيضًا

ستتذكر كلمات الرب "وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ"، و"كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هكَذَا أُعَزِّيكُمْ أَنَا" و"وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ" و"إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا".

لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فأقبلكم، وأكون لكم أبا وأنتم تكونون لي بنين وبنات.". اكره الخطايا والأماكن التي تكمن فيها ولا تقربها، إنها تجذب بسهولة باتخاذها المظهر الخادع لشيء عظيم، وتفعل ما فعله الشيطان للمسيح عندما أراه كل ممالك العالم ومجدها وقال: "أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي". هنالك شيء أفضل من مجد الأمور الدنيوية: إنه الشعور الذي يخامرنا عندما يتحرّق قلبنا داخلنا لدى سماعنا كلمته، إنه الإيمان بالرب، ومحبة المسيح، والإيمان بالأبدية، بالحياة التي بعد هذه الحياة. تمسّك بسرعة بما لديك. أيا تيو يا أخي وصديقي الذي أحب، لدي توق عظيم لذلك الشيء الذي تعرف، ولكن كيف لي الحصول عليه؟ ليتني كنت كأبي قد فعلت الكثير من أعمال الخدمة المسيحية وكهانة الإنجيل وبذر الكلمة. ترى أبي يستطيع إحصاء قداديسه وقراءاته للإنجيل وزياراته للمرضى والمساكين ومواعظه التي كتبها بالآلاف، ولا يزال لا ينظر إلى الخلف لكنه مستمر في عمل الخير. ارفع عينيك نحوي وصلّ من أجل أن يُمنَح ذلك لي، كما أفعل من أجلك الآن، أن يحقق لك أماني قلبك، هو من يعرفنا أفضل مما نعرف أنفسنا، وهو القادر فوق كلّ شيء على فعل ما نطلبه أو نفكر فيه، لأن وسائله أعلى من وسائلنا وتفكيره أعلى من تفكيرنا كما هي السماء أعلى من الأرض. وليتك تواصل التفكير في المسيح كمُعَزٍّ والله كملجأ.

أتمنى لك رحلة طيبة؛ واكتب لي قريبًا، وتقبّل مصافحتي بأفكارك، وداعًا (بالفرنسية) وصدقني دائمًا.

أخوك المحب،

فنسنت

ليت أبي يتحسّن سريعًا، حاول أن تكون في إيثن وقت عيد الفصح، سيكون طيبًا أن نكون معًا جميعًا مرةً أخرى.

وبسبب أمور كثيرة في الماضي، ولكل ما مررت به، فربما "إِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ"

١١٧ | امستردام، الأربعاء ٣٠ مايو (أيار) ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالة اليوم، لا بد لي أن أقوم بعدة أشياء، لذا فإنني أكتب لك على عجل. أوصلت رسالتك للعم جان، فتقبّل سلامه وشكره على رسالتك.

كانت هناك بعض الكلمات في رسالتك مسَّتني: "لا بد لي أن أبتعد عن كلّ شيء، أنا سبب كلّ شيء وفقط أسبب كلّ هذه التعاسة لي وللآخرين" كانت تلك هي الكلمات التي مستني - لأن ذلك الشعور نفسه، نفسه تمامًا، بلا زيادة ولا نقصان، يخامر وعيي أنا أيضًا.

عندما أفكر في الماضي، وعندما أفكر في المستقبل، في الصعوبات التي لا يمكن تجاوزها تقريبًا، في العمل الكثير والصعب الذي لا ولع لي به، والذي كنت، بالجانب الشرير فيّ، لأفضل اجتنابه، عندما أفكر في العيون الكثيرة المحدقة فيّ، والتي لو لم أنجح فستعرف السبب وراء ذلك، هم لن يجهروا بشكوى عادية، ولكن لأنهم قد اختُبِروا ولأنهم على دراية بما هو جيد وصالح وما هو صاف كالذهب، فسوف يقولونها بتعبيرات وجوههم: نحن ساعدناك وكنّا نورًا لك، وقد فعلنا لأجلك ما نستطيعه. هل ترغب في ذلك بإخلاص؟ ما هو أجرنا وما هي ثمرة عملنا؟ أترى، عندما أفكر في كل هذا، وفي أشياء أخرى كثيرة، كل أنواع الأشياء، أكثر من أن تذكر، في كل الاضطرابات والمخاوف التي لم يقلّ حجمها مع التقدم في العمر، في المعاناة، والإحباط، في خطر الفشل بدرجة فاضحة، وعليه فهذه الرغبة ليست غريبة عليّ - أرغب حقيقة في الابتعاد عن كلّ شيء!

ومع ذلك، أنا أمضي قدمًا، لكن بحذر وبأمل أنني سأنجح في تفادي كلّ هذه الأشياء، فأستطيع الرد بشكل ما على كل التوبيخات التي تهددني، واثقًا أنه على

الرغم من كل الأشياء التي تبدو ضدي، سأحصل على ما أرغب فيه، وبمشيئة الرب، سأجد النعمة في عيون البعض ممّن أحبهم وفي عيون من سيأتون من بعدي.

إنه مكتوب "قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ" وعندما تعب الحواريون طوال الليل ولم يأخذوا شيئًا قيل لهم ابعد إلى العمق وألق شباكك ثانيةً.

رأسي أحيانًا تصيبه القشعريرة، وأحيانًا يلتهب بحرارة، وأفكاري مضطربة، كيف سأدخل فيه كل هذه الدراسة الصعبة والمفصلة؟ لا أعرف، بعد كل تلك السنوات العاصفة، ليس أمرًا سهلًا أن تصبح معتادًا على عمل اعتيادي ومنظم وتثابر عليه. ومع ذلك أواصل، ولو كان قد انتابنا التعب، أليس ذلك لأننا قد قطعنا بالفعل شوطًا طويلًا، ولو كان حقيقيًا أن حياة الإنسان في الأرض نضال، أفلا يكون شعورنا بالتعب والتهاب الرأس علامة على أننا قد ناضلنا. عندما يشتغل المرء في عمل صعب ويجاهد من أجل النتائج الجيدة، ويخوض المعركة الصحيحة، تكون المكافأة أن يُحفَظ من الكثير من الشرور. فالرب ينظر إلى الأعمال والأحزان ويمكن أن يعيننا على الرغم من أي شيء.

الإيمان بالرب بالنسبة لي مسألة يقين ليس مجرد فكرة وليس اعتقادًا عاطلًا، إنه هكذا كحقيقة، هناك رب يعيش، وهو مع آبائنا وعينه علينا، وأنا واثق من أنه يحفظنا لغرض ما، وأننا لا ننتمي بالكلية إلى أنفسنا فقط، إذا جاز التعبير، وأن الرب ليس سوى المسيح الذي قرأنا عنه في الكتاب المقدس، والذي تسكن كلمته وقصته عمق قلبك. لو أنني فقط عملت فيها في القريب بكل قوتي، نعم، فقد يكون ذلك من الأفضل لي الآن، لكن حتى الآن سيكون هو عونًا عظيمًا، وبقدرته سيجعل حياتنا محتملة، وينجينا من الشرير، ويجعل كل الأمور تعمل لصالح الخير، لتكون نهايتنا في سلام. هنالك شر في العالم وفي نفوسنا، أشياء مريعة، وليس على المرء أن يكون قد قطع شوطًا في الحياة ليخشى ويشعر بالحاجة إلى أمل لا يتزعزع في حياة أخرى بعد هذه الحياة، وليعرف أن بدون إيمان بالرب لا يستطيع أن يحيا، لا يستطيع أن يصمد. لكن مع ذلك الإيمان يستطيع المرء أن يصمد طويلًا. والآن، هناك كلمة في كتابنا المقدس ترددت بشكل لافت للنظر في أكثر من موضع، وفي مناسبات مختلفة، وتحت ظروف مختلفة "لا تخف"، وقد حفظ أبونا ذلك عن ظهر قلب وهو يقول "أنا لا أيأس أبدًا"،

فدعنا نردد ذلك من ورائه. أليس في تجربتك أنت أيضًا التراجع كلما نويت ارتكاب فعل شرير؟ وأنه كلما كان هناك ما يحزنك ولا تجد منه مخرجًا، خرجت منها سالمًا؟ في أحد كتب بونيان يحكي عن مسافر رأى أسدًا على جانب طريق يجب أن يجتازه، فواصل في طريقه، لم يكن هنالك شيء آخر في استطاعته أن يفعله، وعندما وصل إلى المكان لاحظ أن الأسد مقيد، لقد كان هناك فقط ليختبر شجاعة المسافر. وهكذا الحال في الحياة أكثر من مرة. هنالك الكثير مما هو مخبأ لنا، لكن الآخرين قد عاشوا، ومن ثَمَّ، فمن يحب والديه عليه أن يتبعهما على طريق الحياة. لو كنت تثمّن حب وتقدير الشباب، فأعلن عن معتقداتك صراحة متى كان الوقت مناسبًا، وأقررْ بأنك تحب المسيح والكتاب المقدس، ألا يحب الابن أباه لهذا السبب أكثر من أي سبب آخر؟ النساء والأطفال والبسطاء يشعرون بهذه الأشياء ويعرفونها بعمق، هناك قلب مخبوء وإيمان عظيم وقوي داخل الكثيرين. نحن أيضًا بحاجة إلى ذلك عندما نفكر في الكثير المخزون لنا، لقد تكلم "هو" من كل تجربته في الحياة، ونحن نعرف مقدار ما دار في القلب الذي قاده امتلاؤه للتفوه بكلمات: "لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ"، ومن قال "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" نعم تلك الكلمات للرب بالتأكيد هي كلمات صادرة عن الله يجب أن يحيا الإنسان بواسطتها، وليس بالخبز وحده، وكلما بحث الإنسان في هذه الكلمات وجد فيها المزيد. عندما كنت أقف بجانب جثمان إرتسن كان الهدوء والجدية والثبات الآمن للموت يتعارض بشكل عظيم معنا نحن الأحياء، حتى إن الجميع قد شعروا بما قالته ابنته على كلٍّ بساطته: لقد جاءه الخلاص من عذاب الحياة التي لا يزال علينا أن نحتمله. ومع ذلك نحن مرتبطون بقوة بهذه الحياة القديمة لأن هنالك بهجة في مجابهة اليأس، وقلوبنا وأرواحنا فرحة تماما كالقبَّرة التي لا تفتأ أن تهدل في الصباح، وحتى لو كانت أرواحنا محبطة وقلقة أحيانا بداخلنا. وذكرى كل ما أحببناه تبقى وتعود في مساء حياتنا. هو ليس بميت لكنه نائم، ومن الجيد أن نجمع مخزونًا كبيرًا منه. تقبل مصافحتي الذهنية، أتمنى لك كل خير، واكتب ثانية قريبًا لـ...

أخيك المحب،

فنسنت

١٢٠ | امستردام، الثلاثاء ١٢ يونيو (حزيران) ١٨٧٧

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت رسالتك المؤرخة في ٧ يونيو (حزيران) وسعدت لكونك في إيتن ولأنك قضيت يوم أحد طيبًا هناك، من الجميل أن أبي وأخانا الأصغر قد أخذاك لأبعد من دوردرېخت.

ثم كتبت لي عن كلامك في البيت حول خططك للمستقبل، وعندما قرأتها خفق قلبي من أجلك، إذا جاز التعبير، يبدو لي ذلك جيدًا جدًا. انطلق نحو العمق. ما أتمناه فقط هو ذلك: أن تذهب إلى لندن قبل أن ترى باريس. ولكن علينا أن ننتظر ونرى ماذا سيحدث. لقد أحببت هاتين المدينتين جدًا، وأعاود للتفكير فيهما بكثير من الحنين، وأود تقريبًا لو أذهب معك، ولو كنت مؤهلا بما يسمح لي بتقلد منصب في تلك الكنيسة الهولندية العظيمة، فتزودني تلك الذكريات في يوم من الأيام بموضوعات للعظات. امض قدمًا في إيمان وتقوى أبينا، لا أعرف متى سنتصافح ثانية، أنا وأنت، كما أتذكر أبي والعم يان يفعلان في الكنيسة الصغيرة في زوندرت، عندما كان العم يعود من سفره ويكون قد حدث الكثير في حياتيهما، وهما يشعران بالأرض تعود، كما يقال، صلبةً تحت أقدامهما.

كن واثقًا واكتب لي بمجرد أن تسمع أخبارًا عن ذلك، وأتمنى أن نقضي وقتا هادئًا معًا قبل أن ترحل. حتى لو بدا أنه لا توجد فرصة في الوقت الحاضر، فشيء من هذا القبيل قد يحدث قريبًا. وها أنا أكرر لك يا أخي، من أعماق قلبي، فأنا أعتقد أن الخطة جيدة جدًا - والماضي الذي يخصني يبعث حيًا من جديد الآن إذ أفكر في مستقبلك. ربما تكون خبرتك القادمة تلخصها مقولة: "ها أنا أصنع كل شيء جديدا".

كُن فرحًا هذه الأيام. وألق نظرة متفحصة على الأشياء من حولك، ولا تنسهم، وامش في الأرض كما قيل "طُولَهَا وَعَرْضَهَا".

لدي أشياء كثيرة كي أقوم بها هذه الأيام، والوقت يمضي بسرعة والأيام تبدو قصيرة جدًا، حتى لو كنت أحاول أن أطيلها قليلًا، ولدي رغبة عظيمة في التطوّر وأيضًا لمعرفة الكتاب المقدس جيدًا وبشكل تام، وأيضًا لمعرفة أشياء كثيرة، مثل ما كتبته لك عن كرومويل. "وما من يوم دونما سطر" فكتابة يومية، وقراءة، وعمل وممارسة برفق ومثابرة ستقود حتمًا إلى شيء ما.

هذا الأسبوع ذهبت إلى المقابر هنا، خارج مويدربورت، هنالك في مواجهتها غابة صغيرة، تكون جميلة خاصةً في المساء عندما تتخلل أشعة الشمس أوراق الأشجار، هناك أيضًا قبور جميلة وكل أنواع الأشجار دائمة الخضرة، والزهور ونباتات أذن الفأر تزهر هناك. وأيضًا قطعت مسيرة حتى خليج زويدرزي، وهو على مبعدة أربعين دقيقة من هنا، فوق سدٍّ يرى من عليه المرء براريَ ومزارع في كل مكان تذكرني بمحفورات رامبرانت. إنها مدينة جميلة، هذه. اليوم رأيت ركنًا كأنه من أعمال ماتياس ماريس أو ألبيه، أعني بيوتًا خلف كنيسة أوستركيرك، على فناء داخلي صغير، وكان لا بد أن أرى القندلفت في بيته كي أسأل عن مكان عمي في الكنيسة، أيضًا يعيش هناك إسكافي... إلخ. لكن المرء يجده في كل مكان، العالم مليء به، ليت قلوبنا أيضًا تمتلئ به وبالمزيد والمزيد منه. وعندما رأيت القندلفت لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في محفورة خشبية من أعمال ريثيل، لا بد أنك تعرفها أيضًا: "الموت كصديق". دائما ما أجد ذلك المشهد مثيرًا للمشاعر. في لندن تلك الأيام كان المرء يراها في واجهة كل حوانيت الطباعة تقريبا، ولها أيضًا ما يُكملها: لوحتا الكوليرا في باريس، ورقصة الموت من أعمال ريثيل أيضًا.

سمعت القس لوريارد يوم الأحد في موعظة الصباح الباكر حول "المسيح يمضي في حقل الذرة". وقد ترك لدي انطباعًا قويًا. تكلم في تلك الموعظة أيضًا عن مثل الزارع وعن الرجل الذي ألقى بذرة في الأرض، وعليه أن ينام ليلًا ويقوم نهارًا، فيما البذرة تبزغ وتزيد وتنمو، وهو لا يدري كيف، وقد تكلم أيضًا عن الجنازة في حقل الذرة بقلم فان دير ماتن. كانت الشمس مشرقة من خلال النوافذ – لم يكن هناك أناس كثيرون في الكنيسة، معظمهم من العمال والنساء. وبعدها استمعت للعم

سترايكر في كنيسة أوستركيرك يتكلم عن "عظموا الرب لا البشر" أيضًا بمناسبة موت ٥.م.

غادرت العمة مينا ومارجريت مايبوم يوم الاثنين إلى إيتن وقد رأيتهما في محطة أوسترسبورم. وإذ كنت أنتظرهما هناك، قرأت ما يلي من لامونيه:

على رأس فجوة صغيرة أسفل جرف نحتت الأمواج سفحه، وبين الصخور التي تتدلى منها ضفائر من أعشاب البحر الخضراء، وقف رجلان، أحدهما شاب والآخر مسن لكنه لا يزال متينًا، متكئين على قارب الصيد، ينتظران المدّ الذي كان يتقدم ببطء، بالكاد تهب عليهما نسمة تحتضر. تتنفش الأمواج إذ تقارب الشاطئ وتنزلق بتكاسل فوق الرمال بهمس رقيق وخافت. وبعد قليل، نرى القارب يتحرك بعيدًا عن الشاطئ نحو البحر المفتوح، ترتفع مقدمته، ويخلف وراءه شريطًا من الزبد الأبيض. الرجل المسن بجوار الدفة يرقب الأشرعة إذ تمتلئ ثم ترتخي كأجنحة متعبة. كان يبدو وكأنه يبحث بنظراته عن علامة في الأفق، وفي الغيوم الكثيفة الساكنة بلا حراك. وبعد ذلك، وإذ عاد للاستغراق في أفكاره، يلمح المرء على جبينه المدبوغ حياة كاملة من الكدح والنضال المتواصل لم يحجم عنهما أبدًا. ترك المد المنحسر واديًا صغيرًا في البحر الساكن تلهو فيه طيور النوء، تتأرجح بفرح على الأمواج التي تبرق مشبعة بالرصاص. ومن الأعالي تغطس فيها النوارس كالقوس، وعلى الحافة السوداء لصخرة يقف طائر غاق بشع بلا حراك. إن أدق حركة وأخف نسمة هواء أو بصيص ضوء تغير جانبًا من هذا المشهد المتبدل. كان الشاب، منطويًا على نفسه يراه كما يرى المرء حلمًا. كانت روحه تجنح وتطفو مع صوت مسار القارب، كالصوت الخافت والرتيب الذي تهدهد به المربية الطفل حتى ينام. ثم فجأة عاد من حلم يقظته، ولمعت عيناه والهواء يردد صدى صوته: الحقول للحارث، والغابة للصائد، ولصائد الأسماك البحر وأمواجه، وشعابه وعواصفه. السماء فوق رأسه والأعماق تحت قدميه، إنه حر، ولا سيد له إلا نفسه.

انظر لها تطيع يديه، انظر لها تتقافز عبر البساط المتحرك السفينة الواهية التي تنفث فيها الريح الحياةَ. هو يصارع الأمواج ويقهرها، هو يصارع الرياح ويروضها.

من في قوته وعظمته؟ وما هي حدوده؟ هل وجدها أحد أبدًا؟ أينما يتمدد المحيط يقول له الرب: اذهب فهو لك. تجمع شبكته حصادًا حيًا من أعماق المياه. لديه قطعان لا تُحصى تسمَن له في مراع يغطيها البحر. وأزهار قرمزية وزرقاء وصفراء وأرجوانية تتفتح عن قلوبها، وتقدم له الغيوم شواطئ فسيحة كي تسحر عينيه، وبحيرات لازوردية جميلة، وأنهارا عريضة، وجبالًا وأودية ومدنًا رائعة، تغمرها الآن الظلال، ويضيئها الآن كل مجد الشمس الغاربة. أوه، كم هي جميلة بالنسبة لي، حياة صائد الأسماك! وكم تبهجني معاركها الخشنة ومباهجها العديدة. ويا أمي عندما تهز الريح كوخنا بغتة في الليل، أي خوف يعصف بقلبك، أراكِ تنهضين مرتعدةً لمناجاة العذراء المقدسة حامية البحارة المساكين! تركعين أمام صورتها، وتفيض دموعك من أجل ولدك الذي تقوده العواصف في الظلمات نحو الشعاب، حيث يُسمع أنين الموتى مختلطًا بصوت العاصفة. نجنا أيها الرب فقاربنا صغير والبحر عظيم.

اندلعت عاصفة رهيبة هنا في الخامسة إلا الربع صباحًا، وبعدها بقليل جاء عبر باب حوض بناء السفن أول فوج من العمال تحت المطر الهاطل. نهضت ومضيت نحو الحوض وأخذت معي دفترين إلى cupola2 وجلست هناك أقرأ وأتطلع حولي في كل الحوض والمرفأ، كانت شجيرات الحور والبلسان وشجيرات أخرى تنحني بفعل الريح الشديدة والمطر يرشق أكوام الخشب وهياكل السفن، وثمة مراكب شراعية وزورق بخاري صغير يروحون ويجيئون في الأفق، قرب القرية في الناحية الأخرى من الخليج، يرى المرء أشرعة بنية تمرق سريعًا والبيوت والأشجار والكنائس في بويتنكانت بألوان أكثر حيوية. ثم يسمع المرء ثانية وثانية الرعد ويرى البرق، وتبدو السماء كلوحة لرويسديل والنوارس تحلّق منخفضة بالقرب من سطح الماء.

كان منظرًا رائعًا ومنعشًا حقيقة بعد حر أمس المحبط. لقد أنعشني، لأنني كنت متعبًا بشكل بشع عندما صعدت بالأمس مساء.

بالأمس زرت القس مييس وزوجته، لأن أبي طلب مني أن أفعل ذلك، وقد تناولت الشاي معهما. عندما وصلت كان القس يأخذ قيلولة الظهيرة، فطُلب مني أن أذهب لأمشي لمدة نصف ساعة، وقد فعلت ذلك، ولحسن الحظ كان معي في جيبي

ذلك الكتاب الصغير للامينيه، فأخذت أقرأ تحت الأشجار المحاذية للقناة، حيث كانت شمس نهاية اليوم تنعكس على المياه الداكنة. ثم رجعت، وقد جعلاني أفكر في "الشتاء" لفالدلسن. يراه المرء أجمل مع ذلك عند أمي وأبي، ولكن كما قلت لك كانت كذلك هنا أيضًا.

الأيام تطير بسرعة، أنا أكبر منك بأربع سنوات وربما تكون أسرع بالنسبة لي منك، لكنني أقاوم ذلك بمحاولة مطّها قليلًا في النهار والليل.

هل ستكتب لي قريبًا؟ من المحزن أن ماجر لن يأتي بعد كل هذا. الطقس قد راق، والسماء أضحت زرقاء والشمس ساطعةً والطيور تغرد، هناك الكثير منها في الفناء، من كلّ نوع، في المساء أتمشى هناك مع الكلب، وأفكر عادةً في تلك القصيدة: "تحت النجوم".

وعندما تكفّ كل الأصوات، يُسمَع صوتُ الرب تحت النجوم.

الزهور التي تنمو عند البيت تتفتح أيضًا، وفي الحديقة توت البلسان والياسمين. ذهبت مؤخرًا إلى ترييينهويس ثانيةً لأرى إن كانت تلك الغرف التي كانت مغلقة حينما كنّا هناك معًا، قد أعيدت للخدمة أم لا، لكن ربما يستغرق الأمر أسبوعين قبل أن يستطيع المرء أن يذهب ثانيةً. كان هناك الكثير من الأجانب هذه المرة، إنجليز وفرنسيون، إن الاستماع إليهم يتحدثون يحرك الكثير من الذكريات لديّ. نعم، أنا لا أندم على العودة إلى هنا فـ "الحياة مليئة بالرمال المتحركة، الحياة مليئة بالفخاخ" هي كلمات حقيقية.

كيف حال السيد ترستيج؟ لو ذهبت إلى موف أو ذهبت لرؤيته فبلغه تحياتي، أيضًا لكلّ فرد في آل هانبيك وآل روز.

الآن يجب أن أذهب إلى العمل، ليست لدي أي دروس اليوم، ولكن هناك ساعتين غدًا صباحًا، فلدي فعلًا الكثير لأفعله. لقد مضيت قدمًا في دراسة تاريخ العهد القديم حتى سفر صموئيل، وهذا المساء سأبدأ مع سفر الملوك، وعندما ينتهي

ذلك العمل، سأكون قد امتلكت شيئًا قيّمًا. وإذ أجلس هنا لأكتب، لا أستطيع أن أمنع نفسي من الرسم في بعض الأحيان، كتلك الرسمة التي أرسلتها إليك مؤخرًا، وكتلك التي رسمتها اليوم لإليا في الصحراء مع سماء عاصفة وشجيرتين للأشواك في مقدمة الرسمة، لا شيء خاصًا فيها، لكنني أحيانًا أراها كلها بوضوح بعيون عقلي، وأعتقد أنه في لحظات مماثلة، يجب أن أكون قادرًا على الكلام عنها بشغف، ربما يتسنى لي لاحقًا أن أفعل ذلك.

أتمنى لك كلّ خير، لو ذهبت إلى شيفننجن بوسجيس أو إلى الشاطئ فأبلغهما تحياتي. وعندما تستطيع أن تأتي إلى هنا مرةً ثانية فسوف أكون قادرًا على أن أريك بعض الأماكن الجميلة هنا أيضًا.

كلّ يوم في طريقي إلى ميندس يكون عليّ أن أمر عبر الحيّ اليهودي.

أحب أن تستمع إلى القس لوريارد أنت أيضًا ذات يوم.

والآن الوداع (بالفرنسية) وأصافحك فكريًا.

اخوك المحب،

فنسنت

١٢٣ | امستردام، الجمعة ٢٧ يوليو (تموز) ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ.

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك الأخيرة، وقد سمعت من البيت أنك كنت بالفعل لدى آل موف، لقد كان ذلك بلا شك يومًا طيبًا، لا بد أنك ستحكي لي عنه في يوم ما، عندما تسنح الفرصة. مرفق طيه مساهمة في مجموعتك، وأعني ثلاث مطبوعات

للوحات لبوسبوم واثنتان لجي فايسنبروخ، وجدتها صباح اليوم لدى بائع كتب يهودي. هل تلك التي عن لوحة بوسبوم هي الكنيسة في شيفننجن؟ والأخرى هي الجروت كيرك في بريدا، والثالثة عن لوحته التي كانت في معرضه الكبير في باريس. أما الاثنتان عن لوحتي فايسنبروخ فقد هزتا مشاعري، ربما كانتا لديك بالفعل، وربما أيضًا لا. استمر في تجميع المطبوعات المماثلة والكتب أيضًا.

أنا الآن أجمع موضوعات يونانية ولاتينية وكل أنواع الكتابات عن التاريخ وما إلى ذلك. إنني أعمل على واحدة عن الإصلاح وهي تطول نوعًا ما.

تكلمت مؤخرًا مع شاب اجتاز مؤخرًا اختبار القبول في كلية لايدن بنتيجة جيدة، لم يكن سهلًا، فقد أخبرني عما سئل فيه، لكنني أحافظ على شجاعتي، وبعون الرب سأجتازه، والاختبارات التالية أيضًا. أعطاني ميندس كل الأسباب كي أصدق أننا خلال ثلاثة أشهر سنكون بلغنا المرحلة التي كان قد تخيل أننا سنبلغها لو مضت كل الأمور بخير. وتظل دروس اللغة اليونانية في قلب أمستردام، في قلب الحي اليهودي، في ظهيرة صيفية دافئة ثقيلة الوطأة، يخامرني الشعور بأنه سيكون عليّ اجتياز العديد من الاختبارات الصعبة، الموضوعة من أساتذة في غاية العلم والبراعة، وهي بالطبع أثقل وطأة من تمشية على الشاطئ أو في حقول القمح في البارابانت، التي هي بالتأكيد جميلة الآن في يوم كهذا، لكننا لا بد أن "نستمر في الكفاح" في كل الأمور كما يقول العم جان.

منذ يومين سقط طفلان في الماء بجوار جسر كاتنبرج. العم رأى المشهد، فكلف قاربا شراعيًا رابضًا هنا في المرفأ. وتم إخراج طفل صغير؛ وقد ذهبت إليهم مع طبيبين بحريين أرسلهما العم، وقد حمل الرجلان الطفل نحو حانوت صيدلي وقاما بكل جهد لإنقاذ حياته، لكن دون جدوى. وفي الوقت نفسه علم الأب الذي يعمل أمينًا للمخازن في ساحة المرفأ وحملوا الصبي إلى بيته في بطانية صوفية. واستمر البحث لساعة ونصف إذ اعتقدوا أن فتاةً قد سقطت أيضًا، ومع ذلك بدا لحسن الحظ أن ذلك لم يحدث. وفي المساء عدت لأرى الناس، كان البيت مظلمًا بالفعل، والفتى راقدًا في ثبات على سرير في غرفة جانبية، لقد كان طفلًا جميلًا عن حق. كان هناك حزن

عظيم، فذلك الطفل كان نور البيت، كما يقال، وقد انطفأ هذا النور الآن. وعلى الرغم من أن البشر الأفظاظ يعبرون عن حزنهم بطريقة خشنة تخلو من الكرامة كما فعلت الأم، فالمرء يشعر، بين أشياء أخرى، بأمور عظيمة في بيت للحداد كهذا، وظل الانطباع معي طوال المساء حينما ذهبت للتمشية.

صباح الأحد الماضي قمت برحلة جميلة، أي قبل الموعظة المبكرة للقس بوثيموس مييس في كنيسة نورديركرك، ثم إلى بيكرسايلاند حيث سرت على السد بطول خليج أي جي حتى حان وقت الكنيسة ثانيةً، ثم إلى كنيسة أيلاندسكيرك حيث يعظ العم سترايكر. وهكذا مضى الوقت، وبسرعةٍ أيضًا، وها نحن في نهاية الأسبوع تقريبًا مرةً أخرى.

كيف حالك، أيها الولد الكبير؟ أفكر بك في أحيان كثيرة، وبشكل يومي.

فليعِنّا الرب على الكفاح لنظلّ على القمة، فمن الحسن أن ترتبط بفنانين جيدين، أنا أيضًا ما زلت أتشبث بذكرى العديد منهم. إن مجاوزة الشر إلى الخير لهو أمر مكتوب، وبإمكان المرء أن يسعى لفعله ـ ولأجل هذه الغاية فالرب يعيننا ويجعل أيامنا محتملة بكثير من الخير في الوقت نفسه، وأن يقينا من تأنيب الضمير المُلح.

عندما أمر العم يان القارب والطبيبين بالذهاب للمساعدة في تلك الظهيرة التي وقعت فيها الحادثة، رأيته على حقيقته.

الآن لا بد أن أعود للعمل، على الرغم من أنه لا بد لي أن أملأ هذه الصفحة. إن آنا في لايدن، كما لا بد وأنك تعرف، وسوف تأتي إلى هنا قريبًا مع صهرنا المستقبلي، أتطلع كثيرًا لرؤيتهما، وقد كتب لي أبي بابتهاج عن يوم الأحد الماضي عندما كانا لديه في إيتن وقد كان كل شيء جميلًا من خلال عينيه، وهو يرى الأشياء في صوابها، فدعنا نعتبر ما جرى لشقيقتنا نوعًا من البركة التي حلت على بيتنا، نتشارك فيها جميعًا؛ فإذا كان أحد أفراد أسرتنا سعيدًا فلنسعد جميعًا معه.

سيأتي العم بومب وزوجته للبقاء هنا الأسبوع القادم، وربما غدًا، أيضًا فاني وبيتس جراوفن، وقد مرت فترة طويلة منذ رأيتهم آخر مرة.

أستيقظ مبكرًا نوعا ما، وعندما تشرق الشمس على حوض بناء السفن ويبدأ العمال في التوافد بعدها بقليل يكون المشهد رائعًا من النافذة، وأتمنى لو تراه. هل سأكون في صبيحة مماثلة أعمل على موعظة حول "فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ" أو حول "اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ" أو حول "حسن هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي أن يخبر برحمتك في الغداة..." أو حول "وَخَيْرٌ لِلْعَيْنَيْنِ أَنْ تَنْظُرَا الشَّمْسَ" - أتمنى ذلك.

الشيء نفسه، يبدو أن الشمس لا تشرق بهذا البهاء إلا في بيت الكاهن أو في الكنيسة. من الرائع العمل على "الكتابات" في الصباح المبكر.

لو لديك الوقت وطابع بريد وورقة، فاكتب لي ثانيةً. العم يان يرسل إليك تحياته، تلك الأمسية التي وصفتها في الكثبان لا بد أنها كانت ممتعة. في متجر العم كور رأيت مؤخرًا الأناجيل بريشة بيدا، كم هي جميلة، وكم هو رائع أن تكون عاملًا بالمسيحية هكذا، إن الكلمات لتعجز عن وصف جمالها. هناك الكثير فيها يذكرك بأعمال رامبرانت. والآن أصافحك فكريًا، أتمنى لك مخلصًا كل خير، وصدقني دائمًا.

اخوك المحب،

فنسنت

١٢٦ | امستردام، الأحد ٥ اغسطس (آب) ١٨٧٧

الى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالة أمس، كانت طيبة، ومن النوع الذي يحتاجه المرء، وقد أراحتني كثيرًا. غادرت آنا ثانيةً إلى هينجيلو، كان لديهما الكثير ليفعلاه هنا، بالطبع، لم أبق معهما طويلًا، وقد جاءت أيضًا إلى مكتبي الصغير في المساء قبل حلول الظلام

وكان الناس يغادرون ساحة المرفأ إلى منازلهم. يبدو لي أن وجه فان هوتين وهاتين العينين تتكلم من القلب ومن الشخصية، له في العموم مظهر رجل ذي شأن، لديه - كما يبدو لي- شيء حاسم وقاطع مما ينبع أحيانًا من الإرادة القوية والفهم المكتسب من التجربة، ربما قامت آنا بالاختيار الصحيح، وربما يحوّل الوقت ذلك إلى حب لا يخفق أبدًا لكنه يدخل شقيقتنا العزيزة في الحياة، تقدر على كل شيء وتحتمل كل شيء ليُصنع كل الرجاء والإيمان.

وجدت زوجًا من الطوابع ملحقا برسالتك، وأشكرك عليهما بإخلاص، وقلت أيضًا إنك سترسل حوالةً بريدية كي أستطيع أن آتي إلى لاهاي لأرى معرض الرسومات. وقد وصلت الحوالة البريدية بالفعل اليوم، الأحد صباحًا، وأشكرك عليها، وعلى عرضك الكريم، لكنني أعيد لك النقود ولن آتي، وإن كنت أتوق لرؤية الأشياء الجميلة والمثيرة التي كتبت عنها. وقد رفضت أيضًا الذهاب إلى بارن لأنني أفضل قضاء يوم الأحد هنا كي أذهب إلى الكنيسة عدة مرات وأكتب وأدرس قليلًا، وثانيًا لأنه كان عليّ أن أسأل العم سترايكر على نقود للسفر، فهو لديه بعض المال تركه أبي معه ليكون تحت تصرفي عند الضرورة، وأنا أرجو أن أفعل ذلك في أضيق الحدود. ولو ذهبت إلى لاهاي سيكون عليّ أن أذهب إلى بارن أيضًا، وليس مرةً واحدةً فقط - وفي كل الأحوال فمن الأفضل ألا أفعل. وفوق ذلك، أنا أعرف أيها الولد الكبير أنك تحتاجها لنفسك، فشكرًا جزيلًا على كل حال. لست آسفا على عدم امتلاكي نقودًا في جيبي طوال الوقت. فلدي توق عظيم لأشياء كثيرة، ولو كانت لدي النقود لأنفقتها على الكتب وأشياء أخرى يمكن الاستغناء عنها، والتي قد تلهيني عن المذاكرة الضرورية الآن، وحتى حاليًا فمن العسير مكافحة التشتيت، ولو كان لدي المال لصار الأمر أسوأ. وهنا في هذا العالم، يظل المرء فقيرًا ومعوزًا في كل الأحوال، ولقد رأيت ذلك بالفعل؛ بإمكان المرء أن يكون غنيًا في أمر واحد مع ذلك، وهذه هي غاية الحياة، بإمكان المرء أن يكون غنيًا حيال الرب، وذلك نصيب لا يفنى. ثم قد يأتي وقت نستطيع فيه أن ننفق نقودنا على نحو أكثر حكمة من شراء أفضل الكتب وما إلى ذلك، حين قد يندم المرء على ما أنفقه على نفسه في شبابه، أعني حين يصبح

لدينا أُسرنا الخاصة وآخرون نعتني بهم ونفكر فيهم. وقد جاء زمن كان أبوانا أيضًا متعبين ومضروبين بالعواصف.

في منتصف الحياة نحن في الموت، هذه كلمات تنطبق على كلّ منا شخصيًا، وهي حقيقة نراها مثبتة فيما أخبرتني عنه بخصوص كارولين فان ستوكم، وقد رأيناها أيضًا قبل ذلك في فرد آخر من تلك العائلة. لقد تأثرت لذلك، وأرجو من كل قلبي أن يتم شفاؤها. آه، كم هناك من الأسف والحزن والمعاناة في العالم، سواء كان ذلك معلنًا أم سريًا. "اطلبوا تجدوا" أيضًا واحدة من تلك الحقائق. كم تغيرت هذه العائلة إذا ما قارنّاها بما كانت عليه منذ بضع سنين. منذ سنوات طويلة كنا معًا. وكان ذلك وقت ابنة صاحبة البيت، وقد قال لونجفيلو "هنالك أفكار تجعل القلب القوي ضعيفًا"، لكن فوق ذلك مكتوب: "لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ" و"فتشدد وكن رجلًا".

لقد بحثت عنها في التصاوير التي عن لوحات رويزديل وهارلم وأوفرفين، ذلك المصور قد عرفها أيضًا.

لو كان تعافيها الحالي كافيًا لكي يأخذوها إلى لاهاي فتراها، فأبلغها وقتها تحياتي، ولو وجدت الكلمات لترفع من روحها المعنوية وتشجعها وتذكرها بالغايات الهامة لوجودها أو كما يقال الحق في الحياة، خاصة من أجل أطفالها، فلتخبرها وسيكون ذلك صنيعًا طيبًا منك. الإيمان بالرب يتجدد في الأم؛ ما تشعر به حيال أبنائها يأتي من أعلى ومن الرب، وهو يقول في كتابات مقدسة لكل أمّ "ربّي هذا الطفل لأجلي وسأجزيك عليه". إن كلمة قوية تقال من القلب وفي الوقت المناسب تستطيع أن تسبب الراحة وتفعل الخير.

استيقظت مبكرًا اليوم وخرجت في نحو السادسة للقدّاس المُبكر، وبعدها سرت في الشوارع القديمة بكلّ أشكالها وكنت أود لو كنتَ معي. أنت تعرف لوحة جسر العذراء لدوبيني (على الأقل المطبوعة والليتوغراف المصنوع عنها)، لقد تذكرتها. أحب السير في تلك الشوارع القديمة والضيقة والمظلمة بحوانيت الصيادلة،

والطبّاعين، الحوانيت ذات جداول الإبحار، ومخازن مؤن السفن وما إلى ذلك، من تلك التي يجدها المرء بالقرب من أوديزايديسكابل والتيرتوينين وفي نهاية شارع وارمسترات، كل شيء ملهم هناك. ثم ذهبت لألقي تحية الصباح على فوس وكي، ثم إلى كنيسة أيلانسكيرك حيث يعظ القس تين كات (وهو شاعر ومؤلف لعدد من الكتب الجميلة) ويقدم موعظة حول الرسالة إلى أهل رومية الإصحاح الأول من الآية ١٥ حتى ١٧. "فَهكَذَا مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ لِتَبْشِيرِكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ فِي رُومِيَةَ أَيْضًا لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا". الكنيسة كانت غاصّة بالبشر، وعندما ينظر المرء إلى تلك الوجوه فإنه يرى شيئًا من الإيمان، لأنه كان في عدد من الملامح، لرجال وسيدات، مكتوبًا بطرق متعددة، شيءٌ ليُقرأ. كان صوته يلفظ الكلمات والتعبيرات كأبي، وهو يتكلم بشكل جيد جدًا ومن قلب ممتلئ، وفوق ذلك الموعظة لم تكن قصيرة. وقد غادر كل من في الكنيسة تقريبًا دون أن أنتبه، لأن كلماته كانت آسرة حتى إني نسيت الزمن.

أنجزت ملخصًا الأسبوع الماضي، على سبيل التغيير، عن رحلة بولس، ورسمت خريطة صغيرة لتصاحبه، من الجيد امتلاك ذلك. كان العم سترايكر قد أعطاني مؤخرًا كتابًا عن جغرافيا فلسطين (بالألمانية، لرومير) كانت لديه منه نسختان.

هذا مقتطف جميل من تليماك. يقول المعلم: "إن الأرض ليست بجاحدة أبدًا، فهي دائمًا تغذي بثمارها من يزرعونها برعاية وحب، وهي تنكر خيراتها فقط على من يخشون إيلاءها عملهم الشاق. وكلما زاد عدد أبناء الحارثين زاد ثراؤهم لو لم يفقرهم الرب، لأن أطفالهم يبدؤون في مساعدتهم منذ نعومة أظفارهم، الأصغر يأخذ الخراف إلى المراعي، والآخر وهو أكبر قليلًا يقود القطعان الكبيرة، والأكبر يحرث الأرض مع أبيهم. وفي الوقت نفسه تعد أم الأسرة وجبة طعام بسيطة لزوجها وأطفالها الأعزاء الذين سيرجعون متعبين من يوم العمل، وهي تعتني بحلب أبقارها ونعاجها، فنرى تيارًا من الحليب يتدفق؛ تشعل نارًا كبيرةً، تلتف حولها الأسرة الوادعة المسالمة لتستمتع بالفناء، طوال المساء في انتظار النوم الهنيء. إنها تعد الأجبان، والكستناء

الحلوة والفواكه المحفوظة بالطزاجة نفسها التي كانت عليها حين تم جمعها. ويعود الراعي بنايه، ويغني للأسرة المجتمعة الأغاني التي تعلمها في القرى المجاورة. ويعود الحارث بمحراثه، وثوره المتعب يسير متدلي الرأس بخطى متباطئة على الرغم من المهماز الذي يهمزه. كل آلام الكدح تنتهي مع اليوم، ويسبغ النوم عنايته السوداء بترانيمها، ويلف الطبيعة كلها بالسحر، فينعس كل فرد غافلًا عن مصاعب الغد.

إنها جميلة بشكل خاص عندما تتخيلها مرسومة بالحفر من أعمال جاك.

وصلت للتو بطاقتك البريدية لحسن الحظ، أشكرك على ردك السريع، أتمنى أن تكون قضيت يوم أحد طيبًا. إنّ فان وبيت جراونيين وبرتا فان جوخ ما زالا هنا كالأزهار في البيت، وخاصة بيرتا فهي فتاة جميلة. أبلغ تحياتي لزملائك في السكن، وتقبل مني مصافحة في الفكر.

اخوك المحب،

فنسنت

لم أستطع أن أحصل على حوالة بريدية فكان عليّ أن أرد لك النقود كطوابع.

١٢٩ | امستردام، الثلاثاء ٤ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٧

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

مرفق مذكرة لآنا ولليز، اكتب فيها شيئًا وأرسلها عند اقتراب عيد ميلاد أمي (لا بد أن أخبرك أن سبب إرسالها إليك هو أنني أخشى ألا يكون لدي أي طوابع بريد في وقتها إلا ما يكفي للكتابة للبيت. ولو كنت لن تكتب حاليًا، فبإمكان ذلك أن ينتظر).

ذهب العم يان إلى هيلفورت يوم السبت الماضي، وهو ينوي البقاء حتى العاشر من سبتمبر (أيلول)، فالبيت هادئ هذه الأيام، ومع ذلك الأيام تمضي كالهواء إذ لدي دروس يومية ولا بد أن أستذكرها، وكم أود لو كانت الأيام أطول لأنجز أكثر، لأن العمل ليس سهلًا دائمًا، وحتى لو كان المرء منكبًا عليه منذ فترة، فإنه لا يمنح سوى القليل من الرضا، في النهاية (بالفرنسية) فإن ما هو صعب جيد، أشعر باقتناعي بذلك حتى لو كان المرء لا يرى النتيجة.

أنا مشغول أيضًا باستنساخ كتاب "محاكاة المسيح" بكامله من طبعة فرنسية استعرتها من العم كور، إنه كتاب رفيع، ومن كَتَبَه لا بد وأن يكون رجلًا ذا قلب إلهي، كان لدي توق يغالبني لذلك الكتاب منذ بضعة أيام خلت، ربما لأنني أتفرج على لوحات الليتوغراف التي عن أعمال رويبيريز كثيرًا، فسألت العم كور أن يعيرني إيّاه. والآن أجلس هنا في المساء أنسخه، إنه كثير من العمل ولكن جزءا كبيرًا منه قد تم بالفعل، ولا أعرف طريقة أخرى أفضل كي أُدخل جزءا منه في عقلي. اشتريت أيضًا بوسيه "صلاة الجنازة" مرةً أخرى (اشتريته بأربعين سنتًا) أشعر أنني مضطر إلى أن أقبض على الهدف بقوة، أفكر أحيانا في تلك الكلمات "الأيام شر" ويجب على المرء أن يتسلح وأن يحاول ما أمكن أن يحوز شيئا من الخير في نفسه كي يكون قادرًا على المقاومة والاستعداد. إنها كما تعلم ليست مهمة بسيطة، ونحن لا نعرف المردود، وهكذا وفي كل الأحوال أريد أن أحاول وأن أخوض معركة جيدة.

إنه كتاب مشوق، كتاب توماس آ كامبيس ذاك، به كلمات شديدة العمق والجدية حتى إن المرء لا يستطيع قراءتها بدون أن تهتاج مشاعره وينتابه الخوف تقريبًا، على الأقل لو كان المرء يقرؤه برغبة مخلصة في النور والحقيقة، هذه اللغة هي البلاغة التي تكسب القلوب لأنها تخرج من القلب. بالتأكيد لديك هذا الكتاب. كتب لي أبي عن حادث مشؤوم وقع للعم فنسنت. لقد علمت عن ذلك دون شك، وأعني هنا سقوط زوجة القس ريتشارد من على الدرج ذات مساء وكونها في حالة مقلقة. وهكذا، يسمع المرء يوميًا بأمر ثم بآخر، في كل مكان وعلى جميع الجوانب، وهو يفسر على الأقل لم يكون لدي الانطباع بأن "الأيام شر". فهو وإن لم يحدث لنا، فالمرء

يشعر مع ذلك أنه ليس بعيدًا عنا، وأننا في المحنة نفسها، كما يقال. "لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ - فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ."

"فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ" ألا يقول لنا هذا بقدر ما أنت معني بهذه الأشياء اشعر بها، واشعر بالحزن، واحتفظ به في قلبك مع الأشياء الأخرى، ولكن امض في طريقك "عُد على الطريق"، وظل كما كنت عند البداية عندما كنت تنقب عن الخير واعتقدت أنك وجدت شيئًا منه. وبالنسبة للرب فهو أيضًا كما كان عند البداية، فبالنسبة له لا يوجد تغير ولا ظل للتراجع – أنت أيضًا بداخلك روح طيبة ولديك إيمان بالرب، وأولئك من يثقون به لن يُخزوا. نحن نرى ذلك في أبينا، الذي يشعر بكل المعاناة، وبكل البؤس وأيضًا بكل الخطايا من حوله، وهو أيضًا من يشارك فيها ويساعد بقدر استطاعته، ومع ذلك يمضي في طريقه المستقيم، يفعل الخير ولا ينظر إلى الوراء. نعم إنها الحقيقة، هو لديه الروح التي كانت للمسيح، تلك الروح التي قال عنها: "يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". والكثيرون لديهم الشيء نفسه -وإن لم يكن بالدرجة نفسها- ولذا فليس هدفًا مستحيلًا أن نتوق لذلك نحن أيضًا.

"كن متشددًا في تعديل حياتك كلها" هكذا كتب توماس كيمبيس، وهذا ما ينبغي للمرء فعله دون تراجع، حتى لو كان المرء يخشى من الخطأ الذي بداخله والذي يجعلنا عن حق نقول "وحدي سببت هذا البؤس لنفسي وللآخرين" ومن يشعر بهذا، فقد حان الوقت بالنسبة له، وهذا هو "الرجل المعني". لبعض الناس قد كتب "يجب أن تولد من جديد"، لبعض الناس فإن كلمات الرب تكون نبراسًا، ويكون "هو" نفسه، من خلال هذه الكلمات صديقًا ومعزيًا. لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة.

هناك شيء أجد نفسي مضطرًا إلى أن أخبرك به، أنت من لا أخفي عنك سرًا. إن في حياة العم يان والعم كور والعم فنسنت الكثير الكثير من الخير والنقاء، ومع ذلك فهناك شيء ناقص. ألا تعتقد، عندما ترى الاثنين الأولين وقد جلسا معًا، كما يحدث غالبًا، يتحدثان مساءً في تلك الغرفة الجميلة الوقورة التي تعرفها، أن ذلك مشهدٌ يسعد القلب، خاصة إذا نظر المرء لهما بحب كما أفعل أنا؟ هو حتى أجمل من

"العشاء في عمواس" لرامبرانت، ويمكن أن يكون كذلك، وهو كذلك الآن لكن ليس تمامًا. إن أبي لديه ما ينقصهما – من الخير أن تكون مسيحيًا، تقريبا وبكل معنى الكلمة، لأن هذه هي الحياة الأبدية. والآن سأمضي أبعد وأقول لك ما هو ناقص لديهما، ناقص في بيتيهما وأسرتيهما، فستقول عندها أو على الأقل ستفكر في الرجل الذي يرى القشة في عين أخيه لكنه لا يرى الخشبة في عينه هو ـ وعندها سأرد بأنه قد يكون هناك شيء من هذا، ولكن على الأقل فهذه كلمات حقيقية "من الجيد أن تكون مسيحيًا، تقريبًا وبكل معنى الكلمة".

منذ بضعة أيام قضيت أمسية في مكتب القس جيرمي مياس، ليس الكاهن المسن، ولكنه تماما ذلك الرجل الذي هزني بقوة في الكنيسة.

كانت أمسية لطيفة، وقد سأل عن أمر أو أمرين بخصوص لندن، وهو ما يمكنني أن أقول الكثير عنه، وقد حكى لي عن عمله والمسرات التي يبدو أنه يمر بها. كانت ثمة رسمة بالفحم معلقة في الغرفة تمثل قداسًا وقد اعتاد أن يحتفظ بها معه في البيت في أمسيات الشتاء، وهي جيدة جدًا، كانت لتعجب إسرائيل، كان المصلون يتكونون من عمال وزوجاتهم، هناك موضوعات مماثلة في كتاب دوريه عن لندن. ذهب بنفسه إلى لندن لمدة أسبوعين، ولديه عائلة كبيرة ستة أو سبعة أطفال وبزوجته شيء لا يوصف، شيء من أمي أو من زوجة القس جونز مثلًا. باختصار هي عائلة مسيحية في كل قوتها وازدهارها، هناك أحيانًا تعبير بسعادة عظيمة على الوجه المتعب للرجل، وعندما يكون المرء في ذلك البيت فإنه يشعر بشيء من قبيل "اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ".

وأيضًا قضيت أمسية لدى آل سترايكر وسمعت العم يعظ يوم الأحد الماضي عن رسالة كورينثوس الأولى الإصحاح الثالث الآية ١٤. "إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة". أحيانا يبدو وكأنني أشعر بشيء من السعادة والتغير في حياتي. كم أود لو أطلعك على كل الأشياء التي هنا. أفكر في ديجرو أحيانًا في الحيّ اليهودي وفي أماكن أخرى، هنالك أقبية للحطابين، والنجارين وحوانيت البقالة، وحوانيت الصيادلة، ودكاكين حدادة وما إلى ذلك وهو ما كان سيجعله سعيدًا. وعلى سبيل

المثال، رأيت هذا الصباح قبوًا عريضًا ومظلمًا للنبيذ، ومخزنًا مفتوحًا، لوهلة تبدى لي شبح -أتعرف ماذا- كان ثمة رجال يركضون جيئة وذهابًا يحملون المصابيح في القبو المظلم، والآن فهذا مشهد قد يراه المرء يوميًا، ولكن هناك لحظات تبدو الأشياء اليومية العادية وكأنها تترك انطباعًا فوق العادي ويبدو وكأن لها معنى أعمق في وضع آخر. عمد ديجرو إلى إظهار ذلك جيدًا في لوحاته وبالذات في مطبوعاته بالليتوغراف.

وصلت رسالتك بالضبط وأنا أكتب هذه الرسالة. أشكرك. كتب لي أبي بالفعل أنه قد زارك، لكن ما أدهشني حقًا هو وجود جلادويل في لاهاي. أبلغه تحياتي الحارة، وكم أرغب لو يأتي إلى هنا في وقت ما، وقد كتبت له للتو بطاقة بريدية لأطلب منه أن يفعل ما بوسعه ليأتي إلى أمستردام أيضًا، وأنت أيضًا حاول أن تقنعه. تعرف بنفسك كم هو مثير للأجانب أن يشاهدوا المدينة، وأيضًا المرفأ والمنطقة التي حولنا هنا، وكم أود لو أطلعته على الجوار بكل ما فيّ من طاقة. وأنا أتوق لرؤية عينيه البنيتين اللتين التمعتا بشدة عندما شاهدنا لوحة ميشيل والآخرين أو عندما تكلمنا في "أمور كثيرة". نعم سيكون من الجيد لو كان له أن يأتي، ولو استطاع أن يبقى أطول وقت ممكن، وأعتقد أننا سوف نشعر أنه كان هناك شيء حقيقي في صداقتنا المبكرة، وأنها لم تكن شيئًا هينًا، مع مرور الوقت لا يشعر المرء أنها بالقوة نفسها، لكنها لم تمت هي فقط نائمة، ولكي نوقظها ونجعلها تحيا من جديد فمن الخير أن نتقابل ثانيةً.

مرفق كلمة له، ويبدو لي أنه لا يجب أن يغادر هولندا دون أن يرى تريبنهويس وفان دير هوب، افعل ما في وسعك لتجعله يقوم بذلك، على ألّا يكون ذلك ضد إرادته. لا بد أن أظل ساهرًا هذه الليلة ما استطعت أن أبقي عينيّ مفتوحتين وأن أنهي ذلك؛ ولو اتسع لي الوقت سأكمل هذه الصفحة.

إن معرفتك بجلادويل وثيقة وتخلف وراءها شيئًا جيدًا، أظنها رائعة، لم أره منذ فترة طويلة.

الوداع (بالفرنسية) وتقبل مني مصافحة في العقل وتهانئي بمناسبة عيد ميلاد أمي، ولكن ربما كتبت مرة أخرى في يوم عيد الميلاد نفسه. والآن فأنا تكلمت بإفراط في هذه

الرسالة، ولا أعرف إن كان ذلك جيدًا وها أنا أرسلها كما هي، أتمنى لك الخير وصافح جلادويل من أجلي، وصدقني دائمًا.

اخوك المحب،

فنسنت

كتب لونجفلو كتابا عن الحياة في المسيح، منه هذا الاقتباس، وأشياء أخرى.

تعالوا إليّ
يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال
وسأمنحكم الراحة - تعالوا إليّ
لأنني الوديع متواضع القلب
وستجدون جميعًا الراحة لأرواحكم.

هل رأيت تلك المرأة؟ عندما دخلت بيتك
لم تعطني ماءً لقدميّ
لكنها غسلتهما بدموع عينيها
وجففتهما،
بشعرها! أنت لم تقبلني
وهذه المرأة منذ دخلت
لم تتوقف عن تقبيل قدميّ!
أنت لم تدهن رأسي بالزيت
لكن هذه المرأة دهنت قدميّ بالدهان
وهكذا أقول لك، قد غُفرت كل خطاياها
وقد كانت كثيرة، لأنها أحبت كثيرًا.

صدقيني يا امرأة
الساعة قادمة، وعندها لن نكون فوق

ذلك الجبل، ولا في أورشليم
تقدسي الأب، لأن الساعة قادمة
وقد جاءت الآن، حين يقدس العباد الحقيقيون
الأب في الروح وفي الحق.
الأب يرغب أن يقدسه مثل هؤلاء
الرب روح، ومن يقدسونه
يجب أن يقدسوه في الروح وفي الحق.

صاحب الحانة
الواقف بعيدًا لن يرفع كثيرا
حتى وعيناه على السماء، فهو يدق على صدره.
يقول: إلهي كن رحيمًا بي، إنني خاطئ.
أقول لك إن ذلك الرجل قد مضى إلى بيته
مبرأ من الإثم أكثر من غيره. كل امرئ
يمجد نفسه سيحقر
وكل من تواضع سيمجد.

اتركوا الأطفال الصغار
يأتون إليّ، ولا تمنعوهم
فلمثل هؤلاء ملكوت السماء، وملائكتهم
ينظرون إلى وجه أبي.

ألا تستطيع أن تسهر معي ساعةً؟
اسهر وصلِّ ألا تدخل في الغواية،
لأن الروح عن حق تريد، لكن الجسد ضعيف.

يا أبت كل الأشياء ممكنة لك
لو أن هذه الكأس لم تتجاوزني
لشربت منها. لتكن مشيئتك.

١٣٣ | امستردام، الثلاثاء ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك الأخيرة، التي سعدت لتلقيها. نعم، يا صديقي القديم، تلك اللوحة الحفرية عن عمل جول جوبيل جميلة وهي تشكل، مع كل ما يرتبط بها، مجموعًا رفيعًا وجيدًا يستطيع المرء أن يحفظه في قلبه. أنا بالأحرى أغبطك على قراءتك لكتاب "الثورة الفرنسية" لكارلايل، هو ليس كتابًا مجهولًا بالنسبة لي لكن لم أقرأه بأكمله، وجدت مقتطفات منه في كتاب آخر من تأليف تاين.

أنا مشغول بعمل مقتطف من موتلي من بينه لقطة لدن بريل وحصار هارلم، والكامار ولايدن، وقد رسمت خريطة لأسير عليها، وذلك لاستكمالها. وقد أنهيت أيضًا مقتطفًا من عمل "تقدم الحاج". أعمل طوال الوقت، يوما بعد يوم بحيث أنجز شيئًا.

أحتفظ بعملي مجمّعًا، كل شيء يهدف لاجتياز الامتحانات، وأستشير ميندس في كل شيء، وأصمم دراساتي وفقًا للنموذج الذي أنجزه هو ، لأن ذلك ما أود أن أفعله أنا أيضًا. ذلك التأريخ لحرب الثمانين عامًا لهو رائع حقًا، أي شخص سيبذل ما في وسعه لكي يقوم بصراع جيد في حياته. حقًا، إن الحياة لصراع، ولا بد للمرء أن يدافع عن نفسه ويقاوم، ويضع الخطط والحسابات بعقل مبتهج ويقظ لكي يتجاوز ويتقدم للأمام. الأمر لا يصبح سهلًا كلما تقدمنا في الحياة، وقد قيل عن حق:

هل الطريق يمضي صاعدا على طول المدى؟
"نعم، حتى النهاية الأخيرة."
وهل ستستغرق الرحلة طوال اليوم؟
"من الصباح للمساء يا صديقي."

وبالصراع مع المصاعب التي يجد المرء فيها نفسه، تنشأ قوة داخلية في قلوبنا تزداد مع صراع الحياة (ينضج المرء في العاصفة)، لو كنّا نسعى للحفاظ على هذا القلب بعيدًا عن مشكلات الحياة، طيبًا وبسيطًا وثريًا بحب الرب، لكي نصون هذا ونجعله يزداد، ولنحفظ في روحنا الكلمات التي يجب أن نعيها جيدًا حيال الرب وحيال الناس.

وكما ننظر للآخرين فنحن أيضا يُنظر إلينا من أعين كثيرة. إنه من الضمير – أرفع عطايا الرب، والدليل على أن عينه تتابعنا، ترى كل شيء وتعلم كل شيء، وأيضًا الضمان أنه لن يكون بعيدًا عن كل واحد منا، لكنه لنا كظلّنا وفي متناول اليد، وهو ينجينا من الشرير- من الضمير يأتي نورنا في ظلمات الحياة والعالم. ولو شعرنا بعين تنظر إلينا، كما يقال، فمن الجيد أن نتطلع إلى أعلى أحيانًا كما لو كنا سنراه، هو الذي لا تدركه العيون.

أعرف أن حياة فريدريك الأكبر برسومات ميتزل، هي صفقة جيدة للاقتناء، امض قدما مع تلك المجموعة، وأيضًا أعرف تلك المحفورة على الخشب من تصميم جاك، حظيرة الخراف، أحضر هذه الأشياء معك إلى الوطن في الكريسماس.

اشتريت من اليهودي مطبوعة الليتوغراف عن عمل لـ "ستيفنس"، تلك اللوحة التي أطلعتني عليها ذات مرة، كاهن مسن وكاهن شاب يتحدثان في حديقة، إنها مطبوعة جيدة. المشهد يذكرني بلوحة لجاك، وقد تم تصويرها بالفوتوغرافيا في "بطاقة الزيارة" واسمها "الكاهن الجديد"، أعتقد أن لهما الإحساس نفسه، وكذلك "الراهب المبتدئ" من عمل ج دوريه.

يا صديقي القديم، إن اللاتينية واليونانية والاستذكار أمر صعب، ولكن في الوقت نفسه أشعر بالسعادة وأنا أعمل الأشياء التي طالما تقت لها. لم يعد مسموحا لي بالسهر طويلًا في المساء، فقد حظر العمّ ذلك بشدة – مع أن الكلمات المكتوبة تحت محفورة رامبرانت تلتصق بذهني (في منتصف الليل النور ينشر قوته) وأنا أتأكد أن لهبًا صغيرًا للغاز يستمر مشتعلًا طوال الليل، وأرقد وأنا أرقبه أحيانًا (في منتصف الليل) أفكر في خطتي للعمل في اليوم القادم وأخطط كيف أمضي في دراستي على أفضل نحو ممكن. أتمنى أن أشعل النار مبكرا في الصباح شتاءً (وبينما أطيع العم أترك اللهب مشتعلًا في الليل والظلام من حين لآخر). إن صباح الشتاء به شيء خاص، لقد صور ذلك فرير في ذلك العامل "صانع البراميل" (إن المحفورة معلقة في غرفتك، فيما أعتقد)، بين أشياء أخرى.

"املأ روحي بالمرارة المقدسة المقبولة لديك، وأنا متواضعًا سأقضي عمري في خدمتك، في مرارة روحي، نعم، حتى في خدمتك، يا رجل الأحزان أيها المعتاد على المعاناة". هذه بالتأكيد صلاة جيدة، وقد فكرت فيها عندما قلت لك ببساطة إنه من الجيد أن يغمر المرء نفسه في القهوة في حياته اليومية.

للإنسان احتياجات، وهو بحاجة إلى القوة والمناعة كي يستطيع أن يعمل. وعلى المرء أن يتصرف بما في يده وأن يحارب بالأسلحة التي في متناوله وأن يستخدم الوسائل المتاحة لتحقيق النفع والاستفادة القصوى.

(بإمكانك أن تلاحظ من خطّي أن الظلام قد حلّ، لكن المصباح قد أضيء الآن). أكلت يخن اللحم والخضر لدى العم سترايكر ذات ظهيرة، وبهذه المناسبة أنجزت ذلك المقتطف من موتلي، وسأريك إياه في أعياد الميلاد. لأنني هنا في المدينة قد رأيت ومررت عدد لا يحصى من المرات بعتبات الدور وأرضيات الكنائس ودرجات سلالم البيوت، فإنني أعمد لصنع تلك الخرائط عن صخور اسكتلندا، وبينما ألوّنها (بالأخضر والأحمر) فكرت في المخللات التي يولع بها العم والتي بتُ أنا أيضًا مولعًا بها. إن روح المرء لهي أمر غريب بشكل فريد، وذلك جيد، فيما أعتقد، أن تمتلكَ واحدة كخارطة إنجلترا مصنوعة بحب وأن تحوز بداخلها أكبر قدر ممكن من ذلك

الحب الذي هو مقدس، وأن تحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وتأمل في كل شيء وتصبر على كل شيء وألا تضعف أبدًا. ذلك الحب هو نور العالم، الحياة الحقيقية هي نور الرجال. إن امتلاك معرفة اللغات هو بالضرورة أمر جيد، وأنا أواصل على أمل أن أحوز شيئا منها.

عندما يأكل المرء كسرة من خبز الشيلم الأسود وأيضًا عندما يكون بحذاءين موحلين أو بملابس مبتلة ومتسخة فمن الحسن بالتأكيد التفكير في كلمات "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ". ليتنا جميعا في وقت ما ندخل في المملكة التي ليست من هذا العالم، حيث لا يتزوجون ولا يوهبون بالزواج، حيث لن تكون الشمس بعد ذلك هي نور يومك، ولا ضوء القمر ينير لك، لكنه الرب سيكون نورًا أبديًا، والله مجدنا، حيث لن تغرب الشمس ثانيةً، ولن يتراجع القمر، لأن الرب سيكون نورك الأبدي، وستنتهي أيام الحداد، وسيمسح الرب دموعَ عينيك. حينئذ سنستطيع أن نختمر بخميرة "كحزانى ونحن دائما فرحون" ونكون ما نحن عليه بنعمة من الله، وفي ثنايا القلب السرية نحمل "نحن لا نيأس أبدًا" لأننا مؤمنون بالرب. ثم إن "جَعَلْتُ وَجْهِي كَالصَّوَّانِ" لهي كلمات صالحة في ظروف كثيرة، وأيضًا "كن كعمود من الحديد أو كشجرة بلوط قديمة". أيضًا من الحسن أن نحب نبات الزعرور، كخمائل الزعرور حول الكنيسة الإنجليزية الصغيرة أو الورود في المقبرة، إنها جميلة جدًا هذه الأيام، نعم، لو يستطيع المرء أن يصنع لنفسه إكليلًا من زعرور الحياة، لا من أجل الناس، ولكن كي يراه به الرب، سيكون المرء بخير عندها.

أتخيل أنك تعرف المحفورة الخشبية من عمل سوين، إنه رجل بارع، مرسمه في منطقة جميلة من لندن، ليست بعيدة عن الساحل حيث تقع مكاتب مجلة "ذا جرافيك" المصورة (Ill. Lond. News, The Graphic, Seeley &c.) ليس بعيدًا عن صف باعة الكتب أيضًا، مليء بكل أنماط باعة الكتب القديمة ومتاجر يرى المرء فيها كل أنواع البضائع، من محفورات رامبرانت وحتى طبعة هاوس هولد من ديكنز وكلاسيكيات شاندو، كل شيء هناك يصطبغ بطيف لوني أخضر، (خاصة في مناخ الخريف الضبابي، أو في النهارات المظلمة التي تسبق عيد الميلاد)، وهو مكان يذكر المرء مباشرة

بأفسس، كما تم وصفها بشكل فريد في سفر كتاب الأعمال (وبشكل مماثل فإن حوانيت الكتب في باريس أيضًا مثيرة، في ضاحية سان جرمان، على سبيل المثال).

يا صديقي القديم، كم سأكون سعيدًا بشكل لا يوصف إذا اجتزت الامتحانات، لو هزمت المصاعب فسيكون ذلك بإخلاص القلب، ولكن أيضًا بالصلوات للرب، لأنني عادة أصلّي له بحرارة للحكمة التي أنا بحاجة إليها، وهو قد يضمن لي ذات يوم أن أكتب وأعطي عظات عديدة، كلما كانت كعظات أبينا كان أفضل، وأن أكمل عملًا في حياتي تنتهي عنده كل الأمور التي تعمل معًا لصالح الخير.

كنتُ لدى العم كور مساء يوم الاثنين، ورأيت العمة والأسرة كلها، وكلهم يرسلون إليك تحياتهم الحارة. وقد بقيت فترة طويلة لأني لم أكن قد رأيت العمة منذ زمن طويل والمرء قد يتسبب في الإساءة دون قصد عن طريق إعطاء الانطباع بأنه لا يقدّر الناس أو يهملهم. وتصفحت ذلك الكتاب لدى العم: أعمال الحفر لسي دوبيني. وقد ذهبت من هناك إلى بيت العم سترايكر، وكان العم في الخارج لكن نجل القس ميبوم كان يزورهم، (شقيق مارجريت) وهو ضابط في البحرية، وكانت هناك صديقته وشاب آخر، ميديلبيك، الذي كان في لندن لفترة وهو عائد إلى هناك مرةً أخرى.

في العاشرة عاد العم إلى البيت غارقًا في البلل، إذ إنها كانت تمطر بغزارة تلك الليلة، وقد تكلمت معه طويلًا هو والعمة، لأن ميندس كان قد زارهم قبلها بيومين (لا يجب على المرء أن يتفوه بكلمة عبقري بخفة، حتى لو كان يعتقد أن هناك الكثير منهم في العالم أكثر مما يتخيل الناس، لكن ميندس فعلا شخص مميز جدا، وأنا سعيد وممتن لاتصالي به) وهو لم يعطهم تقريرًا سيئًا، لحسن الحظ، لكن عمي سألني إن كانت الأمور صعبة، أنا أقررت بأنها صعبة جدًا وأنني أفعل ما بوسعي لأتحمّل ولأكون يقظًا بكل الوسائل. وهو شجعني، مع ذلك. والآن لا يزال هناك ذلك الجبر والهندسة الفظيعان، على كل حال، سنرى - بعد أعياد الميلاد سأتلقى دروسا فيها أيضًا، لا يوجد حلّ آخر.

أنا أيضًا أبقى على مقربة من الكنيسة وحوانيت الكتب، ولو فكرت في مهمة أنجزها هناك فأنا أفعلها. اليوم على سبيل المثال، كنت لدى شاليكامب وسي إل برينكمان في شارع هارتسترات (إن متجر شاليكامب لبهيج المنظر) واشتريت خارطتين من "جمعية المعلمين"، هناك نحو المائة منها والواحدة ثمنها سنت واحد، وتضم هولندا في كل الحقب التاريخية الممكنة، (غالبًا وحتى في الماضي كانت زيارة لمتجر كتب ترفع من روحي وتذكرني أن هناك أشياء جميلة في العالم.)

صباح الأحد ذهبت إلى القداس المبكر ثم إلى الكنيسة الفرنسية حيث سمعت موعظة رائعة من القس جانيبيان: المنزل في بيت عنيا. "لكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ". ذلك القس، جانيبيان له مظهر لطيف وعقل قدير، وعلى وجهه شيء من سلام الرب الذي يفوق كل فهم. إن لديه شيئًا، فيما أعتقد، إما من ذلك الكاهن في آخر ضحايا الإرهاب وإما من تواضع وإخلاص الخدم الذين يراهم المرء في "نساء النزل".

إن اللوحة التي تصفها من عمل إسرائيل لا بد أن تكون جميلة، أستطيع تصورها من وصفك الواضح. لقد رأيت لوحة صغيرة له لدى العم كور وأيضًا لوحة أخرى لموف، جميلة جدًا، راع مع قطيع من الأغنام على التلال.

ثمة خطاب مبهج من بيت العائلة أيضًا، لحسن الحظ يبدو أن الأمور تتحسّن في برينسنهاج. أتوق بشدة لأعياد الميلاد، أحضِر شيئًا أو أكثر معك، على قدر استطاعتك، فذلك أمر حسن لنا جميعًا. لا تتعجل في إرسال التبغ؛ ما زال لدي بعض منه، هو مُعين جيد وضروري للدراسة.

كتبت رسالة طويلة إلى هاري جلادويل الذي غادر اليوم، وأيضًا أرسلت تحياتك. لو كان لديك الوقت والفرصة ففكر في ميشليه، وفي ج بريتون، لكن أتعرف، لا داعي للعجلة وإن كان ذلك ضروريًا، مع اقتراب أعياد الميلاد. الآن لا بد أن أعود للعمل والورقة أصبحت ممتلئة تقريبًا، كن بخير، واكتب متى استطعت، لقد أعطيت العم الوصفة التي كانت مرفقة برسالتك. وهو يبلغك تحياته، وأيضًا العم

والعمة سترايكر. قل لرفاقك في السكن: يومًا طيبًا من قِبَلي، وإذا أتيحت الفرصة فأيضًا لموف وزوجته وآل تريستيج وآل فان ستوكم (كيف هي) وآل هانيبيك، وبورشر إذا ذهبت إليه.

لتحل البركة على كل ما تفعل، وأتمنى لك القوة والنشاط في أيام الخريف هذه، ولتكن أعياد الميلاد مرةً ثانية لنا معًا مجتمعين. وداعًا (بالفرنسية) ومصافحة فكرية، وصدقني دائمًا.

اخوك المحب،

فنسنت

رأيت صورتين لجابرييل ماكس، قيام ابنه يايرس، وراهبة في حديقة دير، والأولى كانت جميلة بشكل خاص.

هل تعرف لوحة حفر مأخوذة عن عمل للاندسير؟ اسمها ساكن الهضاب، فيما أعتقد، عن أحد ساكنيْ الهضاب في عاصفة ثلجية على قمة جبل ممسكا بنسر اصطاده.

١٣٧ | امستردام، الأحد ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٧٧
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشعر بالحاجة للكتابة لك دون أن أؤجل ذلك طويلًا، والسبب أولًا هو أنه ينبغي أن أشكرك على ثلاثة أشياء. أولها رسالتك الممتازة ذات الصفحات الأربع، والتي أسعدتني بها كثيرًا، فمن الخير أن يشعر المرء أن له أخا يمشي ويعيش على الأرض، فعندما تكون هناك أشياء كثيرة تشغل فكر المرء وعليه أن يفعل الكثير من الأشياء في الوقت نفسه، فهو قد يشعر أحيانًا بـ: أين أنا؟ إلى أين أنا ذاهب؟ ويبدأ

المرء في الشعور بالدوار – وعندها فإن صوتًا مألوفًا، أو بالأحرى خط يد مألوفا، يجعل المرء يشعر بالأرض صلبة تحت قدميه مرةً أخرى، كما يقال.

ثم لا بد أن أشكرك على إصدار لـ Galerie Contemporaine عن أي فرير. إنه مثير جدًا للاهتمام وأنا سعيد لامتلاكي أحد أعماله. وأيضًا أشكرك على طوابع البريد العشرة، إن ذلك لكثير حقيقة ولا يجب أن تفعل كل ذلك. مصافحة من القلب على كل شيء.

الآن لدي بعض الأشياء التي أحكيها لك عن القديس نيقولا، لقد استلمت رسالة طيبة من إيتن مرفقًا بها حوالة بريدية لشراء زوج من القفازات.

ولأنه لدي بالفعل قفازان، فقد ابتعت شيئا آخر بالنقود، أعني خارطة أخرى من ستايلر، تحديدا لاسكتلندا وحدها. في الوقت الحاضر أستطيع أن أحصل عليها فرادى من سيفاردت، ولكن ربما لا تستمر هذه الفرصة طويلًا. وقد رسمت هذه الخريطة فأصبحت مزدوجة لديّ، ذلك لأنني أريد أن أرسل هدية عيد الميلاد إلى هاري جلادويل وأتمنى أن أرسلها إليك لترسلها إليه، لترفقها بأحد الطرود الذاهبة إلى باريس. على المرء أن يبني بيته على صخرة، في اسكتلندا، أو نورماندي، أو بريتاني، إنها أماكن صخرية حقًا، فقط ألق نظرة على تلك الخريطة الكبيرة لاسكتلندا عندما تستلمها. لو قارنتُ عملي في الدراسة ببناء بيت، فهذه الشهور هي وضع الأساس ثم تترتب على ذلك الأحجار في قواعدها.

لكن كل ذلك موضوع جانبي، والآن المزيد عن الأمسية محل السؤال. استلمت من العم كور لوحة بوسيه "صلوات الجنائز" في نسخة جيدة جدًا وفي متناول اليد، كاملة جدًا، وتضم بين أشياء أخرى الموعظة الرفيعة عن بولس من نص "لأن قوتي في الضعف تكمل". إنه كتاب نبيل، ستراه في أعياد الميلاد، أنا كنت سعيدا به حتى إنني كنت أحمله معي في جيبي أينما سرت، لكن حان الوقت لأتوقف عن ذلك حتى لا يصيبه شيء. استلمت من ميندس أعمال كلاوديوس، وهو كتاب جيد وقوي؛ وأنا أرسلت إليه "محاكاة المسيح" لتوماس كيمبينسيس (باللاتينية) ومكتوب على واجهته لا يوجد عنده يهودي أو إغريقي ولا عبد وحر، ولا ذكر وأنثى لكنه المسيح هو الكل

وفي الكل. وجاءني من العم سترايكر صندوق سيجار، أتعرف ماذا فعلت به، آل روز دائمًا ودودون وكنت أتساءل إن كان لدي شيء أرسله إليهم عندما وصل صندوق السيجار كهبة من السماء. وفي المساء وجدت خطابًا من العم يان راقدًا على طاولتي. كنت بعدها لوقت قصير لدى فوس وكي، حيث كان أيضًا العم والعمة سترايكر، لكنني لم أستطع المكوث طويلًا إذ كان لدي درس من الثامنة للعاشرة مع تيكسيرا. قضى العم يان الأمسية لدى العم كور.

كنت في قداس العم سترايكر هذا الصباح، أي في كنيسة أيلاندسكيرك، والعم كور كان هناك أيضًا. كان النص "بنورك نرى نورا".

كان جميلًا دائما السير إلى كنيسة أيلاندسكيرك. وهذه الظهيرة قمت بجولة أخرى حول الكنيسة الإنجليزية الصغيرة مصطحبا معي تلك الخرائط لتلك البلاد الصخرية، لأنني شعرت أنها ذات صلة بهذه الكنيسة الصغيرة.

"إن كنيسة الرب تقف على صخرة" هذه الكلمات كانت في ترنيمة الصباح، وهكذا رسمها رويزدال أيضًا، وميبه في اللوحة التي في اللوكسمبورج.

إنها خطة جيدة منك أن تكتب هذه الأسماء... إلخ. على خارطة بريتاني. أحضرها معك في أعياد الميلاد، تعرف أنني فعلت ذلك في تلك التي رسمتها، فنستطيع مقارنتهما. كن متأكدًا أنك ستفعل ذلك، لأن ذلك جيد.

تكلمت عن مجيئي للاهاي ثانيةً في طريقي إلى إيتن، أود حقًا أن أفعل، هل سيكون ممكنًا أن أقضي ليلة لدى آل روز. إن كان كذلك، فأنت لست مضطرًا لأن تكتب لي، فسوف أعتمد على أن ذلك ممكن، إذا لزم الأمر. أود أن أرى غرفتك ثانيةً وشجرة اللبلاب، أتمنى أن يكون ذلك ممكنًا، فأستطيع أن أغادر هنا مبكرًا بما يكفي لذلك.

لا أستطيع أن أخبرك كم أتوق لأعياد الميلاد. ولعل أبي يرضى عما أنجزته.

كان الطقس رائعًا اليوم، وجميلًا جدًا بين شجيرات الزعرور عند الكنيسة الصغيرة وقت بداية هبوط الليل.

تحدثت مع ميندس هذا الأسبوع، أو بالأحرى الأسبوع الماضي، حول "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" وقد رأى أن ذلك التعبير قوي جدًا، لكنني أصررت أن تلك هي الحقيقة البسيطة، ألم يقل بها توماس أ كيمبس عندما تكلم عن معرفة المرء لنفسهِ واحتقاره لها؟

لو نظرنا للآخرين ممن فعلوا الكثير ومن هم أفضل منا، فسريعًا ما نكره حياتنا لأنها ليست طيبة كحياة الآخرين. انظر فقط لرجل كتوماس كيمبس المقيد بمحبة المسيح ليكتب مثل ذلك الكتاب الصغير، صادق وبسيط وحقيقي كما هي قلة من الآخرين سواء قبله أو معاصرون له. وعلى مستوى آخر، انظر فقط لعمل ميه أو عمل ستايلر أو "شجرة البلوط الكبيرة" لجول دوبريه. لقد فعلوها: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"، وأبونا من هذا النوع من الرجال أيضًا، ومهما استطعنا أن نفعل، كما ترى، فأفضل شيء أن تظل أنظارنا على مثل هؤلاء الناس، وأن نبحث إن كان بإمكاننا نحن أيضًا أن نجد شيئًا. وأن نصدق أن ما قاله أبي حقيقي، إنه إذا سأل امرؤ "يا رب، أود أن أكون مُخلصًا" فإنه سيُسمع وسيضمن له ذلك من قبل الرب.

أتمنى لك يوم أحد طيبًا اليوم، كم أود أن أكون معك، ذهب العم يان إلى هارلم فأنا وحدي اليوم، ولا يزال لدي الكثير من المهام لأنجز منها على قدر ما استطيع. لقد أمتعتني حقًا بتلك المجلة حول أي فرير. لقد رأيته مرة بنفسي لدى جوبلز، لديه الكثير من التواضع. "في النهاية، انتصر" تقول سيرته، ربما يحدث ذلك معنا أيضًا في يوم من الأيام، ومن الجيد أن نقول: أنا لا أيأس أبدًا.

لا يحصل الشخص على كل شيء مرة واحدة، ومعظم هؤلاء ممن أصبحوا شيئًا عظيمًا، قد مروا بمرحلة طويلة وصعبة من التحضير وتلك كانت الصخرة التي تأسس عليها بيتهم.

إن الإنسان منحرف بطبيعته، وهو على الأفضل لص -ولكن- بتوجيه الرب ونعمته يمكنه أن يصبح شيئًا بقيمة أعلى، كما جاء على بولس يوم استطاع أن يقول

فيه بثقة وصراحة لهيرودس: "كُنْتُ أُصَلِّي إِلَى اللهِ أَنَّهُ بِقَلِيلٍ وَبِكَثِيرٍ، لَيْسَ أَنْتَ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَنِي الْيَوْمَ، يَصِيرُونَ هكَذَا كَمَا أَنَا، مَا خَلاَ هذِهِ الْقُيُودَ".

أشكرك على ما كتبته حول الليتوغراف. وشيء آخر، أنت أرسلت زوجين من مطبوعة المسيح المشير، وقد سعدت جدًا بحصولي عليها.

لن يضيرك أيضًا أن تحوز خارطة اسكتلندا، فيكون لديك ثلاثة أشياء من ذلك الأطلس، ويقول المثل: كل الأشياء الطيبة تأتي في ثلاث. فاعمل على الحصول على تلك أيضًا، وعلى أي حال ابتعها بنفسك، كنت في الأول أرغب في أن أرسل إليك الواحدة التي ستذهب الآن إلى جلادويل، لكنني اعتبرته واجبي أن أجعله يتلقى رسالة مني الآن مرة ثانية. أتمنى أن يستطيع أن يذهب إلى لويشام في أعياد الميلاد. تعرف لوحة كويب التي في المتحف هنا، عائلة هولندية قديمة، عندما رآها وقف محدقا فيها لفترة طويلة ثم تحدث عن "البيت المشيد على الصخرة" وعن بيته في لويشام. أنا أيضًا لدي ذكريات عن بيت أبيه ولن أنساه بسهولة. هناك الكثير من الحب القوي يعيش تحت ذلك السقف، وناره لا تزال فيه، لم تخمد، لكنها نائمة.

الآن عليّ أن أتعجل في العودة للعمل، وعلى الأرجح سأجيء إلى لاهاي الأسبوع القادم ليوم واحد، لنقل يوم الخميس، وربما بعد ذلك، لا بد أن أرى ما يتناسب مع عملي. ومن لاهاي أرجو أن أذهب إلى دوردرخت، وإذا استطعت أنت أن تغادر مساء السبت فقد نلتقي كلانا في محطة دوردرخت.

وفي هذه الحالة قد أقضي حتى ليلتين لدى آل روز، إذا كنت ذاهبًا إلى لاهاي في جميع الأحوال، لا ضرر من أن أبقى مدة أطول وأتصل ببعض الناس.

من المحزن، بشكل ما أن موف سيرحل، أتمنى أن نذهب إلى هناك معًا مرةً أخرى، كتلك الأمسية في الربيع الماضي، كانت لطيفة حقًا.

والآن، تأكد أن لا مشاكل لدى آل روز، إن كنت لن أستطيع البقاء لديهم فإنك ستعرف ذلك دون أن تسألهم وبإمكانك أن تكتب لي، وأنا سأضع ذلك في الحسبان؛ ولو كان باستطاعتي، فأخبرهم فقط قبلها بيوم.

أتمنى لك كل الخير والبركة في عملك، ستكون منشغلًا، ولكن فعليا يجب أن يكون المرء ممتنًا للضغوط والمجهود وكل ما شابه ذلك أكثر من أي شيء آخر، لأنه فقط بالتدريب الطويل على هذا يتطور المرء. أتمنى بإخلاص أن تستطيع المغادرة يوم السبت، لأنهم في البيت سيحبون أن نكون في إيتن يوم الأحد السابق على أعياد الميلاد. وإلى اللقاء الآن، إذا لم أسمع منك شيئا فسوف آتي يوم الخميس أو الجمعة، ٢٠ أو ٢١ من ديسمبر

قررت أخيرًا أن أعلق تلك الصفحة من درس الرسم، وآن من بريتاني لبراج، نعم، إن الإنسان منحرف بطبيعته، وهو على الأفضل لص لكنه في معركة الحياة قد يصبح شيئًا ذا قيمة أعلى، تلك الكلمات تبادرت إلى ذهني عندما كنت أتطلع لفترة طويلة إلى ذلك التعبير على وجه تلك المرأة الجميلة آن من بريتاني، التعبير الذي يشرح لماذا هي أيضا تستدعي "رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ؛ كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ"

وداعًا (بالفرنسية) أبلغ تحياتي لرفاق سكنك، وصدقني.

أخوك المحب،

فنسنت

١٤٣ | أمستردام، الأربعاء ٣ أبريل (نيسان) ١٨٧٨

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

كنت أفكر فيما تناقشنا حوله، ولم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في "نحن اليوم على ما كنا عليه بالأمس" وذلك ليس لقول إن المرء يجب أن يبقى ثابتًا وألا يحاول أن يطور نفسه، بل على العكس فهناك أسباب قهرية كي أفعل وأفكر كذلك.

ولكن ليظل المرء مخلصًا لتلك الكلمات فلا يجب عليه أن يتراجع، وما إن يأخذ في رؤية الأمور بعين ثاقبة وواثقة، فلا يجب عليه أن يتخلى أو يحيد عن هذا.

أولئك من قالوا "نحن اليوم على ما كنا عليه بالأمس"، كانوا "رجالًا مخلصين" (بالفرنسية) وهو ما يظهر من الدستور الذي وضعوه، الذي سيبقى لكل الأزمنة، وهو ما قيل عنه إنه كتب بضوء علوي وبأصابع من نار. من الجيد أن يكون المرء "رجلًا مخلصًا" وأن يسعى حقًا ليكون كذلك تقريبًا وبالكلية، ويحسن المرء صنعًا إذا آمن أن كونه "رجلًا باطنيًا وروحانيًا" (بالفرنسية) هو جزء من الأمر.

لو أن المرء يتأكد من كونه منتميًا إليهم، فسيمضي في طريقه هادئًا رابط الجأش، غير متشكك أبدًا أن الأمور ستؤول للخير. كان هناك مرة رجل ذهب إلى كنيسة ذات يوم وسأل: هل يمكن أن تخدعني حميتي، أن أكون قد انحرفت عن جادة الصواب واتخذت المسار الخاطئ، آه، لو كنت أستطيع أن أخلّص نفسي من هذه الحيرة وتكون لدي القناعة الراسخة من أني سأتجاوز وأنجح. ثم أجابه صوت، لو أنك تأكدت من ذلك، فماذا ستفعل؟ تصرف الآن كأنك متأكد من ذلك ولن تشعر بالعار. فمضى الرجل في طريقه، وكله إيمان، وعاد إلى عمله ولم يعد متشككًا أو مترددًا.

وفيما يخص كون المرء رجلًا باطنيًا وروحانيًا، ألا يستطيع الواحد أن يطوّر ذلك في نفسه عبر معرفة التاريخ في العموم وتاريخ بعض الأشخاص من كل الحقب على الخصوص، من زمن الكتاب المقدس وحتى الثورة، ومن الأوديسا وحتى كتب ديكنز وميشليه؟ وألا يستطيع المرء أن يتعلم شيئًا من أعمال ناس من أمثال رامبرانت أو من أعشاب لبريتون، أو من أوقات اليوم الأربعة لميه أو من النعمة لديجرو أو بريون، أو من المجند لديجر (أو أي شيء لكونسيونس) أو صيدليته، أو شجرة البلوط الكبيرة لدوبريه، أو حتى الطواحين والسهول الرملية لميشيل؟

إنه بالمثابرة على تلك الأفكار والأمور فإن المرء يصبح في النهاية مختمرًا بخميرة طيبة، تلك التي لحزانى لكننا فرحون، وهو ما سيبدو جليًا عندما يحين وقت الإثمار في حياتنا، عندما يؤتي عمل الخير ثمرته.

إن شعاع الأعالي لا يلتمع دائمًا علينا، فهو أحيانًا محجوب خلف السحب، وبدون ذلك الضوء لا يستطيع الإنسان أن يعيش وهو لا يسوى شيئا ولا يستطيع أن يفعل أي شيء صالح. وأي شخص يصرّ على أن المرء يستطيع أن يعيش بدون إيمان في ذلك الضوء العلوي ودون قلق من عدم التوصل له سينتهي به الأمر بخيبة الأمل.

لقد تكلمنا بما يكفي عمّا نشعر أنه مهمتنا وعن ضرورة أن نصل إلى شيء طيب، وقد توصّلنا محقين للخلاصة أنه يجب أن يكون هدفنا بدايةً أن نجد وضعًا أو مهنةً نكرس لها أنفسنا بالكامل.

وأعتقد أننا أيضًا قد توافقنا على هذه النقطة، أعني أن المرء يجب أن يولي عناية خاصة للنهاية، وأن النصر الذي يتحقق بعد عمر طويل من العمل والجهد أفضل من ذلك الذي نحرزه سريعًا.

من يعيش باستقامة ويخبر مصاعب حقيقية وخيبات ومع ذلك لا تهزمه هذه الخطوب لهو أكثر جدارة من شخص مرفّه لا يعرف شيئا لكنه بحظ حسن نسبيًا. لكن من هم، أولئك الذين يجب أن نلحظ فيهم بوضوح شيئًا ساميًا؟ إنهم أولئك من تنطبق عليهم كلمات "أيها العمال، إن حياتكم بائسة، إنكم تعانون في الحياة، أيها العمال طوبى لكم"، إنهم أولئك من تبدو عليهم علامات "تحمل حياة كاملة من النضال والعمل دون أن يستسلموا". من الجيد أن نحاول وأن نكون كذلك.

إذن فنحن ماضون في طريقنا "بعون الرب" (باللاتينية).

فيما يخصني، فلا بد أن أصير كاهنًا جيدًا، لديه شيء طيب ليقوله ويمكن أن يكون نافعًا في العالم، وربما كان من الحسن في نهاية الأمر مروري بفترة تحضيرية طويلة نسبيًا لأصبح مطمئنًا في إيمان راسخ قبل أن يتم استدعائي لأتحدث عنه للآخرين. من الحكمة، أن يجمع المرء قبل أن يبدأ هذا العمل ثروة من الأمور قد تفيد الناس.

دعنا نمضِ بهدوء، نختبر كل الأمور ونتشبث بسرعة في الصالح منها، ونحاول أن نتعلم المزيد من الأشياء النافعة، ونكتسب المزيد من الخبرة.

إن الغم-حيوية لهو أمر جيد أن يحوزه المرء، ولو كتبها المرء فقط ككلمتين، فالغم في كل الناس، وكل امرئ لديه أسبابه الكافية له، لكن عليه أيضًا أن يحوز الحيوية، وكلما كان أكثر كان أفضل، ومن الحسن أن يكون المرء ممتنعًا عن اليأس.

لو أننا فقط نحاول أن نعيش باستقامة، فسنكون حينها على ما يرام، حتى لو اضطررنا لتجربة أحزان حقيقية وخيبات أمل أصلية، وأيضًا ربما نقترف أخطاءً حقيقية ونرتكب أمورًا غير صحيحة، لكنه من المؤكد أنه من الأفضل أن نكون متقدي الأرواح، حتى لو كان المرء تبعًا لذلك يقترف أخطاء أكثر، عن أن نكون ضيقي الأفق وحذرين أكثر مما ينبغي. من الجيد أن يحب المرء ما في وسعه ذلك، لأن هنا تكمن القوة الحقيقية، وذلك الذي يحب أكثر يستطيع أن يفعل أكثر وهو قادر على ما هو أكثر، وما يُصنع بحب يُصنع جيدًا. لو أن المرء تأثر بكتاب أو بآخر، على سبيل المثال، فقط لأذكر شيئا، "السنونو والقبرة والعندليب"، و"التوق إلى الخريف"، و"من هنا أرى سيدةً" و"هذه القرية الصغيرة الفريدة دائمًا" لميشليه، وذلك لأنه مكتوب من القلب وببساطة وبتواضع روحي.

لو كان على المرء أن يقول بضع كلمات فقط، لكنها كلمات ذات معنى، فإن ذلك أفضل من قول الكثير من الكلمات التي هي مجرد أصوات فارغة، تلفظُ بيسر لكنّها بلا فائدة.

الحب هو أفضل وأنبل الأشياء في القلب الإنساني، لا سيما إذا كان قد جُرب واختُبر في الحياة كالذهب في النار، سعيد هو وقوي في نفسه من أحب كثيرًا، حتى لو كان قد تردد وانتابه الشك، لأنه قد حافظ على تلك الشعلة الإلهية وعاد إلى المبدأ الذي لن يموت أبدًا. لو واصل المرء بإيمان حب ما يستحق الحب عن جدارة، وألا يبلد حبه على أشياء تافهة ضعيفة القلب خاوية من المعنى، عندها سيصبح المرء تدريجيًا أكثر استنارةً وقوة. كلما سارع المرء بالسعي كي يكون كفئا في أمر معين أو مهنة معينة، وتبنى طريقة مستقلة في التفكير والتصرف، وكلما زاد من مراقبته للقوانين الثابتة، أصبحت شخصيته أقوى، وذلك لا يعني أن يصبح ضيق الأفق.

من الحكمة أن نفعل هذا، لأن الحياة قصيرة والوقت يمضى بسرعة. لو أن الإنسان كفء فى أمر واحد، ويفهم أمرًا واحدًا جيدًا، فإنه سيكتسب فى الوقت نفسه نظرة ثاقبة ومعرفة بأمور كثيرة أخرى فوق هذا.

من الخير أحيانا أن يشرع فى أمور كثيرة فى العالم وأن يكون وسط الناس، وفى أوقات يكون المرء مجبرًا ومدعوًا لفعل ذلك، أو قد تكون طريقة "ليغمر المرء نفسه فى عمله دون تحفظ وبكل قوته، لكن ذلك من ينهمك فى عمله بهدوء، وحيدًا، مفضلًا الاحتفاظ فقط بقلة من الأصدقاء، يمضى بأمان بين الناس وفى العالم". لا يجب أن يثق المرء فى كونه لا يواجه صعوبات أو بعض المخاوف أو العوائق، ولا يجب أن يجعلها المرء هينة جدًا على نفسه. حتى فى أكثر الدوائر ثقافةً وأفضل محيط وظروف، ينبغى للمرء أن يحتفظ بشىء من الطبيعة الأصلية لروبنسون كروزو أو الهمجى، وبعبارة أخرى المرء لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِى ذَاتِهِ، وألا يجعل اللهب فى روحه يذوى أبدًا لكنه يحتفظ به مستمرًا، وسيكون هناك دائما الوقت لكى يكون مفيدًا. وأى امرئ يواصل التمسك بالفقر لنفسه واحتضانها فهو يمتلك كنزا عظيما وسيسمع دائما صوت ضميره يتكلم بوضوح. وأى امرئ يسمع ويتبع صوت كينونته الداخلى والعميق، والذى هو هبة الله الأفضل، فهو سيجد فيه خير صديق وهو ليس بمفرده أبدًا.

سعيد هو من يؤمن بالرب، لأنه سيقهر كل مصاعب الحياة فى النهاية، على الرغم من أن ذلك لن يتم دون ألم أو حزن. ليس هناك ما هو أفضل من التمسك بفكر الرب وأن يسعى المرء لتعلم المزيد عنه، ووسط كل شىء، وفى كل مكان وزمان، يمكن للمرء أن يفعل ذلك بالكتاب المقدس كما بكل الأشياء الأخرى. من الخير أن نواصل الإيمان بأن كل شىء هو معجزة، بما يفوق إدراك المرء، لأن هذه هى الحقيقة، ومن الخير أن يظل حساسًا ومتواضعًا ووديعًا فى القلب، حتى لو اضطر أحيانًا لإخفاء هذا الشعور، لأن ذلك قد يكون ضروريًا، من الجيد أن نكون مدركين للأشياء التى كانت مخفية عن حكماء العالم لكنها تكشفت بالطبيعة للفقراء والبسطاء، للنساء والأطفال. لأن ما يمكن أن نتعلمه هو أن الأفضل هو ما وضعه الرب بالفطرة فى كل نفس بشرية، وهو ما يوجد فى عمق كل روح تحيا وتحب، تأمل وتؤمن، فلم يدمر المرء ذلك طواعية؟ وهنا، وفى هذا، تكمن الحاجة لما لا يقل عن اللامحدودية أو المعجزة، ويحسن الإنسان صنعًا إذا لم يكتف بما هو دون ذلك ولا يشعر أنه في بيته ما لم يكتسب ذلك.

هذا هو ما أقرّ به كل الرجال العظام في أعمالهم، من فكروا بعمق أكثر، وعانوا وعملوا بدأب أكبر وأحبوا أكثر من الآخرين، من قذفوا بأنفسهم في خضم بحر الحياة. إلقاء أنفسنا في الأعماق هو ما يجب أن نفعله نحن أيضًا لو أردنا الإمساك بأي شيء، ولو اضطررنا للعمل أحيانًا طوال الليل دون أن نستطيع أن نمسك بأي شيء، فمن الجيد ألا نستسلم بعد كل هذا، لكن أن نُلقي الشباك ثانيةً عند الفجر.

فدعنا ببساطة نمضِ في هدوء، كلٌ في طريقه، متتبعين النور دائمًا "ارفعوا قلوبكم" (باللاتينية)، وكمن يعرف أننا نكون كما يكون الآخرون والآخرون يكونون كما نكون نحن، وأنه من الخير أن نحمل الحب واحدنا للآخر وتحديدًا بأفضل شكل ممكن، ومن يصدق كل الأمور ويأمل في كل الأمور يتحمّل كل الأمور ولا يخفق أبدًا.

ولا ينبغي أن نتزعج كثيرًا لو كان بنا عيب، فمن ليس به أي عيب لديه على الرغم من ذلك عيب كونه بلا عيوب، ومن يظن أنه في كامل الحكمة سيصنع خيرًا لو بدأ من جديد من الأول وصار أحمق.

نحن الآن على ما كنا عليه بالأمس، وأعني "أناس شرفاء" (بالفرنسية)، أولئك الذين لا بد وأنهم اختُبروا بنيران الحياة ليصبحوا أقوياء داخليًا متسقين مع طبيعتهم بفضل نعمة الرب.

لعلّها تكون كذلك معنا، أيها الولد الشيخ، أتمنى لك السلامة في طريقك، وليكن الرب معك في كل ما تفعل وليجعلك موفقًا في ذلك، وهو ما تمنيته لك بمصافحة حارة عند مغادرتك.

أخوك المحب،

فنسنت

إنه فقط ضوء ضعيف جدًا، ذلك الذي في غرفة مدرسة الأحد في بارندبستاج، سأتركه مشتعلًا؛ على أي حال، لو لم أفعلها، فلا أظن أن أدلر من ذلك النوع من الرجال الذي سيطفئه.

١٤٨ | لاكن، نحو الأربعاء ١٣ والجمعة ١٥ أو السبت ١٦ من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٨

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

في مساء اليوم الذي قضيناه معًا، والذي مرّ بالنسبة لي في طرفة عين، أريد أن أكتب لك بعد كل ذلك. كان فرحًا غامرًا بالنسبة لي أن أراك وأتكلم معك ثانيةً، ومن حسن الحظ أن يومًا كهذا مر في طرفة عين، وفرحًا بديمومة قصيرة يظل مع ذلك في ذاكرتنا، وتظل ذكراه ذات طبيعة دائمة. بعد أن افترقنا سرت عائدًا ليس من الطريق القصير، لكن بمحاذاة التريكويج. هناك ورشات عمل من كل نوع تبدو لطيفة، خاصة وهي مضاءة في المساء، وهي أيضًا تكلمنا نحن بطريقتها، وفي النهاية، العمال والفعلة، كل في مجاله وفي العمل الذي دعينا إليه، لو أننا اهتممنا بالإنصات، إذ يقال "يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ"، وهم يذكروننا بأن الأب يعمل حتى الآن، وأننا أيضًا يجب أن نعمل.

كانت تلك اللحظة التي يعود فيها كناسو الشوارع إلى بيوتهم بعرباتهم ذات الخيول البيضاء الشائخة، كان هناك صف طويل من هذه العربات متوقفًا عند ما يسمى الأشغال الطينية عند بداية الطريق النهري. بعض هذه الأحصنة الشائخة يشبه تلوينة مائية ربما كنت تعرفها، إنها مطبوعة بدون قيمة فنية كبيرة، لكنها صدمتني وتركت لديّ انطباعًا قويًا. أعني آخر واحدة من سلسلة المطبوعات المعنونة "حياة حصان". تلك المطبوعة تصور حصانًا أبيضَ هرمًا هزيلًا ومتهالكًا حتى الموت إثر حياة طويلة من العمل الشاق والصعب. يقف الحيوان المسكين وحيدًا ومهملًا في مكان لا يوصف، سهل بأعشاب شاحبة ذابلة، وثمة شجرة مترنحة هنا وهناك محنية ومتصدعة من الريح العاصفة. وعلى الأرض تقبع جمجمة، وعلى مسافة، في الخلفية هيكل عظمي شاحب لحصان يرقد بجوار كوخ، حيث يقيم الرجل الذي يذبح الخيل.

وتظلل المشهد بأكمله سماء عاصفة، إنه يوم كريه وقاتم، طقس معتم ومظلم. إنه مشهد محزن ومثير للأسى بشكل عميق يجب أن يحرك مشاعر كل من يعرف ويشعر أننا أيضًا، لا بد وأن نمر ذات يوم بما يسمى بالاحتضار، وفي نهاية الحياة الإنسانية هناك الدموع أو الشعر الأشيب. وما يكمن وراء ذلك هو السر الأعظم الذي لا يدركه سوى الرب، والذي مع ذلك قد كشفه بلا جدال من خلال كلماته، وهو أن هناك قيامة للميت.

إن الحصان المسكين -الخادم المخلص والهرم، يقف صابرًا في خضوع، لكن بشجاعة، وحزم، كما يقال كالحارس القديم الذي قال "الحارس يموت لكنه لا يستسلم"- ينتظر ساعته الأخيرة. لم أستطع أن أكف عن التفكير في هذه المطبوعة ذلك المساء عندما رأيت خيول عربات الكناسين. والآن، بقدر ما كان الحوذيون أنفسهم مهتمين، بملابسهم الرثة القذرة، فقد بدوا غارقين ومتجذرين في الفقر بشكل أكثر عمقًا من الصف الطويل أو بالأحرى المجموعة من الناس الفقراء الذين رسمهم المعلم ديجرو في "دكة المعدمين". اكتب لتخبرني إن كنت تعرف هذه المطبوعة. كنت أود التحدث مع الكناسين إذا كانوا يودون لو يأتون فيجلسون على دكة المعدمين ويعتبرونها جديرة بالاهتمام أن يأتوا ويسمعوا عن الإنجيل ومجاميع الفقراء وعن الرب، أيضًا، حارسهم كظلهم عند يدهم اليمنى. هل ترى؟ دائما ما يصدمني وبشكل ملحوظ عندما نرى الصور التي لا توصف للنبذ، للوحدة، للفقر والبؤس، نهاية الأشياء أو أقصاها، ويأتي على البال التفكير في الرب. على الأقل هذه هي الحالة معي، ألم يقل أبي أيضًا: لا يوجد مكان أود أن أتكلم فيه أفضل من المقبرة، لأننا جميعًا هناك نكون فوق أرض للمساواة – هناك نحن لسنا فقط فوق أرض للمساواة، لكننا نشعر أيضًا أننا فوق أرض للمساواة، وفي أي مكان آخر نحن لا نشعر هكذا دائمًا.

أنا سعيد لأننا رأينا المتحف معًا، خاصة أعمال ديجرو ولايز ولوحات أخرى كثيرة مرموقة، كذلك المنظر الطبيعي لكوزمانز، بين أشياء أخرى. وأنا سعيد جدًا بالمطبوعتين اللتين أعطيتنيهما، لكن كان يجب أن تتركني أعطيك تلك المحفورة الصغيرة، الطواحين الثلاث. والآن أنت دفعت ثمنها كلها بنفسك، وليس نصف ثمنها

كما تمنيت أنا، لا بد وأن تحتفظ بها في دفتر مجموعتك، على أي حال لأنها مميزة، وإن كانت غير جيدة التنفيذ. وبعلمي المتواضع أعزوها لبروجل الفلاح لا بروجل المخملي. أرفق لك هنا محفورة "في مقهى الفحامين". يجب أن أبدأ في عمل رسومات تخطيطية لبعض من الأشياء الكثيرة التي يقابلها الواحد في طريقه، ولكن مع الأخذ في الاعتبار أني سأنجزها بشكل جيد مما سيأخذني من عملي الحقيقي غالبًا، فمن الأفضل ألا أبدأ. بمجرد عودتي للبيت سأبدأ في العمل على موعظة "شجرة التين الجرداء" من إنجيل لوقا، الإصحاح الثامن من الآية ٦ إلى الآية ٩.

أتمنى بصدق أن تكون قد قضيت أيامًا طيبة في الوطن، وأن تكون أيضًا قد توقفت للمبيت يوم الأحد ووجدت الأشياء بخير في رينسينهاج.

عندما تصل إلى بيتك في لاهاي اكتب لي كلمة سريعة لو توفر لك الوقت، وتأكد من إبلاغ تحياتي الحارة لآل روز.

إن الرسمة الصغيرة "في مقهى الفحامين" ليس بها شيء مميز، ولكن السبب في أني لم أستطع أن أمنع نفسي من عملها هو أن المرء يرى الكثير من الفحامين، وهم بالفعل أناس مميزون. ذلك البيت الصغير ليس بعيدًا عن الطريق النهري، إنه فعليا مجرد نزل بسيط مجاور للمشغل الكبير حيث يأتي العمال في وقت راحتهم لتناول خبزهم واحتساء أكواب البيرة.

في أيام إقامتي في إنجلترا قدمت لوظيفة كاهن إنجيلي لعمال مناجم الفحم، لكنهم أزاحوا طلبي جانبًا وقالوا إني لا بد وأن أكون في الخامسة والعشرين من عمري على الأقل. لا بد وأنك تعرف أن واحدًا من الجذور والقوانين الأساسية لا للأناجيل وحدها ولكن للكتاب المقدس ككل هو "النور الذي يشرق في الظلام". *من الظلمة للنور*. من أكثر من سيكون بحاجة لها، من ستكون له آذان ليصغي لها؟ علمتنا الخبرة أن أولئك من يعملون في الظلمات، في قلب الأرض كالعمال في مناجم الفحم وغيرهم، يتأثرون بشدة برسالة الإنجيل ويؤمنون بها. في جنوب بلجيكا، في هينوت من نواحي مونس وحتى الحدود الفرنسية وحتى ما بعدها بمسافة، هناك منطقة تدعى

البوريناج، حيث تقيم مجموعة من السكان من عمال مناجم الفحم العديدة. وجدت ذلك وأشياء أخرى عنهم في كتاب الجغرافيا: (البوريون، أو أهالي البوريناج، منطقة إلى الغرب من مونس) لا يفعلون شيئا سوى العمل في مناجم الفحم. إنّه منظر مؤثر مناجم الفحم تلك الفاغرة لثلاثمائة متر تحت الأرض حيث يهبط جمع من العمال كل يوم وهم يستحقون احترامنا وتعاطفنا معهم. إن عامل مناجم الفحم هو نمط مميز في البوريناج، وهو بالكاد يعرف ضوء النهار، وقلّما يستمتع بأشعة الشمس باستثناء أيام الآحاد. وهو يعمل بصعوبة شديدة تحت ضوء كاب لفانوس شاحب، في حيز شديد الضيق، بجسد محني وهو يضطر أحيانا للزحف؛ وعمله هو أن يسحب من أحشاء الأرض تلك المادة المعدنية التي نعرف فائدتها العظيمة، وهو يعمل هكذا وسط آلاف الأخطار التي تتكرر باستمرار، ولكن رئيس العمال البلجيكي رجل ذو شخصية مرحة، وهو معتاد على نمط الحياة ذلك، وعندما يهبط في النفق، معتمرًا قبعته التي يعلوها مصباح صغير مهمته أن يوجهه في الظلام، وهو يترك نفسه بين يدي الرب الذي يرى عمله ويحميه، ويحمي زوجته وأطفاله. تتكون ملابسه من قبعة من الجلد المدبوغ وسترة وسروال من النسيج. فالبوريناج تقع إذن إلى الجنوب من ليسين حيث توجد المحاجر.

أحب أن أذهب هناك كمبشر بالإنجيل. إن فترة الأشهر الثلاثة الاختبارية التي حددها السادة دي جونج والكاهن بيترزين قد شارفت على الانتهاء. لقد قضى بول ثلاثة أعوام في الجزيرة العربية قبل أن يصبح ناشطًا كواعظ ويبدأ رحلته التبشيرية العظيمة وعمله الحالي بين الوثنيين. لو استطعت أن أقضي ثلاث سنوات أو نحو ذلك في منطقة مماثلة، أعمل في سلام، وأتعلم دائما وأراقب، فلن أعود من هناك دون أن أكتسب شيئا لأقوله ويستحق السماع؛ أقول ذلك بكل تواضع وصراحة. لو شاء الرب ذلك ودبر حياتي، فسأكون جاهزا في نحو عمر الثلاثين لأستطيع البدء، وبتدريبي الخاص وخبرتي، سأكون أكثر تمكنًا من موضوعي وأكثر نضجًا للعمل مما أنا عليه الآن. أكتب لك ذلك ثانية، حتى لو كنا قد تكلمنا فيه من قبل. هناك بالفعل عدد من الأبرشيات البروتستانتية الصغيرة في البوريناج، وبالتأكيد مدارس أيضًا، لعل

الرب يشير إلى مكان حيث بإمكاني أن أكون نشطًا كمبشر إنجيلي بالطريقة التي تكلمنا عنها، بالوعظ بالإنجيل للفقراء، أي لمن هم بحاجة إليه، ولمن يلائمهم ذلك حد الكمال، مكرسًا حياتي خلال الأسبوع للتعليم.

لقد ذهبت بلا شك إلى سان جيل. لقد سرت مرةً من هناك حتى "علامة الحدود القديمة". وحيث يبدأ الطريق إلى جبل سان جان هناك تل آخر، الألسمبرج. هنا، وعلى اليمين توجد مقابر سان جيل المليئة بشجر الأرز واللبلاب، وحيث بإمكان المرء أن يشرف على المدينة من عل. وفي مسافة أبعد يقع المرء على غابة. إن المنطقة هناك ذات مناظر رائعة، تقف على المنحدرات العالية بيوت قديمة كالأكواخ في التلال التي رسمها بوسبوم. ويرى المرء الناس يقومون بكافة أشغال الفلاحة، يبذرون القمح، ويجمعون البطاطس ويغسلون اللفت، وكل شيء وصولًا إلى جمع الحطب في مشهد خلاب يشبه مونمارتر كثيرًا.

هناك بيوت قديمة بلبلاب أو نبات فرجينيا الزاحف وثمة حانات لطيفة، لاحظت بين البيوت وجودَ واحدٍ لصانع المسطردة فيركيسن. إن مكانه قد يكون مثاليًا للوحة لتياس ماريس، على سبيل المثال. ثمة أماكن هنا وهناك حيث توجد أحجار ومن ثم محاجر صغيرة تقود إليها طرق غائرة شقتها مسارات العربات، وحيث يرى المرء خيولًا بيضاءَ صغيرةً بشراريب حمراء وحوذيين بمآزر زرقاء، مع حضور لراع، ونساء عجائز يرتدين السواد وقبعات بيضاء يذكرن بعجائز ديجرو. ثمة أماكن هنا أيضًا -كما في كل مكان ـ وحمدًا للرب على ذلك – يشعر المرء فيها أنه في وطنه أكثر من أي مكان آخر، وحيث يخامر المرء شعور بالحنين للوطن، وهو شعور به شيء من المرارة والأسى لكنه في الوقت نفسه يوقظ ويقوي الروح داخلنا ويعطينا قوة وشهية للعمل ويحفزنا، ولا نعرف كيف أو لماذا. في ذلك اليوم مشيتُ قدمًا، تجاوزت الغابات وأخذت طريقًا جانبيًا نحو كنيسة قديمة يزحف عليها اللبلاب. رأيت العديد من أشجار الليمون، تتشابك مع بعضها البعض وتبدو أكثر "قوطية"، إذا جاز أن نقول ذلك، من تلك التي شاهدناها في المنتزه، وعلى جانبي الطريق المنحدر نحو المقابر، خمائل متشابكة وجذور أشجار تشبه تلك التي صورها دورر في محفورته

"الفارس والموت والشيطان". هل رأيت أبدًا رسمة لها أو صورة من عمل كارلو دولتشي، حديقة الزيتون؟ إن بها شيئًا من رامبرانت، لقد رأيتها مؤخرًا. لا شك أنك تعرف تلك المحفورة الكبيرة الخشنة المستوحاة من عمل رامبرانت حول الموضوع نفسه، المعتمدة على الأخرى، قراءة الكتاب المقدس، التي بها المرأتان والمهد. لقد خطرت ببالي بعد أن أخبرتني أنك شاهدت رسمة الأب كورو حول الموضوع نفسه؛ لقد رأيتها في المعرض الذي أقيم لأعماله بعد وفاته بفترة قصيرة، وقد أثرت فيَّ بعمق.

كم في الفن من أشياء جميلة، لو أن المرء يستطيع فقط أن يتذكر ما قد رآه، فلن يكون بعدها خاويًا أو وحيدًا بحق، وأبدًا ليس وحيدًا.

الوداع (بالفرنسية) يا تيو، أصافح يدك بعمق في أفكاري، وأتمنى لك الخير، ولعلك تدأب في عملك وتقابل العديد من الأشياء الطيبة في طريق حياتك: البقاء في الذاكرة، وأن نكون أثرياء على الرغم من أنه يبدو أننا لا نملك شيئًا. لو رأيت بورتشرز فكن طيبًا بما يكفي لتخبره أنني أشكره بشدة على خطابه الذي أرسله منذ فترة. ولو ذهبت إلى موف فأبلغه تحياتي، وصدقني.

أخوك المحب،

فنسنت

احتفظت بهذه الرسالة ليومين. لقد مضى ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) إذن فقد مرت مدة ثلاثة الأشهر. وقد تحدثت مع الكاهن دي جونج والمعلم بوكما، وقد قالا لي إنه لا توجد فرصة أن أكون في المدرسة تحت الشروط نفسها التي يقدمونها للفلمنكيين الأصليين – بإمكاني حضور الدروس، وبالمجان إن كان ذلك ضروريًا، لكن تلك هي الميزة الوحيدة– وللإقامة فلا بد أن يكون لي مصادر مالية أخرى تحت تصرفي أكثر مما لدي الآن، وهو ما يعني لا شيء. لذا فربما جربت قريبًا خطة البوريناج. وإذا خرجت مرة من المدينة فلا يجوز أن أعود بسهولة لمدينة كبيرة. لن تكون سهلة المغادرة بدون إيمان به وبدون أن يكون لدي إيمان أبينا به، وبدون إمكانية أن يفقد القلب.

(*sketch* A)



مقهی او کاربوناج

١٥١ | وازمت، بين الثلاثاء ١ والأربعاء ١٦ أبريل (نيسان) ١٨٧٩ إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

حان الوقت لتسمع مني ثانيةً، عرفت من البيت أنك كنت في إيتن ليومين وأنك كنت مسافرًا من أجل الشركة. وأتمنى بإخلاص أن تكون رحلتك مرت بخير.

لا بد وأنك تذهب إلى تلال شيفننجن هذه الأيام بين حين وآخر، هنا أيضًا الريف جذاب في الربيع؛ ثمة أماكن هنا وهناك حيث بإمكان المرء أن يتخيل نفسه في التلال بسبب المرتفعات.

ذهبت في رحلة مثيرة جدا منذ فترة قصيرة؛ وهي أنني قضيت ست ساعات في أحد المناجم.

في واحد من أقدم وأخطر المناجم في المنطقة واسمه ماركاس، ذلك المنجم له سمعة سيئة إذ مات فيه الكثيرون سواء وهم يهبطون أو وهم يصعدون، أو بالاختناق، أو بسبب انفجار أو بسبب المياه الجوفية أو بسبب انهيار الأنفاق القديمة، وهكذا. إنه مكان معتم، ومن النظرة الأولى فإن كل شيء هناك به حس كئيب أو مميت. العاملون هناك هم عادة أناس هزيلون وشاحبون حد المرض، متعبون ومنهكون بسبب المناخ السيئ، شائخون قبل الأوان، والنساء عامةً شاحبات وذابلات. لا يوجد حول المنجم سوى مساكن العمال وشجرتين ميتتين، وقد اسودتا بالكامل من السخام، ونباتات شوكية، وأكوام من الروث وتلال من القمامة، وجبال من الفحم غير الصالح للاستعمال... إلخ. كان ماريس ليصنع منها لوحة جميلة.

سأحاول أن أنجز لاحقًا تخطيطا لها لأعطيك فكرةً عنها.

وكان لدي دليل جيد هناك، رجل عمل هناك لثلاث وثلاثين سنة، رجل ودود وصبور وقد شرح لي كل شيء بوضوح وحاول أن يجعله مفهومًا.

هبطنا لأسفل معًا، على عمق ٧٠٠ متر هذه المرة، وذهبنا إلى أكثر الزوايا اختباءً في ذلك العالم السفلي.

إن *Maintenages* أو *gradins* (وهي الخلايا التي يحفر العمال بها) والتي هي بعيدة جدًا عن المدخل تسمى "الخبيئة". للمنجم خمسة مستويات، الثلاثة العلوية منها استنفدت وأهملت ولم يعد بها عمل إذ لم يعد بها فحم. لو أن أي شخص حاول أن يرسم تلك الخلايا، سيكون ذلك شيئًا جديدًا لم يُسمع به من قبل أو بالأحرى لم يُر قط. تخيل سلسلة من الغرف في ممر ضيق منخفض مدعومة بعروق خشبية خشنة، وفي كل غريفة من هذه عامل في ملابس كتانية خشنة، متسخ ورث كمنظفي المداخن، يكحتون الفحم في الضوء الشحيح لمصباح صغير. في بعض الغريفات يقف العمال ليعملوا منتصبين، وفي البعض الآخر يعملون مستلقين على الأرض.

‹*sketch* A›

‹*sketch* B›

إن التنظيم يشبه بشكل ما تنظيم قفير النحل، أو كممر مظلم معتم في سجن تحت الأرض، أو سلسلة من الأطياف الصغيرة، أو في الواقع كصف من الأفران التي يراها المرء لدى الفلاحين، أو كقبور مفردة في مدفن كبير، الممرات نفسها تشبه المداخن الكبيرة في مزارع البارابانت.

في بعضها، ثمة ماء يسيل في كل مكان فيصنع ضوء مصابيح العمال تأثيرات معينة وانعكاسات كما في كهف مليء بالرواسب الكلسية. بعض العمال يعملون في الغريفات والآخرون يحمّلون الفحم الخام في عربات صغيرة تسير على قضبان حديدية كعربات الترام. هم تقريبًا أطفال من يقومون بهذا، أولاد وبنات. يوجد أيضًا إسطبل هناك على عمق ٧٠٠ متر تحت الأرض، ونحو سبعة خيول شائخة تنقل كميات أكبر من الفحم، وتجلبها لما يسمى بالـ *accrochage*، وهو المكان الذي يتم شحنها منه. ثمة

الغريفات حيث يعمل عمال المناجم

عمال آخرون مشغولون بترميم الأنفاق العتيقة ليمنعوها من الانهيار، أو هم يحفرون أنفاقًا جديدة في عروق الفحم. كالبحارة على اليابسة يشتاقون إلى البحر، على الرغم من كل المخاطر والصعوبات التي تحيق بهم، هكذا يفضل عامل المنجم أن يكون تحت الأرض على فوقها.

إن القرى هنا بها شيء منبوذ وبائد، لأن الحياة تدور تحت الأرض لا فوقها. بإمكان المرء أن يبقى هنا لسنوات، ولكم من دون أن تهبط في المناجم لن تكون لديك صورة واضحة عمّا يجري هنا.

الناس هنا أميون وجهلة، ومعظمهم لا يستطيع القراءة، مع ذلك فهم بارعون ومهرة في عملهم الشاق، وشجعان، بأجساد صغيرة وأكتاف قوية وعيون غائرة ومعتمة. هم مدربون على أشياء كثيرة ويعملون بدأب مذهل. تصرفاتهم عصبية جدًا، لا أعني أنها تنم عن ضعف إنما عن حساسية. لديهم كراهية عميقة ودامية وعدم ثقة غريزي في كلّ من يحاول أن يتسلط عليهم. مع عمال مناجم الفحم لا بد للمرء أن يكون له طبيعة عمال مناجم الفحم وشخصيتهم، بلا ادعاءات، أو تكبّر أو عجرفة، وإلا فلن يستطيع التعامل معهم ولن يستطيع كسب ثقتهم أبدًا.

هل حكيت لك في وقتها عن العامل الذي احترق بشكل بشع في انفجار للغاز؟ حمدا للرب فقد تماثل للشفاء الآن وهو يخرج في الجوار آخذا في السير لمسافات طويلة للتريض، لا تزال يداه ضعيفتين وسيحتاج لوقت حتى يستطيع استخدامهما في عمله، نعم لقد نجا. ولكن منذ وقتها وهناك بعض حالات التيفوس والحمى الخبيثة، ومن بينها ما يعرف بحمى الجنون والتي تسبب للمرء أحلامًا مزعجة كالكوابيس والهذيان. وهكذا فهناك لا يزال عدد من المرضى طريحي الفراش، يرقدون بهزال في أسرتهم في ضعف وبؤس.

في أحد البيوت كان الجميع مرضى بالحمى، ولا عناية بهم أو بالكاد القليل منها، وهو ما يعني أن مريضًا يعتني بمريض "هنا المريض الذي يعتني بالمريض"، قالت المرأة كما قيل "الفقير يصادق الفقير".

هل رأيت شيئًا جميلًا مؤخرًا؟ أتوق بشدة لخطاب منك.

هل يعمل إسرائيل كثيرًا مؤخرًا، وماريس، وموف؟

منذ يومين وُلِد مهر في الإسطبل هنا، مخلوق صغير وجميل سريعًا ما وقف منتصبا على أرجله. يربي العمال الكثير من الماعز ها هنا، وصغارها تملأ البيوت في كل مكان، كما تملأ الأرانب عادة بيوت العمال.

لا بد أن أخرج وأزور المريض، ولذا أنهي الرسالة الآن، دعني أسمع منك في القريب، لتعطني إشارة بالحياة، سيكون لديك الوقت لذلك.

أبلغ تحياتي لرفاقك في السكن، ولموف عندما تتاح لك الفرصة، وأتمنى لك كل خير، وصدقني دائمًا، وأصافحك بأفكاري.

اخوك المحب،

فنسنت

إن النزول في المنجم لهو تجربة غير لطيفة، فأنت تهبط في ما يشبه السلة أو القفص، كدلو يتدلى داخل بئر، لكنه بئر بعمق خمسمائة أو سبعمائة متر، وفي الأسفل وإذ نظرت لأعلى، يبدو ضوء النهار في حجم نجم في السماء. ويكون لدى المرء شعور شبيه بشعور ركوب سفينة للمرة الأولى، ولكنه أسوأ، لكن لحسن الحظ لا يدوم طويلًا. العمال يعتادون على ذلك، لكنهم لا يتخلصون أبدًا من شعور الرعب الملح والفزع الذي يلازمهم، ولهم في ذلك مبرراتهم. كنت في الأسفل مرة واحدة، ومع ذلك هي ليست بالخبرة السيئة، فالمرء يجزى على مجهوده بما يشاهده هناك.

العنوان

Vincent van Gogh
c/o Jean-Baptiste Denis
rue du Petit-Wasmes
Wasmes (Borinage, Hainaut)

١٥٤ | كويزميس تقريبًا بين الاثنين ١١ والخميس ١٤ من اغسطس (آب) ١٨٧٩ ١٥٤

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أكتب لك بشكل أساسي لأقول لك إنني ممتن لزيارتك. فمنذ فترة طويلة لم ير أحدنا الآخر أو يكتب له كما اعتدنا أن نفعل. وعلى الرغم من كل شيء، فمن الأفضل أن نشعر بشيء حيال بعضنا البعض عوضًا عن أن نتصرف كالجثث، وعلى الأخص بسبب أنه ليس من حقنا بعد أن نُدعى بالجثث دون أن نكون قد متنا رسميًا، لأن تصرفنا كذلك إنما ينم عن نفاق وصبيانية. صبيانية سلوك فتى في الرابعة عشرة يظن أن كرامته ومكانته الاجتماعية تسمحان له باعتمار قبعة. إن الساعات التي قضيناها معًا تؤكد لنا على الأقل أن كلينا لا يزال على أرض الأحياء. عندما رأيتك ثانيةً وتمشينا معًا، جاءني الشعور نفسه الذي اعتدت عليه أكثر من الآن، كما لو كانت الحياة شيئًا طيبًا وقيمًا ينبغي للمرء أن يعتز به، وشعرت بالتفاؤل والحياة وهو ما لم يحدث منذ فترة طويلة، لأنه على الرغم مني صارت الحياة تدريجيًا أقل قيمة بالنسبة لي، أقل أهمية واكتراثًا. عندما يعيش المرء بين الآخرين ويكون مرتبطًا بشعور التعاطف يكون على وعي بأن لوجوده علة، وأن المرء غير منعدم القيمة تمامًا ووجوده ليس زائدًا، لكنه ربما مفيد لشيء ما، على اعتبار أننا محتاجان أحدنا للآخر وأننا نقوم بالرحلة نفسها كرفقاء سفر.

إن احترام الذات أيضًا لهو أمر متوقف على العلاقة مع الآخرين.

إن سجينًا معزولًا، وقد حرم من العمل وكل شيء، سيكون على المدى البعيد، لا سيما إن طالت المدة، معذبًا من عواقب الأمر كمن يعاني من جوع طويل. وكأي شخص آخر أنا بحاجة للعلاقات، للصداقة أو للتعاطف أو للثقة المتبادلة، فأنا لست كمضخة شارع أو عمود إنارة، لست حجرًا ولا حديدًا، ولذا فأنا لا أستطيع

العيش منعزلا دون أن أستشعر فراغًا وأحس بافتقادهم، بشكل عام كأي شخص متحضر أو كرجل محترم – وأنا أخبرك بهذا لأعلمك كيف كان تأثير زيارتك منجيًا بالنسبة لي.

وتماما كما تمنيت ألا نفترق، كانت تلك هي الحالة مع من هم في الوطن. مع أنني، في هذه اللحظة، أرهب الذهاب إلى هناك، وأميل بشدة للبقاء هنا. مع ذلك فقد يكون ذلك خطئي، وقد تكون أنت محقًا في تفكيرك أني لا أرى الأمور باستقامة، ولذلك، وعلى الرغم من إحجامي الكبير والرحلة الصعبة، سوف أذهب إلى إيتن على الأقل لمدة أيام قلائل.

وإذ أفكر في زيارتك لي بامتنان، أتذكر تلقائيًا كلامنا معًا. لقد سمعت مثل هذا الكلام من قبل، مرات عديدة في الحقيقة. خطط للتحسن والتغيير ولرفع الروح – ومع ذلك، ولا تجعل ذلك الكلام يغضبك، فأنا خائف قليلًا منها ـ وأيضًا لأني أحيانا اتبعت تلك الخطط وانتهيت مع ذلك إلى خيبة أمل. فمهما كانت مدروسة تظل غير قابلة للتطبيق.

لا يزال الوقت الذي قضيته في أمستردام حاضرًا في ذاكرتي. كُنتَ هناك أنت بنفسك، وأنت تعرف كيف كانت تقاس المزايا والعيوب، وتؤخذ في الاعتبار ويتم التداول بشأنها، ومدفوعة بالحكمة، وكيف كانت النية طيبة، ومع ذلك كيف كانت النتيجة مخزية، وكيف كان الأمر كله أخرق، وغبيًا بشكل صارخ. ما زلت أرتجف عند التفكير في ذلك. كان ذلك أسوأ الأوقات التي مررت بها. وكم هي لطيفة ومبهجة هذه الأيام الصعبة المضطربة التي أقضيها هنا في هذا البلد الفقير، في هذا المحيط البدائي، مقارنة بأيامها. أخشى أن تكون النتيجة مماثلة مع اتباع نصائح حكيمة أسديت بنية طيبة.

إن مثل تلك التجارب قاسية جدًا بالنسبة لي. الخسارة، والحزن، وندم القلب، إنه لأمر عظيم لكلينا ألا نتعلم من الدرس الصعب. لو لم نتعلم من هذا فممَّ سنتعلم إذن؟ إن المثابرة لبلوغ الهدف الذي وضعته أمامي وقتها، هو حقيقةً طموح لن

يستطيع أن يتمكن مني ثانيةً، فالرغبة لتحقيق ذلك قد فترت بشكل معتبر، وأنا الآن أنظر للأمور بمنظور مختلف، حتى لو كان ذلك يبدو جذابًا وحتى لو كان من غير المقبول أن أفكر في الأمر كما علمتني التجربة أن أفكر فيه. غير مقبول، نعم، تماما كما وجد فرانك الإنجيلي، على سبيل المثال، أنه من غير المقبول أن أعلن أن الموعظة التي أعطاها الكاهن جان أندري أكثر إنجيلية من مواعظ قسيس. أفضل أن أموت ميتة طبيعية على أن تهينني لها الأكاديمية، وقد تلقيت أحيانًا دروسا من جزازة عشب بدت لي أكثر منفعة من درس في اليونانية.

أما التحسن في حياتي – ألا ينبغي أن أرغب فيه، أم ينبغي ألّا أكون بحاجة للتحسن؟ أرغب حقًا أن أتحسن، ولكن بالتحديد لأني أرغب في ذلك فأنا أرهب الدواء الذي قد يكون أسوأ من المرض. هل تستطيع أن تلوم شخصًا مريضًا إذا نظر للطبيب مباشرةً في عينيه مفضلًا ألا يتم علاجه بشكل خاطئ أو من قِبل طبيب دجال؟

وهل يخطئ شخص مصاب بالسل أو بالتيفوس إذا أصر على أن دواء أنجع من ماء الشعير قد يكون مفيدًا لحالته أو ضروريًا، أو توصل إلى أن ماء الشعير في حد ذاته لن يؤذيه، وهو مع ذلك يشك في فاعليته وقدرته في علاج حالته الخاصة؟

لا ينبغي للطبيب الذي وصف ماء الشعير أن يقول إن ذاك المريض لهو شخص عنيد وقد قرر تدمير نفسه لأنه لا يرغب في تناول الدواء – لا، لأن المريض غير راغب، بل لأن الطبيب المزعوم غير ملائم.

وهل تلوم شخصًا إذا لم تحركه لوحة يسجل الكاتالوج أنها لميملينج في حين أن لا علاقة لها به سوى أن بها موضوعًا مماثلًا من الحقبة القوطية لكن من دون قيمة فنية؟

وإذا استنتجت الآن مما أقوله لك أن في نيتي أن أقول إنك دجال بسبب نصيحتك فستكون أسأت فهمي بالكامل، حيث إن هذه ليست فكرتي عنك أو رأيي فيك.

ولو -من ناحية أخرى- فكرت أني قد آخذ بنصيحتك حرفيًا، وأصبح طبّاعًا للإيصالات وبطاقات الزيارة، أو محاسبًا أو صبي نجار، أو كنصيحة شقيقتنا الحبيبة آنا

أن أكرس نفسي لصنعة الخبازة أو أي شيء آخر من هذا القبيل (في تنويعات ملحوظة يستبعد بعضها البعض) وهو ما تم اقتراحه، ستكون مخطئًا أيضًا.

لكنك تقول: أنا لا أسدي إليك هذه النصائح كي تتبعها حرفيًا، ولكن لأنني فكرت أن لديك ميولًا للتعطل والبطالة ولذا كان من رأيي أنه يجب أن تضع حدًا لذلك.

هل تسمح لي أن أشير إليك أن تلك البطالة هي حقيقة نوع غريب جدًا من البطالة، ومن الصعب عليّ أن أدافع عن نفسي على هذا المستوى، لكنني سأكون آسفًا إذا لم تستطع أن تراها في ضوء مختلف. أنا أيضًا لا أعرف إذا كنت سأحسن صنعًا إذا استجبت لهذه الاتهامات باتباع النصيحة فأتحوّل إلى خبّاز مثلًا. ستكون تلك استجابة مُرضية عن حق (على فرض أنني استطعت أن أتلبس شخصية الخباز أو الحلاق أو المكتبي في لمح البصر) ولكنها أيضًا استجابة حمقاء، كتلك التي فعلها الرجل الذي اتُهم بغلظة القلب لأنه اعتلى ظهر الحمار، فترجّل على الفور ومضى في طريقه حاملًا الحمار على كتفيه.

وكمزحة على الهامش، أنا أفكر بصدق لو أن العلاقة بيننا كانت أكثر ثقة على الجانبين. يجب أن أشعر بجدية أنني قد أكون مملًا أو مزعجًا لك ولمن هم في البيت، وغير نافع في أي شيء، وإذا استمر إجباري على الشعور بأنني دخيل أو زائد عن الحاجة في حضوركم كالعجلة الخامسة في عربة، ومن الأفضل عدم وجودي، ولو كان يتوجب عليّ أن أواصل البقاء أبعد فأبعد عن طريق الناس ـ لو فكرت أن الأمر يجب أن يكون هكذا ولا حل آخر ـ فأنا مغمور في شعور بالحزن وعليّ أن أقاوم اليأس.

يصعب عليّ تحمل هذه الأفكار ومن الأكثر صعوبة احتمال فكرة أن عديدًا من الخلافات والبؤس والحزن في محيطنا وفي عائلتنا كانت بسببي أنا.

لو كانت في الحقيقة كذلك، فأنا لا أرغب حقيقة في أن أستمر في العيش طويلًا. ومع ذلك، فكل مرة يحبطني فيها هذا التفكير فوق ما أحتمل، وبكل هذا العمق،

وبعد فترة طويلة تأتيني الفكرة: ربما ذلك مجرد حلم مزعج ورهيب، وربما تعلمنا لاحقًا أن نفهمه وندركه جيدًا. لكن أليس في النهاية الواقع، وألن يكون يومًا أفضل عوضًا عن أن يكون أسوأ؟ بالنسبة للعديدين سيبدو أنه من الخطل والخرافات أن نصدق في أي تطور للأفضل. أحيانًا في الشتاء، يكون الطقس قارس البرودة حتى إن المرء يقول: ببساطة إن الطقس بارد جدًا، ولم أهتم إن جاء الصيف، فالشر يدحض الخير. ولكن سواء أحببنا أم لا فإن لموسم الجليد نهاية، وذات صباح جميل تنسحب الريح ويكون موسم ذوبان الثلوج. وإذا قارنا حالة الطقس في الطبيعة بحالتنا المزاجية وظروفنا، المعرضة للتقلبات والتحولات، فيظل لديَّ أمل في التحسن.

لو كتبت لي، ربما قريبًا، فإن ذلك سيسعدني. وفي هذه الحالة فإن عنواني هو: طرف ج بتي دينيس

rue du Petit-Wasmes à Wasmes (Hainaut).

لقد سرت حتى وازمث عقب مغادرتك تلك الليلة، ورسمت بورتريهًا من وقتها.

وداعًا (بالفرنسية) وتقبل مني مصافحة في الأفكار، وصدقني.

المخلص،

فنسنت

١٥٥ | كويزمس تقريبًا بين الثلاثاء ٢٢ والخميس ٢٤ من يونيو (حزيران) ١٨٨٠

الى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أكتب لك بعد بعض التردد، وأنا لم أفعل ذلك منذ فترة طويلة، وذلك لأسباب كثيرة. ولدرجة ما لقد صرت غريبًا عني، وأنا كذلك بالنسبة لك، ربما أكثر مما

تعتقد؛ ربما كان من الأفضل لكلينا أن نمضي في هذا الطريق. وكان من الممكن ألا أكتب لك الآن لو لم يكن ذلك تحت الإلزام والضرورة. إن كنت أقول، أنت نفسك لم تفرض هذه الضرورة. ولقد علمت من إيتن أنك أرسلت إلي خمسين فرنكا، حسنًا فأنا أقبلها. بالتأكيد مع بعض التردد، وبالتأكيد مع شعور بالأسى، لكنني في ورطة واضطراب؛ فماذا يمكن للمرء أن يفعل؟

أنا أكتب لك إذن لأشكرك عليها.

وربما تعلمُ أنني قد عدت إلى البوريناج؛ وقد طلب مني أبي أن أبقى في محيط إيتن بدلًا من ذلك؛ فرفضت، وأعتقد أن تصرفي كان هو الأفضل. فبدون أن أرغب، أصبحت عضوًا مستحيلًا أو مشبوهًا في الأسرة، في كل مناسبة، شخصًا غير موثوق فيه، فكيف إذن سأكون نافعًا لأي شخص وبأي طريقة؟

ولهذا وقبل كل شيء فأنا أميل للاعتقاد، أنه من المفيد والأفضل والموقف الأكثر صوابًا هو أن أبقى بعيدًا لمسافة معينة، كما لو لم أكن موجودًا.

إن فترة تساقط الريش بالنسبة للطيور، عندما تغير ريشها، لهي محنة ووقت عصيب وشؤم بالنسبة لنا كآدميين. وقد يظل المرء في هذه المرحلة وقد يخرج منها متجددا، لكنّها لا تتم على الملأ، على كل، هي مسألة غير لطيفة تماما، وليست مبهجة، وهو أمر يستوجب أن تكون منتحيًا. إذن فليكن.

والآن، قد تكون محاولة استعادة ثقة عائلة بأكملها لا تنقصها الأحكام المسبقة وبعض الصفات المماثلة المشرِّفة والمظهرية أمرًا صعبًا للغاية، مع ذلك فأنا لست يائسًا من أنه تدريجيًا وببطء، قد ينبني تفاهم طيب مع الشخص أو آخر منهم.

وفي المقام الأول، أود أن أرى ذلك التفاهم، ، يعاد بناؤه بيني وبين أبي، كي لا أطمع في ما هو أكثر من ذلك، وسأكون متحمسًا أيضًا أن يعاد بناؤه بيننا نحن الاثنين. التفاهم الجيد بلا شك أفضل من سوء التفاهم.

والآن سأضجرك ببعض المسائل المجردة؛ وعلى كل حال، أحب أن تنصت لها في صبر.

من ناحيتي، فأنا رجل شغوف، قادر على ارتكاب أفعال حمقاء أشعر بسببها أحيانا بالندم. وقد أجد نفسي أحيانًا، أتكلم أو أتصرف بسرعة شديدة عندما يكون من الأفضل التروي بصبر. وأعتقد أن الناس الآخرين قد يرتكبون أحيانا مثل هذه التصرفات الحمقاء. والآن، والحالة كذلك، ما الذي يُفعل، هل يعتبر الواحد نفسه رجلًا خطيرًا، غير قادر على أي شيء على الإطلاق؟ لا أعتقد ذلك. لكنها مسألة أن تسعى بكل وسيلة لتحويل هذا الشغف إلى اتجاه سليم. وعلى سبيل المثال، لأسمي أحد صنوف هذا الشغف، لديّ بشكل أو بآخر ولع لا يقاوم بالكتب، وبي حاجة مستمرة لتعليم نفسي، للدراسة، وبدقة لو ترغب كحاجتي لأكل الخبز. ستكون قادرًا على تفهم ذلك. عندما كنت في محيط مختلف، في محيط من الرسامين والأعمال الفنية، فأنت تعلم أنني وقتها انتابني شغف عنيف بهذه الأجواء ما يتجاوز مجرد الحماس لها. وأنا لا أندم على ذلك، والآن، بعيدًا عن البلاد مرة أخرى، فأنا أشعر بالحنين لبلد الرسم.

أنت ربما تعرف بوضوح أنني قد عرفت جيدًا (وربما لم أزل أعرف) ماذا كان رامبرانت أو ميه Millet أو جول دوبريه أو دولا كروا أو ميليه Millais أو ماريس.

حسنًا، أنا لم أعد في ذلك المحيط، ومع ذلك هناك شيء يسمى الروح، وهم يزعمون أنها لا تموت، إنها تعيش للأبد، وأنها تسعى إلى الأبد، وإلى الأبد وإلى أبد الآبدين.

وعليه، فبدلًا من الاستسلام للحنين للوطن، فقد قلت لنفسي إن وطن المرء وبلده الأصلي هو في كل مكان، وعليه، فبدلًا من أن أترك مجالًا لليأس، فأنا أخذت طريق الأسى النشط ما دام لدي طاقة للنشاط، وبكلمات أخرى، لقد فضلت الأسى الذي يدفع إلى الأمل والطموح والبحث، على ذلك النوع الكئيب الراكد الذي يدفع إلى اليأس.

ولذا فقد درست الكتب التي تحت يدي بجدية، كالكتاب المقدس وكتاب الثورة الفرنسية لميشليه، ثم في الشتاء الماضي وبجدية شكسبير وقليلًا من فيكتور هوجو وديكنز وبيتشر ستو، ثم مؤخرًا إسخيليوس ثم عددا من الكتاب الأقل كلاسيكية، عددا من الأساتذة الصغار الجيدين. ستعرف أن واحدا ممن يصنفون بين المعلمين الصغار يسمى فابريتيوس أو بيدا.

والآن فالرجل المستغرق في هذا كله أحيانا يكون صادمًا للآخرين، وبدون أن يرغب يكون مستفزًا بشكل أو بآخر لبعض الأشكال والعادات والمعتقدات الاجتماعية. ومن المؤسف أن الناس يأخذون ذلك على المحمل السيئ. على سبيل المثال أنت تعرف جيدًا أنني أخذت في إهمال مظهري بشكل متكرر، أعترف بذلك، وأعترف أن ذلك صادم. ولكن انظر، فالنقود، والمشاكل والفقر لها دخل في ذلك، ثم هناك يأس عظيم أيضًا له دخل في ذلك، ثم إنها قد تكون وسيلة جيدة لتأمين العزلة التي يحتاجها المرء ليتعمق في دراسة أحد المجالات التي تشغله. أحد المجالات الضرورية هو الطب، بالكاد يوجد أشخاص لم يحاولوا أن يعرفوا ولو القليل عنه، ومن منا لم يحاول أن يعرف موضوعاته، وهنا أنا ما زلت لا أعرف أي شيء على الإطلاق عنه. لكن كل ذلك يستغرقك، وكل ذلك يشغلك، كل ذلك يجعلك تحلم، وتتأمل، وتفكر.

والآن، فمنذ نحو خمس السنوات، لا أعرف تحديدًا، وأنا بدون وظيفة، أجول هنا وهناك. وأنت الآن تقول منذ زمن وزمن وأنت تنحدر، وتذوي ولم تفعل شيئًا. هل هذا صحيح تمامًا؟

حقيقة إنني في بعض الأحيان كنت أكسب خبزي، وأحيانا كان يتفضل علي به بعض الأصدقاء؛ وقد عشت في حدود استطاعتي، بشكل وبآخر، كما جرت الأمور؛ لقد فقدت حقيقةً ثقة العديد من الناس، وحقيقي أيضًا أن حالتي المالية مزرية، وحقيقي أن مستقبلي ليس مشرقًا، وحقيقي أيضًا أن أموري كان يمكن أن تكون أفضل، وحقيقي أيضًا أنه فقط على مستوى كسب العيش فأنا أضعت الوقت،

وحقيقي أيضًا أن دراساتي نفسها في حالة بائسة أو محبِطة، وأن ما ينقصني أكثر مما لدي بالفعل. ولكن أيسمى هذا انحدارا، وأيسمى عدم فعل شيء؟

ومن الممكن أن تسألني، لِمَ لم تكمل كما كان الناس يأملون لك أن تكمل، في طريق الجامعة؟

وعلى هذا سأجيب فقط بأن التكلفة كانت مرتفعة جدًا، ثم لم يكن المستقبل أفضل من الحاضر، على الطريق الذي أسير فيه. ولكن لا بد أن أواصل على الطريق نفسه؛ لو لم أفعل شيئا، لو لم أدرس، لو لم أواصل المحاولة، فأنا ضائع لا محالة، ويا ويلي. هكذا أراها، أن أواصل وأواصل، وهو ما يتطلبه الأمر.

ولكن ما هو هدفك النهائي، ستسألني. سيتضح هذا الهدف أكثر، وسيتخذ شكلًا ببطء وثقة، عندما تتحول المسودات إلى تخطيطات والتخطيطات إلى لوحة، إذ يعمل المرء بجدية أكثر، كما يحفر بعمق في الفكرة الأصلية الغائمة، وهي أول ما يهرب، كفكرة عابرة، ما لم تصبح راسخةً.

لا بد وأنك تعرف أن الحال مع المبشر الإنجيلي هو نفسه مع الفنان. هناك مدرسة قديمة، كريهة عادةً، أكاديمية واستبدادية، هي بؤس الخراب في الحقيقة. رجال، إذا جاز التعبير يرتدون سترات واقية ودروعًا صلبة من الأحكام المسبقة والقناعات. هؤلاء الرجال عندما يتولون أمر شيء ما، أو يكون هناك منصب تحت تصرفهم، وبنوع من النفاق يسعون لإسباغ العناية على تلامذتهم وإقصاء الإنسان الطبيعي من بينهم.

المهم يشبه إله فالستاف سكّير شكسبير، "داخل الكنيسة" في الحقيقة، بعض السادة الإنجيليين (؟؟؟) يجدون أنفسهم في اقتران غريب (ربما اندهشوا منه هم أنفسهم لو كانوا يتمتعون بالشعور الإنساني) يجدون أنفسهم يحملون وجهة نظر السكّير نفسها في الأمور الروحية. لكن هناك خوفًا من ألا يتحول عماؤهم إلى نوع من وضوح الرؤية أبدًا فيما يخص الموضوع.

هذا الوضع له جانب سيئ بالنسبة لشخص لا يوافق على كل هذا، ويعترض عليه بكل قلبه وروحه وبكل سخط يستطيعه.

عن نفسي، أنا أحترم الأكاديميين ممن هم ليسوا كهولاء الأكاديميين، هؤلاء المحترمون هم أكثر ندرةً مما يبدو للوهلة الأولى. وواحد من الأسباب في كوني بلا وظيفة منذ أعوام، يرجع ببساطة إلى أنني لي أفكار مختلفة عن أفكار السادة الذين يمنحون الوظائف لأفراد يفكرون مثلهم.

إنها ليست فقط مسألة المظهر، وهو ما يأخذه عليّ الناس بنفاق، لكنه شيء أكثر جدية من ذلك، أؤكد لك.

ولماذا أخبرك بذلك؟ لا لأتذمر، أو لأعتذر عن أمور كنت مخطئًا فيها بشكل أو بآخر، ولكن ببساطة لأخبرك بذلك: في زيارتك الأخيرة، الصيف الماضي، وحين سرنا معًا قرب المنجم المهجور الذي يسمونه "الساحرة"، ذكرتني بأنه كانت هناك أوقات في الماضي سرنا فيها معًا بجوار القناة القديمة وطاحونة رايسويك، ثم قلت إننا كنا على اتفاق في أمور كثيرة، ولكنك أضفت: أنت تغيرت من وقتها حقًا، لم تعد الشخص نفسه. حسنًا، لكن الموضوع ليس كذلك بالضبط، ما تغير هو أن حياتي كانت أقل صعوبة ومستقبلي أقل إظلامًا، لكن على مستوى شخصيتي الداخلية أو طريقتي في النظر والتفكير، فهي لم تتغير. ولكن إن كان هناك تغير في الحقيقة، فهو أنني أفكر وأعتقد وأحب بشكل أكثر جدية مما كنت أفكر وأعتقد وأحب في السابق.

سيكون نوعًا من إساءة الفهم لو واصلت الاعتقاد في أنني مثلًا، قد أكون أقل شغفًا برامبرانت أو ميبه أو ديلاكروا، أو كائنًا ما كان، لأنه على العكس تمامًا. لكنك ترى، هناك أشياء عديدة ليُعتقد فيها ولتُحب. هناك شيء من رامبرانت وشيء من شكسبير وشيء من كوريجيو أو سارتو لدى ميشليه. وشيء من ديلاكروا لدى فيكتور هوجو. ولدى بيتشر ستو شيء من آري شيفر. ولدى بونيان شيء من أم ماريس ومن ميبه، واقع أكثر حقيقيةً من الواقع، لو جاز القول، ولكن يجب أن تعرف كيف تقرؤه؛ فهناك أشياء رائعة لديه، وهو يعرف كيف يقول أمورًا لا يمكن التعبير عنها؛

ثم هناك شيء من رامبرانت في الأناجيل أو من الأناجيل لدى رامبرانت، كما ترغب، فهما يقدمان الشيء نفسه بشكل أو بآخر، شريطة أن نفهمه بشكل صحيح، دون أن نحاول أن نحرّفه في الاتجاه الخاطئ، فيحتفظ المرء في ذهنه بمعادل للمقارنة بحيث لا تجعل هناك أي مطلب لتقليل جدارة الشخوص الأصلية.

لو أنك الآن تستطيع الصفح عن رجل لتعمقه في فن التصوير، فأعترف بأن محبة الكتب مقدسة كمحبة رامبرانت، وأعتقد حتى أن الاثنين يكملان بعضهما البعض.

أنا حقًا أحب بورتريهًا لرجل بريشة فابريتيوس، والذي تأملناه مليًا ونحن نتمشى معًا ذات يوم في متحف هارلم. جيد، لكن أنا أحب شخصية ريتشارد كارتون لدى ديكنز في عمله "قصة مدينتين" عام ١٧٩٣ بالقدر نفسه، وبإمكاني أن أطلعك على شخصيات أخرى حية بطريقة غريبة من كتب أخرى، بتشابهات مماثلة بطريقة أو بأخرى. وأعتقد أن كينت، وهو رجل في مسرحية "الملك لير" لشكسبير، لهو نبيل ومميز كأي من شخوص تي إتش دي كيسير، على الرغم من أن كينت والملك لير قد عاشا قبل ذلك بزمن طويل. يا إلهي، بدون مبالغة، كم هو جميل ذلك؟ شكسبير، من في غموضه؟ إن لغته وطريقته في عمل الأشياء هي بالتأكيد مساوية لأي فرشاة ترتعش بالحمى والعواطف. لكن على المرء أن يتعلم كيف يقرأ، كما عليه أن يتعلم أن يرى وأن يعيش.

وعليه فلا يجب أن تعتقد أنني ألفظ هذا أو ذاك؛ في عدم إيماني أنا مؤمن، بطريقة ما، وعلى الرغم من أنني قد تغيرت، فأنا لا أزال كما أنا، وهذا هو سر عذابي، في أي شيء يمكنني أن أكون نافعًا، ألا أستطيع أن أخدم وأكون نافعًا بشكل ما، كيف يمكن أن أتعمق في هذا الموضوع أو ذاك؟ أترى، إن ذلك يعذبني بشكل مستمر، ثم تشعر أنك مسجون في بؤسك، مستبعد من المشاركة في هذا العمل أو ذاك، أشياء عديدة ضرورية بعيدة عن متناولك. وبسبب كلّ هذا فالأسى لا يفارقك، وتستشعر الخواء حيث يجب أن توجد الصداقة والمشاعر الرفيعة الجدية، وتشعر بإحباط رهيب يلتهم طاقتك الفيزيقية نفسها، أو هو مصير قادر على احتجاز غريزة

العاطفة، أو موجة من الاشمئزاز تتغلب عليك. ثم تقول، إلى متى، يا إلهي! ثم ماذا أستطيع أن أقول؛ هل ما يجري في الداخل يظهر في الخارج؟ شخصٌ ما لديه نار عظيمة في روحه ولا أحد يأتي ليتدفأ عليها، والعابرون لا يرون سوى دخان قليل عند قمة المدخنة ثم يمضون في طريقهم. فماذا نحن فاعلون الآن، نترك هذا اللهب يستمر في الداخل، ليكن لنا في أنفسنا ملح، ننتظر صابرين، لكن بأي نفاد صبر، حتى تأتي الساعة فيجيء من يرغب ويجلس ها هنا، ويبقى ها هنا، من أجل كل ما أعرف؟ لينتظر من يؤمن بالرب أن تأتي الساعة التي ستأتي آجلًا أم عاجلًا.

الآن في هذه اللحظة فإن كلّ أموري تمضي بشكل سيئ، وذلك ما يبدو، وقد كان كذلك منذ فترة لا يستهان بها، وقد يظل على هذه الطريقة لمستقبل قد يطول وقد يقصر، لكن ربما بعدما سارت كل الأمور بشكل خاطئ، فربما تسير للأفضل. أنا لا أحسب حساب ذلك، فقد لا يحدث، لكنني أفترض أنه قد يحدث تغير للأفضل، وسوف أحسب ذلك بقدر ما أتعلّم؛ سأكون سعيدًا لذلك، وسأقول، حسنًا، ها أنت تُحرز شيئا ما بعد كل هذا.

لكنك ستقول مع ذلك أنت مخلوق لعين تحمل أفكارا مستحيلة عن الدين وبوازع ضمير طفولي. لو لدي أيّ منها سواء كانت مستحيلة أو طفولية، وأتيح لي أن أتخلص منها، فما أحب علي من أن يحدث ذلك. ولكن هذا ما أفكر فيه بخصوص هذا الموضوع بالتقريب. ستجد في كتاب سوفستر "الفيلسوف تحت الأسقف" (العنوان بالفرنسية) كيف أن رجلًا من الشعب، عاملًا بسيطًا، بائسًا للغاية، إذا جاز التعبير، قد تخيل وطنه الأم، "ربما أنك لم تفكر قط في ما هو وطنك الأم، واصل واضعًا يده فوق كتفي؛ هو كل شيء يحيط بك، كل شيء رباك وغذاك، كل شيء أحببته. ذلك الريف الذي تراه، وهذه البيوت، وتلك الأشجار، وهاتيك الفتيات الشابات، اللاتي يمرقن ضاحكات هناك، ذلك هو وطنك الأم! القوانين التي تحميك، الخبز الذي تحصل عليه نظير عملك، الكلمات التي تتبادلها، الفرح والحزن اللذان يداخلاك من الرجال والأشياء التي تعيش بينها، هذا هو وطنك الأم! الغرفة الصغيرة التي كنت ترى فيها أمك، والذكريات التي خلفتها لك، والأرض التي دُفِنَت فيها، ذلك هو وطنك

الأم! أنت تراه، وتتنفسه في كل مكان! فكر فقط، حقوقك وواجباتك، ارتباطاتك وحاجاتك، ذكرياتك وامتنانك، ضع كل ذلك معًا تحت مسمى واحد، وذلك المسمى سيكون وطنك الأم".

والآن بالمثل، فكلّ شيء خيّر عن حق في الناس وأعمالهم، كلّ شيء جميل ومغزى أخلاقي داخلي ومعنى روحاني وسمو جمالي، أنا أعتقد أنه من الرب، وأنّ كل شيء شرير وخبيث في الناس وأعمالهم هو ليس من الرب، والرب لا يراه حسنا. لكن دون أن أقصد، فأنا دائما أميل للاعتقاد أن أفضل وسيلة لمعرفة الرب هي أن نحب بقدر كبير. أن نحب ذلك الصديق، وذلك الشخص، ذلك الشيء، وأي شيء كان، فسوف تكون على الطريق الصحيح للمعرفة العميقة، في النهاية، فإن هذا ما أقوله لنفسي. لكنك لا بد أن تحب بقدر عظيم من التعاطف الحميم، بإرادة، وذكاء، ولا بد أن تسعى دائما لأن تعرف بعمق أكثر، أفضل وأكثر. ذلك يقود إلى الرب، ويقود إلى إيمان لا يتزعزع.

وعلى سبيل المثال، شخص سيحب رامبرانت، ولكن بشكل جاد، ذلك الرجل سيعرف أن هناك ربًا، وسيؤمن به بقوة.

شخص يدرس تاريخ الثورة الفرنسية بعمق، سيكون مؤمنًا، سيرى في ذلك أشياء عظيمة، فهنا أيضًا سلطة سيادية تعلن عن نفسها.

شخص ما، قد حضر، لبعض الوقت فقط، الفصل الدراسي المجاني في جامعة الفقر العظمى، وقد أولى انتباهه للأشياء التي يراها بعينيه ويسمعها بأذنيه، وقد فكر فيها؛ هو أيضًا سيؤمن، وربما تعلم الكثير عنها أكثر مما يستطيع أن يقول.

حاول أن تفهم الكلمة الأخيرة فيما يقوله الفنانون العظام، المعلمون الجادون في أعمالهم الخالدة؛ ستجد الرب فيها. بعضهم كتبه أو قاله في كتاب، والآخر في لوحة.

اقرأ الكتاب المقدس بكل بساطة، الأناجيل، لأن ذلك سيمنحك قدرًا كبيرًا من الأمور لتفكر فيها، كل شيء لتفكر فيه، حسنًا، ثم فكر في هذا القدر الكبير وفي كل

شيء، لأن ذلك سيرفع من تفكيرك عن المستوى الاعتيادي، رغمًا عنك. وبما أننا نحسن القراءة، فلنقرأ إذن!

أما بعد، يمكن أن نكون أحيانًا ذاهلين أو في حالة حلمية، هناك من يكونون ذاهلين للغاية، وحالمين للغاية، وهذا ما يحدث معي ربما، لكنه خطئي أنا. وفي النهاية، من يعرف، ألم يكن هناك سبب ما؛ ربما كان لذلك السبب أو ذاك، أنني كنت مستغرقًا، ومشغولًا، وقلقًا، لكنك تتجاوز ذلك. يسقط الحالم أحيانًا في هوة، لكنهم يقولون إنه بعد ذلك يخرج منها ثانيةً.

والرجل الذاهل، لديه هو أيضًا في بعض الساعات حضوره الذهني، كما لو كان تعويضًا. إنه يكون أحيانًا شخصية تملك علّة لوجودها (بالفرنسية) لسبب أو لآخر قد لا يراه المرء مباشرةً، أو أن المرء يسهو عنه لكونه ذاهلًا، غالبًا بدون قصد. الشخص الذي جال كثيرا كمن يتخبط في بحر عاصف يصل إلى مقصده في النهاية، والمرء الذي يبدو غير نافع في شيء وغير قادر على شغل أي منصب، أو أي دور، يجد دورًا في النهاية، ويبدو نشيطًا وقادرًا على الحركة ومختلفًا بالكلية عمّا كان يبدو عليه من النظرة الأولى.

أكتب لك عفو الخاطر بما يخطر على قلمي؛ سأكون سعيدًا لو أنك بشكل ما رأيتني في صورة غير صورة العاطل. لأن هناك عاطلين وعاطلين من نوع آخر وبينهما تضاد.

هناك العاطلون عن كسل وضعف في الشخصية، لانحطاط في طبيعتهم، يمكنك، لو رأيت أن ذلك مناسبا أن تعتبرني منهم. ثم هناك عاطل آخر، العاطل رغم أنفه في الحقيقة، من تنهشه من الداخل رغبة قوية في الحركة، من لا يفعل شيئا لأنه يجد أنه من المستحيل أن يفعل شيئا لأنه مسجون في شيء ما، أو إذا جاز القول، لأنه لا يملك ما يحتاجه كي يكون منتجًا، لأن الظروف الجبرية قد قلصته إلى ذلك الحد. مثل ذلك الشخص لا يعرف دائمًا بنفسه ما يمكنه أن يفعل، لكنه يشعر بالغريزة: أنا نافع لشيء ما، مع ذلك! أشعر أن لدي علة لوجودي! أعرف أنه بإمكاني أن أكون إنسانا مختلفا!

فيم ستكون منفعتي إذن، وفيم أصلح! هناك شيء بداخلي، لكن ما هو! ذلك عاطل مختلف بالكلية، بإمكانك إن رأيت أن ذلك مناسب، أن تعتبرني من هذا النوع.

في وقت الربيع، يعرف الطائر في القفص جيدًا أنه نافع لشيء ما؛ وهو يشعر بوضوح أن هناك شيئًا يمكن أن يُفعل لكنه لا يستطيع أن يفعله؛ لا يستطيع أن يتذكر تمامًا ما هو، ولديه أفكار غائمة ويقول لنفسه "الآخرون يبنون أعشاشهم وينجبون ويربون الأفراخ"، ثم يخبط رأسه في قضبان القفص، لكن القفص يظلّ هناك، ويجنّ الطائر من العذاب. "انظر، هناك عاطل" يقول طائر آخر عابر "ذلك الرفيق هو رجل ذو وقت فارغ". ويستمر السجين في الحياة ولا يموت، ولا شيء مما يدور في داخله يظهر في الخارج، هو في صحة جيدة، وهو مستمتع بالشمس المشرقة. ثم يأتي موسم هجرة الطيور. شيء من الأسى، لكن الأطفال الذين يعتنون به يقولون "لديه في النهاية كل ما يحتاجه في القفص" لكنه ينظر للسماء في الخارج، ثقيلة بغيوم عاصفة، فيشعر داخله بتمرد على القدر. أنا في قفص، أنا في قفص، ألا ينقصني شيء أيها الحمقى! ألديّ كلّ ما أحتاجه! الرحمة، الحرية في أن أكون طيرًا كالطيور الأخرى!

إن رجلًا عاطلًا لهو مماثل لذلك الطائر العاطل.

وإنه لمن المستحيل على الرجال أحيانًا أن يفعلوا أي شيء وهم سجناء في مثل ذلك القفص الرهيب. هناك أيضًا إطلاق السراح، إطلاق السراح المتأخر. وسمعة قد دُمِرَت عن حق أو عن باطل، الفقر، والظروف القهرية، وسوء الحظ هي الأمور التي تخلق السجين.

أنت قد لا تستطيع دائما أن تقول ما الذي يحصرك، ما الذي يسجنك، ما الذي يغمرك، ولا تزال تشعر بأي نوع من القضبان لا أدري، وأي أبواب – جدران.

هل كلّ هذا متخيل، مجرد خيال؟ لا أظن ذلك، ثم تسأل نفسك، يا رب، أيدوم هذا طويلًا، أيدوم للنهاية، أيدوم للأبد؟

أتعرف، إن ما يجعل السجن يختفي هو كل ارتباط عميق وجاد. أن نكون أصدقاء، أن نكون أشقاء، أن نحب؛ ذلك يفتح السجن عبر قوة سيادية، عبر

التعويذة الأكثر قوةً. لكن من لا يملك ذلك يظل في الموت. ولكن حيث ينبع التعاطف تنبع الحياة مرةً أخرى.

والسجن هو أحيانًا شيء يسمى الأحكام المسبقة، وسوء الفهم، والجهل القاتل بهذا أو ذاك، انعدام الثقة، والخجل الزائف.

ولكن لنتكلم عن شيء آخر، فأنا تدهورت في العالم، بينما أنت من ناحية أخرى ارتقيت. وبينما أنا أفقد الصداقات، أنت تكتسبها. وذلك ما يسعدني، أقول لك عن حق، وذلك سيجعلني دائمًا سعيدًا. لو لم تكن جادًا للغاية وعميقًا، كنت لأخشى من أن ذلك لن يدوم، ولكن بما أنني أعتقد أنك جاد وعميق للغاية، فأنا أميل للاعتقاد بأن ذلك سيدوم.

ولكن لو تأتى لك أن ترى فيّ شيئا آخر غير العاطل من النوع السيئ، فسأكون سعيدًا جدًا لذلك.

ولو استطعت أن أفعل شيئا لأجلك، أو أكون نافعًا لك بأي طريقة، فاعلم أنني في خدمتك. وبما أنني قد قبلت ما أعطيتني، فبإمكانك بالمثل أن تسألني لو كان في استطاعتي أن أسدي لك خدمةً بطريقة أو بأخرى؛ ذلك سيجعلني سعيدًا وسأعتبرها علامة على الثقة. نحن بعيدان إلى حد ما أحدنا عن الآخر، وعلى مستوى ما فقد يكون لدينا طريقتان مختلفتان في النظر، ولكن مع ذلك في وقت ما أو يوم ما قد يكون أحدنا نافعًا للآخر.

والآن أصافحك، وأشكرك ثانية على طيبتك معي.

وإذا أحببت أن تكتب لي في أحد الأيام، فإن عنواني هو: عناية

C. Decrucq, rue du Pavillon 8, Cuesmes, near Mons

واعلم أنك إذ تكتب لي فإنك تجعلني في حال طيب.

المخلص،

فنسنت

١٥٨ | كويزميس، الجمعة ٢٤ سبتمبر ١٨٨٠   ١٥٨

إلى تيو فان جوخ. (D)

عزيزي تيو،

خطابك جعلني في حالة طيبة، شكرًا لأنك كتبت لي هكذا.

وصلت فعلًا اللفافة التي تحتوي على أعمال الحفر الجديدة واللوحات مختلفة. أولًا وقبل كل شيء، لوحة الحفر الرائدة "الدغل" لدوبيني/ رويزديل. وهذا هو! أنا أخطط لعمل رسمتين، إما بالبني الداكن وإما بلون آخر، وواحدة منهما بناءً على هذه المحفورة، والأخرى مستوحاة من لوحة تي روسو "الفرن في ليه لاند". تلك البنية الداكنة الأخيرة قد عُملت بالفعل –حقيقة– لكنك لو قارنتها بمحفورة دوبيني فستفهم أنها ستبدو ضعيفة، حتى لو كان الرسم بالبني الداكن في حد ذاته يحمل درجةً وشعورًا معينين. لابد أن أعود لها، وأعمل عليها مجددًا.

ما زلت أعمل على "درس الرسم" (بالفرنسية) لبراج، أخطط لإنهائه قبل الشروع في أي شيء آخر. إذ إنه يوما بعد يوم يدرب ويقوي يدي وعقلي، وسأظل مدينًا لكرم السيد تريستيج الذي أعارني إياه. إن تلك النماذج لممتازة. وفي الوقت نفسه أنا مشغول بقراءة كتاب عن التشريح وآخر عن المنظور، أرسلهما إليّ أيضًا السيد ترستيج. إن هذه الدراسة شائكة، وأحيانا تكون هذه الكتب مزعجة جدًا، ولكن مع ذلك، فأنا أعتقد أني أفعل الشيء الصحيح بدراستها.

أترى، وأنا أيضًا أعمل كالمجنون، ولكن حاليًا لا تكون النتائج مشجعة. لكنني لديّ آمال أن تحمل هذه الأشواك زهورا بيضاء في موسمها، وأن هذا الصراع الذي يبدو عقيما ليس أكثر من آلام المخاض. ألم في البداية، ثم فرح بعد ذلك.

أخبرتني عن ليسور. أعتقد أنني أتذكر بعض لوحات المناظر الطبيعية الأنيقة جدًا بالألوان المائية ربما تكون له، بدرجات لونية شاحبة، وضربات فرشاة تبدو سهلة

وخفيفة لكنها في الوقت نفسه دقيقة ومصقولة، مع تأثير (بلا سوء نية بل على العكس حسنة) تزييني قليلًا. إذن فقد أكون أعرف شيئًا عن عمله، وأنت قد قلت لي شيئًا عن شخص ليس مجهولًا لي تمامًا. أعجبني بورتريه فيكتور هيجو، لقد صَنَعَ بوعي، بنية واضحة بالشهادة على الحقيقة دون سعي لإحداث تأثير، وبفضل ذلك، فهي تحدث تأثيرًا مع ذلك.

لقد درست بعض أعمال هيجو قليلا في الشتاء الماضي، تحديدًا "اليوم الأخير في حياة محكوم بالإعدام" وكتابًا آخر جميلًا جدًا عن شكسبير. لقد شرعت في دراسة هذا الكاتب منذ فترة طويلة. إنه جميل كرامبرانت. إن شكسبير بالنسبة لتشارلز ديكنز أو فيكتور هيجو كرويزدال بالنسبة لدوبيني أو رامبرانت لميه.

إن ما تقوله في رسالتك عن موضوع الباربيزون هو حقيقي جدًا وسوف أقول لك أمرًا أو اثنين يثبتان لك أن تلك هي طريقتي في الرؤية أنا أيضًا. لم أر الباربيزون، وعلى الرغم من أني لم أره فقد رأيت كورير. قمت برحلة على الأقدام بشكل رئيسي في با دو كاليه، ليست القناة ولكن المقاطعة. أو الإقليم. لقد قمت بهذه الرحلة على أمل أن أجد عملًا هناك (أي عمل ممكن؛ كنت لأقبل بأي شيء) ولكن فعليًا بلا خطة حقيقية، ولا أستطيع أن أقول لماذا على وجه الدقة. لكنني قلت لنفسي: لا بد أن ترى كورير. كان لدي عشرة فرنكات فقط في جيبي، ولأني بدأت الرحلة باستقلال القطار فقد استنفدت هذه الموارد، وقضيت أسبوعًا في الطريق، وكنت أجرجر نفسي مرهقًا. ومع ذلك فقد رأيت كورير والجزء الخارجي من مرسم السيد جول بريتون. إن ذلك الجزء من المرسم قد أحبطني قليلًا، إذ رأيته مرسمًا جديدًا للغاية وقد بني من قوالب الطوب، وبانتظام بروتستانتي وبشكل غير مضياف وبارد ومتقشف كبيت سي إم جوفيندا، الذي بيني وبينك، لا أحبه كثيرًا لتلك الأسباب نفسها. لو كان قد تسنى لي رؤيته من الداخل لكنت توقفت عن التفكير في الخارج، أميل إلى الاعتقاد، بل أنا متأكد من ذلك، ولكن لم أستطع أن ألقي نظرةً على الجزء الداخلي.

لأنني لم أجرؤ على تقديم نفسي، وبالتالي على الدخول. وبحث في مكان آخر بكورير عن أثر لجول بريتون أو أي فنان آخر، وكل ما وجدته هو صورته الشخصية

في حانوت مصور، ثم في الكنيسة القديمة، وفي ركن معتم وجدت نسخة من لوحة "دفن تيسيانو"، وقد بدت لي في الظلام جميلة جدًا ومتقنة. هل كانت بريشته؟ لا أدري، لم أتبين التوقيع.

ولكن عن الفنانين الأحياء، لا الآثار، كان هناك مقهى يسمى "مقهى الفنون الجميلة" وهو أيضًا مبنى غير مضياف وبارد ومخز من الطوب، ذلك المقهى كان مزينًا برسومات جدارية تصور مراحل من حياة الفارس الشهير، دون كيخوته. تلك الرسوم الجدارية بدت لي، واسمح لي أن أقولها بثقة، عزاءً بائسًا ومتواضعة القيمة. لا أعرف من رسمها.

لكن على أي حال لقد رأيت ريف كوريير وقتها، أكوام التبن، أرض المزرعة البنية وهي تربة مسمدة تقريبًا بلون القهوة، ببقاع بيضاء يظهر فيها السماد، وهو شيء عجيب بالنسبة لأمثالنا ممن اعتادوا على التربة السوداء. وبدت لي السماء الفرنسية صافيةً ورائقة أكثر من سماء البوريناج الكابية الضبابية. وفوق ذلك، كانت هناك بيوت الفلاحين والأكواخ التي لا تزال تحتفظ بأسقفها القشية المطحلبة، ولنمجد الرب ونشكره عليها؛ وقد رأيت أيضًا مآوي الغربان، التي شهرتها رسومات دوبيني ومييه، كما لا بد وأن يذكر المرء في المقام الأول أشكال العمال التقليدية والرائعة: حفارون مختلفون، وحطابون، عامل زراعي يقود فريقه، والهيكل العرضي لامرأة ترتدي قلنسوة بيضاء. حتى هناك، عند كوريير كان هناك منجم للفحم أو حفرة؛ لقد رأيت نوبة العمل النهارية خارجةً عند الفسق، لكن لم يكن هناك نساء عاملات في ملابس الرجال كما في البوريناج، فقط عمال مناجم يبدو عليهم الإرهاق والبؤس وقد سودهم غبار الفحم يرتدون أسمالًا بالية وأحدهم في معطف عسكري قديم.

وعلى الرغم من ذلك كانت تلك التجربة غير محتملة بالنسبة لي، وقد عدت منها منهكًا، بأقدام متورمة، وفي حالة أسيانة، لكنني لا أندم عليها، لأنني رأيت أشياء مثيرة وأنت تتعلم أن ترى بعين مختلفة، هناك في بلاء الفقر الخام ذاته. لقد كسبت بعض كسرات الخبز هنا وهناك على الطريق لقاء بعض الرسومات التي كانت معي في حقيبتي، لكن عندما راحت الفرنكات العشرة التي كانت معي اضطررت

للمبيت في العراء لثلاث ليال تالية، مرة في عربة مهجورة، غطاها البرد ببياضه في الصباح، مأوى فقير حقًا، ومرة في كومة حطب، ومرة في كومة القش التي ذكرتها مسبقا وقد كانت أفضل قليلًا حيث صنعت لي عُشا مريحا نسبيًا ولم تقلق راحتي فيه سوى بعض الأمطار الخفيفة.

حسنا، إنه على الرغم من هذا الفقر المدقع شعرت بطاقتي تعود، وقلت لنفسي: على أي حال سوف أتعافى منه، سألتقط قلمي الرصاص الذي تركته في إحباطي العظيم وأعود للرسم، ومن لحظتها وبدا لي أن كل شيء قد تغير بالنسبة لي، والآن أنا في طريقي، والقلم يزداد طواعية في يدي يومًا بعد يوم. لقد كان فقر طويل وقاسٍ هو ما تسبب في إحباطي إلى تلك الدرجة التي عجزت عندها عن فعل أي شيء.

هناك شيء آخر رأيته في أثناء رحلتي وهو قرى النساجين.

إن عمال المناجم والنساجين لمن جنس مختلف عن باقي العمال وأهل المهن، عندي تعاطف عظيم معهم وسأعد نفسي سعيدًا لو استطعت رسمهم في يوم من الأيام، بحيث يُسلط الضوء على ذلك النمط، الذي لم يُنشر أو هو بالكاد معروف. الرجل في قاع الهاوية، 'de profundis' هذا هو عامل المناجم أما الآخر ذو الهيئة الحالمة المستغرق في التفكير والمسرنم تقريبًا فهو النساج. وأنا الآن أعيش بينهما منذ نحو عامين، وإلى حد ما فقد تعلمت أن أعرف طبعهما الأصلي، وبشكل أساسي طبع عمال المناجم على الأقل. ومع تقادم الوقت أجد شيئا مؤثرا يدمي القلوب في هؤلاء العمال الفقراء الغامضين، الأحط بين الجميع إذا جاز التعبير، والأكثر عرضة للاحتقار، من يتصورهم المرء من خلال خياله النشط ولكن الزائف وغير العادل كجنس من المجرمين وقطاع الطرق. يوجد هنا مجرمون، وسكيرون، وقطاع طرق كأي مكان آخر، لكن ليس هذا هو النمط الحقيقي.

حدثتني في رسالتك بغموض عن الذهاب لباريس أو المنطقة المحيطة. آجلًا أم عاجلًا، عندما يصير ذلك ممكنا وعندما أشعر بذلك. بالطبع، ستكون رغبتي العظيمة

والمتقدة أن أذهب إلى باريس أو الباربيزون أو أي مكان آخر. لكن كيف أفعلها، ولأني لا أكسب فلسًا واحدا، على الرغم من أني أعمل بدأب فسوف يستغرق ذلك وقتًا طويلا للوصول للمرحلة التي أستطيع أن أفكر فيها في شيء كالذهاب إلى باريس. لأنه في الحقيقة، لكي يعمل المرء كما ينبغي له، فيكون ذلك بما لا يقل عن مائة فرنك في الشهر؛ بإمكانك أن تعيش على ما هو أقل من ذلك، لكنك ستكون في ضيق شديد جدًا في الحقيقة.

الفقر يعيق العقول النيرة عن النجاح، في ذلك القول القديم لباليسي شيء من الحقيقة، وهو حقيقي بالكامل لو أدرك المرء مغزاه وأهميته الواقعيتين.

في هذه اللحظة، لا أستطيع أن أرى كيف ستسير الأمور، ومن الأفضل أن أبقى هنا أعمل بقدر طاقتي وإمكاني، وفي النهاية الحياة هنا أقل تكلفةً.

وعلى كل حال، لن يكون باستطاعتي أن أواصل الحياة هنا في تلك الغرفة الصغيرة التي أنا بها الآن، إنها ضيقة جدا هكذا، وبها سريران، سرير لي وسرير للأطفال. والآن وأنا أقوم بتدريبات "بارج"، في لوحات كبيرة نسبيًا، فلا أستطيع أن أقول لك مدى انزعاجي من ضيقها. لا أريد أن أفرض على الناس ترتيب منازلهم؛ وقد قالوا لي أيضًا إنه بالنسبة للغرفة الأخرى في المنزل فأنا لا أستطيع أن آخذها، حتى لو دفعت نقودًا أكثر، لأن الزوجة تحتاجها في غسيل الملابس، وهو عمل لا بد أن يتم كل يوم في بيت عامل المناجم.

وعليه فأنا أرغب ببساطة في اتخاذ بيت صغير لأحد العمال وهو ما يكلف تسعة فرنكات شهريًا في المتوسط.

لا أستطيع أن أصف لك حجم سعادتي (على الرغم من الصعوبات الجديدة التي تواجهني كل يوم، وستستمر في مواجهتي) لا أستطيع أن أقول لك كم أنا سعيد لأنني عدت للرسم من جديد. لقد كان ذلك في ذهني منذ وقت طويل، لكني كنت دائمًا أرى الأمر مستحيلًا وبعيدًا عن منالي. ولكن الآن، وحتى تحت شعوري بالضعف

والاعتماد المؤلم على أشياء كثيرة، فقد استعدت سلامي الذهني، وطاقتي تعود لي يومًا بعد يوم.

والآن، بالنسبة للمجيء إلى باريس. إذا وجدنا فرصة للاتصال بفنان لطيف وشهم فسيكون ذلك مفيدًا للغاية بالنسبة لي، لكن الذهاب هناك هكذا فقط، فسيكون مجرد تكرار على نطاق واسع لرحلتي إلى كوريير، حيث كنت آمل أن ألتقي كائنًا حيًا من فصيلة الفنانين، لكنني لم أعثر على أي منهم. بالنسبة لي هي مسألة أن أتعلم أن أرسم جيدًا، أن أكون متمكنا من قلمي أو من قلم الفحم أو من ريشتي؛ وإذا تحقق ذلك فسوف أنجز أشياءً جيدة، ولا يهم تقريبًا أي شيء، وهنا بالبوريناج مناظر جميلة كفينيسيا القديمة أو الجزيرة العربية أو بريتاني أو نورماندي أو بيكاردي أو بري.

لو كنت أعمل الشيء الخاطئ فإنها غلطتي أنا، لكن بسهولة أكبر من أي مكان آخر، قد يجد المرء في الباريبزون لو أتيحت له الفرصة لمثل هذا اللقاء، فنانًا متقدمًا سيكون بالنسبة لي كملاك هبط من السماء، ودعني أقُلها بكل جدية وبدون أي مبالغة.

إذن، لو في وقت ما أتيح لك أن تجد وسيلة أو فرصة، فتذكرني؛ وبينما أنتظر، سأبقى بهدوء في بيت صغير لأحد العمال، حيث سأحاول أن أعمل كأفضل ما أستطيع.

حدثتني أيضًا عن مايرون؛ ما قلته عنه حقيقي جدًا، أنا في الحقيقة أكاد أكون ملمًا بمحفوراته. هل تريد أن ترى شيئا مثيرًا – ضع واحدة من محفوراته الدقيقة جدا والقوية بجانب أي مطبوعة لفيوليه لو دوك أو أي شخص على الإطلاق لديه معمار. وسترى حينئذ مايرون في ضوء كاشف حيث ستقوم المحفورة الأخرى بدور عنصر التباين أو التضاد. فماذا سترى عندها؟ ذلك المايرون حتى عندما يرسم قوالب طوب أو جرانيتًا أو قضبانًا حديدية أو سور جسر، فهو يضع شيئا من الروح الإنسانية المتأثرة بنوع غامض الشجن في محفورته. لقد رأيت رسومات لبعض المعمار القوطي

بريشة فيكتور هوجو، حسنًا، بدون قوة وأستاذية مايرون في التنفيذ، ولكن كان هناك شيء من الشعور نفسه. ما هو ذلك الشعور؟ إنه يقرب لما عبر عنه ألبرشت دورر في لوحته "ميلانكوليا"، وهو في أيامنا هذه موجود لدى جيمس تيسو وم. ماريس (مهما كان الاختلاف بين هذين الاثنين). ثمة ناقد عميق قال محقًا عن جيمس تيسو "إنه لروح حقًا". في كل الأحوال، هناك شيء من الروح الإنسانية هناك؛ ولهذا السبب فإنه عظيم وهائل وسرمدي، وضع فيوليه لو دوك بجانبه، إنه حجر، والآخر (أعني مايرون) هو الروح. لا بد أن لمايرون طاقة على الحب، كشخصية سيدني كارتون لدى ديكنز، تتسع ليشمل حبه حتى الأحجار في بعض الأماكن. لكنها أيضًا أكثر وأفضل وبنبرة أنبل وأكثر جدارة وأكثر إنجيلية إذا كان لي أن أقول ذلك، تلك اللؤلؤة الثمينة، الروح الإنسانية في تجليها لدى مييه وجول بريتون وجوزيف إسرائيل. ولكن بالعودة إلى مايرون، يبدو لي أنه لديه قرابة ما مع جونجكيند ويمكن مع سيمور هيدن، لأن في لحظة ما كان هذان الفنانان في غاية القوة. انتظر، ربما ما زلت ترى أنني أيضًا عامل، حتى لو كنت لا أعرف مقدما ما سيكون متاحًا لي، ومع ذلك فأنا يحدوني الأمل أن أخط شيئا به بعض الإنسانية. ولكن في البداية لا بد أن أقوم بتمرينات بارج وبعض الأشياء الأخرى الصعبة نوعا ما. الطريق ضيق والباب ضيق وقليلون هم من يجدونه.

أشكرك على لطفك وبشكل خاص من أجل "الخميلة" وأصافحك.

فنسنت

لقد أخذتُ كل مجموعتك الآن، لكنك ستستردها لاحقًا، وفوق ذلك فلديَّ لمجموعتك من الحفر على الخشب، والتي أرجو أن تستمر فيها، بعض الأشياء الجيدة جدا في مجلدين بعنوان "المتحف الكوني" أعدهما لك.

١٦٠ | بروكسل، الاثنين ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٠
إلى تيو فان جوخ
٧٢ بليفيدير دو ميدي

عزيزي تيو،

أريد أن أقول لك بعض الأمور ردًا على رسالتك.

أولًا، فقد ذهبت لرؤية السيد ريلوفس في اليوم التالي لاستلامي رسالتك، وقد قال لي إن رأيه أن من الآن فصاعدًا يجب أن أركز على الرسم من الطبيعة، أي من الجص أو موديلات ولكن تحت إرشاد شخص يفهم في ذلك جيدًا، وقد نصحني هو وآخرون جادين بأن أذهب وأعمل في إحدى أكاديميات الرسم، على الأقل لبعض الوقت، هنا أو في أنتويرب أو في أي مكان أستطيعه، وعليه فأعتقد أني يجب في الحقيقة أن أفعل شيئًا ليتم قبولي في واحدة من تلك الأكاديميات، على الرغم من أنني لا أحب الفكرة كثيرًا. المصروفات مجانية هنا في بروكسل وقد سمعت أنها في أمستردام على سبيل المثال تكلف مائة جيلدر في العام، وبإمكان المرء أن يعمل في غرفة مناسبة مدفأة ومضاءة، وهو ما يستحق الأخذ في الاعتبار، خاصة في الشتاء.

إنني أحرز تقدما مع نماذج بارج والأمور تتطور. وفوق ذلك فقد رسمت مؤخرًا شيئا تطلب الكثير من العمل، لكنني سعيد بإنجازه. فقد رسمت بقلم الحبر رسمة لهيكل عظمي، كبيرة نوعا ما، على خمسة أفرخ من ورق إنجر.

أحد الأفرخ، الرأس، الهيكل والعضلات
فرخ آخر، الرأس والجذع والهيكل
فرخ آخر، الرأس واليد من الأمام والهيكل والعضلات
فرخ آخر، الرأس واليد من الخلف والهيكل والعضلات
فرخ آخر، الرأس والحوض والأرجل والهيكل.

لقد قمت بعمله عن طريق دليل كتبه زان "تخطيطات تشريحية لاستخدام الفنانين" (بالفرنسية فى الأصل) وهو يحتوى على عدد آخر من الصور تبدو لى واضحة جدا ومفيدة. لليد والقدم... إ لخ.

وما سأقوم به الآن هو إكمال رسم العضلات، أعنى تلك التى بالجذع والأرجل وهو ما سيشكل مجموع الجسد الإنساني مع ما رسمته مسبقًا. يبقى بعد ذلك الجسد من منظور خلفى وجانبى.

ها أنت ترى أننى أمضى قدما كمن ينتقم، وهذه الأمور ليست شديدة السهولة وتتطلب وقتًا وصبرًا فوق ذلك.

كى أقبل فى أكاديمية للرسم لا بد من أن يحصل المرء على تصريح من العمدة وأن يكون مُسجلًا. وأنا أنتظر الرد على طلبى.

أعرف بالطبع أنه مهما عاش المرء بتواضع وتقشف فإن الحياة فى بروكسل ستكون أكثر غلاء مما هى فى كويزموس. لكننى لن أنجح بدون أى توجيه، وأعتقد أنه من الممكن ـلو أننى اشتغلت بدأب، وهو ما أفعله ـ فإن واحدًا من العم سنت أو العم كور سيفعل شيئا، لو لم يكن من أجلى، فمن أجل أبى على الأقل.

ومن خطتى أيضًا أن أتمكن من الرسم التشريحى للحصان والبقرة والخروف على سبيل المثال، من مدرسة الطب البيطرى، وأن أرسمها بطريقة تشريح الإنسان نفسها.

هناك قوانين للنسَب، وللضوء والظل، وللمنظور على الواحد أن يعرفها كى يكون قادرًا على رسم أى شىء على الإطلاق. لو افتقد المرء هذه المعارف فسيظل فى صراع غير مجد ولن ينتج أى شىء.

ولهذا أنا أمضى قدما فى التمكن من هذه الأشياء بهذه الطريقة، وأريد أن أجرب وأن أحصل على ثراء فى التشريح هنا هذا الشتاء، لن يجدى الانتظار أطول من هذا وسيثبت أنه أكثر تكلفة لأنه سيكون إهدارًا للوقت.

أعتقد أن تلك ستكون وجهة نظرك أنت أيضًا.

إن الرسم لصراع شاق وصعب.

لو أتيح لى أن أجد عملًا ثابتًا هنا، فسيكون أفضل جدًا، لكننى لا أجرؤ على الاتكاء على ذلك بعد، لأنه يتعين علىّ أن أتعلم أمورًا كثيرة فى البداية.

ذهبت أيضًا لرؤية السيد فان رابارد، الذى يعيش الآن فى شارع ترافسير رقم ٦٤، وقد تحدثت معه. إن له مظهرًا راقيًا، ولم أر من أعماله سوى رسمتين صغيرتين لمناظر طبيعية بقلم الحبر. لكنه يعيش بفخامة، فلست أدرى، ولأسباب مالية، لا أعلم إن كان هو الشخص الذى أستطيع العيش والعمل معه. ولكن على أى حال، سأذهب لأراه ثانيةً، ولكن الانطباع الذى أخذته أنه يبدو عليه الجدية.

فى كويزموس أيها الشاب لم أكن لأستطيع الصمود شهرًا آخر دون أن أسقط مريضًا من البؤس.

لكن لا تتخيل أننى أعيش فى فخامة هنا، إذ إن طعامى يتكون بشكل رئيسى من الخبز اليابس وبعض البطاطس أو الكستناء التى يبيعها الأهالى على نواصى الشوارع، لكننى سأتدبر جيدًا مع سكنى فى غرفة أفضل قليلا وبتناول طعام أفضل قليلًا فى أحد المطاعم من وقت لآخر إذا كان ذلك متاحًا. ولكن لما يقرب من سنتين تحملت هذه الأشياء فى البوريناج، لم تكن رحلة سعيدة. لكنها ستبلغ بسهولة ما يزيد عن ستين فرنكا ولا يمكن أن تكون غير ذلك. إن أدوات الرسم ونماذج التشريح على سبيل المثال كلها تكلف نقودًا، وهى بالضرورة أشياء أساسية، وفقط بهذه الطريقة يمكن أن نرى النتيجة لاحقًا، وإلا فلن أنجح أبدًا.

استمتعت مؤخرا وبشدة بقراءة مقتطفات من عمل لافاتير وجال. "علم الفراسة" (بالفرنسية فى الأصل) ويعنى الطباع كما تعبر عنها ملامح الوجه وشكل الجمجمة.

رسمت "الحفارون" لمييه عن صورة اتخذها براون وجدتها لدى شميدت وقد أعارنى إياها مع "صلاة الليل". وقد أرسلت هاتين الرسمتين إلى أبي حتى يرى أننى أفعل شيئا.

اكتب لى قريبا. عنوانى هو رقم ٧٢ بلفيدير دو ميدى. إننى أقيم فى نزل صغير لقاء خمسين فرنكا فى الشهر وأحصل على الخبز وكوب من القهوة فى الصباح وما بعد الظهيرة والمساء، ذلك ليس رخيصًا لكن الحياة عموما غالية في كل مكان هنا.

إن أعمال هولباين في "الموديلات بحسب الأساتذة الكبار" لرائعة، وقد لاحظت ذلك الآن وأنا أرسمها، أكثر من ذي قبل. لكنها ليست سهلة، أؤكد لك.

إن السيد شميدت قد تورط في مسألة مالية قد تطال عائلة فان جوخ، ومن أجلها ستتم مقاضاته هو تحديدًا، لم أكن أعرف أي شيء عن هذا عندما ذهبت لزيارته، وقد عرفت عنها للمرة الأولى من رسالتك. ذلك بالفعل أمر مؤسف، ومع ذلك فقد استقبلني السيد شميدت بود كاف. الآن وقد صرت على علم بذلك، وبما أن الأشياء على ما هي عليه، ربما صار من الحكمة ألّا أذهب إلى هناك كثيرًا، دون أن يكون ذلك ضروريًا وذلك لتجنب اللقاء به.

كنت سأكتب لك قبل ذلك لكنني كنت مشغولًا مع هيكلي العظمي.

أعتقد أنه كلما أطلت التفكير في مسألة احتياجي لمحيط من الفنانين اقتنعت بأهمية ذلك، وإلا فكيف سيتعلم المرء الرسم دون أن يريه أحد ذلك؟

حتى بأفضل إرادة في العالم لا يستطيع المرء النجاح بدون أن يكون أيضًا على اتصال بفنانين مضوا قدما في طريقهم ويظل بينهم.

إن النوايا الحسنة تبقى بلا فائدة لها ما لم تكن هناك أي إمكانية للتطور. أما عن الفنانين متوسطي القيمة، هؤلاء من تقول إنني لا يجب أن أنتمي إليهم، فماذا عساي أن أقول؟ ذلك يتوقف على ما يعتبره المرء متوسط القيمة. سوف أفعل ما في وسعي، ولكن على أي حال أنا أحتقر ما هو متوسط القيمة بمعناه البسيط. والمرء بالتأكيد لا يرتقي عن هذا المستوى باحتقار ما هو متوسط القيمة، في رأيي يجب أن يبدأ المرء على الأقل بالاحتفاظ باحترام لما هو متوسط القيمة أيضًا، وبمعرفة أن ذلك أيضًا يعني شيئًا، إن المرء لن يبلغ ذلك حتى إلا بمجهود كبير. وداعًا الآن، أصافحك في خيالي. اكتب لي ثانيةً، وقريبا لو استطعت ذلك.

فنسنت

١٦٤ | بروكسل، السبت ٢ أبريل ١٨٨١

إلى تيو فان جوخ (D)

٧٢ بليفيدير دو ميدي - بروكسل

عزيزي تيو،

في الرد على رسالتيك الطيبتين وبعد زيارة من أبي، كنت أتوق لها منذ فترة طويلة، لدي بعض الأشياء أخبرك بها.

أولًا، فقد سمعت من أبي، أنك شرعت بالفعل في إرسال النقود إليّ دون أن أعلم بذلك. وبفعلك هذا فإنك تساعدني على المعيشة. ومن أجل هذا تقبل عميق شكري. لدي ثقة أنك لن تندم على ذلك؛ وهكذا أنا أتعلم حرفة يدوية، وعلى الرغم من أنها لن تجعلني ثريًا، لكنني على الأقل سوف أكسب مائة الفرنك شهريًا اللازمة لي للاعتماد على نفسي بمجرد أن أكون واثقًا في نفسي كرسام محترف وأعثر على عمل ثابت.

ما أخبرتنا إياه عن المصور هيردال أثار اهتمامنا بشدة، أنا ورابارد.

ولأن الأخير سيكتب لك بلا شك بنفسه، فأنا أطرح عليك هذه المسألة لأنها تشغلني شخصيا إلى حد كبير.

إن ملاحظتك حول الفنانين الهولنديين وعدم استطاعتهم تقديم نصائح واضحة حول المنظور وما إلى ذلك من المسائل التي أناضل معها، أجدها إلى حد كبير صحيحة وحقيقية. على أي حال، فأنا أتفق معك تمامًا أن شخصًا كهيردال، لأنه يبدو مثقفا جدًا، سيكون أفضل بكثير من الآخرين ممن ليست لديهم القدرة على شرح طريقتهم في صنع الأشياء لأي شخص آخر، أو إعطاء المرء التوجيه والنصح اللازم للغاية.

أن تتكلم عن هيردال كشخص يبذل جهدا عظيمًا للبحث عن "نسب الغرض من التصميم" وهذا بالضبط ما أحتاجه. العديد من المصورين الجيدين ليست لديهم

فكرة تقريبًا عما تكون "نسب الفرض من التصميم"، أو الخطوط الجميلة أو التكوينات المميزة، والأفكار والشاعرية. إنها مسألة هامة أخذها على محمل الجد فين بيران وأوليس بوتان وألفونس ليجروس ولم يغفلوا عنها قط، دون أن نذكر مييه وبريتون وإسرائيل.

لن يفهم العديد من المصورين الهولنديين شيئا على الإطلاق من الأعمال الجميلة لبوتون أو ماركس أو ماييه، وبينويل وديموربيه، وهيركومر، ووالكر إذا ذكرنا فقط قلة من الفنانين ممن هم أساتذة حقيقيون كـ"رسامين"، علاوة على تفوقهم في مناحٍ أخرى.

العديدون، كما أقول لك، سيبدون غير مكترثين أمام عمل كهذا، تماما كما سيفعل العديدون، حتى من بين المصورين هنا في بلجيكا أمام عمل ديجرو. لقد رأيت عملين لديجرو هذا الأسبوع لم أكن أعرفهما من قبل، تحديدًا لوحة بعنوان "رحيل الجند" ورسمة طولية بعنوان "السكير"، تكوينان يتماثلان مع عمل بوتون لدرجة أني كنت مصعوقًا من التشابه، كشقيقين لم يلتقيا قط لكنهما مع ذلك متطابقان في الروح.

ها أنت ترى أنني أشاركك رؤيتك لهيردال، حتى إنني سأعتبر نفسي محظوظا لو جعلتني على اتصال بذلك الرجل لاحقًا، ولكن لن أصرَّ على وجود طريقة تذهب بي إلى هولندا، على الأقل لو كانت لدي إمكانية الذهاب إلى باريس لاحقًا والتعويل على ذلك بشكل أو بآخر.

وفي هذه الأثناء، ماذا علي أن أفعل؟ ماذا تظن أنه الأفضل؟ بإمكاني مواصلة العمل لدى رابارد لأسبوع أو نحو ذلك، لكن من المحتمل أنه سيغادر. غرفة نومي صغيرة جدا، والضوء فيها ليس جيدًا، والناس هنا سيعترضون على احتجازي بعض الضوء القادم من النافذة، كما أنه من غير المسموح لي أن أعلق محفوراتي أو رسوماتي على الحائط. وعليه، فعندما يغادر رابارد هنا في مايو سيكون علي أن أرحل، وفي هذه الحالة أرغب لو أعمل في الريف لبعض الوقت، في هايست، أو كالمثوت أو إيتن أو شيفننجن أو كاتويك أو أي مكان. أو حتى مكان أقرب كشاربييك أو هارين أو

جرونيندال. ولكن يفضل أن يكون مكانًا تكون به فرصة للالتقاء بمصورين آخرين، ولو يمكن أن نعمل ونعيش معًا، لأن ذلك أقل تكلفة وأفضل. إن تكلفة المعيشة، في أي مكان كان، هي على الأقل مائة فرنك في الشهر، أي شيء أقل من هذا يعني أن تعاني الحرمان، الجسدي أو بنقصان المواد والأدوات الضرورية.

هذا الشتاء كنت أنفق مائة فرنك شهريًا، وأعتقد، أنه كان حقيقة كثيرًا. ومن هذا كنت أنفق مبلغًا معتبرًا على أدوات الرسم وأيضًا كنت أشتري بعض الملابس. وتحديدا اشتريت رداءين للعمال من القطيفة السوداء الثقيلة من تلك المادة التي أعتقد أنهم يسمونها فيلفتين. تبدو أنيقة والواحد يبدو في مظهر لائق وهو يرتديها، علاوة على ذلك ستكون في متناول اليد لاحقا، حيث سأحتاج للعديد من ملابس العمال فيما بعد، وحتى الآن، لموديلاتي التي أحتاجها كأي شخص آخر. وتدريجيًا سأحتاج لحيازة أنواع مختلفة من الملابس، حتى لو كانت مستعملة، ملابس رجالية ونسائية لهذا الغرض نفسه.

بالطبع لا يجب أن يتم هذا دفعة واحدةً، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأت بالفعل وسأواصل.

لقد قلت محقًا، إن المسائل المالية قد فعلت الكثير سواء لمساعدة أو لإعاقة الناس في العالم. وعلى ذلك، فإن كلمات برنار باليسي تظل حقيقية: "الفقر يمنع العقول النيرة من النجاح". ولكن عندما أفكر في ذلك أقول لنفسي على الرغم من ذلك، يمكن أن يكون ذلك في عائلة مثل عائلتنا ومنها سيدان من آل فان جوخ من شديدي الثراء ويعملان في تجارة الفن، سي إم وعمنا في برينسنهاج، فيما أنا وأنت من الجيل الحالي وقد اخترنا الطريق نفسه للعمل، وإن كان على مستوى مختلف، وعلى الرغم من هذه الحقائق، أيمكن أن يكون أني لا أستطيع مواصلة الاعتماد بطريقة أو بأخرى على تلك مائة الفرنك شهريًا خلال الوقت الذي سينقضي بالضرورة قبل أن أحصل على وظيفة كرسام محترف؟ قبل ثلاث سنوات كان لي كلام مع العم كور حول مسألة مختلفة تمامًا، ولكن هل يكون ذلك سببا كي يسيء بي (سي إم) الظن إلى أبد الآبدين؟ أنا أفضل أن أعتقد أنه لم يسئ الظن بي قط، وأن أراه كسوء تفاهم أتحمل بسعادة

اللوم عليه، بدلًا من التشاحن حول ما إذا كنت ملومًا وإلى أي درجة، إذ ليس لدي وقت لمثل تلك القصص.

إن العم كور يفعل غالبًا أشياء لمساعدة رسامين محترفين آخرين، هل سيكون من غير الطبيعي بالنسبة له أن يهتم بي أنا أيضًا، إذا اقتضت المناسبة؟ أنا لا أقول هذا الكلام طمعًا في مساعدة مالية من فخامته، ولكن لأنني أعتقد أنه أمر سيئ أن يظهر نفسه غير مهتم بتجديد الألفة بيننا. ففخامته يمكن أن يساعدني بقوة بشكل مختلف تمامًا عن إعطائي النقود، ولكن على سبيل المثال -الآن أو لاحقًا- بفتح قناة اتصال بيني وبين أشخاص أستطيع أن أتعلم منهم أشياء مهمة، أو بتوسط فخامته لدفع حدوث شيء أو آخر خلال الفترة التي ستنقضي قبل أن أحصل على عمل نظامي - في باريس على سبيل المثال لدى إحدى المجلات المصورة أو سواها. لقد تكلمت مع أبي أيضًا في هذا السياق، ولا أعلم إن كان سيكون لذلك أية فائدة، لكنني لاحظت أنهم كانوا يتكلمون كيف أنه من الغريب وغير المفسر أن يكون عليّ أن أعاني هكذا وأنا أنتمي إلى مثل هذه العائلة. وردًا على هذا فقد قلت إنني أعتقد أن هذه أمور ستمرّ، وأنها ستنصلح للأفضل لاحقًا. وأيًا ما كان، فقد بدا لي أنه من المستحسن أن أتحدث إلى أبي وإليك عن ذلك، وقد كتبت أيضًا للسيد ترستيج وأخبرته باختصار، لكن فخامته لم يفهم مقصدي لأنه اعتقد أنني أقصد أنني أخطط للعيش من نقود العم كور، ولما كان ذلك هو تأويله للكلام، فقد كتب لي رسالةً موبخةً وقال إن ليس لي الحق في ذلك. أنا لا أدعي أن لي الحق، لكن أتمنى أن أحول دون النميمة عن الأمر آجلا أم عاجلًا في المراسم، وعليه، فمن رأيي أن يتم ترميم التناغم بيني وبين العائلة، مؤقتًا على الأقل وفي نظر العالم، أملا في أن يغيروا رأيهم فيّ. لو رفضوا، فليكن، لكن لن أستطيع تلافي الأقاويل عن هذا هنا وهناك. لو كان لي أن أكتب مباشرةً لـ (سي إم) أو أن أذهب لأرى فخامته، كان يمكن وقتها ألا يقرأ رسالتي أو يستقبلني بكل هذه الفظاظة، ولذا فأنا أتكلم بشأن ذلك معك ومع أبي، لأنكما ربما تكونان قادرين على قول كلمة أو اثنتين بشأن ذلك بشكل عابر، وبعدها لن يسيء تأويل ما أقصد. ليس في نيتي أن أحصل على النقود من فخامته، كما ظن السيد ترستيج، ما لم تكن الحالة

أنه بعد التحدث معي قد يكتسب إيمانا وثقة في مستقبلي يجعلانه يراني في ضوء جديد تماما. ولو اقتنع هو بذلك فأنا لن أتعالى على مساعدته، بعدها سيكون قادرًا على تسهيل الطريق علي بشكل مختلف تمامًا عن إعطائي النقود في تلك الفترة من الزمن بين الآن وذهابي إلى باريس. كتبت إلى السيد ترستيج أنه لم يدهشني مطلقًا أنه قد أول خطابي بتلك الطريقة، بما أنك أنت نفسك قد تكلمت مرةً عن البطالة. وكما أفهم الآن من نبرة خطابك، فقد توقفتَ عن رؤية وضعي الصعب في ذلك الضوء الكئيب، وقد ثبتَ لي ذلك من خلال مساعداتك الفعالة، وعليه فأنا آمل أن يغير السيد ترستيج أيضًا رأيه فيّ بالتدريج. خصوصًا أن فخامته كان أول من ساعدني بإمدادي بتمرينات بارج، وهو ما سأظل ممتنًا له بسببه.

تكتب لي الآن بخصوص مانيكان. لست متعجلًا على ذلك، لكنه سيكون ذا فائدة عظيمة بالنسبة لي لرسم تكوينات وأوضاع، أنت واع لهذا. على أي حال، أفضل أن أنتظر قليلًا وأحصل على واحد أفضل على أن أحصل سريعًا على أداة غير مناسبة.

احرص واجعل عينك دائما على كل أنواع المطبوعات أو الكتب عن موضوع النسب، وابحث قدر المستطاع عنها، إنها قيمة غير محدودة، وبدونها لا يستطيع المرء أن يرسم شكلًا بسرعة. فوق ذلك سيكون من المفيد جدًا لي أن أحصل على شيء أو اثنين عن تشريح الحصان والخروف والبقرة. ليس بالنظر إلى الطب البيطري، وإنما بهدف رسم الحيوانات المذكورة. لو كنت أطلب منك هذه الأشياء، فذلك لأن لديك فرصة للعثور على هذه المطبوعات بسعر زهيد نسبيا، وذلك لأني قد وجدت بعضها بنفسي، وربما لم تهتم بذلك ما لم أخبرك، فهي ذات فائدة عظيمة لي. لو كانت لديك الفرصة فاسأل بارج أو فيوليه لو دوك، مثلًا عن هذه المطبوعات، فهما ربما أفضل مصدر لمثل هذه المعلومات.

لا بد أنني سأجد المعيشة معك لاحقًا رائعة، لكننا لم نبلغ هذه النقطة بعد. لو أن العم كور اقتنع بأن يعطيني الفرصة كي أتعلم القواعد في مكان ما بشكل مؤقت، فأنا بالتأكيد لن أرفض. فالمرء قد يتعلم بشكل غير مباشر حتى من فنان رديء نسبيا، كما

تعلّم موف الكثير من فيرشور حول وضع حظيرة وعربة في المنظور وحول تشريح الحصان، والآن موف يعلو كثيرًا عن فيرشور.

لو جاءتك فرصة لترشح لوحة ماديول للصالون، فافعل ذلك، لأن بها الكثير من الجمال، والرجل في ظروف صعبة ولديه العديد من الأطفال. إنه يصوّر الآن ورشة حَدَّاد وستكون جيدة أيضًا، ومؤخرًا صور امرأة عجوزًا كانت رائعة في رسمها وألوانها خصوصًا. لكنه متقلب جدًا. إن رسومه بالطبشور أحيانا تكون ممتازة.

إن هذه الرسالة طويلة نوعًا، لكنني لا أستطيع أن أجملها أقصر من هذا. لو أنني ذكرت أنه سيكون من المرغوب فيه أن يغيِّر عامة الناس رأيهم فيّ، وبالأخص أناس كالعم كور والآخرين، فذلك لأن بعض الناس كرولوفس لا يستطيعون أن يكونوا رأيًا في هذا الوضع المستهجن، أهناك شيء خاطئ لديّ أم لدى الطرف الآخر، لكنه يرى أن ثمة شيئًا خاطئًا في مكان ما على أي حال.

إن مثل هذا الشخص سيكون حذرًا جدا ولن يرغب في التعامل معي في الوقت الحالي، وهو بالضبط الوقت الذي أحتاج فيه أن أتلقى النصيحة والمساعدة.

ومثل هذه التجارب تكون مزعجة، على أقل تقدير، فهي تظلّ ظاهرة حتى لو عملت عليها بطاقة الصبر، ومع ذلك فأنا أحرز تقدمًا. أعني: حيث توجد الإرادة توجد الوسيلة.

وهل سأكون ملومًا فيما بعد إذا عنّ لي الانتقام.

على أي حال فالرسام المحترف لا يرسم لينتقم، ولكن لمحبة الرسم، وذلك ملحّ أكثر من أي سبب آخر. وعليه فيبدو أن لاحقًا سينصلح وضع بعض الأمور التي لم تستقم بعد.

لقد جمعت العديد من المحفورات على الخشب هذا الشتاء، إن لوحة ميه التي لك قد أضيف إليها عددٌ من اللوحات الأخرى، وسوف ترى أن ثروتك من المحفورات الخشبية لم تبق لديّ بلا فائدة. لدي الآن أربع وعشرون محفورة خشبية لميه

أو عن أعماله، من ضمنها "العمال في الحقل". لكن رسماتي الخاصة هي الأمر الرئيسي، وكل شيء يجب أن يمضي في هذا الاتجاه.

إن الأقل تكلفة بالنسبة لي هو أن أقضي هذا الصيف في إيتن، هناك موضوعات تكفي هناك. لو كنت ترى أن ذلك جيد، فباستطاعتك أن تكتب لأبي عن ذلك، وأنا على استعداد للتوافق مع ما يريدونه، فيما يتعلق بالملابس أو أي شيء آخر. وفي الأغلب سأصادف العم كور هناك هذا الصيف لو عنّ له الذهاب إلى هناك أو إلى برينسنهاج. لا يوجد اعتراض حقيقي على ذلك، على حد علمي. سأكون دائمًا موضعًا للحكم والقيل والقال بطرق مختلفة، سواء داخل العائلة أو خارجها، والمرء سوف يستمع دائما لطيف واسع من الآراء المطروحة.

وأنا لا ألوم أي شخص عليها، لأن أشخاصًا جد قليلين هم من يعرفون لماذا يتصرّف الرسام هكذا.

إن الفلاحين وسكان البلدة عادة ما يلصقون تهم الخبث والنوايا الشريرة التي لم تخطر على بال لكل شخص يطرق الأماكن والزوايا التي لا يفضّل الآخرون زيارتها لكي يجد مناظر أو أشكالًا صالحة للتصوير.

ثمة فلاح يراني أرسم جذع شجرة قديمًا ويراني جالسًا أمامه لساعة ويعتقد أني مجنون، وهو عادة يسخر مني. وامرأة شابة تعرض عن عامل بملابسه المرقعة المتربة والمتعرقة، لن تستطيع أن تفهم بالطبع، لماذا يزور أي شخص البوريناج أو هايست، وينزل في منجم فحم حتى مواقع الاستخراج، هي أيضا تستنتج أنني مجنون.

مع ذلك، فكلّ هذا لا يهمني على الإطلاق، فقط لو أنك أنت والسيد ترستيج والعم كور وأبي وبعض الآخرين من ذوي المعرفة، وبعيدا عن أن تنتقدوني، فقط تقولون بدلا من ذلك: إن عملك يستلزم هذا، ونحن نفهم لِمَ تفعل ذلك. وها أنا أكرر، في ظل الظروف لا يوجد سبب يمنعني من الذهاب إلى إيتن على سبيل المثال أو لاهاي، لو كانت الأمور ستمضي على هذا النحو، حتى لو كان هناك بعض السادة أو السيدات ممن يحرفون المنطق بشأن الموضوع.

وبما أن أبي قد أخبرني في زيارته أن أكتب لك ونرتب الأمر معًا ما، فسيكون ذلك الأفضل والأقل تكلفة. فكن كريما وأخبرني برأيك في هذا الشأن سريعا. إن هيست (بالقرب من بلانكنبرج على البحر) أو كلامثوت بهما مناظر جيدة للرسم، وفي إيتن أيضًا، وهنا أيضًا إذا لزم الأمر، على الرغم من أنني قد أغادر لشاريبك. كذلك فإن شيفننجن أو كاتويك ستكون ممكنة لو أن العم كور قد غير رأيه بشأني، فأستطيع عندها الاستفادة بشكل مباشر أو غير مباشر من فناني هولندا. وبالنسبة للنفقات، فأنا أدبرها بحيث تكون على الأقل نحو مائة فرنك في الشهر، وأقل من ذلك غير ممكن. فـ "لا تَكُمّ الثَّوْرَ فِي دِرَاسِهِ".

سوف أنتظر حتى تكتب لي أكثر بخصوص هذين الأمرين، وسأظل أعمل لدى رابارد في الوقت نفسه. لقد رسم رابارد دراسات مفعمة بالحيوية، من بينها ما هو عن بعض النماذج التي بالأكاديمية وهي منفذة بقوة. بعض العاطفة أو الشعور الإضافي سيجعلها أفضل، وبعض الثقة بالنفس وبعض الجرأة كذلك. قال لي أحدهم مرة: لا بد أن نبذل مجهودًا كالضائعين، كاليائسين. لكنه لا يفعل ذلك بعد. أرى أن رسوماته لمناظر طبيعية بالقلم لهي مبهجة وذكية، وفي هذه أيضًا حبذا لو هناك مزيد من الشغف.

والآن أنسحب مع مصافحتك في خيالي وسأظل...

المخلص دائمًا،

فنسنت

أرسل إليك ثلاثة تخطيطات لا تزال في طور المسودة، ولكن أتمنى أن تلمح فيها بعض التحسن التدريجي. لا بد أنك تتذكر أنني لم أبدأ الرسم إلا من فترة قصيرة، حتى لو كنت أرسم أحيانا بعض التخطيطات كطفل صغير. وأنني في هذا الشتاء كان أهم شيء بالنسبة لي هو تطبيق دراسات دقيقة على رسم التشريح وليس رسم تكوينات خاصة بي.

١٧٠ | إيتن، الجمعة ٥ اغسطس (آب) ١٨٨١
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لقد كان رائعا أن تكون هنا وأن نستطيع أن نتكلم بخصوص الأمور مرةً ثانيةً. ما زلت أعتقد أنه من المؤسف أننا لا يمكن أن نكون معًا حتى الآن أكثر من هذا. ليس لأني أثمن قيمة الكلام في حد ذاته، ولكنني أعني أنني أتمنى أن نعرف بعضنا البعض بشكل أفضل وأكثر حميمية عما هي الحالة الآن. فكرت في ذلك تحديدًا في أثناء ركوبي عائدًا من روزندال، بعد أن أخذتك إلى المحطة، وأيضًا بسبب بعض الأمور التي تحدثنا عنها في اللحظات الأخيرة بالمحطة. لكن من المحتمل أنك لم تعد تذكر ذلك. أنا سعيد أن رسالتك اليوم تحمل أملًا بأنك ستعود قريبًا.

أنا بالطبع أفضل حالًا الآن، على الرغم من أنني بقيت في الفراش في اليوم التالي لرحيلك وقد تحدثت مع الدكتور فان جنك. رجل عملي للغاية، ليس لأني اعتقدت أن ذلك التوعك البسيط يستحق إزعاجه، ولكن لأنني بشكل عام، سواء كنت بخير أو لا، أفضل أن أتحدث مع طبيب من وقت لآخر لأطمئن على الأمور. إذا كان المرء يسمع من آن لآخر كلامًا نافعًا وحقيقيًا عن الصحة، فهو يكتسب تدريجيا -فيما يبدو لي- مفاهيم أكثر وضوحًا حول تلك المسائل، ولو عرف المرء ماذا يجب أن يتجنب، وبمَ ينبغي أن يلتزم فسيكون بمأمن من تقلب الآراء وكل اللغو الذي نسمعه حول الصحة الجيدة والصحة المعتلة.

أنا أيضًا مشغول برسم تمرين بالفحم على ورق إنجر الذي جلبته لي. وأنا أستنفد مجهودًا جبارًا في القدرة على مواصلة ذلك العمل. إنه لأمر أكثر تحفيزًا أن ترسم شيئًا في الخارج عن مثل هذه الأوراق من تمرينات بارج، ولكنني ما زلت مستهدفا رسمها ثانية، ولمرةٍ أخيرة. لن يكون جيدًا، عندما أرسم من الطبيعة أن أسقط في تفاصيل كثيرة وأتغاضى عن الأمور الهامة. أنا أجد الكثير جدا من ذلك في رسومي الأخيرة.

ولذلك أرغب في دراسة منهج بارج مرة أخرى (الذي يعمل بخطوط عريضة وكتل كبيرة وخطوط خارجية بسيطة ورقيقة). ولو تركت الرسم في الخارج إلى حين، فستكون لي عين أفضل على الأشياء عما كنت، عندما أعود له بعد فترة قصيرة.

لا أعرف إن كنت قد قرأت كتبًا إنجليزية أبدًا. إن كان كذلك فأنا أرشح لك بقوة كتاب "شيرلي" لكورر بيل، وهو مؤلف كتاب آخر هو "جين أير". إنه جميل كلوحات مييه أو بوتون أو هيركومر. لقد وجدته في برينسنهاج وقرأته في ثلاثة أيام، على الرغم من أنه كتاب كبير نسبيًا.

كم أتمنى أن يتمكّن كل شخص مما أنا بصدده الآن، وهي القابلية لقراءة كتاب بسهولة وبسرعة وتكوين انطباع قوي عنه. إن قراءة الكتب كالنظر إلى اللوحات: دون شك، ودون تردد، وبثقة في النفس، يجب أن يرى المرء ما هو جميل جميلًا.

أنا أضع كتبي بالترتيب تدريجيًا. أقرأ كثيرًا ومنهجيا لمحاولة مواكبة الأدب الحديث بقدر المستطاع.

أحيانًا أشعر بالندم الشديد لأني لا أعرف الكثير عن التاريخ، وعلى سبيل المثال وتحديدًا التاريخ الحديث. حسنًا، فالندم وتلك الأفكار الحزينة لن تفيد، وما ينبغي فعله هو مواصلة الكفاح.

أستمتع كثيرًا بأن أجد فلسفة رفيعة أحيانًا في محادثاتك الأخيرة. من يعرف أي مفكر يمكن أن تكون مع الوقت؟

لو كان كتاب "الأوهام الضائعة" لبلزاك طويلًا بالنسبة لك (مجلدان)، فابدأ بـ "الأب جوريو" فهو مجلد واحد فقط، بمجرد ما تتذوق بلزاك فسوف تفضله عن أشياء أخرى كثيرة. تذكر اسم شهرة بلزاك "جرّاح الأمراض العضال".

عندما أنتهي من تمرينات بارج سيكون الخريف قد حلّ، وذلك وقت رائع للرسم، وأود لو يأتي رابارد إلى هنا ثانيةً. وأرجو أيضًا أن أنجح في العثور على موديل جيد، ككوفمان العامل، وإن كنت أفضّل ألا أجعله يأخذ وضعا للرسم هنا في

البيت، ولكن في فناء بيته أو في الحقل مع جاروف أو محراث أو شيء من هذا القبيل.
لكن يا لها من صعوبة أن تُقنعَ الناس بأن يجلسوا لك لترسمهم. إن الفلاحين وأهل البلدة يتشبثون بقوة في فكرة لن يتنازلوا عنها، وهي أن المرء لا يجب أن يتخذ وضعًا للرسم في غير ملابس يوم الأحد، في ثنيات مستحيلة لا تظهر فيها التفاصيل المميزة لركبهم أو أكواعهم أو أكتافهم أو أي جزء من أجسادهم. حقيقة، تلك واحدة من المضايقات الصغيرة التي تواجه الرسام في حياته.

حسنًا، وداعًا (بالفرنسية) واكتب لي متى استطعت ذلك، وتقبل مني مصافحة في الخيال.

المخلص دوما،

فنسنت

١٧٢ | إيتن، منتصف سبتمبر ١٨٨١
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

حتى لو كنت قد كتبت لك قريبًا، فهذه المرة لدي الكثير لأقوله لك.

وهو أن تغييرًا قد طرأ على رسمي، في الطريقة التي أمارسه بها وفي النتيجة معًا.

مدفوعًا أيضًا بأمر أو اثنين مما نصحني به موف، فقد بدأت أعمل ثانية على رسم موديل حي. وقد استطعت أن أقنع عددا من الناس هنا بأن يقوموا بذلك، ولحسن الحظ أحدهم كان العامل بيت كوفمان.

إن الدراسة الدقيقة، والرسم المستمر والمتكرر لتمرينات بارج بالفحم قد اكسباني رؤية أكبر لرسم الشخوص. تعلمت أن أقيس وأن أرى وأن أعالج الخطوط

العريضة وما إلى ذلك. وعليه، فما كان يبدو لي مستحيلا بشكل محبط أصبح الآن ممكنا بالتدريج، بفضل الرب. لقد رسمت فلاحًا مع جاروفه ليس أقل من خمس مرات، "حفار" في الحقيقة، وفي كل الأوضاع، ورسمت مُزارعًا مرتين، وفتاةً مع مكنسة مرتين. وأيضًا امرأة برداء أبيض تقشر البطاطس، وراعيًا متكئا على عصاه، وأخيرًا فلاحًا مسنًا ومُتعبًا جالسًا على مقعد بجانب المدفأة ورأسه بين يديه ومرفقاه على ركبتيه.

ولن يتوقف الأمر هنا، فبمجرد عبور كبشين للجسر فالقطيع كله يتبعهما.

الحفارون، والزرّاع، والحارثون، رجال ونساء يجب أن أرسمهم الآن بانتظام. اختبار ورسم كل جانب من حياة الفلاحين. كما فعل ويفعل الكثيرون. لم أعد عاجزًا في مواجهة الطبيعة كما اعتدت أن أكون.

أحضرت أقلام كونتيه من الخشب والجرافيت أيضًا من لاهاي، وأنا الآن أعمل كثيرًا بها.

بدأت أيضًا العمل بالفرشاة والمدعكة. بقليل من حبر السبيدج أو الحبر الهندي، وأحيانا بقليل من الألوان.

من المؤكد أن الرسومات التي أصنعها مؤخرًا لا تشبه كثيرًا أي شيء كنت أصنعه قبل ذلك.

إن حجم الأشكال هو تقريبًا نفسه في أحد التمرينات بقلم الفحم.

وفيما يتعلق بالمناظر الطبيعية، سأراعي وبأي وسيلة ألا أعاني منها في أي حالة من الحالات. ولكن على العكس سوف تكون مربحةً. مرفق تخطيطان لتأخذ فكرة عن العمل.

بالطبع أنا مضطر لدفع نقود للموديلات الذين سيجلسون ليُرسموا. ليس الكثير، لكن بما أنه أمر يتكرر يوميًا فستكون تكلفة إضافيةً ما دمت فشلت في بيع أي رسومات.

ولكن لأن فشل اللوحة فشلًا كاملا هو أمر نادر، فيبدو لي أن تكلفة الموديلات سيتم تعويضها على نحو مناسب في القريب.

لأنه هناك أيضًا شيء يكتسبه هذه الأيام وفي هذا العمر شخص قد تعلم أن ينجز شكلًا ويتمسك به حتى يضمه على الورق وبقوة. لست بحاجة لأن أقول لك إنني أرسل هذه التخطيطات لأعطيك فكرة عن الوضع. لقد سوّدتها بسرعة اليوم، والنسب تبقى في غير المستوى المأمول، وبالطبع أكبر مما في الرسوم الحقيقية في كل الأحوال. تلقيت رسالة طيبة من رابارد الذي يبدو أنه يعمل بدأب، وقد أرسل إليّ بعض التخطيطات لمناظر طبيعية. وأنا حقيقة أود لو يأتي هنا ثانية لبعض الأيام.

]sketch A[

ذلك حقل للتبن تم حرثه وزرعه، ولدي تخطيط أكبر له مع عاصفة تهبُّ.

]sketch B[

التخطيطان الآخران هي أوضاع للحفارين. أتمنى أن أصنع المزيد منها.

] sketch C[
]sketch D[

إن الباذر الآخر لديه سلة

إنه لشيء مبهج كثيرا بالنسبة لي أن تجلس لي امرأة لتُرسَم مع سلة بذور حتى أستطيع أن أجد ذلك المنظر الذي أريتك إياه الربيع الماضي والذي تراه في مقدمة التخطيط الأول.

]sketch E[

باختصار فإن "المصنع يعمل على قدم وساق" كما يقول موف.

تذكر ورق إنجر، من فضلك، ذلك الذي في لون الكتان غير المبيض، من أقوى نوع لو كان ذلك ممكنًا. وفي كل الأحوال، اكتب لي قريبًا لو تستطيع، وتقبل مني مصافحة في الخيال.

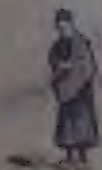
المخلص دوما،

فنسنت

«sketch F-L»







(من أعلى إلى أسفل): سحب عاصفة أعلى حقل، حفّار، قامة امرأة



حفار



Enfin zooals Mauve zegt, de fabriek is in volle werking.
Als ge niet en kunt denk dan aan het papier Ingres van de kleur van ongebleekt linnen zoo mogelijk het sterkere soort. Schrijf my eens spoedig als ge kunt en altijd geval, en ontvang een handdruk in gedachten.

t. à t.
Vincent

رجل يستند على مجرفته



رجل يجلس بجوار المدفأة



(من اليسار إلى اليمين، ومن الأعلى إلى الأسفل) امرأة بالقرب من النافذة، امرأة بالقرب من النافذة، رجل مع مذراة، امرأة مع مكنسة؛ زارع



زارع مع كيسه

١٧٩ | إيتن، الخميس ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨١
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

هناك أمر ببالي أود لو أخبرك إياه. وربما كنت تعرف بالفعل شيئا عنه، وما سوف أخبرك إياه ليس بالجديد عليك.

أردت أن أخبرك أنني هذا الصيف أحببت كي فوس جدًا حتى إنني لا أجد كلمات تعبر عن ذلك أفضل من أن كي فوس كانت أقرب شخص لي وأنا أقرب شخص لكي فوس. وقد قلت لها هذا الكلام. ولكن، عندما أخبرتها بذلك، أجابت بأن ماضيها ومستقبلها هما شيء واحد بالنسبة لها وعليه فهي لا تستطيع أبدًا مبادلتي المشاعر نفسها. فسقطت في ورطة فظيعة حول ما يجب عليّ فعله. أن أسحب نفسي من هذه اللا-لن-أبدًا، أو ألا أنظر للأمر باعتباره قد فرغ وانتهى، وأن أتشجع فلا أستسلم.

وقد اخترت القرار الأخير، وحتى الآن لم أندم عليه، حتى لو كنت ما زلت أواجه تلك الـ (لا ولن وأبدًا).

ومنذ وقتها، وأنا أعاني بالطبع من "بؤس الحياة الإنسانية التافه" الذي لو كتب في كتاب، ربما كان يصلح لتسلية بعض الناس، على الرغم من أنه من الصعب أن يعتبروه مسليا لو مروا بالخبرة بأنفسهم. على أي حال، فأنا سعيد حتى الآن لأنني تخليت عن الانسحاب، أو خطة الكف عن الفعل لمن يفضلونها، فمن هم مثلي يكتسبون بعض الشجاعة. أنت تفهم أنه في حالات مماثلة فمن الصعب بشكل مذهل أن يعرف المرء ما الذي يجب أو يمكن أن يفعله، ولكن "بالتجوال نجد طريقنا" ليس بالبقاء بلا حراك.

أحد الأسباب التي منعتني من الكتابة لك عن هذا الأمر قبل ذلك هو أن الوضع الذي وجدت نفسي فيه كان ملتبسا وغير محدد فما كنت قادرا على شرحه لك.

والآن، فقد تقدمنا نحو النقطة التي حدثتك عنها - بالإضافة إليها، أبي وأمي والعم والعمة سترايكر والعم والعمة برينسنهاج. إن شخصًا وحيدًا، هو من قال لي، بشكل خاص وغير رسمي، إن لديّ فرصة حقيقية لو عملت بدأب ونجحت، وهو من لم أتوقع منه ذلك نهائيًا وهو العم سنت. لقد أضحكته الطريقة التي تعاملت بها مع لا ولن وأبدًا التي قالتها كي، أي كوني جعلتها أمرًا بسيطًا وسخرت منها نوعا ما، إلا أجلب الحبوب لطاحونة كي فوس ذات اللا واللن والأبدًا، وعلى سبيل المثال، فأنا أتمنى لها كل خير، إلا فيما يخص الطاحونة المذكورة، فأنا أتمنى لها العطب. كذلك لم أهتم كثيرًا عندما قال لي العم سترايكر إن هناك "خطرًا أن أخرب علاقة صداقة وأقطع أواصر قديمة" وهو ما رددت عليه، بأن وجهة نظري هي أن الحالة موضع الكلام، بعيدا عن قطع أواصر قديمة فهي قد تجدد تلك الأواصر إذ إنها بحاجة للإصلاح. وعلى أي حال، فأنا أرجو أن أستمر هكذا وأن أظل بمنأى عن الأسى والتشاؤم. وفي الوقت نفسه، فأنا أعمل بدأب، ومنذ التقيت بها فإن عملي قد صار أفضل بكثير.

قلت إن الموقف صار الآن أكثر وضوحًا. أولًا، قالت كي لا، ولن، وأبدًا، علاوة على ذلك أعتقد أني سأواجه صعوبة هائلة مع الكبار الذين يرون أن الموضوع قد توقف وانتهى وسيحاولون أن يجبروني على التخلي عنه. مع ذلك، أعتقد أنهم في الوقت الحاضر سيتصرفون بحذر، ليبقوني مُعلّقًا ويهادنوني حتى ينتهي احتفال العم والعمة سترايكر الكبير (في ديسمبر). وذلك لأنهم يريدون تلافي الفضيحة. بعد ذلك، وهو ما أخشاه، سيتخذون خطوات للتخلص مني.

اعذرني على العبارات القاسية التي أستخدمها لأوضح لك موقفي. أعترف بأن الألوان قاسية نوعًا ما والخطوط قد رسمت بحدة بعض الشيء، لكنها مع ذلك ستعطيك صورة واضحة عن الوضع بدلا من اللف والدوران. فلا تتهمني بقلة الاحترام لهؤلاء الأشخاص الكبار.

أنا فقط أعتقد أنهم ضد الأمر ويحزم، وأنا أريد أن أجعلك ترى ذلك. سيحاولون ويحرصون على ألّا نتكلم أنا وكي ولا حتى أن نتكاتب، فقط لأنهم

يفهمون جيدًا، أننا لو تقابلنا أو تحادثنا أو تكاتبنا فربما يكون هناك تغير في رأي كي. كي نفسها تعتقد أنها لن تغير رأيها أبدًا، وعلى الرغم من أن الأشخاص الكبار يحاولون إقناعي بأنها لن تستطيع التغير فإنهم يخشون هذا التغير مع ذلك.

لن يغير الأشخاص الكبار رأيهم حول هذا الأمر إذا غيرت كي رأيها، لكن عندما أصبح شخصا قادرا على كسب ما لا يقل عن ألف جيلدر سنويًا. وثانية، اعذرني على الخطوط الحادة التي أرسم لك بها الأمور. ففي حين أجد تعاطفًا قليلا من الأشخاص الكبار، فأنا أعتقد أن بعض الشباب سيكونون قادرين على تفهم موقفي. ربما أنت يا تيو. ربما سمعت ما يقال عني من أني أريد أن أفرض هذا الأمر وتعبيرات من هذا القبيل. لكن، من ذا الذي لا يفهم كيف تكون محاولة فرض الحب بلا معنى! لا، إن ذلك بعيد عن أفكاري. لكنه من غير الإنصاف ومن غير المعقول ألا يتاح لنا أنا وكي الفرصة كي نلتقي ونتكلم ونتكاتب، فنستطيع أن نعرف بعضنا البعض بشكل أفضل، فنرى (بأنفسنا) إن كنا مناسبين أحدنا للآخر أم لا. إن عاما من التواصل بيننا سيكون مفيدا لي ولها، لكن الكبار لن يتهاونوا في هذه النقطة.

أنت الآن تفهم أنني لن أدخر جهدًا في محاولتي للتقرب منها، وأنا أعلن ذلك
سوف أحبها طويلًا
حتى إنها في النهاية ستحبني أيضًا
كلما اختفت ظهرت

تيو ألم تكن في حالة حب أنت أيضًا، في أي وقت؟ أتمنى أن تكون لأن "بؤسه التافه" صدقني، له أيضًا بعض القيمة. أحيانا يكون المرء مهجورًا، وفي لحظات يكون في جحيم كما يقال، لكنه يجلب معه أيضًا أشياء أخرى أفضل. هناك ثلاث مراحل، أولا: ألا تحب ولا تكون محبوبًا، ثانيًا أن تحب وألا تكون محبوبًا (وهي الحالة هنا) ثالثًا أن تُحِب وأن تُحَب.

وقد أقول إن المرحلة الثانية هي أفضل من المرحلة الأولى، ولكن الثالثة! هي الموضوع.

والآن يا صديقي، اذهب واسقط في الحب وأخبرني عن ذلك أحيانًا. لا تخبر أحدًا بحالتي وتعاطف معي. الفضْل بالتأكيد أن أحصل على نعم وآمين وبالطبع ولكن حاليًا أنا سعيد بلا ولن وأبدًا. أنا أعتبر ذلك شيئًا، لكن الأشخاص الأكبر سنا والأعقل يقولون إنها لا شيء. لقد كان رابارد هنا، وقد أحضر معه رسوماته بالألوان المائية وقد صارت أفضل.

سيجيء موف قريبًا، أو أتمنى أن أذهب إليه. أرسم كثيرًا وأعتقد أني أتحسن، وأعمل بالفرشاة أكثر مما اعتدت أن أفعل. إن الطقس الآن بارد جدًا حتى إنني بشكل خاص لا أرسم سوى شخوص في الداخل، خيّاطة أو صانعة سلال وما إلى ذلك.

مصافحة في الخيال، واكتب لي قريبا.

المخلص دوما،

فنسنت

كانوا يريدونني أن أتعهد بألا أقول أو أكتب شيئا إضافيًا عن هذا الأمر، لكنني لن أعد بذلك؛ لا أحد في العالم، من وجهة نظري، يستطيع أن يطالبني بشيء كهذا (أو من أي شخص آخر في الموقف نفسه). فقط قد أعطيت تأكيدات للعم سنت بأني سأتوقف عن الكتابة للعم سترايكر في الوقت الحالي، حتى تدعو أي ظروف طارئة إلى ذلك. لا تستطيع القبرة أن تتوقف عن الهديل في الربيع.

لا بد أن تقع في الحب، وتتلقى لا ولن وأبدًا فلا تنسحب بأي حال! لكن يا لك من محظوظ، وأمر كهذا لا يمكن أن يحدث لك أبدًا، كما أتمنى.

١٨٦ | إيتن، الجمعة ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨١

إلى تيو فان جوخ (D)

مساء الجمعة

شقيقي العزيز،

عندما أرسلت خطابي إليك هذا الصباح، أعني عندما وضعته في صندوق البريد، شعرت بالراحة. لقد ترددت للحظة، هل أخبره أم لا؟ ولكن بالتفكير بعدها بدا لي أنه لا مبرر لذلك حقًا. إنني أكتب لك من غرفة صغيرة صارت الآن مرسمي لأن الأخرى كانت رطبة جدًا. عندما أتطلع حولي أجدها مليئة بكل أنواع الدراسات المتعلقة بشيء واحد فقط، وهو "أنماط إقليم البارابانت".

وهكذا، فالعمل قد بدأ، ولو كنت قد انتُزعت من هذا المحيط كان سيتحتم علي أن أبدأ من جديد بصنع شيء آخر، وكان ذلك العمل سيتوقف في منتصفه غير منجزا لا يجب أن يحدث ذلك! إنني أعمل هنا منذ مايو، وقد صرت أعرف وأفهم الأنماط التي أرسمها، وعملي يتقدم، على الرغم من أنه يستغرق مشقةً حتى أبلغ ذروة نشاطي. والآن وقد استعدت نشاطي، أيجب أن يقول لي أبي، لأنك تكتب خطابات لكي فوس، وهكذا فأنت تسبب مشاكل بيننا (لأن هذه هي القضية الأصلية، مهما قالوا: أني لا أراعي قواعد اللياقة أو أيًا ما كان، وهو مجرد كلام فارغ) فلأن المشاكل قد تصاعدت فأنت ملعون وأنا أطردك من البيت.

إن ذلك سيئ حقًا، وفي النهاية، سيكون أمرًا سخيفًا للغاية أن أتوقف عن العمل على مشروع قد بدأ بالفعل وهو في تطوّر جيد من أجل سبب كهذا.

لا، لا أحد يستطيع أن يجعل هذا يحدث. وعلى كل حال، فالصعوبات بيني وبين أبي وأمي ليست رهيبة، هي ليست من النوع الذي يجعلنا نفترق. لكن أبي وأمي

يتقدمان في العمر، وأحيانا ينتابهما بعض الغضب، ولديهما أحكام مسبقة وأفكار قديمة لا نستطيع لا أنا ولا أنت أن نشاركهما إياها.

فلو رآي أبي، مثلًا، في يدي كتابًا فرنسيًا لميشليه أو فيكتور هوجو فهو يفكر في المخربين والقتلة واللا أخلاقيين. لكن ذلك سخيف جدًا، وأنا بالطبع لا أترك كلامًا فارغًا كهذا ليضايقني. وقد قلت لأبي بالفعل قبل ذلك: فقط اقرأ كتابا منها، ولو حتى مجرد صفحتين منه، وأنت ستتأثر بها. لكن أبي يرفض أن يفعل ذلك بعناد. والآن وقد تمكن مني الحب فقد قرأت كتابي ميشليه "الحب" و"النساء" مرةً أخرى، واتضحت لي كثير من الأمور كانت لتبقى ملغزة عليّ. وقد أخبرت أبي أيضًا بصراحة أنني في هذه الظروف لو كان عليّ أن أختار فأنا أقدر نصائح ميشليه أكثر من نصائحه هو. لكنهم أخرجوا لي قصةً قديمة عن أحد أقاربنا كان قد صار مولعًا بالأفكار الفرنسية مما قاده إلى إدمان الشراب، ما يوحي بأن هذا سيكون مآلي في الحياة. يا للبؤس!

إن أبي وأمي طيبان جدًا معي إلى حد أنهما يفعلان ما بوسعهما لإطعامي جيدًا وما إلى ذلك. وأنا أقدر ذلك كثيرًا، لكن ذلك لا يغير من حقيقة أن الطعام والشراب والنوم ليست كافية، وأن المرء يسعى لشيء أنبل وأسمى، وفي الواقع، لا يستطيع المرء الاستغناء عنه.

ذلك الشيء السامي الذي لا أستطيع الاستغناء عنه هو حبي لكي فوس. يعتقد أبي وأمي أنها بقولها لا ولن وأبدًا تفرض عليّ أن أصمت.

لا أستطيع أن أتقبل هذا على الإطلاق، بل على العكس. ولو كتبت لها أو شيء من هذا القبيل تكون هناك كلمات قبيحة كـ "ابتزاز" أو "ذلك لن يجدي بأي حال" و"ستتلف الأمور على نفسك". ويندهشون أن شخصًا ما لا ينسحب لو تبيّن له أن حبه غير محتشم.

لا، وكلا، من رأيي يا تيو أن أظلّ هنا وأواصل العمل بهدوء وأفعل كل ما بوسعي كي أفوز بحب كي فوس وأن أذيب اللا واللن والأبدًا. لا أستطيع أن أتفق مع أبي وأمي في أني لا يجب أن أكتب لها أو للعم سترايكر؛ في الحقيقة أنا أشعر بالنقيض

تمامًا. وأنا بالأحرى قد أترك العمل الذي بدأته وكل الراحة في هذا البيت على أن أتراجع مثقال ذرة عن الكتابة لها أو لأبويها أو لك. ولو صب أبي لعناته علي بسبب ذلك فلن أستطيع منع قداسته من فعل ذلك. ولو أراد إلقائي خارج البيت، فليكن، لكنني سأواصل فعل ما يمليه عليّ قلبي وعقلي من احترام لحبي.

كن متأكدًا أن أبي وأمي ضد الأمر في الواقع، وإلا فأنا لا أستطيع تفسير رد فعلهما المغالى فيه هذا الصباح، وعليه فيبدو لي الآن أني كنت مخطئًا في ظني أنهما لا يهتمان بأي شكل من الأشكال. وعلى أي حال، فأنا أكتب لك عن هذا، لأن مكان عملي هو أمر يخصك، بما أنك الشخص الذي أنفق بالفعل الكثير من المال لمساعدتي على النجاح. الآن فقد ملكت إيقاعي، والأمر يتقدم، وقد بدأت أرى شيئا فيه، أقول لك يا تيو أن هذا يثقل عليّ. أنا لا أرغب في شيء سوى الاستمرار في العمل، لكن أبي غاضب ويريد أن يطردني من البيت، وقد قال هذا على الأقل هذا الصباح. والسبب هو أنني أكتب الخطابات لكي فوس. وما دمت أفعل هذا فسيجد أبي وأمي سببًا للشكوى مني، سواء إن كان عدم احترامي لقواعد اللياقة، أو لأن لدي طريقة "غير محتشمة" للتعبير عن نفسي، أو لأنني أقطع الروابط، أو أي شيء من هذا القبيل.

إن كلمة محفزة منك يمكن لها أن تجعل الأمور تستقيم. أتفهم ما أقوله لك؟ فلكي يعمل المرء ويكون فنانًا فهو بحاجة إلى الحب. أو على الأقل الشخص الذي يتوق للشغف في عمله عليه بداية أن يشعر ويعيش بقلبه.

لكن أبي وأمي أكثر عنادا من الحجر في ما يخص نقطة "وسيلة كسب العيش" كما يسمونها.

لو كانت المسألة تخص الزواج في الحال، لكنت اتفقت معهما في الأغلب، لكنها الآن مسألة إذابة اللا واللن والأبدًا، ووسائل كسب العيش لن تستطيع أن تفعل ذلك.

ذلك أمر مختلف تمامًا، شأن من شؤون القلب، فمن أجل إذابة اللا واللن والأبدًا، لا بد أن نتقابل أنا وهي، ونتكاتب، ونتكلم. ذلك واضح وضوح الشمس وبسيط ومعقول. وحقيقة (وعلى الرغم من أنهم يعتبرونني شخصية ضعيفة "رجلًا من

ورق") فأنا لن أدع أي شيء في هذا العالم يردعني عن هذا الحب. وليعِنّي الرب على ذلك.

لا للتأجيل من اليوم إلى الغد، ومن الغد إلى اليوم الذي يليه، لا للانتظار الصامت.

القُبرة لا تستطيع الصمت ما دامت قادرة على الهديل. إن ذلك عبث، عبث تام، أن تجعل حياة شخص ما صعبة لذلك السبب. لو أن أبي أراد أن يهيل عليّ لعناته لهذا السبب، فذلك شأنه، وشأني أنا أن أحاول وأرى كي فوس، أن أكلمها، أن أكاتبها، أن أحبها بكل شيء في كياني.

ستفهم أن الأب لا يجب أن يصب لعناته على ابنه لأن الابن لا يحترم قواعد اللياقة أو يعبر عن نفسه بغير تهذب أو شيء مماثل، وعلى افتراض أن كل هذا صحيح، فأنا أعتقد أن الواقع يختلف تمامًا.

لكن لسوء الحظ هي أشياء تحدث غالبًا في عائلات عديدة، أن يغضب الأب من ابنه بسبب حب لا يقره الآباء.

هذه هي المعضلة، أما الأمور الأخرى، كقواعد اللياقة وما إلى ذلك، والتعبيرات، ولهجة كلامي، فهي كلها مجرد حجج. فما الذي علينا أن نفعله الآن؟

ألن يكون ضربا من الخطل يا تيو ألا أستمر في تصوير تلك الأنماط الشعبية الخاصة بإقليم البارابانت، والتي أتقدم فيها الآن، فقط لأن أبي وأمي غاضبان بسبب حبي؟

لا، إن ذلك لا ينبغي أن يحدث. فليتقبلوا ذلك، من أجل الرب، هذا ما أفكر فيه.

سيكون حقًا ضربًا من الجنون أن نتوقع أن يضحي شاب بطاقته من أجل الأحكام المسبقة لرجل شيخ. والحقيقة أن أبي وأمي متحاملان في هذا الشأن.

يا تيو، أنا لم أسمع حتى الآن كلمة حب واحدة تجاهها، والحقيقة أن هذا يضايقني أكثر من أي شيء آخر.

لا أعتقد أن أبي وأمي يحبانها في أعماقهما، على أي حال ففي المزاج الذي هما فيه الآن هما لا يستطيعان التفكير فيها بحب. لكنني أعتقد أن ذلك سوف يتغير في الأيام الأفضل القادمة. لا، لا، لا، هنالك شيء خاطئ يخصهما، ولا يمكن أن يكون جيدًا أنهما يصبان لعناتهما عليّ ويريدانني خارج المنزل في هذا الوقت تحديدًا. لا يوجد سبب لذلك، وهو ما سيحبطني في عملي. فلا يجب أن نسمح لذلك بالحدوث لسبب واه.

في ماذا يمكن أن تفكر هي لو عرفت ما حدث هذا الصباح؟ هل سيعجبها، حتى لو كانت قد قالت لا ولن وأبدًا، ولو عرفت أنهم يسمون حبي لها "عدم احتشام" وأنهم تكلموا عن "قطع الأواصر" وما إلى ذلك. لا يا تيو، لو أنها سمعت أبي يصب لعناته علي، لم تكن لتوافق على هذا. أمي مرة قالت عليها "يا لها من شيء تافه بائس" وهي تشير لضعفها الشديد أو عصبيتها أو أيا ما كان.

لكن، تأكد أن داخل ذلك "الشيء التافه البائس" تكمن حدة الذهن والاعتزاز وطاقة وتصميم يمكن أن تغير رأي الكثير من الناس فيها، وأرى أنه آجلًا أم عاجلًا سيرى المرء أمورًا من ذلك "الشيء التافه البائس" ما كان ليتوقعها أحد الآن! إنها طيبة جدًا وودود حتى إنه يؤلمها بعمق أن تقول أي شيء غير ودي، ولكن إذا ثار شخص مثلها شديد اللطف والرقة والود، وبشدة، فالويل لمن ستثور ضدهم.

أتمنى ألا تثور ضدي، بعد ذلك، يا شقيقي العزيز. أعتقد أنها قد بدأت ترى أنني لست متطفلًا أو فظًا، وبالأحرى أنا أكثر هدوءًا في أعماقي مما أبدو على السطح. هي لم تتبين ذلك مباشرةً. في البداية، ولفترة، كان لها رأي سلبي فيّ، ولكن هكذا، وبينما السماء تمتلئ فوقي بالغيوم وتعتم بالصعوبات واللعنات، ها هو الضوء يشرق ناحيتها. كان أبي وأمي دائما لطيفين ووديعين وطيبين. ولكن كيف يتوافق ذلك مع مشهد هذا الصباح أو مع قصة جيل التي حدثت العام الماضي؟

هما حقًا طيبان ولطيفان، ولكن مع ذلك فلديهما أحكام مسبقة يريدان فرضها. ولو كانا يريدان أن يقوما بدور "حائط الصد" بيني وبينها، فأنا أشك أن ذلك سيكون في صالحهما.

والآن أيها الصديق، لو أرسلتَ إليّ بعض "نقود السفر" فسوف تستلم مني قريبًا ثلاث رسمات، "وقت الطعام" و"مُشعل النيران" و"رجل الإحسان". فأرسل "نقود السفر" لو استطعت ذلك، حتى لا تكون الرحلة بلا فائدة! لو كان لدي فقط عشرون أو ثلاثون فرنكا فسوف أستطيع أن أرى وجهها مرةً أخرى. واكتب لي كلمة أو اثنتين عن تلك اللعنة الأكيدة (الرهيبة) وذلك الإبعاد، لأنني أحب جدًا أن أستمر في العمل هنا بهدوء، وهذا هو أفضل شيء بالنسبة لي. أحتاج لها ولتأثيرها كي أبلغ مستوى فنيًا أعلى، أنا بدونها لا شيء، لكن معها فهناك فرصة. أن تعيش، وتعمل وتحب هي تقريبا الشيء نفسه. والآن وداعًا (بالفرنسية) ومصافحة.

المخلص دوما،

هنسنت

إن كلمة منك، "من باريس" يمكن أن ترفع بعض الحمل، حتى حيال الأحكام المسبقة.

إن قصة المصحة قد حدثت العام الماضي "انطلاقا من قناعة الضمير" كما أسموها، والآن فهي قناعة ضمير أخرى هي التي تمنعني من الكتابة لكي فوس. لكنها ببساطة قناعة ضمير تستند على أرض واهية لا تحمل حتى الماء. لا، لا يمكن أن يحدث ذلك دونما سبب وجيه!

ولو سأل الواحد أبي: "فسر لي على أي شيء تستند قناعاتك" فسيجيب "لست مطالبا بأي تفسير لك و"ليس من اللائق أن تسأل أباك مثل هذا السؤال" وهكذا، فهذا ليس منطقًا سليمًا للأمور!

والمنطق الآخر الذي لا أفهمه هو منطق أمي: "تعرف أننا كنا ضد ذلك من البداية، فتوقف عن الاستمرار في هذا!" لا، أنصت لي يا أخي، سيكون من السيئ

جدا أن يتحتم علي ترك مجال عملي هنا وتبديد الكثير من النقود في مكان آخر، حيث ستكون التكلفة أعلى، بدلًا من أن أربح بعض النقود للسفر!

قصة جيل العام الماضي، عندما أراد أبي وضعي في مصحة رغما عن إرادتي!!! علمتني أن أبقى على حذر. لو لم أنتبه الآن فإن أبي سيشعر أنه مجبر على القيام ببعض الإجراءات.

١٩٠ | إيتن، الأربعاء ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨١
إلى انطون فان رابارد (D)

عزيزي رابارد،

عندما أعيد قراءة رسائلك، يا صديقي العزيز، أجد بها بعض الملحوظات الجيدة، وذلك تحديدًا ما يدفعني لمواصلة هذه المراسلات.

إذن، فأنا شخصية عنيدة في الواقع، في نهاية الأمر. حسنا سوف أقرُّ بالهزيمة، لقد طعنتني في الصميم! فليكن. أشكرك على هذا الكشف، نعم، وأشكر الرب، ففي البداية لم أجرؤ على تصديق ذلك في نفسي لكنك جعلته واضحًا لي، إذن فأنا صاحب إرادة وموهبة، وأنا ذاهب في اتجاه محدد، وماذا أيضًا؟ لست مكتفيًا بذلك، وأريد آخرين ليسيروا معي! حمدًا للرب، إذن فأنا شخص مثابر! حسنا فمنذ الآن لا أريد أن أكون شيئا آخر. والآن أنا حقًا أريد صديقي رابارد ليكون رفيق سفري -إنها ليست مسألة لا مبالاة بالنسبة لي أن أغفل عنه- هل أنا مخطئ في ذلك؟

حسنا، كنت أقول إني بتهوري أردت أن أقود الناس نحو "البحر المفتوح" (انظر الرسالة السابقة). لو كان هذا كل ما فعلته سأكون همجيًا تمامًا. لكن هناك شيئا آخر يجعل الأمر أكثر معقولية. لا يستطيع الإنسان احتمال البحر المفتوح لمدة طويلة، لا بد أن يكون له كوخ صغير على الشاطئ بنار في الموقد، وزوجة وأطفال حول الموقد.

أترى يا رابارد إلى أين أحاول أن أذهب أنا نفسي، وأين أحاول أن أقود الآخرين أيضًا، أن يصبحوا صيادين في البحر الذي نسميه أوقيانوس الواقع، ولكن بالنسبة لنفسي ولرفاقي من البشر فأنا أحيانا أبالغ في جذب الانتباه، بالتأكيد أنا أيضًا أريد ذلك "الكوخ الصغير" وداخله تلك الأمور الأخرى المذكورة سلفًا. إذن فالبحر وذلك المأوى أم ذلك المأوى والبحر.

أما فيما يتعلق بذلك المذهب الذي أبشر به. تلك العقيدة الخاصة بي، "أيها الناس، دعونا نحب ما نحبه" فهي تستند على بديهية. وقد ظننت أنه من غير الضروري أن أذكر تلك البديهية، ولكن الآن سأتلوها عليك طلبًا للوضوح. تلك البديهية هي "أيها الناس، نحن نحب" ومنها انطلقت الفرضية الأولى.

أيها الناس، دعونا نحب ما نحبه، دعونا نكُن أنفسنا "دعونا لا نرغب في معرفة أفضل من معرفة الرب" (هذا التعبير الأخير ليس لي وإنما لموف). وسأبرهن على الفرضية باستخدام "برهان خلف"، وتحديدًا بهذه الطريقة. في البداية، فلنفترض رجلًا لم يحب ما قد أحبه، كم من البؤس سيسبب لنفسه وللآخرين، وكم من مشاكل قد يثيرها في عالم ربنا المبارك. باختصار، لو كان كل شخص كهذا الشخص الذي نفترضه هذه اللحظة، لو كان ممكنًا لنا أن نفعل هذا، وهو أنه لم يحب ما قد أحب، كيف سيكون العالم تدريجيًا (وهو من وجهة نظري قد انتظم في أحسن صورة بفضل الرب المبارك، وقد ظلّ على هذا الوضع بفضله، وفي الوقت الحالي، وطالما كنا أنا وأنت على قيد الحياة سيظلّ على هذا الوضع، وسيستمر بلا شك بعدنا). لو كنت أقول، لو كان كل شخص كذلك الشخص المفترض، يقف بإرادته مقلوبًا رأسا على عقب (من حسن الحظ أنه لا يمكن أن يوجد إلا في خيالنا كتجريد في برهان الخلف في فرضية غير هندسية!) كيف كان العالم الذي خلقه الرب في أفضل صورة سيبدو كعالم خاطئ بالكامل. ويبدو لي أن الانطلاق من هذا كتجريد، أن الشخص موضوع المسألة يقف متعمدًا رأسا على عقب، وهو الموجود حاليًا في خيالنا فقط (وهو حتى ليس كذلك) وهو من لم يكن ليختار أن يحب ما قد أحب، سنشعر أننا نسير "عكس التيار" وبشدة حتى إننا نأخذ كمسلمة المنطق والإدراك الذي يقف خلف فرضية "أيها الناس

دعونا نحب ما نحبه" (وعلاوة على ذلك، لو لم أكن قد أثبت وبوضوح بطلان الفرضية محل السؤال وأنها على قدر كبير من العبثية، فأنت الأكثر تبحرًا مني في الهندسة، تستطيع، وببعض النية الحسنة إيجاد دليل أكثر قطعية على فرضيتي.

والآن وقد وصلنا لنتائج بارزة أو استنتاجات لذلك المبدأ البسيط، والذي يتضمن:

أولًا، رجلًا يرفض رفضًا قاطعًا أن يحب ما هو يحبه فيقوده ذلك إلى الأرض.

ثانيا، لا بد أن تكون لديه جرعة زائدة من التقشف ليتحمل ذلك لفترة طويلة.

ثالثًا، لو كان ليتغير فإن تحوله لن يكون عظيمًا.

نعم، وسواء قلتها أو لم أقلها فأعتقد أنك ستفهم في كل الحالات أنني بشكل أو بآخر ألمح لك: إنك في تمسكك بالأكاديمية يا رابارد فأنت تحتفظ بلفة مرخية من الحبال حول يدك، شنق رجال كثيرون بها أنفسهم لأنهم لم يستطيعوا التحرر منها عندما أرادوا اختيار البحر.

ولأن لك مع ذلك عضلات قوية فستكون قادرًا على قطع هذه الربطة من الحبال عندما تحتاج إلى ذلك. لكن الآخرين، صدقني فهناك من يشنقون أنفسهم بها!

هل هناك، إضافة إلى الأشخاص الأكاديميين أي ربطات حبل أخرى؟ نعم هناك، بعد إذنك أنشوطات من الحبال بقدر ما هناك شعاعات عيون (انظر الفصل عن "شعاعات العيون" في الرسالة السابقة).

كم؟ حشود، أنا أقول "حشود".

أن تشنق نفسك بالحبل المرخي لهي ميتة بطيئة ومخيفة أكثر من أن تشنق نفسك مباشرة بأنشوطة.

هل هناك أيضًا لفات أخلاقية للحبال؟

ولماذا لا ينبغي أن تكون جيدة كشعاع العين الأخلاقية؟ لكن أنا وأنت لم نعمل فعليًا تحتها، ولن نعمل.

هممم لست واثقًا جدًا من ذلك، ولو كنت أتكلم عن نفسي فقط بدلًا من الكلام عني وعنك، كنت لأقول: بقدر ما أنا معني، فقد عملت، وأنا أعمل وسأواصل العمل تحت أشعة العين الأخلاقية وربطة الحبل الأخلاقية، ولكن ذلك لم ولا ولن يغير حقيقة أنني أتخلص وسأواصل التخلص من أشعة العين الأخلاقية من عني. أما ربطة الحبل الأخلاقية فقد مزقتها، وأمزقها وسأواصل تمزيقها بوميض البرق.

حتى في النهاية أكون بعين متفردة ويد حرة. لكن متى؟

شريطة أن أثابر حتى النهاية — في النهاية.

حسنًا، سترى حقيقةً أننا معًا سنكسب هذا بالحفاظ على مراسلاتنا، لأن هذه المراسلات ستكتسب تدريجيًا جدية أكبر.

لأنني، كما قلت مسبقًا فأنا أطلق العنان لخيالي، ومع ذلك فأنا أكتب لك بكثير من الجدية. وبينما أنا بعيد عن كوني أكتب لك بدافع من الرغبة في الجدال، فنيتي هي أن "أوقظ رابارد" وأنا أشك أنني في عملية إيقاظ رابارد فأنا أنوّم نفسي، وبعون الرب لن تكون تلك هي الحالة، بل العكس من ذلك.

قلت لك في مناسبة سابقة إنني أدقق، مع الفنانين بشكل خاص، في الرجل الذي ينتج العمل بالقدر نفسه الذي أفحص به العمل نفسه. وإذا غاب الرجل فلا بد أن أرسم استنتاجاتي بناء على العمل فقط (لا نستطيع أن نتعرف على كل الفنانين شخصيًا) وإذا غاب العمل فأنا آخذ المقاييس من الرجل وحده. حسنا فأنا أعرف عمل السيد فان رابارد أولًا إلى حد ما، ثم هو ثانيًا إلى حد ما.

وعمله دائما يقول لي، ما هو قادم أفضل.

وشخصيته تقول الشيء نفسه.

من الجيد للأفضل.

هل تعتقد أن ذلك حكم قاس. والآن (ننتقل لموضوع مختلف تماما) فيما يتعلق بـ "الوحش الأسود" الذي يخصني، كانت لدي فرصة ضئيلة اليوم أن أشغل نفسي بمتابعة الموضوع نفسه، ومع ذلك فلم أستطع الامتناع عن مهاجمته قليلًا.

لكننا سنناقش ذلك بالتفصيل في وقت آخر. لقد بدأت حالة تحفز خفيفة، وحقيقة أن ذلك الانسحاب هو اعتياد على الانسحاب، وأعتقد أنه قد يوقف القتال، ولكن كما ترى أنا لا أميل لفعل ذلك الآن. على أي حال، قد أخبرك لاحقًا عن الوحش الأسود محل الكلام. الوحش الأسود اللعين، هو يسعدني مع ذلك.

وفي أثناء ذلك، كن بخير، مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

أكتب لك الآن بانتظام لأنني في القريب سأنشغل بمراسلات أخرى.

١٩٢ | لاهاي، بالتقريب يوم الأحد ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨١ إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

من الممكن أن تكون متوقعًا كلمة مني بخصوص ما أفعله هذه الأيام. ومن جانبي كنت أتوق إلى كلمة منك.

ما زلت أذهب إلى موف كل يوم، في أثناء النهار لأصور، وفي أثناء المساء لأرسم. والآن قد أنجزت خمس دراسات في التصوير، ولوحتين بالألوان المائية، وعدة تخطيطات بشكل طبيعي.

وأستطيع أن أقول لك كم كان موف وجيت طيبين معى هذه الأيام. وقد أطلعنى موف وأخبرنى بأشياء لا أستطيع فعلها مباشرةً حاليًا لكننى بالتدريج سآخذ فى ممارستها. ولكن لا بد أن أستمر فى العمل بدأب، وعندما أرجع إلى إيتن ثانية سيكون من الضرورى أن يحدث تغييران، فبين أشياء أخرى لا بد أن أنظر فى أمر استئجار غرفة واسعة فى مكان ما أستطيع أن أقف فيها متقهقرا للخلف مسافة كافية، وإلا فلن يكون رسم الأشخاص ممكنًا، باستثناء دراسة بعض الأجزاء.

على أى حال فأنا أنظر فى الأمر مع إم وسأكتب لك عنه ثانيةً فى الأيام القادمة.

إن الدراسات المصورة هى من الطبيعة الصامتة، ولوحات الألوان المائية لموديل، امرأة من شيفننجن. ربما كتب لك موف رسالة بنفسه قريبًا.

لكن يا تيو، لقد رحلت منذ شهر تقريبًا الآن، وأنت ستفهم أننى أُلزمت بنفقات أكثر من المعتاد. وقد أعطانى موف أشياءً عديدة، ألوانًا وما إلى ذلك، لكن لا بد لى أن أشترى المزيد من هذا الشىء أو ذاك، وقد دفعت أيضًا للموديل عن عدة أيام. واحتجت إلى زوج من الأحذية، وفوق ذلك لم أكن منتبهًا لنفقاتى فتجاوزت حد مائة الفرنك شهريا، إذ إن الرحلة بأكملها قد كلفتنى تسعين جيلدرًا فى الإجمالى. والآن أنا أعتقد أن لدى أبى عجزًا فى النقود وأنا لا أعرف ماذا أفعل.

من جانبى، فأنا أحب أن أبقى هنا لفترة أطول، بل إننى قد أرغب فى استئجار غرفة هنا لمدة شهرين، فى شيفننجن على سبيل المثال، وربما لأكثر من شهرين. ولكن فى الظروف الحالية فربما من الأفضل أن أعود إلى إيتن. لقد وجدت شيفننجن جميلة بشكل عظيم كذا الأنماط والشخوص. لكن الموديل هنا تكلف جيلدرًا ونصفًا أو جيلدرين فى اليوم، وبعضهن أكثر من ذلك.

ولكن المرء هنا على اتصال بمصورين وما إلى ذلك. وعندما كتبت لأبى هذا الأسبوع طالبًا المال، كان رأيه أن التسعين جيلدرًا التى أنفقتها مبلغ كبير بشكل رهيب.

مع ذلك أنت ستفهم أن ذلك معقول حيث كل شىء هنا غالى الثمن. لكننى أكره أن أعطى لأبى تقريرا حول كل فلس أنفقه، لا سيما أن كل شىء يتم إفشاؤه لجميع الآخرين مع حواش إضافية ومبالغات.

وماذا أيضًا، دفع أبي ثمن معطف لي يتدلى على الأرض حين أرتديه، وبدايةً هو من طراز مبتذل مبالغ فيه. ربما فعل أبي ذلك بدافع من طيبته، لكنه حقيقة لم يكن الوقت المناسب لفعل ذلك، بما إن لدينا نفقات عديدة بالفعل، وأيضًا لا يجوز أن نشتري ملابس دون أن نستشير الشخص الذي سيرتديها وبدون تجربتها وقياسها. أرسل لي أبي المعطف هنا، لكنني سارعت بإعادته إليه. فقط أردت أن أقول إنني بدأت أكون مفلسًا تمامًا.

وأنا أكتب لك لأخبرك بهذا. ليس لدي أي نقود لأبقى، ولا أي نقود لأعود. سأنتظر يومًا أو شيئًا كهذا في كل الأحوال وسأفعل أي شيء تريده.

هل تظن أنه من الأفضل أن أبقى هنا قليلًا؟ أود فعلًا لو أبقى هنا فترة أطول، وألا أعود قبل أن أحرز تقدما كبيرًا بشكل ما.

إذا كنت تريد أن أعود في الحال، فذلك أيضًا لا بأس به بالنسبة لي. شريطة أن أجد غرفة جيدة في مكان ما، تكون أكثر اتساعا نوعا عن المرسم الذي في البيت، فأستطيع تدبير نفسي لبعض الوقت ثم أعودَ ثانيةً إلى لاهاي لاحقا. على أي حال يا تيو، لقد أثارني موف كثيرا فيما يخص أسرار الألوان والتصوير بالألوان المائية، وذلك يكفي لسداد التسعين جيلدرًا التي كلفتها هذه الرحلة. يقول موف إن الشمس قد بدأت تشرق لي لكن لا يزال الضباب يكتنفها. حسنًا، لست ضد هذا. في وقت ما سأخبرك كيف كان موف طيبًا ولطيفًا معي.

إذن فسوف أبقى هنا ليومين في انتظار جوابك. ولكن لو لم يأت جوابك في غضون ثلاثة أو أربعة أيام فسأطلب من أبي أن يرسل إلي نقودًا لأعود على الفور.

لا يزال لدي الكثير لأخبرك به مما قد ترغب في معرفته، حول طريقة العمل مع موديل في إيتن، ولكن كما قلت لك، سأكتب لك عن ذلك لاحقًا ـ وقريبا. مرفق هنا مسودتان للوحتين بالألوان المائية. لدي كل الأمل في إنجاز شيء قابل للبيع خلال فترة قصيرة نسبيا، ونعم، أعتقد أنه إذا كان ضروريا فيفترض أنه من الممكن بيع

هاتين اللوحتين. لا سيما تلك التي أضاف عليها موف بعض لمساته. لكنني أفضل الاحتفاظ بهما لنفسي لبعض الوقت، لاستذكار أشياء عديدة تخص تنفيذهما.

كم هي رائعة الألوان المائية للتعبير عن الفضاء والخفة، وتسمح للشكل بأن يكون جزءا من المحيط وللحياة أن تدخله.

والآن، هل تريدني أن أنجز لك بعض لوحات الألوان المائية الإضافية هنا؟ لا أرغب في أكثر من هذا، لكن المعيشة هنا والموديلات والألوان والورق... إلخ، كلها تكلفني نقودًا، ولم يعد لديّ المزيد.

فاكتب لي إذن في كل الحالات في البريد العائد، ولو أردتني أن أبقى فأرسل بعض النقود إذا أمكن ذلك.

أعتقد حقًا أنني أستطيع أن أحرز بعض التقدم الآن إذ سمعت بعض النصائح العملية حول الألوان واستخدام الفرشاة. وتستطيع أن تتخيل أني آمل بشدة ألا يندم موف على لطفه معي.

سنحاول ونثابر بكل طاقتنا.

والآن وداعًا، أنا أتكل في كل الأحوال على أنك ستكتب لي كلمة في البريد العائد والعنوان لدى أ موف Uilenbomen 198. مع مصافحة في الخيال.

المخلص دوما،

فنسنت

لدي هنا نوع رديء جدًا من الحبر يداخله شيء من اللون الأحمر ظهر في التخطيطات.

‹sketch A - C›

هذه تمثل موضوع إحدى الدراستين. واحدة لرأس بلون بني محروق لطفل يرتدي قلنسوة من الفراء، والأخرى لكرنبة بيضاء وبعض حبات البطاطس.

‹sketch D, E›



(من أسفل إلى أعلى. ومن اليسار إلى اليمين) امرأة من شيفيننجن واقفة: تمثال: رسم حيّ للملفوف والقباقيب



(من اليسار إلى اليمين) امرأة من شيفيننجن تقوم بالخياطة. امرأة من شيفيننجن تقوم بالنسج

١٩٣ | إيتن في نحو الجمعة ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨١
إلى تيو فان جوخ (D)

أحيانا أخشى أن تتخلص من أحد الكتب لأنك تراه واقعيا، فتحلَّ بالتعاطف والصبر مع رسالتي هذه واقرأها بعناية على الرغم من قسوتها.

عزيزي تيو،

كما كنت قد كتبت لك قبلا من لاهاي فإن لدي أمرًا لأناقشه معك الآن وقد عدت أدراجي إلى هنا. إني أستعيد رحلتي إلى لاهاي بكثير من العاطفة. عندما ذهبت لزيارة موف كان قلبي يخفق بشدة، لأنني كنت أفكر، هل سيحاول هو أيضًا أن يتخلص مني، أم هل سأجد شيئا آخر هنا؟ ولكن حسنًا، ما خبرته معه أنه علمني وشجعني بكافة الطرق اللطيفة والعملية. على الرغم من أنه لم يكن يوافق على كل ما أفعله أو أقوله، بل على العكس من ذلك. لكنه إذ كان يقول لي إن هذا أو ذاك ليس جيدًا فلأنه كان يقول لي في الوقت نفسه "جربه بالطريقة هذه أو تلك" وذلك مختلف تماما عن الانتقاد لمجرد الانتقاد. ولو قال لك شخص "إنك مريض بهذا أو بذاك" فإن ذلك لا يفيد كثيرًا، لكن لو قال لك أحدهم "افعل ذلك وسوف تتحسن" ولم تكن نصيحته مجرد غش، فهذا هو الشيء الحقيقي وهو يفيد بشكل طبيعي. والآن قد عدت من عنده ببعض الدراسات التصويرية ولوحتين بالألوان المائية. بالطبع هي ليست تحفًا فنية، لكنني أعتقد أن فيها شيئًا سليمًا وحقيقيًا، على الأقل أكثر مما في كل ما أنجزته حتى الآن. وعليه فأنا الآن أعتبر نفسي في بداية البداية لفعل شيء جاد. ولأنني الآن أملك بعض الموارد التقنية تحت تصرفي، أعني ألوانًا وفرشًا، فكل الأشياء تتم من جديد، كما يقال.

والآن لندخل في الممارسة. وأول شيء هو أنه يجب أن أعثر على غرفة واسعة بما يكفي لأن أقف على مسافة كافية. قال لي موف للتو عندما شاهد دراساتي، "أنت مقترب جدا من الموديل".

في حالات كثيرة ذلك يجعل من شبه المستحيلات أن تأخذ المقاييس الضرورية للنسب، وعليه فهذا بالضرورة واحد من الأولويات التي لا بد أن آخذها في اعتباري. الآن لا بد أن أدبر لتأجير غرفة متسعة في مكان ما، لتكن غرفة أو مجرد كشك. وذلك لن يكون مكلفًا بشكل رهيب. إن كوخ العامل يكلف في هذه المنطقة ثلاثين جيلدرًا لإيجاره لمدة عام، فيبدو لي أن غرفة بضعف مساحة كوخ العامل قد تكلف ما يقارب الستين جيلدرًا.

وهذا أمر مقدور عليه. لقد رأيت كشكا بالفعل، به الكثير من العيوب، خاصة بالنسبة للشتاء. لكنني سأكون قادرًا على العمل هنا، على الأقل عندما يكون الطقس أكثر اعتدالًا. وهنا، في البارابانت يمكن العثور على موديلات، ليس فقط في إيتن، وأيضًا في القرى الأخرى لو ظهرت الصعوبات هنا.

ما زلت مع ذلك أحب البارابانت جدًا. وأيضا لدي ميل لأنماط أخرى غير فلاحي البارابانت. شيفننجن على سبيل المثال أكرر لك إني أجدها جميلة بشكل لا يوصف. لكنني هنا في النهاية، وفي الأغلب سيكون من الأقل تكلفة أن أبقى هنا. وعلى أي حال، فقد وعدت موف بشكل مؤكد بأنني سأبذل قصارى جهدي كي أجد مرسما جيدًا، والآن ينبغي أيضًا أن أستخدم ألوانًا أفضل وأوراقًا أفضل.

ومع ذلك فإن ورق إنجر ممتاز للدراسات والمسودات، وأن تصنع منه بنفسك دفترًا للتخطيطات وبجميع المقاسات لهو أرخص من أن تشتري دفاتر جاهزة. لا يزال لدي مخزون صغير من ورق إنجر، لكنك ستصنع لي معروفًا كبيرًا لو أرسلت إلي المزيد من النوع نفسه مع إعادتك لهذه الدراسات. ليس الأبيض الناصع، لكن ذلك الذي في لون الكتان غير المبيض، بلا ظلال باردة.

يا ثيو، يا له من أمر عظيم الألوان ودرجاتها، وأي شخص لا يمتلك شعورًا حيالها، كم سيظل بعيدًا عن الحياة. لقد علمني إم أن أرى أشياء كثيرة جدًا لم أكن قد رأيتها من قبل، وعندما تسنح لي الفرصة سأحاول وأخبرك بما قاله لي، لأنه ربما هناك

أشياء أنت أيضًا لا تراها بوضوح. على أي حال ستتكلم عن الموضوعات الفنية في وقت لاحق.

وأنت لا تستطيع أن تتصور شعور الارتياح الذي أشعر به عندما أفكر في ما قاله لي موف عن كسب النقود. فقط تذكر كيف كنت أتخبط لأعوام، ودائما في حالة وضع زائف. والآن، الآن ثمة بريق لضوء حقيقي.

أتمنى لو كنت تستطيع أن ترى لوحتي الألوان المائية اللتين أحضرتهما معي، لأنك كنت سترى أنهما لوحتان كأي لوحات الألوان المائية الأخرى. ربما كان بهما الكثير من عدم الاكتمال، ومهما كان الأمر، فسأكون أول من يقول إنني ما زلت غير مقتنع بهما، وهما مع ذلك، مختلفتان عن كل ما فعلته حتى الآن، وتبدوان أكثر نضارة واتساقا، وفي الوقت نفسه لا بد أن يصيرا أكثر نضارة واتساقا، لكن الواحد لا يستطيع أن يفعل كلّ ما يريده مرة واحدة. الأمور تأتي بالتدريج. أحتاج لهاتين الرسمتين لنفسي، لمقارنتهما بما سأفعله هنا، لأنه ينبغي أن أفعله على الأقل بنفس جودة مع ما عملته لدى موف.

وعلى الرغم من أن موف قد قال لي إنني لو واصلت العمل هنا لمدة شهرين ثم عدت إليه مرةً أخرى في شهر مارس على سبيل المثال، سأكون وقتها قادرا على صنع رسمات قابلة للبيع بشكل منتظم، حيث إنني أمر بفترة صعبة. فتكلفة الموديلات، والمرسم، وأدوات الرسم تتضاعف، ولا يوجد دخل بعد.

حقيقة، لقد قال لي أبي إنه ليس علي أن أخشى من النفقات الضرورية، هو مرتاح إلى الكلام الذي قاله عني له، وأيضا بالدراسات والرسوم التي أحضرتها معي عند عودتي. لكنني أجد أنه من السخيف أن يتكبد أبي ذلك العناء. بالطبع نحن نأمل أن الأمور تتحسن لاحقًا، لكنها لا تزال، تثقل بشدة على قلبي. لأنني منذ جئت إلى هنا فأبي لم ينتفع مني، وأكثر من مرة اشترى لي معطفا أو بنطالا لم أكن أملكهما، وحتى لو كنت أحتاجهما فعلا، فإن أبي لا ينبغي أن يتكبد عناء ذلك. لا سيما إذا كان المعطف والبنطال المذكوران غير مناسبين وهما فقط نصف ما أريده أو ليس هو تحديدًا. على

أي حال، المزيد من المتاعب الصغيرة للحياة الإنسانية. وكما قلت لك من قبل، فأنا أجده أمرًا بشعًا ألا تكون حرًا على الإطلاق. لأنه حتى لو لم يسألني أبي عن مآل كل فلس أنفقه بالتحديد، فهو يعرف دائمًا كم أنفق بالضبط وعلامَ. والآن، وعلى الرغم من أنه لا أسرار عندي، فأنا لا أحب أن يكون الناس قادرين على التطلع في أوراقي. فحتى أسراري هي ليست أسرارًا بالنسبة لمن أشعر نحوهم بالتعاطف.

لكن أبي ليس من ذلك النوع من البشر الذي يمكن أن أشعر حياله كما أشعر حيالك على سبيل المثال، أو حيال موف. أنا حقًا أحب أبي وأمي، لكنه شعور مختلف عما أكنه لك أو لموف.

إن أبي لا يستطيع أن يتفهمني أو يتعاطف معي، وأنا لا أستطيع أن أتواءم مع روتين حياته هو وأمي، إنه مقبض جدا بالنسبة لي، وقد أختنق فيه.

أي كلام أقوله لأبي في أي مناسبة، هو كلام فارغ بالنسبة له، وبالتأكيد بالنسبة لأمي أيضًا، وأنا أيضًا أجد طقوس أبي وأمي وأفكارهما بخصوص الرب، والناس، والأخلاق، والفضيلة كلها بلا معنى تمامًا. أنا أيضًا أقرأ الكتاب المقدس أحيانًا، كما أقرأ أحيانًا ميشليه أو بلزاك أو إليوت، لكنني أجد في الكتاب المقدس أشياء جد مختلفة عمّا يراه أبي، ولا أستطيع أبدًا الاتفاق مع ما يفعله أبي منها بطريقته الأكاديمية البائسة. وحين ترجم القسُّ تين كات كتاب "فاوست" لجوته فقد قرأه أبي وأمي فقط لأن مترجمه كاهن، ألا يمكن أن يكون كل ذلك لا أخلاقيًا (ما هذا؟؟؟). وهما لا يريان في الكتاب سوى العواقب الكارثية لحب غير محتشم.

وهما بالتأكيد يفهمان القليل من الكتاب المقدس. وخذ موف على سبيل المثال، فهو عندما يقرأ شيئا عميقا فهو لا يقول مباشرة الكاتب يقصد هذا أو ذاك. لأن الشعر عميق جدا ومراوغ حتى إن الواحد لا يستطيع تعريفه بشكل منهجي، لكن لموف حساسية مرهفة، وأنت ترى أنني أجد هذه الحساسية أكثر قيمة من التعريف والنقد.

وآه عندما أقرأ، وأنا حاليًا لا أقرأ كثيرًا، وحتى حينها فيكون كاتبا ونصفًا، رجلان أعثر عليهما بالمصادفة، وأنا أفعل ذلك لأنهما ينظران للأمور بشكل متسع

أكثر رقة ويحب أكثر مما أفعل، وهما على دراية أكبر بالواقع، ولأني سأستطيع أن أتعلم شيئا منهما. لكن كلّ الهراء عن الخير والشر، والأخلاقية واللا أخلاقية، فأنا في الحقيقة قلما أهتم به. لأنه من المستحيل بالنسبة لي أن تعرف دائما ما هو خير وما هو شر، وما هو أخلاقي وما غير أخلاقي.

الأخلاقية واللا أخلاقية تقودني بالمصادفة نحو كي فوس، آه، لقد كتبت لك أنها لم تعد تبدو كأكل الفراولة في الربيع بشكل كامل. حسنا، إن ذلك حقيقي بالطبع. إذا سقطت في التكرار فسامحني، فأنا لا أعرف إن كنت قد كتبت لك من قبل عما حدث معي في أمستردام أم لا. لقد ذهبت هناك وأنا أفكر، من يعرف قد يكون المناخ المعتدل قد أذاب اللا واللن والأبدًا. وهكذا في إحدى الأمسيات كنت ذاهبًا تجاه كيزسجراشت، أبحث عن البيت، وقد وجدته في الحقيقة. وبشكل طبيعي قرعت الجرس وسمعت العائلة لا تزال جالسة إلى المائدة. لكنني سمعت أيضًا أن بإمكاني الدخول. وقد كانوا هناك جميعًا حتى جان البروفيسور المتعلم جدا باستثناء كي. وقد كانت الأطباق لا تزال أمامهم جميعًا، ولم تكن أطباقًا كثيرة. هذه التفصيلة الصغيرة جذبت عيني. أرادوا أن يجعلوني أعتقد أن كي غير موجودة، فرفعوا طبقها، لكنني كنت أعرف أنها موجودة، ففكرت أن الأمر أشبه بكوميديا أو بلعبة.

وبعد وهلة سألت (بعد الثرثرة قليلًا وتحية كل شخص فيهم)، ولكن أين كي؟ لكن سترايكر كرر سؤالي، قائلًا لزوجته، يا أم أين كي؟ فقالت الزوجة، كي في الخارج، وساعتها لم أتابع الأمر لكنني تكلمت قليلا مع البروفيسور حول معرض فني كان قد رآه للتو في آرتي. حسنًا، اختفى البروفيسور، واختفى جان فوس الصغير، وبقيت وحدي مع الأب والأم وتهيأنا للوضع. سترايكر كأب وككاهن بدأ الكلام وقال إنه كان بصدد إرسال خطاب إلي وإنه سيقرؤه بصوت عال. على كل حال، سألت أولًا مرةً ثانية مقاطعًا سيادته أو الكاهن، أين كي؟ (لأنني كنت أعرف أنها في المدينة) فقال لي إن كي غادرت المنزل بمجرد ما عرفت أنني هنا. حسنًا، أنا أعرف شيئا عنها، ولا بد أن أقول إني كنت لا أعرف ذلك الوقت وحتى الآن إن كان برودها وغلظتها معي هي علامة جيدة أم سيئة. وما أعرفه هو أنني لم أرها قط تبدو في الظاهر

أو في الحقيقة باردة أو قاسية حيال أي شخص سواي. وعليه فلم أرد بشيء وبقيت صامتا كالميت. دعني أسمع ذلك الخطاب، قلت أم لا، لم أكن أهتم في كلتا الحالتين. ثم كانت الرسالة. الكتابة كانت شديدة الوقار والتعالم وبالتالي لم يكن فيها أي شيء، مع ذلك فكانت تبدو وكأنها تقول إنني مطالب بوقف التراسل وأعطيت النصيحة بأن أبذل محاولات جادة لنسيان الأمر. وفي النهاية انتهت قراءة الخطاب. شعرت بالضبط وكأنني أسمع القسيس في الكنيسة، بعد رفع صوته وخفضه عدة مرات، يقول آمين. خلّف الخطاب لدي شعورا بالبرودة كموعظة اعتيادية. ثم بدأتُ، وقلت بما استطعته من الهدوء والتهذب: نعم، لقد سمعت ذلك الاتجاه المتعقل كثيرًا من قبل، ولكن أكمل، ماذا بعد؟ لكن سترايكر رفع رأسه... وقد بدا حتى أنه مذهول مني لأني لم أقتنع تماما أننا قد بلغنا الحد الأقصى لقدرة الإنسان على التفكير والإحساس. وبالنسبة له لم يكن هناك ما هو بعد. ومضينا على هذا المنوال، وبين الحين والآخر تخرج العمة إم ببعض كلمات المكر، فشعرت بسخونة وفقدت في النهاية أعصابي. وفقد سترايكر أعصابه أيضًا، للحد الذي يستطيعه كاهن أن يفقد أعصابه. وحتى لو لم يقل صراحة "لعنك الرب" فأي شخص آخر ليس كاهنًا وفي حالته كان سيعبر عن نفسه بهذه الطريقة. لكنك تعرف أنني أحب أبي وسترايكر بطريقتي الخاصة، بغض النظر عن حقيقة أنني أكره نظامهما. وقد غيرت تكتيكي قليلًا وانخرطنا في أخذ ورد، حتى إنهما قالا لي في نهاية الأمسية إني أستطيع المبيت لديهم إذا أردت ذلك. فقلت شكرًا لكما. فإذا كانت كي قد غادرت البيت عند مجيئي، فلا أعتقد أنها اللحظة المناسبة للبقاء هنا، أنا ذاهب إلى النزل. فسألا أين أقيم؟ قلت إنني لا أعرف بعد، فأصر العم والعمة أن يصطحباني بنفسيهما إلى نزل جيد وغير مكلف. وبحق السماء، فقد خرج معي هذان العزيزان في الشوارع الباردة الموحلة التي يخيم عليها الضباب، وبالفعل أخذاني إلى نزل جيد جدا وغير غال. لم أرغب قط أن يأتيا، لكنهما أصرا أن يرياني النزل. أترى، لقد وجدت ذلك إنسانيا جدا منهما فهدأ روعي بعض الشيء. وبقيت في أمستردام يومين آخرين، وتكلمت مع العم سترايكر ثانيةً، لكنني لم أر كي، كانت تضنُ بحضورها كل مرة. وقلتُ إنه على الرغم من رغبتهم في اعتبار الأمر منتهيًا ومفروغًا منه، فأنا لا أستطيع أن أجبر نفسي على ذلك. وقد واصلوا الرد بحزم

"سأفهم ذلك أفضل لاحقا". وقد رأيت بين الحين والآخر البروفيسور أيضًا، وينبغي أن أقول إنه لم يكن سيئًا، لكن، لكن، ماذا أيضًا أقول عن السيد المهذب؟ قلت إنني أتمنى أن يقع في الحب في أحد الأيام، هكذا. هل يقع البروفيسورات في الحب؟ هل يعرف رجال الكهنوت ما هو الحب؟

لقد قرأت ميشليه مؤخرًا "المرأة، والدين، والكاهن". إن كتابًا مثل هذا لهو ممتلئ بالواقع، وما الذي يمكن أن يكون حقيقيًا أكثر من الواقع نفسه، وماذا يمكن أن يحتوي على الحياة أكثر من الحياة نفسها؟ ونحن من نفعل ما بوسعنا كي نعيش، لم لا نعيش أكثر؟

لقد تجولت بلا هدف طيلة تلك الأيام الثلاثة في أمستردام، وكنت أشعر ببؤس رهيب، وأحسست أن ذلك اللطف من قبل العم والعمة وكل تلك المجادلات مضجرة للغاية. حتى بدأت أشعر أني أنا نفسي مضجر، فقلت لنفسي هل تريد أن تصاب بالقنوط مرة أخرى؟ ثم قلت لنفسي: لا تترك نفسك لتُقهر. ثم كان أن ذهبت صباح الأحد لأرى العمّ سترايكر للمرة الأخيرة وقلت له: اسمع يا عمي العزيز، لو كانت كي فوس ملاكًا كانت لتكون عالية المقام بالنسبة لي، ولا أظن أنني سأظل أحب ملاكًا. ولو كانت شيطانا فما كنت لأريد شيئا منها، وفي الوضع الراهن أنا أراها امرأة حقيقية بعواطف ونزوات نسائية، وأنا أحبها كثيرًا، وهذا هو الوضع، وأنا سعيد به. فما دامت لم تصبح ملاكًا أو شيطانًا فالموضوع لن ينتهي. ولم يستطع العمّ أن يقول الكثير تعقيبا على ذلك، وتكلم عن العواطف النسائية، ولا أتذكر جيدا ما قاله عنها، ثم غادر إلى الكنيسة. ولا عجب أن المرء يصاب بالتصلب والخدر هناك، عرفت ذلك من خبرتي الخاصة. وبقدر ما أخوك معني بالأمر لم يرد أن يترك نفسه ليُقهر. لكن ذلك لم يغير من حقيقة أنه شعر بالقهر، شعر وكأنه مستند على حائط بارد وصلب مكلس لكنيسة فترةً طويلة. حسنا، هل أخبرك المزيد يا صديقي القديم. من الجرأة أن يظلّ المرء واقعيًا، لكن يا تيو، أنت أيضًا واقعي، فتحملْ معي قليلًا. قلت لك إن حتى أسراري هي ليست بالضرورة أسرارًا، حسنًا، لن أتراجع عن هذا الكلام، فكر فيّ كما تريد، ولا يهم إن كنت ستقرّ أو ترفض ما قد فعلته.

سأواصل - من أمستردام ذهبت إلى هارلم وقضيت وقتًا لطيفا مع شقيقتنا العزيزة ويلماين، وقد تمشينا معًا، وفي المساء ذهبت إلى لاهاي، وبلغت بيت موف في نحو السابعة.

وقلت: اسمع يا موف، كان من المفروض أن تأتي إلى إيتن لتحاول أن تطلعني، بشكل أو بآخر، على أسرار الألوان، لكني فكرت أن ذلك لن يكون ممكنًا إلا خلال يومين، وعليه فسوف آتي لك وإن وافقت فسوف أبقى أربعة أسابيع، أو ستة أسابيع أو نحو ذلك، أو كما يحلو لك، وعلينا فقط أن نرى ما الذي نستطيع أن نفعله. إنه من الوقاحة بمكان أن أطلب منك كلّ هذا، ولكن باختصار، فأنا تحت ضغط رهيب. فقال موف، هل معك أي شيء؟ بالتأكيد، هاك دراستان، وقد قال الكثير من الأشياء الطيبة عنهما، الكثير جدًا. وفي الوقت نفسه عبر عن بعض الانتقادات، القليلة جدًا. حسنًا، وفي التالي وضعنا طبيعة صامتة وبدأ هو بقول: هكذا ينبغي أن تحمل الباليتة (مسطرة الألوان). ومن وقتها أنجزت بعض الدراسات بالألوان الزيتية ولوحتين بالألوان المائية.

هذا ملخص بأعمالي، لكن هناك في الحياة ما هو أكثر من العمل باليد والذهن.

بقيت أشعر بالبرودة حتى النخاع، أعني نخاع روحي على ذلك الحائط المذكور للكنيسة المتخيلة أو غير المتخيلة. ولم أرغب في أن أترك نفسي تغرق تحت ذلك الشعور المميت. وفكرت أني أحب أن أكون مع امرأة، لا أستطيع أن أحيا بدون حب، بدون امرأة. لم أكن لأهتم مطلقا بالحياة لو لم يكن هناك شيء لامتناه، شيء عميق، شيء حقيقي. لكنني قلت لنفسي مجاوبًا: أنت تقول "هي أو لا أحد" وهل ستذهب لامرأة؟ لكن حقيقة فإن ذلك غير معقول، أهو حقيقة سير عكس المنطق؟ وكانت إجابتي على ذلك، من هو السيد، أنا أم المنطق؟ هل المنطق موجود لأجلي أم أنا موجود لأجل المنطق، وهل لا يوجد عقل أو فهم في لا معقوليتي أو غبائي؟ وسواء كنت أتصرف بشكل صحيح أم خاطئ، فأنا لا أستطيع أن أفعل غير ذلك، فذلك الحائط اللعين بارد جدًا بالنسبة لي، سأبحث عن امرأة، وأنا لا أستطيع ولن أعيش بدون حب. إنني مجرد إنسان، إنسان له شغفه، أحتاج إلى امرأة وإلا فسوف أتجمد أو أتحول إلى حجر،

أو يتم قهري على أي حال. وفي هذه الظروف فإن الصراع يتم داخلي، وفي هذا الصراع ثمة أمور تخص القوى الطبيعية والصحية لها اليد الطولى، أمور أعتقد أنني أعرفها بحكم التجارب المريرة. لا يعيش المرء طويلا دون امرأة دون أن يحظى بالغفران. ولا أعتقد أن ما يسميه البعض ربًا وآخرون الموجودَ الأعلى وآخرون الطبيعةَ هو كيان غير متعقل وبلا رحمة، والخلاصة هي إنني لا بد أن أرى إن كنت لا أستطيع أن أجد امرأة. ويا للسماء، لم أذهب بعيدًا. لقد عثرت على امرأة، ليست شابة ولا جميلة، ولا شيء خاصًا بها، لو أردت أن تعرف. لكن ربما قد ينتابك الفضول، هي ضخمة نوعا وجسدها قوي، ولا تملك يدي سيدة حقيقية ككي فوس ، ولكن يدي امرأة تشقى في عملها، لكنها ليست خشنة ولا سوقية وبها شيء شديد الأنثوية. إنها تشبه إلى حد ما أحد شخوص شاردان أو فرير أو ربما جان ستين. على أي حال، هي ما يسميها الفرنسيون "امرأة عاملة". كان لديها هموم كثيرة وقد خبطتها الحياة، أو، لا شيء مميزًا، لا شيء استثنائيًا أو خارجًا عن المألوف.

كل امرأة، في أي عمر، لو أحبت وكانت طيبة فهي تستطيع أن تهب الرجل لا خلود اللحظة، ولكن لحظة الخلود.

يا تيو، إنني أجد سحرًا لا نهائيًا في ذلك الحطام المضروب من مزايا الحياة، لقد وجدت أن لها سحرًا، لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أرى بها شيئًا من عمل فين بيران أو من عمل بيروجينو. لتعلم، إنني لست بريئا كغرّ، ناهيك بطفل في المهد. إنها ليست المرة الأولى التي لا أستطيع فيها مقاومة مثل هذه العاطفة، أعني تحديدا الحب والعاطفة تجاه هاتيك النسوة اللاتي يلعنهن رجال الكهنوت ويحتقرونهن ويدينونهن على المنابر. أنا لا ألعنهن ولا أدينهن، ولا أحتقرهن. أنظر، أنا في الثلاثين تقريبا، وهل تعتقد أنني لم أشعر قط بالحاجة إلى الحب؟

إن كي فوس أكبر مني، ولديها عشق آخر خلفها، لكنها عزيزة عليّ جدا من أجل هذا السبب تحديدًا. إنها ليست جاهلة، ولا أنا كذلك. لو كانت تريد أن تعيش على الحب القديم ولا تريد أن تعرف شيئا عن الجديد، فهذا شأنها، لكن كلما أصرت على هذا وتحاشتني صرت أقل قدرة على حبس طاقتي وقوتي الذهنية من أجلها. لا،

أنا لا أريد هذا، أنا أحبها، لكني لا أرغب في تجميد وإماتة عقلي من أجلها. والحفز الذي نحتاجه، شرارة اللهب الأولى هي الحب، وأقصد بالضبط الحب الصوفي.

تلك المرأة لا تخدعني – أو أن أي امرئ يظن أن تلك الأخوات هن من المخادعات فهو مخطئ جدا وهو قليل الفهم.

تلك المرأة كانت طيبة معي. طيبة جدًا، ولطيفة جدًا، وحلوة المعشر. لكن بأي طريقة، فذلك ما لن أكرره حتى على أخي تيو، لأنني أظن بقوة أن أخي قد خبر شيئا كهذا بنفسه في وقت أو آخر. وهو شيء في صالحه.

هل أنفقنا الكثير معا؟ لا، لأني لم أكن أملك الكثير وقد قلت لها، اسمعي، لا ينبغي أن نسكر أنا وأنت حتى نشعر بشيء حيال بعضنا البعض، حصلت فقط على ما في مقدوري، ويا ليتني كنت أملك المزيد، لأنها كانت تستحق.

وتحدثنا عن كل الأمور، عن حياتها، عن همومها، عن عوزها، وعن صحتها، وقد كانت لي معها محادثة أكثر حيوية من محادثتي مع ابن عمنا البروفيسور المتعلم جان سترايكر على سبيل المثال.

أنا أقول لك هذه الأشياء لأنني أرجو أن ترى أنني حتى لو كان لدي بعض المشاعر، فأنا لا أريد أن أكون عاطفيًا بشكل لا معنى له. وأنه، مهما كان الأمر، فأنا أريد أن أحتفظ ببعض دفء الحياة وأن أحفظ ذهني صافيًا وجسدي في صحة جيدة حتى أستطيع العمل، وأن أفهم أنّ حبي لكي فوس يعني ألا أضع عملي موضع اليأس أو أترك نفسي للحيرة من أجلها.

ستفهم ذلك، لأنك كتبت في رسالتك شيئًا عن أمور الصحة. قلت إنك لم تكن بصحة جيدة من فترة مضت، ومن الجيد جدًا أن تحاول أن تجعل نفسك تستقيم.

رجال الكهنوت يسموننا خطاة، جبلنا وولدنا في الخطيئة. وأنا أظن أن هذا كلام بلا معنى. أهي خطيئة أن تحب، وأن تحتاج الحب، وألا تستطيع العيش بدونه؟ أنا أعتبر الحياة بدون حب حالة خطيئة ولا أخلاقية. لو كان هناك شيء أندم عليه،

فهو أنني تركت نفسي للأفكار الصوفية واللاهوتية لفترة فجعلتني منسحبًا للغاية داخل ذاتي. لقد توقفت عن ذلك تدريجيًا. لو استيقظتَ ذات صباحٍ غير وحيد ورأيتَ في غبش الظلمة رفيقًا إنسانيًا، فإن ذلك يجعل العالم أكثر لطفًا. أكثر لطفًا بكثير من الصحائف التثقيفية وحوائط الكنائس البيضاء المكلّسة التي يغرم بها رجال الكهنوت. كانت تعيش في غرفة هادئة بسيطة، بدرجة خافتة من الرمادي بسبب ورق الحائط الاعتيادي وهي دافئة كلوحة لشارادان، وأرضية من الخشب وحصيرة وقطعة من بساط أحمر قانٍ قديم، وموقد مطبخ اعتيادي، وخزانة بأدراج، وسرير عريض وبسيط بشكل كامل، وباختصار بيت حقيقي لامرأة عاملة. كان لا بد أن تغسل ملابسها في اليوم التالي. صحيحة جدا، وطيبة جدا، كنت لأجدها جذابة في سترة أرجوانية وتنورة سوداء، كما هي الآن في عباءة بنية أو حمراء قاتمة. وهي لم تعد شابة، ربما في عمر كي فوس نفسه، ولديها طفل، نعم، أعطتها الحياة خبطات وغادرها الشباب. غادرها؟ لا يوجد شيء اسمه امرأة عجوز. آه وقد كانت قوية وفي صحة جيدة، وليست فظة ولا سوقية. أولئك من يثمنون التميز هل يستطيعون دائمًا أن يخبرونا ما هو المميز؟ يا للسماء! يبحث الناس أحيانًا هنا وهناك بينما هي في متناول أيديهم، كما أفعل أنا في بعض الأوقات.

أنا سعيد لأني فعلت ما قد فعلته، لأنني أعتقد أن لا شيء في العالم يجب أن يعيقني عن عملي أو يتسبب في إفساد مزاجي.

عندما أفكر في كي فوس، ما زلت أقول "هي أو لا أحد"، وأفكر كما فعلت في الصيف الماضي "في الوقت نفسه لأبحث عن حبيبة أخرى". لكني لم أولع مؤخرًا فقط بهاتيك النسوة اللائي يدينهن ويحتقرهن ويلعنهن رجال الكهنوت، فإن حبي لهن أقدم حتى من حبي لكي فوس. وقتما أسير في الشوارع – بمفردي عادة وبلا وجهة، في شبه إعياء ومعدمًا بلا نقود في جيبي، أنظر لهن وأغبط الناس الذين يستطيعون الذهاب معهن، وأشعر وكأن هؤلاء الفتيات البائسات هن أخواتي، بقدر ما كانت ظروفنا وخبراتنا في الحياة متشابهة. وها أنت ترى، ذلك الشعور قديم ومتجذر فيَّ. حتى وأنا صبي، كنت أنظر أحيانًا بتعاطف واحترام لا نهائيين لوجه أنثوي شبه ذابل كتب عليه

كما يقال: لقد سحقني الواقع والحياة. لكن شعوري نحو كي فوس جديد تماما وهو شيء مختلف بالكلية. هي في نوع من السجن دون أن تعي ذلك. هي أيضًا بائسة ولا تستطيع أن تفعل كل ما ترغب به، وها أنت ترى، فهي تعاني نوعًا من الانسحاب واعتقد أن مكر الكهنة والسيدات المتدينات قد ترك أثره عليها أكثر مني. لم يعد ذلك المكر يؤثر فيَّ لأنني قد تعلمت بعض الحيل. لكنها ملتصقة بهم وهي لم تستطع أن تتحمل أن ينكشف لها نظام الانسحاب والخطيئة والرب وما إلى ذلك كمجرد مجازات. ولا أعتقد أن الرب يبدأ عندها فعليًا عندما نتلفظ بالكلمات التي اختتم بها مولتاتولي صلاة غير المؤمن: "يا رب، لا يوجد رب". لو كنتُ أجد إله الكهنة ميتًا كقطعة حجر فهل هذا يجعل مني ملحدًا؟ الكهنة يعتقدون أني كذلك –وليكن– ولكن انظر، إنني أحب، وكيف لي أن أشعر بالحب لو لم أكن أنا نفسي حيًّا. وإذا كنا نعيش، فهنالك شيء عجيب في ذلك. فلتسمه الرب أو الطبيعة الإنسانية أو ما تشاء، لكن هنالك شيئًا أكيدًا ذا نظام لا أستطيع تعريفه حتى لو كان شديد الحياة والحقيقية، أترى، هو بالنسبة لي الرب أو هو خير كالرب. انظر، لو كان ينبغي أن أموت في وقت محدد بطريقة أو بأخرى، حسنا، ماذا سيكون هناك ليبقيني حيًا؟ ألن يكون التفكير في الحب (الأخلاقي أو غير الأخلاقي، وما الذي أعرفه عن ذلك؟). وبحق السماء، أنا أحب كي فوس لألف سبب، ولكن تحديدًا لأني أومن بالحياة وبشيء حقيقي، ولم أعد مشتتًا كما كنتُ حين كانت لديَّ أفكار عن الرب أو الدين مماثلة بشكل أو بآخر لما يبدو أن كي فوس تؤمن به حاليًا. لن أتخلى عنها، لكن تلك الأزمة الداخلية التي ربما هي تعانيها ستستغرق وقتًا، وأنا لدي الصبر لذلك، ولا شيء مما تقوله أو تفعله يغضبني. ولكن ما دامت هي مرتبطة بالماضي ومتشبثة به، فأنا لا بد أن أعمل وأن أحافظ على ذهني صافيًا للتصوير والرسم والعمل. وعليه، فأنا فعلت ما فعلته من حاجتي لدفء الحياة ومراعاة للصحة. وأنا أيضًا أخبرك بهذه الأشياء حتى لا تعتقد ثانية أنني في حالة أسى أو في مزاج متعكر مهموم. على العكس من ذلك، فأنا أدبر نفسي عادة بالتصوير أو بالتفكير فيه، أو عمل لوحة ألوان مائية، أو بالبحث عن مرسم... إلخ. يا صديقي العزيز، لو أنني فقط أستطيع العثور على مرسم ملائم.

حسنا لقد طالت رسالتي، ولكن على أي حال،

أتمنى أحيانًا أن تكون ثلاثة الأشهر التي تفصلني الآن عن ذهابي لموف قد انقضت بالفعل، لكن كيفما كانت فسوف تجلب بعض الخير. اكتب لي بين الحين والآخر. هل ستأتي ثانية في الشتاء؟

واسمع، إن استئجار المرسم... إلخ، سوف أفعله أو لن أفعله بناء على رأي موف في ذلك. أرسلت إليه تخطيط الأرضية كما هو متفق عليه، وربما جاء بنفسه لإلقاء نظرة إذا تطلب الأمر. لكن أبي يجب أن يبقى بعيدًا عن الأمر. فأبي ليس الشخص المناسب لتزج به في الأمور الفنية. وكلما ابتعدتُ عنه في أمور عملي، كانت علاقتنا أفضل. لا بد أن أصير حرًا ومستقلًا في أمور عديدة، وهذا من الفني عن القول.

أحيانا أرتعد عندما أفكر في كي فوس، وأنا أراها تعيش في الماضي وتتمسك بمفاهيم قديمة وميتة. هنالك شيء قاتل في هذا، وآهٍ، هي لن تؤذي نفسها لو غيرت رأيها. أعتقد أنه من الممكن جدًا أن يظهر رد فعلها، إن بها الكثير مما هو صحي ونابض بالحياة. وعليه، فسوف أذهب إلى لاهاي ثانيةً في مارس، وثانيةً إلى أمستردام. لكن عندما غادرت أمستردام هذه المرة قلتُ لنفسي: لا يجب أن يصيبك الأسى تحت أي ظروف ولا تترك نفسك للقهر فتعاني في عملك، خاصة الآن وقد بدأت أحرز تقدما. أن تأكل الفراولة في الربيع، نعم، هذا جزء من الحياة، لكنه مجرد جزء قصير من العام، ولا يزال الطريق طويلا.

وهل ينبغي أن تغبطني على أي شيء؟ لا يا صديقي القديم، فما أسعى إليه يمكن أن يناله الجميع، وربما تناله أنت قبلي. فأنا ما زلت متخلّفا وضيق الأفق فيما يخص أمورًا كثيرة، فقط لو كنت أعرف بالضبط لَمَ وماذا علي أن أفعل لأتحسن. ولكن لسوء الحظ فنحن أحيانًا قد لا نرى الشعاع في أعيننا. اكتب لي قريبا، وسيكون عليك فقط الفصل بين الثمين والغث في رسائلي، لو كان بها في بعض الأحيان شيء جيد، شيء حقيقي، سيكون ذلك أفضل، ولكن بالطبع هناك فيها الكثير مما هو

خاطئ، بشكل ما، أو مبالغ فيه، دون أن أعي دائمًا ذلك. إنني لست حكيمًا حقًا وجاهل بشكل متطرف، كالكثيرين، أو أزيد من الكثيرين، لكنني لا أستطيع أن أحكم على ذلك بنفسي، وأستطيع أن أحكم على الآخرين أيضًا أقل مما أستطيعه على نفسي، وأنا أحيانًا أفقد الدليل. لكن حتى ونحن في الضلال فقد نعثر على الطريق، وهناك شيء جيد في الحركة عموما (بالمناسبة، فقد سمعت جول بريتون يقول ذلك وقد تذكرت قوله). قل لي هل سمعت أبدًا موف وهو يعظ؟؟ لقد سمعته يقلد العديد من الكهنة – مرة قال موعظة عن قارب بطرس (الموعظة كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول هل كان قد اشتراه أم ورثه، ثانيا هل دفع ثمنه بالتقسيط أم على أجزاء؟ ثالثًا هل كان (لا سمح الله) قد سرقه؟) ثم واصل الوعظ عن: "خير الرب" وعن "دجلة والفرات" ثم قام بتقليد جي بي إس وكيف تزوج أ، ثم لوكومت.

لكن عندما أخبرته أنني قلت لأبي في أحد النقاشات إنني أومن أن المرء قد يقول شيئا تعليميا حتى في الكنيسة، حتى على المنبر، وقال موف نعم، وقام بتقليد الأب بيرنهاردت: الرب – الرب – الرب القدير، خلق البحر، وخلق الأرض والسماء والنجوم والشمس والقمر، وهو قادر على كل شيء - كل شيء - كل شيء ومع ذلك هو ليس قديرا، هناك شيء واحد لا يقدر عليه. وما هو ذلك الشيء الذي لا يقدر عليه الرب القدير؟ الرب القدير لا يستطيع أن يهمل الخاطئ. حسنا، الوداع يا تيو، اكتب قريبًا ومصافحة في الخيال، وصدقني.

المخلص دائما،

فنسنت

١٩٤ | لاهاي، الخميس ٢٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨١
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

تقبل شكري على رسالتك وعلى ما هو مرفق بها. عندما استلمت رسالتك كنت قد عدت إلى أيتن بناء على نصيحة موف، كما كتبت لك. ولكن ها أنت ترى أنني قد عدت إلى لاهاي ثانيةً.

في عيد الميلاد دخلت في مناقشة حادة مع أبي، واحتدت مشاعرنا جدًا حتى إن أبي قال إنه قد يكون من الأفضل أن أغادر البيت. حسنا، لقد قيلت بحزم حتى إنني غادرت في اليوم نفسه.

وقد بلغت الأمور هذا الحد لأنني لم أذهب إلى الكنيسة، وقد قلتُ أيضًا إنه إذا كان الذهاب إلى الكنيسة شيئا بالغصب، وإنه إذا كان يتحتم عليّ الذهاب إلى الكنيسة فأنا قد لا أذهب ثانيةً أبدًا، ولا حتى من باب التأدب، كما كنت أفعل كثيرًا وبانتظام طالما كنتُ في أيتن. آه لكن في الأمر أشياء كثيرة، من ضمنها تلك القصة التي صارت بيني وبين كي فوس هذا الصيف.

كنت غاضبًا كما لم أكن قط طوال حياتي، وقد قلت لأبي بوضوح إنني أجد أن ذلك الدين بكامل نظامه لهو أمر كريه، وخاصة لأنني اعتمدت على هذه الأمور خلال الفترة البائسة في حياتي فأنا لم أعد أريد شيئا منها، ويجب أن أحذر منها حذري من شيء قاتل.

هل كنت غاضبًا جدًا، وعنيفًا جدًا؟ ليكن، حتى لو كان الأمر كذلك فهو على الأقل قد انتهى الآن.

وقد عدت إلى موف وقلت له إنني لا أستطيع البقاء في أيتن وعليّ أن أذهب لأعيش في مكان آخر، ويفضل أن يكون هنا.

فقال موف ابقَ هنا إذن. ومن ثم فقد أجرت مرسما هنا، وتحديدًا غرفة وخدعًا من الممكن إعدادها لتكون ملائمة. ليست غالية، خارج المدينة في شينكويج على مبعدة عشر دقائق من موف.

قال لي أبي إنه قد يقرضني المال لو احتجت إليه وكان ذلك ضروريًا، لكن ذلك مستحيل الآن، لا بد أن أظل مستقلًا تمامًا عن أبي. كيف؟ لا أعرف بعد، لكن موف ينتوي مساعدتي لو كان ذلك ضروريًا، وأنت أيضًا، كما آمل وأثق في ذلك، وبالطبع سوف أعمل وأفعل ما بوسعي كي أكسب القليل.

ها أنا هنا الآن، والحقيقة أنه لا رجوع. في وقت غير مناسب، لكن ما العمل؟

لا بد أن أقتني بعض الأثاث البسيط، وتكاليف أدوات الرسم والتصوير لم تنخفض قط.

يجب أيضًا أن أحاول أن أرتدي ملابس أفضل. إنها نقلة جريئة، ومسألة حياة أو موت. لكن كان لا بد لي في يوم من الأيام أن يكون لي بيت خاص، فماذا غير ذلك يمكن أن أفعله؟ الأمور مضت على نحو أسرع مما كنت أتوقع.

وفيما يتعلق بالعلاقة بيني وبين أبي وأمي فإنها لن تستقيم على المدى القريب، فالفرق بين عقلياتنا ونظراتنا للحياة هائل جدًا ببساطة شديدة.

وعلى الرغم من أني تكلّمت في سورة الغضب، فقد قلت أشياء أعتقد فيها حتى وأنا في مزاج هادئ. وأنا لن أتراجع عمّا قلته، وعلى كل حال فإن أبي الآن قد سمعها بوضوح. لو كنت أهدأ لكنت قلتها بشكل آخر، بنبرة أقل تطرفًا، ولكنني أعتقد في الشيء نفسه من الأساس.

وأرجو على أي حال أن يقود ذلك إلى شيء جيد. لا بد أن أتحمل الأوقات العصيبة وسترتفع المياه حتى الشفتين وربما أعلى من ذلك، كيف لي أن أعرف مسبقًا؟ لكنني سأخوض معركتي وأبيع حياتي غاليًا وسأحاول الفوز والاستمرار.

سأنتقل إلى المرسم نحو بداية يناير. وفيما يخص الأثاث، سآخذ أبسط الأشياء، طاولة خشبية ومقعدين. وكفراش كنت لأكتفي ببطانية صوفية والأرضية. ولكن موف يريدني أن أشتري سريرًا وسيقرضني النقود عند الحاجة. عند مراجعة حساب مائة الفرنك، ظهر أن هناك بعض النقود قد تبقت، على الرغم من أني قمت برحلتين هذا الصيف، إحداها، الأخيرة، كانت لفترة طويلة. صحيح أنني كنت آكل وأنام في البيت، لكن أبي بنفسه قال في وقتها إنه يمكن أن يوفرها.

أنت تفهم أنني في قمة القلق الآن، وأتوقع الكثير من العناء والمِحَن. ولكن يظل مريحًا لي أنني قد ذهبت بعيدًا وأنني لن أستطيع التراجع بعد الآن، وأن طريقي وإن كان شاقًا فهو واضح بما يكفي.

ولا أحتاج أن أقول لك يا تيو أن ترسل إلي ما تستطيعه من آن لآخر دون أن تشق على نفسك. وفي هذه الحالة فلترسله إلي مباشرة عوضًا عن أن تعطيه للآخرين. لأنه لو من الممكن ألا نورط موف في هذه الأمور، أي ما يخص المسائل المالية. إن ما يقدمه لي من مساعدات على المستوى الفني سواء بالقول أو بالفعل لا يقدر بثمن. وهو يصرّ مع ذلك على أن أشتري سريرًا، على سبيل المثال، وقطعتي أثاث، ويقول سأقرضك إن كان ذلك ضروريًا. لأن من وجهة نظره، لا بد أن أبدو مقبولًا تحت أي ظروف، فيما يتعلق بملابسي، وألا أحاول التقشف والتوفير.

سوف أكتب لك ثانيةً في القريب. لا أريد أن أعتبر ما آلت إليه الأمور حظًا سيئًا، على العكس فعلى الرغم من كل هذه المشاعر فأنا أشعر بهدوء نسبي.

هنالك أمان في قلب الخطر. كيف ستكون الحياة لو لم نجرؤ على الأخذ بزمام الأمور؟

لقد جُلتُ في كل مكان بحثًا عن ذلك المرسم، سواء في المدينة أم في شيفننجن.

إن شيفننجن غالية بشكل فظيع. المرسم يكلف سبعة جيلدرات فقط في الشهر، لكن الأثاث يجعل الموضوع صعبًا. لو كان لدى المرء حاجياته الخاصة، فلن تختفي، ولكان للمرء بالتأكيد موطئ قدم.

الضوء يأتي من الجنوب تقريبا، لكن النوافذ واسعة وعالية، وآمل أنها ستبدو جميلة بعد حين.

يمكنك أن تتخيل كم أنا متحفز. كيف سيكون عملي خلال عام؟ لو أني فقط أستطيع التعبير عمّا أشعر به ـحسنًا، إن موف يفهم كلّ هذا ويريد أن يعطيني معلومات تقنية بقدر ما يستطيع– ما يملأ رأسي وقلبي لا بد أن يتم التعبير عنه في رسومات ولوحات.

إن موف نفسه مشغول جدًا بلوحة باللون الوردي خلف كثبان تجرها الخيول. أعتقد أنه من الرائع أن أكون في لاهاي، ولا أجد نهاية للأشياء الجميلة، ولا بد أن أحاول وأصور بعضها.

الوداع يا صديقي القديم وتقبل مني مصافحة في الخيال، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

تحيات من موف وجيت.

ما زال معي بعض النقود، لكن إلى متى سأصمد بها؟ لا بد أن أبقى في النزل حتى أول يناير.

ابعث رسالتك على عنوان أ. موف Uilebomen 198 حيث إنني أذهب إلى هناك كل يوم تقريبًا.

١٩٦ | لاهاي، نحو ٣ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

اخي العزيز،

أكتب لأتمنى لك عامًا جديدًا سعيدًا، ولعله يكون عاما طيبا لك في كل الاتجاهات، وبأنانية أتمنى ذلك لنفسي أيضًا.

والآن بالنسبة لي ربما يسعدك أن تعرف أنني استقررت في مرسم خاص بي. غرفة ومخدع، مضيئة بما يكفي، لأن النوافذ عريضة (أعرض مرتين من النوافذ العادية) وهي تواجه الجنوب بشكل ما. وقد اشتريت أثاثًا على طراز "الدرك الريفي" كما تسميه، لكن أعتقد أن أثاثي يشابه ذلك الطراز أكثر من أثاثك، على الرغم من أنك أنت من صاغ هذه العبارة (لدي مقاعد مطبخ حقيقية، على سبيل المثال، وطاولة مطبخ متينة).

أقرضني موف بعض النقود، مائة جيلدر، لاستئجار الغرفة وفرشها وإصلاح النافذة والضوء. إن ذلك هم، كما تفهم، ولكن على أي حال هي الطريقة الوحيدة المعقولة، وعلى المدى البعيد فإنه أقل تكلفة بكثير أن تكون لك حاجياتك الخاصة بدلًا من إنفاق النقود على غرفة شبه مفروشة.

لقد عانيت كثيرًا، أولًا في العثور عليها، ثم في تنظيم الأثاث بحيث أستطيع التصرف بما عندي. وها أنا الآن يا صديقي القديم عندي مرسمي الخاص وأنا سعيد جدًا به.

لم أجرؤ على تمني أن تسير الأمور بهذه السرعة، لكنني الآن أعتقد أن ذلك رائع وبالتأكيد أنت أيضًا.

كما تعلم، ستكون نفقاتي أعلى قليلًا عمّا كانت عليه في أيتن، لكن دعنا نبذل ما في وسعنا. يعطيني موف أملًا كبيرًا أني سأكون قادرًا على الكسب قريبا.

والآن وها قد صرتُ في مرسمي الخاص، سيترك ذلك بالتأكيد انطباعًا إيجابيًا عند بعض الناس ممن يعتقدون حتى الآن أنني مجرد هاو أو عاطل متسكع.

أرجو أن تستطيع إرسال شيء إلي في يوم من هذه الأيام. لو احتجت شيئا عاجلًا وسألت موف عنه فهو لن يردني، ولكن في الوقت الحالي هو قد فعل ما يكفي. يحدث لكل شخص عند نقطة معينة في حياته أن يقيم في بيته الخاص، وعلى الرغم من أنني لم أستطع في البداية مواجهة فكرة أن أكون مدينًا، لكنني أعتقد أن هكذا أفضل.

والخطة أن أواصل العمل بانتظام مع موديل. ذلك غال لكنه أرخص طريقة.

لقد خيب دي بوك أملي، هنالك شيء رخو لديه، وهو يغضب إذا قال له الواحد بعض الأشياء هي فقط مجرد ألف باء الأمر. إن لديه إحساسًا في المناظر الطبيعية، وهو أحيانا يسبغ عليها بعض الجاذبية (ومن ضمنها اللوحة الكبيرة التي يعمل عليها حاليًا)، لكن هو نفسه لا يوجد لديه شيء يقدمه، إنه شديد الإبهام والهشاشة – كالقطن المغزول عالي الجودة. إن لوحاته هي ظلال لانطباعات، وفي رأيي أن هذه الانطباعات بالكاد تستحق التكرار.

لن أختلط كثيرا بالمصورين. وأنا أجد موف قديرا وصلبا يوما بعد الآخر. وماذا أريد أيضًا؟ لا بد أن أبدأ بأن أرتدي ملابسَ أفضل قليلًا يا تيو الآن. أنا الآن أعرف بشكل أو بآخر الاتجاه الذي يجب أن أتخذه، ويمكنني أن أدافع عنه علنا، وعليه فلن أتجنب الاتصال بالناس، وأيضا لن أتبعهم كثيرًا. موف وجيت يرسلان إليك تحياتهما، وداعا، ما زال لدي الكثير لأفعله، صدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

١٩٩ | لاهاي، الأحد ٨ أو الاثنين ٩ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

لا يجب أن تعتقد أنني أعيد لك رسالتك كنوع من الإهانة، لكنني أجد أن تلك هي أسرع طريقة للرد عليها بوضوح. ولو لم أعِد لك الرسالة، فلن تكون قادرًا على فهم ما تحيل إليه ردودي، بينما الآن سترشدك الأرقام. ليس لدي وقت فأنا متنظر لموديل اليوم.

لأن لدي القليل من الوقت، لم أجد وسيلة لأرد على رسالتك أفضل من الرد على شيء بعد الآخر، هكذا، نقطة فنقطة.

(١) أنا لم أخطط لأفعل ذلك، على العكس، فعندما كان أبي هنا، تكلمت أنا وهو وموف عن استئجاري لمرسم في أيتن –وقضاء الشتاء هناك– والعودة إلى لاهاي في الربيع. بسبب الموديلات وبسبب أني قد خططت أن أعمل هناك، وكان الأمر قد بدأ يسير بشكل جيد.

وفي الوقت نفسه كنت لأحب أن أطيل إقامتي في لاهاي قليلا، بما أنني كنت هنا على أي حال، ولكن مع ذلك كنت أنتوي جديًا مواصلة دراساتي عن نمط فلاحي برابنت. وعندما قطعت شوطًا في هذه الخطة، وبعد استشارة موف وكتابتي له بالفعل حول المرسم المعني (كوخ كان بحاجة لبعض الترميمات)، لم أستطع أن أكبح غضبي.

أرجو أن تتذكر إحدى رسائلي تلك التي كتبت فيها لك بعبارات عامة عن خطتي لمواصلة تلك الدراسات. أعني ذلك الخطاب الذي طلبت منك فيه أن تقول بعض الكلمات اللطيفة حول أهمية عملي في أيتن وما إلى ذلك للتأثير على أبي وأمي. وأنا أتذكر الكلمات التي قد استخدمتها: سيكون من السيئ جدًا لو أن نزوة من أبي تجعلني أتوقف عن العمل الذي يتطوّر الآن بشكل جيد والذي

أنا منهمك فيه منذ أشهر. فكر في الأمر بنفسك. فبصرف النظر عن مساعدات موف، فأنا في مشاكل هنا أكثر بكثير مما كنت عليه في الوطن، وحقيقة لا أعرف كيف أتصرف.

(٢) إن تعبير "إنني أعمد لجعل حياة أبي وأمي بائسة" هو حقيقة ليس تعبيرك، لقد خبرته منذ فترة طويلة كواحد من مصطلحات أبي الماكرة، وأنا أيضًا قد أخبرت أبي وأمي أنني أعتبره من المكر وأنا لا ألقي أدنى بال له.

إن أبي يتفوه بمثل هذه الأقوال لو قال له أحدهم شيئا لا يستطيع الرد عليه، وهو يقول بين أشياء أخرى "ستكون موتي" بينما هو يقرأ الجريدة بهدوء ويدخن غليونه، وعليه فأنا أتلقى مثل هذه التعبيرات بقيمتها الظاهرية.

أمر آخر هو أن أبي يغضب بشكل رهيب وهو قد اعتاد على إخافة الناس، ويدهشه لو أنهم لم يذعنوا لغضبه.

إن أبي ينجرح بسهولة وهو سريع الانفعال وهو متصلّب جدًا في الحياة المنزلية وهو قد اعتاد على أن يحصل على ما يريد. ومقولة "مواضعات ونظم البيت" التي من المفترض أن أتبعها، تتضمن حرفيًا كل ما يطرأ على رأس أبي.

(٣) "إن التعارك مع رجل مسن ليس صعبا..." ولأن أبي رجل مسن فقد تحاشيته مئات المرات، واحتملت أشياء بالكاد تحتمل. حسنًا، في تلك المرة لم أكن أتشاجر ولكن بكل بساطة أقول "كفى"، ولأنه لم يكن يستمع لصوت العقل ولا الفطرة، فقد قلتها صراحةً لمرة، ومن الجيد جدًا في الحقيقة أن يسمع أبي أخيرًا وبوضوح شيئا مما يفكر فيه الآخرون.

(٤) لن تستقيم الأمور بسرعة. ومن أجل المظاهر، حاولت تقويم الأمور بالكتابة ثانيةً لأبي أخبره بأنني قد استأجرت مرسما، وأنني أتمنى له عامًا جديدًا سعيدًا، وأنني أتمنى في العام الجديد ألا نتشاجر مرةً أخرى بتلك الطريقة أو بأي شكل آخر. لن أفعل أي شيء إضافي بهذا الشأن، وليس عليّ أن أفعل أي شيء

إضافي. لو كان ذلك المشهد الأخير هو الوحيد من نوعه، لكان الأمر مختلفا، لكنه كان مسبوقًا بمشاهد أخرى، عندما قلت لأبي بنبرة هادئة ولكن حاسمة أشياء عديدة ألقاها سيادته جانبًا واحدةً فالأخرى وبشكل منهجي. فبخصوص تلك الأشياء التي قلتها بغضب، فأنا أفكر بالطريقة نفسها وأنا في مزاج أهدا، فقط وقتها فقد امتنعت عن استخدام الدبلوماسية في الكلام أو قلتها بشكل مختلف. ولكنني أفقد كلّ دبلوماسيتي عندما أغضب، ولكن حسنا، ها أنا قلت ذلك أخيرًا. أنا لا أطلب الاعتذار، وما دام أبي وأمي يصرّان على هذا الموقف فلن أتراجع عن أي شيء. لو أصبحا لاحقا أكثر إنسانية وحساسية وعدلًا فسأكون سعيدًا بالتراجع. لكنني أشك في أن هذا قد يحدث.

(٥) إن أبي وأمي لا يحتملان أن تكون هناك مشاعر سيئة وما إلى ذلك، وهذا صحيح نظرًا لأنهم يخلقون صحراء حول أنفسهم ويجعلان شيخوختهما بائسة على الرغم من أنها ممكن أن تكون جيدة ومرضية. ولكن بالنسبة لتعبيرات كـ "لا أحتملها" و"ذلك سيكون فيه موتي" و"حياتي بؤس" فأنا لم أعد ألتفت إليها لأنها مجرد تصنُّع، ولو لم يتغيرا، فأنا أخشى، كما قلت سابقًا، أن يكونا بصدد أيام وحيدة وحزينة عديدة.

(٦) إنني سأندم وما إلى ذلك... قبل أن تتطور الأمور إلى الأسوأ، شعرت بندم وحزن عظيمين، وعذبت نفسي بسبب أن الأشياء بيني أنا وأبي وأمي تسير على هذا النحو من السوء. ولكن الآن وقد وصلت الأمور لما هي عليه، فليكن، وأقول لك الحقيقة أنا لم أعد آسفًا بل أشعر بالارتياح. لو تبين لي لاحقًا أنني تصرفت بشكل خاطئ، فسوف أشعر بالندم طبعًا، لكنني ما زلت أرى أنه لم يكن بمقدوري التصرف بشكل مغاير. عندما يقول لي شخص بشكل لا لبس فيه "غادر بيتي، وكلما كان أسرع كان أفضل، خلال نصف ساعة أفضل من خلال ساعة"، حسنًا، يا صديقي القديم، لقد غادرت في ربع ساعة، ولن أعود ثانية أيضًا. إنه حقيقة لأمر سيئ. ولأسباب مالية، ولكي لا أسبب لك أو لأي شخص آخر مشاكل إضافية، لم أكن لأغادر بهذه السهولة وبموافقتي الشخصية،

بالتأكيد أنت تفهم ذلك، ولكن الآن وقد قالا "غادر" ولم أقلها أنا فالطريق الذي يجب علي اتخاذه بات واضحا.

(٧) فيما يخص موف، فأنا مغرم به ومتعاطف معه، أحب عمله جدا، وأعتبر نفسي محظوظًا لأنني أتعلم منه بعض الأشياء، لكنني لا أستطيع أن أبقى محبوسًا في إطار نظام أو مدرسة كما يستطيع موف، وإضافة إلى موف وعمله، فأنا أيضًا أحب آخرين مختلفين تمامًا ويعملون بشكل مختلف، وبالنسبة لي ولعملي، ربما يوجد تماثل أحيانًا، ولكن بالتأكيد هناك أيضًا فرق مميز. لو كنت أحب شخصًا أو شيئًا، وهناك قطعًا ولع وحرارة أحيانًا، فهذا لا يعني أنني أجد فقط بعض الناس كاملين بشكل منهجي والآخرين لا قيمة لهم، لا سمح الله.

(٨) التفكير الحر، هي كلمة أكرهها فعليًا، لكنني أستخدمها أحيانًا لعدم وجود شيء أفضل.

(٩) الأمر هو أني أبذل قصارى جهدي لأفكر في الأشياء بالتفصيل وأحاول أن آخذ في اعتباري العقل والحس السليم فيما أفعل، ولا ينسجم مع هذا أبدًا أن يقلل المرء من شخص حتى يحيله إلى لا شيء. وحقيقة أنني كنت أقول لأبي أحيانًا "فكر في هذا الأمر أو ذاك مليًا" أو "هذا الأمر أو ذاك ليس صحيحًا في رأيي" لكن هذا لا يعني أنني أحاول التقليل من أي شخص. وأنا لا أعادي أبي حين أقول له الحقيقة لمرة واحدة، وإن كانت بنبرة غاضبة وبلهجة حادة. فقط لم يساعدني ذلك على الإطلاق، وقد أخذها أبي على محمل سيئ. هل كان أبي يعني أنني قلت إن النظام الأخلاقي والديني لرجال الكهنوت والمفاهيم الأكاديمية هي لا تسوى فلسًا بالنسبة لي حيث إنني قد تعلمت الكثير من ألاعيبهم، إذن فأنا لن أتراجع عن ذلك، لأنني أقصده بالفعل. فقط وأنا في مزاج هادئ لا أتحدث عن ذلك، لكن الأمر مختلف إذا حاول أحدهم إجباري على الذهاب إلى الكنيسة مثلًا أو أن أحترمها، عندها سأقول ذلك بالطبع ودون أي شك.

(١٠) ألا تسوى حياة أبي شيئا؟ سأقول ذلك لو سمعت أحدهم يقول "ستكون موتي" وهو في اللحظة نفسها يقرأ الجريدة وبعد دقيقة يتكلم عمّا لا يعلمه إلا الله من الإعلانات، وعليه فأنا أجد مثل هذا التعبير غير مناسب وغير ضروري ولا أعيره أي اهتمام، وما إن تردد مثل هذه الكلمات على مسامع الآخرين، الذين ينظرون إليّ عندها كقاتل لوالديه، فأقول إن هذه الافتراءات ليست سوى نوع من المكر لا أكثر ولا أقل. هذا هو الأمر. وإلى جانب هذا، فالقاتل الآن قد غادر البيت، وهكذا، أنا لا ألتفت لهذا، بل وأعتقد أنه سخيف.

(١١) تقول: "أنا لا أفهمك". حسنًا، أنا أصدق ذلك، لأن الكتابة هي وسيلة بشعة لنشرح بها الأمور أحدنا للآخر. وهي تستهلك وقتًا كثيرًا، وأنا وأنت لدينا الكثير لنفعله. لكن لا بد أن يكون لدينا قليل من الصبر حيال بعضنا البعض حتى نلتقي ونتكلّم ثانية.

(١٢) اكتب لي ثانية. بالطبع، لكن في البداية لا بد أن نتفق على الكيفية.

هل تريدني أن أكتب بأسلوب عملي، جاف ورسمي، وأن أختار كلماتي بعناية ولا أقول شيئا في النهاية؟

أم هل تريدني أن أواصل الكتابة كما أفعل الآن، أخبرك بكلّ شيء يخطر على ذهني دون تحفظ، دون تنميق للكلام أو إحجام.

أنا أفضّل أن أفعل الثانية، أي أن أكتب أو أقول ما أعنيه بوضوح.

والآن سأنهي إجاباتي المباشرة على رسالتك لأنني ينبغي أن أكلمك عن الرسم وما إلى ذلك، وأنا أفضل الحديث عن هذا. ومن فضلك احتملني لو تظاهرت حاليًا بأن أبي وأمي غير موجودين، كان ليكون أفضل كثيرا لو أنني قضيت الشتاء في أيتن، وكان سيكون أيسر بالنسبة لي، للأسباب المالية بالذات. لو أني فكرت في ذلك فسأشعر بالإحباط، وعليه فقد انتهى الأمر. الآن أنا هنا وعليّ أن أتصرف بشكل ما. لو أنني كتبت لأبي ثانية فذلك سيزيد الأمر اشتعالًا، وأنا لا أريد أن ينتابني الغضب

بعنف ثانية، أنا ألقي بنفسي بكل قوتي في خضم الحياة هنا، وماذا يمكن أن أفعل غير هذا؟ فقدتُ أيتن وقرية هيت هايكي، لكنني سأحاول أن أستعيد شيئًا آخر عوضًا عن ذلك.

والآن أشكرك بشدة على ما أرسلته.

لست بحاجة لأن أقول لك أن لدي العديد من الهموم بجانب ذلك. إن نفقاتي أزيد مما كانت عليه في أيتن، وهذا طبيعي، وأنا لا أستطيع العمل بنصف كمية الطاقة كما أرغب أو كما ينبغي أن أكون قادرا عليه لو كان لدي المزيد تحت تصرفي.

لكن مرسمي صار جيدًا، وأتمنى لو تراه، وقد علقت كل دراساتي، وليتك ترسل تلك التي بحوزتك لأنها ممكن أن تكون مفيدة لي. ربما هي ليست قابلة للبيع، وأنا أعترف بكل الأخطاء التي بها، لكنها تحتوي على شيء من الطبيعة لأنها صنعت بشيء من الشغف.

وأنت تعرف أنني أناضل الآن لصنع لوحات ألوان مائية، ولو صرت متمكنًا منها، فستكون قابلة للبيع.

لكن يا تيو بإمكانك أن تكون متأكدًا أنني عندما ذهبت إلى موف للمرة الأولى برسوماتي التي رسمتها بالقلم، فقال لي لا بد أن تجربها بالفحم والطباشير والفرشاة والسكين، وقد كان من الصعب عليّ جدا العمل بهذه الأدوات الجديدة. كنت صبورًا لكن يبدو أن ذلك لم يكن مفيدًا على الإطلاق، وفي بعض الأحيان نفد صبري بشدة فانهمرت على أقلام الفحم وقد كنت محبطًا بشكل كامل. وبعد فترة قليلة أرسلت إليك رسومات صُنِعَت بالطباشير والفحم والريشة، وعدت إلى موف بكمية كبيرة من هذه الرسومات التي انتقدها بالطبع، وعن حق كذلك، وأنت أيضًا، ولكن في الوقت نفسه كنت قد أخذت خطوة للأمام.

الآن أنا أمر بمرحلة مماثلة من النضال والقنوط، من الصبر واللاصبر، من الأمل والجدب. لكن لا بد أن أواصل طريقي على كل حال، وبعد فترة سأفهم أكثر استخدام الألوان المائية.

لو كان الأمر سهلًا، لما وجد الواحد فيه أي لذة. وهكذا الحال بالضبط مع التصوير. فوق ذلك فالطقس سيئ، ولم أخرج بعد في هذا الشتاء للمتعة. لكنني ما زلت أستمتع بالحياة، وبشكل محدد فإن امتلاكي لمرسمي الخاص أمر رائع بدرجة يصعب وصفها بالكلمات. متى ستأتي لتشرب معي الشاي أو القهوة؟ أتمنى أن يكون ذلك في القريب. وبإمكانك البقاء هنا أيضًا لو اضطررت لذلك، سيكون جميلًا ومؤنسًا. إن لدي زهورًا حتى وعلبتي مصابيح وأيضًا أحضرت زينة أخرى لمرسمي، فقد اشتريت بسعر عظيم بعض المحفورات الخشبية من "جرافيك" بعضها مطبوعة لا من القالب، لكن من الكتلة نفسها. وهو ما كنت أريده بالضبط منذ سنوات.

إن الرسومات لهيركومر وفرانس هول ووالكر وآخرين. اشتريتها من بلوك تاجر الكتب اليهودي، وانتقيت الأفضل من بين كومة كبيرة في جرافيك ولندن نيوز بخمسة جيلدرات. بعضها رائع، من بينها "المشردون" لفيلدس (مجموعة من الفقراء تنتظر أمام ملجأ ليلي) واثنتان كبيرتان لهيركومر وعدد من اللوحات الصغيرة، و"المهاجر الأيرلندي" لفرانس هول و"المدخل القديم" لوالكر. وبالذات "مدرسة بنات" لفرانس هول وأيضا لوحة كبيرة لهيركومر "المعاقون"

وباختصار هي تحديدًا الأشياء التي أريدها.

ولدي أشياء جميلة ذات وداعة في بيتي، يا صديقي القديم، حتى لو أنني كنت لا أزال بعيدًا عن جعلها جميلة جدًا، لا تزال لديّ دراستان عن الفلاحين العجائز وما إلى ذلك معلقة على الحائط تثبت أن حماسي لهؤلاء الرسامين ليس مجرد غرور، بل إنني أناضل وأسعى لأن أصنع شيئا بنفسي يكون واقعيا ومصنوعا بإحساس. لدي نحو ١٢ تكوينًا لحفارين وأناس يعملون في حقول البطاطس، وأنا أتساءل إن كنت لم أستطع أن أفعل شيئا منهم، أنت أيضًا لديك اثنان منها، بينها واحد لرجل يضع البطاطس

في جوال، على أي حال، أنا لا أعرف ماذا أفعل بها بعد، سواء كان ذلك الآن أم فيما بعد، فلا بد أن أفعل في وقت من الأوقات، لأنني ألقيت عليها نظرة هذا الصيف، وهنا في التلال بإمكاني أن أصنع دراسة جيدة للأرض والسماء ثم أتجرأ وأضع فيها هذه التكوينات. على الرغم من أني لا أقدّر تلك الدراسات كثيرًا، وأتمنى بالطبع لو أصنعها بشكل مختلف وأفضل، لكن أنماط برابنت مميزة جدًا، ومن يعرف كيف يمكن استخدامها. لو أنك ترغب في الاحتفاظ ببعضها، فأنا أرغب في استعادة تلك التي لا تعجبك. وبدراستي لموديلات جديدة فقد أصبحت تلقائيا واعيا بأخطاء النسب التي في دراساتي التي أنجزتها هذا الصيف، وبأخذ هذا في الاعتبار، فهي بسهولة يمكن أن تكون مفيدة لي. عندما تأخرت رسالتك كثيرًا (لأنها وصلت أولًا لموف ثم حصلت عليها لاحقا)، اضطررت إلى الذهاب إلى السيد ترستيج وقد أعطاني خمسة وعشرين جيلدرًا حتى موعد وصول رسالتك. ربما كان من الجيد لو أنني، بمعرفتك، أو لو أنك بمعرفتي، نسوّي بعض الأمور مع السيد ترستيج، لأنك تفهم يا تيو أنني لا بد أن أعرف موقفي بشكل قاطع، لأتصرف على أساسه مسبقًا، فأعرف ما الذي أستطيع أن أفعله وما الذي لا أستطيعه. وعليه فستسدي لي خدمة جليلة لو توصلت لاتفاق حاسم، وأتمنى أن تكتب لي عن ذلك قريبًا.

لقد وعد موف أن يرشحني كعضو منتسب في بولشيري، لأنني سأستطيع هناك أن أرسم عن موديل ليلتين في الأسبوع وسيكون لي اتصال أكثر بفنانين. ولاحقًا سأصبح عضوًا عاملًا في أقرب وقت ممكن. حسنًا أيها الصديق القديم، أشكرك على ما أرسلته - وصدقني مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٠٣ | لاهاي، الخميس ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

شينكويج ١٣٨ الخميس

عزيزي تيو،

لقد استلمت رسالتك ومائة الفرنك المرفقة في حالة جيدة، وأشكرك بشدة على الاثنين.

ما كنت أخشى أن يحدث عندما كتبت لك رسالتي الأخيرة قد صار الآن حقيقة، فقد سقطت مريضًا وقضيت ثلاثة أيام أو نحو ذلك طريح الفراش مع الحمى والقلق. مع صداع في الرأس وألم في الأسنان من حين لآخر. إنها حالة تعيسة وقد حدثت بسبب الإرهاق العصبي. جاء موف لعيادتي وقد اتفقنا ثانية على أن أتحمّل ذلك بشجاعة.

لكنني أمتعض من نفسي الآن لأنني غير قادر على فعل ما أحب، وفي اللحظات المماثلة، يشعر المرء وكأنه مكبل اليدين والقدمين قابع في جوف حفرة عميقة مظلمة لا يقوى على فعل أي شيء.

والآن انتهى الأمر، إذ نهضت الليلة الماضية وتجولت قليلًا، محاولًا أن أنظّم بعض الأشياء، وهذا الصباح جاءت الموديل من تلقاء نفسها لتلقي نظرة، حتى لو لم أكن أتوقع قدومها هي وموف، فقد جعلتها تتخذ وضعًا للرسم وحاولت أن أرسم قليلًا، لكنني لا أستطيع بعد، وهذه الليلة أحسست بالضعف والبؤس الكاملين. ولكن لو فعلت أقل القليل لمدة يومين، فسيكون الأمر قد انتهى ولفترة طويلة قادمة، ولو كنت حذرًا فلن أكون بحاجة للخوف من أنها قد تتكرر قريبًا. أنا حزين لأنك أنت أيضًا لست على ما يرام. عندما كنت في بروكسل الشتاء الماضي، كنت أستحم كلما استطعت، مرتين أو ثلاثًا في الأسبوع في الحمام العام، وكنت أشعر بانتعاش

عظيم، وسأفعل ذلك ثانيةً هنا. أنا لا أتشكك في أن ذلك سيساعدك كثيرا أيضًا لو واظبت عليه لفترة، لأن الواحد يتعرض هناك لما يسمونه "الإشعاع" أي أن مسام الجسد تتفتح فتستطيع البشرة أن تتنفس، وإلا فإنها تتغضن قليلًا خاصة في الشتاء.

وأقول لك بصراحة، إنه لا يجب أن تتحرَّج من الذهاب إلى فتاة من حين لآخر، لو كنت تعرف واحدة تثق فيها وتشعر نحوها بشيءٍ ما، وهناك الكثير منهن في الحقيقة. فبالنسبة لشخص كل حياته عمل شاق وكد، فمن الضروري حتمًا أن يظلّ في حالة طبيعية وأن يُبقي ذهنه يقظًا رغم المجهود.

لا يجب على الواحد أن يغالي في مثل هذه الأشياء ويصل إلى حد الإفراط، لكن للطبيعة قوانينها الثابتة ومن القاتل أن تقاومها. على كل حال، أنت تعرف كل ما ينبغي أن تعرفه عن هذا الأمر.

كان من الأفضل لي ولك لو كنا متزوجين، لكن ماذا بوسع المرء أن يفعل؟

أرسل إليك رسمة صغيرة، لكن لا يجب أن تستخلص منها أن كل الرسومات مثلها، فهذه رقيقة نوعا ما ومغسولة بسرعة، لكن هذا لا يصلح دائما، خاصة مع اللوحات الكبيرة، في الحقيقة نادرًا ما يحدث.

مع ذلك هي يمكن أن تثبت لك أن الحالة ليست ميئوسًا منها، وأنني بالأحرى قد بدأت أتمكن من أدواتي.

عندما كان موف هنا المرة الأخيرة سألني إن كنت أحتاج إلى أي نقود. وقد استطعت أن أبدو أمامه واثقًا من نفسي وذلك أفضل، لكن ها أنت ترى أنه في وقت الطوارئ قد يفعل شيئا هو أيضًا.

وهكذا، وعلى الرغم من وجود مخاوف باقية، فعندي أمل أننا سنستطيع التصرف.

لا سيما إذا كان السيد ترستيج طيبًا بما يكفي، لو لم يكن ملائما لك أن تعطيني بعض القروض وكان ذلك ضروريا للغاية.

أنت تكلمت عن "الوعود الجميلة". هو تقريبا الشيء نفسه بالنسبة لي. يقول موف إن الأمور ستسير بشكل جيد، لكن ذلك لا يغير من حقيقة أن لوحات الألوان المائية التي أصنعها لا تزال غير قابلة للبيع تماما. حسنًا، أنا أيضًا عندي أمل وسوف أعمل بأقصى طاقتي، لكن الواحد أحيانًا ينجر إلى اليأس عندما يرغب في عمل شيء ما أفضل قليلًا فيخرج غليظًا، وذلك يكفي ليقودك للتشوش، حيث إنها ليست من المصاعب الصغيرة. والتجارب والمحاولات مع الألوان المائية مكلفة، أوراق، وألوان، وفرش، والموديل والوقت وكل الباقي.

ما زلت أعتقد أن أقل الطرق تكلِفةً هي أن أثابر بدون إضاعة للوقت.

إذ لا بد أن يتجاوز المرء هذه المرحلة البائسة. والآن يجب أن أتعلّم أن أتوقف عن عمل بعض الأشياء التي علمتها لنفسي بشكل ما، وأن أنظر للأشياء بشكل جد مختلف. لا بد أن يبذل المرء مجهودًا عظيمًا قبل أن ينظر لنسب الأشياء بعين ثابتة.

ليس من اليسير عليّ تمامًا التعايش مع موف في كل الأوقات، ربما كان العكس، لأنني أعتقد أننا ندّان واحدنا للآخر فيما يتعلق بالطاقة العصبية، وإنه لمجهود خالص بالنسبة له أن يعطيني التوجيهات، كذلك بالنسبة لي أن أفهمها وأن أحاول أن أطبقها في الممارسة.

لكنني أعتقد أننا بدأنا نفهم أحدنا الآخر بشكل جيد، وبالفعل صار هناك الآن مشاعر أعمق من مجرد التعاطف السطحي. إن يديه مشغولتان بلوحة كبيرة كان ينتوي تقديمها في الصالون، ستكون رائعة. وهو أيضًا يعمل على منظر شتائي وبعض الرسومات اللطيفة.

أعتقد أنه يضع جزءا صغيرا من حياته في كل لوحة ورسمة. أحيانًا يكون منهكًا، وقد قال مؤخرًا "أنا لم أعد قويًا"، وأي شخص رآه لحظتها لن ينسى التعبير الذي كان على وجهه بسهولة.

هذا ما يقوله موف ليعزيني عندما تخرج لوحاتي ثقيلة وغليظة ومعتمة وميتة: لو كنت تعمل برقة الآن فإنها ستكون أنيقة ولاحقًا قد يصير عملك غليظًا. الآن، وعلى الرغم من أنك تناضل فالعمل يخرج ثقيلًا، لكن لاحقًا سيكون سريعًا ورقيقًا. لو كان الأمر كذلك حقًا، فأنا راض عنه. وأنت تراه الآن في تلك اللوحة الصغيرة، والتي استغرقت ربع الساعة لرسمها من الألف إلى الياء، لكن بعد أن كنت قد رسمت واحدة كبيرة خرجت ثقيلة جدًا. وذلك تحديدًا لأني كنت أناضل مع تلك الأخرى، عندما وقفت الموديل هكذا للحظة، وبعدها استطعت أن أخطط هذه في برهة على قطعة ورق صغيرة تبقت من فرخ من نوع واتمان.

تلك الموديل فتاة جميلة، وأعتقد أنها تعمل كموديل لأدولف آرتز بشكل أساسي، لكنها تتقاضى جيلدرًا ونصفًا في اليوم وذلك كثير جدا بالنسبة لي الآن. وعليه فأنا ببساطة أستعين بعجوزي المعتادة.

إن نجاح أو فشل رسمة ما يعتمد كثيرًا على مزاج المرء وحالته، فيما أعتقد. ولذلك أنا أفعل ما بوسعي لأحافظ على صفاء ذهني وانشراحي. ولكن، أحيانًا، كالآن مثلًا يتمكّن مني بعض الضيق، عندها يتوقف كل شيء.

لكن عندها أيضًا، فالرسالة هي، أن تواصل العمل، فموف مثلًا وإسرائيل وكثير من الآخرين كأمثلة يعرفون كيفية الاستفادة من كل مزاج.

على أي حال، فأنا آمل أنه بمجرد أن أتحسّن فستسير الأمور على نحو أفضل، أفضل قليلًا من الآن. لو احتجت للراحة بعض الوقت، فسأفعلها، لكن من المحتمل أن يزول الأمر قريبًا.

كل الأمور في الاعتبار، على الرغم من أني لم أعد كما كنت منذ عام أو نحو ذلك، عندما لم يتوجب عليّ قط البقاء في الفراش لمدة يوم، والآن هناك شيء يحبطني عند كل منعطف، حتى لو لم يكن سيئًا جدًا.

باختصار لقد مضى شبابي، لا أقصد حبي للحياة أو حيويتي، لكنني أعني الزمن الذي كان يحيا فيه المرء دون أن يشعر أنه يحيا، ويحيا بدون مجهود. في الواقع أنا أقول كل ما هو أفضل، فهناك أشياء هي أفضل الآن، في النهاية، عمّا كانت عليه آنذاك. فتجلّد، يا صديقي القديم – إنه حقًا شيء تافه وشرير من قبل السادة جي وساي أن يرفضاك عندما أردت بعض النقود. بالتأكيد أنت لا تستحق هذا، أن يكونا لا مبالين هكذا بشأنك، لأنك تؤدي لهما الكثير من أشغالهما المرهقة دون أن تدخر جهدًا. وعليه فلك الحق في معاملة بها شيء من الاحترام.

تقبل مني مصافحة في الخيال، وأتمنى أن يكون لدي قريبًا شيء أفضل مما قلته اليوم ومؤخرًا لأخبرك به، لكن لا تضغط عليّ، فأنا ضعيف جدًا. الوداع.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٠٤ | لاهاي، الاثنين ١٣ فبراير (شباط) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

حتى إن كنت أنتظر رسالة منك هذه الأيام، فسوف أكتب لك ثانيةً على أي حال.

سمعت بعض الأشياء عنك من السيد ترستيج عندما عاد من باريس. أخبرني أنك بخير، وقد بدا أنه كان راضيًا عن رحلته. عندما ذهبت لزيارته كان معي رسمتان، وقد قال لي إنهما أفضل من أعمالي الأخيرة وأخبرني أن أصنع اثنتين أخريين صغيرتين. وأنا أعمل عليها الآن. وكنت أيضًا أعمل على رسمة جديدة بالقلم عن امرأة عجوز تقوم بالحياكة. وأعتقد أنها أفضل من تلك التي أنجزتها الصيف الماضي، على الأقل بها تدرجات أكثر. عندما يكون لدي رسمتان جيدتان فأعتقد أني أعرف أحد محبي الفنون سوف يأخذهما.

كتبت أيضًا للعم كور ذلك اليوم لأخبره أنني قد أجّرت مرسمًا هنا، ورجوته أن يعلمني إذا جاء إلى لاهاي، أو ليأتي فيلقي نظرةً. وقد كان العم سنت قد قال لي في الصيف الماضي إنه لو كان عندي رسمة أصغر من تلك التي كنت أصنعها الصيف الماضي وبألوان مائية أكثر، فيجب أن أرسلها إليه ببساطة وهو سيأخذها. ربما سيأتي قريبًا الوقت الذي سيدر علي عملي فيه بعض النقود، وهو ما أحتاجه بشدة، لمعالجة الأمور بجدية أكبر.

لو كنت تستطيع، فلا بد أن تخبرني عن نوعية الرسوم التي قد يستطيع المرء بيعها للمجلات المصورة، يبدو لي أنهم قد يستخدمون رسومات بالقلم لنماذج من البشر، وأنا أرغب بشدة أن أبدأ في العمل عليها، من أجل فعل شيء مناسب لإعادة الإنتاج. لا أعتقد أن كل الرسومات ترسم مباشرة على الكتلة، لا بد أن هناك وسائل لوضع صور مطابقة على الكتلة. لكنني لا أعرف بالضبط.

أحيانا أتوق بشدة لرؤيتك والتحدث معك، هل سيطول الأمد قبل أن تأتي إلى هولندا؟ أعتقد أن أبي يتوقع حضورك بشكل ما في عيد ميلاده.

لقد سعدت كثيرًا لأن السيد ترستيج وجد الرسومات أفضل قليلًا، حسنًا، فأنا بدوري قد بدأت أعتاد أكثر على الموديل، ولهذا تحديدًا يجب أن أواصل العمل معها حاليًا.

في آخر دراستين قبضت على الشخصية بشكل أفضل، كل من رآهما قال ذلك. في الوقت الحالي، أنا أذهب أحيانا كثيرة للرسم مع بريتنر، وهو مصور شاب على علاقة بروتشوسن كما أنا على علاقة بموف. هو يرسم بمهارة وبشكل جد مختلف عني، وأحيانا نقوم معًا برسم أنماط في مطعم الحساء أو في غرفة الانتظار وما إلى ذلك. وهو أحيانًا يأتي إلى مرسمي ليطلع على المحفورات الخشبية، وأنا أذهب بدوري لأطلع على تلك التي يحوزها هو. إنه يملك المرسم الذي كان يملكه أبول في السابق في سيبينهار.

ذهبت الأسبوع الماضي إلى معرض فني في بولتشيري كان به تخطيطات لبوسبوم وهينكس. جميل جدًا؛ وكان هناك عدد من الرسومات لهينكس، أشكال أكبر مما اعتاد الواحد أن يرى له. لا بد له أن يصنع المزيد منها، فيما أعتقد.

جاء فيسنبروش أيضًا لزيارتي.

أتطلع كل يوم إلى رسالة منك، لأنني أرجو أن ترسل إلي شيئًا هذه الأيام.

يجب أن نتحمل قليلًا يا صديقي، وأن نثابر، أنا وأنت أيضًا، وسنجني متعة من وراء ذلك في يوم ما.

أنا سعيد حقًا لأنني مضيت في العمل على الشخوص. كنت أصنع فقط مناظر طبيعية. ربما أكون بصدد صنع شيءٍ يكون له سعر، ولكن لاحقًا قد أصل للتمطل على كل حال. على الرغم من أن الشخوص أصعب وأكثر تعقيدًا، فأنا أعتقد أنها تصمد أكثر مع الزمن.

جاء دي بوك هنا هذه الظهيرة، حين كنت أعمل مع الموديل، وعندما رآها أخذ يقول إنه ليحب أن يرسم شخوصًا هو بدوره؛ فهو أيضًا لم يصنعها. مؤخرًا صنع رسومات جميلة، مع ذلك.

في رسالتك الأخيرة أخبرتني شيئا حول عدم استطاعتك التحصل على أي نقود قبل انتهاء الجرد. فلو كان ليس معك، كن طيبًا واكتب للسيد ترستيج عن ذلك على الفور، إذ ليس معي سوى ثلاثة جيلدرات تقريبا ونحن الآن في منتصف فبراير (شباط).

وعلى كل حال فأنا أنتظر منك رسالة في أي يوم الآن.

أعتقد أن النِسَبَ قد صارت أفضل في رسوماتي الأخيرة عما كانت عليه في السابق، وهو ما يبدو لي بالتحديد الخطأ الأسوأ في رسوماتي حتى الآن، لكن ذلك يتغير، حمدًا للرب، ولن أكون بعد ذلك خائفًا من أي شيء.

الوداع يا تيو، اكتب لي قريبًا، وتقبل مني مصافحة حارة.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٠٧ | لاهاي، الجمعة ٣ مارس (آذار) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

منذ استلمت رسالتك والنقود، وأنا أعمل مع الموديل كل يوم وغارق في العمل حتى أذني.

إنها موديل جديدة الآن، وإن كنت قد رسمتها من قبل بشكل سطحي. وبالأحرى هم أكثر من موديل واحدة، لأنني عملت مع ثلاثة أفراد من عائلة واحدة، امرأة في نحو الخامسة والأربعين تشبه أحد أشكال فرير، وابنتها، في نحو الثلاثين، وطفل صغير في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره.

هم أناس فقراء، لا بد أن أقول، ومتعاونون للغاية. أجعلهم يجلسون لي لأرسمهم بصعوبة وشريطة أن أعدهم بعمل ثابت. حسنا، ذلك تحديدًا ما كنت أريده بشدة، وأنا أعتبره اتفاقًا جيدًا. وجه المرأة الشابة ليس جميلًا لأن به بثور الجدري، لكنه لطيف وأنا أجده جذابًا. لديهم أيضًا ملابس جيدة. قلنسوات صوفية سوداء في حالة جيدة وشالات جميلة... إلخ.

لا تقلق كثيرًا لأمر النقود، لأننا توصلنا لاتفاق في البداية. لقد وعدتهم بجيلدر في اليوم ما إن أبيع واحدة. وهذا ما سوف أفعله فيما بعد، إذ إنني أدفع لهم القليل جدًا الآن.

لكن لا بد أن أسعى لبيع شيء ما.

لو استطعت أن أفعل ذلك، فسوف أحتفظ بكل ما أرسمه لهم الآن لنفسي، فلو أبقيتها لعام فقد أجني من ورائها أكثر مما أستطيعه الآن.

لكن على أي حال، في مثل هذه الظروف، سيكون من المستحسن أن يشتري السيد ترستيج شيئًا من حين لآخر، لو كان ذلك ضروريًا شريطة أن يستطيع استبدالها إذا لم تبَع. وعدني السيد ترستيج بأن يأتي لزيارتي بمجرد أن يجد الوقت لذلك.

والسبب في رغبتي في الاحتفاظ بها هو ببساطة: عندما أرسم شخوصًا فردية فذلك دائما مع التطلع لصنع تكوين بعدد من الشخوص، كغرفة انتظار الدرجة الثالثة مثلًا أو مكتب رهونات أو في مسكن. لكن هذه التكوينات الأوسع لا بد وأن تنضج على مهل. فمن أجل الحصول على رسمة بها ثلاث خياطات لا بد أن يرسم المرء تسعين خياطة على الأقل. هكذا تعمل الأمور.

تلقيت رسالة ودية من العم كور يعد فيها بالمجيء إلى لاهاي في القريب وزيارتي أيضًا.

حسنًا، هو مجرد وعد مرةً أخرى، لكن ربما يكون شيئا في النهاية.

بالنسبة للباقي، فسوف أجري وراء الناس أقل فأقل مع مرور الوقت، كائنًا من كانوا، سواء تجار الفن أو المصورون، فقط سأجري وراء الموديلات، لأنني أعتبر العمل بدون موديل خطأً كاملًا، على الأقل فيما يخصني.

أقول يا تيو، إنه من الجميل حقًا أن ترى بصيصًا من الضوء، وأنا أرى بصيصًا من الضوء. من الجميل أن ترسم شخصًا، شيئًا حيًا، هو أمر صعب بشكل رهيب لكنه رائع على كل حال.

غدا سيأتي لزيارتي طفلان من المفترض أن أسلّيهما وأرسمهما في الوقت نفسه. أريد بعض الحياة في مرسمي، وبالفعل لدي معارف متنوعون في الحيّ. سيأتي لي صبي يتيم يوم الأحد، نمط رائع، لكن للأسف لن يبقى عندي إلا لوقت قصير.

ربما كان من الصحيح أني لا أملك القدرة على الاختلاط بمن يتكئون على قواعد اللياقة، ولكن من ناحية أخرى فأنا لدي شعور أقوى تجاه الفقراء أو البسطاء، ولو خسرت من ناحية، فأنا أكسب من الناحية الأخرى، وأحيانًا أستسلم ببساطة

وأفكر، أنني في النهاية فنان، ومن الحق والمعقول أن أعيش فيما أشعر وأحاول التعبير عنه. العار لمن يفكر بها شرًا.

والآن، إنها بداية الشهر مرة أخرى. وحتى لو لم يكن قد انقضى شهر كامل منذ أرسلت إلي شيئًا، فأنا أطلب منك لو تتكرم بإرسال شيء إلي خلال الأيام التالية. لا يهم أن تكون مائة الفرنك كلها مرةً واحدة، أي شيء أستطيع أن أعيش به الآن حتى تستطيع أن ترسل إلي شيئا آخر. أقول هذا لأنك ذكرت في رسالة سابقة أنك لن تستطيع الحصول على أية نقود حتى ينتهي الجرد.

أحيانًا يحزنني أن أفكر أنني قد أضطر لجعل الموديل تنتظر، لأنهن يحتَجنها بشدة. لقد دفعت لهن اليوم، لكن الأسبوع القادم لن أكون قادرًا على ذلك. لكنني أستطيع في الحقيقة الحصول على الموديل، سواء كانت العجوز أم الشابة أم الطفل.

بالمناسبة، لقد حدثني برايتنر مؤخرًا عنك، وقال إن هناك شيئًا هو آسف عليه، يعتقد أنك لا تزال غاضبًا منه بسببه. إذ لا تزال لديه رسمة تخصك، وأعتقد مع ذلك أنني لم أفهم الأمر بشكل صحيح. هو يعمل على لوحة كبيرة، مشهد لسوق من المفترض أن يحتوي على العديد من الشخوص. بالأمس خرجت معه للبحث عن أنماط لشخوص في الشارع لدراستها لاحقا في المرسم مع موديل. وبهذه الطريقة رسمت امرأةً عجوزًا رأيتها في حي جيست حيث مصحة المجانين ـ كهذه:



امرأة عجوز ترتدي شالًا وتمسك بعصًا للمشي

«sketch A»

حسنًا، عمت مساءً وأرجو أن أسمع منك في القريب.

المخلص دومًا،

فنسنت

لا بد أن أدفع الإيجار أيضًا هذا الأسبوع. طابت ليلتك. إنها الآن الثانية صباحًا وأنا لم أنتهِ بعد.

٢١١ | لاهاي، السبت ١١ مارس (آذار) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

ستكون قد تلقيت رسائلي، وأنا أرد على رسالتك التي استلمتها هذه الظهيرة. وبموجب طلبك، فقد أرسلت على الفور عشرة جيلدرات إلى ترستيج الذي كان قد أقرضني إياها هذا الأسبوع. كتبت لك عن أمر العمّ كور، وهذا ما حدث. اتضح أن كور كان قد تكلم مع ترستيج قبل أن يأتي لزيارتي. على أي حال بدأ بالكلام عن أشياء من قبيل "تكسب عيشك" وقد خطرت ببالي الإجابة سريعًا في لحة وصحيحة فيما أعتقد. وهاك ما قلته: أكسب عيشي! ما الذي تقصده بذلك؟ أن يكسب المرء عيشه أم أن يستحق المرء عيشه. ألّا يستحق المرء عيشه، أي ألّا يكون جديًرا بخبزه، هذا ما نسميه جريمة، وكل رجل شريف جدير بخبز كفافه، لكن ألّا يكسبه على الإطلاق فيما هو يستحقه، فذلك هو سوء الحظ، وسوء حظ عظيم. إذن، فلو كنت تقول لي هنا والآن: أنت لا تستحق خبزك، فأنا أفهم أنك تسبني، أما إذا كنت تقصد الإشارة العادلة إلى أني لا أكسبه دائمًا لأنني أحيانا أفتقر إليه، فليكن، ولكن ما فائدة تعليقك هذا لي؟ سيكون مفيدًا بالكاد لو انتهى الأمر عند هذا الحد. لقد حاولت مرارًا مؤخرًا شرح ذلك لترستيج، لكن قد يكون لديه صعوبات في السمع في أذنه أو ربما كان شرحي مضطربًا بسبب الألم الذي سببته لي كلماته.

بعدها لم يقل كور شيئًا عن كسب المرء لعيشه.

وقد واصلت العاصفة تهديدها إذ ذكرت اسم ديجرو في شيء متصل بالموضوع. فسأل كور بغتةً، لكنك تعرف بالتأكيد أن هناك شيئًا غير لائق متعلقًا بحياة ديجرو الشخصية؟

تفهم طبعًا أن كور يطأ هنا منطقة هشة وخطيرة على سطح الجليد الرقيق. لا أستطيع أن أترك ذلك الكلام يقال عن الأب ديجرو الطيب. فرددت: لقد بدا لي دائمًا

أن الفنان إذ يعرض عمله على الجمهور فله الحق أن يحتفظ لنفسه بالصراعات الداخلية لحياته الخاصة (والتي ترتبط على نحو مباشر وبشكل لا ينفصم بالصعوبات الفريدة التي تشارك في إنتاج العمل الفني) إلا إذا كان سيفضي بهمومه إلى صديق حميم جدًا. إنه شيء فظ، أقول، من قبل الناقد أن ينقب عن شيء مذموم من الحياة الخاصة لشخص عمله فوق النقد. إن ديجرو معلم كبير كمييه وكجافارني.

بالتأكيد كور لا يرى جافارني على الأقل كمعلم.

(كان من الممكن أن أعبر عن الموضوع بإيجاز -لأي شخص عدا كور- بقولي: عمل الفنان وحياته الخاصة كامرأة في سرير الولادة مع رضيعها. بإمكانك أن تنظر إلى الرضيع، لكن لا يمكنك أن ترفع قميصها لترى إن كانت هناك أي بقع دم عليه، سيكون غير لائق في حالة زيارة الوالدة.)

كنت قد بدأت أخشى أن يأخذها كور ضدي، ولكن لحسن الحظ فإن الأمور أخذت منحنى للأفضل. فلتغيير مسار الحوار أخرجت دفتري للدراسات الصغيرة والتخطيطات. في البداية لم يقل شيئا، حتى وصلنا لرسمة صغيرة كنت قد خططتها مرةً مع برايتنر، ونحن نتمشى في منتصف الليل – تحديدًا في باديمويس (ذلك الحي اليهودي بالقرب من نيو كيرك)، كما يُرى من تارفماركت. وقد جلست لأعمل عليها في الصباح التالي بالقلم.

ألقى جول بكيوزن أيضًا نظرة على الرسمة وتعرف على المكان على الفور.

هل تستطيع أن تصنع المزيد من تلك المناظر المدينية من أجلي. قال العم كور. بالتأكيد، لأنني أسلّي نفسي بها أحيانا عندما أكون قد أُرهقت من العمل مع الموديل – هاك فليرستيج – وحي ذا جيس ـ وسوق السمك. اصنع اثنتي عشرة رسمة من هذه من أجلي. قلت له: طبعًا، لكن ذلك يعني أننا بصدد نوع من العمل، فدعنا نتكلم مباشرةً عن الثمن. إن الثمن الذي أضعه لرسمة من هذا الحجم، سواء كانت بالحبر أو بقلم الرصاص هو ريكسدالدر (دولار وطني هولندي) ـ هل يبدو ذلك معقولا بالنسبة لك؟

فقال ببساطة: نعم، ولو كانوا جيدين سأطلب منك صنع اثنتي عشرة رسمة أخرى عن أمستردام، في حالة أنك تتركني أحدد الثمن، وستربح أكثر قليلًا هكذا.

حسنًا، يبدو لي أنها طريقة جيدة لإنهاء زيارة لطالما ارتعبت منها. ولأنني كنت قد توصلت معك لاتفاق، يا تيو، أن أحكي لك الأشياء ببساطة هكذا وبطريقتي الخاصة، كما يخطها قلمي، فأنا أصف لك هذه المشاهد الصغيرة تمامًا كما حدثت. خاصة أنه بهذه الطريقة، حتى وأنت غائب، فستعرف لمحات عن مرسمي.

أتوق لأن تأتي، لأن ساعتها سأستطيع أن أحدثك بجدية أكبر عن مواضيع تتعلق بالبيت، على سبيل المثال.

إن طلب كور لهو نقطة مضيئة. سأحاول أن أصنع هذه الرسومات بعناية وسأضع فيها بعض الروح. على أي حال فأنت سوف تراها، وأعتقد يا صديقي العزيز أنه سيكون هناك المزيد من مثل هذه الطلبات. فبإمكانك أن تجد مشتريًا يدفع خمسة فرنكات مقابل الرسمة. وبقليل من الممارسة، سأصنع واحدة في اليوم، ثم ها هي، لو بيعت بشكل جيد فيمكن تدبير كسرة الخبز وجيلدر في اليوم للموديل. إن الموسم اللطيف ذا النهار الطويل يقترب، وسأعمل "كوبون الحساء" أي الخبز ورسم الموديل، سواء في الصباح أو المساء، وفي أثناء النهار سأدرس الموديل. إن العم كور مشتر عثرت عليه بنفسي، ومن يدري إن كنت ستصبح أنت الثاني، وربما ترستيج يصبح الثالث عندما يتعافى من غضبه وتشكّيه، ثم تسير الأمور.

في صباح الغد سأذهب لأبحث عن موضوع لإحدى رسومات كور.

كنت لدى بولشيري هذا المساء، لوحات حيّة ونوع من العرض الهزلي لتوني أوفرمان. لم أحضر العرض الهزلي لأني لا أحتمل الكاريكاتير ولا الاختناق في القاعات المزدحمة، لكنني أردت أن أرى "اللوحات الحيّة"، خاصة أن واحدة منها قد صنعت عن لوحة حفر لنيكولاس مايس كنت قد أعطيتها لموف كهدية، مزود البقر في بيت لحم. (الأخرى كانت عن رامبرانت، إسحق يبارك يعقوب، مع صورة رائعة لرفقة وهي تتطلع لترى إن كانت ستنجح حيلتها.) نيكولاس مايس كان بارعا جدا في

توزيع الضوء والظلال وحتى في الألوان – لكن في رأيي لا تسوى فلسين كما يقول التعبير. التعبير كان خاطئًا بشكل قطعي. لقد رأيتها مرةً في الحياة الحقيقية، لا أقصد ميلاد الطفل يسوع، انتبه، ولكن مولد عجل، وما زلت أعرف بالتحديد كيف كان تعبيره. كانت هناك فتاة، في الليل في الحظيرة –في البوريناج- وجه فلاحة بني بقلنسوة ليلية بيضاء بين أشياء أخرى، كانت عيناها تدمعان تعاطفًا مع البقرة المسكينة إذ كانت تواجه صعوبات في المخاض. كان ذلك نقيًا، ومقدسًا، رائعًا وجميلًا كلوحة لكوريجيو، لميه أو لإسرائيل. آه يا تيو، لماذا لا تكون نفسك وتصبح مصورًا. يا صديقي، بإمكانك أن تفعلها لو كنت تريد. أحيانًا أشك أنك تحتفظ برسام عظيم للمناظر الطبيعية مختبئًا بداخلك. ويبدو لي أنك ستكون رائعًا في رسم جذوع شجر البتولا وتخطيط تعاريج الحقول أو الحقول المحصودة، وتصوير الثلوج والسماء. وما إلى ذلك. هذا بيني وبينك فقط. أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت

هاك قائمة بلوحات هولندية مفترض أن تكون في الصالون.

إسرائيل، رجل مسن (لو لم يكن صائد أسماك لكان توماس كارلايل مؤلف الثورة الفرنسية وأوليفر كرومويل - إذ لديه ذلك الرأس المميز لكارلايل)، رجل مسن يجلس في كوخ بجوار مدفأة داخلها تبرق بالكاد جذوة صغيرة من وقود الخث في الضوء الخافت. هو كوخ مظلم الذي يجلس فيه الرجل، كوخ قديم بنافذة صغيرة ذات ستار أبيض. كان كلبه الذي شاخ معه يجلس بجانبه – وينظر هذان المخلوقان الشائخان لبعضهما البعض، ينظر كل منهما للآخر في عينيه، الكلب والرجل المسن. وفي الوقت نفسه يتناول الرجل علبة تبغه من جيب بنطاله ويملأ غليونه هكذا في الغبش. لا شيء آخر – غبش الظلمة، والهدوء، ووحدة هذين المخلوقين الشائخين، رجل وكلب، وألفة هذين الاثنين، ذلك الرجل المسن يفكر –فيم يفكر؟- لا أعرف –لا أستطيع أن أخمن– لكن لا بد أنه تفكير مليّ وعميق، شيء على الرغم من أني لا أعرف ما هو، إلا أنه يطفو على السطح منذ وقت طويل، وربما هو ما يمنح وجهه

هذا التعبير، تعبير أسيان ومكتف وممتثل، شيء يستدعي تلك الأبيات الشهيرة للونجفيلو والتي تنتهي دائما بـ: لكن أفكار الشباب هي أفكار طويلة طويلة. أود أن أرى لوحة إسرائيل تلك كمكافئ للوحة مييه "الموت والحطّاب". أنا قطعًا لا أعرف لوحةً كلوحة إسرائيل تلك تستطيع أن تكافئ الموت والحطاب، فيستطيع المرء مشاهدتهما في الوقت نفسه، ومن ناحية أخرى لا أعرف لوحة تستطيع أن تكافئ لوحة إسرائيل سوى الموت والحطّاب لمييه، لا لوحة أخرى يستطيع المرء مشاهدتها في الوقت نفسه مع تلك التي لإسرائيل. وفوق ذلك، أشعر برغبة لا تقاوم في ذهني أن آتي بتلك اللوحة لإسرائيل والأخرى لمييه وأجعلهما مكملتين إحداهما للأخرى. ويبدو لي أن ما ينقص لوحة إسرائيل هو أن تُعلّق "الموت والحطّاب" إلى جوارها، واحدة في طرف غرفة والأخرى في الطرف الآخر، غرفة طويلة وضيقة بلا أي لوحات سوى هاتين الاثنتين، وهما وحدهما.

إنها لوحة رائعة لإسرائيل، لم أستطع أن أرى أي شيء آخر حقًا، لقد تركت بي انطباعًا عميقًا. وقد كان هناك لوحة أخرى صغيرة لإسرائيل، بخمسة أو ستة شخوص، أعتقد أسرة من العمال جالسين إلى المائدة.

وهناك لوحة لموف، اللوحة الكبيرة عن اللون الوردي وهو يزحف على التلال، إنها تحفة فنية.

لم أسمع قط خطبة جيدة عن الاعتزال ولم أكن قادرًا على تخيل واحدة، باستثناء هذه اللوحة لموف وأعمال مييه. إنه اعتزال حقيقي ومن النوع الأصيل لا ذلك الذي يخصّ رجال الكهنوت.

هذه الأحصنة الشائخة، تلك الأحصنة الشائخة بائسة المنظر، بيضاء وسوداء وبنية، تقف هناك صابرة ممتثلة، مستعدة للتسليم، ثابتة. قريبا سيكون عليها أن تجرّ القارب الثقيل لآخر جزء من الطريق، لقد شارف العمل على الانتهاء. تقف ثابتة للحظة، تلهث مغطاة بالعرق، لكنها لا تهمس، لا تعترض، لا تشتكي من أي شيء. لقد تجاوزت هذا منذ فترة طويلة، منذ سنوات مضت. لقد اعتزلت الحياة

والعمل منذ وقت أطول، ولو كان عليها الذهاب إلى السلخانة في الغد، فليكن، فهي جاهزة لها. إني أرى فلسفة رفيعة رائعة وعملية تقال بلا كلمات في هذه اللوحة.

أن تعرف كيف تعاني دون أن تتشكى، ذلك هو الشيء العملي الوحيد، تلك هي المهارة العظمى، والدرس الذي ينبغي أن نتعلمه، والحل لمشاكل الحياة.

يبدو لي أن تلك اللوحة لموف قد تكون واحدة من تلك اللوحات النادرة التي كان مبيه ليتوقف أمامها طويلًا، مغمغما بينه وبين نفسه "إن له قلبًا طيبًا ذلك المصور".

كانت هناك لوحات أخرى ويجب أن أقول إنني بالكاد قد نظرت إليها، فقد كنت استكفيت بما ذكرته لك سالفًا.

أنصت لي يا تيو، ألا ترغب في التساؤل إن كان هناك رسام عظيم للمناظر الطبيعية داخلك أم لا؟ يجب أن يصير كلانا وبكل بساطة مصورين، سنستطيع أن نتعيش من ذلك. من أجل الشخوص لا بد أن يكون المرء "حمار شغل" أكثر من رجل دؤوب. أفكر فيك طويلًا طويلًا يا صديقي القديم.

يا تيو، فلتكن شيئًا أفضل من ترستيج، عندما عرفته للمرة الأولى كان ترستيج أفضل مما هو الآن، كان قد صار ذا شأن فقط منذ فترة قصيرة ومتزوجًا حديثًا. والآن قد قُبِضَ عليه، لقد سقط في الفخ. وسينمو لديه ندم سري على أشياء عديدة سيكون مُضطرًا لإخفائها. إن الأمر يا عزيزي تيو ألّا تترك يدك يقيدها أي شخص، لا سيما بقيد من ذنب. لا بد أن أقول إن الأغلال التي تقيد ترستيج جميلة جدًا عندما تنظر إليها، لكن إذا فكر المرء فيها فإنه لا يحسده على موقفه. ولكن مهما يكن، فالفنان أكثر صحية، والمشاكل المالية هي الهمّ الأعظم، وأكرر لك، أنت كرسام للمناظر الطبيعية، قد تتجاوزها في وقت أقرب مني، مع ذلك فأنا أيضًا سأعبر في يوم ما. لكن لو أقدمت أنت على الفور، فسوف تتجاوزني، لأن رسم الشخوص أكثر تعقيدًا، يستغرق وقتًا أطول. وستفهم أني أتكلّم بكل جدية.

٢١٤ | لاهاي، نحو الثاني من أبريل (نيسان) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

هممت بالكتابة لك عدة مرات، لكنني لم أستطع أن أدفع نفسي لإنهاء الرسالة، لأنني أردت أن أكتب لك عن الأسباب العديدة التي تجعلني أعتقد أنه أمر طبيعي بالنسبة لك أن تصبح مصورًا. لكن ما كتبته لم يعجبني، ولم أستطع العثور على كلمات بالقوة الكافية.

إن اعتراضاتك مهمة حقًا، ولكن من ناحية أخرى فهناك أشياء كثيرة توازنها. فعندما ستكون قد بلغت الثلاثين من عمرك فيمكن أن تكون قد تطوّرت إلى حد يجعل الناس يحترمونك كمصوِّر ويتعاملون مع أعمالك بجدية. وفي الثلاثين ستكون لا تزال شابًا. ما تعلمته لدى جوبيل، ومعرفتك بأمور كثيرة، تعني أن لديك بالضبط ما تحتاجه لتلحق بالعديد ممن هم "بدؤوا مبكرا". لأن هؤلاء المبكرين يمرّون عادة بمرحلة من الثبات على المستوى نفسه غير المثمر لسنوات، وهذه المرحلة غير لازمة لمن يبدأ بحيوية في سن متأخرة. إن التصوير مهنة جيدة لكسب العيش لا تقل عن الحدادة أو الطب. الفنان في كل الأحوال هو النقيض التام لشخص يعيش حياة اللهو والفراغ، وكما قلت، لو أراد المرء أن يرسم ما هو مواز له فسيكون الحداد أو الطبيب هو الأقرب. والآن، وأنت تكتب لي عن ذلك، فأنا أتذكر جيدًا عندما حدثتني فيما مضى عن كوني أصبح مصورًا، فقد اعتقدت أن ذلك غير مناسب أبدًا ولم أكن متقبلًا له.

ما جعلني أتوقف عن التشكك هو أني قرأت كتابًا مكتوبًا بنصاعة عن المنظور، لكاساني، دليل ألف باء الرسم (بالفرنسية)، وبعدها بأسبوع رسمت مشهدًا داخليًا لمطبخ صغير، بموقد ومقعد ومنضدة ونافذة، في أماكنها الصحيحة وعلى قوائمها، في حين أنه كان يبدو لي أنه من قبيل أعمال السحر أو من قبيل المصادفة أن يكون للمرء عمق أو منظور مضبوط في رسمه. لو رسمت شيئًا واحدًا كما ينبغي أن يُرسم فإن

رغبتك في الهجوم على ألف شيء آخر لن تقاوم. لكن أصعب جزء هو اتخاذ الخطوة الأولى. لو سحبك مصور من ذراعك وقال لك: انظر يا تيو، هكذا ينبغي أن ترسم ذلك الحقل، هكذا ترسم الخطوط أثر الحرث، لهذا السبب أو ذاك هي تجري بهذه الطريقة لا بطريقة أخرى، ويجب أن تخضع للمنظور هكذا. وتلك الصفصافة المقلمة تكون كبيرة هكذا والأخرى الأبعد تكون على العكس أصغر، وذلك الفرق في الحجم يمكن أن يقاس بهذه الطريقة أو تلك – وانظر! لو وضعت ذلك على الورق، فستكون الخطوط العريضة مضبوطة على الفور، وستكون لك تحت قدميك أرضية صلبة لتواصل من عليها.

إن مثل هذا الكلام، شريطة أن يكون مصحوبًا بممارسة، قد يكون ملائما في هذه الظروف أكثر من أحاديث عديدة سواء حول الأمور المالية أم المجردة. ولن أغامر أكثر في هذه الأرض، لكنك بصدد تكوين فكرة عن الممارسة في يوم قريب. ولو حدث ورسمت شيئا بشكل مضبوط، أو باختصار لو تعلمت أن ترى الأشياء من خلال المنظور، وهنا يكون عملك في تجارة الفن قد بلغ نهايته، وستشعر، ككوريجيو بالضبط: أنا أيضًا مصوّر، ثم سترى مباشرةً أنك في مكانك الطبيعي، ثم ستكون أكثر شبابا وأكثر امتلاءً بالحياة عمّا قبل، ثم سيبدأ شبابك الثاني، والذي هو أفضل من الأول، لأن الثاني لا ينقضي أبدًا، حمدا للرب، كالشباب الأول. لكن الشباب الأول قد فارقني، وهو قد بدأ يفارقك أنت أيضًا.

- وفيما يخص تعاليم كور وخبز الأم – فأنت لن تعدم هذين الشيئين، حتى لو صرتَ مصورًا. وفيما يخصك فإن طعامك وشرابك ونومك ومرسمك وموديلك، ليست بالأمر الصعب. ولو استيقظت فيك فكرة أن تُصبح مصورا، فسترى أنه يمكن تدبيرها.

ومع ذلك، ولكي لا تشك أنني أتجاوز الجانب المالي، فأنا أحب أن أقول: إنه مع كامل احترامي لوضعك الحالي كوكيل في تجارة الفن، فبدون أن يكون للمرء صنعة ويستطيع أن يفعل شيئا بيده، فأنا أشك في صحّة سبل العيش.

وهذا يعني أنني أعتبر أن وضع ياب ماريس الاجتماعي أكثر صلابة واستقلالية من وضع ترستيج على سبيل المثال - أنا أكن احترامًا بالغًا للعقل والذكاء، ولو نقصا لتحول المرء إلى لا شيء على الرغم من وجود حرفته، لأنه لن يستطيع أن يفهم أو يدافع عن عمله الخاص - وأنت ترى هذه الحالة عند ثيبس ماريس. والمر تحديدا هو من هؤلاء من يملكون العقل والذكاء، ولست بحاجة لأن أذكر أني أعدك بينهم، وأود أن أعد نفسي أيضًا بينهم، فما أنسبهم للعمل اليدوي.

أكرر: لو اتخذت التصوير حرفة فسوف تنجح، وببلوغك سن الثلاثين ستكون قد شققت طريقك كمصور، دون أن أقلل من شأن الحاضر. ولن تكون متوسط القيمة، بالمعنى السيئ للكلمة، لو اتخذت هذا الطريق.

وفيما يخص التصوير، فهناك خطّان من التفكير، كيف تفعله وكيف لا تفعله. كيف تفعله: بكثير من الرسم وقليل من الألوان. كيف لا تفعله: بكثير من الألوان وقليل من الرسم.

الآن، أنا أعتقد أن لديَّ الفرصة لأن أدبّر أمري جيدا لو استطعت أن تساعدني هذا الشهر كما قلت، وتحديدا نحو منتصف الشهر تعطيني مائة فرنك أخرى لتظلّ حتى أول مايو. لم أستطع بعد أن أرد نقود ترستيج من مائة الفرنك التي أرسلتها إليَّ توّك لأن لدي نفقات كثيرة، ولا أستطيع البقاء أطول من ذلك دون أن أشتري بنطالًا جديدا وأن أدفع الإيجار، على سبيل المثال. لو أرسلت إليَّ ثانية في نحو منتصف أبريل فسأستطيع أن أسدد له، وسوف أفعل ذلك لو كنت ترغب فيه حقًا. على الرغم من أني أفضل أن أدفع له لاحقًا على هيئة رسمة. هذا ما ينبغي فعله، ألا أسدد ديونًا لتجار الفن نقدًا. إن ديوني لك هي شيء آخر. فنحن لا نعرف كيف ستنقلب الأمور لو استمررت كتاجر فن، ثم مع الوقت ستستردها لوحات ورسومًا - ولو صرت مصورًا فستسترد النقود وحبذا بفوائدها.

وفيما يخصّ النقود المستحقة لترستيج، فعندما جئت إلى هنا في البداية، كان هو وموف ودودينَ جدا، وقالوا إنه لا يجب أن أقلق على الإطلاق، لكن خلال أقل من شهر، تراجعا، وصارا يتكلمان بشكل مختلف تماما. ربما يظنّان أنني سأنهار.

في البداية أغضبني ذلك، ولكن لاحقًا صرت باردًا، وفكرت: لن أدع هذا يحزنني بعد ذلك.

إن برايتنر في المستشفى، وأنا أزوره أحيانا لآخذ له كتبا أو أدوات رسم. وقد دفع لي العم كور، وطلب طلبية جديدة، لكنها صعبة قليلًا، ستة مناظر تفصيلية للمدينة. أعتقد أنني سوف أصنعها في كل الأحوال، لأنني لو كنت أفهم بشكل صحيح، فإنني سأقبض عن هذه الستة المبلغ نفسه الذي قبضته عن الاثني عشر الأولى. ثم بعد ذلك ربما تخطيطات عن أمستردام.

كان بلومرز هنا ليتحدث عن فحص للمحفورات الخشبية. وقد جلس هنا يتطلع إليها لمدة ثلاث ساعات، وقد كان غاضبًا لأن إدارة بولتشيري قد اشتكت من "تلك الأشياء التي يراها المرء بين حين وآخر في مقهى زود هولانديش. ولو كان هذا هو كل ما يعرفونه عن الحفر على الخشب فهم حقًا يستحقون الإدانة! على الأقل فإن إدارة بولتشيري قد اشتكت. بلومرز يريد أن يمضي قدما بها على أي حال، وقال لي أن أجعلها جاهزة ليوم السبت القادم. من الغريب جدا أن تسمع بعض المصورين هنا يتناقشون حول من يسمونهم "رسامي الصحافة"، جافارني على سبيل المثال، أو هيركومر!! إن عدم مواكبة الأمور هي جزء مما يسميه بعضهم "تعليمهم العام". حظ سعيد لهم!

والآن أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت

وتقبل شكري على علبة أوراق إنجر الرائعة وعلى الدراسات.

في يوم طيب عندما يأخذ الناس في القول إنني أستطيع الرسم في الحقيقة ولكن لا أستطيع التصوير بالزيت، فربما أظهر لهم بلوحة زيتية في الوقت الذي هم فيه لا يتوقعونها أبدا، ولكن طالما بدا وكأنني لا بد أن أفعله وألّا أفعل أي شيء آخر، فأنا بالتأكيد لن أفعله.

٢٢٠ | لاهاي نحو الأحد ٢٣ أبريل (نيسان) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

تيو،

منذ كتبت لموف "هل تحققت أن هذين الشهرين هما ماض بعيد، دعنا نتصافح وليمض كل منا في حال سبيله بدلًا من أن نتشاجر". أقول منذ كتبت مثل هذا الكلام ولم أتلق أي رد عليه، فأشعر إنني أختنق.

لأنني – وأنت تعرف ذلك– أحب موف فعلًا، وأنه من الفظيع أن كل تلك السعادة التي جلبها لي لن تأتي بشيء يذكر. لأنني أشعر أنه كلما رسمت أفضل واجهت مشاكل ومعارضة أكبر. فسيكون عليّ أن أعاني بشدة بسبب حساسيات عديدة لا أستطيع أن أغيّرها. أولها مظهري، وطريقة كلامي وملابسي، فلاحقًا، عندما أربح أكثر، سأواصل الحياة في محيط تختلف عن معظم المصورين الآخرين، لأن رؤيتي للأمور، والموضوعات التي أريد أن أعالجها تتطلب ذلك بشكل لا يمكن تفاديه.

مرفق تخطيط صغير عن حفارين، وسأقول لك لَم أرسلته إليك:

يقول لي ترستيج: "الأمور لم تسر بشكل جيد معك في السابق أيضًا، وقد كان فشل، والآن الشيء نفسه مرةً أخرى". توقف هنا بالتحديد ـ لا، إن الأمر تختلف تماما عمّا قبل، وهذا المسار من التفكير هو في الحقيقة مغلوط. وكوني لم أتوافق مع التجارة أو مع الدراسة المهنية فهذا لا يبرهن بأي شكل على أنني لن أصلح أن أكون مصورًا أيضًا. بل على العكس، فلو كنت صالحًا لكي أكون من رجال الكهنوت أو تاجر فن أبيع أعمال الآخرين، ربما لم أكن لأصلح للرسم أو التصوير ولما انخرطت فيهما كليةً ولما أدليت برأيي على هذا النحو.

وتحديدًا لأني أملك يد رسام فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الرسم، وها أنا أسألك، هل أنا تشككت أو ترددت أو تذبذبت منذ اليوم الذي بدأت أرسم فيه؟ أعتقد أنك تعرف جيدًا أنني شققت طريقي وأنني حريص على أن أناضل.

وبالرجوع إلى ذلك التخطيط الصغير – لقد صنعته في حي جيست في أثناء رذاذ المطر، واقفا في الوحل في الشارع، في كل ذلك الصخب والضجيج، وأنا أرسله إليك لأريك أن دفتر تخطيطاتي يبرهن على أني أحاول أن أقبض على الأشياء مباشرةً. ضع إيترسون أو ترستيج نفسه، على سبيل المثال أمام حفرة رملية في حي جيست حيث الحفارون يعملون في زرع أنابيب للماء أو للغاز، وأحب أن أرى أي نوع من الوجوه سيجذب شخصًا كهذا وأي تخطيط سيعمل. إن الصراع على الأرصفة وفي الأزقة والشوارع وداخل البيوت، وغرف الانتظار وحتى في الحانات، ليست عملًا ممتعًا، إلا إذا كان المرء فنانًا. فواحد كذلك يستطيع أن يكون في أقذر الأحياء شريطة أن يكون هناك ما يرسمه، على أن يكون في حفل شاي وسط سيدات جميلات. إلا إذا كان المرء يرسم السيدات، وفي هذه الحال يكون حفل الشاي جميلًا حتى للفنان.

أقول فقط إن البحث عن موضوع، والتردد على العمال، والنضال والقلق مع الموديل، والرسم من الطبيعة وفي الموقع، كلها من قبيل العمل الخشن، وأحيانا حتى من قبيل العمل القذر، وحقيقةً فإن سلوك وهيئة البائع في متجر لا تناسبني كثيرًا لا أنا ولا أي شخص آخر ليس بحاجة إلى التحدث مع سيدات جميلات ورجال أثرياء ليبيع لهم أشياء غالية ويكسب النقود، ولكن بدلا من ذلك يرسم حفارين داخل حُفَرهم في حي جيست، على سبيل المثال.

لو كنت أستطيع أن أفعل ما يفعله ترستيج أو إيترسون، لو كنت مناسبا لذلك، لما كنت لائقًا لمهنتي، وبالنسبة لمهنتي فمن الأفضل أن أكون على ما أنا عليه على أن أحاول أن أجبر نفسي على تبني سلوكيات ليست ملائمة لي. أنا –من لم يستطع أن يكون مرتاحًا في معطف أنيق داخل أحد المتاجر المحترمة ولن أقدر أن أكون، خاصةً الآن، وعلى الأرجح سأكون ملولًا متبرمًا- أكون شخصًا مختلفًا تمامًا عندما أعمل في حي جيست أو في البراري أو على التلال. عندها يكون وجهي القبيح وسترتي الملطخة متماشيين تماما مع المحيط ومعي، وأكون نفسي وأعمل بمتعة. ومهما تطلبت "طريقة العمل" فأتمنى أن أواصل النضال. لو كنت أرتدي معطفًا جميلًا، فإن

العمال الذين أتخذهم كموديلات سيرتابون فيّ ويخافون مني كما لو كنت الشيطان، أو أنهم سيطلبون مني مالًا كثيرًا.

أنا الآن أكافح بالشكل الذي أراه مناسبًا، ويبدو لي أنني لست من هؤلاء الذين يشتكون من عدم وجود موديلات في لاهاي. فلو قيلت ملحوظات عن عاداتي، سواء عن ملابسي أو شكلي أو طريقتي في الكلام، فماذا أقول لأرد على ذلك... إن مثل هذا الكلام يضجرني.

هل يعني هذا أنني شخص بلا أخلاق، أي فظ وغير لبق؟ انظر، في رأيي إن كل تحضر ينبني على اللطف تجاه كل الناس، لا سيما من نعرفهم، تأسيسًا على الحاجة التي يشعر بها كل من له قلب في أن يعني شيئًا للآخرين وأن تكون له فائدة ما، فلزامًا على المرء أن يعيش مع الآخرين وليس بمفرده. ولأجل هذا فأنا أفعل ما بوسعي. أنا أرسم لا لكي أضجر الناس، لكن لأمتعهم، أو لأجذب انتباههم لأشياء تستحق أن ينظروا إليها لا يعرفها الكثيرون. أرفض يا تيو أن أصدّق أنني وحش مجبول من الفظاظة والهمجية وأستحق نبذي من المجتمع، أو باستخدام كلمات ترستيج: "غير قابل للبقاء في لاهاي".

هل أحطّ من شأن نفسي بحياتي وسط الناس الذين أرسمهم، هل أحطّ من شأن نفسي بترددي على بيوت العمال والفقراء أو باستقبالهم في مرسمي؟ يبدو لي أن مهنتي تتطلب هذا، وفقط هؤلاء من لا يفقهون شيئًا في الرسم أو التصوير هم من يرون في ذلك خطأً ما.

أريد أن أسأل عن شيء: من أين يأتي رسامو مجلات جرافيك وبانش وما إلى ذلك بموديلاتهم؟ أيذهبون بأنفسهم ليجمعوهم من أفقر أزقة لندن أم لا؟ والمعرفة التي يملكونها بالناس، أهي فطرية – أم أنهم يحصّلونها لاحقًا في الحياة بالمعيشة وسط الناس والانتباه للأمور التي ينصرف عنها معظم الناس، ويتذكر ما ينساه الآخرون؟

عندما أذهب لزيارة ترستيج أو موف لا أستطيع أن أعبّر عن نفسي كما أحب، وربما أكون سيئًا أكثر مني جيدًا. عندما يعتادان على طريقتي في الكلام، لن تزعجهما.

لكن، من فضلك أخبرهما نيابة عنّي كيف تسير الأمور، ولو كنت قد قلت أو فعلت أي شيء يؤذيهما، فأنا أتمنى أن يصفحا عني. قل لهما، بلهجة أفضل من لهجتي وبالتحضر اللازم، كيف أنهما بدورهما قد سببا لي الكثير من الألم، والكثير من الحزن، والكثير من الاضطراب في تلك الأشهر القليلة القصيرة التي جعلتها تلك الأحداث غير السارة تبدو طويلةً. أفهمهما ذلك، لأنهما لا يعرفانه، ويعتبراني شخصا غير حساس وغير مبال. لو فعلت ذلك فأنت تسدي لي خدمة جليلة، وأعتقد أنه من الممكن تسوية كلِّ شيء بهذه الطريقة. وأتمنى فقط لو يقبلان بي كما أنا. كان موف طيبا معي، وقد قدّم لي مساعدات معتبرة وغير محدودة. لكن ذلك استمر لأسبوعين فقط، ويا لها من فترة قصيرة.

الوداع يا تيو، افعل ما بوسعك في هذا الشأن – لو كان حظي أفضل قليلًا لما اضطررت لجعل حياتك صعبة، وهذا يكفي الآن، صدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

لا بد أنك سمعت عن اتصال أبي، وأن أمي قد صارت أفضل ثانيةً، لكن العم سنت مريض. أنا أعمل على الرسمة من أجل العم كور، لكنني كنت محبطًا للغاية هذه الأيام بسبب ما كتبته لك من أن ذلك يصرفني عن عملي، ثم فكرت، لا بد من إلقاء بعض الضوء على الأمر، ربما يستطيع تيو أن ينيرني.

ولا عجب أن ذلك يحبطني، لأن ترستيج كان قد قال لي بالفعل "إنه لن يكون بمقدوري البقاء في لاهاي"، وقد فكرت أنه فقط من ذلك النوع من البشر الذي لو وضع ذهنه في الأمر فسيعيقني وسيحاول أن يعرقل كل خطوة لي على الطريق. لكن كيف بالله يكون ذلك ممكنا، وماذا جرى لهم؟ لو كان يعتقد أن رسومي ليست جيدة فهل ذلك مبرر لهذه المعارضة الحاسمة، وبتلك الأسلحة؟

«sketch A»



رجال يحفرون

«sketch B»



راس رجـــل

٢٢٢ | لاهاي، الاثنين أول مايو (أيار) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت رسالتك ومائة الفرنك المرفقة وأشكرك بإخلاص عليها. إن رسالتك أثارت لي كل شكوكي وتوجساتي بشأن موضوع موف وترستيج. وأشكرك عليها، لأنني أعتقد أني أفهم الموضوع الآن بشكل أفضل. ولو كنت أفهم بشكل صحيح، فما عليَّ فعله هو أن أواصل عملي بهدوء دون الوقوف عند ذلك أو التأثر به عميقا كما قد فعلت. عندما أمعن النظر في ذلك، ينتابني الشعور نفسه بالدوار والذي، كما تقول، يشعر به الشخص الذي لم يدرس المنظور عندما يحاول أن يتتبع الخطوط المتراجعة في الطبيعة وأن يوليها عنايته. وأنا أعتقد أنه كما يتغيّر المنظور كليةً بتغير في مستوى النظر، والذي يتوقف لا على الموضوع لكن على الشخص الناظر إليه (إذا كان منحنيًا أو واقفًا على قمة مكان ما)، وكذلك أيضًا التغيير لدى موف وترستيج هو في جزء منه مجرد مظهر خارجي ويمكن تفسيره بمزاجي الشخصي. أنا لا أرى هذه الأمور بوضوح، لكنني أفهم جيدا من رسالتك أنه لا سبب هناك يجعلني معنيًا بها هكذا لو أنني فقط واصلت عملي. والآن نستكفي من هذا الشأن، لأنه هناك أشياء أخرى لأكتب لك عنها.

إن تعاطف هيردال قد أثر فيَّ بعمق، هل تبلغه تحياتي وتخبره أنني أتمنى بشدة أن أتعرف إليه في يوم ما، وأنا أضع آمالًا كبيرة على ذلك.

أنهيت الآن رسمتين كبيرتين. أولًا، "حزن"، ولكن من مقاس كبير، والشخصية فقط بدون المحيط بها. لكن وضعها قد تغير بعض الشيء، الشعر لا يتدلى إلى الخلف ولكن إلى الأمام وجزء منه في ضفيرة. وذلك يُظهر الكتف والعنق والظهر للرؤية. والشخصية قد رسمت بعناية أكبر.

الأخرى هي "جذور"، هي بعض جذور الأشجار في أرض رملية وقد حاولت أن أضفي على المنظر الطبيعي الشعور نفسه الموجود في الشخصية. تحاول تجذير نفسها في الأرض كما كانت بشكل محموم وحماسي، بعد أن اقتلعت نصفها العاصفة. أردت أن أعبر عن شيء من صراع الحياة. في تلك الشخصية النسائية النحيلة البيضاء، وفي تلك الجذور السوداء المتغضنة بعقدها. أو بالأحرى لأنني حاولت من دون أي تفلسف أن أكون مخلصًا للطبيعة التي أمامي، فشيء من هذا الصراع قد دخل في كليهما من دون قصد تقريبًا. يبدو بالنسبة لي على الأقل أن بها بعض الإحساس، وقد أكون مخطئًا، على كل حال لا بد أن ترى بنفسك.

لو رأيت شيئا بها، فربما تكون جديرة ببيتك الجديد، ومن ثم سأصنعهما لعيد ميلادك، الذي أهنئك بمناسبته. ولكن لأنها كبيرة، (فرخ كامل من ورق إنجر) لا أعرف إن كان ينبغي لي أن أرسلهما مباشرةً. أعلمني. ربما يجدها ترستيج نوعًا من الوقاحة أو التعالي لو طلبت منه أن يشحنها في صندوق.

وعلى الرغم من أن "جذور" هي مجرد رسمة بالقلم الرصاص فقد وضعت عليها لمسات بالفرشاة وكشطتها تمامًا كما يفعل المرء في التصوير.

وفيما يخص قلم الرصاص الخاص بالنجارين، فإن منطقي هو التالي: بمَ رسم الأساتذة القدامى؟ بالتأكيد ليس بأقلام Faber B أو BB أو BBB... إلخ، ولكن بقطعة خشنة من الجرافيت. إن الأدوات التي استخدمها مايكل أنجلو أو دورر هي تقريبًا شديدة الشبه بقلم النجار. لكنني لم أكن هناك ولا أعرف. أما هذا فأعرفه، أنه بقلم النجار بإمكان المرء أن يحقق كثافات مختلفة عما يمكن أن يفعله بأقلام فابر الراقية.

أحب الجرافيت في طوره الطبيعي أكثر من المصنّع في قطع رفيعة داخل تلك الأقلام الغالية من صنع فابر، واللمعان يختفي عند معالجته بالحليب. لو جلس المرء في الخارج وعمل بأقلام كونتيه فبإمكان المرء أن يميز ماذا يفعل بسبب الضوء الساطع وأن يلاحظ أنه يتحول للسواد الشديد، لكن الجرافيت أقرب للرمادي منه للسواد،

وبإمكان المرء أن يحصل دائما على درجتين لونيتين إضافيتين بالضغط عليها بالقلم، فتخفّ كثافات الجرافيت الثقيلة بتأثيرات القلم.

الفحم هو الأفضل، ولكن إذا عمل المرء به طويلًا فإنه يفقد نضارته، وللحفاظ على هذه الرقة فعلى المرء أن يصلح هذه البقاع. للمناظر الطبيعية أيضًا، رأيت أن بعض الرسامين كرويزديل وفان جوين وكالام ورولوفس أيضًا بين المحدثين، قد استخدموه وأخرجوا نتائج عظيمة. لكن لو اخترع أحدهم قلمًا جيدًا للعمل في الخارج مع محبرة مرافقة، ربما ستصنع لوحات بالأقلام أكثر.

بإمكان المرء أن يصنع أشياءً رائعة بالفحم المغموس في الزيت، رأيت ذلك من فايسنبروش. يكون الزيت حينئذ هو المثبت، ويصير الأسود أدفأ وأعمق. لكنني أتخيل أنه من الأفضل أن أفعل ذلك بعد عام وليس الآن، لأنني أريد أن يخرج المظهر الجيد مني وليس من المادة المستخدمة. عندما أتقدم قليلًا سأرتدي بين الحين والآخر بذلة أنيقة، أعني أنني سأعمل بمواد رسم مكافئة. شريطة أن أكون قادرا بنفسي على فعل شيء ما، سأحرز تقدما مزدوجا، وربما يكون ذلك أسهل من المتوقع. لكن في البداية، وقبل أي نجاح، صراع يد ليد مع الأشياء في الطبيعة.

في العام الماضي كتبت لك خطابات كثيرة أخبرك فيما أفكر عن الحب. أنا لست كذلك الآن، إذ إنني مشغول بوضع هذه الأمور نفسها في الممارسة. الشخصية التي كنت أشعر نحوها بما كتبته لك لم تعد في طريقي، هي بعيدة عن منالي، على الرغم من كل توقي لها. هل كان من الأفضل لي أن أواصل التفكير فيها متجاهلًا ما يجيء في طريقي؟ لا أستطيع أن أقرر هل أنا أتصرف بشكل متسق أم لا. نفترض أنه كان لي أن أبدأ اليوم في رسم حفار على سبيل المثال، لكن الرجل قال إن عليه أن يغادر أو إنه ليس بمقدوره أن يتخذ وضعا لي لأرسمه بعد ذلك، فليس من حقي أن ألومه لتركي هناك وبالكاد قد خططت الرسم، وبالذات لأنني بدأت أرسمه دون أن أستأذن منه. هل يجب أن أكف عن رسم الحفار؟ أعتقد أن لا، خاصة لو قابلت في الغد واحدًا يقول لي سآتي لا اليوم فقط، لكن غدًا أيضًا وبعد غد، أفهم ما تريد، وأنا صبور ولدي الإرادة لأفعل ذلك. للتأكيد، أنا لا أصر بالضبط على انطباعي الأول، لكن الأفضل

أن أتفكر: لا، بالتأكيد أنا أريد ذاك الحفار الأول، حتى لو قال هو لا أستطيع ولن أفعل؟ وبمجرد البدء في الثاني فلن أعمل بالتأكيد دون الرجوع للطبيعة الواقفة أمامي، مفكرًا في الوقت نفسه في الأول. هكذا تستقيم الأمور، وبخصوص ذلك أضيف هذا إلى رسالتي السابقة.

كي أستطيع النجاح، لا بد أن تساعدني قليلًا، لكنني أعتقد أن النفقات ستكون أقل لا أكثر مما اعتدت أن ترسله إليَّ هذه الشهور القليلة الأخيرة. سأكون جاهزًا ومتأهبًا لهذا المشروع لو كان باستطاعتي الاعتماد على مائة وخمسين فرنكا في الشهر لسنة أخرى. وأتمنى في هذه الحالة أن أكسب بعض الشيء أيضًا، ولكن لو فشلت في هذا أكون قادرا على التدبر في كل الأحوال، على الرغم من الظروف الصعبة. ثم ماذا بعد – عندما تكون تلك السنة قد مضت؟ يبدو لي أن لا شيء في عملي يشير إلى أنني لن أنجح، شريطة أن أثابر وأواصل بذل المجهود. وأنا لست من يعمل ببطء أو بشكل متقطع. إن الرسم أصبح ولعًا بالنسبة لي، وأنا أغرق فيه بشكل متزايد، وحيثما كانت هناك إرادة فهناك وسيلة.

حيث الإرادة يكون الطريق، لكن ذلك لا بد أن يأتي من الناحيتين. بالنسبة لي الإرادة لا بد أن تكون في صنع الأشياء، وبالنسبة لمن هم متعاطفون معي أو بصدد ذلك فالإرادة هي بيع تلك الأشياء أو شراؤها.

طالما كانت الإرادة موجودة، فأعتقد أن بالإمكان العثور على الطريق. لكن لو كان الجميع يفكرون مثل ترستيج "غير قابل للبيع" و"غير مقبول" فسأواجه جبالًا من الصعوبات. لكن حسنا، فمهما كان الأمر، فسوف أضع جهدي في عملي لأهزم ما هو غير قابل للبيع وما هو غير مقبول.

كانت هناك عاصفة رهيبة لثلاث ليال. في الليلة من السبت إلى الأحد تحطمت نافذة مرسمي (البيت الذي أعيش فيه متهالك جدًا). تهشمت أربعة ألواح زجاجية عريضة وانخلع الإطار. وبإمكانك تخيل أن هذا لم يكن كل الأمر. فالريح جاءت من المراعي السهلية مباشرة عبر نافذتي. والسياج في الأسفل تحطم أيضًا، وسقطت

اللوحات من الحائط، والحامل على الأرض. لكنني مع ذلك غطيت النافذة بمساعدة جاري، وسمرت بطانية صوفية على الفتحة، بالتأكيد بمساحة متر. لم أنم مطلقًا طيلة الليلة، كما تستطيع أن تتخيل. والكثير من المشاكل لإصلاحها لأن اليوم كان الأحد، ومالك البيت هو مجرد بائع فقير، وقد أعطاني الزجاج، وأنا دفعت للإصلاحات. وذلك سبب إضافي لأفكر في الانتقال للبيت المجاور. هناك شقة في الدور العلوي تبدو هكذا:

‹sketch A›

المرسم أكثر اتساعًا من مرسمي، والضوء جيد جدًا. وهناك علّية مكسوّةٌ بالألواح بشكل كامل، وهكذا فالمرء لا يرى قرميد السقف. وهو واسع جدا فيستطيع المرء تقسيمه إلى عدة غرف حسب رغبته (ولدي الخطة لفعل ذلك). الإيجار اثنا عشر جيلدرًا ونصف في الشهر، بيت قوي ومبني جيدًا، لكنه لن يجلب أكثر من ذلك لأنه في شينكفيج، والناس الأثرياء الذين كان يأمل فيهم المالك لن يأتوا إلى هنا. إنه ليعجبني جدًا، والمالك يرغب في أن أؤجره؛ لقد كلمني عنه أولًا، ثم ذهبت لرؤيته.

والآن سأختم بأن أؤكد لك أنني أفكر كثيرًا في العائلة، وأنا أعتقد أنه خلال ستة أشهر من الآن، ولو كان هذا الأمر الذي أتكلّم عنه قد نُفِّذ، وجاء أبي وأمي لزيارتي، فسيترتب على ذلك تغيّر في المشاعر من الناحيتين. ولسوء الحظ، فإن الوقت لم يحن بعد، لا بد أن ندع الأمور تبدأ أولًا. لأن أبي وأمي، وأنا أعتبرهما غير خبيرين بمثل هذه الظروف، سيعتقدان أنه سيُعتَبرُ جميلا جدًا لو كان مُشطّبًا بشكل كامل. (التجار البلجيك يقولون مُنمّقًا، بحسب كلام موف)، لكن التخطيط السريع والذي ستفهمه لو كنتَ هنا، سيصيبهما بالدوار في أفضل الأحوال. وداعًا. أتمنى لك كل خير.

المخلص دوما،

فنسنت

لو كنت ستأتي قريبا لما أرسلت إليك الرسمات، لكن الوقت قد حان لتتلقى مني أشياء، سأفعل ما بوسعي، ولو أعجبتاك هاتان الاثنتان، سأرسل إليك المزيد ومن كل الأنواع.

لو أطلعت من يزورونك في غرفتك على الرسمات التي تجدها ملائمة، فربما تكون تلك هي البداية لبيعها، وبالذات لو عرضت مجموعة منها معًا، فالرسمات المتعددة التي نفذتها اليد نفسها، تجذب الانتباه إحداها للأخرى، والواحدة منها تُكمل الأخرى وتُفسِّرها.

إن أكثر ما أُقدّره هو تعاطفك. لو أنني ربحت هذا أولًا، فالبيع سيأتي تاليًا. لكن لا أنا ولا أنت يجب أن نفرض هذا التعاطف.

أعتقد أنني أستطيع أن أنتج الكثير، أعني أن أعمل بسرعة وألا أضيع الوقت. ولو كنت قد أرسلت إليك زوجًا آخر من اللوحات، بما أنك أعددت لي الدراستين اللتين كنت سألتك عنهما (لان فان ميرديرفورت وحزن)، فذلك لإعطائك إشارة إلى أنني أستطيع أن أفعل المزيد من النوع نفسه لو أردتَ. لو قلتَ إنّها غير جاهزة، فسأواصل العمل قبل أن أُرسل المزيد، لأن ما أرسلته ليس أمرًا عرضيًا: فما بوسعي أن أفعله يُفعَل. لا بد أن أواصل العمل لبعض الوقت حتى أتقدم. لكن ما أرغب في قوله هو: لو أن الدفعة الأخيرة التي أرسلتها أظهرت أي شيء يمكنك بموجبه أن تُريها للناس، فأنا أستطيع أن أرسل إليك أشياء بمجرد ما أنجزها. ما تعتبره جيدًا يجب أن يوضع على خلفيات ورقية رمادية وهكذا وبالتدريج فإن مجلدًا لعرض أعمالي سيتَشَكّلُ بهذه الطريقة. فكّر في الأمر.

لديّ رسمة أخرى عن شيخ بجوار المدفأة، و"الحدود"، و"امرأة عجوز من حي جيست"، وزوج من الشخصيات النسائية أعتقد أنّها ستكون متناغمة مع الأخريات. وأيضًا تخطيطات صغيرة.

مخطط لمنزل فان جوخ في المستقبل

لا أقول ذلك لأتعجلك، لكن لن يضير أن نفكر في الأمر.

لقد شرعتَ في مساعدتي عندما امتنع الآخرون ودون أن تعرف ماذا سيأتي من وراء ذلك. أتمنى أن تستطيع أن تقول في يوم من الأيام لمن يعتقدون أنه من الخطل أن تساعدني، إنك لم تفقد شيئا بذلك. إن ذلك يحفزني أكثر، وأعتقد أنك يجب أن تبدأ بأخذ بعض الرسومات، وفي كل شهر سيكون هناك المزيد. هناك أيام أصنع فيها خمسًا، لكن في الرسم أنت تعتبر واحدة ناجحة بين عشرين رسمة. هذه الواحدة من عشرين لم تعد صدفة، لكن يمكنني الاعتماد على ذلك. ربما تكون هناك رسمة كل أسبوع أعتقد أنها "هذه ستبقى". وفي الوقت الحالي من الأفضل لي أن تحتفظ بتلك التي "ستبقى" على أن أبيعها هنا لأي شخص بعشرة جيلدرات أو شيء من هذا القبيل، وذلك بفضل الرب وكمعروف عظيم. هنا كل شخص ينتقد التقنيات، لكنني أسمع التفاهات نفسها من كل الناس عن الرسم الإنجليزي أيضًا، على سبيل المثال. فايسنبروش فقط قال لي، عندما أخبرته أنني أرى الأشياء كما لو كانت مرسومة بالقلم، إذن يجب أن ترسم بالقلم.

وهو، فايسنبروش تحديدًا، لم ير رسمة "حزن" الصغيرة، بل الكبيرة، وقد قال عنها شيئا أسعدني. ولهذا فقد جرؤت على أن أقول ما قلته عن الكبيرة. لم أتلق توجيهات ولا تعاليم من أحد، لكنني علّمت نفسي بنفسي، كما يقال، فلا عجب أن تكون نتيجة ذلك هي اختلاف طريقتي في صنع الأشياء عن طريقة الآخرين. لكن ذلك لا يستدعي أن يظلّ عملي غير قابل للبيع. أراهن على أن "حزن" الكبيرة، و"امرأة من حي جيست"، و"الحدود"، وأخريات أيضا ستباع في يوم من الأيام. لكن سيكون من الأفضل أن أعمل عليها ثانيةً لاحقًا. وقد اشتغلت حتى ثانيةً على لوحة لان فان ميرديرفورت. لدي شخصية نسائية في حلة صوفية سوداء أمامي، وأنا متأكد أنك لو حزتها لعدة أيام لأصبحت متصالحًا مع عاداتها ولما تمنيت أن تصنع بشكل مختلف.

لم أفهم الرسم الإنجليزي أنا أيضًا في البداية، أو قليلًا مثل أي أجنبي آخر، لكنني تكبّدت عناء التآلف معه، ولم أندم على ذلك.

وداعا، ذلك يكفي اليوم.

٢٢٤ | لاهاي، نحو ٧ مايو (أيار) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

أخوّلك أن تقول ما تريد لموف بخصوص محتوى هذه الرسالة، لكن لا يجب أن يمضي الأمر بعيدا.

عزيزي تيو،

لقد قابلت موف اليوم وتبادلنا حديثًا مؤسفًا جعل من الواضح بالنسبة لي أننا قد افترقنا للأبد، لقد تمادى موف كثيرا بشكل يصعب معه التراجع، أو هو على الأقل لا يرغب في ذلك. لقد طلبتُ منه أن يأتي ليرى أعمالي ولنتحدث في الأمور بعد ذلك. فرفض موف صراحةً "بالتأكيد لن أذهب لزيارتك، لقد انتهى الأمر".

وفي الختام قال: "إن شخصيتك تالفة". عند هذه النقطة استدرتُ -كنا في التلال- وسرت إلى بيتي وحيدًا.

يلومني موف على قولي: "أنا فنان" وهو ما لن أتراجع عنه، لأن تلك الكلمات تعني بطبيعة الحال أن تبحث دائمًا دون أن تعثر على الشيء كاملًا. وهو النقيض التام لأن تقول "أعرف ذلك مسبقًا" أو "لقد وجدتها". وعلى حد علمي فإن تلك الكلمات تعني "أنا أبحث، وأثابر، وأنا شغوف بالموضوع". لدي أذنان يا تيو، ولو قال لي أحدهم "شخصيتك تالفة" فماذا أفعل؟ استدرت وعدت إلى بيتي وحيدًا، ولكن بغمّ كبير في قلبي لأن موف جرؤ على قول هذا لي. لن أطلب منه أن يفسِّر هذا لي، ولن أعتذر.

ثم، ثم، ثم، أتمنى أن يكون موف قد ندم على ذلك. الناس ترتاب فيّ لأمر ما... كما لو كان ذلك في الهواء... لا بد أنني أخفي أمرًا ما... فنسنت يحتفظ بسر ما لن يُعلَن... حسنًا أيها السادة، سأسألكم -أنتم يا من تعوّلون كثيرًا على الثقافة

والأخلاق، ولكم حق، شريطة أن يكون ذلك حقيقيًا– ما هو الأكثر ثقافة وحساسية وأخلاقًا، أن تنبذَ امرأةً أو أن تجيرَ امرأةً منبوذة؟

في هذا الشتاء قابلت امرأةً حبلى، وقد هجرها الرجل الذي كانت تحمل طفله في بطنها. امرأة حبلى تجوب الشوارع في الشتاء، وعليها أن تكسب عيشها، ولك أن تتخيّل كيف طبعًا.

لقد اتخذتُ المرأة كموديل واشتغلت معها طوال الشتاء. لم أستطع أن أعطيها الأجر اليومي الكامل لموديل، لكن في الوقت نفسه كنت أدفع لها أجرة السكن، وأنا حتى الآن قادر - حمدًا للرب – على أن أحميها هي وطفلها من الجوعِ والبرد باقتسام خبزي معهما. عندما قابلت هذه المرأة جذبت أنظاري لأنها بدت عليلةً.

جعلتها تستحم وأمّنت لها الأدوية بقدر استطاعتي، فتحسَّنت صحتها كثيرًا. وذهبت معها إلى لايدن. حيث توجد مستشفى للولادة ستحتجز بها. ولا عجب أنها كانت عليلة، فالجنين وضعه مقلوب داخلها ولا بد أن تجري جراحةً لسحبه بالجفت. ومع ذلك، فهناك فرصة طيبة لأن تعبر كل ذلك. ستضع الطفل في يونيو.

يبدو لي أن أي رجل يسوى قيمة الجلد الذي صُنعَ منه نعلاه سيفعل الشيء نفسه في الظروف نفسها. وأنا أعتبر ما فعلته شديد البساطة والطبيعية حتى إنني اعتقدت أنه يمكنني الاحتفاظ به لنفسي. إنها تجد الجلوس للرسم أمرًا صعبًا، لكنها تعلمته على أي حال. وقد تطورت في رسمي إذ لدي موديل جيدة، هذه المرأة المتعلقة بي الآن كحمامة داجنة، ومن جانبي فأنا أستطيع الزواج مرة واحدة فقط، ومتى سيكون ذلك أكثر ملاءمة غير معها، لأنه فقط إذ فعلت ذلك فأنا أستطيع مواصلة مساعدتها، وإلا فستضطرها الظروف الصعبة لاتخاذ الطريق نفسه الذي يقود إلى السقوط. إنّها لا تملك مالًا، لكنها تساعدني أن أكسب مالًا عن طريق عملي. إنني ممتلئ بالحماس والطموح بالنسبة لمهنتي وعملي، ولو كنت قد تركت التصوير الزيتي والألوان المائية لبعض الوقت، فذلك لأنني كنت مهتزا بسبب تخلي موف عني، ولو

أعاد هو التفكير في الأمر، فسأبدأ ثانية وبشجاعة. أما الآن، فأنا لا أستطيع حتى أن أرى فرشاة، فإن ذلك يصيبني بالعصبية.

كتبت لك: يا تيو، هل لك أن تعلمني عن موقف موف – فربما تعلمك أنت هذه الرسالة. أنت شقيقي، ومن الطبيعي أن أحدثك عن أموري الخاصة، لكن شخصًا يقول لي: لك شخصية تالفة، فأنا أتوقف عن الكلام فورًا.

لم أستطع أن أفعل غير ذلك، فعلت ما في متناولي أن أفعله، لقد عملت. واعتقدت أنني مفهوم دون حاجة للكلام. في الحقيقة كنت أفكر في امرأة أخرى وهي التي يخفق قلبي من أجلها ـ لكنها كانت نائية جدا ولم ترد أن تراني. ولكن تلك، كانت هنا، سقيمة وحبلى تتضور جوعًا في الشتاء. لم أستطع أن أفعل غير ذلك. فيا موف، ويا تيو، ويا ترستيج، إن رزقي بيدكم، فهل تتركونني مفلسا وتديرون ظهوركم لي. والآن قد قلت ما لديّ وسأنتظر أن أسمع ما يقال لي.

فنسنت

أرسل إليك دراستين، فربما ترى من خلالهما أنها تساعدني كثيرا كموديل.

إن رسومي هي من صنعي أنا والموديل.

المرأة بالقلنسوة البيضاء هي أمها.

وبالأخذ في الاعتبار، إنني بعد نحو عام من الآن، عندما أكون أمارس عملي بشكل مختلف جدًا، سيكون عليّ أن أؤسس نفسي على الدراسات التي أنجزها الآن، فأنا أريد أن تعيد لي الدراسات الثلاث ثانيةً في أي الأحوال. أنت ترى أنها صنعت بعناية. لو كان لدي فيما بعد مشهد داخلي، أو غرفة انتظار أو ما شابه، فستكون ذات فائدة لي إذ سأستعين بها للتفاصيل.

لكنني فكرت أنه ربما يكون من الجيد أن تعرف كيف أقضي وقتي. هذه الدراسات تطلبت نوعًا من التقنية الجافة، لو كنت قد ركزت هنا على التأثير فستكون أقل فائدة لي لاحقًا.

لكن أعتقد أنك ستفهم ذلك بنفسك. أكثر ورق أحتاجه حاليًا هو ذلك النوع كالذي في اللوحة التي فيها المرأة المنحنية للأمام، ولكن لو أمكن من اللون الكتاني غير المبيض. لم يعد لدي منه في هذه السماكة، أعتقد أن اسمه "إنجر مزدوج". لم أعد أستطيع الحصول عليه هنا. عندما ترى كيف صُنعت هذه الرسمة، فستعرف كيف أن النوع الرقيق يحتملها بالكاد. أردت تضمين شخصية صغيرة في حلة صوفية سوداء، لكن لم أستطع أن أضعها. المقعد بجوار الشخصية الكبيرة غير مكتمل لأنني أردت أن أضع مقعدا قديما من البلوط هناك.

٢٢٨ | لاهاي، نحو ١٦ مايو (أيار) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لو كان لي أن أتيح لك فهمًا أكبر لما سبق وكتبت لك عنه، فعليك أن تعرف أين يكمن أصله. ولا يجب أن أخفف مما جرى في أثناء زيارتي لأمستردام. لكنني أبدأ بطلب ألا تعتبرني وقحًا إذا اختلفت معك. وقبل كل شيء أشكرك على الخمسين فرنكا التي أرفقتها. لو لم أفصح في كلامي فلن يكون كلامي مفيدًا لك، لكنني قد أصمت لو أنك اشترطتَ بداية أن أستسلم. ولا أعتقد أنك تشترط شيئا كهذا. وأنت نفسك ربما تعتبر أنه من الطبيعي أن هناك أوجهًا للحياة أقل تطورا فيك من فهمك للتجارة، والتي أقر بأنك تعرف عنها أكثر مني، ولن أجرؤ ولو قليلًا أن أخالفك الرأي فيها. وعلى العكس، لا سيما عندما تشرح لي قليلًا، فأنا أشعر أن فهمك للأمور أفضل مني. ولكن من ناحية أخرى، عندما يتعلق الأمر بالحب، فأنا أحيانا أندهش لآرائك. حتى إنني أريد، وأرجو أن تسامحني، أن أضيف شيئًا جديدًا. إن رسالتك الأخيرة عن موف وترستيج أثبتت لي أن لديك قدمًا راسخة في الدائرة والطبقة التي ينتميان إليها وطريقة للتصرف ليست طريقتي، لذا فأنت تتوافق معهما

فيما أنا لا. لكن خارج هذه الطبقة فإن آراءك سطحية وهي من قبيل الأحكام المسبقة. إن رسالتك الأخيرة أعطتني مادة للتفكير أكثر مما تعتقد. وخطئي يكمن هنا، فيما يبدو لي، وهذا هو السبب الحقيقي في إحساسي بالإجحاف. فلو أن المرء لا نقود لديه فإنه بالتعريف غير أهل من الأساس، وعليه فقد كان من الخطأ وقصر النظر من جانبي أن آخذ ما قاله موف بشكل حرفي، وأن أفكر حتى للحظة: سيتذكر ترستيج أنني كنت أمرّ بالفعل بمشاكل كثيرة.

في هذه الأيام، النقود تقوم بالدور الذي كانت تشغله سيادة القوة في الماضي. فمعارضة شخص ما لهي أمر قاتل، ولو قمت بها فإن رد فعله لن يكون التفكير، لكن لكمة في عنقك. وهذا يتجلى في شكل: "لن أشتري أي شيء يصنعه بعد الآن" أو "لن أساعده ثانية".

ولّما كانت هذه هي الحالة، فأنا أقامر على رأسي بجدالي معك، ولكن يا تيو لا أعرف ما الذي يمكن أن أفعله عوضًا عن ذلك. فلو كان لا بد أن يحدث ذلك، فهاك رأسي. أنت تعرف ظروفي، وأن معيشتي من عدمها متوقفة على مساعداتك. لكن أنا واقع في مأزق. لو رددت على رسالتك هكذا: "نعم يا تيو، أنت على حق، سأترك كريستين"، ففي المقام الأول سأكون كاذبًا بقولي "أنت على حق"، وثانيًا سأكون بصدد ارتكاب شيء فظيع. ولو عارضتك، ففعلتَ أنت ما فعله ترستيج وموف، فسأكون قد تلقيتها في مقتل، كما يقال.

إذن فهاك رأسي باسم الرب لو اضطررت لذلك. فالبديل أسوأ.

وهنا بداية لنص قصير، أوضح فيه بعض الأمور بصراحة، وأعتقد أنك ستتلقاه بطريقة تدفعك لسحب مساعداتك، ولكن أن أصمت لمجرد الاحتفاظ بمساعدتك تبدو لي طريقة بائسة في التفاعل، وأنا أفضل المجازفة بالأسوأ. لو كان لي أن أوضح لك ما أعتقد أنك لا تفهمه بعد، فالأمور ستسير جيدا معي ومع كريستين وطفلها. ولتحقيق ذلك لا بد من المجازفة بقول ما سأقوله لك.

للتعبير عمّا شعرت به نحو كي فوس، فأنا أقول بوضوح: هي ولا أحد غيرها. إن قولها "لا ولن وأبدًا لم يجعلني أيأس منها. لا يزال لدي أمل، وكنت أعتقد أن رفضها مجرد كتلة من الجليد ستذوب مع الوقت وبقي حبي قويًا.

لم أرتح بعد. والتوتر صار غير محتمل لأنها ظلّت صامتة طوال الوقت، ولم أتلق ولا شبه جملة كرد.

ثم ذهبتُ إلى أمستردام حيث قيل لي "عندما تكون أنت في البيت فإن كي ستغادره". ومقولتك "هي ولا أحد سواها" هي تعارضها بـ "بالتأكيد ليس هو"، إن إلحاحك مقزز. ووضعت إصبعي في لهب المصباح وقلت، دعوني أرَها طالما يدي في اللهب، ولا عجب أن ترستيج قد نظر إلى يدي لاحقًا.

لكنهم أطفؤوا المصباح، أعتقد، وقالوا: لن تراها. وبعد ذلك كان لي حديث مع أخيها الذي قال بشكل رسمي أو غير رسمي، لا شيء غير النقود سيكون له أي تأثير. وسواء كان بشكل رسمي أو غير رسمي فأنا أجد كليهما حقيرًا، وعندما غادرت أمستردام شعرت كما لو أنني كنت في سوق للنخاسة. أترى، كان ذلك بالنسبة لي نوعًا من الجلافة، خاصة عندما تكلموا عن إلحاحي، وشعرت بأن الأشياء التي قالوها لي كان المقصود منها ضربي في مقتل، وأن قولي "هي ولا أحد سواها" قد ضُرِبَ في مقتل. لم يكن مباشرةً لكنه كان سريعا بما يكفي كي أشعر أن الحب يموت، ويحل مكانه الخواء، خواء لا نهائي. والآن، فأنا كما تعرف أومن بالرب، ولم أتشكك في قوة الحب. لكنني حينئذ شعرت بشيء مثل "إلهي إلهي لم تركتني؟" ولم يعد لأي شيء معنى من وقتها. فكرتُ هل أنا ضللت نفسي... يا ربي، لا رب! لم أستطع احتمال ذلك الاستقبال البارد الفظيع في أمستردام – الناس يكشفون عن وجوههم الحقيقية عندما يحين وقت تسوية الحسابات.

هل يجرؤ الكاهن سترايكر والكاهن تيودوروس فان جوخ المحترمان جدا في أرديتهما وبشعورهما الشيباء أن يعظا عن الحب من فوق منبريهما كما يتكلمان عنه خلف الأبواب المغلقة، لن يجرؤا.

أفكر في كلمات النبي "مَا تَفْعَلُهُ شُيُوخُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي الظَّلاَمِ" كلمات موجهة إلى الكهنة المخادعين المُرتشين.

وكفى! ثم تلهيت عن ذلك وانشرح حالي بسبب موف. وقذفت بنفسي في العمل بكل طاقتي. وبعد أن أحبطني موف وصرت عليلًا بضعة أيام، قابلت كريستين في نهاية يناير.

أنت تقول يا تيو إنني لو كنت حقًا قد أحببت كي فوس لما فعلت ذلك. ولكن هل تفهم الآن بشكل أفضل أنني لم أستطع المواصلة بعد ما قيل لي في أمستردام؟ -هل كان يجب أن أيأس وقتها؟- ولماذا ييأس رجل مخلص؟ لست لئيمًا، ولا أستحق هذه المعاملة الفظيعة. حسنًا، ماذا باستطاعتهم أن يفعلوا؟ بالفعل، كانت لهم اليد الطولى، وقد أحبطوني في أمستردام. لكنني لم أعد أطلب مشورتهم، وفي مثل عمري، أتساءل، هل لي حريتي أن أتزوج، نعم أم لا؟ مَن مِن حقه أن يحاسبني؟ من سيحاول أن يجبرني؟

لو كان أي شخص يريد إيقافي فليأت قدما! أترى يا تيو، أنا شاحب ومنهك. فكر أن الأمر قد انتهى وسنفهم. إن أبي والعم سترايكر وترستيج ومن لا أعرف أيضًا يعتبرون أنفسهم ذوي أخلاق كريمة، وأناسًا متحضرين، ويتصرفون بفظاظة ومكر وبظلم تمقته روحي. ولم تكن هناك قط لمحة أو ظلال لندم أو التفاتة أمينة للتخلف لقول، لقد فعلت هذا أو ذاك، وكان من الخطأ.

لديهم الكثير من الدعم، ويعرفون جيدًا أن معظم الناس يريدون الأشياء بهذه الطريقة وهم يحتفظون بكل الناس.

لو كانوا يستمتعون بذلك، لو كانوا يعتقدون أن الأمور ستمضي على ما يرام معهم وسيكونون في سلام معها حتى النهاية -حسنا، دعهم يمضوا قدمًا- لا أستطيع إيقافهم. لكن بالنسبة لي فأنا سأعمل كما ينبغي لي ومن وحي ضميري. أيكون طريقي غير صحيح لمجرد أن أحدهم يقول "أنت تضل عن سواء السبيل"، إن كور يتكلم عن سواء السبيل كثيرًا هو أيضًا، تماما كترستيج ورجال الكهنوت. لكن كور يدعو ديجرو

زميلًا مشتركًا، فمن هو كور إذن؟ في المستقبل سأدعه يتكلم؛ فأذناي متعبتان. ولأفرغ ذهني منهم، فسوف أرقد في الرمال أمام جذور شجرة عتيقة وأرسمها. مرتديًا حلة من الكتان ومدخنًا غليوني ناظرًا إلى السماء عميقة الزرقة، أو إلى الطحالب والحشائش.

إن ذلك ليهدئني. وأنا أشعر بالهدوء نفسه عندما تجلس لي كريستين أو أمها لأرسمهما، وأنا أشتغل على النسب وأحاول أن أصنع الجسد باستطالته خطوطا متموجة وملموسة تحت طيات ثوب أسود.

ثم ها أنا على مبعدة ألف ميل من أبي وكور وسترايكر وأسعد حالًا بكثير.

لكن، للأسف تأتي الهموم ثانيةً، وأضطر للكلام أو الكتابة عن النقود وتبدأ القصة بكاملها من جديد. ثم أفكر أن ترستيج وكور كانا ليحسنا صنعًا لو أنهما لم يتدخلا في "أسلوبي" واكتفيا بتشجيعي على الرسم. وقد تقول: إن العم كور يفعل هذا، لكن دعني أشرح لك لمَ لمْ تكتمل الطلبية حتى الآن. قال لي موف، إن عمّك ذاك فعل هذا فقط لأنه قام بزيارتك، لكن يجب أن تتحقق أن ذلك لا يعني شيئا، وأن الأمر لن ينتهي بعدها مباشرةً ، ثم لن يتبقى لك أحد.

يجب أن تفهم يا تيو أنني لا أستطيع تحمل هذا، لو قيل لي شيء كهذا فإن يدي تتخدر كالمشلولة. وتحديدا منذ بدأ كور يعلق على "الأخلاق"، فيما أعتقد.

لقد صنعت اثنتي عشرة لوحة لكور مقابل ثلاثين جيلدرًا، وذلك يعني اثنين ونصفًا للقطعة. إنها مهمة صعبة تتضمن ما قيمته ثلاثين جيلدرًا من المجهود، وليس من العدل أن تطلب مني أن أنظر إليها كنوع من المعروف أو شيء من هذا القبيل. كنت بالفعل قد مررت بقدر كبير من المتاعب من أجل الست الأخريات التي صنعت دراسات لها. هذا بقدر ما حصلت عليه. وقد بذلت مجهودا بالفعل في الجديدات، وعليه فهو ليس بكسل – أنا مشلول.

ثم أتفكر مع نفسي: لن أُنصت لهذا الكلام، لكنني عصبي وشيء كهذا يظل معي ويعود متى بدأت العمل ثانيةً. وعليه فيجب أن أغير المسار وأعمل على أشياء أخرى.

أنا لا أفهم موف، كان ليكون لطيفًا لو لم يشغل نفسه بشأني قط. بم تنصح: هل أكمل طلبية العم كور أم لا؟ لم أعرف ماذا أفعل.

منذ سنوات خَلَتَ كانت هناك نبرة مختلفة بين المصورين، والآن هم يلتهمون بعضهم البعض وهم رجال مهذبون يعيشون في الفيلات ومهمون. أفضّلُ أن أكون في حي جيست أو أي شارع خلفي -كاب ومعتم وموحل- فأنا لا أضجر أبدًا هناك، في حين أشعر بضجر قاتل في تلك البيوت الفخيمة، وأعتقد أنه شيء سيئ أن تكون ضجران وعليه فأنا أقول: أنا لا أنتمي إلى هنا ولن أجيء إلى هنا مرةً ثانية. حمدا للرب فلدي عملي، ولكن من أجل أن أعمل ما زلت بحاجة للمال عوضا عن كسبه، وهنا تكمن الصعوبة. خلال عام من الزمن، أو مدة أطول أو أقصر من هذا، سأستطيع رسم حي جبست أو شارع آخر كما أراه بسيداته العجائز والعمال والفتيات، حينها سيكون ترستيج مسرورًا، وحينها سيلقون مني "اذهبوا إلى الجحيم"، لقد تخليتم عني عندما كنت في المصاعب، يا صديقي، لا أعرفك، اذهب عني، أنت تحجب عني الضوء.

يا إلهي، لم يجب أن أكون خائفًا؟ ولِمَ أهتم بقول ترستيج "غير مقبول" و"غير قابلة للبيع"؟ لو فقدت ثقتي بنفسي في بعض الأحيان فأنا أنظر لل "حفارين" من أعمال ميه أو "مقعد الفقراء" لديجرو، فيبدو بعدها ترستيج صغيرًا جدًا وتافهًا، وتبدو كل تلك الملحوظات مثيرة للرثاء، فيعود لي مزاجي الطيب وأشعل غليوني وأواصل رسمي. ولكن إذا في لحظة ما، آجلًا أم عاجلًا، اعترض طريقي واحد من المتحضرين فربما يسمع مني أشياء رصينة جدًا.

ستسأل الآن يا تيو، إن كان ذلك ينطبق عليك أيضًا. وكإجابة سأقول: من الذي أطعمني وساعدني؟ إنه أنت كما أعتقد، وعليه فبالضرورة هذا لا ينطبق عليك. فقط أحيانا أفكر: لماذا تيو ليس مصورًا، ألن يصبح قريبًا ضجرًا في هذه الحضارة في النهاية؟ ألن يندم لاحقًا لأنه ترك الحضارة ليتعلم صنعة، ويتزوج امرأة ويرتدي حلة؟ ربما تكون هناك أسباب لا أستطيع أن أثمنها بالشكل الكافي. وبالنسبة للحب فأنا لا أعرف إذا كنت تعرف ألف بائه بالفعل. هل تعتقد أنني متكبر؟ أريد أن أقول إنك تشعر ما هو الحب كأفضل ما يكون وأنت جالس بجوار سرير مريض، أحيانا بلا

فلس في جيبك. هذا ليس كجمع الفراولة في الربيع. هذا يستمر فقط بضعة أيام ومعظم الشهور تكون رتيبة وأكثر إعتامًا، لكن في هذه العتمة يتعلم المرء شيئا جديدًا، يبدو لي أحيانًا أنك تعرف ذلك، وفي أحيان أخرى أفكر: لا هو لا يعرف.

أريد أن أمر بالمسرات والأحزان المنزلية بنفسي فأستطيع أن أرسمها عن خبرة. بعد أن غادرت أمستردام، شعرت أن حبي، الذي كان قويًا وصادقًا ومخلصًا عن حق، قد تلقى حرفيا ضربة في مقتل - حتى لو كان بعد الموت المرء يبعث من بين الأموات. سوف أبعث من جديد.

ثم عثرت على كريستين. ولم يكن هناك وقت للتردد أو التأجيل. والتحرك كان مطلوبًا. لو لم أكن سأتزوجها، لكان من الألطف ألّا أهتم بها من الأساس. وبهذه الخطوة انفتحت الهاوية؛ لقد تزوجت من مستوى أدنى منّي كما يقال، وبإصرار شديد! لكن ذلك ليس محظورا وليس شرًا، حتى لو كان العالم يعتبره خطأ. إن حياتي المنزلية سكون كتلك التي في بيوت العمال. أنا أتواءم أكثر مع هذا، وقد أردت أن أفعله من قبل لكن لم أستطع تحقيقه وقتها. أرجو أن تواصل مدّ يدك لي عبر الهاوية. لقد ذكرت لك مائة وخمسين فرنكا في الشهر. تقول إنني أطلب المزيد. انتظر لحظةً. إن نفقاتي لم تتجاوز قط متوسط مائة الفرنك شهريا منذ غادرت جوبيل، باستثناء الرحلات الطارئة. وفي جوبيل كنت أحصل أولًا على ثلاثين جيلدرًا ثم مائة الفرنك.

والآن، كانت لدي نفقات زائدة في هذا الشهر الأخير، فقد كان عليّ أن أستقر، وأنا أسألك: هل هذه النفقات غير معقولة أو مغالى فيها؟ لا سيما أنك تعرف ما قد طرأ. وكم من أوقات خلال هذه السنوات الطوال كنت أحصل على ما هو أقل من مائة فرنك بكثير. ولو كان لدي في بعض الأحيان نفقات بسبب السفر، أوَ لم أحسن معرفتي باللغات وطورت عقلي؟ هل كانت النقود تذهب هباءً؟

الآن أريد أن أصنع مسارا مستقيما لخطواتي. لو أجلّت الزواج، فسيكون هناك شيء زائف في موقفي وهو ما سيكون بغيضًا بالنسبة لي. أنا وهي ننتوي أن تتقشّفَ للغاية.

أنا في الثلاثين وهي في الثانية والثلاثين، ومن ثم فنحن لا نبدأ كأطفال. أما عن أمّها وطفلها فالأخير يرفع وصمتها؛ أنا أحترمها كامرأة وأم ولا أستفسر عن ماضيها. أنا سعيد لأن لديها طفلًا؛ لأنها بذلك تعرف ما ينبغي أن تعرفه. وأمها امرأةٌ مكافحة وتستحق وساما لتربيتها أسرة بها ثمانية أبناء لعمرٍ كامل وصمودها بهم في وجه الحياة. وهي لن تريد أي نوع من الاعتماد، فهي تكسب عيشها بنزولها للعمل.

أكتب لك في وقت متأخر من الليل. كريستين ليست في حالة جيدة ووقت المغادرة إلى لايدن قد اقترب. فلا بد أن تعذرني إذا كانت كتابتي غامضة، فأنا متعب.

كنت أريد أن أكتب لك بعد رسالتك. في أمستردام رُفضت بشكل قاطع وتم التخلُص مني بحيث إنه كان سيكون الإصرار ضربًا من الجنون.

لكن هل كان يجب أن أيأس لهذه الدرجة؟ أن أقفز في الماء أو شيء من هذا القبيل؟ لا قدر الله. كنت لأفعل ذلك لو كنت شخصًا شريرًا. لقد جددت نفسي، لا عن عمد، لكن لأنني قد وجدت فرصة للتجدد ولم أرفض البدء من جديد.

مع ذلك، فهذه المرّة الأمور مختلفة، فأنا وكريستين نفهم بعضنا البعض جيدًا. لم نحتج لأخذ أي شخص في الاعتبار، ولكننا بالطبع بعيدان عن الادعاء بالحفاظ على أي مظاهر.

ولأنني أعرف الأحكام المسبقة للناس، فأنا واعٍ بأن ما أفعله يعني انسحابي من دائرتي الاجتماعية، والتي نبذتني من فترة طويلة. ثم إنه لم يعد هناك ما يقال والمرء لا يستطيع المضيّ أبعد من هذا. إن حريتي الشخصية لن تنتهك. لقد قلت لأبي هذا بوضوح كافٍ وقت مسألة جيل، عندما أراد إرسالي إلى مستشفى المجانين. أنا وهي كبيران بما يكفي، فلو كان أبي معارضًا فعليه أن يسجّل رفضه رسميًا وفقًا للقانون، وسيكون على القاضي أن يقرر. على كل حال، أرجو ألا نضطر لذلك وأن نستطيع التوصّل إلى تسوية بطرق أكثر سلمية.

ربما أنتظر قليلًا قبل أن نشرع في العيش معًا إذا كانت ظروفنا صعبة بشكل خاص، لكن حتى فيما بعد فأنا أريد أن أتزوج دون أن أخبر أي أحد وفي صمت تام.

ولو صدر لفظ عن أيّ شخص، فأنا لن ألحظ ذلك. وبما أنّها كاثوليكية، فالزفاف سيكون بسيطا للغاية، إذ إنّ الكنيسة لا علاقة لها بالموضوع بالطبيعة. ولا أنا ولا هي نريد أن يكون لها دخل بالأمر. قد تقول هذا مختصر وفي صميم الموضوع. ليكن. أريد أن أكون معنيًا بشيء واحد فقط، وهو رسومي، وهي أيضًا لها انشغال محدد وهو أن تجلس لتُرسم. أتمنى بإخلاص لو كان متاحًا لي أن آخذ البيت المجاور. إنه كبير بما يكفي، حيث يمكن أن تحول العلّية إلى غرفة نوم، والمرسم بمساحة جيدة وضوء كاف، أفضل كثيرًا من هنا. لكن هل سيكون ذلك ممكنًا؟ لكن حتى لو اضطررت للعيش في كوخ هزيل، فأنا أفضل أن أعيش على كسرة خبز بجوار الموقد، ومهما كان ذلك فقيرًا، على ألا أتزوجها.

هي تعرف ما هو الفقر، وأنا كذلك. لا يعرف ترستيج أي شيء عنه، ولا أنت يا تيو. للفقر مزاياه وعيوبه. وعلى الرغم من الفقر فإننا سنتخذ الفرصة. الصيادون يعرفون أن البحر خطير والعاصفة مخيفة، لكنهم لم يروا أن المخاطر سبب لبقائهم على الشاطئ. إنهم يتركون هذه الحكمة لمن تليق بهم. وعندما تجيء العاصفة، وعندما يهبط الليل، فما هو الأسوأ: الخطر أم الخوف من الخطر؟ الواقع أنه الخطر نفسه. الوداع يا تيو، الوقت قد تأخر. وسامحني على هذه الرسالة، فأنا متعب لكنني أردت الكتابة على أي حال. أتمنى أن تتفهمني وأن أكون قد عبرت عن نفسي بطريقة واضحة وودية، لكن لا تأخذها على محمل مستفز، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

أعتقد (أو هناك بارقة عندي للاعتقاد) أن هناك إمكانية لأن فكرة "سيسحب تيو مساعداته لو تجادلت معه"... إلخ، تبقى بلا فائدة. لكن يا تيو، لقد رأيت أشياء من هذا القبيل تُعمل في أحيان كثيرة وعليه فلن يقل احترامي لك ولن أغضب منك لو أنك فعلت ذلك. لأنني سأقول، هو لا يعرف جيدًا، وكلهم يتصرفون هكذا، بلا تفكير لكن بلا دوافع شريرة. لو استمررت في تلقي مساعداتك، فذلك سيكون شيئًا جديدًا تمامًا، وفرصةً نادرةً لم أعوّل عليها. حيث إنني لفترة معتبرة من الوقت كنت

أمضي بتوقّع مواجهة الأسوأ، والشيء نفسه بالنسبة لكريستين، لأنني دأبت على إخبارها: "يا فتاة، أخشى من وقت يجيء أكون فيه بلا فلس واحد". لكنني لم أقل لك ذلك حتى صار ضروريًا. لو واصلت مساعداتك فإنّ ذلك حل، نوع من الإنقاذ، غير متوقع ولم أحلم به، وسأكون غارقًا في الفرح بشكل عظيم. ولكن أنا لم أجرؤ على التفكير في ذلك وأدفع الفكرة بعيدا بحسم، حتى وأنا أكتب لك عنها بيد ثابتة حتى لا تضعف.

ما مررت به مع موف هذا الشتاء كان أشبه بدرس لي، وقد جعلني أتجهّز من وقتها لما هو أسوأ... حكم بالإعدام منك، وهو إنهاء مساعداتك لي.

ستقول: لكن هذه المساعدات لم تتوقف... لكنني أتلقاها مع بعض التحفظات، مفكرًا: هو لا يعرف كل شيء بعد وسوف يعرف يوما ما، وحتى تُحَلّ الأزمة، فلا راحة لي وسأبقى متأهبًا مستعدًا للأسوأ.

والآن ها قد حُلّت الأزمة، ما زلت لا أستطيع أن أقرر، ولا أجرؤ على الأمل أيضًا. وقد قلت لكريستين: سأتكفّل بك حتى يحين وقت لايدن. وعندما تعودين من لايدن فأنا لا أعرف كيف سأكون –مُفلسًا أم لا– لكن كلّ ما عندي هو أيضًا لك وللطفل بقدر ما هو لي. لا تعرف كريستين التفاصيل، ولا تسأل عنها، وهي تعرف أنني أتعامل بإخلاص معها وتريد أن تبقى معي مهما صار. إن الحاشية في رسالتك الأخيرة جعلتني أفكر، ماذا يقصد بهذا؟ ولكن حتى الآن كنت أعتقد باستمرار أنك ستدير لي ظهرك على الأرجح بمجرد أن تعرف كل شيء.

وعليه، فقد عشت يوما بعد يوم بخوف كئيب لا أجرؤ حتى الآن على اعتبار نفسي متحررًا منه. أنا أيضًا أعمل يوما بيوم ولا أجرؤ على طلب أي مواد إضافية للرسم أو التصوير فيما يفوق ما سأنفقه في يوم، لا أجرؤ على تنفيذ أي شيء في اتجاه التصوير على سبيل المثال، لا أجرؤ على التصدي له كما يجب أن يُفعل لو عوّلت على ترميم العلاقة مع موف وترستيج. أعتقد أنه إذا كان ودّهما سطحيًا فإن إعراضهما مضى عميقًا، وعلى أي حال فإن ما قاله موف قد أخذته على نحو جاد

"كل شيء قد انتهى"، ليس عندما قالها لي، (فحينها أخذتها ببرود مناسب وبروح واثقة كالهنود الذين يقولون "لا يوجد ألم على الإطلاق" بينما هم يتعذبون) لكن منذ أن كتب لي "لا أريد أي علاقة بك لمدة شهرين". حين كسرت القالب الجصي.

باختصار، فقد جادلتُ نفسي دائمًا: لا أستطيع أن أنتظر شيئا من موف أو من ترستيج، وسأشكر الرب لو واصل تيو إرسال ما أحتاجه لدعم كريستين حتى تذهب إلى لايدن، وعندها سأشرح له وأقول: توقف، هذا ما قد فعلته.

هل تفهم أي شيء من هذا كله؟

ها أنا أكتب لك كما تحدثت إلى موف حين قال لي "كل شيء قد انتهى"، كتحدٍ تقريبًا، مستعدًا للأسوأ، بكل برود، وساخرًا، ومع ذلك جادًا بشكل قاتل، لا أستثنيك، وأنتقدك على قناعاتك ليس بقسوة لكن بجدية ملعونة.

هل تفهم الآن؟ وبعد أن اجتزت كل تلك الإثارة مع كريستين، والتي قد نجت منها، ها أنا أتوسّل معلنًا، أيها السادة هاكم رقبتي. أقرُّ بذنبي أنني أخفيت عنكم أمر شيء قد كلّف الأموال، لكن كانت هناك حياة إنسان يجب إنقاذها وقد أردت إنقاذها مهما يكن، لا الحديث عنها. لكن الآن... لو أدنتموني فسوف أقر بذنبي ولن أعترض. أمددتكم بأعمال مقابل أموالكم، لكن لو كانت غير كافية فسوف أكون مدينًا لكم دون استطاعة للتسديد. أنا مستعد لاستيائكم لا لرحمتكم. لم أعوّل على ذلك قط ولا أعرف كيف أصمد. ماذا سيكون؟؟؟ لقد جهزت نفسي للأسوأ ولم آمل في أي شيء أقل سوءا. ما هو الوضع؟ لكن تكلم بصراحة.

باختصار، أنا أعرف أنني كنت أضحي بنفسي في نظر العالم بمساعدتي لكريستين، وأنا لم أفعل ذلك، أو بالأحرى لا أفعل قياسًا لرغبتك في إبقاء الصلة بي على الرغم من معرفتك بتضحيتي بنفسي. لكنني لا أستطيع أن أتركها لمصيرها. أردت إنقاذها حتى لو كان رأسي على المحك. وحتى الآن لا أعرف إن كنت سأتلقى الإشارة بتنفيذ حكم الإعدام أم لا؟؟؟ لو كان نعم، فأنا بصدد الموت، وداعًا. لقد رأيت إشارة الإبهام لكن لا أعرف إن كانت لأعلى أم لأسفل.

٢٣٥ | لاهاي، السبت ٣ يونيو (حزيران) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

اليوم السبت وأنا أرسل إليك رسمتين

فناء لتجفيف الأسماك في التلال، شيفننجن
ساحة النجّار ومغسلته (من نافذة مرسمي).

فكرت فيك كثيرًا في الأيام القليلة الماضية، وأيضًا أحيانًا عن وقت انقضى منذ فترة طويلة، عندما زرتني كما تذكر، في لاهاي وسرنا بطول الطريق الساحلي حتى ريسويك وشربنا الحليب في الطاحونة هناك، ربما ألهمني ذلك بشكل ما هذه الرسوم، والتي حاولت فيها بكل براءة وبقدر الإمكان أن أرسم الأشياء بالضبط كما رأيتها. في وقت الطاحونة، ومهما ظلت هذه الأيام عزيزة عليّ، فقد كان من المستحيل أن أضع ما رأيته وأحسست به على الورق. فما أريد قوله هو أن تلك التغيرات التي أدخلها الزمن لم تغير شعوري بشكل عميق، هي فقط جعلتها تتخذ شكلًا مختلفًا فيما أعتقد. إن حياتي، وربما حياتك أيضًا، لم تعد مشرقة كما كانت وقتها، لكنني مع ذلك لا أريد الرجوع إلى الوراء، لأنه تحديدًا عبر بعض المصاعب والمحن رأيت شيئا جيدا يبزغ، وأعني التعبير عن هذه المشاعر.

لقد سعد رابارد برسمة مماثلة يملكها كور وأيضا بكل الرسوم الأخرى التي لدى كور. بالذات الأكبر عن مأوى الفقراء. وهو شخص يفهم ما أريده ويقدره مهما كان صعبًا. أعتقد أنك ستجد رابارد قد تغير كثيرًا عمّا عرفته في باريس أول مرة.

أمامي الآن مجلد من طبعة هاوس هولد لديكنز، مع رسوم. إنها ممتازة من أعمال بارنارد وفيلدز. تظهر أجزاء من لندن القديمة، والتي تتخذ مظهرا مختلفا تماما عن ساحة النجار، على سبيل المثال، أيضًا بسبب خواص الحفر على الخشب. وما

زلت أعتقد أن الطريق للحصول على هذه الجرأة والإقدام لاحقا هو تحديدًا مواصلة الملاحظة بأقصى ما تستطيعه من أمانة الآن. وكما ترى فهناك مستويات متعددة في هذه الرسوم، وباستطاعة المرء أن يتطلّع حوله فيها وأن ينظر في كل الأركان والزوايا. إنها تفتقر إلى تلك الحدة حتى الآن، وهي على الأقل ليست على الدرجة نفسها من الجودة كتلك الرسوم المطبوعة المذكورة أعلاه، لكن ذلك سيأتي مع الممارسة.

وصلتني من كور حوالة بريدية بعشرين جيلدرًا وما من كلمة واحدة معها. وعليه ففي الوقت الحالي لا توجد لدي أدنى فكرة إن كان يريد طلبية جديدة من الرسوم مني أو إذا كانت الرسوم مناسبة لذائقته. ولكن بمقارنتها بالثمن الذي دفعه للطلبية الأولى وهو ثلاثون جيلدرًا، وفي ذهني أن الطلبية الأخيرة كانت أكثر جودة من الأولى (الأولى احتوت على اثنتي عشرة رسمة صغيرة؛ وهذه تحتوي على واحدة صغيرة وأربع كالرسمتين المرفقتين واثنتين كبيرتين أي سبع رسمات، أو أنها فشلت في المجمل). ويبدو لي أن سعادته كان قد بدأ يومه بداية سيئة يوم استلمها أو أنها فشلت في إرضائه لسبب أو لآخر. أنا أقر بسهولة أن بالنسبة لعين اعتادت فقط على الألوان المائية، فإن رسومًا قد خُطّت بالقلم أو كُشِطَت المناطق المُشعة بها أو أعيدت بالألوان المعتمة قد تبدو خشنة قليلًا. ولكن كما هناك أناس يرون أن الخروج للنزهة وقت الرياح القوية هو ممتع ومنشط لبنية الجسم فهناك عشاق للفن لا ينزعجون من الخشونة.

على سبيل المثال فايسنبروش لن يجد هاتين الرسمتين مملتين أو منفرتين.

وفي مثل هذه الظروف، هل يجب أن أفهم أن كور يفضل ألّا يحصل على المزيد منها، وبالتأكيد أنا لا أستطيع ولن أفرضها على سعادته، لكنني أرجو أن تكون قادرًا عندما تأتي على معرفة إلى أين وصلت الأمور.

وعلى الرغم من ذلك، فأنا وبشكل طبيعي لم أتوقع أن يعطيني عشرة جيلدرات لهذه الدفعة أقل من الدفعة الماضية، وعليه فأنا أقبل بالعشرين جيلدرًا، فقط لأنني تركت لسيادته تحديد الثمن. ولو كان يريد أن أبدأ في ستٍ أو اثنتي عشرة رسمة أخرى، فأنا مستعد لصنعها، لأنني لا أريد أن أضيع أية فرصة لبيع شيء ما. أنا حقا أريد أن أفعل ما

بوسمي لأريح سيادته، لأنني أعتقد أن هذا يستحق العناء ما دام يوفر لي نقود الإيجار وتغطية النفقات بسهولة. فقط لأن سيادته كان قد تكلم عن إعطائي المزيد، لا أقل، عن رسومات بتفاصيل أكثر. أنا أطرح الأمر فقط في النهاية لأعرف ماذا أفعل حيال طلبية جديدة هل أسعى فيها أم لا. وقد يكتب لي سيادته بنفسه لاحقًا.

خلال أيام قلائل، أو اليوم لو توفر لي الوقت سأرسل إليك قائمة مختصرة بما في مجموعتي من أعمال الحفر على الخشب. أنا متأكد أنك ستستمتع بها. بينما أنفقت القليل على التصوير بالزيت هذا الشتاء مقارنة بالآخرين، أنفقت أكثر على ما يتعلق بدراسة المنظور والنسب لآلة تم وصفها في عمل لألبرشت دورر كان يستخدمها الهولنديون القدامى. إن ذلك يجعل المقارنة ممكنةً بين نِسب الأشياء القريبة في متناول اليد وتلك الموجودة في مستوى أبعد، في تلك الحالات التي يكون فيها البناء وفق قواعد المنظور مستحيلا. وهو الذي لو صنعته بمجرد النظر فسيخرج غير صحيح ما لم تكن ذا خبرة ماهرا.

لم أتمكن من فعل الشيء من المرة الأولى، لكنني نجحت في النهاية بعد أن حاولت لفترة طويلة بمساعدة النجار والحداد. وأعتقد أنه بمزيد من العمل من الممكن أن أصل لنتائج أفضل.

سيسعدني أن يكون في خزانة ملابسك سترة وبنطال مناسبان لي لم تعد أنت ترتديهما.

لأنني لو اشتريت شيئا فأنا أحب أن يكون عمليا وملائما للعمل في التلال أو في الداخل، لكن ملابسي للخروج قد صارت رثة. وبينما أنا لا أخجل من الظهور في الشوارع في حلة رخيصة عندما أخرج للعمل، فأنا أتحرج من ملابس السيد المهذب التي تعطي انطباعا بأنه سيد مهذب خالفه الحظ. ومع ذلك فإن ملابسي اليومية ليست رديئة تمامًا، فلدي كريستين الآن لتعتني بها وتجري إصلاحات بسيطة.

وأنهي هذه الرسالة بأن أقول لك مرةً أخرى إنني أتمنى بعمق ألا ترى العائلة في ارتباطي بكريستين علاقة محرّمة. وهو ما سأراه عدوانيًا بشكل لا يوصف وسيعمل

على توسيع الفجوة بيننا. وما أتمناه ألا يتدخّلوا بنصائحهم البالية ليمنعوني من البقاء معها. أعني من نوع التصرف نفسه عندما أراد أبي شحني إلى مصحة جيل. إن التكهنات حول الميراث التي ذكرتها هي خارج الموضوع بوضوح، لأنه لا ميراث لي على حد علمي، وحقيقةً لا يمكن أن يكون هناك لأنه لا يوجد شيء. أعتقد أنه لا توجد نقود بالمعنى الحرفي للكلمة في البيت. والشخص الوحيد الذي أشترك معه في الاسم والذي كنتُ لأرث منه شيئًا في ظروف مختلفة هو العم سنت، لكنني على خلاف معه منذ سنوات عديدة وعلى عدة مستويات وبطريقة يبدو معها أنها غير قابلة للحلّ كما لو كنت تلميذه، لأني أنا نفسي ما كنت لأرغب في ذلك، وبالطبع هو لم يعد لديه أدنى تفكير في مثل هذا الأمر، وعلى الرغم من ذلك، فأنا أتمنى ألا تحدث فضيحة عامة عندما ألتقيه في المرة القادمة كما حدث في العام الماضي. والآن أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت

المحفورات الخشبية

١ دفتر لأنماط أيرلندية، عمال مناجم، ومصانع، وصيادو أسماك... إلخ... وفي معظمها تخطيطات صغيرة بالقلم

١ " مناظر طبيعية وحيوانات، بودمير، وجياكوميلي ولانسون وأيضًا بعض المناظر الطبيعية

١ " عمال في الحقول لميه، وأيضا بريتون، وفاين بيران ومطبوعات إنجليزية لـ هيركومر وبوتون وكلاوزن... إلخ.

لانسون

١ " جافارني، ملحق به لوحات ليتوغراف، لكن ليست من النوادر

١ " اد. موران

١ " جي دوريه

١ " دي موربيه، لوحات متعددة

٢٣٧ | لاهاي، نحو الخميس ٨ يونيو (حزيران) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

المستشفى المحلي (الدرجة الرابعة، جناح ٩، رقم ٦)

بروفرسجراخت

عزيزي تيو،

هل لك أن تأتي إلى هنا نحو نهاية يونيو، وأرجو أن تجدني قد عدت للعمل، لكنني في المستشفى في الوقت الحالي، وقد أظلّ هنا لمدة أسبوعين. فلمدة نحو ثلاثة أسابيع وأنا أعاني بشكل كبير من الأرق والحمى المزمنة وشعور بالألم عند التبول. والآن اتضح أنني مصاب بدرجة بسيطة من التهاب تناسلي. وعليه كان لا بد أن أرتاح في السرير، وأن أبتلع الكثير من أقراص الكينين، وأحيانًا إجراء تقطير بالماء الصافي أو بماء الشب، وبالتالي هو ليس مؤذيا بذلك القدر. فلا يوجد سبب لكي تقلق من أجل هذا، ولكن كما تعلم فالمرء ينبغي أن يأخذ هذه الأشياء بالجدية الكافية، وأن يتصرف في الحال، لأن الإهمال قد يجعلها تتفاقم وتصبح غير قابلة للشفاء. وخذ حالة برايتنر الذي لا يزال هنا، ولكن في جناح آخر، وربما يغادر قريبًا ـ وهو لا يعرف أنني هنا.

سأكون ممتنا لو لم تأت على ذكر ذلك، لأن الناس أحيانا يعتقدون أنها أمر خطير أو يجعلونه يبدو خطيرًا بتداول قصص مبالغ فيها. وبالطبع أنا أخبرك بالتحديد ما هو الأمر، وأنت لست بحاجة للكتمان ولو سألك أحدهم بشكل مباشر، وفي كل الأحوال لا داعي لأن تقلق. وبشكل طبيعي كان عليّ أن أدفع لأسبوعين مقدمًا عشرة جيلدرات ونصفًا لنفقات التمريض. لا يوجد فارق في الطعام أو العلاج بين من يدفع العمل الخيري نفقات علاجهم وأولئك من يدفعون عشرة الجيلدرات والنصف

بأنفسهم. هناك عشرة أسرّة في الجناح، ولا بد أن أقول إن العلاج جيد جدًا من كل النواحي. لست ضجرًا والراحة والعلاج الطبّي العملي يجعلاني في حالة طيبة.

لو كان ملائمًا لك، فتكرم بإرسال خمسين فرنكا نحو ٢٠ يونيو على العنوان المكتوب أعلاه، ولكن ليس في خطاب مسجل. كما تعرف، فقد استلمت مائة فرنك في أول يونيو، وعليه فأنا سيتم الاعتناء بي في كل الأحوال. لو كان لي أن أبقى فترة أطول، فسأدفع الفارق الإضافي وأبقى، وسيتبقى معي ما يكفي لأرجع به.

أفضل أن أعود للعمل خلال أسبوعين، بالطبع، وأنا أتحرّق شوقًا للعودة إلى التلال في أسبوعين.

جاءت كريستين لرؤيتي في أيام الزيارة وهي تعتني بمرسمي. والآن يجب أن أخبرك بأنني استلمت رسالة من العم كور قبل أن آتي إلى هنا بيوم، وهو يتكلم فيها كثيرًا عن "اهتمامه" بي، وهو ما أبداه السيد ترستيج أيضًا حسب كلامه، لكنه يكمل، أنه غير موافق على الجحود الذي أبديته حيال اهتمام ترستيج. فليكن. ها أنا أرقد هنا في سلام وهدوء الآن، لكن أؤكد لك يا تيو، أنني سأدخل في مزاج سيئ جدًا لو أن أحدهم أولاني اهتمامًا من نوع اهتمام ترستيج نفسه في بعض المناسبات. وعندما أفكر كيف تمادى سيادته في هذا الاهتمام لدرجة تجرُّئه على مقارنتي بمدمني الأفيون، فأنا أندهش أنني لم أبدِ اهتمامي بأن أقول له اذهب إلى الجحيم.

إن الكلام عن تعاطي الأفيون، والراحة والفخامة ونوع المجد الذي يتحرك فيه ترستيج، وجرعات التملّق القوية التي يمدّه بها زواره هي ربما أشياء تُشوِّش سيادته الآن ودائما دون أن يتحقق من ذلك.

باختصار، فعلى الرغم من كل تهذبه الراقي السطحي، وكل أخلاقه المتحضّرة سطحيًا وملابسه الأنيقة وما إلى ذلك، ومع أخذ كل ذلك في الاعتبار فأنا أجد شيئا خبيثا في شخصية سيادته. لم أكن أتمنى ذلك، لكن لا أستطيع أن أمنع نفسي من قولها. لا أشك، ولا لحظة واحدة أن سعادته رجل ذكي، لكن ثمة سؤالًا آخر ينطرح على

ذهني قبل أن أستطيع احترامه: هل هو رجل طيب، أي أنه شخص لا يعمد إلى زرع الكراهية، والحقد، والمشاحنات والتهكم داخل نفسه. هذا هو السؤال.

لم أرد على رسالة العم كور تلك، ولن أرد. أقدّرُ أن سيادته قد قال لي، من باب اهتمامه لا شك، إنه سيشتري شيئا آخر لاحقًا، ذلك إن كان يعنيها حقًا، وهو ما سيثبته الزمن.

ثمة سبب آخر لعدم الندم على الرقاد هنا في هدوء لعدة أيام، فلو احتججت فمن الممكن أن آخذ بيانًا رسميًا من الطبيب هنا يفيد بأنني لست الشخص الذي يجب إرساله إلى مصحة جيل وأنه لا يمكن الحجر علي قضائيًا.

ولو لم يكن ذلك كافيًا، فبإمكاني ببعض المجهود أن أحضر شهادة أخرى من الأستاذ الأخصّائي في عيادة لايدن.

لكن ربما يكونون عباقرةً بشكل خارق هؤلاء الأشخاص المقتنعون بأن العائلة أو المجتمع سيكونان أفضل حالًا لو أن شخصًا مثلي اعتُبِر مجنونًا أو حُجِرَ عليه قضائيًا - بحيث إنهم في حالات مماثلة يفهمون أفضل من الطبيب الذي هنا مثلاً.

على كل حال، فإن رسالة منك ستسبب لي متعة عظيمة في هذه اللحظة.

كريستين تتجهز للمغادرة. أفكر فيها كثيرًا، وأتوقع مجيئها ثانية لاحقا. ربما نخرج من ذلك في سلام.

لقد قاومت على قدر استطاعتي وواصلت العمل، لكن في النهاية تحققت من أني يجب أن أرى طبيبًا بشكل عاجل. لكنه أخبرني هذا الصباح فقط أنني سأتخلص من هذا في القريب. هل استلمتَ الرسمتين الصغيرتين؟

وداعًا، مع مصافحة، وأتمنى لك حظًا سعيدًا على قدر ما يحتمل الشخص.

المخلص دوما،

فنسنت

لا بد أن أقول لك إن سابقة مصحة جيل، حين كانوا يريدون أن يحجروا عليّ قضائيا على أرضية طبية ستجعل من الصعب على العائلة أن تغيّر القصة الآن ليبحثوا عن أسباب مالية بدلا من الطبية. لن تصمد مثل هذه الحجج. ومرة أخرى أرجو ألا يصلوا إلى هذا الحد.

اكتب لي قريبًا، لأنني أتوق إلى رسالة.

أنت تفهم يا تيو أنني لا أناقش أمور العائلة مع الطبيب هنا أو مع الأستاذ الأخصّائي في لايدن، لكن لأنني عولجت من قبل الأول هنا وعولجت كريستين من الأخير، فلن يكلف الأمر سوى كلمة مني كحلٍّ أخير لأؤمن شهادة هذين السيدين لتواجه أي موقف من حفنة الأشخاص الذين ذكرتهم.

٢٤٢ | لاهاي، الأحد ٢ يوليو (تموز) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

مساء الأحد

عزيزي تيو،

كما كتبت لك بالأمس، فقد ذهبت إلى لايدن. لقد وضعت كريستين مولودها الليلة الماضية، وقد كانت عملية الولادة صعبة، لكنها نجت بفضل الرب، هي ومولودها الصغير الجميل والمرح. ذهبنا إلى هناك أنا وأمها وطفلتها - وبإمكانك أن تتخيل كم كنا متوترين ونحن لا نعرف ماذا سنسمع عندما نستعلم عنها من الممرضة في المستشفى، وكم كنا فرحين إذ قيل لنا: وضعت الليلة الماضية، لكن لا يجب أن تكلموها كثيرًا... لن أنسى أبدًا "لا تكلموها كثيرا" لأنها تعني "لا يزال بالإمكان الكلام معها" وقد كان من الممكن أن تكون "لن تكلموها ثانيةً أبدًا". كنت سعيدًا جدًا يا تيو عندما رأيتها ثانيةً، وقد كانت راقدة بالقرب من نافذة تطل على الحديقة الخضراء

المشمسة في نوع من التراخي بين النوم واليقظة، ثم نظرت فرأتنا جميعًا. آه يا صديقي، يا للنظرة التي كانت بعينيها وقد كانت مسرورة لرؤيتنا جميعًا، ولأننا بالصدفة كنّا هناك بعد اثنتي عشرة ساعة من الحدث، فيما يسمح للزوار بالدخول مرة واحدة فقط في الأسبوع. وقد تهللت أساريرها واستعادت وعيها في ثانية، وسألت عن كل شيء.

لكن ما لا أستطيع تجاوزه هو الطفل، فعلى الرغم من أنه ولِدَ بالجفت فهو لم يؤذ مطلقًا، وكان يرقد في المهد وعلي هيئته سيماء الحكمة الدنيوية.

إنهم أذكياء جدًا، هؤلاء الأطباء. فقد كان الوضع حرجًا بكل المعاني. كان هناك خمسة أساتذة حاضرون عندما حدث الأمر، وقد تم إعطاؤها الكلوروفورم. قبل ذلك كانت قد تحملت الكثير لأن الجنين ظل عالقًا منذ التاسعة مساء حتى الواحدة والنصف صباحًا. وهي لا تزال في ألم كبير. لكنها نسيت كل هذا عندما رأتنا، حتى إنها قالت لي، إننا سنعاود الرسم قريبًا، وأنا لا أملك أي اعتراض إن كانت توقعاتها صحيحة. لا يوجد تعجّل أو شيء يمكن أن يحدث بسهولة في مثل هذه الحالة.

بحق الآلهة، أنا أشعر بامتنان عميق. لكن الظلال القاتمة لا تزال تهدد، والمعلم ألبرشت دورر كان يعرف هذا عندما وضع شبح الموت خلف الزوجين الشابين في المحفورة التي تعرفها جيدًا. لكن يجب أن نأمل أن تظل الظلال مجرد ظلال وتمضي. حسنا يا تيو، كما تعرف جيدًا، لو لم أكن قد تلقيت مساعدتك فربما لم تكن كريستين هنا. وشيء آخر - لقد طلبتُ من كريستين أن تسأل الأستاذ أن يُجري لها فحصًا دقيقًا، لأن أحيانا يكون لديها ما يسمونه الإفرازات البيضاء. وقد فعل، ونصحها بما يجب أن تفعل كي تشفى تماما.

وقد قال إنها شارفت على الموت أكثر من مرة، خاصة في أثناء مرض الحنجرة الأخير، في إجهاض سابق، ثم في الشتاء الماضي، حيث أصابها الهزال بشدة من حياتها المضطربة الصاخبة، عامًا بعد عام، والآن بعد أن كفت عن مثل هذه الحياة فهي تتعافى بإرادتها، شريطة ألا يكون هناك مضاعفات، ومع الراحة، والمقويات، والكثير من الهواء النقي والامتناع عن العمل الشاق.

وعندما تتخطى بؤسها القديم، ستكون هناك مرحلة جيدة تماما في حياتها: لن تستعيد ربيعها ـفقد مضى، وقد كان قاسيًا على كل حال– لكن بعثها الثاني يمكن أن يكون أكثر نضارة. أنت تعرف كيف في منتصف الصيف، عندما تكون الحرارة العظيمة قد مضت، تطلق الأشجار وريقات صغيرة يانعة، طبقة جديدة من الأخضر فوق القديمة الشاحبة.

أنا جالس أكتب لك بالقرب من أم كريستين في نافذة تطل على ما يشبه الفِناء. وقد رسمته مرتين، مرة صغيرة ومرة كبيرة. الاثنتان من نصيب كور، وقد حازتا إعجاب رابارد لا سيما الكبيرة. أود لو تراهما إذا زرت كور، لأنني أريد أن أعرف رأيك، خاصة في الكبيرة. متى ستأتي؟

أتوق إلى رؤيتك. ولتعلم يا صديقي أنني سعيد اليوم حد البكاء. أشكرك على كلّ شيء يا صديقي، صدقني وتقبل مني مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٤٤ | لاهاي، الخميس ٦ يوليو (تموز) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

أخي العزيز،

استلمت رسالتك ومائة الفرنك المرفقة، فشكرًا جزيلًا عليها، وقد شعرت بالحاجة إلى الكتابة لك ثانية على الفور. لأنني أعتقد أنها ستكون فكرة جيدة لو شرحت لك بإخلاص، وعلى قدر معرفتي، وبكامل جديتي بعض الأمور التي يجب أن تنتبه لها وتفهمها. لذلك آمل أن تقرأ هذه الرسالة على راحتك وبكل صبر، لأن أشياء كثيرة تتوقف عليها بالنسبة لي. في صباح الغد سوف أعود إلى المستشفى وسوف

أرقد هناك هادئًا لو عرفت أنك قد علمت بكل شيء بكل وضوح على قدر ما تسمح المسافة.

كنت أود أن تكون حاضرًا للغاية، فأستطيع إطلاعك على كل شيء ومناقشة الأمور معك هذه الظهيرة. لكن دعنا نأمل أن يحدث ذلك في أغسطس. وقبل أن أستغرق في أمور أخرى، لا بد أن أقول لك إنني قد تأثرت للغاية من فقرة في رسالتك تصف فيها باريس ليلًا. لأنها أثارت ذكرى لدي أيضًا عندما رأيت باريس "غارقة في الرمادي"، وقد صدمني ذلك التأثير الغريب جدا، وبالشكل الأسود الصغير والحصان الأبيض المميز الذي يظهر رقة هذا الرمادي تماما كهذا. تلك اللمسة من العتمة وتلك الدرجة من الأبيض هما مفتاح التناغم. ولكن مؤخرًا في المستشفى، وكما يحدث، فإن فنانًا وصف باريس الرمادية باقتدار ترك لدي انطباعًا قويًا. في "صفحة من الحب" لإميل زولا وجدت العديد من المناظر المدينية وقد رسمت أو صوِّرت بأستاذية، وبطريقة عظيمة، وبالكامل كالإحساس في الفقرة البسيطة من رسالتك. وبسبب هذا الكتاب الصغير لزولا سوف أقرأ كل شيء له، وكنت لا أعرف منه حتى الآن سوى شذرات قليلة: واحدة منها حاولت أن أرسمها "ما أريده" (بالفرنسية). وقطعة أخرى يصف فيها فلاحة عجوزًا كانت تماما كرسمة لميه. لديك شيء فني عظيم فيك يا شقيقي، ارعَه، دعه أولا يغرس جذوره بشكل أو بآخر ثم يزهر، لا تعطه لأي شخص، لكن جديًا ومن أجلك أنت، فكر في الأمر، ولا تعتبره حظًا سيئًا لو أنه ركز نفسه من خلال هذا التفكير واحتل مكانًا هامًا في نشاطك. لكن ربما كنت أغامر في أرض محظورة، فيكفي هذا اليوم. فقط مرةً أخيرة، هناك رسم في وصفك القصير - وهو ملموس ومفهوم بالنسبة لي، حتى لو كنت لم تمض بعد في انطباعك للدرجة التي تجسده فيها بقوة ليقف على قدميه مرئيا وملموسا من كل شخص. إن الألم والتوتر الحقيقيين للإبداع يبدآن عند النقطة التي تترك فيها الوصف، لكنك تتمتع بذكاء الإبداع بمقياس جد حسن. والآن أنت لن تستطيع أن تمضي أبعد من هذا لأنك لم تؤمن بنفسك بعد على هذا المستوى، وإلا لكنت قد انغمست بكاملك، أي تغامر لما هو أبعد. لكن يكفي هذا. هناك "شيء ما" (بالفرنسية) في وصفك، رائحة -

ذكرى- للوحة ألوان مائية لبونينجتون، على سبيل المثال، لكنها لا تزال غائمة، كما لو كانت في الضباب. هل تعرف أن ذلك الرسم بالكلمات هو أيضًا فن، وهو أحيانا يفضح قوى خفية تكمن في الداخل، كما تفضح غيمة الدخان الزرقاء أو الرمادية الموقد؟

أنا بالتأكيد أقدر ما فعله أبي وأمي في أثناء مرضي -تذكر أني قد كتبت لك عن ذلك في وقته مباشرة- كما أثمن زيارة ترستيج. وأيا كان، فذلك ليس السبب أنني لم أكتب لأبي وأمي عن كريستين أو أي شيء آخر، وأرسلت لهم فقط كلمة مختصرة لأخبرهم عن شفائي. وهاك السبب. لأن هناك شيئًا باقيًا مما حدث في الصيف الماضي وهذا الشتاء يضع حدا بين الماضي والمستقبل كحاجز حديدي. لا أنتوي على الأقل الذهاب بالطريقة نفسها كالعام الماضي لأبي وأمي لأسألهما النصيحة أو الاستشارة، لأنه قد صار واضحًا بالنسبة لي أن هناك فارقًا كبيرًا بين طريقتينا في التفكير وموقفنا من الحياة. ومع ذلك، فلديّ رغبة قوية في الاحتفاظ بالسلام وأن أقنع أبي وأمي بأنه لم يكُن من الحق أن يكونا ضدي باعتقادهما أني كنت مجرد شخص حالم لا يستطيع التصرّف. وأقول إنّهما كانا مخطئين في رأيهما أن مقاربتي للموقف كانت غير عملية مما استوجب توجيههما لي.

صدقني يا تيو، أنا لا أقول ذلك بدافع من مرارة أو ازدراء واحتقار لأبي وأمي -أو لأعظّم نفسي- لكن فقط لأساعدك على إدراك حقيقة واحدة هي أن أبي وأمي ليسا من ذلك النوع من الناس الذي يستطيع فهمي -لا أخطائي ولا الجانب الأفضل فيّ- هما لا يستطيعان وضع نفسيهما في مكاني. والنقاش معهما لا يقود إلا للشجار. ماذا يمكن أن نفعل؟؟؟ هاك خطتي، والتي أتمنى أن توافق عليها. أتمنى أن أرتب الأمور بحيث أستطيع الشهر القادم أن أستبقي عشرة أو خمسة عشر جيلدرًا على جانب، وبعدها ليس قبلها، أريد أن أكتب لأبي وأمي لأقول لهما إن لدي شيئًا لأخبرهما به، وهو أنني أدعو أبي لتكرار رحلته على نفقتي ليقضي معي بضعة أيام.

أريد أن أريه كريستين وطفلها، وهو ما لن يتوقعه، وأيضا كيف أن البيت مضيء والمرسم بكل الأعمال قيد التنفيذ، وأن أريه نفسي بعد أن أكون قد تعافيت تماما وقتها، كما أتمنى.

من وجهة نظري فإن كل ذلك سيكون له تأثير أفضل وأعمق وأكثر جاذبية من الكلمات والكتابة. سأخبره باختصار كيف عانينا في أثناء حملها المثير للقلق خلال الشتاء الماضي، كيف ساعدتنا أنت ولا تزال تساعدنا مخلصا، حتى لو كنتَ قد سمعت عن كريستين مؤخرا فقط. وأنها بالنسبة لي لا تقدر بثمن، أولًا من أجل الحب والرابطة التي بيننا والتي قوّتها الظروف، وثانيًا لأنها منذ البداية قد كرّست نفسها كليةً، بإرادة طيبة وذكاء ومهارات عملية لمساعدتي في عملي. وأننا نرجو بكل إخلاص أن يقرّ أبي اتخاذي لها كزوجة. لا أستطيع أن أقولها بشكل آخر سوى "اتخاذي لها" لأن رسميات الزواج ليست هي ما يجعلها زوجتي، بما أنها رابطة موجودة بالفعل — شعور متبادل بالحب والتفاهم والتكافل. وكما يقول أبي عن الزواج نفسه، أعتقد أنه سيقول "تزوجها".

أحب أن يأخذ أبي انطباعًا جديدًا وواضحًا عن مستقبلي الجديد، وأن يراني هنا في محيط مختلف تماما عما يمكن أن يتخيله، وأن يطمئن تماما على مشاعري نحوه، وأن يثق في مستقبلي، وأن يضع الحَجَرَ القضائي والمصحة على مبعدة آلاف الأميال من تفكيره. هل ترى يا تيو، أنا لا أرى طريقة أو وسيلة أكثر صدقا ومباشرة مما وصفته لك لترميم العلاقة سريعا وبشكل عملي. اكتب لي ودعني أعرف شعورك نحو هذا.

والآن، فوق ذلك لا أعتقد أنه من التزيُّد أن أقول لك ثانيةً، على الرغم من صعوبة التعبير عن ذلك، ما أشعر به حيال كريستين. يخامرني الشعور أنني في بيتي عندما أكون معها، شعور أنها تجلب لي "موقدي وبيتي" معها، شعور أننا قد كبرنا معًا. ذلك شعور عميق بكثافة، جاد ولا يخلو من الظلال المعتمة لماضيٌ وماضيها الداكنين، الظلال التي كتبت لك عنها من قبل، كما لو كان هناك حقيقةً شيء كئيب يواصل تهديدنا ويجعل حياتنا حالة من الصراع الدائم. وفي الوقت نفسه، مع ذلك،

فأنا أشعر بهدوء عظيم وصفاء وانشراح بمجرد التفكير فيها وفي الطريق المستقيم الذي يمتد أمامي.

أنت تعلم أنني كتبت لك العام الماضي كثيرًا عن كي فوس، وعليه يبدو لي أن لديك صورة واضحة عمّن احتلت مكانها داخلي. لا تفكر أنني قد غاليت في وصف مشاعري لك، كان ذلك حبًا وشغفًا قويا بها، ذلك بخلاف ما قد صار مع كريستين. عندما اكتشفت في أمستردام أن لديها نوعًا من النفور مني، وهو ما لم أتوقعه، لدرجة أنها اعتبرت أن سلوكي نوع من الإكراه ولم تكن مستعدة حتى لرؤيتي، حتى إنها خرجت من بيتهم طوال فترة تواجدي فيه. وعندها –وليس قبل ذلك– تلقى حبي لها ضربة قاتلة. وهو ما تنبهت له عندما "راحت السَكْرَةُ" كما يقال، وأنا في لاهاي هذا الشتاء. في ذلك الوقت كان لديَّ شعور لا يمكن وصفه بالأسى. أعرف أنني وقتها كنت أفكر كثيرًا كثيرًا في ملحوظة رجولية للأب مييه: "دائما ما يبدو لي أن الانتحار هو فعل لرجل غير شريف".

إن الفراغ، والتعاسة الداخلية التي لا يمكن التعبير عنها، جعلاني أفكر ـ نعم، أستطيع تفهم الناس الذين يلقون بأنفسهم في المياه، فقط كنت بعيدًا عن إقرار ما يفعله هؤلاء الناس، وقد وجدت صلابةً في كلمات مييه المذكورة، وفكرت أنها أفضل مقاربة لبتماسك المرء، وبحثت عن الدواء في العمل. بالطريق التي انتهجتها وقتها كما تعرف.

من الصعب، من الصعب بشكل رهيب، ومن المستحيل حقيقةً أن أعتقد أنَّ العشق الذي تملكني العام الماضي هو ضربٌ من الوهم. وهذا ما يعتقده أبي وأمي، لكنني أقول "حتى لو كان لن يحدث أبدًا فقد كان من الممكن أن يحدث"، لم يكن وهمًا، لكن المواقف اختلفت والمنحنى الذي اتخذته الظروف أفضى إلى تباعد الطرق أكثر فأكثر بدلًا من أن تلتقي.

هكذا أرى الأمر، هذه هي أفكاري الواضحة والأمينة، كان يمكن أن يحدث لكن الآن لا يمكن أبدًا. هل كانت كي فوس محقة في نفورها مني، وهل كنتُ مخطئًا في

إصراري؟ أقرُّ بأني لا أعرف. والأمر لا يخلو من الحزن والألم حين أعاود التفكير فيها وأكتب عنها. أودّ للغاية أن أفهم بشكل أفضل لِمَ تصرفت كي فوس هكذا، وكيف كان والداي ووالداها متشائمين ومعارضين بشكل قاطع، ليس بالكلام فقط -على الرغم من حقيقة ذلك أيضًا- ولكن بدايةً وبشكل غير مباشر بالمضمون أكثر مما بالشكل، وخاصة بافتقادهم للتعاطف الحقيقي الدافئ والحي. لا أستطيع تلطيف هذه الكلمات، لكنني أعتقد أنه من الأحرى أن أنسى مزاجهم ذاك. والآن، في هذه الظروف، هي جرحٌ كبير وعميق لدي قد اندمل، لكنه لا يزال ملموسًا.

في ذلك الوقت -ذلك الشتاء- هل كنت أستطيع الشعور بـ "الحب" ثانية بعدها مباشرةً؟ بالطبع لا.

لكن هل كان من الخطأ أن الشعور الإنساني بداخلي لم ينطفئ أو يخمد، وأن حزني قد أنبت احتياجًا حقيقيًا للتعاطف مع الآخرين؟؟؟ لا أعتقد. في البداية كانت كريستين بالنسبة لي زميلًا في الإنسانية، على القدر نفسه من الوحدة والتعاسة اللتين أعانيهما. ومع ذلك فأنا لم أكن يائسًا، كنت في الحالة الذهنية الملائمة تمامًا كي أكون قادرًا على إعطائها بعض المساعدة العملية، وهو ما كان في الوقت نفسه بالنسبة لي حافزًا كي أواصل. ولكن تدريجيًا وببطء نما شيء آخر بيني وبينها. احتياج أكيد من كلٍّ منا للآخر. فبقينا أنا وهي متقاربين، نتداخل في حياة بعضنا البعض شيئًا فشيئًا، ثم كان الحب.

لا بد وأنني يا تيو ألمس نقطة قد تكون مؤلمة لديك والتي قد تجعلك تفهم ما أعنيه. في الماضي كان لديك أنت أيضًا ما يسميه أبي وأمي "وهمًا" تجاه امرأة من الشعب، ولم يسفر ذلك عن شيء لا لأنك لم تستطع أن تشق طريقك في الحياة، ولكن لأن الأمور اتخذت مسارًا مختلفًا، ومن وقتها وأنت تأقلمت مع الحياة في طبقة أخرى حيث ترسخت أقدامك الآن. وفي حالتك لم يثر ذلك أي تعليق، وعلى الرغم من أن ذلك الحب الأول لم يسفر عن شيء، فربما أسفر الحب الجديد عن شيء، وسوف تنجح. وفي رأيي أن طريقك ليس أن تأخذ امرأة من الشعب، في حالتك ما يمكن أن نسميه وهمًا هو المرأة الشعبية؛ والواقع بالنسبة لك أصبح امرأة من طبقة كي فوس نفسها.

وبالنسبة لي، فهو الطريق العكسي: كانت كي فوس هي الوهم (على الرغم من أنني أعتقد أن الكلمة أو التعريف لم يكن صحيحًا أو دقيقًا في حالتك أو حالتي) وصارت المرأة الشعبية هي الواقع.

هنالك فرق بين حالتك وحالتي على عدة مستويات. كان فشلك وأنت في العشرين، وفشلي كان العام الماضي. ولكن على الرغم من أن كلينا عانى من الوهم، أو الفشل أو سمه ما شئت -حقيقة لا أعرف ماذا أسميه- فإن ذلك لا يستبعد شيئا أكثر واقعية، سواء لديك أو لدي. إذ إنني واثق أن أيًا منا لم يخلق ليكون أعزبَ.

ما أريد أن أوضحه هو: إن ما بيني وبين كريستين لهو أمر حقيقي؛ هو ليس حلمًا، إنه واقع. وأنا أعتبر أنها مباركة عظيمة أن أفكاري وطاقتي على العمل وجدت بؤرة ووجهة محددة. وبينما قد يبدو أنني كنت أكثر ولعا بكي فوس، وأنها بشكل ما كانت أكثر جاذبية من كريستين، فمن المؤكد أن حبّي لكريستين ليس أقل صدقًا تبعًا لذلك. فالظروف خطيرة جدًا، وكل شيء يدعوك للتصرف واتخاذ خطوات عملية، وقد كان الأمر كذلك منذ قابلتها للمرة الأولى.

وباستطاعتك أن ترى النتيجة. فلو جئت الآن فلن تجدني مغتمًا أو كئيبًا. لكنك ستجد مشهدا سيجعلك راضيًا أو على الأقل مثل ذلك. مرسم شاب، وبيت لا يزال شابًا وبكامل طاقته.

إنه ليس مرسمًا غامضًا أو سحريًا، إنما مرسم ضرب جذوره في الحياة الواقعية، مرسم به مهد طفل وقصرية لقضاء الحاجة. وحيث لا يوجد ركود وكل شيء يتطلب النشاط ويحث عليه.

والآن لو جاء أحدهم ليقول لي إنني فقير، فسأريه مكاني هنا. لقد فعلت ما بوسعي، يا شقيقي كي أضمن أنك سترى (لا أنت فقط لكن أي شخص له عينان) أنني أحاول، وأحيانا أتمكن من معالجة الأمور عمليًا، بشكل سليم.

هذا الشتاء كان لدينا حمل المرأة وتسوية نفقاتي. والآن قد وضعت المرأة، وأنا سقطت مريضًا لأربعة أسابيع -ولم أتحسّن حتى الآن- على الرغم من كل ذلك فالمكان نظيف ومشرق ومرتب، وعندي جزء كبير من الأثاث والفرش وأدوات التصوير.

لقد تكلّف ذلك ما تكلفه، ولتكن متأكدا أنني لن أسيء تقدير ذلك، لكن نقودك لم تذهب هباءً. لقد أسفرت عن مرسم جديد وهو ما لم أكن أستطيع أن أفعله دون مساعدتك، ومنه ستطلع رسومات أكثر فأكثر وبالتدريج، لكنه لا يزال يحتاج إلى قطع أساسية من الأثاث والأدوات، التي تحتفظ بقيمتها.

هل ترى يا عزيزي، لو جئت الآن إلى بيت مليء بالحياة والنشاط، وأنت تعرف أنك مؤسسه، ألن يسبب لك ذلك شعورًا خالصًا بالرضا، أكثر مما لو كنت أنا مجرد أعزب يقضي حياته في الحانات؟ هل كنت تراها غير ذلك؟؟؟ أنت تعرف أنني لم أكن سعيدًا على الدوام، وأحيانا بائسا بشدة، والآن بفضل مساعدتك أستعيد شبابي ونموي الحقيقي.

والآن أتمنى ألا تغضّ بصرك عن هذا التغير العظيم، حتى لو اعتقد الناس أنك مجنون لأنك ساعدتني ولا تزال تساعدني. وأن ترى في الرسومات الحالية البذور التي كانت موجودة في الرسومات الأخيرة. سأبقى لفترة أخرى في المستشفى ثم أعود للعمل، وستجلس المرأة والطفل لي ليرسما.

من الواضح بالنسبة لي كضوء النهار أن المرء يجب أن يشعر ما يفعله، وأن يعيش في واقع حياة الأسرة لو كان يريد أن يرسم حياة الأسرة بحميمية - امرأة وابنها، امرأة تغسل الملابس أو تحيك أو ما إلى ذلك. وكنتيجة للعمل المثابر تصبح اليد تدريجيًا مطيعة لذلك الشعور. لكن لو أخمدت هذا الشعور، والقوة التي أستمدها من أسرتي الخاصة فإن ذلك يكون انتحارًا. لذلك أقول إنه على الرغم من الظلال المعتمة، والهموم والمصاعب وأيضًا عبر تدخل الناس والنميمة. يا تيو -لا تخطئ- على الرغم من أنني، كما قلت أنت محقًا، أبقى بعيدًا عنها، فإنها تطعنني أحيانا في روحي. لكن

هل تعرف لِمَ لم أعد أتجادل معهم وأبقى بعيدا؟ لأنه يجب أن أعمل ولا أدع روحي تنجرف بعيدا عن مسارها بالنمائم والصعوبات.

لكنني لا أبقى بعيدًا لأنني خائف منهم أو لأنه تعوزني الحجة. وأيضًا فقد لاحظت أنهم لا يقولون شيئًا في حضوري، وحتى أنهم يعلنون أنهم لم يقولوا شيئا قط. وبالنسبة لك، فبما أنك تعرف أنني لا أتورط في هذا حتى لا تستثار أعصابي ومن اجل عملي، فستكون قادرًا على أن تفهم موقفي، ولن تعتقد أنه نوع من الجبن مني، أليس كذلك؟

لا تعتقد أنني أظن في نفسي الكمال، أو أنني لا أعتقد أنه كان خطئي أنا أن بعض الناس يظنون أنني شخص كريه. أنا في أحيان أكون مكتئبا بشكل عدواني، وسريع الغضب -أتوق للتعاطف كما لو كان نوعا من العطش أو الجوع- وأصبح لا مباليًا، وحادًا، وأحيانا أسكب الوقود على اللهب لو لم أنل التعاطف. لا أستمتع بالصحبة، ولا بالتعامل مع الناس والتحدث معهم، وهو غالبًا مرهق وصعب بالنسبة لي. ولكن هل تعرف من أين يأتي معظم أو كل هذا؟ فقط من استثارة الأعصاب، فأنا شديد الحساسية جسديا ونفسيا، وقد أُصبت بذلك خلال السنوات التي كنت فيها بائسا بعمق. اسأل طبيبًا إن كان يمكن تفسير حالاتي المزاجية المتقلبة أو فترات الاكتئاب بذلك، وهو سيفهم على الفور إن الأمر لا يمكن أن يكون غير ذلك بعد الليالي التي قضيتها في الشوارع الباردة أو في العراء، والقلق بخصوص كسب العيش، والتوتر الدائم لأنني بلا عمل حقيقي، والحزن مع الأصدقاء والعائلة كان ثلاثة أرباع السبب وراء صعوبة مزاجي.

لكن لا أنت ولا أي شخص يتكبد عناء التفكير في ذلك، سيدينني، كما أرجو، أو يجدني غير محتمل بسبب هذا. أنا أكافح هذا، لكن هذا لا يبدّل مزاجي. وحتى لو كان وفقا لذلك لدي جانب سيئ، فبحق الشيطان، فأنا لدي أيضا جانبي الطيب، ألا يمكنهم أن يأخذوا ذلك أيضًا في الاعتبار؟

اكتب لي إن كنتَ تقرّ خطتي بإخبار أبي وأمي وإصلاح العلاقة معهما. لا أشعر بأدنى رغبة في الكتابة عن الأمر أو مناقشته وإلا فسأرتكب خطئي المعتاد بالتعبير بطريقة أو بأخرى يعتبرونها هجوما. أعتقد أنه عندما تكون المرأة قد عادت مع طفلها، وأكون قد تعافيت تماما وخرجت من المستشفى، والمرسم يعمل، عندها سأود أن أقول لأبي: تعال زرني واقضِ معي بضعة أيام لنتكلم عن كل ذلك. ثم سأرسل نفقات السفر كنوع من الضيافة. لا أرى خطةً أفضل من ذلك. الوداع، وأشكرك على كل شيء، مصافحة، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٤٩ | لاهاي، نحو ٢١ يوليو (تموز) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

أخي العزيز،

الوقت قد تأخر لكني أردت أن أكتب لك ثانيةً. أنت لست هنا مع أني في حاجة إليك، ويبدو لي كأننا لم نفترق أحيانًا.

اليوم عقدت اتفاقًا مع نفسي، وهو يتعلق بمرضي، أو بالأحرى بما تبقى منه، كشيء غير موجود. ضاع ما يكفي من الوقت، ولا بد أن يُستأنف العمل.

وعليه فسواء كنت طيبًا أم لا، فسوف أرسم ثانيةً بشكل منتظم من الصباح وحتى المساء. لا أريد أحدًا آخر أن يقول "آه إنها مجرد رسوم قديمة".

لقد رسمت دراسة للمهد اليوم بها بعض لمسات الألوان.

أنا أيضًا أعمل على واحدة أخرى كالمروج التي أرسلتها إليك مؤخرًا.

أصبحت يداي أكثر بياضًا مما يقلقني، لكن ماذا أستطيع أن أفعل حيال ذلك؟ أيضًا سأذهب للخارج ثانيةً. فأنا أقل اكتراثًا بأن أنتكس من أن أظل طويلًا بعيدا عن عملي. الفن يشعر بالغيرة، وهو لا يسمح للمرض أن يحتل مكانه. ومن ثم فسوف أتركه يأخذ طريقه. وأرجو بناءً على هذا، أن تحصل في القريب على بعض الرسوم المعقولة.

الناس من أمثالي غير مسموح لهم بالمرض. لا بد أن تفهم حقيقة كيف أنظر للفن. لا بد أن يعمل المرء طويلًا وبقوة لكي يصل لما هو صادق. ما أريده وأضعه هدفًا لي لهو صعب بشكل ملعون، مع أني لا أعتقد أنني أروم الكثير. أريد أن أصنع رسوما تؤثر في بعض الناس. "الحزن" بداية بسيطة – وربما بعض المناظر الطبيعية الصغيرة كلان فان ميرديرفورت، ومروج ريجسويك، وفناء تجفيف الأسماك تعتبر أيضًا بدايات صغيرة. وهي على الأقل تحتوي على شيء مباشر من أحاسيسي الخاصة.

وسواء في الشخوص أو المناظر الطبيعية فأنا لا أريد التعبير عن مشاعر الأسى السطحية بل عن الحزن العميق.

باختصار أريد بلوغ النقطة التي يقول الناس عندها عن عملي: ذلك الرجل يشعر بعمق وبمهارة. على الرغم من خشونتي المزعومة، كما تفهم، أو تحديدًا بسببها. يبدو من الادعاء الكلام هكذا الآن، ولكن لهذا أريد أن أدفع العمل.

ماذا أكون في نظر معظم الناس؟ عدمًا أو شذوذًا أو شخصًا كريهًا، شخصًا لا يملك وضعا في المجتمع ولن يكون لديه، باختصار أحطّ من أكثر الناس انحطاطًا.

حسنًا، فلنفترض أن كل الأمور هي حقيقة كذلك، فأنا من خلال عملي أريد أن أظهر أن في قلب مثل هذا الشذوذ هناك شخصًا ما.

هذا هو طموحي الذي يتأسس على الحب بشكل أكبر من الاستياء على الرغم من كل شيء، يتأسس أكثر على الشعور بالسكينة أكثر من الشغف.

حتى لو كنت أحيانا في فوضى، فبداخلي تظل هناك السكينة، وتناغم خالص وموسيقى. في أفقر بيت صغير، في أقذر ركن، أرى رسوما ولوحات. ويتجه وعيي في هذه الوجهة كما لو كانت رغبة لا تقاوم. وبمرور الوقت، وبنحو متزايد يتم استبعاد الأشياء الأخرى، وكلما ازدادت وقعت عيني بشكل أسرع على ما هو جدير بالرسم. يتطلب الفن عملًا متواصلًا، عملًا على الرغم من كل شيء، وملاحظة مستمرة.

بالاستمرار أنا أعني العمل المتواصل، وأيضًا ألا تهمل مقاربتك بسبب ما يقوله شخص آخر. لدي آمال يا شقيقي، أنه خلال سنوات قلائل، وحتى الآن بالفعل، سترى مني تدريجيًا أشياء تعوضك عن تضحياتك.

لم أتكلّم مع مصورين كثيرًا مؤخرًا. لم أشعر مطلقًا بالحاجة إلى ذلك. لا يجب أن يصغي المرء إلى لغة المصورين، ولكن إلى لغة الطبيعة. أستطيع الآن أن أفهم، بشكل أفضل من ستة شهور مضت أو أكثر لماذا قال لي موف: لا تكلمني عن دوبريه، كلمني بدلًا من ذلك عن هذا الجانب من المنحدر، أو شيء كهذا. يبدو كلامًا فظًا، لكنه صحيح للغاية.

إن الشعور بالأشياء نفسها، بالواقع، هو أهم من الشعور بالتصوير، وهو على الأقل منتج أكثر ويمنح الحياة.

ولأنه لدي الآن حس كبير ومتسع بالفن وبالحياة نفسها، جوهرها هو الفن، فإنه يبدو لي أنه من الصخب والزيف أن يكون هناك أناس مثل ترستيج محل مثل هذا الاهتمام.

من جانبي فأنا أجد سحرًا خاصًا في العديد من لوحات التصوير الحديث لا أجده في اللوحات القديمة. بالنسبة لي فإن واحدًا من أرفع التعبيرات وأنبلها عن الفن هو دائما في الفن الإنجليزي، ميليه على سبيل المثال وهيركومر وفرانس هول. وما أعنيه من فارق بين الفن القديم والمعاصر هو: ربما يكون الفنانون المعاصرون مفكرين أكثر عمقًا.

هناك فرق آخر عظيم: في الإحساس بين "أكتوبر البارد" لميليه و"أراضي أوفر فين البيضاء" لرويزديل على سبيل المثال، وكذلك بين "المهاجرون الأيرلنديون" لهول و"نساء يقرأن الكتاب المقدس" لرمبرانت.

إن رمبرانت ورويزديل جليلان بالنسبة لنا كما لمعاصريهم، ولكن هناك شيئًا في المصورين المحدثين يحدث تأثيره فينا بقوة بما هو أكثر شخصانية وحميمية.

وهكذا الأمر في محفورات سوين الخشبية، وتلك التي للأساتذة الألمان القدامى أيضًا.

لقد كان خطأ منذ سنوات قلائل عندما تبنى المحدثون صرعة تقليد الأساتذة القدامى.

ولذا أعتبر أن ما قاله الأب ميه صحيح جدًا: أعتقد أنه من العبث أن يريد الناس أن يبدوا غير ما هم عليه. تبدو لي تلك ملحوظة غير معروفة وهي عميقة بشكل لا يسبر غورها كالمحيط، وبالنسبة لي فأنا أعتقد أن من المستحسن العمل بها عن ظهر قلب في كل الأمور.

فقط أردت أن أخبرك أنه لا بد من استعادة العمل المنتظم مهما يكن، وأريد أن أضيف أنني أتوق بشدة لخطاب منك، وأيضًا أتمنى لك ليلة سعيدة.

وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

برجاء تذكر ورق إنجر السميك إن استطعت، ومرفق عينة منه. لا يزال لدي ما يكفي من الرقيق. بإمكاني تبليل الألوان المائية على ورق إنجر السميك، وعلى ورق سان فان، إنها دائما ما تطمس دون أن يكون ذلك خطئي.

سوف أرسم المهد، مائة مرة بصرف النظر عن تلك التي رسمتها اليوم. مع المثابرة.

٢٥٠ | لاهاي، الأحد ٢٣ يوليو (تموز) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

الأحد صباحًا

عزيزي تيو،

استلمت رسالتك والخمسين فرنكا المرفقة. وأشكرك بشدة عليهما، وقد سررت لأنك أعطيتني بعض التفاصيل عن زيارتك.

هل تظن أن بإمكاننا الاتفاق أنه بينما أنت هنا سنمضي الوقت المتبقي بعد أعمالك وزياراتك معًا، ثم نفعل ما بوسعنا كلانا لنكون في المزاج نفسه الذي كنا فيه في الماضي عند طاحونة رايسويك؟

بالنسبة لي يا صديقي -فعلى الرغم من أن الطاحونة قد ذهبت ومعها السنوات وشبابي الماضي بلا رجعة- فما عاود الاستيقاظ داخلي هو الإيمان بأن هناك شيئًا طيبًا وأنه مما يستحق بذل المجهود وأن يفعل الإنسان ما في وسعه ليتعامل مع الحياة بجدية. هذا الآن هو ربما أو بالتأكيد متجذر فيّ بقوة أكثر مما كان في الماضي، عندما كانت خبرتي أقل.

والأمر بالنسبة لي الآن أن أحاول أن أعبر عن شعرية تلك الأيام في الرسوم.

تقاطعت رسالتك لي مع رسالتي التي أخبرتك فيها أنني قررت معاودة العمل بانتظام، سواء كنت بحالة جيدة أم لا.

حسنا، هذا ما قد فعلته وأنا أشعر بتحسن، وعلي أن أبذل المزيد من الجهد للمحافظة على ذلك. لكن العمل في حد ذاته يجعلني في حالة صفاء ذهني أكثر فأكثر. ففي الآخر لم أعد أحتمل عدم قدرتي على الرسم. سيكون لدي لوحتان بالألوان المائية في انتظارك عندما تأتي يا أخي. بحق الإله، فإن المرسم يعمل بشكل جيد جدًا. تذكر، الشتاء الماضي قد قلت: خلال عام سيكون لديك لوحات ألوان مائية.

هذه اللوحات فقط لتريك أنه إذا اشتغلت على الرسم، فصحة النسب والمنظور تستفيد منها أيضًا في العمل بالألوان المائية.

ولنفسي فأنا صنعتها لأختبر إن كنت أجد العمل بالألوان المائية قد صار أسهل، بعد فترة (نحو ستة أشهر) لم أفعل فيها سوى الرسم، وثانيًا لأرى إن كنت لا أزال بحاجة لأن أعمل أكثر على الرسم التحتي أو التأسيسي والذي يتوقف عليه كل شيء.

هناك مناظر طبيعية شديدة الصعوبة في تخطيطها، لتعقد المناظير، ولكن تحديدًا لهذا السبب فهناك شخصية وإحساس هولندي حقيقي فيها. هي تشبه اللوحات الأخيرة التي أرسلتها إليك، وهي لا تقل عنها في الوعي بالتخطيط، فقط هناك الآن أيضًا: لون المروج الأخضر اللطيف وهو يتضاد مع السقف القرميدي الأحمر، وضوء السماء تطلقه الدرجات المُطفأة للمقدمة، وساحة بها طين وحطب رطب.

في معرض حكمه عليّ، يبدأ ترستيج دائمًا من فرضية أنني غير قادر على أي شيء وأنني لست نافعًا لأي شيء. وقد قال لي ذلك بنفسه: "سيصير الشيء نفسه في احترافك للتصوير كما في كل الأشياء التي شرعت فيها، لن يفضي ذلك إلى أي شيء". هكذا كان يتكلّم الصيف الماضي وهكذا يتكلّم الآن، ومن ثم فقد أخبرته أنه يسعدني ألا أزوره أو أراه هنا لستة الأشهر القادمة. إذ إن مثل هذا الكلام يعيقني ويكئبني.

لا بد أنك تفهم هذا، وكنتيجة لذلك لم يعد لدي أدنى اهتمام به، وأنا سعيد لأنه فهم أخيرًا الآن بشكل كامل وواضح أنه قد صار لدي نفور منه في الأشهر الأخيرة، وبالأحرى لن تكون لي علاقة به. سأواصل العمل بهدوء، وبإمكانه أن يقول ما يطرأ على رأسه أو يملأ قلبه من أشياء عبثية عني.

وما دام هو لا يعيقني عن عملي، فسوف أتناسى أمره.

كان الأمر مُختلفًا عندما قال الشتاء الماضي إنه سيتدخل حتى لا أحصل على أي نقود منك. فكتبت لك عن ذلك بعدها مباشرةً.

لكن لن أكتب لك عنه بعد ذلك حتى يحدث شيء مماثل مرةً أخرى. سوف أعتبر نفسي مخبولًا لو ركضت وراءه قائلًا يا سيد ترستيج يا سيد ترستيج أنا مصور حقيقي كباقي المصورين على الرغم من كل حُججك.

لا، هو يبدو لي كنوع من ضبط النفس، وتحديدًا لأن (ما هو فني) هو حقيقة في دمي، العسكرة مع أدواتي في المروج أو على التلال في سكينة، أو أن أعمل في مرسمي مع موديل دون أدنى شعور به.

أما ما أجده لطيفًا فهو أنك أيضًا قد قرأت "بطن باريس" مؤخرًا، أنا أيضًا قرأت "نانا". اسمع، إن زولا حاليا هو بلزاك الثاني.

إن بلزاك يصور المجتمع بين ١٨١٥ و١٨٤٨، وزولا يبدأ من حيث انتهى بلزاك ويذهب حتى معركة سيدان أو بالأحرى للأيام الحالية.

أعتقد أن ذلك رائع. والآن يجب أن أسألك عن رأيك في السيدة فرانسوا التي التقطت فلوران المسكين عندما كان فاقدا للوعي في الطريق حيث تمر عربات الخضراوات، وجعلته يركب معها. على الرغم من أن باعة الخضراوات الآخرين قد هتفوا "دعيه راقدًا هناك، إنه سكران! لا وقت لدينا لالتقاط رجال من على جانب الطريق... إلخ". إن تكوين السيدة فرانسوا يقف على خلفية سوق الهال في باريس على طول الرواية، في تناقض مع الأنانية العنيفة للشخصيات النسائية الأخرى، هادئة جدًا، معتزّة بذاتها وشديدة التعاطف.

أترى يا تيو، أنا أعتقد أن تصرف السيدة فرانسوا يُظهر الوجه الحقيقي للإنسانية، وفي علاقتي بكريستين فعلت وسأواصل فعل ما أومن أن واحدة كالسيدة فرانسوا كانت ستفعله من أجل فلوران لو أنه لم يهتم بالسياسة أكثر منها. فهاك هو الأمر، وتلك الإنسانية هي ملح الحياة، وبدونها لما اهتممت بالحياة. وكفى.

إنني أهمل كلام ترستيج كما أهملَت السيدة فرانسوا كلام باعة الخضر الآخرين: اتركيه وشأنه، لا وقت لدينا. باختصار كل الجلبة والابتزاز. وإلى جانب ذلك،

فخلال وقت قصير ستتكفل كريستين تمامًا بأمر نفسها عن طريق عملها كموديل. لقد كانت موديلًا في أفضل أعمالي "حزن"، أنا على الأقل أعتقد أنها أفضل ما فعلته حتى الآن، وخلال أقل من عام، ستكون هناك رسوم منتظمة لشخوص أيضًا، وهذا ما أعدك به. وبوضوح، فعلى الرغم من حبي الشديد للمناظر الطبيعية، فأنا أحب الشخوص أكثر. ويظل هو الجانب الأصعب، وبالطبع يستغرق مني قدرا كبيرا من العمل والدراسة، والوقت أيضًا. لكن لا تتركهم يخدعونك ويجعلونك تعتقد أنها تشغلني عن العمل؛ سترى بنفسك في المرسم. لو كان فعلًا أنني أعمل أقل بسببها، لاتفقت معك، لكن الآن فالعكس تماما هو الصحيح، حقيقةً. حسنا، ستتوصل تدريجيًا إلى اتفاق حول ذلك، كما أرجو، لا بالكلمات ولكن بالرسوم. أتحول إلى كاره للكلمات. لكن، على أي حال...

أنا سعيد جدًا لأنك قادم، يا صديقي. هل نذهب معًا إلى المروج ثانيةً؟ حيث لا شيء أمامنا سوى الأخضر اللطيف والسماء الشفيفة. ممتاز! والبحر! والشاطئ! وشيفننجن القديمة والبعيدة. رائع.

بالمناسبة، كنت أرى مؤخرًا بعض الرسوم الصغيرة الجميلة جدا بالفحم من عمل تي دي بوك، في معظمها لمسات بالأبيض وأزرق خفيف للسماء، جيدة جدا وتعجبني أكثر من تصويره بالزيت.

بإمكاني أن أخبرك كم أستمتع بالمساحة في المرسم، لقد لاحظت تأثير ذلك عليّ على الفور إذ عدت للعمل من جديد. سنعلمهم أن يقولوا عن رسومي: "إنها مجرد رسوم قديمة". لم أكن مستمتعا بمرضي.

لا بد وأنك تتخيلني جالسًا في نافذة العلية مبكرا نحو الرابعة صباحًا أدرس المروج وساحة النجار بإطار قياس المنظور، إذ تكون النار قد أُشعلت في الفناء لإعداد القهوة، والعامل الأول يخطو على مهل داخلًا الساحة.

فوق الأسقف القرميدية الحمراء يأتي سرب من الحمائم البيضاء محلقًا بين المداخن التي تطلق دخانها الأسود. لكن خلف ذلك يمتد اللون الأخضر الخفيف إلى ما

لانهاية، أميال وأميال من المروج وسماء رمادية ثابتة ووادعة كما في أعمال كورو أو فان جوين.

إن المشهد من فوق ذؤابات الأسقف والميازيب التي ينمو فيها العشب، في الصباح المبكر إذ تستيقظ علامات الحياة -الطيور المحلّقة، والمداخن تطلق دخانها، والشخص في الأسفل القادم بتمهل من بعيد- هذا هو موضوع لوحتي بالألوان المائية. أتمنى أن تعجبك.

إن نجاحي في المستقبل يتوقف، فيما أعتقد، على عملي لا على أي شيء آخر. شريطة أن أستطيع البقاء واقفا على قدميّ، وسوف أخوض معركتي بهذه الطريقة بالذات لا بأي طريقة أخرى، وذلك بالنظر بهدوء من نافذتي الصغيرة على الأشياء في الطبيعة، وأن أرسمها بإيمان ومحبة.

وبالنسبة للباقي فسوف أتبنى موقفًا دفاعيًا إذا تعرضت للهجوم، ولكن من ناحية أخرى فإن الرسم عزيز عليَّ جدا ولن أسمح لأي شيء أن يصرفني عنه.

إن التأثيرات الفريدة للمنظور مثيرةٌ بالنسبة لي أكثر من المثير الإنساني. لو كان ترستيج قد فهم بشكل أفضل أن تصويري هو أمر مختلف عن بقية الأمور، لما أحدث مثل هذا الضجيج. لكنني من وجهة نظره الآن قد خدعت موف وأحبطته. وفوق ذلك هو يعتبر أنني فعلت هذا بسبب النقود التي أحصل عليها منك. وأنا أرى كل ذلك عبثيًا، أكثر عبثية من أن تكون له أهمية بالنسبة لي. سيتحقق موف نفسه لاحقًا من أنه لم ينخدع فيَّ وأنني لم أكن عنيدًا قط. هو نفسه كان قد أقنعني بأن أكرس وقتي للرسم لفترة طويلة قبل أن أفعل أي شيء آخر. لكن في وقتها لم يحسن كلانا فهم الآخر بشكل صحيح، أيضا بسبب ترستيج الذي كان يقف خلف ذلك.

وبالنسبة لخطابك، فأود أن أقول لك إنني لم أقصد ألّا تعرف عن طفل كريستين، لأنني عندما أخبرتك عنها لا بد وأنني قد ذكرت ذلك، لكنك ربما ظننت أنني أقصد الطفل الذي لم يكن قد ولد بعد، لكنني بالفعل قد قلت بعض الكلمات عن الإنسانية التي نجدها لدى بعض الأشخاص كالسيدة فرانسوا في كتاب زولا. لكن

ليس لدي خطط أو أفكار إنسانية دفعتني لأن أتخيل أني أستطيع أن أفعل الشيء نفسه لكلّ شخص. أنا لا أخجل من قول (على الرغم من أنني أعرف أن كلمة إنسانية غير محببة) إن من جانبي فأنا أشعرُ دائما بالحاجة إلى محبة مخلوق ما، وسوف أواصل الشعور بذلك، ويفضّل أن يكون مخلوقًا بائسًا أو منبوذًا أو مُهملًا، ولا أعرف لماذا. مرة اعتنيت بعامل مناجم محترق لمدة ستة أسابيع أو شهرين، وقد تقاسمت طعامي مع رجل مسن لشتاء بطوله، ولا أعرف لماذا أيضًا، والآن كريستين. لكن حتى هذا اليوم فأنا لا أعتقد أن ذلك كان سيئًا أو ضربًا من الحماقة، بل أراه كأمر طبيعي جدًا وبديهي حتى إنني لا أستطيع أن أفهم كيف يستطيع الناس أن يكونوا لا مبالين حيال بعضهم البعض بهذه التلقائية. ودعني أضِف، لو كنت مخطئًا فأنت أيضا مخطئ لمساعدتي بذلك الإخلاص، ذلك قد يكون خطأً أيضًا، ولكن أليس ذلك من العبث. لطالما آمنت أن "أحبِبْ جارك كما تحب نفسك" ليست عبارة مبالغة بل هي طبيعة الأمور. ولكن على أي حال. وأنت تعرف أنني سأبذل قصارى جهدي لأتأكد أنني سأبيع أعمالي قريبًا، وتحديدًا لأتجنب ابتزاز كرمك.

وأيضا، فأنا يا أخي أعتقد بقوة أنك لو رددت على نصائحهم بضرورة إيقاف إرسال النقود إليّ، وهو ما يمكن أن يحدث، لو أنك رددت بهدوء أنك واثق أنني سأصبح فنانًا جيدًا ولهذا فأنت تواصل مساندتي. وأنك تتركني حرًا فيما يتعلّق بحياتي الخاصة وشؤوني وأنك لن تجبرني أو تساعد على إجباري على شيء، فعندها ستتوقف النميمة، وعندها سيُنظر لي كمنبوذ اجتماعيًا وكشخص مستبعد فقط في بعض الدوائر. وهو ما لا أهتم به إذ اعتدت عليه بالفعل. وسيجعلني ذلك أركز على الفن أكثر فأكثر. وعلى الرغم من أن بعضهم سيلعنني بشكل أبدي ولا رجعة فيه، فبطبيعة الأشياء أن مهنتي وعملي سيفتحان لي صلات جديدة، طازجة لأنها لم تخضع لبرودة وخشونة وعقم الأحكام المسبقة القديمة عن حياتي الماضية. إن العلاقة مع أشخاص مثل ترستيج ممن يصرون على تلك الأحكام المسبقة، لهي عقيمة بشكل مطلق وبلا فائدة. حسنًا أيها الصديق، أشكرك على رسالتك وعلى الخمسين فرنكا، لقد جفت رسوماتي بعض الشيء في هذه الأثناء وسوف أضيف عليها بعض

اللمسات. إن خطوط الأسقف والميازيب تنطلق الآن بشكل جميل كأسهم من قوس، رسمت بدون تردد. وداعًا، ومصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

ملحوظة: اقرأ الكثير من زولا، إنها أعمال صحيّة تجعل الذهن صافيًا.

٢٥٢ | لاهاي، الاثنين ٣١ يوليو (تموز) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

فقط بعض كلمات لأقول لك مرحبًا قبل أن تأتي إلى هنا. ولأعلمك بوصول رسالتك والمرفق بها سالمَين، ولأشكرك بشدة.

سعدت بذلك لأنني منهمك في العمل وبحاجة لبضعة أشياء.

وفيما يخصّ اللون الأسود في الطبيعة، فنحن بالطبع متفقان تمامًا، كما أفهم. فالأسود المطلق لا يوجد أبدًا. كالأبيض، وإن كان حاضرًا في كل الألوان، ويشكل التنويعات اللانهائية للرمادي، المتميز في درجاته وقوته. ومن ثم فإن المرء لا يرى في الطبيعة حقيقة إلا هذه الدرجات والقوة.

الألوان الثلاثة الأساسية هي الأحمر والأصفر والأزرق،

المركبة هي البرتقالي والأخضر والأرجواني

ومن هذه نحصل على التنويعات اللانهائية للرمادي بإضافة الأسود وبعض الأبيض: الرمادي-الأحمر، والرمادي-الأصفر، والرمادي-الأزرق، والرمادي-الأخضر، والرمادي-البرتقالي، والرمادي-البنفسجي.

ومن المستحيل أن تقول كم رمادي-أخضر هناك، على سبيل المثال، فالتنويع لا نهائي.

لكن كيمياء الألوان كلها ليست أكثر تعقيدًا من هذه الأساسيات البسيطة المعدودة. إن فهمًا جيدًا لها يسوى سبعين درجة من ظلال الألوان، نظرًا لأن أكثر من سبعين درجة وقوة يمكن أن تُصنع من الألوان الأولية الثلاثة والأبيض والأسود. الفنان صانع اللون هو من إذا رأى لونًا في الطبيعة يكون قادرًا على تحليله بهدوء ويقول مثلًا: هذا الرمادي-الأخضر هو أصفر مع أسود والقليل جدًا من الأزرق... إلخ. باختصار يعرف كيف يصنع رماديات الطبيعة على مسطرة الألوان (الباليتة).

لعمل بعض الملحوظات في الخارج، أيًا كانت، أو لصنع مسودة صغيرة، فمن الأساسي وجود إحساس متطور جدا بالخطوط الخارجية، كما هو ضروري للعمل عليها لاحقًا.

هذا لا يأتي من تلقاء نفسه، لكن في المقام الأول عبر الملاحظة، ثم وفوق كل شيء عبر العمل الشاق والدؤوب والبحث. كما يتطلب الأمر بعض الدراسة للتشريح والمناظير.

توجد دراسة معلقة بجانبي لمنظر طبيعي من عمل لرلوفس، تخطيط بالقلم، ولكن لا أستطيع أن أخبرك بمدى تعبيرية هذه الخطوط الخارجية البسيطة. فيها كل شيء.

نموذج آخر معبر هو محفورة الخشب، "الراعية" لمييه التي أريتني إياها العام الماضي، والتي ظلت بذاكرتي، وأيضا تلك الاسكتشات لأوستاد ولبروجل الأكبر بالقلم.

عندما أرى نتيجة كهذه، أتيقّن من الأهمية القصوى للخطوط الخارجية. وأنت تعرف من رسمة "حزن"، أنني أعاني كي أطور نفسي على هذا المستوى.

لكنك سترى عندما تأتي إلى المرسم أنني بجانب بحثي في الخطوط الخارجية، فإن لدي بالطبع، كأي شخص آخر، ميولًا نحو القوة. وأني أيضا لستُ ضد عمل لوحات الألوان المائية، لكنها تتأسس على الرسم أولًا، ثم من الرسم تنبع كل أشكال الصور الأخرى لا الألوان المائية وحدها، والتي ستتطور داخلي في الوقت المناسب كأي شخص يعمل بحب.

لقد انقضضت على تلك الصفصافة العجوز المقلمة، وأعتقد أنها صارت أفضل لوحات الألوان المائية. منظر طبيعي معتم، تلك الشجرة الميتة بجانب بركة راكدة مغطاة بالطحالب، وعلى مسافة هناك مستودع للقطارات حيث تتقاطع خطوط السكك الحديدية، ومبان سوّدها الدخان، وأيضا مراع خضراء، وطريق رمادي وسماء تركض بها سحب رمادية بحواف بيضاء تبرق عرضا، وعمق من الأزرق حيث تتباعد الغيوم عن بعضها للحظة.

باختصار أردت أن أجعلها كما أتخيل كيف يراها عامل التحويلة بدخانه وعلمه الأحمر وكيف يشعر بها وهو يفكر: يا له من يوم غائم.

إنني أستمتع كثيرًا بالعمل هذه الأيام، على الرغم من أني ما زلت أستشعر تأثيرات النقاهة من مرضي.

أما عن الرسوم التي سأريها لك الآن، فأنا أعتقد أنها تصلح -كما أتمنى- كدليل على أنني لست عالقا عند مستوى واحد لكنني أتحرك في اتجاه معقول. وبالنسبة للقيمة التجارية لأعمالي، فأنا ليست لدي ادعاءات أكثر من أني سأكون مفاجأ إذ لم تبع أعمالي في وقت ما كأعمال الآخرين. وسواء حدث ذلك الآن أو لاحقًا، فلست معنيًا بذلك جدًا. فمجرد العمل بإخلاص من الطبيعة وبمثابرة يبدو لي طريقًا أكيدًا لا يمكن إلا أن يفضي لشيء ما. إن حب الطبيعة والشعور بها لا بد وأن يلمس وترا لدى الأشخاص المهتمين بالفن، إن آجلًا أم عاجلًا. وواجب الفنان هو أن يدرس الطبيعة

بعمق، وأن يوظف ذكاءه كله لوضع إحساسه في عمله حتى يكون مفهومًا للآخرين. لكن العمل وعينك على القابلية للبيع ليست الطريقة الصحيحة تمامًا من وجهة نظري، لكنه بالأحرى خداع لعشاق الفن. الفنان الحقيقي لا يفعل هذا، والتعاطف الذي يحوزه آجلا أم عاجلًا يرجع لإخلاصه. لا أعرف أكثر من هذا، ولا أعتقد أنني يجب أن أعرف. إن بذل المجهود للعثور على عشاق الفن والحصول على حبهم هو أمر آخر، وهو جائز بالطبع. لكنه لا يجب أن يتحول إلى تكهنات قد تخرج خاطئةً وبالطبع ستهدر وقتًا كان يجب أن يُقضى في العمل.

بالتأكيد ستجد أشياء من المفروض أن تستبعد في لوحاتي الحالية بالألوان المائية، لكنها يجب أن تتحسن مع الوقت.

لكنك لا بد تعرف أنني بعيد عن أن يكون لدي نظام أو أي شيء من هذا القبيل لأسجن نفسي داخله وأبقى فيه. مثل هذا النوع من الأشياء يوجد في مخيلة ترستيج، على سبيل المثال، لا في الواقع. وبالنسبة لترستيج فأنت تدرك أن لدي سببًا شخصيًا لرأيي فيه، وأنه لا توجد لدي أدنى رغبة أن أضغط عليك لتتخذ وجهة النظر نفسها التي اضطررت إليها أنا. وما دام هو يعتقد ويقول عني الأشياء التي تعرفها، فأنا لا أستطيع أن أعتبره صديقًا أو شخصًا نافعًا لي بأي طريقة، ولكن العكس تمامًا. وأخشى أن يكون رأيه فيّ متجذرا بحيث لا يتغير أبدًا، وبالأخص لأنه، كما قلت أنت بنفسك، لن يكلف نفسه عبء إعادة الاعتبار أو أن يتغير.

عندما أرى كيف أن العديد من الفنانين الذين أعرفهم هنا، يجاهدون مع ألوانهم المائية والزيتية، عاجزين عن العثور على إجابة، أفكر أحيانًا أنك ترسم يا صديقي حيث تكمن المشاكل. لم أندم للحظة واحدة على عدم اتجاهي مباشرةً نحو الألوان المائية والتصوير. أعرف بالتأكيد أنني سوف ألحق إذا واصلت تقليصها، حتى لا تكون يدي مترددة في الرسم والمناظير. لكن عندما أرى مصورين شبابًا يصنعون التكوينات ويرسمون دون كبير وعي، ثم يلونون بشكل عشوائي، أيضا بدون وعي، ثم يضعونها على مسافة وبتعبير قاتم وعميق يحاولون اكتشاف مع أي شيء بحق الرب تتماثل

هذه، وفي النهاية وبدون وعي أيضًا يفعلون بها ما يستطيعونه، ذلك يجعلني أشعر بالضعف وأجده ثقيلًا ومملًا.

الأمر كله يشعرني بالغثيان!

وهؤلاء المحترمون يسألونني بانتظام -وبكثير من التعالي- إن كنت قد بدأت التصوير بالزيت بعد.

والآن أيضًا أجد نفسي أحيانًا ألعب، كما يقال، بشكل عشوائي على قطعة ورق، لكنني لا أضع لذلك قيمة أكثر من خرقة أو ورقة كرنب.

وأتمنى أن تفهم أنني لو كنت أواصل الرسم فقط، فأنا أفعل ذلك لسببين. فلأني وبأي ثمن أريد أن تكون لي يد واثقة وأنا أرسم قبل أي شيء آخر، وثانيًا لأن أدوات التصوير الزيتي والألوان المائية تستلزم نفقات معتبرة لا شيء سيعوضها في تلك المرحلة المبكرة، وهذه النفقات تتضاعف مرتين أو عشر مرات إذا كنت تعمل على قاعدة من الرسم لم تصل بعد لدرجة الصحة الكافية.

ولو اتجهت للديون وأحطت نفسي باللوحات والأوراق المدهونة بالألوان دون أن أكون واثقًا من رسمي، فسيتحول مرسمي سريعًا إلى ضرب من الجحيم، كمرسم رأيته مرة بدا لي كذلك.

وعليه، فأنا دائما أستمتع بالذهاب إلى هناك، حيث أعمل بلذة.

ولذا لا أصدق أنك تتهمني بالتقاعس.

يبدو لي أن المصورين هنا لديهم طريقة في التفكير تتلخص فيما يلي. يقولون: يجب أن تفعل هذا أو ذاك. ولو لم تفعله، أو لم تفعله في الحال أو بالضبط، أو لو اعترضت، يكون ردهم "إذن أنت تعرف أفضل منا، هل حقًا؟"، وهكذا، وفي التو وأحيانا خلال خمس دقائق يكون هناك خلاف بينكما. ويكون الموقف هكذا بحيث لا يستطيع الطرفان التقدم أو التراجع. أقل النتائج بغضا لذلك تكون عندما يتمتع أحد الطرفين بحضور الذهن ليلتزم الصمت ويتزلق بعيدًا وبسرعة بشكل أو بآخر من خلال

تحة ما. وقد أقول، إن آل سباريتسي المصورين هم عائلة أيضًا. هذا لأقول إنهم مجموعة مشؤومة من البشر بمصالح متضاربة، كل واحد منهم على خلاف مع الباقين، ولا يتشارك اثنان منهم في المشاعر إلا عندما يوحدان القوى لإعاقة عضو آخر. أتمنى يا أخي العزيز ألا يكون ذلك التعريف للعائلة منطبقًا دائما على حالة المصورين من عائلتنا نحن. أتمنى من كل قلبي أن يعم السلام في عائلتنا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

(الجزء العلوي من الورقة التالية مفقود والنص التالي مشطوب.)

لا تخشَ (ـــــــــــــــــــــــــ) من أن تكون صعبة بالنسبة لهم إن كانوا يفضلون ألّا يروني.

لقد رفضت، حتى عندما سألوني لاحقا إن كنت سوف أجيء أحيانًا، ليتبينوا أنني لا أريد بأي شكل أن أجعل ذلك صعبًا بالنسبة لهم. لكنني أتوقع من جانبهم أيضًا عدم التدخل في شؤوني. وبينما أنا مهتم بالنيات الحسنة لمن هم في الوطن، فإن برنسنهاج لا تعني لي سوى القليل جدًا. هل لك ولو تكرمت أن تصمتَ عن بعض الأشياء، فإن ذلك أفضل، حتى لو كانت أمورًا قد تكلموا هم عنها وهو ما لا يمكن تجنبه. ذلك سيئ جدًا، ولكن لا شيء يهم!

حسنًا، فكما قلت فأنا لا أريد شيئا أكثر من الحفاظ على السلام، إن أكثر شيء ضروري بالنسبة لعملي هو هذا السلام تحديدًا. ولذا فأنا ممتن لك من أجل كل شيء تستطيع أن تفعله لتُطمئِن أهل البيت فيقرّوا عينًا. أتمنى أن تقضي أيامًا ممتعة هناك وأن تتنفّس هواء برابنت النقي. ما زلت أفكر في هيت هايكي أحيانًا، وقد كنت مشغولًا في تلك الأيام الأخيرة بدراسة من هناك، أكواخ بأسقف مطحلبة تحت أشجار الزان.

شجرة الصفصاف مقطوعة الرأس

(فقرة مفقودة على ظهر الورقة)

.... يجب أن تأخذ. هذا فقط عن تأثير الصفصافة العجوز، لكن في لوحة الألوان المائية نفسها لا وجود للأسود غير في حالة ممزوجة.

(sketch A)

حيث يكون السواد أكثر إعتاما في هذا التخطيط الصغير ستكون القوة الأعظم في لوحة الألوان المائية – أخضر قاتم، بني، رمادي قاتم. حسنا، وداعًا وصدقني فأنا أضحك أحيانًا من قلبي على اتهامي من قبل الناس بأعمال مختلفة من الخُبث والسخافات التي لم تدر بخلدي قط (أنا صديق الطبيعة والدراسة والعمل والناس بشكل أساسي). على أي حال، وداعًا الآن، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٢٥٨ | لاهاي، الأحد ٢٠ أغسطس (آب) ١٨٨٢

إلى تيو فان جوخ (D)

الأحد ما بعد الظهيرة

عزيزي تيو،

استلمت للتو رسالة طيبة من البيت وقد منحتني البهجة عن حق، ويتضح منها أن زيارتك والأشياء التي قلتها عنّي وعن عملي قد تركت انطباعًا سبب لهم الطمأنينة. وأعتقد أن هذا سيكون له نتائجه المحمودة، وأشكرك بشكل خاص على الطريقة التي تكلّمت بها عني، وإن كنت أعتقد أنك مدحتني فيما يخصّ بعض الأمور أكثر مما أستحق. يبدون في المنزل سعداء جدًا بمحيطهم الجديد، وما زالوا في أجواء زيارتك.

أما أنا، بالمناسبة، فأفكر فيك بشكل أكثر من المعتاد، وبكثير من العاطفة بسبب عدة أشياء قلتها لي. لا سيما ما قلته لي عن صحتك، يجعلني أفكر فيك كثيرا.

أنا بخير، وأشعر بأنني بحال طيّب فلا أتجنب أي شيء بسبب ذلك، وأواصل المُضي فقط. لكن كما تدرك، فإن الأمر لم ينته تماما، وفي بعض الأوقات، تحديدًا في المساء عندما أكون مُرهقا، تثيرُ الذكرى اضطرابي، لكن ليس إلى الحد الذي يمنعني من العمل لحسن الحظ.

هذا الأسبوع رسمت دراسات زيتية كبيرة نوعا ما في الغابة، وقد حاولت أن أجعلها أفضل وأكثر إتقانًا من اللوحة الأولى. الدراسة التي أعتقد أني كنت أكثر نجاحًا فيها ليست أكثر من قطعة أرض محفورة - رمل أبيض وأسود وبني بعد هطول الأمطار. فتقبض كُتل الطين على الضوء هنا وهناك بطريقة أكثر تعبيرية. بعد أن جلست لأرسم لفترة أمام قطعة الأرض، هبّت عاصفة رعدية مع هطول أمطار استمرت ما يقرب من ساعة كاملة، ومع ذلك بقيت ثابتًا، في موقعي وحاولت الاحتماء بقدر الإمكان خلف شجرة ضخمة. وعندما مرت العاصفة واحتلت الغربان الهواء ثانية، لم أندم على انتظاري بسبب الدرجة اللونية الرائعة والعميقة التي اتخذتها أرض الغابة بعد الأمطار.

ولأنني قد بدأت قبل العاصفة جاثيا على ركبتي وبأفق منخفض، فكان علي أن أظل جاثيا في الوحل، وبسبب مغامرات مماثلة، وهي تحدث كثيرا وبطرق مختلفة، يبدو لي من المناسب أن أرتدي ملابس اعتيادية للعمل لا تتلف بسهولة.

النتيجة هذه المرة هي أنني كنت قادرًا على أخذ قطعة الأرض هذه معي إلى المرسم، على الرغم من أن موف كان قد قال لي محقًا عندما كنا نناقش واحدة من دراساته، إنها مهمة شاقة أن تصور كتل الطين وأن تجعل بها عمقًا.

أما الدراسة الأخرى من الغابة فهي جذوع خضراء كبيرة لأشجار زان على أرض عليها أوراق ميتة، وفتاة صغيرة ترتدي الأبيض.

كانت الصعوبة الكبرى هنا في الاحتفاظ بها واضحة ووضع مساحات بين جذوع الأشجار التي تقف على مسافات مختلفة، والمكان والسماكة النسبية للجذوع التي يغيرها المنظور. للاطمئنان، باختصار، أن المرء يستطيع أن يتنفس وأن يتجول داخلها، ويشم ريح الغابة.

لقد استمتعت بصنع هاتين الدراستين بشكل خاص. بالقدر نفسه الذي استمتعت به مع شيء رأيته في شيفننجن: مساحة شاسعة في التلال صباحًا بعد المطر، العشب شديد الاخضرار، نسبيًا، والشبكات السوداء مفرودة هناك في دوائر ضخمة، تخلق درجات لونية على الأرض، من الأسود المحمر العميق، والأخضر، والرمادي. النساء في أغطية رأس بيضاء، والرجال الذين يفردون أو يصلّحون الشباك جالسون أو واقفون أو سائرون في هذه الأرض المعتمة كأشباح سوداء غريبة.

المشهد في الطبيعة كان لا يقاوم، ومميزًا، وقاتمًا وقاسيًا كعمل رفيع يمكن أن نتخيله من صنع ميه أو إسرائيل أو ديجرو. وفوق المشهد سماء رمادية اعتيادية بشريط خفيف فوق الأفق. وعلى الرغم من شآبيب المطر، فقد رسمتُ دراسة لها على ورقة تورشون مزيتة.

أحتاج لعمل الكثير قبل أن أصير قادرًا على العمل بهذا المستوى، هي أشياء كهذه التي أجدها أكثر إثارة في الطبيعة.

كم هو جميل الخروج عندما يكون كل شيء مبللًا بفعل المطر ـ وقبل ـ وفي أثناء ـ وبعد المطر. لا يجب أن أضيّعَ زخةً واحدة. هذا الصباح علّقت كل الدراسات الزيتية في المرسم. كنت أتمنى لو أستطيع أن أحكي لك عنها.

وكما توقعت وحسبت حساباتي عندما كنت أعمل، كان علي أن أشتري المزيد من الأشياء والنقود قد نفدت تقريبا. وأنا الآن أرسم بالزيت منذ أسبوعين من الصباح المبكر وحتى ساعة متأخرة من المساء، ولو واصلت هكذا فسيكون الأمر مكلفًا للغاية ما دمت لا أبيع أعمالي.

أعتقد أن من الممكن أن تقول إذا رأيت الأعمال إنني لا ينبغي أن أرسم بالزيت فقط من وقت لآخر، أو عندما يروق لي ذلك، لكن يجب أن أستمر في عمل هذا بانتظام، كنشاط أساسي بشكل مطلق، حتى لو استتبع ذلك نفقات أعلى.

لكن على الرغم من أني أستمتع بذلك بشكل هائل، وربما لن أصور بالزيت في المرحلة الحالية على قدر ما يتطلب طموحي ورغبتي، بسبب التكاليف الباهظة، فأنا أعتقد أنني لن أخسر شيئا بتكريس الكثير من وقتي للرسم، وفعل ذلك بكل شغف. أنا مع ذلك أتشكك، فالتصوير ثبت أنه أقل صعوبة مما كنت أتوقع، ربما كان المسار الذي يجب تبنيه هو تركيز كل الجهود في المحاولة مع الفرشاة فوق كل شيء. لكنني أعلن أنني لا أعرف.

على أي حال، أنا أعرف بالتأكيد أن الرسم بالفحم هو أمر لا بد أن أدرسه عن قرب أكثر مما سبق. وعلى أي حال لدي ما يكفي لأفعله وأستطيع المضي، حتى لو كنت أكبح جماح نفسي فيما يخص التصوير بالزيت، فأنا أستطيع أن أعمل بالدأب نفسه. ولو كنت قد أنجزت بعض الدراسات بالألوان الزيتية خلال وقت قصير فذلك أيضًا لأنني أواصل العمل عليها، وأنا حرفيًا أعمل طوال اليوم، وبالكاد أجد وقتًا للأكل أو للشرب.

يوجد شخوص صغار في دراسات عديدة. وقد عملت أيضًا على واحدة أكبر وأنا بالفعل كشطت كل شيء مرتين، ولو رأيتَ تلك التأثيرات فربما تعتقد أن ذلك نوع من التهور، لكنه لم يكن تهورًا. والسبب هو أني أشعر أنني أستطيع أن أصنع ما هو أفضل بمزيد من المجهود والدراسة، وأنا حاسم في موضوع تحقيق النتائج الأفضل، سواء استغرقت وقتًا أطول ومجهودًا أكبر أم لا. إن الطريقة التي أتناول بها المناظر الطبيعية الآن تتطلب شخوصًا بالتأكيد. هي دراسات للخلفيات لا بد أن يتم اختبارها حتما، لأن الدرجة اللونية للشخوص والتأثير الكلي تعتمد عليها.

أحد الأشياء التي أحبها في التصوير الزيتي أنه بالمجهود نفسه الذي يبذله المرء في الرسم فإن المرء يعود بشيء ينقل الانطباع بشكل أفضل وهو أكثر متعةً في التطلع إليه. وهو في الوقت نفسه أكثر دقة.

وباختصار، إن المردود هنا أكبر مما في الرسم. لكن من الأساسي بشكل مطلق أن يرسم المرء موضوعه بنسب وأوضاع صحيحة وبشيء من الثقة قبل أن يبدأ. ولو ارتكب خطأ هناك، فلن يُسفر الأمر برمته عن أي شيء.

إنني أتطلع إلى الخريف، وحتى وقتها يجب أن أؤمن وجود الألوان وبعض الأشياء الأخرى أيضًا. أنا بشكل خاص مولع بتأثير أوراق الشجر الصفراء التي على خلفيتها تقف الجذوع الخضراء للزان بشكل جميل، وكذلك الشخوص.

في الأيام القلائل الأخيرة كنت أقرأ جزءًا من الكتاب الحزين "رسائل ويوميات" لجيرارد بيلدرز، الذي مات في العمر الذي كنتُ أبدأ فيه تقريبا. وإذ أقرؤه لا أندم على بدايتي المتأخرة. لقد كان غير سعيد بالتأكيد، وأسيء فهمه غالبًا، لكن في الوقت نفسه أجد به ضعفًا عظيمًا، وشيئا غير صحي في شخصيته. إنه كقصة نبتة نمت مبكرًا ولم تستطع احتمال الصقيع، وعليه، ففي ليلة جميلة أُصيبت حتى جذورها وذَبُلت. في البداية كان جيدًا، كان حاذقًا داخل الصوبة –ينمو سريعًا داخلها– لكنه في أمستردام كان يقف وحيدًا تقريبا، ورغم عبقريته لم يستطع التعامل هناك، وفي النهاية عاد إلى بيت أبيه، محبطًا تماما، ومتذمرًا وزاهدًا، وهناك صنع مزيدًا من اللوحات الزيتية وأخيرًا مات من السل أو من مرض آخر في عمر الثامنة والعشرين.

ما لا يعجبني فيه أنه بينما يمارس التصوير كان يشتكي من الضجر الرهيب والفراغ، كأشياء لا يستطيع فعل شيء حيالها، ثم يواصل التردد على الدوائر الخانقة المكوّنة من أصدقائه والمتع وأشكال الحياة التي سئمها من قلبه. باختصار، أنا أجده شخصية حساسة، لكنني قد أفضل قراءة حياة الأب مييه أو تي روسو أو دوبيني. عندما تقرأ كتاب سانسييه عن مييه فأنت تحصل منه على الشجاعة، لكن كتاب بيلدرز يجعلك تشعر بالتعاسة.

في رسالة لمييه دائمًا ما أجد قائمة من الصعوبات، لكنك تجد بعد ذلك: "لكنني فعلت هذا أو ذاك"، بالإضافة إلى ذلك التفكير المستمر في أشياء أخرى هو حاسم بشأن صنعها أو هو ينفذها بالفعل. وفي أحيان كثيرة مع جي بيلدرز تكون: "كنت في

مزاج سيئ هذا الأسبوع وصنعت فوضى من الأشياء، وذهبت إلى ذلك الحفل الموسيقي أو تلك المسرحية وهو ما خلفني في حالة أسوأ".

ما يريعني في مييه هو تلك الا "لكنني فعلت هذا أو ذاك". أما بيلدرز فهو بارع جدا وبإمكانه أن يجهش بتنهيدة قبيحة عن سيجار "مانيلاس بوانتوس" الفاخر الذي يحلم به لكنه لا يستطيع شراءه، وعن فواتير الخيّاط التي لا يجد وسيلة لدفعها. إنه يصف هواجسه عن الأمور المالية بشكل بارع حتى إنه هو نفسه والقارئ لا يستطيعان أن يمنعا نفسيهما من الضحك.

وعلى الرغم من أن هذه الأشياء وضعت ببراعة، فإنها أيضا لا تعجبني، ولدى احترام أكثر لصعوبات مييه الخاصة والذي يقول "على الرغم من ذلك لا بد أن يكون هناك حساء للأطفال" ولا يتكلم عن السيجار الفاخر أو التسليات.

ما أريد أن أقوله إن جي بيلدرز كان رومانسيا فيما يخصّ نظرته للحياة، وهو لم يتجاوز قط أوهامه الضائعة. ومن جانبي فأنا أرى أنها ميزة بشكل ما أنني بدأت عندما كانت الأوهام الرومانسية قد صارت شيئًا من الماضي. الآن لدي طريقة ما للتجاوز، العمل بدأب، ولكن بشكل خاص عندما تكون قد خلّفت الأوهام وراء ظهرك، فأنت تحتاج العمل وهو إحدى المتع القليلة الباقية. ومن هذا يأتي سلام عظيم وسكينة.

أنا آسف فقد يمر عام قبل أن ترى ما أصوره بالزيت كله -حتى لو أرسلت إليك شيئا من وقت لآخر- وقبل أن نستطيع مناقشة ماذا يُفعل وكيف. أعتقد أنني أستطيع طمأنتك أن لوحاتي الزيتية ستثبت أنها جديرة بالاهتمام. ربما ما أخفق في يناير ينجح الآن.

وفوق كل شيء لا تتهمني باللامبالاة حيال الكسب؛ فأنا أنتوي أن اتخذ أقصر الطرق لهذه الغاية. شريطة أن يكون دخلًا حقيقيًا ودائمًا، وهو ما أرى أنه محتمل في حالتي فقط إن تحقق شيء جيد في عملي، وليس فقط عبر الاشتغال على القابلية للبيع -وهو ما ندفع ثمنه لاحقا- ولكن عبر الدراسة المخلصة للطبيعة.

لو كنتَ ترى أن لعملي على التصوير الزيتي فرصة كبيرة في النجاح، فلن أتوانى بالطبع عن ممارسة التصوير الزيتي أكثر. ولكن قد يستغرق الأمر وقتا قبل أن يصير قابلا للبيع، وسأكون أول من يقول، إننا يجب أن نعيش مقتصدين بقدر الإمكان في الوقت نفسه، ومع الرسم يتلافى المرء الكثير من النفقات، وبالتأكيد يحرز تقدما أكيدا وثابتا وإن يكن بطيئا. أرى تغيرًا في تلك اللوحات الزيتية، وأنا أكتب لك عنها لأنك في موقع أفضل مني لتقول كيف يمكن أن يؤثر ذلك على إمكانية المبيعات. يبدو لي، على أي حال، أن دراساتي بالألوان الزيتية أمتع في النظر إليها من رسوماتي. ومن جانبي، فأنا أعقد أهمية أقل على ما هو أمتع، والتأثيرات الهزيلة، وأجعل هدفي هو التعبير عن الأشياء الرجولية الأكثر صرامة، ولبلوغ هذا لا بد وأن أعمل بدأب.

لكن لو كان لك أن تقول: اعمل على هذه المناظر من الغابة أو المناظر الطبيعية أو مشاهد البحر، فلن أحتاج للدخول في طريق الأشياء الأكبر والأكثر جدية، ولن أعترض على ذلك.

فقط أنا أحتاج لأن أعرف إذا كانت تسوى ثمن الفُرش والألوان والقماش، وإذا لم يكن صنع الكثير منها مجرد تبديد للمال، بل يمكن استعادة تلك التكلفة. لو كانت تلك هي الحالة أو يمكن أن تكون كذلك، فقد تكون تلك طريقة تسمح لي بتناول أشياء أكثر صعوبة.

وفي هذه الحالة سأعمل عليها بطموح عظيم. أريد أن أجعلها تنضج قليلا، بالعمل عليها لتحسينها. ثم خلال شهور قليلة، مثلا، سأرسل إليك شيئا ولنرَ. أنا أومن أن معظم المصورين قد اتخذوا طريقهم للأشياء الأكثر رفعة بهذه الطريقة. لم أكن لأرغب في فعل أشياء كانت سيئة من مبدئها، أو التوجه نحو الكاذب والمزيف، لأن الطبيعة عزيزة جدًا عليّ. لكننا واجهنا هذه المسألة: لا بد أن أصنع العديد والمزيد من الدراسات للتوصّل إلى شيء أعلى وأفضل. ماذا سيكون أرخص: الرسم أم التصوير الزيتي لهذه الدراسات؟ لو كان التصوير الزيتي غير قابل للبيع، فسيكون الأرخص هو الرسم بالفحم أو أي شيء آخر.

ليس السبب في سعادتي بالتصوير الزيتي في المظهر الممتع، ولكن حقيقة أنه يلقي الضوء على أسئلة أخرى تخص الدرجة اللونية والشكل والمواد كنت بلا حول ولا قوة في مواجهتها، لكنني الآن أستطيع الإقدام عليها بهذه الطريقة. أنا الآن أرى، على سبيل المثال، فرصة أكبر لمحاولة جديدة مع الفحم والحصول على نتيجة.

لكن لنفترض أن بإمكاننا تعويض تكلفة الدراسات الزيتية، فأريد أن أقول لك إنه من حيث المبدأ، فأنا لن أعترض على ذلك، إذ إنني أرى أنني أحرز بعض التقدم وذلك قد يكون فرصة استثنائية.

اعتراضي الوحيد من حيث المبدأ هو إهدار الألوان على أشياء يمكن تعلّمها عن طريق آخر، فيما تظلّ إمكانية البيع معدومةً. لا أريد أن أعرّضك أو أعرّض نفسي لنفقات طائلة بلا داع، لكنني أرى بوضوح أن الأعمال بالألوان الزيتية لها مظهر أفضل. وذلك يجعلني متحيّرًا حول ما يجب فعله.

لم تنفد نقودي بعد، لكن لم يبق الكثير. اليوم هو العشرون، لو لم أكن مخطئًا. هذا الشهر كانت نفقاتي أقل، لا أزيد على مصاريف البيت. كان علي أن أنفق الكثير مرة واحدة على أدوات التصوير، لكن الكثير منها سيبقى لبعض الوقت. لكن كل شيء باهظ الثمن. فأتمنى أن تستطيع إرسال شيء في القريب. تقبّل مني مصافحة في الخيال. وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

ارجو بصدق ألّا تفهم هذه الرسالة أنني أفترض أن شيئا يمكن أن يصنع من هذه الدراسات الأولى. لقد فسر العم كور مرة بعض ملاحظاتي على هذا النحو، على الرغم من أني لم أقصد ذلك نهائيا. كنت قادرًا، أفضل من الآن بأي حال، على قول ما الذي يسوى شيئا ما، وهل هو قابل للبيع أم لا. والآن صار واضحًا لي يومًا بعد

يوم أنني لم أعد أعرف، وما يشغلني أكثر الآن هو أن أدرس الطبيعة لا ثمن اللوحات الزيتية.

لكنني أرى أن الدراسات الزيتية لها مظهر مقبول أكثر من الرسوم بالأبيض والأسود أو لوحات الألوان المائية التي أطلعتك عليها مؤخرًا. ولهذا أفكّر أنّ التصوير الزيتي، على الرغم من التكلفة العالية، كممارسة أساسية قد يكون أرخص. أُفضّل أن تتخذ أنت القرار، لأنني أعتقد أنك أكثر كفاءة مني في الحكم على النجاح المالي، وعندي ثقة كاملة أن حكمك سيكون صائبًا.

ولو أرسلت إليك شيئا آجلًا أم عاجلًا، فذلك لأعرف إن كان لديك أي نصائح لتدلي بها، لا لتقول: أعتقد أن هذا قابل للبيع، لأنني لم أعد أشعر أني قادر على قول هذا. وأنا أيضًا سأرسلها في كل الأحوال لتظل مواكبًا لما أعمل عليه.

قلت لي أن أفعل ما بوسعي لكي أشتغل على رسمة بالألوان المائية. وأنا أعتقد، وكنتيجة للتصوير بالزيت، أنني سأكون أكثر قدرة من الماضي لو عدت للألوان المائية. لكن لو لم تكن النتيجة جيدة في بعض الأحيان، فلا يجب أن تيأس، ولا أنا أيضًا، ولا تتردد في توجيه التعليقات لي. أنا لا أتجاهل التعليقات بشكل منهجي، لكن في حالات عديدة يستغرق تغيير شيء ما وقتًا أطول من أن نشير إلى التغيير. كنت بصدد ممارسة أشياء قالها لي موف في يناير، وعلى سبيل المثال، لونت قطعة الأرض تلك كنتيجة لحوار عن دراسة له.

٢٦٠ | لاهاي، الأحد ٣ سبتمبر (أيلول) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

صباح الأحد

عزيزي تيو،

استلمت للتو رسالتك المرجوة وأردت الرد عليك مباشرة، بما أن لدي بعض الوقت للراحة اليوم. وأنا أشكرك عليها، وعلى ما هو مرفق بها، وعلى شيء أو شيئين قلتهما بها.

وبالنسبة لوصفك لمشهد العمال في مونمارتر، والذي أجده مثيرًا جدًا للانتباه، لأنك تصف الألوان أيضًا فأستطيع أن أراه - شكرًا جزيلًا.

أنا سعيد لأنك تقرأ ذلك الكتاب عن جافارني. أعتقد أنه مثير جدا وقد أصبحت أكثر ارتباطا بجافارني بسببه.

ربما تكون باريس مع محيطها جميلةً، لكن هنا أيضًا المكان لا بأس به. هذا الأسبوع صوّرتُ شيئا بالألوان الزيتية ربما يذكّر بالانطباع عن شيفننجن كما رأيناها معًا عندما سرنا هناك. دراسة كبيرة عن الرمال والبحر والسماء، سماء شاسعة برمادي رقيق وأبيض دافئ تتبدى من خلاله أحيانا بعض بقاع من الأزرق الخفيف المشع. مع الرمال وضوء البحر، يتحوّل الكل إلى الأشقر، المبهج مع ذلك بالشخوص الواضحة الملونة بتمايز والألوان الوردية التي تسيطر على الدرجات. إن موضوع التخطيط الذي صنعته منه هو هِلبُ مرساة ثقيل وردي. والخيل واقفة مستعدة لأن تُربط بالوردي قبل أن تسحبه نحو البحر. أرفق لك مسودة منها. لقد اشتغلت حقًا عليها. وأتمنى لو كنت قد لونتها على اللوح أو القماش. لقد حاولت أن أضع المزيد من الألوان بها، تحديدا عمق وصلابة اللون.

إنه شيء مثير للفضول كيف تُخامرنا أنا وأنت أحيانًا الأفكار نفسها. أمس مساءً، على سبيل المثال، عُدت بدراسة عن الغابة، وهذا الأسبوع على وجه

الخصوص، كنت مستغرقا في مسألة عمق اللون. وكنت أود لو أناقش ذلك معك، لا سيما في ارتباطه بالدراسة التي أنجزتها. ثم ها أنت، في رسالتك هذا الصباح تورد الملاحظات حول كيف اصطدمت في مونمارتر بالألوان المعنية ذاتها، والتي تظل متناغمة رغم ذلك. لا أعرف إن كان الشيء نفسه هو الذي صدمنا، لكنني واثق بشكل مطلق أنك كنت لتشعر بما صدمني بالضبط وربما رأيته بالطريقة نفسها. سوف أبدأ بأن أرسل إليك مسودة حول الموضوع وأخبرك ماذا كانت المشكلة.

الغابات بدأت بالفعل تتخذ سمتها الخريفي – هناك تأثيرات لونية نادرًا ما أراها ممثلةً في التصوير الهولندي.

مساء الأمس كنت مشغولًا بمنطقة من الغابات ذات مرتفع صاعد لأعلى مغطى بأوراق الزان الميتة والمتعفنة. كانت الأرض من البني المحمر الخفيف والثقيل، وهو يقوى ويضعف حسب تأثير شرائط الظلال التي تلقيها الأشجار عليها، نصف ممحوة. وكانت المشكلة، وقد وجدتها صعبة جدًا، هي أن تقبض على عمق اللون –قوة تلك المنطقة الهائلة وثباتها– وفقط وبينما أرسم لاحظت كم هناك من الضوء لا يزال في ذاك الظلام. وأن تحتفظ بها مضيئة، وأن تحتفظ بالبريق أيضًا، وعمق ذلك اللون الثري، فلا يوجد بساط خيالي أروع من ذلك البني الأحمر العميق في ضوء شمس خريفية غاربة يرشُح عبر أشجار الغابة.

ومن الأرض تبزغ أشجار زان شابة تقبض على الضوء من جهة واحدة –وهي خضراء بشكل عبقري هناك– والناحية الظليلة من هذه الجذوع أخضر مسود دافئ. وفي ما بعد هذه الجذوع، وما بعد الأرض البنية المحمرة، ثمة سماء، أزرق رمادي شديد الرقة، دافئ –ليس أزرق تقريبا– متألق. وعلى هذه الخلفية حافة أخرى من الاخضرار الغائم وشبكة من الجذوع النحيلة والأوراق المصفرة. وبعض الشخوص يجمعون الحطب ويتحركون في المحيط ككتل معتمة لظلال غامضة. الرداء الأبيض لامرأة تنحني لتلتقط فرعًا يابسًا يبرز على خلفية الأرض البنية المحمرة العميقة. تنورة تلتقط الضوء، ظل يسقط، صورة مظللة لشخص تظهر فوق الغصون المتشابكة على خلفية سياج الشجيرات. رداء أبيض، قلنسوة، الجزء العلوي من جسد امرأة على خلفية السماء.

إن هذه الشخوص ـالكبيرة والمليئة بالشاعرية– تظهر في شبه الضوء للدرجة اللونية للظلال العميقة كقطع فخار ضخمة صنعت في مرسم. أنا أصف لك الطبيعة –وإن كنت غير واثق إلى أي مدى نقلتها في مخططي- لكنني أعرف أنني أخِذت بتناغم الأخضر والأحمر والأسود والأصفر والأزرق والبني والرمادي. كانت تشبه أعمال ديجرو كثيرًا، تأثير مشابه لتخطيط "رحيل الجند" الذي كان موجودا في السابق في قصر الدوقية.

إن التصوير بالزيت لهو عملية تطعيم شاقة. هناك أنبوب كبير ونصف من اللون الأبيض في الأرض ـومع ذلك فالأرض داكنة جدًا– وإضافة إلى ذلك أحمر وأصفر وبني صدئ وأسود وتيرا سينا وبني مسود، والنتيجة هي بني محمر يتراوح بين البني المسود ولون النبيذ الأحمر الداكن والأشقر الشاحب المحمر. ثم هناك أيضًا الطحالب وحافة من العشب الطازج تجذب الضوء وتبرق بوهج عصية على الإمساك. وها أنت لديك تخطيط، مهما قيل عنه، فقد حاولت أن يكون له معنى، أن يقول شيئا.

بينما أصنعه كنت أقول لنفسي: لن أرحل قبل أن يكون به شيء من مساء خريفي، شيء غامض وبه جدية.

وعلى كل حال، فلأن ذلك التأثير لا يدوم طويلا، فكان علي أن أعمل بسرعة. كانت الشخوص قد صوّرت بضربات محدودة وقوية من فرشاة حاسمة، بحركة واحدة. كنت مأخوذا بالوقوف الصارم للجذوع النحيلة في الأرض، وقد بدأت فيها مستخدمًا الفرشاة، ولكن بسبب الأرضية، التي كنت مزجتها بالفعل، فقد اختفت ضربة فرشاة واحدة ببساطة. ثم عصرت الجذور والجذوع عليها من الأنبوب مباشرةً، وشكّلتها قليلًا بالفرشاة. نعم، وهي الآن تقف عليها ـتبزغ منها– تقف متجذرة بحزم فيها. بمعنى من المعاني، فأنا سعيد أنني لم أتعلم التصوير الزيتي قط. ربما وقتها كان سيكون علي أن أتعلم تجاهل تأثير كهذا. الآن أقول لا، فهذا تحديدًا ما أريده –لو يكون ممكنا فهو ليس ممكنا- أريد أن أجربه حتى لو لم أكن أعرف كيف ينبغي أن يُفعل. أنا نفسي لا أعرف كيف أقوم بالتصوير الزيتي. أجلس بلوحة بيضاء أمام البقعة التي تسحرني، وأنظر لما هو أمام عيني، وأقول لنفسي، هذه اللوحة البيضاء لا بد أن

تصير شيئا، وأعود غير راض، فأضعها جانبًا، وبعد أن أكون قد ارتحت قليلًا، وبشيء من الخوف، أنظر إليها، فأظل غير راض، وذلك لأن الطبيعة الرائعة ماثلة في ذهني بقوة مما يمنعني من الرضا، لكنني مع ذلك أرى في عملي صدى لما سحرني، أرى أن الطبيعة قد قالت لي شيئا ما، تكلمت معي وأنا دوّنت ما تقول باختزال. وفي اختزالي قد تكون هناك كلمات مطلسمة ـأخطاء أو فراغاتـ ولكن شيئا ما يبقى من الغابة أو الشاطئ أو الشخص المذكور. إن اللغة المروضة أو التقليدية لا تصدر عن الطبيعة نفسها، ولكن عن أسلوب مدروس أو نظام.

مرفق أيضًا مسودة من التلال. كانت تقف هناك شجيرات صغيرة أوراقها بيضاء من جانب وخضراء داكنة من الجانب الآخر، وقد كانت تتحرك بشكل مستمر وتبرق. وخلفها غابة معتمة.

وكما ترى، فأنا أغمر نفسي في التصوير الزيتي بكل قوتي ـأغمر نفسي في الألوان– وقد كنت مُحجِما عن ذلك حتى الآن، ولا أندم على ذلك. لو لم أكن قد رسمت لما شعرت قط بشخص يبدو كقطعة فخار غير منتهية ولا عالجته. لكن الآن أنا أشعر وكأني في أعالي البحار، والتصوير يجب أن يمضي بكل ما نستطيعه من قوة.

لو اشتغلت على لوح أو قماش، فإن التكلفة سترتفع ثانيةً –كل شيء غال جدا– وألوان غالية أيضًا، وتُستهلك سريعًا. حسنا، تلك مشاكل يواجهها كلّ المصورين، لا بد أن نرى ما في الإمكان. أعرف عن ثقة أن لدي شعورًا بالألوان سيتطور أكثر فأكثر، إن التصوير بالزيت شيء في دمي. وأنا أقدّر بشكل كبير دعمك لي بكل إخلاص وقوة. وأفكر فيك في أحيان كثيرة، وأود أن يكون عملي ثريًا وجادًا وقويًا وأن يجلب لك المتعة في أقرب وقت.

وأريد أن أدخل في انتباهك أمرا هاما. ألن يكون ممكنًا أن أحصل على الألوان والألواح والفرش وما إلى ذلك بسعر الجملة؟ حاليًا أنا مضطر لدفع سعر التجزئة. هل أنت على اتصال ببيلارد أو أي شخص من هذا القبيل؟ لو كان كذلك فيبدو لي أنه سيكون أرخص كثيرًا أن أشتري الألوان، على سبيل المثال، بكميات كبيرة كالأبيض

والبني والتيرا سينا، وبإمكاننا أن نصل لاتفاق بخصوص النقود. ستكون أرخص بالطبع. فكّر في الأمر. اللوحة الجيدة لا تتكوّن من كمية كبيرة من الألوان، ولكن لكي تعطي الأرض صلابتها الحقيقية، وللسماء سطوعها، وأحيانا لا يجب أن يقلق المرء بخصوص أنبوب أزيد أو أقل.

أحيانا يتطلّب الموضوع أن يلونه المرء برقة، وأحيانا تجعله المواد وطبيعة الأشياء واضحا بذاته، وعليه فلا بد أن يتشبع لونيًا. لدى موف -وهو يلون باقتصاد مقارنةً بجي ماريس، أو مقارنة بميبه أو جول دوبريه- تجد في أركان المرسم علب السيجار وبقايا أنابيب الألوان بالكثرة التي تجد بها القناني الفارغة في أركان غرف السهرات أو الولائم كما يصفها زولا على سبيل المثال.



منظر الشاطئ في شيفينجن

والآن، لو كان ممكنا بعض الزيادة هذا الشهر، فسيكون ذلك رائعًا. لو ليس ممكنًا، فلا عليك. سأعمل بقدر ما أستطيع. أنت تستعلم عن صحتي، ولكن ماذا عن صحتك أنت؟ أعتقد أن علاجي يمكن أن يكون هو علاجك نفسه. الخروج، والتصوير. أنا بخير، ما زلت أضطرب عندما أرهق، لكن الأمور تتحسن ولا تسوء. وأعتقد أنه من المفيد أنني أعيش ببساطة قدر المستطاع، لكن التصوير هو علاجي الرئيسي. وأتمنى من كل قلبي أن تكون سعيدًا، وأن تزداد سعادة.

تقبل مني مصافحة في الخيال، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

كما ترى في مسودة المنظر البحري، هنالك تأثير أشقر ناعم، وفي الغابة مزاج قاتم وأكثر جدية. وأنا سعيد لأن كلا المزاجين موجودان في الحياة.

(sketch A)

٢٦٧ | لاهاي، نحو الثلاثاء ١٩ سبتمبر ١٨٨٢

إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

للتو وصلت رسالتك المرجوة، وها أنا أرد عليك على الفور لأنني أتوق للحديث معك ثانيةً.

أنت تسأل: هل لديّ العديد من الأعمال الألمانية؟ وكما يحدث، وبخصوص فوتييه وبعض الألمان الآخرين، فقد كتبت لأخي في رسالة عن بعض الدراسات لشخوص كنت قد رسمتها، تقريبا ما تقوله نفسه. قلت له إنني كنت ذهبت إلى معرض

للألوان المائية كان به الكثير من الأعمال لإيطاليين. كان بارعًا، بارعًا جدًا، ومع ذلك تركني لشعور بالفراغ، وقد قلت لشقيقي، يا صديقي القديم، كم كان زمنًا مبهجًا في الفن عندما بدأت تلك المجموعة من فناني الألزاس: فوتييه وكنوس ويوندت وجيورج سال وفان مويدن وقبلهم جميعًا بريون، وأنكر وتي شولر الذين صنعوا رسوما بشكل أساسي، وقد تم تفسيرهم، كما يقال، ودعمهم من قبل فنانين آخرين، وتحديدًا كُتاب كإركمان شاتريان وأورباخ. نعم الإيطاليون بارعون حقًا، لكن أين مشاعرهم وأحاسيسهم الإنسانية؟ أنا قد أُفضل مشاهدة مسودة رمادية للانسون -بعض جامعي الأعمال يتناولون حساءهم بينما هي تمطر وتثلج بالخارج- عن ريش الطاووس الزاهي للإيطاليين، الذي يبدو وكأنه يتضاعف كل يوم، في حين يأخذ عدد الفنانين المعتدلين في التضاؤل أكثر مما هو قليل أصلًا.

أنا أعنيها يا رابارد. أنا أفضل أن أكون نادلًا في فندق على سبيل المثال، على أن أكون من صُنَّاع لوحات الألوان المائية من نوع هؤلاء الإيطاليين. لا أقول إن هذا ينطبق عليهم جميعًا، لكن يمكنك فهم تطرفي فيما يتعلق بالاتجاه ومضمون تلك المدرسة. وما أقوله لا ينتقص من حقيقة أني أعرف العديد منهم ممن أجدهم جميلين، تحديدا ذلك الفنان الذي لديه شيء يشبه جويا، وكفرتوني أحيانا، وموريللي، وأحيانًا حتى تابيرو، وهيليبوت ودويز. عندما رأيت بعض هذه الأعمال لأول مرة، منذ عشر أو اثنتي عشرة سنة، وقد كنت مع جوبيل في ذلك الوقت، وفكرت أنها رائعة، بل وأجمل من أعمال مستحقة للفنانين الألمان، مثلًا، أو الرسامين الإنجليز، أو على سبيل المثال روتشوسن وموف. وقد غيرت رأيي منذ فترة طويلة، لأنني صرت أعتقد أن هؤلاء الفنانين كالطيور التي لديها نغمة واحدة في تغريدها، فيما أشعر بتعاطف أكبر مع القُبَّرات والعنادل التي لديها أكثر من ذلك لتقوله بضجيج أقل وولع أكبر. وعلى كل حال، ليس لدي أعمال كثيرة للألمان، والأعمال الجميلة من زمن بريون صعب العثور عليها الآن. مرة جمعت مجموعة من المحفورات الخشبية، وتحديدا عن أعمال للفنانين المذكورين أعلاه، وقد تركتها لصديق في إنجلترا عندما غادرت شركة جوبيل. وأنا أندم على ذلك أشد الندم حاليًا. لو أردت اقتناء أعمال جميلة حقا منهم، فقدم

طلبًا في مكاتب L'Illustration for L'Album des Vosges، إن رسومًا لتي شولر، وبريون وفالنتين، ويوندت، ومن إليهم تكلف فيما أعتقد خمسة فرنكات. لكن أخشى أن تكون قد نفدت، ومع ذلك فالأمر يستحق السؤال. ربما، ومن الجائز أن يكون السعر قد ارتفع، لن يرسلوها مع إمكانية إرجاعها، ولهذا فقد خشيت أن أطلب منها لنفسي.

أعرف تفاصيل قليلة عن الفنانين الإنجليز، بحيث لا أستطيع أن أذكر سيرهم. وإن كنت قد قضيت ثلاث سنوات في إنجلترا، ورأيت أعمال العديد منهم، فقد عرفت عنهم وعن أعمالهم في خطوط عريضة. ومن الصعوبة بمكان أن تقدّرهم بشكل كامل دون أن تكون قضيت وقتًا أطول في إنجلترا.

إنها طريقة مختلفة في الإحساس والتصوّر والتعبير لا بد أن يعتاد عليها المرء أولًا.

إن دراستهم تستحق العناء، فهم فنانون عظام الإنجليز. لقد اقترب منهم إسرائيل وموف وروتشوسن، لكن من حيث المظهر فإن لوحة لتوماس فايد مثلا مختلفة تمامًا عن لوحة لإسرائيل، ورسمًا لبينويل أو موريس أو سمول، يبدو مختلفا عن رسم لموف، وجيلبيرت أو دي مورييه مختلف عن روتشوسن.

وبالكلام عن روتشوسن، لقد رأيت رسمًا رائعًا له: جنرالات فرنسيون يطلبون معلومات وأوراقًا من العمدة والمستشار في غرفة بمبنى بلدية إحدى المدن الهولندية. فكرت أنه فعلا جميل كالمشهد في بيت دكتور واجنر في مدام تيريز لإركمان شاتريان. أعرف أنك لا تقدر روتشوسن كثيرًا حاليًا، لكنني متأكد أنك ستحبه كثيرًا لو رأيت رسومه الهامة.

بالنسبة لي فإن الرسامين الإنجليز يشغلون ما يشغله ديكنز في حقل الأدب. إنه الإحساس النبيل والصحي نفسه وشيء يرجع إليه المرء دائمًا. أود بشدة أن تتاح لك الفرصة إن آجلًا أو عاجلًا لتتصفح مجموعتي كلها. فمن خلال رؤية الكثير منها معًا يكوّن المرء فكرةً عامة عنها وتأخذ هي في الكلام عن نفسها، ويرى المرء بوضوح أي كيان رائع تشكله هذه المدرسة من الرسامين. تمامًا كما يجب أن يقرأ المرء ديكنز أو بلزاك أو زولا في مجموعهم ليعرفهم منفصلين.

وهكذا، فعلى سبيل المثال فإن لدي الآن نحو خمسين مطبوعة عن أيرلندا، يمكن للمرء أن يلقي نظرة عليها بشكل منفرد، لكنها تكون مذهلة عندما تُرى كلها معا.

إن بورتريه شكسبير لميتزل مجهول بالنسبة لي، كم أود أن أرى كيف فسَّر الأسدُ الأسدَ الآخر. فعمل ميتزل به بعض التماثلات مع عمل شكسبير فيما يخص ما هو حيّ. لديّ الطبعة الصغيرة من فريدريك العظيم لميتزل، فأحضرها معك لو تسمح، ولو جئت إلى لاهاي ثانيةً. ليست لدي المطبوعات التي كتبت لي عنها (باستثناء ريجامي). لا أملك هيلبوت، ولا مارشيتي ولا جاكيه.

وليس لدي أي شيء لويستلر، ولكنني رأيت فيما مضى محفورات جميلة له، شخوصًا، ومناظرَ طبيعية.

لقد ذُهلت أيضًا من المنظر البحري لويلي من مجلة ذا جرافيك التي كتبت عنها.

أعرف حقل الأرملة لبوتون؛ إنها جميلة جدًا. نعم، أنا مأخوذ بها كلها حتى إن حياتي كلها تهدف لصنع الأشياء من الحياة اليومية التي وصفها ديكنز ورسمها هؤلاء الفنانون. يقول ميه، في الفن يجب أن يعطي المرء قلبه وروحه. وأنا حاليا أناضل، وأنا أعرف ما أريد، واللغو حول النزعة الإيضاحية لن يجعلني أحيد عن طريقي. إن الاتصال بالفنانين، إذا جاز التعبير، قد توقف تماما بالنسبة لي، بدون أن أكون قادرا على تفسير كيف ولِمَ؟ أنا مخلوق لأكون شاذًا وسيئًا. وهذا يعني أنني أحيانا أشعرُ بأني مهمل، ولكن من ناحية أخرى فإن ذلك يركّز انتباهي على الأشياء غير المتغيرة، أعني جمال الطبيعة السرمدي. أفكر أحيانًا في قصة روبنسون كروزو القديمة، الذي لم تجعله العزلة يصاب باليأس لكنه نظّم الأمور حتى خلق لنفسه عملًا، وكانت له حياة نشيطة جدًا ومثيرة من خلال بحثه وكدحه.

على أي حال، كنت أصوّر بالزيت وأرسم بالألوان المائية، وفوق ذلك أرسم شخوصًا كثيرة من الموديل إضافة إلى مسودات في الشارع. مؤخرًا كنت أستعين في كثير من الأحيان برجُل من دار المسنين لأرسمه.

والآن، ها أنا أخيرا أعيد لك كارل روبيرت، الفحم. قرأته بإمعان أكثر من مرة وحاولت، ومع ذلك لم أحرز أي تقدم مع الرسم بالفحم، وأنا أفضل العمل بقلم الرصاص الثخين. وأود أن أرى شخصا يرسم بالفحم، فمعي سريعًا ما تصير مسطحة، وأعتقد أن ذلك سيختفي لو أني رأيت أحدًا يقوم بذلك. لو جئت فلدي بعض الأشياء لأسألك عنها.

وعلى كل حال أنا سعيد لأنني قرأته، وأوافق الكاتب تماما على أنه وسيط ممتع للعمل به، وأتمنى لو أستطيع معالجته بشكل أفضل. ربما سأكتشف السر مع الأشياء الأخرى التي لا تزال غير واضحة بالنسبة لي.

وعليه فأنا أعيده لك مع الشكر. لقد أضفت، بعض المحفورات الخشبية، اثنتين ألمانيتين، لمارشال. إن عمل لانسون يبدو جميلا بالنسبة لي خاصة "الأخضر" و"عمال المناجم".

لو لديك أية نسخ ثانية، فأنا أرحب دائما بالحصول على واحدة منها.

أنا أيضًا أرحب بالرسائل، ولو قرأت شيئًا أدهشك فأخبرني به، إذ إنني غير مطلع على ما يصدر هذه الأيام. أعرف أكثر قليلا عن أدب السنوات القليلة الماضية. عندما كنت مريضًا، وبعدها، كنت أقرأ كتب زولا بإعجاب عظيم. كنت أظن أن بلزاك متفرد، لكنني رأيت أن هناك من يخلفه. إن عصر بلزاك وديكنز يا رابارد، وعصر جافارني ومييه قد صار من الماضي البعيد خلفنا الآن. وعلى الرغم من أنه لم ينقض وقت طويل منذ مضى هؤلاء الرجال، لكنه وقت طويل جدًا منذ بدؤوا، وفي الوقت نفسه حدثت تغيرات عديدة لم تكن للأفضل تماما من وجهة نظري. مرة قرأت هذا لدى إليوت: "على الرغم من كونه ميتًا فدعني أعتقد أنه حي"، وهذا ما يحدث مع الفترة التي أكتب لك عنها، من رأيي. ولهذا فأنا على سبيل المثال مولع بروتشوسن. لقد ذكرتَ رسوم حكايات الجنيات – هل تعرف أن روتشوسن صنع لوحات ألوان مائية رائعة عن الأساطير الألمانية؟ أعرف سلسلة اسمها لينور، مذهلة في إحساسها. لكن رسوم روتشوسن المهمة غير متداولة كثيرًا، إلا في دفاتر عشاق الفن الأثرياء. ولو دأبت بدورك على جمع المحفورات الخشبية، فأنت أيضا ستسمع كلامًا

بليغًا عن النزعة الإيضاحية. لكن ماذا جرى للمحفورات الخشبية؟ القطع الرفيعة منها تزداد ندرة مع الوقت، وأكثر صعوبة في العثور عليها، وفيما بعد سيبحث عنها الناس ولن يكونوا قادرين على العثور عليها نهائيا.

ذلك اليوم رأيت مجمل أعمال دوريه عن لندن، وأقول إنها رائعة الجمال ونبيلة في أحاسيسها، وعلى سبيل المثال في غرفة الملجأ الليلي للشحاذين، التي لديك نسخة منها فيما أعتقد، وإن كان لا فلا يزال يمكن الحصول عليها.

وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

أعمل على لوحة بالألوان المائية عن الأيتام، وبدأت العديد من الأشياء، يداي مشغولتان.

عندما أنهيت رسالتي، خرجت وعدت بكومة أخرى من التصاوير، أعني أعدادًا قديمة من مطبوعة Hollandsche Illustraties وهكذا أستطيع أن أضيف بعض الأشياء المكررة إلى هذه الدفعة.

أول ثلاث قطع جميلة جدًا لدومييه

١ جاك

لو كان لديك منها بالفعل فأعد هذه إليّ عندما تتاح لك الفرصة.

"المراحل الأربع لحياة السكير" لدومييه، فدائما ما بدت لي واحدةً من أجمل أعماله. إن بها روحًا كأعمال ديجرو. وأنا سعيد جدا لأني أرسل إليك هذه المطبوعة. فأعمال دومييه صارت نادرة.

حتى لو لم يكن لديك أي شيء آخر لدومييه، فالأستاذ هكذا سيكون ممثلا بشكل جيد في مجموعتك. رأيت رسوما رائعة لفرانز هالز مرةً. وفي هذه الصفحة رأيت شيئًا أو الكثير من فرانز هالز أو رامبرانت.

وأيضًا أضيف بعض أعمال جميلة لموران وأعمال قديمة لدوريه - مطبوعات يزداد وجودها ندرة.

لا بد أنك سمعت مثلي الحديث عن "النزعة الإيضاحية" الموجه ضد دوريه بالأساس، وبالطبع ضد موران.

أعتقد أنه على الرغم من ذلك ستواصل إعجابك بأعمال هؤلاء الفنانين. لكن لو لم يتنبه المرء فإن مثل هذه الأشياء من الممكن أن تؤثر عليه بشكل أو بآخر. لهذا أنا لا أظن أنها نافلة، الآن وأنا أرسل إليك هذه المطبوعات، لأقول إنه بالنسبة لي تظل روائح أيام جافارني وبلزاك وفيكتور هوجو في هذه المحفورات الخشبية البالية - شيء من البوهيمية، هو منسي الآن وأنا أحترمه، وفي كل مرة أراها ثانيةً تشجعني على فعل ما بوسعي ومعالجة الأمور بحيوية.

وبالطبع أنا أرى الفرق بين رسم لدوريه وآخر لمييه، لكن أحدها لا يستبعد الآخر.

قد يكون هناك اختلاف، لكن هناك تناظرًا أيضًا. يستطيع دوريه أن يرسم جذعا علويا وأن يبني المفاصل أفضل، أفضل بشكل لا يقاس من العديد من الأشخاص الذين يسخرون منه باعتباره عارفًا بكل شيء متباهيًا، وأشهد بتلك المطبوعة عن المستحمين في البحر التي بالنسبة له ليست أكثر من مسودة.

أنا فقط أقول لو أن شخصًا مثل مييه علق على رسوم دوريه -أشك أنه سيفعل، ولكن لنفترض ذلك- فسيكون له الحق أن يفعل. لكن عندما يقلل من شأن أعماله من لا يستطيعون أن يفعلوا بكلتا يديهم ما يستطيعه دوريه بإصبع واحدة، فإن ذلك ليس سوى غطرسة، ومن الأفضل أن يلتزموا الصمت وأن يتعلموا أن يرسموا أفضل هم أنفسهم.

كم هو سخيف انتشار سوء التقدير للرسم هذه الأيام.

لقد رأيتَ أنت رسوم لاينين في بروكسل - كم هي بارعة وحاذقة ومذهلة. لو تحدثت إلى أي شخص بشأنها فسيجيبون بتعال وشيء من ازدراء، أنه نعم إنها "مقبولة". لاينين نفسه سيظلّ فقيرًا حتى ربما لو كان نشيطًا جدا وكثير الإنتاج، ومن المرجح أنه سيزداد فقرًا. حسنا من جانبي فلا غضاضة من أن أظلّ فقيرًا طوال حياتي شريطة أن أظل نشيطًا ويزداد إنتاجي وأن أجد خبز كفافي.

حسنًا، تحياتي ثانيةً، وأرجو أن تعجبك المحفورات الخشبية، وأن أسمع منك في القريب مرةً أخرى.

وداعًا.

٢٧٤ | لاهاي، الأحد ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

الأحد ما بعد الظهيرة

عزيزي تيو،

إن رسالتك والمرفق بها أحدثا لي سرورًا عظيمًا، لست بحاجة لأن أخبرك عن هذا. هو ما كنت أحتاجه بالضبط وهو عون عظيم لي.

لا يزال الطقس خريفيًا هنا -ممطرًا مع لفحة برد، لكن الجو مفعم- وهو جيد لتصوير الأشخاص تحديدًا، وهو ما يظهر نطاقًا من الدرجات اللونية على الشوارع المبللة والطرقات التي تنعكس عليها السماء. وهو بالذات ما يفعله موف بجمال شديد في كثير من الأحيان.

وكنتيجة لذلك فقد استطعت أن أفعل المزيد في لوحة الألوان المائية الكبيرة عن زحام البشر أمام مكتب اليانصيب، وبدأت أيضًا واحدة أخرى عن الشاطئ، وهذا هو التكوين بها.

«sketch A»

أستطيع موافقتك تماما عن الحالات التي يمر بها المرء أحيانًا عندما يبدو أصمّ حيال أمور الطبيعة، أو عندما تتوقف الطبيعة عن التحدث إليه.

أنا أيضًا أحيانًا أمرّ بهذا، وهو ما يساعد أحيانًا أن أتحول نحو شيء مختلف تمامًا. لو كنتُ أصمّ حيال المناظر الطبيعية أو تأثيرات الضوء، فأنا أعالج الشخوص، والعكس بالعكس. وأحيانا لا يكون هناك شيء ليفعل سوى انتظار أن تنصرف هذه الحالة، ولكن في مناسبات عديدة أعمد إلى التخلص من عدم القابلية للتجاوب بتغيير الموضوع الذي أركز عليه. علما بأنني أزداد ولعًا بالشخوص.

أذكر زمنا من الماضي عندما كانت المشاعر حيال المناظر الطبيعية شديدة القوة بداخلي، وكنت أذهل من لوحة أو رسمة يكون فيها تأثير الضوء أو حالة المنظر الطبيعي تم التعبير عنها جيدًا أكثر من الشخوص. وبشكل عام، فإن مصوري الشخوص كانوا يلهمونني نوعا من الاحترام البارد عوضا عن التعاطف الحار. وعلى أي حال، فأنا أتذكر جيدًا أنني أغرمت في ذلك الوقت برسم لدومييه، رجل تحت أشجار الكستناء في الشانزيليزيه (رسم لأحد كتب بلزاك)، على الرغم من أن الرسم لم يكن بهذه الأهمية. لكنني أذكر أن ما جذبني بقوة هو وجود شيء حاسم ورجولي في مقاربة دومييه حتى إنني فكرت: لا بد أنه من الجيد أن يشعر ويفكر المرء هكذا وأن يغفل أو يتجاهل مجموعًا من الأشياء ليركز على شيء مثير، وينشد الكائن الإنساني باعتباره كائنا إنسانيا أكثر من المروج أو الغيوم. وبالمثل فإن شخوص الرسامين أو الكُتاب الإنجليز، في يقظتهم التي تحاكي يقظة صباح أول الأسبوع وفي تقشّفهم المتعمد والنثر والتحليل، تواصل جذبي كشيء صلب وحاسم يمنح المرء شيئا ليتشبث به في الأيام التي يشعر فيها بالضعف. وشخوص بلزاك وزولا من الكتاب الفرنسيين بالقدر نفسه. وأنا لا أعرف بعد كتب مورجيه، لكن أتمنى الاطلاع عليها.

هل كتبت لك من قبل أني قرأت كتاب دوديه "الملوك في المنفى"؟ أعتقد أنه جميل حقًا.



شاطئ حيث يتجول الناس وتقف المراكب

إن عناوين هذه الكتب تبدو جذابة جدًا، "البوهيمية" بين أشياء أخرى. كم جنحنا بعيدًا في عصرنا عن أيام "بوهيمية" جافارني! يبدو لي أن الأمور كانت أكثر دفئا في وقتها، وفي مزاج أفضل وأكثر حيوية من الآن. لكن لا أعرف، هناك أيضًا الكثير من الأشياء الطيبة في الحاضر، أو سيكون هناك المزيد أكثر مما هو كائن في حالة اجتماعنا معًا.

في هذه اللحظة هناك تأثير رائع يمكن مشاهدته من نافذة مرسمي. إنها المدينة بأبراجها وأسقفها ومداخنها، تبدو كظلال معتمة ومظلمة على خلفية من أفق مضيء. مع أن الضوء مجرد شريط واسع، معلقة فوقه غيوم ثقيلة، أكثر تركيزًا في الأسفل، وقد تبددت في الأعلى بفعل الرياح الخريفية إلى حزم عظيمة وكتل طافية. لكن ذلك الشريط من الضوء يجعل الأسقف المعتمة تلتمع هنا وهناك وسط كتلة المدينة المظلمة (في الرسم قد ترفعه بضربة من لون ثقيل) ويضمن أنك تستطيع التمييز بين الألواح الحمراء والقرميد على الرغم من أن الكتلة كلها من الدرجة اللونية نفسها.

وطريق الشينكفج يجري في مقدمة المشهد كخط متلألئ عبر البلل، ولشجر الحور أوراق صفراء، وضفة القناة والمروج خضراء داكنة، والشخوص سوداء.

كنت لأرسمها، أو أحاول رسمها، لو لم أكن قضيت ما بعد الظهيرة بأكمله في الكدح مع حمّالي الخث الذين ما زالوا ماثلين جدا في ذهني فلا أجد به مساحة لموضوع جديد، ويجب أن أبقى هناك.

أتوق إليك في كثير من الأحيان وأفكر فيك كثيرًا. ما تكتبه عن بعض الشخصيات في باريس، عن الفنانين الذين يعيشون مع نساء، هم ربما لضيق أفق من الآخرين، يحاولون بكل طاقاتهم أن يظلّوا شبابا، وهو ما يبدو ملحوظا جدا بالنسبة لي. أناس مثل هؤلاء متواجدون هنا وهناك. وربما كان أكثر صعوبة هناك من هنا للشخص الاحتفاظ ببعض الحيوية في الحياة المنزلية، لأن هذا يبدو مهمة شاقة هناك. كم من البشر أصبحوا يائسين في باريس - أبهدوء، وعقلانية ومنطقية وعن حق

يائسين؟ لقد قرأت شيئا في تلك السطور عن بعض الأشخاص، ومن بينهم تاسير الذي أحبه كثيرا، وقد آلمني ما حدث له.

وفوق ذلك، فأنا أعتقد أن كل محاولة في هذا الاتجاه تستحق الاحترام. وأيضًا أومن بأنه قد يحدث أن ينجح المرء فلا يجب عليه أن يبدأ باليأس؛ حتى لو خسر بعض المرات، وحتى لو شعر المرء بنوع من الإحباط، فالموضوع هو أن تعاود الحياة وأن تمتلك الشجاعة، حتى لو لم تجرِ الريح بما توقعت في البداية. وعلاوة على ذلك لا تعتقد أنني أنظر بازدراء للناس كما وصفتَ، لأن حياتهم لم تؤسس على مبدأ جاد ومدروس. رؤيتي لذلك هي كما يلي: النتيجة لا بد أن تكون فعلًا، لا فكرة مجردة. أعتقد أن المبادئ تكون جيدة وتستحق المجهود فقط عندما تتطور إلى أفعال، وأعتقد أنه من الجيد أن تفكر وأن تحاول أن تكون واعيًا، لأن ذلك يجعل إرادة المرء للعمل أكثر إصرارًا وتحول الأفعال المتنوعة إلى كلٍّ منسجم. أعتقد أن أناسًا كمن تصفهم سيحصلون على استقرار أكبر لو أنهم مارسوا ما يفعلونه بشكل أكثر عقلانية، ولكن من ناحية أخرى فأنا أفضلهم على من يستعرضون مبادئهم بدون بذل أدنى مجهود لوضعها في حيز الممارسة أو حتى التفكير في ذلك. فالأخيرون لا يستفيدون من خلاصة المبادئ، والسابقون هم تحديدًا الذين إذا أتيح لهم العيش مع الإرادة والتفكير، فسوف يفعلون شيئا عظيما. فما هو عظيم لا يحدث بالطفرة وحدها، لكنه تتابع لأمور صغيرة تتجمع معًا.

ما هو الرسم؟ كيف يصل إليه المرء؟ هو أن يحفر المرء طريقه عبر جدار حديدي غير مرئي يبدو كأنه يقف حائلًا بين ما يشعر به وما يستطيع فعله. كيف يمكن للمرء العبور من الجدار؟ فالطَرْقُ عليه غير مجد على الإطلاق. من وجهة نظري لا بد من تقويض الجدار وتهشيمه بصبر وتؤدة. ثم وكيف يمكن للمرء أن يظل مكرّسًا لمثل هذا الهدف دون أن ينحرف أو ينصرف عنه، ما لم يفكر وينظم حياته وفقًا للمبادئ؟ وهو الشيء نفسه فيما يخص الأمور الأخرى غير الأمور الفنية. وما هو عظيم ليس شيئا طارئًا؛ لابد أن تكون وراءه إرادة. وسواء كانت الأفعال تقود إلى المبادئ عند

الشخص أو المبادئ تقود إلى الأفعال، فهذا يبدو لي شيئا لا إجابة له أو لا يستحق الإجابة كالسؤال حول أيهما جاء أولًا البيضة أم الدجاجة.

لكنني أعتقد أنه لأمر إيجابي وعلى درجة عظيمة من الأهمية أن يحاول المرء أن يطور طاقاته في الفكر والإرادة.

ينتابني فضول شديد لمعرفة ماذا سيكون رأيك في الشخوص التي أصنعها حاليًا، عندما ستراها آجلًا أم عاجلًا. الشيء نفسه فيما يخصّها كما في سؤال البيضة والدجاجة: هل يرسم المرء شخوصا لتكوين كان قد صنعه مسبقًا، أم أنه يركب الشخوص التي صنعت مستقلة مع بعضها البعض فيصدر التكوين عنها؟ أعتقد أن النتيجة تكون واحدة، ما دام المرء يعمل. سأنهي رسالتي بما أنهيتَ أنت به رسالتك ـ أننا نشترك في حب النظر لما وراء المشهد، أو بعبارة أخرى، لدينا ميل لتحليل الأمور. وهذا هو ما يحتاجه المرء تحديدا، فيما أعتقد، للتصوير، لا بد أن يختبر المرء هذه الطاقة وهو يصور أو يرسم. لا بد أن هناك شيئًا ما فطريًا بداخلنا، بدرجة ما (نملكه أنا وأنت بفضل تنشئتنا معا في برابنت والخلفية التي ساعدت في ذلك بأكثر مما هو معتاد في مثل هذه الحالات، وهو ما علّمنا أن نفكر)، ولكن قبل كل شيء، ففقط لاحقًا ومع العمل تطوّر الحس الفني ونضج. كيف يمكن أن تصير مصوّرا جيدا، لا أعرف، لكنني أعتقد بالتأكيد أن الأمر بداخلك وأنه لا بد وسيخرج.

وداعًا يا صديقي القديم، وأشكرك على ما أرسلت، ومصافحة من القلب.

المخلص دوما،

فنسنت

صار الموقد في مكانه بالفعل، يا صديقي، كم أتمنى أن يتاح لنا أن نشاهد الرسوم والتخطيطات معًا ذات مساء، والمحفورات الخشبية. لدي المزيد من القطع الرائعة.

هذا الأسبوع أنتظر أولادًا يتامى كي أرسمهم، عندها قد أستطيع في النهاية إنقاذ رسمة الأيتام.

٢٧٨ | لاهاي، الأربعاء ١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

١ نوفمبر

عزيزي تيو،

لمدة أيام كنت مأخوذا بالكامل في أمر قد يهمك أنت أيضًا، وأعتقد أنه يستحق أن أكتب لك عنه خصيصًا. في رسالة من رابارد استلمت مقتطفًا من محاضرة لهيركومر عن موضوع الحفر على الخشب في الزمن المعاصر.

لا أستطيع أن أخبرك عن الأمر برمته تفصيلًا، ربما كنت قد قرأتَ المقال بنفسك (وقد نُشر بإحدى المجلات الفنية الإنجليزية، قد تكون "آرت جورنال"). كانت بشكل أساسي عن الرسومات في مجلة "ذا جرافيك". ويروي هيركومر كيف عمل عليها هو نفسه بطموح وحماس عظيمين، وهو يذكر بشكل خاص المطبوعات الرائعة في المجلد الأول. تشعر أن الكلمات لا تكفي للتعبير عن الأهمية التي يعلّقها على أعمال هؤلاء الفنانين الأوائل. وهو يراجع التطور الذي حاق بالعملية والتقنية، والفرق بين الحفر على الخشب قديما وحديثًا... إلخ. ثم تكلم عن الوقت الحاضر، وهذا ما قاده إلى موضوع محاضرته الحقيقي، وقد قال إن حفاري الخشب صاروا مهرة أكثر من ذي قبل، وإن كان يرى تدهورًا الآن إذ يفكر في بدايات مجلة ذا جرافيك. ويواصل، إن من وجهة نظره السبب يكمن في أمرين هو يعترض عليهما. واحد متعلق بالناشرين والثاني بالفنانين. لكليهما أخطاؤه، التي ستدمر الموضوع لو لم يجابهها المرء.

"إن الناشرين"، يقول، "يطلبون عمل الأشياء بحيث تُحدِث تأثيرا: الرسم الأمين الصحيح لم يعد مطلوبا، ولا التصميم الكامل، فقط قطعة لتغطي ركنًا ناتئا في الصفحة، هو كل ما يطلبونه"

"ويعلن المديرون أن الجمهور يطالب بتمثيل الأحداث العامة وما إلى ذلك، ويكونون راضين عن الرسوم لو كانت صحيحة ومسلية، بدون أدنى اهتمام بالجودة

الفنية للعمل. وأنا لا أصدق ما يقولون. والعذر الوحيد الذي قد تقبله هو ندرة الرسامين الجيدين".

ثم انتقل للفنانين، وقال إنه يحزن لأن في المجمل فإن حفاري الخشب هم من يجعلون العمل جيلًا لا الرسامين. وطالب الفنانين بألا يقبلوا بهذا، وأن يرسموا بوعي وبقوة، حتى يردوا للحفارين دورهم الحقيقي، وهو أن يكونوا مترجمين لعمل الرسامين، فلا تكون لهم اليد الطولى في العمل. ثم جاءت خاتمته: مناشدة قوية للجميع ليواصلوا مناصرة القضية بإخلاص، وألا يسمحوا بأي تهاون.

ثمة شيء من الشكوى في مناشدته، وهو يتكلم بنوع من الأسى، وهو يكافح اللامبالاة ويجدها موضوعًا غير قابل للتساهل.

"وإليك -أيها الجمهور- فإن الفنّ يقدم مُتعًا وتثقيفًا لا نهائيًا. إنه يصنع من أجلكم حقًا. ولهذا طالبوا علانيةً بعمل جيد وتأكدوا أنه سوف يأتي". كانت هذه هي كلماته الأخيرة.

إن الأمر برمته سليم وحازم وصادق. إن طريقته في الكلام تترك لدي الانطباع نفسه الذي تخلفه بعض رسائل مييه. إن ما يشجعني، ويترك لدي شعورًا طيبًا أن أسمع أحدهم يتكلم هكذا لمرة.

أقول إنه أمر مخزٍ ألا توجد حماسة، كما يقال، للفنّ الأكثر مناسبة للجماهير العادية. لو أن المصوّرين قد وحّدوا الصفوف لضمان وصول أعمالهم إلى يد الناس (وهي في النهاية مصنوعة من أجل الناس، من وجهة نظري، وهو ما أعتقد أعلى وأنبل طموح لأي فنان) وأن تكون في متناول الجميع، فسيكون ذلك شيئًا ينتج النتيجة نفسها التي كانت في أول أعوام مجلة ذا جرافيك.

صنع نيوهيوس وفان درفيلدن وبعض الآخرين رسوما هذا العام لـ "السنونو"، وهي مجلة تصدر شهريا وتكلف سبعة سنتات ونصفًا. هناك بعض الرسوم الجيدة، لكن يستطيع الواحد ملاحظة أن معظمها قد صنعت بأيد ضعيفة (لا الرسوم الأصلية

لكن كيفية نشرها)، وبما أسمعه فالمجلة لن تستمر كسابقاتها. ولماذا لا تنجح؟ باعة الكتب يقولون إنّهم لا يربحون من ورائها شيئا، وبدلا من ترويجها فإنهم يعيقونها.

وبالنسبة للمصورين، فأنا أعتقد أنهم لم يبذلوا بعد أدنى مجهود لينشغلوا بالموضوع من قلوبهم. والتعريف الذي يعطيه كل مصور هنا في هولندا للإجابة على سؤال "ما هو الحفر على الخشب؟" هو: "هي تلك الأشياء التي تقبع في (مقهى زود هولانديش)"، فهم يصنفونها ضمن المشروبات، وربما صنّاعها ضمن السكارى.

وماذا يقول تجار الفن؟ فلنفرض أنني ذهبت إلى أحدهم هنا ومعي نحو مائة تخطيط جمعتها معًا. أخشى أن تكون أفضل استجابة هي: "هل تتخيل أن لمثل هذه الأشياء أية قيمة تجارية؟"

إن حبي واحترامي للرسامين العظام من عصر جافارني ومن العصر الحاضر يزداد كلما تقدمت في معرفة أعمالهم، وفوق كل شيء كلما بذلت ما بوسعي لصنع شيء مما يراه المرء كل يوم في الشوارع.

وما أثمّنه لدى هيركومر، وفيلدس وهول وكل مؤسسي ذا جرافيك، وبسببه أعتبرهم وسأواصل اعتبارهم أكثر لطفًا حتى من جافارني ودومييه، هو أنه بينما الأخيران يبدوان وكأنهما يريان المجتمع بشكل ساخر أكثر، فالأولون هم كرجال من قبيل مييه وبريتون وديجرو وإسرائيل، يختارون موضوعاتهم، وهي حقيقية كموضوعات جافارني أو دومييه، بحيث يكون فيها شيء نبيل وإحساس أكثر جدية. ويبدو لي فوق كل شيء، أن هذا لا بد أن يبقى.

الفنان غير مطالب بأن يكون كاهنا أو واعظًا في كنيسة، لكن لا بد أن يكون ذا قلب عطوف على البشر، وأنا أجد أن ما تفعله ذا جرافيك كل شتاء للحفاظ على التعاطف مع الفقراء لهو أمر نبيل. وعلى سبيل المثال لديّ مطبوعة لوودفيل تظهر توزيع تذاكر سباق الخيل في أيرلندا، وأخرى من صنع ستنيلاند عنوانها "مساعدة المساعدين" يصور عدة مشاهد في مستشفى - في ندرة النقود، وعيد الميلاد في بيت العمال لهيركومر، ومشرد وجائع لفيلدس... إلخ. أنا أجدها أجمل حتى من رسوم

بيرتال أو أحد رسامي "الحياة الأنيقة" أو أي أناقة أخرى. ربما تجد هذه الرسالة مضجرة، لكن كل شيء كان طازجًا مرة أخرى في ذهني.

لقد جمعت مائة أو نحو ذلك من دراساتي معًا وصنّفتها، وعندما أنهيت العمل تسرب لي شعور خفيف بالأسى بـ "ما الجيد فيها؟"، ثم جاءت كلمات هيركومر القوية تناشد الناس ألا يتهاونوا، وأنه صار ضروريًا أكثر من أي وقت مضى أن نواصل السعي، لتحسّن مزاجي، وقد فكرت أن أخبرك باختصار بخلاصة ما قاله. مع مصافحة في الخيال. وصدقني.

المخلص،

فنسنت

أتمنى أن أسمع منك خلال الأيام القادمة، لقد استلمت رسالة طيبة من البيت.

٢٨٨ | لاهاي، الأحد ٢٦، والاثنين ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٢
إلى تيو فان جوخ (D)

الأحد

عزيزي تيو،

بالأمس أتيح لي أخيرا أن أقرأ كتابًا لمورجيه، أعني "شاربو الماء". وقد وجدت به من السحر ما أجده في رسوم نانتوي ورروكيبلان وتوني جوهانو، شيء متقن وحيّ على الرغم من أنه تقليدي جدًا، أو على الأقل هو هكذا يبدو في هذا الكتاب (فأنا لم أقرأ بعد أي شيء آخر له) ومن وجهة نظري هناك الفرق نفسه بينه وبين آلف كار وسوفستر على سبيل المثال كما بين هنري مونييه وكومت كاليكس والفنانين المذكورين أعلاه. أحاول أن أورد كل الناس في هذه المقارنة من الفترة نفسها.

إنه به ربح عصر "البوهيمية" (على الرغم من أن واقع العصر تمت معالجته سريعًا في الكتاب) وهو لهذا يثير اهتمامي، لكنه من وجهة نظري يفتقر إلى الأصالة وصدق المشاعر. ربما يكون الكتاب الذي لا توجد به شخصيات مصورين أفضل من هذا، ويبدو أن الكُتّاب دائما غير محظوظين مع شخصيات الرسامين، ومن بينهم بلزاك (إن رساميه مملون عن حق)، حتى زولا قد يكون محقًا في شخصية كلود لانتييه - فأمثال كلود لانتييه موجودون بالتأكيد- لكن يبقى أن المرء يود لو أن زولا يصنع ولو لمرة واحدة شخصية رسام مختلف عن لانتييه، والذي على ما يبدو لي قد استقاه من الواقع عن شخص أو آخر، هو بالتأكيد ليس الأسوأ من ضمن الحركة المعروفة بالانطباعية، فيما أعتقد. وهم ليسوا من يشكّلون جوهر جماعة الفنانين.

وفي الاتجاه المعاكس، أعرف بعض البورتريهات الجيدة المرسومة أو المصورة لكتّاب. وفي هذه النقطة فإن معظم المصورين يتوقفون عند ما هو تقليدي ويصنعون من الكاتب رجلا يجلس ببساطة إلى طاولة مليئة بالأوراق، أو هم حتى لا يذهبون إلى هذا المدى ويجعلونه رجلا مهذبًا بياقة وربطة عنق، وفوق هذا وجها بلا أي تعبير خاص.

هناك مصور صنعه ميسونييه أجده جميلًا. إنه ذلك التكوين المرئي من الخلف منحنيا للأمام بقدم على عارضة الحامل، وأعتقد أن كل ما يراه المرء هو رُكبتان مفرودتان، وظهر، وعنق ومؤخرة رأس، ولمحة من قبضة ممسكة بقلم رصاص، شيء كهذا. لكن الرجل صنعها جيدًا، وفِعل تركيز الانتباه معبَّر عنه بوضوح، تماما كشخوص رامبرانت عندما يجلس شخص صغير يقرأ، أو متكومًا برأسه ترتاح على كفيه، فيشعر المرء على الفور بأن الكتاب قد استحوذ عليه.

وانظر بورتريه فيكتور هوجو بريشة بونا، إنه جميل، حقًا جميل، لكن الأجمل من وجهة نظري هو فيكتور هوجو كما يصفه فيكتور هوجو نفسه بقلمه، لا شيء أكثر من هذا:

"وأنا، أنا كنتُ صامتًا

كما يرى المرء ديكًا أسود يلتزم الصمت في مرج."

الا ترى أن ذلك الكائن الصغير في المرج رائع، أليس حيًا كجنرال ٩٣ الصغير لميسونييه، بطول سنتيمتر واحد أو نحو ذلك؟

هنالك بورتريه ذاتي لميه أجده جميلًا، مجرد رأس يعتمر قلنسوة كاهن. لكن النظرة، بعين نصف مغلقة، النظرة المركزة لمصور، كيف تم التعبير عن هذا بجمال، وتلك الهيئة كديك صغير، لو لي أن أقول هذا.

إنه يوم الأحد مرةً أخرى. هذا الصباح كنت في طريق رايشفايشفيج. كانت المروج غارقة جزئيا بالمياه، فكان هناك تأثير بدرجة من الأخضر والفضي مع الأسود والرمادي والأخضر الخام لجذوع وأغصان الأشجار القديمة التي تهزها الريح في المقدمة، صورة مظللة للقرية ببرجها على خلفية السماء الفاتحة، ثمة سياج هنا وهناك، أو كومة من السبخ ينقب فيها سرب من الغربان.

كيف ستشعر حيال شيء كهذا، وبأي كيفية ستصوره لو أردت أن تفعل ذلك.

لقد كان الطقس رائعًا هذا الصباح، وهو ما جعلني أتحمس لتمشية طويلة، لأنه مع كل الرسوم والليتوغراف بالكاد خرجت من البيت هذا الأسبوع.

وبالنسبة لليتوغراف، أتمنى أن أحصل على تجربة غدًا عن رجل مسن. أتمنى أن تكون جيدة. لقد فعلتها بنوع من أقلام الشمع صُنع خصيصًا لهذه العملية، لكنني أخشى أن يتضح أن أقلام الشمع الاعتيادية المخصصة لليتوغراف هي الأفضل في النهاية، وسأكون نادمًا على عدم استعمالها. حسنًا، سوف نرى كيف سيخرج الأمر.

سأتعلم غدًا عدة أمور عن الطباعة سيريني إياها الطبّاع. كم أود أن أتعلم أن أطبع بنفسي. أعتقد أنه من الممكن جدا أن يحيي هذا المنهج الجديد فن الليتوغراف. وأعتقد أنه لا بد من العثور على طريقة لدمج مزايا المنهج الحديث في القديم. الواحد لا يمكن له أن يتوقع أي شيء بشكل أكيد، لكن من يعرف إن كان ذلك لن يقود إلى تأسيس مجلات جديدة مرةً أخرى.

كان ذلك على قدر ما وصلت له بالأمس مساء، هذا الصباح كان لا بد أن أذهب إلى الطبّاع مع الرجل المسن. والآن وقد اتبعت كلّ شيء: النقل على القالب، وتحضير القالب، ثم الطباعة الفعلية. وصار لدي فهم أكبر لما يمكن أن أغيره عن طريق الرتوش. وهنا مرفق الطبعة الأولى، دون أخذ أخطاء العملية في الاعتبار.

أتمنى أن أفعلها بشكل أفضل مع الوقت. أنا عن نفسي، بعيد جدا عن أن أكون راضيا عن هذه، لكن التحسّن لا بد أن يأتي عن طريق الممارسة والمحاولة. ويبدو لي أن المصور لديه مهمة وهي أن يحاول أن يضع فكرةً في عمله. كنت أحاول أن أقول هذا في هذه المطبوعة، لكنني لا أستطيع أن أقولها بجمال وقوة الواقع، الذي يكون ذلك بمنزلة انعكاس معتم له على مرآة قاتمة، وذلك يبدو لي كأحد الأدلة القاطعة على وجود "شيء في الأعالي" كما كان يعتقد ميبه، تحديدا وجود الرب والخلود، وهو الطبيعة المؤثرة بشكل لا يوصف التي قد تكون في تعبير لمثل هذا الرجل المسن، ربما دون أن يكون واعيا بها، إذ يجلس هادئا في الركن بجوار موقده. وهو في الوقت نفسه شيء قيم ونبيل لا يمكن أن يُترَك للديدان.

لقد فعلها إسرائيل بجمال شديد. وربما أفضل فقرة في كوخ العم توم تلك التي يكون فيها العبد الفقير جالسا بجوار النار للمرة الأخيرة وهو يعرف أنه لا محالة ميت، تذكر الكلمات:

دع الهموم تأتي كما لو كانت طوفانًا عاتيًا
ولتهبّ عواصف من الحزن
علّني لا أصل بيتي إلا سالمًا
يا ربي وسمائي وكل شيء.

وبعيدًا عن كلّ اللاهوت، فإنها فقط الحقيقة أن أفقر حطّاب أو مزارع أو عامل مناجم يمكن أن تكون لديه لحظات من العاطفة والمزاج التي تجعله يشعر ببيت أبدي هو قريب منه.

ما إن عدت من لدى الطباع حتى استلمت رسالتك. أعتقد أن مونمارتر كما تصفها هي رائعة، وأنا بالتأكيد قد شعرت بما أثارته فيك. وأرى بالمناسبة، أن جول دوبريه أو دوبيني قد حاولا كثيرًا إثارة مثل هذه الأفكار في أعمالهما. أحيانًا يكون هناك شيء عصيّ على الوصف في هذه التأثيرات -كما لو كانت الطبيعة في كليّتها تتكلم- وعندما يعود المرء إلى بيته يكون لديه الشعور نفسه لمن أنهى كتابًا لفيكتور هوجو، على سبيل المثال. ومن ناحيتي أنا أتفهّم أن ليس كل شخص يراها ويشعر بها، وإن كان في النهاية الرب أو الطبيعة يصنعانها لكلّ من له عينان وأذنان وقلب ليدرك. وأعتقد أن المصور كائن سعيد لأنه يكون في تناغم مع الطبيعة بمجرد ما يستطيع تصوير ما يراه إلى حد ما.

وذلك شأن عظيم. أن يعرف المرء ما ينبغي أن يفعله؛ فهناك موضوعات لا نهائية، وقد قال كارلايل محقًا: مبارك هو من عثر على عمله. ولو كان هذا العمل - كما في حالة مييه، أو دوبريه أو إسرائيل ومن إليهم- شيئًا مقصودًا منه أن يجلب السلام، شيئًا يقول "لتسَمُ قلوبكم"، فسيكون مشجّعًا بشكل مضاعف. ويكون المرء أقل وحدة ساعتها، إذ يفكر: ربما كنتُ هنا وحيدًا مع نفسي، لكن بينما أنا هنا صامت فإن عملي ربما يكلم صديقي، ومن يراه لن يظن بي برود القلب. وستفهم حينئذ أن عدم الرضا عن عمل بائس، وفشل الأشياء، والصعوبات التقنية تصيب المرء بحالة رهيبة من الأسى.

أؤكد لك أنه من جانبي، وإذ أفكر في مييه أو إسرائيل أو بريتون أو ديجرو - والعديد من الآخرين، من بينهم هيركومر- أشعر بإحباط رهيب. فالواحد يعرف قدر هؤلاء فقط في أثناء العمل. والآن لاحتمال هذا الإحباط والأسى، يجب أن يكون المرء صبورًا مع نفسه. ألّا تخلد للراحة وتواصل الدأب على الرغم من آلاف أوجه القصور والأخطاء وهشاشة الانتصار. ولهذا لا يكون المصور سعيدًا: المعركة مع ذاته، وتطوير نفسه، وتجديد طاقته. وكل هذا يزداد تعقيدا بالمصاعب المادية.

لا بد وأن تلك اللوحة الزيتية لدومييه جميلة. إنه لأمر محيّر أن يكون شيء ينطق بمثل هذا الوضوح غير مفهوم، أو يكون كما تقول، من غير المضمون أن يعثر على مشترٍ، حتى بسعر منخفض.

بالنسبة لمصورين كثيرين ذلك أمر لا يحتمل، أو هو على الأقل شبه غير محتمل. يريد المرء أن يكون إنسانًا مخلصًا، وهو كذلك، فالواحد يعمل بمشقّة كحمال، مع ذلك فهو يقصر، ويريد أن يكف عن العمل، ولا يرى فرصة لمواصلته دون أن ينفق عليه أكثر مما سيجني منه. ولدى المرء شعور بالذنب، بالتقصير، بعدم الوفاء بالوعود، والمرء ليس مخلصا بالقدر الذي يكونه لو كان العمل مدفوعًا فيه ثمنه الطبيعي والعادل. يخشى المرء من عقد الصداقات، ويخشى من الحركة، ويود لو يخاطب الناس من مسافة كالمجذومين في الزمن القديم: لا تقترب كثيرًا، فالاختلاط بي سيجلب لك الغم والأذى. ومع انهمار كل هذه الهموم في قلب المرء، فيجب عليه أن يجلس ليعمل بوجهه اليومي الهادئ، ودون أن يحرك عضلةً، يواصل حياته اليومية، يجرب أشياء مع الموديل، ومع الرجل الذي يأتي ليحصل الإيجار، باختصار مع كل من هب ودب. ويجب على المرء أن يترك يده على الدفة ويعمل بخلو بال، وباليد الأخرى يحاول أن يتأكد أنه لا يؤذي الآخرين. ثم تأتي العواصف، والأشياء التي ما كان يتوقعها، ولا يدري المرء ماذا يفعل، وينتابه الشعور أن حجرا قد يرتطم به في أي لحظة.

لا يستطيع المرء تقديم نفسه كشخص بمقدوره أن يكون نافعًا للآخرين أو كمن لديه فكرة عن عمل يفترض أن يكون مربحًا. لا، فعلى العكس، فمن المتوقع أن يكون هناك عجز في النهاية، وعلى الرغم من الطاقة التي تمور في داخله، لدى المرء هدف يجب أن يفعله ولا بد أن يفعل.

ويود الواحد لو تكلّم كرجال ١٧٩٣، يجب أن نفعل هذا وذاك، هذه في البداية، ثم هذه ثم سيموت الأخير، وغني عن القول إن ذلك واجب، لا حاجة لإضافة المزيد.

هو وقت أن يستجمع المرء نفسه ويتكلم.

أو بالأحرى إنه بالنظر إلى أن الكثير قد خلدوا للنوم ولا يريدون أن يتم إيقاظهم، فعلى المرء أن يحاول أن يحصر نفسه في أشياء يستطيع إنهاءها وحده، ويواجهها وحده فتكون له وحده المسؤولية عليها. وليواصل أولئك النائمون نومهم في راحة. وها أنت ترى الآن أنني هذه المرة أعبّر أنا أيضًا عن أفكار أكثر حميمية من المعتاد؛ وأنت الملوم على هذا لأنك فعلت الشيء نفسه.

وفيما يخصك، فهاك ما أفكر فيه: أنت في النهاية أحد الرائين، ولست من النائمين. أليس من الأفضل أن تواصل الرؤية وأنت تمارس التصوير عوضًا عن الرؤية وأنت تبيع اللوحات؟ أقول هذا بهدوء، دون حتى أن أضيف: هذا أو ذاك يبدو حسنًا من وجهة نظري، واثقًا في رؤيتك للأمور. فأن يكون المرء مصورا هو كأن يكون جنديا في الطليعة يواجه مخاطرة الانهيار. وهذا وأشياء أخرى، من نافلة القول. لا يجب أن تعتقد أنني خائف جدًا؛ إن تصوير البوريناج على سبيل المثال سيكون ذا شأن. سيكون عسيرًا وخطيرًا جدًا ربما، كما تستلزم الحياة البعيدة كل البعد عن المتعة والراحة. وسأضطلع بأمر كهذا لو استطعت، أي لو لم أكن أتوقع على وجه اليقين، كما أفعل الآن، أن النفقات ستتجاوز إمكانياتي. إذا وجدت آخرين مهتمين بذلك أو بمشروع مماثل، فسأجازف وأفعل. وتحديدًا، لأن في هذه اللحظة لا يوجد من يهتم بما أفعل سواك، فهو في الوقت الحالي يقبع في الظلام ولا بد أن يظلّ هناك. وعليه، فسوف أجد أشياء أخرى لأفعلها في الوقت نفسه. لكنني لن أتركها أو أتلافاها أو أي شيء من هذا القبيل. وأتمنى أن يكون متاحا لك أن ترسل إليّ شيئًا ثانيةً يا صديقي قبل بداية ديسمبر. وأشكرك على رسالتك من قلبي، ومصافحة حارة في الخيال، وصدقني. المخلص دوما،

فنسنت

٢٩١ | لاهاي بين الاثنين ٤ والسبت ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٢ إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت رسالتي التي كتبتُ لك فيها كيف أنه بينما أعمل خطرت ببالي فكرة أن أصنع شخوصا من الناس وإلى الناس. وكيف بدا لي أنه سيكون عظيمًا لو شارك أفراد عديدون معا في هذا الغرض، لا من أجل حوانيت الكتب ولكن بمقتضى العمل الخيري والواجب. ومنذ كتبت لك هذا، فقد فكرت بشكل طبيعي وليس كثيرا في "من سيفعل هذا أو ذاك؟" و"ماذا أفعل لها؟" على أرضية أنني لست مسؤولا عن الأولى لكن عن الأخيرة.

لكن أستطيع أن أقول لك إنني فقط عندما كنت أرسم لهذا الغرض اتخذت الفكرة شكلا أكثر صلابة في ذهني، أن خلق شيء مماثل سيكون مفيدًا، وأنه لن تكون هناك حاجة مطلقًا إلى اللجوء لتقليد إصدارات شعبية أخرى، وأنه على العكس، فوجود مجلات مماثلة كـ "العامل البريطاني"، على سبيل المثال، لهو دليل لكيف تصنعها أو كيف لا تصنعها. لا أدري إن كنت تعرف "ليتل دوريت" لديكنز وشخصية دويس فيها، إنه الرجل الذي يمكن أن يُتخذ كنموذج نمطي لهؤلاء الذين يتخذون من "كيف تصنعها" مبدأ لهم.

حتى لو لم تكن تعرف هذا النموذج الرائع للرجل العامل في ذلك الكتاب، فستفهم شخصية الرجل من هذا الاقتباس الوحيد. عندما لم يتحقق ما أراده، مواجهًا عدم الاكتراث وما هو أسوأ منه، ولم يستطع أن يستمر، فقال ببساطة: ذلك الحظ السيئ لن يغيِّر شيئا، فالأشياء حقيقية الآن (بعد الفشل) كما كانت آنذاك (قبل الفشل).

وبدأ من جديد في أوروبا بما لم ينجح فيه في إنجلترا، وأطلقه هناك.

وما أردت قوله هو هذا. إن فكرة رسم أنماط للرجل العامل من الناس وإلى الناس، ومداولتها كمطبوعة شعبية مع رؤية الأمر كله كما لو كان بالضرورة من أمور الواجب والعمل الخيري -هذا ولا شيء آخر غير هذا- أترى، فهذه الفكرة فيما أعتقد جديرة بأن يأخذها المرء على عاتقه، حتى لو لم تكن ناجحة في التو أو على الفور: فالأمر حقيقي اليوم، كما كان بالأمس، وسيظل حقيقيًا في الغد. وهو شيء يمكن أن يبدأه المرء ويواصله بهدوء، شيء لا يشك المرء فيه ولا يقنط من مردوده الجيد، شريطة ألّا يضعف أو يفقد حماسه.

قلت لنفسي إن ما يجب علي فعله كان واضحًا، أن أبذل ما بوسعي مع الرسم. وعليه فمنذ رسالتي عن هذا الموضوع صار لدي الآن قطع جديدة.

أولًا، مزارع. شخص طويل ومسن، رسم تظليلي معتم وطويل على خلفية من أرض داكنة.

وفي البعيد في الحقل كوخ بسقف مطحلب وقطعة من السماء وقبرة. إنه كذلك بشكل ما، وجه حليق، أنف وذقن حادان، العينان صغيرتان، الفم غائر. ساقان طويلتان بجزمتين.

ثم مزارع آخر ببنطال وسترة من البومبازين، ويبدو ذلك الشخص فاتح اللون على خلفية الحقول السوداء التي يحدها في النهاية صف من الصفصاف المقلّم. وهذا نمط مختلف تمامًا، مع لحية كثة، عريض المنكبين، ممتلئ الجسد قليلًا، مثل ثور حيث تشكل مظهره من عمله في الحقل. وهو أقرب لنمط الإسكيمو، شفاه غليظة وأنف أفطس.

ثم حاصد مع منجل كبير في مرعى. الرأس يعتمر قلنسوة بنية صوفية ويقف على خلفية السماء الفاتحة.

ثم فتيان بسترات قصيرة وقبعات كبيرة قديمة ممن يصادفهم المرء أحيانا في التلال.

إنه يحمل إلى البيت سلةً من الخث.

والآن، في هذه الرسوم قد حاولت أن أعبر عن نيتي بشكل أوضح مما فعلت في الرجل المسن برأسه بين يديه. كل هؤلاء الرجال يفعلون شيئا ما، وأعتقد أنه في العموم وفوق كل شيء يجب الالتزام بذلك في اختيار المواضيع. أنت نفسك تعرف كم هي جيدة الرسوم العديدة لشخوص في وضع الراحة، وهي تُصنَع كثيرًا جدا، تُصنَع أكثر من الشخوص في وضع العمل.

إنه لأمر مغر دائمًا أن ترسم شخصًا في وضع الراحة، فالتعبير عن الحركة صعبٌ جدًا، وبالنسبة للعديدين فإن التأثير هو "أكثر إمتاعًا" من أي شيء آخر. لكن ذلك الجانب الممتع لا يجب أن يفقدنا رؤية الحقيقة، والحقيقة أن هناك كدحًا أكثر من الراحة في الحياة.

وها أنت ترى أن موقفي هو بشكل أساسي أن أحاول من جانبي أن أفعل ذلك. ويبدو لي أن الرسوم نفسها مطلوبة بشكل مُلِح أكثر من إعادة إنتاجها. وأيضًا سأكون حذرا من الكلام عن هذا الأمر، لأنني أعتقد أن الناس يتصرفون بشكل عملي أكثر حينما يكونون في جماعات صغيرة لا عندما ينخرط في الأمر أشخاص عديدون.

فالمركب التي لها أكثر من قبطان تغرق.

كم أتمنى لو كنا معًا لفترة أطول.

أتعرف لم لا أشك من جانبي في أنني أستطيع أن أفعلها؟ أنت تعرف من الفيزياء أن شيئا مغمورا في سائل يفقد من وزنه بقدر جاذبية القدر من السائل الذي يحركه الجسم. ولهذا تطفو بعض الأشياء. وحتى تلك التي تغرق تكون أقل وزنا تحت الماء عمّا هي عليه في الهواء، وهو قانون ثابت في الطبيعة، ويبدو ساريًا على ما يخص العمل، بمعنى أنه عندما يكون المرء منخرطا فيه، يشعر بقوة أكبر على العمل مما كان لديه. قد تجرب ذلك بنفسك لو جلست لترسم في وقت ما. في البداية تشعر أنه أمر صعب المنال، شيء ميئوس منه، لاحقًا يصبح واضحًا، وأعتقد أنك سترى ذلك في عملي أيضًا.

لكن هناك شيئًا كتبت لك عنه أصبح أكيدًا الآن، تحديدًا أن رابارد مريض بشدة. تلقيت ثانيةً أخبارًا من أبيه، الذي لم يقل ما الأمر على وجه التحديد. وحتى تتحسن حالته أريد أن أكون أنهيت أكبر قدر ممكن من الرسوم، لأنني أريد من رابارد أن يفعل الشيء نفسه بمجرد شفائه. لدى رابارد ما لا يوجد لدى كل شخص، فهو يتأمل، ومشاعره مثقفة. إنه يستطيع أن يصنع خطة، وأن يختبر موضوعًا، وأن يصر على فكرة. العديد من الآخرين ليسوا مؤهلين للعمل على المدى الطويل على الأقل، فيما يخص التأمل والإرادة غير الفنية. الموضوع محل الكلام الآن يتضمن كلا المهارة والفعل والمثابرة، وفوق ذلك أن تكون صبورًا مستكينًا. ثم إن رابارد لديه شيء آخر ممكن أن يكون من وجهة نظري ذا قيمة كبيرة بالنسبة لأمر كهذا. فهو يدرس الشخوص حقا، لا فقط كدرجة لونية في الألوان المائية، ولكن على نحو أكثر صرامة فيما يخص الشكل والبنية.

أفكر أحيانًا أني أود لو أكون قادرًا على أن أقضي وقتًا أطول مع المناظر الطبيعية. فأحيانا أرى أشياء أجدها جميلة بشكل ملحوظ، وهو ما يدفعني بشكل غريزي لقول، لم أر هذا أو ذاك مصورًا بهذا الشكل.

ولتصويرها -كيف أصنعها- لا بد أن أتوقف عن أشياء أخرى. وأود لو أعرف إن كنت توافقني على أنه فيما يخص المناظر الطبيعية هناك أشياء لم تُعمَل بعد، وأن إميل بريتون على سبيل المثال لديه تأثيرات منقولة (وهو نفسه واصل العمل في هذا الاتجاه) هي بداية شيء جديد يبدو لي أنه لم يبلغ كامل قواه بعد، وقد استوعِب من قلة من الناس، ومورِس من ناس أقل. إن كثيرًا من مصوري المناظر الطبيعية لا يملكون تلك المعرفة الحميمة بالطبيعة التي يملكها هؤلاء من ينظرون للحقول بمشاعر من الطفولة. الكثير من مصوري المناظر الطبيعية ينتجون أشياء لا ترضيني ولا ترضيك، وعلى سبيل المثال، فبعض الناس (حتى ممن نحترمهم كفنانين) يعتبرون عمل إميل بريتون سطحيًا، وهو غير صحيح، فهو يتفوق في الشعور على كثيرين، وهو يعرف أكثر بكثير وعمله مثير.

وحقيقة فإن فراغا ضخما قد بدأ يحل في مجال المناظر الطبيعية، وأود لو أطبق ملاحظة لهيركومر: إن المؤدين يسمحون لذكائهم بإتلاف جلال دعوتهم. وأنا أعتقد أن الجمهور سيشرع في قول أغيثونا من الخلطات الفنية، وأعيدونا للبساطة. كم هو جيد أن ترى عملًا رفيعا لروسو وقد عمل عليه جيدا ليكون به إيمان وإخلاص. وكم هو جيد أن تفكر في أناس مثل فان جوين، وأول كروم وميشيل. كم هو جميل عمل لإيزاك أوستاد أو رويزديل. هل أريد أن يعودوا أم أريد لعملهم أن يُقلَّد؟ لا، لكن أنا أريد للإخلاص والبراءة والإيمان أن يبقوا. أعرف مطبوعات ليتوغراف قديمة لجول دوبريه، سواء من عمله أو صور عن تخطيطاته، لكن يا لها من روح ويا له من حب فيها، على الرغم من أنها صُنِعَت بحرية ومرح.

أيضًا، فإن فعل نسخ الطبيعة ليس أمرًا مثاليًا على الإطلاق، ولكن معرفة الطبيعة بحيث يكون ما يصنعه المرء طازجًا وحقيقيًا، وهو ما يفتقده الكثيرون الآن. هل تعتقد، مثلًا، أن دي بوك يعرف ما تعرفه أنت؟ لا، وقطعًا لا. لكنك ستقول، لكن كل شخص قد رأى بالضرورة أشخاصا ومناظر طبيعية منذ الطفولة: والسؤال هنا: هل كان كل شخص طفلًا متفكرًا؟ وسؤال آخر: هل كل من شاهد البراري والمراعي والحقول والغابات أحبها أيضًا، والثلج والمطر والعواصف. ليس لدى كل شخص ما كان لدينا أنا وأنت، فالأمر يستلزم محيطا وظروفا خاصة لتساهم في ذلك، وأيضا مزاجًا خاصًا وشخصية حتى يكون له جذر.

أتذكر رسائلَ منك عندما كنتَ لا تزال في بروكسل تتضمن وصفًا لمناظر طبيعية كتلك التي في رسالتك الأخيرة.

هل تأكدت من أنه من الضروري جدا جدا أن يظلّ الناس المخلصون داخل الفن؟ أنا لا أقول إنه لا يوجد منهم، لكن أنت بنفسك تشعر بما أعنيه، وتعرف أيضًا كما أعرف أنا مجموعة كبيرة ممن يرسمون وهم كاذبون جدًا. إن الإخلاص هو أكثر سياسة تصدق هنا أيضًا، تمامًا كأمثولة الأرنب والسلحفاة، والبطّة القبيحة لأندرسون. وعلى سبيل المثال، إدوين إدواردز الحفّار، لماذا يكون عمله جميلًا بشكل مطلق، ولِمَ حاز هذه المكانة بين الأفضل في إنجلترا؟ لأن ما أراده هو الصدق

والإخلاص. أنا قد أفضل أن أكون جول دوبريه على أن أكون إدوين إدواردز، ولكن لا بد أن يحمل المرء احتراما كبيرًا للإخلاص، إنه يحافظ على الاستقامة عندما تصير كل الأشياء إلى هشيم.

بالنسبة لي فإن "البرنييه" و"الحقول في الشتاء" الموجودة في اللوكسمبورج مثالية.

ثم لديك لافياي، حفار الخشب والمصور، رأيت له ليلة شتاء مع اقتراب أعياد الميلاد، وقد طرأت على ذهني الآن. ثم لديك مدام كولار، وعلى سبيل المثال تلك اللوحة الزيتية لبستان تفاح وحصان أبيض شائخ.

ثم لديك شينتروي وجوثال (كنت أحيانا أبحث عن شخص لأشرح لك بمن يمكن أن تقارن أعمال جوثال الجميلة، وأعتقد أنه شينتروي). لكن أنا لا أعرف الكثير عن أعمال شينتروي، ولا جوثال أيضًا، لهذا الأمر.

إن إساءة فهم نية مصوري المناظر الطبيعية العظام هي إلى حد كبير سبب الاضطراب. لا أحد تقريبًا يعرف أن سر العمل الجميل يكمن إلى حد كبير في النية الحسنة والشعور الصادق.

لا يستطيع العديدون فعل شيء حيال أنهم غير عميقين، فيتصرفون بحسن نية ما دام قد توفر لهم حسن النية. وأعتقد أنك ستوافق (وخصوصا لأنه سؤال عن شيء ليس في مجالك على الرغم من أنه يخصّك بشكل ما) على أنه لو يعرف كثير من فناني المناظر الطبيعية ممن يصنفون من الصفوة الآن نصف ما تعرفه من أفكار سليمة عن الطبيعة ألِفتها أنت بشكل طبيعي، فسوف ينتجون أعمالًا أفضل وأصح. فكر في ذلك مليًا، وضعه مع أشياء عديدة في كفة الميزان، وأنت تزن نفسك وتقول أشياء من قبيل "قد أكون مجرد شيء متوسط القيمة" ما لم تكن تعني متوسطًا بمعناها الجيد والنبيل.

وكما يقول الناس هنا: "الرسوخ" - إنهم يلعبون كثيرًا بهذه الكلمة، والتي لا أعرف من جانبي معناها الحقيقي، وسمعتها تقال عن عدة أشياء قليلة الأهمية: هل "الرسوخ" هو ما سينقذ الفن؟ كنت لأكون متفائلا أكثر أن الأشياء قد تمضي على نحو

جيد لو كان هناك أناس أكثر من عينة أي فرير أو إميل بريتون على سبيل المثال عوضا عن الراسخين من أمثال بولديني أو فورتوني. سنفتقد فرير وبريتون ونحزن عليهما؛ أما بولديني وفورتوني فقد يحترمهما المرء في حد ذاتهما، لكن التأثير الذي يمارسانه قاتل.

إن شخصا كجوستاف بريون قد ترك شيئا جيدا، وديجرو على سبيل المثال أيضًا. لو كان هناك الكثير من أمثالهم لكان العالم مكانًا أفضل؛ ولكان الفن مقدسًا. ولكن بولديني أو فورتوني أو رينيو حتى، أي شيء طيب يقدمونه لنا، وما التطور الذي حققناه؟ ما تقوله هو حقيقي جدًا "الجدية أفضل من الهزل، مهما كان حاذقا ومصنوعًا بمهارة". وبعبارة أخرى قد أقول "الطيبة المُحِبة أفضل من السخرية"، وهذا غني عن القول، لكن العديد يقولون "لا، هناك شيء جيد في هذه المزحة". حسنًا سيحصدون ما قد بذروه. وداعًا يا صديقي القديم، كنت أريد أن أكتب لك عن الرسوم، وتحديدًا عن أنني أرجو أن تدفعني تلك الفكرة عن عمل مطبوعات للناس إلى تحقيق تطور. وبينما أكتب لك، تقول الأخبار عن رابارد إنه في تغير إلى الأفضل، لكن يبدو أنه معتل جدًا. أعرف بالتأكيد، أنه هو وأباه كليهما مهتمان بالأنماط الشعبية. أتمنى أن أذهب إلى هناك بمجرد أن ينهض رابارد على قدميه، أو على الأقل تكون قد عادت عيناه إلى حالتهما الطبيعية.

اكتب لي قريبا، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٠١ | لاهاي، نحو السبت ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

ما كتبت لي عنه لم يغادر حرفيا أفكاري منذ استلمت رسالتك. وها أنا أكتب لك ثانية لأن الأمر يشغلني كثيرًا. في حالة كهذه فإن المرء يواجه مريضا معتل الجسد والروح. مرض عضال مزدوج. والمساعدة المادية على ضرورات الحياة وما إلى ذلك ليست كافية لجلب التعافي الكامل، إذ إن أفضل وأكثر العلاجات نفعا يظل هو الحب ووجود بيت. على الأقل فإن هذا هو ما شعرت به الشتاء الماضي، ومنذ وقتها، الآن مثلًا، وفيما بعد، وتحديدًا لأن التجربة أوضحت لي ما كانت تخبرني به مشاعري أيضًا. العيش فوق الماء هو شيء عظيم ورفيع، لكنه أيضًا صعب جدًا ويتطلب الكثير من العناية. إن صنع بيت للمشرد ينبغي أن يكون أمرًا طيبًا، أيا ما كان سيقوله الناس، وهو لا يمكن أن يكون خطأ. على الرغم من أنه قد يعتبر أحيانًا نوعًا من الجريمة.

لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في الأمر مرارًا وتكرارًا. كيف سيراها الناس؟ هل ستجعلك في صراع مع العالم؟ وذلك أيضًا سؤال في ذهني لا أعثر له على إجابة، لأنني لا أعرف الظروف بشكل كاف حتى الآن، وهناك أمر آخر، وهو حقيقة السبب وراء هذه الرسالة، وهو ما أردت اقتراحه عليك لتأخذه في الاعتبار، وهو ربما ما فكرت أنت فيه بنفسك أيضًا.

إن شيئا كهذا هو عمل على المدى البعيد، لكنني أعتقد أنك قد ترى عائد اهتمامك قريبًا، وإن كان التعافي الجسدي والروحي لجسم قد تعرض لمثل هذه الصدمة قد يستغرق أعوامًا.

إن المرأة والطفل معي حاليًا. وهناك فرق كبير عما كان عليه الأمر في السنة الماضية. المرأة أقوى وأمتن، وقد فقدت الكثير من ذلك المظهر المعذب. والطفل الصغير جذاب، طفل مرح وفي صحة جيدة كما تستطيع أن تتخيل. وهو يصدح كديك صغير، وعلى الرغم من أنه لا يتناول إلا الرضاعة فهو سمين وممتلئ.

أما الفتاة المسكينة -تستطيع أن ترى من الرسم أن البؤس العميق للماضي لم ينمح بعد، وأنا أحيانا أقلق بسبب هذا، ولكن يظل أنها أفضل كثيرا من العام الماضي- وقتها كان الوضع سيئا جدا جدا، والآن هناك بالفعل شيء طفولي حقيقي بها.

وعلى أي حال، فإن كان الوضع غير طبيعي تمامًا، فإنه أفضل مما كنتُ آمل فيه العام الماضي. وعندما أفكر الآن، هل كان من الأفضل لو أن الأم أجهضت حملها، أو لو ذبل الطفل وانتهى بسبب نقص لبن الأم، ولو أن هذه الفتاة قد تُركت مهملةً لقذارتها، والمرأة نفسها في ما لا أعلم من تردٍّ، وحالة لا توصف؟ أترى، لم أستطع التردد، وقلت امض قدما وأنا راض. شيء بسيط، وأمومي حقيقة صار للمرأة، وإذا تعزز هذا لديها فستكون قد نجت.

والآن كيف تحقق التقدم؟؟ ليس عن طريق الأطباء أو العلاجات النادرة، لكن من خلال إحساس المرء بوطنه، من خلال حياة منتظمة وطموح. لا عن طريق إراحة المرء لنفسه كثيرًا، لأن ذلك لا يمكن أن يحدث، لكن لأن القلب المنهك له استراحات كثيرة، حتى في وسط العمل الشاق والمضجر. ومع هذه الحالة التي أعرفها بشكل حميم كواقع أمام عيني، فها أنا أعود لما أردت قوله. يبدو لي أنك لا بد أن تولي عناية خاصة بمحيط السيدة التي تكتب عنها لو أردت أن ترى بعض الفائدة. سيكون من الأفضل لها أن تكون في مكان غير الغرفة الفارغة في فندق أو شيء من هذا القبيل، أن تكون في مناخ منزلي أكثر. فكر في هذا الأمر، لأني أعتقد أنه مهم. هي بحاجة لأن تلتهي في الأمور اليومية الاعتيادية لتبقيها منشغلة.

العزلة والفراغ قاتلان بشكل محقق. لا بد أن تستطيع التحدث مع أناس طيبين. باختصار، دائرة منزلية لا شيء فيها بعيد عن الاعتيادية ستكون رائعة. لنقل، أن

تشغل نفسها بالأطفال. أعتقد أنه أمر محزن أنه لا طفل لديها، ومن وجهة نظري فإن ذلك يجعل الحالة أكثر حرجًا.

نعم، أنا أعتقد أن أكثر شيء عملي يمكن أن تفعله هو أن تضعها في مناخ منزلي. وأعتقد أن شاغلك الرئيسي الآن هو إنقاذ هذه الحياة، وأنك بنوع من الإيثار تفكر فيها أكثر من نفسك. ومن جانبي، فالعام الماضي أنا لم أعرف لها منزلًا سوى معي تحديدًا، ولو كنت أستطيع أن أفعل شيئًا آخر لما أخذتها إلى بيتي في الحال، وبالتحديد لتلافي المنغصات التي لم يعد بعد ذلك من الممكن تلافيها.

ولأنني لم أستطع إلا أن أفعل ذلك، فأنا لم أتردد. وفي النهاية سارت الأمور على ما يرام. لكن الوضع عندك مختلف، وربما تستطيع أخذها، الشخصية التي كتبت عنها، إلى مكان ما مؤقتًا بحيث تكون في أمان وهدوء حتى تتعافى تمامًا. أخشى أن يكون أمر شفائها طويلًا، وفوق ذلك فلو كنت تستطيع تجنب أحكام المجتمع المسبقة فلتفعل ذلك لأنها ببساطة موجودة تلك الأحكام. لو كان لا يمكن تجنبها، إذن فمن يحمل الثقل الأكبر سترجح كفته عن الآخرين، وهذا الصيف قد أفضّل أن أجرم في حق كل الأحكام المسبقة الممكنة، حتى لو كان هناك المزيد منها، على أن أترك المرأة بدون سقف أو تدفئة. لكن في حالتك يمكن تسوية كل الأمور بشكل أهدأ، فيما يبدو لي، ولو كنتُ مَكانك لزودتها ببيت حقيقي. لا وحدها في غرفة، بلا صحبة. لأجل صالحها هي، لا لأنك تريد أن تعزلها بعيدا أو تحتفظ بها مختفية، ولكن لأن تلك المشاعر أساسية بالنسبة لها، وتجنب الأمور الصادمة بقدر الإمكان، وكلما دخلت في مشاغل الحياة اليومية الاعتيادية بشكل أسرع كلما كان أفضل.

حسنًا، لو كنت تستطيع أن تأخذها لديك في التو، لما تكلمتُ عن ذلك. فأنا أشعر أن ذلك ليس ممكنًا، أنت نفسك لن توافق عليه في الحال.

أنا منفعل جدًا وأفكر بك طوال الوقت. وللتو صنعت رسمة بعد أن اتخذت المرأة وضعا لأرسمها. اسمع يا صديقي القديم، لنقُل الكلام باختصار، لقد كانت تجربتي هذا

العام أنه على الرغم من وجود لحظات صعبة وصعبة جدًا من القلق والاضطراب، فإنه من الأفضل بشكل لا نهائي أن تعيش مع امرأة وطفل على أن تعيش بدونهما.

فلو واصلت التفكير أن هذه الشخصية هي المرأة التي تود أن تعيش لأجلها، فأنا أراه أمرًا سعيدًا بالنسبة لك. ثم مع المثابرة على الحب سوف تزدهر ثانية. لكنه من المفضل دائما أن تعرفا بعضكما البعض في البداية، فهذا أكثر اتساقا وحصافة. وأنا أيضًا كنت لأفعل ذلك لو كان الأمر قد حضر له، حتى لو كنت قد فكرت أنني سأعيش مع هذه المرأة للأبد. لكن لم يكن هناك بيت يستقبلها في الحال سوى بيتي.

على كل حال، لا بد أن يأخذ المرء الظروف بعين الاعتبار، وأحيانا لا يستطيع الواحد أن يتلافى أن يحدث استفزاز. لا توجد لدي أدنى رغبة في أن أنصحك بأن تكفّ عن الأمر، بما أنك قلت لي إنك تحبها، لكن أعتقد أننا متفقان على ضرورة أن تكون حذرًا في مواجهة العالم، فإن لم يحدث هذا قد ينهار كل شيء. وعليه، فاحذر. وفي الوقت الحالي، فإن الشفاء هو الهم الرئيسي، وكلّ شيء آخر ثانوي. حسنا، أعتقد أن لا شيء أفضل بالنسبة لها من أن تقضي كل يوم في محيط هادئ. ألا تعرف أحدًا من بين أصدقائك يكون مستعدًا للمساعدة ويأخذها عنده في الوقت الحالي؟

لأنها، أكرر لك، لو بقيت وحيدة في غرفة، بلا انشغالات، فأنا أعتقد أن ذلك سيكون مميتًا بالنسبة لها. إن مستشفى (عاديًا أو خاصًا) حيث بالإمكان أن يكون لها صحبة ربما يكون جيدًا، شريطة أن تزورها أحيانًا. ربما تكون كل هذه الأمور قد تم ترتيبها بالفعل؛ وأنا أكتب عنها لأني لا أعرف أي شيء أكيد بهذا الشأن.

أود لو كنت أعلم متى ستأتي. لو جئت وكنت قادرًا، فأحضر الدراسات القديمة معك. وبالنسبة لطلبي إن كنت تستطيع أن ترسل بعض المزيد، حسنًا، فأنا قلق وأتمنى لو كان من الممكن ذلك، لكن لا تجعلها في حاجة بسببي. وكن متأكدًا أنه بسبب ما كتبته لي فسوف أضاعف جهودي بكل سرور لأحرز تقدما، حتى نخفف من أعبائك. لكن الأمر هكذا ببساطة: العمل بدأب يكلّف النقود أحيانًا، إذ تمسي للمرء مصاريف كثيرة. اكتب لي قريبًا لأنني أتوق حقًا لأخبارك. ومباركتي لكل شيء. رابارد يتحسّن،

استلمت منه رسالة. أنا مشغول بالعمل، ما زلت أرسم رؤوسا متعددة. وداعًا مع مصافحة في الخيال.

المخلص دوما،

فنسنت

ستقول إنني أقضي وقتًا طويلًا في الكتابة، لم أستطع أن أمنع نفسي، لأنك أسررت لي، فأردت أن أقول لك إن ذلك قد أثر فيّ فعلًا.

إن الغريب فيما يتعلق بمثل هذه الحالات هو صعوبة معرفة إلى أي حد ينبغي للمرء أن يمضي. سوف تجرب ذلك أنت أيضًا. فالواحد يسأل نفسه، هل يجب أن أساعد هذه المرأة أم أتخذها صديقةً فقط، أم هل يجب بشكل قاطع أن أختارها كزوجة أرغب في العيش معها دائمًا؟ هل هي المقصودة؟ أم ليست هي؟

أعتقد أنك لم تنجُ من هذا الصراع، أو ربما ما زلت تخوضه. ليس من الطبيعي أن يمضي الأمر على خلاف ذلك فيما يبدو لي.

على أي حال، فقد شعرت بهذا الصراع، وقد كان من الصعب لأنني لم أستطع حسم هذه الأسئلة بشكل كامل عندما أجبرتني الظروف على اتخاذ قرار. لأنني فكرت أنه ليست لدي إمكانية إعاشة بيتين منفصلين، ولكن ربما لدي ما يكفي بيتًا واحدًا، وعليه فلا بد أن أخبرها عن الوضع: ما يمكن أن أكون قادرًا عليه، وما لا أستطيع أن أفعله بالتأكيد، ربما نستطيع تدبير الأمر معًا، ولكن لو لم نعش معًا فلن يكون معي ما يكفي. أما معك فقد يتخذ الصراع شكلًا مختلفًا وإن ظلّ هو نفسه، وأتذكر ملحوظة لك من العام الماضي كنت قد رأيتها صحيحة جدا وصائبة: "الزواج، يا له من أمر طريف". نعم وحق الآلهة إنه كذلك. قلت لي حينذاك، لا تتزوجها، وأنا أقرُّ لك بأن الظروف كانت تحيل لأسباب وجيهة لعدم التحدث في ذلك وقتها. وأنت تعرف الآن أنني لم أتحدث بعدها عن ذلك، لكن ظللنا حقيقيين أنا وهي بالنسبة لبعضنا البعض. وتحديدًا لأني لا أستطيع أن أقول إنك كنت مخطئا عندما قلت "لا تتزوجها"، فأنا أطالبك بأن تأخذ في الاعتبار كلماتك تلك، وأنا أعتقد حقيقة أنك فكرت فيها،

فلست أنا من يقولها بل أنت نفسك. وأنا أذكرك بها فقط لأنني أعتقد أنه كان أمرًا حسنًا حقيقة أنه لم يحدث على الفور.

إذن، لا تتخلَّ عن هذه الفكرة، فمن الحسن أن ينضج الحب حتى يتحول الزواج إلى أمر ثانوي للغاية. ذلك أكثر أمانًا، ولن يعاني أحد من الأذية هكذا.

أردت أن أقول لك شيئًا واحدًا في البداية، وهو ما سوف تستوعبه على أي حال. سواء إذا سبب لك ذلك المشاكل أم لا، فأنا أحترم المشاعر النبيلة التي دفعتك للمساعدة، ولأنني أحترم هذا فأنا أتمنى لو داهمتك الصعوبات، كبيرةً كانت أم صغيرة، أن تعتبرني أهلًا لثقتك.

مع هذا فأنا لا أنظر للأمر بعين الأسى، ولكن بكل أمل في نتائج طيبة، وتحديدًا السعادة لك ولها.

لكن مرةً أخرى، أنا أعتقد أن الأزمة ستحل إن آجلًا أم عاجلًا، في شكل خيبة أمل مشتركة. ولو كان هناك طفل، فقد يكون كمانعة الصواعق بالنسبة لكما أنتما الاثنين. والآن، بما أنه لا يوجد واحد في حالتك، فعليه، وعندما تُحَل الأزمة، ليس الآن لكن لاحقًا، ثق بي واحك لي. لأنه حيث توجد الصخور يتعثر الحب كثيرًا للأسف فيما كان يمكن إنقاذه. وما إن يتجاوز المرء هذه الصخور فالطريق يكون مفتوحًا أمامه.

وعلى الرغم من أني مشغول بالكتابة لك، فأنا مشغول بالعمل أيضًا. لا أستطيع أن أصف لك كم أتوق لمناقشة عدد من الأشياء معك. غدا سوف أصنع أغطية مضادة للمطر للرؤوس. رؤوس صيادي أسماك، عجائز وشبان، هذا ما كنت أفكر فيه لفترة طويلة، وقد صنعت واحدًا بالفعل، لكن لاحقًا لم أستطع الحصول على غطاء رأس ثانٍ. والآن سأحصل على واحد يخصني، واحد قديم احتمل الكثير من العواصف والبحار.

٣٠٧ | لاهاي، في نحو الأحد ٤ فبراير (شباط) ١٨٨٣
إلى انطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

تقبل شكري المخلص على رسالتك وعلى المعلومات عن محفورات الخشب التي وجدتها، أود بشدة أن أرى بعضها، وخاصة ديجرو ولانسون.

سعدت كثيرًا لكونك تتماثل للشفاء. تعرف أنه قبل مرضك كنا نتراسل بشكل منتظم عن الليتوغراف، ثم كان علينا أن نوقف المراسلة.

منذ وقتها وأنا أعمل بدأب، ليس على الحجر مباشرةً ولكن باستخدام أقلام الليتوغراف.

إنها وسيط ممتاز.

لو كتبت لك كثيرا هذه الأيام، فأرجوك تحملني، ومن جانبك اكتب أحيانًا أيضًا، لأن لك طريقة في استئناف الحديث. ولست أنت الملوم لكن ظروف مرضك هي السبب في ذلك.

أطمئنك أن مطبوعة ذا جرافيك التي لدي مثيرة بشكل مذهل. منذ أكثر من عشر سنوات كنت أذهب كل أسبوع إلى نافذة العرض الخاص بمطبعة ذا جرافيك، ولندن نيوز في لندن لأرى الإصدارات الأسبوعية. كانت الانطباعات التي اكتسبتها هناك، في الموقع قويةً جدًا حتى إن الرسوم ظلت واضحة وناصعة في ذهني، على الرغم من كلّ الأشياء التي مرت برأسي منذ وقتها. والآن يبدو لي أحيانًا أن لا شيء يفصلني عن تلك الأيام. إن حماسي القديم لها ليس أقل بأي حال من الأحوال عما كان عليه في الأصل ما لم يكن أعظم. أعرف بلا شك أنك لن تندم إذا جئت لرؤيتها في يوم ما.

أعرف أنك لا تنظر إلى الأبيض والأسود بالطريقة التي ينظر بها معظم الهولنديين. وفي حين أني لا أعرف إن كانت لديك خطط لاستخدام هذه الطريقة بنفسك للتعبير عما تشعر به، فأنا أعتقد أن في كل الأحوال ليست لديك أحكام مسبقة بشأنها. وإحداها لا يجب أن تستبعد الأخرى، وفي حالات عديدة يكون الأبيض والأسود بالذات وسيلة تجعل وضع التأثيرات على الورق ممكنًا في وقت قصير نسبيًا وهو ما قد يفقد شيئًا مما يسميه الناس "تلقائيتهم" لو صنع بطريقة أخرى. أتساءل إن كانت تخطيطات لندن ك "مساكن سانت جيل المنخفضة" لهيركومر، أو "الجناح العرضي" لفيلدز. ألم تكن لتكون أقل إقناعًا وقوة لو كانت ملونة عوضا عن كونها بالأبيض والأسود الخشن.

هناك شيء رجولي بها، شيء خشن أجده جذابًا للغاية. شيء آخر – زعيم الأبيض والأسود قد يكون شخصا لا نعرفه لا أنا ولا أنت. في مراجعات للمعارض رأيت ذكرًا لعمل ليرميت، وهو رجل فرنسي يرسم مشاهد من حياة صائدي الأسماك في مقاطعة بريتاني، وقد قيل عنه إنه مييه وجول بريتون الأبيض والأسود، واسمه في صعود مستمر. أود لو أستطيع رؤية شيء من أعماله، وقد كتبت مؤخرًا عنه لشقيقي، الذي كان قد أعطاني معلومات قيمة عدة مرات في الماضي (عن أعمال دومييه الزيتية على سبيل المثال).

أما عن الليتوغراف، فإن تلك القطعة عن الشاب الجالس على سلة يقطع الخبز لشرائح جاءت فاشلة. فعندما تم نقلها إلى القالب، خرج النصف الأعلى ملطخًا بكامله وقد استطعت تصويبه جزئيا بالمكشطة. وفي الوقت نفسه ستجد بها شيئا يثبت أن هذه التقنية تمكّن المرء من العمل بقوة ونقل طبيعة الخامة، كالسلة على سبيل المثال، والبنطال، والجزمة المتسخة. وبينما أنا نفسي وجدت هذه الورقة قبيحة جدًا في الأيام الأولى، فقد تصالحت معها بعدها، ولو بدأت من جديد، لأكملت بالطريقة القوية نفسها مع وضع خلفية لها.

قرأت في سيرة هيركومر كيف أنه في أيامه الأولى (عندما وقعت حادثة الأسكتش الأولى ليوم الأحد في مستشفى تشيلسي) فعل ما بوسعه ليجد بين فناني ذلك الوقت

من يريد أن يرسم شخوصا من الشعب. عثر وقتها على جريجوري، الذي كان أول من جاء بتخطيطات من الحرب الفرنسية البروسية (باريس تحت العلم الأحمر لم أعرف في البداية أن هذه المطبوعة له- ومستشفى طوارئ في مسرح) بعدها حصر نفسه في رسم مشاهد من على ظهر السفن. وقد ظل جريجوري وهيركومر صديقين من وقتها.

والآن كتابتك لي عن تماثلك للشفاء قد أرجعت لي أيام الصيف الماضي عندما كنت بدوري أتماثل للشفاء.

ثمة أمر يعود إلى تلك الأيام لا بد أن أخبرك به. ربما كنت قد كتبت لك عنه في وقتها لكنني لا أتذكر بالتأكيد. هل تذكر عندما زرتني الصيف الماضي أننا قد قابلنا امرأة وأخبرتك أنها موديل قد عثرت عليها، وأخبرتك أيضًا كيف اكتشفتُ أنها حامل وأنني حاولت بكل الطرق أن أساعدها لهذا السبب؟

بعد ذلك مباشرة سقطت مريضًا. وكانت هي وقتها في المستشفى في لايدن، وفي المستشفى تلقيت منها رسالة تخبرني كم هي قلقة. وقبل ذلك في أثناء الشتاء عندما كانت تعاني بشدة، فعلت ما بوسعي، والآن كنت متحيرا داخلي بعمق حول ماذا ينبغي أن أفعل. هل أستطيع وينبغي أن أساعد؟ كنت مريضًا أنا نفسي والمستقبل مظلم تمامًا. ومع ذلك نهضت، مخالفا لنصيحة الطبيب في الحقيقة، وذهبت لزيارتها. رأيتها في المستشفى في لايدن في الأول من يوليو. كانت وضعت في تلك الليلة مولودًا يرقد في المهد مجاورًا لها، بأنفه الجذاب الصغير فوق الأغطية ـ لا يعرف شيئا بالطبع حول طرق الحياة. وبأي حال من الأحوال، فإن مصورًا مريضًا مثلي يكافح من أجل العيش، يعرف بعض الشيء عنها مما لن يعرفه طفل كهذا.

وماذا يجب أن أفعل؟ كان لدي الكثير لأفكر فيه وقتها. كانت ولادتها صعبة ومتعثرة، ويا لها من أم مسكينة. ألا توجد لحظات في الحياة حيث يكون بقاؤك ساكنًا أو قولك "ما علاقة هذا بي؟" نوعًا من الجريمة؟ وعلى كل حال، فقد قلت للمرأة "عندما تتحسنين انتقلي للإقامة عندي. وأنا سأفعل ما بوسعي". والآن يا صديقي

العزيز، فإن هذه المرأة طفلًا آخر أيضًا، حَمَلًا سقيمًا ومهملًا. كانت مهمة تفوق طاقتي بمقدار هائل، أكثر مثلًا من عملية شراء مطبوعات ذا جرافيك، لكن ماذا كنت أنا بفاعل؟ فالإنسان لديه قلب في صدره في النهاية، ولو لم نستطع المبادرة بفعل أشياء فنحن لا نستحق الحياة. وانتقلتْ للسكن معي. ذهبنا للسكن في بيت لم يكن قد تم تشطيبه بالكامل وهو ما استطعت الحصول عليه لانخفاض إيجاره نسبيًا. ذلك حيث لا أزال أقطن، على مبعدة بيتين من مرسمي القديم، في رقم ١٣٨، ونحن لا نزال هناك. ولكن الآن الطفل الذي كان في المهد في المستشفى لا ينام كثيرًا كما كان يفعل في تلك الأيام الأولى. لقد صار مبهجًا، وطفلًا مفعمًا بالحياة في شهره السابع أو الثامن. لقد جلبت له المهد من متجر للمخلفات على كتفيّ، وذلك الطفل بالنسبة لي كان هو نور البيت طوال الشتاء المظلم بأكمله. والمرأة على الرغم من هزالها، فهي لا بد أن تعمل بدأب للحفاظ على نظام الأشياء، وهي تسترد عافيتها بسبب ذلك. فها أنت ترى أنه بينما أحاول أن أتوغل عميقا في الفن، فأنا أيضًا أحاول أن أفعل ذلك في الحياة. والاثنان يسيران معًا.

إن توافر المنغصات من الأصدقاء السابقين الذين لم يعودوا ينظرون في وجهي هو أمر لا يفاجئني بشكل خاص.

ولحسن الحظ هذه ليست الحالة مع أفضل أصدقائي، وأعني شقيقي ـفأنا وهو صديقان أكثر منا شقيقينـ وهو شخص يفهم الكثير من الأمور، وليس فقط هذا، فهو أيضًا قد ساعد ولا يزال يساعد الكثير من تعيسي الحظ. وعلى الرغم من أني فقدت بعض الأصدقاء بسببها، فقد اكتسبت المزيد من الضوء والظل في منزلي الخاص والمزيد من الوطن، حتى إن كانت الهموم تثقل كاهلي أحيانًا فالأمر كأني في مركب في مهب الريح. وعلى أي حال، فعلى الرغم من أني أعرف أن البحر يحمل المخاطر والمرء قد يغرق فيه، فأنا لا أزال أحب البحر، وعلى الرغم من كل مخاطر المستقبل، فعندي بعض الراحة.

والآن لدي رغبة عظيمة في التحدث معك ثانيةً، وأود بشدة لو تأتي لترى مطبوعات ذا جرافيك قريبًا، لو استطعت، لكنني أكتب لك مسبقًا بالتغيرات التي

طرأت في بيتي لأنني لا أعرف كيف تفكّر في مثل هذه الأمور في الحياة. لو كنّا في أيام "البوهيمية"، فإن أسرة مصور مثلي ومرسمًا كمرسمي لم تكن لتبدو كأشياء غريبة. لكننا هذه الأيام، بعيدون جدا عن "البوهيمية" الأصلية، وهناك بين المصورين اعتبارات للياقة لا أفهم ما هي تحديدًا، لكنني أرجو ألا أستفز من يراعونها.

لو كنا لا نزال في أيام "البوهيمية"، كنت سأترك كل شيء يأخذ مجراه، لكنني أقول لك الآن يا صديقي العزيز رابارد، أعيش مع امرأة فقيرة وطفلين، وهناك الكثيرون ممن لا يتعاملون معي، لهذا السبب أو لسبب آخر، ولهذا يتعيّن عليّ أن أقول لك هذا بينما أكتب لك، فهل تود أن تأتي لتطالع مطبوعات ذا جرافيك في أحد الأيام القريبة؟

ما يجب أن أخبرك به أيضًا هو أنه عندما سمع أبي بتلك القصة للمرة الأولى، تفهم أنت طبعًا أنه لم يكن في غاية السعادة، أو بالأحرى لم يكن يعرف ماذا يقول إذ لم يكن يتوقع أمرًا كهذا مني. ثم تلاقينا أنا وهو ثانيةً مع ذلك، وهو ما لم يكن قد حدث منذ جئت إلى هنا بعد أن تركت أيتن بسبب المشاكل هناك. وعندما استمع إلى المزيد من التفاصيل، نظر إلى الأمر بشكل مختلف. لم يدم الخلاف الذي نشب بيني وبينه عندما غادرت الوطن طويلًا، وكنا قد ساوينا الاختلافات بالفعل قبل أن ألتقي بهذه المرأة. ومنذ وقتها، حتى أبي زارني بينما أنا أعيش معها.

لكن كم هناك من سوء الفهم في الحياة، وكم كانت ستكون كل الأمور أفضل لو أن البشر تعاونوا قليلا عوضا عن الشجار.

آه يا صديقي القديم، كنت أتمنى لو كان هناك المزيد من "البوهيمية" باقيًا في الحياة، لا سيما بين المصورين.

من المهم جدا ألا تعتقد أنهم لا يزورونني بسبب المرأة؛ ذلك أمر واحد، ولكن في العموم بسبب التصوير نفسه، على الرغم من أني بالتأكيد قد صورت دراسات هذا الصيف أيضًا. باختصار، العلاقة مع المصورين هنا كانت إحباطا قاسيا بالنسبة لي. هل ستتحسن؟؟؟

أحد المصورين هنا انتهى به الحال مؤخرًا في مستشفى المجانين - بوكس، مصور مناظر طبيعية. كان من الصعب للغاية تقديم العون له قبل أن يصير هناك، على الرغم من أنه كان قد قدم بعض العون في أثناء مرضي، تحديدًا عبر موف. والآن وقد صار في الداخل، فالجميع يتكلمون عنه بتعاطف ويصفونه بالذكاء الشديد. واحد ممن رفضوا مساعدته في مناسبات متعددة ورفضوا دراسات له، قال مؤخرًا "إنه أرقى من دياز" وهو قول أجد فيه الكثير من المبالغة. قال لي الشاب نفسه منذ عام مضى إنه حصل على وسام في إنجلترا، وقد باعه من أجل النقود. وثمة مصور آخر، وهو برايتنر، الذي كنت أخرج معه أحيانا في البدايات للرسم في الشارع، والذي كان في المستشفى في الوقت نفسه الذي كنت فيه هناك، انتهى به الحال مدرسًا في المدرسة الثانوية، وهو ما لم يكن يسعى إليه، على حد علمي.

هل هو زمن صالح للمصورين؟؟؟ عندما جئت في البداية إلى المدينة هنا ذهبت إلى كل محترفات الرسم التي استطعت العثور عليها من أجل البحث عن علاقات وعقد الصداقات. وأنا الآن أهدأ كثيرًا فيما يتعلق بهذه النقطة، وأعتقد أن لها جانبًا شديد الإظلام، تحديدًا لأن المصورين يبدون بمشاعر دافئة لكن في أحيان كثيرة يحاولون أن يجعلوك تتعثر. وهذا هو الأمر القاتل. ينبغي أن يثق أحدنا في الآخر ويساعده، لأن هناك ما يكفي من العدائية في المجتمع على كل حال، وبشكل عام فنحن نحسن صنعًا لو لم يؤذ أحدنا الآخر. يدفع الحقد العديدين لقذف الآخرين، بشكل منهجي. وما النتيجة؟ فبدلًا من كيان كبير يضم المصورين في وحدة قوية، ينسحب كل واحد إلى قوقعته ويعمل مع نفسه. وأولئك من يكونون في صدارة المشهد يصنعون ما يشبه الصحراء حولهم فقط بسبب حقدهم، وذلك شيء بائس جدا، فيما يبدو لي. إن معركة في التصوير أو الرسم لهي أمر جيد بمعنى من المعاني، وهي عادلة على أي حال، لكن لا ينبغي لنا أن نصبح أعداء شخصيين لبعضنا البعض أو نستغل وسائلَ أخرى في الصراع.

وعلى أي حال، لو لم يكن هذا النوع من الأشياء عائقًا لك، ففكر في المجيء لرؤية هذه المطبوعات فهي رائعة، وأحب أن أتكلم معك قليلًا بخصوص ما ينبغي

فعله مع النسخ المطابقة. لأن هناك الكثير منها، بعضها شديد الجودة: التجميعة الأخيرة لميركومر، بيت العجائز، مسكن سانت جيل المنخفض له، المهاجرون والمدرسة الداخلية لفرانس هول. كاكسون مطبوعة لسمول، قارب في البحر لناش، أولد جيت لفريد والكر وأشياء كهذه هي عماد مجموعة المحفورات الخشبية. باختصار، هناك الكثير. من مراسلاتنا الأولى وأنا أفهم أنك لا تريد أن تأخذها مجانًا، على الرغم من أنه من ناحيتي فأنا سأعطيك ما لدي من النسخ المكررة بكل سعادة بدون أي شروط أخرى، ما دمت ستستمتع بها وتحبها.

لكنني أعرف بالتأكيد أننا من الممكن أن نرتب الأمر دون أن تستشعر أي حرج لقبولها، وبما أن ذلك يمكن تسويته بشكل أو بآخر، فيبدو لي أنه قد يمكن أن نلتقي ثانية، خاصة لو تطور أمر تعافيك الصحي.

وسيكون لطيفًا بالنسبة لي أن تأتي، لأنني الآن قد جمعت عددًا كبيرًا من الدراسات من هذا الشتاء، وأود لو أتحدث معك بشأنها.

كنت قد كتبت لك من قبل عن أمر أو أمرين مما أخبرك به الآن، لكنه كان لا يزال غريبا بالنسبة لي أنا نفسي، وكنت بالأحرى مستاءً من بعض الأحقاد من قبل الآخرين. وها أنا أكتب عنها الآن، لا لأني أعتبرتك شخصا ضيق الأفق فيما يخص أمور الحياة، وليس لأني أعتقد أنك ستجد ما فعلته غير مفهوم، ولكن لأنني لا أعتقد أنه من الأمانة أن أسألك أن تأتي لترى المحفورات الخشبية، ولا أخبرك أن الأمور قد تغيرت في بيتي بشكل كبير منذ زيارتك، وأنه بسبب ذلك التغير صار الكثيرون يتجنبونني ولن يزوروني ثانية بالتأكيد.

إن المرسم أكثر اتساعًا من مرسمي القديم، لكنني أتخوف دائما من أن يرفع صاحب البيت الإيجار أو أن يجد مستأجرين يستطيعون أن يدفعوا أكثر مني.

سأحتفظ به بقدر استطاعتي، إنه مرسم جيد جدًا.

لو فكرت أن كل واحدة تقريبًا من ذا جرافيك لدي صار هناك منها نسخة طبق الأصل، فستفهم أن هناك الكثير.

ولدي آمال في الحصول على المزيد منها، خاصة من الأعداد الأولى.

كانت لدي أوهام وإحباطات من نساء أخريات مرةً أو مرتين، وفي الماضي لم أفكر قط أن الحال سينتهي بي هكذا. لكن هناك شيئًا أثر فيَّ بقوة في هذه المرأة، أنها كأم كانت وحيدة جدًا ومهملة، فلم أتردد، ولم أعتقد قط سواء وقتها أو الآن أنني كنت مخطئًا. لأنه من وجهة نظري، لا يجوز أن يمر المرء بأم مهملة مرور الكرام. إن ذلك كشخوص هول أو فيلدز.

لو جئت قريبًا، فلا تجعل زيارتك قصيرةً جدًا. إن مطبوعات ذا جرافيك جميلة جدا حتى إنني أعتقد أنك لو كنت لا تزال منهكًا فإن النظر لها سيعيد لك الحيوية ويقويك، شريطة ألا تكون الرحلة نفسها مرهقة، (وبالمناسبة أنا أسكن بالقرب من محطة راينسبور). على أي حال، افعل ما تراه مناسبًا.

مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣١٠ | لاهاي، الخميس ٨ فبراير (شباط) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

٨ فبراير

عزيزي تيو،

تهانئي الحارة لك بمناسبة عيد ميلاد أبي، وأشكرك على رسالتك التي استلمتها للتو وقد أبهجتني. أهنئك بالذات على العملية التي مضت. إن أشياء كالتي تصفها

تصيب المرء بالقشعريرة. لعل الأمور أفضل الآن، أو على الأقل الأزمة قد مضت. يا لها من امرأة مسكينة!

لو لم يكن للنساء في بعض الأحيان الطاقة والمرونة نفساهما اللتان في تفكير الرجال الذين يجاهدون في تحليل الأمور، فهل هن ملومات في ذلك؟ أعتقد أن لا، لأنهن في العموم يبذلن مجهودا أكثر منا في مكابدة الألم. إنهن يعانين أكثر وهن أكثر حساسية. وحتى لو كن في بعض الأحيان لا يفهمن ما يفكر به الواحد، فهن قادرات في بعض الأحيان على إدراك إن كان امرؤ ما طيبًا معهن. ليس في كل التفاصيل ربما، لكن "الروح تتطلع"، وهناك نوع من الطيبة لدى النساء في الأوقات الغريبة تماما.

لا بد أن حملًا قد انزاح عن كاهلك بعد أن تمت العملية.

يا لها من حياة ملغزة، والحب لغز داخل اللغز. إن البقاء على الحال نفسه هو الشيء الوحيد الذي لا يتم بشكل حرفي، ولكن من ناحية أخرى فإن التغيرات هي نوع من المد والجزر لا تصنع فرقًا في البحر نفسه.

لقد أرحت عينيّ منذ كتبت لك آخر مرة وقد شعرت بتحسن لذلك، حتى إن كان لا يزال هناك بعض الالتهاب بهما.

أتعرف ما الذي لا أستطيع التوقف عن التفكير به؟ أن المرء في الجزء الأول من حياته كمصور يصعّب الأمور على نفسه بدون أن يقصد، من خلال إحساسه أنه لم يسيطر على المهنة بعد، من خلال عدم الثقة في إمكانية السيطرة عليها، وعبر الرغبة الحارقة في إحراز تقدم، وعبر عدم التوصل للثقة في النفس، والواحد لا يستطيع أن ينحّي جانبًا الشعور بأنه متعجّل، والواحد يستعجل نفسه وهو يعمل على الرغم من أنه لا يريد ذلك. ولا شيء بيده ليفعله، وهو وقت لا يستطيع المرء الاستغناء عنه، ولا ينبغي له ولا يمكن أن يكون غير ذلك، من وجهة نظري.

في الدراسات أيضًا يرى المرء في نفسه العصبية ونوعًا من الدقة يتعارض تمامًا مع الاتساع الهادئ الذي ينشده، ولذا فإن المرء يحزن حيث إنه يعمل من أجل هذا الاتساع بالذات ويكرس نفسه له.

ونتيجةً لهذا يحدث تراكم لإرهاق عصبي وضغوط، ويشعر الإنسان باختناق كأيام الصيف قبل العاصفة. حدث لي ذلك ثانية مؤخرًا، وعندما أشعر بذلك أتحول إلى عمل آخر، تحديدًا أبدأ من الصفر.

إن الصعوبات التي يواجهها المرء في المرحلة الأولى تعطي للدراسة خاصية مؤلمة في بعض الأحيان.

لا أنظر لهذا باعتباره شيئا قد يثبط من عزيمتي لأنني لاحظته لدى الآخرين كما لاحظته لدي، وهو لديهم كان يبتعد بشكل مطرد من تلقاء نفسه.

ويظل العمل صعبًا أحيانا على مدار حياة المرء، فيما أعتقد، ولكن ليس دائما بنتائج قليلة كما في البدايات.

ما كتبته لي عن ليرميت يتفق بالكامل مع ما قيل في مراجعة لمعرض بالأبيض والأسود. تحدثت أيضًا عن هجوم خشن من المستحيل مقارنته بأي شيء آخر باستثناء رامبرانت.

أود لو أعرف كيف يرى واحد مثله يهوذا. كتبت لي عن رسم له ليهوذا أمام الكتبة. أعتقد أن فيكتور هوجو يمكنه أن يصف ذلك بالتفاصيل حتى يراه المرء. لكن سيظل من الأصعب تصوير الانطباعات.

وجدت مطبوعةً لدوميه، أولئك من شاهدوا مأساة ومن شاهدوا مسرحية هزلية. بدأت أتوق إلى دوميه أكثر فأكثر مع مرور الوقت. هنالك شيء بليغ ومعتبر لديه. إنه مسل ومع ذلك مفعم بالمشاعر والعواطف. أحيانا يبدو لي أنني أجد شوقا يمكن تشبيهه بالمكواة الملتهبة، في "السكيرين"، على سبيل المثال، وربما في "المتراس" أيضًا (التي لا أعرفها). وذلك أيضًا في بعض الوجوه لفرانس هول، على سبيل المثال. إنها خافتة جدًا حتى لتبدو باردةً، وعندما يمعن المرء النظر فيها، يذهل أن شخصًا واضح أنه يعمل بمشاعر كثيفة وهو ضائع ومستغرق بالكامل في الطبيعة مع ذلك له من حضور الذهن ما يمكنه من القبض عليها بيد ثابتة. أجد شيئا مشابها في دراسات ورسومات لديجرو. ربما يكون ليرميت شخصًا آخر ملتهبًا. وميترل أيضًا. أحيانا توجد

فقرات لدى بلزاك أو زولا -في الأب جوريو مثلًا- يجد فيها المرء تلك الدرجة الملتهبة من العواطف في الكلمات.

أفكر أحيانا في التجريب بطريقة مختلفة في العمل، وتحديدا أن أتجرأ وأجازف أكثر. لكن أنا لا أعرف إن كان لا ينبغي أن أدرس الشخصية بشكل مباشر أكثر، عبر الموديل.

أنا أبحث أيضًا عن طريقة لتخفيض الضوء في المرسم أو التحكم فيه حسب الرغبة. في الوقت الحالي لا يأتي ما يكفي من أعلى، فيما أعتقد، وهناك الكثير منه. وأحيانا أقوم بحجبه بألواح من الورق المقوى مؤقتًا، لكن سأرى إن كنت سأستطيع أن أجلب ستائرَ من صاحب البيت.

ما كان في الرسالة التي قلت لك إنني مزقتها كان من روح ما تقوله. ولكن بينما يتحقق المرء أكثر فأكثر أنه ليس كاملًا وأن لديه قصورًا، وأن الآخرين كذلك أيضًا، وأنه هناك دائما صعوبات متواصلة هي نقيض الأوهام، وعليه فأنا أعتقد أن أولئك من لا ييأسون ولا يتبلدون، ينضجون كنتيجة لذلك، والمرء لا بد وأن يتحمل لينضج.

أحيانًا لا أستطيع أن أفهم أنني في الثلاثين فقط، فأنا أشعر أني أكبر من ذلك بكثير. أشعر أني أكبر من ذلك خاصة عندما أفكر أن معظم الناس الذين يعرفونني يعتبرونني فاشلًا، وأعتقد أنه لو لم تتحسن بعض الأمور فالحالة ستصير هكذا فعلًا، وعندما أفكر أن الأمر قد ينتهي إلى هذا أشعر أن تلك الحقيقة تحاصرني وأفقد كل استمتاع، كما لو كان الأمر كذلك فعلًا. وعندما أكون في مزاج أكثر اتزانًا وهدوءًا، أكون أحيانا سعيدًا لأن ثلاثين عاما لم تمر هكذا دون أن أكون قد تعلمت شيئا خلالها من أجل المستقبل، وأشعر بالقوة والحماس للثلاثين المقبلة - لو كُتِبَ لي هذا العمر. وأتخيّل سنوات من العمل الجاد أكثر سعادة من الثلاثين الأولى.

ما ستؤول إليه الأمور في الواقع لا يتوقف عليّ أنا فقط، فالعالم والظروف لا بد أن يتعاونا أيضًا. ما يخصني وما أنا مسؤول عنه، هو أن أصنع معظم الظروف المحيطة بي، وأن أفعل ما بوسعي لتحقيق تقدم.

إن رجلا عاملا، في سن الثلاثين يكون في بداية مرحلة يشعر المرء فيها بالثبات في نفسه. كذلك يشعر بالشباب والامتلاء بالحماس.

وعلى الرغم من أنه في الوقت نفسه هناك مرحلة من الحياة قد انقضت، وهو ما يجعل المرء حزينًا لأن هذا أو ذاك لن يعود أبدًا. وليس من الضعف العاطفي أن يشعر المرء ببعض الحزن أحيانًا. على أي حال، هناك الكثير من الأشياء لا تبدأ إلا عندما يكون المرء في الثلاثين، وبالتأكيد لا ينتهي كل شيء عند هذا العمر. لكن الواحد لا يتوقع من الحياة ما يعرف عن طريق الخبرة أنها لا تملك أن تعطيه. فالواحد يبدأ في الرؤية بوضوح أن الحياة هي فقط وقت للتخصيب وأن الحصاد ليس هنا.

لذلك يفكر المرء أحيانًا: ولماذا أهتم برأي العالم؟ ولو كان هذا الرأي عبئًا ثقيلًا جدًا، يمكن للمرء أن يتجاهله.

ربما علي الآن أن أمزق هذه الرسالة أيضًا.

أستطيع أن أتفهم أنك مشغول للغاية بحالة المرأة، وأن أحد الأشياء المطلوبة هو إنقاذها وتأمين شفائها السليم. فالواحد يجب أن يكرِّس نفسه للأمر، وهنا ينطبق المثل: ما حكَّ جلدك مثل ظفرك، فلا تتركها للآخرين. وبعبارة أخرى يجب المحافظة على الرعاية العامة والاعتناء بكل الأمور.

مررنا بيومين من الربيع الحقيقي، من بينها يوم الاثنين الماضي وقد استمتعت به. إن تغير الفصول أمر يشعر به الناس بقوة. وعلى سبيل المثال ففي حي كحي جيست يكون الشتاء في "مأوى الفقراء" أمرًا مقلقًا وصعبًا ووقتًا مخيفًا، فيما يكون الربيع نوعًا من الخلاص. لو نظر المرء بإمعان لوجد نوعًا من الإنجيل في أول أيام الربيع.

وفي يوم مثل هذا ينفطر القلب لرؤية الكثير من الرمادي، وجوه ذابلة بشكل معبر تخرج من مكامنها، لا لتفعل أي شيء محدد، لكن كما لو كانوا يقنعون أنفسهم بأن الربيع قد أتى.

فعلى سبيل المثال يتجمع حشد من البشر عشوائيًا حول بقعة في السوق يبيع فيها تاجر الزعفران، وزهور اللبن الثلجية، ونبتة ذقن الماعز وبعض البصيليات الأخرى.

وأحيانا، موظف حكومي بإحدى الوزارات، من النمط الذي قد يسمى جوسيراند، في معطف أسود حائل بياقة من الجوخ - أجده جميلًا بجوار زهور اللبن الثلجية.

أعتقد أن الفقراء والمصورين لديهم إحساس مشترك بالطقس وتغيّر المواسم. بالتأكيد كل امرئ يشعر بهذا، لكن بالنسبة للموسرين فهو ليس بالحدث على الإطلاق، وهو عامةً لا يُحدث فرقًا كبيرًا في حالتهم المزاجية.

تعجبني هذه الملحوظة لأحد عمال الأراضي الواطئة "في الشتاء أعاني البرد بقدر ما تعانيه الذرة الشتوية".

والآن فإن مريضتك سترحب بالربيع بدورها بالتأكيد. لعلها تتحسن. يا لها من عملية صعبة، لقد صدمت وأنا أقرأ الوصف.

إن رابارد يتحسن. هل كتبت لك أنه كان يعاني من حمى عصبية في الدماغ؟ سيلزمه بعض الوقت حتى يستطيع العمل كما في السابق، لكنه بدأ في الخروج للتريض في بعض الأحيان.

سأتبع نصيحتك في عمل غسول لعينيّ بالشاي لو لم تبرأ. إنها تتحسن، وعليه في الوقت الحاضر سأترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي. ولأنني لم أعان منها قط في الماضي باستثناء هذا الشتاء مع ألم الأسنان، وعليه فأنا أعتقد أنها أمر طارئ سببه الإجهاد غير المعتاد. الآن أستطيع تحمل إرهاق العينين وأنا أرسم أفضل من البداية. اكتب لي قريبًا لو استطعت، وصدقني، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

هل تعرف البيوت الخيرية المواجهة للمستشفى في برفرسجراشت؟ أرغب أن أرسم هناك عندما يسمح الطقس. وقد صنعت بالفعل عدة تخطيطات هناك هذا الأسبوع. ثمة صفوف من البيوت بحدائق صغيرة تخصّ إسكان الفقراء فيما أعتقد.

٣١٢ | لاهاي، الأحد ١١ فبراير (شباط) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

اخي العزيز،

هاهو يوم الأحد يعود وها أنا أكتب لك ثانيةً. يبدو لي أحيانًا أني لم أخبرك بحرارة وإخلاص كافيين كيف تأثرت بعمق بما حكيته لي مؤخرًا.

وعما إذا كان من الممكن أن يتحول حب مخلص إلى وهم ضائع، فأنا لا أشك أن ذلك يحدث أحيانًا. سأفاجأ بشدة لو حدث في حالتك، ولا أعتقد أنه سيحدث لي. قال ميشليه بفرادة إن الحب يكون رهيفًا كخيط العنكبوت في البداية ثم ينمو بحيث يصير قويا كالسلك المعدني. شريطة أن يكون هناك إخلاص، هذا هو الأمر.

تمشيت مؤخرًا كثيرًا في حي جيست والشوارع والأزقة التي كنت أسير فيها أحيانا العام الماضي مع المرأة في البداية. كان الطقس رطبًا، وجدت كل شيء هناك جميلًا وقتها، وعندما عدت للمنزل قلت للمرأة، إنه تمامًا كالعام الماضي. أكتب هذا عن زوال السحر، لا، لا، هناك ذبول وإيناع من جديد في الحب كما في الطبيعة برمتها، لكن لا موات إلى الأبد. هناك مد وجزر، لكن البحر يظل بحرًا. وفي الحب، سواء كان لامرأة أو للفن، على سبيل المثال، فهناك أوقات للإجهاد والخمود، لكن لا زوال أبديًا للسحر.

أنا أعتبر الحب –كما أعتبر الصداقة أيضًا– ليس مجرد شعور لكنه فعل بشكل أساسي، وبشكل خاص عندما يتضمن عملًا ومجهودًا، فله وجه آخر من الإرهاق والخمود.

حين يحب الناس بإخلاص وبنية سليمة، تحيق بهم البركة، فيما أعتقد، وإن كان ذلك لا يستبعد الأوقات الصعبة.

أنا سعيد لأن عيني صارت أفضل، هي أفضل كثيرًا في الحقيقة، لكنها لم تشف تمامًا بعد، ولا بد أن أحترس. لا بد أن أقول لك، لم أكن مستمتعًا.

كم أود التحدث معك، إذ إنني لست يائسًا من العمل، ولست متبلدًا أو بلا طاقة، لكنني بالأحرى عالق وقد يكون سبب هذا أنني بحاجة للاحتكاك بأناس يمكن أن أناقش ذلك معهم، ومع من يمكنني أن أتناقش هنا في الظروف الحالية؟ في الوقت الحالي لا يوجد شخص واحد يمكن أن أثق به – لا لأنني أعتقد أن لا أحد جدير بالثقة، ولكن لأنني لسوء الحظ على اتصال بعدد قليل من مثل هؤلاء الناس.

أفكر أحيانًا أنني عندما جئت إلى لاهاي للمرة الأولى منذ سنوات من أجل شركة جوبيل وسي، فإن سنتين من الثلاث التي قضيتها كانت غير سعيدة إلى حد ما، لكن الثالثة كانت أسعد كثيرًا، وعليه، فمن يدري، قد يحدث شيء مماثل هنا.

أحب المثل: عندما تكون الأمور في أسوأ حالاتها فإنها بالتأكيد ستنصلح. لكنني أحيانا أتساءل: هل نحن الآن في الأسوأ؟ فالانصلاح مرحب به على أي حال.

قرأت مؤخرًا "الشعب" لميشليه، أو بالأحرى قرأتها منذ وقت مضى، هذا الشتاء في الحقيقة، لكنني تذكرتها بقوة للمرة الأولى فقط مؤخرًا. من الواضح أن الكتاب كتب بسرعة وعلى عجل، ولو كان هو الكتاب الوحيد الذي يقرؤه المرء لميشليه لما وجده جميلا للغاية ولما تأثر به. فبمعرفة الكتب المصنوعة بعناية ك "المرأة والحب والبحر" أو "تاريخ الثورة" فأنا اعتبرته مسودة تخطيط لفنان أحبه كثيرًا، وهكذا فإن له سحرًا خاصًا.

أنا من جانبي، أجد طريقة ميشليه في العمل مثيرة للحسد. لم أشك للحظة أنه سيكون هناك الكثير من الكتاب ممن لا يقرون تقنياته، كما يعتقد بعض المصورين أن لهم حق إيجاد الخطأ في تقنية إسرائيل. إن ميشليه يشعر بقوة، وما يشعر به يخرجه دون أن يبذل أدنى مجهود في فعل ذلك، وبدون أدنى تفكير في "التقنية" أو الأشكال المقبولة بشكل عام، لكنه يلقي موضوعه في شكل أو آخر بحيث يكون مفهومًا لمن يرغب في الفهم. ومن وجهة نظري، فإن كان "الشعب" مجرد فكرة أو انطباع أولي أكثر منه غير

مكتمل، لكن المفهوم متعمد وتم التفكير فيه جيدًا بشكل مسبق. إن بعض المقاطع تمت كتابتها على عجل من الطبيعة ثم أضيفت إلى أجزاء أخرى مشغولة ومدروسة بعناية أكبر.

لو حكمنا عليه من خلال معطفه ذي الفراء، فإن دي بوك سيبدو في ظروف ازدهار. لم أكن قد رأيته منذ شهور لكنني زرته منذ أيام قليلة وكان في معطف فخم من الفراء وما إلى ذلك كما ذكرت لك. لكنه لم يبد مزدهرًا، كما شعرت. هل شعرتَ أبدا بالتعاطف مع شخص رأيت أنه غير سعيد لكنه مع ذلك يبدو ويعتبر كشخص في رخاء؟ ثم شعرت في نفسك: لو حاولت مصادقته قد يعتقد أنني أحاول خداعه وسيكون تقريبا من المستحيل كسب ثقته، ناهيك بالتزامه. وحتى لو وصلت إلى هذا الحد، فهو قد يقول "حقيقة أنني في هذا الموقف.. إلخ لن يكون لأحدنا تأثير على الآخر". هكذا أفكر في دي بوك، وعلى الرغم من ذلك فأنا أشعر بالتعاطف معه وأجد الكثير مما يفعله جميلًا، ولا أعتقد أن أحدنا يمكن أن يكون عونًا للآخر، فنحن نرى الأشياء بشكل متعارض، لا في الحياة فقط، لكن في الفن أيضًا.

أحيانا أجد صعوبة في التوقف عن إحدى الصداقات، لكن لو كان علي أن أذهب إلى مرسم ويكون علي أن أذكر نفسي: تحدّثْ في التوافه، ولا تخرج بأي موضوع مهم، ولا تقل مشاعرك الحقيقية حول هذا أو ذاك في الفن، فسأكون عندها في حالة أسى أكثر مما لو اضطررت للبقاء بعيدًا. من الصعب بالنسبة لي أن أشعر بالرضا من علاقة صداقة محافظة، وتحديدًا لأني أبحث عن الصداقات المخلصة.

لو توفرت الرغبة في الصداقة من الطرفين، حتى لو كان هناك عدم اتفاق من وقت لآخر، لما احتد أحدنا على الآخر بهذه السهولة، ولو حدث فبالإمكان إصلاح الموقف. فحيث توجد النزعة المحافظة لا بد أن تنشأ المرارة، وتحديدًا لأن الواحد لا يشعر بالحرية، وحتى لو لم يستطع الواحد التعبير عن مشاعره الحقيقية فهي تظل كافية لترك انطباع غير لطيف مستمر للجانبين لتزيل أي أمل قد يوجد في أن يكون أحدنا عونًا للآخر. وحيث توجد النزعة التقليدية يوجد التشكك، ومن التشكك تأتي كل أنواع المكائد. وعوضا عن ذلك فبقليل من الإخلاص قد نجعل الحياة أبسط لكلينا.

وفي الوقت نفسه يأخذ المرء في الاعتياد على الوضع القائم، لكنه أمر غير طبيعي، ولو كان من الممكن أن يرجع المرء ثلاثين أو أربعين أو خمسين عامًا إلى الوراء فأعتقد أنه كان سيشعر أنه في مكانه الطبيعي أكثر في تلك الفترة عما هو في الفترة الحالية - أعني أنا أو أنت كنا سنشعر أننا في مكاننا الطبيعي، فيما أعتقد. خلال خمسين عاما من الآن لن يتمنى الناس، كما أعتقد، أن يعودوا إلى الفترة الحالية. فلو كانت متبوعة بحقبة انحطاط كحقبة بيرفيج لانشغل الناس بالنعاس عن التفكير في مثل هذا الأمر، ولو الأمور تحسنت، فذلك أفضل طبعًا.

لا أعتقد أنه من العبث أن نتوقع إمكانية أن يكون هناك شيء كحقبة بيرفيج مرةً أخرى في المستقبل، لأن ما يعرف بذلك في التاريخ الهولندي ترجع أصوله للتخلي عن المبادئ واستبدال المقلد بالأصلي.

لو كان الهولنديون يرغبون لأصبحوا موظفين، لكن "إن فسد الملح" فستكون حقبة بيرفيج. ليس ذلك مفاجئا، لكن التاريخ يثبت أنه ممكن الحدوث. أحيانا أجد صعوبة في تصديق أن فترة خمسين عامًا فقط كافية لجلب تغيير شامل يقلب كل شيء رأسًا على عقب. وتحديدًا بالتفكير في التاريخ أحيانًا، يرى المرء أن ذلك سريع نسبيًا وتغيير متواصل. ومن جانبي فقد قادني ذلك إلى استنتاج أن كل شخص يضع دائما بعض الثقل على الميزان، وإن لم يكن ذلك كثيرًا، والطريقة التي يفكر أو يتصرف بها المرء ليست مسألة عدم اكتراث. إن المعركة قصيرة وتستحق أن تخاض بشرف. لو كان الكثيرون مخلصين ويريدون ما يريدون، فالفترة كلها ستكون طيبةً، أو على الأقل مفعمة بالطاقة.

نعم، أنا أفكر كثيرا فيما كتبته لي مؤخرًا. ألا تتفق معي أنه لو قابل المرء شخصًا في مثل هذه الحالة، أعني الضعف والاعتمادية، وتلك الاعتمادية القوية تجعل المرء يستسلم، كما يقال، فلا يستطيع تخيل نفسه يهمل شخصًا كهذا. أعتقد أن هناك بالتأكيد فرقًا كبيرًا بين المرأة التي قابلتها أنت وتلك التي معي منذ عام كامل الآن، لكن الحظ السيئ عامل مشترك بينهما، وحقيقة كونهما امرأتين، على أي حال. ما إن

يرتبط الناس ببعض بقوة، يكون الرباط مقدسًا ويفكر المرء في كلمات: "لو لم تكن لي إلى الأبد فالأفضل ألا تكون لي".

وبنظرة واسعة فإن مثل هذا اللقاء أشبه بمعجزة تجلٍ. هل قرأت مدام تيريز لإركمان شاتريان؟ هنالك وصف لامرأة تتعافى مؤثر جدًا ويخلف شعورًا جميلًا. إنه كتاب متواضع، لكنه عميق في الوقت نفسه. لو كنت لا تعرف "مدام تيريز" فاقرأه في أي وقت. أعتقد أن هي أيضًا ستجده جميلًا بدورها، وستتأثر به.

أحيانا أشعر بالأسف لأن المرأة التي معي تفهم القليل جدًا عن الكتب والفن. لكن (وعلى الرغم من أنها لا تستطيع) ألا يكون ارتباطي القوي بها رغما عن ذلك دليلا على وجود شيء صادق بيننا؟ ومن يدري، ربما تعلمتْ لاحقًا أن تفهمها، فتكون رابطة أخرى بيننا، ولكن حاليًا مع الأطفال، فكما تعلم ذهنها مشغول بما يكفي.

ومن خلال الأطفال بالذات، فهي على صلة بالواقع وتتعلم بنفسها. إن الكتب والواقع والفن كلها شيء واحد بالنسبة لي. وقد أجد صحبة شخص بعيد عن الواقع مضجرة، ولكن كشخص مستغرق فيه فهي تعرف وتشعر بنفسها. لو لم أرَ الفن فيما هو واقعي، فلربما اعتبرتها غبيةً أو شيئًا كهذا. كنت أتمنى ألا تكون كذلك، لكنني حاليًا راض بهذا الوضع.

أتمنى أن أكون قادرًا على العمل بانتظام أكبر هذا الأسبوع. لدي شعور أنه يجب أن أعمل بدأب مضاعف لأعوض بدايتي المتأخرة، وذلك الشعور القوي بالتخلف عن الآخرين في عمري هو ما لا يسبب لي راحة.

لا شك أن مونمارتر هذه الأيام بها تلك التأثيرات المثيرة التي صورها ميشيل، أعني ذلك المشب الذابل والرمال على خلفية السماء الرمادية. على أي حال فإن اللون في المروج هذه الأيام يدفع للتفكير في ميشيل. الأرض صفراء، بنية وعشب ذابل، طريق رطب ببرك مياه، جذوع الشجر سوداء، السماء رمادية والبيوت بيضاء. تتدرج من بعيد ويظل هناك لون بها، أحمر الأسقف على سبيل المثال. هذه التأثيرات

تقول ما يكفي، ويكمن سر ميشيل في اتخاذ القياسات المضبوطة (كما مع فايسنبروش)، ورؤية النسب الصحيحة للمقدمة والخلفية، والشعور الصحيح بالاتجاه الذي تأخذه الخطوط نحو المنظور.

هذه أشياء لا يعثر المرء عليها بالصدفة لكنّها أشياء يعرفها (إن عمل ميشيل غزير بما يكفي، وهو ينجزه بسهولة، ومنه أرى أنه كان ساميًا كما يقال)، وأعتقد أن في الفترة التي سبقت انتظام الأمور مع ميشيل كان أحيانًا مندهشًا ومحبطًا لأن الأمور لا تسير على ما يرام.

ومهما بدت الأشياء بسيطة، فخلفها معرفة عامة واسعة، كما في حالة أعمال دوميه على سبيل المثال.

حسنًا سوف أنهي خطابي هنا. اكتب ثانيةً قريبًا إن لم تكن قد كتبت بالفعل. أتوق لمعرفة إن كانت هناك أي أعراض غير معتادة للعملية قد ظهرت على مريضتك.

أنا مسرور لأن الخطاب الأول الذي أتلقاه من رابارد بعد مرضه مكتوب بحماس عظيم ثانيةً، خاصة فيما يتعلق بالمحفورات الخشبية التي وجدها للانسون وآخرين. هو الآن حريص جدًا حتى إنني لم أعد بحاجة لأحمّسه، وفي البداية كان أقل اهتماما كالآخرين. إن مجموعته صارت جيدة جدًا، وأعتقد أنني أرى تأثير "الإنجليز" فيما يفعل ويريد، وإن كان ليس من طبيعته أن يقلد شيئًا بالطبع. لكن كونه على سبيل المثال يذهب قبل مرضه ليرسم دراسات في مؤسسة العميان فذلك نتيجة طبيعية لحبه لرسامين كهيركومر وفرانس هول.

وداعًا يا صديقي، اكتب قريبًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣١٨ | لاهاي، الثلاثاء ٢٠ أو الأربعاء ٢١ فبراير (شباط) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

كنت أريد أن أكتب لك يوم الأحد لكنني انتظرت حيث كنت منشغلًا بأمر لم أقرر شيئًا بشأنه بعد. منذ أسبوع أو نحو ذلك كنت أقرأ كتاب فريتز رويترز "عن زمني في السجن" والذي يصف فيه بشكل مسل جدًا كيف استطاع هو وآخرون ممن يقضون عقوبة السجن جعل الحياة مقبولة قدر الإمكان وقاموا بتأمين عدة امتيازات من "ضابط الميدان". ذلك الكتاب ألهمني فكرة أن أحايل صاحب البيت بخصوص بعض التحسينات التي قد تجعل عملي أسهل.

وقد اختلفت إلى فوربورج حيث يقيم عدة مرات لحثه على فعل بعض الأشياء. كانت هناك سواتر خشبية قديمة للنافذة وألواح ملقاة هناك كنت أريد استخدامها، لكن لم يكن أخذها سهلًا. ما زالت لدي الآن. وكما تعرف، هناك ثلاث نوافذ في المرسم. وهي تدخل الضوء بغزارة، حتى عندما أغطيها، وكنت أفكر طويلًا كيف أعالج هذه المشكلة. لكنه لم يكن يريد أن يفعل أي شيء ما لم أدفع له.

ولكن الآن، ونتيجة للمحايلة ثانية، فلدي ستة من السواتر وستة ألواح طويلة.

«sketch A»

تلك السواتر يتم نشرها الآن لصنع خصاص للنوافذ يتم من خلالها التحكم في الضوء بتقليله أو زيادته حسب الحاجة، من أعلى أو من أسفل. ومن هذه المسودة سترى أنها تعمل بشكل جيد جدًا.

والألواح لصنع خزانة كبيرة في الكوّة، لتخزين الرسوم، والمطبوعات، والكتب، وكمشجب للسترات والمعاطف القديمة والشالات والقبعات دون أن ننسى أغطية الرأس التي أحتاجها للموديلات.

أنا أدفع لصاحب البيت بانتظام، وقد قلت له الآن إنني لن أعارضه لو اعتقد أن إيجار البيت منخفض، لكنني سألته أن يضع في اعتباره أن الإيجار لا يزال عبئًا ثقيلًا عليّ، وانني لا أستطيع أن أعمل بسهولة أو أحرز تقدمًا حتى يكون عندي ضوء أفضل، وانه إن لم يستطع تغييره فسأكون مضطرًا من جانبي إلى أن أجد مرسمًا آخر، وأنه لو كنت قادرًا فقد أتحمل دفع ذلك، لكنني الآن في وضع لا يسمح لي بدفع أكثر مما أدفع، وعليه فإن دفعي للمزيد كان خارج المسألة، وبقائي يتوقف على إن كان سينجز ذلك أم لا، ولو كان لن يكترث لأمر مغادرتي فسوف نفترق كأصدقاء، ولم أقل المزيد. فقال ل،ا وإنه سينجز أشياء، واتفقنا في النهاية أن عليّ أن أدفع بعض الجيلدرات نظير العمل.

وقد جاء إلى المرسم بنفسه عدة مرات وهو بالتأكيد ليس محتالًا، وإن كان له لسان حاد ك "يانكي". ويبدو أن المرسم كان في حالة أفضل مما كان يتوقع (لم يكن قد رآه منذ يوليو بالعام الماضي)، وعلى أي حال، حصلت على موافقته وهو في المرسم، وبأسهل حتى مما توقعت.

لو أنني أستطيع التعامل مع الناس دائما في المرسم! لكن خارجه، فمن جانبي لا أستطيع حثهم على فعل الكثير، ولا أستطيع التفاهم معهم.

أعمل على بعض الشخوص، من حجم كبير، الجذوع أو حتى الركب، وهو ما سيكون نوعا من التزيين للممر أو للسلم، مع أشياء أخرى، على الرغم من أنها مجرد دراسات عادية. على أي حال، ها أنت ترى من خلال عدة أشياء أنني تذفت بنفسي من جديد في الشغل، وستأتيني أفكار جديدة في ذهني بينما أنا منشغل.

في فوربورج على سبيل المثال، عندما ذهبت معه لترتيب الأخشاب، رأيت مشاهدَ جميلةً لعمال تحت مظلة وحفر لقبو ووضع أساس لبيت. وقد تذكرت ما كتبته لي مرة عن العمال في مونمارتر عندما كنتَ هناك، عندما جرح أحدهم نفسه في أحد المحاجر.



نافذة استوديو ومصاريع

وكما تعرف، فأنا بالفعل لدي شيء الآن أمام النافذة، وأعني قماشًا مشدودًا على إطار، لا حاجة لها الآن، لكنها ستلزم كخلفيات بشد مواد أغمق أو أفتح عليها، عندما يريد المرء رسم وجوه مثلًا.

وها أنت ترى أنني أستطيع الآن تغطية نافذة أو نافذتين بالكامل، وهكذا أحصل على مصدر واحد عام للضوء وذلك يجعل التأثير أقوى. وإلا فسيضيع بسبب الانعكاسات والأضواء الأخرى.

وكانت تلك العملية ستكون مستحيلة بالكامل لو اضطررت لأن أتحمل نفقاتها بنفسي، بما أنها كانت غالية، وأنا سعيد جدًا بها.

شعرت أن الضوء الأفضل هو أمر مرغوب فيه، خصوصًا وأنا أصنع رسومًا كالتي كنت أعمل عليها مؤخرًا، كتلك الوجوه التي أرسلتها إليك التي استخدمت فيها الأسود الثقيل. أتمنى أن تمضي الأمور على ما يرام، لكنك تستطيع أن ترى بنفسك من هذه المسودة أنها بسيطة جدًا حتى إنها تلزم بالعمل، فيما يبدو لي.

كم تبدو منازل اليوم بائسةً أحيانًا مقارنةً بما يمكن أن تكون عليه لو بذل الناس مجهودًا لتأثيثها بلطف.

لتقارن نافذة حديثة بواحدة من زمن رامبرانت. في تلك الأيام كان لدى كل شخص نوع من الاحتياج لضوء لطيف خافت يبدو أنه لم يعد موجودا، على الأقل هناك ميل لجعله باردًا، وخشنًا وبلا عاطفة. ثمة بداية جيدة صُنعت مع مساكن العمال، لكنني لا أرى أي علامات للتقدم منذ العشرين أو الثلاثين عامًا الماضية. وعلى النقيض، فإن الشكل المحبب يضيع تدريجيًا، ويتحول إلى شيء بارد ونظامي ومنهجي يزداد فراغًا مع الوقت. لو كان الأمر بيدي، لكنت أفضل تغيير النوافذ على هذا النحو:

«sketch B»

نافذة استوديو ومصاريع

وهو ما لم يكن ليكون كثيرًا لو لم نكن نتعامل مع سواتر كانت موجودة بالفعل. والفرق هو أنه هناك إطار من الضوء حول كل مربع، فالسواتر جاءت أصغر قليلًا.

لكن تلك الأخيرة فهي نافذة لطيفة ويسهل الحصول عليها. لكن ليس كل ما يتمنى المرء يجده. وكان ينبغي أن يكون لها عتبة عريضة –حيث يمكن للواحد أن يجلس– وهو ما ينقص هذا البيت بشدة.

أتوق إلى رسالتك وإلى أخبار عن مريضتك. لعلها بخير ولعلّ التعافي طبيعي وناجح. لكن الأمر لا يمضي دايما بيسر وسرعة، ودائما ما تظهر بعض الأشياء، في كل الأحوال لا بد من الانتباه الشديد. في الأسبوع الماضي فقط قرأت أحدب نوتردام لفيكتور هوجو، والتي كنت قرأتها قبل ذلك منذ نحو عشر سنوات. أتعرِف على من تعرفت فيها، أو على الأقل كنت لا أشك أن فيكتور هوجو يقصد شيئا من هذا القبيل. تعرفت على تياس ماريس في شخصية كازيمودو. معظم الناس ممن قرؤوا أحدب نوتردام من المحتمل أنهم كونوا انطباعا عن كازيمودو باعتباره مهرجا بشكل ما. لكنك قد لا تفكر أن كازيمودو سخيف كما توقفت أنا أيضًا عن ذلك، ومثلي أيضًا قد تشعر أن ما يقوله هوجو حقيقي. لمن يعرفون أن كازيمودو كان موجودًا، فنوتردام الآن خاوية. ليس فقط لأنه كان قاطنها، لكن أيضًا لأنه كان روحها. لو أخذ المرء نوتردام كرمز للحركة الفنية التي وجدت تعبيرها على سبيل المثال لدى لايز وديجرو (أحيانًا) ولاجي ودي فربندت وهنري ببي، فإن ما يلي يمكن أن ينطبق على تياس ماريس: هناك الآن خواء لمن كانوا يعرفون أنه موجود، لأنه كان روحه، وروح ذلك الفن كان هو. على كل حال تياس ماريس لا يزال موجودًا لكنه ليس في كامل بهائه وعنفوانه. ليس عفيًا ومحبطًا لدرجة مصاحبته لخيبة الأمل. واحدة من الفظاعات التي يرتكبها المصورون هنا، أعتقد، أنهم حتى الآن ما زالوا يضحكون من ماريس. أعتقد أن هناك شيئا كئيبا كالانتحار في هذا. لماذا الانتحار؟ لأن تياس ماريس هو تجسيد لشيء رفيع ونبيل ومن وجهة نظري لا يستطيع المصور أن يسخر من هذا دون أن يحط من نفسه. تبًا لهؤلاء ممن لا يفهمون ماريس، أما من يفهمونه فهم يحزنون لأجله، ويحزنون لأن شخصًا كهذا قد تحطم.

نصل نبيل في غمد خسيس
في روحي أنا عادل
هذا ينطبق على ماريس وعلى كازيمودو.
حسنًا، اكتب قريبًا لو لم تكن قد كتبت بالفعل، وصدقني، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٢٣ | لاهاي، نحو السبت ٣ مارس (آذار) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

[sketch A]

عزيزي تيو.

مرفق مسودة عن بيع الحساء صنعتها في مطعم عمومي للحساء. إنه يقع في قاعة كبيرة يدخلها الضوء من أعلى من باب على اليمين.

لقد أعدت خلق هذا المشهد في المرسم. وضعت ستارًا أبيض في الخلفية ورسمت عليه الباب بالأبعاد والنسب الواقعية، وتمت تغطية النافذة البعيدة والجزء الأسفل من النافذة الوسطى. فيسقط الضوء هكذا من. كما في المكان نفسه بالضبط.

وكما ترى، فعندما جلس لي الشخوص ليرسموا هناك، التقطتهم بالضبط كما كانوا في مطبخ الحساء الحقيقي.

في الأعلى أنت ترى الأوضاع في المرسم. لقد أطَّرت المنطقة لتُرسم.

[sketch B]

بالطبع أنا أستطيع أن أبحث أوضاع الشخوص بالقدر والكثرة والدقة التي أرغبها، بينما تظل إلى حد كبير حقيقية بالنسبة لما رأيته.

أود لو أجرّب هذه ثانيةً، في شكل ألوان مائية على سبيل المثال، وأن أعمل عليها بحيث يمكن أن أذهب بها إلى مكان ما. أشعر أن هناك فرصًا أكثر الآن لتصاوير الشخوص في المرسم. عندما جربت في بعض الأوقات خلال الصيف، قبل التغيير، اتخذت الشخوص لونا باردًا ومحايدًا حتى إن الواحد لم يشعر برغبة قوية في تصويرها. فجاذبية المشهد تذهب، كما تجيء مع الضوء القوي.

أتعرف ما الذي أريده بقوة لهذا؟ بعض قطع الستائر القماشية المختلفة، بنية، ورمادية، وهكذا، للحصول على الخلفيات المناسبة. في الجهة الأخرى فالحائط أبيض مع حشوة مدهونة بالرمادي، والأرضية أكثر دكنة. يستطيع المرء إعادة خلق المكان بشكل أدق بصرف الانتباه لمثل هذه الأشياء. لدي بالفعل أشياء كثيرة لهذا، وأيضًا لدي ملابس واقعية. بالأمس على سبيل المثال اشتريت حلة جميلة من الكتان الخشن. دائما ما أجعل عيني على مثل هذه الأشياء؛ فلو فكر المرء فيها قليلًا سيحصل على نتيجة مرضية أكثر من الموديل عن أن يترك الأمور بكاملها للصدفة.

إن لدي محبة للمرسم كما يحب القبطان سفينته. وأعتقد أنني سأجعله مناسبًا، لكن قدراتي المالية لا تسمح لي دائما بما أرغب فيه. ومع ذلك فهناك أشياء مستديمة يشتريها المرء بهذه الطريقة، ولدي الآن فرصة قد لا تتاح لي لاحقًا. إن التغيرات في المرسم تتطلب نفقات غير مباشرة أكثر من النفقات المباشرة. لأنني لن أعتبره منتهيًا ما لم أحصل على عدة أشياء أحتاجها لأجعله عمليًا.

ستكون لديك نفقات كثيرة بسبب مريضتك، ومن جانبي لا بد أن أتصرف إن لم تستطع إرسال المزيد إلي في اللحظة الحالية. وفي هذا الشأن، كنتَ قد أرسلتَ شيئًا إضافيًا من فترة ليست بالطويلة. وعليه فأحب أن أؤكد أنني قد أستطيع تدبير الأمر.



Waarde Theo

Hierbij een krabbeltje dat ik
in de volksgaarkeuken maakte
van ——— soep verkoopen.
Het gebeurt in een groot portaal waarin het licht
valt van boven door eene deur regts.
Ik heb nu eens dat geval op het atelier terug
gezocht. In 't fond een wit scherm gezet en
het raam daarop geteekend en de proportie
en afmetingen die het in werkelijkheid heeft.
het achterste raam dugt en het middelste raam
van onderen dugt zoo dat het licht valt uit p.
net als op de bewuste plaats zelf
Ge begrypt dat als ik om de figuren daar
tegen te poseeren ik ze precies zóó terugkrijg als
in de werkelijke volksgaarkeuken.
[illegible]

[illegible]

(من الأعلى إلى الأسفل) توزيع الحساء في مطبخ حساء عام؛ توزيع الحساء في مطبخ حساء عام (تفصيل)؛ إلى اليسار، محاولة فاشلة مشطوبة



توزيع الحساء في مطبخ حساء عام

لكنني أتحرّق في داخلي للمضيّ قدمًا وتحقيق تطوّر. ثمة حافز آخر أيضًا، وهو أن رابارد يبذل مجهودًا بدوره، أكثر مما كان يفعل في الماضي، وأنا أريد أن أكون مواكبًا له فنستطيع أن نتقدم معًا وربما يزداد عون كل منّا للآخر. لقد مارس التصوير أكثر مني ورسم لفترة أطول، لكن يظل هناك تماثل في المستوى بيننا. هو يفوقني في التصوير لكني لا أريد أن أتخلف وراءه في الرسم أيضًا. ما أرغب في رؤيته هو أن نمضي معًا في الاتجاه نفسه، أعني الشخوص من الشعب، مشاهد من مطبخ حساء، مستشفى... وهكذا. سوف يأتي لزيارتي قريبًا، كما وعد، وأود لو أتوصل لاتفاق معه بخصوص عمل سلسلة رسوم عن الأهالي من الممكن طباعتها بتقنية الليتوغراف، على سبيل المثال، لو كانت جيدة بما يكفي فقط. هذا إلى جانب كومة من الأشياء الأخرى تجعلني أتوق للمضي قدمًا بقوة.

وعلى أي حال أنا أجرؤ على أن أعدك برسوم أفضل قريبًا، سواء كنت ستستطيع إرسال شيء أو لم يكن ذلك مناسبًا. إن التغيرات التي طرأت على المرسم نفسها، للدرجة التي وصل إليها الآن، تمكنني من معالجة بعض الأشياء.

لكن الطريق سينقصه الكثير من العقبات لو استطعت إرسال شيء إضافي إلي قريبًا. خلاف ذلك فأنا أتوقع الامتناع عن عدة أشياء، سواء أدوات للرسم، أو اتخاذ موديل أو إجراء بعض التعديلات الإضافية.

قلت "رسومًا أفضل"؛ وهذا أمر نسبي. فبين بعض دراسات الوجوه التي لا تزال لدي هنا، أيتام، ورجال... إلخ، لن أستطيع أن أفعل أفضل منها مباشرة، ففيها الطبيعة بشكل أكيد، وبالتأكيد بها أيضًا شيء لست راضيًا عنه تمامًا حتى الآن، لكنني لا أجرؤ أيضًا على أن أقول إنني سأعالجها بشكل أفضل في الغد أو بعد الغد.

لكنني أعني شيئًا آخر برسوم أفضل، وتحديدًا أني سأقاربها بشكل مختلف وسأحاول أن أضع المزيد من الضوء والعتمة فيها، وهو ما كان أمرًا نادرًا إن كان قد وجد أصلًا في مرسمي هذا الشتاء.

وأنا الآن أجرؤ على أن أعدك بهذا في كل الأحوال.

غدًا سيكون بيتي ممتلئًا بالناس، وتحديدًا أم المرأة، وأختها الصغيرة وفتى من الحي، وسيجلس هؤلاء مع الباقين من أهل البيت للرسمة التي تكون هذه مسودتها الأولى.

يعمل رابارد أيضًا بدأب مع الموديلات، ومن وجهة نظري فليس ثمة طريقة أفضل. وبالذات لو ظل المرء مخلصًا لموديل وحيد، فهو يرى فيه المزيد والمزيد. وعليه فهذه الرسالة هي ملحق لرسالتي بالأمس بحيث يمكن أن ترى منها أنني وضعت خطة اليوم للوحة جديدة بالألوان المائية من نوع تلك التي أرسلتها إليك نفسه، وغدًا سوف يحضر الموديلات لذلك. وأتمنى أن أبلغ فيها مستوى أعلى من تلك التي أرسلتها. هل سأنجح؟؟؟ لا أستطيع التنبؤ بذلك مقدمًا.

سأشرع فيها حتى لو كانت لا تزال هناك أشياء تنقصني. لكنني أمتلك شيئًا واحدًا لم أكن أمتلكه في الماضي، وهو الضوء الجيد. وذلك أثمن بالنسبة لي من أي كم من الألوان. لو استطعت أن تبلغ التصوير أيضًا، فافعل ذلك لو سمحت، لكنني

تلقيت منك الكثير ولم أشعر بالرضا حتى الآن من النتائج على عدة مستويات حتى إنني لا أجرؤ على أن أسألك. على كل حال، فما زلت آمل أنه كما في علم الجبر فإن حاصل ضرب سالبين يكون رقمًا موجبًا، فتكون نتيجة الفشل هي النجاح.

وداعا، وأطيب الأمنيات لمريضتك أو بالأحرى متعافيتك.

المخلص دوما،

فنسنت

[sketch C]

٣٢٥ | لاهاي، نحو الاثنين ٥ مارس (آذار) ١٨٨٣

إلى أنطون فان رابارد (D)

عزيزي رابارد،

أشكرك على رسالة ٢٧ فبراير، والتي أرد عليها اليوم. بادئ ذي بدء سؤالك عن الليتوغرافيا. كنت قد رأيت أنه الورق نفسه بالنسبة للحبر أو أقلام الرصاص. أنا أحصل على هذا الورق من Jos. Smulders & Co تجار الورق في شارع سبويسترات بهذه المدينة، ومخازنهم في لان، وهناك لديهم مخزون كبير من أحجار من أحجام مختلفة. يسمونه "ورق كورن"، وقد جلبوه لإحدى الوزارات، حيث رسمت عليه عدة خرائط لتطبع بالليتوغراف.

كانت بعض الأفرخ قد تبقت فأخذتها كلها. فقال لي حينئذ إنه سيطلب المزيد من الأفرخ. لا أعرف إن كان قد فعل ذلك، لكن في كل الأحوال فإن سمالدرز يعرف كل شيء عنها ويمكنه أن يطلبها في بضعة أيام عبر البريد. هي غالية نوعًا ١.٧٥ جيلدر للفرخ. أقلام الليتوغراف أيضًا ونمط صنع خصيصًا للورق هي أغلى من النوع

الاعتيادي وهي من وجهة نظري أدنى بما لا يقاس بالنسبة للأنواع التي لم تصنع لذلك. وأيضا الحبر الأوتوجرافي يمكن الحصول عليه من عند سمالدرز ومن أماكن أخرى، سائلًا وصلبًا، فهذه المكونات لا بد أن توجد بالتأكيد لدى كل من يصنع الليتوغراف.

المكشطة التي استخدمتها هذا هو شكلها.

‹sketch A›

وقد اشتريتها من سمالدرز، هناك أيضًا ما يعرف بـ "السن"، لكشط الشعر مثلًا، وفي جميع الحالات تلك الكشطات السريعة الدقيقة كتلك التي تصنع بإبرة الحفر، فقط للأبيض في الأسود.

‹sketch B›

لا حاجة لي لأن أقول إنه بإمكانك استخدام عدة أشياء كمكشطة. الشكل لا يفرق كثيرًا، فأنا أفعلها بمطواة الجيب أيضًا.

كم أدفع لتجاربي؟؟ لقد وعد بتحديد ثمن ثابت، مع أسعار الطباعة والقوالب. الأسعار التي دفعتها مؤقتا لا تحسب بما أننا قد توصلنا لاتفاق، لأن الطباع نفسه لم يعرف حتى تلك اللحظة. وقد كان هناك إخفاق، وأشياء شبيهة. وعلى أي حال، فأنا سأحصل على عرض أسعار من سمالدرز سيكون أفضل لكن سيتطلب بعض الوقت لتجهيزه. كان سيحدد لي أسعارًا، للقوالب الحجرية من مقاسات مختلفة على أن أشتري اثني عشر في المرة، ولطباعة سلسلة من دزينة وسلسلة من دزينتين من الرسوم. وسعر الورق.

عندما تكلمت معه المرة الأخيرة، كان مشغولًا بشكل رهيب فقال لي: ذكرني بذلك عند نهاية مارس، وعندها سنفحص كل شيء معًا في المخازن. ومن ثم فأنا حاليًا لا أعرف أي شيء تقريبًا عن الأسعار الحالية.

إن سيولة الحبر عند الطباعة لا تعتمد بشكل مباشر على سمك الخطوط، فعلى الأقل قد رأيت خطوطًا سميكة جدًا وقد نُقِلَت بشكل ممتاز. وبالنسبة لصديقك الذي يرسم بقلم رفيع، فهو حر، لكن أنا أعتقد أن ذلك خطأ مطلق، إذ أخشى أنه بهذه

الطريقة يحاول الحصول على شيء من العملية هو ليس في طبيعتها. لو أراد أحدهم أن يعمل بسن رفيع بالحبر الأوتوجرافي، فأعتقد أنه لا ينبغي أن يستخدم سنًا أرفع من سن قلم الكتابة الاعتيادي.

الأقلام الرفيعة جدا كالبشر شديدي الأناقة، هم في بعض الأحيان غير عمليين بشكل مذهل، ومن وجهة نظري يفتقرون إلى الليونة أو المرونة التي تتميز بها الأقلام العادية بشكل ما.

في العام الماضي كنت قد اشتريت ستة حوامل للأقلام غالية ومميزة مع علبة أقلام، كانت كلها من النفايات. لكنها للوهلة الأولى كانت تبدو عملية للغاية. على أي حال، لا أعرف إن كان بعضها جيدًا، وإن كان ثمة نتيجة طيبة يمكن أن تصدر عن العمل بالحبر الأوتوجرافي والأقلام الرفيعة، فليكن، سأكون سعيدًا لو كانت النتيجة جيدة، لكنني ما زلت أعتقد أن المرء قد يحصل على نتائج مرضية أكثر من الخط السميك الممتلئ لقلم الريشة العادي، على سبيل المثال.

والآن إلى شيء آخر - هل تعرف الطباشير الطبيعي؟ في العام الماضي أعطاني شقيقي بعض القطع الكبيرة، من هذا الحجم، لا أقل.

«sketch C»

لقد اشتغلت به لكن لم أنتبه له كثيرًا ونسيته. ومؤخرًا عثرت على قطعة منه ثانيةً واندهشت لجمال ألوانها، وسوادها.

بالأمس صنعت رسمًا به، امرأة وطفل في مطبخ عمومي حيث يباع الحساء. ولا بد أن أقول لك إن تلك التجربة قد أسعدتني جدًا الحقيقة.

«sketch D»

أخربش لك بعض الخطوط هنا بشكل عشوائي لترى درجات الأسود.

ألا تعتقد أنه دافئ وجميل.

(من الأعلى إلى الأسفل) مكشطة؛ مؤشر

وقد كتبت في الحال لشقيقي في طلب المزيد منها. هل أرسل إليك قطعةً عندما استلمها؟ لكن لو كنت تعرف عنها بالفعل وتستطيع الحصول عليها عندك فأرسل إلي أنت بعضها. إذ أنتوي أن أعمل بها بشكل متواصل مع أقلام الليتوغراف الرصاصية. تماما كما لو كان هناك روح وحياة فيها، وكما لو كانت تفهم ما ينتويه المرء وتتعاون من تلقاء نفسها. أحب أن أسميه "طباشير الفجر".

لأن القطعة كبيرة جدًا، فلا حاجة لاستخدام ممسكة. إن لها لون حقل محروث في مساء صيفي! سأشتري نصف برميل إذا كان ذلك هو المقياس الذي تباع به، وهو ما أشك فيه على كل حال.

إن ألبوم "ديه فوزج" لهو مطبوعة قديمة نوعًا، لكنه لا يزال موجودًا بالتأكيد. وهو جميل. إن قائمتك للمحفورات الخشبية تضم بعض الأشياء الرفيعة، وخاصةً أعمال لانسون. لدي "المهربون" لكن تنقصني "لجنة المساعدة" على سبيل المثال. لكن لدي "توزيع الحساء" في نسخة طبق الأصل -ربما هي نفسها وربما لا- ولدي "نُزُل مع جامعي الخرق" في نسخة طبق الأصل. فيمكنك أخذها. أعرف تخطيطات لرينوار عن قطط، وخنازير، وأرانب لكني لم أحصل عليها. لدي "خطبة لجامبيتا" و"شحاذون في ليلة رأس السنة" علاوة على ذلك.

عثرت على عملين للأخوين ريجامي: مستشفى للقطاء في اليابان لإف ريجامي وجنود في عباءات بيضاء يحرسون خيولًا سوداء لجيوم ريجامي، عن تخطيط ملون رفيع جدًا. وقد قرأت سيرة مختصرة للأخوين. مات جيوم وهو في عمر الثامنة والثلاثين فقط. وقد بدأ بعرض بعض اللوحات العسكرية تشبه أعمال بيلانجيه، بعد ذلك صار انطوائيًا. ويبدو أنه كان مصابًا بمرض جعل حياته عصيبة. وإن ظل يعمل طوالها. وبعد وفاته بسنوات، تم العثور على مجموعة من الدراسات الرائعة له، وقد تم عرضها، بينما في أثناء حياته لم يسمع عنها أحد تقريبًا. أليس هذا جميلًا؟

أما إف. ريجامي فقد كان كثير الأسفار، وكما تعرف فهو متمكن من اليابانية. ما تقوله عن المحفورات الخشبية الفرنسية في العموم هو ما أشعر به أيضًا: لقد عثر الإنجليز

على ما هو روح، الشخصية الأصيلة المتفردة تفرّد الحفر، كساحة ترابية في لندن لبوكمان، ومرفأ الملجأ لوالكر. ويبقى أن بوتزل ولافياي يعرفان هذا أيضًا مع ذلك، لكن سوين هو المعلم. وأعتقد مع ذلك أن أعمال لانسون كما حفرها مولر بها طابع أصيل جدًا في شخصيتها. وهناك روح في فيين بيرنز لبوتزل، على سبيل المثال، وأعمال مييه للافياي. ولكن خلاف ذلك، هم أحيانا يسقطون في التصنيع وانعدام الشعور.

تسأل عن أخبار دي بوك. أنا لم أزره منذ فترة طويلة، من قبل فترة مرضي. وقد لاحظت أنني كلما سعيت له أو رأيته يقول: "آه، سوف آتي لرؤيتك" بطريقة توحي بأنني يجب أن آخذها مأخذ الجد - لكن لا تأتِ لزيارتي حتى أذهب إليك، وهو ما لن يحدث. وعلى أي حال فأنا لم أعد إليه، وتحديدًا لأني لا أرغب في إزعاجه. أعرف أن دي بوك يعمل الآن على لوحة كبيرة جدًا. وهذا الشتاء رأيت بعض القطع الصغيرة وكانت جميلة جدًا. ولم أقابل دي بوك نفسه في مرسمه ولكن قابلته في الشارع مرتين مؤخرًا، كان في معطف من الفراء وقفازات جلدية... إلخ. باختصار كشخص في ظروف ازدهار قصوى. وأنا أسمع من كل اتجاه أنه في حالة ازدهار حقيقية.

أحيانًا أجد عمله جميلًا جدًا، لكنه لا يذكرني كثيرًا برويزديل على سبيل المثال، وهو ما لا يمكن أن يكون انطباعك الدائم أيضًا. حاليًا، أرغب بشدة لو أرى مرسمه ثانيةً، فقط لأني أود لو أقتنع أنه جميل كما أرغب له، والآن لا أستطيع أن أمنع شكوكي حوله طوال الوقت. كان انطباعي عنه العام الماضي غير إيجابي كثيرًا، كان يتحدث عن مييه طوال الوقت، حسنا، وعن عظمة واتساع مييه، مثلًا، في الخارج أيضًا؛ حدثته مرة عن ذلك في غابات سخيفننج. قلت ساعتها: لكن يا دي بوك، لو كان مييه هنا الآن، أكان سينظر إلى هذه السحب وهذا العشب وجذوع هذه السبع والعشرين شجرة، وينسى فقط ذلك الرجل في حلته البومبازين الجالس يتناول طعامه ومجرفته إلى جانبه؟

أم ستكون تلك البقعة الصغيرة من البانوراما حيث يجلس الرجل الصغير هي محط انتباهه؟ لا أعتقد أنني أحب مييه أقل منك، قلت. كونك تعشق مييه فذلك يسعدني جدًا، ولكنك اعذرني إن لم أكن أصدق أن مييه ينظر في الاتجاه الذي دائمًا ما

(من الأعلى إلى الأسفل) طبشور طبيعي؛ رأس امرأة، ومسودتين

تقترحه لي. إن مييه هو فوق كل شيء، وأكثر من أي شخص آخر مصور الإنسانية. بالتأكيد فقد صور مناظر طبيعية، وما من شك أنها جميلة، ولكن من العسير عليّ أن أفهم كيف تعني حقيقة ما تقول عندما ترى في مييه تحديدًا الأشياء التي تقترحها لي.

باختصار يا رابارد، فأنا أرى في صديقنا دي بوك شيئا من بيلدرز أكثر من مييه أو رويزديل. ويبقى أنني قد أكون مخطئًا، أو ربما أرى ما هو أكثر من ذلك فيه لاحقًا، ولا شيء سيسعدني أكثر من هذا.

بالتأكيد أنا أحب بيلدرز أيضًا، ولا توجد لوحة لدي بوك لا تعجبني. لديه دائمًا شيئًا طازجًا ووديًا. لكن هنالك نوعًا من الفن أقرب للشوك منه للزهور، وهو ما أجده أقرب إلى قلبي.

أعرف أن لرويزديل نفسه تحولاته، وأفضل أعماله ربما لا تكون الشلالات والمناظر الكبيرة للغابات، لكن "السد والمياه الخمرية" و"الدغل" في متحف اللوفر، و"الطواحين" لدى فان در هوب. و"الأراضي المبيضة" لدى أوفرفين في متحف ماوريتشويس هنا في لاهاي. والمزيد من الأشياء الأكثر اعتيادية التي استمر فيها لاحقًا، ربما بسبب تأثير رامبرانت أو فيرمير من دلفت. أود لو يحدث شيء من هذا القبيل مع دي بوك. لكن هل ستكون هذه هي الحالة؟ سوف أشفق عليه لو لم يجعل له موطئ قدم في الشوك أكثر مما في الزهور، وهذا كل شيء.

وعلى الرغم من وجود برودة غير مقصودة لبعض الوقت، فلم يكن هناك شيء جدي سوى بعض النقاشات حول مييه وموضوعات مماثلة جرت بيننا. ولا آخذ شيئا عليه، فقط فأنا لا أرى بالضبط الشبه بينه وبين مييه أو رويزديل. في الوقت الحالي أنا أجده مثل بيلدرز، جيرارد بيلدرز وليس بيلدرز الكبير. وأنا لا أنفي أني لم أكن لأكتب كل هذا عنه ما لم أكن مهتمًا به.

ما زلت سعيدًا جدًا بسبب التغييرات التي أدخلتها على المرسم، وبالخصوص لأن التجارب التي أجريتها مع موديلات متعددين أظهرت لي أنني حصلت على مكسب كبير.

في الماضي، كانت الشخوص في المرسم لا ظلال لها، حيث كانت الانعكاسات القوية تلقي الضوء خلفها، وبهذه الطريقة تم تحييد كل الانعكاسات. وتم التغلب على هذا العيب الآن.

لا تعتقد للحظة أنني أهمل الليتوغراف، ولكن كان لدي نفقات كثيرة، وأشياء كثيرة كنت بحاجة لشرائها، حتى لم أستطع معالجة أي قالب جديد للطباعة. لن نخسر شيئًا بالانتظار قليلًا.

لكنني أتوق أكثر للعمل بالطباشير الطبيعي.

وتعرف إلام أتوق كثيرًا أحيانًا؟ أن أرى مرسمك. وليس هذا فقط، لكن أيضًا المنطقة التي تتجول فيها عادة لتلتقط موضوعاتك. أنا متأكد أن هناك ساحات جميلة وأزقة في أتوريخت أيضًا.

إن لاهاي جميلة، وهناك تنوع كبير. وأتمنى أن أعمل بجدية هذا العام. ثمة صعوبات مالية أحيانًا، أيضًا، وذلك يعيقني -أنت تتفهم هذا- لكنني سأركز أكثر فأكثر على الأبيض والأسود، وتحديدًا لأني أريد وينبغي أن أعمل كثيرًا. ففي الألوان المائية والتصوير أيضًا أنت بحاجة للمشتريات والنفقات، ولكن بقطعة طباشير أو بالقلم الرصاص فالمرء يحتاج فقط أجرة الموديل وبعض الأوراق. وانا أفضل أن أنفق ما لدي على الموديلات على أن أنفقه على مواد التصوير، أؤكد لك.

لم أندم قط على النقود التي أنفقتها على الموديلات.

هل لديك بورتريه كارلايل، ذلك الجميل الذي في مطبوعة ذا جرافيك؟ أنا أقرأ حاليًا كتابه "سارتور ريسارتوس"، فلسفة الملابس القديمة، وتحت مفهوم "الملابس القديمة" يضمن كل أشكال التقاليد، وفي حالة الدين كل العقائد الجامدة. إنه كتاب

جميل وصادق وإنساني. كان هناك الكثير من اللغط حول هذا الكتاب، كما الحالة مع كتبه الأخرى. يرى الكثيرون كارلايل كوحش. وأحد التعليقات الجيدة حول "فلسفة الملابس القديمة" هو ما يلي: كارلايل لا يجرد الإنسانية من ملابسها فقط لكنه يسلخ جلودها أيضًا. شيء من هذا القبيل. حسنًا، هذا ليس حقيقيًا، لكنه صادق بما يكفي لكي لا يسمي القميص جلدًا. وبعيدًا عن أن تجد رغبة في الحط من شأن الإنسان في عمله، فأنا من جانبي أجد أنه يضع الإنسان في مكانة رفيعة في الكون. وفي الوقت نفسه عوضا عن النقد المر، فأنا أرى لديه محبةً للإنسانية، محبةً كبيرة. لقد تعلم كارلايل الكثير من جوته، بل وتعلم أكثر من رجل لم يكتب كتبًا ولكن ما زالت كلماته خالدةً حتى إن لم يكتبها بنفسه وأعني يسوع، فقبل كارلايل كان قد وضع الكثير من التقاليد تحت مفهوم "الملابس القديمة".

هذا الأسبوع اشتريت طبعة جديدة بستة بنسات من "كريسماس كارول" و"الرجل المسكون" لديكنز (لندن، شابمان وهول) بها نحو سبعة رسوم لبرنارد، على سبيل المثال متجر للبضائع المستعملة بين أشياء أخرى. أجد كل شيء لديكنز جميلًا، لكن هاتين الحكايتين فأنا أعيد قراءتهما كل عام منذ كنت صبيًا، وهي دائمًا جديدة بالنسبة لي. لقد فهم برنارد ديكنز جيدًا. وقد رأيت مؤخرًا صورًا فوتوغرافية لأعمال بالأبيض والأسود لبرنارد. سلسلة عن شخوص ديكنز. شاهدت السيدة جامب، وليتل دوريت، وسكايز، وسيدني كارتون والعديد من الآخرين.

إنها قلة من الشخوص تم صنعها بدرجة رفيعة، شديدة الأهمية، وجعلت ككاريكاتير. في رأيي لا يوجد كاتب آخر في مهارة ديكنز في الرسم والتصوير. إنه واحد ممن تكون شخصياتهم نوعًا من البعث. في مطبوعة للأطفال وجدت محفورة خشبية عن رسم لبرنارد وقد حفرها سوين، رجل شرطة بالأسود يجر امرأة بالأبيض تقاومه، ويتبعهما من الخلف عصبة من أطفال الشوارع. من المستحيل تقريبًا التعبير عن الشخصية الحقيقية لحي فقير بهذه الوسائل القليلة. سأجلب نسخة أخرى من هذه المطبوعة لك، إنها فقط مسودة صغيرة.

لسوء الحظ لا أستطيع أن أحصل لك على مطبوعة "الكرسي الشاغر" لفيلدز، والتي كنت قد وعِدت بها مع بعض الأشياء الأخرى. الرجل تذكر الآن أنه قد تخلص منها، منذ سنوات خلت.

اكتب لي ثانيةً في القريب. لعل العمل يزدهر على كل المستويات.

آه، إن لدي نسخة شبه كاملة من ديكنز بالفرنسية تُرجِمَت تحت إشراف ديكنز نفسه. أعتقد أنك قلت لي مرةً إنك لا تستمتع بكل أعمال ديكنز بالإنجليزية لأن اللغة تكون أحيانا شديدة التعقيد بالنسبة لك، كدارجة عمال المناجم في رواية "أوقات عصيبة" مثلًا. فلو أردت قراءة شيء منه، فها هو تحت تصرفك، وأنا أرغب في استبدال مجموعة ديكنز بالفرنسية نظير شيء آخر، لو أحببت. أنا أفكر في الحصول على طبعة "هاوس هولد" الإنجليزية. وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

في عدد ٣ فبراير ١٨٨٣ من ذا جرافيك، هناك رسم صغير لفرانس هول، طفل في غرفة علية، واقعي جدًا. اشترِ العدد من أجله.

إن رسوم جون ليش وكروكشانك لها شخصية أيضًا، ولكن أعمال برنارد بها مجهود أكبر. أما ليش فهو قوي في أطفال الشوارع.

(sketch E)



طفل يحبو

٣٣٢ | لاهاي، نحو الأربعاء ٢١ مارس (آذار) ١٨٨٣

إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

أشكرك على رسالتك، وقد أثار انتباهي كونك تعمل من جديد على لوحتك "داهنو الأرضية". ووجدت في رسالتك أيضًا شيئًا عن مجيئك إلى هنا، وكان ذلك أكثر ما دعاني إلى الإسراع بإرسال النسخ طبق الأصل من المحفورات الخشبية التي ما زلت أحتفظ بها، لأنني فكرت أنك لن تستطيع الانتظار أكثر من الضروري، ستعتبر أن عددا من المطبوعات من المقتنيات المرحب بها.

أنا أيضًا قمت بفصل ملف ذا جرافيك ووضعته بين مطبوعاتي المفردة. ولهذا فلديك بالفعل "المساكن المنخفضة" لهيركومر، والعديد من أفضل ما في هذه المجموعة أيضًا. أرسل إليك أيضا الطبعات العادية لبعض المطبوعات التي حصلت عليها بهذه الطريقة، وفي حالة بعضها فالمطبوعة من الكتاب نفسه، والتي لم تطبع من الكليشيه لكن من القالب نفسه.

في هذه الدفعة ستجد شيئًا على الأقل لبويد هوتون، وتحديدًا إيفانز الهزاز، ومرفأ ليفربول، وبريد في الخلاء، وشلالات نياجرا. وبمجرد أن ترى مجموعتي لبويد هوتون من السنة الأولى لذا جرافيك ستفهم بشكل أفضل ما قلته لك عن أهمية أعمال هذا المعلم. لقد رآها فان در ويلي هذا الأسبوع وقد ذهل منها بدوره.

هذا الأسبوع كنت أعمل على رسوم عن شخوص مع عربات اليد، ربما لليتوغرافيا أيضًا -لا أعرف بعد إلى أين ستنتهي- أنا فقط أواصل الرسم. وكما كتبت لك، فقد جاء فان در ويلي هذا الأسبوع، كنت وقتها أعمل مع موديل، وقد أخذنا التفرّج على ذا جرافيك على عربة اليد التي كنت قد رسمتها مع الموديل. أحد الرسوم التي أوليناها اهتمامًا خاصًا كان لبويد هوتون -كتبت لك عنه في وقته- إنه لممرات في مكاتب مجلة ذا جرافيك في أثناء أعياد الميلاد. إن موديلات الرسامين يجيئون ليهنئوهم بالأعياد ويتلقون بقشيشًا بالتأكيد. معظم الموديلات من المعاقين، رجل على عكازين يتقدم المجموعة، ويتمسك بذيل معطفه شخص أعمى خلفه رجل آخر لا يستطيع السير مطلقًا، وفي ذيل معطفه مكفوف ثانٍ يتبعه رجل جريح بضمادة حول رأسه، ومن خلفه هناك آخرون أيضًا يجرجرون خطواتهم. وقد سألت فان در ويلي: قل لي هل تتخذ ما يكفي من الموديلات؟؟؟ فأجابني: عندما كان إسرائيل في مرسمي مؤخرًا ورأى لوحتي الكبيرة عن "عربات الرمال"، قال: "والآن وقبل كل شيء اتخذ العديد من الموديلات".

أعتقد الآن أن العديد من الناس كانوا ليستخدمون موديلات أكثر لو كان لديهم المزيد من النقود، لكن ها نحن ننفق عليهم أي عشرة فلسات نستطيع ادخارها.

سيكون رائعًا لو وحّد الناس جهودهم بحيث يكون هناك مكان يمكن أن تلتقي فيه الموديلات كل يوم، كما في مجلة ذا جرافيك في الماضي. على أي حال، ليكن ما يكون، دعنا نحمس أحدنا الآخر ونشجع بعضنا البعض، بقدر المستطاع، لنواصل العمل. لا في اتجاه إرضاء تجار الفن أو عشاقه العاديين، لكن في اتجاه الرجولة، والقوة والحقيقة والإخلاص والصدق. وهو ما يرتبط مباشرة، من وجهة نظري، بالعمل مع موديل.

ويبدو أن كل شيء يفعله الواحد في هذا الاتجاه محكوم عليه بأن يوصف بأنه "غير مقبول"، لكن أعتقد أنه بعيدا عن كونها خيالية، فالأحكام المسبقة القائمة لا بد أن تنهار قبل محاولات المصورين ضدها، شريطة أن يكون المصورون متفقين فيما بينهم على هذا ويدعمون ويساعدون بعضهم البعض وألا يسمحوا للتجّار بأن يتكلموا مع الجمهور نيابة عنهم، ولكن أن يتكلموا بأنفسهم من الآن فصاعدًا. لوهلة أكون مستعدًا لأن أقبل أن ما يقوله المصور عن عمله الخاص لن يكون مفهومًا دائمًا، وما زلت أعتقد أنه بهذه الطريقة سيتم نثر بذور في حقل الرأي العام أفضل من بذور التجار وشركائهم ممن اعتادوا على البذار وفقا لصيغة تقليدية هي نفسها دائمًا.

هذه الأفكار تقودني بشكل طبيعي إلى مجال المعارض. أنت تعمل من أجل المعارض، حسنًا، أنا عن نفسي لست مولعًا بالمعارض.

كنت مولعًا بها في الماضي أكثر من الآن -ولا أعرف لمَ- في الماضي كنت أرى المعارض من زاوية مختلفة، ربما كانت لدي في الماضي فرصة متسعة لأرى ما وراء الكواليس لبعض الشؤون المتعلقة بالمعارض وما إلى ذلك، وربما هو ليس مجرد عدم اكتراث من جانبي أنني أصدق أن العديد من الناس مخطئون فيما يخص نتيجة أحد المعارض. لا أريد أن أناقش ذلك الآن غير أني سأقول أنا سأكون أكثر إيمانًا بتجمع للمصورين على أساس التعاطف المشترك والتشابه في الغايات والصداقة العميقة والإخلاص، عن تجميع لأعمالهم بغرض إقامة المعارض.

ولهذا، فكلما رأيت لوحات معلقة معًا في الغرفة نفسها، لا أجرؤ على استنتاج أن هناك روحًا من الاتحاد والاحترام المتبادل ونوعًا من التعاون الصحي بين هؤلاء من صنعوا هذه اللوحات. وأنا أعتبر هذه النقطة الأخيرة، أي وجود هذه الأشياء أو عدم وجودها ذات ثقل كبير حتى إن القليل من الأشياء يمكن أن نعتبره مهما، أي شيء غير ذي صلة بهذا الاتحاد الروحي، وأيًا كانت الأهمية الذاتية لتلك الأمور الأخرى، فقد لا يكون هناك بعيدًا عن هذا أي بديل قد يعوض هذا الاتحاد، وافتقاد هذا يعني افتقاد الأرض الثابتة تحت أقدام المرء. لا أملك أدنى رغبة في إيقاف المعارض وما إلى ذلك، لكنني أرغب في إصلاح أو بالأحرى تجديد وتقوية التجمع والتعاون بين

المصورين، وهو ما سيكون له بالتأكيد التأثير الذي سيجعل حتى المعارض مفيدة. وبالنسبة للوحتك عن الأرضية -كنت مهتمًا أن أسمع أنك تعمل عليها من جديد- أنا مهتم بالذات بما هي عليه وما ستكونه. وأنا أهتم بكل شيء يتعلق بهذه اللوحة أو بلوحاتك الأخرى، وأرى شيئًا فيها وأسمع أخبارها بتعاطف. لكن سواء ذهبت إلى معارض أم لم تذهب فإن ذلك أقل ما يثير اهتمامي بقدر اهتمامي بأي نوع من الإطارات ستضعها فيها. حسنًا، وداعًا، واكتب ثانيةً في القريب.

المخلص دوما،

فنسنت

أنا لا أحب أن أكتب أو أتكلم عن التقنية في العموم يا رابارد. وإن كنت في الوقت نفسه أتوق أحيانًا لأن أتكلم عن كيفية تحقيق فكرة أو أخرى قد تخطر لي، سواء كان ذلك معك أو مع شخص آخر، وأنا لا أستخف بالقيمة العملية لنقاش مثل هذا.

وعلى أي حال فإن تلك الفكرة الأخيرة لا تغير الفكرة الأولى، والتي ربما لم أعبر عنها بوضوح. تلك الفكرة الأولى والتي لا أستطيع أن أقبض عليها بالكلمات لا تتأسس على شيء سلبي ولكن على شيء إيجابي.

في الوعي الإيجابي إن الفن هو شيء أكبر وأسمى من مهارتنا أو تعاليمنا أو معارفنا. وإن الفن، وإن كان يتم إبداعه باليد البشرية، فهو ليس مصنوعًا باليد وحدها لكنه ينبع من مصدر عميق في الروح، وأنا أجد شيئا في البراعة والمعرفة التقنية في الفن تذكرني بما قد يسمونه في الدين "التقوى الذاتية".

وانحيازاتي في الأدب أيضًا كما في المجال الفني تتجه في الأغلب وبقوة لهؤلاء الفنانين الذين أرى أرواحهم في أعمالهم. إسرائيل على سبيل المثال، هو تقني بارع، ولكن فولون هو متساو معه في هذا – وأنا مع ذلك أحب إسرائيل أكثر من فولون، لأنني أرى فيه شيئا أكثر من مجرد التحويل البارع للمادة، وشيئا مختلفا عن الضوء والظلال، وشيئا شديد الاختلاف عن الألوان، مع أنه شيء مختلف تم الحصول عليه بالمعالجة المناسبة لتأثير الضوء، والمادة، واللون. إليوت حقيقة لديها هذا "الشيء"

المختلف" والذي أراه، كما قلت لدى إسرائيل أكثر مما لدى فولون، وهو موجود لدى ديكنز أيضًا.

هل هو يكمن في اختيار الموضوع؟ لا، فذلك أيضًا ظرف آخر.

وما أريد قوله، بين أشياء أخرى، هو إن إليوت معلمة في التنفيذ، ولكن هناك فوق هذا ووراءه ذلك الشيء الإضافي ذا العبقرية المتفردة الذي أقول عنه: ربما يصير المرء إنسانا أفضل إذا قرأ هذه الكتب، أو هذه الكتب لها قوة الإحياء.

دون أن أقصد كتبت الكثير عن المعارض هنا، في الواقع كنتُ نادرًا ما أفكر فيها. وها أنا الآن أفكر فيها، وأرى أفكاري بدرجة من الاندهاش. أنا لم أكن لأعبر عنها بشكل كامل ما لم أضف أن هناك شيئًا صادقًا للغاية وجيدًا في بعض اللوحات، حتى إنك مهما فعلت بها، وسواء وقعت في أيد أمينة أو غير أمينة، فإن شيئا جيدًا يأتي منها. أومن بأن مقولة "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس" هي واجب كل مصور، لكن اتباع هذه المقولة مباشرة –من وجهة نظري– لا يجب أن يكون من خلال المعارض. يجب أن أقول لك هذا، فعوضا عن إخفاء الشمعة تحت السرير فلنضعها على حامل الشموع، أود لو كانت هناك فرص أكثر وأفضل من المعارض لجلب الفن للناس. وعلى أي حال فليكفِ هذا.

قرأت مؤخرًا "فيلكس هولت" لإليوت. لقد تمت ترجمة هذا الكتاب بشكل جيد جدًا إلى الهولندية. أتمنى أن تكون تعرفه، لو لم تكن تعرفه فحاول أن تحصل عليه من مكان ما.

ثمة أفكار عن الحياة في هذا الكتاب أجدها رائعةً، أمور عميقة تقال بطريقة بسيطة. إنه كتاب مكتوب بروح عظيمة، وبه مشاهد كثيرة موصوفة كأعمال فرانس هول أو شخص على شاكلته كان ليرسمها. إنه المفهوم نفسه ووجهة النظر نفسها. لا يوجد كتاب كثيرون في صدق وجودة إليوت. إن كتاب "الراديكالي" غير معروف في هولندا ككتابها "آدم بيد" وأيضا مشاهدها من حياة في الكهنوت غير معروفة جيدًا أيضًا، للأسف، وهو الأسف العظيم نفسه لأن الكثيرين لا يعرفون أعمال إسرائيل.

٣٤٢ | لاهاي، نحو الخميس ١٠ مايو (أيار) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت رسالتك في حالة جيدة مع الخمسين فرنكا المرفقة. وهو ما كان نجدةً لي، وراحة على أي حال. وقد سمعت أيضًا من رابارد، لكن لا شيء مؤكد حتى الآن. إنها رسالة يرد بها على رسالتي، ويقول إنه سيساعدني وسيأتي أيضًا، لكنه كتب أن صحته تتدهور ثانية. ينهي بـ "أرفق لك النقود هنا" ثم يعود ويكتب ملحوظة في التذييل "آه، سوف أجيء في الحال وسأحضرها بنفسي، سوف أجيء غدًا" ثم تلي ذلك برقية في اليوم التالي "لن أجيء، سأرسل رسالة لاحقًا".

ومن ثم، فعلى الرغم من أني سمعت منه، يظل الأمر كلعبة الإوز، لو تتذكر كيف كان يحط المرء على إوزة، فتمضي قدما، فيحط عندها على إوزة جديدة يشير منقارها لاتجاه لا يرغب في اتخاذه، وعليه يعود إلى وضعه الأصلي. هو ليس خطأه مع ذلك، حيث إنه كان بالفعل مريضًا جدًا ولا يزال يشعر ببقايا العلة أو أنه في النقاهة. وفوق ذلك فإن شقيقته لديها المرض نفسه بالتقريب، وقد كانوا مشغولين جدا بها، لكنها تعافت أيضًا.

مع ذلك فأنا أومن بأن الصديق رابارد فعل أشياء استهلكت قدرًا كبيرًا من طاقته ومن التوتر العصبي وهي لا تستحق هذا العناء. وكذا، فقبل مرضه سمعت عن إقامته الديكور لمئوية جمعية مصوري أوترخت، وحاليا تزيين كنيسة. وبالمصادفة كتبت له أنني أعتقد أن الأمرين غير حكيمين، وأنه سقط مريضًا في المرة الأخيرة، والآن هذه المرة. كنت لأوافق لو بذل هذا المجهود على أشياء عادية، لكن كما قلت فتلك أشياء لا تستحق العناء المبذول فيها، فكتبت له ثانيةً: أنت جندي، وواحد من القلائل ممن لديهم ذخيرة في هذه الأيام، فاستخدمها فقط حين لا يمكن تجنب إطلاق النار.

أخشى يا أخي العزيز، أن تكون النقود التي أقرضتها لابن عمنا العزيز هـ. قد تحولت الآن إلى كلب صيد رديء على سبيل المثال، أو شيء من هذا القبيل، إذ أعتقد أنه غالبا ما يخطئ في مشتريات مماثلة، ثم يكون من المستحيل لاحقًا أن يستعيدها من هذا الشكل إلى هيئة النقود لأنه كمحبي الخيل وكلاب الصيد الآخرين يقع في حبائل التجار المحتالين. أنا ممن يتمنون له حظًا سعيدًا قدر الإمكان في هذه المفاوضات، وأرغب لو أرى نتيجتها تعود عليه سريعًا بما هو مدين لك به. في وقت ما، كانت هناك خطط كبيرة لملء المزارع بعدد لا يحصى من الكلاب. إن تربية الحيوانات لهي أمر محمود، لكنني أريد أن أقول حاليًا إني آمل أن تكون مربحة بشكل جيد.

هل خرجت مريضتك بالفعل من المستشفى؟ قد تظل هناك أيام من القلق، ليست بأقل خطورة من أيام كانت هناك. قال ميشليه محقًا: إن المرأة مرض. إنهن يتغيرن يا تيو، ويتقلبن كالطقس. من لهم عيون يرون شيئا جميلًا في كل تقلبات الطقس، يجدون الثلج جميلًا والشمس الحارقة والعاصفة جميلة والبرد والحر جيدين، هم مولعون بكل الفصول ولا يريدون إضاعة يوم واحد من السنة، وهم راضون ومكتفون بالأشياء كما هي، ولو كان المرء ينظر إلى الطقس وتبدل المواسم هكذا ـ والطبيعة المتقلبة للأنثى بالطريقة نفسها- مؤمنًا بأن في جوهر الطبيعة، وفي غموضها، هناك علة، القبول حيث لا يفهم المرء، وحتى لو كان للمرء أن يراها هكذا، فإن طبيعتنا ورؤانا ليست دائمًا وفي كل لحظة على اتفاق مع طبيعة المرأة التي نرتبط بها، والمرء يشعر بشكل فردي بالقلق أو عدم الرضا أو الحيرة على الرغم من قناعته أو النية الطيبة والإخلاص لديه.

لقد قال لي الأستاذ الذي ولدها إن الشفاء الكامل لامرأتي قد يأخذ سنوات. حيث يظل الجهاز العصبي شديد الحساسية، مثلًا، وهي لديها التغيرات النسائية قوية جدًا. والخطر الأكبر -كما تفهم- أن ترتد إلى الخطايا القديمة.

هذا الخطر، وإن كان ذا طبيعة أخلاقية، له علاقة بحالة الجسد. ولدي قلق دائم وأحيانًا شديد بخصوص ما أسميه الترنح بين التحسن والانتكاس نحو العادات السيئة

القديمة. إن مزاجها يصبح غير محتمل تقريبًا، حتى بالنسبة لي، فورات غضب سريعة، وسيئًا بشكل مقصود، باختصار يصيبني اليأس أحيانًا. وتمر، وقد قالت لي أكثر من مرة بعدها: أنا نفسي لا أعرف ما الذي أفعله وقتها.

هل تذكر عندما كتبت لي العام الماضي أنك تخشى أن أضجر من الأم؟ أحيانا أتمنى لو كانت الأمور اتخذت هذا المنحى. إن الأم تكون قوية جدا عندما تريد ذلك، ويمكن أن تكون أفضل كثيرا مما هي عليه. هي الآن تعيق أكثر منها تساعد. على أي حال، فعندما تفعل المرأة شيئا خاطئًا تكون أحيانا غلطة الأم، وعندما تخطئ الأم فإنها الأسرة التي خلف الأم. إنها أمور ليست سيئة في حد ذاتها لكنها تعيق التطور وتطغى على التأثيرات الأفضل أو تحيدها.

ولامرأتي بعض الأخطاء والعيوب في طريقة تصرفها. هذه هي الحالة فعلًا. وهذا لا يجعلها شريرة في نظري. ويبقى أن هذه العيوب يجب استبعادها، عادات الانحلال، وعدم الاكتراث، قلة النشاط واللباقة، كتلة من الأمور. لكن لها كلها جذرًا واحدًا: التربية الخاطئة، وسنوات من الرؤية الخاطئة للحياة، والتأثير القاتل لصحبة السوء. أقول لك هذا بثقة، وعقل، وليس بدافع اليأس ولكن لتفهم أن هذا الحب بالنسبة لي ليس مفروشًا بالورود، لكنه شيء مبتذل كصباح يوم الاثنين.

تظهر لوحة صغيرة لتيسو امرأة في الثلوج بين أعواد ذابلة. طريق الزهور، طريق الدموع. حسنًا، امرأتي لم تعد تمشي على طريق الزهور كما كانت تفعل وهي أصغر سنًا وترضي نفسها وتتبع أهواءها، لكن الحياة قد أصبحت شائكة بالنسبة لها وأصبحت طريقًا للدموع، لا سيما في العام الأخير. وإن كانت هناك أشواك في هذا العام أيضًا، وفي الأعوام القادمة كذلك، ويبقى أنها بالمثابرة ستستطيع تجاوزها.

ولكن أحيانًا تكون هناك كارثة، خاصة عندما أجرؤ على إبراز بعض أخطائها التي أكون قد دأبت على ملاحظتها منذ فترة طويلة. وعلى سبيل المثال، سأذكر شيئًا واحدًا، إصلاح وحياكة ملابس الأطفال بنفسها. لكن ذلك ينتهي بعكوفها عليه يوما، وهي تحسنت كثيرًا بالفعل على هذا الصعيد، وعلى أصعدة أخرى.

لا بد أن أغير في نفسي كثيرًا أنا أيضًا، ولكن لا بد أن أتأكد أنها سترى فيَّ مثالًا للعمل والصبر، وذلك صعب بشكل رهيب يا أخي، أن تتصرف بحيث تُري شخصًا آخر بطريقة غير مباشرة كيف يفعل شيئا ما، وأنا أيضا ينتابني القصور في بعض الأحيان، فلا بد أن أرفع مستواي لشيء أفضل حتى أثير انتباهها.

إن الصبي في أحسن حال، أما البنت فقد كانت مريضة جدا في الماضي ومهملة. لكن الفتى الصغير معجزة من الحبور، وهو من الآن يميل إلى معارضة التقاليد والمؤسسات الاجتماعية. وعلى سبيل المثال، فعلى حد علمي فإن كل الأطفال ينشؤون على نوع من عصيدة الخبز. لكنه رفض هذا بحسم عظيم. وعلى الرغم من أنه لا يزال بلا أسنان، فهو يقضم قطع الخبز بقوة ويلتهم كل ما يؤكل وهو مبتسم طوال الوقت وضاج بالأصوات، لكن فمه يظل مطبقًا أمام العصيدة... إلخ إلخ. وهو يجلس معي أحيانًا في المرسم على الأرضية في ركن على زوج من الأكياس أو شيء من هذا القبيل، يصيح للرسوم وهو دائما هادئ في المرسم إذ يتطلع للأشياء على الجدران. يا له من فتى صغير عذب.

إن عدد الرسوم آخذ في ازدياد. عندما تأتي ربما ستجد بعض الأشياء لتضعها في ملف بغرفتك، وعلى أي حال، فذلك يعود لك، ما دمت تفهم بوضوح أن بإمكانك اعتبار كل ما يعجبك كشيء خاص بك. يجب أن تظهر أشياء أخرى من الدراسات، ودراسات أفضل تخرج من الدراسات القديمة. أنا نفسي لا أعرف كيف بالضبط.

لكنني أتوق لأن تراها ثانيةً.

شاهدت باهتمام كبير مطبوعة بعنوان "صالون ١٨٨٣" العدد الأول من سلسلة من الرسوم. بعضها جيد بشكل رهيب. مصنوعة بتلك الطريقة الجديدة في الاستنساخ. لقد اشتركت فيها، على الرغم من أنه لدي ما يكفي من المصروفات، بالنظر لما أفعله حاليا بنفسي بحبر الطباعة وأقلام الليتوغراف. واسمع، أنا أعتقد بشكل قاطع أن بعض أعمالي قد تخرج جيدة لو أعيد استنساخها بهذه الطريقة، لا سيما تلك التي بها الأسود

الأشد كثافة الذي حصلت عليه من أقلام الليتوغراف وحبر الطباعة؛ وبإمكاني أيضًا الحصول على الطبقة الرقيقة من البني التي أعثر عليها أحيانًا في هذه المطبوعات.

حسنا، عندما تأتي فربما نستطيع ترتيب بعض الأمور.

وربما دونت بيانًا مفصلًا عن أمور عديدة أريد معلومات عنها، وبإمكانك أن تأخذ بعض دراساتي مع هذا لتريها لبوهوت على سبيل المثال، الذي ربما يستطيع إلقاء الضوء على بعض الأشياء من أجلي.

قرأت مؤخرًا "ذكر" لكامي ليمونييه. إنه مكتوب بقوة على طريقة زولا. كل شيء تمت ملاحظته من الطبيعة وكل شيء تم تحليله.

رأيت لوحة كبيرة لفرومنتين، معركة فلاحين، في نافذة العرض لدى جوبيل وسي.

وأيضًا رأيت أحدث الأشياء، ربما ليس كلها. وعثرت على شيء لجوليان دوبريه الذي كتبت لك عنه، عملين وجدتهما أقل جمالًا وأكثر تقليدية مما سبق ورأيته له في المجلة المصورة في الشتاء.

هل عرفت أن لوحات رابارد تم قبولها هذه المرة في أمستردام؟

حسنًا، الوقت قد تأخر، أشكرك على رسالتك التي جاءت في وقتها، فقط أتمنى أن تليها رسالة رابارد بعد وقت قصير، أو أن تربية هـ. للحيوانات تزدهر.

وداعًا وحظًا سعيدًا مع جميع الأمور، ولا سيما مع المرأة.

المخلص دوما،

فنسنت

لا يزال فرومنتين بارعًا، وباحثًا مثابرًا، وواعيًا أيضًا.

٣٤٨ | لاهاي، الأحد ٣ يونيو (حزيران) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك وأشكرك على ما هو مرفق بها. اليوم الأحد، وهذا الأسبوع عملت بشراسة فاتخذت اليوم عطلة كي أستطيع أن أكتب لك بهدوء، بمزيد من التفاصيل عما كان متاح مؤخرًا، حيث كانت تشتتني أشياء كثيرة. وحاجتي لأن أكتب لك عظيمة لأنني أرى من رسالتك أن الأمور ليست كلها على ما يرام معك، وأردت أن أكتب بشكل أكثر دفئًا من المعتاد.

لو أن أبي وأمي -في حالتي وبدخلي المحدود- اعترضا على الزواج بسبب نقص النقود، فقد أقبل ذلك بشكل أو بآخر، أو على الأقل سأتفهم كلامهما بهذه الطريقة وألتمس لهما العذر. لكن، هنا وهما يبديان الاعتراض نفسه في حالتك أنت، أنت يا تيو بوظيفتك الثابتة ودخلك الجيد (أهم من دخلهما هما، ليكن في معلومك) فأنا أجد ذلك محض ادعاء لا يوصف وفاسد تمامًا. إن الكهنة في الحقيقة لمن أكثر الناس فسادًا في المجتمع، وهم ماديون متبلدون. لا على المنبر ولكن في الأمور الخاصة. ومن وجهة نظر أخلاقية قد يحق للمرء الاعتراض على الزواج في بعض الحالات حيث يتوقع العوز بمعناه المطلق، ولكن من وجهة نظري فالاعتراض لا محل له مطلقًا من الناحية الأخلاقية بما أنه لا توجد مشكلة عوز بالمعنى الحرفي للكلمة. وفي حالتك يكون من السخف توقع العوز في القريب.

لنفترض أن شخصًا كالسيد جوبيل المسن لديه اعتراض يخص النقود – الواحد لا يتوقع أقل من ذلك من وجهة نظره، هو التاجر الثري.

لكن أبي وأمي وهما من المفترض أن يكونا متواضعين وقانعين بالبساطة، فأنا أعتقد أنه من القبيح منهما أن يتكلما هكذا، وأشعر بالعار أنهما هكذا. أتمنى أن يسعى كل من في بيتنا للسلام وأن يقتنعوا أنفسهم عوضًا عن الجري وراء المناصب العليا. وأن

نبذل جهودنا لتحسين أنفسنا بتثقيف العقل والإنسانية مع القناعة بأبسط الأشياء من حيث المبدأ.

ولهذا، فإنه يحزنني ويسيء لي، ويحبطني بشكل رهيب، أن أبي وأمي قالا ذلك.

أود أن أفعل شيئا، لا أعرف ما هو تحديدًا، نحو ما حدث هذا بشكل ما. وأود أن أكون فخورًا بأبي، لأنه كان واعظًا قرويًا بالمعنى الإنجيلي الخالص. لكن أنا أعتبر من السيئ أن يميل أبي لأشياء لا تتفق وجلال دعوته.

وأظن أن أبي قد ينتظر منه التعاون بحق حيث إن الأمر يتعلق بإنقاذ امرأة وحيدة ـ والتعاطف معها لأنها فقيرة ووحيدة تحديدًا. وعدم فعل ذلك هو خطأ كبير في أبي، وهو غير إنساني، وهو غير إنساني بغض النظر عمن يفعله، وهو غير إنساني بشكل مضاعف لو أن كاهنا هو من يفعله.

إن الوقوف في طريق امرأة كهذه، لإعاقة إنقاذها وخلاصها، هو أمر وحشي.

أنا أعرف الآن بشكل يقيني أن كل كاهن تقريبًا كان ليقول الشيء نفسه كأبي، ولهذا أنا أعتبر أن كل تلك الطائفة من أكثر الناس الموجودين في المجتمع فسادًا. أنا وأنت أحيانا نقترف أشياء قد تعتبر خطايا، لكننا لسنا في النهاية مجردين من الرحمة ولا نزال نشعر بالشفقة، وتحديدًا لأننا لا نعتبر نفسينا بلا خطايا ونعرف كيف تسير مثل هذه الأمور، فنحن لا نقرع المرأة الساقطة أو الضعيفة كما يفعل الكهنة، كما لو كان خطأهن هن وحدهن.

وفوق ذلك فإن امرأتك هي امرأة محترمة ومن عائلة كريمة، وأبي مخطئ جدًا، فيما أعتقد.

ولنفترض أن هناك مصاعب، فإنه يبدو لي أن من واجب أبي، خصوصًا ككاهن أن يحثك على مساعدتها وتحمل المصاعب من أجل إنقاذها. يجب أن يجد المرء الراحة مع شخص كأبي حين لا يقدم المجتمع أي راحة، لكنهم يجعلون الموضوع أسوأ من الناس العادية.

إنه لشيء فظيع أن يتبنى أبي هذا الموقف.

عندما كان أبي هنا تكلم باستهجان عن كوني مع هذه المرأة. وقلت ساعتها إنني لم أرفض أن أتزوجها. فتجنب أبي الموضوع والتف حوله. لم يرد أن يتفوه بها ويقول لي إنه يجب أن أتركها، لكنه تأسف لأن لدي علاقة معها.

لقد تكلمت مع أبي في هذا بصعوبة، في الحقيقة، وتحديدًا لأنني فشلت أن أرى فيه الشخص المناسب للموضوع. لقد أديت واجبك بإخطار أبي وأمي، لكن بما أنهم قد تكلما هكذا، فقد أعطيتك الحق في استبعادهما من الخصوصيات، وألا تستشيرهما كما كنت لتفعل لو كانا أكثر تعقلًا. هما مخطئان لكونهما غير متواضعين ولا يتحليان بالإنسانية الكافية في هذه الحالة.

حسنًا، تقول إن العمل ليس مزدهرًا. ذلك سيئ جدًا، لكن الوضع دائمًا متقلب، وهذا هو حال الحياة. لتظل حالتنا المعنوية مرتفعة ولنبحث عن الطاقة والسلام النفسي.

بإمكاني أن أخبرك أن التكوين الأول لي، والذي أرسلت إليك تخطيطًا منه، قد قارب على الانتهاء. لقد صنعت الرسم بالفحم أولًا، ثم اشتغلت عليه بالفرشاة وبحبر الطباعة. فيه بعض القوة، وأعتقد أنه لدى مشاهدته للمرة الثانية قد يجد المرء به أكثر مما رآه في المرة الأولى.

وقد رُسِمَ مشهدٌ آخر مماثل منذ أرسلت إليك التخطيط. هل تذكر عندما حكيت لي العام الماضي عن حادثة وقعت في أحد المحاجر في البوت بمونمارتر عندما رأيت عصبة من العمال وقد جُرِحَ أحدهم في المحجر.

حسنًا، إنه مشهد مماثل، لكن فريق العمال يشتغلون.

كنت في ديكرسدوين مع فان در ويلي وهناك وجدنا محجر الرمال، وواظبت على هناك من وقتها يومًا بعد يوم ووجدت العديد من الموديلات، وهكذا فقد صنعت الثانية أيضًا. هم شخوص بعربات يد وحفارات. سأرى إن كنت سأصنع

تخطيطا لهم أيضًا، لكنه تكوين مركّب وربما يكون من الصعب أن ترى الواحد والآخر في رسم تخطيطي.

لقد تم رسم الشخوص من دراسة موسعة. وأرغب بشدة في إعادة استنساخها. الأولى على ورق رمادي والثانية على ورق أصفر.

كم أتوق يا تيو إلى أن تجيء إلى المرسم مرةً أخرى، لأنه هناك العديد من الدراسات أيضًا، وتستطيع أن ترى ماذا يكون هدفي حين أصنعها، وأشياء عديدة ممكن أن تستوحى منها.

حصلت على إطار مصنوع من الخشب الاعتيادي بلون الجوز مع حواف داخلية سوداء، وهو يحتوي الرسوم بشكل جيد فيستطيع المرء العمل براحة داخل الإطار.

لقد رتبت كل شيء استعدادًا لعمل تكوينات أكبر، ومرة أخرى لدي مرشحات لاثنين جديدين. أريد أن أرسم قطع الأشجار في الغابات أحيانًا، ومقلب النفايا مع جامعي الخرق والحفر للبطاطس في الكثبان الرملية.

كان من الجيد أني زرت رابارد، فتعاطفه رفع من معنوياتي حين كنت أفتقد الثقة بالنفس.

لكن عندما ترى هذه الرسوم يا تيو، وترى الدراسات، ستفهم أني في هذه السنة كان لدي الكثير من الهموم والمشكلات فوق ما أحتمل. إنه من الصعب بجنون صياغة الشخوص.

وحقيقة هو كاشتغال الحديد - يعمل المرء مع الموديل ويواصل العمل معها، يكون الأمر صعبا في البداية، لكنه في النهاية يصبح أكثر مرونة، ويجد المرء الشكل كما يصبح الحديد طيعًا عند تسخينه، ومن ثم لا بد من الاستمرار في ذلك. وعليه فكان لدي موديلات بشكل متواصل من أجل هذين الرسمين، وكنت أكدح ليل نهار.

من المحبط أن تكتب لي أن العمل لا يسير على ما يرام، فإذا كان الوضع يزداد خطورةً فدعنا نضاعف جهودنا.

سأضاعف انتباهي لرسومي، لكن في الوقت الحالي لتضاعف انتباهك لإرسال الأموال. فهي بالنسبة لي تمثل الموديلات، والمرسم، والخبز؛ وتقليصها سيؤدي إلى شيء يشبه الاختناق أو الغرق، وأعني أنني لا أستطيع أن أعيش بدونها الآن كما لا أستطيع أن أعيش بدون هواء. كان هذان الرسمان في وجداني منذ فترة طويلة بالفعل، لكنني لم أكن أملك النقود لأصنعهما، والآن ومن خلال مساعدة رابارد تم تحقيق تقدم. لا يمكن إيقاف القوة الإبداعية، فما يشعر به المرء لا بد وأن يعبر عنه.

هل تعرف ماذا أضع في اعتباري أحيانًا؟ أن أقيم علاقة في إنجلترا مع مجلة ذا جرافيك أو لندن نيوز. والآن، وحيث أحقق تقدمًا، فأنا أرغب بشدة في أن أواصل العمل على رسوم أكبر تناسب مجلة مصورة. إن بوتون وآبي يصنعان معًا رسومًا عن "هولندا جميلة المناظر" لصالح هاربر في نيويورك (وهو أيضًا وكيل مجلة ذا جرافيك) ولقد رأيت هذه الرسوم المطبوعة لدى رابارد (محكمة جدا وإن كانت صغيرة وهي بالتأكيد مأخوذة عن رسوم أكبر). والآن أفكر مع نفسي أنه لو كانت ذا جرافيك وهاربر يرسلان رساميهما إلى هولندا، فلن يرفضا رسامًا هولنديًا إذا كان يستطيع إمدادهما بأشياء جيدة مقابل نقود ليست كثيرة. أود لو أعمل في اتجاه أن أكون موظفًا بشكل دائم بدخل شهري ثابت بدلًا من بيع الرسوم من وقت لآخر مقابل ثمن أعلى نسبيًا. وأن ألتزم بسلاسل من الرسوم تكمل بعضها، من هذين الاثنين اللذين على الحامل ما زالا أو مما سأضيفه لاحقًا. وأظن أنه من الحكمة أن أذهب إلى لندن بنفسي مع دراساتي ورسومي وأن أبحث عن مديري المؤسسات المختلفة، أو الأفضل عن رسامين مثل هيركومر، وجرين، وبوتون (على الرغم من أن بعضهم في أمريكا حاليًا) أو آخرين إن كانوا في لندن. وسأستطيع الحصول على معلومات تخص العملية هناك أفضل من أي مكان آخر. ومن يعرف، ربما يحب رابارد أيضًا أن يذهب معي ويأخذ رسومه هو أيضًا؟ لا بد من فعل شيء كهذا، فيما أعتقد، سواء تغيرت الخطة أم لم تتغير. سوف أجرؤ على أن أتعهد بتوريد رسم واحد كبير كل شهر ليطبع بالحفر على صفحة مزدوجة، وسأجرب أيضًا الرسوم من حجم آخر كالصفحة المفردة ونصف الصفحة. أعرف أنهم يستطيعون إعادة استنساخ ما هو كبير وما هو صغير،

لكن الصفحة المزدوجة تستوعب بشكل أفضل ما تم عمله بشكل موسع؛ يمكن رسم الأصفر بطرق مختلفة، بالقلم أو قلم الرصاص مثلًا.

وأعتقد أن مسؤولي هذه المجلات المصورة لا يجدون كل يوم شخصًا يعتبر هذه المجلات هدفه الشخصي.

من التخطيط الصغير الذي عملته هذه اللحظة (في ربع ساعة فقط وهو مرفق هنا) عن الرسم الكبير، تستطيع أن ترى إن كان جعل القطع كبيرًا أو صغيرًا سيشكل فرقًا، فأنا لا أتهيب من هذا. فلو عرفت بشكل واضح أن هذا أو ذاك مطلوب بمقاس معين، فسوف أصنعه.

ولكن لدراساتي الخاصة بي فأنا أفضل العمل على مقاس أكبر نوعًا ما، فأستطيع دراسة الأيدي، والأقدام، والرؤوس بتفاصيل أكثر.

ألا توافقني على أن مجموعة من المشاهد لقطع الأشجار وما إلى ذلك، يمكن أن تصنع بالأسلوب نفسه الذي تعاملت به في "حفارو الخث" و"عمال الرمال" وهو ما يبدو لي يحتوي على الحيوية الكافية، وإذ يصنع هكذا فهو يصلح للطباعة في مجلة.

ولكن أكرر لك، طالما لم أجد وظيفة فإن النقود التي ترسلها لا غنى عنها مطلقًا. وما استلمته منك اليوم، كان علي أن أدفع في التو المبلغ نفسه الذي استلمته، وبقي أن أدفع لثلاثة موديلات استخدمتهم عدة مرات، ولا بد أن أدفع للنجار، وأدفع الإيجار، ويبقى أن أدفع للخباز والبقال والإسكافي أيضًا، وأن أشتري خزينا مرة أخرى. حسنًا، أمامي لوحتا ورق فارغتان لتكوينين جديدين ولا بد أن أجلس لأعمل عليهما. ولا بد أن أتخذ موديلًا مرةً أخرى، يومًا بعد يوم، حتى أنجز ذلك. سوف أبدأ العمل عليها مع ذلك، ولكن كما تفهم فخلال أيام قلائل سأكون مفلسًا تمامًا، ثم هذه الأيام الثمانية من عدم القدرة على المواصلة والانتظار، الانتظار حتى اليوم العاشر ثانية.

نعم يا صديقي، لو أننا فقط نعثر على شخص يأخذ الرسوم.

إن العمل بالنسبة لي ضرورة مطلقة، وحقيقة لا أستطيع أن أواصل، وأنا لا أجد أي متعة سوى فيه، فالمتعة في أي شيء آخر تنتهي سريعًا، ويصيبني الأسى ما لم أستطع العودة إلى العمل. أشعر كأني نساج يرى نسيجه وقد تشابك على النول ونتيجة عمله تذهب إلى الجحيم فتسفر جهوده وأفكاره عن لا شيء. فحاول أن تتصرف فنستطيع المثابرة بكامل الطاقة. سأسأل عن تصريح للعمل في بيت من بيوت المسنين. لدي بالفعل دراسات عن الأيتام الذكور، لكني أريد عن الإناث أيضًا، وأيضًا المحيط في المكان نفسه. حسنا، بما أنك لديك امرأتك لتعتني بها فأنت تعرف جيدًا أن الأمر ليس سهلًا بالنسبة لي من هذه الزاوية، مع وجود اثنين من الصغار فوق ذلك.

أخبرني، ألن تؤثر إجابة أبي وأمي على زيارتك لي هذا الصيف؟ هل ستؤثر؟

إنه أمر جوهري، فيما أعتقد، أن ترى الدراسات والرسوم الكبيرة، خاصة بالنظر للجانب المالي أيضًا. بإمكانك أن تتخذ في باريس الخطوات نفسها التي سأتخذها في لندن بالنسبة للناس في المجلات المصورة، فيما أعتقد، لو استطعت إطلاعهم على بعض الرسوم الكبيرة.

لكن في هذه الحالة فمن الحكمة ألا نبدأ قبل أن نكون جيدين بما يكفي لنضمن أنهم سيقبلون بها بيسر. هذه التكوينات الكبيرة تستلزم نفقات عديدة لو أن الواحد عالجها بوعي، لأنها كلها يا صديقي لا بد وأن تعمل مع الموديلات؛ وحتى لو استخدم المرء الدراسات، فلا بد له أن يضيف لمسات أخيرة مع الموديل ثانيةً. لو أني أستطيع أن أتخذ موديلًا بشكل أكثر، فسوف أستطيع أن أصنعها أفضل بمراحل. إذن يا صديقي القديم، فعن عدم احتياجي لك مرةً واحدةً، فأنا سأحتاجك أكثر من أي وقت، لكنني أريد أن أبرز الفرصة التي لدينا إذا ثابرنا. وبفضل النقود التي أخذتها من رابارد، فقد أصبح لدي بالفعل العديد من الأشياء، كدفتر للتخطيطات وما إلى ذلك، وكل شيء ترسله إلي يتحول إلى رسوم، وأعتقد أنك ستجد أعمالي الآن مناسبة أكثر من السابقة. فدعنا نكُن طيبين ونشيطين.

لدي عائق يعيق عدة أشياء في ذهني منذ كنت في الشاطئ وهو أنه ليس لدي أزياء نساء شيفننجن. وأنت تفهم أني أستطيع أن أصنع ذلك التكوين بشخوص من شيفننجن بروح التخطيط المرفق نفسها. لكني لو رسمت الشخوص في الخارج فستكون سطحية بالطبع. لا بد من تناولها مرةً أخرى والاشتغال عليها مع موديل، وعليه فالواحد يحتاج إلى الأزياء. حسنا، فتلك تكاليف لو قدرت عليها لصنعت بسلاسة ثلاثة أو أربعة رسوم في ذهني. ولكن كيف لي الحصول عليها؟ وكما قلت، فخلال ثلاثة أيام سيكون كل ما لديّ قد انتهى، لأن هناك نفقات سيسددها كل المبلغ في الحال. ولهذين الرسمين كنت قد احتجت لسترات وسراويل وأغطية رأس... إلخ. ولا يرتدي الموديل عادة سترة صالحة للرسم، فيغير الواحد هذا لتصبح واقعية أكثر وغالية أكثر. عندما تأتي يجب أن ترى كيف أن تلك الدراسات للشخوص في مقدمة التخطيط قد رسمت بصلابة. لقد رسمتها في الخارج على كومة من الرمال بجوار أحد باعة الزهور.

في بداية رسالتك كتبت أنك راض لعدم وجود سبب للقلق على المرأة. حسنًا، ليس هناك شيء فوري، قدر ما أحاول الحفاظ على صفائي وروحي المعنوية في هذا الصدد أيضًا. ولكن فإن لدي همومًا، وهمومًا ثقيلة أيضًا، ولا تنقصني الصعوبات. لقد بدأت بمحاولة إنقاذ المرأة على الرغم من هذه الصعوبات، وقد صمدنا حتى الآن على الرغم من وجودها، لكن لن يكون الأمر ورديًا في المستقبل أيضًا. فيجب أن نعمل بأقصى ما نستطيعه من طاقة. أتعرف يا تيو ما هي الصعوبات التي كنت أواجهها مع المرأة حين كتبت لك في المرة الأخيرة؟ كانت عائلتها تحاول إبعادها عني. أنا لم أختلط بأي منهم باستثناء أمها، لأنني أعتبرهم غير جديرين بالثقة. وكلما أمعنت في تحليل تاريخ هذه العائلة ازداد اقتناعي بوجهة نظري تلك. وهم يتآمرون بالذات لأني أتجاهلهم وقادهم ذلك إلى الهجوم الغادر. وقد قلت للمرأة عن رؤيتي لنياتهم وخبرتها بيني وبينهم، وإنني لا أرغب في أي تعامل مع أي شخص منهم، وفي المقام الأول لأني أعتقد أن علاقتها مع عائلتها ستعيدها إلى حياتها الخاطئة السابقة. كان اقتراح عائلتها أن ترعى هي وأمها منزلا لأخيها الذي انفصل عن زوجته وهو شخص معروف بخبثه. والسبب الذي جعل عائلتها تنصحها بتركي هو أنني أكسب القليل

وأني لست كريمًا معها، وأني أبقيها فقط لأرسمها ثم سأتركها في العراء. ولتعلم، أنها بسبب الطفل الصغير لم تجلس لي لأرسمها كثيرا طوال هذه السنة، هل فعلت؟ وعلى أي حال، فأنا أترك لك الحكم لأي درجة هذه الشكوك حولي تستند على أساس صحيح. حسنًا إذن، لقد ناقشوا الأمر في السر ومن وراء ظهري، ولكن المرأة قالت لي في النهاية. فقلت لها، افعلي ما تحبين، لكنني لن أتركك إلا إذا عدتِ لحياتك السابقة. والشيء الرديء يا تيو هو أنه إذا كنا فقراء لحد ما فإنهم يستغلون ذلك لمضايقة المرأة، فيما أخوها الشرير ذاك يحاول إعادتها إلى حياتها القديمة. والآن سأقول عنها فقط، سأظن أنه من الشجاعة والكرم منها أن تقطع كل صلاتها بعائلتها، أنا عن نفسي أنصحها بألا تذهب إلى هناك، لكن إذا أرادت الذهاب فأنا أسمح لها. إن رغبتها في استعراض طفلها عليهم تدفعها للرجوع إلى عائلتها. وذلك التأثير قاتل وله سيطرة عليها خاصةً إنه يأتي من عائلتها وهؤلاء الذين يزعزعونها بقولهم "سيتركك في العراء". وبهذه الطريقة يحاولون إقناعها بأن تتركني في العراء. وداعًا يا صديقي، ودعنا نعمل ونحتفظ بصفاء أذهاننا ونتصرف بشكل صحيح.

أنت تعرف حالتي المالية، فساعدني إذا استطعت.

فنسنت

«sketch A»



الحفرة الرملية في ديكرسدوين بالقرب من لاهاي

٣٥١ | لاهاي، نحو الخميس ٧ يونيو (حزيران) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت اليوم رسالة من الأسرة وأريد أن أتكلم معك بشأنها، وعلى الرغم من أن أبي لم يذكرك في الرسالة، فربما تحب أن تعرف شيئًا عن حالتهم المزاجية التي تحكم ما سيكتبون لك مباشرة. وانطباعي هو أنك في الوقت الحالي بإمكانك أن تكون مطمئنا على هذا الصعيد.

الرسالة المعنية هي أول خطاب لأبي منذ زيارته، وهي ودود جدا ودافئة، وقد جاء معها طرد به معطف وقبعة وعلبة سيجار وكعكة وحوالة مالية.

وفي الرسالة كان هناك الخطوط العريضة لموعظة، وأنا أرى أن أفضل جزء فيها إلى حد كبير كان النص الإنجيلي، وقد تركت لدي انطباعًا بسيطًا أقل من بضع كلمات لاحقة حول جنازة أحد عمال المزرعة.

ومن ناحية أخرى ذكر أن أمي كانت في برينسنهاج، وبعض التفاصيل المنزلية.

حسنًا إن السبب الذي يدعوني لأن أقول لك هذا بكل هذه الاستفاضة هو أن ترى من خلالها أنه لا يوجد توتر أو أي شيء غير طبيعي؛ وعوضًا عن ذلك فقد تركت الرسالة لدي انطباعًا بأن مزاج أبي سلبي أو متراجع، ويميل نحو الأسى الخفيف، أكثر مما يتوقعه المرء فيما لو كان سيتجه إلى التعبير عن الاعتراضات التي أخبرتني عنها.

وعليه فأنا أعتقد أن تلك الكلمات كانت بنية النصح أو التحذير أكثر (نصيحة هي في النهاية لا أرض صلبة لها من وجهة نظري) وهي أقل من أن تكون علامة على مقاومة أو معارضة قاطعة لقرارك الحاسم.

ربما يعتقدون أنك لم تتخذ قرارك بعد، أو أنك لم تفكر فيه بما يكفي.

ولأنني في رسالتي الأخيرة شجبت بشدة ما قاله أبي ـوما زلت أرفضه حتى الآن، أن يكون مع الرأي المضاد بشكل قاطع بحيث لا أعتبره لائقًا أن يرفع اعتراضات متعلقة بالمال والدين في هذه الحالةـ فأردت تخفيف كلماتي، بمعنى أنني أعتقد أن المسألة هنا تتعلق بخطأ (هو بأي حال خطأ من وجهة نظري) يكمن في كلام أبي لا في وجدانه أو مزاجه.

وفي بالي أن أحدثك عن أبي وكيف هو رجل مسن يحبك بعمق، وستجد، فيما أعتقد، أنه سيتقبل رؤيتك إن لم يكن هناك بديل، حتى لو تعارضت مع رؤيته هو، لكنه لن يتقبل تباعدًا من ناحيتك أو تحجيمًا للصلات... إلخ.

وبتبني وجهة نظر إنسانية، فأنا أسحب رأيي الذي يقول: "بقولهم هذا، فهم يظهرون أنهم لا يستحقون ثقتك، ومن وجهة نظري أنت لست بحاجة لأن تثق فيهم بعد ذلك" أو شيئًا كهذا كتبته لك وقتها، لا أتذكر بالضبط. لكن لا تسئ فهمي، لا لأني قللت من استهجاني لما قالاه، ولكن لأني أومن بأن في هذه الحالة، فالمرء لا يجب أن يأخذه على محمل الجد، ولا توجد حاجة ملحة لحمل السلاح ضده ما دامت فقط مجرد كلمات.

فلتوقف هذا بأن تقول شيئًا من قبيل "إن وجهة نظركما عن المستقبل قاتمة" أو "من الصعب أن تطلبا مني أن أتصرف كما لو كانت نهاية العالم وشيكة". وذلك أكثر حكمة في هذه الحالة، فيما أعتقد، من أن تأخذ كلماتهم على محمل الجد.

يبدو لي أن الأسى الخفيف لدى أبي، مع ذلك، هو من قلقه عليك ربما وتخيله لأشياء قاتمة، ولكن مرة ثانية، فأبي لم يكتب حرفًا عن ذلك بشكل مباشر، ولم يقل كلمة واحدة عنه في وقت زيارته. لكن عدم حديثه عن ذلك هو أيضًا غير طبيعي. وعلى أي حال، أنا أيضًا أعرف أبي جيدًا، وأعتقد أني أرى علامات على أساه.

لو أردت مساعدته فاكتب له بلطف ومرح، واكتب عن زيارتك هذا الصيف كما لو كان مؤكدًا أنك ستراهما في القريب ثانيةً (حتى لو كنت أنت نفسك لا تعرف بعد كيف ستكيف زيارتك بالنسبة للوقت) لأنه ربما أبي نفسه قد يكون قلقا من أنه تمادى في كلامه قليلًا، أو من رد فعلك على كلامه، أو قد يكون خائفًا ألا تأتي.

بالتأكيد أنا لا أعرف أين تقف الأمور تحديدًا، لكني أخمن، لكنني أعتقد أن أبي رجل مسن وهو يستحق أن يسعده الناس لو استطاعوا ذلك.

أنت تعرف جيدًا أن من وجهة نظري أنه يجب أن يكون لديك ولاء للمرأة؛ ولا يوجد شيء يمكن أن أقوله في هذا الصدد أكثر مما قلت، لكن افعل ما هو صحيح، ولا تلُم أبي إن كان مخطئًا. هذا هو ما أردت قوله. وأيضا لا تشِر لحقيقة أنه مخطئ ما لم يواصل هو، فربما يتراجع من تلقاء نفسه.

والآن لنتكلم عن العمل.

اليوم طلبت إذنا لأرسم تخطيطات في بيت للمسنين والعجائز، وتحديدًا جناح الرجال، وجناح النساء، والحديقة. كنت هناك اليوم. ومن النافذة رسمت تخطيطًا لبستاني مسن بجوار شجرة تفاح مائلة، وورشة نجار البيت حيث احتسيت الشاي مع اثنين من النزلاء.

أستطيع الذهاب إلى جناح الرجال كزائر. لقد كان واقعيًا جدًا، بشكل لا يوصف. ثمة رجل ضئيل على كرسي متحرك بعنق رفيع وطويل، بين آخرين، كان رائعًا.

وفي ورشة النجار كان منظر الحديقة الباردة الخضراء مع هذين المسنين تماما كالمشهد في صورة بينجهام على سبيل المثال، عن لوحة ميسونييه الصغيرة، الكاهنان الجالسان يتناولان الشراب. ربما تعرف تلك اللوحة التي أعنيها. وليس من المؤكد بعد أني سأحصل على التصريح، وكان لا بد أن أقدم الطلب بشأنه للشماس المساعد، وهو ما فعلته، ولا بد أن أعود لأتلقى الرد.

وبخلاف هذا فأنا أعمل على تعلم كيفية رسم كومة السماد. كتبت لك أني آمل في الحصول على عباءة من شيفننجن، حسنًا فقد حصلت عليها، مع قبعة قديمة مهملة ليست جميلة بشكل خاص، لكن العباءة رائعة، وقد بدأت على الفور العمل بها. وأنا سعيد بها كما كنت سعيدًا بغطاء الرأس في السابق.

وقد قطعت شوطًا في اسكتش كومة السماد الذي بشكل أو بآخر يدخل في ذلك التأثير للداخل في مواجهة الخارج، الضوء تحت السقيفة المعتمة، وفريق النساء اللاتي يفرغن صناديق القمامة قد بدأ يتطور ويتخذ شكلًا.

والآن فإن العربات اليدوية الصاعدة والهابطة وجامعي الخرق بمجاريف السماد الذين يعملون تحت السقيفة لا بد وأن يتم التعبير عنها دون أن تفقد التأثير الكليّ للضوء والظلّ، وعلى العكس فهو لا بد وأن يبرزها في النتيجة النهائية.

أعتقد أن لك وجهة نظرك الخاصة والمماثلة لكلام أبي، وعليه فأنا لا أخبرك بأي شيء جديد، ولكن لأنني تكلمت عن الأمر بشكل حاد جدًا، فأردت أن تعرف في الوقت نفسه أنني لم أفعل هذا بسعادة لكن بكل أسف، وسأكون سعيدًا لو استطعنا الحفاظ على السلام بشيء من اللطف.

هذا الشتاء كان أبي معترضًا بشدة على وجودي مع المرأة كما هو الآن، مع أنه قد أرسل معطفًا ثقيلًا "ربما أحتاج إلى استعماله" دون أن يحدد فيمَ بالضبط لكن من الواضح أنه مع فكرة "أنها قد تشعر بالبرد". وها أنت ترى، كان ذلك صحيحًا في النهاية، ومن أجل تصرف كهذا فأنا أحتمل أي سيل من الكلام.

لأنني أنا نفسي لست ضمن من لا يخطئون في الكلام –هؤلاء الكاملين– وأنا لا أدعي أدنى درجة من الكمال.

وأريد أن أشير أن في كل الأحوال فإن أبي يعترض على وجودي مع المرأة، أكثر بكثير مما هو في حالتك، وعلى الرغم من أنه حتى الشتاء الماضي كان لا يزال يعتقد أنها امرأة سيئة، لكنها "لا يجب أن تعاني من البرد". والآن ربما الشيء نفسه سيكون مع حالتك فإن "تلك المرأة المسكينة وإن كانت كاثوليكية لا يجب أن تكون وحيدة مع ذلك" أو شيء من هذا القبيل. فلا تشغل بالك، وأرح عقولهم.

وداعًا يا صديقي، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٥٤ | لاهاي، نحو الجمعة ١٥ يونيو ١٨٨٣
إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

كنت أكتب لك رسالة عندما جاءني البريد برسالتك المرجوة منذ لحظة فقط. أنا سعيد لأنك تقدمت في رسمتك، ولم أكن لأشك أنك ستفعل، بالمناسبة، إذ إنك بدأت بداية شجاعة.

حسنًا، دعني أبدأ بأن أقول لك إن ما قلته عن الرسامين الإنجليز هو صحيح تمامًا وحقيقي. لقد رأيته في عملك، بالضبط ما تقول. حسنًا فإن لدي وجهة النظر نفسها. حول الخطوط الجريئة بالذات.

ولنأخذ محفورة مييه "الحفارون"، أو خذ عملًا من الحفر لألبرشت دورر، أو فوق كل هذا خذ محفورة مييه نفسه الخشبية "الراعية"، فيستطيع المرء أن يرى بوضوح ما الذي يمكن التعبير عنه بهذه الخطوط.

وكما قلت أنت، فالواحد عندها يخامره شعور "هكذا كنت أريد أن أفعل دائما لو كنت سرت دائمًا في طريقي" وما إلى ذلك، أحسنت قولًا يا صديقي، فقد تكلمت كرجل.

وما أجده أيضًا نموذجًا للفرادة القوية والرسم المتين هو لوحات لايز، لا سيما سلسلة تزيين غرفة طعامه. والسير في الثلوج، والمتزلجون، والاستقبال، والمائدة، والخادم. ودیجرو لديه الشيء نفسه وكذلك دومييه. وإسرائيل نفسه، وأحيانًا، أحيانًا موف وماريس أيضًا، لا يستطيعون مقاومة الخطوط القوية لكنهم لا يصنعونها كلايز أو هيركومر.

وعندما يستمع المرء إليهم، فهم حقيقة لا يرغبون أن يعرفوا، ويتكلمون في الأغلب عن الدرجة واللون. مع أن في بعض رسمات الفحم فإن إسرائيل يستخدم

خطوطًا تذكر بميه. أنا عن نفسي أعلن لك بصراحة أنه، مع كل الحب والاحترام اللذين أكنهما لهؤلاء المعلمين، أجد أنه من المؤسف أنهم، وبالذات موف وماريس، لا يشيران كثيرًا لما يمكن فعله مع الخطوط الخارجية عندما يتكلمان إلى الناس، ويوصيان بالرسم بعناية ونعومة.

وهكذا فإن الألوان المائية هي طلب هذه الأيام وينظر إليها باعتبارها أكثر الوسائط تعبيرًا، ومن وجهة نظري أيضًا فإن قليلًا من الجهود تذهب للأبيض والأسود حتى لدرجة أنه يمكن أن يكون هناك نفور منه. لا يوجد أسود في الألوان المائية، إذا جاز التعبير، وعلى هذا الأساس يتكلم الناس عن "تلك الأشياء السوداء". وفي الوقت نفسه لا حاجة لقضاء كل هذه الرسالة في الكتابة عن ذلك.

أريد أن أعلمك أن لدي الآن أربع رسمات على الحامل "حفارو الخث" و"محجر الرمال" و"كومة السماد" و"تحميل الفحم".

إنني حتى رسمت كومة السماد مرتين، الأولى أصبحت بالية جدًا لمواصلة العمل عليها.

لم أجرؤ على العمل عليها كثيرا بزيت التربنتين أو حبر الطباعة، واستخدمت الفحم، وقلم الليتوغراف، وحبر الأوتوجراف حتى الآن. وباستثناء التخطيط عن كومة السماد الذي أصبح باليًا جدًا، فقد عالجتها هكذا، وكانت النتائج مرضية. لقد أصبحت سوداء، ولكن عادت لها بعض النضارة، والآن أرى إمكانية في العمل عليها ثانيةً، فيما كنت لا أرى تلك الإمكانية قبل إضافة حبر الطباعة عليها.

لقد عملت بدأب منذ زيارتي لك، لم أصنع تكوينات منذ فترة طويلة وصنعت الكثير جدًا من الدراسات، فما إن أبدأ حتى أندمج بشراسة. في أيام عديدة كنت أبدأ العمل في الرابعة صباحًا. أود بشدة لو تراها في وقت ما، لأنني لم أفهم ما قاله فان در ويلي عنها، فهو الوحيد الذي رآها.

إن حكم فان در ويلي كان بالأحرى عطوفًا، ولكنه قال عن محجر الرمال إن بها الكثير من الشخوص. لم يكن التكوين بسيطًا. قال: انظر ارسم ذلك الشخص الصغير بعربة اليد على الحاجز في المساء على خلفية السماء المضيئة، كم سيكون ذلك جميلًا، على سبيل المثال، فهي الآن تفتقد التجانس.

حسنًا، أطلعته عندها على رسم كالدكوت "طريق برايتون السريع"، هل تعني أنه من غير المسموح مطلقًا وضع شخوص متعددة في تكوين وجعله معقدًا للغاية؟ دع رسمي جانبًا وقل لي ما رأيك في هذا التكوين. قال: "حسنًا أنا لا أجد ذلك جميلًا بدوره"، وأضاف: "لكنني أتكلم بشكل شخصي ولا أستطيع التكلم سوى كذلك. هذا ليس مما يعجبني ولا مما أتطلع إليه". حسنا فقد رأيت أنه أحسن القول، لكنك تفهم أنني لا أجد لديه الوعي بالسؤال الذي أبحث عنه. ولكن فيما عدا ذلك، فهو رفيق صلب، وقد قمنا معًا بعدة رحلات جميلة، وقد أطلعني على أشياء جميلة بشكل رهيب.

كنت قد رأيت محجر الرمال أيضًا في أثناء جولة معه، لكنه في وقتها رآه بالكاد فذهبت وحدي ثانيةً في اليوم التالي. رسمت محجر الرمال بعديد من الشخوص، إذ يكون هناك أحيانًا الكثير من البشر في هذه المحاجر، فهم يمطون عملًا في الخريف والشتاء باسم المدينة لمن لا عمل لهم. ثم إنه مكان مبهج بشكل رائع. حصلت على عدد من الموديلات من الطراز الرفيع. قاطع حشائش رائع، فتى قروي رائع، وتمامًا كأحد شخوص مبيه.

رجل بعربة يد - ربما تذكر أني رسمت رأسه في ملابس يوم الأحد مع عصابة سوداء على عينه المفقودة.

الآن رسمته في ملابسه الاعتيادية، وربما يكون من الصعب تصديق أنه الرجل نفسه في الرسمين.

هذه الرسوم الأربعة الكبيرة من مقاس متر في نصف المتر.

أنا سعيد لاستخدامي إطارًا بنيًا مع حواف داخلية سوداء. فيظهر الكثير من الأسود رماديًا وهو ما كان سيظهر أشد سوادا في إطار أبيض، ويبقى الكل واضحًا.

بحق الجحيم أتمنى لو تراها، لا لأنني أعتبرها جيدة، لكنني أود لو أسمع أفكارك عنها، حتى لو كنت لست راضيًا عنها بعد. بالنسبة لذوقي هي ليست بعد رسومًا لشخوص بالمعنى الحقيقي للمصطلح، حتى إن كانت رسومًا لشخوص، لكنني أردت التعبير عن الخطوط الخارجية للحركة والبناء بصراحة وجرأة أكبر.

ما كتبته لي عن شعورك أنك على الطريق الآن وليس على طريق فرعي او جانبي يبدو لي أنه حقيقي تماما. لدي شعور مماثل أنا أيضًا، لأنني في السنة الأخيرة تلك قد ركزت على الشخوص أكثر مما كنت أفعل في الماضي.

وكن واثقًا، لو كنت تعتقد أن لدي عينين لأرى، أن هناك بالتأكيد إحساسًا في شخوصك؛ ما تفعله هو صحي ورجولي، أنت لا تشك في نفسك على هذا الصعيد، وبالتحديد لأنك لا تشك فامض فيها بلا تردد.

إن دراسات الوجوه عن الرجال العميان تبدو رائعةً بالنسبة لي.

أردت أن أخبرك عن نوع من أقلام الرصاص من إنتاج فابر عثرت عليه، وها هنا ترى ثخانة التقاطعات.

«sketch A»

إنها أخف وبجودة أفضل من أقلام النجارين، وهي تخرج أسود رائعًا وهي ملائمة جدًا للعمل في الرسوم الكبيرة. استخدمتها لرسم امرأة تقوم بالحياكة على ورق رمادي من نوع "سان فان" وحصلت على تأثير يشبه أقلام الليتوغراف. إن أقلام الرصاص تلك مصنوعة من خشب ناعم، ولونها أخضر من الخارج والواحد يكلف ٢٠ سنتا.

وقبل أن أنسى، أردت أن أستعير نسخة مجلة هاربر التي لديك لأقرأ المقالات التي عن هولندا التي رسمها بوتون وآبي. سأرسل إليك طردًا بالنسخة القديمة المهترئة التي

لدي والتي بها رسوم لهوارد بايل... إلخ. فتستطيع أن تطالعها في وقت فراغك. وسأضيف كتاب إركمان شاتريان "قصة فلاح" والذي صنع رسومه شولر، مرفقا عدة رسوم لجرين التي وعدتك بها كما تذكر. ولو ما زال لديك أي نسخ مكررة فأرسلها مع مجلة هاربر (لو تستطيع أن تفعل ذلك خلال أسبوعين حتى أستطيع أن أقرأها) وأرسل أيضًا كتاب زولا عن مانيه لو كنت قد انتهيت منه.

أشعر بالأسف لأن صحتك ما زالت ليست على ما يرام، ولكن أعتقد أن ما سيجملك تتحسن أفضل من الحمام أو أيا ما كان ما يفعلونه في سودن هو أن تحرز تقدمًا ملموسًا في رسومك. أعتقد أنك ستحن إلى مرسمك ما إن تغادره. أعرف أن موف قد أصابه غم شديد في أثناء رحلة إلى مؤسسة مماثلة، مع كامل احترامي.

وكما تعلم فأنا لا أومن أبدًا في أمور من هذا القبيل، وأستطيع التعاطف مع شخصية براسيج في كتاب رويتر "جيروجد كرويدن" فيما يخص ما أعتقد أن السلطات تسميه "فن الماء".

كم هو جميل عمل فريتز رويتر.

وأعتقد أنك ستجد كتاب إركمان شاتريان جميلًا.

ويجب أن أقول لك إني حصلت مؤخرًا على عباءات قديمة لنساء شيفننجن وقبعة، ولكن القبعة ليست جميلة. وأيضًا سأحصل على سترة قبطان بياقة منتصبة وأكمام قصيرة. أود بشدة أن أرى رسومك بالفحم، ربما عندما يأتي أخي -لا أعرف حتى الآن متى تحديدًا- يمكن أن أذهب معه إلى برابنت ثم آتي لألقي نظرة ونحن نمر على أوتريشت. ربما لو استطعت تدبيرها فسآتي على أي حال، لأنني أرغب في رؤيتها.

ومن جانبك، تأكد أنك ستأتي إلى لاهاي ثانيةً، من أجل العرس الذي تكلمت عنه وقتها. لو استمررت في نجاحي في الحصول على موديلات كما حدث لي مؤخرًا، فسوف أصنع شيئا أو اثنين من الرسوم الكبيرة هذا الصيف.

مقطع بقلم رصاص فيبر

حاليًا أنا أريد أن أواصل مع تلك التي أعمل عليها حتى أصل بها إلى المستوى نفسه، لو أمكن، مع وقت مجيء أخي.

رأيت في مجلة هاربر الأسبوعية شيئا حقيقيا جدًا عن عمل لسيميدلي، تكوينا أسود لرجل على طريق رملي أبيض. هو يسميها "منذ جيل مضى". هو شخص ربما يكون كاهنًا، والانطباع الذي تركته لدي.كان: كان جدي يشبه هذا. أتمنى لو كنت أنا من رسمها. وفي العدد نفسه، عن عمل لأبي: فتاتان تصطادان السمك على شاطئ قناة مع أشجار صفصاف مقلمة. وهما في هاربر مجرد تخطيطين في مراجعة صحفية لأحد المعارض.

كنت سأرسل إليك تخطيطًا للرسوم لكن لم يكن لدي متسع من الوقت.

طلبت تصريحًا بالرسم داخل دار للمسنين والعجائز هنا لكنهم رفضوني. لا تزال هناك دور في القرى التي حولنا. لكن هنا أنا أعرف بعض الأشخاص يمكنني استخدامهم كموديلات. دخلت إلى هناك، مع ذلك، لإلقاء نظرة، ورأيت، ضمن أشياء أخرى، بستانيًا بجوار شجرة تفاح خربة كان حقيقيا جدًا.

حسنا، هناك الموديل الخاص بي. وداعًا، أرسل عدد هاربر لو استطعت بدون الأشياء الأخرى، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٥٨ | لاهاي، الاثنين ٢ يوليو (تموز) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

تلقت رسالتك والمرفق بها الترحاب الذي تستحقه، وكذلك فإني أرحب كثيرا بالرسالة التي ستكتبها باستفاضة أكبر. أتمنى أن تكتب لي بالتفاصيل عن مائة القطعة الفنية العظيمة، لا بد أنه جميل أن ترى شيئًا كهذا. وعندما يتذكر المرء أنه في وقت كان هناك بعض الناس مشكوك في شخصياتهم، ونياتهم وعبقريتهم، بالنسبة للرأي العام، ناس قيل عنهم أكثر الأشياء عبثية كمييه وكورو ودوبيني... إلخ. من كان ينظر إليهم نظرة دركي ريفي إلى كلب ضال أشعث، أو شخص متشرد بلا جواز سفر، ثم يمر الوقت وها هي "مائة القطعة الفنية العظيمة" ولو لم تكن المائة كافية، فلتكن بلا عدد. ناهيك بما يؤول إليه مصير الدركيين الريفيين. لا يتركون خلفهم سوى بعض مذكرات الشهادات على سبيل الفضول. فيما تبقى سيرة العظماء، فيما أعتقد، كدراما. وبما أنه لم يكن عليهم أن يتعاملوا فقط مع دركيين ريفيين على مدار حياتهم، وبما أنهم عادة لا يكونون معنا عندما يتم الاعتراف بأعمالهم من قبل الجمهور، وفي أثناء حياتهم كانوا تحت بعض الضغط لفترات طويلة بسبب المعارضة وصعوبات الصراع عبر الحياة. وعليه، فعندما أسمع عن اعتراف الجمهور بجدارة بعض الأشخاص، فأنا أفكر أكثر في الوجه الهادئ والقاتم نوعا ما لهؤلاء من كان لديهم أصدقاء شخصيون قليلون، وفي بساطتهم أجدهم أعظم وأكثر إثارة للمشاعر هكذا.

هنالك محفورة من عمل ليجروس – كارلايل في مكتبه، تخطر أحيانا في بالي عندما أريد أن أتخيل مييه أو أي شخص مثله.

ماذا قال فيكتور هوجو عن إسخيلوس: "لقد قتلوا الرجل ثم قالوا: دعونا ننصب تمثالا من البرونز لإسخيلوس"؛ دائما ما يجيء إلى ذهني شيء كهذا عندما أسمع عن معرض لأعمال أحدهم. فأنا لا أنظر كثيرًا للتمثال البرونزي، لا لأني أستهجن

أن يتم تكريم شيء ما جماهيريا، لكن نظرًا لارتباط ذلك بـ "لقد قتلوا الرجل". لقد تم نفي إسخيلوس فقط، لكن النفي هنا كان حكمًا بالإعدام، كما يكون عادة.

عندما تجيء إلى مرسمي يا تيو، سأكون قادرًا على أن أريك بعض الأشياء لن تراها مجتمعة في أي مكان آخر بالتأكيد.

بإمكاني أن أريك بعض الأشياء التي من الممكن أن نطلق عليها مائة القطعة العظيمة من الحفر على الخشب الحديث. إنها أعمال لناس تظل حتى أسماؤهم مجهولة بالكامل لمعظم عشاق الفن.

من يعرف بوكمان، ومن يعرف الأخوين جرين، ومن يعرف رسوم ريجامي؟ قلة فقط. إن المرء ليدهش إذ يراها كلها معًا، من رسوخ الرسم، وذلك الطابع الشخصي، وتلك الجدية في المقاربة، وسبر أغوار وتمثيل معظم شخصيات الحياة اليومية والأشياء التي يصادفها في الشارع، وفي السوق، وفي المستشفى أو في ملجأ الأيتام.

لقد حصلت على بعضها بالفعل العام الماضي، لكن ما حصلت عليه منذ ذلك الوقت قد فاق توقعاتي.

لقد اتفقنا على أن زيارتك للمرسم عندما تأتي لن تكون مختصرة؟

لقد عملت على حاصدي البطاطس منذ كتبت لك. وبدأت واحدة أخرى لها الموضوع نفسه مع شخصية واحدة لرجل مسن.

أنا أيضًا أعمل على زارع في حقل كبير مع كتل من الطين، والتي أعتقد أنها أفضل من المزارعين الآخرين الذين جربتهم من قبل. لدي على الأقل ست دراسات للشخصية نفسها، لكنني الآن وضعته في مكان أكثر تحديدًا، فالرسم يدرس بعناية وعلى وجه صحيح الأرض والسماء أيضًا. ثم لدي دراسة عن حرق الحشائش والجذوع الميتة، ولرجل بجوال من البطاطس على ظهره. وواحدة عن عربة يد.

الآن أفكر بكل نية طيبة (من أجل أن أرى الأمور بشكل مختلف، مفترضًا أنني كنت مخطئًا) في رأي ترستيج أنني يجب أن أصنع لوحات ألوان مائية، ولكن لا

أستطيع أن أفهم كيف لهذه الشخوص، للرجل بجوال البطاطس، للمزارعين، وحاصد البطاطس المسن، وذي عربة اليد، وحارقي العشب أن يحتفظوا بطابعهم لو هاجمتهم بالألوان المائية. كانت النتيجة ستكون شيئًا مبتذلًا جدًا، ذلك النوع من الابتذال الذي لا أهتم أن أناقشه بعمق. هي لديها طابع الآن على الأقل، شيء من التناغم –ولو من بعيد– مع ما ينشده ليرميت، على سبيل المثال. إن الألوان المائية ليست ألطف وسيلة لأي شخص يريد أن يعبر عن جرأة ومتانة وقوة الشخوص بالتحديد.

إن الأمر يكون مختلفًا لو كان المرء يبحث حصرًا عن اللون والدرجة، فالألوان المائية تهب نفسها بامتياز لهذا. والآن أنا أعترف أن الواحد قد يستطيع أن يصنع دراسات مختلفة لهذه الشخوص أنفسهم في الواقع من وجهة نظر مختلفة (تحديدًا اللون والدرجة)، مصنوعة بقصد مختلف. وأنا أتساءل، لو كان إطاري الذهني ومشاعري الشخصية تجعلني ألحظ الشخصية قبل كل شيء، والبنية، وحركة الشخوص، هل أكون ملومًا بعد هذه المشاعر لو لم أصل إلى الألوان المائية ولكن للرسم بالأسود والبني فقط؟

مع ذلك فهناك لوحات ألوان مائية تم التعبير فيها عن الخطوط الخارجية بقوة، كتلك التي لريجامي، وبينويل، وواكر وهيركومر، التي أفكر فيها بالتأكيد أحيانًا (وتلك التي لمونييه البلجيكي) لكن حتى لو سعيت إلى هذا، فلن يرضى عنها ترستيج أيضًا. وسيواصل القول: هي ليست قابلة للبيع، ولا بد أن تكون للقابلية للبيع الأولوية بالنسبة لك.

ومن جانبي فإن ذلك يعني لي بوضوح "أنت مبتذل ومدعٍ في عدم رضوخك وعدم صنعك لأشياء صغيرة مبتذلة؛ أنت تبدو سخيفًا ببحثك المفتعل، فلا تعمل" وهذا ضمنًا ما يعنيه ترستيج فيما قاله لي في السنتين الماضيتين، وما زلت أواجه هذا. سيظل ترستيج بالنسبة لي فيما أظن "لا أبدية". لست أنا فقط، لكن كل من يبحثون عن طريقهم الخاص لديهم شيء كهذا خلفهم أو بجانبهم كمثبط مستمر. وأحيانًا، يشعر المرء أنه مثقل بسبب هذا ويشعر بالبؤس، أو أنه مسحوق إن جاز التعبير.

ولكن كما قلت إنها "لا أبدية". وفي مواجهة هذا، يجد المرء "نعم أبدية" في نماذج لرجال بمعنى الكلمة، حيث يرى فيه نوع إيمان عمال مناجم الفحم.

وهكذا، تصبح الحياة قاتمةً أحيانًا مع ذلك، والمستقبل مظلمًا عندما يكلف العمل المال ويشعر المرء أنه يغوص في الأرض كلما عمل بدأب، بدلًا من أن يساعد العمل على بقاء المرء على سطح الحياة وأن يكون قادرًا على تجاوز الصعوبات والنفقات ببذل المزيد من المجهود.

أنا أحقق تقدمًا مع شخوصي، ولكنني أخسر ماليًا ولا أستطيع أن أواصل.

ومؤخرًا، صرت أفكر أحيانًا في الانتقال إلى الريف، سواء على الساحل أو في مكان ما حيث يكون العمل على الأرض حقيقيًا. لأنني أعتقد أن ذلك سيوفر بعض النقود. أستطيع أن أفعل ما أريده هنا أيضًا لو كنت أربح أكثر من ذلك، فأذهب هنا وهناك بين حين وآخر لأصنع دراسات. والميزة هنا أن مرسمي جيد، والواحد ليس معزولا تمامًا عن عالم الفن، في النهاية. ففي كل الأحوال لا يستطيع المرء العيش دون قدر من الملاقات، وأن يرى ويسمع شيئًا بين الحين والآخر.

وأفكر أحيانا في الذهاب إلى إنجلترا. تم تأسيس مجلة جديدة ذات أهمية في لندن، ذا بيكتوريال نيوز، من مستوى إل نيوز وذا جرافيك نفسه، وربما يكون هناك عمل وراتب. لكن ماذا يمكن أن يقول الواحد عن ذلك بيقين؟ أتمنى أن تأتي قريبًا، إن عامًا لفترة طويلة لا نرى فيها أحدنا الآخر فيما نحن نفكر في بعض طوال الوقت.

لم أسألك عن تفاصيل تخص المرأة مؤخرًا، لأنني واثق أنكما تحبان بعضكما البعض، وذلك هو المهم، ولو كان المرء يعرف هذا فلا حاجة له للسؤال عن التفاصيل.

إن طفلنا الصغير عمره عام الآن، منذ الأول من يوليو، وهو من أكثر الأطفال الذين قد تراهم مرحا وحبورا، وأنا أعتقد أن من أهم أسباب التعافي والشفاء التام المرأة نفسها هو كون هذا الطفل بخير ويجعلها مشغولة ويجذب انتباهها نحوه. وأنا

أحيانا أفكر أنه غير ذلك فقد يكون من الجيد لها أن تقضي بعض الوقت في الريف فلا ترى المدينة وتبقى بعيدة عن عائلتها؛ ذلك قد يساعد على إحداث تحسن جذري. فهي قد تحسنت الآن، لكن يظل تأثير عائلتها يعيق جزءا كبيرًا في أحيان، فأنا أريد البساطة، وهي تدفع دفعًا للكيد فتصير بوجهين. حسنا، هي ما يمكن أن نسميه "ابنة لزمانها"، وقد تأثرت شخصيتها بالظروف المحيطة بها، فتظل تلك المخلفات مستمرة في شكل نوع من الغم واللامبالاة وعدم الاعتقاد الراسخ في أي شيء. لقد فكرت بالفعل كثيرًا من المرات أن تعيش في الريف. لكن الانتقال يعني أيضًا إنفاق مبلغ كبير دفعة واحدة. وأيضًا فأنا أرغب لو أتزوج قبل أن أنتقل، سواء كنت سأذهب إلى الريف أو إلى لندن.

أنا هنا أفتقد الاحتكاك الضروري بالآخرين، ولا أرى لذلك حلًا، وفي النهاية أي مكان سوف يصلح لي، وأنا أفضل الانتقال أقل قدر ممكن.

قبل كل شيء اكتب لي ما إن تستطيع تقرير متى ستجيء. مؤخرًا كنت محبرًا فيما يخص عدة أمور، وبالتالي أشعر بالضغط، وسيستمر ذلك حتى نلتقي ثانية ونتكلم عن المستقبل.

قرأت مؤخرًا مقالات عن هولندا لبوتون. تمت كتابتها لتصاحب رسومًا له ولآبي بها أشياء رائعة.

أذكر شيئا منها -وصفًا لجزيرة ماركن- جعلني راغبًا في الذهاب إلى هناك. فعندما جال الواحد مرة بحثًا عن مكان جميل جدا يستقرّ فيه، فمن يعرف كم كان سيكون سعيدا لهذا؟ لكن في مثل هذا الموقف فهو يحتاج على الأقل إلى نقطة واحدة للاتصال بعالم الفن، لأن صيادي الأسماك لا يعرفون شيئا بالطبع عن ذلك، والواحد يجب أن يعيش.

قبل كل شيء اكتب لي الرسالة التي وعدتني بها عن مائة القطعة الفنية العظيمة، ولو كانت أعمالك تسير بشكل جيد فقليل من المساعدة الإضافية سيكون في وقته تماما. وبالنسبة للحياة في الريف، فأنا أجد الطبيعة جميلة على الرغم من وجود العديد

من الأشياء التي تربطني بالمدينة، لا سيما المجلات، وفرص إعادة الاستنساخ. أنا لن أكترث لعدم رؤيتي للقاطرات، لكنني لن أحتمل ألا أرى مطبعة للأبد. وداعا يا صديقي، مع مصافحة، وأشكرك على ما أرسلته إلي.

المخلص دوما،

فنسنت.

قرأت "عداواتي" لزولا، إن به أشياء قوية، وإن كان مخطئًا بشكل كبير من وجهة نظري، ولم يذكر حتى مييه في أفكاره العامة. أنا أعتقد أن ذلك حقيقي: لاحظ أن ما يعجب الجمهور هو دائمًا الأكثر اعتيادية، ما تعودنا أن نراه كل عام؛ لقد تعودنا على مثل هذا النوع من السخافات، على هذه الأكاذيب التافهة، حتى إننا نلفظ الحقائق ذات القوة بكل طاقتنا.

٣٥٩ | لاهاي، نحو الثلاثاء ٣ يوليو (تموز) ١٨٨٣
إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

كنت لا أزال أريد الكتابة لك فيما أنت مسافر. أشكرك على شحنة الكتب. أود أن أطبق على كتاب "عداواتي" لزولا مقولة زولا نفسه عن فيكتور هوجو: "أحب أن أبرهن على أنه من البديهي أن رجلا كهذا مع موضوع كهذا، لا يمكن أن تكون النتيجة أي كتاب آخر سوى هذا"، وأيضا كلمات زولا في المناسبة نفسها: "لن أتوقف عن تكرار أن الانتقادات التي واجهها هذا الكتاب، بما هي عليه هي نوع من الظلم الشنيع".

وأحب بصدق أن أبدأ بقولي إني لست ممن يلومون زولا بسبب هذا الكتاب. فعبره أتعرف على زولا، أتعرف على جانبه الضعيف، فهمه القاصر لفن التصوير،

الأحكام المسبقة عوضًا عن التقييم الصحيح في هذه الحالة تحديدًا. ولكن، يا صديقي العزيز، هل أغضب من صديق لي بسبب خطأ ما لديه؟ فعلى العكس إنه عزيز عليّ بسبب خطئه. قرأت المقال عن الصالون باهتمام قوي. أعتقد أنه مخطئ تماما، وجانبه الصواب بالكلية، باستثناء الجزء الذي يمتدح مانيه - أنا أيضًا أعتقد أن مانيه بارع، ومثير جدًا للإعجاب، إن زولا إذ يكتب عن الفن فهو مثير كمصور للشخوص إذ يرسم مناظر طبيعية على سبيل المثال، إنه ليس تخصصه الفني، إنه سطحي، وغير صحيح، لكن يا لها من مقاربة! لا تُصيب شيئا، فليكن، غير واضحة، فليكن. لكن على أي حال فهي تجعل المرء يفكر، وهي أصيلة وتنبض بالحياة. لكنها خاطئة وغير صحيحة وتستند على الهواء.

الأكثر إثارة للاهتمام أن تسمع كلامه عن إركمان شاتريان. هنا هو لا ينتقد بحدة كما يفعل حينما يتكلم عن التصوير، ونقده يكون أحيانا بليغًا إلى حد كبير. أنا أسمح له بكل سرور أن يتهم إركمان شاتريان بخلط قدر الأنانية بمذهبه الأخلاقي. فوق هذا هو محق في قوله إن إركمان يصبح ساذجًا عندما يأخذ في وصف الحياة الباريسية التي لا يألفها. وثمة سؤال يطرحه انتقاده ولا يمكن تفاديه: هل زولا نفسه يألف الألزاس، ولو كان كذلك، ألا يهتم بشخصيات إركمان، التي هي من المستوى الرفيع نفسه لناوس وفوتييه؟

أما بالنسبة لبذور الأنانية لدى معظم الشخصيات التي يختارها إركمان، في الحاخام المسن ديفيد، وفي فاجنر، وفي تيريز، فأنا أعتقد أن إركمان شاتريان الأناني نوعا ما يصبح متساميًا، وهكذا فهو بالنسبة لي رائع.

إن المشترك بين زولا وبلزاك هو أنهما يعرفان القليل عن التصوير. وأعتقد أن نمطي المصورين في أعمال زولا، كلود لانتييه في رواية "بطن باريس" وذلك الذي في "تيريز راكان" هما مجرد أشباح باهتة لمانيه، انطباعيون بشكل ما. على أي حال. أما مصورو بلزاك، فهم ثقيلو الظل ومملون جدا.

كم أرغب في مواصلة الكلام عن ذلك، لكنني لست ناقدًا. لكنني أردت أن أضيف أنني سعيد، لأنه قد نال من تين، وهو يستحق ذلك لأنه يكون أحيانًا مزعجًا بتحليلاته الرياضية. حتى إن كان يصل عبر هذا لآراء عميقة جدًا. وقد قرأت له على سبيل المثال، ملحوظةً عن ديكنز وكارلايل "إن جوهر الشخصية الإنجليزية هو غياب السعادة". وأنا لا أريد هنا أن ألح على دقة هذا من عدمها، لكنني أقول فقط إن كلمات كهذه هي دليل على تفكير عميق جدا، بالتحديق في الظلام حتى يرى المرء فيه بعينيه شيئا ما حيث لا يرى الآخرون أي شيء. أجد هذه الملحوظة جميلة، رائعة الحقيقة، وهي تقول لي أكثر بكثير مما تقوله آلاف الملحوظات الأخرى عن هذا الموضوع، وفي هذه الحالة يستحق تين احترامنا.

حسنا، أنا مسرور لاستطاعتي لمرة مطالعة أعمال لبوتون وآبي في وقت فراغي. أعتقد أن حقول البطاطس هي الأفضل من بينها، وقارعو الأجراس لآبي.

ثمة نص جاف قليلًا، ومليء نوعا ما بقصص عن الفنادق وتجار التحف، وقد قرأته باستمتاع. لماذا؟ للسبب نفسه المتعلق بكتاب زولا. بسبب شخصية الرجل الذي كتبه.

هل لاحظت أن زولا لم يذكر مييه حتى؟ مع أنني قرأت وصفا لزولا عن مقبرة ريفية، وعن احتضار وجنازة فلاح مسن، وقد كان جميلًا كأنه تصوير لمييه. ربما يكون ذلك الإغفال بسبب عدم معرفته لأعمال مييه.

وأستطيع أن أخبرك أنني عثرت على مطبوعة جميلة بشكل غير مألوف لتي جرين، هو شقي سي جرين أو شيء كهذا. إنها حفلة في مستشفى اللقطاء في لندن، فتاة يتيمة جالسة لطاولة. ستكون مسرورًا لرؤيتها.

وواحدة أصغر له أيضًا "طائفة مدينية" مرسومة برقة، مصنوعة بشكل رائع كلوحة برايمار لصديقنا J. McL.R.

وعثرت على مطبوعتين أخريين، تسلق جبل فيزوف، ومباراة في كرة القدم لأبي الهول ذاك J. McL.R، والذي لم نستطع فك شفرة اسمه حتى الآن، لكنني أعتقد

أنه شقيق أو على الأقل قريب لدبليو إم ريدلي. وكلاهما جيد، لكنهما ليسا في جمال حربة برايمر. أعرف له أيضًا "صائدو السلامون"، ولدي "متطوعون في المعسكر" - وقد عرفت اسمه بسبب المطبوعة الأخيرة تلك.

وفوق ذلك "موكب للرهبان في الثلوج" لـ أ. هانت، راقية كليجروس. جسر لندن ومهاجرون لدبليو إم ريدلي، وسوقان لبوكمان، مرسومة بشكل خاص على نطاق واسع وفعال بجرأة.

ولبارنارد، هامستيد هيث، وأول من يأتي آخر من يرحل. وكيف يعيش الفقير.

ولهويكيتز، أطفال على الشاطئ، بدرجات لونية جميلة جدا؛ ورسم جميل لميه Millais نفسه، قصص عيد الميلاد.

ولبريكيت فوستر، مناظر طبيعية في الشتاء، دافئة جدًا، ورسمان مهمان لجافارني من أعلى جودة، "حمالو السوق ونساء السوق" و"هدايا العام الجديد".

ثم أعمال ريجامي: موضوعات يابانية جميلة، ومطبوعة كبيرة له، تحفة فنية "حقل الماس"، وتكوين آخر كبير أيضًا "الثور المسمن".

ولإم إف رسم من قطع متوسط يظهر دولاب التعذيب في أحد السجون، جميلة كأعمال ريجامي.

ولشخص لا أعرفه رسم رائع عن الطواحين في شيفيلد اسمه "المطحنة". هو على طريقة إدمون موران، أعني طريقته المدمجة والموجزة.

كما ترى كل هذا ليس بالكثير، لكنها أشياء جميلة أعتبرها إضافة قيمة.
ولهوار بيل، شخصية نسائية جميلة جدا. ومنظر طبيعي رائع لإس ريد أيضًا.
وربما المزيد، لكن هذه هي الأكثر أهمية.
كيف حالك مع الرسم في رحلاتكم وهل غادرت بالفعل؟

أنا أعمل على حاصدي البطاطس، وأيضا لدي شخصية منفردة لرجل مسن، ومسودات عدد من الدراسات لشخوص من موسم حصاد البطاطس. حارق

للأعشاب، وفتي يحمل كيسا وآخر بعربة يد... إلخ. عندما تعود من رحلاتك أتمنى أن تمضي قدما في أمر زيارتك سريعًا.

ثم لدي أيضًا فلاح آخر، وهي ربما المرة السابعة أو الثامنة التي أرسمه فيها. هذه المرة وضعته في الفراغ لمرة، في حقل واسع مع كتل من الطين والسماء.

أتمنى لو أسأل زولا السؤال الذي أود أن أطرحه على بعض الناس الآخرين. قل لي: أحقيقة لا يوجد تمييز بين، لنقل صحن بني محمر به سمك قد وبين رسم لحفار أو مزارع؟ هل يوجد أم لا يوجد تمييز بين رامبرانت وفان بيرن (كموهوبين تقنيًا) وبين فولون وميه؟

هل لاحظت تلك المجلة الجديدة "بيكتوريال نيوز"؟ أحيانًا يكون بها بعض الأشياء الجيدة، لكن الغالبية ليست متميزة جدًا.

صديقي العزيز، كم أود لو نستطيع أن نقضي المزيد من الوقت معًا. لكن ماذا نفعل؟

اكتب لي ثانية عندما تجد الوقت والرغبة. إن عدد الصيف من مجلتي "ذا جرافيك" و"لندن نيوز" ليسا متميزين من وجهة نظري. مع ذلك فإن بـ "ذا جرافيك" رسمًا رفيعًا لكالدكوت، وهو أفضل شيء بها. ورسومًا عديدة لرينهارت ليست أفضل شيء. وفي "لندن نيوز" هناك كاتون وودفيلز مرةً ثانيةً.

ستجد تلك الرسوم التي حدثتك عنها أكثر إثارة للاهتمام. إن "حقل الماس" لريجامي ليست جذابة للوهلة الأولى، لكن المرء يراها أجمل فأجمل مع الوقت. أما رسوم تي جرين فتحف فنية.

كتب لي أخي عن معرض شديد الجمال في باريس بعنوان "مائة قطعة فنية عظيمة". وداعًا يا صديقي العزيز، ورحلة طيبة، وتذكر أن تكتب لي عندما تجد الوقت لذلك.

مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٦١ | لاهاي، نحو الأربعاء ١١ يوليو (تموز) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

كنت بالفعل أنتظر رسالتك، بشكل أو بآخر، ومن جديد سعدت بها. أشكرك. إن ما كتبته عن المعرض مثير جدا للاهتمام. ماذا كانت تلك اللوحة القديمة لدوبريه التي رأيتَ أنها جميلة بشكل خاص؟ لا بد أن تكتب لي ثانيةً لتخبرني. إن وصفك لترويون وروسو، على سبيل المثال، مفعم بالحيوية حتى إنه ليعطيني فكرةً عن الطريقة التي عملا بها.

كانت هناك لوحات أخرى من فترة ترويون الرعوية البلدية بها مزاج خاص قد يسميه المرء دراماتيكيا، حتى لو لم تكن تصويرًا لشخوص.

إسرائيل وضعه بشكل تام في حالة جول دوبريه (اللوحة الكبيرة في ميسداج): إنها كلوحة عن شخوص، وتلك الخاصية الدرامية هي التي تجعل المرء يجد فيها الشيء الذي يجعله يشعر بما قلته: "إنها تعبر عن تلك اللحظة وذلك المكان في الطبيعة حيث بإمكان المرء أن يكون بمفرده، بلا صحبة".

إن بوش التي لرويزديل بها الشيء نفسه بقوة.

هل رأيت أبدًا أعمال جاك القديمة التي كانت مغالى فيها قليلًا، بجهد زائد من أجل التأثير -لكن ليس تمامًا- ومن أجل هذا السبب تحديدًا كانت جميلة، على الرغم من أن معظم الناس لم يعتبروها من ضمن أعمال جاك الرفيعة؟

وبالكلام عن روسو، هل تعرف عمل ريتشارد والاس عن روسو؟ حافة غابة في الخريف في أعقاب المطر، مع مشهد لمروج تمتد في البعيد بلا نهاية، بها مستنقعات، وأبقار، والمقدمة غنية بالدرجات. هي من أجملها بالنسبة لي، هي تماما كتلك التي بالشمس الحمراء في اللوكسمبورج.

إن التأثير الدراماتيكي في هذه اللوحات هو شيء يساعدنا على فهم "ركن من الطبيعة مرئي من خلال الطابع الشخصي"، وهذا يساعدنا على فهم مبدأ "الإنسان مضاف إلى الطبيعة" وهو ما يعوزه الفن أكثر من أي شيء آخر، والواحد يجد الشيء نفسه في بورتريهات رامبرانت، على سبيل المثال، هو شيء أكثر من الطبيعة، إنه كشف. ويبدو لي أنه من الجيد احترام هذا، والصمت إذا قيل إنه نوع من المغالاة أو أسلوب.

آه، لا بد أن أخبرك أن دي بوك قد جاء هنا، وهو أمر سار جدا. وبرايتنر الذي لم أتوقعه قط، لأنه كان قد قطع علاقته بي تقريبًا بشكل كامل منذ فترة، قد حضر أمس. وقد سرني ذلك لأنني في الماضي، عند أول مجيئي إلى هنا، كان من الممتع جدا الخروج معه للسير. أعني أن نخرج معًا، لا للريف، لكن في المدينة نفسها، لنبحث عن شخوص للرسم ومشاهد جميلة.

وهنا في لاهاي أنا لم أفعل ذلك مع أي شخص في المدينة نفسها، معظم الناس يرون أن المدينة قبيحة ويتجاهلونها تماما. مع أنها تكون جميلةً حقًا في بعض الأحيان، ألا توافقني على ذلك؟

بالأمس على سبيل المثال، رأيت عمالًا في نوردايندي يهبطون ذلك الجزء المواجه للقصر، فتيان وقد غطاهم اللون الأبيض من غبار الجبس مع عربات وخيول. كان الجو باردا وعاصفا، والسماء رمادية، وكان للمشهد طابع عظيم. لقد رأيت فان در فلدن مرةً العام الماضي، لدى دي بوك في أمسية حيث كنا نتفرج على قطع الحفر. وكنت قد كتبت لك قبل ذلك أنه ترك لدي انطباعا محببا وقتها، على الرغم من أنه لم يتكلم كثيرًا، ولم يكن هناك أناس كثيرون ليلتها. لكن الانطباع الذي تركه لدي مباشرةً، كان أنه مصور صلب وأصيل.

له وجه مربع وقوطي، ولديه شيء جريء أو جسور، ومع ذلك فله سمت مهذب. ببنية عريضة، وهو في الحقيقة على النقيض من برايتنر ودي بوك. لديه شيء رجولي وقوي، حتى لو لم يقل أو يفعل أي شيء خاص. وأتمنى لو أتعامل معه عن قرب في وقت ما، ربما عن طريق فان در ويلي.

كنت لدى فان در ويلي يوم الأحد الماضي، كان يعمل على لوحة عن أبقار في فناء الحلب، لديه عنها عدة دراسات أساسية. إنه ينتقل إلى الريف لبعض الوقت.

صنعت مؤخرًا عدة لوحات بالألوان المائية في الخارج ثانيةً على سبيل التغيير، حقلًا للذرة وجزءًا من حقل للبطاطس. ورسمت أيضًا بعض المناظر الطبيعية الصغيرة، حتى يكون لديّ شيء أعمل عليه كخلفيات لبعض رسوم الشخوص التي أبحث عنها.

(sketch A - B)

هذه هي تصميمات رسوم الشخوص، بشكل سطحي جدًا. في الأعلى حارقو الحشائش، وفي الأسفل العودة من حقل البطاطس.

أعتزم جديًا تصوير عدة دراسات لشخوص، بشكل أساسي بهدف رفع مستوى الرسومات.

إنه خبر سعيد بالنسبة لي أنك تخطط للمجيء إلى هولندا في بداية أغسطس، فقد قلت لك بما يكفي إني أتوق إلى رؤيتك بشدة.

أتطلع لأن أسمع منك أحيانًا عن مدى معرفة امرأتك بالفن. وعلى أي حال، لا بد من فعل الكثير من التثقيف على هذا الصعيد، فيما أتخيل. وكلما كان أكثر كان أفضل. وفي كل الأحوال، أرجو أن يكون لديها ما يشبه الألبوم، وأتمنى أن تجد له بعض الرسوم الصغيرة من بين الدراسات. في بعض الأحيان تكون هناك أوراق ضمن دفتر التخطيطات لا تزال تعني شيئًا، حتى لو كانت مجرد مسودات. سأجمع بعض الأشياء معًا قبل أن تأتي.

حسنًا، لقد تكلمت مع دي بوك ثانيةً، وسأستطيع ترك أشيائي لديه عندما أذهب لصنع الدراسات في شيفننجن.

وأتمنى أيضًا أن أذهب لرؤية بلومرز ثانيةً في القريب. تكلمت مع دي بوك عن لوحته التي في الصالون، نوفمبر، والتي أعتقد أنها جميلة جدًا، أعني نسختها التي في الكتالوج. لا بد أنه لا يزال يحتفظ بتخطيط لها، كم أرغب في أن أراه.





(من الأعلى إلى الأسفل) حارقو العشب، ثلاثة أشخاص عائدون من حقل البطاطس

وبالنسبة للذهاب إلى لندن آجلًا أم عاجلًا لبعض الوقت، طال أم قصر، فأنا أيضًا أعتقد أنه ستكون هناك فرصة أكبر للتصرف في أعمالي هناك؛ وأعتقد أيضًا أنه يمكن أن أتعلم الكثير لو استطعت التعرف إلى بعض الأشخاص هناك. وهناك لن تنقصني موضوعات لأرسمها، أؤكد لك. سيكون هناك أشياء جميلة تصلح للعمل على أرصفة نهر التيمز. وعلى أي حال، لا بد أن نتكلم حول عدد من الأشياء ثانيةً عندما تجيء. وأتمنى ألا تكون في عجلة من أمرك؛ فسيكون لدينا الكثير لنفعله. أود لو أستطيع أن أنجز بعض الدراسات في برابنت هذا الخريف.

وبالأساس أريد أن أصنع دراسات عن محراث بارابانتي، وعن نساج، عن مقبرة القرية تلك في نيونن. لكن ثانيةً، كل شيء يكلف المال.

حسنًا، تحياتي، وأشكرك على رسالتك والمرفق بها. وأتمنى أن تكون بخير. هل تفكر في إحضار المرأة معك إلى هولندا، أم إن ذلك ليس مما ينصح به بعد؟ أتمنى أن يحدث. الوداع يا صديق، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

سأضيف كلمة هنا لأخبرك شيئا إضافيًا عن برايتنر أيضًا، بما أنك قد عدت للتو من مرسمه المؤقت هنا (تعرف أنه يعيش فعليًا في روتردام هذه الأيام). أنت تعرف فييرج أو أورابييتا رسام مجلة "إليستريشن". حسنًا، فإن برايتنر يذكرني به أحيانًا، ولكن نادرًا.

عندما ينجز شيئا جيدًا يكون مشابهًا لشيء صنعه فييرج على عجالة؛ لكن عندما يكون هو -برايتنر أعني- متعجلًا أو لا يصنع الأشياء بإخلاص، كما هي الحالة عادةً، فمن الصعب أن نقول مع ماذا تتماثل، إذ إنها تشبه لا شيء، باستثناء شرائط من ورق حائط قديم وباهت لا أعلم من أي حقبة، ولكن على أي حال، من طراز فريد جدًا، ربما من زمن طويل. تخيل، أنا أذهب إلى العلية التي كانت له لدى سيبنهار. كانت مؤثثة بشكل أساسي بعلب ثقاب (فارغة)، ثم شفرة حلاقة أو شيء من هذا القبيل، ثم خزانة وسرير. وقد رأيت شيئا يستند على المدخنة، ثلاث شرائط

طويلة ظننتها في البداية ستائر للشمس. لكن بالاقتراب تبين لي أنها لوحات للتصوير من هذا القطع.

‹sketch C›

وكما ترى من الرسم أعلاه، المرسوم من مشهد صوفي، والمأخوذ ربما من رؤية، فبإمكان المرء أن يتخيل للوهلة الأولى.

وعلمت أنها مناورات للمدفعية في التلال. بدون أي تجهيز فأنا قد أضعها في لوحة من مقاس أربعة أمتار طولًا في ثلاثة أرباع المتر.

والثانية كانت قصة رجل يستند على الحائط في أقصى يسار اللوحة، بينما في أقصى اليمين أنماط متعددة لنساء واقفات يحدقن فيه، وقد تم الاعتناء بترك مسافة جوهرية بين المجموعتين، ثم قيل لي إن ما هو مصور في الركن الأيسر من اللوحة هو رجل سكير، وأنا لم أكن لأغامر بالشك في أن هذه كانت نية الصانع عوضًا عن أي شيء آخر.

أما الثالثة فكانت الأفضل تقريبا، وكانت تخطيطًا عن السوق التي صنعها العام الماضي، ولكن منذ وقتها فيبدو أنه كان المقصود أن يصور سوقًا إسبانية بدلًا من كونها هولندية، بقدر ما يمكن للمرء أن يستخرج منها شيئًا.

وأيا كانت البضائع المبيعة في السوق (وأينما كان موقعها، فأنا عن نفسي أشك في كونها من المفترض أن تكون على هذه الأرض؛ هي على الأرجح ستمس المتفرج الساذج لتصويرها مشهدًا من أحد تلك الكواكب التي زارها رحالة جول فيرن الخارقون (بالصواريخ))، وأيًا كانت البضائع التي تباع فمن المستحيل تمييزها، لكنها تذكرنا من بعيد بأكوام ضخمة من المحفوظات أو الحلوى. أترى، حاول أن تتصور شيئًا كهذا، لكنه لن يكون أكثر عبثية ورداءة صنعة من عمل صديقنا برايتنر.

رسم للوحة الفنان جورج هندريك بريتنر

ومن مسافة تبدو كما لو كانت مساحات من ألوان باهتة على ورق حائط مبيض ومتعفن وبائس، وبهذا المعنى فهناك كيفيات في هذا غير مستساغة لي بشكل مطلق.

لا أفهم تماما كيف يمكن لأي شخص أن يصنع شيئا كهذا. إنها من نوع الأشياء التي يراها المرء وهو محموم، أو إنها مستحيلة وبلا معنى كحلم بلا أي معنى على الإطلاق. ورأيي ببساطة شديدة أن برايتنر لم يشف بعد، وقد صنعها وهو محموم. وبالنظر لمرضه العام الماضي، فيمكن اعتبار ذلك ممكنًا. في العام الماضي، عندما تعافيت ولكن لم أكن أقوى بعد على النوم وما زلت محموما، كانت لدي أيضًا لحظات أردت أن أجبر نفسي فيها على العمل وصنع أي شيء، ولكن حمدًا للرب لم يكن كبيرًا بهذا الشكل العبثي، ولاحقًا لم أستطع أن أفهم لم فعلت هذه الأشياء.

ولهذا، فأنا أعتقد أن برايتنر سيكون على ما يرام في النهاية، لكنني أجد ذلك عبثيًا.

في أحد الأركان كانت هناك لوحة دراسة متفضنة بالألوان المائية لبعض أشجار البتولا في التلال وقد كانت أفضل بكثير ولم يكن بها شيء عبثي. لكن تلك اللوحات الكبيرة كانت لا شيء.

وقد رأيت واحدة أخرى لدى فان در ويلي، قبيحة جدًا، ورأسًا، جيدة جدًا، وبورتريهًا لفان در ويلي كان قد بدأه، سيئًا أيضًا.

هو إذن يصنع فوضى رهيبة على مقياس كبير. أحب أعمال هوفمان وإدجار آلان بو أحيانًا (الحكايات الفانتازية، والغراب... إلخ). لكنني أجد ذلك غير مستساغ لأن الفانتازيا مصنوعة برداءة وبلا معنى، ولا علاقة لها بما هو كائن. أجدها قبيحة جدًا.

لكنني أعتبرها فترة مرض. لدى فان در ويلي رسمان بالألوان المائية مثيران للاهتمام ومصنوعان بأناقة، وبهما شيء مما يسميه الإنجليز "غريب".

لقد تعلمت درسًا اليوم من هذه الزيارة، وهو أن بإمكان المرء أن يعتبر نفسه محظوظًا لو كان موجودا في محيط طبيعي نسبيًا في مجتمع اليوم، فلا يضطر للبحث عن ملجأ في حياة المقاهي مما سيجعله يرى الأشياء أكثر ضبابيةً واختلاطًا. والأخير هو موقفه، ولا شك لدي في ذلك. وبدون توقع فقد ضل بعيدًا عن التأمل الهادئ والعقلاني للأشياء، وهو الآن لا يستطيع أن يضع خطًا أو ضربة فرشاة هادئة ومتعقلة ما استمر هذا الضغط.

أتمنى لو أستطيع أن أقدم له بعض الصحبة والتسلية، وأتمنى لو أستطيع أحيانًا أن أغيره وربما أجعله أهدأ قليلًا. هل تذكر لوحة "جنون هوجو فان در جوز" لواوترز؟ يذكرني برايتنر في بعض الأشياء بالحالة الذهنية لفان در جوز. لم أكن أحب أن أكون أول من يقول ذلك، لكنني أعتقد أن عمله تمت بالفعل مناقشته منذ فترة طويلة على هذا الأساس.

إن العلاج في الوقت الحالي سيكون بالنظر طويلًا إلى أوراق البطاطس ذات الألوان والدرجات العميقة والأنيقة، بدلًا من أن يقود نفسه إلى الجنون بالنظر طويلًا إلى الحرير الأصفر وقطع الجلد المذهب.

على كل حال، سنرى كيف ستمضي الأمور. إنه ذكي بما يكفي، لكنه ضرب من التحيز للغرابة يصر عليه دون أي اعتبار. لو أنه انحرف عما هو طبيعي لدوافع معقولة، لكان خيرًا، لكن هنا السؤال يتعلق بالمشاكل في عمله. أجد ذلك تعيسًا للغاية وأتمنى أن يتعافى، لكنه فقد طريقه بشكل سيئ.

هذا الأسبوع سوف أبدأ في شيفننجن. كنت أود لو كانت هناك مساحة لأي مساعدات إضافية فأستطيع أن أشتري بعض الأدوات للتصوير.

سألتقط صورًا فوتوغرافية لبعض الرسوم من مقاس الكابينة أو أكبر قليلًا (لأرى كيف ستبدو في مقياس صغير) بعدسة مصور قام بتصوير تلك الرسوم لتير ميولين، ودو شاتيل، وزيلكن. إنه يفعلها نظير خمسة وسبعين سنتًا، وذلك ليس بثمن

غال، أليس كذلك؟ سأفعل ذلك مع المزارعين، وحفاري الخث الآن، تلك التي بها شخوص صغيرة متعددة، والأخرى ذات الشخص الواحد الكبير.

لو صلحت، فعندما يكون لدي رسوم لاحقًا سأكون قادرًا على أن أرسل إليك صورًا فوتوغرافية لها لتريها لبوهوت، لنرى إن كان يعتقد أنه يستطيع أن يضعها. بإمكانهم الحصول على الرسوم نفسها من تلك التي يريدون استنساخها أو بإمكاني أن أعيد رسمها على أوراقهم.

تحياتي ثانية يا تيو، وأطيب الأمنيات.

اكتب لي ثانيةً في القريب. سألتقط الصور الفوتوغرافية، لأنه يجب أن نواصل المحاولة مع بوهوت وسي. لا بد أن أحاول أن أكسب القليل فأستطيع أن أشرع في شيء جديد وأصنع بعض التصوير الزيتي أيضًا، لأنني في مزاج لفعل ذلك تحديدًا.

إن موف ليس فقط غير راض عني، لكنه أيضًا وعلى سبيل المثال غير راض عن زيلكن. لقد رأيت فقط الآن محفورات زيلكن وصورًا لرسوم له عند المصور الفوتوغرافي. وكوني خارج الموضوع، فأنا أعلن أني لا أفهم ما الذي لدى موف ضد زيلكن. إن رسومه كانت جيدة وليست سيئة بأي حال. إنها من أحوال موف الغريبة.

وفي النهاية لا أعتقد أنه أمر طيب من موف ألا يرد بكلمة واحدة على خطابي، وقد تكبدت فيه عناء صنع تخطيطين للرسوم التي سأل عنها.

ولا أظن أيضًا أنه أمر طيب من ترستيج ألا يتصل بي بعد أن عملت على إذابة الجليد ما بيننا. ومن قبيل الكلام الفارغ أن نقول إنه مشغول، لأن هذه ليست حجة في هذه الحالة، فبإمكانه العثور على وقت ليأتي ولو مرةً في السنة.

ها أنا أضيف نصف صفحة لأتكلم عن برابنت. فمن بين أنماط الشخوص التي صنعتها عن الناس، هناكَ بعضها مما يمكن أن يطلق عليه، من طراز قديم، أيضًا في معالجتها. على سبيل المثال، ثمة حفار يشبه الشخوص التي يجدها المرء في النقوش

الفائرة المحفورة في خشب مقاعد الكنائس القوطية أكثر من الرسم المعاصر. أفكر في أحيان كثيرة في شخوص برابنت، والتي أعتبرها لطيفة بشكل خاص.

ثمة شيء أرغب فيه بشدة، وأشعر أني أستطيع فعله، لو توفرت بعض شروط الصبر للمثول للرسم، وهو شخص أبي على طريق ضيق في البراري، شخصه مرسومًا بصرامة وشخصية، وكما قلت، تمتد براري بنية اللون بطريق ضيق رملي وأبيض يقطعها، وسماء مصنوعة بشغف ومعبر عنها باعتدال.

ثم على سبيل المثال أبي وأمي ذراعا في ذراع، في مناخ خريفي، أو سياج من أشجار الزان بأوراق جافة.

وأود أيضًا رسم شخص أبي في جنازة ريفية، وأنا أخطط لها قطعا، على الرغم من أنها ستكون مشكلة كبيرة.

دع جانبًا الفروق في وجهات النظر فيما يتعلق بالدين، فبالنسبة لي فإن شخصية الكاهن الريفي الفقير هي أكثر الأنماط والشخصيات لطفًا، ولن أكون نفسي ما لم أصور هذه الشخصية في يوم ما.

عندما تأتي فإني أود حقًا أن أستشيرك في أمر سفري إلى هناك. عندما ترى رسومي للأيتام، ستفهم ما أريد وما أعنيه.

إن غرضي هو أن أصنع رسمًا لا يفهمه كل شخص بالضبط، التعبير عن الشخص في جوهره في شكل مبسط، مع تجاهل متعمد لتلك التفاصيل العرضية التي لا تشكل جزءا من حقيقة الشخصية. وعلى سبيل المثال لن يكون هذا بورتريها لأبي لكنه بالأحرى لنمط الكاهن الريفي الفقير الذاهب لزيارة رجل مريض. والشيء نفسه بالنسبة للزوجين ذراعًا في ذراع بجوار سياج الزان، نمطان لرجل وامرأة شاخا معًا وبقي حبهما وولاؤهما الواحد للآخر، عوضا عن بورتريه لأبي وأمي، وأتمنى أن يمثلا لي لأرسمهما. لكن لا بد أن يعلما أن الأمر جاد، وهو ما قد لا يريانه بنفسيهما لو لم يكن التشابه دقيقًا.

ولا بد أن أكون مستعدًا، في حالة حدوث هذا، لجعلهما يمثلان للرسم، كما قلت، ولا يغيران شيئًا. حسنا، ذلك سيكون جيدًا، ولن أعمل ببطء حتى لا يكون مجهودًا كبيرًا بالنسبة إليهما. ومن جانبي سأقدر كثير فعل ذلك. إن تلخيص الشخوص هو أمر يشغلني كثيرًا. على كل حال، سترى بعضها بنفسك بين رسوم الشخوص التي سأطلعك عليها. لو ذهبت إلى برابنت، فلن تكون بالتأكيد نزهة أو رحلة للمتعة، فيما يبدو لي، لكن فترة قصيرة من العمل الشاق بسرعة البرق. وبالحديث عن التعبير في الشخوص فأنا أصبحت أكثر اقتناعًا بأنه لا يكمن في الملامح إنما في الأسلوب ككل. وجدت بعض الأشياء الكريهة كمعظم تعبيرات الوجه الأكاديمية. سأتطلع بدلًا من ذلك لـ "الليل" لمايكل أنجلو، أو لـ "سكير" لدومييه، أو "الحفارون" لميه، أو تلك المحفورة الخشبية الكبيرة له أيضًا "الراعية". أو "الحصان الشائخ" لموف... إلخ.

٣٦٣ | لاهاي، الأحد ٢٢ يوليو (تموز) ١٨٨٣

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك وعلى المرفق بها، على الرغم من أنني لا أستطيع أن أكبح شعورًا بالحزن على ما قلته: "وبالنسبة للمستقبل فلا أستطيع أن أمنحك الكثير من الأمل". لو كنت تعني فقط المسائل المالية لما كان ذلك محبطًا، ولكن لو كان ذلك المقصود به عملي، فأنا لا أعرف حقيقة كيف أستحق هذا. الآن فقط استطعت أن أرسل إليك الصور الفوتوغرافية لبعض رسومي الأخيرة، والتي كنت قد وعدتك بها في السابق، لكن لم أستطع إرسالها حيث كنت مفلسًا تمامًا.

لا أعرف كيف قصدت هذه الكلمات، ولن أعرف. إن خطابك مختصر جدًا، لكنه صدمني بضربة مفاجئة في صميم الفؤاد.

لكنني أود أن أعرف ما الوضع، هل لاحظت شيئًا عليّ، أنني لا أحقق تقدمًا أو شيئًا كهذا؟

وبالنسبة للمسائل المالية، تذكر أنك كتبت لي منذ شهر مضى عن الأوقات العصيبة. وكانت إجابتي: حسن جدا، إنه دافع لنا لبذل قصارى جهدنا على الجانبين، ترسل إلي ما هو ضروري جدًا، وأنا سأسعى لتحقيق المزيد من التقدم فربما نستطيع أن نصنع شيئا مع المجلات المصورة. ومن وقتها شرعت في عدد من التكوينات الكبيرة بها موضوعات أكثر من الدراسات للشخوص المفردة.

والآن تتزامن دفعة الصور الأولى التي من المفترض أن تعرض على أحد ما لو لزم الأمر مع جملتك "لا أستطيع أن أمنحك الكثير من الأمل". هل هناك شيء على وجه الخصوص؟؟؟

إن أعصابي مستثارة بسبب هذا. لا بد أن تكتب لي ثانيةً في القريب. حسنا، وكما ترى فالصور هي: مزارعون، وحاصدو بطاطس، وحفارو خث. والآن قد صنعت المزيد: محجر الرمال، وحارقو الحشائش، وكومة السماد، وحاصد البطاطس بشخص واحد، وحاملو الفحم. وفي شيفننجن هذا الأسبوع عملت على "خياطة الشباك" (زوجات صائدي أسماك من شيفننجن).

وتكوينان كبيران لعمل في التلال (واحد منهما أريته لترستيج ثانيةً) وهو -على الرغم من تطلبه لمزيد من العمل- مما أرغب في إكماله بشدة.

صف طويل من الحفارين، مجموعة من الفقراء متأهبون للعمل عند المدينة، أمام قطعة أرض بكثبان ستحفر. لكن صنع ذلك صعب بشكل رهيب.

إن "حفارو الخث" ستعطيك فكرة أولى عنها. لم أكن ليتنابني الأسى بخصوصها، لو لم تضف ذلك الكلام الذي أقلقني. أنت تقول "دعنا نأمل في أوقات أفضل".

أترى، تلك واحدة من الأشياء التي ينبغي للمرء أن يكون حذرًا بشأنها، من وجهة نظري. فلا يجب أن يكون الأمل مجرد شعور، ولكن فعل شيء في الوقت الحاضر.

وما أفعله يتوقف على ما تفعله أنت، بمعنى أنك لو خفّضت ما ترسله إلي فلن أستطيع المواصلة وسيصيبني اليأس. وتحديدًا لأني أحسست بالأمل في أوقات أفضل حيًا بداخلي، فواصلت إلقاء نفسي فيه بكل قوتي –في عمل "الحاضر"- بدون تفكير في المستقبل سوى الثقة في أن هذا العمل سيجلب مردوده، على الرغم من أن نفقات الطعام والشراب والملابس لا بد وأن تنضغط مرة بعد مرة، أسبوعا بعد أسبوع، أكثر فأكثر. وقد واجهتني مسألة الذهاب إلى شيفنننجن، ومسألة التصوير. قلت لنفسي: فلتمض قدمًا. ولكن الآن أتمنى لو لم أكن قد شرعت في ذلك، يا صديقي، لأن هذا يعني نفقات إضافية وأنا لا أملكها. وتمر الأسابيع، أسابيع عديدة، والأشهر مؤخرًا، وفي كل مرة تزداد النفقات قليلًا فلا أستطيع مجاراتها، على الرغم من الهم والقلق والتوفير. ولذلك فعندما تصل منك النقود، لا أتدبر بها لعشرة أيام فقط ولكن يكون علي أن أدفع الكثير في الحال حتى إنه في تلك الأيام العشرة التالية لا يكون المرء في وضع أسوأ من البداية. ويجب أن ترضع المرأة الطفل، والطفل ينمو قويًا. وهي تقلق أحيانا إذ لا يكون هناك حليب.

وأنا أيضًا، أشعر بالضعف أحيانا، سواء في التلال أو في أي مكان آخر، لأن لا شيء يدخل لنا.

كل أحذيتنا مرقعة وبالية وثمة مضايقات صغيرة أخرى تجعل المرء يشيخ قبل أوانه.

على أي حال، لن يحدث شيء، يا تيو، لو أنني استطعت فقط أن أتمسك بالفكرة: ستظل الأمور على حالها، فقط استمر في المثابرة. ولكن الآن فإن كلمتك "وبالنسبة للمستقبل فلا أستطيع أن أمنحك الكثير من الأمل" كانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير. إن الحمل يكون ثقيلًا جدًا في بعض الأحيان حتى إن قشة إضافية تجعل الحيوان يتهاوى على الأرض.

حسنا، ما العمل؟ لقد رأيت بلومرز وتكلمت معه مرتين في شيفنننجن، وقد رأى بعض أعمالي وطلب مني أن أزوره أحيانًا.

لقد صنعت بعض الدراسات بالألوان هناك، قليلًا من البحر، وحقلًا للبطاطس، وحقلًا به نساء يخِطن الشباك، وهنا في البيت رجل في حقل بطاطس يزرع الكرنب في المسافات الخالية بين أوراق البطاطس، ثم أنا أعمل على رسم كبير عن "ضرب الشباك" كما يسمونه. لكنني أشعر باستمتاعي يتلاشى، يحتاج المرء إلى نقطة ثابتة في مكان ما. أترى، إن ما قلته لي، ليكن عندك أمل في المستقبل، كما لو كنت أنت نفسك لم يعد لديك أي أمل فيَّ. هل هذا صحيح؟ لم أعد أستطيع، أشعر بتوعك بسبب القلق. وأتمنى فقط لو أنك كنت هنا.

لقد قلت إن تأثير الأوتوجراف جد ضئيل. وهذا لا يفاجئني إطلاقًا عندما آخذ في اعتباري أن الحالة الفيزيقية لشخص ما تؤثر على عمله، وحياتي جافة جدًا وهزيلة. بصراحة يا تيو، فمن أجل العمل ينبغي أن نأكل أفضل قليلًا، لكننا لا نقدر على تحمل نفقات ذلك، وستظل الأمور هكذا لو لم تحدث انفراجة بطريقة أو بأخرى. ومن ثم، فأطلع بوهوت أو أي شخص آخر على الصور لو استطعت ترتيب ذلك، وحاول أن تجد سوقًا من خلاله إن أمكن.

أنا تقريبًا أندم على عودتي للتصوير ثانيةً، فلو لم أكن أحقق أي تقدم فمن الأفضل أن أتوقف عنه. وهو لا تمكن ممارسته دون ألوان، والألوان عزيزة، ولأنني ما زلت مدينًا لليورس وستام فأنا لا أستطيع أن أجري أي مشتريات. وأنا أحب التصوير كثيرًا. والآن وأنا أمارسه من جديد، أخذت متعة أكبر من أشياء تعود للعام الماضي، وعلقت لوحات على حوائط المرسم ثانيةً. إن البحر، الذي أحبه بشدة، احتاج أن أداهمه بالتصوير، فلن أستطيع القبض عليه بأي وسيلة أخرى.

انظر يا تيو، أنا فقط أتمنى ألا تكون في طريقك لليأس، ولكن حقيقة، لو كنت ستتكلم عن عدم إعطاء أمل في المستقبل فإني لأحزن، لأنك لا بد أن تكون لديك الشجاعة والطاقة لترسلهما إلي، وإلا فسأتعطل وأكون بلا أي قوة تجعلني أمضي قدما، فهؤلاء من يمكن أن يكونوا أصدقاء صاروا في عداد الأعداء، ويبدو أنهم يريدون أن يظلوا كذلك. مع الأخذ في الاعتبار أني لم أفعل شيئًا يبرر لهم فعل ذلك،

وفي كل الأحوال هذا لا يفسر لمَ موف مثلًا أو ترستيج أو العم كور هم باردون جدا فلا يريدون أن يروا أي شيء أو يقولوا أي شيء.

إن لأجده أمرًا إنسانيًا أن تنشأ البرودة نحو شيء أو الآخر، ولكن الاحتفاظ بهذه البرودة وقد مضى أكثر من سنة، وبعد محاولات متكررة للمصالحة فهذا ليس طيبًا.

وهكذا، سأختم اليوم، بسؤالي يا تيو، عندما كلمتني في البداية عن التصوير، ولو كنا نستطيع أن نتوقع وقتها كيفية العمل الآن، فهل كنا سنتردد في التفكير أنه من المناسب أن أكون مصورًا (أو رسامًا، وما الفرق؟)، لا أعتقد أننا كنا سنتردد في المضي قدما لو كنا توقعنا هذه الصور، على سبيل المثال، هل كنا؟ لأننا بحاجة ليد وعين مصور في النهاية لو أن المرء يريد أن يبدع مشهدا كهذا من التلال في أحد الأشكال. لكنني الآن أشعر بالبؤس التام عندما أرى الناس يبقون غير مكترثين وباردين حتى إني أصاب باليأس. حسنًا، ثم أتعافى ثانيةً وأعود للعمل وأبتسم لذلك، ولأنني أعمل حاليًا ولا أترك يومًا يمر دون عمل، فأنا أومن بأن لدي حقيقةً أملًا في المستقبل، حتى إن كان لا يبدو كذلك، لأنه لا مساحة في عقلي للتفلسف بشأن المستقبل، سواء لتحزنني أو لتواسيني. إن التشبث بالحاضر وأن لا تدعه يمر دون أن تحاول أو تستخلص منه شيئًا، فهذا هو ما أعتقد أنه واجبي الآن.

وعليه فيجب أن تحاول أنت أيضا التمسك بالحاضر كما أفعل أنا، ودعنا نثابر ما استطعنا ذلك، ومن الأفضل اليوم وليس غدًا.

لكن أنت لست بحاجة لنجدتي يا تيو، لو أن المسألة تخص النقود فقط، ولو كنتَ كأخ وصديق تحتفظ ببعض التعاطف نحو العمل، سواء كان قابلًا للبيع أم لا. وما دامت هذه هي الحالة، وهي أنني ما زلت أحظى بتعاطفك على هذا الصعيد، وعليه فالأمر لا يهمني كثيرًا، ويجب أن نتناقش بهدوء وبرود. فإذا كان لا أمل في المستقبل على الصعيد المالي، فسوف أقترح أن أنتقل إلى الريف، وأوفر نصف الإيجار في قرية في أعماق الريف، وبالقيمة نفسها التي نشتري بها طعاما رديئا هنا نشتري

هناك طعامًا جيدًا، طعامًا صحيًا وهو ما تحتاجه المرأة والصغار، وأنا أيضًا في الحقيقة.
وربما أيضًا الاستفادة من وجود الموديلات.

وكما تعرف، ففي الصيف الماضي مارست التصوير، والآن قد علقت العديد من الدراسات ثانيةً، ففي حين كنت أصنع الجدد رأيت أن بها شيئًا يستحق في النهاية. إن التصوير ساعدني بشكل غير مباشر في الرسم في أثناء شهور الشتاء والربيع، وقد عملت في ذلك باستقامة حتى تلك الرسوم الأخيرة. والآن، فأنا أشعر أنه سيكون من الجيد أن أمارس التصوير لفترة، وأريد أن يصبح ذلك أكثر ثراءً في الدرجات اللونية، وفي الرسم أيضًا. لقد خططت أن أصنع لوحة عن تلك المرأة الجالسة على الحشائش تخيط الشباك في مقاس كبير نوعًا، لكن بعد ما قلته لي سأنتظر حتى أتكلم معك.

لقد استلمت نسخًا صغيرة مطبوعة من الأوتوجراف، لكنها نسخ ضعيفة، قد قال لي الرجل إنه كان ينبغي أن يستخدم حبرًا أكثر وهكذا سيعطيني نسخًا أفضل. وأيًا ما كان، فقد جربت بصنع رسوم تخطيطية من مقاس صغير كما لو كانت لمجلة مصورة. آه يا تيو، بإمكاني أن أحقق تطورًا أفضل من هذا، لو كانت حالتي المادية أفضل قليلًا.

لكنني لا أستطيع تخيل مخرج من هذا، فأنا محاصر بالنفقات من كل جانب. عندما أقرأ قصة حياة مصور ما، أجد أنهم جميعًا عازهم المال، وكانوا بؤساء عندما كانوا يعجزون عن المواصلة.

اكتب لي قريبًا، فأنا لست على ما يرام، وبين رأيين: هل أتجرأ وأمضي قدمًا في موضوع شيفننجن، وهو ما يتضمن نفقات أدوات التصوير.

كنت قد تمنيت أن تتمكن من إرسال شيء إلي، حسنا، في كل الأحوال، ولا سيما لو لم يكن لديك نقود، فلا بد أن تكتب لي قريبًا، فمن قبيل البطولة أن يحافظ المرء على روحه المعنوية في ظل هذه الظروف.

أعتقد أن الرسوم التي أخذت لها الصور الفوتوغرافية ليست عميقة بعد بما يكفي من حيث درجاتها، وهي لا تصور بدقة الإحساس الذي تثيره الطبيعة بشكل كاف، لكن لو قارنتها بما بدأت به، رسوم الشخوص القديمة، فأعتقد أنني محق في أن أرى علامات على التطور، ولا يجب أن نفلت هذا التقدم من أيدينا، فدعنا ندأب في هذا الاتجاه.

أتمنى أن تستطيع المجيء، اكتب قريبًا في كل الأحوال. وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

لا أعتقد أنه من الحق يا تيو أن ينفق المرء أكثر مما يتلقى، لكنها مسألة التوقف عن العمل أو الاستمرار فيه، وأنا مع الاستمرار حتى النهاية. إن ميه وبعض الأسلاف الآخرين قد واصلوا حتى بلغوا المُحضَر، وبعضهم قد دخل السجن أو اضطر للتنقل هنا وهناك، ولم أر أنهم قد توقفوا. وبالنسبة لي فإنني ما زلت في البداية، لكنني أراها في الأفق كظل معتم، وهو ما يجعل العمل أحيانًا كئيبًا.

لقد تكلمت مع برايتنر ثانيةً حول تلك التكوينات الثلاثة التي لا تزال قيد التنفيذ. وقد كان حقيقة أنه قد صنعها وهو في مزاج سيئ. وقد قال لي إنه ندم على صنعها هكذا، وقد أطلعني على تكوين بديل للسكير ودراسات عن نساء الشوارع كانت أفضل بكثير. وقد رأيت أيضًا بعض لوحات الألوان المائية بصدد التنفيذ ولوحة زيتية لحداد صنعت بيد وذهن أهدأ وأكثر انضباطًا. وقرأت كتابًا أعارني إياه: "الأخت فيلومين" لدي جونكور، الذي كتب "جافارني". القصة تدور في مستشفى، وهي جيدة جدًا.

٣٦٧ | لاهاي، نحو الأربعاء ٢٥ يوليو (تموز) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

جاءني هذا الصباح رجل كان قد أصلح لي المصباح منذ ثلاثة أسابيع خلت، وكنت قد اشتريت منه في الوقت نفسه بعض القطع الخزفية التي استحثني بنفسه على أخذها.

وقد جاء ليوبخني لأنني كنت قد دفعت لجاره وليس له. مصحوبًا بجلبة كبيرة، وشتائم، وصراخ... إلخ. وقد قلت له إنني سأدفع له بمجرد ما أتلقى نقودا، ولكنني لا أملكها الآن، فأشعل ذلك غضبه أكثر. فطلبت منه أن ينصرف، وفي النهاية دفعته خارج الباب، ولكن بما أن الأمور بلغت هذا الحد، فقد جذبني من عنقي ودفعني نحو الحائط ثم أوقعني على الأرض. هذا من ضمن الأشياء التي يمكن أن ترى منها المنغصات التافهة التي على الواحد أن يواجهها. إن رجلًا كهذا أقوى مني، أليس كذلك؟ إنهم لا يستحيون أبدًا. وكل أصحاب الحوانيت الصغيرة ممن يتعامل معهم الواحد للاحتياجات اليومية ينتمون إلى النمط نفسه. يأتون بأنفسهم ليطلبوا منك أن تأخذ منهم هذا الشيء أو ذاك، أو إذا ذهبت إلى بائع آخر، يطلبون منك أن تكون زبونهم، ولكن لو اضطر الواحد لتأجيل الدفع لأكثر من أسبوع فتكون الشتائم والتوبيخ. على أي حال، هم هكذا، وماذا يمكن أن يقول المرء؟ هم أنفسهم يكونون مضغوطين بشدة أحيانًا. أنا أخبرك بهذا لأريك أنه من الضروري أن أكسب بعض النقود لو أمكن. عندما ذهبت إلى شيفننجن، كان علي أن أترك شخصًا أو اثنين آخرين في الانتظار. إنني مهموم قليلًا يا أخي، ولدي أحزان بالغة ومصاعب. وأتوق إلى مجيئك لأنني أريد أن أقرر هل يجب أن أرحل أم لا. لأستمر هنا، فأنا بحاجة لكسب المزيد في العموم، فالقليل الذي أفتقده يجعل الحياة هنا لا تحتمل.

ومن ناحية أخرى، فإن لدي بعض انتكاسات قليلة جدا في العمل حتى إن كل المضايقات التافهة لا تؤثر على متعتي به ولا تمنعني من عمل بعض الأشياء. هناك زوج

من مشاهد البحر لدى دي بوك، واحد للبحر هائجًا والآخر هادئًا، وهو نوع فني أستمتع جدًا بمتابعته. بالأمس كوخ فلاح بسقف أحمر تحت شجرة عالية. حسنًا، أعتقد أن دراسات تصوير الشخوص تلك ستساعدني في أشياء كثيرة، وقد بدأت واحدة عن صبي في حقل بطاطس وآخر في الحديقة بجانب قضبان السياج. يجب أن أكون قادرًا على بذل بعض المجهود فيها.

إن الحادثة التي وقعت هذا الصباح لهي إشارة لي لأن أتفكر وأن آخذ مكانًا أصغر في إحدى القرى، لَم لَمْ يعد هناك أمل في الحياة بشكل أفضل قليلًا هنا. وإن كان المرسم هنا عمليًا بشكل كاف، كما لا تنقصني الموضوعات الجميلة للعمل هنا. والواحد لا يجد البحر في كل مكان.

ما قلته لك عن شعوري بالضعف حقيقي، وقد بلغ الآن حد الألم بين الكتف والفقرات القطنية، وهو ما كان ينتابني من قبل من وقت لآخر، لكنني أعرف من التجربة أن المرء يجب أن يأخذ حذره وقتها، وإلا صار الواحد أضعف فلا يستطيع التعافي بسهولة.

لقد استسلمت نسبيًا للأمور. فالظروف كانت أقوى مما أحتمل مؤخرًا، وخطتي لاستعادة ود أصدقائي القدامى بالعمل المستمر والحثيث قد تحطمت. هناك شيء يا تيو يحسن أن نناقشه في وقت ما، أنا لا أقول إن هناك أيًا من هذه المسائل الآن، لكن الأيام قد تصبح أكثر سوادًا وأود لو نتفق على هذا في مواجهة هذا الاحتمال. إن دراساتي وكل أعمالي في المرسم هي ملك لك بشكل أكيد. السؤال غير مطروح الآن —أكرر لك— لكن وقت أن يحدث، فقد تباع الأعمال نظير الضرائب غير المسددة مثلًا، وفي هذه الحالة أود لو أضع الأعمال في مكان آمن خارج المنزل. من الصعب أن أتصرف بدون دراساتي في أعمال مستقبلية، وهي أشياء كلفتني مصاعب كثيرة لإنجازها.

حتى الآن، لا يوجد هنا في الشارع مخلوق يدفع الضرائب، وإن كانوا جميعًا قد تلقوا مطالبات بقيمات مختلفة، وأنا من ضمنهم، وقد جاءني مأمورو الضرائب مرتين؛ فلفتُّ انتباههم إلى كراسي المطبخ الأربعة والطاولة غير المطلية وقلت إنني لا

يجب أن أكون مطالبًا بدفع الكثير. فلو كانوا قد وجدوا أبسطة قشيبة وبيانو وتحفًا وما إلى ذلك لدى مصور ما فإنهم سيكونون محقين في مطالبتهم لرجل كهذا قادر على السداد، لكنني حتى لا أستطيع دفع تكاليف ألواني، ولا توجد لدي أي مظاهر فخامة وفقط هناك الأطفال في بيتي، ونتيجة لذلك فليس هناك ما يمكن أن يأخذوه مني. بعدها أرسلوا إلي مطالبات ومذكرة أخيرة لكنني تجاهلت كل هذا وقلت لهم، عندما جاؤوا ثانيةً، إن ذلك بلا فائدة وأنا أشعل غليوني معهم. إنني لا أملكها، وإن مقاعدي الأربعة والطاولة وهذه الأشياء لن تجلب شيئا على أي حال، وإنها حتى لو كانت جديدة فهي لا تسوى ما يطالبونني به.

وبالفعل، تركوني في سلام منذ وقتها، لشهر حتى الآن. وأناس آخرون هنا في الشارع لم يسددوا بدورهم.

والآن ونحن نتكلم عن هذا، أتمنى لو أعرف أين أخزن دراساتي تحسبًا لحالة كهذه. حسنًا، فبإمكاني أن آخذها مع أدواتي إلى فان در ويلي، مثلًا، أو أي شخص. دائمًا عندي أمل أنك عندما تجيء إلى مرسمي في وقت ما ستجد شيئا قد يهتم به أحد، حتى لو لم تكن له قيمة تجارية معينة.

ليس هناك نقص في العمل.

وعلى الرغم من كل شيء لا يوجد في قلبي شعور بالكآبة، بل على العكس، فأنا أستطيع الاتفاق مع ما قرأته مؤخرًا لدى زولا: "لو كنت في الوقت الحاضر أسوى شيئا، فذلك لأنني وحدي، ولأنني أكره المغفلين، والعاجزين، والمتهكمين، والأغبياء والبلهاء الساخرين". لكن لا شيء من هذا ينفي حقيقة أنني لا يمكنني الصمود أمام الحصار لو بقيت هنا، أكتب عن هذا كثيرًا لأنني في البداية ومناورة الانتقال إلى مكان أرخص قد تكون هي الحل، على الرغم من أنها ضرورية في حد ذاتها تحديدًا من أجل ضغط نفقات المعيشة.

حصل فان در ويلي على الميدالية الفضية على لوحته، وهو يستحق أكثر من هذا وأنا سعيد من أجله.

لقد فكرت كثيرا في لوحة فان در ويلي. لأنني رأيت جزءًا منها وهي تصنع، وتكلمت معه كثيرًا عنها وانجذبت لها على الفور.

أعتقد يا تيو أنه بإمكاني أنا أيضًا أن أصنع شيئا كهذا من خلال الاستمرار في العمل بانتظام وهدوء في المستقبل.

لكن في كل الأحوال، لا بد وأن تكون هناك مرحلة من التصوير المستمر في المنتصف، ومن أجل هذا لا بد من وسائل، وفي الوقت الحالي فإن احتمال الحصول عليها يبدو لي ضئيلًا جدًا.

لقد تغلب فان در ويلي على هذه المعضلة بتضحيته بنصف وقته لصالح أشياء لا يفعلها من أجل المتعة ولكن من خلالها يحصل على الوسائل التي تجلب له الألوان والطعام. ربما، ربما لو أن هناك بعض التفاصيل في أعمالي قد يرغب الناس في الحصول عليها، فقد أستطيع أن أفصلها أيضًا. فأنا لست مهتما كثيرًا بالبيع في حد ذاته، سوى كوسيلة لأن تكون قادرًا على الاستمرار. سأخبرك بصراحة عن بعض الأفكار المتعلقة بالفن التي أصبحت آلفها خلال فترة وجودي مع جوبيل -هي بالتقريب تتعلق بالممارسة- وقد ثبتت صحتها، على الرغم من احتفاظي بالذائقة نفسها. فالإبداع لا يتم كما يتخيل تاجر الفنون، وحياة الفنان مختلفة، والدراسة مختلفة. قد أجد من الصعب أن أعبر عن ذلك، ولكن كلمات دوبيني: "إن لوحاتي ذات القيمة العالية ليست هي تلك التي تجلب الكثير من الدخل"، وهو شيء أنا أومن به الآن، ولو كنت سمعت هذه الكلمات في أثناء فترة عملي في الشركة (G&Cie) لكنت قد فكرت أنه يقول ذلك فقط من باب الكلام. وداعًا يا صديقي القديم. أنا قلق قليلًا، بإمكانك أن ترى مما كتبته عن مشاجرتي هذا الصباح أن الناس لا يعاملونني بكثير من الاعتبار. ربما كانوا ليحافظون على مسافة بيننا لو كنت أعتمر قبعة رسمية وما لا أعرف أيضا بجانب ذلك. فللمرء حسه بالأشياء في النهاية، وهو أمر ليس ممتعًا. على أي حال، أتمنى أن تجد شيئا في الأعمال فتكون هناك انفراجة ممكنة. وداعًا. واكتب قريبًا، فأنا أتوق لذلك كثيرًا.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٧١ | لاهاي، نحو الثلاثاء ٧ أغسطس (آب) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

في انتظار وصولك لا تكاد تمر لحظة دون أن أفكر فيك.

هذه الأيام أنا أبذل قصارى جهدي لتصوير دراسات مختلفة فتستطيع رؤية شيء منها في الوقت نفسه.

وأشعر أنني بخير عندما أبحث عن التلهي عبر تغيير العمل، فلفترة أنا لا أفعل حرفيًا مثلما يفعل فايسنبروش وأقضي أسبوعين مع عمال الأراضي المنخفضة، أنا مع ذلك أتصرف بالروح نفسها والنظر إلى الطبيعة له تأثير مهدئ.

وفوق ذلك لدي آمال محددة أن أحقق تطورًا معتبرًا مع الألوان بهذه الطريقة. ويبدو لي أن الدراسات المصورة الأخيرة أكثر ثقة وسلامة من حيث الألوان.

وهكذا تعبر مجموعة أنجزتها مؤخرًا عن رجل تحت المطر في طريق موحل عن هذا المزاج بشكل أفضل فيما أعتقد. على كل حال، سنرى عندما تأتي. معظمها انطباعات عن مناظر طبيعية. لن أدعي أنها في جودة تلك التي يجدها الواحد أحيانًا في رسائلك، حيث إنني أمر أحيانًا بصعوبات تقنية، ولكنني أعتقد مع ذلك أن بها شيئًا مماثلًا لها.

على سبيل المثال مشهد مظلل للمدينة في المساء بينما تغرب الشمس وطريق ساحلي مع طواحين.

ومن ناحية أخرى فإن الأمور بائسة حتى إنني أشعر بالضعف ما لم أكن فعليًا في حالة عمل، لكنني أعتقد أن هذا سيمر. وبالتأكيد سأبذل ما في وسعي لأراكم احتياطيًا من القوة، لأنني سأحتاجها لو كنت أريد أن أصنع الكثير من لوحات التصوير، أكثر قوةً واختلافًا عما أحسست به من قبل.

ربما يكون ذلك التوعك الأخير مرتبطًا بنوع من الثورة في منهج العمل كنت قد سعيت لها أكثر من مرة حتى الآن، وفكرت فيها كثيرًا. لقد حاولت في بعض الأوقات أن أعمل بشكل أقل جفافًا، ولكن في كل مرة تكون النتيجة تقريبًا نفسها. ولكن هذه الأيام، وبينما يمنعني بعض الوهن من العمل بشكل طبيعي، وكأن هذا يساعدني عوضا عن كونه يعيقني، ويسمح لنفسي بالانطلاق قليلًا وبالنظر من خلال أهداب العين بدلًا من التحديق في نقاط الالتقاء وتحليل كيف تليق الأشياء مع بعضها ويقودني مباشرة لرؤية الأشياء كبقاع من الألوان متجاورة مع بعضها.

إنني أتحرق لمعرفة كيف سيستمر ذلك وإلام سيقود؟ لقد فوجئت أحيانًا بأنني لست ملونًا بما يكفي، لأن مزاجي قد يقود المرء لتوقع هذا، ومع هذا فذلك حتى الآن لم يكد يتطور مطلقًا.

أكرر أنني أتحرق لمعرفة كيف سيستمر ذلك. إنني أرى بوضوح أن دراساتي التصويرية الأخيرة مختلفة. لو كنت أتذكر بدقة، فإن لديك واحدة أخرى من العام الماضي، عن بعض جذوع الشجر في الغابة. لا أعتقد أنها سيئة بشكل خاص، لكنها ليست بعد مما يراه المرء في دراسات الملونين. هناك حتى ألوان مضبوطة بها، ولكن على الرغم من أنها مضبوطة فهي لا تؤدي الغرض منها، فبينما الألوان مخلوطة بشكل رفيع هنا وهناك، يظل التأثير ضئيلًا. إنني آخذ هذه اللوحة كمثال، وأعتقد أن اللوحات الأخيرة وإن كانت ألوانها أقل امتزاجًا إلا أنها أكثر ثقةً، لأنها مشغولة بعناية نحو بعضها البعض وضربات الفرشاة تقع فوق بعضها البعض، وهكذا هي مندمجة أكثر معًا، والمرء يقبض على شيء من نعومة السحاب أو العشب على سبيل المثال.

في وقت كنت معنيًا جدًا بأني لا أحقق تقدمًا مع الألوان، والآن صار عندي أمل من جديد. وسنرى ماذا سيحدث. تستطيع أن تتخيل الآن كم أنا متحمس لحضورك، لأنك لو رأيت أنت أيضًا أن هنالك تغييرًا فلن أعود للشك في أنني على الطريق الصحيح. فأنا لا أجرؤ على الثقة في عينيّ عندما يتعلق الأمر بعملي أنا.

وعلى سبيل المثال، الدراستان اللتان أنجزتهما حين كانت تمطر، الطريق الموحل مع شخصية صغيرة، يبدو لي أنها نقيض لبعض الدراسات الأخرى. وعندما أنظر إليها، أتعرف على المزاج الحزين لذلك اليوم الممطر، وفي الشخصية، وعلى الرغم من أنها ليست سوى بعض البقاع اللونية، توجد حياة لا تعود لدقة الرسم، إذ إنها ليست مرسومة، إن جاز التعبير.

ما أردت قوله هو إنني لهذا أعتقد أن بهذه الدراسات، على سبيل المثال، شيئًا من الغموض الذي يستشعره المرء عندما ينظر للطبيعة كما بعين نصف مغلقة، حيث تختصر الأشكال نفسها إلى بقاع من اللون.

الزمن سيحدد، ولكنني في الوقت الحاضر أجد شيئا مختلفا في اللون والدرجات في عدد من الدراسات.

مؤخرًا كنت أفكر أحيانًا في قصة قرأتها في مجلة إنجليزية، حكاية مصور أوهنته أيضًا تصاريف الدهر، فذهب إلى منطقة نائية في حقول الخث ووجد نفسه في الطبيعة الأسيانة هناك، إذا جاز التعبير، وكان قادرا على تصوير الطبيعة كما رآها وأحس بها. لقد كان الوصف دقيقًا جدا في القصة، ومن الواضح أن الكاتب شخص يعرف عن الفن، وقد أدهشتني عندما قرأتها، وأنا الآن أفكر فيها من وقت لآخر خلال الأيام الماضية.

على أي حال، أرجو أن نكون قادرين في القريب على الكلام بشأنها والمناقشة سويًا. اكتب ثانيةً لو استطعت، وبالطبع كلما كان ذلك سريعًا كان أفضل.

مع مصافحة في الخيال.

المخلص دوما،

فنسنت

بلا سبب معين، لا أستطيع أن أمنع نفسي من إضافة شيء هنا هو فكرة تتكرر لدي.

أنا لم أبدأ الرسم متأخرًا نسبيًا فقط، لكن فوق هذا لا يمكنني الاعتماد على أنني سأعيش لسنوات طويلة جدًا، إذا تكلمنا بشكل نسبي. عندما أفكر في هذا بشكل هادئ ومدروس -كما لو كنت أحسب أو أقيس شيئا ما- فمن طبيعة الأشياء ألا أستطيع أن أعرف أي شيء قاطع عن هذا.

ومع المقارنة بأشخاص عديدين ممن يألف المرء حياتهم، أو بالمقارنة بمن يعتقد الواحد أن هناك نوعًا من التناظر معهم، يمكنه طرح بعض المقترحات التي لا تفتقر مطلقًا للأسس.

فبالنسبة لطول الوقت المتبقي لي للعمل، فأعتقد أنني أستطيع توقع ما يأتي دون أن أكون متسرعًا، إن جسدي سيتحمل لعدد من السنوات، أي ما قد يحدث، ولنقل عددا معينًا ست وعشر سنوات. لو دخل الواحد في تدهور خطير خلال هذه السنوات فلن يتجاوز الأربعين، ولو حافظ على قدر من التماسك لمواجهة الصدمات المتوقعة، وتجاوز بعض المشاكل الصحية المعقدة، إذن فمن الأربعين إلى الخمسين سيكون المرء من جديد قادرًا على الإبحار.

إن تلك الحسابات ليست على جدول أعمالي حاليًا، ولكن توجد خطة لفترة، كما سبق وقلت بين خمس وعشر سنوات.

إن خطتي هي ألا أعفي نفسي، وألا أتجنب الكثير من العواطف والمصاعب. إنها مسألة عدم اكتراث نسبي سواء أعشت فترة طويلة أم قصيرة. وفوق هذا فأنا لست كفئا لرعاية نفسي في الأمور الصحية كما يستطيع طبيب على هذا الصعيد. وعليه فأنا مستمر كشخص لا يعرف سوى شيء واحد: "لا بد أن أنتهي من عمل معين في خلال عدة سنوات". لست بحاجة لاستعجال نفسي، لأن ذلك لا يأتي بالخير، ولكن لا بد أن أواصل العمل بهدوء وسلام، وبقدر المستطاع من انتظام وتركيز، وبقدر المستطاع من إيجاز. إنني معني بالعالم فقط بما لديّ من التزام وواجب معينين، كما يقال، لأنني سرت فوق هذه الأرض لثلاثين سنة، لأترك بعض التذكارات امتنانًا في هيئة رسوم ولوحات. لم تُصنع لترضي أي حركة كانت، ولكنها تعبر عن شعور

إنساني مخلص. وهكذا، فإن هذا العمل هو الهدف، وبالتركيز على هذه الفكرة، فإن ما يفعله المرء وما يتركه يتلخص في فكرة أن الأمر ليس فوضى، ولكن كل ما يفعله المرء فمن خلفه الطموح نفسه. الآن يمضي العمل ببطء، وهو سبب كاف لعدم إهدار الوقت.

كان جيوم ريجامي، فيما أعتقد، شخصًا بلا أي صيت (وكما تعرف، هناك اثنان ريجامي، إف. ريجامي مصور الموضوعات اليابانية، وشقيقه)، لكنه شخصية أكن لها احترامًا كبيرًا في الوقت نفسه. لقد مات في عمر الثامنة والثلاثين، وفي فترة ست أو سبع سنين كرس نفسه حصرا لصنع رسوم ذات أسلوب متفرد، وقد أنجزها بصعوبة بسبب مشاكله الصحية. إنه واحد من عديدين - شخص طيب جدا بين العديد من الطيبين. أنا لا أذكره لأدّعي التشابه معه -فأنا لست جيدًا كما كان هو- ولكن لأضرب مثلًا لنوع من التحكم الذاتي وقوة الإرادة التي استندت على فكرة ملهمة أرته كيف ينتج عملًا جيدًا في هدوء على الرغم من الظروف الصعبة.

أنا أرى نفسي بطريقة مماثلة، فعلي أن أفعل شيئا بحب وحماس خلال عدة سنوات، وأن أفعله بقوة إرادة. فلو عشت أطول، سيكون ذلك أفضل، لكنني لا أفكر في هذا. خلال هذه السنوات، لا بد أن يُصنع شيء ما. هذه الفكرة هي المبدأ الذي يقودني في وضع الخطط للعمل. إن رغبةً معينة لبذل كل الجهود ستبدو لك هكذا مفهومة، وفي الوقت نفسه عزم معين لاستخدام الوسائل البسيطة. وربما تكون أيضًا قادرًا على فهم ذلك، فأنا لا أرى دراساتي معزولة، ولكن دائما في بالي العمل ككل.

إلى تيو فان جوخ (D)

أخي العزيز،

عدت إلى البيت لتوي، وأول شيء فكرت فيه هو أن أرسل إليك طلبًا. هو طلب لا شك في كونه ضروريًا لأنك سترى منه أن نيتنا واحدة: لا تتعجلني في الأمور المديدة التي لم نكن قادرين على التعامل معها دفعة واحدة هذه المرة. لأنني أريد بعض الوقت كي أقرر. وبالنسبة لفتوري النسبي حيال أبي، فهناك شيء أريد أن أخبرك به، فأنت من فتح الموضوع.

منذ عام مضى، جاء أبي إلى لاهاي للمرة الأولى منذ غادرت البيت التماسًا للسلام الذي لم أجده هناك. وبالطبع، كنت بالفعل مع المرأة وقتها وقلت "يا أبي، أنا لا ألوم أي شخص يجد شيئا صادما في سلوكي، وبالنظر لما اتفق عليه، سأظل بعيدًا برغبتي عن هؤلاء من قد يشعرون بالعار مني.

أنت تتفهم أنني لن أصعبها عليك وما دمت لم يستقم أمر أعمالي ولم أقف على قدميّ بعد، أفلا تعتقد أنه من الأفضل ألا أزورك؟" لو كان أبي قال عن ذلك شيئًا مثل "لا، إنك تبالغ" كنت سأكون ودودا أكثر بعدها، لكن إجابة أبي كانت بين نعم ولا؛ كانت إجابته "آه، افعل ما تراه الأفضل".

حسنًا، وبالتفكير أنهم بشكل أو بآخر يشعرون بالعار مني، وهو ما يتفق مع ما أخبرتني إياه، لم أكتب رسائل كثيرة وأبي بدوره لم يفعل، والرسائل التي تبادلناها لم تكن حميمة. وهذا، بيني وبينك للتفسير فقط، لا لرسم استنتاجات أخرى.

بدلًا من أن تتمسك باليد التي مدّت لك إصبعا واحدةً وتسلك طريقك داخلًا، فأنت تتركها إذ هي لم تمتد لك حرة وبكاملها. أو أنك تبتعد طوعًا عمّن لا يحتملونك.

أكنت مخطئًا أم لا، كيف لي أن أعرف؟ هنالك رابطة بيني وبينك يستطيع الوقت فقط تقويتها لو اتكأنا على العمل، وهو الفن، ولدي أمل أن نواصل فهم بعضنا البعض في النهاية.

أخشى أن أكون قد قلت لك شيئا عن العمل الذي يفترض أن أفعله بشكل مختلف، ولدي شعور غائم أنني قد أكون أزعجتك بشكل ما، لأنه قد بدا أن هناك شيئًا من هذه المسألة عندما غادرت.

أرجو أن تُحَل تلك المشكلة من تلقاء نفسها.

أما عن العمل، فما قد أصبح واضحًا لي بشدة في كل شيء ومنذ انتبهت له هو ضآلة التنفيذ. كان ذلك ليقلقني ما لم أكن مقتنعًا بأنها نتيجة طبيعية (وهو ما أعتقد أنني رأيته أيضًا في الأعمال المبكرة لفنانين عديدين أجدهم جيدين)، نتيجة طبيعية للمجهود الذي لا بد أن يبذله المرء لتجاوز العقبات الأولى. وبالنظر إلى سنواتي الماضية، فأنا أجدها حافلةً بالمصاعب. فإذا ذُلِّلت هذه المصاعب، ستكون هناك مرحلة أخرى من العمل، كما أتمنى.

هذا الخطأ منتشر جدًا ونحن بحاجة بشدة لتصحيحه فلا بد أن ننتبه لذلك ونتخذ خطوات حتى نمنح أنفسنا قسطًا من الهدوء. ثم نعاود العمل عليها؛ وإلا لظللت هكذا. أنا تمامًا كعملي، وأنت لا بد أن تأخذ هذا في الاعتبار قليلًا. لا أعرف إن كنت ترى أنه من الجيد أن ترى الآن أشخاصًا كهيركومر أو جرين أو سمول، على سبيل المثال، أم ننتظر حتى نهدأ أنا وعملي. أفضل أن يكون الاقتراح الثاني. فالأشياء بداخلي قد تتضح قريبا، ولكن في الوقت الحالي أفضل ألا أخوض في مسائل لندن المعقدة.

وبالنسبة لبعض الأشياء التي قلتها لي عند رحيلك، أرجو ألا تنسى أنّ موضوعًا كملابسي وما إلى ذلك هو من قبيل المبالغة. لو كان الأمر فعلًا هكذا، كنت سأكون أول من يقر بخطئي، ولكن يبدو لي أنها أقاويل من النميمة القديمة تم استدعاؤها من الماضي فضلا عن أن تكون مبنية على ملاحظة حديثة، ما لم أكن خارجًا في الحقول أو في المرسم.

لا يجب أن تتعجلني لو أردت توضيح ذلك لي. فهذا العام أنا كنت خارج أي دوائر اجتماعية، إذا جاز التعبير. وحقيقة لم أهتم بالملابس. فلو كان هذا هو كل شيء، فلن يكون من الصعب تغييره، لا سيما الآن وقد صار عندي الحلة الجديدة منك.

لكن أود مخلصا لو تسامح معي الناس في سقطات مثل هذه بدلًا من الكلام عنها.

لو أثار ذلك غيظي، فذلك لأنني قد سمعت الكثير من هذا الكلام، ملابسك أنيقة مرة وليست كذلك مرة أخرى، إنها كقصة جحا وولده والحمار، والتي فحواها كما تعرف أن إرضاء الناس من المستحيلات.

لم يثر ذلك غضبي منك قدر ما أدهشني، لأنك تعرف حجم الألم الذي عانيته من ذلك، وأنها أصبحت أقاويل ونمائم لن تختفي مهما فعلت. وعلى أي حال، فلدي الآن الحلة الجديدة منك والأخرى القديمة، والتي بالتأكيد لا تزال صالحةً، وعليه فقد انتهى الأمر حاليًا، أليس كذلك؟ خلّنا لا نتحدث عن ذلك ثانيةً.

لو أنني تقدمت قليلًا فيكون أمر البيع سهلًا، كنت سأقول بالتأكيد، فلتكن أنت من يتحمل مسؤولية الأعمال، لا أريد أن تكون لي أية علاقة بالبيع، وأريد أن أبقى خارج هذه الدوائر كليةً.

ولسوء الحظ، لا أستطيع أن أقول ذلك في الوقت الحالي، وأنت لست ملومًا على هذا، ولكنني أطلب منك الصبر لصالحنا معًا والتماسًا للسلام. وأنا آسف للغاية أنني أجعل حياتك صعبة، ربما تنقشع الغيمة من تلقاء نفسها، لكن لو كنت مترددا، فقل لي بوضوح. وفي هذه الحالة، سأتخلى عن أي شيء يجعلك تتحمل عبئًا لا تطيقه.

عندها، سأستطيع مؤكدًا أن أذهب إلى لندن مباشرةً، لأبحث عن أي شيء أفعله، حتى لو عملت حمالًا، وأترك الفن لوقت أفضل، على الأقل لاقتناء مرسم والتصوير بالألوان.

عندما أنظر خلفي للماضي، دائمًا ما أصل إلى النقطة المميتة نفسها التي لا تزال غير واضحة بالنسبة لي والتي تتزامن مع الفترة من شهر أغسطس ١٨٨١ حتى فبراير ١٨٨٢. ولهذا لا أستطيع أن أتوقف عن ذكر الأسماء نفسها طوال الوقت. وهو ما يدهشك.

أخي العزيز، لا تفكر فيَّ سوى كمصور عادي يواجه مشاكل عادية، ولا تتخيل أن هناك شيئًا غير معتاد عندما تكون هناك أوقات عصيبة. أعني لا تصور المستقبل بلون أسود ولا أبيض ناصع؛ ستحسن صنعًا لو آمنت بالرمادي. وهو ما أحاول أن أفعله، وأعتبر الانحراف عن هذا خطأ.

تحياتي.

المخلص دوما،

فنسنت

أما بالنسبة للمرأة، فأنا لا أشك أنك في كل الأحوال ستفهم أنني من جانبي لن أتعجل الأمور.

وبالنسبة لكيف أفكر في البيع، فأريد أن أقول لك ثانية. أعتقد أن من الأفضل أن نواصل العمل حتى يشعر محبو الفنون أنهم منجذبون له من تلقاء أنفسهم بدلا من أن نمتدحه أو نشرحه لهم. وعلى أي حال، لو رُفض أو لم ينل الإعجاب، فلا بد أن يظل المرء هادئًا محتفظًا بكرامته قدر الإمكان. أخشى أن تضرني جهودي في تقديم نفسي أكثر مما تفيدني، وأتمنى لو أعفيت من هذا.

إن التحدث مع معظم الناس هو أمر مؤلم جدًا بالنسبة لي، أنا لا أخشى ذلك، لكنني أعرف أنني أترك انطباعًا منفرًا. إن المحاولات لتغيير ذلك ستصطدم بالصعوبات التي كان قد يعاني منها المرء لو عاش بطريقة مختلفة. وشريطة أن يثابر في العمل، وسيكون كل شيء على ما يرام لاحقًا. خذ ميسداج مثلًا، إنه مستادون حقيقي أو فرس نهر، ومع ذلك فإنه يبيع لوحاته. أنا لم أصل إلى ذلك الحد بعد، لكن ذلك الشخص قد بدأ متأخرًا هو أيضًا، وحفر طريقه بشكل مخلص ورجولي، أيا كان ما

هو عليه من ناحية أخرى. ليس بسبب الكسل نهائيا أمتنع عن فعل بعض الأشياء، بالأحرى كي تكون قادرًا على العمل أكثر وأن تترك جانبًا أي شيء غير متعلق به مباشرةً.

لأعود إلى ما قلته أنت عن المغادرة: "إنني أتحول للتفكير أكثر فأكثر كأبي". حسنًا، فليكن، أنت تقول الحقيقة، وأنا من جانبي، وفيما أنا لا أفعل ولا أفكر بالطريقة نفسها تمامًا كما قلت، أحترم هذه الشخصية وأعرف لها جانبًا ضعيفًا ربما، ولكن أيضًا جانبًا طيبًا. وعندما أفكر أن لو كان أبي يعرف أي شيء عن الفن لكنت بلا شك قادرا على الكلام معه بسهولة أكثر ولاتفقت معه أكثر من ذلك؛ فبفرض أنك أصبحت مثل أبي بالإضافة إلى معرفتك بالفن —حسنًا- فأنا أعتقد سنستمر في أن نفهم أحدنا الآخر.

كانت لي نزاعات متكررة مع أبي، لكن الرابطة بيننا لم تنفصم بالكامل.

فلنترك الطبيعة تأخذ مجراها ببساطة: وستكون ما ستكون عليه، وأنا بدوري لن أظلّ على ما أنا عليه الآن. دعنا لا نتشكك في بعضنا البعض في أمور عبثية وسنواصل التعايش. ودعنا نتذكر أن أحدنا يعرف الآخر منذ الطفولة، وأن هناك الآلاف من الأشياء الأخرى تستطيع أن تقرب بيننا أكثر.

أنا معني بما يمكن أن يكون قد كدرك، وأشك أنني أعرف بالضبط أين تكمن المشكلة. أو بالأحرى فإن المشكلة لا تكمن في أمر محدد قدر ما هي في إدراك أن هناك نقاطًا للاختلاف بين شخصيتينا، وأن أحدنا يفهم أمرًا ما أفضل من الآخر والعكس بالعكس. وأعتقد أن ذلك أمر مرغوب فيه، لو حاولنا أن نظل على اتفاق.

هناك شيء آخر، لو كنت قد أصبحت عبئا لا يحتمل بالنسبة لك، فلتبق الصداقة، حتى لو كنت ستقلل مساعداتك المادية. سأظل أشتكي من وقت لآخر، من كوني في مأزق بشأن هذا أو ذاك من الأمور، لكن بدون أي دوافع خفية، فقط من أجل الشكوى لا لأني أطلب منك شيئا أو أتوقع أنك تستطيع فعل كل شيء، وهو ما لن أفعله حقيقة يا صديقي.

إني ليحزنني أنني قلت أشياء أود من جانبي لو سحبتها بالكامل، أو لو لم أقلها. أو لنفترض أنك أقررت بأن بها بذرة من الحقيقة، فأنا أود أن تعتبرها من قبيل الإفراط في المبالغة. ولتكن واثقًا، أن التفكير الأساسي والذي يتضاءل بجواره أي شيء آخر سيظل دائما هو الشعور بالامتنان تجاهك، مهما حدث في المستقبل. وعلاوة على ذلك، لو صرت أقل حظًا في المستقبل، تحت أي ظروف -أقول لك تحت أي ظروف- حتى لو اضطررت لسحب مساعداتك نهائيًا، فلن أعتبر ذلك خطأك أنت. ما كنت سأكون بحاجة لقول ذلك لولا أنني قلت أشياء بسبب تهيج أعصابي، لا لأنني أعتقد أنك كان من المفترض أن تقول شيئا أفضل عندما كنت أنا هادئًا. انس هذا الأمر، ستصنع لي معروفًا لو اعتبرته لم يقل أصلًا. أعتقد أنه لو مر هذا الأمر بسلام، فإنه سيمر بسلام من تلقاء نفسه خلال الوقت وأنا هادئ، ولكن عندما تكون أعصابي متهيجة فأنا ألقي اللوم بسببها على هذا وذاك.

الأمر نفسه مع أشياء أخرى، لا أريد أن أخرجها الآن، على الرغم من أني لاحقًا أتذكر ما أقوله، حتى عندما تكون أعصابي مستثارة، وربما يكون به شيء من الحقيقة، وإن كان ليس لكل بداية استكمال، وفي حالات التوتر العصبي هي تتخذ حجما أكبر من حجمها.

ومن جانبي، وإن كان يبدو أن هناك شيئا خاطئا حدث عندما غادرت، فلن نتطرق لهذا أيضًا. أنا أفكر حقيقة فيما تقول، وقد كتبت لك فعلا عن الملابس التي لا أرفضها وأتفق معك تمامًا -وكنت سأعرف حتى لو لم تذكر ذلك- أن المظهر قد يكون شيئا مهما، لو كنت قد ذهبت إلى هيركومر أو أي شخص كان. وأيضًا ما قلته عن أبي. هناك سبب الآن للكتابة لأبي أكثر من ذي قبل، وستقرأ الخطاب. والشيء نفسه فيما يخص كل الأمور الأخرى.

وباختصار، لو كنت أطلق أحكامي على أناس وظروف ودوائر لا أخالطها، فمن المفهوم أنني قد لا أكون مصيبًا، ولكني أتوهم أشياء خارقة للطبيعة وأرى الأشياء بشكل خيالي، كما يتبدى كل شيء غريبا عندما تراه عكس الضوء. أنت، الأقرب، ألا تفهم كيف يمكن أن يبدوا هكذا عندما يُنظر إليهم من مسافة، وبأثر

رجعي. وحتى لو كنت أرى كل شيء بشكل خاطئ، فأي شخص سيفكر في الأمر ربما سيتفهم ذلك، مع الأخذ في الاعتبار بعض الأحداث المعينة. لقد كانت فترة قصيرة تلك التي اختلطت فيها الأمور، وتلك الفترة القصيرة تشغل تفكيري بشكل مستمر، وأرى أنه من الطبيعي أن يكون للحظة الحالية بالضرورة رد فعل في المستقبل، لأن الناس حتى لو تجنبوا بعضهم البعض متعمدين، فلا يمكن تفادي أن يلتقوا مع مرور الزمن.

٣٧٧ | لاهاي، الاثنين ٢٠ أغسطس (آب) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

بالتأكيد أنت تفهم أنني حريص على أن أسمع منك وأعرف إن كنت قد قرأت رسالتي. وبالنسبة لي فإن المسار الأرخص وفقا لحساباتنا سيكون قريةً على ما أعتقد، وهو ما يبدو لي الأكثر منطقية في الظروف الحالية.

لو استطعنا الاستمرار مع المائة والخمسين فرنكا، فأعتقد أننا سنستطيع تغطية النفقات كاملةً، أو بالتقريب كذلك. يا أخي العزيز، ها أنت ترى أنه لا يبدو أن هناك انفراجة بالنسبة لي في كل الأحوال.

سأحاول ألا أتشكى، وأن أرضى بنصيبي.

ما زلت مقتنعًا أن العمل يتطلب المزيد فعليًا، وأنني سأضطر للإنفاق أكثر قليلًا على الطعام وبعض الضرورات الأخرى، ولكن إذا كان يجب التصرف بما هو أقل، ففي النهاية قد تكون حياتي لا تسوى هذا الطعام، فلم أثير ضجة بشأنه؟ وهو ليس خطأً مباشرًا لأي شخص، ولا حتى أنا.

أتمنى مع ذلك أن تفهم شيئًا، أن المرء لا يستطيع أن يفعل ما هو أكثر من التقتير حتى في الطعام والملابس وكل وسائل الراحة وكل شيء يلزمه بالفعل. وعندما يحرم الإنسان نفسه حتى من هذه الأشياء، لا يكون هناك مجال للكلام عن عدم الرغبة.

أنت تعرف أنه لو قال لي أحدهم، افعل هذا أو ذاك، أو اصنع رسما لهذا أو ذاك، فلن أرفض، وحقيقة سوف أكرر المحاولة بسعادة لو لم تنجح من المرة الأولى. لكن لا أحد يقول هذا، أو يقولها بشكل غامض أو شديد العمومية، وهو ما يربكني عوضا عن أن يساعدني في طريقي.

أخي العزيز، فيما يخص الملابس، فأنا أرتدي ما أحصل عليه دون أمل فيما هو أفضل، ودون أن أطلب ذلك. لقد حصلت على ملابس منك ومن أبي وهي أحيانا لا تناسب جسدي، ولا حيلة لي في ذلك، فالمقاسات قد تختلف. لو لم تكن لتذكر أن ملابسي ليست على ما يرام، لكنت راضيا بما لدي وحتى سعيدا به، إلى حد كبير، وإن كنت في مرحلة لاحقة سأعود لذلك لو استطعت، وأتمنى أن أقول لك عندها: هل تذكر يا تيو الأيام التي كنت أتجول فيها مرتديًا معطف أبي الكهنوتي الطويل... إلخ؟ ويبدو لي أن تسجيل هذه المواقف بهدوء الآن ثم أن نضحك منها معًا لاحقا عندما نكون قد تجاوزناها لهو أفضل بكثير من التشاجر بشأنها حاليًا. في الوقت الحالي، فلو اضطررت للخروج فأنا أرتدي سترتك التي أحضرتها، وهي لائقة جدًا. واعذرني إن كنت لا أرتديها في المرسم أو في الخلاء، فذلك سيكون إتلافًا لها عن عمد، لأن الواحد لا يمكنه تفادي بقاع الألوان في أثناء ممارسة التصوير، وخاصة عندما يكون بصدد محاولة القبض على تأثير ما في أثناء المطر والريح.

إن وجهة نظري فيما يخص كسب المال بسيطة للغاية، وهي أنه لا بد وأن يأتي عن طريق العمل، وأنني في الوقت الحالي لا أكسب شيئا بالكلام مع الناس عن ذلك بشكل شخصي. وإن وجدت فرصةً، فسأتابعها، على سبيل المثال ما حكيت لك عنه بخصوص بلينفانت وسمالدرز. ولكن حتى الآن فإن حظي قليل جدا. وأنا لن أحزن بسبب ذلك ما دمت لن تحبطني باتهامي بالتقاعس.

أنا أعتقد أنه لو أنك فكرت في الأمر بعناية فلن تشك في كوني أكدح، وفوق ذلك لو طلبت مني أن أسأل الناس أن يشتروا مني، فسوف أفعلها، وإن كان ذلك مع الأسى. فلو أمكن فاسمح لي بالاستمرار كما في السابق. وإن لم يكن، وكنت تريدني أن أطوف على الناس بأعمالي، فلن أرفض إذا كنت تشير علي بهذا.

ومع ذلك، يا شقيقي العزيز، فالعقل البشري لا يستطيع تحمل كل شيء. ولك في رابارد مثال، وقد أصيب بحمى ذهنية وقد ذهب الآن حتى ألمانيا ليتخلص منها. أنا أصبح أكثر ارتباكا مما هو ملائم بالنسبة لي عندما أتخذ خطوات من قبيل الذهاب إلى الناس للتحدث عن العمل. ماذا يعود علي من ذلك؟ الرفض أو المماطلة.

لن يوترني لو كنت أنت، مثلًا، فأنت تعرفني وأنا معتاد على التحدث معك.

أنا أصير أقل حيوية في الخارج وبين الناس. فلو لم نهدر الوقت في خطوات من هذا النوع فسنحقق تقدمًا، بطيئا ولكن أكيدًا، وأنا لا أعرف طريقًا أفضل من ذلك.

وأنا لن أرفض أية طلبية جادة تطلب مني، أيا كانت، وسواء على ذائقتي أم لا، فسوف أحاول أن أصنعها كما طلبوها، أو أصنعها ثانية لو تطلب الأمر.

باختصار، لقد قررت أن أكون صبورًا في كل الأحوال، حتى لو تعمد الناس تصعيب الأمر عليّ.

لا أستطيع أن أقول أكثر من هذا، ولو اهتممت بتكليفي بعمل ما، فباستطاعتك الحصول على نسخة تجريبية، أو عدة نسخ. أنا تحت تصرفك.

أعتقد أن هناك فرقًا بين الماضي والحاضر. في الماضي كانت الكثير من العواطف تتسرب في العمل وفي الحكم عليه. يقرر المرء خيارًا حاسمًا نحو هذه الحركة أو تلك، ويساند جانبًا أو الآخر. كان هناك حيوية أكثر. أما الآن فأعتقد أن هناك روحًا من النزق والتشبع. الناس في العموم أكثر دفئا. ومن جهتي، فقد كتبت لك فيما قبل أنه منذ ميبه وهناك سقوط عنيف يحدث بوضوح، كما لو كان قد تم بلوغ القمة بالفعل وابتدأ الانحدار.

وهذا يطول كل شخص وكل شيء.
أنا سعيد لأنني قد رأيت مجموعة رسوم مييه في فندق درووه.
أنت الآن في نيونن.

كنت أتمنى ألا يكون هناك سبب لتغيبي. وأتمنى لو كنا نسير معًا في ساحة كنيسة البلدة القديمة أو لدى النساجين. ولكن ذلك لم يحدث. لِمَ؟ لأنني تحققت أنه سيبدو كمنغص في الظرف الحالي.

أقول لك ثانيةً يا تيو، أنا لا أفهم الأمر تمامًا، وأعتقد أن هناك الكثير من المغالاة إذ تخجل أنت وأبي من السير معي قليلًا. ومن جانبي، سأبقى بعيدًا، فيما يطمح قلبي لأن نكون معًا. وعلى الأقل، مع اعتبار أنني لا أستطيع بأي حال الاستغناء عن اللحظات المختصرة التي أراك فيها أنت أو أبي بلا تحفظات -فقط بسبب الرابطة التي لا تنفصم- فمن الآن فصاعدًا فأنا أود ألا نناقش مسألة القناعات أو الملابس مرة أخرى حين نلتقي.

ها أنت ترى من كل شيء أنني بدلا من أن أتحسس طريقي متقدما فأنا أنسحب بعيدًا بقدر الإمكان. ولكن القناعات لا يجب أن تسبب فتورًا عامًا. فتلك النقطة الوحيدة المضيئة، أننا نلتقي سريعًا مرة في العام لا يجب أن تفتر أبدًا. وداعًا.

المخلص دوما،
فنسنت

بالنسبة للعمل، أنا لا أتردد. لقد قرأتَ فورمون جون وريزليه أينيه، أليس كذلك؟ أنا لا أراك بالطبع في فورمون جون، لكنني أرى تشابهًا بيني وبين ريزليه أينيه، في استغراقه في عمله، وفي تصميمه على ذلك، فيما من ناحية أخرى هو رجل عادي، غير مكترث نوعًا وبرؤية قاصرة، ورغباته القليلة لنفسه، حتى إنه لم يغير شيئًا لنفسه عندما صار ثريًا.

وبالنسبة لعملي فكل أفكاري مرتبة ومحددة جدًا، حتى إنني أعتقد أنك تحسن صنعًا بقبولك لما أقوله: دعني أستمر فيه كما أنا؛ رسومي ستصبح جيدة لو بقينا في المنزلة نفسها أحدنا للآخر، ولكن لأن التحسن يعتمد قليلًا على المال لمصروفاتي

ونفقاتي -لا على مجهوداتي فقط- فكن كريما بقدر استطاعتك في النقود، ولو رأيت فرصة لإضافة مساعدة من أي جهة أخرى فلا تدعها تفلت منك. وفي الحقيقة فإن هذه السطور القليلة تحتوي على كل ما أريد قوله.

لا يجب أن تضللك تصرفاتي حين غادرت جوبيل عن شخصيتي الحقيقية. لو كانت الشركة تمثل لي ما يمثله الفن الآن لكنت تصرفت بشكل أكثر حسمًا وقتها. لكن في الحقيقة كنت غير متأكد إن كانت تلك هي مهنتي أم لا، فكنت سلبيًا أكثر. وعندما سئلت هل ترغب في المغادرة؟ قلت: أتعتقد أنني يجب أن أغادر؟ حسنًا، سأغادر. ليس أكثر من ذلك. كان هناك صمت أكثر من الكلام وقتها.

لو كان التعامل قد تم بشكل مختلف، لو كانوا قد قالوا: لا نفهم كيف تصرفتَ في هذه المسألة أو تلك، اشرح لنا، لكان الأمر انتهى بشكل مختلف.

لقد قلت لك في السابق يا شقيقي إن الناس لا تفهم التحفظ دائمًا. وهذا سيئ جدًا، ربما. من الأفضل أن أكون في المهنة التي أنا بها الآن، فيما أعتقد، ولكن عندما غادرت جوبيل كانت هناك دوافع أخرى غير الملابس، في جانبي على أي حال. كانت هناك نصف خطة أو خطة كاملة لي للحصول على منصب في قسم التصوير بالفرع الجديد في لندن. وهو ما اعتبرت نفسي غير ملائم له أولًا، وثانيا لم أكن مهتمًا به. كنت سأرغب في البقاء مع الشركة لو كنت أعطيت منصبًا لا يتطلب وبشكل حصري التحدث مع الزبائن.

وباختصار، لو كنت قد سئلت وقتها، هل تستمتع بالعمل؟ كانت إجابتي ستكون، نعم، بالتأكيد. هل ترغب في البقاء؟ نعم، لو كنتم تعتبرونني أستحق ما أكسبه، ولا تعتبرونني عائقًا أو شخصًا مضرًا. وربما كنت طلبت منصبا في قسم الطباعة، أو ذلك الذي في لندن، مع تغيره قليلًا كنت سآخذه فيما أعتقد.

لم يسألوني عن أي شيء، فقط قالوا لي "أنت مخلص ودؤوب في عملك كموظف لكنك تضع مثالًا سيئا للآخرين"، وأنا لم أقل شيئا لأفند ذلك الكلام، لأنني لم أكن أريد أن أؤثر على قرار مغادرتي من عدمه.

كان من الممكن أن أقول كلامًا كثيرًا لأفنّد رأيهم، لو كنت قد أردت، وبالفعل فالأشياء التي كنت أعتقد فيها كانت تضمن لي إمكانية البقاء. أقول ذلك لأنني لا أفهم كيف لم تعرف أنها لم تكن فقط مسألةَ ملابسَ لكن أمورًا مختلفة تماما.

حسنا، ولك أقول ما لا أشك في ضرورة قوله الآن، بالنظر إلى أن مهنتي هي مهنتي وأنا لا أشكّ في كوني يجب أن أبقى فيها.

فها أنا أقول لك هذا: أنا لا أرغب فقط في بقاء الأمور بيننا على ما هي عليه، لكنني حقيقة ممتن جدًا لعلاقتنا، حتى إنني أتساءل ما الأغنى وما الأفقر، أكثر صعوبة أم أقل، لا شيء مضمون، وإنني راض بكل الظروف وسوف أتكيف، وسأتصرف بالمتاح إذا لزم الأمر.

لكنني فقط أرغب في ألا تشك فيّ فيما يتعلق بحسن النية، والتطبيق، وافترض في بعض الحس السليم فلا ترتّب أنني قد أفعل أشياء سخيفة، ودعني أواصل عملي بطريقتي المعتادة في هدوء.

بالطبع يجب أن أبحث حتى أجد، ولن يثمر كل شيء بعد طريق طويل، لكن في النهاية سيكون العمل جيدًا.

الصبر حتى تكون النتيجة جيدة، لا التخلي حتى النتيجة الجيدة، وبلا شك هذا ما أود أن نلتزم به أنا وأنت ونتمسك به، ولا أعرف إلى أي مدى سننتفع ماديًا، لكنني أومن بأنه، في حالة التعاون والتآزر، سنكون قادرين على المثابرة لحياتنا كلها، دون أن نبيع شيئا أحيانًا ومع حياة شاقة، ثم في أحيان نبيع وتكون الحياة أيسر.

هذا باختصار هو لب الموضوع. المثابرة تتوقف على إرادتنا للبقاء معا. وما دام قد وجد هذا، فهو ممكن.

والآن سأذكر ريزليه أينيه ثانيةً، وأفترض أنك تعرف الكتاب، لو لم تكن فاقرأه وما أعنيه سيكون جليًا بالنسبة لك. إن مظهر ذلك الرجل كان بشكل ما كمظهري، وحياته كانت في العمل بعلية المصنع على تصميماته وماكيناته، ولم يكن عنده وقت

ولا أدنى اهتمام بأي شيء آخر، وقمة الرفاهية بالنسبة له كانت أن يحتسي كوبًا من البيرة مع أحد معارفه القدامى.

إن قصة الكتاب غير مهمة هنا، والتفاصيل الأخرى غير ذات صلة. أنا ألفت انتباهك للشخصية، لأسلوب حياة ريزليه أينيه في ذاتها، دون أي تفكير في أي تفاصيل أخرى في القصة. فقط لأشرح لك أنني لا أفكر كثيرًا في ملابسي بسبب طريقتي في العمل -ممارسة المهنة لو أحببت- فأنا أعمل منفردًا، ولا أقرب الناس.

إن بعض الأصدقاء القليلين، ممن سأتخذهم لاحقًا، سيقبلونني كما أنا، صدقني. أعتقد أنك ستفهم هذا الخطاب، وستفهم أن القصة ليست هي أنني ينتابني الغضب عندما يقال لي شيئًا عن ملابسي. لا، فأنا من الداخل قد أصبحت أكثر هدوءًا وتركيزًا، ولن يجعلني أغضب سوى شيء مختلف عن هذا. وأينما ذهبت، فسأكون هكذا تقريبًا، وربما أترك انطباعات سيئة في كل مكان في البداية. لكنني أشك في كون ذلك سيستمر للأبد مع الناس الذين أتكلم معهم عن ذلك وجها لوجه.

حسنًا، من هذه اللحظة فصاعدًا، سأكون غارقًا تمامًا في العمل ثانية. افعل من أجلي ما تستطيعه، وفكر بنفسك فيما يمكن أن يكون مفيدًا ويساعدنا في الوصول لأي شيء بسرعة. لا أشك في نيتك ولا صداقتك. تحياتي، واستمتع بيومك، واكتب قريبًا.

الوداع.

فنسنت

٣٨١ | لاهاي، نحو الأربعاء ٥ سبتمبر (أيلول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت رسالتك الآن فقط عندما عدت إلى البيت من الكثبان التي خلف لوسدوينن، غارقًا بالمياه حيث إنني أمضيت ثلاث ساعات تحت المطر في بقعة كل شيء فيها يشبه أعمال رويزديل ودوبيني أو جول دوبريه. وقد رجعت بدراسة عن أشجار مائلة تعصف بها الرياح، وأخرى عن حقل بعد المطر. كل شيء كان برونزيًا، كل شيء يمكن أن يراه المرء في الطبيعة في هذا الوقت من العام فقط، أو لو توقف أمام لوحة لدوبريه على سبيل المثال، جميلة حد أن الخيال يعجز معها.

كتبت لي عن مسيرتك لفيل دافراي ذلك الأحد، في اليوم نفسه والتوقيت نفسه كنت أنا أمشي وحيدًا أيضًا، وأردت أن أخبرك بشيء عن هذه المسيرة، ربما تلاقت أفكارنا وقتها ثانية إلى درجة ما.

لقد تحدثت مع المرأة كما قلت لك، وقد شعرنا أن بقاءنا معا في المستقبل قد صار مستبعدًا، لقد أتعس أحدنا الآخر حقيقة، لكننا شعرنا، كلانا كم كنا مرتبطين بقوة. ثم خرجت من البيت، في مشوار بعيد، لأتكلم مع الطبيعة قليلًا.

وقد وصلت إلى فوبورج، ومن هناك ذهبت إلى لايدشيندام.

تعرف المناظر هناك، أشجار رائعة مفعمة بالجلال والوداعة بجوار الخضرة، وبيوت صيفية مُريعة كلعب الأطفال، وكل ما تفتق عنه الخيال الأخرق للهولنديين من أصحاب الدخول الخاصة من طرز أحواض الزهور والتعريشات والشرفات. معظم البيوت قبيحة جدًا، ولكن بعضها قديم وأنيق. حسنًا، في تلك اللحظة، وفوق المروج اللانهائية كصحراء كانت تتدافع كتل من السحب الواحدة تلو الأخرى، فيما تضرب الرياح صف البيوت الريفية بأشجارها على الضفة الأخرى من المجرى المائي

حيث يمتد الطريق الأسود الفاحم. تلك الأشجار، كانت رائعة، كانت هناك دراما في شكل كل "شخص" منها، أكاد أن أقول، وأنا أعني في كل شجرة.

ثم، كان الكل أجمل تقريبًا من تلك الأشجار التي تعصف بها الرياح إذ تراها في ذاتها، لأن اللحظة قد أضفت شخصية فريدة حتى على تلك البيوت الصيفية السخيفة، غير المتناسقة والفارقة في المطر. وقد رأيت فيها كيف يمكن لشخص بمظهر عبثي وقناعات سخيفة ممتلئ بالغرابة والنزق أن يكون شكلا دراميا بشخصية فريدة لو تمكن منه حزن حقيقي تحركه كارثة. وقد جعلني ذلك أفكر للحظة في مجتمع اليوم، كيف إنه كمؤسسيه يبدو أحيانًا الآن كصورة مظللة كبيرة مرئية عكس ضوء الإصلاح.

نعم، فبالنسبة لي فإن دراما العاصفة في الطبيعة، ودراما الحزن في الحياة هي الأفضل. إن بارادو جميلة، لكن تظل جثيسماني أجمل.

آه، لا بد أن هناك بعض الهواء، بعض السعادة، ولكن للسماح بالإحساس بالشكل أساسًا، لكي تجعل خطوط الصورة المظللة تتكلم. لكن ليكن الكل معتما.

لا بد أن أقول إن المرأة صامدة بشكل جيد. إنها تشعر بالحزن، وأنا كذلك، لكنها غير يائسة وتبذل مجهودًا.

كنت اشتريت قطعة من النسيج مؤخرًا لأصنع منها لوحات للدراسة لنفسي. وقد أعطيتها إياها الآن من أجل أن تصنع ملابس لهذين الطفلين الهزيلين. وقد عدلت بعض ملابسي من أجلهما فيكون لديهما أكثر من شيء، وهي مشغولة بهذا الآن.

عندما أقول إننا نفترق كصديقين، فذلك حقيقي، لكننا بالتأكيد قد افترقنا، وأنا من وقتها أشعر بسلام أكثر من المتوقع، لأن ما هو خاطئ فيها كان ذا طبيعة قابلة لأن تكون قاتلة لكلينا، لو كان قد تم ارتباطنا ببعضنا البعض، باعتبار أن أحدنا مسؤول عن كل أخطاء الآخر. لكنني ما زلت قلقًا بشأنها، كيف ستكون بعد عام من الآن؟ بالتأكيد لن آخذها إلى منزلي ثانيةً، لكنني لا أريد أن أفقد الاتصال بها، لأنني أحبها هي وطفليها كثيرًا.

وذلك ممكن تحديدا لأنه كان وما يزال شيئًا مختلفًا عن العشق.
أتمنى أن تتقدم خطة درينته.
أنت تسأل عما قد أحتاجه.

لست بحاجة لأن أخبرك أنني أنتوي القيام بأعمال كثيرة، لا بد أن أفعل ذلك لأنمش روحي. وهناك ليس لديهم شيء من معدات التصوير، ومن ثم سآخذ مخزونًا، آخذ أشياء نافعة فعلًا، وبالتأكيد كلما كان أكثر كان أفضل. إن المعدات الجيدة لا تعتبر إهدارًا أبدًا، وهي تؤتي ثمنها ولو كانت باهظة الثمن. وللتقدم لا بد أن يصنع المرء الكثير من التصوير، أتمنى ألا أضيع أي وقت مما سأقضيه هناك، وأن أحصل على العديد من الموديلات أيضًا، وهو ما سيكون غالبًا رخيصًا بما يكفي هناك. لكن الحياة رخيصة هناك، وسأكون قادرًا على فعل المزيد بالمائة والخمسين فرنكا عما أفعله هنا.

لكن في الحقيقة أستطيع ترتيب كل ذلك كما يلائمني. وأفكر أنه من الأنسب أن أكون قادرًا على شراء دفعة كبيرة من المشتريات مرة واحدة، لأنني أفتقد أشياء كثيرة مما هو موجود لدى البعض وهي أشياء لا غنى عنها بالفعل.

وخطتي أن أقطع شوطا طويلا في التصوير في درينته فأكون مؤهلًا لجمعية الرسامين عندما أعود. وهذا بدوره يتصل بخطة ثانية، وهي الذهاب إلى إنجلترا.

وأعتقد أنه من المسموح للمرء أن يتكهن شريطة ألا يفعل ذلك في الهواء أو على أسس هشة. وفيما يتعلق بإنجلترا، فأنا بالتأكيد أتوقع أنني سأبيع شيئا هناك بسهولة أكبر من هنا –وهذا حقيقي– وهكذا فأنا أفكر في إنجلترا من وقت لآخر. لكنني لا أعرف أين تقف النقطة التي بلغتُها من ذوق عشاق الفن الإنجليز، ولأنني لا أعرف هذا تحديدًا، فأنا أود أن تكون لي بداية صغيرة إيجابية مع المبيعات هنا قبل أن أتخذ أية خطوات هناك. لو بدأت في بيع بعض الأشياء هنا، فلن أتردد للحظة في إرسال أشياء إلى هناك أو في السفر حتى. وما دمت لم أبع أي شيء مطلقا هنا، فسوف أكون مخطئا إلى حد كبير فيما يخص التوقيت لو لم أكن حكيما بما يكفي لكي أنتظر حتى أرى أي بداية هنا.

أرجو أن تجد هذه الفكرة حكيمة، فذلك سيطمئنني. إذ إن الناس في إنجلترا يكونون جادين جدا بمجرد أن يبدؤوا؛ ومن يجد تأييدا في إنجلترا فسيجد أصدقاء مخلصين هناك. سأذكر فقط أي. فرير وهنرييت براون، اللذين لا تزال أعمالهما تنال الإعجاب نفسه كأول يوم تعرض فيه هناك. لكن لو أراد المرء النجاح هناك، لا بد أن يولي الموضوع بعض العناية فيكون واثقًا من جودة المنتج الذي سيرسله إلى هناك.

رسالتك سرَّتني بشكل عظيم، لأنني عرفت أنك تعتقد أن خطة درينته لا بأس بها، وهذا كاف بالنسبة لي؛ وفيما بعد سيتضح أي فائدة ستجنى من ورائها. لكن بالنسبة لي فالموضوع مرتبط بشكل مباشر بعضويتي في جمعية الرسامين وبإنجلترا، لأنني أعرف بشكل أكيد أن الموضوعات التي ستأتي من هناك ستستقبل بتعاطف في إنجلترا لو كنت قادرًا على وضع بعض الأحاسيس فيها.

باختصار ادعم موضوع درينته، سواء استطعنا أن ننفق الكثير أو القليل في الوقت الحالي.

سأذهب إلى هناك عندما أحصل على النقود للسفر، حتى لو كان لدي القليل المتبقي من مواد التصوير، لأن وقت تأثيرات الخريف قد بدأ بالفعل، وأنا أرجو أن أقبض على بعضها. كما أني أرغب في أن أعطي المرأة شيئا أكثر قليلًا للأيام الأولى. ولكن لو استطعت المغادرة، فسأفعل.

وأقول لك إنني في الوقت الحالي أخطط لمساعدة المرأة قليلًا، ربما لا أستطيع وبالفعل أنا لا أقدر أن أصنع الكثير في هذا الصدد. أنا لم أخبر أي شخص سواك عن هذا. وما أؤكد عليه: أنه مهما صار لها فأنا لن أستطيع ولن يحدث أن آخذها في بيتي مرة أخرى. يمكنك أن تعتمد على هذا، لأنه ليس من طباعها أن تفعل ما ينبغي لها فعله. وقد أرسلت كلمتين إلى أبي أيضًا لأخبره أنني انفصلت عنها، لكن رسالتي له عن البقاء معها والزواج هي حقيقة واقعة أيضًا، وأن أبي قد تكلم بشكل ملتف عن هذا ولم يقدم جوابا للسؤال الحقيقي هو حقيقة أخرى. لا أعرف كيف سيبدو الأمر في السنوات القادمة، أو إن كان ذلك كان سيكون أفضل من الانفصال؛ نحن الآن قريبان

من كل شيء لنرى الأمور وتبعاتها في سياقها الحقيقي. أتمنى أن يصير كل شيء للأفضل، لكن مستقبلها ومستقبلي يبدوان مظلمين لي. وأعتقد أن سيظل بها شيء يقظ، لكن تلك هي النقطة تحديدًا، كان ينبغي أن يكون قد استيقظ بالفعل، والآن سيكون من الصعب عليها أن تتبع النوازع الطيبة حين لا يوجد أحد بجانبها ليدعمها في ذلك. هي الآن لا تستمع، لاحقا ستتوق للتحدث معي ولن يكون ذلك ممكنًا وقتها. طوال فترتها معي، لم يكن لديها نموذج مضاد، والآن، وفي محيط تختلف ستتذكر أشياء لم تكن تلقي لها بالا في وقتها. والآن، وبسبب التناقض ستفكر في هذا أحيانًا. بالنسبة لي فإن الأمر يكون أحيانًا مؤلمًا للغاية أن كلينا كان يشعر باستحالة أن نناضل معًا من أجل المستقبل، علما بأننا مرتبطان جدًا. لقد كانت أكثر بوحًا عن المعتاد مؤخرًا، وكانت أمها قد حثتها على لعب بعض الحيل عليّ ورفضت هي. أشياء كالتي تكلمنا عنها عندما كنتَ هنا، كأن نشرع في الشجار أو مثل تلك الأشياء.

أترى، إن لديها بداية لشيء أكثر صلابة، ولعل ذلك يستمر. أتمنى لو تستطيع أن تتزوج، وعندما أقول لك إنني سأواصل الاهتمام بها فذلك لأنني نصحتها بأن تفعل ذلك. لو أنها فقط تعثر على رجل نصف طيب، فذلك سيكون كافيًا، وعندها ستتطور البدايات التي طرأت عليها هنا إلى ما هو أبعد، وذلك مجرد ترتيب بسيط ذي طبيعة منزلية أكثر، ولو هي التزمت بهذا فلن أتركها كلية لمصيرها حتى في المستقبل، فسوف أظل صديقا لها على الأقل، ومخلصًا أيضًا.

اكتب لي ثانيةً، مع تحياتي.

المخلص دوما،

فنسنت

سوف أضيف بعض الكلمات هنا. سألتني عمّا أحتاجه. وقد فكرت في هذا وكان من المستحيل بالنسبة لي أن أحدد ما أعتبره ضروريا، فذلك لن يكون قليلًا، فدعنا نرَ ما في وسعنا الحصول عليه ونتصرف على هذا الأساس. ما في استطاعتنا سيكون غالبًا أقل مما هو لازم بشكل أساسي، ولكن هذا يعتبر جيدًا لو أن الواحد يستطيع أن يمضي في خططه على أجزاء. وأنا من جانبي أقول لك إنني سأتصرف بما ستوفره لي.

الحياة أقل تكلفة هناك، وسأكون قادرًا على التوفير تلقائيًا مقارنة بهنا.

وعندما تكون سنة قد مرت، سأكون قد حققت تقدمًا كبيرًا بهذه المدخرات وحدها. سيكون بإمكاني الحصول على ألوان... إلخ. وإرسال الطرود بالبريد عندما أنتهي من هناك. وعليه، فسوف آخذ خزينًا لو أمكن، لست بحاجة لقول ذلك، ولكن إن لم أستطع فلن أؤجل الرحلة بسبب ذلك.

لدي آمال أن تتحول السنون الماضية لشيء صلب، لأنني لم أهمل عملي، وإنما على العكس، فقد تجاوزت عددا من نقاط الضعف. هناك ما زال بعضها يحتاج أن يقوى، بالطبع، وهو دورها الآن.

وبالنسبة لما كتبته لك في رسالة سابقة، أن المرأة قد أخلت على الفور ببعض الوعود، فإن ذلك كان سيئا بما يكفي، وتحديدا محاولتها أن تكون خادمة في أحد بيوت الدعارة وهي فرصة اصطادتها لها أمها وحثتها عليها. لقد ندمت المرأة نفسها على ذلك ورفضت الموضوع على الفور، ولكن في الوقت نفسه، فإن ذلك ضعف شديد من جانبها، ولا سيما أن تفعلها في هذا الوقت تحديدًا، ولكن هي هكذا —حتى الآن على الأقل— ليس لديها القوة لترفض شيئا كهذا بشكل قاطع. وعلى أي حال، فقد أجبرتني على اتخاذ إجراءات لطالما كنت قد أجلتها قبل ذلك.

وفي هذه المناسبة، ومع ذلك، فقد رأيت فيها شيئا كما لو كان أزمة أتمنى أن يكون "إلى هنا تأتي ولا تتعدى". وأن ترى هي نفسها أن هذا الانفصال كتحول ممكن للأفضل في النهاية.

ولأن هناك علاقة قاتلة بينها وبين أمها، فهاتان الاثنتان لا بد أن تسيرا معا سواء في الطريق الخاطئ أو الصحيح. وسينتهي الأمر إلى أن تعيش مع الأم فتخرجا للعمل بالتناوب، وتحاولا التدبر بطريقة شريفة. هذه هي خطتهما، وبالفعل قد قاما ببعض أيام العمل. وقد وضعت لهما إعلانات، وهما تتطلعان كل يوم وقد بدآ في الاستمتاع بذلك.

سأواصل فعل هذا ووضع الإعلانات ما دامت هناك ضرورة لذلك، وباختصار كل الأشياء التي أستطيع أن أكون فيها عونًا نافعًا لهما.

ولو استطعت، سأدفع لهما إيجار عدة أسابيع عندما أذهب، وكذلك الخبز اليومي ونحو ذلك لأعطيهما الفرصة لوضع خطتهما بشكل صحيح والإضافة إليها. لكنني لم أعدهما بعد بإعطائهما هذه الأشياء، لأنني عن نفسي لا أعرف إن كنت سأكون قادرًا على ذلك أم لا. سأتصرف وفق ما تمليه الظروف.

وقد أوصيتها بحزم أن تتزوج زيجة مناسبة برجل أرمل أو ما إلى ذلك، مضيفًا أنها يجب أن تكون صالحة مع ذلك الشخص أكثر مما كانت معي. وأنها تعرف جيدا في أي أشياء كانت مقصرةً معي، وأنها الآن ينبغي أن تكون حكيمة، وأن تعرف أنني لا ألومها أدنى لوم، لأنني أعرف أن التحسن أو الإصلاح لا ينجح مرة واحدة ولكن على مراحل، كما يقال، وذلك شريطة أن تظل عند النقطة التي هي بها الآن، وأن تبدأ طريقها بداية منها، دون أن تسمح لنفسها بأية انتكاسة، وأنها ليست بحاجة لأن تغتم لأخطائها معي أو تحبط، فقط لتعوض ذلك بأن تكون أكثر صلاحًا مع شخص آخر.

وستفهم هي بنفسها هذه الأمور حاليًا، وأرجو أن تحتفظ بها حيةً.

أن تصيرا قانطتين ثم تتركا لنفسيهما الحبل على الغارب هو نوع من الضعف تشتركان فيه، علمًا بأنهما أيضا تكونان صبورتين عندما يتعلق الأمر ببداية جديدة، والمرأة بالذات تبدي ذلك أكثر، وعلى الرغم من أن أخطاءها كثيرة ومزعجة بما يكفي فأنا أعرف أن هناك شيئًا طيبًا يلطف كل شيء، ولهذا السبب أيضًا، لست يائسًا من مستقبلها. أود أن أعتقد أن الرحمة تكمن في الطبيعة نفسها بالنسبة لشخصية مثل تلك، وأجد أنه شيء خبيث فيَّ أنني لست مقتنعا بهذا تماما، حيث إنني لست قادرا بعد على الانسحاب من كل شيء، ولا أستطيع في الوقت الحالي أن أتوقف عن كل الأشياء التي كنت أناضل لأصحح أوضاعها.

اكتب لي ثانيةً، وقريبًا، ألن تفعل ذلك؟

٣٨٣ | لاهاي، الجمعة ٧ أو السبت ٨ سبتمبر ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لقد قطعت شوطًا في إعداد متاعي، ذلك لأنني سأغادر بمجرد أن أحصل على نقود السفر. ومن الأفضل في هذه الظروف أن أدخل في العمل مباشرةً. إذ إن المرء في أوقات الاستعداد للانتقال لا يستطيع أن يفعل أي شيء جيد يخص العمل، ولن أستعيد إيقاعي حتى أستقر في مكان ما بالريف. وعليه، فأتمنى أن أكون قادرًا على المغادرة لو أنك أرسلت شيئا نحو يوم ١٠ من الشهر، ولو لم أستطع الذهاب إلى هناك مباشرةً، فسأبقى في قرية قريبة ليوم أو يومين لو كان هناك حاجة لذلك.

أرجو أن تصير الأمور ممكنة كما تعتقد أنت، وكما أعتقد أنا أيضًا حقيقةً، أن تغير المرأة الاتجاه نحو الأفضل. وإن كنت أخشى ألا يحدث ذلك وأن تنحدر ثانية في الطريق القديم.

لو حكمت من خلال معرفتي الحميمة بها، سأقول إن روحها وإرادتها ضعيفتان فلا تستطيع أن تواصل في مسار صا لح.

عندما تكلمتُ عن ذلك في أثناء زيارتك، كنت عقدت عزمي على اتخاذ قرار، لكن من وجهة نظري كان هناك طريقان، والقرار فيما يتعلق بـ "كيف" كان يعتمد عليها أكثر مني. لو كانت تريد فعلًا الاستمرار معي، فذلك شيء أكثر من مجرد الكلام، وهو ابتعاد عن الأخطاء التي جعلت الموقف مستحيلًا، وأعتقد أن ذلك كان سيكون أفضل بكثير لها عما ينتظرها الآن، مهما كانت الأمور صعبة وفقيرة بالنسبة لنا. لكنني وجدتها غامضة كأبي الهول، لا تستطيع أن تقول نعم أو لا. ولو كنتَ قد سألتني إن كنت أعرف ماذا هي فاعلة، فكل ما أعرفه هو أنه "بالتأكيد ليس بالاستقامة التي كان ينبغي أن تتصرف بها".

في الأيام الأخيرة رأيت بوضوح ثانيةً كيف كانت تنظر للإعلانات بالكاد من أجل التظاهر، وهما تقريبا تنتظران رحيلي للشروع في شيء لم تناقشاه معي. وهو سبب كاف لي كي أغادر فورًا، وإلا فستلجآن لتأجيل الأمور عمدًا. ومرة ثانية فإن الأم هي السبب في ذلك.

وتلك الخطة، التي هي تحوير لما بدأتاه منذ بضعة أيام، لن تقود إلا إلى التعاسة.

لكن لا بد أنني كنت مجنونا كي أساعدهما وهما غير صريحتين معي، أليس كذلك؟ وعليه، فقد نويت أن أرحل ببساطة، وأن أترك نحو أسبوعين ينقضيان، ثم أكتب لهما لأرى كيف تسير الأمور.

وأيضًا بدأت أفكر أنني لا بد أن أرحل بغرض أن أجعلهما تتصرفان بجدية. ولكن مثل هذا الاختبار خطير، لأنهما حتى خلال فترة قصيرة بإمكانهما إتلاف الكثير.

لماذا، لماذا هذا الطيش لدى المرأة؟ إنها ما أسماها موسيه "طفل القرن"، بكل معنى الكلمة، وأحيانًا أفكر في حطام موسيه نفسه عندما أتخيل مستقبلها.

كان هناك شيء سام لدى موسيه؛ حسنًا لديها أيضًا شيء ما، على الرغم من أنها ليست فنانة بالطبع. لو أنها كانت كذلك، ولو قليلًا. لديها طفلاها، وسيكون لديها شيء صلب لو أنهما صارا شغلها الشاغل أكثر حتى مما هما الآن، لكن هذا أيضًا ليس ما ينبغي أن يكون، حتى لو كان حبها الأمومي، غير الكامل مع ذلك، هو أفضل شيء في شخصيتها، من وجهة نظري.

إنه لشيء صعب بالنسبة لي أن أتوقع أنها بمجرد رحيلي ستندم على بعض الأشياء وتريد أن تكون أفضل وتحتاجني. وأنا مستعد للمساعدة في هذه الحالة، لكنني سأضع في رأسها ما قلته لي عن المرأة التي قابلتها: لقد وجدتني وأنا غارقة تماما، لا بد أن أطفو ثانية، وبدلًا من لا بد أن أطفو ثانيةً ستقول هي: الهاوية تبتلعني.

سمعت مرةً أنه كانت هناك علاقة بين موسيه وجورج صاند. كانت جورج مركبةً، وإيجابية، ودؤوبًا جدًا. فيما كان موسيه غيرَ مكترث قليلَ الاهتمام وحتى مهملًا لعمله.

بلغت الأمور ذروتها وتم الانفصال بين هاتين الشخصيتين. ولاحقا حدثت محاولة مستميتة من موسيه مع الندم، لكن بعد أن كان قد غرق حتى أذنيه في الوحل، وفي الوقت نفسه كانت أمور جورج صاند في كامل انضباطها وكانت مستغرقة تماما في عمل جديد، فقالت له: "لقد فات الوقت" و"من المستحيل الآن".

لكن هذه مسألة صراع داخلي، والقلوب تغرق بسببه في الحزن أكثر مما يبدو.

عندما أغادر يا تيو، لن أكون مطمئنًا عليها، على العكس سأكون قلقًا، لأنني أخشى بشدة ألا تستيقظ قبل فوات الأوان، وألا تكون لديها رغبة قوية في شيء أبسط وأكثر نقاء حتى تكون لحظة بلوغ ذلك قد مضت.

عندما أرى فيها تلك الصفات المماثلة لصفات أبي الهول، وهي علامة سيئة جدًا، وأنا أعرف وجودها منذ زمن لديها ولدى بعض الآخرين. ثم إن التحديق بأسى في الهاوية لهو قاتل أيضًا، وطريقة إبعاد ذلك تتطلب عملًا شاقًا. وهي الآن يا تيو قد استسلمت ثانية للوضع وبشكل سلبي، إن الاكتئاب إذا أردنا تجاوزه، فلا يمكن تجاوزه إلا بالمثابرة، ومن لا يشعر بهذا فقد ضاع إلى الأبد وسيذهب مباشرة إلى الحضيض. لقد قلت لها هذا، وقد بدأت أسرب لها هذا في بعض الأحيان.

أترى، هي على الحافة، أليست كذلك؟

لن تكون يدي هي التي ستدفعها، كما أني لا أستطيع أن أقف بجانبها إلى الأبد لأسند ظهرها. لا بد أن يكون للشخص ما يكفي من الحس السليم ليتعاون عندما يتلقى التحذير والمساعدة. أعرف أن هناك حالات يبدو فيها الشخص المكتئب محجما، لكنه يفعل لاحقًا ما ينبغي أن يفعله بهدوء ويتعافى. لو كانت هي كذلك، فلا بأس، وستكون بخير.

لا يساعد الشخص المكتئب -في فترة التعافي- سوى صديق. وهذا أمر عظيم، حتى لو كان الصديق فقيرًا. وستجد دائمًا هذا فيّ، حتى لو كانت كريهة للغاية أحيانًا.

ستحتاج إلى دعم، وسأظل لها هذا الدعم حتى لو كنت قد رحلت، شريطة أن أرى فيها بعض الطاقة والإرادة القوية. إن الأشخاص (من عائلتها) الذين حاولوا إبعادها عني قد فعلوا شيئا يقارب في شره أن يقتلوها هي وأطفالها ما لم يكن قد فعلوه فعلًا بتعنتهم وغبائهم. فلولا ذلك لكان حالها أفضل بكثير.

افعل ما بوسعك لترسل إلي ما يكفي للسفر نحو اليوم العاشر من الشهر، فذلك سيكون مناسبًا جدًا.

وفي الوقت نفسه لا تضغط على نفسك لأنني سأتصرف وفقًا للظروف وسأكتب لك مباشرةً لأقول لك ما فعلت.

لو كان قليلًا جدًا لدرينته، فسوف أذهب للوزدوينين ليوم أو بعض يوم وأنتظر هناك. لقد وجدت أشياء رائعة هناك، بيوت فلاحين قديمة، وتأثير ضوء المساء رائع هناك. وفي هذه الحالة ربما أرسل متاعي مباشرة أو أخزنه في مكان ما.

لكنها أيضًا اللحظة المناسبة لإنهاء الإيجار، وعندما تصل رسالتك سأغادر هنا.

وستكون تلك علامة للمرأة أنها ينبغي أن تجتهد. سأضع المزيد من الإعلانات، لكن في اليومين الأخيرين لم يكن يحدث شيء، وأخشى أن تكونا قد غيرتا الخطة بالكامل.

الوداع يا تيو، أتمنى أن تكون الأمور قد ترتبت بالفعل، لأن هذه الأيام صعبة وخيرها قليل للجميع. وأتمنى لك الخير والحظ السعيد، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

أتمنى ألا تكون قد سقطت مريضًا، أنا أيضًا أصبت بالإسهال منذ فترة لكنه توقف. ربما يكون البيض هو أفضل شيء لتقوية المعدة، على الأقل لو كان الضعف هو السبب.

٣٨٤ | لاهاي، الاثنين ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت للتو رسالتك ومائة الفرنك المرفقة. وسوف أغادر غدًا إلى هوجيفين في درينته. ومن هناك سأعطيك عنواني.

فلا تكتب لي على عنواني هنا بعد ذلك أبدا في أي حال من الأحوال. وأقترح عليك أن تكتب كلمتين للعم كور لتخبره برحيلي، فكما قلت أنت، فهناك احتمال أن يكتب لي على هذا العنوان. ولو كان بالفعل قد فعل هذا، فيحسن به أن يطلب من مكتب البريد أن يعيدوا له الرسالة، لأنني لا أعرف بعد تحديدًا ما سيكون عنواني التالي، بإمكاني فقط أن أعلم البريد هنا، أو صاحب البيت لاحقًا.

صديقي رابارد على سفر أيضًا، وهو قد غادر درينته وتقريبا قد بلغ تيرشيلينج. لقد كتب لي من درينته: "إن الريف هنا ذو مزاج جاد، الشخوص تذكرني ببعض الدراسات لك. وبالنسبة للحياة هنا، فالواحد لا يمكن له أن يعيش في مكان أرخص من هذا. وأعتقد أن الركن الجنوبي الشرقي (وهي المنطقة التي في ذهني) هو الأكثر أصالة".

لدي يا تيو بالتأكيد إحساس بالأسى لرحيلي، وبالتأكيد أكثر مما كانت ستكون عليه الحالة لو كنت مقتنعًا بأن المرأة ستكون نشيطة ولم أكن أتشكك في حسن نيتها. على أي حال، أنت تعرف خلاصة الأمر. ومن جانبي، لا بد أن أستأنف نشاطي بسرعة وإلا فسوف أغرق أنا أيضًا بدون أن أفيدها بأي شيء. وحتى تصير هي أكثر نشاطًا وبإرادتها الحرة، أعني بشكل مستمر لا في شكل ومضات خاطفة، فستظل في النقطة المضطربة نفسها، وحتى لو كان لديها بدلًا مني ثلاثة يساعدونها فلن يكونوا قادرين على فعل أي شيء ما لم تتعاون هي بنفسها. ولكن ماذا عن الطفلين اللذين

يتعلق بهما قلب الواحد؟ لا أستطيع أن أفعل أي شيء لهما، ما لم تكن هناك إرادة عند المرأة.

لن أواصل رثاء الحال، إذ لا بد أن أستأنف النشاط رغم كل شيء.

حسنًا، كي أكون مطمئنًا لم أجرؤ على أخذ ألوان معي، لأنه سيتعين عليّ هناك أن أدفع مقابل أشيائي عندما تصل، ثم هناك السكن وبعض نفقات السفر الإضافية. ولكن لو كنا محظوظين بما يكفي فنحصل على شيء من العم كور، وقد انتقيت بعض الأشياء وأرسلتها كطرد بالبريد. وكلما حدث ذلك أسرع كان أفضل. فلو سمعت أي شيء، فاكتب لي بمجرد أن تعرف عنواني هناك، وبالطبع أنا أوافق على الترتيب المقترح (فيما يخص السداد الجزئي لمائة الفرنك)؛ وبكل جدية، لو كنت مفلسًا، فانتظر حتى تستطيع إرسال ما قد نأخذه منه.

أنا عن نفسي، أعتقد أن العم كور قد لا يفعل أي شيء على الإطلاق.

وعلى أي حال، يا شقيقي، فقد كان موفقًا وصائبًا منك أن ترسل إلي هذا في الحال. لأنني الآن سأكون هناك وأستطيع أن أعرف أوضاعي، وسنستطيع بالتأكيد التدبر حتى لو لم نحصل على أي معونة. فأشكرك على هذا، وأعتقد أنها ستكون خطوة جيدة. وخطتي هي أن أبقى هناك حتى تأتي أنت إلى هولندا العام القادم، على سبيل المثال. لا أريد أن أفوت رؤيتك وقتها. ولكن بهذه الطريقة سأرى كل المواسم تمر وستكون عندي فكرة عامة عن طبيعة الأشياء في تلك المنطقة.

لقد تجهزت بجواز سفر داخلي صالح لمدة اثني عشر شهرًا. وبموجبه فلدي الحق أن أذهب أينما أشاء، وأن أبقى في مكان واحد الفترة التي أريدها.

وأنا سعيد جدًا لأن بإمكاني تحقيق تقدم، ففي هذا الطريق نساعد أنفسنا؛ ولهناك أنا أرصد خمسين فرنكا للسكن والإقامة والباقي للعمل، وذلك فرق كبير عما كنت أستطيع أن أفعله هنا بالظروف نفسها. فحتى لو لم نتلق عونًا من الآخرين، فلن نتعطل.

لحياتي، فلا يزال لدي الكثير لأرتبه اليوم. اكتب رسالةً قصيرة للعم كور. وفي الأيام القليلة القادمة ستستلم مني رسالة بالعنوان الجديد، ربما غدًا مساءً لو الأمور سارت على ما يرام. وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

كتبت لي مؤخرًا: "ربما يكون من واجبك أن تتصرف بشكل مختلف أو شيء كهذا" وهو ما فكرت فيه كثيرًا بعدها مباشرةً، ولأن عملي بلا شك يتطلب خطوة أن أذهب إلى هناك، وأنا أعتبر أن العمل هو واجب مباشر أكثر من المرأة نفسها، وأن الأول لا يجب أن يعاني من جراء الأخيرة. وهو ما كان مختلفًا العام الماضي، حيث من وجهة نظري فأنا الآن بالضبط في نقطة دريتنه. لكن الواحد يعاني من انقسام في الشعور، ويود لو راعى الاثنين، وهو ما لا يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف، بسبب النقود، وأيضًا لأنها لا يعتمد عليها.

٣٨٦ | هوجيفين، نحو الجمعة ١٤ سبتمبر ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أنا الآن هنا منذ أيام، وقد تجولت كثيرًا في الجوار في اتجاهات مختلفة، وأستطيع أن أخبرك أكثر عن المنطقة التي حططت فيها الرحال.

أرفق لك مسودة عن أول دراسة ملونة أجريها عن هذه الناحية من العالم، كوخ على البراري. كوخ مبني فقط من القش وأعواد الخشب. وقد رأيت في الداخل أيضًا ستة من هذا النمط، وثمة المزيد من الدراسات عنها ستتوالى.

أستطيع أن أصف بدقة أكثر كيف تبدو من الخارج وقت الشفق أو بعد الغروب مباشرةً بتذكيرك بلوحة معينة لجول دوبريه أعتقد أنها تنتمي إلى ميسداج، وفيها كوخان يقف سقفاهما المطحلبان بدرجة عميقة مباغتة على خلفية من سماء مسائية باهتة مغبرة.

هكذا هنا.

حسنًا، إن داخل هذه الأكواخ جميل جدًا، مظلم ككهف. تصلح رسوم بعض الفنانين الإنجليز ممن عملوا في المورس في أيرلندا لنقل ما أرصده بشكل واقعي. إن أ. نيو هيويس فعل الشيء نفسه بشكل أكثر شاعرية نوعا ما بحيث تصدم المرء لأول وهلة، لكنها حقيقية جدًا مع ذلك.

لقد رأيت شخوصًا رائعة هنا في القرية، صادمة في تعبيرها عن الوداعة. إن لنهد امرأة على سبيل المثال تلك الحركة المترفعة التي هي النقيض تماما للشهوانية، وأحيانا، لو كان المخلوق عجوزًا أو عليلًا، فهو يثير الشفقة. والأسى الذي يغلف الأشياء هو من طابع صحي جدًا، كما في رسوم مييه.

ولحسن الحظ، فالرجال هنا يرتدون سراويل قصيرة؛ وهي تبرز شكل الأرجل وتجعل الحركة معبرةً أكثر.

ولكي أذكر لك أحد الأشياء العديدة التي أراها وأشعر بها لأول مرة هنا خلال استكشافاتي، سأخبرك كيف يرى الواحد هنا الزوارق التي يجرها الرجال، والسيدات، والأطفال، وخيول بيضاء أو سوداء، محملة بالخث، في منتصف المرج، تماما كتلك التي في هولندا، في الطريق النهري في ريسجويك على سبيل المثال.

إن البراري هنا ثرية جدًا، رأيت حظائر للغنم ورعاة أكثر جاذبية من التي في برابنت. والأفران تشبه بشكل أو بآخر تلك التي لدى تي روسو في "فرن شعبي"، تقف في الحدائق تحت أشجار التفاح القديمة أو بين الكرفس والكرنب.

هناك خلايا للنحل أيضًا، في أماكن كثيرة.

والواحد بإمكانه أن يرى أن كثيرًا من الناس ليسوا على ما يرام، الجو ليس صحيًا تمامًا هنا، فيما أعتقد، ربما بسبب مياه الشرب غير النقية. لقد رأيت بعض الفتيات، لنقل في نحو السابعة عشرة أو أصغر لا يزال بهن شيء جميل جدا ونضر في ملامحهن أيضًا، ولكنه بشكل عام يذوي مبكرًا. وإن كان ذلك لا ينتقص من نبل الهيئة الذي تمتع به بعضهن، والذي يثبت أنه ذابل جدا عندما يرى عن قرب.

هناك أربع أو خمس قنوات للمياه في القرية، إلى ميبل وإلى ديدميسفارت وإلى كوفوردن وإلى هلاندشفيلد.

لو سرت معها فسترى طواحين قديمة مثيرة هنا وهناك، وبيوتًا ريفية، وأحواض بناء مراكب أو أهوسة. والقوارب المحملة بالخث تروح وتجيء باستمرار.

ولأعطِك مثالًا على الشخصية الأصيلة لهذه المنطقة: حين كنت جالسًا أصور ذلك الكوخ، جاء خروفان وعنزة وأخذت في الرعي فوق سطح البيت. تسلقت العنزة السقيفة ونظرت عبر المدخنة. سمعت المرأة شيئا على السقف فهرعت خارجةً وألقت مكنستها على العنزة، فقفزت نازلة كظبية.

إن الضيعتين اللتين كنت بهما في البراري حيث وقعت هذه الحادثة تسمّيان ستويفزاند وزفارتشاب. وقد ذهبت أيضًا إلى عدة أماكن أخرى، والآن تستطيع أن تتخيل كيف بقي المكان هنا لم يطله التغيير، بما أن هوجيفين مدينة في النهاية، فمع ذلك هناك رعاة وتلك الأفران وتلك الأكواخ القشية... إلخ.

أفكر أحيانًا بكثير من الأسى في المرأة والطفلين، لو أنهما فقط في رعاية ما. آه، إنه خطأ المرأة، أستطيع أن أقول غير متجن، لكنني أخشى أن يكون سوء حظها أعظم من ذنبها. عرفت من البداية أن شخصيتها محطمة، لكنني كنت أتمنى أن تعثر على موطئ لقدميها، والآن وعندما أصبحت لا أراها وأفكر في الأمور التي رأيتها فيها، أتحقق بشكل متزايد أنها كانت بالفعل قد قطعت شوطًا في الضياع فلن تفلح في العثور على موطئ لقدميها.

وذلك يجعل شعوري بالشفقة يتعاظم، وإنه لشعور أسيان لأنه ليس بمقدوري أن أفعل شيئا حيال ذلك. عندما أرى امرأة فقيرة في الحقول وطفلها على يديها أو صدرها لا أتمالك دموعي. إنني أراها فيهن، بضعفها وذبولها اللذين يعززان التشابه. أعرف أنها ليست صالحة، وأن معي كل الحق فيما أنا بصدد فعله، فالبقاء معها كان مستحيلًا، واصطحابها معي كان مستحيلًا أيضًا، وما فعلته كان تصرفًا حساسًا وحكيمًا، سمه ما تشاء، لكن هذا لا يغير حقيقة تأثري الشديد عندما أرى مخلوقًا صغيرًا بائسًا ومحمومًا، وأن قلبي ينفطر حينها. كم بالحياة من الحزن. حسنا، لا ينبغي أن يصير المرء كئيبًا، وعليه أن ينظر للاتجاه الآخر، والعمل هو الحل الأسلم، فقط توجد لحظات يجد فيها المرء السلام في التحقق ـ وسوء الحظ لن يجتنبني أيضًا. وداعًا، واكتب لي قريبًا، وصدقني.

المخلص دوما،

فنسنت

٣٩٠ | هوجيفين، نحو الأربعاء ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

اخي العزيز،

لأنني بحاجة للكلام بصراحة، فلن أخفي عنك أن شعورًا بالقلق الرهيب يجتاحني، وكآبة وما لا أعرف من الإحباط وحتى اليأس، أكثر مما أستطيع التعبير عنه. ولو لم أجد مواساة، فمن الممكن أن يغمرني ذلك بشكل لا يحتمل.

يضايقني جدًا أن نجاحي مع الناس في العموم قليل جدًا، وأنا معني جدًا بهذا، وخاصةً وأن التعالي عليه والانهماك في العمل هو على المحك هنا.

إن مصير المرأة، ومصير الطفلين بالأكثر يمزق قلبي. ما زلت أرغب في مساعدتهم ولا أستطيع.

أنا في لحظة أحتاج فيها لاستحقاق وثقة وبعض الدفء، وكما ترى لا توجد ثقة فيَّ. وأنت استثناء في هذا، ولكن تحديدًا لأن كل شيء يقع على عاتقك أنت، فذلك يظهر أكثر كيف أن كل شيء محزن في حالتي.

وعندما أنظر لأشيائي، فإني أجدها فقيرة جدًا، وغير ملائمة، ومستنفدة تماما. لدينا الآن أيام مطيرة ومظلمة هنا، وعندما أذهب إلى ركن العلية التي استقررت فيها فإن كل شيء يبدو كئيبا هنا. بالضوء الساقط من نافذة علوية في السقف على علبة ألوان فارغة، وحزمة من الفُرَش ببعض الشعيرات المتبقية فيها، حسنا إنها كئيبة للدرجة مثيرة لكن لحسن الحظ فبها أيضًا جانب طريف لا يجعلك تنتحب بسببها لكن تنظر إليها بمرح. ولكن مع ذلك فإنها على علاقة غريبة بخططي، على علاقة غريبة بجدية العمل، وهنا يتوقف الضحك.

ماذا أيضًا في استطاعتي أن أفعل؟ لقد انتهى العام الماضي بعجز أكبر حتى مما أخبرتك عنه، لأنني كنت قد دفعت أكثر مما قلته لك، ومن ضمنها لرابارد، ومع

ذلك ما زلت مدينا لرابارد، وذلك يقلقني جدًا لأنه صديق، وعلى الرغم من أني في هذه اللحظة قد سددت كل شيء مستحق بشكل عاجل فأنا أواجه مشكلة أنني ما زلت مطالبا بسداد أشياء أخرى قبل الألوان التي ينبغي أن أشتريها، والتي لا أجرؤ بالأحرى على أخذها بالأجل، لأنها ستكلفني هكذا أكثر مع الوقت. تعرف بنفسك أننا لم نكن في مزاج لتبادل الكثير من الكلام في أثناء زيارتك، لكنني سأخبرك الآن، لقد كانت لاهاي كثيرة عليّ، وأنا أرجأت الانفصال عدة مرات لسبب واحد محدد، حتى لو كان العجز لا يمكن تفاديه لو استمررت. وقد كان، عوضًا عن الانفصال، كنت لأجازف بمحاولة أخيرة بزواجها والذهاب للعيش في الريف معها بعد أن أخبرك طبعًا إلى أين وصلت الأمور. لكنني أعتقد في شيء واحد، أن هذا هو المسار الصحيح، حتى على الرغم من العوائق المالية المؤقتة، وهذا لم يكن مجرد خلاص لها فقط لكنه أيضًا كان نهاية لصراع عظيم بداخلي، وهو ما تضاعف الآن بالنسبة لي مع الأسف. وكان حريًا بي أن أستشرف النهاية المريرة.

ولو كنت أنت أو أبي قادرين على الشعور بها هكذا، لا أقول إنني كنت سأكون سعيدًا أم لا نتيجة لهذا، ولو كانت الأدوار قد تبدلت، أنت في مكاني وأنا في مكانك، فلا أعرف إن كنت سأكون قادرًا على التصرف بشكل مختلف عما فعلت أنت، ولكن ربما، لكانت نجحت بسبب ذلك. ولهذا فأنا أعتبر أن القرار يتوقف عليّ لا عليكما (باستثناء أنه لا يمكنني أن أعطي لنفسي موافقة أبي على الزواج، هذه النقطة الوحيدة التي ليست في مقدوري، وفي إجابته عن سؤالي المحدد كانت ردود أبي عمومية ولا توجد بها إشارة للموافقة)، وهكذا اتخذت قراري، لأنني كنت مدينًا بالفعل والمستقبل مظلم. لكن هذا القرار ليس نافعًا بعد، وهو لم يمحُ إرهاق عامين وما استجلباه من هموم، فيما بقيت أنا بقلب جريح وشعور بالخواء والإحباط والأسى لن يشفى بسهولة. قد أكون هنا الآن، وقد أكون تجاوزت العجز المالي تقريبا، وفي القريب قد أتجاوزه تمامًا، والطبيعة رائعة هنا وقد فاقت خيالي. وإن كنت لا أزال بعيدًا عن الاستقرار المريح والانطلاق، لأن اللمحات القليلة التي أعطيها لك عن العلية التي أسكنها مرسومة من الحياة.

لو كنت أعرف كل هذه الأشياء مسبقًا، لكنت انتقلت إلى هنا العام الماضي مع المرأة بعد خروجها من المستشفى، ولما كان قد حدث العجز المالي ولما كنا افترقنا الآن، فهي ليست مذنبة في أعمالها المشينة بقدر ما هو ذنب عائلتها، التي تآمرت بشكل حقير يبدو لصالحها ظاهريا فيما هو ضدها فعليًا، كنت أتساءل أحيانا إن كانت الأم نفسها مدعومة من كاهن ما، لأن ما فعلوه من جانبهم للتأثير على المرأة أكثر مما أستطيع شرحه. وخاصة أنني لم أسمع شيئا منها، على الرغم من أني قلت لها قبل أن أغادر إنني سأعطي عنواني لجاري النجار بمجرد أن أعرفه؛ وقد أرسلته إليه وطلبت منه أن يعطيها إياه، مع ذلك لم أتلق شيئا، باستثناء ما أرسله إلي هذا النجار أنها قد جمعت كل أغراضها (أكثر مما أحضرت معها، في النهاية).

ها أنت تفهم الآن أنني معني بمصيرها، على الرغم من أنني أعتقد أنها لو كانت محتاجة ببساطة لكانت قد كتبت لي، لكن الآن لا بد وأن هناك مشكلة ما. ستفهم شعوري حيال ذلك، فأنا أخشى أن تكون العائلة تقول لها: سيكتب لك بالتأكيد وعندها... سنحكم عليه قبضتنا. أي أن يكونوا باختصار يراهنون على ضعفي، وأنا لن أقع في هذا الشرك. اليوم أكتب -للنجار لا لها هي- لأخبره أن يتأكد أنها تعرف عنواني، لكنني لن أبادر بالكتابة إليها، ولو كتبت هي فسنرى أين تقف الأمور. سأساعدها بكل تأكيد إذا كانت عائلتها قد تخلت عنها تمامًا، ولو كانت عائلتها تساعدها، فسأفهم جيدًا أنها على وفاق تام معهم، وهي كذلك منذ فترة طويلة، وعليه فربما لا أستطيع أن أفعل أي شيء حيال ذلك. وقد فكرت أيضًا، أنه لو هناك كاهن خلف الموضوع، فهي تلقى العون بشرط ألا يكون لها أي علاقة بي، وذلك هو سبب صمتها.

لكنني سأقول إنني لم أستسلم بعد لفكرة الانفصال، وفي الوقت الحاضر أنا معني جدًا بمصيرها، وتحديدًا لأنها تتركني دون أعرف شيئا عنه.

وفوق هذا كله، غمرني في الأيام الأخيرة إحساس كئيب بالمستقبل، وأيضًا حول الحالة البائسة لمعداتي وأدوات التصوير، واستحالة فعل الأشياء الأساسية والمفيدة كما ينبغي لها أن تُفعل.

وبما أنني أستطيع أن أرى مباشرة أن هناك كثيرًا من الجمال هنا، ولو كنت أستطيع تحمل النفقات لأرسلت في طلب أغراضي التي لا تزال في لاهاي، ولجهزت

هذه العليّة نفسها لتصبح مرسمًا (بإتاحة ضوء أكثر داخلها) أو لبحثت عن مكان آخر. ثم كنت سأرغب في تجديد وإكمال معداتي كلها، وأتمنى لو أستطيع أن أفعل ذلك لمرة واحدة بشكل كامل، ولو أستطيع أن أجد شخصًا يثق في إلى هذا الحد فكل همومي ستهدأ. ولكن همومي كلها تقع عليك أنت أو لا أجد أحدًا ليثق فيّ، وهذه هي الحلقة المفرغة التي تدور فيها أفكاري، ولا أرى مخرجًا منها.

إن مصورًا بلا موارد ذاتية لا يمكنه التصرف أحيانا بدون رصيد كبير لدى الناس، وهو رصيد لا تتطلبه فقط مهنة المصور، ولكن مهن الإسكافي والنجار والحداد تتطلبه أيضًا بدورها، فيما أعتقد، لو أرادوا الاستقرار أو إعادة التأسس في مكان ما.

إن يدي مغلولة في الإنفاق، خاصةً في هذا الطقس الماطر والذي سيمتد لشهور قادمة، فماذا غير ذلك يمكن أن أفعل؟ أحيانًا تتبنى أفكاري موضوعًا، لقد عملت وادخرت وما زلت غير قادر على تلافي الديون، كنت مخلصًا للمرأة مع ذلك فقد جوبهت بالخيانة، واحتقرت المكائد وحتى الآن لا يوجد لدي فعليًا أي رصيد أو ممتلكات. أنا لا أنظر لثقتك فيّ باستخفاف، بل على العكس، لكنني بالأحرى أتساءل إن كان ينبغي أن أقول لك: دعك مني فلن نصل لشيء، إن ذلك كثير على شخص واحد وآمل في الحصول على دعم من أي جانب آخر، أليس هذا دليلًا كافيًا أن علينا أن نتوقف؟

آه يا صديقي، لقد أصبحت مكتئبا جدًا. أنا في مكان ريفي رائع، ولدي رغبة، أو بالأحرى حاجة عميقة للعمل، وفي الوقت نفسه أنا في حيرة كيف سنتجاوز ذلك، عندما أفكر أن أغراضي في أكثر الحالات بؤسًا وأنني هنا من دون مرسم أو أي شيء، وسوف أشعر بالحرج في كل مكان حتى أستطيع تحسين الوضع. يرفض الموديلات أن يجلسوا للرسم لو كان هناك أناس في المحيط، وذلك هو أعظم عائق يجعل وجود المرسم أمرًا مرغوبًا. لدي الشعور نفسه الآن مثل وقت تجهيز المرسم في لاهاي. لو لم أفعل ذلك، "فبالتأكيد لن أستطيع إدارة الأمور". وحتى الآن، وفيما يخص لاهاي،

فأنا لا أندم على ما فعلت في تلك الظروف، فقط أتمنى لو كنت قد جئت إلى هنا منذ عام ونصف وجهزت مرسمًا هنا بدلا من هناك.

كتب لي أبي ليقول إنه يريد مساعدتي، لكنني لم أخبره بأي شيء من همومي، وأتمنى ألا تخبره أنت أيضًا. فلدى أبي همومه الخاصة، وستضاف إليه هموم أخرى لو اكتشف أن الأمور لا تسير على ما يرام. فكتبت له فقط أني وجدت الأشياء أفضل مما توقعت، وذلك حقيقي بشكل ما، فيما يخص الطبيعة على الأقل. عندما كان الطقس جيدًا لم أكن منتبهًا للأمور إذ كنت أرى أشياء كثيرة جميلة، ولكن الآن والأمطار تهطل بلا توقف منذ أيام، فأنا أرى على نحو متزايد كيف أني عالق هنا، وأنا متحير. ماذا يمكن أن يفعل؟ هل ستتحسن الأمور مع الوقت أم ستسوء؟ لا أعرف، لكنني أشعر ببؤس حقيقي ولا أستطيع التخلص منه.

في كل حياة ثمة أمطار لا بد أن تهطل
فتصير الأيام مظلمة وكئيبة

هذه حقيقة، والأمر لا يمكن أن يكون غير هذا، ولكنني أتساءل ألا يمكن أن يكون عدد الأيام المظلمة الكئيبة أقل؟ ومع ذلك، فقد كانت لدي موديل مرةً ثانية في مخزن الحبوب، ولكن في ضوء متعب جدًا. وفي النهاية أنا لا أرفض أن أفعل ما يمكن فعله، ولكن ألا يمكن أن أفعل ما ينبغي أن يُفعل في هذه الظروف؟ وهذه الرسالة هي زفرة في الهواء، ولو كان الشتاء مثل هذه الأيام، فسأكون في حال صعب. إن المشهد جميل مع ذلك، جميل بشكل رهيب تحت المطر، لكن كيف يمكن للواحد أن يعمل، وكيف وهو يفتقد للكثير؟ وداعًا يا صديقي، أتمنى أن تصير الأمور على ما يرام، لكننا بحاجة إلى مزيد من الثقة من أناس آخرين، وإلا فإنني أخشى ألا تسير الأمور. أتمنى أن أسمع منك قريبًا.

هل استلمت الدراسات؟
مع مصافحة.

المخلص دوما،
فنسنت

٣٩٢ | نيو امستردام، نحو الأربعاء ٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

هذه المرة أكتب لك من أقصى ما وراء درينته، حيث وصلت بعد رحلة طويلة جدا عبر المروج في الزورق.

لا أستطيع أن أصف لك جمال الريف هنا كما ينبغي، لأن الكلمات تعجز من ذلك. ولكن تخيل ضفتي القناة كأميال وأميال من أعمال ميشيل أو تي روسو، أو فان جوين أو بي كونينك.

سهول منبسطة أو شرائط مختلفة الألوان، تميل إلى الضيق كلما اقتربت من الأفق. ترقشها هنا وهناك بعض الأكواخ أو المزارع الصغيرة أو أشجار بتولا عجفاء، وحور، وبلوط. وثمة أكوام من الخث في كل مكان، والزوارق تبحر باستمرار محملة بالخث أو بالنباتات المائية من الأهوار. وهنا وهناك، ثمة أبقار عجفاء بألوان رقيقة، وأحيانا خراف، أو خنازير. إن الشخوص التي تظهر بين الحين والآخر في السهل عادة لها شخصية عظيمة، وهي أحيانا ساحرة فعلًا. رسمت، بين أشياء أخرى، امرأة في الزورق ترتدي شارة للحداد حول ياقة عباءتها، ثم أمًا مع طفلها الصغير، وهذه كانت تربط منديلًا أرجوانيًا حول رأسها.

هناك الكثير من أنماط أوستاد بينهم، ملامح تذكر المرء بالخنازير أو الغربان، لكن من وقت لآخر تجد وجها كزنبقة بين الأشواك. باختصار، أنا سعيد جدا بهذه الرحلة، فأنا ممتلئ بما شاهدته. كانت المروج جميلة بشكل مبهر هذا المساء. هناك لوحة لدوبيني في أحد ألبومات بوتزل تعبر عن ذلك التأثير بدقة. كانت السماء ليلكية بيضاء برقة، بلا سحب مندوفة، لكنها كانت متصلة ببعضها وتغطي السماء كلها، حزم مصبوغة بالليلكي تقريبا، والرمادي، والأبيض مع فجوة صغيرة يلتمع فيها الأزرق.

ثم مسحة حمراء تتلألأ في الأفق، وتحتها الامتداد البني الداكن للمروج، وحشد من السقوف الواطئة لأكواخ صغيرة تقف على خلفية المسحة الحمراء المتلألئة.

هذه البراري في المساء يكون بها تأثير قد يصفه الإنجليز بقولهم "غريب وطريف". الظلال الناتئة لطواحين الهواء التي تشبه طواحين دون كيخوته وهياكل الجسور المتحركة على خلفية من سماء المساء الزاخرة. إن قرية مثل هذه تكون دافئة أحيانًا في المساء، بأنوارها المنعكسة من النوافذ الصغيرة على المياه أو على الوحل والبرك.

لقد صنعت مزيدًا من الدراسات قبل أن أغادر هوجيفين، ومن بينها بيت ريفي كبير بسقف مطحلب، إذ حصلت على ألوان أرسلها فورنيه، لأنني فكرت في الأمر تماما كما قلت أنت في رسالتك، لأنني بالاطمئنان لاستغراقي في العمل وانهماكي فيه، سيتغير مزاجي، وبالفعل فالأمر أفضل كثيرًا الآن.

لكن في بعض الأوقات –كتلك اللحظات التي تفكر فيها في الذهاب إلى أمريكا– أفكر في الذهاب إلى "الشرق" كمتطوع. لكنها تلك اللحظات السيئة المظلمة عندما تطفى الأمور على الواحد، وأتمنى لو كنت ترى البراري الصامتة التي أراها من النافذة هنا، لأن مثل هذه الأشياء تخفف عن المرء وتهب المزيد من الإيمان والتسليم والعمل الهادئ.

رسمت عددا من الدراسات في الزورق، لكنني سأبقى هنا للتصوير بالألوان. أنا هنا بالقرب من زويلو حيث كان ليبرمان مع آخرين، وفي الجوار ثمة منطقة هنا حيث توجد أكواخ كبيرة قديمة جدًا، لا يوجد ما يعزل مخازن الغلال عن مكان المعيشة. خطتي للأيام الأولى هذه أن أزور تلك المنطقة.

ولكن يا للسكينة، ويا للشساعة ويا لهدوء الطبيعة هنا، الواحد لا يشعر بها حتى يكون هناك أميال وأميال من ميشيل بينه وبين الحياة اليومية.

لا أستطيع أن أعطيك عنوانًا محددًا هذه اللحظة لأنني لا أعرف بالضبط أين سأكون خلال الأيام القادمة، لكنني سأكون في هوجيفين يوم ١٢ أكتوبر، ولو بعثت

رسالتك في التوقيت المعتاد للعنوان نفسه فسأجدها هناك في هوجيفين عندما أصل. المكان الذي أنا فيه الآن هو نيو أمستردام.

استلمت حوالة بريدية بقيمة عشرة جيلدرات من أبي، وهو ما يعني أنني أستطيع أن أمارس التصوير بالألوان بالإضافة إلى ما استلمته منك. أفكر في الرجوع إلى النزل الذي أقيم فيه الآن لإقامة طويلة لو كان باستطاعتي الوصول إلى المنطقة التي بها الأكواخ الكبيرة القديمة بسهولة من هنا، حيث سيكون لدي ضوء ومساحة أفضل هنا. وبالنسبة لتلك اللوحة لذلك الرجل الإنجليزي عن القطة الرفيعة والتابوت الصغير، وعلى الرغم من أن الفكرة جاءته في البداية في تلك الغرفة المظلمة، كان سيجد صعوبة شديدة في تصويرها بالمكان نفسه، فعادة الواحد يعمل بخفة شديدة إن كان جالسا في غرفة شديدة الإظلام، حتى إذا أخذها في مكان مضيء فهو يرى أن كل الظلال ضعيفة. لقد جربت ذلك مؤخرًا فقط عندما صورت بابًا مفتوحًا والمنظر من خلاله على حديقة من داخل مخزن الغلال.

حسنًا، أردت فقط أن أقول لك إنني سأكون قادرًا على تجاوز تلك العقبة، لأنني أستطيع الحصول على غرفة هنا بضوء جيد وحيث يمكن أن يكون بها فرن في الشتاء. والآن يا صديقي، إذا كنت قد توقفت عن التفكير في أمريكا، وأنا عن هاردرفيك، فأرجو أن تسير الأمور من نفسها. وأقر بأن تفسيرك لصمت سي إم قد يكون صحيحًا، ولكن عدم الاكتراث قد يكون متعمدًا أحيانًا.

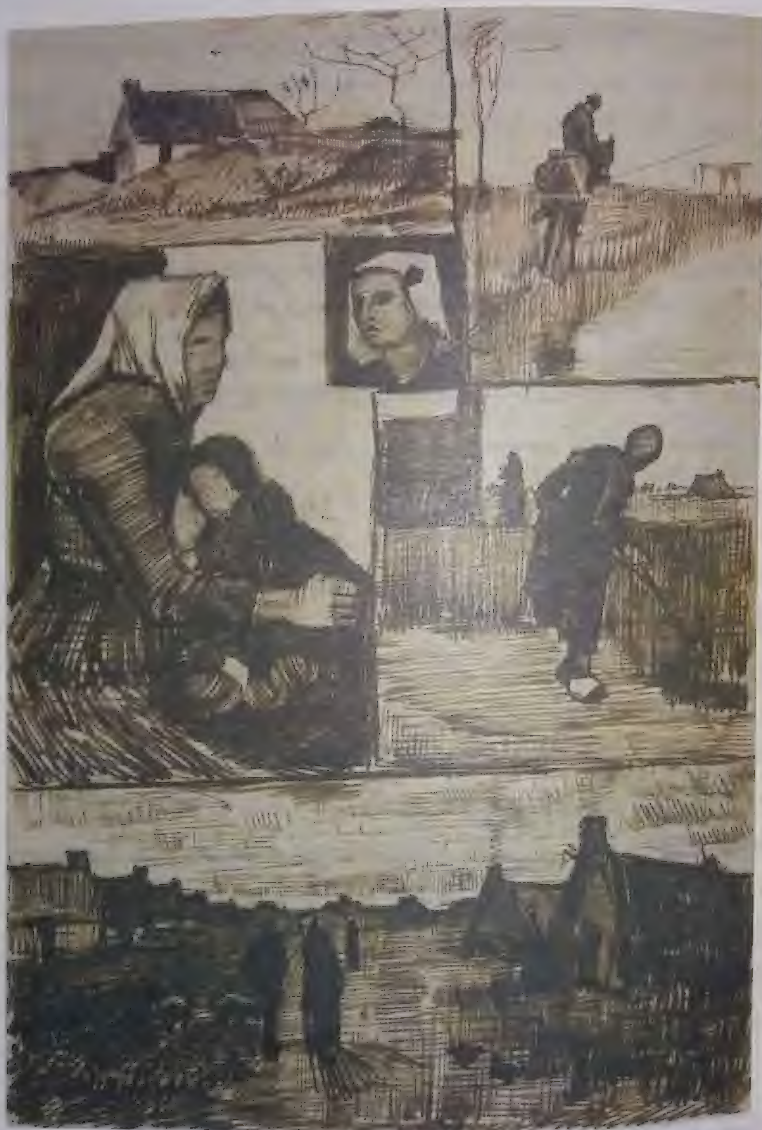
ستجد بعض المسودات في ظهر الورقة. أكتب لك على عجالة، فالوقت متأخر.

كم أتمنى لو كنا نستطيع أن نتمشى معًا هنا ونرسم معًا، أعتقد أن الريف هنا سيكسب قلبك ويقنعك. وداعًا، أتمنى أن تكون بخير وأتمنى لك حظًا سعيدًا. فكرت بك كثيرًا في هذه الرحلة. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

(sketch A-F)



(من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل) مزرعة، راكب بجوار مجرى الماء

٣٩٤ | هوجيفين، الاثنين ١٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

أخي العزيز،

استلمت رسالتك للتو. قرأتها وأعدت قراءتها باهتمام، وقد اتضح لي شيء طالما فكرت بشأنه دون أن أعرف ما الذي أفعله حياله. وهو أننا، أنا وأنت لدينا شيء مشترك وهو وقت هادئ لرسم طواحين هواء مستحيلة وما إلى ذلك، وحيث يكون للرسم علاقة فريدة بعاصفة الفكر والطموحات. ولكن هباءً، لأن لا أحد ممن يمكنهم تسليط الضوء مهتم بذلك (إن مصورا هو فقط من سيكون قادرًا على مساعدة المرء على الطريق الصحيح، وأفكارهم في مكان آخر). إن ذلك لصراع داخلي عظيم، وهو ينتهي بالإحباط، أو بإلقاء مثل هذه الأفكار في البحر باعتبارها غير عملية، وتحديدًا عندما يكون المرء في العشرين أو نحو ذلك، فإنه يكون مولعًا بفعل ذلك. وأيا كانت حقيقة الأمر الذي قلته فإن شيئا غير متعمد ساهم في إلقاء تلك الأمور في البحر؛ في تلك اللحظة ربما كانت أفكاري مطابقة لأفكارك، أي أنني رأيتها كشيء مستحيل، ولكن فيما يخص الصراع اليائس دون بصيص ضوء، فأنا أعرف أيضًا، كم هو فظيع. فالواحد لا يستطيع أن يفعل أي شيء بكل طاقته ويعتقد في نفسه الجنون، وما هو أكثر من ذلك. عندما كنت في لندن، كم كنت أقف على ضفة التيمز وأرسم وأنا في طريقي للبيت من ساوثهامبتون ستريت في المساء، وكانت النتيجة فظيعة. لو أنه كان ثمة من يقول لي ما هو المنظور، لكنت تلافيت الكثير من البؤس، ولكنت في مكان أفضل الآن. حسنًا، ما حدث قد حدث (بالفرنسية). ولم يحدث ذلك وقتها، كنت قد تكلمت مع تايس ماريس في بعض المناسبات (لم أجرؤ على التحدث مع بوتون، لأنني كنت أشعر باحترام بالغ له في حضوره) لكنني لم أجد في ذلك ما يعينني في الأشياء الأولية، في الأبجديات.

دعني أكرر لك الآن أنني أومن بك كفنان، وأن ما زال بإمكانك أن تصبح كذلك، والحقيقة أنك لا بد أن تفكر بهدوء وفي القريب إن كنت كذلك أم لا، هل

ستكون قادرًا على إنتاج شيء أم لا وهل تعلمت التلفظ بهذه الأبجدية، ثم أمضِ أيضًا وقتا في السير عبر حقول القمح وفي السهوب، حتى تجدد مرة أخرى ما قلت عنه بنفسك: "كنت جزءا من الطبيعة، والآن لم أعد أشعر بهذا أبدًا". دعني أخبرك يا أخي، أنني أنا نفسي قد شعرت بعمق، وبعمق جدا بما قلته هذا. إذ مررت بوقت قاحل من الضغط العصبي، عندما كانت هناك أيام لم أكن أرى فيها الجمال في أكثر المناظر الريفية جمالًا، وتحديدًا لأني لا أشعر بنفسي كجزء منه. وهذا هو تأثير الأرصفة والمكاتب، والهموم، والأعصاب.

لا تعتبرها مسبة إذا قلت لك الآن إن روحك مريضة في هذه اللحظة، إنها حقًا كذلك، ليس من الطيب أنك لست جزءا من الطبيعة، وأعتقد أن الأولوية لديك الآن أن تجعل ذلك طبيعيًا مرةً أخرى. وأعتقد أنه من الجيد جدًا أنك تشعر بالفرق بين حالتك الذهنية الآن وفي السنوات السابقة. ولا أشك أنك ستوافقني على أنك لا بد وأن تعمل عليها لتعود صحيحة.

أنا لا بد الآن أن أتطلع إلى ماضيّ الخاص لأرى كيف كان الأمر، بقضاء سنوات في تلك الحالة الذهنية الجافة المجدبة ومحاولة النهوض منها، ومع ذلك فإن الأمر يتدهور ويتدهور بدلا من أن يتحسن.

والأمر لم يتوقف فقط على اللامبالاة حيال الطبيعة عوضًا عن الاستجابة لها، ولكن ما كان أسوأ هو الشعور بالشيء نفسه حيال الناس.

وقال الناس إنني جننت؛ وعن نفسي لم أشعر بهذا، ولو فقط لأني كنت أستشعر دائي عميقًا بداخل نفسي وكنت أحاول تجاوزه ثانية، وقمت بكل أنواع المحاولات البائسة التي لم تقد إلى أي شيء، فليكن، ولكن بسبب هذه الفكرة الثابتة بالعودة إلى وضع طبيعي فأنا لم أخلط قط أفعالي اليائسة بالعجلة والتشنج مع نفسي. وعلى الأقل فقد كان شعوري دائمًا "دعني أفعل شيئا، أكون في مكان ما، لا بد أن تتحسن الأمور، سأتجاوز ذلك، ألهمني الصبر كي أتعافى".

أنا لا أعتقد أن شخصًا مثل بوكس، على سبيل المثال، والذي كان قد صار مجنونًا بالفعل، كان يفكر هكذا. وعليه فأنا أقول ثانيةً، لقد فكرت في الأمر كثيرًا منذ

وقتها، في سنواتي مع كل أنواع التشوش، ولم أر أنه كان بإمكاني تحت مثل هذه الظروف أن أكون مختلفا عما أنا عليه.

إنها الأرض التي مادت تحت قدميّ، إنها الأرض التي لو مادت فلا بد أن تجعل المرء بائسًا، كائنا من كان. لقد كنت مع شركة جوبيل وسي لمدة ست سنوات، كنت قد وضعت جذورًا في الشركة واعتقدت -على الرغم من مغادرتي- أن بإمكاني النظر للوراء لست سنوات من العمل الجيد، وأنني لو قدمت نفسي لمكان آخر فبإمكاني أن أشير لماضيّ باطمئنان.

لكن على أي حال، فالأشياء تمت بشكل سريع فلم تؤخذ أمور كثيرة في الاعتبار، أو لم تتم مساءلتها أو التفكير فيها. والناس تتصرف بعشوائية تامة، وبأكثر الانطباعات سطحية. وبمجرد أن غادر الواحد جوبيل وسي فلا أحد يعرف هذه الشركة. إن اسمًا كـ "س" أو "ص" بلا معنى. وعليه يكون الواحد "شخصا بلا موقف". ومرة واحدةً، فجأة، وبشكل مميت، وفي كل مكان - هذا هو الأمر. وبالطبع فلأن الواحد يتمتع ببعض الاحترام للذات فإنه لا يقول أنا كذا أو كذا. والواحد يقدم نفسه إلى أي موقف جديد جادًا على كل الأصعدة، دون أن يقول الكثير، بغرض بلوغ الهدف. حسنًا جدًا، لكن ذلك الـ "شخص بلا موقف"، الرجل القادم من أي مكان، يصبح محل الشك تدريجيًا.

فلتفترض أن صاحب العمل الجديد هو رجل ذو أعمال غامضة جدًا، ولتفترض أن لديه هدفًا واحدًا، "المال". فهل تستطيع بكل طاقتك أن تساعده مباشرة، وفي الحال بشكل كبير في هذا؟ ربما لا، أليس كذلك؟ وهو إن كان يريد المال، المال وبأي وسيلة؛ فأنت تريد أن تعرف المزيد عن تلك الأعمال، وما تراه وتسمعه هو جد مقرف.

ثم ها أنت ذا: "شخص بلا موقف"، ولم أعد بحاجة إليك. أترى، هذا ما أنت تصيره "شخص بلا موقف": فلتذهب إلى إنجلترا، أو لتذهب إلى أمريكا، فلن يفيد ذلك في شيء. فأنت شجرة منبتة الجذور أينما حللت. جوبيل وسي حيث كانت

جذورك منذ وقت مبكر، وعلى الرغم من أن جوبيل وسي قد سببوا لك وبشكل غير مباشر، كل هذا البؤس لأنك في شبابك كنت تعتبرهم الأرقى، والأفضل والأكبر في العالم، G&Cie، هل كنت ستعود لهم ـلم أفعل ذلك في وقتها، لم أستطع– لقد كان قلبي ممتلئًا، ممتلئًا جدًا. لكن جوبيل وسي لا يكترثون لك، ويقولون إن الأمر لم يعد يعنيهم أو شيئًا من هذا القبيل. بسبب كل هذا اقتُلعت جذور الواحد، والعالم يقلب الآية ويقول إنك اقتلعت جذورك بنفسك، إن مكانك لم يعد يعترف بك. لقد شعرت بأسى شديد فلم أستطع أن أفعل أي شيء حيال ذلك. ولا أتذكر أبدًا أنني كنت في مزاج أن أحكي عن ذلك لأي شخص كما أحكي لك الآن. لأنني كنت أعتقد أنهم إذا كانوا قد فعلوها معي، فهم لن يجرؤوا بأي حال من الأحوال على أن يفعلوها معك، ولدهشتي أقرأ الآن في رسالتك الكلمات "عندما تكلمت معهم هذا الأسبوع فقد جعل السادة المهذبون الأمر مستحيلًا بالنسبة لي". أنت تعرف يا صديقي كيف هو الأمر معي، ولكن لو كنت مبتئسا لسبب أو لآخر، فلا تشعر أنك وحيد. فذلك أكثر من أن يحتمله المرء وحده، وإلى حد ما فأنا أستطيع أن أتعاطف معك في هذا الوضع. والآن، اثبت في مكانك ولا تترك الألم يفقدك توازنك. لو كان هؤلاء السادة المهذبون قد تصرفوا بهذا الشكل، فتمسك بكرامتك ولا تقبل الإقالة إلا بشروط تضمن لك منصبا جديدا. هم لا يستحقون أن تفقد أعصابك من أجلهم، لا تفعل ذلك، حتى لو أثاروك. أنا فقدت أعصابي وانصرفت على الفور. لكن وضعي كان مختلفا عن وضعك؛ كنت واحدًا من قليلي الشأن، وأنت واحد من الأوائل، لكن ما أقوله عن انتزاع الجذور فأنا أخشى أن تشعر بالشيء نفسه لو خرجت من هناك، فتعامل مع الأمر ببرود أعصاب شديد، وقف في مواجهتهم ولا تتركهم يدفعونك إلى الخارج دون أن تكون مستعدًا ولو قليلًا لذلك الوضع الصعب للبداية من جديد. واعلم هذا، سواء حدث اقتلاع من الجذور أو عدم تحقيق تقدم ثانيةً، فلا تيأس.

ثم في أسوأ الحالات، لا تذهب إلى أمريكا، لأن الوضع هناك مماثل لما هو عليه في باريس. لا، احذر من بلوغ هذه النقطة التي يقول المرء عندها: سأقلص وجودي؛ لقد حدث معي هذا، وأتمنى ألا يحدث لك. ولو حدث لك، فأنا أكرر، احذر ذلك،

قاومه ببرود كبير، وقل لنفسك: هذه النقطة تثبت لي أنني أنطح في الصخر. وإنه صخر يناسب ثورًا كي ينطحه؛ وأنا ثور أيضًا، لكنني ثور ذكي، أنا ثور بصدد أن يصبر فنانًا. على أي حال، ابتعد قبل أن تهشم رأسك إلى قطع صغيرة، وهذا كل الأمر. أنا لا أقول إن هذا هو ما سيحدث؛ أتمنى ألا يكون هناك أي نطح في الصخر. لكن لنتخيل أن بعد كل هذا هناك دوامة بحرية مع نتوء صخري مصاحب ذي حواف مدببة، حسنا، قد أعتقد أنك ستتفاداها، أليس كذلك؟ أعتقد أنك ستقر بأن تلك الصخور موجودة، بما أنك سحبتني بنفسك من الدوامة عندما كنت قد يئست أن أخرج منها وكانت قواي قد استنفدت في الصراع معها.

أعني، لتجعل لهذه المياه مرفأ متسعا. فقد بدأت في سحبك داخل تلك اللوامة، وأنا لا أقول أكثر مما أنا متأكد منه، إنك لست جزءا من الطبيعة. هل تعتقد أنه من الغريب أن أجرؤ على أن أقول لك: الآن، وأنت في البداية ما زلت، غير المسار قبل أن يمضي الوقت بقدر ما تستطيع لإعادة العلاقة بينك وبين الطبيعة. كلما ظللت في الإطار الذهني لكونك لست جزءا من الطبيعة، ظللت بين يدي عدوك الأبدي (وعدوي أيضًا) الأعصاب. لدي خبرة أكثر منك في الألاعيب التي تمارسها علينا. أنت الآن على وشك الدخول في مياه ستفقدك توازنك، بقدر ما انقطعت صلتك بالطبيعة. اعتبر هذا وبكل برود علامة على الانحراف؛ وقل: لا، ليس بهذه الطريقة إذا سمحت. والتمس شغفًا جديدًا، اهتمامًا بشيء ما؛ فكر على سبيل المثال، أن المنظور يجب أن يكون بسيطًا جدًا، وتوزيع الضوء والظلال أمر بسيط وليس معقدًا. لا بد أن يكون شيئا يتكلم من تلقاء نفسه، وإلا فلن أهتم به. حاول أن تعود إلى الطبيعة بهذه الطريقة.

هل ستصدقني الآن يا صديقي ببساطة عندما أقول لك إنني إذ أكتب لك فأنا أستعيد شيئا مما كنت عليه منذ سنوات خلت. وهو أنني عدت للاستمتاع بطواحين الهواء، على سبيل المثال، وبالتحديد هنا في درينته، فأنا أشعر بشدة كما كنت وقتها، في الوقت الذي بدأت فيه أشعر بالجمال في الفن. ستكون مهيئا لتسمي ذلك مزاجًا عاديًا، أليس كذلك؟ أن تجد المناظر في الخارج جميلة، وأن تكون هادئا بما يكفي لترسمها، ولتصورها. ولنفترض أنك اصطدمت بحائط صخري في مكان ما، ألن تجد

شخصًا في مثل مزاجي الحالي هادئا بما يكفي لتتمشى معه، وتحديدا لتتلهى عن أفكارك، فهذه الأفكار تكسبها العصبية عنصرًا محبطًا. أنت نفسك ولم تتغير بشكل جذري، ولكن أعصابك متوترة بفعل الضغوط. فاعتن بأعصابك، ولا تستهن بها، لأنها تسبب نوبات احتداد عنيفة. حسنا، أنت نفسك تعرف بعض الأشياء عن هذا.

لا تتصرف بشكل خاطئ يا تيو في هذه اللحظة، فأبي وأمي، وويل وماري، وأنا من قبلهم نعتمد على دعمك لنا؛ وأنت تتصور أنك لا بد أن تواصل من أجلنا، وصدقني فأنا أفهم ذلك جيدًا، أو على الأقل أفهمه لدرجة كبيرة. لكن فكر في هذا للحظة. ما هو هدفنا أنا وأنت وأبي وأمي وويل وماري؟ ماذا نريد جميعًا؟ نريد أن نتصرف بشكل لائق، كي نبقى بلا عوز، ونريد جميعًا أن نصل إلى وضع واضح، لا وضع مزيف. هذا ما نريده جميعًا. بالإجماع وبإخلاص، مهما كانت الفروق فيما بيننا. فكيف سنتصرف حيال القدر؟ جميعًا، جميعًا بلا استثناء لنعمل بهدوء، وسكينة. هل أنا مخطئ في نظري للوضع العام بهذه الطريقة؟ حسنًا، فماذا نحن بصدد مواجهته الآن؟ نحن نواجه كارثةً هي إذ تصيبك فهي تصيبنا جميعًا. حسنا، ثمة عاصفة تختمر. ونحن نراها تختمر. وذلك البرق قد يصعقنا. حسنًا، ماذا نحن فاعلون الآن؟ هل بلغنا نهاية حيلتنا؟ لا أعتقد أننا نميل إلى هذه الوجهة، حتى لو كانت بعض الأعصاب التي نملكها جميعًا في أجسادنا، حتى لو كانت بعض ألياف القلب، والأكثر رهافة من الأعصاب، قد تعرضت للصدمة أو عانت الألم.

نحن اليوم على ما كنا عليه بالأمس، حتى لو كانت الصواعق تنفجر أو الرعود تدوي. ألسنا ممن يستطيعون أن ينظروا للأشياء بهدوء؟ هذا هو السؤال ببساطة، ولا أرى سببا يمنعنا من أن نكون كذلك. وما أراه أيضًا هو التالي: أن موقفنا الواحد حيال الآخر هو أيضا مستقيم في هذه اللحظة. وللحفاظ على هذه الاستقامة فمن الأفضل أن تكون العلاقات وثيقة، ومن وجهة نظري هناك بعض الأمور فينا لا بد أن نعمل عليها فيما بيننا.

وفي المقام الأول، سأكون سعيدا لو أن علاقتك بماري وقفت على أقدام راسخة، بعبارة أخرى خطوبة رسمية إن أمكن.

ثانيًا، سيكون من المرغوب بالنسبة لي أن نتفهم جميعًا أن الظروف الطارئة تستلزم أن لا تعد برابنت مغلقة في وجهي. أنا عن نفسي أعتقد أنه من الأفضل الا أذهب إلى هناك حتى يصبح ليس هناك أي خيار آخر، لكن في حالة الطوارئ، فالإيجار الذي أنا مضطر لدفعه يمكن توفيره، حيث لأبي بيت هناك بلا إيجار يدفع.

أنا في مرحلة ربما يكون لدي فيها بعض الدخل من عملي قريبًا. ولو استطعنا الآن تقليص النفقات للحد الأدنى، حتى أقل مما هي عليه الآن، فربما أستطيع أن أربح بدلا من أن أستهلك، وأكون إيجابيا عوضا عن سلبي.

لو أنها مسألة ضرورة أن نكسب، فأنا أستطيع أن أرى فرصة في هذا الطريق. لو أن هناك صبرًا في البيت، التحقق من الضرورات، ولو بالأخص تعلق الأمر بموديلات لي، فحتى العائلة تتعاون في ذلك. وبالنسبة لمسألة الموديلات، فهم لا بد وأن يفعلوا ما أريده، ولا بد أن يكونوا واثقين أن لدي أسبابي لذلك. فلو كان لي أن أطلب من أبي أو أمي أو ليز، اجلس لي لأرسمك، فلا بد أن يحدث ذلك.

لن أطلب أشياء غير معقولة بالطبع. أنت تعرف كيف وصلت الأمور لدرجة أن أغادر؛ كان السبب الرئيسي هو إساءة فهم كل منا للآخر، في كل الأشياء فعليا. فهل نستطيع العيش معًا؟ نعم، لبعض الوقت لو اضطررنا لذلك ولو تفهم الناس في الطرفين أن كل شيء يجب إخضاعه لما تتطلبه القوة القاهرة للظروف. كنت قد تمنيت أن يكون ذلك مفهوما في وقتها، فلم آخذ المبادرة بالرحيل. ومع ذلك عندما طلب مني أن أرحل، غادرت.

على أي حال، أنا أطرح هذا الموضوع لأنني أرى أن الأمور قد تمضي بحيث يتوجب عليك أن ترفع يديك، ولو كان هذا سيساعدني على العيش في البيت لفترة، فأعتقد أننا أنا وأبي لا بد وأن نتوافق على هذا فورًا. وإن بدا أن ذلك غير ضروري، فذلك أفضل. لكنني لا أقول إنني يجب أن أكون في درينته؛ فالمكان ليس هو أهم شيء.

فكن على علم أنني في هذا الصدد سوف أفعل بالطبع ما تراه مناسبًا.

حسنًا، سوف أكتب لأبي اليوم، دون إثارة المزيد من المشاكل، ما يلي فقط: "لو كان تيو يفكر أنه من المناسب أن أقلص نفقاتي إلى الحد الأدنى، وأن أعيش في البيت لفترة، فأتمنى أن يكون لدى كلينا الرغبة في ألا نعرقل الأمر بالشقاق المتبادل، ولكن الصمت على ما قد مضى سيصالحنا على ما تأتي به الظروف". ولن أضيف شيئًا عنك أو عن العمل، وحتى لو حدث وأقمت في البيت فلن أتكلم عنك سوى بطريقة عمومية. وفي الوقت الحالي فأنا بالتأكيد لن آتي على ذكر ماري.

لو كنت قلت يا تيو، من عام مضى مثلا، إنك لن تصبح مصورًا، وإنك ستبقى في مهنتك الحالية، كنت سأكون مضطرا للموافقة، الآن أنا لا أتقبل الفكرة بسهولة. فما زلت أرى تكرار حدوث هذه ظاهرة في تاريخ الفن، أي أن يكون هناك شقيقان مصوران. أعرف أنه لا يمكن التكهن بالمستقبل، على الأقل أنا أقول لك إنني لا أعرف الآن كيف ستصير الأمور. ولكن الحالة بالتأكيد أنني أومن بك كفنان، وقد تعزز ذلك ببعض الأمور التي وردت في رسالتك السابقة.

والآن سأنصحك بشيء ضروري بشكل طارئ، انتبه لأعصابك، واستخدم كل الوسائل لتُبقي نفسيتك هادئةً. واستشر الطبيب يوميًا لو استطعت ذلك، ليس لأن الطبيب يستطيع أن يفعل شيئا حيال ذلك، بقدر ما قد تكون هناك حاجة لذلك، ولكن لأن الذهاب إلى طبيب والكلام معه، سيظهر لك: هذه هي الأعصاب، وهذا هو أنا.

إن المسألة هنا تخص معرفة الذات، وسكينتها، بصرف النظر عن كل الألاعيب التي تقوم بها الأعصاب. واعتبر أن الفكرة في عمومها هي أن تجعل نفسك بمنأى عن تأثيرات الأعصاب. بإمكانك أن تتصرف بحكمة لو نظرت إلى الموضوع بهذه الطريقة أنت بنفسك. أرجو ألا تحدث انقلابًا، وألا تبحث عن سبل جديدة لكسب المال، وأتمنى أن تصبح مصورًا. لو أنك تستطيع برباطة جأشك أن تترك الأزمة التي أحدثها هؤلاء السادة المهذبون عن قصد تمر دون أي تأثير، فتستطيع أن تقول لهم: "بالتأكيد لن أغادر بهذه الطريقة، بالتأكيد ليس الآن، وليس بهذه الطريقة أبدًا". لو أنك تقول لهم: "إن لدي خططًا لكنها ليست ذات طبيعة تجارية، وبمجرد أن تدخل في حيز

التنفيذ فسوف أتقاعد في هدوء؛ وحتى ذلك الوقت، وما دمتم لا تجدون أخطاءً في ما أفعل، فاتركوا الأشياء كما هي، واعلموا أنكم مخطئون في حقي لو كنتم تتصورون أنني قد أغادر لأنكم تجعلون الوضع مستحيلًا بالنسبة لي، أو الانفصال عنكم بأي طريقة غير معقولة. لو كنتم تريدون التخلص مني، حسنًا، فأنا أيضًا أريد التخلص منكم، ولكن بطريقة ودية ومستقيمة، ومن الغني عن القول أنني لا بد وأن أستمر".

على أي حال، حاول أن تجعلهم يفهمون أنك هادئ وبارد، وأنك ستظل هكذا، وفيما لا توجد لديك أدنى رغبة في البقاء معهم، فأنت لن تغادر حتى تجد اللحظة المناسبة لذلك. هذه تبدو لي هي الطريقة الأمثل لمواجهة ما يريدون فعله الآن، ليجعلوا بقاءك مستحيلًا. ربما هم يتشككون أنك قد قمت بالفعل بتأسيس علاقة مع مكان آخر، وفي حالات مماثلة فإن محاولات التخلص من شخص تكون بالفعل قذرة. لو تحولوا للقذارة الآن، فلا حل لذلك، اقطع عليهم الطريق. ربما يكون أفضل شيء هو أن تشرح لهم بهدوء أنك ستتقاعد ببعض الشروط.

وفي الوقت نفسه، أعلمني إن كان ينبغي أن أذهب إلى أهلي لبعض الوقت، فتتحرر من نفقاتي. وثانيةً أقول لك إن أنا وأبي وأمي وويل وماري، وباختصار نحن جميعًا نفكر فيك أنت تحديدًا لا في نقودك. أن تنأى بنفسك هي ليست سوى مسألة أعصاب.

لكن، أصلح، أو حاول أن تصلح العلاقة بينك وبين الطبيعة والناس، حتى لو لم يحدث ذلك مرةً واحدةً. ولو كانت الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي أن تكون مصورًا، حسنا فلتكن حتى لو كنت ترى الكثير من العوائق والمستحيلات.

والآن اسمع، اكتب لي قريبًا جدًا، وكن متأكدًا أنك ستفعل هذا معي، أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت

٤٠٠| نيو أمستردام، الأحد ٢٨ أكتوبر ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

أخي العزيز،

اليوم الأحد وأنت لم تخرج من أفكاري قط. وبالنسبة لهذه الأشياء فقد وجدت مقولة "كلما بقيت هناك أطول، أصابك الملل أكثر" تنطبق بشدة على الوظيفة؛ و"كلما أمتعت نفسك أكثر" تنطبق على التصوير. الإمتاع هنا بمعنى حقيقي من شهوة الحياة، والروح العالية، والطاقة. آه، لقد قلت إننا يجب، بكل الطرق، أن نقبل توم وديك وهاري كما هم، بكل الطرق، فلنفعل ذلك، ولكن بعيدًا عن قبول بعض الأمور كما هي، ألا يوجد شيء عبثي في هذه الأشكال والقناعات، أليست هي سيئة فعلًا؟ إن الحفاظ على حالة معينة يعزز بعض الأعمال القاعدية، النفاق، الذي يتعين ممارسته عن طيب خاطر وبمعرفة ومع سبق الإصرار والترصد. هذا ما أسميه الجانب القاتل، للشعاع الأسود حتى، دع عنك حيث لا يوجد شعاع على الإطلاق.

ولنأخذ مثلا مصوري الباربيزون، أنا لا أفهمهم فقط كبشر، لكن من حيث كل شيء من وجهة نظري، أكثر التفاصيل حميمية، والومضات التي تحمل روحًا وحياة. "أهل بيت المصور" بكل اضرابتها الكبيرة والصغيرة، بكل المصائب، بأحزانها وأتراحها. هناك نوع من النية الحسنة في صالحها، بعض الإخلاص، ونوع من الطبيعة الإنسانية الأصيلة.

وتحديدا بعدم الحفاظ على حالة معينة، أو حتى التفكير فيها، لو أخذت الإمتاع بمعناه الأكثر جدية أي أن "تجده مثيرًا"، من جانبي فأنا أسمي هذا "إمتاعًا"، ثم تلك الحالة "مملة، ومخدرة". هل أقول هذا لأنني أزدري التهذيب أو شيء كهذا؟ على العكس تماما، بل لأنني أعتبر وأحترم الإنسان الأصيل العائش مع الطبيعة -لا من يسير ضدها- كتهذيب. أنا أتساءل، ما هو أكثر شيء يجعلني إنسانًا. يقول زولا: أنا، كفنان أريد أن أعيش الحياة حتى أقصاها، أريد أن أعيش بدون دوافع أبعد، ساذجًا

كطفل، لا ليس كطفل بل كفنان، بنية طيبة، وفيما تنجلي الحياة، فسوف أجد فيها شيئا، وأفعل ما بوسعي فيها.

والآن نأتي إلى المظاهر المعدة سلفًا، الرسميات، كم هي متزمتة فعليًا، وكم هي عبثية، والشخص الذي يظن أنه يعرفها كلها وأن الأمور تمضي كما هو يفكر، كما لو لم يكن هناك شيء ما من الخير العظيم وأيضًا عنصر من الشر في كل شيء في العالم، وهو ما يشعر به المرء كأمر لا متناهٍ ومفارق له، وكبير بشكل غير متناه، وقوته تفوقنا ـ أي خطأ جوهري يرتكبه الشخص الذي لا يشعر أنه ضئيل، الذي لا يتحقق من كونه مجرد نأمة. هل يخسر المرء شيئا بتخليه عن بعض المفاهيم التي طبعت في أذهاننا ونحن أطفال، عن الوضع المتحفظ، بإيلاء الأولوية لسلوكيات بعينها؟ عن نفسي، فأنا لا أفكر إن كنت أخسر أم لا بذلك، ما أعرفه فقط من خبرتي أن هذه الشكليات والمفاهيم لا تصمد، بل هي قاتلة أحيانًا، نعم هي قطعًا سيئة. وقد توصلت لخلاصة مفادها أنني لا أعرف أي شيء، ولكن في الوقت نفسه فالحياة التي نعيشها هي لغز حتى إن نظام "الاحترام" ضيق جدًا بالتأكيد، وعليه فهو بالنسبة لي قد فقد جدارته.

ماذا أفعل الآن؟ والسؤال المألوف هو "ما هي غايتك وما هو طموحك؟" آه، سأفعل ما سأفعل. كيف؟ أنا لا أعرف مسبقًا، هل تعرف أنت يا من تسألني هذا السؤال المتعالي: ما هي غايتك، وما هو طموحك؟ ويقول الناس الآن "أنت تفتقد الشخصية لو لم يكن لك غاية أو طموح". فتكون إجابتي: أنا لم أقل إنني بلا غاية ولا طموح؛ لقد قلت إنني أجده نوعا من التعالي الشديد أن تحاول إجبار شخص على تعريف ما لا يُعرّف.

هذه هي أفكاري عن بعض مسائل الحياة. إن مناقشة الموضوع برمتها هي واحد من الأشياء التي أعتبرها "مملة". عش، افعل شيئا، فذلك أكثر إمتاعًا، وأكثر ايجابيةً.

باختصار. فإن قبول المرء للمجتمع كما هو فيما هو يشعر أنه حر بالكامل، فلا يؤمن بفكره الخاص لكن بـ "العقل"؛ أنا أومن بفكري الخاص لكن لا أخلط ذلك مع

"العقل"، (إن تفكيري إنساني، ولكن العقل إلهي، وهناك صلة بين الاثنين)، وضميري هو البوصلة التي ترشدني في الطريق، على الرغم من أنني أعرف أنها لا تعمل بالدقة الكافية.

ما أردت قوله هو إنني إذ أنظر إلى الأجيال السابقة من المصورين، فأنا أتذكر تعبيرًا قلته أنت، "لقد كانوا مبتهجين بشكل مدهش". والآن أريد أن أقول إنك لو كان لك أن تكون مصورًا، فلا بد أن تفعلها بـ "الابتهاج المدهش" نفسه. فأنت بحاجة إليه كثقل موازن للجانب الكئيب من الموقف. ستفعل الكثير بهذا أكثر من أي شيء آخر. لا بد أن يكون لديك عبقرية ما، وأنا لا أعرف كلمة أخرى لها، وهي المضاد تماما لما يسميه الناس "مضجرًا". لا تقل لي، بالطبع، إن لا أنت ولا أنا نملك هذا. وأقول ذلك لأنني أعتقد أنه ينبغي لنا أن نفعل ما بوسعنا لنصير كذلك، وأنا لا أدعي أننا بالفعل كذلك بشكل كاف حتى الآن. أقول، فلنفعل ما بوسعنا على هذا الصعيد، لأنني أردتُ أن أريك في هذه الرسالة أنك لست مخطئًا من وجهة نظري، وإن كنت أعتقد أنك تفهم ما أفكر فيه حول بعض الأشياء على كل حال. من وجهة نظري أن الخطة ستنجح بكاملها لو استطاعت أن ترتبط ببقائك مع المرأة التي أنت معها.

وذلك لو كنت تشعر أن من طبيعتك وطبيعتها أيضًا تحقيق قدر من المتعة –ابتهاج مدهش– في مواجهة الموقف، مما لا أعرفه من طاقة الشباب المدهشة، وأنا لا أحتسب ذلك ضمن المستحيلات. لقد قلت إنها ذكية، حسنًا، فبإمكانكما أن تفعلا معًا أكثر مما لو كنت وحدك. وفي هذه الحالة، لو أن أناسًا بالأحاسيس نفسها، أناسًا لهم الحظ التعس نفسه، فلا بد أن يوحدوا جهودهم للتكاتف معًا، وكلما كان أكثر كان أبهج.

وأقول، لو تم ذلك، ذلك الارتباط من أجل شق الطريق معًا، فذلك أمر أكبر بكثير من كل الشكليات، ويرتفع عن "وماذا سيقولون".

وأردت أن أقول لك إن الناس هنا لا يبدون لي بغيضين أو كيادين. هناك شيء خيّر هنا، وأعتقد أنك تستطيع أن تصنع ما يلائمك تماما هنا. ثمة مناخ شبابي مدهش هنا.

أعرف أن كل هذه الأشياء لها جوانبها المالية التي لا يمكن تفاديها، ولكن دعنا نوهن ذلك الجانب المالي الذي لا يمكن تفاديه قدر المستطاع، وفي المقام الأول بأن نتوقف عن الرهبة منه، وبأن نشعر أن المرء إذا جلس للعمل بحب، وبتفهم فريد للآخر والعمل معًا ودعم كل منا للآخر، فذلك سيخفف من وزن أشياء كثيرة قد لا تكون محتملة دون ذلك، بل وتغييرها تمامًا أحيانًا. وبالنسبة لي، فلو كان هناك حفنة من الأشخاص ممن يستطيع المرء الكلام حول الفن معهم، لكنت اكتسبت الكثير من أجل عملي، ولشعرت بنفسي أكثر، ولكنت نفسي أكثر. لو كان هناك ما يكفي من النقود تعيننا على الصمود لفترة أولية، وسأكون بصدد المكسب عندما تنفد. وكلما ازداد تفكيري في ذلك، اقتنعت بأن شعوري صائب.

إن قلبك لا يزال في جوبيل وسي جزئيا، لكن جوبيل وسي لا يطلبون ذلك. ويطالبون بأشياء غير معقولة في الثقة المفرطة بهم. في المقام الأول فتلك ضربة كبيرة لك، وشيء يسبب لك ألما داخليًا كبيرًا. فتلك ليست فقط مسألة نقود، فإن قلبك مرتبط بها، إنه وجع قلب. ستجد عملًا مماثلًا بذلك الوجع في القلب، وربما بالنتيجة نفسها ثانيةً. هل يمكن أن يحدث هذا؟ سأخبرك أني أشك في ذلك، فيبدو لي أنك، وأنت لا تزال شابًا جدًا، فلن تكون متهورا لو كان عليك أن تحاجج: لقد اكتفيت من صنعة تجارة الفن لكن ليس من الفن، سأترك التجارة وأتطلع لقلب المهنة نفسه. كان لا بد أن أفعل ذلك في وقته. وكوني تصرفت بشكل خاطئ فذلك كان قصورًا في وجهة النظر، وهو مفهوم ربما، لأنني لم أكن أعرف وقتها كيف هي الأمور فيما يخص التدريس أو التبشير الإنجيلي، لم أكن أعرف شيئا عنهما، وكانت لدي صورة مثالية عنهما. ستقول، ألا يمكن أن يخلق الواحد صورة مثالية عن الفن لا تصمد أمام الوضع القائم؟ حسنًا، فلتجب عن ذلك بنفسك؛ وأنا سأجيب عن ذلك بدوري بالتساؤل: هل مدرسة الباربيزون، والمدرسة الهولندية للمصورين حقيقة أم لا؟ وأيا كان عالم الفن، فهو لم يفسد. وعلى النقيض فإنه يصير إلى الأفضل والأفضل، وهو ربما بلغ بالفعل أعلى قممه، وعلى أي حال فنحن سنظل قريبين جدًا منه، وما دمنا أنا وأنت على قيد الحياة، وحتى لو عشنا مائة عام، فسيكون هناك ذوق معين من

طراز أصيل. فلو أراد الناس ممارسة التصوير، فليقبلوا على ذلك جادين. ولو جاءت المرأة، فبالطبع سيكون عليها أن تمارسه أيضًا.

كل امرئ لا بد أن يمارس التصوير هنا. وزوجة رجل من آل فان آيك لا بد وأن تمارسه أيضًا.

وبكل النية الطيبة الممكنة، والفرح، والحماس، لا بد وأن يبدأ المرء بقول: لا أحد منا يستطيع أن يفعل شيئا مع ذلك فنحن مصورون. الفعل يصدر عن نيتنا. هكذا يجب أن تكون الفكرة، فيما يبدو لي. نعيش من يوم لآخر، ولو لم نعمل "كعصبة من الزنوج" فسيكون علينا أن نموت جوعًا ونبدو في أسخف صورنا. لدينا ببساطة نفور هائل من هذا، ويجب أن نكون هكذا، وسنكون. فلا يمكن أن يفعل ذلك أناس يفتقرون إلى ما أسميه الشباب المفاجئ، وفي الوقت نفسه إلى الجدية الجادة حقًا.

أن تضع قلبك وروحك في الموضوع.

والآن، فلو كان تكهنًا فلن أكون قادرًا على التفكير فيها هكذا، لكنها هنا معركة ضد عالم التقاليد والتكهنات. إنها شيء طيب، ومسالم، ومشروع عادل. نحن بالتأكيد سنسعى لكسب عيشنا، ولكن بالمعنى الحرفي للكلمة بالتأكيد. إن النقود تجعلنا باردين ما لم نكن بحاجة إليها فقط لضرورات الحياة. نحن لا نفعل شيئا نخجل منه. نستطيع بصراحة أن نتجول في الريف ونعمل، بما أسماه كارلايل شعورًا ملكيًا تمامًا. نستطيع أن نعمل لأننا مخلصان. نقول، قد أخطأنا ونحن أطفال، وبالأحرى كان علينا أن نفعل ما قيل لنا وقتها، وأن نفعل ما فعلنا لكسب عيشنا. ولاحقًا، حدث هذا وذاك، وخلصنا إلى أنه من المستحسن أن نكون حرفيين. لأن بعض المواقف كانت زائفة جدًا بالنسبة لنا.

لو كنت قد تكلمت مع الناس بشأن ذلك، فأعتقد كانوا لينصحونك جميعهم ضد ذلك، ربما باستثناء المرأة التي أنت معها فقط. لو اتخذت قرارًا لنفسك، فتجنب الناس حتى لا يثبطوا عزيمتك. في تلك اللحظة التي لم يكن المرء قد فصل فيها في عدم

تمكنه، حين كان غير مصقول بعد، كانت كلمة "غير صالح لشيء" كفيلة بإحباطه لمدة ستة أشهر، حتى يتبين له في النهاية أنه لا يجب أن يترك نفسه للتشوش.

هنالك شخصان أعرفهما في صراع عنيف بين "أنا مصور" و"أنا لست مصورا".

أنا ورابارد، وهو أحيانًا صراع مخيف، صراع هو تحديدًا التمييز بيننا وبين من يأخذونه بجدية أقل. وبالنسبة لنا، فنحن نشعر أحيانًا بالبؤس، وعند نهاية موجة من الكآبة يكون هناك القليل من الضوء، القليل من التقدم؛ بعض الآخرين لديهم صراع أقل، وربما يعملون بسهولة أكبر، على الرغم من أن شخصيتهم تشهد تطورًا أقل. ربما لديك أنت أيضًا هذا الصراع، وأقول لك إنك يجب أن تكون حذرًا من مواجهتك لمخاطرة الإحباط من قبل الناس ممن بلا شك لا تعوزهم النية لفعل ذلك.

لو أن هناك شيئًا بك يقول "أنت لستَ مصورًا"، فعندها يا صديقي يجب أن تمارس التصوير، وذلك الصوت سيصمت أيضًا، تحديدًا لهذا السبب. أي شخص يذهب لأصدقائه ليشتكي من مشاكله عندما يشعر بشيء كهذا، فإنه يفقد شيئًا من رجولته، شيئا مما هو أفضل ما لديه. فأصدقاؤك يمكن أن يكونوا فقط من يكافحون هم أنفسهم ضد الشيء نفسه. أيقظ الهمة داخلك باقتدائك بتصرفاتهم.

«sketch A»

لا بد أن يكون المرء واثقًا، ومقتنعًا بأنه يفعل شيئا معقولًا، كالفلاح الذي يقود محراثه، أو كصديقنا في الرسمة، الذي يمهد التربة. لو لم يكن لدى المرء حصان، فليكن حصانَ نفسه. كثير من الناس يفعلون ذلك هنا. لا يجب أن تعتبر هذا تغييرًا، بل اختراق أعمق.

لقد تعلمتَ أن تشاهد الفن عبر السنوات، والآن بما أنك تعرف ما الذي تريد فعله، فلتمض قدمًا. لا تعتقد أن هذا أمر بسيط.

بإمكانك أن تكون حاسمًا، فأنت تعرف ما تريد.



رجل يجر محراث صغير

هنالك قول لجوستاف دوريه لطالما وجدته جميلًا للغاية: "لدي صبر ثور"، أرى فيه على الفور شيئًا جيدًا، ونوعًا من الصدق القاطع؛ باختصار هناك الكثير في هذه المقولة، إنها مقولة فنان حقيقي. عندما يفكر الواحد في أناس ينبع من أذهانهم أشياء كهذه، يبدو لي أن تلك الحجج التي نسمعها طوال الوقت في أوساط تجارة الفن عن "الموهبة" هي مجرد نعيب غربان بشع. "لديّ صبر" كم هذا هادئ وكم هو جليل. ما كانوا ليقولوا هذا أصلا لو لم يكن بسبب نعيب الغربان ذلك تحديدًا. أنا لست فنانًا، كم غليظ هذا، حتى لو اعتقد المرء هذا في نفسه. ألا يجب أن يتحلى الواحد بالصبر، وأن يتعلمه من الطبيعة، من تأمل القمح وهو ينمو ببطء، من نمو الأشياء. أينبغي أن يرى المرء في نفسه شيئًا ضخمًا ميتًا حتى يعتقد أنه لن ينمو؟ هل يحبط المرء بإرادته تطوره الشخصي؟ أقول هذا لأوضح لك لماذا أجد الكلام عن الموهبة وعدمها سخيفًا جدًا.

لكن إذا أراد المرء النمو، فيجب عليه أن يهبط إلى الأرض. فها أنا أقول لك ازرع نفسك في تربة درينته، فسوف تزهر هناك، لا تترك نفسك لتذبل على الأرصفة. ستقول لي إن هناك نبتات للمدينة أيضًا، حسنًا، لكنك كالقمح وتنتمي إلى حقول القمح.

حسنًا، أنا أيضًا أتوقع هذا، ربما لأسباب مالية، إن الوقت الحالي ليس هو الوقت المناسب، لكن في الوقت نفسه ربما تجعل الظروف ذلك ممكنًا. ولو كان هناك شبهة إمكانية، فمن رأيي أنه يجدر بك أن تخاطر. ولا أعتقد أنك ستندم أبدًا. ستطور أفضل ما فيك، وتكون لك حياة أكثر طمأنينةً. ولن يكون أحدنا وحيدًا، سيندفق عملنا معًا. ربما نمر بلحظات مخيفة في البداية، وسنعد أنفسنا لها، وسوف نرتب الأمور بحيث نتحملها، ولن نتراجع. لن ننظر خلفنا ولن نكون قادرين على النظر خلفنا، وسنجبر أنفسنا على التطلع للأمام. ومن المحمود أن نكون وقتها بعيدين عن كل الأصدقاء والمعارف، وأن نخوض المعركة دون أن يرانا أحد، وذلك أفضل، فالآخرون لن يكونوا سوى عائق لنا. نرى النصر أمامنا، ونشعر به داخلنا. سنكون مشغولين بالعمل فلن نكون قادرين على فعل أي شيء آخر سوى التفكير الإيجابي في العمل.

لا أفترض أبدًا، أنني أقول لك شيئًا جديدًا، فقط أطلب منك ألا تسير عكس أفضل ما في ذهنك. فكر في النظر للأمور بنوع من البرود والروح الطيبة بدلا من الكآبة. إني أرى ذلك حتى لدى مييه؛ لم يكن يستطيع التخلي عن روحه الطيبة، وتحديدًا لأنه كان جادًا للغاية. هذا شيء مميز، غير موجود في كل مدارس التصوير، ولكن في مدرسة مييه وإسرائيل وبريتون وبوتون وهيركومر، والعديد من الآخرين. وباختصار، فإن أولئك من ينشدون البساطة الشديدة فهم بسطاء هم أنفسهم، ورؤيتهم للحياة مليئة بالنية الحسنة والروح الطيبة، حتى لو كان حظهم تعيسًا.

فكر في هذه الأشياء، واكتب عنها. لا بد وأن تكون هناك ثورة، لأن ذلك ضروري الحدوث، وهي أكثر الأشياء بداهة في العالم بالنسبة لي ولك، لهذا فأنا أكتب عنها بهدوء، ولا أشك أنك ستفكر فيها بهدوء أيضًا. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٤٠٢ | نيو أمستردام، الجمعة ٢ نوفمبر ١٨٨٣

إلى تيو فان جوخ (D)

اخي العزيز،

أردت فقط أن أخبرك عن رحلة إلى زويلو، تلك القرية التي أقام فيها ليبرمان فترة طويلة وصنع بها دراساته عن لوحته الأخيرة "المرأة التي تغسل" والتي عرضت في الصالون الأخير.

وحيث قضى تير موبلين وجول باخويزن أيضًا بعض الوقت.

لتتخيل رحلة عبر السهوب في الثالثة صباحًا على عربة مفتوحة (ذهبت مع الرجل الذي أقيم عنده، الذي كان عليه أن يذهب إلى السوق في آسين). على طول طريق، أو "سد" كما يقولون هنا، مهّدوه بالطين عوضًا عن الرمال. لقد كانت أجمل حتى من الرحلة بالزورق. وعندما بدأ الفجر في البزوغ والديوك أخذت تصيح في كل مكان بالأكواخ المتناثرة في السهب، والبيوت الريفية القليلة التي مررنا بها، محاطة بأشجار حور نحيلة بإمكان المرء أن يسمع صوت تساقط أوراقها الصفراء، وبرج قديم وقصير في فناء كنيسة صغيرة مع دكة من الطين وسياج من الزان، والمنظر المنبسط للسهب أو لحقول القمح، وكل شيء، كل شيء أصبح بالضبط كأجمل لوحات كورو. صمت، وغموض، وسكينة، تمام كما صورها هو فقط.

كان لا يزال الظلام مطبقًا، عندما وصلنا إلى زويلو في السادسة صباحًا. ولقد رأيت كورو الحقيقي في وقت أبكر من هذا حتى في الصباح. إن الرحلة إلى القرية كانت جميلة حقًا. أسقف مطحلبة ضخمة فوق البيوت، وأجران، وحظائر للغنم. إن المساكن هنا متسعة جدًا بين أشجار بلوط ذات لون برونزي رائع. ثمة درجات من الأخضر الذهبي في الطحلب، أو رمادي محمر ومزرق ومصفر وليلكي في التربة، ودرجات من النقاء الذي لا يوصف في خضرة حقول بشائر القمح. درجات من الأسود في الجذوع المبتلة، الواقفة على خلفية من الانهمار الذهبي والمروحي لأوراق الخريف، التي لا تزال عالقة في عناقيد هشة، كما لو كانت قد نفخت هناك، في انسياب يتخللها الشعاع السماوي، على أشجار الحور، والبتولا، والليمون، والتفاح. السماء منسابة وصافية، ومشمة، ليست بيضاء، لكن ليلكية لا يمكن فك رموزها، أبيض يرى المرء فيه دوامات من الأحمر والأزرق والأصفر، تعكس كل شيء ويشعر بها المرء فوقه في كل مكان، وهي مشبعة بالبخار وتتحد مع الضباب الرقيق في الأسفل. وتجمع كل الأشياء في طيف من الرمادي الشفيف.

لم أجد مصورًا واحدًا في زويلو مع ذلك، وقال لي الناس إنهم لا يأتون أبدًا إلى هنا في الشتاء. وأنا أرغب أن أكون هنا تحديدًا في الشتاء. وبما أنه لا يوجد مصورون،

فقد قررت أن أعود سائرًا، وأصنع بعض الرسوم في طريقي، بدلًا من انتظار موعد عودة مالك بيتي.

فبدأت أعمل تخطيطًا لبستان التفاح نفسه حيث صنع ليبرمان لوحته الكبيرة. ثم عدت على الطريق نفسه الذي جئنا عليه. في هذا الوقت، فإن تلك المنطقة حول زويلو تكون مكرسة بكاملها لبشائر القمح، في اتساع، وأحيانا في أرق درجات الأخضر التي رأيتها. وفوقها سماء من الأبيض الليلكي الرقيق الذي يعطي تأثيرًا، لا أعتقد أنه يمكن تصويره، لكن بالنسبة لي فهي درجة قاعدية لا بد أن يعرفها المرء كي يعرف ما هي أساسيات التأثيرات الأخرى.

أرض سوداء، منبسطة، لانهائية، سماء صافية بلون أبيض ليلكي. الأرض تنبت هذا القمح الغض، كما لو كان القمح فطرًا يتكاثر. هكذا هي حقول درينته الجيدة والخصبة، وفي الأساس، الضباب يلف كل شيء. أتذكر "آخر أيام الخلق" لبرايون. جسنًا، بالأمس شعرت أني فهمت مغزى هذه اللوحة.

إن تربة درينته الفقيرة هي الشيء نفسه، فقط فإن الطمي أكثر سوادًا – كالسخام– لا أسود ليلكي كالحقول، ينمو عليها بإفراط وبشكل كثيب الخلنج المتخثر دومًا والخث. أرى ذلك في كل مكان. تؤثر الصدفة على تلك الخلفية اللانهائية: في مستنقعات الخث وأكواخ الطين، وفي المناطق الخصبة، هياكل بدائية لبيوت ريفية وحظائر غنم بحوائط منخفضة، منخفضة جدًا، وأسقف مطحلبة ضخمة. وأشجار بلوط حولها. عندما يسافر المرء لساعات وساعات في المنطقة، فإنه يشعر أن لا شيء هناك سوى الأرض اللانهائية، والقمح أو الخلنج، وتلك السماء اللانهائية. تبدو الأحصنة والبشر صغارًا كالبراغيث وقتها. ثم يتوقف المرء عن الشعور بأي شيء، مهما كان حجمه، وهو يدرك فقط أن هناك الأرض والسماء.

ومع ذلك، في مقدرة المرء كبقعة صغيرة تشاهد بقعًا صغيرة أخرى، أن يترك اللانهائي جانبًا، فيكتشف أن كل بقعة صغيرة تشبه أعمال مييه. مررت بكنيسة قديمة صغيرة، هي تمامًا، تمامًا ككنيسة جريفيل في لوحة مييه الصغيرة في اللوكسمبورج،

ولكن هنا، عوضا عن الفلاح الصغير والجاروف في اللوحة، فهناك راع مع قطيع من الخراف آتون بطول سياج الشجيرات.

الواحد لا يمتد بصره حتى البحر في الخلفية، ولكن فقط لبحر القمح الفض، بحر الحقول عوضًا عن بحر الأمواج. والتأثير الناتج: هو نفسه. رأيت رجالًا مشغولين جدًا بحرث الأرض الآن، وعربة رمال، ورعاة، وعمال طرق، وعربات سماد. وفي نزل صغير على الطريق رسمت امرأة عجوزًا على دولاب الغزل، رسم تظليلي صغير، كشيء مأخوذ من إحدى قصص الجنيات، رسم تظليلي صغير معتم على خلفية النافذة المضيئة التي نرى من خلالها السماء الناصعة وطريقًا يمر في الأخضر الرقيق وبعض الإوزات تأكل من العشب.

ثم، وعندما يحل الغسق – تخيل هدوء وسلام تلك اللحظة! تخيل! بعدها مباشرة جادة بأشجار حور باسقة مع أوراق الخريف، تخيل طريقًا طينيًا واسعًا، كله من الطين الأسود مع خث لانهائي على اليمين، وخث لانهائي على اليسار، وبعض الخيالات المثلثة لأكواخ طينية، بالالتماع الأحمر للهب يضوي من خلال النوافذ الصغيرة، مع بعض برك الماء القذر المصفر تعكس السماء، وحيث ترقد جذوع السنديان لتتعفن. تخيل تلك الفوضى الطينية في غسق المساء مع سماء شبه بيضاء فوقها، كل شيء أسود على أبيض. وفي هذه الفوضى الطينية ثمة شكل خام لشخص (الراعي)، وحشد من كتل بيضاوية، نصف صوف، نصف طين، تصطدم ببعضها البعض، وتزاحم بعضها البعض (القطيع). تراه قادمًا، وتقف في وسطه، ثم تستدير وتتبع خرافه.

بصعوبة وبلا حماس تتقدم على الطريق الطيني. لا تزال المزرعة في البعيد، بعض الأسقف المطحلبة وأكوام من القش والخث بين أشجار الحور. وثانيةً تبدو الحظيرة كظل معتم ومثلث. ظلام.

يقف الباب مفغورًا باتساع كمدخل كهف مظلم. ويبرق الضوء من السماء عبر الشقوق في الحواف الخلفية. وتغيب القافلة كلها بكتلها الصوفية والطينية في الكهف، ويغلق الراعي ومعه امرأة تحمل فانوسا الباب خلفهم.

إن عودة القطيع في الغسق كانت هي خاتمة السيمفونية التي استمعت إليها بالأمس.

مضى ذلك اليوم كحلم، وكنت منغمسًا في تلك الموسيقى التي تفطر القلوب طوال اليوم حتى إنني نسيت أن آكل أو أشرب بالمعنى الحرفي لا المجازي – تناولت شريحة من الخبز الفلاحي الخشن وكوبًا من القهوة في النزل الصغير الذي رسمت فيه دولاب الغزل. كان اليوم قد انتهى، وكنت قد نسيت نفسي مع تلك السيمفونية من الفجر حتى الغسق، أو بالأحرى من الليلة الفائتة حتى الليلة التالية. عدت إلى البيت، وفيما أنا جالس بجوار النار، انتبهت إلى أنني جائع، ووجدت أنني جائع بشكل فظيع. لكن هذا هو الحال هنا. يشعر المرء كما لو كان في معرض به مائة لوحة عظيمة مثلًا. فما الذي يجعل الواحد يخرج من يوم كهذا؟ بعض التخطيطات الصغيرة، فيحصل الواحد على شيء آخر منه، أيضًا ـ عشق هادئ للعمل.

قبل أي شيء، اكتب لي قريبًا. اليوم الجمعة، ورسالتك لم تصل بعد؛ أتطلع لوصولها بلهفة. ستستغرق وقتًا لتتغير، إذ لا بد أن تعود إلى هوجيفين ثانية، ثم إلى هنا ثانيةً. لا ندري كيف ستسير الأمور، ولكن بخلاف هذا أقول لك الآن، إن أبسط شيء يمكن هو أن ترسل إلي النقود مرةً في الشهر. وعلى أي حال، اكتب لي ثانيةً قريبًا. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٤٠٨ | نيو امستردام، السبت أول ديسمبر ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك وعلى المرفق بها. إن رسالتك تفسر لي صمتك.

أنت اعتقدتَ من "أشعر أني كنت فائرًا"، أنني أوجه إليك "إنذارًا أخيرًا"، بالطريقة نفسها التي كان العدميون، لنقل، يرسلونها إلى قيصر روسيا. حسنًا، فلحسن حظي وحظك، فلا يوجد شيء هنا شبيه أو مماثل.

وعلى أي حال، أنا أفهم تأويلك الآن وأنا أعلم ما هو، لكن كان لا بد أن أعرف. وبدايةً فقد قصدتُ شيئًا مختلفًا، وهو ببساطة "لن أرغب في الازدهار إذا كانت النتيجة هي أن تذبل أنت؛ لن أرغب في تطوير ما هو فني بداخلي إذا كان يتوجب عليك أن تقمع ما هو فني فيك من أجلي. ولن أؤيد أن تقمع الفني بداخلك لأجل أي شخص كان، حتى لو كان أبًا، أو أمًّا أو شقيقةً أو شقيقًا أو زوجةً". هذا هو ما كنت أعنيه، وربما عبرت عنه بعصبية وبكلمات غير مناسبة، وقطعًا لم يكن هناك المزيد أو أي شيء آخر وراءها أكثر من هذا. أنت تفهمها جيدًا الآن، أليس كذلك؟

وبالنسبة لما كتبته في رسالتي الأخيرة، فقد نشأ من صمتك، وهو لغز غامض بالنسبة لي، وما من شيء فسره لي حتى عرفت ما الأمر. لدي إجابة بالفعل على ما يخص ماري من قبل أن أتلقى رسالتك، وذلك ببساطة لأنني تذكرت ما كتبته لي في الماضي عن مقابلتك معها، وفكرت: أن الأمور لا بد على ما يرام، وأنه لا يمكن أن يكون هناك ما هو خاطئ. وحتى خطابي عن الموضوع كان يقصد: يا أخي يبدو أنك تهملني من دون إنذار؛ لو كنت تفعل ذلك عن قصد، فسيكون ذلك غدرًا من وجهة نظري، لكنني لا أستطيع أن أفكر هكذا، "ففسر لي الأمر". لا شيء أكثر أو أقل من هذا كان وراء الكلام. وبالنسبة لما قلته عن الليدي ماكبث، فأنت أولته تأويلًا

صحيحًا، وكلمحة عامة فهذا لم يكن حتى سؤالًا، لكن فقط ليجعلك تشعر: إما أن تكون هكذا وإما أنها سوء فهم.

كن على وعي يا أخي، بأنني مقطوع الصلة تمامًا بالعالم الخارجي، باستثنائك أنت، فكان ذلك كافيًا لإثارة جنوني إذ لم تصل رسالتك في اللحظة التي كنت فيها في مضيق خطر بعيدًا عن كوني "فائرًا"، وعلى الرغم من أني لم أذكر هذا، لأنني أعتقد أنني بشكل ما فوق الهموم التي تنهش طاقتي، واعتبار ذلك التعذيب مفهومًا، وليكن، وإن كان غير مستحق. وبالنسبة لـ "لن أرغب في الازدهار إذا كانت النتيجة هي أن يذبل شخص آخر"، وهو ما كان يكمن فيما اعتبرته أنت "إنذارًا أخيرًا" سواء أكنتُ في حالة فوران أم "عذاب".

يبدو لي أن استخلاص أنني كنت أتكلم كما لو كنت في حالة "فوران" هو استنتاج سطحي أو متعجل من قبلك، على الرغم من أن ذلك قد يكون في الطريقة التي عبرتُ بها، لأنه لم يكن بالتأكيد ما كنت أشعر به.

أردت فقط أن أخبرك أنني منذ جئت إلى هنا، كان لا بد أن أراعي أن معداتي جاهزة، وأنني قد مارست التصوير، وأنني ذهبت لمشاهدة هذا أو ذاك، وأنني قد دفعت نفقات السكن، وأنني أرسلت شيئًا إلى المرأة، وأنني سددت بعض الديون. كل ذلك يجعلني مفلسًا طوال الوقت، لنتكلم ببساطة. وأضف إلى هذا ذلك العذاب الفريد، الوحدة، وستكون عندها غير قادر على التفكير أن هناك أي احتمال أنني قد أشعر بالفوران في الوقت الحالي، أو أنني شعرت به وقتها.

أقول إنها وحدة لكنها ليست في سلام حتى، لكنها تلك الوحدة التي يواجهها مصور في منطقة معزولة عندما يأخذ كل الناس في التعامل معه باعتباره شخصا مجنونًا، قاتلًا، متشردًا... إلخ. بالتأكيد فإن ذلك قد يكون مضايقة تافهة، لكنها تظل مضايقة. أن تكون غريبًا، فأنت بشكل مضاعف شاذ وكريه، مهما كان الريف محفزًا وجميلًا.

لكنني أرى في ذلك مجرد وقت سيئ لا بد وأن يمر به المرء. وهو شيء لا يستطيع معه المرء أن يفعل شيئا لنفسه، وهو عن موقف الناس الذين يرغب الواحد في استخدامهم كموديلات لكنه لا يستطيع الإتيان بهم.

متأخرًا، أدركت بوضوح كاف كيف وصلنا أنا وأنت لإساءة فهم أحدنا للآخر. كانت هناك لحظة، عندما كنتَ مكتئبًا جدًا، وكتبت لي التالي: إن السادة المهذبين يجعلون الأمر مستحيلًا بالنسبة لي، وأنا أعتقد حاليًا أنهم قد يقبلونني عوضا عن انسحابي (وهي حالتي في هذه اللحظة). وقد قلتَ: "أحيانًا أفكر أني لا بد أن أختفي"، وقد قلتَ، هناك أشياء بخصوص فكرة التصوير أنت لن تعرضها على الأقل.

حسنًا، قلت لك وقتها بصراحة كل أفكاري عن إمكانية أن تصبحَ مصورًا، قلتُ إنك تستطيع أن تفعلها شريطة أن تكون لديك الرغبة في ذلك، وإنني أومن بك كفنان منذ اللحظة التي تمسك فيها بالفرشاة حتى لو لم يؤمن بك أي أحد آخر.

ما قلته عن ذلك، سأقوله لك في المستقبل أيضًا لو واجهت حظا سيئًا أو كارثةً، فما يعيقك الآن عن "التجدد الشامل" هو سوء حظ حقيقي. لو كانت قد ضربتك كارثة، فأنا أعتقد أنك ستصير إنسانًا أعظم كنتيجة لذلك، مع، مع، مع جرح أبدي مؤلم في الوقت نفسه.

سأتوقع منها أن ترتقي بك لأعلى لا أن "تجرك لأسفل"، ذلك الجرح لا تسببه سوى كارثة.

لكن رسائلك اللاحقة اختلفت كثيرًا في نبرتها ومضمونها حتى إنني أقول لك الآن: لو أن سفينتك سالمة، فذلك حسن جدًا، ولتبق فيها.

وأيًا كان، فسأظل أقول لك إن أي كارثة يجب أن تضعك في موضع مختلف في علاقتك مع المجتمع. لو حدث ذلك أصلًا، فسأقول بخصوص هذا: اجعلها كعلامة لك لتحدث تغيرًا كاملًا في المهنة، عوضًا عن أن تبدأ من جديد في عمل الشيء نفسه.

لكن ما دمت لديك سفينتك، فأنا لن أنصحك بأن تخرج للبحر بقارب صيد، على الرغم من أني لا أتمنى أن تعود سفينة جوبيل وسي، بقدر ما أنا معني بشكل شخصي. في ذلك الوقت فكرت، بحق الرب، كارثةً، لتفعل أسوأ ما تستطيع!

في البداية لم أفهم تغير النبرة في خطاباتك. والآن عندما أعود لتلك الأيام، فأعتقد أن رسالتك الأسيانة والمؤثرة جدا بالنسبة لي، قد كتبت في وقت عندما كان السادة في جوبيل وسي مقرفين جدًا معك (وهي لحظة يمكن مقارنتها بما عانيته أنا نفسي)، والآن متأخرًا أدركت، فأنا أقول إنك ترى الآن بشكل مختلف تلك اللحظة التي قلتُ أنا فيها للسادة المهذبين في جوبيل وسي: "لو كنتم تجبرونني على المغادرة، فلن أرفض"، وتلك الأشياء قد هدأت، وربما للأبد، ومع موافقتك -ليكن- فلن أعترض.

حسنًا، لن أسيء فهمك، لأنني أعتقد أن في حالة مماثلة فإن بعض الشروط التي تكون مقبولة حقًا يمكن إسقاطها، وأعتقد أنك ما كنت لتقبلها لو كان هناك شيء غير شريف في قبولها. ولكن لماذا أقول شيئًا من قبيل "لو بقيت فسوف أرفض دعمك المالي"، هل لأنك قلتَ "دعني أبقَ حيث أنا، فأنا لا بد أن أعتني بأبي وأمي وويل وماري" وأنا أيضًا (على الرغم من أنك لم تذكرني). وإنها للباقة منك ألا تذكرني، وكان لا بد أن أرد بلباقة أنا أيضًا "أنا لا أريد هذا"، أنت تضحي بنفسك ببقائك هناك ضد رغبتك من أجل الآخرين. وهاك ما اعتبرته أنت "إنذارًا أخيرًا".

لو بقيت هناك لأن "لديك متعة متجددة في ذلك"، فذلك خير من وجهة نظري، وأهنئك على سفينتك المجددة، على الرغم من أنه من ناحيتي أنا فأنا لا أرغب في العودة إليهم.

ما كتبته عن سيريه مثير جدًا بالنسبة لي. فرجل كهذا ينتج أشياءَ تمس شغاف القلب كثمرة لحياة شاقة وصعبة لهو ظاهرة كالبرقوق البري، أو بالأحرى كشجرة تفاح عجوز كثيرة العقد تزهر فجأة زهورًا هي من أرق وأنقى الأشياء على الأرض.

عندما يزهر رجل خشن، فهو مشهد جميل حقًا، لكنه كان عليه أن يحتمل شتاءات كثيرة قارسة البرودة قبل ذلك، أكثر حتى مما يعرف المتعاطفون معه لاحقًا.

إن حياة الفنان وماهيته، لهي أمر مثير للفضول، إلى أي حد هي عميقة، بشكل لا نهائي.

وبسبب صمتك، غير المفسر بالنسبة لي، ولأنني أيضًا ربطته بمعاودة المشاكل مع السادة المهذبين، ولأنني من جهتي كنت مثقلًا جدًا بسبب عدم ثقة أصحاب السكن، فقد أرسلت كلمة إلى أبي أنني لم أسمع منك، لم أعرف ماذا أفعل وطلبت من أبي قرضًا. وأضفت أنني كنت قلقًا بخصوصك وبخصوص نفسي، لا سيما عندما كنت أفكر في المستقبل، وتمنيت لو كنا أنا وأنت قد صرنا مصورين منذ صبانا، وحقيقة لا أرى سببًا يمنع أن نكون، نحن الشقيقين، مصورين حتى الآن ولم تعد جوبيل وسي بالنسبة لك كما كانت من قبل. فلو كتب لك أبي عن هذا، فها أنت تعرف السبب، لكنني سأكتب له بنفسي (لم أتلق منه ردًا بعد) لأقول إن رسالتك الأخيرة أوضحت لي أن جوبيل وسي ستظل هي نفسها. أقول هذا لك، لا لأبي، بما أن تلك الشركة تمارس تأثيرًا مركبًا بشكل غريب من الخير والشر على عائلتنا؛ خير بالتأكيد على كل حال لأنها تجنبنا الكثير من الركود (والشر ليس موضوع مساءلة الآن).

وأن قلبي يشعر بالمرارة من تلقاء نفسه هو أمر تتفهمانه كلاكما من وجهة نظري، وعليه فسوف تسامحانني على ذلك.

أنت من قال "إنذار أخير" لست أنا (وعلى الأقل مقصدي كان مختلفًا تمامًا)، ولو أردت تأويله بهذه الصورة، فلن أعترض، لكنني لن أكون البادئ ولم أكن أصلًا، وحاليًا فإن تأويلك يتجاوز مقصدي بمراحل. ربما لن أعارضك ثانية أبدًا كما فعلت في موضوع جوبيل وسي في الماضي، إذا أردت المضي قدما في ذلك.

وسأقول ثانية: أنت من قال "إنذار أخير"، ولست أنا. ولو أردت تأويل كلامي كذلك، فلن أعارض. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

أخي، بعد رسالتك الأخيرة هدأت نوبات قلقي البشعة، أعني أن لدي ثقة كاملة فيك كرجل وفي ماري.

لكنني أعتقد ببساطة أنك ستواجه صعوبات مالية بسبب مجريات الأحداث.

أنصحك بالادخار لو استطعت، أي إذا استطعت أن تبقي شيئا مجنبًا فلتفعل ذلك.

أنا عن نفسي ليس لدي شيء في الوقت الحالي، لكنني سأرى إن كنت سأستطيع أن أجني فائدة ما من بعض خططي، أو إن لم يرغب أحد في المجيء معي إلى درينته لاحقًا، فسوف أرى على الأقل إن كنت سأستطيع أن أجد سلفةً حتى أستطيع الاستقرار هناك. لست متعجلًا، لا شيء لدي.

لقد رأيت كيف أن حالتك المالية متزعزعة منذ فترة طويلة، لديك الكثير مما يثقل كاهلك، تظن الآن أن ذلك سيتحسن في المستقبل، وأعتقد أنك ستجد المستقبل عدائيا في باريس. ومرةً أخرى، لو كنتُ مخطئا فبإمكانك أن تضحك مني وسأضحك أنا بدوري من ذلك. لو أنها فقط أعصابي التي تخدعني، ليكن، فهي أعصابي، لكنني أخشى أن يكون لكم جميعًا شؤم عليك.

سأكون قادرًا على الكتابة لك بهدوء أكثر من الوطن. هناك بالتأكيد مناخ للعمل لي في درينته، لكن من المفضل أن أنظر للأشياء بشكل مختلف منذ البداية وأن أكون أكثر اطمئنانًا لحالتي المادية.

لا بد أن أراقب مصروفاتي بدقة، ففي الوقت الحالي، على سبيل المثال سأقر بوضوح بأنها المرة الأولى التي تتوقف فيها، وأن فرق الخمسة والعشرين جيلدرًا هو شيء قد يربكني ثانية لمدة ستة أسابيع. وأعتقد أنك لا تستطيع أن تتخيل هذا، لا يمكنك أن تعرف أي نوع من المصاعب تتوالى خلف بعضها، إن أتفه شيء قد يجعل الأمر ممكنًا أو مستحيلًا. لا تسِئ فهمي، ولكن صدقني في أنني يجب أن أحاول أن أتخذ خطوات لتحقيق ما أريد. وعلى سبيل المثال، فقد تلقيت مذكرة من صاحب بيتي

القديم، الذي أعطاني انطباعًا بأنه قد يصادر آشيائي التي تركتها هناك (ومن بينها كل دراساتي، ومطبوعاتي، وكتبي، التي بالكاد أستطيع العيش بدونها) لو لم أرسل إليه عشرة جيلدرات كنت قد وعدته بها ثمنًا لغرفة علوية يخزن بها متعلقاتي، وبعض الإيجار القديم الذي كنت مدينا له به لكنني وافقت على ترتيب معين لتخزين أشيائي. ولا بد أن أدفع لأشياء أخرى مع العام الجديد، ما زلت لم أدفع لرابارد، وأحاول التوفير قدر الإمكان. باختصار الأمر لا يشبه أن أكون في عجلة. فالأشياء يمكن أن تظل كما هي في الوقت الحالي. لا بد أن أجد حلًا. أنا لا ألومك بالطبع، ولكن حتى في العام الماضي لم أستطع الاقتصاد أكثر مما فعلت. وكلما عملت بدأب، صرت أكثر انضغاطا. نحن الآن في نقطة أقول عندها: في الوقت الحالي لا أستطيع المضي قدما.

٤١٠ | نيونن، نحو الجمعة ٧ ديسمبر ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

ظللت مستيقظًا الجانب الأكبر من الليل يا تيو بعد أن كتبت لك بالأمس.

أشعر أن قلبي محطم بسبب عودتي الآن بعد غياب عامين، فاستقبالي في البيت وإن كان وديًا وطيبًا كما ينبغي، ولكن في العمق لم يتغير شيء قط مما أسميه العماء والغباء لدرجة اليأس عندما يتعلق الأمر بتفهم الوضع. وهو ما كنا نسير في أفضل دروبه حتى اللحظة التي منعني أبي فيها من البقاء في البيت، ليس فقط بعاطفة ولكن أيضًا "لأنه سئم من هذا". كان واضحًا وقتها أن ذلك كان شيئا مهما جدًا لنجاحي أو عدم نجاحي وأن الأمور صارت أصعب بالنسبة لي عشرة أضعاف بسبب ذلك، لا تطاق تقريبًا.

لو لم أشعر وقتها كما شعرتُ الآن ثانيةً، لما حسبتها نوعًا من الشر وقتها، وذلك على الرغم من النيات الطيبة الآن، وعلى الرغم من الاستقبال الودي، وعلى الرغم من أي شيء، كان هناك نوع من الجمود المعدني والبرود الجليدي، وشيء في أبي يصرّ كالرمال الخشنة أو الزجاج أو الصفيح، وإن بدا لطيفًا في الظاهر. ها أنا الآن مرة ثانية في حيرة لا تُحتمل وصراع داخلي.

أنت تتفهم أنني لم أكن لأكتب كما أكتب، ولم أكن لأتكبد مشقة الرحلة طوع إرادتي، وأكون أول من يبتلع كبرياءه ما لم يكن هناك ما أعانيه.

لو أنني كنت قد رأيت أن هناك نية لأن يفعلوا كما فعل آل رابارد فحققوا أفضل النتائج، وكما بدأنا هنا أيضًا بنتائج جيدة، لو أنني قد رأيت أن أبي أدرك أنه ما كان ينبغي له أن يحظر البيت عليّ، لكنت قد اطمأننت على المستقبل.

لا شيء، لا شيء من هذا كله. لم يكن هناك وقتها، ولا الآن أي أثر ولا أي إشارة على وجود أدنى تشكك لدى أبي في صحة ما فعله وقتها.

إن أبي لا يعرف الندم كما نعرفه أنا وأنت وكل من هو من بني الإنسان. فأبي يؤمن باستقامته الشخصية، فيما أنا وأنت وكل البشرية مسكونون بالشعور بأننا نتكون من الأخطاء والمحاولات اليائسة.

إنني أشفق على الناس من أمثال أبي، لا أجد في قلبي غضبًا نحوهم لأنهم أكثر تعاسةً مني أنا شخصيًا. لماذا أعتقد أنهم أكثر تعاسة. لأنهم يستعملون الخير الذي بداخلهم بشكل خاطئ فيعمل كما لو كان شرًا، لأن النور الذي بداخلهم أسود، ينشر الظلام والعتمة حولهم. إن استقبالهم الودي أشعرني بالكآبة، فبالنسبة لي كانت طريقتهم في بذل قصارى جهدهم، بدون الاعتراف بالخطأ، أسوأ من الخطأ نفسه. فعوضًا عن التفهم اليسير وبالتالي تعزيز سعادتي وبشكل غير مباشر سعادتهم هم أيضًا بدرجة من الحماس، شعرتُ بالمماطلة والتردد في كل شيء، مما شلّ شغفي الخاص وطاقتي كمناخ ملوث بالرصاص.

إن عقلي يخبرني أنني يجب أن أعتبر مسألة عدم الوفاق بيني وبين أبي في أعماق الأعماق كحقيقة إيمانية راسخة. وإشفاقي على أبي وعلى نفسي يقول لي "عدم الوفاق؟ كلا"، حتى النهاية ستكون هناك فرصة، لا بد أن يؤمن المرء بفرصة في المصالحة النهائية. ولكن بالنسبة للفرضية الأخيرة لماذا هي محزنة، ربما هي "وهم"؟

هل تعتقد أنني أبالغ في الأمور؟ إن حياتنا لهي واقع فظيع، ونحن ماضون قدمًا نحو النهاية، وما هو كائن كائن، ووجهة نظرنا، سواء كانت ذات ثقل أم لا، لا تضيف إلى جوهر الأشياء ولا تنتقص منه.

هكذا أفكر في الأمر وأنا راقد يقظًا في الليل، على سبيل المثال، أو هكذا أفكر فيها في أثناء العاصفة في غسق الدجى الحزين في البراري.

ربما أبدو أحيانًا في أثناء النهار في الحياة اليومية غليظًا كخنزير بري، وأنا أتفهم بسهولة هؤلاء الناس الذين يرونني فظًا. عندما كنت أكثر شبابًا كنت أعتقد أكثر بكثير من الآن أن المشكلة تكمن في المصادفات أو في التفاصيل الصغيرة أو سوء التفاهم الذي لا أساس له. لكن مع تقدمي في السن تراجعت عن هذا أكثر فأكثر وصرت أرى لذلك أساسًا أعمق. إن الحياة لشيء غريب يا شقيقي.

بإمكانك أن ترى تأرجح رسائلي صعودًا وهبوطًا، في البداية أظن أنه "ممكن"، ثم أرى أنه "مستحيل". شيء واحد فقط هو الواضح لي، أن هذا لا يحدث بسهولة، كما قلت، وأنه لا يوجد "استعداد". قررت أن أذهب إلى رابارد وأن أخبره أنني أود أيضًا أن أكون في الوطن، لكن على الرغم من مزايا ذلك فهناك شيء ما بيني وبين أبي أخشى أن يكون بلا علاج، وذلك يجعلني غير مكترث وبلا حول أو قوة.

وقد تقرر بالأمس مساء أنني سأمكث هنا لفترة، وفي الصباح التالي، وعلى الرغم من كل شيء، عدنا لنغمة: فلنفكر في ذلك ثانيةً. امض قدمًا، أجِّل ذلك للغد، فكر في الأمر!!! كما لو لم يكن هناك عامان كاملان للتفكير في الأمر، لا بد وأن أكون قد فكرت فيه كأمر بديهي، كشيء طبيعي.

عامان كاملان، وكل يوم هو يوم من الهم لي، ولهم حياة طبيعية، كأن لم يحدث ولن يحدث شيء. إن الحمل لا يثقل عليهم. أنت تقول إنهم لا يعبرون عنه لكنهم يشعرون به. وأنا لا أصدق هذا. أنا نفسي فكرت هكذا أحيانًا، لكنه ذلك ليس صحيحًا.

الناس يتصرفون كما يشعرون. إن أفعالنا، نزوعنا السريع أو ترددنا، هو ما يمكن أن نعرّف به، لا عن طريق ما نتفوه به من كلام، سواء كان وديًا أو غير ودي. فالنية الطيبة، والآراء هي في الحقيقة أقل من لا شيء.

بإمكانك أن تعتقد فيّ ما تريد، يا تيو، لكنني أخبرك أنه ليس ما أتخيل، وأخبرك أن أبي لا استعداد لديه.

أنا أرى الآن ما رأيته في الماضي، لقد هاجمت أبي بحدة وقتها، وسأفعلها الآن على أي حال، وأيا كانت النتائج ضده ثانيةً لكونه بلا استعداد، ولأنه يجعل الأمر

مستحيلًا. إنه لأمر محزن يا أخي، لقد تصرف آل رابارد بذكاء، أما هنا!!!! وكل شيء فعلته أنت أو تفعله من أجل الموضوع، فإن ثلاثة أرباعه يكون غير مثمر بفضلهم. يا له من بؤس يا أخي. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

أنا لا أهتم كثيرا باستقبال ودي أو غير ودي، ما أحزنني هو أنهم غير آسفين عما بدر منهم في الماضي. هم يعتقدون أنهم لم يفعلوا أي شيء وقتها، وهذا بالنسبة لي كثير جدًا.

٤١٣ | نيونن نحو السبت ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

اخي العزيز،

أنا أشعر بما يفكر فيه أبي وأمي غريزيًا بخصوصي (لا أقول عقلانيًا).

هناك نفور من احتوائي في البيت مماثل للنفور من احتواء كلب أشعث كبير فيه. سيقتحم الحجرات بأرجله الموحلة ثم إنه شرس جدًا. سيقف في طريق كل شخص. وسينبح نباحًا عاليًا.

باختصار، هو حيوان قذر.

حسنًا جدًا، لكن لهذا الحيوان تاريخًا إنسانيًا، وعلى الرغم من كونه كلبًا، فإن له روحا إنسانية من طبيعة سامية المشاعر، قادرة على الإحساس بما يعتقده الناس عنه، وهو ما لا يستطيعه كلب عادي.

وأنا باعترافي أني كلب بشكل ما فأنا أقبلهم على ما هم عليه.

هذا البيت هو أيضًا كثير علي، وأبي وأمي والعائلة جميعهم صالحون بإفراط (مع عدم وجود مشاعر مع ذلك) وهم، وهم كهنة، هناك العديد من الكهنة. وعليه فالكلب يعرف أنهم لو كانوا ليقبلونه فستكون تلك مسألة تكرّم منهم، "بتحمله" في البيت، ومن ثم فهو سيرى إن كان سيجد لنفسه عشًا في مكان آخر.

ربما كان الكلب ابن الأب في وقت ما، والأب بنفسه تركه في الشارع كثيرًا، حيث أصبح أكثر فظاظة لا محالة، لكن بما أن الأب نفسه قد نسي منذ سنوات ولم يفكر بالفعل عميقًا فيما يمكن أن تعنيه الرابطة بين الأب وابنه، فلا شيء يمكن أن يقال.

ثم إن الكلب قد يعض، لو جن جنونه، وقد يجيء دركي القرية إلى الجوار ويطلق عليه الرصاص فيقتله. جميل جدًا، كل هذا بالتأكيد حقيقي.

ومن ناحية أخرى فالكلاب حراس. ولكن لا حاجة لذلك، فالسلام يسود، ولا توجد أخطار، لا توجد مشاكل، فيما يقولون. وعليه، فسوف ألتزم الصمت.

إن الكلب ليأسف فقط لعدم بقائه بعيدًا، لأنه لم يكن وحيدًا في البراري كما كان وحيدًا في البيت، على الرغم من كل الود الذي لاقاه. إن زيارة الحيوان كانت ضعفًا أتمنى أن ينساه الناس، وأن يتجنب المرء السقوط فيه ثانيةً.

وبما أنه لا توجد نفقات لدي في هذا الوقت الذي كنت فيه هنا، ولأنني تلقيت نقودًا منك مرتين هنا، فقد دفعت نفقات الرحلة بنفسي وأيضًا دفعت ثمن الملابس التي اشتراها لي أبي لأن ملابسي لم تكن جيدة بما يكفي، وفي الوقت نفسه سددت خمسة وعشرين جيلدرا كنت مدينا بها للصديق رابارد.

أعتقد أنك ستكون راضيًا لأن هذا قد تم، كان يبدو غير مكترث.

عزيزي تيو،

مرفق هنا الخطاب الذي كنت منخرطًا في كتابته عندما استلمت خطابك. والذي بقراءته بانتباه، رغبت في الرد عليك. وسأبدأ بقولي إنه من النبل منك أن تعتقد أنني أعقد الأمور بالنسبة لأبي، لتأخذ جانبه وتوبخني بحدة.

إنني أثمن ذلك فيك، حتى لو كنت ترفع السلاح في مواجهة شخص هو ليس بعدو لك ولا لأبيك، ولكنه يطرح أمامك أنت وأبي مسائل جادة للتفكير فيها. أقول لك ما أقول، وهو ما أشعر به وأتساءل: لَمَ يكون الأمر على هذا النحو؟

وفوق ذلك، فإنه على عدد من الأصعدة، ردودك على فقرات عديدة من رسالتي جعلتني أرى جوانب من المسألة لا آلفها أنا أيضًا. إن اعتراضاتك في جانب منها هي اعتراضاتي أنا أيضًا، لكنها ليس بشكل كاف. ومن ثم فأنا أرى مرة أخرى نيتك الطيبة، وفي الوقت نفسه رغبتك في تحقيق المصالحة والسلام، وهو ما لا أشك فيه حقيقةً. ولكن يا أخي بإمكاني أنا أيضًا أن أسوق العديد من الاعتراضات على نصائحك، فقط أنا أرى أن ذلك من شأنه أن يطيل الطريق علينا فيما يمكننا الاختصار.

ثمة رغبة في المصالحة والسلام لدى أبي ولديك كما لدي. ومع ذلك لا يبدو أننا قادرون على إحلال السلام. وأنا الآن أومن بأنني حجر العثرة، وعليه فلا بد أن أحاول أن أفعل شيئًا حتى لا أعقد الأمور لك أو لأبي ثانيةً.

وأنا الآن جاهز لكي أجعلها أسهل وأهدأ ما يكون لك ولأبي.

إذن فأنت أيضًا تعتقد أنني أعقد الأمور لأبي، وأنني جبان. حسنا، سأحاول إذن أن أحبس كل شيء بداخلي، بعيدًا عنك وعن أبي. وماذا أيضًا، لن أزور أبي ثانيةً، وسوف ألتزم باقتراحي (التماسا لراحة بال جميع الأطراف، ولكي لا أعقد الأمور بالنسبة لك أنت أيضًا، وهو ما أخشى أنه قد صار رأيك أنت أيضًا دون أن تقصد) ولأضع حدًا لاتفاقنا بخصوص النقود مع شهر مارس، إذا كنت توافق.

لقد تركت عن قصد فسحة زمنيةً من أجل النظام وحتى يكون لدي الوقت لاتخاذ بعض الخطوات التي لها حظ بسيط من النجاح في الحقيقة التي لن يرضى ضميري عن تأجيلها في هذه الظروف.

يجب أن تتقبل هذا بهدوء وبرحابة صدر، يا أخي، فهذا ليس تحذيرًا أخيرًا لك. ولكن إذا كانت عواطفنا قد تباعدت جدًا، فلا يجب أن نجبر أنفسنا على التظاهر بأن شيئا لم يحدث. أليس هذا هو رأيك أنت أيضًا، إلى حد ما؟

أنت تعرف جيدًا أنني أعتبرك قد أنقذت حياتي، وأنني لن أنسى ذلك أبدًا، فأنا لست مجرد أخ لك، ولكن صديقك، حتى إن وضعنا حدًا لعلاقة أخشى أنها تخلق وضعًا زائفًا، ولكن في الوقت نفسه فلدي التزام لانهائي بالولاء لما فعلته من أجلي في الماضي بمدك يد العون لي واستمرارك في مساعدتي.

بإمكان المرء تسديد الديون النقدية، ولكن لا يمكنه تسديد عطف كعطفك.

اسمح لي أن أواصل، إنني محبط فقط لأن المصالحة العميقة لم تتحقق حتى الآن، وكنت أتمنى أن تكون ممكنة، فقط أنتم لا تفهمونني أيها الناس وأخشى أنكم لن تستطيعوا أبدًا. أرسل إلي المعتاد، مع ردك لو استطعت، فلا أضطر لطلب أي شيء من أبي عند مغادرتي، التي لا بد أن تحدث في أقرب وقت ممكن. لقد أعطيت مبلغ ال ٢٨.٨٠ جيلدرًا الذي وصلني في أول ديسمبر بالكامل إلى أبي.

(اقترضت ١٤ جيلدرًا والأحذية والبناطيل كلفت ٩ جيلدرات)

" "" " ٢٥ " " ١٠ " رابارد.

لدي في جيبي ربع جيلدر وبعض السنتات فقط. فهذا هو الحساب الذي ستفهمه أكثر، بالإضافة إلى أنك تعرف ذلك منذ ٢٠ نوفمبر، فالنقود التي جاءت في أول ديسمبر دفعت منها نفقات السكن في درينته لفترة طويلة، فقد كانت هناك عقبة ثم تمت تسويتها لاحقًا، ومن الأربعة عشر جيلدرًا (التي اقترضتها من أبي ثم سددتها له) دفعت نفقات رحلتي وما إلى ذلك.

سأذهب من هنا إلى رابارد.

ومن لدى رابارد ربما إلى موف. خطتي بعدها أن أحاول أن أفعل كل شيء بهدوء ونظام.

هناك الكثير من رأيي الصريح في أبي مما لا أستطيع أن أتراجع عنه في الظروف الحالية. وأنا أقدر اعتراضاتك، لكن الكثير منها لا يمكنني أن أعتبرها كافية، أما الأخرى فقد فكرت أنا نفسي فيها، حتى لو كنت قد كتبت ما كتبت.

إنني أخرج مشاعري في كلمات قوية، وهي بالطبع تتحول بفضل التقدير للكثير مما هو طيب في أبي، وبالطبع هذا التحول معتبر.

دعني أخبرك أنني لم أكن أعرف أن شخصًا في الثلاثين هو "صبي"، ولا سيما إن كان قد خبر أكثر من أي شخص آخر في هذه الثلاثين سنة. مع ذلك، فلتعتبر كلماتي هي كلمات صبي إذا أردت.

إنني لست مسؤولا عن تأويلاتك لما أقول، أليس كذلك؟ فذلك شأنك أنت.

وبالنسبة لأبي، أيضًا سأسمح لنفسي أن أخرج ما يفكر فيه من ذهني بمجرد أن نفترق.

ربما كان من السياسة أن يحتفظ المرء بأفكاره لنفسه، وإن كان قد بدا لي دائمًا أن من واجب المصور بالذات أن يكون صادقًا، أنت نفسك قد قلت لي إنه سواء كان الناس يفهمون ما أقول أم لا، وسواء كانوا يحكمون عليّ حكما صائبا أو خاطئا، فذلك لا يغير من حقيقتي.

حسنًا يا أخي، لتعلم أنه حتى لو حدث أي شكل من الانفصال، فأنا، فوق ما تتخيل أو تشعر، سأظل صديقًا لك بل وصديقا لأبي أيضًا. مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت.

وفي كل الأحوال، أنا لست عدوًا لك أو لأبي، ولن أكون.

لقد فكرت ثانيةً في ملحوظاتك منذ كتبت الخطاب المرفق، وقد تكلمت مع أبي أيضًا مرةً أخرى. وقد قررت بشكل حاسم تقريبًا ألا أبقى هنا، بغض النظر عن كيف سيتم تفسير ذلك أو ما سينتج عنه، عندما اتخذ الحديث منحى مختلفًا لأنني قلت: إنني هنا منذ أسبوعين ولا أرى أي تقدم عن نصف الساعة الأول. لو أننا نفهم بعضنا البعض بشكل أفضل فكل الأشياء ستترتب من تلقاء نفسها وتستقر، لا أستطيع أن أهدر الوقت وعليّ أن أقرر.

ثمة باب يجب أن يفتح أو يغلق. وأنا لا أفهم أي شيء بين هذا وذاك، وفي الحقيقة لا يمكن أن يوجد أي شيء. والآن قد تقرر أن الغرفة الصغيرة التي بها مكواة الملابس في البيت ستكون تحت تصرفي كغرفة تخزين لأغراضي، وكمرسم أيضًا، لو أن الظروف تطلبت هذا. إذ قد أخذوا في إخلاء الغرفة الآن، وهي لم تكن الحالة في البداية، عندما كان الأمر معلقًا لا يزال.

وأريد أن أخبرك شيئًا، إنني منذ وقتها قد فهمت بشكل أفضل عن ذلك الوقت الذي كتبت لك فيه أفكاري عن أبي. لقد خفت حدة رأيي، في جانب لأنني لمحت في أبي علامات على أنه لا يستطيع أن يتابعني عندما أحاول أن أشرح أمرًا (واحدة من نصائحك تؤيد هذه الفكرة إلى حد ما). وهو يتوقف عند جزء مما أقوله، وهو ما يصبح خطأ عندما ينتزع من سياق الكلام. ربما قد يكون هناك أكثر من سبب لهذا، لكن التقدم في العمر يعزى له جانب كبير من هذا. والآن أنا أحترم المسنين، وضعفهم أيضًا مثلك، حتى إن بدا لك عكس ذلك أو لو لم تصدقني فيما أقول. أعني أنني قد أساير أبي في بعض الأمور التي قد أعتبرها نواقص لدى رجل في مثل ملكاته، وذلك للأسباب المذكورة.

وقد فكرت أيضًا في مقولة ميشليه (والتي استقاها من أحد علماء الحيوان) "إن الذكر وحشي جدًا". ولأنني الآن، في هذه المرحلة من حياتي، أعرف أن لدي شغفًا عظيمًا، وعليه فيجب إن نظرت إلى نفسي أن أرى أنني ربما "وحشي جدًا" وإن كان شغفي يخفت عندما أواجه من هو أضعف مني؛ فلا أقاتل وقتها.

وعلى الرغم من أن -فوق ذلك- الاشتباك بالكلام حول المبادئ، مع رجل يحتل موقعًا في المجتمع يخص توجيه حياة الناس الروحية، هو أمر مسموح به ولا يمكن أن يعد جبنًا بأي حال من الأحوال. إذ إن أسلحتنا متكافئة في النهاية. فكر في هذا قليلًا، خاصة إذ أقول لك، ولأسباب عديدة، إنني أرغب في التوقف حتى عن المعركة الكلامية لأنني أحيانًا أشعر أن أبي لم يعد يقوى على التركيز بكامل فكره على نقطة واحدة.

وفي النهاية، فإن عمر الرجل في بعض الحالات قد يكون قوة إضافيةً.

وبالدخول في صلب الموضوع، سأنتهز هذه الفرصة لأقول لك إني أعتقد أنه تحديدًا بسبب تأثير أبي انصب تركيزك على الأعمال التجارية بشكل أكبر مما كان في طبيعتك.

وإنني أعتقد أنه حتى مع ثقتك في كونك يجب أن تظل تاجر فن، فسيبقى شيء ما في طبيعتك الأصلية نشطًا وربما يتفاعل أكثر مما تتوقع أنت.

وبما أني أعرف أن أفكارنا كانت قد تقاطعت في سنواتنا الأولى في شركة G&Cie، حيث كان كلانا يفكر في أن نصبح مصورين، لكننا في العمق لم نكن نجرؤ على التصريح بذلك في وقتها، حتى لبعضنا البعض، وقد يكون أننا تقاربنا أكثر في تلك السنوات الأخيرة. وعلى الأغلب بسبب تأثير ظروف وأحوال التجارة نفسها، التي تغيرت مقارنة بما كانت عليه في الأيام السابقة، ومن وجهة نظري ستواصل التغير أكثر فأكثر.

لقد ضغطت على نفسي كثيرًا في وقتها، وقد كنت مثقلًا بقناعة أنني بالتأكيد لستُ مصورًا، حتى إنني عندما تركت الشركة لم أوجه أفكاري نحو ذلك، لكن نحو شيء آخر (وهو ما كان خطأ ثانيًا، يضاف إلى الخطأ الأول). كنت غير متحمس لهذه الإمكانية، فالتقارب الخجول، الخجول جدًا من بعض المصورين، لم يكن ملحوظًا حتى. أنا لا أخبرك بهذا لأنني أريد أن أجبرك أن تفكر مثلي -أنا لا أجبر أحدًا- أنا فقط أحكي بنبرة الثقة بين الأخوة والأصدقاء.

قد تكون وجهات نظري غير دقيقة أحيانًا؛ وهذه قد تكون كذلك. ومع هذا، فأنا أعتقد أن هناك شيئًا من الحقيقة في طبيعتها، وفي الفعل والتوجه. وأنني قد عملت الآن على جعل البيت هنا مفتوحًا مرةً أخرى، حتى لدرجة أن يكون لدي مرسم هنا، وأنا لا أفعل ذلك من أجل مصلحتي الشخصية في المقام الأول.

وفي هذا أرى أنه حتى لو لم نفهم بعضنا البعض في أشياء عديدة، فهناك دائما رغبة في التعاون بيننا أنا وأنت وأبي، وإن كان ذلك بشكل متقطع غير منتظم. وبما أن التنافر قد استمر بالفعل لفترة طويلة، فلا ضرر من أن نحاول أن نضع الثقل في الكفة الأخرى، فلا ينبغي أن نبدو أمام العالم في حالة فرقة أكثر مما نحن عليه فعلًا، حتى لا نسقط في التطرف في أعين العالم.

يقول لي رابارد "إن الكائن البشري ليس كتلة من الخث، وبقدر ما لا يحتمل كائن بشري أن يلقى به في مخزن الغلال وينسى هناك ككتلة من الخث"، وأشار إلى أنه من حظي العاثر ألا أستطيع أن أكون في البيت. فكر في هذا:

أعتقد أنهم اعتبروا أنني قد تصرفت بنزق وتهور، أو، حسنًا أنت تعرف أفضل مني إن كنتُ بشكل أو بآخر قد دُفعت إلى هذه الأمور، ولم أكن أستطيع التصرف بشكل آخر غير ما أرادوا رؤيته.

لقد كانت تحديدًا وجهة النظر المغرضة لرؤية أهداف خسيسة وما إلى ذلك لديّ، وهو ما جعلني باردًا جدا وغير مكترث تجاه العديد من الأشخاص.

مرةً أخرى يا أخي، فكر كثيرًا في هذه المرحلة من حياتك؛ وأعتقد أنك في خطر أن تتخذ وجهات نظر مشوشة في عدد من الأشياء، وأعتقد أنك لا بد أن تختبر هدفَ حياتك مرةً أخرى، وبعدها ستصير حياتك أفضل. أنا لا أقولها كما لو كنت أعرف وأنت لا تعرف، أنا فقط أقول ذلك لأنني أشعر بشكل متزايد أنه من الصعب بشكل رهيب أن يعرف المرء أين يخطئ وأين يصيب.

٤١٧ | نيونن، نحو الأربعاء ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٨٣
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

عدتُ إلى نيونن مساء الأمس، والآن لا بد أن أخبرك بما يجيش في صدري.

كنت قد حزمت أدواتي ودراساتي وما إلى ذلك هناك وأرسلتها إلى هنا حيث كان أبي وأمي قد نظفا الغرفة الصغيرة، وقد استقررت في الوقت الحالي في هذه المساحة للعمل، حيث آمل أن أحقق بعض التقدم.

واعلم أيضًا أنني قد تكلمت مع المرأة، وقرارنا النهائي وبشكل حاسم هو أن تبقى هي وحدها وأنا وحدي في كل الأحوال، فلا يستطيع العالم أن يجد خطأ في ذلك.

وبما أننا قد افترقنا فسنظل مفترقين، وفقط بالتطلع إلى الوراء نندم على أننا لم نختر طريقا وسطًا بدلًا من ذلك، وحتى الآن يظل هناك ارتباط مشترك بأرضية وجذور أعمق من أن يكون عابرًا.

والآن لا بد أن أخبرك ببعض الأشياء التي لن أعود إلى ذكرها بعد ذلك، ولتفهمها كما تشاء، ولك مطلق الحرية في أن تفكر فيها أو تهملها، فذلك ليس شأني، فلا بد أن تقرر ذلك بنفسك.

ولتعلم أنني أنظر بكثير من الندم لزيارتك هذا الصيف، وحواراتنا وقتها، وعما أسفرت عنه. لقد فات الوقت الآن على ذلك، لكنني لا أستطيع أن أنكر -إذ أتذكر- أننا لم نكن على صواب. وأنا الآن أرى كلماتك، وأراك أنت نفسك بشكل مختلف، ولم أعد أستطيع أن أفكر فيك بالشعور نفسه كما في السابق. إذ إنني أرى الآن بوضوح كيف كنت أنت وآخرون تتمنون أن أفترق عنها. وأنا لا أشك في نياتك الحسنة.

لقد كان القرار متوقفًا عليّ، فلو كنت مخطئًا فيه، فلن ألومك أنت في المقام الأول (في المقام الأول ألوم نفسي)، لكنني ألومك في المقام الثاني.

إن الروافع التي اقتلعتني وكنت بفضلها غير مستقر، والتي أنت كنت معنيًا بها إلى حد ما، كانت تلمس في البداية مسائل ملتهبة بشكل لا نهائي من الماضي سببت في اضطرابي، ثانيًا، قولك إن "واجبي" ربما يحتم عليّ الانفصال، حسنًا، لو كان ما قلته متفردًا تمامًا، لما كنت حتى أتيتُ على ذكره، لكنه يتشابه جدًا مع شعور الناس الآخرين الذين أختلف معهم كي أكون قادرًا على اعتبار رأيك متفردًا بالكامل. لقد قبلت بوجهة نظرك، وإن كان بنية مختلفة جدًا عما تتخيله، وبحيث أن تتضح لك مع الوقت بعض الأشياء التي لا مجال لمناقشتها الآن.

أنت لفتَّ انتباهي إلى حالة "نجح فيها جدا" انفصال رجل ما عن امرأة ما.

هذا قد يكون حقيقيًا في حد ذاته -حقيقيًا جدًا- لكن هل هو قابل للتطبيق هنا فيما يخصني ويخصها؟ أترى، إن الأمر مختلف.

وقد أخذت حريتي في استعادة ما حدث لأرى إن كان "نجح جدا"، لكن يا صديقي فإن ذلك محل شك كبير الآن.

لتعلم أن المرأة قد تعايشت جيدًا، وهي تعمل الآن (تحديدًا كغسالة) لتعيل نفسها وطفليها، وبالتالي فهي قد قامت بواجبها، على الرغم من هزالها البدني الشديد.

وأنت تعرف أنني قد أخذتها إلى بيتي لأن الأشياء حدثت في أثناء احتجازها مما حدا بالأطباء في لايدن لاقتراح أن تذهب إلى مكان هادئ إذا قدر لها ولطفلها أن يخرجا من هناك.

كان عندها فقر دم وثمة دلائل أولى على وجود السل أيضًا. حسنًا، فطوال فترتي معها لم تتدهور صحتها قط، لكنها ازدادت قوة على مستويات عديدة، فلم تعاودها أي من الأعراض الخبيثة.

لكن الآن كل شيء قد ساء ثانيةً، وأنا أخشى كثيرًا على صحتها؛ وحتى الطفل الصغير الذي طالما اعتنيت به كما لو كان طفلي أنا لم يعد كما كان هو أيضًا.

لقد وجدتها في حالة بائسة جدًا يا أخي، وأنا حزين جدًا لذلك.

أعرف أنه خطئي أنا في المقام الأول، بالطبع، لكن كان بإمكانك أن تقول رأيًا مختلفًا أنت أيضًا.

الآن، وبعد فوات الوقت، أفهم بشكل أفضل أن بعض نوبات هياجها، وبعض الأشياء الخاطئة التي كنت أظن أنها تفعلها متعمدةً، كانت بدورها أعراضًا لمرض الأعصاب، وأنها تفعل ذلك رغمًا عنها. وكما قالت لي في أكثر من مناسبة لاحقًا: "أحيانًا لا أشعر بما أفعله".

إن لدينا عذرنا أنا وإياك، فمن المفهوم ألا يستطيع المرء أحيانًا التعامل مع امرأة مثلها، ثم كانت هناك المصاعب المادية. لكن يبقى، أننا كان يجب أن نختار طريقًا وسطًا، ولو كان لا يزال بوسعنا أن نجده الآن، وإن كان ذلك من الصعب، فسيكون أكثر إنسانيةً وأقل قسوة.

لم أرد أن أزيد من آمالها مع ذلك، وقد شجعتها وحاولت طمأنتها ودعمها في الطريق الذي اتخذته الآن، وحدها، بالعمل من أجل نفسها وطفليها. وإن انفطر قلبي من أجلها بالشفقة العميقة نفسها كما في الماضي، تلك الشفقة التي عاشت معي خلال تلك الشهور الأخيرة، حتى مع الانفصال.

حسنًا، إن صداقتنا يا شقيقي قد تعرضت لضربة قوية بسبب ذلك، نحن بالتأكيد لم نكن مخطئين، ولو كشفت عن نفسك لي بكونك تحمل الآن العقلية نفسها التي كنت تحملها وقتها، فلن أكون قادرًا على احترامك بعمق كما كنت أفعل في الماضي.

كنت أحترمك ساعتها تحديدًا، لأنه في الوقت الذي لم يكن الناس الآخرون يرغبون في معرفتي لأني كنت معها، ساعدتني أنت في الحفاظ على حياتها.

لا أقول إنه لم يكن يجب التغيير أو التحول، لكن أعتقد أننا (أو بالأحرى أنا) قد غاليتُ في ذلك قليلًا. والآن، وبما أنه قد صار لي مرسم هنا، فربما يكون وجود مشكلة مالية أخرى أقل ضررًا.

أختتم بقولي، فكر فيها إذا سمحت، لكن لو ظلت مشاعرك بالضبط كما كانت في الصيف، فلن أستطيع الاحتفاظ باحترامي لك كما في السابق.

وبالصدفة، فقد قررت أيضًا ألا أقول لك كلمة واحدةً بخصوص أي تغير محتمل في ظروفك أو مهنتك. لأنني أرى أنه كما لو كان هناك طبيعتان داخلك تتصارعان، وهي ظاهرة أراها في نفسي أيضًا، ولكن هناك بعض الأسئلة التي ربما ما زالت تختمر داخلك، وهي من وجهة نظرك قد حسمت بالنسبة لي لأنني أكبرك بأربع سنوات.

فكر في ما قلته لك، سيكون ذلك مفيدًا جدًا، وبإمكانك أيضًا أن تهمله. ولكن من جانبي، فقد أردت أن أتكلم معك بصراحة عن ذلك، ولم أتمكن من إخفاء مشاعري عنك. مع مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت

وبخصوص وجهة نظري حول إلى أي مدى قد يمضي المرء في حالة يهتم فيها بمخلوق فقير ومنبوذ وعليل، فقد قلت لك في مناسبة سابقة، وها أنا أكرر لك:

إلى ما لا نهاية.

ومن ناحية أخرى فإن قسوتنا قد تكون لانهائية أيضًا.

٤٢٨ | نيونن، نحو السبت ٣ فبراير ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

كنت سعيدا باستلام رسالتك اليوم والمرفق معها، وأشكرك شكرًا جزيلًا على كليهما. يبدو لي أن تعافي أمي يسير بشكل جيد حتى الآن، بصفة عامة. وكلما استطالت هذه العملية قلت فرص الخطر المباشر، وتقلص الأمر لمسألة وقت بالأساس. وإن كانت أمي لن تكون تماما كما في السابق بعد أن يلتئم الكسر. سيكون أثر ذلك عليها، وربما على أبي أيضًا كنتيجة، من وجهة نظري تقدمهما في لحظة واحدة ولمسافة طويلة داخل الشيخوخة.

كنت سعيدا بتواجدي في البيت في هذه الظروف، وقد استبعدت الحادثة وبشكل طبيعي بعض المسائل (التي هي محل خلاف بيني وبين أبي وأمي) إلى الخلفية بشكل كامل، وكل شيء يمضي الآن على ما يرام بيننا، وهذا يعني أنني قد أبقى في نيونن فترة أطول مما تخيلت.

في النهاية، وبشكل طبيعي إلى حد ما، وتحديدًا في مرحلة لاحقة، عندما سيتحتم مساعدة أمي على الحركة وما إلى ذلك، سأكون قادرًا على مد يد العون. الآن وقد هدأ قليلًا ذعر الأيام الأولى، أستطيع ممارسة عملي بانتظام نسبي، وبما تسمح به هذه الظروف.

في كل يوم أصور دراسات للنساجين ها هنا، وأعتقد أنها أفضل تقنيًا من الدراسات التي أرسلتها إليك من درينته.

أعتقد أن تلك الأنوال بتلك الآليات المعقدة وفيما بينها يظهر شخص صغير، ستسلم نفسها أيضًا للرسم بالقلم، وسأصنع بعضها عملا بالنصيحة التي قلتها لي في رسالتك.

قبل الحادثة، كان الترتيب مع أبي هو أن أعيش هنا مجانًا، وذلك للحصول على فسحة للتنفس ولتسوية بعض الفواتير في بداية العام. والنقود التي أرسلتها أنت في بداية العام وعند منتصف يناير كانت معدة لذلك. ولأنني أعطيتها لأبي عندما صارت الحادثة، فهذه المرة هناك فواتير الألوان التي تنتظر دورها.

فوق ذلك، بما أن أبي قد تلقى مائة جيلدر كهبة غير متوقعة من العم سترايكر، وهو ما أعتقد أنه لطف شديد منه، فأنا لم أستفد ماليًا من وجودي هنا. وخطتي هي أن أمضي قدمًا في العمل بقوة.

في غضون عام أو نحو ذلك ستكون المشاكل المادية المترتبة على حادثة أمي أكثر وضوحًا لأبي عن الآن، فيما أعتقد. ودعنا في الوقت نفسه نحاول أن نفعل شيئا بأعمالي.

ففي النهاية، فإن حياة أبي وأمي الشخصية مؤمنة، فمعاش أبي مماثل لدخله الحالي. ولكن يا أخي، فإن شقيقتينا المسكينتين بلا رأس مال في زمن لا يوجد فيه ميل كبير في المجتمع للاقتران بفتيات بلا مال. بالنسبة لهن فقد تظل الحياة باهتة وحزينة، فيتعطل تطورهن الطبيعي. لا نريد أن نستبق الأحداث، مع ذلك.

من الصعب توقع كيف سيؤثر الرقاد طويلا بلا حراك على جسد أمي.

كل الاحتياطات التي من الممكن اتخاذها لتفادي قرح الفراش مهمة للغاية بالطبع. لقد صنعنا ما يشبه النقالة كي نستطيع تغيير ملاءات سريرها عند الحاجة لذلك، على الرغم من أن ذلك لا يحبذ أن يتكرر كثيرًا في الوقت الحالي. أن ترقد مرتاحة هو الأولوية الآن.

ومن حسن الحظ أن مزاج أمي معتدل وراض، بالنسبة لحالتها الصعبة. وهي تسلي نفسها بأشياء صغيرة. صنعت مؤخرًا لوحة للكنيسة الصغيرة مع السياج والأشجار من أجلها، شيء كهذا:

«sketch A»

ستفهم بالتأكيد كيف أعشق الريف هنا.

لو قدر لك المجيء فسوف آخذك إلى أكواخ النساجين في وقت ما. إن وجوه النساجين والنساء اللائي يقمن بلف الخيوط ستدهشك. إن آخر دراسة أنجزتها كانت عن رجل يجلس إلى النول وحده، الجذع واليدان.

وأنا أيضًا أعمل على تصوير نول، من البلوط العتيق وقد حال لونه إلى البني المخضر، ومحفور عليه تاريخ ١٧٣٠. وبجوار هذا النول، وإلى جانب نافذة صغيرة نرى من خلالها حقلًا صغيرًا أخضر، ثمة مقعد أطفال عال والصغير جالس فيه يراقب مكوك النساج يطير جيئة وذهابا لساعات. لقد تناولت الأمر تماما كما هو في الواقع، النول مع النساج الصغير، النافذة الصغيرة ومقعد الأطفال ذاك في تلك الغرفة الصغيرة البائسة ذات الأرضية الطينية.

اكتب لي، إن استطعت، بتفاصيل أكثر عن معرض مانيه، وقل لي أيًا من لوحاته أشاهد. دائما ما أعتبر عمل مانيه أصيلًا جدًا. هل تعرف القطعة التي كتبها زولا عن مانيه؟ أنا آسف لأنني لم أر له سوى أعمال قليلة. وأود بشكل خاص رؤية نسائه العاريات. لا أعتبرها من المبالغة أن بعض الناس، كزولا مثلا، يقدسونه، وإن كنت عن نفسي أعتقد أنه لا يعد من بين الفنانين الأفضل على الإطلاق في هذا القرن. ويبقى أنه موهبة لها بكل تأكيد علّة وجودها، وذلك أمر عظيم في حد ذاته. إن القطعة التي كتبها زولا عنه موجودة في مجلد "عداواتي". أنا لا أستطيع تبني وجهة النظر التي يطرحها زولا، كما لو كان مانيه يفتح مستقبلًا جديدًا لأفكار حديثة في الفن، كما يقول؛ فبالنسبة لي مييه وليس مانيه، هو الفنان الحديث الأساسي الذي فتح أفقا جديدًا للمديدين. تحياتي، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

تحيات من الجميع. اكتب لأمك أكثر من هذا، فالرسائل تسلّيها.

الكنيسة البروتستانتية في نيونن

٤٣١ | نيونن، الثلاثاء ٢٦ فبراير (شباط) ١٨٨٤
إلى انطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

إن عدم كتابتك لي ولو كلمة واحدة كل هذه الفترة لا يعتبر من قبيل الود. وأتوقع أنك أنت أيضًا تعتقد الشيء نفسه، ومع ذلك، فهذا ليس موضوعنا الآن.

شيء آخر، فأمي قد تحسنت حالتها كثيرًا عما كان متوقعًا في البداية. والطبيب يجرؤ الآن على طمأنتنا أنها ستكون أفضل في غضون ثلاثة أشهر.

أفكر أحيانا فيما اتفقنا عليه، تقريبا أنه كان ينبغي لي أن أرسل إليك بعض لوحات الألوان المائية هذا الشتاء. ولكن لمّا طال صمتك فلم أشعر بأي حماس لفعل ذلك، كي أقول لك بصراحة. وعليه فلم ينتج عن ذلك شيء، على الرغم من أني صنعت بعضها.

كنت أمارس التصوير معظم الوقت خلال الأسابيع الأخيرة، النساجون، وقد بذلت جهدا مضاعفا في ذلك نوعًا ما.

وفي هذه الأيام الحالية المعتدلة مارست التصوير في الخارج، في الحقول، ومقبرة فلاحية صغيرة.

ثم خمسة رسوم بالقلم للنساجين.

لم أحصل على المزيد في مجال الحفر على الخشب هذا الشتاء، ومع ذلك، هناك مطبوعة رفيعة لأوكيلي، مهاجرون أيرلنديون، ومحلج للقطن لأبسلي، ثم هناك مطبوعة من عدد الكريسماس من مجلة "ذا جرافيك"، عن هؤلاء المعرضين للخطر في البحر.

هل تعرف قصائد جول بريتون؟ لقد أعدت قراءتها مؤخرًا مع كتاب آخر صغير من الشعر الفرنسي لفرانسوا كوبيه، "المتواضعون" و"نزهات" و"دواخل".

كوبيه أيضًا جميل جدًا. وهو يرسم تخطيطات سريعة للعمال، وللمتهتكين أيضًا، بها الكثير من المشاعر. الكثير جدًا.

هل كنت تعمل بدأب على راهبك الدومينيكاني، أم ترى ما كان السبب وراء عدم كتابتك لي؟

تحياتي.

المخلص دوما،

فنسنت

ملحوظة: أنا أيضًا تمكنت من دولاب الغزل هنا.

٤٣٢ | نيونن، نحو الأحد ٢ مارس (آذار) ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكرك على رسالتك، أمي بخير، في البداية كان الطبيب قد قال إن ساقها قد تشفى خلال ستة أشهر، وهو الآن يتكلم عن ثلاثة أشهر فقط، وقد قال لأمي: "لكنه بفضل ابنتك، لأنني نادرًا، نادرًا جدًا، أن أرى عناية فائقة كالتي توليها إياكِ". ما تفعله ويل مثالي، مثالي فعلًا، ولن أنسى ذلك بسهولة.

فقد سقطت كل الأعباء على كاهلها منذ البداية، وقد تحملت عن أمي جانبًا كبيرًا من البؤس.

وساكتفي بذكر شيء واحد، فبفضلها قطعًا صار لدى أمي القليل من فرح الفراش (والتي بدأت بشكل فظيع في الأول ثم تراجعت) وأؤكد لك أن المهام المنزلية التي تقع على عاتقها ليست سارة دائمًا.

والآن اسمع، عندما قرأت رسالتك عن الرسوم، أرسلت إليك مباشرةً لوحة ألوان مائية جديدة عن نساج وخمسة رسوم بالقلم. ومن جانبي أيضًا، سأقول لك بصراحة إنني أعتقد أن ما قلته صحيح، فعملي لا بد أن يتحسن كثيرًا، ولكن في الوقت نفسه فجهودك للتصرف فيه لا بد وأن تكون أكثر تصميمًا. أنت لم تبع قطعة واحدة حتى الآن من أعمالي، لا بمقابل كبير ولا قليل، والحقيقة أنك لم تحاول أصلًا. وكما ترى فأنا لستُ غاضبًا لذلك، لكن، لا حاجة لتجنب الخوض في ذلك.

بالتأكيد لن أتحمل ذلك على المدى الطويل.
ومن جانبك، فباستطاعتك أن تواصل التحدث بصراحة أنت أيضًا.
وبالنسبة للقابلية للبيع أو عدم القابلية فذلك ملف قديم لن أستهلك نفسي فيه.

حسنًا، هاك إجابتي، وهي أنني أرسل إليك قطعًا جديدة، وسأواصل فعل ذلك بكل طيب خاطر، فأنا أفعل ذلك بكل سرور. فقط عليك أن تكون صريحًا لمرة واحدة، وهو ما أفضله أنا: هل تشغل بالك بها في المستقبل، أم أن كرامتك لن تسمح بذلك. ولنترك الماضي جانبًا، أنا أواجه المستقبل، وبدون التعويل على ما تعتقد عنها، فأنا أنتوي بجد أن أحاول أن أفعل بها شيئًا.

لقد قلت لي مؤخرًا بنفسك إنك "تاجر فن"، حسنٌ جدًا، فالواحد لا يتزلق في العواطف مع تاجر، فالواحد يقول: يا سيدي، لو أعطيتك رسومًا مقابل عمولة، فهل أعتمد عليك في عرضها للبيع؟ والتاجر لا بد أن يقرر بنفسه إن كان سيقبل أو سيرفض أو شيء بين الاثنين.

لكن المصور سيكون أحمق إذا أرسلها مقابل عمولة لو كان يعرف أن التاجر يعتبر عمله شيئًا لا ينبغي أن يرى النور.

والآن يا صديقي، كلانا يعيش في العالم الواقعي، ولأننا تحديدا لا نريد أن يعيق أحدنا الآخر، فلا بد أن نتكلم بصراحة. فلو قلت "لا أستطيع أن أعتني بهذا الأمر"، فحسن جدًا، ولن أغضب لذلك، لكنني لن أكون مضطرًا حينها لاعتبارك الناصح المخلص حتى.

تقول لي الجمهور سيضجر من هذه البقعة أو تلك. لكن اسمع، ربما يكون ذلك صحيحًا، لكن هذه أو تلك تزعجك أنت التاجر أكثر من الجمهور محل الكلام، وقد لاحظت ذلك مسبقًا كثيرًا، وأنت تبدأ بهذا. لا بد أن أناضل أيضًا لشق طريقي يا تيو، ومعك أنا ما زلت بالضبط عند المستوى نفسه الذي كنت عليه منذ سنوات. ما تقوله عن أعمالي الحالية "إنها تقريبًا قابلة للبيع لكن..." هو نفسه ما كتبته لي بالكلمة عندما أرسلت إليك أول تخطيطاتي عن برابنت من أيتن. وعليه فأنا أقول: إنه ملف قديم.

واستنتاجي هو أنك ستقول دائمًا الكلام نفسه، وأنني -أنا من كان دائمًا متخوفًا من الاقتراب من تجار الفن- فسأغير الآن تكتيكاتي وسأكون أكثر حرصًا على محاولة بيع أعمالي.

أتفهم أن ما أفعله لا أهمية له مطلقًا بالنسبة لك، ولكن إن كان لا يهمك فمن جانبي سأعتبر أن الأمور التي ستظهر بائسة ومخيفة، وتحديدًا أن يسألني الناس: ماذا، ألا تشتغل مع شقيقك أو مع جوبيل؟ حسنًا، سأقول ساعتها، إن ذلك لا يرقى لمستوى هؤلاء السادة جوبيل وسي وفان جوخ وشركاهم. وذلك قد يخلق انطباعًا سيئًا عني -وهو ما أنا معد له- ولكنه أيضًا كما أتوقع سيجعلني أكثر فتورًا حيالك أنت أيضًا.

لقد صنعت لوحة الآن للكنيسة القديمة الصغيرة، ونساج آخر. هل الدراسات من درينته سيئة جدًا حقًا؟ لا أشعر برغبة في أن أرسل إليك الدراسات المصورة التي أنجزتها هنا، لا، دعنا لا نشرع في هذا. تستطيع أن تراها إذا جئت في وقت ما في الربيع ربما.

ما كتبته عن ماري هو مفهوم جدًا، فلو أن امرأة لم تكن متقاعسة جدًا فأستطيع أن أتخيل أن لديها ميلًا لمخالطة الآباء المشاكسين والأخوات التقيات، وعلى الأقل فإن المرأة ستشعر كما يشعر الرجل بغواية ملحة لتنهي هذا الركود، مهما كانت النتيجة.

هو ركود يبدأ بانسحاب ربما يكون محمودًا في حد ذاته، ولكن المرء يندم عليه مع ذلك، عادة عندما يشعر أنه سيتجمد في النهاية. لتقرأ ما قاله دوديه عن النساء التقيات، "نظر هذان الوجهان كلاهما للآخر، وتبادلا نظرة ضغينة باردة مغلقة، ما خطبه/ها؟ دائما الأمر نفسه". فهذا هو الأمر، ذلك المظهر الفريد للفريسيين والنساء الورعات. نعم، ولهذا فنحن نفتقر دائمًا إلى الشيء نفسه.

نعم، كيف يفترض أن أرى ما تقوله عن عملي؟ وعلى سبيل المثال، سأنتقل الآن بشكل خاص للدراسات من درينته. هناك بعضها شديد السطحية، وأنا نفسي أقول هذا، لكن ماذا قُدم لي مقابل تلك التي تم تصويرها ببساطة ودعة في الطبيعة، محاولا ألا أقول فيها أي شيء غير الذي رأيته؟ تلقيت في المقابل: ألست أنت أيضًا مشغولًا بميشيل؟ (أتكلم هنا عن الدراسة التي بها الكوخ الصغير في الظلام، والأخرى الكبيرة عن الأكواخ، تحديدا تلك التي بها حقل أخضر في المقدمة). بالتأكيد ستقول الشيء نفسه عن فناء الكنيسة القديمة.

ومع أني، سواء كنت أنظر لفناء الكنيسة القديمة أو للأكواخ، لم أكن أفكر في ميشيل، كنت أفكر في الموضوع الذي أنظر إليه فقط. موضوع حقيقي كما أتخيل، لو مر به ميشيل لجعله يتوقف ولأذهله.

ومن ناحيتي، فأنا لا أضع نفسي على قدم المساواة مع المُعلم ميشيل، لكنني بالتأكيد، ولهذا السبب، لا أقلد ميشيل أيضًا.

حسنًا، ربما أحاول أن أبيع شيئًا في أنتويرب، وأرغب في أن أضع دراستين من دراسات درينته في إطارين خشبيين أسودين، وهو ما أطلبه من نجار هنا، أفضل أن أرى أعمالًا في أطر ذات سواد عميق، وهو يصنعها بسعر زهيد نوعًا.

لا يجب أن تأخذ ذكري لذلك بشكل خاطئ يا أخي.

إنني ألتمس شيئًا هادئًا وساكنًا في عملي. ليس أكثر من أن أوفّق في أن يوضع في مكان ما، لا أطمح مثلًا في أن تعرض لوحاتي في أطر مذهبة في قاعات العرض الشهيرة.

والآن فقد حان الوقت كي أشرع في هذا الطريق الوسط، ولا بد أن أعرف بحسم ووضوح ما هو موقفك معي، أو بالأحرى فما دمت تتهرب من الموضوع فيما أنت تقوله، فأنا أعتقد أنك في الحقيقة لن تعرضه. كما أني لا أعتقد أنك ستغير رأيك في الوقت الحالي.

أنا لن أتطرق إلى كونك محقًا أم مخطئًا في ذلك. ستقول لي إن تجار الفن الآخرين سيعاملونني بالطريقة نفسها مثلك، باستثناء أنك تمدني بالنقود في كل الأحوال على الرغم من أن أعمالي تزعجك، والتجار الآخرون لن يفعلوا ذلك بالتأكيد، وبدون نقود سأقع في ورطة تامة. سأقول في ردي إن الأمور ليست بهذا الوضوح في الحياة الواقعية، وأنني سأرى إلى أي مدى يمكنني العيش من يوم لآخر.

لقد قلت لك مسبقًا إنني أرغب في تسوية هذه الأمور هذا الشهر، فلا بد أن يحدث ذلك. حسنًا، ربما لأنك تخطط أن تأتي مبكرًا في الربيع فأنا لا أ لح عليك أن تتخذ قرارا نهائيا في الحال، ولكن لتعلم أنني لا أقبل الوضع على ما هو عليه الآن، لأنني، وأينما ذهبت فأنا مراقب وخاصة في البيت، ماذا أفعل في عملي، وإن كنت أحصل على شيء من أجله... إلخ. باختصار ففي المجتمع يتطلع كل الناس تقريبا إلى ما تفعل طوال الوقت ويرغبون في معرفة كل شيء عنه.

وذلك مفهوم جدًا. حسنًا، إنه أمر بائس بالنسبة لي أن أكون دائمًا في وضع زائف.

لا يمكن أن تظل الأمور على ما هي عليه الآن. لم لا؟ لأنه لا يمكن.

ولو كنتُ فاترًا جدًا حيال أبي والعم كور فلم أسلك حيالك سلوكًا مختلفًا فيما أنا ألحظ فيك الأداءات نفسها بالضبط بعدم الإفصاح أبدًا في الكلام. هل أعتبر نفسي أفضل منك أو من أبي؟ ربما لا، ربما صرت أقل تقسيما للأمور بين خير وشر، لكنني أعرف أن هذه الأداءات لا تلائم مصورًا، وأن الإنسان كمصور لا بد أن يتكلم بطلاقة وأن يحلّ بعض الأمور. باختصار، فأنا أعتقد أن بابًا ما لا بد أن يكون إما مفتوحًا وإما مغلقًا.

حسنًا، أعتقد أنك تفهم أن تاجر الفن لا يمكن أن يكون محايدًا حيال المصورين، وأنك تترك لدي الانطباع نفسه عندما ترفض عملي سواء بكلمات منمقة أم بدونها، وأن ذلك قد يكون مثيرًا للغيظ أكثر عندما يقال مغلقًا بالمجاملة.

الآن إليك شيء ربما تفهمه لاحقًا أفضل من الآن، إنني أشفق على تجار الفن عندما يتقدمون في السن، حتى لو كانوا قد كونوا ثرواتهم بالفعل، فذلك لا يحل كل المشاكل، ليس في ذلك الحين على الأقل. لكل شيء ثمنه وهو ما يكون لهم كصحراء جليدية في وقتها.

حسنًا، لكنك ربما تفكر بشكل مختلف عن هذا الأمر. وقد تقول إنه من الحزن أيضًا أن يموت مصور ميتة بائسة في المستشفى فيدفن مع العاهرات في المقابر العمومية، حيث يقبع الكثير منهم في نهاية الأمر، وبالذات عندما يعتبر الواحد تلك الميتة أهون من الحياة.

حسنًا، لا يمكن أن يأخذ المرء على محمل سيئ إن كان التاجر لا يملك دائمًا المال اللازم للمساعدة، لكن بإمكانه، من وجهة نظري أن يأخذ على محمل سيئ أن هذا التاجر المحترم أو ذاك يتحدث بشكل ودي جدًا، لكنه في قرارة نفسه يشعر بالعار مني وهو يتجاهل عملي تمامًا. وعليه، فبكل صراحة لن آخذها على محمل سيئ لو قلت لي مباشرةً إنك لا تعتقد أن أعمالي جيدة بما يكفي، أو إن هناك علاوة على ذلك أسبابًا أخرى تجعلك لا تلقي لها بالًا، لكن لو كنت تهملها في أحد الأركان ولا تعرضها، فذلك ليس لطيفًا لو كان مصحوبًا بتأكيدات –غير صادقة– أنك أنت

نفسك ترى فيها شيئًا ما. أنا لا أصدق هذا، أنت لا تعني أي شيء من هذا بشكل عملي. وتحديدًا لأنك تقول إنك تعرف أعمالي أكثر من أي شخص آخر، فأنا قد أفترض أنك تعتقد أنها سيئة جدًا الحقيقة إذا كنت لا تريد أن تلوث يديك بها. فلماذا يجب أن أفرض نفسي عليك؟ حسنًا، تحياتي.

المخلص،

فنسنت

بخلاف سنوات قلائل كنت أجد فيها صعوبة في فهم ذاتي، عندما كنتُ مشوشًا بالأفكار الدينية – بنوع من الصوفية، بخلاف تلك الفترة، فقد عشت دائمًا في دفء ما. والآن كل شيء يصير أكثر جفافًا وبرودةً وضجرًا من حولي. وعندما أقول لك إنني في المقام الأول لن أحتمل هذا، لا يهم إن كنت سأقدر أم لا، فأنا أشير إلى ما قلته في البدايات الأولى لعلاقتنا. ما آخذه عليك في السنة الأخيرة هو ارتدادك إلى نوع من التحفظ البارد، وهو ما أجده عقيمًا وبلا فائدة، وهو على طرف نقيض من كل ما هو حيوي، لا سيما كل ما هو فني.

أقول لك ما أراه، لا لأجعلك تبتئس ولكن لأجعلك ترى وتشعر إن أمكن ذلك السبب الذي من أجله لم أعد أراك أخًا وصديقًا بالطريقة المبهجة نفسها كما في السابق. لا بد أن تكون هناك بعض الحيوية في حياتي حتى تظهر في فرشاتي، لن أتقدم قيد أنملة بممارسة الصبر. ولو -من جانبك- انتكست لما سبق وأن قلته لك، فلا تأخذها عليّ لو لم أعد كما كنتُ حيالك في السنة الأولى.

وعن رسومي، ففي هذه اللحظة يبدو لي أن لوحات الألوان المائية، رسوم القلم للنساجين، تلك الأخيرة التي أعمل عليها ليست مملة في المجمل حتى إنها ليست شيئًا على الإطلاق. ولكن لو استخلصت نتيجةً: هي ليست جيدة، وتيو محق عندما لا يعرضها على أي شخص كان. ثم.. ثم.. سيكون فوق هذا إثباتا لوجود سبب قوي لدي للنفور من وضعنا الحالي الزائف، وهو ما سأحاول أن أغيره أيا كانت النتيجة، للأفضل أو للأسوأ، لكن ليس كما هو.

لو أنني قد رأيت، بما أنك لا تعتقد أنني أتحسن بما يكفي، أنك فعلت شيئا حيال ذلك لتجعلني أتقدم كأن تعرفني بمصور آخر متمكن مثلًا، بما أن موف قد انسحب، او اي شيء، أي علامة تثبت لي أنك تؤمن حقيقة بقابليتي للتطور أو أنك تدعمها. ولكن لا، هناك النقود أينعم، لكن لا شيء آخر سوى "استمر في العمل" و"كن صبورا"، باردة كالموت ولا تحتمل كالياس، كما لو كان أبي هو من قالها، على سبيل المثال. لا أستطيع العيش على هذا. أشعر بوحدة شديدة وببرودة وخواء وشحوب.

أنا لستُ أفضل من أي شخص آخر، فلدي احتياجاتي ورغباتي كأي شخص آخر، ومن المتفهم جدًا أن المرء يتفاعل وهو يعرف بالتأكيد أنه لا يزال متأرجحا في الظلام.

لو تدهور المرء من السيئ للأسوأ، وهذا ليس مستحيلًا في حالتي، فمن سيبالي؟ لو كان الواحد مكتئبًا بقوة، فلا بد أن تكون له فرصة ليجعل الأمور أفضل.

لا بد أن أذكرك يا أخي بكيف كنتُ عندما بدأنا بدايتنا الأولى.

منذ البداية تماما قد تكلمت معك حول مسألة المرأة. ما زلت أتذكر أنني أخذتك إلى محطة روزندال في السنة الأولى، وأنني قلت لك وقتها إنني ضد أن أكون بمفردي وإنني أفضل البقاء مع عاهرة عمومية عن أن أكون وحدي. ربما تتذكر ذلك.

كنت لا أحتمل فكرة أن علاقتنا قد لا تستمر في البداية. وكم تمنيت أن يكون الأمر بسيطًا فيمكن تغييره. ومع ذلك، لا يمكنني الاستمرار في خداع نفسي بأن ذلك يمكن أن يصمد في وجه التيار.

إن الإحباط من ذلك كان أحد الأسباب التي جعلتني أكتب لك جازمًا من درينته، فلتصبح مصورًا إذن. وهو ما فتر على الفور عندما رأيت غضبك من تجارة الفن قد انتهى عندما انصلحت أمورك مع جوبيل ثانيةً.

في البداية ظننت أنه نصف إخلاص، ثم لاحقًا، والآن ما زلت أفكر أنه طبيعي جدًا فأنا من كان مخطئا حين كتبت لك ناصحًا أن تصبح مُصورًا، لا أنت باستئنافك أعمالك بحماس عندما صار من الممكن أن تُستأنف بتوقف المكائد التي كانت تجعل ذلك مستحيلًا.

ما يتبقى مع ذلك هو أنني ما زلت أشعر بالإحباط لزيف الوضع بيننا. من الأهم بالنسبة لي في هذه اللحظة أن أبيع شيئا في مقابل خمسة جيلدرات على أن أتلقى عشرة بصفة الرعاية. حسنًا، كنت تكتب لي بشكل متكرر، ومؤكدًا بالفعل أنك لم ولن تفعل ولا تعتقد أنك قادر على فعل أقل مجهود من أجل أعمالي؛ أولًا كتاجر فن (وقد تركتُ هذه تمر ولم آخذها على محمل سيئ) ولكن ثانيًا ليس فيما بيننا أيضًا (وهذه آخذها عليك بشكل ما).

وفي هذه الحالة لا ينبغي أن أجلس صامتًا، أو أن أجبن، وها أنا أقول لك بصراحة، لو لم تفعل شيئا بأعمالي، فأنا لا أريد رعايتك. لقد ذكرتُ السبب بوضوح وسأذكره بالطريقة نفسها بالضبط، عندما يكون من الصعب تجنب إبداء السبب.

فالأمر ليس هو أنني أريد أن أتجاهل أو أقلل من عونك منذ البداية حتى الآن. لكنني أرى فائدة حتى في أفقر وأتعس حالات التخبط أكثر من الرعاية (التي ينحدر الأمر نحوها).

لا يستطيع المرء أن يتصرف بدونها في البداية الأولى، ولكنني الآن لا بد بحق الرب وهو وحده يعلم كيف، أن أشرع في التخبط بمفردي عوضًا عن الإذعان لشيء لن يجعلنا نتحرك من مكاننا. وسواء كان بشكل أخوي أم لا، لو لم تكن تستطيع فعل أي شيء مطلقًا سوى المساعدة المالية وحدها، فبإمكانك إيقافها هي أيضًا. إذ إنها كانت في العام الماضي، وأنا أجرؤ على قول هذا، مقتصرة فقط على النقود.

وعلى الرغم من أنك تقول إنك تطلق يدي بمنتهى الحرية، فإنه يبدو لي في العمق أنه لو فعلت هذا أو ذاك مع امرأة، على سبيل المثال، فإنك والآخرين لن تقروا هذا (ربما عن حق لا تقرون هذا لكنني أحيانًا لا أعبأ بذلك) وعندها تأتي تلك التضييقات على كيس النقود فقط لتجعلني أشعر "أنه من مصلحتي" أن أتماشى مع رأيك.

إذن فلديك طريقتك حيال المرأة، وقد انتهى ذلك، لكن... بأي جحيم ما الخير بالنسبة لي في أن أحصل على بعض النقود لو كان ذلك يعني أن أمارس الفضيلة؟ وأنا

لا اعتقد أنه كان أمرًا عبثيًا في حد ذاته عندما أدنت الصيف الماضي رغبتي في الاستمرار في ذلك. لكنني أستطيع أن أتوقع ما سيلي في المستقبل: ستكون لي علاقة أخرى مع واحدة ممن تسمونهم أنتم أيها الناس "الطبقات المنحطة"، وثانيةً، لو كان لا يزال لدي علاقة معك، فتوقع المعارضة نفسها. معارضة ستستطيعون معها أيها الناس أن تواصلوا بأي مظهر من مظاهر الإنصاف لو أنني تلقيت الكثير منك فأستطيع أن أفعل شيئًا مختلفًا. وهو ما لا تعطيه أو لا تستطيع أو لن تفعل، في النهاية، لا أنت ولا أبي ولا العم كور، ولا الآخرون ممن يكونون في طليعة من يستهجن هذا أو ذاك، وهو أيضًا ما لا أريده منك حتى، بما أنني لا أفكر كثيرًا في طبقات منحطة أو عليا.

هل فهمت كيف أنه ليس فعلًا غير مسؤول من قبلي، ولن يكون لو جربته ثانيةً؟

لأنني من البداية ليس لدي أية ادعاءات، ولا أشعر بأية رغبة على الإطلاق، وثانية لا أتلقى مواردَ من أي شخص كان، ولا أربحها لأحافظ على وضع ما أو أيا كان اسمه، وأنا أعتبر نفسي حرًا في أن أقترن بما تسمونه الطبقة المنحطة لو سنحت فرصةٌ.

نحن نعود دائمًا إلى السؤال نفسه.

فقط اسأل نفسك الآن لو كنتُ أنا الوحيد بين أهل هذه المهنة من كان بالتأكيد سيتخلص من رعاية فنية لو استتبعت فروضًا للحفاظ على وضع ما، فيما لم تكن النقود كافية، فيثقل المرء بالديون عوضا عن أن يتقدم. لو كان ذلك ممكنا بهذه النقود، ربما لم أكن أرفض الإذعان، ليس أكثر مما يفعل الآخرون. لكننا لم نبلغ هذا الحد في الوقت الحالي. أمامي لا يزال امتداد من السنوات، كما تقول أنت نفسك، حتى يكون لأعمالي قيمة تجارية قليلة. حسن جدًا، أنا أفضل إذن السقوط في التخبط قدما وأن أعيش وقتًا عصيبًا –وهو ما حدث لي أكثر من مرة– عن السقوط بين يدي السادة فان جوخ.

إن ندمي الوحيد على تشاجري مع أبي هو أنني لم أفعلها قبلها بعشر سنوات. لو واصلت طريقك على خطوات أبي ومن هم على شاكلته، فسترى كيف سيصيبك

الضجر بالتدريج، وكيف ستصبح أيضًا مضجرًا لبعض الناس. لكن هؤلاء زبائن متعبون وستقول إن لا أهمية لهم.

٤٣٤ | نيونن، بين الأربعاء ٥ والأحد ٩ مارس ١٨٨٤ تقريبا

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

ذات يوم سأرسل إليك رسمًا آخر جديدًا بالقلم لنسّاج، أكبر من الخمسة الآخرين. ويرى النول من الأمام، وهذا سيجعل هذه السلسلة من الرسوم أكثر اكتمالًا. أعتقد أنها ستبدو أفضل لو لصقت على ورق إنجر رمادي.

سأصاب بالإحباط قليلًا لو عادت إليّ تلك الرسوم. ولو أن لا أحد آخر يريد أن يأخذها، فأعتقد أنه يمكن أن تأخذها لنفسك بغرض تجميع عدد من الرسوم بالقلم حول الصنّاع في برابنت، وهذه كبداية. وهو ما سأكون سعيدًا بالتكفل به. وبافتراض أنني سأبقى في برابنت فترة طويلة، فسوف أكون حريصًا على فعل ذلك.

وفي حالة أننا سنجعلها طقمًا مجمعًا، فسأكون سعيدا بأن أضع له ثمنًا منخفضًا فتظل مجموعةً، حتى لو صنعت فيما بعد العديد من الرسوم من هذا النوع.

وعلى أي حال، فمن جانبي سوف أتماشى مع ما تجده مناسبًا في هذا الشأن.

وها أنت ترى أن مسعاي ليس أن أقطع الأعمال معك، أنا فقط أشرت لك إلى أنه قد يكون أجدى أن تعرض الرسوم إذ أرسلها إليك.

وبخصوص ما كتبته لي عن ماري، فأعتقد أنه في حالة كهذه، حيث لا يرى المرء إمكانية للاستمرار، فهناك شيء لا ينبغي أن ينساه. فإذا كانت تلك المرأة قد أحبتك وشعرت بشيء ما حيالك، وأنت بالمثل حيالها، فتلك الفترة من الحب هي ضربة حظ

في الحياة. سواء كانت المرأة جميلة أم قبيحة، شابة أم عجوزًا، وأظهرت أفضل أم أسوأ ما فيها، فذلك كله لا يؤثر إلا بشكل غير مباشر. وتبقى الحقيقة الواضحة أنكما قد أحببتما أحدكما الآخر. وعند الافتراق الآن، لا تمحُ هذا، وحاول ألا تنساه، فالصخرة التي ينبغي تفاديها هي كونك متفوقًا أخلاقيا، فلا ينبغي حينئذ أن يتركها المرء لتبدو وكأن المرأة كان عليها التزام قوي نحو الرجل، يجب أن يفترق المرء كما لو كان ملتزما تجاه نفسه، وهو من وجهة نظري أكثر شهامة وإنسانية. ربما تراها بالطريقة نفسها أيضًا. إن الحب دائما ما يسبب المشاكل، هذا حقيقي، ولكن ما في صالحه أنه ينعش. ولكن على أي حال.

أما بالنسبة لي، فأنا أعتقد أنني لم أحز خبرة كافية بالنساء حتى الآن، وقد يكون الأمر نفسه بالنسبة لك إلى حد ما. فما تعلمناه عنهن في شبابنا كان خاطئًا إلى حد كبير، وذلك مؤكد، ولا علاقة له نهائيا بالحياة الواقعية. ولو كان على المرء أن يحرص على التعلم من الخبرة، كان سيكون من المرضي لو كان المرء صالحًا والعالم خيرًا... إلخ. نعم في الحقيقة، ولكن يبدو لي أن المرء يتحقق وبشكل متزايد من أننا نحن أنفسنا أشرار كما هو العالم شر بشكل عام، والذي نحن منه كذرة غبار، والعالم شر تمامًا مثلنا، وسواء بذل المرء ما في وسعه أو تصرف بعدم اكتراث، فإن الأمر يضير دائما شيئا آخر، ويعمل بشكل مختلف عما أراده الواحد فعليًا. لكن سواء تحولت للأفضل أو للأسوأ، أسعد أم أتعس، ففعل شيء أفضل من عدم فعل أي شيء.

حسنًا، وكما يقول العم فنسنت، شريطة أن يراعي المرء ألا يتحول إلى عصا متفوقة أخلاقيًا، فبإمكانه أن يكون بارا كما يشاء. لقد لقن سعادته هذا الدرس لكريمة العم كور.

حسنًا، تحياتي.

المخلص،

فنسنت

إن رسالتك عن ميه بها فقرات جيدة، ملحوظات جيدة أكثر مما قلته عن ليرميت، الذي بإمكانك أن تحتفظ بتعاطفك معه، فيما يبدو لي. لا تشغل نفسك بهذا

الجدل العقيم حول من الأول ومن الثاني... إلخ. فذلك ليس إلا ترهات وحماقة. هنالك الكثيرون ممن قاموا بذلك، ولتكن أنت واحدًا ممن يعتقدون أن مييه جيد جدًا وكذلك ليرميت، فلا تترك بذلك مجالًا للانشغال بمن الأفضل، ومن الأول، فكلاهما يعلو على التصنيف.

فما الفائدة من إجراء مقارنة بين رامبرانت ونيكولاس مايس أو فيرمير. هراء، أليس كذلك؟ فلنتوقف عن هذا.

هناك أيضًا شيء كنت أريد أن أسألك عنه بخصوص مييه. هل تعتقد أن مييه كان ليكون مييه الذي نعرفه لو أنه عاش دون أن ينجب أو يتزوج؟

لقد عثر على إلهامه بسهولة وتعاطف مع الشعب البسيط بشكل أفضل وأعمق لأنه هو نفسه عاش حياة أسرة من العمال، ولكن بحس أعمق بما لا يقاس من أي عامل عادي. كان شعار مييه هو: ليبارك الرب الأسر الكبيرة، وكانت حياته تبرهن على أنه صادق في هذا. هل كان مييه قادرا على فعل هذا بدون سونسييه؟ ربما لا. لكن لم قطع مييه مع هؤلاء الرجال الذين كانوا أصدقاءه في الأصل وقد كان يحصل منهم على معاش؟ لقد قال سونسييه ما يكفي عن هذا ليوضح أن المشكلة كانت أنهم صنفوا مييه شخصًا وفنًا كمتوسط القيمة، وعذبوا مييه وأنفسهم بهذه القصة حتى انكسرت هذه الجرة في النهاية، من كثرة تدليها في البئر. وكذلك لم يتطرق سونسييه إلى تفاصيل تلك الأيام، كما لو كان قد أدرك أن مييه نفسه يعتبر تلك الفترة إزعاجًا رهيبًا ويفضل ألا يفكر فيها. وقد قال سونسييه في مكان ما إن مييه عندما كان يفكر في زوجته الأولى وصراعات تلك الأيام، كان يطبق على رأسه بيديه مع إيماءة كما لو كان ظلام عظيم وغم لا يمكن التعبير عنه من تلك الفترة قد غمراه ثانيةً. كانت حياته الأسرية في الزيجة الثانية أكثر نجاحًا، لكنه لم يعد إلى هؤلاء الناس الأصليين ثانيةً.

٤٣٩ | نيونن، نحو الثلاثاء ١٨ مارس (آذار) ١٨٨٤
إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

أشكرك على رسالتك، التي أسعدتني كثيرًا. لقد سرّني أنك رأيت شيئا جيدًا في رسومي.

لن أتطرق إلى عموميات حول التقنية، لكنني أتوقع أن يقول الناس أكثر من الآن إنه لا تقنية لدي، تحديدًا عندما أصير أقوى فيما أسميه قوة التعبير. وبناء على ذلك، فأنا أتفق معك تمامًا في أنني يجب أن أواصل قول ما أقوله في أعمالي الحالية، وبقوة أكبر. وأنا أكدح كي أقوي نفسي في هذا، لكنني لا أتفق معك في أن الجمهور العام سيفهمه أفضل عندها.

والشيء نفسه من رأيي لا يغير من حقيقة أن منطق الرجل الطيب الذي سأل عن أعمالك "هل هو يرسم من أجل المال؟" هو منطق رجل شكّاء، بما أن ذلك المخلوق الذكي يعد فكرة أن أصالة العمل تمنع المرء من التكسب منه من البديهيات.

ولنقبل هذه كبديهية، لأن عدم إثباتها كاقتراح هو -كما قلت- حيلة الشكائين الدائمة، والماكرين الكسالى الصغار.

هل تعتقد أنني لا أهتم بالتقنية أو أنني لا أبحث عنها؟ إنني أفعل، لكن فقط حتى الحد الذي يمكنني من قول ما أريد قوله، وحيث لا أستطيع أن أفعل ذلك بعد، أو ليس جيدًا بالقدر الكافي، فأنا أعمل على تحسين قدرتي. لكنني لا أبالي إن كانت لغتي تساوي لغة واحد من هؤلاء الخطباء، (أنت تعرف أنك عقدت هذه المقارنة، لو أن أحدا لديه شيء نافع، وحقيقي، وضروري أن يقال، وقاله بمصطلحات كانت عصية على الفهم، فما الخير فيه سواء للمتحدث أو للمستمعين؟).

أود أن أظل في هذه النقطة لوهلة، وتحديدًا لأنني أقابل أحيانًا ظاهرة تاريخية مثيرة.

دعنا نتفق على شيء بوضوح: أن المرء لا بد وأن يخاطب الجمهور بلغته الأم لو كان ذاك الجمهور يتكلم لغة واحدة فقط، وهذا غني عن القول، وسيكون من العبث ألا نعتبره حقيقة.

والآن إلى الجزء الثاني من المسألة. لنفترض أن رجلًا لديه ما يقوله وهو يتكلم اللغة التي يألفها جمهوره بشكل طبيعي. ثم إن ظاهرة عدم امتلاك المتحدث بالحقيقة للكثير من البلاغة الخطابية ستتبدى مرةً بعد مرة، ولن تروق لمعظم جمهوره، وسيصنف كرجل ك "بطيء الخطاب" وسيحتقر لذلك.

وقد يعتبر نفسه محظوظًا لو كان هناك شخص واحد، أو بضعة أشخاص على الأكثر تعلموا شيئا منه، فذلك لأن هؤلاء المستمعين لم يكونوا معنيين بقدراته الخطابية ولكنهم معنيون بالحقيقة تحديدًا وفعليًا، وبفائدة الكلمة وضرورتها، مما يؤدي إلى استنارتهم واتساع أفقهم وجعلهم أكثر حريةً وذكاء.

والآن إلى المصورين، هل غرض الفن وغايته القصوى هي تلك البقع الفريدة من الألوان، ذلك التمرد في الرسم، أهذا ما يسمى تميز التقنية؟ بالتأكيد لا. لو أن الواحد أخذ لوحة لكورو أو دوبيني أو دوبريه أو مييه أو إسرائيل -هؤلاء الطليعيين العظام- فإن أعمالهم تتجاوز التصوير، وهي تقف بمعزل عن أعمال المتأنقين التي ليست سوى خطبة بليغة (من روما رومستان مثلًا) وهي شيء مختلف تمامًا عن صلاة أو قصيدة شعر جميلة.

ولهذا ينبغي للمرء أن يعمل على التقنية كمن ينبغي له أن يقول ما يشعر به بشكل أفضل، وأكثر دقة وعمقا، وبأقل قدر من الحشو الكلامي. لكن البقية، لا ينبغي أن يشغل المرء نفسه بها.

وأنا أقول هذا لأنني لاحظت أنك تعتقد أن ثمة أشياء في أعمالك ليست جيدة، وهي بالنسبة لي جيدة. من وجهة نظري فإن التقنية لديك أفضل مما هي لدى هافرمان

مثلًا، لأن ضربات فرشاتك كثيرًا ما يكون بها شيء فريد، ومميز وحاذق ومدروس، وهي لدى هافرمان تقليدية بشكل لانهائي تفوح برائحة المرسم دائمًا، لا بعطر الطبيعة.

اسكتشاتك تلك التي رأيتها، على سبيل المثال النساج الصغير، والنساء العجائز من تيرشيلينج، قد راقتني. إنها تذهب إلى قلب الأشياء. لم تثر فيّ أعمال هافرمان سوى الشعور بالضيق والضجر.

أخشى أنك قد تسمع في المستقبل أنت أيضًا، وأنا أهنئك على ذلك، التعليقات نفسها عن التقنية، كذلك عن الموضوع... وكل شيء في الحقيقة، حتى عندما تكتسب ضربات فرشاتك شخصية وهو ما لم يتحقق حتى الآن.

هناك مع ذلك محبون للفن يقدرون تحديدًا تلك الأشياء التي تم تصويرها بعاطفة.

وعلى الرغم من أننا لم نعد في أيام توريه أو تيوفيل جوتييه - للحسرة. فكر فقط، هل من الحكمة، خاصة في أيامنا هذه، أن نتكلم كثيرًا عن التقنية؟ ستقول، أنا أفعل ذلك عن نفسي هنا. وفي الحقيقة أنا آسف لذلك.

ولكن من جانبي، فأنا أنتوي أن أقول للناس باستمرار إنني لا أتقن التصوير، حتى عندما تتم لي السيطرة على الفرشاة أكثر من الآن. هل تفهم؟ خاصة وقتها، عندما يكون لي حقيقة أسلوبي الخاص، أكثر تمامًا وإيجازًا من الآن.

لقد أعجبني ما قاله هيركومر عندما افتتح مدرسته الخاصة للفن، لعدد من الناس ممن يستطيعون ممارسة التصوير بالفعل. لقد ترجى تلامذته أن يكونوا لطفاء فلا يرغبوا في التصوير على طريقته، لكن وفقًا لطبيعتهم هم الخاصة. أنا معني، قال، بتحرير الأصالة من عقالها، لا باكتساب حواريين لمذهب هيركومر.

إن الأسود لا تحاكي بعضها البعض كالقرود.

حسنًا، لقد مارست التصوير كثيرًا في الأيام الفائتة، فتاة جالسة تلف البكرات للنساجين، وشكل النساج منفصلًا.

أتوق لأن ترى دراساتي التصويرية في وقت ما، ليس لأنني راض عنها أنا نفسي، ولكن لأني أعتقد أنها ستقنعك بأنني أدرب يدي، وعندما أقول إنني أهتم قليلا نسبيا بالتقنية، فذلك ليس اتقاءً للمشاكل أو لتجنب الصعوبات. لأن ذلك ليس نظامي.

أنا أيضًا أتوق لأن تتعرف على ذلك الركن من برابنت في وقت ما، وهو أجمل كثيرا من نواحي بريدا من وجهة نظري. إن الطقس رائع حاليًا هنا.

توجد قرية هنا اسمها سون إن برويجل، هي تتشابه مع كوريير ـحيث عاش آل بريتون- بشكل مذهل، وعلى الأقل الوجوه هنا لها الجمال نفسه. وبما أن الواحد قد بدأ في تقدير الشكل أكثر، فهو أحيانًا ينفر من "الأزياء التقليدية الهولندية" كما يسمونها في ألبومات الفوتوغرافيا التي يبيعونها للأجانب.

أرسل إليك هنا مرفقًا، كتيبًا صغيرًا عن كورو، وهو ما أعتقد أنك ستستمتع بقراءته إن لم تكن تعرفه، فبه العديد من المعلومات الدقيقة عن سيرته. لقد رأيت المعرض في وقته، وهذا الكتيب كان الكتالوج المصاحب له. ما هو لافت للنظر به هو أن الرجل قد نضج وطاب منذ وقت طويل. انظر فقط لما صنعه في فترات مختلفة من حياته. لقد رأيت نماذج من أعماله الحالية الأولى ـوهي نتاج سنوات من الدراسة- صادقة كما يكون النهار طويلًا، وسليمة جدًا. ولكن كيف ازدراها الناس؟! كانت دراسات كورو أشبه بدرس لي عندما رأيتها، وكنت وقتها مأخوذًا بالفعل باختلاف دراسات العديد من مصوري المناظر الطبيعية الآخرين.

لو لم أرَ الكثير من التقنية في مقبرتك الريفية الصغيرة عما في دراسات كورو، فأنا أقارنها بها. وهي متطابقة في المشاعر، محاولة للتعبير فقط عما هو حميمي وجوهري.

ما أقوله في هذه الرسالة يتلخص في التالي: دعنا نتمكن من مغزى أسرار التقنية جيدًا حتى ينخدع الناس ويقسموا بكل المقدسات أننا لا نمتلك أية تقنية.

وليكن عملنا متقنًا جدا حتى يبدو ساذجا فلا تفوح منه رائحة مهارتنا.

لا أعتقد أنني بلغت هذه النقطة المرجوة بعد، ولا أعتقد حتى أنك قد بلغتها على الرغم من كونك متقدمًا عني.

وأعتقد أنك سترى في هذه الرسالة أكثر من مجرد غربلة للكلمات.

وأعتقد أنه كلما ازدادت علاقة المرء بالطبيعة، وكلما ازداد تعمقًا فيها، قل انجذابه لتلك الأشياء المنجزة داخل المرسم، مع ذلك، فأنا أود أن آخذهم على علاتهم، وأراهم وهم يمارسون التصوير. أود حقيقة أن أقضي الكثير من الوقت في المراسم.

لم أجد ذلك في الكتب

ومن المثقفين، آه تعلمت القليل

هذا الاقتباس من دي جينستيت كما تعلم. وبإمكان الواحد أن يقول كتنويعة على هذا الكلام:

لم أجد ذلك في المرسم

ومن المصورين/الخبراء، آه تعلمت القليل

ربما يكون إدخالي للمصورين أو الخبراء بالتساوي صادمًا لك.

لكن لنغير الموضوع، إنه من الصعب بشكل شيطاني ألا تشعر بشيء، وألا تتأثر بما يقوله الشكاؤون من قبيل "أهو يمارس التصوير من أجل المال؟". والواحد يسمع ذلك العفن يومًا بعد يوم، ثم لاحقا يغضب من نفسه لأنه لاحظ ذلك أصلًا. ذلك هو الأمر معي، وأعتقد أنه لا بد وأن يكون كذلك معك أيضًا. الواحد لا يعبأ بذلك، لكنه يضغط على الأعصاب، كمن يستمع إلى شخص يغني نشازًا أو كأنك مطارد من قبل عازف شوارع رديء يحمل ضغينة ضدك. ألا تعتقد أن ذلك العازف الرديء حقيقي، وأنه يبدو قاصدًا إياك بشكل خاص؟

فأينما ذهب الواحد، فثمة اللحن القديم نفسه في كل مكان.

آه، أما عن نفسي، فسوف أفعل الآتي، عندما يقول لي الناس هذا أو ذاك، فسوف أنهي جملتهم قبل أن يتموها، على غرار ما أفعل حين أجد في شخص عادة أن يمد لي إصبعا عوضا عن يده للمصافحة، فأجهز له بدوري إصبعا وحيدة، وأحتفظ بوجهي جامدًا، وألمس بحرص إصبعه بإصبعي عند المصافحة، بطريقة لا يستطيع معها الرجل قول أي شيء لكنه يتحقق من أني قد أدرت له ظهري (وقد فعلتها بالأمس مع أحد زملاء أبي المبجلين).

حسنا، لقد أغضبت أحدهم مؤخرا بشيء من القبيل نفسه، وهل يخسر المرء شيئا جراء ذلك؟ لا، ففي الحقيقة هؤلاء الناس مجرد عوائق، وأنا أكتب لك حول بعض المصطلحات التي تستخدمها لأسألك: هل أنت متأكد أن هؤلاء من يرفعون التقنية إلى السماء مديحًا من ذوي النية السليمة؟ أنا أسأل عن هذا تحديدًا لأنني أعرف أن هدفك هو تجنب تأنق المرسم.

٤٤٠ | نيونن، نحو الثلاثاء ٢٠ مارس (آذار) ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

استلمت للتو رسالتك والمئتين والخمسين فرنكًا المرفقة بها. لو اعتبرتُ رسالتك ردًا على اقتراحي، فسوف أكون بالتأكيد قادرًا على قبول ما تقول. ومن جانبي، فلتجنب المراسلات والمشاحنات، ولكي أستطيع أن أقول شيئا للرد على التهكمات اليومية من بعض الأشخاص كوني "بلا موارد للدخل"، وإذا استمررت في تلقي المعتاد منك، فأرجو ببساطة أن أعتبرها نقودًا قد ربحتُها على سبيل الأجر. ومن الطبيعي أني سوف أرسل إليك أعمالًا كل شهر. تلك الأعمال، هي كما تقول ستكون ملكا لك،

وأنا أوافقك تمامًا على أنه في هذه الحالة لك كل الحق في ألا تفعل بها شيئا، وحقيقة سوف أكون في وضع لا يسمح لي حتى بالاعتراض لو عنّ لك حتى أن تمزقها.

وأنا من جانبي، ولكوني محتاجا للنقود، فأنا مضطر للقبول حتى لو قال لي أحدهم "أنا لا أريد أن أفعل أي شيء برسومك هذه أو سوف أحرقها، وبإمكانك أن تأخذ ذلك المبلغ في مقابلها". في تلك الحالة سوف أقول "حسنًا، أعطني النقود، هاك أعمالي". أريد أن أتقدم، ومن أجل أن أتقدم لا بد أن يكون لدي المال، وسأعمل على أن أحصل عليه، ومن ثم ولو كان ضروريًا، وحتى لو لم أكن أعبأ بك ما دمت أحصل منك على النقود اللازمة والضرورية لي كل شهر (وبدون شروط كألا أفعل هذا أو ذاك أو أي شيء آخر)، فأنا لن أقطع الصلات، وعند الضرورة سأتواءم مع أي شيء.

إن طريقتي في النظر لك ولنقودك توازن طريقتك في النظر لي ولأعمالي، وما دامت متوازنة فأنا أقبلها.

لو كنت أتلقى النقود منك، وأنت تتلقى رسومًا أو لوحات تصوير مني، وهكذا فلدي ما يبرر وجودي في نظر المجتمع، وغير هذا فلا يوجد أي شيء مشترك بيني وبينك. فلو لم تكن هناك ضرورة، فلا تكتب أو تتكلم عن أي شيء، حتى هذا هو كاف بالنسبة لي حاليًا وأنا أقبله تمامًا. حتى لو عنّ لك أن تمزق أعمالي أو تهملها أو أن تفعل بها أي شيء، فلم يعد لدي حق انتقاد ذلك، إذ إنني من جانبي قد أعتبرها مبيعة.

كن كريمًا وأخبرني أي مصطلح يدل على الاستغلال استخدمته بحق صديقك برات في رسالتي.

في تلك الرسالة، على حد علمي، لم يكن هناك أي شيء عن برات باستثناء أنني أعتقد أنه كان مريضًا بالفعل خلال الشهور التي عرفته فيها في جوبيل وسي في باريس. في ذلك الوقت، حسبما أتذكر، كنت منسجما جدا معه، ولا أفهم حقيقة من أين جئت أنت بفكرة "أنني لا أحتمله". مرت سنوات عديدة، وتغير الكثير بالنسبة

لي خلال هذه السنوات، حتى إن الأشخاص الذين عرفتهم وقتها طواهم الغموض وصرت لا أميزهم في ذاكرتي، ونادرا ما أفكر فيهم إذا حدث ذلك من الأصل، وهو ما لا يستطيع أحد أن يلومني عليه، فيما أعتقد. ولكن بالنسبة لبرات، وبعيدا عن كوني لا أريد أن أوليه عناية خاصة، كما صورتها بهذه الطريقة في رسالتك، فهل أكدت له أنني متعاطف معه، كما أتعاطف مع أي شخص يعاني، وإذا كان يتذكرني فأنا أرسل إليه تحياتي وأتمنى له كل السلام والسكينة اللازمين له في مثل هذا الموقف.

ومع ذلك، فما الذي سيجنيه من هذه الأمنية، ليس الكثير، فإن لم يُدعَ المرء ليقول شيئا، فإنه يحتفظ بمثل هذه الأشياء لنفسه. وسوف أطلب منك كذلك، إن كنت قد قلتَ له شيئا من تلك الأشياء التي تتهمني بقولها عنه، أن تخبره أنك قرأت مصطلح استغلال فقط في خيالك. لأنك بالتأكيد لن تجده في رسالتي.

كتبتَ أنك قد حاولت أن ترد على رسالتي، لكنك أحجمت. ومن ناحيتي، فأنا أيضًا أحاول أن أكتب لك منذ وقتها، لكنني أحجمت بدوري.

ولتعلم أنك لو لم ترِد أن تفعل أي شيء بالأعمال التي تشتريها مني، أو رغبت في تمزيقها إذا لزم الأمر، فذلك لن يعيقني عن بذل ما في وسعي فيها.

ولهذا الشهر لدي بعض الرسوم بالقلم من أجلك؛ وفي المقام الأول تلك التي لدى رابارد حاليًا. وقد تلقيت منه رسالة بخصوصها يقول إنه يعتقد أنها جميلة كلها، وإن الإحساس في "خلف الشجيرات" و"طائر الرفراف" جميل بشكل خاص. ثم هناك الحدائق الشتوية الثلاث الأولى وهو أيضًا مفتون بها. وبخلاف هذه، فلدي بعض الدراسات بألوان الزيت من مقتنياتك -ولتفعل بها ما تشاء- ومن الممكن أن أرسلها إليك إذا أردت ذلك، وإن كنت غير مهتم بالحصول عليها، فسوف أطلب منك أن أحتفظ بها لفترة ريثما أعمل على نسقها.

واحدة كبيرة عن نساج يعمل على نسج قطعة قماش حمراء، الكنيسة الصغيرة وسط القمح، ومنظر لقرية قديمة صغيرة في الجوار هنا.

أود الآن أن أعود لرسالتك حول رسومي، تلك التي تقول إنني أولتها بشكل مستحيل تمامًا.

بدايةً، فأنا أرى أنه من بين الأشياء التي قلتها، هناك القليل فحواه أن هناك أشياء راقتك في الدرجات اللونية، وفي الإحساس. وذلك جيد، وهو يسعدني للغاية.

ثانيًا، هناك مقارنة في هذه الرسالة بين مدرستي مييه وليرميت. وأنا أرى أن ما قلته عن مييه أفضل وأكثر حساسية في التعبير عما اعتدته منك، وذلك لأنه قد طغى عليه سأمك ثانية من ليرميت، وأود أن أقول بخصوص حجتك كلها إنك تحاول المقارنة بينهما عبثًا. لم لا توسع رؤيتك قليلًا، فتشعر بالحماس نفسه لكليهما معا؟ (وعلاقتهما بالنسبة لي كعلاقة رامبرانت بمايس، مثلًا) فلا تغرق نفسك في مقارنات عقيمة حول أيهما الأعظم.

ثالثًا، كان هناك شيء ناقص في هذه الرسالة، وتحديدا هو الإجابة عن سؤال هل نمضي أم لا.

كان ذلك السؤال هو كل شيء، وبما أن عملي يتوقف على الألوان والأدوات (لدرجة لا أستطيع تجاهلها)، وهي بدورها تتوقف على تحصلي على النقود من عدمه، فلا يمكنني بالتالي أن أعزي فائدة كبيرة إلى هذه الرسالة.

سيكون من الأقل صعوبة بالنسبة لي أن أحتفظ بهدوئي في مراسلاتنا، لو أنك إذا لم تستطع إرسال النقود في موعدها قد كتبت لي أنك لم تستطع التحصل عليها، وأنني سأستلمها في موعد ما لاحقًا. وها أنت لم تكتب كلمة ردًا على قولي: إنه ليدهشني ألا أتلقى ردا على قولي أفضل أن أحصل عليها الآن لا لاحقًا، إذ إنك قلتَ إنني لو كنت بحاجة إلى النقود فسوف أحصل عليها في الرسالة التالية. لو كنتَ كتبت لي وقتها معتذرًا عن عدم تحصلك على المال لما جاءتني أفكار في رأسي حول تراخيك المتعمد لجعل حياتي أكثر صعوبة. فإذا كنت لم تستطع التحصل عليها، فلا يمكنني فهم ذلك بشكل خاطئ. وعندما تتجاهل –متعمدا أو غير متعمد– فهو شيء أتمنى أن

تُشفي نفسك منه، وهو ما يغضب الواحد فعلًا. ما قلته عن التصرف في أعمالي، في أنتويرب مثلًا، هو خطتي بالتأكيد.

إن مزاجك الذهني عني حاليًا، ومزاجي الذهني عنك باردان بما يكفي ببساطة لتبادل السؤال والإجابة بشكل بارد. وفي النهاية، وبغض النظر عن اهتمام أحدنا بالآخر من عدمه، فهل يمكنني الاعتماد على ثبات تلقيّ النقود منك بشكل شهري لمدة عام نظير إمدادك بإعمالي. وأنا أريد أن أعرف هذا، لأنني لو استطعت الاعتماد على ذلك فسوف أتخذ مرسمًا أكبر قليلًا في مكان ما، وهو ما أحتاجه كي أستطيع العمل مع موديل.

إن مرسمي الحالي في الموقع الجغرافي التالي:

«sketch A»

إن طاقة تخيلي ليست بالقوة الكافية كي أعتقد أن هذا تحسن عن الوضع في العام الماضي. وهذا لا يغير من حقيقة أنني أشتكي من مقاطع في رسالتك مثل: أنا (تيو) أعتقد أن وضعك أفضل مما كان عليه الصيف الماضي. حقًا؟ وأنا أيضا أرسم الخريطة الصغيرة ردًا على تعبيرك "لست على دراية... إلخ". وكنت لأكون راضيا عن رسالتك لو هذه أيضًا خلت منها.

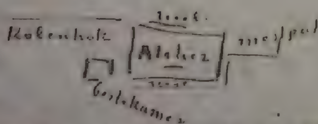
وهو ما أقول عنه: أنا لا أكترث إن كُنت على دراية بأن ثمة أمورًا "ليست سليمة تمامًا" أم لم تكن، ما دمت لم تطلب مني أن أبقى مضلّلا بشأنها، وما دمت تعطيني وسائل لتحسين الوضع فأنا لا اعتراض لدي على أن تكون "على دراية" بكل الأمور.

أتمنى أن تكون هذه الرسالة "باردة" كرسالتك، وأشكرك كثيرًا على ما أرسلته، وهو يعوض الباقي، وعلى الأقل يجعل منه لو أنني أستطيع الاعتماد على استمراره هكذا لمدة عام، فلن أطالبك بالمزيد وسوف أرسل إليك أعمالي مباشرة وبكل سعادة.

وسوف أقترح عليك شيئًا صغيرًا آخر، وهو أنه في حالة إذا استطعت أن أبيع شيئا في أنتويرب أو أي مكان آخر، فسوف أعلمك بهذا فتقوم بخصمه من المائة والخمسين فرنكا.

أنا لا أكتب لرابارد عن أمور الأعمال، وعلى الأقل لم أخبره أنني لم أعد على اتفاق معك مؤخرا مثلما كان في الماضي. أنا فقط أفكر إن كان من الصحيح تمامًا، أنك لم ترَ مطلقًا أيا من أعماله ولا فكرة لديك عما يفعل، على الرغم من معرفتك برابارد شخصيًا. أنت لم تعد تتلقى منه أي أنباء باستثناء الأقاويل التي تصلك عنه من خلالي. هو من الأشخاص الذين سيبلغون شأنا ما، ممن يجب أن يراهن عليهم الناس، ممن يجب أن ينتبه الناس لأعمالهم. ذات وقت ذهب رابارد إليك وشعر بالضآلة في حضورك، أنت من يعرف الكثير عن الفن. ومنذ تلك السنة التي كان فيها في باريس، فيا للتطور العظيم الذي حققه، لكن أنت، هل رضيت بما حققته ولو قليلًا؟؟؟

De stemming waarin gij nu zijt jegens mij de stemming waarin ik nu ben jegens u is koel genoeg om eens koelweg te vragen en te antwoorden Après tout — maling aan elkaar of niet — daargelaten — kan ik er op rekenen gedurende 't jaar dat vaststaat dat tegen levering van mijn werk maandelijks ik het gewone bij/ontvange? Waarom ik dit weten moet is omdat als ik er op rekenen kan ik ergens waar een ruimer ateliertje zou nemen dat ik nodig heb om met model te kunnen werken. ~~Ik~~
Dat wat ik tegenwoordig heb heeft de volgende geographische ligging



en mijn verbeeldingskracht is niet sterk genoeg om dit vooruitgang te vinden op den toestand van verleden jaar — ~~Dat~~ Dat neemt niet weg en als ik even uitleiding en passages in uw brieven voorkomen als: ik (Theo) vind dat uw positie nu beter is dan verl. jaar zou — ik — schlecken het kaartje ook als replique van uw expressie „ik ben me niet bewust" &c.

تخطيط للمرسم

٤٤٢ | نيونن، نحو الاثنين ٢٤ مارس (آذار) ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لأنه من المحتمل أنك لم تحسن فهم ما طلبته منك من قبل، ولكي لا يكون هناك مجال لإساءة فهم أمر مثل هذا، فها أنا أقوله ثانيةً.

عند نهاية يناير أو بداية فبراير كتبت لك أنني عند عودتي إلى البيت، قد أصبح واضحًا بالنسبة لي أن النقود التي أتلقاها منك كانت تعتبر في المقام الأول كشيء عارض، ثانيًا، نعم، ما يمكن أن أسميه صدقة إحسان لأخرق بائس.

وفيما لاحظت أن ذلك الرأي تم نقله إلى أناس ليس لهم أي صلة بالموضوع، سكان هذه المناطق المحترمون على سبيل المثال، فمثلًا سمعت ثلاث مرات في أسبوع واحد من أشخاص لا أعرفهم مطلقًا يسألون: "لماذا لا تبيع أعمالك؟" يا لجمال الحياة عندما يسمع الواحد مثل هذا الكلام طوال الوقت، أترك لك أن تقرر.

وعلاوة على ذلك، فقد قررت هذا الصيف —بسبب أنك كنت تريد أن تُشعرني باللجام وقتها، وبأنه في مصلحتي أن أتعايش مع هذا أو ذاك— فقط أن أجعلك تشعر أنه من جانبي، لو أنك صعبت عليّ الأمور بالمناورة بهذا اللجام كثيرًا، فأنا سأتركه بين يديك ولكنني لن أكون في نهايته. وبعبارة أخرى، لو أنني لست حرًا في حياتي الشخصية، فأنا أرفض هذه المنحة منك. باختصار فإن عملي (ليست حياتي الشخصية) هو ما يحدد إن كنت سأقف على أقدامي ماليًا أم لا، على الأقل فيما يخص المائة والخمسين فرنكا.

وتلخيصًا لهذا، فقد كنت قد قلت في رسالة عند نهاية شهر يناير، إنني لا أريد لهذا الأمر أن يستمر كما كان حتى اليوم، ما يعني بدون أي اتفاق خاص.

فأنا أحب، بل أحب جدا، أن يستمر الوضع كما هو، شريطة أن يكون هناك اتفاق خاص حول إمدادك بالأعمال. وأننا لنجرب هذا فسوف أرسل إليك بعض الأشياء في شهر مارس.

جاءت إجابتك مراوغة، ولم تكن بالشيء الصريح ك: أنا أقدر هذه الشكاوى يا فنسنت، وأوافق على أن نتوصل لاتفاق أن ترسل إلي رسوما كل شهر بما تعتبره مساويًا للمائة والخمسين فرنكا التي أرسلها إليك عادةً، فتعتبر هذه النقود كمكسب لك. وبالتأكيد فقد لاحظتُ أنك ببساطة لم تكتب أي شيء كالمذكور أعلاه.

حسنًا فقد فكرت أني سأرسل بعض الأشياء في مارس على أي حال ولنرَ كيف ستسير الأمور. وقد أرسلتُ وقتها تسع لوحات ألوان مائية وخمسة رسوم بالقلم، وكتبت أقول إن هناك رسمًا سادسًا بالقلم أيضًا، والدراسة المصورة للبرج العتيق التي تمنيتها بشكل خاص في وقت ما. ولكن بما أني أرى أن تعبيرك ما زال غامضًا، فلا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أقول لك بكل حسم، إن ذلك ليس سلوكًا لائقًا.

وفيما يخص عملي، فيبدو حتى الآن أنك كنت تفضل ألا أرسل إليك شيئا منه. ولو كانت الحالة لا تزال هكذا، حسنًا، فمن وجهة نظري فأنا إما لا أستحق رعايتك، وإما أنك تستهزئ بأعمالي.

لم أسحب بعد عرضي لإمدادك بأعمالي بانتظام. وعندما تكلمت عن أني أريد أن أعتبر المائة والخمسين فرنكا أو أيا كانت معادلًا لما أرسله إليك، وهي هكذا تظل شأنًا خاصًا جدًا، بغض النظر عن احتواء أعمالي على أي قيمة تجارية من عدمه.

ولكنني هكذا أكون مبررًا في أعين فلان أو علان، الذين لا أتوقع أن يكونوا على ظن أني أعيش من دعم عائلي، أو يعتبروني بلا أي موارد مطلقًا.

وفي الوقت نفسه هي علامة على ثقتك في مستقبلي، وهو ما لن أحاول -مع ذلك- فرضه عليك بكل تأكيد، وأؤكد لك ثانيةً، أن أيا كان قرارك في هذا الشأن فهو لن يغير من الماضي، وأنني بالتأكيد لن أتنكر لمساعداتك في الماضي وسوف أقدرها دائما.

لكن لا بد أن تقرر بكامل إرادتك إن كانت علاقتنا سوف تستمر أم لا في المستقبل، أو للعام الحالي لنقل.

وسأختتم بتأكيدي أنك حتى لو رفضت عرضي لإمدادك بأعمالي بانتظام (بإمكانك أن تفعل ما يحلو لك بهذه الأعمال فيما يخص تعاملك التجاري فيها، وإن كنت أصر على أن تعرضها من آن لآخر في كل الأحوال كما كنت تفعل في البداية، وعن حق في رأيي) فسوف أمضي قدما في الانفصال. يبدو لي أن كرامتي على المحك. فإما أن يتغير هذا الوضع وإما أن يتوقف. تحياتي.

المخلص حقًا،

فنسنت

لا أرغب حقا في أن أسمع لاحقًا أن هذا الاتفاق أو ذاك هو فكرتي أنا فضلا عن كونه نية الطرف الآخر، أي أنت. تعرف أنك قلتَ لي إن العم كور قال لك شيئا من هذا القبيل عني هذا الصيف. وكنتيجة لهذا، فقد تعلمت أنه من الضروري وضع النقاط على الحروف فيما يخص الاتفاقات.

ولأنني كتبت لك مرارًا وتكرارًا عن هذا التغيير، فبإجماله هنا يكون كل شيء قد تم شرحه بوضوح وصراحة كافيين، ومن ناحيتي فأنا أيضًا أطلب موافقة أو رفضًا واضحين.

لم أرسل إليك الرسم السادس بالقلم بعد لأنني ألححت أن تريني عملك من آن لآخر، وأيضًا سأطلع رابارد على أعمالي اعتبارًا من الآن، بما أنه يعرف بعض الناس، وذلك الرسم كان عنده ذاك الوقت ولا بد أن أستعيده، لكنه لا يزال لديه مع رسمين آخرين بالقلم عن "حديقة شتائية".

حسنًا، كنت قد كتبت لك بالفعل كلمتين عن الدراسة المصورة في رسالة سابقة، أنني كنت غير متحمس لإرسالها، فبما أنك لم تر شيئا في دراسات دربته فأنا لا أعتقد أن هذه ستعجبك بدورها. ويبدو لي، حسب ما أتذكر أن هناك بعض

الدراسات من بين تلك التي من دزينته سوف أصنعها بالطريقة نفسها بالضبط لو اضطررت لأن أصنعها ثانيةً.

وللشهر الحالي لدي بالفعل الرسوم التالية: حديقة شتائية، أشجار بتولا مقلمة، طريق شجر الحور، طائر الرفراف، والتي كنتُ، في حالة أخرى، سأرسلها إليك في أبريل.

٤٤٦ | نيونن، بين الاثنين ١٢ والخميس ١٥ مايو (أيار) ١٨٨٤

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لقد تركتُ وقتًا طويلًا يمر قبل أن أرد على رسالتك الأخيرة، وسترى كيف صار ذلك. ودعني أبدأ بأن أتشكر لك على رسالتك ومائتي الفرنك المرفقة. ثم أخبرك أنني بصدد الانتهاء اليوم من ترتيب مرسم جديد فسيح استأجرته. غرفتان، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، مع حمام ملحق. وقد كنت مشغولا بسببه طوال الأسبوعين الماضيين. وأعتقد أنني سأكون قادرًا على العمل بشكل أفضل مما في الغرفة الصغيرة في بيتنا. وأرجو أن تبارك تلك الخطوة التي اتخذتها عندما تراه.

وبالمناسبة، لقد استأنفت العمل بدأب مؤخرًا على لوحة النساج الكبيرة، التي ذكرتها لك، وبدأت أيضًا لوحة عن البرج الصغير الذي تعرفه.

أعتقد أن ما كتبته عن الصالون مهم جدًا. ما قلته عن بوفي دي شافان قد أبهجني أن ترى أعماله هكذا، وأنا أتفق معك تماما في تقدير موهبته.

وفي ما يخص "الملونين"، ففي النهاية رأيي من رأيك، أستطيع أن أغمر نفسي في عمل لبوفي دي شافان، مع أن ذلك لا يغير من حقيقة أنني قد أشعر بالشيء نفسه الذي تشعر به حيال مناظر موف الطبيعية مع الأبقار ولوحات إسرائيل.

وبالنسبة لألواني أنا، ففي العمل الذي أنجزه هنا ستجد بالأحرى درجات بنية لا فضية (لون القار مثلًا، والخضب) وهو ما سيأخذه عليّ بعض الناس بلا شك. لكنك سترى بنفسك كيف يبدو عندما تجيء. كنت مشغولًا جدا مؤخرًا بالتصوير حتى إنني لم أرسم رسمًا واحدًا في أثناء ذلك.

قال لي رابارد إنه قادم في نهاية هذا الأسبوع، وهو ما أسعدني كثيرًا. وماذا أيضًا، أعلم أنه سيأتي ثانية هذه السنة ليبقى فترة أطول قليلًا. وسيأتي معه بعدد من رسومي، سأقوم حينئذ بإرسالها إليك على الفور.

ربما -بعد قليل- أوافقك على أن وضعي قد تحسّن بسبب التغير الذي حدث العام الماضي، وأن ذلك التغير كان جيدًا.

سيكون دائما من الحزن، مع ذلك، بالنسبة لي أنني اضطررت للتوقف عن أمر ما وقتها كنت أحب أن أواصل فيه.

أمي تتحسن كثيرًا. بالأمس جاءت إلى مرسمي الجديد على كرسيها المتحرك. مشيها يتحسن، على الرغم من أن سنها الكبيرة تعطل التقدم بشكل ملحوظ، وإن كان يتواصل بانتظام الآن، وإن كان ليس بالسرعة التي يرجوها المرء.

مؤخرًا، أصبحت في تواصل أفضل مع الناس هنا مما كان في البداية، وهو ما يعني الكثير بالنسبة لي، فالواحد بحاجة ماسة إلى أن يمنح نفسه بعض التسلية، فعندما يزداد الشعور بالوحدة فإن ذلك بالتالي يؤثر على العمل. لا بد أن يجهز الواحد نفسه مع ذلك، إن هذه الأشياء ربما لن تدوم للأبد.

لكنني في مزاج طيب، ويبدو لي أن الأهالي في نيونن أفضل بشكل عام من أهالي أيتن أو هيلفويرت، ثمة إخلاص أكثر هنا، أو على الأقل هذا هو انطباعي بعد قضاء فترة هنا. الناس يتظاهرون بالورع فيما يفعلون، هذا حقيقي، لكنهم يفعلون ذلك بطريقة لا أجد نفسي مترددا في التواؤم معها قليلا. والواقع يقترب في كثير من الأحيان من برابنت الذي تخيلناه.

لا بد أن أعترف بأن خطتي الأصلية بالاستقرار في برابنت، والتي تحطمت تماما، تعاود جذبي مرةً أخرى. فلو كنا نعرف كيف أن شيئًا كهذا معرض للانهيار، فلا بد أن نرى إن كان وهمًا أم لا. وعلى أي حال، فلدي ما يكفي من المشاغل في الوقت الحالي. ولدي من جديد مساحة لأعمل فيها مع موديل.

أما إلى متى سيستمر ذلك، فلا علم لي.

حسنًا، تحياتي. لا بد وأنك ستكون مشغولا جدًا بالصالون، لكنه سيكون وقتًا مثيرًا مع ذلك.

أشكرك ثانيةً على ما أرسلته، وهو ما كنت أحتاجه بسبب هذا الانتقال، على كل حال. أتمنى أن يعجبك المكان عندما ترى كيف جهزته.

وداعًا، مع مصافحة.

المخلص حقًا،

فنسنت

كل من في البيت يرسلون إليك تحياتهم، ويسألون هل ستكتب لهم في القريب. كان أبي قد ذهب إلى بريدا؛ والعمة بيرتا بخير حال، وقد تم رفع الضمادة.

٤٥٠ | نيونن، منتصف يونيو (حزيران) ١٨٨٤

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أعتقد أنني أخبرتك بالفعل في رسالتي الأخيرة أنني أريد أن أبدأ في لوحة كبيرة لشخص ذكر كتلك المرأة التي تغزل. وأنا الآن أرفق لك طيه مسودة صغيرة منها. ربما تتذكر دراستين من الركن نفسه، كانت لدي بالفعل في المرسم عندما كنتَ هنا.

أقرأ "معلمو الماضي" لفرومنتان بمتعة عظيمة. ثمة بمواضع مختلفة من هذا الكتاب أجد معالجة للمسائل نفسها التي كثيرًا ما أرقتني مؤخرًا، وصرت أفكر فيها بشكل متواصل حاليًا، وتحديدًا منذ سمعت بشكل غير مباشر، في نهايات إقامتي في لاهاي، عن إسرائيل قوله البدء بدرجات منخفضة وجعل الألوان الداكنة نسبيا تبدو أفتح. باختصار التعبير عن الضوء بتعارضه مع الإعتام. أنا أعرف مسبقا ما تقوله عن "شديد السواد"، ولكنني في الوقت نفسه لست مقتنعًا تمامًا، بأن سماء رمادية لا بد وأن تلون بالدرجة الطبيعية للمكان. وهو ما يفعله موف من بين أشياء أخرى؛ لكن رويزديل لا يفعله، ولا دوبريه. فماذا عن كورو ودوبيني؟؟؟

حسنًا، فإن كان الحال كذلك مع المناظر الطبيعية، أهو كذلك مع تصوير الشخوص أيضًا، أعني أن إسرائيل يصور حائطا أبيض بطريقة جد مختلفة عما يفعله رينيو أو فورتوني. ونتيجة لذلك فإن الشخص الذي يظهر على هذه الخلفية سيبدو مختلفًا أيضًا.

عندما أسمعك تتكلم عن عدد من الأسماء الجديدة، لا أستطيع أن أفهم دائما عندما لا أكون قد رأيت أي شيء من أعمالهم على الإطلاق. ومما تقوله عن "الانطباعية" أدركت أنها شيء مختلف عما تخيلته، ولكن ما ينبغي أن يفهمه المرء منها ليس واضحًا بالنسبة لي بعد. ولكن من ناحيتي، فأنا أجد الكثير جدًا في إسرائيل، على سبيل المثال، حتى إنني لا يتنابني الفضول أو الحماس بشكل خاص لشيء مختلف أو جديد.

يقول فرومنتان عن رويزديل إن الناس هذه الأيام أصبحوا أكثر تقدمًا في التقنية عما كان عليه هو. وهم أيضًا أكثر تقدما من كابا. الذي يشبه رويزديل في بعض الأحيان بسبب بساطته الجليلة، كلوحته في اللوكسمبورج على سبيل المثال. ولكن أيعني هذا أن ما قاله رويزديل أو كابا أصبح غير حقيقي أو من نافلة القول؟ كلا. والشيء نفسه بالنسبة لإسرائيل أيضًا، وديجرو (كان ديجرو بسيطًا جدًا).

لو أن المرء يقول ما يقوله بوضوح، فذلك ليس كافيا في حد ذاته، إذا شئنا الدقة. وقوله بجاذبية أكبر قد يجعله أكثر إمتاعًا للمستمع، (وهو ما لا أستهين به على

أي حال)، لكنه لا يجعل ما هو حقيقي جدًا أكثر جمالًا، بما أن الحقيقة جميلة في حد ذاتها.

«sketch A»

«Paint sample 1, framed»

هذه أعلى نغمة في دراسة الرجل المسن، وهي تعبر عن البياض الثلجي لخيوط غزله في الضوء. والأبيض نفسه يبدو أكثر دكنة في الظل.

«Paint sample 2, preceded by an arrow»

إن مقاس الموضوع في ظهر الصفحة هو نحو ١٠٥ × ٩٥ سم، وتلك التي عن المرأة التي تغزل ١٠٠ × ٧٥. وهي ملونة بدرجات القار والخضب، والتي تسلم نفسها -من وجهة نظري- للتعبير عن دفء توزيع الضوء والظل بغرفة سيئة التهوية مغبرة. كان آرتز بالتأكيد سيعتبرها قذرة جدًا.



رجل يغزل ويرسم نماذج

لقد أزعجني لوقت طويل يا تيو، أن بعض الفنانين في يومنا هذا يأخذون منّا الخضب والقار، والذي في النهاية تم استخدامه في تصوير أعمال رائعة، وبشكل صحيح ليضفي على التلوين خصوبة ورقة وسخاء، وجلالًا في الوقت نفسه. إن بها صفات فريدة بشكل ملحوظ. وهي في الوقت نفسه تتطلب أن يتكبد المرء مشقة تعلّم استخدامها، إذ لا بد أن يتعامل الواحد معها بشكل مختلف عن بقية صنوف الألوان الاعتيادية، من الممكن جدًا أن أناسًا كثيرين يتخوفون من التجارب التي ينبغي للمرء أن يجريها في البداية، والتي لا تنجح عادة في اليوم الأول الذي يبدأ المرء فيه في استخدامها. إنني أستخدمها منذ نحو عام الآن، وتحديدا في المناظر الداخلية، لكنها في البداية أحبطتني حقا، على الرغم من تذكري دائمًا للأشياء الجميلة التي رأيتها ملونة بها.

إن فرصتك أفضل مني لتسمع عن كتب عن الفن. لو صادفتَ أعمالًا جيدة ككتاب فرومنتان مثلًا عن المصورين الهولنديين، أو لو تذكرت واحدًا من الماضي، فاحرص على شراء بعضها لي أحيانا، شريطة أن تكون تتناول التقنية، واخصم ثمنها مما ترسله إلي عادةً. أنتوي أن أتعلم النظرية، لا أعتبرها عديمة الجدوى مطلقًا، وأومن بأن ما يشعر به المرء أو يرتاب فيه بغريزته يقود إلى اليقين والصفاء، لو توفر له في أثناء بحثه مرشد ما بالمعنى العملي الحقيقي للكلمة. وحتى لو كان هناك شيء واحد أو أشياء قليلة جدًا من هذه الطبيعة في كتاب ما، فإنه يستحق أن يُقرأ، بل وأن يشتريه المرء، خاصةً هذه الأيام.

في أيام توريه وبلانك هنالك أناس كانوا قد كتبوا أشياء هي الآن لشديد الأسف تأخذ طريقها للنسيان.

عندي سؤال وحيد. هل تعرف ما هي الدرجة اللونية السليمة والدرجة المكسورة؟ تستطيع بالتأكيد أن تراهما في لوحة، لكن هل تستطيع أيضًا أن تشرح ما تراه؟ ماذا يقصد بـ "مكسور"؟

لا بد أن يعرف الواحد هذا النوع من الأشياء، من الناحية النظرية أيضًا، سواء كممارس للتصوير أو كخبير يتحدث عن الألوان.

معظم الناس يفهمون ماذا يريدون منها، مع أن هذه الكلمات، على سبيل المثال، لها معنى دقيق جدًا.

إن قوانين الألوان رائعة بشكل لا يوصف وتحديدا لأنها ليست مصادفات. وتماما، كما أن الناس هذه الأيام لم يعودوا يؤمنون بالمعجزات العشوائية، أو بإله جبار يتقافز بنزق من أمر لآخر، لكنهم آخذون في اكتساب احترام وتقدير متزايدين للطبيعة، وهكذا، وللسبب نفسه أعتقد أن الناس لا بد، لا أقول أن يتجاهلوا، ولكن أن يفحصوا ويدرسوا، ويغيروا بشكل جوهري جدا، الأفكار البائدة حول العبقري المفطور، والإلهام، وما إلى ذلك في الفن.

أنا لا أنكر مع ذلك وجود العبقري، ولا حتي طبيعته الفطرية. ولكنني أنكر الاستنتاجات التي تقول إن النظرية والتدريب لا فائدة لهما بطبيعة الحال.

أرجو، أو بالأحرى سأحاول أن أفعل الشيء نفسه الذي فعلته الآن في المرأة الصغيرة التي تغزل، أو الرجل المسن الذي يلف الخيوط بشكل أفضل فيما بعد. مع أنني في تينك الدراستين من الحياة كنت أكثر اقترابا من نفسي عما نجحت في أن أكونه بمعظم الدراسات الأخرى حتى الآن (باستثناء القليل من رسومي).

وبالنسبة للأسود، فالحقيقة أنني لم أستخدمه في هذه الدراسات حيث احتجت الى بعض التأثيرات الأقوى من الأسود، مع أشياء أخرى، والأزرق النيلي مع البني المصفر، والأزرق البروسي مع البني المحمر وهي فعليا تنتج تأثيرات أكثر عمقًا من الأسود الصريح. وعندما أسمع الناس يقولون: "اللون الأسود لا يوجد في الطبيعة" أفكر أنه لا ينبغي أن يوجد أي أسود في التصوير -أيضًا.

لا تظن أبدًا أن الملونين لا يستخدمون الأسود، فلا حاجة لقول إنه ما إن تضيف عنصرًا من الأزرق أو الأحمر أو الأصفر إلى الأسود، فإنه يصير رماديًا، ذلك هو الأحمر الداكن، والأصفر أو الرمادي المزرق.

وأعتقد أن ما قاله سي بلانك في "فنانو عصري" (العنوان بالفرنسية) عن تقنيات فيلاسكيث –مع أشياء أخرى- كان مثيرًا جدًا، حول أن الظلال لديه والدرجات المتوسطة تتكون عادةً من رماديات باردة لا لون لها، يكون الأسود وشيء من الأبيض هما المكونين الرئيسيين فيها، حيث في أجزائها المحايدة أو التي لا لون لها تتبدى أقل نأمة أو شرطة من الأحمر مثلا.

حسنًا، تحياتي، اكتب لي قريبا عندما يكون لديك شيء لتقوله. إنه ليدهشني أنك لا تقدر جول دوبريه كثيرًا كما كنتُ أتمنى.

أعتقد بقوة أنه لو قدر لي أن أشاهد مرةً أخرى أعماله التي شاهدتها من قبل، فسوف أراها أكثر جمالًا عما رأيتها في السابق وبصورة غريزية. ربما يكون دوبريه ملونًا حتى أكثر من كورو ودوبيني، على الرغم من كونهما -ودوبيني بالذات- جريئين جدا في التلوين. ولكن مع دوبريه فهناك شيء كسيمفونية رائعة من الألوان، مقصودة، ومتقنة الصنع ورجولية. أتخيل أن بيتهوفن هو أيضًا هكذا. تلك السيمفونية محسوبة بدقة، وعلى الرغم من بساطتها فهي عميقة بشكل لا نهائي، كالطبيعة نفسها. هذا ما أعتقده عنه، عن دوبريه.

حسنًا، وداعًا، مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٤٥٦ | نيونن، نحو الثلاثاء ١٦ سبتمبر ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو

لديك كل الحق في السؤال عن سبب تأخري في الرد عليك. في الواقع لم أستلم رسالتك التي أرفقت بها ١٥٠ فرنكا. بدأت بالكتابة إليك أساسا لأشكر تفهمك لخطابي، ولأخبرك أيضا أنني أعتمد على ١٠٠ فرنكٍ وحسب، لكنني في الحقيقة أجد صعوبة في تدبر أمري بها ما دامت الأوضاع لم تتحسن. لكن مع ذلك، لو أنها ١٥٠ فرنكا، فستكون الـ ٥٠ فرنكا زيادة من السماء بما أننا اتفقنا من قبل لاهاي على ١٠٠ فرنك، ولو كانت صداقتنا متعثرة لم أكن لأقبل أكثر.

على أي حال، لم أُنه تلك الرسالة، ومنذ هذا الوقت وفي نيتي أن أكتب لك لكنني لم أجد الكلمات المناسبة. حدث شيء يا تيو، شيء لا يعرف عنه الناس هنا أو يشكون بحدوثه -وقد لا يعرفون أبدا، فابق صامتا كالقبر حياله- لكنه شيءٌ مريع. لأقول كلّ شيء سأحتاج لأن أكتب كتابا، لكن ليس ذلك بإمكاني. الآنسة بيجمان قد تناولت السم، في لحظةٍ من اليأس، بعد أن تحدَّثَت مع عائلتها وقد نهش الناس سيرتنا معا، وضاقت هي بما فعلته، كما أرى، في لحظة جنون مطبق. تيو، لقد استشرتُ طبيبا بالفعل في مرةٍ حول الأعراض التي تعتريها. قبل ثلاثة أيام من إنذاري أخاها بشكل سرّي، لخوفي أن يصيبها انهيار عصبي، وأنه من المحتم أن أقول إن عائلة بيجمان، للأسف، قد تصرفت بحماقة مفرطة حين حدثوها كما فعلوا.

في الواقع، لم يُجدِ ذلك، حتى إنهم قاطعوني لعامين، ولم أكن لأقبل بهذا قطعا، فقد قلت لهم إن مسألة الزواج بها إن كانت مطروحة، فيجب أن تتم الآن أو لا تتم أبدا.

حسنا تيو، لقد قرأتَ مدام بوفاري، هل تذكر مدام بوفاري الأولى، التي ماتت بنوبة عصبية؟ حدث شيء مشابه هنا، لكن ما زاد الأمر سوءا هو السم. لقد كانت تخبرني حينما نتنزه معا، "أتمنى لو أنني أموت الآن" - لم أعر ذلك انتباها قط.

في صباح ما، وقعت على الأرض. ظننت أنها مرهقة. لكن الأمر ازداد سوءا. تيبسات عضلية، وفقدت القدرة على النطق وبدأت بغمغمة أشياء نصف مفهومة، ثم انهارت بأنواع التشنجات كافة، والتقلصات... إلخ. كان الأمر مختلفا عن نوبة عصبية على الرغم من كونه مشابها لها، فشككت في الأمر وقلت: هل تناولتِ شيئا؟ فصرخت "نعم!"، حسنا، كنتُ جريئا. أرادتني أن أقسم على ألا أخبر أحدا من الأمر، قلت حسنا، سأقسم بأي شيء تريدينه، لكن شريطةَ أن تقيئي ما تناولتِه فورا، ضعي إصبعك في حلقك حتى تقيئي، وإلا فسأخبر الناس. على أي حال، تفهمُ الباقي. القيء نفعها قليلا وأخذتها لشقيقها لويس، وأخبرتُ لويس، وجعلته يعطيها شيئا باعثا على القيء وتوجهت مباشرة إلى آيندهوفن، إلى الطبيب فان دي لو. كانت قد تناولتْ الاستركنين لكن لا بد أن الجرعة كانت ضئيلة، أو ربما قد تناولت الكلوروفورم أو اللودانُم معه لتخدر نفسها، وهو ما قد يكون شكّل ترياقًا لتأثيرات الاستركنين. لكنها باختصار، سرعان ما تناولت الترياق الذي وصفه فان دي لو. لا يعرف أحد بهذا سواها، ولويس بيجمان، وأنت، والطبيب فان دي لو وأنا، ثم أرسلت سريعا إلى طبيب في أوترخت، وأشيع أنها في رحلةِ عمل، كانت ستقوم بها على أي حال. أظنها من الممكن أن تتعافى تماما. لكن في رأيي ستمتد فترةُ اضطرابها النفسي يقينا، والمسألة هي إن كان هذا الاضطراب سيتجلى بشكلٍ فادح أم لا.

لكنها في أيدٍ أمينة الآن. لكنك ستفهم مدى كآبتي بسبب هذا الحادث.

كان رعبا رهيبا يا صاح، كنا وحيدين في الحقل عندما سمعت منها هذا، لكن لحسن الطالع فقد انسحب السم من جسدها الآن على الأقل.

لكن أيَّ موقعٍ في الحياة، وأي نوعٍ من الدين هذا الذي يعتنقه أولئك البشر المحترمون؟ إنها ببساطة أشياء عبثية تحول المجتمع إلى شيء يشبه مستشفى المجانين، إلى عالمٍ خاطئ مقلوبٍ رأسًا على عقب. آه من تلكَ الصوفية!

لا بد أنك متفهمٌ أنه وفي تلك الأيام التي مضت، انشغل بالي بكل هذا، واستغرقتُ في تلك الحكاية الحزينة. الآن وقد جربَتْ هذا ولم تنجح، أظنّها قد أصيبت

بصدمةٍ ستجعلها لن تحاول هذا ثانية بسهولة، الانتحار الفاشلُ هو أحسنُ علاج للانتحار في المستقبل. لكنها إن أصيبت بانهيار عصبي أو حمّى دماغية أو أمر ما ف...

لكن كل شيءٍ جرى معها بشكل جيدٍ في هذه الأيام الأولى من التعافي. جل ما أخافه هو حدوثُ توابع لهذه الصدمة. تيو، يا صديقي، أنا ضائقٌ جدا بهذا الأمر. تحياتي، اكتب لي، لأنني لا أحدث أحدا هنا.

وداعًا.

فنسنت

هل تذكرُ مدام بوفاري الأولى تلك؟

٤٦٤ | نيونن، الخميس، ٢ أكتوبر ١٨٨٤
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو

شكرًا لخطابك، وشكرا لما أرفقته به. أنصت إلي.

ما كتبته حسنٌ وجيد، وفيما يخص الجلبة، فقدْ أصبحتُ أكثر استعدادا لاتقائها من ذي قبل. لا خوف من رحيل أبي وأمي على سبيل المثال. على الرغم من وصول استدعاء الآن. بل على العكس، فلو أنهما سلكا الطريق الصحيح، فسوف يعضدان وضعهما هنا.

هناك بعض الناس يسألونني: "ماذا دهاك لتتورط معها؟"، هذه هي الحكاية الأولى. وهناك من يسألها: "ماذا دهاكِ لتتورطي معه؟"، وهذه الثانية. وبخلاف ذلك، فإن لكلٍّ منا أنا وهي، ما يكفي من الحزن والأزمات. لكن لا ندم، لسنا نادمَين. انظر هنا:

أنا بالتأكيد موقنٌ أو أعرف بشكل قاطع أنها تحبني

أنا أصدقها

كان هذا صادقا، أكان مجنونا أيضا و... إلخ؟ ربما، لو أعجبك قول هذا، لكن العقلاء الذين لا يقومون بأي فعلٍ مجنون، ليسوا أقل جنونا في عيني مني في أعينهم.

يمكن قول هذا في مقابل حججك وأي حجج أخرى.

أقول هذا كله لأشرح لك، ليسَ عدوانا ولا بذاءة.

تقول إنك تحب أوكتاف موريه، تقول إنك تشبهه. لقد كنت أقرأ المجلد الثاني منذ العام الماضي، والذي يمتعني أكثر بكثير من المجلد الأول.

سمعتُ مؤخرًا أنه يقول بأن "سعادة السيدات" لن تضيف الكثير إلى صيت زولا. لقد وجدت فيه البعض من أفضل وأعظم الأشياء. لقد بحثت عنه للتو، وسأنسخ لك بعض كلمات أوكتاف موريه. ألم تذهب أنت إلى جانب بوردونكل في العام ونصف العام الماضيين أو ما إلى ذلك؟ كان الأحرى بك أن تظلّ ناحية موريه، هذا كان ولا يزال رأيي. وبغض النظر عن اختلاف الظروف الكبير، الذي يصل إلى حد التضاد الكامل، فإنني أميل ناحية موريه أكثر مما تظن. وفيما يخص عقيدتي حيال النساء وأن المرء بحاجة لهن، وعليه محبتهن. (يقول موريه: "في مؤسستنا، نحبُ الزبائن".)

فكّر بهذا، وتذكر حزني حين قلتَ لي إنك قد "أصابك الفتور".

أكرر بكل ما في وسعي وبشكل أقوى من أيٍ مما قلته تحذيرا مُرّا لك من تأثير الجيزو- هية، كما أسميتها. السبب؟ إنها تؤدي إلى توسط الموهبة. وأنا لا أريد رؤيتك بين متوسطي الموهبة لأنني أحببتك، ولا أزال أحبك فعلا، أكثر من أن أطيق رؤيتك مُخدَرا. أعرف صعوبة هذا، أعرف أنني لا أعرفك كفاية، أعرف أنني ربما مخطئ لكن بأي حال، اقرأ موريه ثانية.

لقد ذكرتُ اختلافا بين موريه وما ينبغي أن أريده، ثم التناظرات أيضًا. انتبه. موريه يعبدُ المرأة الباريسية الحديثة. حسنا.

لكن ميه، وبريتون، يعبدان الفلاحة، بالشغف نفسه. هذان الشغفان أمرٌ واحدٌ.

اقرأ وصف زولا للنساء في غرفة عند المغيب، نساء في العقد الرابع أو حتى أكبر من خمسين عاما في الأغلب، يا له من ركنٍ معتم وغامض. أجده رائعا، بل عُلويّا. لكن لوحة ميه، "أنجيلوس"، بالقدر العلويّ نفسه عندي، المغيب ذاته، العاطفة السرمدية ذاتها، أو حتى ذلك الشكل المتوحد في لوحة بريتون التي في "اللوكسمبورج"، أو في لوحته "الربيع". ستقول إنني لستُ ناجحا. لا أبالي، اهزم أو كن مهزوما، لدى المرء حركة وعاطفةٌ في كل الأحداث، وهي أكثر شبها ببعضها البعض مما يبدو عليها أو يقال عنها. وبخصوص تلك المرأة موضع السؤال، كيف سينتهي الأمر؟ يظلّ ذلك لغزا لي، لكن لا هي ولا أنا سنقدم على فعلٍ مجنون.

أخشى عليها من أن يخدّرها الدين القديم ويجمّدها ثانية بتلك البرودة الثلجية التي حطمّتها مرةً حتى قَتلَتها في ذلك الماضي السحيق، منذ سنوات طويلة. أوه، أنا لستُ متوائمًا مع مسيحية أيامنا هذه، حتى لو كان مؤسسها رفيع المقام، فقد أبصرت جوهر مسيحية أيامنا هذه بشكل جيد. كنتُ مخدَّرًا بفعل تلك البرودة الثلجية في شبابي، لكنني انتقمت فيما بعد، كيف؟ بعبادة الحب الذي يسميه اللاهوتيون الخطيئة، باحترامِ عاهرةٍ... إلخ. وعدم احترام كثير من الدعيّات، من النسوة المتدينات.

لتلك الطائفة، المرأة دائما هي الهرطقة والشيطنة. وبالنسبة لي، هي عكسُ ذلك.

تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت

انظر إلى هذا من أوكتاف موريه:

يقول موريه: "لو كنت تعتقد أنك قوي، لأنك ترفض أن تكون أحمقَ وأن تعاني! آه، حسنا: فأنت لستَ إلا مغفلًا، ولست أكثر من ذلك!"

"هل أنت مستمتع؟"

بدا أن موريه لم يفهم في التو. لكنه عندما تذكّر حواراتهم القديمة عن حماقة الحياة الفارغة وعذابها العبثي، أجاب:

"بلا شك، لم أعش قط بمثل هذا الزخم، آه، يا صاح، لا تسخر! فساعات العذاب المميت هي جد قصيرة!"

أريدها، سأحصل عليها! وإن هربت مني فسترى ما سأفعله لأبرأ منها. إنك لا تفهم تلك اللغة يا صاح، وإلا، لعرفت أن الفعل يحوي جزاءه في نفسه، أن تفعل، أن تخلق، أن تصارع الواقع، تهزمه أو يهزمك، كل بهجة البشرية وصحتها في هذه النقطة!

مجرد طريقة لإماتة المرء، غمغم الثاني.

"آه، حسنا، أفضّل الموت. الموت لأجل الموت، أفضل الموت من الشغف بدلا من الموت من الملل!"

لستُ من يقول هذه الأخيرة بعد كل شيء.

لكن هي أيضا، بشكل غريزي، لهذا رأيت فيها شيئا عظيما منذ البداية، ويا له من عارٍ لعين عليها أنها في شبابها سمحت لنفسها بأن تقهرها الإحباطات. تقهرها بمعنى أن عائلة بيجمان بإيمانها البائد قررت أن عليها كبت ذلك المبدأ النشط العبقري فيها، وجعلتها سلبية للأبد.

لو أنهم لم يكسروها وهي صغيرة! أو لو أنهم تركوا الأمر على هذه الحال ولم يدفعوها إلى الدمار ثانية! وهذه المرة بخمس أو ست أو حتى عدد أكبر من النساء يعاركنها وحدها.

اقرأ كتاب دوديه "المُبشّر"، عن تلك المكائد النسائية، والتي اختلفت هنا ولكنها لا تزال من النوع ذاته.

آه، تيو، لماذا علي أن أتغير؟ في الماضي كنتُ سلبيا ولطيفا وهادئا للغاية، لم تعد هذه هي الحال، لكنني لم أعد ذلك الطفل، أحيانا أشعر بحالي.

خذ موف مثالا، ما سبب نزقه وبعده كل البعد عن اللطف؟ لم أصل لحاله هذه بعد، لكنني سأصلُ إلى أبعد مما أنا فيه مع ذلك. صدقني، لو أراد المرء أن يكون نشيطا يجب عليه ألا يخشى فعل الخطأ أحيانا، لا يخشى السقوط في بعض الأخطاء. أن تكون خيّرا، يظن العديد من الناس أنهم سيحرزون هذا بتجنب الإيذاء، وهذه كذبة، وقد قلتَ أنت بنفسكَ هذا في الماضي، إنها كذبة. فهذا يؤدي إلى الركود، وتوسط الموهبة. ألقِ شيئا على تلك الرقعة من القماش حين تراها خالية محدقة بكَ بنوع من العته. إنك لا تدرك كيف تصيبك بالعجز، تلك التحديقة من رقعة القماش الخالية التي تخبر الرسام أنه لا يمكنه أي شيء. لرقعة القماش تحديقة معتوهة، تشلّ بعض الرسامين فيصيرون معاتيهَ هم أنفسهم.

العديد من الرسامين يخشون من رقعة القماش الخالية تلك، لكنها تخشى من الرسام الشغوف الجريء، الذي كسر تعويذة: "لا يمكنك".

وبالمثل، فالحياة نفسها تدير للمرء وجها خاليا، محبِطا، عديم المعنى بشكل سرمدي، ومُثبطا للهمم، فارغًا كرقعة قماش خالية.

ومهما كانت الحياة عديمةَ المعنى وباطلة، ومهما بدت ميتةً، فإن المؤمن، القويّ، ذا الحمية والمعرفة، لا يترك نفسه لِيُغَشّ هكذا. إنه يخطو قدما ويفعل شيئا، ويستمر في ذلك، باختصار، يحطِّم، "ينتهك"، كما يقولون.

دع هؤلاء اللاهوتيين الباردين سادرين في لغوهم.

تيو، إنني أشعر بشفقة لعينة تجاه تلك المرأة، تحديدا لأن عمرها واحتمال إصابتها بخلل في الكبد والمرارة يحدقان بها بشكل مميت. ولأنها عاطفية فالأمر أسوأ. مع ذلك، سنرى ما يمكن عمله أو ما سيحول دونه القدر. لكنني لن أفعل شيئا دون مساعدة طبيب جيد، كي لا أضرها بأي حال.

على الرغم من ذلك، فقد حدث في هذا الوقت نفسه تحديدا، أنني سئلتُ أن أرسم لوحةً أو اسكتشا بالألوان مقابل عشرين جيلدرًا. وهو العرض الذي قبلته، لكن لأنني شككتُ، وبعد بحثٍ اكتشفتُ أن شكّي كان صحيحا، فقد كانت مارجو بيجمان من يقف وراء هذا العرض وكان ستعطيني المال عبر شخص ما، فقد رفضت المبلغ بحسم ولكنني رسمتُ مع ذلك، وأرسلت اللوحة. ليس من السهولة أن ترتفض ذلك، حين تكون بحاجة شديدة إلى المال، لكنني رفضتُ اختبار الحمقى هذا. هل هناك شيءٌ أفضلُ من هذا الاختبار؟ أنا موقنٌ بأن ثمة شيئا أفضل. من أجلك ومن أجلي ومن أجلِ الآخرين، أرجو أن نحظى بأشخاص على شاكلة موريه في صنعة الفنّ. من أولئك الذين يعرفون كيف يصنعون جمهورَ شُراة أوسع وأحدث.

ستقولُ، ألا يُعتبر ترستيج مثل موريه. ربما، بعد كل شيء.

لكن ومع هذه الحال، لا تزال هناك شواغِرُ أخرى في الصنعة، ببساطةٍ لأن جمهور شراة اللوحات يمكن مضاعفته عشر مرات، وتلك ضرورة تشتدّ كل يوم. لو ظهرَ أكثر من موريه، يبيعون ويشترون جيدا، وبخلاف الروتين القديم، فسيكون هناك عملٌ كثيرٌ يُنجَزُ.

لكن، لو لم يأتِ موريه واحد، فربما يجب على الصنعة أن تتغير برمتها لأن الرسامين أنفسهم قد أحيوها وبدؤوا معارضهم الدائمة دون الوسيط القديم. كنتُ أود لو عرفتَ وشعرتَ أنك لا زلت شابًا قدرَ تصرّفكَ كشابٍ وقدرَ جرأتِك.

لو أنك لستَ فنّانا في الرّسم، فكنّ فنانا كتاجرِ لوحات، تماما كموريه.

بالنسبة لي، في أوقات كهذه، عندما أتعطّل تماما، فإنني أرجو أنه وفي بضع سنواتٍ سأتجرأ بسرورٍ على قبول فواتير أكبر بكثير للألوان وأشياء أخرى. أريد أن أعمل كثيرا، صدقني، ليست لدي نيّةُ الضجر، إما أن أنجز أشياءً عظيمة وإما الموت.

٤٦٩ | نيونن، نحو الجمعة، ١٤ نوفمبر ١٨٨٤

إلى تيو فان جوخ. (D)

عزيزي تيو،

لا بد وأنك مهتم بأن تعرفَ كيف تسير الأمور فيما يخص الاستدعاء إلى هلفوريت الذي تلقاه أبي. أخبر أبي الناس في هلفوريت أنه لن يضع الأمر حتى في اعتباره إلا لو رُفِعَ الراتِبُ هناك ليضاهي راتب نيونن. واليوم، يكتب أبي أنهم لم يبدوا اعتراضا على تغيير الراتب. عليهم أن يرفعوه بقيمه ١٥٠ جيلدرا، كما أعتقد. وعليه، وعلى الرغم من أن شيئا لم يُقرر بعد، ومن أجل خاطر أهالي هلفوريت ونواياهم الطيبة ـ فثمة فرصة حقيقية أن يضع أبي الأمر في اعتباره بشكل جدي وفقًا لكلامه شخصيًا. هذا الأمر مهمّ جدًا بالنسبة لي، لأنني بالتأكيد لن أرغب في الذهاب إلى هلفوريت معهم. أردت فقط أن أخبرك عن الوضع بدقة.

في الأيام القليلة الماضية، وعلى الرغم من أن الطقس متجمدٌ للغاية هنا، فقد اشتغلتُ بالخارج على مكتَبٍ كبيرٍ بالأحرى (عرضه أكثر من متر) بجوار ساقيةٍ قديمة في جِنيب، في الناحية الأخرى من آيندهوفِن. أود أن أنتهي من العمل كلّه بالخارج، لكنه بالتأكيد آخر ما سأرسمه بالخارج في هذه السنة. منذ أن كتبتُ لك وأنا أشتغل أيضا على اسكتشات أخرى، بينها اسكتش لرأسي عاملين بالأراضي المستصلحة من البحر.

لدي الآن ثلاثة أشخاص من آيندهوفن راغبين في تعلّم الرسم وأقوم بتعليمهم رسم الطبيعة الصامتة.

يمكنني أن أعلن بشكلٍ آمنٍ أنني تقدّمتُ في تقنية الرسم وفي التلوين منذ زيارتك. وأن هذا سيستمر في التحسن، أيضا.

في الرسم، ما يهمّ هو الخطوة الأولى، ويسهُل الأمر لاحقا، ولدي بعض الأوراق الرابحة في يدي. وثمّة حيل أخرى لتُلعب معها. أنت تعرف الآن أنني قصدتُ موف وترستيج ثانية، لأصلح ما فسد في الماضي. لم أندم على هذا.

لكنهما رفضا أن تكون لهما علاقة بالأمر، رفضا بشكل واضح، ولم يثبط هذا همّتي. أعتبر ما حدث مثلما قد يحدث عندما ترسل لوحةً إلى معرضٍ وتُرفَض.

على المرء أن يلاقي المعارضات في البداية، أو حتى عدة مرات.

لذا، ثانيةً، لست نادما على هذا، وسأقوم به ثانية على الأرجح، ليس في القريب العاجل، لكن ليس بعد وقت طويل أيضًا.

أردتُ أن أخبرك أنه سيسعدني كثيرا إن لم تظل محايدا في هذه المسألة، بل وأن تساعدني على الحصول على مبتغاي. لقد اعترفت بخطئي، ليس لموف فقط بل لترستيج أيضا. وذلك بالذات لاعتقادي أنّهما سيدركان لاحقا أنهما أساءا فهم الأشياء من طرفهما. وهو ما لا يريانه بعد.

لذلك فقد قطعتُ شوطا طويلا هذه المرة باعترافي بكرمٍ وحزم بأنني أخطأتُ في الماضي، أيضا كيما أريهما العمل وهو يتحسن، وأنا لن أعتذر ثانية بأي حالٍ في المستقبل. مرة واحدة وكفى، ولم يكن عليّ أن أقطع كل هذه المسافة كما فعلت، تحديدا بشكل غير مشروط.

أما أن يتكرما هما أيضًا فهو أمرٌ آخر، يمكنك أن تعاونَ في هذا لو أردت. لو لم ترد، فلا تشغل بالك بالأمر، لكن بعد برهةٍ سأعود له ثانية.

لا أعرفُ كيف رأيتَ خطابي الأخير، الذي لم يكن يُقصَدُ أن يبدوَ غاضبا. يمكن أن تزدهر أموري، ولأجل مصلحتينا أتمنى لو أن بإمكاننا تركيز القوة التي لدينا. لقد عقبتُ بردٍ مختصر إلى كلٍّ من ترستيج وموف عن رفضهما، لأخبرهما "أنني أتفق مع ترستيج أنّه من الأفضل لي أن أبحث عن أناسٍ آخرين بدلا من محاولة تجديد علاقات قديمة، هذه هي فكرتي أيضا، لكن فوق هذا وبعده وقبله، أنني أملك إيمانا كافيا بالمستقبل مع هذا، لن يجعلني أتخلى عن استعادة علاقات قديمة، بل وأفضل مما كانت عليه فيما قبل". كانت هذه إجابتي لترستيج. وهي أيضا ما أقوله لك، أعتقد أن ذلك ممكن. أن أحظى بحالٍ أفضلَ من الوضع الآني، معك أنت أيضًا.

لكن، لأكُن مباشرا، أظنك كنت محايدا بشكلٍ مبالغٍ فيه معي، في العام والنصفِ أو العامين الماضيين، أتمنى فوق كل شيء دفئا أكثر، فالصداقة كانت فاترةً للغاية، وعديمة الروحِ بالنسبة لي. قل إن هذه حذلقة مني إن شئت، لكنها ليست كذلك، ولكي أبدو عمليا فقد أشرت إلى هذا لك من قبل وأشير إليه ثانية.

ستعود مارجو بيجمان إلى نيونن في أحد تلك الأيام، لقد ظللتُ دائما صديقا جيدا لها، وهي لم تستسلم لأختيها بناء على نصيحتي فقط، واللتين ـولنكن صرحاءـ تفضلان بقاءها بعيدةً واللتين تخبرانها طيلة الوقت أنها سببت ارتباكا كبيرا في كل شيء. على النقيض، فلعائلتها التزامات تجاهها، وفي الماضي وضعت هي أموالها في أعمال أخيها عندما أفلس.

المسألة هي أن كلينا قد اختار أن نحب بعضنا، نرتبط ببعضنا ـوقد كنا كذلك لفترة طويلةـ فليس هذا خطأ منا أو شيئا يمكن للناس لومنا عليه. لا أنا ولا هي. وفي رأيي إنه من العبث أن ينشغل الناس بهذا، أو –كما يقولون ـ بمصلحتي ومصلحتها. كان هذا منعطفًا سيئا.

يمكن لأيهم أن يفعل هذا بنيات حسنة. مع هذا، فقد كان للويس بيجمان اعتراضاته أيضًا، لكنه ظل في مكان يسمح لي ولها بالحديث معه، وكونه إنسانيًا وهادئا بالتحديد هو ما لم يجعل الأمور تزداد سوءا، وعندما حدث ما حدث معها، وهو ما لم يعرفه أحد غيري، أمكنه المساعدة ووضع كل الآخرين العراقيل. وكنا على اتفاقٍ تامٍ بخصوص الخطوات الواجب اتخاذها وقتها.

فوق هذا، كنتُ قد حذرته قبلها بثلاثة أيام، وقلت إنني قلق حيال أخته.

ومن المعروف تقريبًا أنها كانت تساعد بشكل أو بآخر معظم قاطني الحي، سواء في المرض أو في أي مصاعب كانت. وقد ارتبطنا أنا وهي ببعضنا في أثناء مرض أمي.

لقد كتبت لي توًا: لو أن هناك أي مرضى في نيونن، فاذهب وزُرهم وانظر إن كان بالإمكان فعل أي شيء للمساعدة. حسنا، ثمة ألف شيء من تلك الطبيعة فيها.

ولأقولها بشكل مخفف، يمكن للمرء أن يقول إن سوءَ فهمٍ مؤسفًا قد حدث هنا.

أفكر أنه، بالنظر لما جرى، لن يمكنك أن تتحدث الآن بالطريقة نفسها التي تحدثت بها ذلك المساء. لقد كان هذا يخصني وحدي، وأمكنني احتماله، لذا فإنني لا أؤاخذك بهذا الخصوص. وكتوضيح لك فقط، أقول، فتماما كما حدثتني، أنا من يمكنه تحمل هذا، فقد تحدثت معها أختها، مما أزعجها كثيرا. ليس لديك شأن بالأمر، لأنك كلمتني أنا، من يمكنه تحمل هذا، ولم تكلمها هي. لكن الخطأ الحقيقي يقع على أختيها، أو بالأحرى إحدى الأختين بالخصوص، والتي أثبتت جمودها، فهي بالفعل لا تزال ضائقةً وساخطة في دواخلها.

سيكون عليك أنت أن تخبرني ثانية إن كنتَ ساخطا، قبل أن أشك فيك.

لدي الكثير لأقوله لك.

٤٨٢ | نيونن، نحو الاثنين ٢ فبراير ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لدي الكثير لأقوله حول وصفك خطابي الأخير بال "مزعج".

أولا هذا: قبل مدة كتبتَ أنت الكثير من الأشياء المزعجةِ لي، والتي ظللتُ أسمعها منك ومن آخرين طوال الخمس عشرة سنة الماضية وأكثر –هذا وقت طويل– فضلا عما كنت تقوله عن العلاقات في البيت.

وخصوصا بإضافة هذا: "أنك متشكك". حسنا، لو أن الأمر متعلق بالسابقة تلك، لم أكن سأعرها أي انتباه.

إضافة شكك هذا، كان أكثر مما يُحتَمَل بالنسبة لي، وقد سألتك مرارا أن تسحبه أو تشرحه لي، لأنني لا أسمح لشيء من هذا القبيل أن يقال دون أن أطلبَ إيضاحا. وفي خطابي الأخير قارنتُ الشك عموما بزجاج معتم تنظر عبره. وقلتُ إن أقذر أنواع سوء التفاهم يمكن أن ينجم بسببه.

وهذا صحيح.

عندما تستدير ناحيتي هذه المرة وتكتب لي: "إنك تذكرني بالشيوخ الذين يقولون إن الأشياء كانت أفضل في شبابهم من هذه الأيام، ناسين طوال الوقت أنهم تغيروا"، لا يضايقني هذا. ما كنا نتحدث عنه هو الشك، الذي لا أذكره أنا، بل تذكره أنت بنفسك، منك تجاهي. أولا، طبّق مسألة المجائز هذه على هذا، وبعدها انظر إن كانت تنطبق عليّ أيضا.

لو أنها انطبقت عليّ أيضا بعد هذا، فسيكون عليّ أن أتغير.

أخشى أن يكون ما كتبته عن مناخ معين في البيت، أتيحت لي فرصة مراقبته أكثر مما رغبت، حقيقيًا تماما.

عندما تسألني في خطابك كيف أنك لا تسمعني أقول أبدا "أريد أن أصير كذا، أو كذا"، سبب ذلك أنني أظن أولئك الذين يصطفون في طابور "أريد أن أصير كذا أو كذا" العظيم، لا يفعلون شيئا لتحسين أنفسهم. من يقولوها لا يفعلوها.

لو أن لي أن أعرب عن نفسي حيال تلك الأماني، فلن يكون من السهل بمكان فعل ذلك، في جو مثل هذا الشائع بيننا.

هذا هو السبب، وبما أنني أتحمل المشاق لتحسين عملي، فلا يجب أن أبقى واقفًا مستسلما للنواح في مكاني نفسه.

آسفٌ، أنت لم ترسل إلي ذلك العدد من مجلة اليستراسيون، لقد تتبعتُ أخبار رنوار Renouard لفترة طويلة، ولدي ما فعله لاليستراسيون عبر سنوات. وهذا أحد أرفعها، وهو ما أظنك ستسر به بنفسك.

لا يمكن للمرء أن يحصل على الأعداد القديمة، حتى لو طلبها من المكتبة، ليس هنا على الأقل. أتمنى لو وجدتها. لو أن ذلك سيشكّل عناء لك، فدعك منه، مع أنه لن يسبب لك عناء كثيرا في النهاية.

وعلى أي حال، لاحظ أنه وفيما يخصّ ذلك الشك، فإن ردّي عليه ليس بالأمر الكبير، لأنني لن أسمح لك أو للآخرين، لو لزم الأمر، أن يظنّوا بي تماما كما تفعل، لكنني قد حذرتك أن ذلك قد يمنحك بعض الرضا لو كان لك أن تتلبس قالب هذه الشخصية.

وبما أنك تكرر دائما أنك تعرفني أفضل من أي شخص آخر وعلى الرغم من هذا ينتهي الأمر بالشك، فهذا أمر جادّ بما يكفي بالنسبة إليّ كي أعترض عليه بحزم، وعلى تلك الـ "أعرف أفضل"، وعلى الشيء الآخر، هذا الشك. لدي تاريخٌ مشابه ورائي، مع أبي، وليست لدي النية في البدء مع أبٍ ثانٍ.

لو أنني سيطرت على الأمور مع أبي منذ البداية ولم أبق صامتا ببساطة، فالكثير من الأشياء لم تكن لتحدث.

لا تفهمني خطأً إذن حين أخبرك الآن مباشرة بما أفكر فيه.

فهذا أفضل لكلينا. أما البقية، يا عزيزي، فإنني أكدّ ليلًا ونهارًا كي لا يطول الوقت حتى أستطيع أن أزيح عنك بعض عبئك المالي. ربما يستغرق الأمر أطول مما أريده لك ولي، لكن الاستمرار في العمل طريقٌ لا يمكن أن يفشل البتة. وعندما أصرُّ على المضيّ قدما فيه، فذلك حتى أضع حدًا لإمكانية العراك. فحتى إمكانية العراك ستختفي بمجرد أن أجد وسائلَ لتغطية نفسي ماليا. وعملي لن يكون حينها على المحك، وهو في الوقت الراهن لا يزال هكذا.

ولذا لا تيأس. لكننا بائسان في الوقت الراهن. وبالنسبة لي فإن العمل باهظ الثمن. فعليَّ أن أمارس التصوير كثيرا وأنا في حاجة مستمرة لموديل من أجل هذا. ولهذا السبب تحديدًا، لأنه وفي الوقت الذي يكون فيه العمل صعبًا ومكلفا، وليس

محمودًا في الآن نفسه، فمن البؤس أن تحصل على الشك في مقابله. لا عليك، إنها فترة عليّ المرور بها، ولا يمارس المرء التصوير من أجل راحته.

شكرا لما أرسلتَ. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

٤٨٣ | نيونن، بين نحو الخميس ٥، والخميس ٢٦ فبراير ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

جزيلُ الشكر لطرد الاليستراسيون، الذي أصابني بسرور كبير. أحب كل رسومات رنوار المتعددة، ولم أكن أعرف أيًا منها. مع ذلك -وليس هذا لأشكل عليك عبئا، لكن لأنني كتبت أشياء عنها قد تكون غير قابلة للتطبيق على رسوماته الأخرى- مع ذلك، التكوين الفعلي لرنوار والذي قصدته ليس بينها، ربما نفدت طبعة هذا العدد. عرض الشكلِ كان رائعا فيه، كان لرجل كهل وامرأة ما وطفل، أظن ذلك، جلسوا جميعهم عاطلين أمام محلّ نساجٍ سكنت فيه الأنوال.

لم أر بعد شيئا من المستنسخات عن أعمال صالون ٨٤، ولدي الآن فكرة ما على الأقل عن بعض اللوحات المثيرة للاهتمام من عدد الصالون، ومن بينها ذلك التكوين بريشة بيفي دو شافان.

لا بد أن لوحة هاربينيي ذات الشمس الغاربة كانت عظيمة. ولوحات فيين بيران، التي تُوفّرت لها الاسكتشات الكروكي. ومما أدهشني أيضا شكلُ فتاةٍ لإميل

ليفي، يابانية، ولوحة بيل، "نساء يحرقن أعشاب البحر"، ولوحة كولِن، "الصيف، ثلاث نساء عاريات".

إنني أكدّ في رسم تلك الرؤوس. أمارس التصوير بالنهار وأرسمُ في المساء. لقد صنعت ما لا يقل عن ثلاثين لوحة تقريبا بهذه الطريقة، ورسمت العدد نفسه.

بهذه النتيجة، أرى فرصة، ستسنح بعد وقت ليس طويلا، لأن أفعل هذا بشكل مختلف تماما. أظن ذلك سيساعدني في الأشكال عموما. اليوم حصلتُ على واحدة بالأبيض والأسود على خلفية من لون اللحم.

ودائما ما أبحث عن الأزرق. وكقاعدة، فإن شخوص الفلاحين هنا زرقاء. هذا، جميل جدا في القمح الناضج، أو على خلفية أوراق ذابلة في صفّ من شجر الزان، لتبعثَ الأطياف الدقيقة من الأزرق الغامق والفاتح وتتكلم بالتعارض مع الدرجات الذهبية أو البنية المحمرّة، وقد أذهلني هذا منذ البداية.

الناس هنا، وبشكل غريزي، يرتدون أجمل درجات الأزرق التي رأيتها في حياتي. كتان خشن يغزلونه بأنفسهم، سداة سوداء، ولحمة زرقاء، ما يخلق شكلا مقلّما بالأسود والأزرق. وعندما يبهت ويحول لونه بفعل الريح والطقس، يتحول إلى درجةٍ معينةٍ متناهية الهدوء، وتظهر ألوان اللحم. باختصار، أزرق بما يكفي للتفاعل مع كل الألوان التي تحمل عناصر برتقالية مخفية، وباهتٌ بما يكفي لئلا يتصادم معها.

لكن هذه مسألة لون، ومسألة الشكل هي ما يهمّني الآن في النقطة التي أنا بها حاليًا. التعبير عن الشكل -أظن- يكون أفضل في مخطط أحادي اللون، تتنوع درجاته في الكثافة والقيمة بشكل رئيسي. على سبيل المثال، البئر، لوحة جول بريتون رسمت بلون واحد تقريبا. لكن على المرء أن يدرس كل لون منفردا بمصاحبة مقابله اللوني قبل أن يتيقن من قدرته على إحداث التناغم.

لقد رسمت بضع دراسات أخرى لحديقتنا عندما هبط عليها الثلج.

لقد تغير المنظر الطبيعي كثيرا منذ هذا الوقت. لدينا الآن سماوات مساءٍ رائعة بالليلكي والذهبي، فوق ظلال البيوت المتدرجة بين الأجمات متوردة اللون، والتي يرتفع فوقها شجر الحور الأسود الرفيع، بينما في المقدمة هناك الأخضر المبيض الأشهب، منوّعا مع خطوط الطين السوداء والبوص الشاحب بطول الجسور. أرى كل هذا أيضا، وأجده رائعًا مثل أي شخصٍ آخر، لكن ما يحظى باهتمامي أكثر هو نسب الشخوص، تقسيم الرأسِ البيضوي، ولن أحسن فهم الباقي حتى يكون لدي إتقان أكبر للشخوص. باختصار -الشخوص أولا- من جانبي، لا يمكنني فهم البقية من دونها، والشخوص هي التي تخلق مزاج اللوحة.

مع ذلك، يمكنني تفهم، أن هناك أناسًا مثل دوبيني، وهاربيني ورويزديل وغيرهم الكثير، ممن يبهرهم المنظر الطبيعي نفسه بشكل لا يقاوم. عملهم مُرضٍ تماما لأنهم هم أنفسهم كانوا راضين بالسماء والتربة وحوض من الماء وشجيرة. مع ذلك، أظن أن مقولة إسرائيل عن دوبريه هي مقولة جبارة وماهرة - إنها مثل تصوير الشخوص.

تحياتي، وشكرا ثانية على الرسومات.

المخلص لك،

فنسنت.

٤٨٤ | نيونن، نحو الاثنين، ٢ مارس ١٨٨٥.

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

شكرًا لإرسالك المال سريعا هذا الشهر، وصوله بهذه السرعة يساعدني بشكل كبير. شكرا مرة أخرى للمحفورة الخشبية لِلِيرميتّ -.هذه من ضمن الأشياء القليلة

التي أعرفها له، فقد رأيتُ فقط: جماعةً من البنات في القمح، امرأةً عجوزً في الكنيسة، وعاملُ مناجمَ أو شيء من هذا القبيل في حانة صغيرة، والحصاد، ولم أر غير هذا قطْ. وما من لوحة تعكسُ أسلوبه الفعلي كهؤلاء الحطابين.

لو أن "لوموند إلّوستريه" تطبع له تكويننا كل شهر –تكون جزءا من سلسلةِ "الشهور الريفية"– فسيبهجني كثيرا أن أجْمعَ كل السلسلة، وسأتمنى لو أنك ترسلها إلي كلّ مرة. لأنني كما هو واضحٌ لا أرى أي شيءٍ هنا، فضلا عن أنني في حاجةٍ لرؤية شيءٍ جميلٍ بحق من آنٍ لآخر، لذا في المرة القادمة لا تتوانَ عن الاحتفاظ بعشرين فرنكًا، مثلا، لكن أرسل إلي أشياءً كهذه عندما تظهرُ في المجلات المصوّرة.

الآن، بخصوص ما كتبته عن أنك ستحاول أن تشارك بعملٍ جاهزٍ لي في حال أن رأيته أنا جيدا، في الصالون – فإنني أقدّر رغبتك تلك. هذا في المقام الأول. ثم علاوة على ذلك، لو أنني علمتُ به منذ ستة أسابيع مضت، لكنتُ حاولت إرسال شيءٍ لهذا الغرض. لكنني لا يتوفّر لدي شيءٌ قد أهتم بإرساله.

مؤخرا، كما تعرف، رسمتُ رؤوسا فقط تقريبا. وهي دراسات بالمعنى الحقيقي للكلمة – أي أنها خاصة بالمرسم.

وعلى الرغم من ذلك، في نهارنا هذا تحديدا، بدأتُ بصناعة ما يمكنني إرساله إليك.

لأنني أظنه سيكون من النافع، عندما ترى أناسا كثيرين في مناسبة الصالون، أن يتوفر لديك ما يمكنك عرضه – على الرغم من أنها مجرد دراسات.

إذن، ستستلم رأسي امرأتين، شابة وعجوز، وربما أكثر من واحدة لهاتين الموديلين. وبما أنك ستكتب انطباعاتك عن التصورات المتنوعة للرؤوس، فإنني أظن أن هذه، التي تأتي مباشرة من كوخٍ بسقفٍ من القشّ الذي نما عليه الطحلب، ستبدو لك مناسبة بعض الشيء، حتى لو كانت مجرد دراسات. لو أنني علمت منذ ستة أسابيع مضت، لصنعتُ منها امرأةً تغزلُ أو تلفّ خيطا بالحجم الطبيعي.

لنرجع لحظةً لسؤال الوجوه الأنثوية في نمط جاكيه، لا أقصد تلك المبكرة، بل أقصد ما يرسمه حاليا في يومنا هذا. رد الفعل عليها -و هو مبرر بالتأكيد- من قبل أناسٍ يرسمون وجوه فتيات كشقيقاتنا، على سبيل المثال -يمكنني تفهم أن هناكَ رسامين يفعلون أشياء من هذه- وسلَر فعلها عدة مرات، وميلّيز، وبوتون، وأولئك هم فقط من رأيت أعمالا لهم في الماضي. أعرف القليل عن عمل فانتان-لاتور، لكنني وجدت ما رأيته جيدا جدا. يشبه عمل شاردان. وهذا كثير. أمّا أنا، فلست ذلك النمط من الشخصيات التي لديها فرصة كبيرة لتحظى بحميمية كافية مع بنات من هذا النوع حتى يتخذن أوضاعا للرسم. بالخصوص ليس مع أخواتي. وربما كنتُ متحاملًا على النساء اللائي يرتدين الفساتين. ومجالي هو أولئك اللائي يرتدين المآزر والتنانير.

مع أنني أظن ما تقوله عن هذا محقًا -تحديدا أنه من الممكن تماما أن أصورهما- ولهذا ما يبرره كردة فعل ضد جاكيهات وفان بيرات اليوم الحاضر... إلخ. ليس سواه، شاردان (دعنا نوحد هدف ردة الفعل في اسمه، فانتان لاتور على الأقل سيوافق)، شاردان كان فرنسيا يرسم نساء فرنسا. وفي رأيي، فإن النساء المحترمات الهولنديات مثل شقيقاتنا يفتقرن حقًا وبشكل استثنائي إلى السحر الذي تمتلكه الفرنسيات. بالتالي، فإن العنصر المُسمى محترمًا في النساء الهولنديات ليس جذّابا للغاية - للتصوير أو للتأمل. لكن بعض الخادمات الشابات من العامة، فهن شاردانيّات للغاية.

في الوقت الحاليّ، لا أمارس التصوير فقط بالنهار، لكن حتى في المساء، على ضوء المصابيح في الأكواخ، لو استطعت تحديد الألوان، كيما أقنص ما يُمكن من التأثيرات الاستثنائية للضوء ليلا، مثلا، في وجود ظلّ كبير مرتمٍ على الجدار.

لم أر يقينا أي شيءٍ برفعة أولئك الحطابين في لوحة لِيرميت منذ سنوات مضت.

يا لإحساسي ورغبتي في تلك الأشكال الصغيرة في ذلك التكوين.

أشكرك ثانية لإرساله.

المخلص لك،

فنسنت.

الشارداني، هو كما يبدو لي، تعبير استثنائي عن البساطة والخير، إلى آخر مداهما، وأجد أن من الصعب تصديق أن المرء بإمكانه إيجاد ذلك في شقيقاتنا، ولا واحدة منهن. لكنّ ويل، لو كانت فرنسيةً بدلا من ابنةِ قسّ، لأمكنها إحرازه. لكن تقريبًا كعادتها أبحرت إلى الجهة المقابلة من البوصلة.

٤٨٧ | برقية، مُرسلة من آيندهوفن، الجمعة، ٢٧ مارس ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ، 19 جادة مونمارتر، باريس (F)

أبونا، جلطة مميتة، تعالَ، لكنّ الأمر انتهى.

فان جوخ.

٤٩٠ | نيونن، الاثنين، ٦ أبريل ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لم أزل متأثرا بما حدث. لقد ظللتُ ألوّن طوال أحدين.

مرفقٌ طيه خربشة ثانية لرأس رجلٍ وأخرى لطبيعة صامتة مخلصةً إلى الأسلوب الذي في تلك التي أخذتها معك. إلا أنها أكبر مع ذلك. والأشياء التي في المقدمة هي كيسُ تبغ وغليونٌ لأبي. لو ظننتَ أنك أحببتها، بالطبع فخذها على الرحب والسعة.

ماما تبدو بخير، وكتابة العديد من الرسائل يوفر بعض السلوى في الوقت الحاضر. لكنها بالطبع لا تزال حزينة. كور عاد توّا إلى هِلمُندْ. لا أعرف إن كنت ما زلت تذكر أنه في يناير، عندما رقد الثلج على الحقول وصعدت الشمس حمراء في الضباب، قد كتبتُ لكَ أنني لم أبدأ عامًا قط في مزاج أكآب من هذا. لا بد أن بلاءً أكثر في انتظارنا جميعا.

بالطبع ستتفهمُ أن مكوثي في المرسم ليس من أجل راحتي. بل سيعسّر الأشياء عليّ. لكنني مقتنع بأن مغادرتي في صالحهنّ، خصوصا على ضوء نية ماما أن تضيِّف مستأجرًا لو أمكن -ممن يمضون هذا الصيف في الريف للنقاهة- أو حتى لو لم يمكن هذا، فسيكُنّ أكثر حرّيةً بالنسبة للضيوف... إلخ.

مهما يكن، فإنني لم أزل آسفا على الواقعة مع آنا التي جعلتني حاسمًا بهذا الخصوص. ما قالته لك لم يغير شيئا مما أنبتني عليه، مهما تكن عبثيةً تلك التأنيبات أو واهيةً كانت افتراضاتها عن أشياء لم تزل في الغيب، فإنها لم تقل لي إنها تراجعت عنها. حسنا، تعرف أني لا ألتفت لأشياء كهذه، بأي حالٍ، فإنني أدع للناس -يوما وراء الآخر- أن يظنّوا بي الظنون، وأن يقولوا ويفعلوا أيضا، لو لزم الأمر. لكنني بالتالي، لا أملك خيارا. ببداية كهذه، على المرء أن يتخذ الخطوات اللازمة لمنع هذا الأمر في المستقبل. لذا فإنني قد اتخذت قراري.

من المرجح أن أمي وويِل وكور سيذهبون إلى لايدِن العام المقبل. حينها سأكون الوحيد الباقي في برابنت. وأظن أيضًا، أنه ما من شيء يجعل مكوثي هناك لآخر حياتي مستحيلا. فبعد كل شيء، لا أرغبُ في شيء سوى الحياة في عمق الريف وتصوير حياة الفلاحين.

أشعر أن بإمكاني خلق مكانٍ لنفسي هنا، حيث بإمكاني أن أضع يدي على محراثي، وأفلَحَ أرضي. أظنك تفكّر حيال هذا بشكل مغاير، وأنك تراني بالأحرى أتخذ مسارا آخرَ بخصوص محل إقامتي.

لكنني أفكر أحيانا أن لديك فكرة عما يمكن للناس فعله في المدينة، إلا أنني من جهة أخرى أشعر أنني في بيتي، في الريف.

وسواءٌ هذا أم ذاك، فسيستغرق طبعُ لوحاتي في رؤوس الناس جهدًا عظيما.

في أثناء ذلك، ليست لدي أي نية لترك نفسي للخذلان.

كنت أفكر مرة أخرى فيما قرأته عن ديلاكروا - رُفِضت سبع عشرة لوحة له، "سبعة عشرَ رفضا"، هكذا أخبر أصدقاءه بنفسه مباشرة. كنت أفكر اليوم أنهم كانوا أناسا جبارين وشجعانا، أولئك الروّاد. لكنّ المعركة يجب أن تستمر حتى في الحاضر، عن نفسي، أريد أيضا أن أقاتل قدر طاقتي. وعليه، يا تيو، أرجو أن يمكننا إتمام ما بدأنا به ثانيةً، وعلى الجانبين. في غضون انتظاري، أو بالأحرى في أثناء كدّي في تكويناتٍ أهمّ، فإنني أرسل إليك هذه الدراسات بمجرد وصولها من الأكواخ مباشرة. بالطبع سيقول الناس إنها ليست تامّةً أو إنها قبيحة... إلخ. إلخ. لكن -في رأيي- اعرضها على أي حال. بالنسبة لي، فإن لدي عقيدة راسخة أن ثمة أشخاصًا قليلين، عندما يؤول بهم الحال إلى المدينة، أو عندما يرتبطون بها، فإنهم يحتفظون بانطباعات لا تُنسى عن الريف، ويستمر لديهم الحنين للحقول والفلاحين بقية أعمارهم.

إن محبي الفن من ذلك النوع يدهشهم أحيانا الصدق ولا ينفرون مما يخيّب أمل الآخرين.

أعرف كيف كنت أهيم في المدينة لساعاتٍ، باحثا في واجهات المتاجر، لأرى مشهدا صغيرا للريف في مكانٍ ما، مهما كان.

إننا الآن في استهلال العرض على الناس، أوقنُ بشدةٍ يقينا تامًّا أنه شيئا فشيئا سنجدُ الجمهور. الظروف تعاندنا لكننا وبالتدريج سنقدر على عرض أشياء أحسن.

الآن، في اللحظة الحالية، يشغلني كثيرا دفعُ فاتورةِ ألواني، فضلا عن حاجتي لقماشِ لوحاتٍ، وألوانٍ، وفُرَش. بما أنكَ ملتزمٌ بفعل أشياء استثنائية للعائلة بسبب موت أبينا، فلقد توصلتُ إلى الفكرة التالية.

افترضُ أنك لستَ في موقعٍ يخوّل لك أداء الزيادة التي أستلمها منك في الربيع والصيف في كل عام، والتي، بالمناسبة، لا أستطيع الاستغناء عنها. ألا تظنه عادلا في تلك الحالة، عندما نسوّي الأمور، أن أحتفظ لنفسي بمبلغ، ٢٠٠ فرنك مثلا من حصتي، والتي في أي حال أخرى كنت سأتركها للصغار عن طيب خاطر؟ وكنت سأقدر على تركها لهم كلها لو استطعتَ أنت مساعدتي.

بالمناسبة، لا أرى أنني أترك لهم حصتي، بل بالأحرى أنه وبفضلك أنت، يمكنهم الاحتفاظ بها.

إن ذهبتُ للعَيشِ في المرسم، فسأُضطرُ لأن أحصل على خزانةٍ، لأنني مثلا وفي الحاضر، ليس لدي مكان لتخزين أشيائي، وسأحسّن الإضاءة أيضا.

بالنسبة لي فإن الانتقال سيكون كالجحيم. وعلى أي حال، أعتقدُ أننا سنسيطر على الأوضاع بالجَلَد والمثابرة.

أظنني سأبدأ بالتصوير بالألوان المائية بانتظام في الأماسيّ، بمجرد انتقالي للمرسم، لا يمكنني فعل ذلك في غرفة المعيشة هنا بالبيت. حتى ذلك الحين، سأستمر بالعمل من النماذج في الأماسيّ أيضا.

أما عن آنا، فعليك ألّا تظن أنني سأستمر في غضبي أو في حَملِ الضغينة. فقط، أظن أنه من العار أن يعتبرن أنهن يخدمن أمي بشيء كهذا -يا للعار!- وهذا أمر غبيّ وأحمق. ما دامت ماما وَوِيل هنا، فلن يحدث شيء سيئٌ بيننا، لا أظن ذلك. لكن ماما لا يمكنها استيعاب أن التصوير عقيدةٌ وأنه يستلزم تبعا واجبَ تجاهلِ الرأي العام، وأن المرءَ ينتصر فيه بالجَلَد وليس بالخنوع. و"ليس باستطاعتي أن أزيد إيمانك" هي الحال بيني وبين جلالتها، تماما كما كانت وظلّت مع أبي أيضا.

على أي حال، أخططّ لأن أبدأ في الأسبوع الحالي بهذا الشيء مع الفلاحين حول طبقِ بطاطس في المساء أو ربما سأجعلها نهارية، أو كلاهما أو "لا هذه ولا تلك" - كما ستقول.

لكن سواءً نجحت أم فشلت، فسأبدأ في الدراسات للشخوص المختلفة.

تحياتي، مع مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت.

﴿الاسكتش أ﴾



نبات في مزهرية

٤٩٢ | نيونن، الخميس، ٩ أبريل ١٨٨٥.
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لم يدهشني كثيرا انقطاعك عن الردّ ولو بكلمةٍ واحدةٍ. ستقول إنك كنت أكثر انشغالا من أن تفكّر بالأمر، ويمكنني تفهم ذلك جيدا.

لقد تأخر الوقت، لكنني أردتُ إخبارك مرةً ثانية بأنني أرجو من كل قلبي أن تصبح مكاتباتنا أكثر حيوية من ذي قبل.

مرفقٌ طيّهُ اسكتشان عن بضع دراسات صنعتها، في أثناء عملي على هؤلاء الفلاحين حول طبق البطاطس. لقد وصلتُ لتوّي من هناك، وقد استكملتُ العملَ عليها على ضوء المصباح، على الرغم من أنني بدأتُ على ضوء النهار هذه المرة.

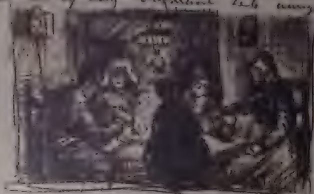
﴾الاسكتش أ﴿

انظر، هذا ما آل إليه التكوين. لقد صنعتُ اللوحة على قماشةٍ كبيرةٍ إلى حد ما، وكما هي حال الاسكتش الآن، فإنني أظن أنها حية.

لكنني أعلم بالتأكيد أن العم كور على سبيل المثال، سيتحدث عن ¯ رسم سيئ... إلخ.

أتعرفُ ما يمكن قوله تحديدا لدحض هذا؟ إن تأثيرات الضوء الجميلة في الطبيعة تحتاجُ من المرء أن يعملَ بسرعةٍ كبيرة. حسنًا، أعرف جيدا أن المعلمين العظام كانوا قادرين على المحافظةِ على الحيوية وإتمامها، خصوصا في فترة خبرتهم الناضجة. لكن ذلك شيءٌ لن يمكنني أن أقوم به في الوقت الحاضر.

مع ذلك، فعند النقطة التي أنا فيها، أرى فرصةً سانحةً لإعطاء انطباعٍ محسوس عمّا أراه. ليس بشكلٍ حرفيٍّ دقيقٍ دائما -بل ليس دقيقا أبدًا- فالمرء يرى الطبيعة عبر مزاجه الخاص.



لوحة آكلو البطاطا

ما أود نصحكَ به الآن هو التالي: لا تدعِ الوقتَ يسرقك، دعني أعمل بقدر ما تحتمله أي طريقة، واحتفظ بكل الدراسات من الآن فصاعدًا لنفسك. مع ذلك، أفضّلُ ألا أوقع أيًا منها الآن، لأنني لا أفضّلُ لها أن تروج كاللوحات، ويكون على المرء أن يشتريها ليستردها ثانية إن صنع شهرةً أو شيئا من هذا القبيل. لكنّه من الجيد أن تعرضها، فسترى أنه وفي يومٍ ما سنجدُ من يريد فعل ما أقترحه عليه، أي جمع الدراسات.

أنوي الخروج بانتظام في الصباحات وتناول أيٍ مما أرى الناس تفعله في الحقول أو في البيوت، وهذا هو ما أفعله الآن على أي حال.

إنك تبحثُ عن أفكار جديدة لتجارة الفنّ، فكرةُ أن تكون عادلا مع محبّي الفن ليست جديدة، لكنها فكرة لا تتقادم أبدا. وأيضا إعطاء تأمين حال الشّراء. أسألك، أليس أفضل لمحبّ الفن أن يملك ٢٠ اسكتشا متنوعًا لرسّام كلها بالسعر نفسه ليمكنه الدفع بشكل معقول في لوحة منتهيةٍ يمكن ترويجها كسلعةٍ قابلةٍ للبيع؟ لو كنتُ مكانك، لأنك، على أي حالٍ، تعرفُ العديد من الرسامين الذين لم يشتهروا، لكنتُ وضعتُ دراساتٍ مصوّرةً في السوق الحقيقية - ليس كلوحاتٍ، بل معلّقةً بشكلٍ أو بآخر، على ألواح بريستول مذهبة مثلا، أو حمراء داكنة، أو سوداء.

لكنني تحدثت أعلاه عن إعطاء التأمين.

لا يصنع العديد من الرسامين الكثير من الدراسات، لكن الكثير يفعلون، والشباب خاصة مضطرون لصنعها بقدر استطاعتهم، ألا يفعلون؟ كل من يملك دراساتٍ لمصور، يمكن أن نقول موقنين إن بينه وبين المصور رابطةً وثيقةً لا يمكن فصمها لمجرّد نزوة.

ثمة أناسٌ، أليس كذلك؟ يساندون الرسامين في الوقتِ الذي لا يجنون فيه المال - حسنا.

لكنّ كم مرةً يؤدي ذلك إلى نهاياتٍ سيئة، مزعجةٍ لكلا الطرفين؟ من جهةٍ لأن الراعي غير راضٍ عن المال المبدد، أو يبدو مبددا على الأقل. من جهة أخرى لأن الرسام يشعر بأن عليه طلب المزيد من الثقة، والمزيد من الصبر والاهتمام، أكثر مما يستطيع الناس منحه. لكن في أغلب الحالات فإن الإهمال على الجانبين هو ما يؤدي إلى سوء التفاهم. أرجو ألا تكون هي الحال بيننا. وأتمنى أن تمنحك دراساتي، وبالتدريج، بعضا من شجاعة. لا أنت ولا أنا من معاصري الجيل ذاك الذي يسميه جيجوه صادقا "الشجعان" في كتابك الذي أقرؤه. مع ذلك، يبدو لي أن الحفاظ على حماسةِ تلك الأيامِ في الحاضر أمرٌ محمود، لأنه من الصحيح غالبا، أن الحظّ يواتي الشجعان، وسواءً كان هذا عن الحظّ أو "لذّة العيش" فلا بدّ للمرءِ من العمل والشجاعةِ إن أراد أن يحيا. وأنا أقول، لنصنع لوحاتٍ كثيرةً ولنكن منتجين، ولنكن

أنفسنا بأخطائها وحسناتها. أقول نحن - لأن المال الذي يصلني منك، والذي أعرفُ أنه يسبب لك متاعب جمّةً لتوفّرَهُ لي، يعطيك الحق، إن حدث خيرٌ ما في عملي، أن تعتبر نصفه من إبداعِكَ أنت.

جرّب أن تحدّث أحدا من القطّ الأسود وتسألهم إن كانوا يريدون خربشةً لآكلي البطاطس هؤلاء، ولو أن الأمر كذلك، فبأي حجم؟ لأن ذلك لن يكون شاقًا.

تحياتي، بمصافحة.

المخلص لك،

فنسنت

«sketch B, C»



رجل وامرأة يزرعان البطاطس



امرأتان تعملان في الحقول

٤٩٣ | نيونن، الاثنين، ١٣ أبريل ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

جزيلُ الشكر لخطابك المسجّل بالأمس وما هو مرفق به، إنني أكتب ثانية مباشرةً وأرفقُ خربشةً، أدقّ من تلك التي أرسلتها من قبل، عن دراستي الأخيرة.

لم أستطع أن أشتغل عليها كما كانت نيتي. لقد رسمتُ ثلاثة أيامٍ متتابعةٍ من البكور حتى وقتٍ متأخَر، وبحلول مساء السبت أصابت اللون حالٌ لم تسمح بالعملِ قُدُما. حتى يجفّ تماما.

ذهبتُ إلى آيندهوفن اليوم لطلَبِ حجرٍ صغير، فهذه ستكون الأولى من سلسلةِ مطبوعاتٍ بالحجر، والتي أخطط للبدء بها مرةً ثانية. عندما كنتَ هنا، سألتكَ عن سعرِ النسخ بآلية جوبيل وسي. قلت حينها، كما أظن، مائة فرنك. حسنا، إن آلية الطباعة القديمة بالحجر، والتي يسيء الناس تقديرها اليوم، هي أقلّ سعرًا —خصوصا في آيندهوفن— ربما.

أعتاد على الحجر حاليا – التعريق، والورق، وطباعة خمسين نسخة مقابل ثلاثة جيلدرات. أفكر في صناعة سلسلة من النماذج حول حياة الفلاحين، باختصار – الفلاحون في موطنهم.

اليوم ذهبت في تمشية رائعة لساعات مع أحد معارفي، والذي أريتك أولى لوحاته بالألوان المائية لأحد الشخوص. لا أقول إن بريتاني وكتويك أو حتى البوريناج لا تحتوي طبيعة درامية مثيرة، لكن القرى والخضرة هنا لا تزال جميلة جدًا، وبمجرد وجودي هنا أرى فيها مصدرًا لا ينضب للشخوص من حياة الفلاحين، والمسألة هي: أن تقبض عليها. أن تعمل. لدي رغبة كبيرة في البدء بصناعة الألوان المائية والرسومات ثانية، وعندما أعيش في الاستوديو سأجعل وقتا لذلك في الأماسي.

لقد سعِدتُ بعمقٍ لإرسالك مائة الفرنك. كما قلت، كان من الضروري تماما أن أدفع بضعة أشياء، وقد شغلني هذا. ليس الأمر أن الناس كانت تزعجني، لكن لأنني علمتُ بحاجتهم لها. لهذا كتبت أنني قد أضطر للاحتفاظ بجزء صغير عندما تُسوّى الأمور.

لكن هذا ليس ضروريا الآن، على الرغم من أنني يمكنني أن أخبرك بثقةٍ، ان العام سيكون كئيبا جدا.

لكنني أفكر فقط فيما قاله ميه: "لن أتخلص من المعاناة أبدًا، فهي غالبا ما يجعل الفنانين يعبرون عن أنفسهم بضراوة".

أفكر في الانتقال في الأول من مايو بالتقريب، وعلى الرغم من أن الأشياء، بالطبع، ليست على ما يرام مع أمي والأختين، مع هذا فإنني أرى وأشعر أن هذا سيكون أحسن الخيارات، فالحياة معًا لن تطاق على المدى الطويل. وهو ما لا ألومهم عليه شخصيا، أو حتى ألوم نفسي عليه، بل بالأحرى أعزوه إلى عدم توافق الأفكار بين أناسٍ محافظين على وضعٍ ما وبين رسّام فلاحين، لا يعنيه هذا الأمر.

حين أقول إنني رسّام فلاحين، فإنني أقصد ذلك، وسيتضح لك هذا في المستقبل، أشعر أنني في موطني هنا. ولم يكن هباءً جلوسي لأمسياتٍ عديدة هنا، جوار النار للتأمل، مع عمال المناجم وعمال الخثّ والنساجين والفلاحين -إلا حين يعوزني الوقتُ للتأمل- بسبب العمل. لقد صرتُ مستغرقا في حياة الفلاحين بمشاهدتها طيلة ساعات النهار حتى إنني لم أعد أفكر في شيءٍ آخر.

كتبتَ لي أن المزاج العام تجاه عمل ميه، الذي هو عدم المبالاة -كما أتيحت لك الفرصة أن ترى في ذلك المعرض- ليس مشجعا لا للفنانين ولا لأولئك الذين يبيعون اللوحات. أوافقك، لكن ميه نفسه شعُرَ وعلِمَ بذلك، وبقراءة سنسيه، فإن ما قاله عن بداية مهنته في الفن أدهشني لدرجة أنني وعلى الرغم من عدم تذكري معناه، يقول: "فإن ذلك (أي عدم المبالاة) سيكون من السوء حتى إنني لن أستطيع شراء حذاءٍ أنيقٍ أو المضي في حياة الجنتلمان، لكن، لأنني أتجول في قبقابٍ فسأنجح"

وهكذا حدث.

لذا، فإن ما أرجو ألا أنساه هو: "إنها مسألة التجول في قبقاب"، أي أن تكون راضيا فيما يخص الطعام والشراب والملبس والنوم بما يرضى به الفلاحون.

هذا ما فعله مييه، ولم يرد شيئا آخر بأي حال، وفي نظري فذلك يعني أنه وككائن إنسانيّ فقد دلّ الرسّامين على طريق لم يدلل عليه إسرائيل أو موف مثلا، اللذان يعيشان في ترف شديد، وأقول ثانية – إن مييه هو الأبُ مييه، أي، مستشارٌ ومرشدٌ في كل شيء، للمصورين الشباب.

معظمُ من أعرفهم (وإن كنتُ لا أعرف العديدين) سيرفضون ذلك. بالنسبة لي – أفكر بالطريقة نفسها، وأومن كليةً بما يقوله. إنني أتحدث عمّا يقوله مييه مسهبًا، تحديدا لأنك كتبت عن مسألةِ رسمِ سُكّانِ المدن للفلاحين، فعلى الرغم من كون شخوصهم مرسومةً بشكلٍ رائع، فإنها لا تكفّ عن تذكير المرء بضواحي باريس. لقد تولد لدي الانطباع نفسه في بعض الأحيان (على الرغم من أنه بالنسبة لي، فالمرأة التي تنزع البطاطس لـ ب. لوباج، هي استثناءً بالتأكيد)، لكن ألا يحدث ذلك تحديدا لأن الرسامين غير مستغرقين بما يكفي وبشكل شخصي في حياة الفلاحين؟ مييه يقول في موضعٍ آخر: في الفن على المرء أن يمنح القلب والروح.

هذه إحدى ميزات ديجرو – صوّر فلاحين حقيقيين. (وقد طلبوا منه –الدولة– أعمالا تاريخيةً بريشته! وقد لاقت نجاحا، لكن كم كان أجملَ حين أمكنه أن يكون نفسه.) إنه لعارٌ مقيمٌ وخسارةٌ للبلجيكيين، كون ديجرو لم يلقَ التقدير الذي يستحقه، هو أحد الأساتذة الأفذاذ على شاكلة مييه. لكن حتى إن كان العامة لا يعترفون به أو لم يعترفوا به، وعلى الرغم من أنه يظلّ مغمورًا، مثل دومييه، مثل تاسّير، لم يزل أناسٌ مثل ميلّيري، على سبيل المثال لا الحصر، يصنعون فنّا اليوم يتحلى بتلك العاطفة.

لقد رأيتُ شيئا لميلّيري مؤخرا في مجلة مصورة، عائلة بحّار في مقصورةٍ على سطح صندل –زوج، زوجة، أطفال– حول طاولة. وفيما يتعلّق بالتعاطف العام، فقد قرأت شيئا عنه عند رينان من سنواتٍ مضت، وقد ظل هذا معي وسأظل أومن

به، أن أي امرئٍ أراد بحق أن ينجزَ شيئًا حسنًا أو مفيدا، فلا يجب عليه أن يعتمد على الاستحسان أو التقدير العام وينتظرهما، بل على النقيض عليه ألا يتوقع التعاطف إلا من بضعة قلوبٍ فقط، وحتى حينها فقد يحدث هذا أو لا يحدث.

لو قابلتَ أحدًا من ملهى "القطَ الأسود"، يمكنك أن تريه هذه الخربشة الآن، لكن بإمكاني أن أصنع واحدةً أفضل إن أرادوا، فهذه قد صنعت على عجل شديد ونفعها أن تعطيك فكرة أوضح من سابقتها عن التأثير والتأليف. تحياتي وشكري، مع مصافحة.

المخلص لكَ حقًا،

فنسنت.

لستَ بحاجةٍ لإخبار القطّ الأسود أنني أخطط أيضا لصناعةِ طبعةٍ حجريةٍ لهذا الشيء بنفسي. فهذه الطبعة لن تُنشرَ بأي حال، بل هي خاصةٌ تمامًا. بالمناسبة، لن يضيرني حقًا إن لم يريدوها، فأنا سأطبع بنفسي حجريًا ما أريد طباعته حجريًا.

﴿اسكتش أ﴾



لوحة آكلو البطاطا

٤٩٧ | نيونن، الخميس، ٣٠ أبريل ١٨٨٥ (D)

عزيزي تيو،

أخلَصُ الأمنياتِ بدوامِ العافية والسكينةِ في يوم ميلادِك. كنت أودّ لو أرسلتُ إليكَ لوحةَ آكلي البطاطس لهذا اليوم، وعلى الرغم من أنها قد اتخذت مسارًا حسنًا فإنها لم تنتهِ تمامًا بعد.

وعلى الرغم من أني سأصنع اللوحةَ الفعليةَ في وقتٍ قصير نسبيًّا، ومن الذاكرةِ في الأغلب، فهي قد تطلبتْ منّي شتاءً كاملًا من تصوير دراسات الرؤوس والأيدي. أما الأيام القليلة التي صورتُ فيها حاليًا، فقد استتبع ذلك أن يكون التصوير معركةً ضارية، لكنها معركةٌ لدي لها حماسٌ عظيم. وعلى الرغم من أنني خِفتُ في بعض الأحيان ألا أصلَ لشيء. لكنّ التصويرَ "فعلٌ وخَلقٌ" أيضا.

عندما ينسج النساجون تلكَ القماشاتِ التي أظنهم يطلقون عليها التشيفيوت، كما يصنع الاسكتلنديون ذلك الصوف المميّز ذا المربّعاتِ عديدةِ الألوان، فهم يحاولون كما تعلم، الحصول على ألوان مكسورةٍ ورماديّاتٍ في التشيفيوت، أو الحصول على ألوان جدُّ زاهيةٍ في توازنٍ مع بعضها البعض في الصوف الملوّن، بحيث بدلا من أن يتنافر القماش، فإن التأثير الكليّ للشكلِ يتناغم إن رُؤيَ عن بُعد. إن رماديًّا منسوجًا من الفتائلِ الحمراء والزرقاء والصفراء والبيضاء الحائلةِ والسوداء، أو أزرقَ مكسورًا بفتيلةٍ خضراء وبرتقاليةٍ، أو حمراء أو صفراء، سيكونُ مختلفًا جدًا عن الألوان المصمتة، أي أنها تنبض أكثر وتجعلُ الألوان الخالصة تبدو خشنة ومكتفيةً وبلا حياة.

مع ذلكَ، ليس استنتاجُ مسألةِ عدد الفتائلِ واتجاهها بيسير دومًا على النسّاج، أو بالأحرى على مصمم الشكلِ أو توليفةِ اللون، ولا هو سهلٌ نسجُ ضرباتِ الفرشاةِ معًا لتكوّنَ كُلاً متناغما. لو أنك رأيتَ أولى الدراساتِ الملونةِ التي صنعتها عندما أتيتُ

هنا لنيونن، واللوحاتِ الحاليةِ -جنبًا بجنبٍ- أظنكَ سترى أنها وفيما يخصّ اللون، فقد صارتْ الأشياء أكثر حياةً وزهاء.

أظن أن مسألة كسْرِ الألوان في العلاقات اللونية ستشغلكَ أيضًا في يوم ما. على خبيرِ وناقدِ الفنّ أيضًا كما يبدو لي، أن يتيقنّ من أرضهِ التي ينطلقُ منها وأن يؤمن بعدةِ قناعاتٍ. على الأقل من أجلِ متعته الخاصة وكي يستطيع إعطاءَ الأسباب، وفي الوقتِ نفسهِ يشرحَها في بضع كلماتٍ للآخرين، الذين يقصدون شخصًا مثلكَ في بعضِ الأحيان من أجلِ تنويرهم حينَ يريدون التزود بالمعرفة عن الفن. مع ذلك، فإن لديّ الآن ما أقوله عن بورتييه: بالطبع فأنا لا أغفل رأيهُ الخاصَ كليةً، وأنا أقدّرُ أيضا للغايةِ قولَهُ بأنه لم يسحبْ شيئًا مما قاله. ولا يهمّني أنه لم يعلّق تلك الدراساتِ الأولى كما اتضح. أمّا إن كان يطلبُ إرسالي لوحةً مخصوصةً إليه، فله ذلك بشرطِ أن يعرضها.

بالنسبة لآكلي البطاطس، فهي لوحةٌ ستبدو جيدةً في الذهبيّ، أنا موقنٌ من ذلك. وستكون جيدة أيضًا وهي معلقةً على حائطِ ذي ورقٍ بدرجةٍ عميقة من لون القمح الناضج. ببساطةٍ لا يجبُ رؤيتها بدون هذا المحيط. لا يبدو أنها ستبرز على خلفيةٍ داكنةٍ، وبالتأكيد ليس على خلفيّةٍ مُطفأة. وذلك لأنها لمحة من داخل مكان رماديٍّ جدًّا.

في الحياة الواقعية، هي أيضًا في إطارِ مُذهَّبٍ إذا جاز التعبير ستكونُ أقربَ إلى المشاهد، بما أن الموقد وضوء النار على الجدران، الذي يقع الآن خارج اللوحة في الحياة الحقيقية يلقي بكل شيءٍ إلى الخلفية.

مرةً ثانيةً، يجب أن يؤطّرها المرء بوضع شيءٍ ذهبيّ داكنٍ أو نحاسيّ اللون حولها.أرجوكَ أن تضع هذا في الحسبان إن أردتَ رؤيتها كما يجبُ أن تُرى. هذا الارتباط مع الدرجة الذهبية يجلبُ في الآن ذاته وضوحًا للمساحات التي لن تتوقع فيها الوضوح، وينزع الهيئة الرخامية التي ستتخذها لو وضعها المرء لسوء الطالع على

خلفيّةٍ سوداءَ أو خلفيةٍ باهتةٍ. الظلال ملونةٌ بالأزرق، واللون الذهبي سيشتغلُ مع ذلك.

بالأمسِ أخذتها لأحدِ معارفي في آيندهوفن، وهو رسّام.

بعد قرابة الأيام الثلاثة، سأذهب إلى هناك وأعلّيها ببعضِ بياضِ البيض وأنهي بعضَ الرتوش. هذا الرجل الذي يبذل قصارى جهده ليتعلم التصوير ويحاول أن يعثر على باليتّة ألوان جيدة، أُخِذَ من روعتها. وهو قد رأى الدراسة التي صنعتُ منها المطبوعة بالحجر، وقال إنه لم يظنني قطُّ قادرًا على رفعِ درجة كلٍ من اللون والرسم إلى هذا العلوّ الشديد. وبما أنه يرسمُ أيضا عن نماذج، فهو يعرفُ أيضا جيدًا ماذا يتضمنه رأسُ فلاحٍ أو قبضته، أما الأيدي، فقد قال إنه الآن يتوفّرُ لديه مفهوم مختلف جدًّا عن كيفية عملها بنفسه.

كما ترى، فقد أردتُ حقًّا أن أصنعها بحيث تترتبُ لدى الناس فكرةُ أن أولئك البشر، الذين يأكلون البطاطس على ضوء مصباحهم الصغير، قد حرثوا الأرض بأنفسهم بهذه الأيدي التي يضعونها في الطبق، فتتحدثُ عن العملِ اليدوي، وأنهم قد كسبوا قوتَهم بشرف. أردتُ أن أمنحها فكرةَ أسلوب عيشٍ مفارقٍ تماما لأسلوبنا – نحن أهل الحضَر. لذا فأنا بالتأكيد لا أريد لأحدٍ أن يعجب بها أو يقبلها بدون أن يعرفَ السبب.

لقد كانت فتائل ذلك القماش بين يديّ طيلة الشتاء كلّه، وبحثتُ عن الشكلِ المحدد، وإن كان للقماشِ الآن هيئة خشنة وغليظة، فالفتائل مع ذلك قد اختيرت بعنايةٍ وبالتوافق مع قواعدَ معينة. وقد يثبُتُ أيضًا أنها لوحةُ فلاحية حقّة. أعرفُ أنها كذلك. ولإن فضّلَ أحدهم رؤية فلاحين وسيمين عديمي النكهة فليذهب بالسلامة. أمّا عنّي، فأنا مقتنعٌ بأن تصويرهم في شظفهم وعلى المدى الطويل سيؤتي نتائجَ أفضل بدلا من تقديم الحلاوةِ التقليدية.

إن فتاةً ريفيةً في تنورتها المتربة المرقعةِ وسترتها التي حال لونها إلى درجات دقيقة بفعل الطقس والريح والشمس، لهي أجمل في ظنّي من سيدةٍ موسرة. لكن إن ارتدتْ

ملابس السيدة، فستفقد أصالتها. وفلاحٌ ببذلتهِ القطنيةِ الخشنةِ في الحقول أكثر رقيًا منه في الآحاد حين ذهابه إلى الكنيسةِ في نوعٍ من معاطفِ السادة المهذبين.

وبالمثل، يخطئُ المرءُ في ظنّي، إن أعطى للوحةِ فلّاحينَ نعومةً تقليديةً ما. إن فاحتْ من لوحةِ فلّاحينَ روائحُ الخنزير والدخان وبخار البطاطس، حسنًا، فليس ذلك مضرًا بالصحة، لو فاحت من الإسطبل روائح الرّوَث، حسنًا، فهذا نفعُ الإسطبل، لو كانت للحقلِ رائحةُ القمح الناضج أو البطاطس أو السماد والرّوث، فإن هذا صحيٌّ بحق، خصوصًا لأهل المدينة. فهم يحصلون على ما يفيدهم من لوحاتٍ كهذه. لكنّ لوحةَ فلاحين لا يجبُ أن تُعطَّر. يصيبني الفضول حيال إذا ما كنتَ ستجدُ أيًا مما يعجبكَ فيها – أرجو ذلك. يسرني أن السيد بورتييه قد قال إنه يريد التعاملَ مع عملي، وعن نفسي، فإن لديّ شيئًا أهمَّ من الدراسات وحدها. أما عن دوران رُويل، مع أنه قال إن الرسومات لا تستحق، فاعرض عليه هذه اللوحة. قد يظنها قبيحةً – حسنًا، دعه يرها بأي حال، حتى يتسنّى لهم رؤيتنا نكدّ في سعينا. على أي حال، ستسمعُ "يا لهُ من معتوه!"، كن مستعدًا لذلك كما أنا مستعدٌّ بنفسي. لكن مع ذلك أستمرُّ في منحِ شيءٍ أصيلٍ وصادق.

إن تصوير حياة الفلاحين شيءٌ جادّ، كنت سألوم نفسي إن لم أحاول تصوير لوحاتٍ تمنح الناس الذين يفكرون جادّين في الفن وفي الحياةِ أشياء جادّة للتفكير. ميبه، وديجرو وعديدون، قد ضربوا أمثلةً في الشخصية، في نبذ الالتفاتِ لتبكيتٍ من نوعِ: وَسِخ، فظّ، موحِل، نَتِن... إلخ. إلخ. حتى إنه من العار أن تصيب المرء الوساوس حيال هذا. كلا، على المرء رسمُ الفلاحين كما لو كان واحدًا منهم، يشعرُ ويفكّرُ كما يفعلون بأنفسهم. كمن لا يمكنه أن يكون سوى ذلك.

أفكر أحيانًا أن الفلاحين عالمٌ قائم بنفسه، أحسنُ في نواحٍ عديدةٍ من العالمِ المتحضّر. ليس في كل ناحية، فماذا يعرفون عن الفنّ وهذه الأمور؟

لا تزال لديّ بضع دراساتٍ أصغرَ، يمكنك أن تتصور كم شغلتني تلك الكبيرة حتى إنني لم يتسنّ لي فعلُ الكثير بجوارها.

بمجرّد أن ينتهي الأمر كله ويجفّ، سأرسلُ إليك قماش اللوحاتِ في صندوقٍ صغير، وسأضع بعضًا من الدراسات الصغيرة معه. أظنه من الأفضلِ ألا أؤخرَ إرسالها لوقتٍ طويل، ولهذا سأرسلها. أما طبعة الليتوغراف الثانية منها فربما الأفضل أن نهملها. لكنني ما زلتُ أعتقد أن السيد بورتييه على سبيل المثال، يجبُ أن يؤكد ما قاله، فيمكننا الاعتماد عليه كصديقٍ للأبد. أرجو أن ينجح هذا من كل قلبي.

لقد استغرقني التصوير حتى إنني كدتُ أن أنسى مسألة انتقالي، والتي يجبُ أن أهمَّ فيها مع ذلك. ذلك لن يقلل من همومي، لكن حيواتِ كل الرسامين في هذا النوع مليئة بالهموم حتى إنني لن أودّ أن أحظى بظروفٍ أسهلَ مما حظوا بها. وعليه، فعلى الرغمِ من كل شيء، فهم قد أنجزوا لوحاتهم، الصعوباتُ المادّية ستعرقلُني أيضا لكنها لن تحطمني أو تفتَّ في عضدي. بأي شكل.

أنا مؤمن بأن آكلي البطاطس ستؤتي ثمارها، الأيام الأخيرة دومًا ما تكون ضارّةً باللوحة، كما تعلم، فليس للمرء أن يمسَّها بفرشاة كبيرة في حين أنها لم تجف تماما من دون أن يخاطر بإتلافها. والتغييرات يجب أن تتمَّ بهدوءٍ وثقةٍ شديدين بفرشاةٍ صغيرة. لذا وضعتها جانبًا وقلتُ لصديقي إن عليه فقط أن يتأكد من أنني لن أتلفها بهذه الطريقة، وأنني سآتي لأضيف تلك الأشياء الصغيرة في بيته.

سترى أن بها أصالةً. تحياتي، آسفٌ لأنها لم تكن جاهزةً اليوم، مرة ثانيةً أرجو لك الصحة والسكينة، صدّقني، مع مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت.

اليوم سأعملُ على بضع دراساتٍ صغيرة، والتي ستُرسل في الوقتِ نفسه. هل أرسلتَ عدد الصالون قط؟

٥٠٢ | نيونن، نحو الجمعة، ٢٢ مايو ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

جزيلُ الشكر لخطابك والخمسين فرنكًا المرفقة، والتي رحبتُ بها كثيرا خاصة في هذا الشهر، بما أنني سأنتقل. أظنني سأوفّر في الوقت كثيرًا على المدى الطويل بعيشي في الاستوديو، بما أنني سأستطيع بدء يومي مبكرًا مثلا، بينما في البيت لم أكن قادرًا على فعل شيء.

كنتُ أهرب في الرسومات هذه الأيام القليلة الماضية. إنهم يهدمون البرج القديم الذي في الحقل. عرضوا الأشغال الخشبية للبيع والقرميد والحديد القديم، بما في ذلك الصليب. انتهيت من لوحة ألوانٍ مائيةٍ حول ذلك بأسلوب سوق الحطب ذاك، لكن أفضل كما أظن. كان لدي أيضا لوحة ألوان مائية كبيرة أخرى لفناء الكنيسة لكنها حتى الآن فاشلة. وتظلّ لديّ فكرةٌ جيدةٌ عمّا أريده فيها، وربما سأحصل على ما أقصده على فرخ ثالث من الورق. وإن لم يكن، فهو كذلك. لقد مسحتُ للتوّ الفشلين بالإسفنج، لكنني سأحاول معها مرة أخرى.

إن أردتَ يمكنك الحصول على تلك التي تصوّر السوق. ثم إنني أعمل على دراسةٍ كبيرةٍ لكوخٍ في المساء. ونحو ستة رؤوس.

هذا وذاك هما السبب في عدم إرسالي تأكيد استلام خطابك السابق.

أبذلُ قصارى جهدي في العمل لأنني أفكر في زيارة معرض أنتويرب في وقتٍ ما مع صديقي ذاك الذي في آيندهوفن، لو أمكنني ذلك. وحينها قد آخذ بعض أعمالي معي لأفعل بها شيئا آخر هناك إن أمكن. أتوق لسماع إن كان السيد بورتييه قد رأى آكلي البطاطس.

ما تقوله عن الشخوص حقيقي، إنها كشخوصٍ فهي ليست مشابهة لما ينبغي أن تكون عليه الرؤوس. وعليه فقد فكرتُ في إعادة رسمها بشكل مختلف تماما، أي تناولها من الجذوع بدلاً من الرؤوس. لكن حينها ستصير شيئا مختلفًا كلّيةً. أما عن الجلوس، فلا تنس أن أولئك الناس بالتأكيد لا يجلسون على كراسٍ مثل، قُل، تلك التي في مقاهي دوفال.

أرفعُ شيءٍ رأيته كان أن المرأة كانت راكعةً ببساطة، هذا في الاسكتش الأول الذي أرسلتُه إليكَ.

لكن بأي حال، فإنها مرسومةٌ بالطريقة التي رسمت بها، وسنعيدها مرةً أخرى في وقت ما – يقينا لن تكون على المنوال نفسه. في الأيام الماضية كنتُ أيضًا منشغلا برسمِ شخوصٍ صغيرة.

شكرًا أيضا لعدد "لو تون" الذي أرسلته مع مقالة بول مانتس عن الصالون. لم أر مقالا بهذه الجودة منذ وقتٍ طويل. أظنها جيدةً بشكلٍ استثنائيّ، الجُمَلُ الافتتاحية، اللوحة التي بها أولئك اللابلانديون في كوخهم الداكن، الذين يرون شروق الشمس بعد ليلِ الشتاء الطويل، كما في الفن يجلسُ المرءُ منتظرًا النور.

ثم إحالته بعد هذا توًا إلى مييه، الذي يقينا قد أعطى ضوءًا جديدا، "والذي سيظلّ". والإشارةُ إلى ليرميتّ كتالٍ لمييه. أفكر كثيرا في لغتها الرجولية، ودقّتها وبُعدِ نظرها البارزين.

عدا أنني أظنه من العار أن يسمّي رول "مبتدئا"، فهذا تشويه لسمعته، فرول قد صنع أشياءً كثيرةً رفيعةً وهو فوق كل شيء، لا شبيه له. لا شبيه منذُ ضَربتِه "عمال المناجم" على الأقل. حين يقول بول مانتس إن عمّال رول لا يكدّون كفايةً، وإن اللوحة "حلمٌ". حسنًا، إنها صورة حلوة وبها شيء ما. الأمرُ الوحيد المأخوذ عليه هو أنها تعكس باريس تحديدا وليس العمل الواقعي في الحقول. بعد كل شيء، هي هيئة عامل المدينة كما يرسمه عليها رول تماما.

لرابارد لوحة في أنتويرب أظنها ستكون رفيعةً، على الأقل الاسكتش، الذي عمليًا لم يعجب به أحد، كان جيّدًا جدًا برأيي. أظنّه ماهرًا جدًّا.

هل انتهيتَ من كتاب زولا، جيرمينال، بعد؟ أودّ كثيرًا أن أقرأه وسأعيده إليكَ في نحو أسبوعين. هل ظهرت لوحة ليرميتَ شهرُ مايو بعد؟

في مقالة مانتس أظن ما استطاع قوله عن اللون في أربع كلماتٍ كان جيدًا ومنطقيًا، عندما يتحدث عن "أزرقاتُ الرماد التي نحبها"، و"عشب المرج أخضرُ للغاية، والثورُ بنّيٌ خمريّ، والبنتُ الصغيرةُ ورديّةٌ، هنا تناغمت ثلاثُ درجات"، عندما يتحدث عن المسألة نفسها بخصوص ليرميتَ.

تحياتي، مع مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت.

يمكنني تفهّمُ أن يكونَ بِنار مثيرًا للاهتمام.

سأضيف كلمةً أو اثنتين هنا – لا يمكنني أن أكفَّ عن نصيحتك لتجتهد في فهم نسب ديلاكروا المختلفة للون.

مع أنني منبوذ، مع أنني خارج عالم الفن منذ وقتٍ طويل، معزول، بسبب قبقابي... إلخ. إلا أنني أرى من مقالة مانتس تلك أنه لا يزال هناك ذوّاقةٌ ومحبون للفن، حتى في هذا الزمن، لا يعرفون شيئا –وهذا ما كان يعلمَهُ توريه وتيوفيل جوتييه. وهو، إن تركنا ما يسمى بعالم التقدّم المتحضّر جانبا على ما هو عليه، أي الخداع، ما سيتلخّص باستمرار فيما أعلنهُ الإصلاحيون عن الذّوق في ١٨٤٨ مثلًا، بطريقة رجوليّةٍ وقاطعة.

تماما كما أن إسرائيل لن يتم تجاوزه هنا في هولندا، ويبدو لي أنه سيظلّ معلمًا. وفي بلجيكا ليز وديجرو.

لا تخطئ أبدًا مهما حدث وتظن أنني مصرٌّ على المحاكاة، لأنني لا أقصد ذلك البتة. لقد رأيتَ أكثرَ منّي بكثير، وكنت أتمنى لو أُتيح لي أن أرى ما رأيتَه وتراهُ كل يوم. لكن ربما رؤية الكثير هي تحديدًا ما يجعلُ التفكيرَ صعبا.

جزمي هو أن الأمر معكَ هو نفسه مع جلّ الآخرين، أنك عندما تكبر يكون عليكَ العودة إلى القواعد الأساسية مرةً أخرى ودراستها ثانية. أقصد أنه في وضعك كخبير فنّ فإنه عليكَ أن تعرفَ قواعدَ مُعيّنةً لخلط الألوان والمنظور تماما كالرسامين أنفسهم -بشكلٍ نظريّ أفضلَ حتى منهم- بما أنه عليك أن تنصحَ وتتحدث عن اللوحات في حال صناعتها. لا تسئ فهمي، فما أقوله حقيقي، إن هذا سيكون ذا نفع عمليّ لك أكثرَ مما تتصور، وسيعْليكَ فوق المعايير المعتادة لتجّار الفن. وهو الأمر الضروريّ، لأن المعيار المعتاد تحتَ المستوى. أعرف القليل من خبراتي عمّا يعرفه التجار وما لا يعرفونه.

أعتقدُ أنهم في أغلب الأوقات يندهشون ويصنعون صفقاتٍ يندمون عليها لاحقا، تحديدا لأنهم يعرفون نزرًا يسيرًا عن كيفية صناعة لوحة.

على أي حال، أعرفُ أنك ضائقٌ ذرعًا، على سبيل المثال بقراءةِ أشياءٍ جيدةٍ مثل تلك التي كتبها جيجو. حقّا عليك دَرسُ موضوع اللون... إلخ. لنفسك. أحاول أن أفعل هذا بنفسي أيضًا، وأود قراءة كل ما تجده بخصوص هذا الأمر أيضًا. هذه الأيام أعمل على تطبيق كل ما قاله ديلاكروا عن الرسم عمليا في رسم الذراع واليد: لا تبدأ من الخط ولكن من المنتصف. لدى المرء فرصة كافية للبدء من البيضويّات هناك. وما أحاول الحصول عليه من هذا هو القدرة على رسم ليس اليد فقط بل الإيماءة، ليس رأسًا صحيحًا رياضيًا بل التعبير الكليّ. تنشّق الريح حين ينظرُ حفّارٌ إلى الأعلى، مثلا، أو يتحدث. الحياةُ، باختصار.

٥٠٧ | نيونن، نحو الثلاثاء، ٩ يونيو ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ

عزيزي تيو،

اليوم أرسلتُ ذلك الصندوق الصغير، محتويًا لوحةً واحدةً أخرى، "مقبرة الفلاحين" بجانب ما أخبرتك عنه من قبل. وقد تركتُ بضع تفاصيل - أردتُ أن أقول كيف أن هذه الخرائب تُظهِر أنه لقرون مضت يرقد الفلاحون هناك في سلام الحقول ذاتها التي كدّوا فيها في الحياة، أردت أن أقول كيف يحدث الموت والدفنُ ببساطة تامّة، بهدوء كسقوط ورقةٍ في الخريف، ليس أكثر من حفنةِ تراب تُهال وصليب خشبيّ صغير. الحقول المجاورة، حيث ينتهي عشب ساحة الكنيسة، وراء الجدار الصغير، تصنع خطًّا نهائيًا دقيقًا على الأفق، مثل أفق البحر. وهذه الخرائب تخبرني كيف صار الدين والإيمان هباءً الآن، على الرغم من أنهما أُسِّسا بصلابة، كيف ستظل حياة وموت الفلاحين على حالها، ينبتون ويذبلون مثل العشب والزهور التي تنمو هناك في ساحة الكنيسة. فيكتور هوجو، الذي دفنوه مؤخرًا هو الآخر، قال إن الأديان تمضي، ويبقى الله.

لا أعرف إن كنت سترى أي شيءٍ في هذين الشيئين - الكوخ وسقفه المطحلب ذكراني بعُشّ طائر النمنمة الصغير. بأي حال، لا بدّ أن تلقيَ نظرة عليهما.

ويجب أن أنتهز هذه الفرصة الآن لأشرح لك مرة ثانية -وبكلماتٍ جديدة وواضحة- السبب الذي جعلني ويجعلني أكتب إليك أنني أبعدُ ما أكون عن اليقين إن كان رأيك الحالي هو قناعتك النهائية. شركة جوبيل وسي ليست مدرسةً جيدةً للتعرّف إلى فن التصوير، ناهيكَ بالمصورين. أخبرك بهذا كرأيٍ لي - أن المرء لا يتعلّم حتّى كيف ينظرُ نظرةً مستقلّةً هناك.

ثم إنهم احتفوا بمن؟ بول ديلاروش. وليس عليّ إخباركَ كيف كان ديلاروش واحدًا من الناس الذين لم يصمدوا تحت الفحص. ببساطة لم يعد أحدٌ يقف في صفه.

شخصٌ آخرُ لا يصمد تحت الفحص، على الرغم من كونه أفضلَ، وقد صنع شيئا رفيعا لمرةٍ أو لمرتين، سيفشَلُ أيضا، أي جيروم. لوحتهُ "المسجون"، مع ذلك، و"الراعي السوريّ"، محسوستان، وأظنهما جميلتين كأي عملٍ آخر، طواعيةً واستعدادًا. لكن وإلى حدّ بعيد وفي الأغلب فإنه ديلاروش ثانٍ. كل منهما ذو قيمةٍ مساوية للآخر، مع وضع سياق عصريهما في الحسبان. ما أحاول التأكيد عليه الآن هو: أنني أعتبر أن الموقف كله سيصيبك على الأرجح بالضجر، كلما مرّ عام.

ما أؤكد عليه علاوة على هذا هو أن المرء يسيء للآخرين ولنفسِه فوق ذلك بملله. وعلى الرغم من عدّة دروسٍ حكيمة، لم أر قط أن الملل "من أجل المصلحة الشخصية" يمكن أن يكون له جانبٌ نافعٌ وعمليّ. والآن وقد عدّلت كتلةٌ كبيرةٌ من الناس أنفسَها حين بلغت قرابة الثلاثين عاما وتغيرت بشكل واضح.

فقط أريدك أن تفكر في هذا بهدوء، أخبرُكَ أنه لا شيءَ واحدًا مما تعلمته أنا وسمعته عن الفن في جوبيل وسي صمد أمام الفحص. ماذا لو قلب المرءُ التعميمات التي تُعتبر هناكَ حاسمة لأي حوارٍ في الحكم على الفن، أعني مدح ديلاروش القديم أو ديلاروش الحالي وإعلاءه إلى السماء والانتقاص من غير التقليديين. أقول إن عكسنا قواعد معينة، فحينها يمكن للمرء تنشّق هواء نقي. باختصارٍ -يا صديقي- تحولاتٌ مثيرةٌ كهذهِ، في المواقف والعلاقات، هي تحولاتٌ ممكنة، ليس هذا فقط، بل وحتى في القواعد. أمرٌ مضحكٌ، أليس كذلك؟ أنني وبعد كل هذا، لا أزال متشكّكًا في بقائك في الصنعة.

ليس عليك أن تردَ على هذا أو حتى أن تعطيه نظرةً، فأنا أخبرك به فقط لأعربَ عن فكرتي بأمانة، وليس لأبدأ تبادل كلمات لا طائل من ورائها.

لكنّها أرضٌ مسحورةٌ لا يكون المرء فيها حُرًّا.

بأي حال، سأسمع قريبًا إن كنتَ قد استلمت الصندوق الصغير وإن وجدت فيه شيئا.

غدًا سأرسمُ شيئًا في قريةٍ أخرى، كوخًا أيضًا، بحجمٍ أصغر. وجدته الأحد الماضي في رحلة طويلة قمتُ بها مع صبيٍّ من الفلاحين، حتى أجدَ عُشًا لطائر نمنمة. وجدنا ستةً منها، بلا شك هو مكانٌ كان بودمير سيعشقه. وكانت كلها أعشاشًا طارت صغارها، فتسنّى للمرء أخذها بدون الكثير من وخز الضمير. كان الأمرُ حقيقيًا، لدي أيضا أعشاشٌ مبهرةٌ أخرى.

تحياتي، اكتبْ قريبًا، مع مصافحة.

المخلص لك

فنسنت

أرجو منكَ أن تعطيَ كلًا من اللوحتين ورنيشًا قبلَ عرضهما على بورنييه أو سيرِّيه.

لقد هبطت مقابر الفلاحين خصوصًا بشكلٍ سيّئ، لأنها كانت مختلفةً على القماشة في البداية ثم كشطتُها تماما. كانت فشلًا تامًا في البداية، ثمّ أمهلتها قليلًا وبدأتُ من جديد، فذهبتُ وجلستُ في جانبٍ آخرَ ورسمتُ في باكورة الصبح بدلا من المساء. حسنًا، والأخرى –لوحة الكوخ– كانت في الأصل راعيًا. لقد جزّوا الخرافَ الأسبوع الماضي، رأيت ذلك، على طاولةٍ في الجُرن.

أنا سعيدٌ لأنه في هذه المرة بإمكاني عرض شيءٍ مختلفٍ تمامًا على بورنييه. أنا مشغولٌ في الرسم، بالمناسبة، حتى أستطيع إرسال شخوصٍ بحجمٍ كاملٍ في فترةٍ قصيرة. بينما أشتغلُ على الأكواخ –ربما ستقول إنها محاكياتٌ لميشيل، على الرغم من أنها ليست كذلك– ففي أثناء بحثي عن موضوعات، وجدتُ أكواخًا رائعةً حتى إنني يجبُ أن أذهب وأبتني عشًا كالطير بجانب تنويعاتِ "أعشاش البشر" هذه، والتي تذكرني كثيرًا بأعشاش طير النمنمة، أي أنني سأصورها.

أوه، على المرء أن يثق، أن أيًا ممّن يرسمون الفلاحين هذه الأيام واضعًا قلبه في العمل، سيفوز على الأقل بجزءٍ ما، ليسَ الجزء الأسوأ ولا الأكبر، من الجمهور. لا

يدّل هذا حقيقةَ أن نهاية الشّهر، أو نصفه الثاني، سيمرّ عليّ في العوز. لكن الشيء ذاته يحدث لجموع الفلاحين أيضًا، ويستمرون في المرح.

وددتُ لو كنتَ هنا يومَ الأحد عندما ذهبنا في هذه الرحلة. عدتُ وقد غطّاني الوحل لأننا اضطررنا لتمضية نصفِ ساعة كاملةٍ في خوضِ جدولٍ. لكنّ التصوير أصبح مثيرا لي ومحرّضًا تماما كالصّيد. إنه صيدٌ، بعد كل شيء، للنماذج، والأماكن الجميلة أيضًا. تحياتي ثانية، وأطيب الأماني لك. لقد تأخر الوقت وعلي أن أكون في الموقع غدًا في الخامسة صباحا فوداعًا.

٥٠٩ | نيونن، نحو الاثنين، ٢٢ يونيو ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أشكر على الخطاب والمرفق به، وهو تماما ما قصدته وما يعينني على العمل في نهاية الشهر كبدايته.

لقد سرّتني معرفة أن سيرّيه كان هو الرسّام الذي كتبت لي عنه سابقًا والذي قد تذكرته في الحقيقة، وإن غاب عني الاسم. أود لو كتبت لك أكثر بكثير مما سأفعله في هذه الرسالة، لكنني أعود إلى البيت هذه الأيام في مزاجٍ لا يسمح بالكتابة بعد أن أكون قد أمضيت النهار كله تحت الشمس. أما ما يقوله سيرّيه، فهذا رأيي أيضًا. سأكتب له لأنني أحب أن نصبح أصدقاء. كما أخبرتك سابقًا، هذه الأيام أجتهد في رسم الشخوص – سأرسلها قاصدًا سيرّيه تحديدا، لأريه أنني بعيد عن تجاهلِ وحدة الشخصِ والشّكل.

هل ترى والّيس؟ قد تعجبه لوحة الألوان المائية التي في المزاد؟ لو أنها أعجبت وسّيلينج، فمن الأفضل أن يأخذها هو. لقد أعطيت وسّيلينج بضعة رؤوسٍ في مرة

وقد أرسلتُ إليه مطبوعة ليتوغراف للتوّ. لكن لأنه لم يرسل ولا حتى كلمةً بالرد، فإنني أظن أن كل ما سأحصل عليه هو الإهانة إن أرسلت إليه أي شيء آخر.

لقد طرأ هذا بذهني فقد وصلني فجأةً خطابٌ من رابّارد الذي لم أسمع شيئًا منه لثلاثة شهور، والذي كنت على علاقة جيّدةٍ بهِ لسنوات، جاء خطابه متغطرسًا ومليئا بالإهانات، وبدا لي واضحًا أنه كُتِبَ بعد أن كان في لاهاي حتّى إنني موقنٌ من فقدان صداقته للأبد.

ولأني بدأتُ تجربتي تحديدا في لاهاي، التي أعتبرها وطني، فهذا ما يمنحني كل حقٍّ وسببٍ كي أنسى كل هذه المرارات وأفكرَ في شيءٍ آخر خارجَ وطني.

أنت تعرف والّيس جيدًا، لذا ربما يمكنك أن تذكرَ أمرَ تلك اللوحة المائية عنده، لكن يمكنك أن تفعل هذا حين تسنح الفرصة. إن أمكنني كسبُ شيءٍ من عملي، لو أحرزنا أرضًا صلبةً، ولو صغيرة، تحت أقدامنا، كيما يمكننا الاستمرار في العيش، ولو أن الرغبة في أن تصبحَ فنانًا تشكّلت في دواخلك، دعني أقُلها واضحةً، بأسلوبٍ يضعُ جانبًا كل الفروق في العمر... إلخ. كشخصية هانبو في رواية جيرمينال. يا لما سيمكنك رسمه حينها!

يظلّ المستقبلُ دوما مختلفًا عمّا يظنّه المرء، فلا يمكنه أبدًا أن يجزم بشيء. أكبرُ مساوئ التصوير أن المرء إن لم يبع لوحاته فإن عليه توفير المال للألوان والنماذج ليتطوّر. وهذا العيب قبيح. لكن من جهةٍ أخرى، فإنّ التصوير، وخاصّة تصوير حياة الفلاحين، يعطيك سلامَ الروح برأيي، حتى لو كان على المرء العيش على الكفاف مع كل ما يأتي معه من بؤس على سطح الحياة الخارجي. أقصدُ أن التصويرَ وطنٌ، والمرء لا يشعرُ بذلك الحنين للوطن، ذاك الشيء الغريب الذي كان لدى هانبو.

الفقرةُ التي نسختُها وقتها أدهشتني إذ كان بي توقٌ، حرفيًا، لأن أكون شيئًا كجزّازٍ للعشبِ أو عامل من عمّال الأهوسة.

وكنتُ قد سئمت مِن ضجر الحضارة. إنه من الأفضل، والأبهج أن يضع المرء هذا الملل في حيز التنفيذ، بالمعنى الحرفي للعبارة، على الأقل يشعرُ أنه حيٌّ حقًا. وإنه لشيءٌ ما أن تكون منغرسًا في الجليدِ في الشتاء، وفي الأوراق الصفراء في الخريف، أن تكون منغرسًا في القمح الناضج في الصيف، وفي العشبِ في الربيع. إنه لشيءٌ أن تكون بينَ الحصّادين والفلاحات، في الصيف تحت سماءٍ كبيرة، في الشتاء جوار الموقدِ الأسود. وأن تشعر "لقد كان هذا هو الوضع دائما وسيكون هكذا إلى الأبد". قد ينام المرء على القش، يأكل خبزَ الشيلم. وحينها، وعلى المدى الطويل، سيصبح المرء أكثر صحةً.

أود أن أكتبَ المزيد لكن، كما قلتُ، لستُ في مزاجٍ يسمح بالكتابة، ووددتُ لو أرفقتُ ملاحظةً لسيرّيه، لتقرأها بنفسك بما أنني سأكتب فيها ما أردتُ أن أرسله قبل مضي وقت طويل، خصوصًا لأنني أريد أن يرى سيّريه دراسات الشخوص الخاصّة بي.

تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

قد يوافقُكَ سيرّيه على أن صناعة أشياء جيدةٍ وبيعَها، شيئان منفصلان. لكنه رأيٌ باطل. حين رأى العامّة مييه أخيرا، ورأوا عمله جملةً واحدة، تحمّس العامّةُ في كل من باريس ولندن. ومن هو الذي وقفَ في وجه مييه ورفضه؟ تجّار الفنّ، من يسمونهم الخبراء... إلخ. أسألكَ، هل كان "موريه" ليقول هذا الكلام، في أثناء الحديث عن العمل؟

٥١٤ | نيونن، نحو الاثنين، ١٣ يوليو ١٨٨٥
إلى أنطون فان رابارد (D)

صديقي العزيز رابارد،

ما مرَّ يعني أنني حين أجلسُ للكتابةِ لكَ فإن ذلك لرغبةٍ في الاستيضاح أكثر منه لرغبةٍ في المتعة. أما عن إعادتي خطابَكَ السابقَ هنا، فثمة سببان لذلك، لكليهما ضرورة خاصة. أولا، هب أن تعليقاتِكَ على مطبوعة الليتوغراف التي أرسلتُها إليكَ صحيحةً، هب أنه ليس لدي ما أرد به عليها - حتى في هذه الحال، لم يكن شيءٌ سيمنحكَ الحقَّ في شجبِ عملي بهذا الأسلوب المهين، ولا في تجاهله كما فعلت.

ثانيًا، لَمّا كنت قد حظيتَ بقدرٍ من الصداقةِ أكبرَ مما أعطيت، ليس مني فقط، بل من عائلتي أيضًا، فأنت لا يحق لك ادعاء أنه وفي مناسبةٍ كمناسبةِ موتِ أبي، كان لزامًا علينا إرسالُ شيءٍ لكَ خلا ملاحظةً مطبوعة.

ليس لزامًا عليَّ أنا تحديدًا، بما أنك قبلها لم تردّ على خطابٍ مني. ليس لزامًا عليَّ، بما أنك في مناسبةِ موتِ أبي قد أرسلتَ تعبيرًا عن تعاطفكَ في خطابٍ مُرسلٍ إلى أمي - خطابًا حينَ وصلَ ولّد تساؤلا في البيت عن ماهية السبب الذي منعك من الكتابةِ إليَّ أنا حينها، الأمرُ الذي لم أرده، بأي حال، ولا أريده.

أنت تعلمُ، أنني لم أكن على علاقةٍ طيبةٍ بهم في البيت لسنواتٍ خلت. في الأيام الأولى بعد موت أبي، اضطررتُ لمخاطبةِ العائلةِ القريبة. لكن بمجرّد وصول العائلة، انسحبتُ من الأمر برمّته. أما عن أي تقصيرٍ، فهو ليس منّي، بل من العائلة. وعليَّ إخبارك أنه وعلى كل المستوياتِ فأنت استثناء، فقد سألتهم في البيتِ إن كانوا قد أرسلوا إليكَ كلمةً وتبيّن أن ذلك تم نسيانه. وهذا كاف للغاية في هذا الصدد.

سبب كتابتي لك ثانيةً لا يمتّ بصلةٍ للردّ على تعليقك على هذا الشأن. ولا هو لتَكرار ما قلته عن ملاحظاتك حول فن التصوير. ها أنا أُطلعك ثانيةً على خطابك

الذي كتبتَه. إن كنت لم تزل مؤمنًا بأن ذلك مُبرّرٌ، إن كنت تظن أن "لو فكّرت في الأمر، يمكنك، للعنة أن تعبر عن نفسك جيدًا وبالشّكل الصحيح" - حسنًا، فسيكون الأفضل ببساطة هو تركُكَ لضلالاتك.

ولأصِب ما قصدته: سببُ كتابتي لكَ هو ببساطة أنه، على الرغم من أنك من ابتدأ بالإهانة، ولست أنا، فقد طال بنا الزمن ونحن أصدقاء، أطول من أن اعتبر هذا سببا لقطع علاقتنا. ما لديّ لأقوله لكَ، هو من الرسّام إلى الرسّام و–ما دمنا نرسم أنا وأنت– سيستمر ذلك، فسواءً كنا على معرفة، أم لم نكن. كان ثمّة ذكرٌ لميه.

حسنًا، سأجيبك، يا صديقي العزيز.

كتبتَ: "تجرؤ على استحضار مييه وبريتون".

ردّي على ذلك أنني أدعوكَ بجدّيةٍ لهذا الاعتبار، ببساطةٍ لا تعاركني. أما عنّي، فإنني أمضي في طريقي الخاص، كما ترى، لكنّني لا أبحث عن عراكٍ مع أحد، ولا معكَ الآن حتى. سأدعكَ أيضًا تقول ما تريده، إن كان لديك أي من تلك التعبيرات، وستكون كماء لا يبلل ثيابي. وهي كافيةٌ حتى الآن مع ذلك.

كوني لا أهتم لشكلِ الشخوص، وهو ما قلتَه مسبقًا، فإن ملاحظةً كهذه أعتبرها دون قدري، ودون قدركَ أيضًا أن تقولَ شيئا كهذا ليس مبنيًّا على أساس. لقد عرفتني لسنواتٍ، هل رأيتني قطُّ أفعل أي شيءٍ خلا الاشتغال عن موديل والاستسلامِ أحيانًا لكلفةِ ذلك الباهظة، حتى وأنا في هذا الفقر المدقع؟

ما لم تكتبْهُ في خطابكَ الأخير، لكن فعلتَهُ مِرارًا حدّ إثارة الامتعاض في خطاباتك السابقة، وكان موضوع الخطاب الذي لم تجبه - هو ما يخصّ "التقنيّة". ما أجبتكَ بهِ حينها وأجيبكَ به مرةً ثانية هو، المعنى التقليدي الذي ينسبه الناس باطراد لكلمة التقنية، والمعنى الفعليّ، المعرفة. حسنًا إذن. ميسونييه ذاته يقول: "المعرفة، لا يملكها أحد"

حسنًا، "المعرفة" ليست هي نفسها "المعرفة" بدايةً، وأنت لن تنكرَ هذا. لكن حتى هذه، ليست هي المسألة.

خذ هافرمان مثالا، الناس، وأنت أيضًا، يقولون إنه يبالغ في التقنية. لكن هافرمان ليس وحيدًا، عديدون آخرون لديهم معرفة مكافئة لمعرفة هافرمان بالفنّ، بين الرسامين الفرنسيين، جاكيه مثلا، وهو أفضل.

ما أؤكده هو ببساطة، أن رسمَ الشخوص بشكلٍ صحيحٍ أكاديميا، فحتى ضربة فرشاةٍ حاذقة لديها القليل، بل أقل بكثير مما يظنّه الناس عمومًا، ليؤهلها للتعامل مع الاحتياجات، الاحتياجات الملحّة، ليومنا هذا في مجال التصوير.

لو قلتَ إنّ لدى هافرمان الكثير من "الصنعة"، بدلا من قولِكَ إن لديه الكثير من "التقنية"، كنت سأوافقكَ فورًا. ربّما ستتفهم ما أقصده حين أقول إن هافرمان حين يجلس أمام وجه فتاةٍ/امرأةٍ جميلةٍ، فسيجعلها أجملَ من أي شخصٍ آخر، لكن ضَعْهُ أمام فلاحٍ، فلن يبدأ بالرسم أصلا. فنّه، على حد علمي، يبدو قابلا للتطبيقِ في المقام الأول على مواضيعَ لسنا بحاجة إليها، هو بالأخص قابلٌ للتطبيق على مواضيع أغلبها مناقضٌ لمييه وليرميتَ، وسرعان ما يتخذ مسارًا موازيًا لكابانيل، والذي على الرغم من كل ما يملكه مما أسميه صنعةً، فقد قال القليل مما هو قابل للبقاء، أو يفيد التطور. ثم، أرجوكَ، لا تخلط هذا مع الطريقة التي يرسم بها مييه أو ليرميتَ.

ما قلته وأقوله ما زلتُ، الكلمةُ "تقنية" غالبا ما تُستخدَمُ بمعنًى تقليديّ، ثمّ، هي أيضًا غالبا ما تستخدم دون يقين. يمدحُ الناسُ تقنيةَ كل أولئك الإيطاليين والإسبان، وهم من بين رفاقنا الأكثر تقليديّةً والأكثر روتينيةً فقط. ومع من هم مثل هافرمان، أخشى أن "الصنعة" سرعان ما تصبح "روتينًا"، فماذا ستسوى وقتذاك؟

سؤالي الآن هو: ما السر وراء قطع علاقتكَ بي؟

كتابتي إليكَ ثانيةً هي من أجل محبّةُ مييه، من أجلِ محبة بريتون وكل من يرسم الفلاحين والشعب، وأنا أحسبك واحدًا منهم. لا أقول هذا لأنني تلقيت الكثيرَ منكَ كصديقٍ، يا صديقي العزيز، بل لأنني، حصلتُ على القليل الثمين منك، ولا تسئ فهم كلامي المباشر لك والذي أقوله للمرة الأولى والأخيرة، فأنا لم أعرف صداقة أكثر جفاءً من صداقتك. لكن، أولا ليس هذا سبب ما أفعله، ثانيًا، قد يكون هذا تحسّن

أيضًا، لكن بعد خلق فرصًا لإيجادِ موديلات لي... إلخ، لستُ من البؤس إلى درجة الاحتفاظ بهذا كسرَّ. على النقيض، إن جاء رسَّام أيًا كان، إلى هذه الناحية، فسيسرّني أن أدعوه لبيتي وأن أريه الطريق. تحديدًا لأنه ليس من السّهل دائما إيجادُ موديلات يقبلون اتخاذ وضع للرسم، وحصولي على موطئ لقدم في مكانٍ ما ليس مما يتجاهله الجميع.

ولهذا أقول لك إن أردتَ التصوير هنا، فلا تستشعر الحرجَ بسبب وجود خلاف في الرأي بيننا. ثم، وعلى الرغم من أنني أعيش وحيدًا في استوديو الآن، يمكنكَ أن تعيش معي أيضًا.

قد تقول، بغطرسة، إن هذا لا يعني أيّ شيءٍ بالنسبةِ لك. حسنًا. لقد اعتدتُ الإهانات حتى إنها أصبحت حقيقةً كماء لا يبلل ثيابي، إنّ شخصًا مثلك يجد أنه من الصعب فهم تأثير رسالةٍ باردةٍ مثل رسالتك عليَّ. وأنا غير مكترث لهذا، وليس لدي استياء أكثر من جماد. لكن لدي وضوحًا وسكينةً كافيين لأجيبك مثلما أفعل الآن. إن أردتَ قطع علاقتِكَ بي، حسنًا. إن أردتَ أن تأتي وترسم هنا، فليس عليك أن تتأثر بهذه المشاكسات القليلة بيننا في الخطابات.

ما صنعتَهُ أنت آخرِ مرةٍ كنتَ فيها هنا، تعاطفتُ ولا أزال أتعاطفُ معه كليًا، ويا صديقي العزيز رابّارد، إنني أكتب إليكَ، لأنك اشتغلت جيدًا بشكل رهيب في المرة الماضية، وأفكّرُ لأنك ربما قد تريد أن يظلّ كلّ شيءٍ هنا كما هو على حاله.

عليكَ أن تحسمَ أمرَك، أقولها بصراحةٍ، من وجهةِ نظرٍ واحدة، وعلى الرغم من كل تقديري لتصويرك، فإن لديّ بضعة مخاوف عمّا إذا كنت ستستطيع الحفاظ على الجودة الماضية، أحيانا أخاف أنه، وبسبب التأثيرات التي تتعرّض لها، بسبب موقعك ومرتبتك الاجتماعيين، فقد لا تظل بالجودة نفسها على المدى الطويل كما أنت في هذه اللحظة، فقط كفنان تصويرٍ، فيما يخص تصويرك، لا أهتم بالبقية.

لذا أقول لك، من فنان تصوير إلى فنان تصوير، إنك إن أردتَ أن تهتم بالتصوير هنا، فسيظل الأمر كما كان حاله من قبل. يمكنك الحضور هنا، فعلى

الرغم من عيشي وحيدا، يمكنك أن تبقى معي كما حدث قبلا. كما ترى، أظنُ أنك قد استفدتَ وقد تستفيد لا زلت، وأردتُ فقط أن أخبركَ بهذا. لو أمكنك الاستمرار في مكانٍ آخر، حسنًا إذن، فلن يكون لدي سببٌ للحزن، وحينها، وداعًا.

لم تخبرني شيئا عن عملكَ، لذا لم أقل شيئا عن عملي.

صدّقني، لا تجادلني عن ميه، فمييه هو شخصٌ لا أجادلُ حوله، وإن كنتُ لا أرفض الحديث عنه.

تحياتي.

فنسنت.

٥١٥ | نيونن، نحو الثلاثاء، ١٤ يوليو ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أتمنى لو كانت اللوحات الأربع التي كتبت لك عنها قد ذهبت. قد أشتغل عليها ثانية لو احتفظتُ بها هنا طويلا، وأظن أنه من الأفضل لكَ أن تأخذها بمجرد خروجها من الحقول.

سببُ عدمِ إرسالي إياها هو أنني لا أريد أن أضعها على عربةٍ غير مدفوعةٍ في لحظةٍ تقول فيها إنك قد تكون معوزًا، ولا أستطيع الدفعَ للعربةِ بنفسي.

لم أرَ قط ذلك البيت الصغير الذي عاش فيه مييه، لكنني أظن تلكَ الأعشاش البشرية الأربعة من النوع نفسه.

أحدها هو منزِلُ جنتلمان معروفٍ هنا وسط الناس بـ "فلاح راوفِلد"، الآخرُ تشغله روحٌ معتبرة، وحين ذهبتُ هناك، لم تكن مشغولةً بشيءٍ أكثر من تقليب رقعة البطاطس، لكن يبدو أنها ضالعة في السِّحرَ أيضًا، فهي معروفةٌ هنا بـ "وجه الساحرة".

أتذْكُرُ المكتوب في كتاب جيجو؟ كيف أنه حدث ورُفضَتْ سبع عشرة لوحةً لديلاكروا في وقتٍ واحد. يريك هذا -على الأقل هذا ما يبدو لي- أنه وآخرين من تلك الحقبة، واجهوا خبراء وغيرهم، لم يفهم أي منهم أو يرد الشراء، يريك هذا أن أولئك الموصوفين في الكتاب بـ "الشجعان" لم يتحدثوا عن خوض معركةٍ خاسرة، لكنّهم استمروا بالتصوير.

شيءٌ آخرُ أودّ قوله لكَ، إنه سيكون علينا الرسم أكثر بكثير لو أخذنا هذا الحديث عن ديلاكروا كخط بداية. لا بدّ أنني أكثر الناس بشاعةً، بسببِ اضطراري لطلب المال. وبما أنني لا أظن الأمور ستتحسن بخصوص البيع في الأيام القليلة القادمة، فهذا سيئٌ بما يكفي. لكنني أسألُكَ: في النهاية، بدلاً من الجلوس للتفلسفِ في أوقاتٍ كهذه، أليس من الأفضل أن نواصل الكدّ في العمل على الرغم من الصعوبات المرتبطة؟

لا أعرفُ المستقبل يا تيو، لكن، أعرفُ القانون الأبدي بأنّ كلّ شيءٍ يتغيّر، تذكّر الحال منذ عشر سنين وسترى أن الأشياء كانت مختلفة: الظروف، ومزاج الناس، كل شيءٍ باختصار. وبعد عشر سنين أخرى، أمور عديدةٌ مقدرٌ لها التغيير. لكنّ إن صنعت شيئا فهو باق، والمرء لا يندم بسهولةٍ على فعلِ شيء. كلمّا كنتَ نشطًا كان ذلكَ أفضل، وأنا أفضّلُ الفشلَ على الجلوسِ عاطلا.

سواءٌ كان بورتييه هو الرجل الذي سيصنع شيئا من عملي أو لم يكن، فإننا نحتاجه الآن في كلّ حال. وهذا هو ما أظنّه، بعد عَمَلِ عامٍ، مثلا، سنكون حصلنا معًا على أكثر مما لدينا الآن، وأنا موقنٌ أن عملي سيتحسن في أثناء إكمالي للوحةٍ بعد الأخرى. من يحملون مشاعرَ لعملي الآن، الذين -مثله- يتحدثون عن عرضه في وقتٍ ما، سيكونون مفيدين فيما بعد، لأنه بعد عمل عامٍ آخر، مثلا، سيكون لديهم معًا

أشياء ستتحدّث عن نفسها، حتى إن لم يقولوا هم شيئًا البتّة. لو حدث ورأيت بورتنييه، فلك أن تقول له، إنني بعيدٌ كل البعدِ عن الاستسلام بل إنني أخطط لإرسال المزيد إليه. عليكَ أيضا الاستمرار بالعرضِ حين تلتقي الناس. لن يمرّ وقتٌ طويلٌ حتى يصبح ما يمكننا عرضه أكثر أهميّة. يمكنك رؤية ذلك بنفسك، وهي ظاهرةٌ تمنحني بهجةً كبيرةً بشكلٍ مدهش، أن الناس آخذون في عمَلِ معارضَ لشخصٍ واحدٍ أو لعددٍ قليلٍ ينتمي للنوع نفسه. هذه ظاهرة في صنعة الفن أجرؤ على التفكير أن لها مستقبلا أكثرَ من المشاريع الأخرى. من الجيد أن يبدأ الناس بفهم أن لوحةً لبوجيرو لا يمكنها أن تنجح بجوار لوحةٍ لجاك، ولا شخصًا لبيلي أو ليرميتّ بجوار شيلفهوت أو كيكَيك.

انثُر لوحات رافائيلّي حولك، واحكم بنفسك إن كان ممكنا تشكيلُ فكرةٍ جيدةٍ عن ذلك الفنان الفريد. رافائيلّي ليس كريجامي، لكنني أجده شخصيةً مستقلةً مثله. لو ظلّ عملي معي، أظنني سأستمر بالعمل عليه. بإرساله إليك وإلى بورتنييه بمجرد خروجه من الريف أو الأكواخ، فإن الشيء الغريب الذي ليس على ما يرام سيعبرُ في بعض الأحيان، لكنّ الأشياء التي لن تتحسّن بالعمل المتواتر عليها سأتحفظ عليها.

إن كانت لديك تلك اللوحات الأربع وبضع من دراسات الأكواخ الأصفر، ورآها أحدهم ولم يرَ أي عملٍ آخر لي، فسيظنّ أنني لم أفعل سوى تصوير الأكواخ. وكذلك الأمرُ مع سلسلة الرؤوس تلك. لكن حياة الفلاحين تشتمل على أشياء من الاختلاف والتباعد لدرجة أنه حين يتحدّث مييه عن "العملُ كتلّةٍ من الزنوج" فلا بد أن يتم العمل بهذا الشكل لو أراد المرء أن ينجزَ كلّا كاملا. قد يضحكُ المرءُ من مقولة كوربيه: "نرسمُ ملائكة! ومن رأى الملائكة قبل ذلك!". لكنني أودّ أن أضيف فقط، على سبيل المثال: "عدلٌ في الحريم، من رأى عدلًا في الحريم؟ (لوحةُ بنجامين كونستانت). "مصارعة ثيران، ومن رأى تلك؟" وأشياء موريسكية إسبانية أخرى عديدة، كاردينالات، وكل هذه اللوحات التاريخية، والتي تظلّ دوما هناك، بعلو أمتارٍ وعرضِ أمتار! ما الهدف من كل هذا، وماذا يريد الناس منها؟ بعد بضع سنين تصبح كلها باتئةً وبليدة، ومضجرة أكثر فأكثر.

لكن يظلّ أنها ربّما مصوّرةٌ جيدًا، ربما. في هذه الأيام، حينما يقف الخبراء أمام لوحة مثل تلك اللوحات التي صوّرها بنجامين كونستانت، أو مثل لوحة تصوّر وليمةً في بيت كاردينال إسبانيّ أو خلافه، من التقليدي أن يقولوا، بهيئة العارف، شيئا عن "التقنية الماهرة". لكن بمجرد أن يجد أولئك الخبراء أنفسهم أمام مشهدٍ من حياة الفلاحين أو رسمةٍ لرفّائيلّي مثلا، سينتقدون التقنية بهيئة العارف نفسها، على طريقة العم كور.

قد تظنني مخطئا لإبداء هذا الرأي، لكن، إن فكرةً تسيطرُ عليّ مفادُها أن كلّ هذه اللوحات المثيرة مرسومةٌ في الاستوديو. لكن اذهب فقط واجلس في الهواء الطلق، التصوير في الموقع! فستحدث كل أنواع الأشياء التالية، لا بدّ أنني نزعتُ مائة ذبابة أو يزيد عن اللوحات الأربع التي ستصلك، ناهيك بالغبار والرمال... إلخ، بخلاف أنه، عندما يحملها المرء عبر الحقول وسياجات الشجر لساعاتٍ، فإن فرعَ شجرةٍ غريبًا أو فرعين يحتكّ بها... إلخ. ولا داعي لذكرِ أن المرء حين يصلُ إلى الحقل بعد بضع ساعاتٍ من المشي في هذا الطقس، يكون مرهقًا ومتعرقًا. حتى الشخوص لا تقف ثابتةً مثل الموديلات المحترفين، والتأثيرات التي يريد المرء التقاطها تتحوّل بمضيّ النهار.

لا أعرفُ كيف الأمر معكَ، لكن بالنسبة لي، فكلما عمِلتُ عليها، استغرقتني حياة الفلاحين تلك. وكلما قل اهتمامي بالأشياء الأكاديمية من طراز كابانيل، التي أعدُّ من ضمنها جاكيه، وعمل بنجامين كونستانت الحالي، وحتى التقنية الإسبانية والإيطالية الممتدحةِ ولكن الجافةِ بشكل غامض وميئوسٍ منه. "صانعو صوَر!" أفكر فيما قاله جاك كثيرا. لكنني لا أميل لجانب على حساب الآخر، فأنا أحب رفائيلّي الذي علاوة على كلّ شيءٍ، يرسمُ شيئًا مختلفًا للغاية عن الفلاحين، أحب ألفرد ستيفنز، وتيسّو، لذكرِ شيءٍ مختلفٍ كليّةً عن الفلاحين، أحب البورتريه الجيد. زولا الذي من جهة أخرى، برأيي، يقع في أخطاء ضخمةٍ في أحكامه على اللوحات، يقول شيئا بديعا عن الفن عموما في "حقدي". "في اللوحة (العمل الفنّي) أبحث عن، وأحب الإنسان، الفنّان."

أرأيت؟ أعتقد أن ذلك حقيقيٌّ تماما، وأسألُك: أي صِنفٍ من البشر، أي صنفٍ من الرائين/المراقبين أو المفكرين، أي نوع من البشر يقف خلف قماشات اللوحات تلك التي يمتدحونها لتقنيتها. في الغالب، وبعدَ كل شيء، لا أحد. لكنّ رفائيلّي، هو واحد بعينه، ليرميتّ واحد بعينه، وثمّة لوحات عديدة لأناسٍ مغمورين تقريبًا يشعر المرء فيها بأنها صُنِعَت بإرادة وبعاطفة وشغف وبحب. تقنيّةُ لوحةٍ من حياة الفلاحين أو -مثل رفائيلّي- من قلب عمّال الحضَر، تستتبع صعوباتٍ مختلفةً تمامًا عن تلك التي للتصوير المخملي وعملية النقل التي يقوم بها جاكيه أو بنجامين-كونتسانت.

هذا لنقول: أن تعيش في تلك الأكواخ يومًا وراء يوم، والخروج للحقول مثل الفلاحين، وتحمل حرارة الشمس في الصيف، والجليد والصقيع في الشتاء، ليس بالداخل ولكن بالخارج، وليس لتمشية بل لأيام كاملة مثل الفلاحين.

إنني أسألك، حين تعتبر الأمر، أأكونُ مخطئا للغاية في انتقادي نقدَ الخبراء، المنشغلين بالذود عن أنفسهم أكثر من أي وقتٍ مضى بالكلمةِ التي لا تعني شيئًا في الأغلب، التقنية (لا يزالون يعطون الكلمةَ معنًى تقليديًا)؟

عندما يتأمل المرء كل المشي المنهِك والجرّ والسحب الذي يضطرّ المرء إليه ليرسم "فلاح راوفِلد" وكوخه، أجرؤ على القسم بأن تلك رحلةٌ أطول وأكثر إرهاقًا مما يصنعه العديد من مصوّري المواضيع المثيرة لمواضيعهم الغريبة المُختارة بعناية، سواءٌ كانت العدل في الحريم أم وليمةٌ عند الكاردينال. ففي باريس يمكن للمرء الحصول على نماذج عربيةٍ، أو إسبانيةٍ، أو موريسكيّةٍ ببساطة عن طريق الطلب والدفع. لكنه صعب على واحدٍ مثل رفائيلّي، يرسم جامعي قمامة باريس في حيّهم الصغير، وإن كان عمله أكثر جديّة.

وظاهريًا، فلا شيء أبسط من تصوير الفلاحين أو جامعي القمامة والعمّال الآخرين، لكن لا مواضيع أصعب في التصوير من مواضيع الحياة اليومية!

لا توجدُ، على حدّ علمي، أكاديمية واحدة يتعلّم فيها المرء رسمَ حفّارٍ، أو بذّارٍ، أو امرأةٍ تعلّقُ قِدرًا على النار، أو خيّاطة. لكن في أي مدينةٍ ذات أيّ أهميةٍ ثمة

أكاديمية بخياراتٍ متعددة من موديلات لشخوصٍ تاريخيّةٍ، عربيّةٍ، أو لويس الخامس عشر، وبكلمة واحدة، كل الشخوص شريطة أن تكون غير موجودة في الواقع.

إن أرسلتُ إليكَ وإلى سيرّيه بضعَ دراساتٍ لحفّارين أو لفلاحاتٍ ينزعن الأعشاب الضارّة، أو يجمعن الذُرة... إلخ. كبدايةِ سلسلةٍ كاملةٍ عن أنواع الأعمال في الحقول كافّة، فحينها قد يحدث أن يكتشف سيرّيه أو تكتشف أنت أخطاءً فيها وسيكون هذا مفيدًا لي، وسأعترف بها بالطبع.

لكنني أود أن أشير إلى أمر ربما لا يستحق الإشارة. كل الشخوص الأكاديمية مبنيّة بالطريقة ذاتها، ودعنا نعترف، لا يمكن للمرء أن يأتي بأفضل منها. معصومة، بلا أخطاء، وأنت تعرف مسبقًا ما أرمي إليه، هي أيضا لا تعطينا أي شيءٍ جديد للاكتشاف.

بخلاف شخوص ميه، وليرميتّ، وريجاميه، ودوميه. ،هي أيضا مبنيةٌ جيدًا، لكن ليس بالطريقة التي تُدرِّسها الأكاديمية على أي حال. أظن أنه مهما كان الشخصُ صحيحًا أكاديميا، فهو بلا فائدةٍ في يومنا وعصرنا هذا، حتى لو صوّره إنجر نفسه (خلا لوحته "النبع" بالطبع، لأن تلك كانت وستظل شيئا جديدًا بالقطع) وسيكون بلا فائدة البتة إن افتقر إلى الحداثةِ الأساسية، والشخصية الحميمة، فعلِ الشيء الحقيقي.

ربما تسألني ومتى يصبحُ الشخصُ لازمًا إذن من وجهة نظري، حتى لو كانت هناك أخطاءٌ وأخطاءٌ فادحةٌ بالضرورةِ فيه. حين يحفر الحفّار، حين يكون الفلاح فلاحا، والفلاحةُ فلاحةً. أهذا شيءٌ جديد؟ نعم. حتى الشخوص الصغيرة التي صوّرها أوستاد، وتِر بورخ هي لا تعمل بالطريقة التي يعملون بها في أيامنا.

أودّ لو أقول الكثيرَ عن هذا وأودّ أن أقول كم أريدُ أن أتمّ ما بدأته بأحسن صورة، وكم أُعلي عملَ بعض الآخرين على عملي قيمةً. أسألُكَ، هل سمعتَ بحفّارٍ واحدٍ، بذّارٍ واحدٍ في المدرسة الهولندية القديمة؟؟؟ هل حاولوا قطّ صنعَ "عاملٍ"؟ هل حاول فيلاسكيز هذا في "السقّاء"؟ أو في لوحاته عن الشعب؟ لا.

العمل، هذا ما لا تفعله الشخوص في اللوحات القديمة. هذه الأيام أكدح في امرأةٍ رأيتها الشتاء الماضي، ترفع جَزَرًا في الجليد. ها هو، مييه فعلها، وليرميتَ، وعموما الرسامون الفلاحون في هذا القرن، وإسرائيل، يجدون هذا أجمل من أي شيءٍ آخر. لكن حتى في هذا القرن، كم هم قليلون نسبيًا وسطَ فيلق الرسّامين الذين يريدون الشخص، نعم، فوق كل شيء، من أجل الشخص (أي من أجل الشكل والنمذجة) لكن لا يستطيعون ابتكار شيءٍ منه خلا الشُغل، ولديهم أيضًا الحاجة، التي اجتنبها الأساتذة القدامى، كما فعل الأساتذة الهولنديون القدامى الذين صوّروا العديد من الأفعال التقليدية -أقول- ولديهم الحاجة لتصوير الفعل من أجل الفعل.

فيصبح التصوير أو الرسمُ رسمَ شخصٍ من أجل الشخص والشكل المتناغم بما يفوق الوصف للجسد الإنساني، لكنّه في الوقت ذاته، هو رفْعُ جزراتٍ في الجليد. هل وصلكَ ما أرمي إليه؟ أرجو ذلك، وقل هذا فقط لسيرّيه، يمكنني قولها في كلماتٍ أقل، شخصٌ عارٍ رسمه كابانيل، سيدةٌ رسمها جاكيه وفلاحةٌ لم يرسمها بساتيان-لوباج بنفسه، بل فلاحةٌ رسمها باريسيّ تعلّم الرسم في الأكاديمية، ستظهرُ دائما الأطراف وهيكل الجسد بالطريقة ذاتها، بشكلٍ ساحرٍ أحيانا، صحيح، في النسب والتشريح. لكن حين يرسم إسرائيل أو حين يرسم دومييه أو قُل ليرميتَ، شخصًا، سيشعرُ المرءُ بشكلِ الجسد أكثر بكثيرٍ ولكن -لهذا السبب تحديدا أريد تضمين دومييه- ستكاد النِّسَبُ أن تكون عشوائيّةً في بعضِ الأحيان، ويكون التشريح والبنية مخطئين تماما في الغالب "في أعين الأكاديميين"، لكنّه سيحيا. وفضلا عن كل هؤلاء، ديلاكروا، أيضًا.

لم أعبّر عن هذا جيدًا بعدُ. قل لسيرّيه إنني كنت سأيأسُ لو كانت شخوصي جيدة، أخبره أنني لا أريدها صحيحةً أكاديميًا. قل له إنني أقصدُ أنه لو صوّرَ امرؤٌ الحفّار فوتوغرافيًا، فهو يقينا، الحفّار، لن يبدو في الصورة وهو يحفر. أخبره أنني أظنّ شخوصَ مايكل أنجلو بديعةً، حتى إن كانت السيقان طويلةً جدًا حتمًا، والأفخاذُ والأكفالُ عريضةً بشكل زائد. قل له إن مييه وليرميتَ في رأيي هم الرسامون الحقيقيون تبعًا. لأنهما لا يرسمان الأشياء كما هي، مرئيةً بجفافٍ وتحليلية، بل كما يشعرون هُم بها، مييه، وليرميتَ وأيضًا مايكل أنجلو. أخبره أن رغبتي عظيمةٌ في تعلّم

صناعة أخطاءٍ مثل هذه، تنويعاتٍ مثل هذه، إعادات اشتغالٍ، تبديلات للحقيقةِ، حتى تصير، حسنًا، كذباتٍ لو أردتَ، لكن، أصدقَ من الحقيقةِ الحرفيّة.

والآن يجبُ أن أختتم، لكنني محتاجٌ مع ذلك لأن أتكلم فقط عن واقع أن أولئك الذين يصورّون حياة الفلاحين أو العامّة، وعلى الرغم من أنهم لا يُعَدّون من رجال العالم، سيظلّون، مع ذلك، صامدين ربما على المدى الطويل أكثر من صانعي حريمٍ وولائم كاردينالاتٍ قد تكون غرائبية ولكنها مرسومةٌ في باريس.

أعرف أن السؤال عن المال في الأوقات غير المناسبة يجعلني بغيضًا، لكن عذري هو أن تصوير الأشياء اليومية يكون الأصعب والأبهظ ثمنا. المصاريف التي يجب أنفقها من أجل العمل قد تكون في بعض الأحيان ثقيلةً جدّا بالنسبة لمواردي. لكنني أطمئنُك بأن هيئتي إن لم تكن قد تحولت فعليا لهيئة فلاح بسبب الريح والطقس، فلم أكن لأبرزها، لكن ببساطة لم يبق لي شيئا من لوازم الرفاهية الشخصية. وأنا لا أرغب في هذا لنفسي، أكثر مما يرغب العديد من الفلاحين في العيش بطريقة مختلفة عن عيشهم. لكن ما أطلبه من المال مخصصٌ للألوان وفضلا عن ذلك، للموديلات. ربما ستدرك مما أقوله عن رسم الشخوص أنني شغوفٌ بحقّ بالاستمرار فيه.

لقد كتبتَ لي مؤخرًا أن سيريّه حادثكَ منتقدًا أخطاء بعينها في بنية الشخوص في آكلي البطاطس. لكنك ستعرف من إجابتي أن نقدي أيضًا يدينها، اعتبارًا من وجهةِ النظر تلك. إلا أنني كنت قد أشرتُ أن هذا كان انطباعًا لديّ بعد رؤيتي للكوخ في ضوء المصباح الشحيح في أمسياتٍ عديدة، وبعد أن رسمتُ أربعين رأسًا، ومن هنا يتبادر أنني كنت قد بدأتُ من منظورٍ مختلفٍ. الآن وقد بدأنا بالحديث عن الشخوص، فإن لدي الكثير لأقوله. أجدُ في كلام رفائيلّي، وفي إدراكه عن "الشخصية"، وما يقوله عن هذا كلامًا جيدًا، وفي محلّه المناسب، ومشروحًا بالرسومات نفسها.

الأشخاص الذين يتحركون في دوائرَ فنيّةٍ وأدبية، مثلما يفعل رفائيلّي مثلا في باريس، يفكرون بشكل مختلفٍ عن الطريقة التي أفكر بها في الريف بين الفلاحين. أقصد أنهم يبحثون عن كلمةٍ واحدةٍ تُجمِلُ كل أفكارهم، يقترحُ هو كلمة "الطابع"

لشخوص المستقبل. وأنا أوافق عليها، أوافقُ على المقصِد، أظن ذلك، لكن إيماني في دقة الكلمة قليلٌ كإيماني بدقّة كلماتٍ أخرى، قليل كإيماني في دقةِ وسدادِ تعبيراتي أنا شخصيًا.

وبدلا من قولِ إن ثمة "طابع" يجبُ أن يكون في الحفّار، فإنني أصفها بقول إن هذا الفلاح يجبُ أن يكون فلاحًا، هذا الحفّار يجبُ أن يحفر، ثم إن في ذلك شيئًا حداثيًا بشكلٍ جوهري. لكنني أشعر أن بإمكان الناس الخلوص لأفكارٍ نهائيَةٍ لا أقصدها بتلك الكلمات، حتّى لو أضفتُ هنا قائمةً كاملة منها.

بدلا من تخفيضِ تكاليف الموديلات، التي تشكّلُ عبئًا كبيرًا عليّ، أظن أن ما أبتغيه، هو زيادتها قليلًا. لأنني مشغول بشيءٍ مختلفٍ تمامًا عن القدرة على رسم "شخصٍ صغير"بالقلم.

إن عرض شخصِ الفلاح في العمل -كما ترى فهذا هو الشخص- أكرر، حداثيٌ جوهريًا، قلبُ الفن الحديث ذاته، ما لم يفعله الإغريق، ولا النهضة، ولا المدرسة الهولندية القديمة.

بالنسبة لي فإن هذا أمرٌ أفكّر به يوميًا. على أي حال، هذا الاختلاف بين كلٍ من الأساتذة العظام والأساتذة الأقل شأنًا في الحاضر (العظام، على سبيل المثال: ميه، وليرميتّ، وبريتون، وهِركومر، والأقل شأنًا على سبيل المثال كرفائيلّي وريجامي) وبين المدارس القديمة، ليس مما أجده مُعربًا عنه بشكلٍ مباشرٍ وحقيقيّ في مقالات الفن.

فكّر فقط، ألا تجدُ ذلك محقًا؟ شخصُ الفلاح والعامل ابتدأ كمجرد نوع فني أكثر منه أي شيءٍ آخر، لكنه في أيامنا هذه، وخاصةً مع مييه في الطليعة كمعلم أبديّ، فإنه قلبُ الفن الحديث وسيظلّ كذلك.

إن على المرء احترام أناس مثل دومييه، لأنهم ضمنَ الروّاد. والشخوص العارية ولكن الحديثة تعدّ ذات مرتبةٍ عالية، كما أحياها هنّر ولوفيفر، وبودري وفضلا عن

النحاتين من أمثال ميرسييه، ودالو، وهم أيضًا من ضمن الأكثر رجحانًا. لكنّ الفلاحين والعمّال ببساطةٍ ليسوا عُراةً، لذا ليس على المرء أن يفكّر بالعريّ. وكلما ازدادت صناعة الناس لشخوص العمال والفلاحين فسأحب ذلك أكثر. وأنا عن نفسي لا أعرف شيئًا يسعدني أكثر منها. هذا خطابٌ طويل ولا أعرفُ بعدُ إن كنتُ قد قلتُ ما قصدته بوضوحٍ كافٍ. قد أكتبُ لسيريّه. لو فعلتُ، فسأرسلُ إليك الخطاب لتقرأه، لأنني أود أن أوضح كم أنا مرتبطٌ بمسألة الشخوص هذه.

٥١٩ | نيونن، نحو الخميس ١٦ يوليو ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

زارني اليوم وينكيباخ، رسّامٌ من أُترِخت يرى رابّارد يوميًّا. يرسم المناظر الطبيعية وقد سمعتُ اسمه من قبل يُذكَر عدّة مرّات. وقد حصلَ على ميداليةٍ من لندن في الوقت نفسه الذي حصل فيه رابّارد على واحدة. قد رأى عملي، تلك الأكواخ التي سأرسلها إليك، ورسمَ الشخوصِ أيضًا.

حدّثته آسفًا عن المشكلة بيني وبين رابّارد والتي لا يمكنني شرحها بشكل آخر غير أنه كان يهذر بخصوص عملي مع آخرين من لاهاي، وبما أنه، وعلاوة على ذلك، لم يكن قد رأى أيًا من أعمالي منذ وقتٍ طويل، لم يستطع إلا أن يملأ رأسه بتفاهاتٍ هناك.

أريتُ وينكيباخ شخوصًا كان رابّارد يظنّها جيّدةً فيما مضى، وأريته تلك التي أعمل عليها الآن في الوقت نفسه، وأشرتُ إليه كيف أنني تغيّرتُ في عدّة أشياءٍ وسأتغيّر أكثر، وأن ما أبحث عنه الآن ليسَ شيئًا أدنى بالتأكيد.

ثم قال إنه لا يشك في أن رابّارد سيعود عمّا قاله لي في خطابه.

أريته أيضا كيف أنني، فيما يخص اللون، لستُ مائلا إلى التصوير الداكن دائما. فهناك بضعة أكواخ زاهيةٍ جدًا. لكنني مهتمّ بأخذ الألوان الأساسية، الأحمر، والأزرق، والأصفر كنقاط انطلاق، نقاطِ مغادرة، وليس الرماديّ.

ثم تحدّثنا مطوّلا عن اللون، وقال ضمن ما قاله إنه لاحظ استخدام جاب ماري في لوحاته المائية القديمة ألوانًا محمرّة، البنيّ-الرماديّ، والدرجات الحمراء، بل استخدمها كثيرًا بالأحرى، لدرجة أن المرء لو وضعها جوار رسوماته الحاليّة فستبدو حمراءَ تمامًا. والشّيء نفسه قاله عن إسرائيل أيضًا.

قد أسبّب الضّرر أكثر من النفع بإخبارك هذا لأنه جزء من حوارٍ، وعليّ أن أنقل الحوار كله. لكننا تحدثنا عن ذلك سابقًا، وقد تفهمه جيّدًا في سياقه بأي حال. لتحصلَ على تلوينٍ أمينٍ، وصحيح، وكيما نثبّته، من المنصوح به -خاصةً في هذا اليوم والعصر، حيث يريد محاكو أصحابنا الرماديين العِظام (وليس الأساتذة بأنفسهم) بشكل متعاظم، دائما وفي كل مكان، أن يلوّنوا كل شيءٍ بألوانٍ فاتحة- التمرّن في الأطياف الأقوى والتوفير في استخدامها، بما أن التلوينيين الحقيقيين يكونون متحكمين في اللون دائما.

وهكذا قال وينكيباخ مثلا، إنه أُعجِبَ بالبرج القديم، الذي لوّنته العام الماضي بالكثير من القار، وظننت أنه يتجاوز اللون. قال إنه يجدُ الأمر كله أصيلًا. وأشياء قديمة أخرى أيضًا، السّاقية تلك، والمحراث، ودربُ أشجار الخريف.

لكنّ ما سرّني أكثر هو أنه يرى الشخوص جيّدةً، وقال إن بها شيئًا من ميه. أعرفُ يقينا مع ذلك، أنني سأحسنها لو واتاني الحظ مع النفقات واستمررتُ في العمل بجدٍّ عليها. إنني قلقٌ كثيرًا حيال ذلك، وبالنسبة للشهر الحالي، فأنا مفلسٌ تماما، لم يبقَ معي جيلدر واحد.

سنمر بوقتٍ عصيب، لكن لا تلُمْني كثيرًا، فبالمثابرة ستتوفر فرصةٌ جيدةٌ لحصدِ ما بذرناه.

إنني قلقٌ بما يكفي حيال مشاكلك المادّية، أتمنى لو كان بمقدوري أن أخففها عنكَ قليلاً.

عندما تأتي إلى هولندا، ألا تفكّر أن تقصدَ ترستيج ثانية؟ ترستيج شخصٌ مقدام، ما دام مقتنعًا. إنه بخير. وموف أيضًا.

إن كان الزملاء المثابرون في دراسة الشخوص عديدين، لكنت قلتُ إن فرصتنا في إيجاد المساعدةِ ضئيلة. لكنهم ليسوا عديدين، وهم ضروريون اليوم أيضًا كما كانوا في الماضي.

من الصعب عليكَ أن تمضي في ذلك وحدَكَ، ولا يمكنني فعل أي شيءٍ لتخفيض النفقات، على النقيض من ذلك، أتمنى لو بإمكاني استخدام عددٍ أكبرَ من الموديلات. ما العمل؟ لا يجب أن يقول المرء إنه يخوض معركة خاسرة، لأنّ آخرين ربحوها، وسنربحها أيضًا.

أما عن رابّارد، فقد كتبت له لأخبره أنني أريده أن يسحب خطابه بشكلٍ نهائي. أترى يا تيو، كيف يضطر المرء للتمسّك بموقفه في عمله!

كتبتُ لرابّارد أن لدينا بحقّ أعداءً سوى بعضنا البعض، وأنه في هذه اللحظة فإن على من يرسمون العمال والفلاحين الوقوفَ صفًا واحدًا، لأن الاتحاد قوة. لا يمكن للمرء أن يفعل هذا وحيدًا، بأي شكل، وقوّةٌ كاملةٌ من المتفقين يمكنها فعل المزيد. أرجو أن تظلّ معنوياتك عاليةً، أيضًا، فربّما سنحصل على أصدقاء أكثر، ثم سينفرج همّنا، وتصبح الشّحناء التي بيننا معركةَ فلاّحين ضدّ نمط الرسامين الذين يمكن للمرء الإشارةِ إليهم في كل لجان التحكيم اليوم، الذين وحتى الآن يحاولون ما بوسعهم لخنق الأفكار التي كان مييه رائدًا لها.

تحياتي، وأرسل إلي شيئًا إن أمكنك ذلك، حتى لو كانت عشرة فرنكات، لتعينني.

المخلصُ لكَ أبدًا،

فنسنت

٥٢١ | آيندهوفن، الاثنين، ٢٧ يوليو ١٨٨٥
إلى انطون فان رابارد (D)

آيندهوفن، ٢٧ يوليو

صديقي العزيز رابّارد،

إن كان لا بد من نهايةٍ لهذه الشكوى المستمرة، ففي المقام الأول لأنها ستصبح أشبه بخلافٍ بين قسّين تقيّين يتجادلان على اختلافٍ في الرأي فيما يخص الموقع الجغرافيّ للطريق إلى الخلاص بحميّةٍ عاليّةٍ، حتى إنّهما وفي تزامن وبالحركة نفسها يلقيان شعريهما المستعارين في وجه بعضهما. يجب أن تكون تلك الشعور المستعارةُ جزءًا من المسألة، وكيفَ يمكننا الاستمرار الآن مع كلّ النوايا الحسنة، فنحن في النقطة الحرجةِ، ولا أنا ولا أنت نملكُ المقذوف اللازم موضعَ السؤال؟ لقد أُسقِطَ في يدي بخصوص هذا، وأشعر بأسفٍ شديد لأننا بدأنا شيئا لا يبدو أننا يمكننا تتويجه بالنهايةِ المذكورةِ أعلاه، المنوطةِ تماما بهذا السبب.

أظن أن للخلاف جانبه العبثي، وستزيد هذه العبثية أكثر فأكثر، وحقيقةً، هذا هو السبب الذي يجعلني لا أودّ المضي فيه أبعد من ذلك. إنه عبثي جدًا.

كُن عاقلًا وضع نهايةً له من طرفكَ أيضًا.

لا يصدرُ كلّ ما يحدثُ للمرءِ بالضرورةِ مباشرةً من وعيه، وكأن وعيك هو ما أملى تلكَ الخطاباتِ عليك؟ وكأنّه كان واجبُكَ أن تكتبها؟ ماذا، هذا هُراء، مثير للضحك.

مع ذلك، وبما أنك ظننته من واجبكَ وظننتَ ضميرك قد دفعَكَ لفعل ذلك، فمن نفسي، إنني مستعدٌ لترك الموضوع وكل تبعاته يمضي، وليكن ما يكون.

تمّ!

يبقى، أن أسألَكَ إن كنتَ ستأتي، وإن كان كذلك، فمتى بالتقريب تفكر بالمجيء إلى هنا لعمل عدّة دراسات.

حينها سأعمل على جملك تمكث عند أمّي كما هو معتاد.

المخلص،

فنسنت.

٥٢٧ | نيونن، نحو الاثنين، ١٧ أغسطس ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

وصلني ردٌّ من رجلِ الألوان ذاك، يقول لي إن بإمكاني إرسال تلك اللوحات. لكنه يريدني أن أرسلها بأقرب ما يمكن لأن ثمة العديد من الغرباء في لاهاي في الوقت الحالي.

لديه كل الحق في هذا. ما أطلبه منك هو أن تحاول إرسال ما يكفي نفقات الصندوق والشحن. اخصم ذلك من الشهر القادم إن أردتَ، لكنني لا أملكُ شيئًا، ومن الهامّ أن أرسلَ هذه الشحنة فورًا.

زيارتُكَ تركت لديّ انطباعا أقلّ من المحمود، أظنّ أكثر من أيّ وقتٍ مضى أن صعوباتٍ جمّة ستكون في انتظاركَ في السنوات القادمة أكثر مما تتصور.

لكنني مستمرّ على إصراري بأنه من القاتِلِ نوعًا أن طاقتك قد اتخذت اتجاهًا مختلفًا كما هو واضح، اتجاهًا غير العمل على الإبقاء على رأسينا فوق الماء فيما يخص التصوير. على الرغم من أنك قد كتبتَ إليّ قائلا منذ وقتٍ قصير جدًّا عن ثقتك المتزايدة في جودة عملي.

تعتبرُني قد أسأتُ إليكَ أو كنت عدائيا تجاهك، وأنا بالأحرى لديّ الآن الكثير من الملاحظات لأبديها. ومع القلقُ الكبير من المستقبل. لا يمكنني أن أقول غير ما قلتُهُ، أليس كذلك؟

لستَ برأيي تنتمي البتّةَ إلى الرجالِ الصاعدين الآن. أسئ فهمي، لو كنت ستفعل، وعاملني كما تريد تبعًا لذلك. أنا مستعدٌّ لسحبِ ملاحظاتي إن رأيتُ أشياء مختلفةً فيك، لكنني أبديتُها في أثناء زيارتك، نعم. لكن على الرغم من أنكَ تقولُ اليوم: "سأبيع ما يعادل خمسمائة ألف الفرنك سنويًّا"، وذلك لا يترك لدي أي انطباع البتة، بما أنني مقتنعٌ للغايةِ بأن كل ذلك واهٍ، أن توفّر نصفَ هذا أو خمسه وتوفّيه في السنوات القادمة. إنّها آلاف العصافير في الهواء ولا واحد في اليد بالنّسبةِ لي.

أما الفن نفسه فهو صلبٌ بما يكفي، وليس هذا هو أصل المشكلة.

لكن، "أن أكون بيت مال هو أمرٌ سينتهي" قد قيلَت، ليس من قبلي، لكن من قبل أحد أتت كلماته محققةً بشكلٍ مرعب. وأتمنى لو كنتَ أو لو أصبحت فنّان تصوير. لقد قلتها مباشرةً، أقوى مما مضى، لأنني أومن بشدّةٍ بأن تجارة الفنّ "على مستوىً كبير" تشبه كثيرًا جنون بيع التيوليب من نواحٍ كثيرةٍ. والمواقع فيها معتمدةٌ على الحظّ والنزوة. لو أسأت الحساب، أو ارتكبت خطأً قد يكونُ تافهًا، فماذا سيتبقى من الرقم الضخم الذي تعلنه الآن؟ هذا الرقم يعتمد على نزوات شركة جوبيل وسي.

ومعرفةُ الفنّ، عاريةً وصريحة، مرتبطةٌ بشكلٍ أوثقَ مما تظنّ، بممارسةِ الفن. أما التجارةُ باللوحات فهي أمرٌ مختلفٌ تماما حين يعمل المرء مستقلا، عنها حين يعمل من أجل الموزّعين الكبار. والأمر نفسه في الأشياء الأخرى أيضا. بأي حال، اعمل بجد، لكن، حاول أن تعملَ بعقلانيّة أيضا.

أما المشاكل المضنية التي واجهتها معي ـفتوفير المالِ هو مشكلة ولا مناص من ذلكـ فقد كانت على الأقل بمبادرة شخصية، وإرادةٍ وطاقةٍ شخصيتين، لكن كيف أفكر فيها أو ماذا أقول عنها؟ شيئا فشيئا، ومع ضعف التمويل المُقرّر، ألن يحلّ شيء

آخرُ محلها؟ والآن، وفضلا عن كلّ شيء، أظنّ أنه ، قد حان الوقت لمحاولة الدفع بعملي قدمًا.

لقد كنتُ أبحثُ عن عناوين في أنتويرب أيضًا، وستصلني ردود وافيةٌ عنها قريبا. عندها سيمكنني إرسالُ أشياءٍ إلى هناك أيضًا. لكن إن أردتَ تلك الأشياء، فساعدني على إحضارها.

لقد قلتَ لي بنفسِكَ، أينما وجدتِ الإرادة يوجد الطريق، حسنًا إذن، سأعاملُكَ على أساس كلماتكَ قليلا بخصوص إن كنتَ حقًا تبحثُ لنا عن طريقةٍ للتطوّر. لو أنني طلبتُ أشياءً من قبيل الرفاهية ورفضتَ أنتَ، فليكن، لكن بما أنها أشياءً أساسيةً، بسيطةً وضروراتٌ، ونقصُها يتفاقم ويسوء، فأظنّكَ قد بالغتَ في التوفير، وفي هذا الخصوص فإن اقتصادكَ ليس مفيدًا بأي حال.

تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

أودّ أن أقول شيئا عن سيرّيه وبورتييه. أخبرهم بما هو الحال، أي أنني جهّزتُ الدراسات، لكنني اضطررتُ للدفعِ لرجلِ الألوان الذي نغّص حياتي. وكيما أضع نهايةً لهذا، كتبتُ إليه بأنني سأضع ألوانه في دراساتي، وطلبتُ منه أن يتجشّم عناء بيع شيءٍ لي بدلا من الشكوى. إنني سأكمل إلى النهاية، ويجب أن أرسل إليه أشياء.

وأما بالنسبة للرسومات التي قلتُ إنني سأريها لسيرّيه، بما أنني على عجلةٍ من أمري، فإنني أحتاجها لنفسي. لكنني ما زلتُ أظن أنه يعرف أنها كانت لدي حين أتيتَ أنت، وأنك أخبرته برؤيتها في منزلي، فأخبره برأيك فيها بدقة. لن أؤثر على رأيك. وكوني حزينًا بسبب أنك ترى ذلك أمرًا حسنًا مع ذلك. نعم، هذا صحيح. لكنني لست ضدّ اتخاذ إجراءات من هذه، وحتى إن أراد أحد رجال الألوان أولئك

تصفية ممتلكاتي، فيمكنه على الرّحب والسّعة أن يصل إلى هذا الحد. من الأكيد أن هؤلاء السادة الذين يتاجرون في الألوان لن يتورعوا عن فعل ذلك.

على أي حالٍ لقد ضجرتُ من الحديث عن هذا الأمر، وقد قلتُ ما كان عليّ قوله، وأنت، يمكنك أن تعاملَ اقتراحاتي بما تراه مناسبًا.

وإن أراد أولئك الناس مهاجمتي وتصفية ممتلكاتي، وبما أنهم سبقَ وهدّدوني بالحجز عليها وبشكلٍ واضحٍ، وعلى مسائل لا تتعدّى الثلاثين جيلدرًا، فلن أستطيع مقاومتهم وسأدَعُهُم يفعلون ما يحلو لهم، لكن هذا سيحدث وكأنه تحت سمعك وبصرك، بما أنك كنت هنا للتو. وكوني لا يمكنني التوقف عن العمل في هذه المرحلة، فإن هذا حقيقي. أحتاج الألوان... إلخ. كل يوم يجب أن أصنع تقدّمًا، وإن أردتُ الدفع لما أحتاجه اليوم، فعلى فاتورةٍ باهظةٍ من الأمس أن تنتظر.

ولعلمك، هذا هو الحال معي إلى آخر السنة، بدقةٍ وبالتفصيل، عليّ دفعُ:

المورّدون الذين يزعجونني كلهم، لأحدهم خمسة وأربعون جيلدرًا، والآخر خمسة وعشرون، والثالث ثلاثون. هذه هي حسابات الديون العالقة والتي كانت أكثر من هذا بكثير عبر السنة، لكنني دفعتُ بعضها نقدًا، بقدر استطاعتي وجهدي.

وعليه يكون العجز	١٠٠ جيلدر
أضف إلى ذلك إيجار نوفمبر	٢٥ جيلدرًا

١٢٥ جيلدرًا = ٢٥٠ فرنكًا

افترض أنك ستعطيني ١٥٠X٤ فرنكًا لسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر وديسمبر = ٦٠٠ فرنك. سيتبقى لي هكذا ٣٥٠ فرنكا إلى رأس السنة. ثم ضع في الحسبان أنني مفلسٌ تماما هذا الشهر، وأن عليّ أن أحيا هذا الشهر.

بحيث يكون علي العيش والتصوير من أغسطس إلى أول يناير -بكلماتٍ أخرى، خمسة أشهر- بثلاثمائة وخمسين فرنكا لا غير. وهو ما يمكنني فعله بمائة وخمسين شهريًا، بصعوبة، لكنه ممكن كحدٍّ أدنى.

على أي حال، فخلال أربعة شهور ومع اضطراري لخصم مائتين وخمسين فرنكا للإيجار والألوان، فسيتعطل العمل حتى إنني لن أستطيع معرفة ماذا علي فعله، وسيكون عليَّ بالأحرى أن أخبر أولئك الناس أن يبيعوا أشيائي حينها! لكن دعوني أعمل! لقد رميت بهذا الشهر بلا تردّدٍ لأهدئهم. لكن الصعوبة المترتبة سيئة حقًا.

وآخر ما أقوله حول هذا الموضوع هو إن عملي لو كان ضعيفًا ومريعًا، كنت سأوافقك إن قلتَ: "لا يمكنني فعل أي شيءٍ حيال الأمر".

حسنًا، بما أن دراساتٍ ملوّنةً كبيرةً وصغيرةً بجوار رسوماتٍ جديدةٍ استطاعت أن تجعلك تتفهم كوننا نتقدّم في الأمر، فلستُ متيقّنًا إن كان "لا يمكنني فعل أي شيءٍ حيال الأمر" ستكون كلمتك الأخيرة. كلّم سيرّيه، كلّم بورتييه عنها، وقل كم أنني أريد العمل وكم هي ضئيلة الفرصة التي لدي لإيجاد محبّين للفن، بما أن تصوير الفلاحين يعني أن يكون الريف وليس المدينة هو مكان عملي.

فنسنت

٥٢٩ | نيونن، نحو الأربعاء، ١٩ أغسطس ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أردتُ أن أضيفَ إلى خطابي في أمس الأول أنني استلمت خطابًا من رابارد أمس، وأن عراكنا قد انتهى وتصالحنا تمامًا، وأنه أرسل إلي كروكيًا للوحة كبيرة لبناءٍ قرميديّ يعمل عليها. هذه تبدو أصليّةً للغاية، لو أراد المرء إيجاد لوحاتٍ أخرى

بالروح نفسها، فسيكون مينييه، مثلا، الذي رأيتَ لوحته التي تصور عمال المناجم في أنتويرب. لقد أجّرَ بيتًا صغيرًا خارجَ أُترِخت، استوديو وحسب (ورتُب له إضاءةُ علويّة) جوار أعمال القرميد، وبما أنه سيعود إلى ترشيلنج فهو غارقٌ في الطبيعةِ ثانيةً، وفي رأيي فإن هذا أفضل من العمل في المدينة.

أردتُ إخبارك، أيضا، أنني أرجو أن ينتهي عراكنا بهذه الطريقة، وأن الأمور ستُسوّى. لا يمكنني أن أستسلمَ للوضع الحالي، أكثر مما يمكنني قبول نقدِهِ، الوضع الحالي لعملي الذي تعرقله الصعوبات التمويليّة التي ألاقيها. لا أطلبُ منك أن تُصلحَ هذا وحدَكَ، لكنني ببساطة أرجو من كلينا أن نبذل قصارى جهدنا معا (لا أن أفعل هذا وحدي) لنشق طريقنا. إنه جهدٌ وكَدٌّ ستبذله أنت أيضًا، وهو ليس سهلا، أعلم هذا، وأقدّره كثيرًا، لكنّ بذل الجهد من أجلِ هدفٍ ليسَ من سوء الطالع، والاضطرار للقتال هو الشرط المبدئيّ لأي نصرٍ شريف.

لا يمكنُ دائما تفادي نفقات التصوير، وعدم كسبها في أحايين كثيرة قد لا يكون أحسنَ طريقة، لأن ذلك لا يعين على إنتاج شيءٍ جيدٍ منها إن تردد المرء في الدّفع للموديلات أو مواد التصوير الأساسية. وبما أن الأمور تصعُبُ عليّ بدلا من أن تتحسّن، فقد وصل الأمر من السوء لدرجة أن أضطرّ للشكوى.

عندما تكون هناك عاصفة وشيكة، فعلى المرء المحافظة على متانة القوارب. رجلي في لاهاي الآن هو لورز، والذي لم يعد يعيش في براكتيتسيتزهيك بل في مولينشترارت. إنه يطلبُ أن أرسلَ إليه أكثر من لوحةٍ واحدةٍ كيما أحصلُ على أكثر من فرصة، وهو يعرضُ عليّ نافذتي عرضه الاثنتين.

وبما أنه هو نفسه في حاجة ماسّةٍ إلى المال، فلن يتوانى عن بذل الجهد. سأرسلُ إليه بضعةَ أكواخ، والبرج القديم، ولوحاتٍ أصغر للشخوص. بينما يعرض هذه، سأصنع أخرياتٍ لكي يستمرّ هو في عمله.

حصلتُ أيضا على فرصةِ إقناع رجلٍ آخر في لاهاي.

أما بالنسبةِ لي، فقد عدت قادرًا على مواصلة العمل. لقد صنعتُ لوحةً أخرى صغيرةً عن حصاد القمح بعد مغادرتك، بالحجم نفسه للوحة النساء اللاتي يقتلعن اللفت في الجليد. حصّادٌ، امرأةٌ تلفّ الحزمات، حزماتٌ، وطاحونة هواء، كالرسومات التي رأيتها. تأثيرٌ في المساء بعد الغروب.

مرةً أخرى، أقترحُ عليكَ أن تتكلّم عن الأمر مع بورتييه وسيرّيه، قل إنني في موقفٍ لا أُحسَدُ عليه، وشجعهما على أن يفعلا قدر استطاعتهما، وأنه بالنسبة لي فسأعمل على إرسال بضعة أشياء.

ودعنا نعمل على إرسال تلك الشحنة. لقد رسمتُ أيضًا ثلاث دراساتٍ لنساءٍ بين البطاطس، وقد رأيتَ أولاها بالفعل.

لقد تحدّث رابّارد إلى وينكيباخ، وفي خطابه لا أثر للنبرة التي كان قد بدأ يتّخذها. وعلى الرغم من أنه ذاهب إلى ترشيلنج، فقد كتب قائلا إنه يريد المجيء لرسم بضع دراساتٍ هنا أولا.

تحياتي، وأتمنى لك الحظ السعيد.

المخلص لك،

فنسنت

٥٣١ | نيونن، نحو الأربعاء، ٢ سبتمبر ١٨٨٥
الى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

شكرًا لخطابك والمائة والخمسين فرنكًا المرفقة. لقد استلمتُ أيضًا لوحتي ليرميتَ الجديدتين اليوم. إنه أستاذٌ في الشخوص. يمكنه فعل ما يحلو له بها، مُبدِعًا الكُلّ لا من

اللون ولا من الدرجةِ الموضعية، بل بادئا من الضوء، كما فعل رامبرانت، هناك شيءٌ أستاذيٌّ مُدهشٌ في كل ما يفعله، في الصياغة، وعلاوة على كل شيء، فإنه يتوخى الأمانة بشكل كامل.

هناك الكثير من الحديث عن بوسان. براكمون يتحدث عنه أيضا. يقول الفرنسي في كتابه عن بوسان إنه أعظم مصوريهم بين الأساتذة القدامى. حسنًا، من المؤكّد أن ما يُقال عن بوسان، الذي لا أعرف الكثير عنه، أجده في ليرميتّ وميبه. لكن مع هذه الفرادة، فسأظنّ بوسان هو البذرة الأصلية، والآخرَين هم السنبلة المكتنزة. بالنسبة لي، إذن، أعطي لوحتي اليوم درجة ممتاز.

الأسبوعان الماضيان كان لدي الكثير من المشاكل بسبب قسين من رجال الكهنوت المبجلّين، وقد جعلاني أفهم -بالطبع منطلقين من نيات حسنةٍ، ومؤمنين كالآخرين بأنه من واجبهم التدخّل- جعلاني أفهم أنني لا يجب أن أرفع الكلفة بيني وبين من هم أدنى مني مرتبةً، وبعد أن كلّموني بهذه الطريقة، كلّموا "من هم في مرتبةٍ أدنى" بنبرة مختلفةٍ جدا، أي أنهم هددوهم وقالوا لهم إن عليهم ألا يسمحوا بتصويرهم. هذه المرة ذهبتُ ببساطةٍ إلى العمدة وأخبرته بما حدث تفصيلا، وأشرتُ إلى أن الكهنة لا شأن لهم بهذا الأمر وأن عليهم الالتزام بمجال عملهم في الأشياء الأكثر تجريدًا. على أي حال فأنا لا أُقابَلُ بأي معارضةٍ في الوقت الحالي وأظنه من الممكن أن تدوم هذه الحال. حبلتْ فتاةٌ كنت أرسمها كثيرا وظنّوا أنّ الطفل لي، على الرغم من أنني لستُ الشخص. بأي حال، فبعد أن عرفوا حقيقة الواقعة من الفتاة نفسها وأن عضوًا في سلك الكهنوت من نيونن قد سلك سلوكًا مشينًا، لم يعد بإمكانهم نشب مخالبهم فيّ، على الأقل ليس في هذه المرة. لكن كما ترى، فإنه ليس من السهل تصوير الناس في وطننا ورسمهم في أثناء قيامهم بعملهم. على أي حال، لن يربحوا بسهولةٍ في هذه الحالة، وفي هذا الشتاء أرجو أن أحتفظ بالموديلات نفسها، الذين هم من برابنت الأصلي قلبا وقالبا.

على الرغم من ذلك، فإن لديّ بضعة رسوماتٍ جديدة.

لكن الآن، في الأيام القليلة الماضية، لم أستطع الحصول على أحدٍ في الحقول.

ومن حسن حظي، فإن ذلك الكاهن بدأ يفقد شعبيته في الجوار. لكنّه أمرٌ سيئٌ مع ذلك وإن استمر فسأغادر على الأرجح. ستسألني لم أتصرف كشخص بغيض، في بعض الأحيان تُضطرّ لذلك. لو أنني قد ناقشتُ ذلك معهم بوداعةٍ كانوا سيجهزون عليّ بلا رحمة. وعندما يعرقلون عملي فإنني أحيانا لا أعرف طريقًا سوى العين بالعين، والسنّ بالسنّ. لقد انحرف القسّ بعيدًا لدرجةٍ أن يعرض على الناس الأموال ليمتنعوا عن الجلوس لتصويرهم، مع ذلك فقد ردّ الناس بصراحةٍ بأنهم يفضّلون كسبها منّي على الذهاب مُطأطئين رؤوسهم إليه. لكن كما ترى، فإنهم يفعلون ذلك بمجرد المال ولا يمكنني فعل أي شيءٍ مجّانا هنا.

تسألني إن كان رابّارد قد باع شيئًا. ما أعرفه أنه بحال ميسورةٍ اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى، وأنه ولوقتٍ طويل كان لديه موديل عارٍ على سبيل المثال يوما بعد يوم، وأنه ولأجل تصوير أعمال القرميد قد أجّر منزلا صغيرًا بالفعل في المكان نفسه وغيّره كيما يحظى بإضاءة علوية، أعرفُ أنه قام برحلةٍ أخرى في درينته وأنه ذاهبٌ أيضًا إلى ترشيلنج. وأن كل هذا باهظ الثمن، وأن نفقاته لا بد تأتي من مكانٍ ما. وأنه وعلى الرغم من أنه قد يكون لديه ماله الخاص، فلا بد أنه يكسب المال أيضا، لأنه وفي أي وضعٍ آخر لا يمكنه فعل ما يفعله. ربما تشتري منه عائلته أو أصدقاؤه، من الممكن هذا، لكن بأي حالٍ فلا بدّ أن أحدهم يفعل.

لكنني في هذه الأمسيةِ أكثر انشغالا برسومات ليرميتّ من أن أستطرد في الحديث عن أشياء أخرى.

حين أفكّر بميبه أو بليرميتّ، أجد الفن الحديث بعظمةِ مايكل أنجلو ورامبرانت، القديم لا نهائي، والجديد لا نهائيٌّ أيضا. العبقريّة القديمة والعبقريّة الحديثة. ربما لا يرى شخصٌ كتشنفار المسألة بهذه الطريقة، لكن عن نفسي فأنا مقتنعٌ، بأنه وبهذا الخصوص يمكن للمرء الإيمان بالحاضر.

واقع أن لدي عقيدةً محدّدةً حيال الفن يعني أنني أعرف ما أريد في عملي الخاص، وأنني سأحاول أن أحصل عليه حتى لو تهاويت في أثناء محاولتي. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٣٤ | نيونن، نحو السبت، ١٠ أكتوبر ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لقد زرتُ أمستردام هذا الأسبوع، لم يكن لديّ وقتٌ لزيارة شيءٍ سوى المتحف.

مكثتُ هناك لثلاثة أيام، ذهبتُ الأربعاء وعدتُ الخميس. النتيجةُ هي أنني مسرور بذهابي، مهما كانت التكاليف، وأنني لا أنوي إمضاء وقتٍ طويلٍ ثانية بعيدًا عن تلك اللوحات. لطالما أجّلتُ هذا وأرجأته -مع العديد من الأشياء- بسبب التكاليف. لكن من الأفضل الآن أنني لم أعد أتصور فعل هذا. أُحصِّلُ الكثير منه لعملي، حين أنظر إلى اللوحات القديمة، ويمكنني فك شفرة تقنيتها بشكل مختلفٍ عمّا مضى، إذن فربّما لديّ الآن حاجةٌ ماسّةٌ للحوار بأي حال.

لا أعرف إن كنت تتذكّر أنه وعلى يسار "حرسُ اللّيل"، بكلماتٍ أخرى، وكتكملةٍ لـ "الإداريون"، ثمة لوحة، كانت مجهولةً بالنسبة لي حتى الآن، رسمها فرانز هالز وبي. كودّه، قرابة عشرين ضابطا بالحجم الطبيعي. هل لاحظتها؟؟؟ قائمةً بنفسها، هذه اللوحة تجعل الرحلة إلى أمستردام تستحق الجهد، خاصّةً لشخص يستخدم الألوان. هناك شخصٌ فيها، شخصُ حاملِ اللواء في أقصى الركن اليسار، جوار الإطار مباشرة، هذا الشخصُ رماديٌّ من رأسه لأخمص قدميه، لنسمّهِ رماديًا

لؤلؤيًا، له درجةٌ محايدةٌ وفريدة، تم الحصول عليها بالأحرى عن طريق مزج البرتقاليّ والأزرق بحيث يعادلان أثر بعضيهما، وبتنويع هذا اللون الأوّلي نفسه، بجمله أفتَحَ قليلا هنا، وأدكنَ قليلا هناك، يبدو الشخص كله كما لو أنه قد صوّرَ برماديّ واحدٍ. لكنّ مادّة الحذاء الجلديّ مختلفةٌ عن مادة الجورب، والذي بدوره يختلفُ عن ثنياتِ السروال، التي تختلفُ عن الصديرية، معبّرًا عن موادٌ مختلفةٍ تماما في اللون بعضها عن بعض، على الرغم من كونها كلها عائلةً واحدةً من الرماديّ، لكن انظر! إلى ذلك الرماديّ يقدّمُ أزرقَ وبرتقاليًا، وبعض الأبيض.

للصديرية شرائط حريرية من أزرق خفيفٍ سماوي. ووشاحٌ وعلمٌ برتقاليان، وياقةٌ بيضاء.

البرتقاليّ، الأبيض، والأزرق، كما كانت الألوان القوميّةُ حينها. البرتقاليّ والأزرق متجاوران، هذا الطيف الأمجدُ بينَ الأطياف، على خلفية من الرماديّ الممزوج برصانة، تحديدا بتوحيد، دعني أطلق عليهما، قطبي الكهرباء (بلغة الألوان) فيبيدان بعضهما، أبيضَ على خلفيةِ رماديّ. استخدمت أيضًا في تلك اللوحة، أطياف برتقاليّ أخرى على خلفية أزرقَ مختلف، وأيضًا الأسود الأمجدَ على خلفية الأبيض الأمجد. الرؤوس، نحو عشرين، تفور بالروح والحياة، ويا لروعة صنعتها! وأيّ لون! المظهرُ الفائقُ لكل أولئك الأشخاص، بحجم طبيعي. لكن ذلك الشاب البرتقالي، والأبيض، والأزرق في الركن الأيسر... لم أرَ شيئا أجمل وأكثر سموًا من هذا الشخص، إنه لشيءٌ مبهر.

كان ديلاكروا سيحبها، سيحبها فقط لأبعد الحدود.

تسمّرتُ أمامها حرفيًا. الآن، هل تعرف المغنّي، ذلك الشاب الضاحك، التمثال القرمزي، والأسود المخضر.

قرمزي للون اللحم أيضًا.

تعرف تمثال الرجل الأصفر، الليموني الباهت، الذي يبدو وجهه بسبب تعارض الدرجاتِ، برونزيًا متمكنًا وجريئًا، مثل الأحمر النبيذي (بنفسجيًا؟)

كتب بورجر عن لوحة رامبرانت "العروس اليهودية" تماما كما كتب عن فرمير الديلفتي، كما كتب عن بذّارِ مييه، كما كتب عن فرانز هالز، مكرّسًا نفسه ومتجاوزًا إياها. "الإداريون" كاملة، أروع لوحات رامبرانت، أما العروس اليهودية، التي لا تُذكَرُ كثيرًا، يا لها من لوحة حميمة، ويا لها من لوحةٍ عطوفٍ لما لا نهاية، مُصورةٍ بيدٍ وهّاجة. كما ترى، فإن رامبرانت مخلصٌ للحياةِ في "الإداريون"، حتى إن كان يذهبُ إلى الأعلى هناك، إلى أعلى القمة، لما لا نهاية. لكن، يمكن لرامبرانت أن يفعل شيئًا آخر، حين لم يُضطَر لأن يكون صادقًا بالمعنى الحرفيّ، كما فعل في بورتريه، حين استطاع أن يخلقَ الشعر، أن يكون شاعرًا، أي مبدعًا. هذا هو رامبرانت في العروس اليهودية. كم كان ديلاكروا سيفهم هذه اللوحة بالذات! يا لها من عاطفةٍ نبيلة، عميقةٍ عمقًا سحيقًا. لا بد للمرء أن يموت عدّة مرّاتٍ ليصوّر بهذه الطريقة - عبارةٌ صادقةٌ هنا. لكن، يمكن للمرء أن يتحدّث عن لوحات فرانز هالز، فهو سيظل دائمًا، على الأرض. بينما يذهبُ رامبرانت عميقًا في الغامضِ حتى إنه يقول أشياء ليست تصفها الكلماتُ في أي لغة. لم يخطئوا حين سمّوا رامبرانت، السّاحر، فهذه ليست مهنةً سهلة.

لقد حزمتُ بضع لوحات طبيعة صامتةٍ ستستلمها الأسبوع القادم، مع تذكارين من أمستردام التقطتهما على عجلٍ وأيضًا بضعة رسوماتٍ. سأرسل إليك أيضًا وليس قبل مضيّ وقتٍ طويل كتاب "حبيبتي" لدو جونكور. دو جونكور جيدٌ على الدوام، وطريقةُ عمله ذاتُ ضميرٍ يقِظ، وتتضمن الكثير من الكد.

شاهدتُ لوحتين لإسرائيل في أمستردام، وهما صيّاد زاندفورت، وواحدةٌ من أعماله الأخيرة، عجوزٌ، محنيّةٌ كحزمةٍ من الخِرَق، جوارَ فراشٍ ترقد عليه جثةُ زوجها. أظنهما بارعتين. وليهذر الناس عن التقنية كما يحلو لهم، بكلماتِ الفريسيين الجوفاء، المنافقة. المصورون الحقيقيون، يسمحون لأنفسهم أن ينقادوا بهذا الضمير المُسمّى بالعاطفة، روحهم، عقولهم لا تقودها الفرشاة، بل الفرشاةُ يقودها العقل.

علاوة على ذلك، فإن قطعةَ قماشِ اللوحة هي من يخافُ الرسّام الحقيقي، وليس الرسّام من يخافها.

في أمستردام رأيتُ لوحاتٍ أخرى من يومنا هذا، ويتكامب وآخرين. يقينا ويتكامب هو أحسنهم، يذكرني بجول بريتون، آخرون في بالي لكن لن أذكرهم، يقاتلون مع ما يسمونه هم التقنية، بالنسبة لي وجدتهم ضعفاء تحديدًا بالمعنى التقنيّ. تعرف، كل هذه الدرجات الرماديّة الباردة التي يظنونها مميزةً في حين أنها بليدةٌ وممزوجةٌ بطفوليّةٍ مملّةٍ ولعينة. في أيامنا هذه، ولأجل راحة الرسّامين الذين يعملون فيما يظنونه طيفًا فاتحًا مُميّزًا، يصنعون ألوانًا تتكون من، تلكَ العاديّةِ ممزوجةً بالأبيض النقيّ. هراء!

أنصتْ، التقنيّة، مزجُ الألوان، صياغةُ صيّاد زاندفورت، على سبيل المثال، هي برأيي تشبه ديلاكروا وفائقة الجمال، ورماديّات اليوم البازدة البليدة، لا تعني الكثير في دنيا التقنيّة، كُن لونًا ويكون إسرائيل فيما وراء اللون. فقط لأوضح، لستُ أتحدثُ عن جاب ماري، وويلّم ماري، وموف، ونوهيس، الذين يعمل كل منهم في طيفه الفريد بالطريقة الصحيحة، وبلومرز... إلخ. لكنّ مدرسة الأساتذة، وتابعيهم، يا تيو، أظنها أصبحت بالية.

ذهبتُ إلى الفودور أيضًا.

لوحة ديكامب "الراعي" تحفةٌ رائعةٌ أيضًا، هل تذكر لوحة ميسونييه، اسكتش، لفراش الموت؟ لوحة دياز؟ حسنًا، طالما أحببتُ رؤيةَ بوسبوم، والدروب، ونويّين، وروخوسّين، ورفاقنا الأصيلين في تلك الفترة منذ أربعين عامًا. لروخوسّين حيويّةٌ كتلك التي لجافارني.

الحيوات الصامتة التي سأرسلها إليك دراساتٌ في اللون. سأصنع المزيد منها، لا تظنّ أنها بلا طائل. سيفهمونها لاحقًا، لكن بعد عام مثلا، ستكون أفضل حالا بمجرّد أن تجفّ طبقاتها وتأخذ ورنيشًا عميقًا. لو استخدمت دبابيس الرسم لتعلّق عددًا كبيرا من دراساتي على جدار غرفتك ـكلا من القديمة وهذه، مُبعثرةً معًاـ فسترى، كما أظن، أن ثمّةَ رابطًا يجمع هذه الدراسات، أن الألوان تعمل جيدًا متجاورةً.

بمناسبة الحديث، عمّا هو "أسود للغاية"، فأنا مسرور جدًا لأنهم يظنون أن دراساتي سوداءُ للغاية، خاصة لأنني أرى لوحاتٍ بأطيافٍ طفوليّةٍ باردة.

انظر للوحة صيّاد زاندفورت، وما الذي لوّنت به؟ أهي ملونةٌ بالأحمر، مع الأزرق، مع الأصفر، مع الأسود وبعض الأبيض الباهت والبنيّ (كلها ممزوجة جيدًا ويتخللها الضوء) أم لا؟ حين يقول إسرائيل إن المرء لا يجب أن يكون أسودَ، فإنه يقينًا لا يقصدُ ما يفعلونه الآن، فهو يقصد أن يضفي المرء لونًا على الظلال، لكن بالطبع لا يستبعد أي طيف، مهما كان منخفضًا، ولا حتى طيف الأسودات والبنيّات والأزرقاتِ الداكنة.

لكن ما نفع التفكير بهذا، من الأفضل التفكير برامبرانت، بفرانز هالز، بإسرائيل، بدلا من التفكير في هذا العجزِ المحترم.

إنني مُطيلٌ في هذه الكتابة، حتى إن كنت ربّما لا تؤمن بما أقوله عن الألوان، وحتى إن ظننتني تشاؤميًا حين أقول إن ما يسمّونه رماديًا رفيعًا ليس إلا رماديًا قبيحًا جدًا، حتى إن ظننتني تشاؤميًا وأسوأ من هذا حين أدينُ الإنهاء الناعم للوجوه، والأيدي، والعيون، بما أن كل الأساتذة العظام عملوا بشكل مخالفٍ، ربّما، شيئًا فشيئًا، سنغيرك أيضًا دراستُكَ الخاصّةُ للفنّ، التي بدأتها ثانيةً بشكلٍ جادٍّ لدواعي سروري. والآن سأطلب منك خدمةً. صديقي ذاك الذي في آيندهوفن الذي ذهبَ معي إلى أمستردام، اشترى كتاب بورجر "متاحف هولندا"، والعم كور لديه فان در هوب وروتردام لكن لم يتوفر لديه المجلّد الأول، متاحف لاهاي وأمستردام. لا بد أن نحصل على هذا المجلد. لقد نفدت طبعته، لكن بإمكانك الحفرَ بحثا عن واحدٍ في مكانٍ ما، وهو مستعدٌ لدفع عشرة فرنكاتٍ لقاءه لو لزم الأمر، إلا أن سعرًا أقلّ سيكون مفضلا بالنسبة له، بالطبع. سأرسلُ إليك تكلفته مباشرة، بما أنه له، وقد وكّلني بهذا شريطة أن يدفع. إذن هل ستبذل قصارى جهدك لتحصل عليه؟ إن وجدته، فاقرأه بعينٍ ثانيةً، لأنه جيدٌ للغاية.

لم أذهب إلى العم كور معه.

اللوحان اللذان رسمتهما في أمستردام صُنعا على عجلةٍ رهيبة، أحدهما، لاحِظ هذا، في غرفة انتظار المحطّة حين وصلتُ مبكّرًا عن موعد القطار، الثاني في الصباح، قبل الذهاب إلى المتحف في العاشرة تقريبًا. على الرغم من ذلك، سأرسلهما إليك، على طريقةِ البلاطات التي يخربش المرءُ عليها ببضع ضربات.

أما بالنسبة لنهاية هذا الشهر، يا صاح، إنني نظيفٌ تمامًا من الأموال، ما العمل؟ ألا يمكنك إرسال عشرين فرنكًا زائدة أو شيئا من هذا القبيل؟ علي دفع تكلفة الألوان ثانية في الشهر القادم، ١ نوفمبر. ٢٥ جيلدرًا للإيجار.

أما بالنسبة للتواصلات بخصوص عملي، فقد حدثتُ أحدهم، وإن ذهبتُ ثانيةً إلى هناك فسآخذ بعض أعمالي معي. ثمّةَ تراخٍ عامٌّ يجعل إيجادَ فرصةٍ للعرض أمرًا يسيرًا.

لنصوّرْ كثيرًا! هذه هي رسالتنا إن أردنا النجاح، العمل كثيرًا تحديدًا لأن الوضعَ راكد، ثُمّ وفي يومٍ ما، وبدلا من أن نجدَ كل الموانئ موصدةً أمامنا، سيمكننا الهيمنة على كلّ البحار. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٣٧ | نيونن، نحو الأربعاء، ٢٨ أكتوبر ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

أقرأ خطابك عن اللون الأسود بحبور كبير. ويقنعني بالتالي بأنك لستَ متحيّزًا ضد الأسود.

وصفُكَ لدراسة مانيه، مصارع الثيران الميت، كانت مُحلّلةً جيدًا. والخطاب كلّه يثبتُ لي كما جعلتني شخبطتك عن باريس أفكر وقتها، أنك لو شغلت ذهنك بهذا، فسيمكنك رسمُ شيءٍ بالكلمات.

من الأكيد أنه بدراسةِ قوانين الألوان يمكن للمرء أن ينتقل من إيمانٍ غريزيّ بالأساتذة العظام إلى القدرة على سرد أسبابِ إعجابه بما يحب، وهذا ضروريّ في أيامنا هذه، عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار كم يحكمُ الناسُ بسطحيةٍ وبعشوائيةٍ رهيبة.

عليكَ أن تدعني محتفظا بتشاؤمي من صناعة الفن في يومنا هذا، لأنه حتمًا لا يدلّ على القنوط. هكذا أجادلُ نفسي. افترض أنني محقّ حين أرى بصورة متزايدةٍ شيئًا مثل هوس تجارة التيوليب في مساوماتٍ مثيرةٍ حولَ سعر اللوحات. افترض-أقول- انه وكهوس تجارة التيوليب في نهاية القرن المنصرم، ستختفي تجارة الفنّ، لتفسح المجال لنوع آخر من المضاربات مع نهايةِ هذا القرن، أي سريعًا.

لقد فني هوس التيوليب، لكن بقيت زراعةُ بصيلاته. وعن نفسي فأنا قانعٌ، سواءٌ كان ذلك خيرًا أم لا، بأن أكون بستانيًا صغيرًا يحب مشتله.

حاليًا، فإن باليتّتي تذوب، وبلادةُ البدايات الأولى قد ولّت.

قد أصطدمُ في أحايين بجدارٍ فارغٍ عندما أضطلعُ بشيء، لكن على أي حال، الألوان تتلو بعضها كما لو من تلقاء نفسها، واتخاذي لونًا كنقطةِ بدايةٍ يجعلني أرى واضحًا بعينِ عقلي ماذا يُشتقُّ منه، وكيف للمرءِ أن يبثّ فيه الحياة.

يشبهُ جول دوبريه ديلاكروا في المناظر الطبيعية، للتنوّع الهائل في المزاج الذي يبرزه في سيمفونيات اللون.

مرّةً، منظرٌ بحريّ، بأرقّ درجات الأزرق المخضرّ والأزرقِ الحائل، والدرجات اللؤلؤيّة كافة. ثمّ، منظرٌ خريفيّ بأوراقِ شجرٍ من الأحمر النبيذي العميق إلى الأخضر

الزاهي، من البرتقالي المنير إلى الهافانا الغامق، وتبقى ألوانٌ أخرى للسماء، رماديّات، ليلكيّات، أزرق، أبيض، مشكّلا وضوحًا آخرَ للأوراق الصفراء.

ثم مرّةً أخرى، غروبٌ بالأسود، بالبنفسجيّ، بالأحمر الناريّ.

ثم مرةً أخرى، أكثر نزقًا، مثل ركن حديقةٍ لهُ رأيتهُ ولم يفارق بالي، أسودُ في الظلال، أبيض في الشمس، أخضرُ فاتحٌ، أحمر ناريٌّ، ثم ثانيةً أزرقُ داكن، وبنيٌّ مخضوضرٌ قاريّ ودرجةٌ من الأصفر البنّي. حقًّا، ألوان لديها الكثير لتقوله لبعضها البعض.

طالما ألهتُ جول دوبريه، وسوف يذيع صيته أكثر ممّا هو عليه الآن. فهو ملوّنٌ حقيقيّ، مثيرٌ دائمًا، وبه شيءٌ قادرٌ جدًّا، ودراميّ. نعم، حقًّا هو أخٌ لديلاكروا.

كما قلت، أظن خطابك عن الأسود جيدًا جدًا، وما تقوله عن عدم استخدامه في اللون الموضعي صحيحٌ أيضًا. لكن يظلّ لا يشبعني. في بالي ثمّة ما هو أبعد بمسافة عن عدم استخدامه موضعيًا. المصوّرون الحقيقيون هم الذين لا يستخدمونه في اللون الموضعي. وهذا ما ناقشه بلانك وديلاكروا سابقًا. ألا يمكنني أن أفهم من هذا ببساطةٍ أن الأحرى بالرسّام الابتداء من ألوان باليتّه بدلا من ألوان الطبيعة؟

أقصدُ أن المرء حين يريد تصوير رأسٍ، مثلا، ويفحصُ المرء الطبيعة التي أمامه، يفكّر، هذا الرأس تناغمٌ من البنيّ المحمرّ، البنفسجي، الأصفر، مكسورة كلها، سأضع بنفسجيًا وأصفرَ وبنيًا محمرًا في باليتّتي، وأكسرها ببعضها.

أحتفظ من الطبيعةِ بتتالٍ محدّدٍ وصحّةٍ معيّنةٍ في وضع الدرجات، أدرس الطبيعة كيما لا أفعل أي شيءٍ سخيف، وأبقى عقلانيًا، لكن، لا أبالي حقًّا إن كانت ألواني مطابقةً تمامًا، ما دامت قد بدت جيدةً على قطعة القماش، كما تبدو جيدةً في الحياة. الأصدق إلى حد بعيد هو بورتريه لكوربيه، رجولي، حُرّ، ملوّنٌ بتنويعة من الدرجات العميقة والجميلة للبنيّ المحمرّ، والذهبيّ، والبنفسجيّ الأبرد في الظلّ، برقاقةٍ سوداء، وقطعةٍ صغيرة من الكتّان الأبيض الملوّن لأجل باقي المشهد، أجمل من أي بورتريه رأيتَه في حياتك، وهو قد حاكى لون الوجه بحسم رهيب.

سواء رأس رجلٍ أو امرأةٍ، حين تنظر إليه برباطة جأشٍ كبيرة، يكون سماويَّ الجمال، أليس كذلك؟ حسنًا، بالمحاكاة الحرفيّة الأليمة يفقد المرء ذلك التأثير العام للتبدي الجميل، فالطريقة التي تتباين بها درجات اللون في الطبيعة، يحتفظ المرء بها عن طريق إعادة خلقها في طيف ألوانٍ موازٍ له، ولكن ليس بالضرورة مطابقًا، أو بعيدًا عن أن يشبه الموضوع.

إن استخدامَ الدرجاتِ الجميلةِ التي تشكلها الألوان من تلقاء نفسها عند كسرها على الباليتّة بذكاء، ثانيةً، وبالابتداء من الباليتّة، بالابتداء من معرفة المرء بتأثير الألوان الجميلة - ليس بجمال نسخ الطبيعة بآليّة وعبودية.

هنا مثالٌ آخر. افترض أن عليّ رسم منظرٍ طبيعيّ للخريف، أشجار بأوراق صفراء. حسنًا، لو أنني رأيتها كـ "سيمفونية في الأصفر"، فماذا يهمّ إن كان أصفري الأساسيّ، هو نفسه لون الأوراق، يصنع ذلك فارقًا طفيفًا مع ذلك هو فارق كبير، كلّ شيء يعتمد على حسّي بالتنويعة اللانهائية للدرجات في عائلة اللون نفسه.

إن كنتَ تظنّ ذلك الميل الخطير تجاه الرومانسية، هو خيانةً لـ "الواقعية"، والتصوير من الخيال، ومحبّةً لباليتّة الألوان تفوق محبة الطبيعة، حسنًا، فليكن هذا.

ديلاكروا ومييه كورو، ودوبريه ودوبيني بريتون وثلاثون اسمًا آخر، ألا يشكلون قلب هذا القرن فيما يخص الفنّ، وكلهم، ألا يضربون بجذورهم في الرومانسية، وحتى لو تجاوزوا الرومانسية؟ الرومانسي والرومانسية هما حقبتنا، وعلى المرء أن يتحلّى بالخيال، والعاطفة في التصوير. ويا للسعادة، فالواقعية، والنزعة الطبيعية لا تخلوان منها. زولا يخلق، لكنه لا يمسك مرآة لتعكس الأشياء، يخلقها بروعة، إنه يبدع، يكتب الشعر. لهذا السبب فإن الأمر رائع. هذا أكثر مما تحتمل النزعة الطبيعيةً والواقعيةً، وهما مع هذا مرتبطتان بالرومانسية. وأظل أقول إنني أتأثر حين أرى لوحةً من بين ١٨٣٠-١٨٤٨، لـ بول هويت، أو لوحة قديمة لإسرائيل مثل صياد زاندفورت، أو لـ كابا أو إيزابي. لكنني أجد مقولة: لا تصوّر بالدرجة الموضعية، حقيقيةً جدًا، فأنا أفضّل رؤية لوحةٍ بقيَم أقلّ من الطبيعة على لوحةٍ مشابهةٍ تماما للطبيعة.

أيضًا، فأنا أفضّلُ لوحةَ ألوانٍ مائيّةٍ غامضةً نوعًا وغيرَ تامّةٍ، على أخرى تبذل جهدًا لتقنص الواقع.

هذه المقولة معنًى واسع، لا تصوّر الدرجة المحليّة، واترك الرسّام حرًّا ليختار الألوان التي تشكّل كلًّا والتي تترابط ببعضها، والتي تنتجُ عن التباين مع سلسلةٍ أخرى. ماذا يهمّني في بورتريه لمواطنٍ صالحٍ يخبرني بدقّةٍ ما اللون الحلبي، أو المائيّ، أو الورديّ، أو البنفسجي أو اللون الذي لا يوصف ويشكل وجه الرجل التقيّ الذي لم أره قط؟ لكن مواطنيه في المدينة الصغيرة قد يبهرهم التماثل بين الصورة وصاحبها المبجل لدرجة أن ملامحه لا بد وأن تخلد للأجيال القادمة.

اللون يعبّر بذاته عن شيءٍ ما. لا يمكن الاستغناء عنه، ويجب استخدامه. ما يبدو جميلا، جميلا حقًّا، هو صحيحٌ أيضًا. عندما صوّر فيرونيز بورتريهات عالمه الجميل في احتفالية العرس بقانا، حين كرّس لها كل ثراء باليتته في البنفسجيات الداكنة، في درجاتٍ ذهبيّةٍ فاخرة، ثمّ، لم يزل هناك لازورديّ باهت وأبيض لؤلؤي كان قد فكّر بهما، وهي لا تظهرُ في مقدّمة اللوحة. لقد رماها في الخلف، وكانت صحيحة، وتحوّلت من تلقاء نفسها إلى محيطٍ من القصور الرخامية وسماء تتمّمُ تشكيلة الشخوص بفرادة.

هذه الخلفية من الروعة لدرجة أنها أتت من تلقاء نفسها، ذاتيًا، من حسبة الألوان. هل أنا مخطئٌ بخصوص هذا؟ أليست مصوّرةً بطريقة مختلفةٍ عمّا كان سيفعله امرؤٌ فكّر في القصر وفي الشخوص بالوقت ذاته؟ ككلٍّ واحد؟

كل هذه العمارة والسماء تقليدية وتابعةٌ للشخوص، ومحسوبة لتجعل الشخوص تظهر جيدًا.

هذا هو التصوير الحقيقي، والنتيجة أجملُ من محاكاةٍ دقيقةٍ للأشياء نفسها. التفكير بشيء ترك المحيطاتِ تنتمي إليه، تُشتقُّ منه.

عمل دراساتٍ للطبيعةِ هو مصارعةُ الواقع، لا أريد أن أظل أجادل في الأمر هباءً. لقد تناولته بهذه الطريقةِ لسنواتٍ وسنوات، تناولًا كاد أن يكون جدبًا بلا ثمر أو بأنواع النتائج الحزينة كلها. لم أكن لأريد أن أضيّع هذا الـ "خطأ".

المضيَّ قدمًا بالطريقةِ نفسها سيكون حمقًا وغباءً، هذا ما أقصده، لكنني لا أقصد أن كل جهدي ذهبَ هباءً وبلا طائل.

يبدأ المرءُ بالقتل، ينتهي المرءُ بالعلاج ـ هذه مقولةُ أطبّاء.

يبدأ المرء بالكدّ بلا طائل حتى يتبع الطبيعة، وكل شيءٍ يجيء مناقضًا. وينتهي المرءُ بالخلقِ من باليته فقط، والطبيعةُ توافقُ هذا، وتتبعهُ. لكن هذين الضدّين لا يوجدان دون أحدهما الآخر. الاجتهادُ في الدّرسِ، حتى لو كان بلا طائلٍ ظاهريًا، يؤالِفكَ مع الطبيعة، ويعطي معرفةً أوقعَ بالأشياء. وهي مقولة رائعة لدوريه الذي يكون ماهرًا جدًا في أحيان! هي: أتذكّر.

على الرغم من أنني أعتقدُ أن أجمل اللوحات مصنوعةٌ بشكل حر نسبيًا من الخيال، فلا يمكنني أن أتخلص من فكرةِ أن المرءَ لا يمكنه دراسة الطبيعة ـأو الكد في هذا حتى ـ كثيرًا. أعظمُ وأقوى الخيالات قد صنعت أشياء مباشرةً من الواقع وهي أشياء تفحم المرء.

أرسلُ إليكَ ردًا على وصفِكَ لدراسةِ لمانيه، طبيعة صامتة لكتابٍ مقدّسٍ مفتوحٍ، بلون أبيض باهت، على خلفيّةٍ سوداء بمقدمة بنيّةٍ صفراء، ونغمةٍ إضافية للأصفر الليموني.

لقد صوّرتُها دفعةً واحدة في يوم واحد. وهذا لأريك أنه حين أقول إنني لم أكدح بلا طائل، فأنا أعني هذا، لأنني هذه الأيام أرسمُ أشياء ومواضيع بعينها بسهولةٍ، مهما يكن الشكل أو اللون، وبلا تردد.

وقد صنعتُ مؤخرا عدّة دراساتٍ في الهواء الطلق، لمناظر الخريف الطبيعية. سأرسل إليك الطبيعة الصامتة تلك وإحدى الدراسات عن الخريف قريبًا. سأكتب ثانية في الأيام القادمة على أي حال، وأرسلُ هذا الخطاب على عجل لأقول إنني كنت مسرورًا جدًّا بما قلته عن الأسود. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٤١ | نيونن، نحو السبت، ١٤ نوفمبر ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

مررتُ بالجملة التالية، والتي وضعتَ تحتها خطًا في مقالة عن شاردان بكتاب دو جونكور. بعد الحديث عن تدني أجور الرسّامين يقول: "ما العمل، ماذا سيحدث. عليه أن يترك نفسه للمهن الحقيرة أو يموت من الجوع. الأولى بالطبع مقبولة". وهكذا يستطرد حتى يقول: بخلاف الشهداء الجدد، يصير البقيّة "أساتذة مبارزة، أو جنودًا، أو مهرجين".

لقد ظل هذا صحيحًا بشكلٍ أساسيّ. وبرؤيتي لما حدّدته أعلاه، اعتبرتُ من الممكن أنك تريد معرفة ماذا أنتوي فعله تاليًا، خاصّةً وقد أعلمتكَ للتو أنني قد تلقيت إخطارًا بمغادرة المرسم الحالي.

أيامنا هذه لا تشبه أيام شاردان تمامًا، وفي هذه الأيام ثمّة أشياء يصعب دحضها بأي حال. عدد الرسامين أكبر بكثير.

الآن، إن "فِعْلَ المصور شيئًا بجانب التصوير" يترك انطباعا سيئا على الجمهور. لستُ أعلى من هذا على أي حال من الأحوال، عليّ أن أقول استمرّ في التصوير، اصنع مائة دراسة، وإن لم يكفِ هذا، فمائتين، وراقب إن لم يحملك هذا تتجاوز "فعل شيء بجوار التصوير". ثمّ معوّدًا نفسكَ على الفقر، ورائيا كيف يحيا جنديّ أو عاملٌ ويظلّ بصحة سليمة في الريح وتقلبات الطقس وعلى كفاف العامّة وفي مساكنهم، وكيف أنه عمليّ لدرجة أن يجني جيلدرا واحدًا أو أكثر قليلا في الأسبوع. على أي حال، لا يعيش المرء في العالم من أجل الراحة وليس عليه أن يكون أفضلَ من أي امرئٍ آخر. كونك أفضل لا يساعد في شيء، فعلى أي حال لا يمكننا الاحتفاظ بشبابنا.

ليس ذلك ممكنًا، الأمر الذي يجعل المرء سعيدًا، كونه شابًا ومكونه على هذه الحال طويلا ليس متاحًا هنا، ليس هذا متاحًا حتى في بلاد العرب أو في إيطاليا، على الرغم من أن ذلك الحال أفضل هناك من هنا.

أما عنّي، فرأيي أن لدى المرء فرصةً كبيرةً أن يظل قويًا ويجدد نفسه، بين طبقة العوام اليوم. على أي حال. لذا أقول إنني أبحث عن هذا في التصوير، بلا دوافع مضمرة. لكن أظنني سأصنع خيرًا لو وضعتُ تصوير البورتريهات في حسباني بغرض جني المال. أعرف أنه من الصعب أن ترضي الناس بـ "الشَّبه"، ولا أجرؤ على القول مسبَقًا بأنني واثقٌ من حالتي. لكن يقينًا فالأمر غير مستحيل برمّته، لأن الناس هنا سيكونون كالناس في أي مكان آخر. حسنًا، الفلاحون وشعبُ القرية يقولون مصيبين وبسرعة، ومخالفةً لرأيي إن قلتُ إنهم مخطئون، هذا راينر دي جريف، هذا تون دي جروت، وهذا دين فان در بيك... إلخ. وأحيانًا يتعرفون على شخصٍ من الخلف. في الريف فإن البرجوازيين، وبالتأكيد الغواني أيًا كانوا، يقدرون دائما البورتريهات. كان مييه، قد اكتشف أن قبطان السفينة في الواقع "يحترم أحدهم" لأن بإمكانه صنعها (فهذه البورتريهات مقصودٌ إرسالها في الغالب إلى عشيقاتهم على البرّ). لم استغل هذا بعد. أتذكر هذا في سنسييه؟ طالما تذكرت كيف حافظ مييه على ذهابه إلى الهافر بهذه الطريقة.

حسنًا، خطتي العامّة هي الذهاب إلى أنتويرب، لا يمكنني حسابُ الدخل والمصروفات قبل الذهاب. لقد حصلتُ على عناوين ستة تجّارٍ للفن هناك، لذا فسوف آخذ شيئا معي، وبخلاف ذلك أخطط لتصوير بضعة مشاهد للمدينة بمجرد حلولي بها، كبيرة بشكل معقول، وأعرضها توًا أيضًا.

بكلماتٍ أخرى أن أهيئ كل الظروف لعمل شيءٍ هناك. وأنا ذاهب مفلسًا، فلن أخسر الكثير بأي حال.

أما عن هنا، فإنني أعرف المنطقة والأهالي بشكل أفضل وأحبهم أكثر من أن أصدّق أنني تاركُهم إلى الأبد. سأعملُ على تأجير مكانٍ لتخزين أشيائي، ثم سأغطي

نفسي بهذه الطريقة إن أردتُ ترك أنتويرب لمدّة، أو إن أصابني الحنين إلى وطني في الريف.

أما عن "فعل شيءٍ بجانب التصوير"، مباشرةً ومن البداية فقد ألحّ عليّ ترستيج حول هذا. أولئك الذين يتحدثون عن الأمر أكثر من الآخرين ليسوا بقادرين في الوقت ذاته على شرحِ ماذا تفعل. وعن هذا، كيما أوضّح الأمر تمامًا في حالتي، إن فعلتُ "شيئا بجانب التصوير"، فإن الشيء الوحيد سيكون أنني لو عرفتُ إمّا تجارًا وإما رسامين، فسأفعل على الأرجح شيئًا بالتصوير، على سبيل المثال سأسافر إلى إنجلترا، إليهم... إلخ.

أشياء من هذا القبيل، أشياء مرتبطةٌ بالفن بشكلٍ واضح، تفعلها بشكل استثنائي، لكن من جهةٍ أخرى، وكقاعدة: يجب على المصوّر أن يظلّ مصوّرا بالكلية.

لا تنس، أيضًا، أنني لستُ مجبولا على الأسى. اسم شهرتي هنا "رفيقنا الرسّام الصغير"، وإنني لا أذهب هناك بلا قدر من الخبث. لقد فكّرتُ أيضًا في درينته، ولكن من الصعب تحقيق شيء هناك. مع ذلك، سيكون خيرًا، إن أحبوا عملي الريفيّ في أنتويرب. لو أحبّوا الأشياء التي صنعتها هنا، إما سابقًا أو لاحقًا، فسأستمر فيها، وأنوّعها بأشياء مشابهة من درينته.

لكن المسألة هي أنني لا أستطيع فعل أكثر من شيء في الوقت ذاته. فلو كنتُ منشغلا بتصوير الفلاحين، لا يمكنني أن أشغل نفسي بأمور المدينة. اللحظة الحالية مثاليّة للانطلاق من هنا، بما أنني أعاني المشاكل في الحصول على الموديلات، وأنا متنقل في كل الأحوال. فالأمر لا يمكن أن ينتهي هنا في هذا المرسم المجاور لاثنين من سلك الكهنوت. فلا بد لي من تبديل هذا.

لكن بأي حال، ذلك لا يترك انطباعًا نهائيا لدى الناس، وبتأجير غرفةٍ أخرى وترك الأشياء مخزنة هناك لبضعة شهور، ستفقد المؤامرة قدرًا كبيرا من قوتها. ألن يكون من الأفضل أن أقضي الشهور القادمة، ديسمبر ويناير، هناك؟ في أمستردام حللتُ في مطبخٍ للحساء مقابل خمسين سنتًا، سأفعل بالمثل هناك، أو حتى أفضل من

هذا بالوصول إلى اتفاقٍ مع رسّام ما لأعمل في الاستوديو الخاص به. ثمة سبب آخر أيضًا، أنه ليس مستحيلا تماما أن أجدَ فرصةً في مكانٍ ما لأرسم العراة.

لن يرغبوا فيّ في الأكاديمية، ولا أنا سأرغب فيهم على الأرجح، لكن، قد يجدُ المرءُ بعض العطف لدى نحّاتٍ، وهم كثيرونٌ يقينًا هناك. ولا داعي لذكرِ أن الأغنياء يمكنهم إحضار الموديلات لنا بقدر ما يرغبون، لكنه أمرٌ صعبٌ بدونهم. على أي حال لا بد أن هناك أناسًا يستخدمون الموديلات العراة ويمكن للمرء اقتسام الثمن معهم. أحتاج هذا لأشياء عديدة.

لقد استلمتُ خطابك في أثناء كتابتي لك. أنا مستعدٌ للذهاب إلى فان دي لو إن لزم الأمر، لكنك تعرف أن الأطباء كثيرًا ما لا يخبرونك بكل شيء، خاصةً في الحالات المشكوكِ بأمرها. يجبُ أن تفهم أيضًا أن ما قلته عن كونها غائبة عن الوعي نوعًا ما سيتكرر على الأرجح، وأنه شيءٌ يصيب أغلب العجائز. على أي حال أظنها فكرةً عمليّةً ألا أتركها باقيةً وسط معمعة الانتقال، إلا إن أصرّت بشدّة. أما عن فان دي لو، يا صاح، فإنني أظنه قد أعطى أمي كل ما يلزم، وأسداها وافر النصح الذي يمكنه إسداؤه، ولن يقول شيئًا جديدًا. أعني أنه سيكون قد أنذرها بالفعل لو أن خطرًا يمكن اتقاؤه كان يهددها. لكنه إن ظل صامتًا فإن ذلك سيكون علامة، أنه لو كان ثمة شيء، فليس بمقدوره فعل شيء حياله وأنه لا شيء يجب فعله. إن كان يترك الطبيعة تأخذ مجراها، فإنه يفعل ذلك لأنه أفضل الحلول، فان دي لو شخصٌ يعتني بالدقّة وهادئ مثل زولا. بأي حال سأحادث ويل عن الأمر، وسأذهبُ هناك أو قد تزور أمي فان دي لو حين يكون في القرية، سنفعل شيئًا. لكنني أظن الأمر سيأخذ مجراه وحسب. ولعلك توافقني على أن القلق والترقب الزائد لا يطاق بالنسبة للمريضة إن لاحظته. ومع العجائز فلا طريقة لتوقّع هذا، تحديدًا لأن قلوبهم لا تكون عاديّةً في حالات كثيرة، بسبب الضمور الدهني مثلا، ويمكنهم بسهولةِ الرحيل فجأةً كما يمكنهم المضي لخمس سنواتٍ أو عشر سنواتٍ أخرى. للعاطفةِ تأثيرها بالطبع، لكن، تحديدا بسبب هذا فإن فرصة النجاة ستكون أكبر في حالة تشتت العقل، عن فترات الوعي اليقظ. شيءٌ آخر، إنني موقنٌ أنه ومن آن لآخر فإن ثمة طبقة أعمق من الأفكار

في عقل أمي (عن حياتها الداخلية، فحياة عقلها معقَّدة إلى حدٍ كبير ولها مراحلُ أو طبقات) وأنها لا تريد ولا تستطيع التعبير. في أحيان كثيرة كانت صامتة، لذا فإنني عن نفسي لا أستطيع أن أعرف كل شيءٍ عنها. خاصة الآن وهي واعيةٌ، فإن تركها تفعل ما يحلو لها هو الأسهل يقينًا، أولا لأجلها، وثانيا لأن ذلك هو الخيار الأعقلُ لنا.

وبتفهم صامتٍ لكونها إن فارقتِ الحياة ولم تعش أطول، فذلك لن يكون مصيبةً لها، بل هي ستمضي دون عناء، فالسكينة أمرٌ مبررٌ حيال هذا. السكينة أيضًا، لو أن سنواتٍ تلت من الحياة الآلية نسبيًا.

كما ترى فقد أردتُ أن أجهِّز لرحلتي إلى أنتويرب قرابة الوقت ذاته الذي سيرحلون فيه، والذي سيكون في فبراير تقريبًا. وبين ذلك وبين انتقالهم النهائي، سأكون إما عدتُ إلى نيونن وإما ـلو عطّلني شيءٌ استثنائي أطول من ذلكـ فسأكون جاهزًا للحضور لو حدث شيء.

لا بد أن ينتهي هذا الآن، لكنني سأكتب في خلال بضعةِ أيامٍ وأخبرك بترتيباتي مع ويل. سأقترح أن تذهب إلى فان دي لو مع ماما قبل الرحيل، سيتمّ هذا دون إخبار ماما. وبمجرد أن يراها فان دي لو، فإن تلك ستكون لحظةً مناسبةً لأي منّا، أنا أو ويل لنطلب من فان دي لو أن يخبرنا أي شيءٍ عن الفترة الباقية من عمرها. عن نفسي، ومعتمدًا على ما تظنّه أنت وويِل، فأنا مستعدٌ لتجهيز فان دي لو قبل زيارة ماما، وأن أخبره بما نريد معرفته، ليفحصها فحصًا دقيقًا. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت

اكتب سريعًا وأخبرني ما رأيك في رحلتي إلى أنتويرب، لا أظن أن ثمة ما يمنعها.

٥٤٥ | انتويرب، السبت، ٢٨ نوفمبر ١٨٨٥
إلى تيو فان جوخ (D)

مساء السبت

عزيزي تيو،

أردتُ أن أكتب إليكَ بضعةَ انطباعاتٍ أخرى عن أنتويرب. اليوم صباحًا ذهبتُ في تمشية رائعةٍ تحت المطر، رحلةٌ استكشافيةٌ بهدف أخذ أشيائي من مكتب الجمارك. المخازن والمتاجر المختلفةُ على أرصفة الشطّ رائعةٌ.

لقد تمشّيتُ في كل اتجاهات تلك المراسي والأرصفة لعدّة مرات. يا له من تباين عجيب! خاصةً عندما يأتي المرء من الرمل والخضرة والسكينة التي في قرية ريفية وبعد إقامة طويلة في وسط هادئ. إنها حيرةٌ عصيّةٌ على الفهم.

إحدى مقولات دو جونكور كانت "قطع فنية يابانية إلى الأبد". حسنًا، هذه المراسي هي قطع يابانيةٌ ضخمة، رائعة، فريدة، وغريبة، على الأقل، يمكن للمرء رؤيتها كذلك.

أودّ أن أتمشى معك هناك، مناظر المدينة، شخوصٌ ذات طابع أكثر تنوّعا من أي شيء، السفن موضوعٌ مركزيّ مع الماء والسماء بالرماديّ الرقيق، لكن فوق كل شيء، القطع اليابانيّة.

أقصدُ، الشخوص هنا دائمًا في حال الحركة، يراها المرء في أغرب البيئات، كل شيءٍ رائع، وتباينات مثيرة تظهر من تلقاء نفسها. حصانٌ أبيضُ في الوحل، في ركن ترقد فيه كومة من البضاعةِ مغطاة بالقماش المشمّع، على خلفية جدران المخزن المسخمة بالدخان، السوداء، العتيقة. جدّ بسيط، ليس سوى تأثيرٍ بالأبيض والأسود.

وعبر نافذةٍ نزل إنجليزي أنيق سيرى المرءُ بالخارج أقذر وحلٍ وسفينة مليئة بسلعٍ جميلةٍ كالجلود المدبوغةِ وقرون الجواميس تفرغها أنماط من عمال الميناء العمالقة أو بحارةٌ أجانب.

جوار النافذةِ، ناظرةً إلى هذا أو إلى شيءٍ آخر، تقف فتاةٌ إنجليزية رقيقةٌ، وشقراء. الداخلُ متناغمٌ كليةً مع الشخص، وبالنسبة للإضاءة، السماء الفضية فوق ذلك الوحل وقرون الجواميس، ومرة أخرى سلسلةٌ من التباينات القوية. سيكون ثمة بحارة فلمنكيون بوجوهٍ مضرّجةٍ حمراء، ومناكب عريضةٍ، قادرةٍ ومتينة، وأنتويربية إلى النخاع، واقفين يأكلون المحار ويشربون البيرة، ويصدرون ضجيجا عاليا ويسببون شغبًا حول الأمر. التباين، ها هو شخصٌ ضئيل يمضي، أسود، بيديها الدقيقتين مضغوطتين على جسدها، تنسلُ بصمتٍ عبر الجدران الرمادية. في إطارٍ من الشعر الأسود الفاحم، ووجه بيضويٍ صغير، بنيٍّ؟ برتقاليٍّ مصفرّ؟ لا أعرف.

ترفعُ جفنيها للحظةٍ وتنظر بتحديقةٍ مائلةٍ من عينين فاحمتي السّواد. إنها فتاة صينيّةٌ، غامضةٌ، يا لها من فأرة، صغيرة، كبقّةِ الفراش بطبيعتها. يا له من تباينٍ مع جماعةٍ من آكلي المحار الفلمنكيين.

تباينٌ آخر، أناسٌ يمرّون عبر شارعٍ ضيّقٍ بين منازلَ جسيمة الطول. مخازنُ ودكاكين. لكن عند مستوى الشارع، مشارب البيرة لكل الأمم مع الشخوص المتصلة بها من ذكور وإناث. متاجرُ طعام، ملابسُ بحّارة، ملونةٌ وصاخبة.

هذا الشارع طويل، ويظل المرء يرى فيه مشاهد أصلية، ومن آن لآخر ثمّة ضجة، أعلى من المعتاد، حين ينشب شِجار. على سبيل المثال أنت تمشي قُدمًا، ناظرًا حولك، ثم يفاجئك تشجيع حارّ وأنواع الصياح كافة. في وضح النهار تطردُ امرأة بحّارًا من مبنىً إلى قارعةِ الطريق ويلحقه رجل يستشيط غضبًا وطابور من الفتيات. وهو مرتعبٌ منه إلى حدٍ كبير، على أي حال، رأيته يتخبط بكومةٍ من الأجولة ثم يختفي عبر نافذةٍ إلى المخزن. بمجرّد أن يكتفي المرء من هذه الجلبة، بنهاية مراسي السفن حيث ترسو سفن الهارفيتش والهافر، وبتركك المدينة خلفك، يرى المرء، أمامه، لا شيء، لا شيء البتّة سوى مراعٍ لا نهائية منبسطة ونصف غارقة، حزينة ومبتلّة بشكل لا يصدق، أقصابٌ جافّةٌ ومدلاّة، وحل، والنهر بزورقٍ وحيد صغير، المياه أمامه رمادية، السماء ضبابيّةٌ وباردة، رماديّ، صامتٌ كصحراء.

التأثير الكليّ للميناء أو للمرسى، في أحيانٍ يكون أكثر روعةً وتشابكًا من سورٍ من الشوك، من التشابك حتى إن المرء لا يجد لعينه راحةً، فيُصابُ بالدوار، وتُجبره الألوان المتلألئة والخطوط على أن ينظر هنا وهناك، ولا يقدر على التفريق بين الأشياء حتى بعد التحديق في بقعةٍ بعينها لوقتٍ طويل.

لكن إن ذهب المرء إلى مكان أمامه قطعةُ أرضٍ غير مميزة، يحصل المرء حينها على أجمل الخطوط وأجملها وتلك التأثيرات التي يحصل أحيانا عليها مولز على سبيل المثال. في آنٍ يرى المرء فتاةً وافرة الصحة وكما يبدو فهي مخلصةٌ جدًا ومتحمّسةٌ ببراءة، ثم يرى هيئةً حقودًا بخبثٍ لدرجةٍ أن تخيف المرء كما لو أنه قد رأى ضبعًا. ولن أنسى الوجوه التي افترسها الجدري، بلون الجمبري المسلوق، بعيون رماديّةٍ دقيقةٍ، وبلا حواجب، وبشعرٍ خفيفٍ، دهنيّ، متناثر، بلون شعر الخنزير أو أكثر صفرةً قليلا، النوع السويدي والدنماركي. سيكون من الجيد أن أعمل هنا، لكن كيف وأين؟ لأن المرء قد يواجه المشاكل هناك بسرعة فائقة. بأي حال، فقد تجوّلتُ في العديد من الشوارع والأزقة دون أذى، حتى إنني جلستُ وتحدّثتُ بأريحية مع عديد من الفتيات، اللواتي ظنّنني ملاحًا كما يبدو. ليس مستحيلا أن أعثر على موديلات جيدة عن طريق صنع البورتريهات لهم.

اليوم حصلتُ على أشيائي وعُدَدي، التي انتظرتها بشغف. وهكذا أصبح الاستوديو جاهزًا. لو أنني قابلتُ موديلات جيدة بلا تكلفةٍ فعلية فلن يخيفني شيء. لا أظنه أمرا سيئا أيضًا، أنني لا أملك المال، حتى لا أرغم الأمور على الحدوث بالدفع نقدًا. ربما تكون فكرةُ تصوير البورتريهات واعتبار جلوس الموديل للتصوير هو تكلفة الأمر، ربما تكون هذه طريقةً آمنَة. لأن الأمور في المدينة مختلفةٌ عنها مع الفلاحين. على أي حال. شيءٌ واحدٌ أكيدٌ، أنتويرب هي مكانٌ فريدٌ وجميلٌ بالنسبةِ للرسّام.

الاستوديو الخاص بي محتملٌ إلى حد كبير، خاصةً وقد دبّستُ مجموعةً من الطبعات اليابانية على الجدران، طبعات مسلية إلى حد كبير. تعرفُ تلك الشخوص الأنثوية الدقيقة في الحدائق أو على الشطّ، فرسانٌ، زهور، وغصونٌ شوكيّةٌ متعرّجة.

لقد صالحتُ نفسي مع فكرة الرحيل، وأرجو ألا أكون عاطلا هذا الشتاء.

حسنًا، إن بالي مرتاحٌ لأنني استطعت الحصول على ذلك الجحر الصغير حيث يمكنني أن أعمل في الطقس السيّئ.

ولعله من الواضح أنني لن أعيش في حِجْر التّرفِ هذه الأيام.

اعمل على إرسال رسالتك في اليوم الأول من الشهر، لأن لدي ما يكفي من الخبز حتى ذلك الوقت، لكنني بعدها سأكون في حيرةٍ كبيرةٍ من أمري.

حجرتي الصغيرة ليست سيئةً على الإطلاق، وهي لا تبدو موحشةً بالتأكيد.

الآن وقد أصبحت لدي الدراسات الثلاث التي أحضرتها معي هنا، سأذهبُ إلى تجّار الصّور، الذين كما يبدو يعيشون غالبا في بيوتٍ خصوصيّة، وليس لهم فاترينات في الشارع.

المتنزّه جميل أيضًا. لقد جلستُ هناك للرسم في صبيحةٍ ما.

حسنًا، لم أمرّ بانتكاساتٍ حتى الآن. أنا بخير فيما يخصّ السّكن، فقد حصلتُ على موقدٍ ومصباحٍ بدفع بضعةِ فرنكاتٍ عزيزة زائدة. لن أضجر بسهولة، أؤكّد لك. لقد وجدتَ أيضا عدد "أكتوبر" لـ ليرميتّ، نساءٌ في حقلٍ بطاطس في المساء، رائعة. لم أحصل على نوفمبر بعد. هل بقيتَ على اطلاع على مستجدّات هذا بأي حال؟ لقد رأيتُ أيضا مجلة فيغارو إلّوستريه برسمة رائعة لرفائيلّي.

تعرف أن عنواني هو ١٩٤ شارع ديزيماج، ففضلًا أرسل خطابك إلى هناك، والمجلد الثاني لدو جونكور عندما تنتهي منه.

تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت

من الغريب أن تبدو دراساتي الملوّنة أغمق هنا عنها في الريف، أهذا بسبب أن الضوء ليس ساطعًا في أي مكانٍ في المدينة؟ لا أعرف، لكنها قد تختلف أكثر مما يظن المرء. لقد أدهشني ذلك، وقد فهمتُ أيضًا أن الأشياء التي لديك تبدو أغمق عما ظننتها عليه في الريف. على الرغم من أن الأشياء التي أحضرتها معي لا تبدو سيئة للغاية، الطاحونة، وشارع أشجار الخريف والحياة الصامتة، وبضع دراسات صغيرة.

٥٥٠| انتويرب، الاثنين، ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لعله وقتٌ مناسبٌ لشُكرِكَ على الخمسين فرنكًا التي أرسلتها، والتي تساعدني على المضيّ عبر الشهر، حتى إن كان اعتبارًا من اليوم، فالأمر عاد كما كان مرةً أخرى. ثمة دراسات أخرى قد انتهيت منها، وأظنني أتقدم بقدر ما أرسم. بمجرد ما حصلت على المال حصلتُ على موديل جذابة ورسمتُ رأسًا بالحجم الطبيعي. كل شيء على ما يرام عدا الشعر الأسود. مع ذلك، يقف الرأس منفردًا في الدرجة على خلفيةٍ حاولتُ فيها أن أحصل على لمعة ضوءٍ ذهبية.

ها هو بالمناسبة الطيف اللوني المستخدم، لون لحم متدرّج، برونزيّ أكثر عند الرقبة. شعرٌ أسودُ فاحم، أسود اضطررت لصنعه من القرمزي والأزرق البروسيّ، أبيضُ عكرٌ للسُترة، أصفر فاتح، أفتح بكثيرٍ من الأبيض، للخلفية.

لمسةٌ من الأحمر اللاهب في الشعر الأسود الفاحم وربطةُ رقبةٍ حمراء لاهبةٍ ثانيةٍ في الأبيض المكر. إنها فتاةٌ من أحد مقاهي الموسيقى لكن التعبير الذي كنتُ أبحث عنه يشبه هذا هو الإنسان قليلا. لكن تحديدا حين يأتي الأمر للتعبير، وعلى الرغم من أنني أضيف أفكاري الخاصة، فأنا أجتهدُ لكي أبقى صادقًا، وأرى ما وددتُ الحصول

عليه. حين أتتني الموديل، كان من الواضح أنها قضت ليالِيَ صاخبة، قالت شيئا بدا نمطيًا كليّةً، عن نفسي، فالشمبانيا لا تحمّسني، بل تجعلني حزينًا جدًا.

ثم عرفتُ ما عليّ فعله، وحاولتُ أن أحصلَ على شيءٍ شهوانيّ وحزين في الوقت ذاته.

الآن قد بدأتُ في دراسةٍ ثانيةٍ لها، جانبيّة.

فضلا عن هذا، لقد صنعتُ ذلك البورتريه الذي أخبرتُكَ أنني في نقاشاتٍ حوله، ودراسةً لذلك الرأس لنفسي.

والآن أود لو أصوّر رأسَ رجلٍ أيضًا، في أثناء الأيام الأخيرة من الشهر. إن معنوياتي مرتفعةٌ حقًا، تحديدًا فيما يخصّ العمل، من المفيدِ لي البقاء هنا.

تصور أنه، ومهما كنّ أولئك الفتيات، يمكن للمرء أن يجني ماله عبرهن بهذه الطريقة أسرع من أي طريقة أخرى. لا يمكن نكران أنهن قد يكنّ جميلات، وإنه للحاق بروح العصر فذلك النمط من التصوير هو نمطٌ رابح.

ومن أعلى وجهة نظرٍ فنّية ممكنة، فلا يمكن أيضًا قول شيءٍ ضدّ تصوير الناس، هكذا كان الفن الإيطاليّ القديم، وهكذا أيضًا مييه وبريتون.

السؤال ببساطةٍ هو إن كان المرء سيبدأ بالروح أم بالملابس، إن كان سيسمحُ للشكل أن يكون علاّقة للملابس بالشرائط وربطات العنق، أم إن كان المرء سيعتبر الشكل وسيلةَ تعبيرٍ عن انطباع، عاطفة، أم إن كان المرء سيصوغ لأجل الصياغةِ لأنها جميلةٌ بشكلٍ متناهٍ في نفسها. الخيار الأول فقط زائلٌ، والأخيرَان كلاهما فنّ رفيع.

مما سرّني عميق السرور أن الفتاة التي عملت معي كموديل تريد بورتريهًا منّي لنفسها، ويفضّلُ أن يكون مشابهًا للذي صنعته.

وأنها وعدتني بأن تدعني أرسم دراسةً لها في زي الراقصة بغرفتها، بأسرع ما يمكنها أن تفعل. وهو الأمر المتعذر فعله الآن لأن الرجل في المقهى الذي تعمل فيه

بمعارض عملها كموديل، لكن بما أنها وفتاةً أخرى ستتشاركان في الغرفة، فهي وتلك الأخرى ستريدان بورتريها لكل منهما. وأنا أرجو مخلصًا أن يحدث وأحظى بها ثانية، لأن لها رأسًا مدهشًا وحيًّا. عليّ أن أتمرّن مع ذلك، لأن الأمر يعتمدُ على المهارة اليدوية، ليس لديهن الكثير من الوقت أو الصبر، ولهذا، فالعمل لا بد وأن يكون لا بأس به إن انتهى فعليا في دفعةٍ واحدة، وعلى المرء أن يمكنه العمل حتى عندما لا يجلسن ساكنات. على أي حال، ترى أنني أعمل متحليًّا بالإرادة. إن بعتُ شيئًا وجنيتُ أكثرَ، فسأكون قادرًا على إنفاق المزيد من الجهد فيه.

أما عن بورتييه، فلم أفقد الأمل بعد، لكن الفقر المدقع يعضّني وفي هذه اللحظة يعاني كل التجّار تقريبًا من الداء نفسه، داء أن تكون بشكلٍ أو بآخر من سلالة منسحبة من العالم. إنهم غارقون في الكآبة، وكيف يمكن للمرءِ أن يأتيه الإلهام فيذهب للخربشةِ في الأنحاء بهذه اللامبالاة وهذا الفتور، خصوصًا والداءُ مُعدٍ.

وقولُ إن ما باليد حيلة هو محض هراء، وعلى المرء أن يعملَ في الأحوال كافة منتصبَ القامةِ وبحماسٍ كبير، باختصارٍ عليه أن يعمل بحميّةٍ ما.

أما عن بورتييه، فقد أخبرتَني بنفسك أنه بدأ أول معارض الانطباعيين وقد أغرقه دوران رويل بالعمل. حسنًا، على المرء أن يخلُصَ من هذا إلى أن لديه المبادرة ليس فقط للقول ولكن للفعل أيضًا.

لكن قد يتعلّق الأمر بعمره الذي وصل إلى الستين، وبأي حالٍ، ربما حالته هي إحدى الحالات الكثيرة التي، وحين كان ثمة لوثةٌ باللوحات وكانت التجارة جيدة، فإن عددًا من الناس الفطنين أزيح جانبًا وسط الاحتفال، وكأنهم لم يعنوا شيئًا ولم يكن بمقدورهم فعل شيء، لأنهم لم يستطيعوا أن يحملوا أنفسهم على الثقةِ في دوام اللوثة المفاجئة بالتصوير والارتفاع الرهيب في الأسعار. الآن، حين تعثر العمل، يرى المرء التجار أنفسهم الذين، منذ سنواتٍ، لنقُل منذ عشر سنواتٍ، كانوا مغامرين، وقد باتوا إلى حد ما سلالة منسحبة من الواقع. ولم نصل لنهاية الأمر البعد.

المبادرة الشخصية برأس مال صغيرٍ أو بلا رأس مالٍ أصلا هي ربّما بذرة المستقبل بأي حال.

بالأمس رأيت صورةً لرامبرانت لم أعرفها، وأدهشتني للغاية، كانت لرأس امرأة. سقط الضوء على الصدر، والرقبة، والذقن وأرنبة الأنف، والفك السفلي.

الجبهة والعينان في ظل قبّعةٍ كبيرة بريشات، لعلها كانت حمراء. لعل أحمر أو أصفر أيضًا كان في السترة عارية الصدر. خلفيّةٌ داكنة. التعبيرُ بسمةٌ غامضةٌ مثل بسمة رامبرانت نفسه في البورتريه الخاص به حيث تجلس ساسكيا على ركبته ومع كأس من النبيذ في يده.

بالي مشغولٌ برامبرانت وهالز في هذه اللحظة، ليس لأنني أرى الكثير من لوحاتهما لكن لأنني أرى أنماطا كثيرةً من البشر هنا تذكرني بذلك العصر. أذهبُ أحيانا إلى قاعات الرقص لأرى وجوه الناس، والجنود، والبحارة. يدفع المرء عشرين أو ثلاثين سنتيما ليدخل ويشرب كوبًا من البيرة، فالشربُ يكون قليلا، ويمكنه تسليةُ نفسهِ بشكل كبير طوال المساء، على أقل أستطيع أنا هذا، مشاهدًا الأرواح المنتشية.

ما عليّ فعله، وهو الشيء الوحيد الذي يمكنه يقينًا أن يساعد تطوّري، هو العمل كثيرًا مع الموديلات.

لقد لاحظتُ انخفاض شهيّتي لفترة طويلة وأنني حين استلمت المال منك لم تحتمل معدتي الطعام، لكنني سأعمل على علاج ذلك. ولا يبدّل هذا واقع أن لدي كل الطاقة وصفاء الذهن حين أعمل. لكن حين أكون بالخارج، فالعمل في الهواء الطلق يكون مرهقًا لي وأصبح ضعيفًا للغاية. التصوير شيءٌ مرهقٌ. لكن فان دي لو أخبرني حين ذهبت لزيارته قبل مجيئي هنا، أنني بعافيةٍ جيّدةٍ على أي حال. وأنه لا يجب أن أيأس من بلوغي العمر اللازم لإنتاج أعمال كثيرة. أخبرته أنني أعرفُ عدّة رسّامين، وصلوا إلى الستين والسبعين على الرغم من أعصابهم، وهذا من حسن طالعهم، وأرجو أن أصل إلى هذا أيضًا.

ثمّ إنني أعتقد أن المرء إن طلب السكينة واحتفظ بحماسةٍ للحياة، فسيساعده الإطار العقلي هذا كثيرا. وبهذا الخصوص فقد فزتُ بالمجيء هنا، لأنّ لديّ أفكارًا

جديدة وأساليبَ جديدة للتعبير عما أريده، لأن فُرَشًا أفضلَ ستساعدني، وأنا متحمّسٌ كثيرا بهذين اللونين، القرمزيّ والكوبالت.

إن أبيض الكوبالت لونٌ إلهيّ، وليسَ هناك ما هو أجملَ منه لوضع مساحاتٍ حول الأشياء. القرمزيّ هو أحمر النبيذ، وهو دافئٌ، وروحيّ كالنبيذ.

الكادميوم أيضًا.

شيءٌ بخصوص جسدي أسعدني كثيرا، وهو أن طبيبًا من أمستردام، تحدثت إليه مرةً عن بضعة أشياء كانت تجعلني أظن أنني لن أعيش طويلا ولم أطلب نصحه مباشرة، ولكنني فقط أردت معرفة الانطباع الأول لأحدٍ لا يعرفني مطلقًا، متهزًا فرصةَ وعكةٍ بسيطةٍ أصابتني لأدير دفة الحديثِ إلى بنيتي عمومًا، أسعدني كثيرا بالفعل أن هذا الطبيب ظنني عاملًا عاديًا، وقال: "لا بد أنّ صنعتك الحدادة". وهكذا يمكنك رؤية ما الذي حاولت تغييره في نفسي تحديدا، حين كنتُ أصغرَ عمرًا كان من الواضح أنني أرهقتُ نفسي عقليًا إلى حدّ كبير، والآن أبدو كبحّارٍ أو حدّاد. وتغيير بنية المرء ليصبح متينًا كالجبال ليس أمرًا هيّنًا. مع ذلك، لا بدّ أن أعتني بنفسي، وأعمل على المحافظة على ما لديّ، وأحصلَ على المزيد.

لا بدّ أن تكتبَ لي وتخبرني إن كانت فكرتي تبدو عبثيّةً لكَ، فكرةُ أن المرء قد يخلقُ شجاعةً أكبرَ لو أنه زرع بذرةَ عَمَلٍ.

أما عن العملِ الذي أشتغل عليه الآن، أشعرُ أنّ بإمكاني فعلَ شيءٍ أفضل، أحتاجُ هواءً وفضاءً أكبر مع ذلك. أعني أنه لا بد بمقدوري توسعته قليلا. وفوق كل شيء، فوق كل شيء، لم أحظ بموديلات كافية إلى الآن. يمكنني إنتاج أعمالٍ بجودةٍ أعلى، لكن نفقاتي ستكون أثقل. لكن أليس الأمر كذلك، أليس أحرى بالمرء أن يبحث عن شيءٍ عالٍ، عن الحقيقيّ، عن البارز؟

شخوص النساء التي أراها بين الناس هنا تترك انطباعا هائلا عليّ، كيما أرسمهن وليس لكي أحصل عليهنّ، على الرغم من أنني حقيقةً أحب أن أفعل الاثنين. إنني

أعيد قراءة كتاب دو جونكور ثانية، كتابٌ ممتاز. في المقدمة إلى "حبيبتي" التي ستقرؤها، ثمة تفصيل لكل ما جرى للأخوين دو جونكور، وكيف أنهما في نهاية حياتيهما كانا متشائمين، لكنهما كانا واثقين من مكانتهما، وشعرا بأنهما قد حققا شيئا. وأن عملهما سيدوم. كم كانا عظيمين! إن كان لنا أن نتفقَ أكثر من هذا أنا وأنت، فلمَ لا نصبح نحن أيضًا، عظماء؟

المهم الآن، ولأنني وبعد كل شيء، سأحظى بأربعة أو خمسة أيام من الصوم عن كل شيءٍ تقريبًا بآخر هذه السنة، أرسل خطابك في الأول من يناير وليس بعد ذلك. ربما لن يمكنك فهم هذا، لكنه حقيقي، حين أستلم المال، جوعي الهائل -حتى لو كنت صائماـ لن يكون للطعام، بل سيكون جوعًا أقوى للتصوير، وسأخرج لاصطياد الموديلات فورا، وأستمر في هذا حتى يذهب الجوع. في أثناء هذا، فإن حياتي معلّقةٌ بالإفطار الذي أتناوله مع جيراني، وفنجان القهوة والخبز عند دكان الألبان في المساء. مضافا إلى ذلك، حين أستطيع، فنجان قهوة ثانٍ وخبزٌ عند دكان الألبان للعشاء، وعدا ذلك فبعض خبز الشيلم الذي أحتفظ به في حقيبتي.

ما دمت أصوّر فإن هذا أكثر من كفايتي، لكن حين تذهب الموديلات، يعتريني إحساسٌ بالضّعف.

إنني أحب الموديلات هنا حقيقةً لأنهم مختلفون تماما عن موديلات الريف. وفوق كل شيء لأن الطابع شيءٌ مختلفٌ تماما. والتباين يعطيني أفكارًا جديدة، خصوصًا لدرجاتِ اللّحم.

وما حصلت عليه الآن في آخر رأسٍ ليس مقنعًا لي بعد، لكنه شيءٌ مختلفٌ عن الرؤوس الأولى. أظنّكَ تدركُ بما يكفي أهميّة أن تكون صادقًا حتى يتسنّى لي الكلام معك بحريّة. للدوافع نفسها التي حين أرسم الفلاحات فإنني أريدهنّ أن يكنّ فلاحات، للسبب نفسه، حين يكنّ عاهرات، فإنني أريد تعبير عاهرة.

لهذا السبب تحديدًا أدهشني رأس عاهرةٍ رسمها رامبرانت، لأنه التقط تلك البسمة الغامضة ببراعةٍ لا نهائيةٍ ومع فداحةٍ هو وحده -ساحر السحرةـ يمكنه إنجازها.

الآن فهذا شيءٌ جديد عليّ، وأريد الحصول عليه بأي ثمن. مانيه فعلها وكوربيه أيضًا، حسنًا، اللعنة! فإن لدي الطموح نفسه لأنني، وفضلا عن ذلك، قد شعرتُ بجمال النساء البارع في دراساتٍ صنعها عظماء الأدب، زولا، ودوديه، ودو جونكور، وبلزاك.

حتى ستيفنز لا يقنعني لأنني لا أعرف شيئا عن نسائه. وأظنه لا ينتقي الأكثر إثارة فيهن.

بأي حال، ليكن ذلك ما يكون، أريد التقدّمَ بأي ثمن، وأريدُ أن أكون نفسي.

أشعرُ بأنني عنيدٌ، أيضا، وقد تجاوزت الانشغال بما يقوله الناس عنّي وعن عملي. يبدو الحصول على موديل عارية صعبًا هنا، على الأقل فإن الفتاة التي حصلت عليها لا تريد أن تفعل ذلك.

بالطبع تلك الـ "لا تريد" نسبيّةٌ على الأرجح، لكن بأي حال لا بد ألا تؤخذ على أنها طبيعة الأمور. الأمر هو أنها ستبدو بارعة الجمال. من وجهةِ نظر العمل، لا يمكنني قول شيءٍ سوى، إننا في هذا الوقت الذي أخذ الناس في تسميته "نهاية عصر"، فللنساء سحرٌ كما في أوقات الثورات، ولديهن الكثير ليقلنه بهذا الخصوص، ولو عمل المرء بدونهن، فسينسحب من العالم.

الأمر نفسه في كل مكان، في الريف وفي المدينة، على المرء أخذ النساء في الاعتبار إن كان يريد مواكبة الزمن. إلى اللقاء، أجمل الأماني للسنة الجديدة. مع مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٥٢ | انتويرب، بين الثلاثاء، ١٢ والسبت، ١٦ يناير ١٨٨٦
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

الأحد الماضي، شاهدتُ لوحتي روبنز الكبيرتين للمرة الأولى، ولأنني كنت قد شاهدت لوحاته الأصغر مرارًا في المتحف كما يحلو لي، فإن هاتين -الهبوط عن الصليب، ورفعَ الصليب- كانتا أكثر إثارةً بسبب ذلك. ثمّة شيءٌ عجيبٌ في "رفع الصليب" استرعى انتباهي لأول وهلة، هو عدم وجود شخوص أنثوية فيها. عدا على اللوحين الجانبيين للّوحة الثلاثية. وعليه فهي ليست أفضل بهذا. دعني أخبركَ أنني أحب "الهبوط عن الصليب". لكن ليسَ لعمق العاطفة، الذي قد يجده المرء في لوحة لرامبرانت أو لديلاكروا، أو مييه.

لا شيءَ يحركني أقل من روبنز حين يأتي الأمرُ للتعبير عن الحزن الإنساني. دعني أبدأ بقول -لأجعل قصدي واضحًا- إنه حتى أجمل رؤوسه لمريم المجدليّة الباكية أو أم الأحزان، تذكرني دائما بدموع عاهرةٍ جميلةٍ أصيبت بالسيلان، مثلا، أو أيٍ من مشكلات الحياة الإنسانية الحقيرة، بهذه الرؤية فهي أستاذية، لكن لا يحتاج المرء للبحث عن أي شيءٍ آخر فيها. روبنز يتفوق في تصوير النساء الجميلات العاديّات. لكنّ تعبيره ليس دراميًا. قارنه مثلا برأسٍ رامبرانت في مجموعة لا كازه، أو بشخص الرجل في العروس اليهودية، ستفهم ما أرمي إليه، أن يقوم رفاقه الثمانية الرائعون بتأدية دور القوة رافعين الصليب الخشبي في "رفع الصليب" يبدو عبثيًا بالنسبة لي بمجرد أن أنظرَ إليهم من وجهة نظر التحليل الحديث للعواطف والشغف الإنساني. وهو في تعبيراته، خصوصًا في الرجال (عدا البورتريهات بطبيعة الحال) فإن روبنز سطحي، أجوف، فارغ -نعم- وتقليدي ولا شيء في الوقت ذاته، مثل جيوليو رومانو بل وكرسّامي حقبة التهتّك السيئين.

لكن بأي حال، تعجبني لأنه تحديدا، روبنز، الذي يطلبُ تعبيرًا عن مزاجٍ من البهجة، والسكينة، والحزن، ويحقق ذلك بالفعل، بتركيب الألوان، حتى إن جاءت شخوصه جوفاء في بعض الأحيان... إلخ.

هكذا ففي "رفع الصليب"، حتى البقعة الباهتة، والجسد عاليًا، مع نبرة خفيفة. تصنع دراما في سياق تباينها مع بقية اللوحة، التي تم ضبطها لتكون هادئة.

وثمة أمر مشابه، ولكن برأيي أكثر جمالاً بمراحل، هو السحر الذي في "النزول عن الصليب"، حيث تتكررّ البقعة الباهتة بالشعر الأشقر، والوجوه الشاحبة. ورقاب الشخوص الأنثوية، بينما يكون المحيط الجهِم غنيًا بكثافة بسبب تلك الكتل المتنوعة المنخفضة، التي تجتمع بالدرجة، درجة الأحمر، والأخضر الداكن. والأسود. والرمادي، والبنفسجي.

وقد حاول ديلاكروا مرة ثانية أن يجعل الناس تؤمن بسيمفونيات الألوان. بلا طائل، قد يفكر المرء، حين يحكم وفقًا لإجماع الآراء تقريبًا أن اللون الجيد يعني صحة اللون الموضعي، الدقة محدودة الذكاء، التي لم يتخذها هدفًا لا رامبرانت، ولا ميه. ولا ديلاكروا، ولا أيٌّ ممّن أحب ذكرهم. لا مانيه ولا كوربيه حتّى، لم يتخذوها هدفًا أكثر مما فعل روبنز وفيرونيز.

لقد شاهدتُ أيضًا عدة لوحات متنوعةٍ... إلخ، لروبنز، في عدة كنائس. إن دراسة روبنز مثيرة للاهتمام تحديدًا لأنه بسيطٌ بشكلٍ عالٍ في تقنيته أو يبدو كذلك. يفعل الأمر بجهدٍ قليل، ويصوِّر، وفضلا عن هذا يرسمُ أيضًا، بيدٍ خفيفةٍ وبلا أي تردّد. لكن البورتريهات ورؤوسَ وشخوص النساء، هي نقطة قوته. فهناك يكون عميقًا وحميمًا، أيضًا. وكم ظلّت لوحاته طازجةً تحديدًا بسبب بساطة التقنية.

الآن ماذا بعدُ عليّ أن أخبرك به؟ أنني أشعر بميل متزايدٍ، دون اندفاع، أي دون اندفاعٍ متوتّرٍ، لإعادة القيام بدراساتي للشخوص مرة أخرى ومن البداية بهدوء جم وبرود. أود لو أصل إلى نقطةٍ في معرفة الجسد العاري وبنية الشخص بحيث يمكنني العمل من الذاكرة. أود العمل إما مع فيرلات وإما في استوديو آخر لبرهة، وبالنسبة للبقية فسأرسم من الموديلات لنفسي بأكثر ما يمكنني. في وقتنا الحالي فقد تركت خمس لوحاتٍ، بورتريهين، ومنظرين طبيعيّين، وطبيعة صامتة، مع فصل فيرلات للتصوير بالأكاديمية. لقد زرتهم للتوّ ثانية، لكن في كل مرةٍ لا أجده هناك. لكن سيصبح

بإمكاني قريبًا أن أخبرك بما تم حيال هذا الأمر. وأرجو أن أرتِّب الأمر بحيث يمكنني تصوير الموديلات في الأكاديمية طيلة النهار، الأمر الذي سيجعل الأشياء أسهل بالنسبة لي، بما أن الموديلات باهظة الثمن ولا يمكنني الاستمرار بهذه الطريقة.

ويجب أن أجد طريقة لجلب المساعدة بهذا الخصوص.

بأي حال أظنني سأبقى في أنتويرب نفسها لفترة، بدلا من العودة إلى الريف. سيكون ذلك أفضلَ من تأجيل الأمر، وثمة فرصٌ أكثر بكثيرٍ هنا لإيجاد أناسٍ مهتمّين بالأمر. أشعرُ بشجاعة كافية لفعل شيء ويمكنني فعل شيء، وقد كانت الظروف عصيّةً طوال الفترة الطويلة الماضية. إنّكَ تغضبُ حين أعلّق، أو قد لا تلاحظ تعليقي بالمرّة، وكل البقية التي نعرفها، على الرغم من ذلك فإنني مؤمن بأن وقتًا سيأتي وستُضطر للاعتراف بكونك كنت ضعيفًا للغاية في ضمانة حصولي على بعضٍ من حقّي مع الناس.

لكن بأي حال، إننا نواجه المستقبل، وليس الماضي. وثانيةً، فأنا مؤمنٌ بأن الزمن سيأتي لك بإدراك، أن الدفء والمودة بيننا لو كانا أكبرَ، كنا بدأنا عملنا الخاص معًا. حتى إن ظللتَ مع جوبيل وسي. فقد قلتَ لي، بالفعل، أنك تعرف جيدًا أنه لا شكرَ سيأتي مقابلَ تعبك، لكن هل أنت واثقٌ للغاية أن ذلك ليس سوء فهمٍ مثل سوء الفهم الذي واجهه والدنا في عمله؟ بأي حال لن أواجه هذا، يمكنك أن تثق بذلك. فالكثير أمامي لأفعله، حتى في هذه الأيام.

شاهدتُ في الأيام الماضية مقطعًا من كتاب زولا الجديد للمرة الأولى، "العمل"، والذي يُنشَرُ مسلسلًا في دورية "جيل بلا". أظن هذه الرواية ستنجح لو فهمها عالم الفن قليلا. لقد رأيتُ المقطع الذي قرأته واقعيًا جدًا.

عن نفسي فسأعترف بأننا نحتاج إلى شيء آخر حين نعمل من الطبيعة بشكل مُطلَق، سهولة التكوين، معرفة الشخص، لكن علاوة على كل هذا، لا أظنني قد عانيت كل هذه المشاكل لسنوات هباءً. أستشعرُ قوةً معيّنةً فيّ لأنني، وحيثما ذهبت، فسيكون لديّ هدفٌ، تصويرُ الناس كما أراهم وأعرفهم.

أما إن كنا قد سمعنا عن نهايةَ الانطباعية، فلنبقَ لصق المصطلح: الانطباعية، لم أزل أتصور الكثير من القادمين الجدد يبرزون من خلال تصوير الشخوص بالذات،

ثم إنني بدأت بالتفكير بأنه من المرغوب تماما في أوقاتٍ صعبةٍ كالحاضر أن يبحث المرء عن خلاصه تحديدًا بالغوص في الفن الرفيع. فنسبيًا ثمة أرفع وأدنى، الناسُ أكثرُ من البقية، وبهذا الخصوص فهم أصعبُ كثيرا في تصويرهم، أيضًا.

سأبذل قصارى جهدي لإنشاء علاقاتٍ هنا، وأظن أنني لو عملتُ لبرهةٍ مع فرلات، مثلا، فسأكون في موقعٍ أفضلَ لمعرفةِ ما يجري هنا، وماذا علي فعله، وكيف يمكن فعله.

إذن دعني أخربش هنا وهناك، وبحق السماء لا تفقد ثقتك أو تضعف. لا أظنّ أنه من الحكمة أن تطلب مني الآن العودة إلى الرّيف من أجلِ توفير خمسين فرنكًا في الشّهر، حين يكون مستقبل السنوات القادمة متوقفًا على الصلات التي عليّ تأسيسها في المدينة، سواءً هنا في أنتويرب، أم لاحقًا في باريس.

وأرجو لو يمكنني حملك على فهم كم هو سهلٌ رؤيةُ أن الصنعة في سبيلها إلى التغير بشكل كبير. وبالتالي ستكون ثمة فرصٌ جديدة وعديدة، إن استطاع المرء أن يأتي بشيءٍ أصيل. سيكون ذلك ضروريًا إن أراد المرء فعلَ شيءٍ مفيد. ليس خطأً منّي أو جريمةً حين أخبرك أن عليكَ وضع المزيد من الجهد في هذا أو ذاك، وإن لم نحز هذا بأنفسنا فسنُضطرّ لإيجاد أصدقاءَ ومعارفَ جدد. عليّ أن أكسبَ أكثر أو أن أحصل على أصدقاء أكثر، يفضلُ الاثنان. هذه هي الطريقة للوصول إلى هناك، لكن الحياةَ كانت صعبةً عليّ مؤخرًا.

أما بخصوص هذا الشهر، فإنني حقيقةً وبالتأكيد أصرُّ على أن ترسل إلي خمسين فرنكًا أخرى.

فقدتُ الكثيرَ من وزني هذه الأيام، وفضلا عن هذا فقد صارت ملابسي شديدة الرثاثة... إلخ. أنت تعلم جيدًا أن هذا لن يكفي. بأي حال، لدي قدرٌ من الثقةِ أن بإمكاننا عبور هذا.

لكنّك قلتَ إنني لو مرضتُ فسنكون في حالٍ لا نُحسدُ عليها، أرجو ألا يصل الأمر لهذه الحال، لكنني أود لو توفّر لي بعض الراحة، تحديدًا لأتجنبَ هذا.

بأي حال، حين يفكر المرء بعدد الناس الذين يعيشون بتراخ دون أي همّ يخص الحياة، والذين يفكرون دائما أن كل شيءٍ سيؤول إلى الأحسن. وكأن الناس لا تهلك ولا تُباد.

إنني ألقى معارضةً في نفسي تتزايدُ لتصورّك عن نفسك كمموّل، فأنت مثلًا تُفكر عكسي تماما.

ليس الناس متشابهين، وإن لم يستطع المرء حساب ذلك، ففوق كل شيء، سيمرّ زمنُ الحسابِ قبل أن يتأكد المرء أنه قد حسب الأمر بطريقة صحيحة، إن لم يمكن للمرء رؤية هذا، فهو ليس بحاسبٍ. والرؤية الأوسع للتمويل هي تحديدًا ما يميّزُ المموّل الحديث. هذا أشبه بقولِ إنهم لا يستغلّون، لكن يمنحون حريّة الفعل. أعرفُ، يا تيو، كيف أنّك قد تكون تحت ضغطٍ كبير على الأرجح. لكنك لم تمرُرْ في حياتك بالصعوبات التي لاقيتها في العشر أو الاثنتي عشرة سنة الماضية على التوالي. ألا يمكنك أن ترى كم أنا محقّ حين أقول هذا الآن، ربّما، لقد مرّ وقتٌ طويل، وفي خلاله تعلمتُ شيئًا لم يمكنني تعلّمه قبلا، فتجددت كل الفرص، وأنا الآن أقف ضد هذا، ضد أن أُهمَل. ولو أن أمنيتي الآن أن أمكثَ هنا مرةً ثانية في حياة المدينة لبرهة، ثم أذهبُ ربّما إلى استوديو في باريس، فهل ستحاول منعها؟ كن عادلا بما يكفي لتركي أمضي قدُمًا، وأقول لكَ، أنا لا أبحث عن عراكٍ ولا أريده، لكنني لن أسمح أن تنسدّ سبل مهنتي. وماذا يمكنني أن أفعل في الريف، إلا إن ذهبتُ إلى هناكَ بمالٍ كافٍ للموديلات والألوان؟ لا توجد فرصٌ في الريف، ولا فرصة واحدة، لجني المال من عملي، وهذه الفرصة موجودةٌ في المدينة. لذا فلن أكون مؤمّنًا حتى أصنع أصدقاءَ في المدينة، وهذا هو ديدن العصر. قد يصعّب هذا الأمور قليلًا في الوقت الحالي لكنها الطريقة الوحيدة، وبأي حال، العودة للريف الآن ستنتهي بالركود.

بأي حال، تحياتي، كتابُ دو جونكور جيد.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٥٥ | انتويرب، نحو الخميس، ٢٨ يناير ١٨٨٦
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

لقد مرّ وقتٌ طويل كان علي فيه أن أؤكد استلامي لخطابك والمرفق به. أما بالنسبة لخطابك، فالحال كما هو، وبالنسبة لي حين تصدرُ أحكامك عليّ فإنك تعتمدُ أكثر من اللازم على التعميمات والأحكام المسبّقة التي هي سطحيةٌ للغاية وخطئةٌ لدرجةٍ أنني لا أصدق كيف تطلقها دائمًا.

ولهذا السبب تحديدًا، أعتقدُ أنه وفي أي حال لن يكون من الضرر أن نلتقي في باريس بعد برهة.

لقد أمضيتُ أسبوعي هذا منشغلا بشدّة، فبجانب صفّ التصوير، فإنني أرسمُ في الأماسيّ، ثم بعد هذا أذهبُ وأعمل من موديل في نادٍ من التاسعة والنصف وحتى الحادية عشرة والنصف. فقد أصبحتُ عضوًا في ما لا يقلّ عن ناديين من هذه النوادي. وأعرفُ رفيقين يرسمان جيدًا بالنسبة لي، كلاهما هولندي. في هذا الأسبوع رسمتُ شيئًا كبيرًا بجذعين عاريين، مصارعين، الوضعُ اقترحه فرلات. وأحب فعل ذلك حقًا.

الشيءُ نفسه يسري أيضًا على الرسم من المنحوتات الأثرية، لقد انتهيت الآن من شخصين كبيرين. وبأي حال فإن لذلك أمرين في صالحه، أولا، أنه يثير اهتمامي بشدّة، فبعد رسمي للموديلات بالملابس لسنوات، يمكنني رؤية العري والتماثيل القديمة ثانية لأتحقق من الأشياء.

وعلاوة على هذا، وكيما يسمحُ للمرء بدخول أي مكانٍ في باريس على المرء زيارةُ مكانٍ آخر يفقدُ فيه خشونته. على المرء أن ينافس من عملوا بالفعل في الأكاديمية لفترة ما.

ما يقوله فرلات لي حادٌّ جدًا، وحادٌّ أيضًا ما يقوله فنك، الذي يدرس في صفّ الرسم، وهما ينصحانني فوق كلّ شيء بأن أرسم، وإن كان ضروريًا فعليّ ألا أفعل شيئًا آخر سوى الرسم من المنحوتات العتيقة والعراة لمدة عام على الأقل، وأن هذا سيكون الطريق الأقصر، وأنني سأعودُ إلى عملي الآخر على البورتريهات والمناظر الطبيعية شخصًا مختلفًا.

وأظنهما محقّين، لذا فعليّ العمل على المكوث بمكان ما حيث يمكنني الوصول إلى المنحوتات والموديلات العاريات بدايةً.

أمهرنا في الصف فعل ذلك أيضًا، وقال إنه شعر بتقدّمه قليلا مع كلّ دراسة، وقد أتيحت لي رؤية هذا بنفسي في أشياء فعلها مسبقًا وأشيائه الأخيرة.

أظنكَ ستتذكّر:

لا يبدأ الإغريقُ من الخط الخارجي، بل يبدؤون من المراكز، من الألباب.

جيريكو أخذ هذا من جروس، والذي أخذه بدوره عن الإغريق، لكن جيريكو نفسه ودّ لو أخذه من الإغريق أيضًا، وقد درسهم لهذا السبب تحديدًا، بعد ذلك فعل ديلاكروا ما فعله جيريكو نفسه.

هذا السؤال، مييه يرسم كهذا أيضًا، أكثر من أي شخصٍ آخر، ربما هذا هو جذر كل تصوير للشخوص، وهو متصل بشدة بالصياغة عن طريق الرسم مباشرةً بالفرشاة، مفهومًا بشكلٍ مختلفٍ كليةً عن بوجيرو والآخرين، الذين يفتقرون إلى الصياغة الداخلية، وهم مسطحون مقارنةً بجيريكو وديلاكروا، ولا يذهبون لما وراء اللون.

وفيما يخص أعلاه، فإنه وفي لوحات جيريكو... إلخ، لدى الشخوص أظهُر، حتى إن رآها المرء من الأمام، ثمة هواءٌ حولها، ما وراء اللون. وللبحث عن هذا فإنني أعمل، وهو ما لا أريد حتى أن أحدث فيه فرلات أو فنك، فلا يوجد احتمال أنهما قد يعلماني هذا، لأنه الخطأ لدى كليهما في اللون، الذي -كما تعلم- ليس صادقًا مع أيٍّ منهما.

من الغريب أنه حين أقارن دراستي بدراسات الآخرين، لا أجدُ شيئًا مشتركا بينها. فلدراساتهم لون اللحم نفسه تقريبًا، وعليه تبدو دقيقةً للغاية عن قرب، كل هذا الوردي والأصفر الرقيق... إلخ. إلخ. الغضُّ في ذاته، ينتجُ تأثيرًا جامدًا.

الطريقة التي أفعلها بها، قريبًا من أحمره المخضر، الأصفر الرمادي، الأبيض، الأسود والكثير من الألوان الحيادية، وفي الأغلب ألوانٌ لا يمكن للمرء تسميتها. لكن إن أخذ المرء خطوةً إلى الخلف قليلا فهي بحق تتجاوز اللون، ثم إن هناك هواءً حولها وضوءًا مقيّدًا ومموجًا يسقط عليها. في الوقت ذاته، فإن أقلّ مسحةٍ من اللون يمكن للمرء أن يصقلها بها تكون معبّرةً.

لكن ما تفتقر إليه هو، الممارسة، يجب أن أصوّر خمسين أو نحو ذلك منها، أظنني سأحصل على شيءٍ ما حينها. أجعلُ عملية وضع اللون عسيرة جدًا لأنني لم أتقن طريقتها بما يكفي، يجب أن أبحث مطوّلا، وأعمل حتى الموت. لكن هذه مسألة تتعلّقُ بالاستمرار في التصوير لفترة، فحين يجعلها المرء ثابتةً في عقله ستصبح اللمسة مؤثرةً مباشرةً.

رأى بعض الزملاء رسومي، وبعد أن رأوا شخوص الفلاحين الخاصة بي بدأ أحدهم رسمَ الموديل فورًا في درس الطبيعة الحية بصياغةٍ قوية، واضعًا فيها الظلال بقوة.

عرض علي الرسمَ وتكلمنا عنه. كان مليئا بالحياة وكان أجمل رسمٍ رأيته لأحد الرفاق هنا. الآن أتريد أن تعرف رأيهم فيه؟ المعلّم، سيبردت، أرسل في طلبه وقال إنه لو جرؤ على فعل ذلك ثانية بالأسلوب نفسه فسيعتبره سخرية من المعلّم. ودعني أخبرك أنه كان الرسم الوحيد الذي صُنعَ بكَرَم، مثل تسَيرت أو جافارني.

وهكذا يمكنك رؤية الحال. لكنه ليس سيئاً، مع ذلك، ولا يجب أن يغضب المرء منه، ويجب أن يظلّ هادئا، كما لو كان يودّ أن يتحرر منه، ذلك الأسلوب الرديء، لكن لسوء الحظ يظل يسقط فيه ثانية.

الشخوص التي رسموها، غالبًا ما يكون أعلاها ثقيلا، ومائلةً إلى الأمام، ومتعجلةً، ولا شخص واحدًا منهم يقف على قدميه.

وهذا الوقوف، يجب حقيقةً أن يكون هناك منذ التصميم الابتدائي.

بأي حال، أنا مسرورٌ حقًا للمجيء هنا، مهما صار الأمر ومهما حدث، سواءً اتفقت مع فرلات أم لا. لقد وجدتُ احتكاك الأفكار الذي أبحث عنه هنا، ولدي عينٌ جديدةٌ على عملي، ويمكنني الحكم بشكل أفضل على نقاط الضعف وعليه يمكنني التقدم لتصحيحها.

ما أطلبه منك بصدق لأجل أن تسير الأمور جيدًا، هو ألا تفقد الصبر، وفوق كل شيء ألا تفقد تفاؤلك، فنحن سنحكم على أنفسنا بالذبح لو خذلتنا شجاعتنا تحديدا حين تقدم لنا اللحظة نفسها لتعيننا على اكتساب درجة من التأثير إن أرينا الآخرين أننا نعرف ما نريد، ونجرؤ على العمل ويمكننا الاستمرار فيه.

أما بالنسبة للمال، لو أنني عملتُ في استوديو ووفّرتُ بهذه الطريقة جزءًا جيدًا من تكلفةِ الموديلات، فحتى حينها لن تكون مائة وخمسون فرنكًا كثيرة، لأن التصوير باهظ الثمن، لكن يمكن فعل ذلك، واضعين بالحسبان أن المرء يقتصد في الطعام... إلخ.

لو أن على هذا المبلغ تغطية الموديلات، فمائة وخمسون فرنكا بالتأكيد لن تكفي ولا يمكن فعل ذلك، وبهذا يضيّع المرء وقته... إلخ.

لذا ففي الوقت ذاته من الأرخص البقاء في استوديو، لأنه ولإنجاز دراساتٍ عارية أكثر، وفوق كل شيء، فإنه ليس من الممكنِ أن يدفع المرء بنفسه تكلفة الموديلات.

لا أعتبره مستحيلا وحين يأتي الوقت ـخاصة لو أن بعض الرفاق لم يستطيعوا منع أنفسهم من وضع ظلال أقوىـ فيبدأ فيرلات أو شخصٌ آخر أخذ صفي، حتى لو

كنتُ أتفادى ذلك بشكل منهجي، وهو الأمر الذي سأفعله بانتظام لأنه في صالحي المكوث هنا لبرهة.

بأي حال، لدي فضول عمّا سيحدث بخصوص شقّتك. أما عني، فإن أتيتَ فسأقنعُ تمامًا بأخذِ غرفةٍ صغيرة وزهيدة الثمن أو حتّى عُلّيّةِ فندقٍ بحيّ ناء (مونمارتر). لكن هذا كثيرٌ جدًا بالمناسبة ولم نصل إليه بعد. لنبقَ هنا لفترة أولا، ثم، ليأتِ كل شيءٍ في وقته. الفصلُ الشتويّ سينتهي في الواحد والثلاثين من مارس.

تحياتي.

المخلص لك»

فنسنت

٥٥٨ | انتويرب، نحو الخميس، ٤ فبراير ١٨٨٦

إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

كنت قد كتبتُ لكَ أول أمس أنني من جهةٍ بعيدٌ كل البعدِ عن أن أكون بخير، لكن من جهةٍ أخرى فمع ذلك يمكنني رؤية بعض النور.

بأي حال، أنا آسفٌ لأن أخبركَ بشكلٍ قاطع أنني وبكل تأكيدٍ مستنزف القوى حرفيًا. حين تظنني قد ذهبتُ للعيش في المرسم الخاص بي منذ الأول من مايو، منذ ذلك الوقت ربّما لم أحظَ إلا بست أو سبع وجباتٍ غداء. ولا أريدك أن تخبر أمي أنني لست بخير لأسبابٍ وجيهة، لأنها على الأرجح ستعتبرُ أن ما قد حدث ليس جيدًا، أي إنني لم أمكث هناك، وتحديدًا بسبب تلك العواقب. لن أقول أي شيءٍ حول الأمر، ولا تقل أنت أيضًا. لكنني عشتُ وقتها، ومنذ ذلك الوقت، هنا، بلا طعام

لأن تكلفة العمل باهظة وقد اعتمدتُ أكثر من اللازم على فكرةٍ أنني يمكنني أن أبقى على هذه الحال.

ما يقوله الطبيب هو إن علي تحسين عيشي، وإن علي الاعتناء بنفسي بالخصوص والمحاذرة من الكدّ الشديد حتى أتحسّن. إنها حالة من الضعف التام. وقد ساء الأمر لأنني أدخّن كثيرًا، وهو ما أفعله لأنه حين تدخن لا تزعجك معدتك الخاوية.

بأي حال، يقولون إن على المرء اختبار الأيام العجاف، وقد حصلت على نصيبي منها. الأمر لا يقتصر على الطعام، فثمة أيضًا كل القلق والحزن اللذين لدى المرء.

أنت تعرفُ أن وقتي في نيونن، ولعدة أسباب، لم يكن خاليًا من الهموم. أما عن هنا، فأنا سعيدٌ حقًا بمجيئي إلى هنا، لكنها أوقاتٌ صعبةٌ بدورها.

ما علينا فعله، وما نفتقر إليه، هو هذا: دفع تكلفة الباهظة للموديلات بأنفسنا. وما دام المرء لم يتوفر لديه المال الكافي، فيجب أن يقتنص الفرص في الاستوديوهات، مثل لدى فرلات، أو كورمون. ويجب أن يرتاد المرء عالم الفنّ ويعمل في النوادي حيث يمكنه تشارك تكلفة الموديلات.

قد أكون لم أفكر في هذا قبلا، أو لم أفعله على الأقل، لكنني الآن أتمنى لو كنت بدأته منذ عام. إن أمكننا الآن إيجاد طريقةٍ للعيش معا في مدينة واحدة فسيكون ذلك أفضل لنا، على الأقلّ في الوقت الحالي.

لكنني حين أفكر كثيرًا في الأمر، أجد أنه من الأفضل عدم إنفاق الكثير على استوديو في السنة الأولى، لأنني سأضطر في الأغلب لأن أرسم كثيرًا في هذه السنة الأولى.

لأنه وعلى ذكر كورمون، أتصوره سيخبرني بما أخبرني به فرلات، أن عليّ أن أرسم العاريات أو القوالب الجصيّة لمدة عام، تحديدًا لأني كنت أرسمُ من الحياة دائما.

وليس هذا مطلبًا عسيرًا في الحقيقة، لأن ثمة أناسًا هنا في الفصل الدراسي منذ ثلاث سنوات ولم يُسمَح لهم بالتوقّف بعد، وهم رسّامون أيضًا.

في تلك السنة علي التمرّسُ في تصوير الشخص الذكر والأنثى، تفصيلا وإجمالا، ثم حينها سأحفظهما عن ظهر قلب، كما يكون. الرسم نفسه، تقنيًا، سهلٌ بالنسبة لي، لقد صرتُ أستطيعه كما يستطيع المرء الكتابة، بالسهولة نفسها. لكن تحديدا عند تلك المرحلة يصبح الأمر أكثر إثارةً، فالمرء لا يعود راضيًا عن السهولة التي يكتسبها تدريجيًا لكنه يبحثُ عن الأصالة وسعة المفهوم. راسمًا الكتل بدلا من الخطوط الخارجية. صياغةٌ متماسكة. ويمكنني أن أطمئنك أنها ليست علامة سيئةً أن يطلب أناس مثل فرلات وكورمون ذلك من أحدهم. فثمة الكثير من الطلبة لدرجة أن فرلات يغادر ببساطةٍ ليتخلص منهم لأنهم ليسوا أناسًا مناسبين للشخوص السامية. إنك تتحدث عن المهرة في استوديو كورمون. وتحديدًا لأنني بحق اللعنة أريد أن أكون منهم، فإنني أورط نفسي مقدمًا، خارجَ قناعاتي، في مطلب قضاءِ سنة على الأقل في باريس لأرسم بشكل رئيسي عن العاريات والقوالب الجصّية. أما عن البقية، فلندع يدنا تفعل ما تستطيع فعله في أسلوب التصوير، لو أن تأثيرًا من الهواء الطلق أدهشنا أو حدث وحصلنا على موديل جيد... إلخ.

ولا تظن أن تلك هي الطريق الطويلة، لأنها الطريق القصيرة حقًا. فإن أحدًا يمكنه رسم شخصٍ من الذاكرة سيكون أوفرَ إنتاجيةً من أحدٍ لا يستطيع ذلك. وبتجشمي عناء الرسم طوال تلك السنة، سترى كم أصبحنا منتجين.

ولا تظن أيضًا أن السنين التي أمضيتها مشتغلا في الهواء الطلق قد ضاعت. فالشيء الذي يفتقر إليه الناس الذين لم يعملوا بأي مكانٍ سوى الأكاديميات والاستوديوهات المقفلة، هو تحديدا تلك النظرة للواقع الذي يعيشونه، وطريقة البحث عن المواضيع... إلخ.

ألن يكون من الحكمة أن نؤجل إيجار استوديو على الأقل لستة الأشهر الأولى، تحديدًا لأن الأمر كله يعتمد على المال؟ لكنني من جهة أخرى أحب فكرة إنشاء

استوديو كثيرا، كثيرًا جدًا. حتى إن لزم الأمر أن أتعاون مع رسامين آخرين لاستخدام الموديلات معا. كلما زادت الطاقة كان الأمر أفضل. وفي الأوقات العسيرة، لا بد أن يبحث المرء عن مخارج في الصداقة والتعاون.

لكن يا تيو، إن الركود في سوء المزاج شيءٌ نتن، أنا آسفٌ للغاية، لكنني لا أزال أمتلك المعنويات العالية. سيتحسّن الأمر. وأنت تفهم أنه كان سيسوء أكثر فأكثر إن أجلتُ التصرف حياله.

ظني هو التالي، لا يجب أن يفكر المرء أن الناس ذوي البنى المتضررة، تماما أو جزئيًا، ليسوا بلائقين للتصوير. من المرغوب أن يحيا المرء حتى الستين على الأقل، ومن الضروري أن يبقى إلى الخمسين، لو كان قد بدأ وهو في نحو الثلاثين عاما.

لكن ليس من الضروري أن يكون بصحةٍ جيدة للغاية، فقد يصاب بأنواع المصاعب كافةً. والعمل لا يتضرر دائما لتلك الأسباب، بل على النقيض، العصبيون أكثر حساسية وأرفع ذوقًا. لكن يا تيو، تحديدًا لأنه في حالتي صار من الواضح أن صحتي تترك لي شيئًا ناقصًا، فقد قررتُ أن أركز جهدي خصوصا على الشخوص السامية وأن أحاول رفع ذوقي.

لقد ضربني المرض دون سابق إنذار، وعانيت الضعف والحمى، لكنني استمررت بالعمل. لم يقلقني الأمر إلا حين بدأت أسناني بالتكسّر واحدًا تلو الآخر. وبدا مظهري أسوأ فأسوأ. بأي حال، سنعمل على تصحيح هذا.

أظن أن إيجاد من يعتني بأسناني سيكون ذا نفع كبير لأنه، وبما أنني شعرت بألم في فمي في أغلب الأحيان، فقد بلعتُ طعامي سريعًا دون مضغ. وقد يساعد هذا على تحسين مظهري، على الأقل بشكل طفيف.

أما عن الشهر الجاري، فقد دفعتُ خمسة وعشرين فرنكًا مقدمًا لغرفتي، وثلاثين فرنكًا مقدما لطعامي، وخمسين فرنكًا لطبيب الأسنان، أيضًا زيارةٌ للطبيب وبعض مواد الرسم، ما يُبقي معي ستة فرنكات.

الأمر المهم الآن في الشهر الجاري هو ألّا أمرض، وهو أمر ليس مضمونًا، وقد يحدث على الأرجح. لكن سنرى، لا أزال أظن أن لدي عافيةً كتلك التي للفلاحين، الذين لا يأكلون طعامًا مميزًا ويواصلون العيشَ والعمل. لذا لا تقلق حيال هذا كثيرًا. إن استطعت إرسال زيادةٍ، حسن، إن لم تستطع فسأنتظر بهدوء وأرى ماذا ستؤول إليه الأمور. ما لا أحبه هو كوني محمومًا، وأفكر في الأمر بهذه الطريقة: على الرغم من كوني ضعيفًا، فقد حرصت ألّا آكل طعامًا سيئًا. وألا أنهك نفسي كثيرًا، لأنه وعلى الرغم من كل شيء، أحافظُ على معنوياتي مرتفعة دومًا، لذا فبسبب ضعفي أصاب بالإنهاك. يبدو لي أن الأمور ستحل نفسها بنفسها.

لعلك تفهم، أن الأمور إن ساءت، واتخذت منحنًى خطِرًا، فسيكون على المرء أن يجابه التيفوس أو حمى التيفود على أقل تقدير.

وفي الواقع فإن الأسباب التي تدعوني لئلا أتوقع حدوث هذا هي كما يلي، ١ أنني أحظى بكمٍّ كبير من الهواء النقيّ، و٢ أنني وكما أسلفت، فعلى الرغم من أنني يقينا لم آكل جيدًا، فقد عمدتُ لتناول طعام بسيط جدًا عوضًا عن القذارة التي تُقدَمُ في المطاعمِ الرخيصة، و٣ أنني أتحلى بدرجةٍ من السكينةِ والهدوء في مواجهة الأمور.

لذا فعلينا أن ننتظر لنرى. لا تقلق حيال الأمر، لأنني لستُ قلقًا، وإنني موقنٌ من أنني حتى لو أصبتُ بالحمى، فقد أكلتُ وعشتُ عيشًا أبسطَ من أن تصبح تلك الحمى ضاريةً بهذه السهولة. وبعد كل شيء، فإن الأمور لا تحدثُ من تلقاء نفسها، وثمة سببٌ لكلِّ شيء.

اكتب لي قريبًا، لأنني في حاجةٍ إلى ذلك.

أما عن الذهابِ إلى نيونن ثانيةً، أود أن أعرفَ ما تراه الأفضل.

لكن لا حاجةَ لهم بي هناك، لأنَ شخصًا مثلَ ريكِن، البستانيّ، على سبيل المثال، يمكنه أنه يضطلع بحزم المتاع وشحنه كما لو كنتُ أنا من يفعل.

لو أن ثمّةَ سببًا وجيهًا مع ذلك، يمكنني أن أكون جاهزًا بحلول مارس لو استلزم الأمر.

تحياتي مع مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت.

٥٥٩| أنتويرب، نحو السبت، ٦ فبراير ١٨٨٦
إلى تيو فان جوخ (D)

عزيزي تيو،

قد استلمت رسالتك وال ٢٥ فرنكا المرفقة وأشكرك كثيرًا لإرسالك المال والرسالة. أشعر بالسرور لترحيبك بخطتي للمجيء إلى باريس. أنا مؤمنٌ بأن ذلك سيساعدني على التطور وأنه وفي الآن ذاته، إن لم أذهب، فيمكنني أن أصل لحال من الفوضى بسهولة، وأظلّ أدور في حلقةٍ مفرغةٍ لفترة طويلة، وأكرر الأخطاء نفسها. فضلا عن هذا، فبالنسبة لك، فلا أظن أن تحول منزلك إلى استوديو سيضيرك حقًا. أما عن بقيّة الأمور، فعليّ أن أخبركَ عن نفسي كما فعلتَ وكتبتَ عن نفسك، وسأكون مخيّبًا لأملك. مع ذلك، فهذه هي الطريقةُ لتوحيد القوى. ومع ذلك، فإن تفهّمًا عميقًا ومتبادلًا قد ينتج عن ذلك.

الآن، ماذا عليّ أن أخبرك بخصوص صحتي؟ إنني لم أزل مؤمنًا بأن لديّ فرصةً لتجنّب السقوط مريضًا بشدة، وفي نفس الوقت، فسأحتاج وقتًا لأتعافى. لديّ أيضًا ضرسان يجب حشوهما، حينها سيعودُ فكّي العلويّ إلى سابق صحته. عليّ دفعُ ١٠ فرنكات لهذا، ثم ٤٠ فرنكًا ليصبح النصف السفلي على ما يرام أيضًا. عدة سنوات من تلك السنوات العشر التي يبدو وكأنني أمضيتها في السجن ستختفي كنتيجةٍ لذلك.

لأنّ الأسنان المسوّسة، التي نادرًا ما يراها المرء في أيامنا وقد أصبح علاجها سهلا، تعطي ملامحَ غائرةً نوعًا ما.

ثمّ، وبتناول الأطعمة ذاتها، سيهضم المرء طعامه بالتالي على نحو أفضل حين يمكنه المضغُ جيدًا، وستصبح لدى معدتي فرصةٌ للتعافي.

لقد لاحظتُ حقًا أنني أمضيت حينًا في حالةٍ من الانحسار، وكما كتبتَ لي بنفسك، فإن الأشياء السيئة كافةً قد تنتجُ عن إهمال ذلك. مع هذا، سنعملُ على وضع الأمور في نصابها الصحيح.

لم أعمل لبضعة أيام، ونمتُ مبكّرًا لبضع ليالٍ (بخلاف هذا كنت أنام عند الواحدة أو الثانية صباحا بسبب الرسم في النادي). وأشعرُ أن هذا قد هدّأ من روعي.

لقد كاتبتني أمي، قائلةً إنهم سيبدؤون بحزم أمتعتهم في مارس. فضلا عن هذا، وبما أنك تقول أن عليك دفع الإيجار حتى يونيو، حسنًا إذن، ربما من الأفضل بعد كل شيء إن عدتُ إلى نيونن، بدايةً من مارس، لكنني إن وجدتُ معارضةً ومشاهدَ مثل التي حظيتُ بها قبل مغادرتي، فسيكون هذا مضيعةً للوقت، وعليه، حتى إن كان هذا لبضعةِ شهور قليلةٍ، فسأصنع تغييرًا بأي حال، بما أنني أريد الحصول على بضعةِ أشياء من الريف وأخذها إلى باريس معي.

هذا الـ سيبريدت، مدرّسُ الفنّ القديم، الذي حادثني في البداية كما قلتُ لك، قد حاول التعارك معي اليوم بوضوح، ربّما كان مصممًا على التخلّص مني. وهو ما لم ينجح فيه حتى أنني قلت له: لماذا تحاول اختلاق شجار معي؟ ليست بي رغبةٌ للشجار، وبأي حال ليست لدي أي رغبةٍ لمعارضتك، لكنّك تحاولُ اختلاق مشاجرة معي عن قصد.

كما هو واضحٌ فإنه لم يتوقع هذا ولم يمكنه قول الكثير لتفنيده في هذه المرة، لكن، في المرة القادمة بالتأكيد، سيكون بإمكانه أن يبدأ شيئًا.

السبب وراء هذا هو أن الرفاق في الصفّ يتحدثون عن أشياء في عملي مع بعضهم البعض، وقد قلتُ لبعض الرفاق خارج الصف، وليس لسيبريدت، إن رسومهم كانت خاطئة تماما.

ضع في حسبانك أنني إن ذهبتُ إلى كورمون وصادفت المشكلات عاجلا أم آجلا مع المعلّم أو التلاميذ، فلن أدع هذا يقلقني. ولو استلزم الأمر، حتى لو لم يكن لي معلّمٌ فيمكنني خوض درس الفن القديم عبر الذهابِ للرسم في اللوفر أو مكانٍ ما. وسأفعل هذا إن اضطررتُ إليه، على الرغم من أنني أفضّل أكثر أن يصحح لي أحدهم، ما دام الأمر لن يتحول إلى استفزاز متعمد، بهذا التصويب دون أن يعطي المعلم أيَّ سببٍ سوى شيءٍ فريدٍ في أسلوب عملك المختلف عن الآخرين. إن تعرّضَ لي ثانيةً، فسأعلنها عاليةً في الصف، أنني مستعدٌّ لفعلِ كل ما تريده بشكل ميكانيكي، لأنني مصمّمٌ على سداد ما هو مستحق لك، لو لزم الأمر، وإن أصررتَ على ذلك، لكن، فيما يخص التحكم فيّ كما تتحكم في الآخرين، فإن ذلك ليس له -أؤكد لك- أدنى تأثيرٍ عليّ.

كما أنك قد بدأتَ مخبرًا إياي شيئًا مختلفًا تماما عن هذا، أي أنك قلت لي أن أتناول الأمر كما يحلو لي.

والسبب في أنني أرسمُ قوالبَ جصّيةً، هو ألا أبدأ من الحدود ولكن من المنتصف. وأنا لم أفهم هذا حتى الآن، لكنني أشعر به أكثرَ فأكثر وسأستمرّ فيه بالتأكيد، فهو مثيرٌ جدًا للاهتمام. أرجو أن يمكننا إمضاء بضعةِ أيام معا في اللوفر والحديث عن ذلك فقط. أعتقد أن هذا سيثير اهتمامك أيضًا.

اليوم صباحا أرسلتُ إليك "حبيبتي" تحديدًا من أجل المقدمة، والتي ستدهشك بالتأكيد.

وأتمنى أنه في نهايةِ حياتنا يمكننا أيضًا التمشيةُ في مكانٍ ما معا، ونتذكر، مثلا، أننا فعلنا هذا، وهذه واحدة، وتلك ثانية، وتلك ثالثة، وإن أردنا وجرؤنا، فهل سيكون ثمة ما يمكننا الحديث عنه حينها؟

يمكننا تجربة شيئين، أن نصنع شيئًا جيدًا بأنفسنا، وأن نجمع أشياء صنعها آخرون نعتقد أنها جيدة، ونتاجر فيها. لكن على كلينا العيش بصحة وافرة، وقد يكون توحيد القوى خطوةً نحو ذلك.

والآن اسمح لي أن أعرج على أمرٍ حسّاس، إن كنت قد قلتُ لكَ أشياء مزعجةً، تحديدًا عن تربيتنا وبيتنا، فقد كان سبب هذا وجودنا في منطقةٍ يتحتم فيها أن نكون نقديين لنتماشى معا ونتفهم بعضنا البعض ونتعاون في العمل.

يمكنني الآن أن أفهم جيدا أن باستطاعة المرء أن يحب شخصًا أو شيئًا بشغف ولا يمكنه أن يفعل أي شيء له.

حسنًا، لن أتطرّقَ إلى هذا إلا فيما يخص كونه قد يسبب انفصاما مميتًا بيننا في وقتٍ نحتاج فيه إلى المصالحة.

وتربيتنا... إلخ، لن تثبت صحتها وستذوب كل أوهامنا عنها، كما ترى، وربما كنا صرنا أسعد بتربية أخرى. لكننا إن تمسكنا بالفكرة الإيجابية عن إرادة الإنتاج والبروز كأشخاص، فحينها سيمكننا بهدوء أن نناقش أمرًا منتهيًا مثل هذا حين لا يمكن تفاديه ويمكنه ربما أن يتطرق إلى أو يخص بشكل مباشر أمور شركة جوبيل أو العائلة. أما عن البقية، فإن هذه الخلافات بيننا تخص تفهم الوضع وليست بنتَ المرارات.

لكننا إن تعهدنا بشيءٍ فلن نتجاهل صحتنا، لأننا بحاجةٍ إلى الحياة، نحو ٢٥ أو ٣٠ سنة من العمل المستمر. ثمة اهتمام كبير في هذا العصر الحالي حين يفكر المرء كم أنه ممكن أن نرى بداية ونهاية مجتمع ما. وتماما كما أنه ثمة شعرٌ لا ينتهي في الخريف أو في غروب، وكما أن هناك روحًا كبيرةً وسعيًا غامضًا في الطبيعة، فكذلك هو الأمر حاليا. أما عن الفن، فقد انحدر، إن سمحت لي، بعد ديلاكروا، وكورو، وميه، ودوبريه، وترويون، وبريتون، وروسّو، ودوبيني، حسنًا، لكنه انحدارٌ مليءٌ بالسحر، لأن هناك حقيقة كمًا كبيرًا من أشياء جيدةٍ سوف تأتي، وهي تُصنع كل يوم.

إنني تائقٌ للوفر، للّوكسمبورج... إلخ، حيث سيكون كل شيءٍ جديدًا بالنسبة لي. لبقية حياتي سأندم أنني لم أرَ لوحة "عمل عشرةِ طباخين"، ومعرض ديلاكروا، ومعرض الميسونييه. لكن الفرص ستأتي تباعا لرؤيتها.

قد يكون من الصحيحٌ، على سبيل المثال، أنني وبرغبةِ التقدّم سريعًا هنا، قد عرقلتُ تقدمي، لكن ماذا كنت ستفعل أنت؟ صحتي سببت هذا، وإن استعدتها كما أودّ أن أفعل، فلن يكون كدّي بلا طائل.

وبعد كل شيء، أظنني إن طلبت هذا، فإن بإمكاني رسم التماثيل الجصية في اللوفر، حتى إن لم أكن مسجّلا في مدرسة الفنون الجميلة.

لن يدهشني، بمجرد أن تُفعّل فكرةُ العيش معًا، أنك ستجده غريبًا كوننا أمضينا وقتًا قليلا معًا، إن جاز القول، في عشر السنوات الماضية.

بأي حال، إنني أودّ من كل قلبي أن يكون هذا الترتيب نهايةً لكل هذا، وأن ذلك لن يحدث ثانية.

ما تقوله بخصوص الشقة هو بالأحرى غال جدًا، أقصدُ، سأكون راضيًا إن لم تكن حتى بهذا المستوى من الجودة.

أشعر بفضول كبير لأن أعرف كيف ستكون تلك الشهور القليلة في نيونن بالنسبة إلي. بما أن لي بعض الأثاث هناك، بما أن المكان جميل هناك أيضًا، ومعرفتي بالناحية تلك قليلة، قد يكون من الجيد أن أحصل على موطئ قدم هناك، وإن استلزم الأمر، فهناك حانة حيث يمكنني ترك ذلك الأثاث، بما أنه قد يضيع في أي حالٍ آخر، وقد ينفعني لاحقًا.

أحيانا ما يكون هناك الكثير ليفعل في العودةِ إلى الأمكنة القديمة.

لا بد أن أنهي ذلك الآن، بما أنني ذاهبٌ إلى النادي.

فكّر في أحسن ترتيب يمكننا اتخاذه. تحياتي.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٦١ | انتويرب، نحو الخميس، ١١ فبراير ١٨٨٦

عزيزي تيو،

إنني بحاجةٍ لإخبارك أني سأكون مطمئنًا للغاية إن وافقت على مجيئي إلى باريس في وقتٍ أبكر من يونيو أو يوليو متى كانت هناك حاجة إلى ذلك. كلما فكرتُ في الأمر ازدادت رغبتي فيه.

لنعتبر أن الأمور سارت على ما يرام ولو أنني حصلت على طعام جيد... إلخ. خلال هذه الفترة، والتي لن تكون سهلةً، اعتبر أنه حتى في تلك الظروف فسيستغرق الأمر ستة أشهر أو ما شابه لأصبح بحال جيدة تماما.

لكن ذلك قد يستغرق وقتًا أطول إن سارت الأمور في برابنت من مارس إلى يوليو القادمين، كما سارت معي في الشهور القليلة الماضية، ومن الأرجح ألا تختلف الأمور عن ذلك.

في الوقت الحالي، فأنا أشعر بالهزال كرد فعل على الإجهاد الزائد، بل وأسوأ من ذلك في الحقيقة. مع ذلك فإن هذا هو المسار الطبيعي للأمور وليس شيئا غريبا. لكن مربط الفرس هو: أن أعتني بنفسي بشكل أفضل، في برابنت كنت أنهك نفسي في العثور على الموديلات، والقصة نفسها قد تتكرر ثانيةً، ولا يبدو لي أن أي خير قد ينتج عن ذلك. بهذه الطريقة نكون قد حدنا عن الدرب. لذا أرجو أن تمنحني إذن المجيء سريعًا إن لزم الأمر. في الحقيقة، أود لو منحتني إياه توًا، إذ يلزم الأمر.

إن حصلت على غرفة بأحد أسطح باريس، وأحضرتُ صندوق التصوير ومواد الرسم معي، فإنه وفيما يخص العمل، سيمكنني الانتهاء من الأشياء الملحةِ بسرعة، ودراساتِ القوالب الجصية التي ستساعدني يقينًا حين أذهب لكورمون، يمكنني أن أرسمها في اللوفر أو في مدرسة الفنون الجميلة.

أما عن باقي الأمور، فسيمكننا حينها أن نفكر فيها ونناقشها أفضل بكثير قبل أن نذهب لنستقر في مكان آخر.

اعلم أنه لا مانع لدي من الذهاب إلى نيونن في شهر مارس إن لزم الأمر، ويمكنني أن أرى كيف تجري الأمور هناك، وكيف حال الناس، وإمكانية حصولي على الموديلات من عدمها. لكن إن لم ينجح الأمر، وقد يحدث هذا، فسيمكنني بعد انتهاء مارس أن آتي مباشرةً إلى باريس وأبدأ الرسم، في اللوفر مثلا.

لقد منحتُ ما كتبتَهُ عن الحصول على الاستوديو جلّ فكري، لكن يبدو لي أنه إن بحثنا عنه معًا فسيكون أفضلَ وأنه من الأفضل وقبل أن نبدأ بالعيش معًا بشكلٍ دائم، فعلُ هذا لمدةٍ، مبدئيًا، وأن أبدأ بتأجير عليّة في بداية أبريل، مثلا، حتى يونيو. حينها سأكون قد اعتدتُ باريس ثانية بحلول الوقت الذي سأذهب فيه إلى كورمون.

وأظنني بهذه الطريقة سأظل متحمسًا. عليّ أن أخبرك أيضًا أنه وعلى الرغم من أنني ما زلتُ أذهبُ إلى الأكاديمية، فالأمر أصبح لا يحتمل بالنسبة لي، أقصد تقريع الرفاق هناك، فقد اتضح لي أنهم ما زالوا يحملون ضغينة لي. بأي حال، فإنني أتفادى العراكات، وأمضي في طريقي.

وأظنني قد وصلتُ إلى مسار ما أبغيه، وربما أجده أسرع من ذلك إن جلستُ أمام القوالب الجصية وحدي. وعلى أي حال، فإنني مسرور أني التحقت بالأكاديمية، حتى إن كان ذلك لحصولي على فرصة سانحةٍ لمراقبة نتائج البدء بالخطوط الخارجية. فهم يفعلون هذا بشكلٍ متعمدٍ ونظامي ويتصيّدون العراكات معي لذلك. اصنع الخطوط الخارجية في البداية، خطوطك الخارجية ليست مضبوطةً، لن أصوّب هذا إن صفت قبل الانتهاء من الخطوط الخارجية بشكل صحيح. كما ترى، هذا ما ينتهي الأمر إليه في كل مرة. وعليكَ أن ترى بنفسك!!! كم هي بليدةٌ، وميتةٌ ولعينةٌ ومملةٌ نتائج هذا النظام. آه، كما أخبرك، فإنني مسرور لرؤية هذا عن كثب، ديفيد أو الأسوأ، بينيمان في ألقه الكامل.

لا بد أنني وددتُ أن أقول لهم خمسًا وعشرين مرةً على الأقل: خطوطكم الخارجية ليست سوى خدعة... إلخ، لكنني ظننتُ الأمر لا يستحق الجدال. بأي

حال، وعلى الرغم من أنني لا أقول هذا، فإنني أصيبهم بالضيق، وهم يصيبونني أيضًا بالضيق.

مع ذلك، فإن هذا الأمر تافه، المسألة هي أن تظل تحاول إيجاد نظام فعّال للعمل. لذا، الصبر والمثابرة.

إنهم يتمادون لدرجة أن يقولوا، اللون والصياغة لا شيء، بإمكان المرء تعلم ذلك بسرعة، إنما الخطوط الخارجية هي الشيء الأساسي والشيء الأصعب. كما ترى، بإمكان المرء تعلّم شيءٍ جديدٍ في الأكاديمية، لم أعلم قط أن الصياغة واللون يأتيان تلقائيًا. بالأمس فقط انتهيت من رسمٍ كنت قد صنعته من أجل مسابقة الصف المسائي. إنها لشخص جيرمانيكوس الذي تعرفه. حسنًا، أنا على يقينٍ أنني سأكون الأخير، لأن رسومات الآخرين كافةً متشابهة، ورسمي مختلف تماما. لكنني رأيت الرسم الذي سيعتبر الأفضل، رأيته في أثناء رسمه، كنت أجلس خلف صاحبه، وهو صحيح، وكلّ ما تريد، لكنه ميت، وكذلك كلّ تلك الرسومات التي رأيتها.

يكفي حديثًا عن هذا، لندع حماسنا لشيءٍ أنبل يؤرقنا. وأننا على عجلٍ لإنجازه.

عليكَ أيضًا أن تعتني بنفسك، وإن نجحنا في العيش معًا، فسيعرف كلانا أكثر مما يعرفه فرد وحده ويمكننا أن نفعل ما هو أكثر.

أخبرني، هل لاحظت ذلك التعليق الذكي لبول مانتز: "النساء قد يكنّ الصعوبة الأعلى في الحياة"، كان في مقالة عن بودري؟ لعلنا سنختبر نصيبنا من ذلك، بخلاف ما اختبرناه بالفعل. لقد أدهشني في فصل من رواية زولا "العمل" منشور في مجلة جيل بلا، أن الرسام، وهو مانيه بالطبع، كان في مشهدٍ مع امرأةٍ كانت موديلا له ووافقت على الفكرة، آه كم كان الوصف جيدًا. ما يمكن للمرء تعلمه في الأكاديمية بهذا الخصوص هو: لا تصور النساء البتة. إنهم لا يكادون يستخدمون موديلات عاريات، ليس في الصف بأي حال، لكن بشكل فردي من آن لآخر. حتى في صف القوالب الجصية، عشرة شخوص ذكور، مقابل شخص أنثى واحد. أمرٌ سهلٌ ورائع!

لا بد أن الحال أفضل في باريس، ويتبادر إلى ذهني أن المرء يتعلم الكثير بمقارنات مستمرة بين الذكر والأنثى، واللذين دائما ما يكونان مختلفين في كل شيء. قد يكنّ الصعوبة الأعلى، لكن ماذا بوسع الحياة والفن أن يكونا من دونهن؟ تحياتي، كاتبني عن هذا سريعا، مع مصافحة.

المخلص لك»

فنسنت

ذهابي إلى نيونن، على الأقل لشهر واحد هو شهر مارس، سيكون بسبب الانتقال، وعلي الذهاب إلى هناك بنفسي لتغيير مكان الإقامة. لكن إن لزم الأمر، فيما يخصني، فسأكون جاهزا لعدم الرجوع إلى هناك مطلقًا.

٥٦٧ | باريس، نحو الأحد، ٢٨ فبراير ١٨٨٦

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أرجو ألا تضيق بمجيئي المفاجئ. لقد فكرتُ بالأمر كثيرا وأظننا سنوفر الوقت بهذه الطريقة. سأكون في اللوفر عند الظهيرة، أو أبكر من ذلك إن أردت. أرجو أن تردّ، حتى أعلم متى يمكنك المجيء إلى سال كاريه. أما عن النفقات، فإنني أكرر، أن الأمر يؤول إلى الشيء نفسه. لدي بعض المال المتبقي، وهذا غني عن الذكر، وأريد أن أتكلم معك قبل إنفاق أي شيء. سنتدبر الأمور، وسترى. لذا أريد أن نذهب إلى هناك سريعًا. أصافحك.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٦٩ | باريس، سبتمبر أو أكتوبر ١٨٨٦

إلى هوراس مان ليفنز (e)

عزيزي السيد ليفنز،

بما أنني هنا في باريس فقد فكرت كثيرا بك وبعملك. ستذكر أنني أعجبت بألوانك، وأفكارك عن الفن والأدب، وأضيف إلى ذلك، وفوق كل شيء، شخصيتك.

لقد فكرت قبل الآن أنه علي أن أعرفك بما كنت أفعله، وأين كنت. لكن ما منعني أنني وجدتُ الحياة في باريس أعزّ إلي كثيرا من الحياة في أنتويرب، وجاهلا

بظروفك فلن أجرؤ على دعوتك إلى باريس، قبل أن أحذرك أنها تكلّف المرء أكثر بكثير من أنتويرب وأنه إن كان المرء فقيرا، فعليه أن يعاني الكثير، كما يمكنك أن تتصور. لكن في الجانب الآخر، فإن ثمة فرصةً أكبر للبيع.

ثمة فرصةً جيدةً أيضًا لتبادل اللوحات مع الفنانين الآخرين.

وباختصار، وبحماسة كبيرة، وشعور خاص وصافٍ باللون في الطبيعة -يمكنني القول بأن الفنان يستطيع الصمود هنا على الرغم من العوائق الكثيرة. وأنا أنتوي المكوث هنا لفترة أطول.

ثمة الكثير مما يمكن رؤيته هنا، ديلاكروا على سبيل المثال إن ذكرنا أستاذًا واحدًا.

في أنتويرب لم أعرف حتى من هم الانطباعيون، الآن وقد رأيتهم وعلى الرغم من أنني لم أنتمِ إليهم لكنني قد أعجبت بلوحاتٍ انطباعية بعينها: ديجا "شخصٌ عارٍ"، وكلود مونيه "منظر طبيعي".

والآن وفيما يخص ما كنت أفعله بنفسي، فقد كنت في حاجةٍ للمال، لأدفع أتعاب الموديلات، غير هذا فقد وهبت نفسي تماما لرسم الشخوص، لكنني قد صنعتُ سلسلة من الدراسات اللونية في تصوير الزهور ببساطة، الخشخاش الأحمر، وزهور الذرة الزرقاء، وزهور لا تنسني. ورود بيضاء ووردية، أقحوانات صفراء، مبتغيًا مقابلة الأزرق بالبرتقالي، والأحمر بالأخضر، والأصفر بالبنفسجي، طالبا الدرجات اللونية المكسورة والطبيعية لمناغمة الأطراف المتوحشة.

محاولا ترجمة اللون الحاد وليس تناغما رماديا.

ثم بعد تلك التمارين فقد صنعت مؤخرا رأسين، أجرؤ على قول إنهما أفضل في الضوء واللون من تلك التي صنعتها قبلا. وكما قلنا في ذلك الوقت إن اللون يطلب الحياة، فإن الرسم الحق هو الصياغة باللون. لقد صنعت دستةً من المناظر الطبيعية

أيضا، خضراء تماما، زرقاء تماما. وهكذا فإنني أجاهد من أجل الحياة والتطور في الفن.

والآن فإنني أود معرفة ماذا تفعل وإن كنت قد فكرت قط في الذهاب إلى باريس.

إن حدث وأتيت إلى هنا فاكتب لي قبلها وسوف أشاركك سكني والاستوديو إن أردت ما دام لدي واحد. في الربيع، قل فبراير أو حتى قبل هذا، قد أذهب إلى جنوب فرنسا، أرض الدرجات الزرقاء والألوان الزاهية.

انظر! إن علمت أن لك التوق نفسه يمكننا أن نذهب معا. لقد أيقنت في ذلك الوقت أنك محترفُ تلوين وبما أنني قد رأيت الانطباعيين، فإنني أطمئنك أنه لا لونك ولا لوني الذي يطور نفسه، هما الشيء الذي تتحدث عنه نظرياتهم، لكنني أجرؤ على قول إن لدينا فرصة بل لدينا فرصة جيدة في إيجاد رفاق لنا.

أتمنى أن تكون صحتك على ما يرام. لقد كنتُ متوعكا في أنتويرب لكنني أصبحتُ أفضل هنا.

كاتبني، وبأي حال اذكرني لدى ألان وبريت ورنك ودوران، لكنني لم أفكر بأي منهم كما أفكر بك، يوميا.

أصافحك بحرارة.

المخلص لك،

فنسنت

عنواني الحالي هو:

السيد فنسنت فان جوخ

٥٤ طريق ليبيك

باريس

عن فرصي في البيع، انظر، إنها ليست كبيرة يقينا، لكن لدي بداية موفقة.

في الوقت الحالي فقد وجدت أربعة تجار قد عرضوا دراساتي. وقد تبادلت الدراسات مع عدة فنانين. السعر الآن ٥٠ فرنكا. بالتأكيد ليس سعرا كبيرا، لكن على حسب رؤيتي فإن المرء عليه البيع بسعر منخفض لكي يرقى، بل وحتى بثمن التكلفة. ولتضع في حسبانك يا رفيقي العزيز، فإن باريس هي باريس، ليس ثمة باريس أخرى، ومهما كان العيش هنا صعبًا وإن أصبح أسوأ وأصعب، فإن الهواء الفرنسي يصفي العقل ويحسنُ للمرء منا، عالم من الخير.

لقد مكثت في استوديو كورمون لثلاثة أو أربعة أشهر لكنني لم أجد ذلك بقدر الفائدة التي توقعتها. قد يكون خطئي على أي حال، ومهما يكن فقد تركته أيضًا كما تركت أنتويرب واشتغلت وحيدًا، وأردت أن أشعر بنفسي بشكل أكبر.

التجارة بطيئة هنا، التجار الكبار يبيعون ميبه وديلاكروا وكورو ودوبيني، ودوبريه وبضعة أساتذة آخرين بأثمان باهظة. ولا يساندون الفنانين الشباب إلا قليلا. وتجار الدرجة الثانية في المقابل يبيعون للشباب لكن بأثمان بخسة للغاية. لو طلبت المزيد فلن أفعل شيئا مما أحلم به. بأي حال لدي إيمانٌ باللون، وحتى فيما يخص الثمن الذي سيدفعه الجمهور مقابله على المدى الطويل.

أما في الوضع الحالي فالأمور صعبة للغاية، لذا فقل لمن يخاطر بالمجيء هنا إن الطريق ليست مفروشة بالورود.

ما يمكن الحصول عليه هو التطور ويحق اللعنة، فإن وجوده هنا أمر يمكنني القسم عليه. كل من لديه وضعٌ ثابت في أي مكانٍ آخر، فليبق مكانه، لكن بالنسبة للمغامرين أمثالي فإنني أظنهم لا يخسرون شيئا بمخاطرتهم بالمزيد. خاصة في وضعي، فأنا لست مغامرًا باختياري، بل هو قدري، وشعوري بأنني غريب في أهلي وبلدي.

أرجو أن تذكرني لدى صاحبة منزلك السيدة روزميلين، وقل لها إنها إن عرضت شيئا من عملي فسأرسل إليها لوحة صغيرة من لوحاتي.

٥٧٢ | باريس، بين السبت ٢٣، والأحد ٢٥ يوليو ١٨٨٧

إلى تيو فان جوخ (F)

صديقي العزيز،

أشكرك لخطابك وما احتواه.

أشعر بالحزن لأن التصوير لن يأتي بتكاليفه حتى وإن كان ناجحًا. لقد مسّ ما قلته عن البيت شغاف قلبي، "إنهم على خير ما يرام، لكن رؤيتهم تثير الحزن". لكن منذ السنوات العشر أو حول هذا، كان المرء سيقسم أن العائلة ستزدهر إلى الأبد، وأن الأمور ستجري إلى الأحسن. سيسعد أمنا كثيرا إن تم زواجُك، أما عن صحتك وعملك، فلا ينبغي أن تظل عازبًا بأي حال.

أما عنّي، فإنني يتتابني شعورٌ بأنني فقدت الرغبة في الزواج والأطفال، وفي بعض الأوقات أشعر بشجن لشعوري هذا في الخامسة والثلاثين في حين أنني من المفترض أن أشعر بشعور مختلفٍ تماما. وأحيانا ما ألوم هذا التصوير اللعين. لا بد أنه ريشبيان من قال في مكان ما: "إن حب الفن يجعلنا نفقد الحب الحقيقي".

أجد تلك المقولة صادقة بشدة، لكن من جهةٍ أخرى، فالحب الحقيقي يضمك مباشرة في الفنّ.

وفي أحيان أخرى أشعر بأنني كهلٌ ومكسور، لكن ما زلت محبًا بما يكفي لوقف حماسي للتصوير.

وكيما تنجح يجب أن تكون طموحًا، والطموح بالنسبة لي أمر عبثي. لا أعرف ما سينتج عنه. وأكثر من أي شيء آخر، لا أريد أن أكون حملا ثقيلا عليك، وليس هذا مستحيلا من الآن وصاعدًا. لأنني أريد أن أتطور بطريقة تمكنك من عرض عملي، بثقةٍ، ودون أن تخاطر بعملك. ثم إنني سوف أعتكف في مكانٍ ما في الجنوب كي لا أرى العديد من الرسامين الذين أنفر منهم إنسانيا.

يمكنك أن توقن من أمر واحد، وهو أنني لن أحاول ثانيةً أن أشتغل في شيءٍ لمقهى التامبوران. وأظن أنه سيؤول لملاك جدد أيضا وبالتأكيد لستُ ضد هذا.

وفيما يخص الآنسة سيجاتوري، فإن ذلك أمرٌ مختلفٌ تماما، فأنا ما زلتُ أكنّ لها حبًا وأرجو أن تكون ما زالت تبادلني الشعور نفسه. لكنها الآن في وضعٍ مُحرج، فهي ليست حرّةً أو سيدةً في بيتها، وعلاوة على هذا فهي معتلة ومريضةٌ. وعلى الرغم من أنني لن أقول ذلك علنًا، فأنا واثقٌ بشكل شخصي من أنها قامت بالإجهاض (إلا بالطبع إن كانت قد خسرت الجنين عن غير عمد)، وعلى أي حال، لو كنت مكانها، لفعلت ذلك.

ستصير بخير خلال شهرين، أتمنى ذلك، حينها قد تمتنّ لي لأنني لم أزعجها.

ولتضع هذا في حسبانك، هي إن رفضت بكامل صحتها وبدمٍ باردٍ أن تعيد لي ما هو لي، أو آذتني بأي شكل، فلن أكون هيّنا معها، لكن ذلك ليس ضروريًا. فأنا أعرفها جيدًا وما زالت لديّ ثقة فيها.

وهناك أيضا أمر، إن هي استطاعت أن تُبقي على مكانها، من وجهةِ نظرٍ تجارية، فلن ألومها إن فضّلت أن تكون من يأكل وليس من يؤكل. إن داست على قدمي قليلا كي تنجح، إن لزم الأمر، فلديها تصريح مني بذلك.

حين رأيتها ثانية لم تجرح مشاعري، وهو الأمر الذي كانت ستفعله إن كانت بالوقاحة التي يظنها الناس عليها.

رأيتُ تانجي بالأمس وقد وضع لوحةً كنت قد فرغت منها للتو في واجهة العرض. لقد صنعت أربع لوحات منذ غادرت، ولدي واحدةٌ كبيرةٌ تحت يدي. أنا واعٍ بأن تلك اللوحات الكبيرة، الطويلة، من الصعب بيعها، لكن مع الوقت سيرى الناس أن بها مساحةً للتنفس وحماسة. أما الآن فإن المجموعة قد تكون زينةً جيدةً لغرفة طعامٍ أو لمنزلٍ في الريف.

وإن أحببتَ حقًا وتزوجتَ، فلا أظنه مستحيلا أن تحصل أنت أيضا على بيتٍ في الريف، مثل العديد من تجار اللوحات الآخرين. إن عشتَ بشكل جيدٍ فستنفق

المزيد، لكنك أيضًا ستحصل على أرضيةٍ، وربما في هذه الأيام سنحسن صنعًا إن بدونا ثريين بدلا من أن نبدو معوزين. من الأفضل أن تلهو بدلا من أن تنتحر.

تحياتي الحارة لكل من في البيت.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٧٤ | باريس، أواخر أكتوبر ١٨٨٧
إلى ويليماين فان جوخ (D)

أختي الصغرى العزيزة،

أشكركِ على خطابكِ، على الرغم من أنني أمقت الكتابة هذه الأيام، لكن مع ذلك فثمة أسئلةٌ في خطابك بودّي أن أجيب عنها.

عليّ أن أبدأ بمعارضتكِ حين تقولين إنكِ ظننتِ تيو "بائسًا" هذا الصيف. بالنسبة لي، فأنا أظن على النقيض أن مظهر تيو قد صار مميزًا في العام الماضي. عليكِ أن تكوني قويةً لتتحملي الحياة في باريس بالطريقة التي تحملها هو بها لسنين طويلة. لكن أيكون الأمر أن عائلة تيو ورفاقه في أمستردام ولاهاي لم يعاملوه، بل لم يستقبلوه حتى بالحرارة التي يستحقها منهم؟

يمكنني إخبارك في هذا الخصوص أنه قد تأذى بسبب هذا، لكنه من جهةٍ أخرى لم يتركه ليزعجه، والآن، وفي حين يمرّ التصوير بأزمة، فهو ما زال في عمله، وقد يكون في الأمر بعض الغيرة المهنية من طرف أصدقائه الهولنديين.

الآن ماذا عساي أن أقول عن قطعتِكِ الصغيرة عن النبات والمطر؟ إنكِ ترين بنفسك في الطبيعة أن كثيرًا من الزهور تُداس، تتجمد أو تعطش، وأيضًا ليست كل

حبة قمح بعد أن تنضج، ينتهي أمرها في الأرض ثانية لتُنبت هناك وتصبح عودًا، لكن على العكس فمعظم الحبوب لا تنمو لكنّها تؤخذ إلى الطاحونة، أليس كذلك؟ والآن إن قارنّا الناس بحبوب القمح، ففي كل شخصٍ صحيح وطبيعي ثمة قدرة على الإنبات مثلما في حبة قمح. وكذا تكون الحياة الطبيعية هي النماء.

وكما قدرة الإنبات في القمح، يكون الحب لنا. الآن، فنحن، كما أظن، نقف بوجوهٍ ممتعضةٍ أو نفتقر إلى الكلمات حين يخيب تطورنا الطبيعي، فترى ذلك الإنبات مكبوتًا ونرى أنفسنا بلا حول ولا قوة كحبوب القمح بين حجري الرحى.

إن حدث هذا لنا وتحيّرنا بسبب خسران حياتنا الطبيعية، فثمة بيننا من هم وعلى الرغم من إرادة تسليم أنفسهم لمسار الأمور كما هي - فإنهم لا يهجرون وعيهم الذاتي ويريدون أن يعرفوا كيف تسير الأمور معهم وما الذي يحدث فعليًا. وباحثين بنيات جيدةٍ في الكتب التي يقال فيها إنهم نورٌ في العتمة، وبأفضل إرادةٍ في العالم نجدُ يقينًا ثمينًا ونادرًا وليس مشبعًا دائما ليواسينا شخصيًا. والأمراض التي نعاني منها نحن المتحضرين أكثر من أي شيء آخر، هي الشجن والتشاؤم.

مثل حالي، على سبيل المثال، أنا الذي بإمكاني عدّ سنين طويلة من حياتي فقدتُ فيها كل ميلٍ للضحك، متخذا البعد وسيلةً سواءً كان ذلك خطئي أم لا، من أجل أن أحصل على ضحكةٍ جيدة. لقد وجدتُها في جي دو موباسان، وثمة آخرون هنا، رابليه بين الكتاب القدامى، هنري روشيفورت بين الحاليين، حيث بإمكان المرء أن يجدها، فولتير في كانديد.

وعلى النقيض من ذلك، إن أراد المرء الحقيقة، الحياة كما هي، دو جونكور، مثلا، في دانتيلا الخصوبة، والابنة إليسا، وزولا في بهجة الحياة، والسقطة المميتة، والعديد من الأعمال العظيمة الأخرى ترسم الحياة كما نشعرها بأنفسنا وكذا تشبع تلك الحاجة التي لدينا، بأن يخبرنا الناس بالحقيقة.

أعمال الطبيعيين الفرنسيين، زولا، وفلوبير، وجي دو موباسان، وجو جونكور، وريشبيان، ودوديه، وأوسمان - رائعةٌ، والمرءُ لا يمكن أن يقال عنه إنه منتمٍ

إلى عصره إن لم يكن على دراية بهم. عمل موياسان الأعظم "صديقي الوفي"، أتمنى أن أهديه لك.

هل الكتاب المقدس كافٍ لنا؟ إن كان يسوع حيا بيننا فلا بد أنه سيقول لأولئك الذين يعيشون في أسَى: "لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟"

إن كانت الكلمة المنطوقة أو المكتوبة ستظل نور العالم، فإنه حقّنا وواجبنا لنعترف أننا في عصر تُكتبُ فيه بطريقةٍ، وتُقال بطريقةٍ كيما تجدَ شيئا عظيمًا وبجودةِ الأصل، وهي قادرةٌ الآن على قلب حال المجتمع كما في الماضي، ويمكننا أن نقارنها ونحن مطمئنون بالتغيير الجارف الذي صنعه المسيحيون.

عن نفسي، فإنني مسرور بقراءتي للكتاب المقدس أفضلَ من العديد من الناس في يومنا هذا، فقط لأنه يشعرني بسكينة لوجود هذه الأفكار السامية في الماضي. لكن تحديدا لأنني أرى أن القديم جيدٌ، فإنني أجدُ كل الجديد جيدًا بالمثل. بالمثل لأننا بمكننا الفعل بأنفسنا في عصرنا، وكل من الماضي والمستقبل يؤثران فينا بشكل غير مباشر.

إن طالعي يملي علي وفوق كل شيء، أنني أصنع تقدمًا سريعًا في التحول إلى كهل، كما تعرفين، بتجاعيد، ولحية خفيفة، وبعددٍ من الأسنان الاصطناعية... إلخ.

لكن ما نفع هذا؟ لدي مهنةٌ قذرةٌ وصعبةٌ، التصوير، وإن لم أكن ما أنا عليه لم أكن سأرسم، لكن كوني ما أنا عليه، فإنني مسرور بعملي، وأرى الإمكانية تلُوح عبر صناعة اللوحات التي بها بعض الشباب والطزاجة، على الرغم من أن شبابي هو أحد الأشياء التي فقدتها. لولا تيو لم أكن لأعطي عملي ما يستحقه، لكن بسبب أنه صديقي، أعتقد أنني سأصنع تطورًا وأن الأمور ستجري على ما يرام. إنني أخطط للذهاب جنوبًا لفترة، في أقرب وقت، حيث الألوان أكثر والشمس أسطع.

لكن ما أرجو إنجازه هو رسم بورتريه جيد. على كلّ حال.

لنعد إلى قطعتكِ الصغيرة، طالما شعرتُ بالضيق من افتراض ذلك لاستخدامي الشخصي، أو نصح الآخرين بأن ثمة قوًى فوقنا تتدخل لتساعدنا أو تواسينا. العناية الإلهية شيءٌ غريب، وحقيقةً لا أعرف ماذا أظن حيالها.

حسنًا، في قطعتك ثمة شيءٌ عاطفيٌّ دائما، وهي شكلا، علاوة على كل شيء، باقيةٌ من قصص عن العناية الإلهية التي ذكرتها أعلاه، لنقل العناية موضع السؤال، قصص فشلت مرارا في أن تقاوم البطلان ويمكن قول الكثير ضدها.

وعلاوة على كل شيء، أجده أمرًا مقلقًا كونك تعتقدين أن عليك الدراسة من أجل أن تكتبي. كلا، يا أختي الصغيرة العزيزة، تعلمي الرقص، أو أحبي موظفًا حكوميًا أو أكثر، ضابطًا، أو باختصار أيًا كان في متناول يدك، وبالأحرى، ارتكبي أي حماقة سوى الدراسة في هولندا، فهي لا تخدم أي هدفٍ غير جعل المرء بليدا، لذا لا أريدك أن تذكري هذا ثانية.

عن نفسي، فأنا ما زلتُ أعقد العلاقات الغرامية المستحيلة وغير المواتية والتي أخرج منها دائما بالعار والإحراج.

وأنا محقٌ في هذا، برأيي، لأنني أخبر نفسي أنه وفي سنواتٍ خلت، حين كان يجب أن أحب، غمرتُ نفسي بأمور دينية واجتماعية واعتبرت الفن أكثر قداسة، أكثر مما أعتبره الآن. لماذا برأيك يكون الدين، أو القانون، أو الفن مقدسًا؟ الناس الذين لا يفعلون شيئا سوى الحب ربما هم أكثر جدية وقداسة من أولئك الذي يضحون بحبهم وقلبهم من أجل فكرة. وليكن هذا ما يكونه، كتابةَ كتابٍ أو أداءَ فعلةٍ، صناعةَ لوحةٍ بها لمحةٍ من حياة، تستلزم تلك الأمور أن يكون المرء حيًّا. وكذا بالنسبة لكِ، إلا إن كنت لا تريدين التقدم أبدًا، فالدراسة أمر هامشي. تمتعي بقدر ما يمكنك واحظي بالإلهاءات كافةً، وكوني واعيةً أن ما يريده الناس في الفن في أيامنا هذه يجب أن يكون حيًّا، بلون قويّ، وحادًّا. لذا عليك أن تحظي بصحة جيدة وقوة على الحياة، هذه هي أحسن دراسة.

سيسرّني لو أمكنكِ أن تكتبي لي وتخبريني عن حال مارجو بيجيمان وكيف حال آل دو جروت. كيف سار عملهم. وهل تزوجت سين دو جروت بابن عمها؟ وهل عاش طفلها؟ ما أظنه بخصوص عملي هو أن أفضل لوحاتي هي لوحة آكلي البطاطس التي رسمتها في نيونن. ومنذ هذا الوقت لم يتح لي إيجاد موديلات، لكن على النقيض

من ذلك أمكنني دراسة مسألة اللون. وإن حدث ووجدتُ موديلات لشخوصي لاحقا، فإنني أود أن أظهرَ أنني أبحث عن شيء سوى المناظر الخضراء الطبيعية أو الزهور. في العام الماضي لم أرسم سوى الزهور لأعتاد الألوان خلا الرمادي، أي الوردي، الناعم أو الأخضرَ الزاهي، والأزرق الخفيف، البنفسجي، والأصفر، البرتقالي والأحمر الجميل. وحين رسمت المناظر الطبيعية في أسنيير هذا الصيف رأيت ألوانا أكثر من أي وقتٍ مضى. إنني أدرس هذا الآن في البورتريهات. ويجب أن أخبرك أن رسمي لم يسؤ بسبب هذا، ربما لأنه يمكنني أن أخبرك العديد من الأشياء السيئة عن الرسامين واللوحات إن أردتُ، كسهولةِ إمكانية قول أشياء جيدة عنهم.

لا أود أن أصبح أحد الحزانى أو أولئك الذين يحيون بمرارة وأسى ثم يأس. أن نفهم كل شيء يعني أن نغفر كل شيء، وأعتقد أنه إن علمنا كل شيء فسنصل إلى سكينة ما. وإحراز تلك السكينة بقدر الإمكان، حتى حين يوقن المرء من القليل، أو لا شيء، هو ربما علاج ناجع ضد الأمراض كافةً وأفضل مما يبيعه الصيدلاني. الكثير يحدث تلقائيا، ينمو المرء ويتطور من تلقاء نفسه.

لذا فلا تدرسي وتكدّي كثيرًا، لأن ذلك لا يؤدي إلا إلى العقم. تمتعي كثيرا وليس قليلا، ولا تعتبري الحب أو الفن جادين حتى، فالمرء لا يكاد يعتبرهما أصلا، والمسألة مسألةُ مزاج. إن كنت أعيش بجوارك، كنت سأحاول جعلكِ تفهمين أنه قد يكون من العمليّ بالنسة لكِ أن ترسمي معي بدلا من الكتابة، وأنك ربما ستستطيعين التعبير عن مشاعرك أكثر بهذه الطريقة. بأي حال فإن بإمكاني فعل شيءٍ حيال الرسم، أما بالنسبة للكتابة فلا علم لي بها. على أي حال، ليست فكرة سيئة بالنسبة لكِ إن أردتِ أن تكوني فنانةً، لأن المرء إن حاز النار، والروح، لا يمكنه أن يخمدهما، والمرء يستحب الحريق على كتم أنفاسه. ما هو بالداخل عليه ان يخرج. أنا، على سبيل المثال، يمكنني التنفس حين أصنع لوحة. وبدون ذلك سأكون أتعس حالا. تحياتي الدافئة لأمي.

فنسنت

لقد أثرت فيّ "البحث عن السعادة" كثيرًا. والآن فقد انتهيت من قراءة "مون أوريول" لجي دو موباسان. يبدو الفن شيئا ساميا، وكما تقولين، شيئا مقدسًا. لكن ذلك يصح في الحب أيضًا. والمسألة ببساطة أن الجميع لا يفكرون بالطريقة نفسها حيالهما، وهؤلاء الذين يشعرون بشيء حيالهما ويتركون أنفسهم للانجراف معهما، يعانون كثيرا، أولا بسبب تعرضهما لسوء الفهم، لكن سبب المعاناة الأهم هو غالبا كون إلهامنا غير كاف، أو أن يصير العمل مستحيلًا بفعل الظروف. يجب على المرء أن يكون قادرًا على فعل شيئين أو الأفضل عدة أشياء في الوقت ذاته.

وثمة أوقاتٌ لا يكون فيها المرء موقنا أن الفن يجب أن يكون خيرا أو أمرا مقدّسا. بأي حال، فكري بحذر إذا ما كان من الأفضل، لمن يحوز مشاعر تجاه الفن ويريد العمل به، أن يقول إنه يفعل هذا لأنه جبل على ذلك الشعور ولا يمكنه فعل أي شيءٍ آخر وهو بهذا يتبع طبعه، من أن يقول إنه يفعل هذا لسبب نبيل.

ألا تقول "البحث عن السعادة" إن الشر يكمن في طبائعنا، التي لم نخلقها بأنفسنا؟

ما أظنه جيدًا في الحداثيين هو أنهم لا يعظون مثل القدامى.

على سبيل المثال، يبدو ذلك فجًا للعديد من الناس، ويغضبهم أيضًا: الخطيئة والفضيلة هي منتجات كيميائية مثل السكر والحمض الكاوي.

٥٧٧ | آرل، الثلاثاء، ٢١ فبراير ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

خلال الرحلة فكرت بك كما فكرت بالريف الجديد الذي سأراه.

لكنني أقول لنفسي إنك ربما ستأتي هنا لاحقًا. يبدو لي العمل في باريس مستحيلا، إلا إن حزت ملجأ يمكنك التعافي فيه واستعادة سلامك العقلي ورباطة جأشك. بدون هذا، فأنت ستتخدر تماما.

الآن سأخبرك أنه وبدايةً، ثمة جليد بسمك ٦٠ سنتيمترا في الأنحاء كافة، وما زالت تثلج.

آرل لا تبدو أكبر من بريدا أو مون بالنسبة لي.

قبل الوصول إلى تاراسكون لاحظت مناظر رائعة، صخورًا صفراء هائلة، مبعثرة معًا بغرابة، بأكثر الأشكال تأثيرًا.

في الوديان الصغيرة بين تلك الصخور ثمة صفوف من الأشجار الصغيرة المستديرة بأوراق زيتونية، أو خضراء رمادية، والتي قد تكون أشجار ليمون.

لكن هنا في آرل تبدو الأرض مسطحةً.

وقد لاحظتُ قطعًا من الأرض الحمراء مزروعة بالأعناب، وجبالا في الخلفية بألوان الليلك الرقيقة. والأرض تحت الثلج مع القمم البيضاء على خلفية السماء مضيئةٌ كالجليد، وتشبه المناظر الشتوية في القطع اليابانية التي صنعتها.

هذا هو عنواني،
مطعم كاريل

٣٠ طريق كافاليري

آرل

حتى الآن لم أقم إلا بتمشية قصيرة حول البلدة، فقد كنت منهك القوة ليلة أمس.

سأكتب إليك قريبًا، أخبرني تاجر العاديات الذي ذهبتُ إلى متجره بالأمس أنه وفي الشارع ذاته قابل مونتيتشيلّي.

مصافحة لك وللرفاق.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٧٨ | آرل، نحو الجمعة، ٢٤ فبراير ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكر خطابك الطيب وورقة الخمسين فرنكا.

حتى الآن لم أجد العيش هنا بالفائدة التي رجوتها، لكنني انتهيت من ثلاث دراسات، وهو الأمر الذي لم أكن لأقدر على فعله في باريس في هذه الأيام.

أسعدني أن الأنباء من هولندا كانت مرضية بشكل معقول. وحيال ريد، لن يدهشني أبدًا، وهو حكم خاطئ على أي حال، أن يستاء من ذهابي إلى الجنوب قبل زيارته. ونحن إن قلنا إننا لم نستفد من معرفته قط، نكون قد أسأنا اعتباره بما أنه وأولا، قد أهدانا لوحةً رائعة (وهي لوحةٌ كنا سنقتنيها بأي حال بالمناسبة)، وثانيا،

فقد رفع ريد قيمة أعمال مونتيتشيلّي، وبما أننا نملك خمسًا منها، فالمحصلة أن ما نقتنيه قد زادت قيمته، وثالثا، كانت رفقته طيبةً وممتعةً في الشهور الأولى.

الآن وبالنسبة لنا، فنحن قد أردناه أن يلعب دورًا في صفقة أكبر من صفقة مونتيتشيلّي، وقد تظاهر أنه لم يفهمها. يبدو لي أنه كي نكون جديرين بسيادتنا على أرضنا فيما يخص الانطباعيين، وبغرض ألّا يكون لدينا شك في ثقتنا الأكيدة بريد، فيمكننا أن نتركه لحاله وندعه يفعل ما يمليه عقله فيما يخص لوحات مونتيتشيلّي المارسيلية. موضحين أن الرسامين الموتى ليسوا مفيدين لنا إلا بشكل غير مباشر ومن وجهة النظر المالية.

وإن وافقت على هذا، وإن لزم الأمر يمكنك إخباره نيابة عنّي أيضًا أنه لو لديه نية المجيء إلى مارسيليا لشراء لوحات مونتيتشيلّي فلا يخشَ منا في شيء، بل إن لدينا ما يخولنا لسؤاله عن نياته في هذا الخصوص، بما أننا جئنا إلى هذه الأرض قبله.

أما عن الانطباعيين، يبدو معقولا لي أنه يجب تقديمهم في إنجلترا عبرك، ما لم يكن عن طريقك مباشرة. وإن بادر ريد بالخطوة، فسيكون من المبرر أن نظنه قد خان ثقتنا، خاصة وأننا قد تركناه حرًّا فيما يخص لوحات مونتيتشيلّي المارسيليّة.

بالتأكيد ستصنع معروفا لكونينج إن تركته يعيش معك، لا بد أن زيارته لريفيه قد أثبتت له أننا لم نكن من أساء نصحه. إن شعرتَ أنك ستُضَيِّفه، وهو ما يبدو لي أنه سيخرجه من الفوضى، فسيكون عليك فقط أن تقوّم عوج الأمور مع والده، بحيث لا تقع عليك أي مسؤوليات، حتى إن كانت غير مباشرة.

إن رأيت برنار فأخبره أنني حتى الآن مضطر لدفع أكثر مما دفعته في بون أفون، لكنني أظنك إن عشت هنا في غرفة مفروشة مع عائلة من الطبقة الوسطى فسيكون من الممكن توفير المال، وهو ما أحاول فعله، وبمجرد أن أستعلم عن الأمر سأكتب إليه وأخبره عن متوسط النفقات.

في أوقاتٍ يبدو لي أن دمي جاهزٌ للدوران مرة أخرى، وهو ما لم يحدث في باريس مؤخرا، لم أعد أستطيع احتمالها أكثر من ذلك.

يتوجب عليّ هنا شراء ألواني وقماشاتي من بقال أو بائع كتب، وعادةً لا يتوفّر لديهما ما يريده المرء. سيكون علي بالتأكيد الذهاب إلى مارسيليا لأرى حال الأمور هذه هناك. لقد وددت لو أجد أزرقَ جميلا... إلخ. وفي الواقع فإنني لم أيأس بعد، خصوصا وقد رأيت أنك في مارسيليا يمكنك شراء المواد الخام الجديدة. وأنا أود أن أصنع أزرق مثل زيم، وهو اللون الذي لا يتبدل مثل الألوان الأخرى، حسنا، سنرى.

لا تقلق، ومصافحة للرفاق مني.

المخلص لك،

فنسنت

الدراسات التي لدي هي لامرأة عجوز من آرل، ومنظر طبيعي مع الجليد، ومشهد لرصيف يمتد مع متجر جزار. النساء جميلات حقا هنا، ليست مزحة، من جهةٍ أخرى، فإن متحف آرل ليس إلا نكتةً مخيفة، ولعله يجب أن يكون في تاراسكون، ثمة متحف للقطع الأثرية أيضًا وهي أصلية.

٥٨٢ | آرل، نحو الجمعة، ٢ مارس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو

أسعدني استلام خطابك والمسودة التقريبية لخطاب إلى ترستيج وورقة النقد بقيمة خمسين فرنكا.

خطابك إلى ترستيج رائع في المسودة، وأرجو ألا أكون قد أفسدته كثيرا عندما نسخته.

يبدو لي وكأن خطابك إلى ترستيج مضافٌ إلى خطابي، عن نفسي، فقد ندمتُ على الحالة التي أرسلته عليها. لأنك ستلاحظ أن فكرة حمل ترستيج على الأخذ بزمام المبادرة لتقديم الانطباعيين إلى إنجلترا، قد راودتني في أثناء كتابة الخطاب نفسه، وقد عبّرتُ عنها في ملحوظة مضافة بعد إنهاء الخطاب. لكن خطابك يشرح الفكرة له بشكل أشمل. هل سيفهم؟ بالفعل، إن الأمر متعلقٌ به.

وصلني خطابٌ من جوجان، يقول فيه إنه كان مريضا وطريح الفراش لأسبوعين. وإنه مفلسٌ، لأنه اضطر لدفع عدة ديون. وإنه يود أن يعرف إن كنتَ قد بعتَ أيًا من أعماله، لكنه لا يمكنه الكتابة إليك مخافة أن يزعجك. وإنه وتحت ضغطٍ كبير للحصول على قدرٍ من المال، مستعدٌ لخَفض أسعار أعماله.

لا يمكنني فعل شيءٍ حيال هذا الأمر إلا أن أكتب إلى راسل، وهو ما سأفعله اليوم.

وبعد كل شيء، فقد حاولنا أن نجعل ترستيج يشتري واحدة. لكن ما باليد حيلة، لا بد أنه في حالة سيئة. سأرسل إليك بضعة سطورٍ له في حال أن يكون لديك ما تقوله له، لكن عليك أن تفتح الخطابات التي تأتي إلي، لأنك سرعان ما ستعرف ما بداخلها إن فعلت ذلك، وسيوفر ذلك علي جهد إخبارك بما فيها.

وهو ما سيسري على كل الخطابات من الآن فصاعدا.

هل بإمكانك شراء المشهد البحري منه للشركة؟ إن كان ذلك ممكنا فسيتخلص من صعوباته في الوقت الحالي.

بالنسبة لقبولك بمشاركة كونينج السكن معك، فإنه أمر جيد، وأنا سعيد لأنك لن تضطر للعيش وحيدا في شقتك. في باريس، يعاني المرء طوال الوقت، مثل حصان جرّ، وإن اضطررت فوق ذلك للعيش وحيدا في الإسطبل فإنه لأمر مبالغ فيه.

أما عن معرض المستقلين، فافعل ما تراه مناسبا.

ما رأيك بعرض المشهدين الطبيعيين الخاصين ببوته، ومونمارتر هناك؟ لن يكون ذلك مؤثرًا فيّ، فأنا أميل إلى وضع بعض الآمال في عمل العام الحالي.

ثمة صقيع شديد هنا، وبالخارج -في الريف- لم تزل تثلج، لدي دراسة لمشهد طبيعي أبيض وبلدة في الخلفية. ثم دراستان لفرعٍ من شجرة لوز مزهرٍ على الرغم من كل شيء.

يكفي حديثنا اليوم، سأكتب ملاحظةً إلى كونينج.

إنني سعيد حقًا لأنك كتبت إلى ترستيج، ولدي آمال أن ذلك سيصبح تجديدا لملاقاتك في هولندا.

مصافحة لك ولأي من الأصدقاء الذين قد تقابلهم.

المخلص لك،

فنسنت.

٥٨٤ | آرل، السبت، ١٠ مارس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرًا لخطابك وورقة مائة الفرنك المرفقة به. أرجو أن يأتي ترستيج إلى باريس قريبا، كما يبدو أنك تظن. سيكون ذلك مرغوبا فيه بالنسبة للظروف التي تصفها، والتي يبتعد فيها الجميع، ويصاب فيها الجميع بالمشاكل. أجد ما كتبته عن مبيعات لانسون وعشيقة الرسّام مثيرًا للاهتمام. لقد صنع أشياء مميزة للغاية، وطالما جعلني تصويره أفكر في تصوير موف. أشعر بالأسف لعدم رؤية معرض دراساته، تماما كما آسف لعدم رؤية معرض ويلّيت أيضًا.

ما رد فعلك عن خبر موت القيصر فلهلم؟ هل سيسّرع هذا الأحداث في فرنسا، وهل ستظل باريس هادئة؟ أشك في هذا. وأي تأثير سيتركه هذا على تجارة اللوحات؟ لقد قرأت أنه ثمة إمكانية لإلغاء الجمارك على اللوحات في أمريكا، أهذا صحيح؟

ربما يكون من الأسهل حمل بضعة تجارٍ ومحبين للفن على الموافقة على شراء لوحات انطباعية، بدلا من حمل الفنانين على الموافقة بتوحيد أسعار اللوحات المبيعة.

مع ذلك، فلن يجد المصورون طريقة أحسن من الانضمام معا، وإعطاء لوحاتهم إلى الاتحاد، وتوحيد سعر البيع بطريقة تجعل الجمعية قادرة على تأمين إمكانية الوجود والعمل لأعضائها لو أن ديجا، وكلود مونيه، ورنوار، وسيسلي، وكامي بيسارو أخذوا المبادرة وقالوا: ها نحن، كل منا نحن الخمسة سيعطي عشر لوحات (أو حتى، كل منا سيعطي ما قيمته عشرة آلاف فرنك، السعر المحدد من قبل الأعضاء الخبراء -على سبيل المثال، ترستيج وأنت، معينين من الجمعية- وهؤلاء الخبراء أيضًا يستثمرون رأس مالهم على شكل لوحات)، وفضلا عن ذلك، نحن ملتزمون بدفع ما قيمته كذا كل عام.

ونحن أيضًا ندعوكم، يا جيومان، وسورا، وجوجان... إلخ. إلخ. أن تنضموا إلينا (ولوحاتكم ستخضع للفحص نفسه من ناحية القيمة).

حينها، فإن الانطباعيين الكبار في جراند بوليفار، وقد أعطوا لوحاتهم، والتي أصبحت ملكية مشتركة، سيحتفظون بمقامهم، ولن يستطيع الآخرون انتقادهم على احتفاظهم لأنفسهم بفوائد السمعة التي حازوها بلا شك بجهدهم وعبقريتهم الخاصة في المقام الأول، لكن في المقام الثاني وبالإضافة إلى ذلك هي سمعة تنمو وقد تجسدت الآن وتدعّمت بلوحاتٍ كتيبة كاملة من المصورين الذين يعملون حتى الآن وهم مفلسون. ومهما حدث، فإنه ومن المرجو أن يثمر ذلك، وأنت وترستيج ستصبحان أعضاء خبراء في الجمعية (مع بورتييه ربما؟)

لدي دراستان أخريان لمشاهد طبيعية، أرجو أن يستمر العمل بثبات وأنني في خلال شهر سأعطيك الطلبية الأولى، أقول في خلال شهر لأنني أريد الا أرسل إليك شيئا سوى الأفضل، ولأنني أريدها أن تكون جافة، ولأنني أريد أن أرسل دستة على الأقل أو نحو ذلك في الحال لأوفر ثمن النقل.

مبارك على شراء لوحة سورا، مع ما سأرسله إليك سيكون عليك أن تحاول عمل مبادلة مع سورا أيضا.

وكما تعرف تماما، فإن ترستيج إن انضم إليك في تلك المغامرة، فإن كليكما سيكون من السهل عليه إقناع بوسو وفالدون بأن يمدد الائتمان للمشتريات التي نحتاجها. هو أمر ضروري، فبدونه سيسحب تجارٌ آخرون البساط من تحت أقدامكم.

لقد تعرفت إلى رسام دنماركي يتحدث عن هيردال وآخرين من الشمال، كروير... إلخ. ما يصنعه جافٌ لكنه شديد الإتقان، وهو لا يزال شابًا. وقد زار معرض الانطباعيين في طريق لافاييت في وقته. وقد يأتي إلى باريس للصالون، ويريد القيام بجولة في هولندا ليرى المتاحف.

أظنها فكرة جيدة أن تضع لوحة الكتب في معرض المستقلين أيضًا. هذه الدراسة قد تعنون بـ "الروايات الباريسية".

سيسرني كثيرا أن أسمع عن نجاحك في إقناع ترستيج. حسنا، لنصبر.

لقد اضطررت لشراء مواد للرسم مقابل خمسين فرنكا حين وصل خطابك. هذا الأسبوع سأبدأ العمل على أربعة أو خمسة أشياء.

أفكر في اتحاد الرسامين هذا كل يوم، وقد تطورت الخطة لأبعد من ذلك في بالي، لكن يجب على ترستيج الانضمام إلينا، وعلى هذا سيتوقف الكثير. في أيامنا هذه، فإن المصورين سيقتنعون بالانضمام إلينا، لكننا لا يمكننا المضي قدما دون عون ترستيج. ودون هذا سنكون بمفردنا، ننصت لنواح الجميع من الصباح وحتى المساء، وسيأتي كل منهم بمفرده ليطلب الشرح، والمبادئ... إلخ. لا يجب أن نندهش إن ظن

ترستيج أننا يجب أن نضم فناني البوليفار الكبير. وإن نصحك بأن تقنعهم بالمبادرة في الاتحاد بإعطاء لوحاتهم لتصبح ملكية مشتركة لا تنتمي إليهم بشكل فردي، فيبدو لي أن البوليفار الصغير سيضطر أخلاقيا للانضمام استجابةً لاقتراح من ذلك الجانب. والسادة من البوليفار الكبير سيمكنهم الحفاظ على مقامهم الحالي بدحض النقد المبرر جزئيا للانطباعيين الصغار، الذين سيقولون: "إنكم تضعون كل شيء في جيوبكم". سيمكنهم الرد بسهولة على ذلك قائلين: "كلا البتة، بل نحن المبادرون بقول: لوحاتنا ملك الفنانين".

إذا قال ديجا، ومونيه، ورنوار وبيسارو هذا، حتى مع ترك مساحة كبيرة لتطبيق أفكارهم الفردية، وبإمكانهم أن يقولوا الأسوأ، إلا إذا صمتوا وتركوا الأمور تمر.

المخلص دوما،

فنسنت

٥٨٧ | آرل، الأحد، ١٨ مارس ١٨٨٨

إلى إميل برنار

(اسكتش A)

عزيزي برنار،

بعد أن وعدتك بالكتابة إليك، أريد أن أبدأ بإخبارك بأن هذا الجزء من العالم يبدو لي جميلا كاليابان لصفاء الجو وتأثيرات الألوان البهيجة. امتدادات المياه تصنع بقعا من الزمرد الجميل والأزرق الغني في المناظر الطبيعية، كما نرى في المطبوعات اليابانية. المغارب البرتقالية الباهتة تجعل الحقول كما لو كانت زرقاء - شموس صفراء مجيدة. بأي حال، فلم يتح لي إلى الآن رؤية هذا الجزء من العالم في زهوه الصيفي. أزياء النساء جميلة، وخاصة في الطريق الرئيسي أيام الآحاد حين ترى بعض التناسقات اللونية الساذجة والمختارة بعناية. وذلك أيضًا سيصبح أكثر حيوية وزهاء في الصيف.

من المؤسف أن الحياة هنا ليست رخيصة كما رجوت، وحتى الآن لم أجد وسيلة للعيش بسهولة كما قد يفعل المرء في بون أفون. لقد بدأت بدفع خمسة فرنكات والآن أنا على أربعة يوميا. على المرء معرفة اللهجة المحلية، وأن يعرف كيف يأكل يخنة السمك وطحينة الثوم، ثم سيكون بإمكانه أن يجد نزلا عائليا زهيد الثمن. ثم إن كان ثمة العديد منا، فإنني أميل لتصديق أننا سنحصل على شروط جيدة. ربما سيكون هناك ميزة حقيقية لهجرة العديد من الرسامين جنوبا، أولئك الواقعين في غرام الشمس واللون. قد لا يصنع اليابانيون تقدما في بلادهم، لكن لا شك أن فنّهم مستمر في فرنسا. إنني أرسل إليك في أعلى هذه الرسالة رسما تقريبيا (كروكيًا) أفكر ما الذي ينبغي أن أفعله به - بحارة عائدون مع حبيباتهم إلى البلدة، والتي يسقط الظل الغريب لجسرها المتحرك على خلفية شمس صفراء ضخمة.

لدي دراسة أخرى للجسر المتحرك نفسه مع مجموعة من النساء يغسلن. سيسرني كثيرا إن كتبت لي عما تفعله وعن وجهتك. مصافحة دافئة لك وللأصدقاء.

المخلص لك»

فنسنت.

٥٨٩ | آرل، نحو الأحد، ٢٥ مارس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد سرتني رسالتك أيما سرور، أشكرك عليها ولإرفاقك ورقة الخمسين فرنكا.

أهنئك تهنئة حارة على خطاب ترستيج، أظنه مُرضيًا تماما. وأنا مقتنع بأنه لا بأس من صمته حيالي، فبأي حال لا بد أنه توقع إطلاعك لي على رده. ومن الأسهل عليه عمليا أن يكتب لك وحدك، وفيما يخصني، فهو إن لم يظن بعملي السوء، فسترى أنه سيكتب لي قريبا بمجرد رؤية عملي. لذا سأخبرك ثانية أنني سعيد برده البسيط والودود أكثر مما يمكنني أن أخبرك.

لا بد أنك لاحظت أنه يخبر برغبته في شراء لوحة جيدة لمونتيتشيلي لمجموعته الخاصة. إن أخبرته بأن لدينا باقة من الزهور في مجموعتنا أكثر جمالا وأكثر فنًا من باقة رسمها دياز. وأن مونتيتشيلي أحيانا ما يتناول باقة من الزهر كي يضع على لوحة مفردة طيفا كاملا من درجاته اللونية الأكثر غنى وتوازنًا. وأنك عليك الذهاب مباشرة إلى ديلاكروا لتجد توزيعًا مثل هذا للألوان.

وأننا نعرف باقة أخرى ذات جودة فائقة وسعر معقول، أشير هنا للوحة التي عند ديلاربيريت، وأننا وبأي حال نظنّها بالنسبة لمونتيتشيلي أرقى من شخوصه، والتي هي في كل مكان هذه الأيام وتنتمي إلى فترة انحدار موهبته.

أتمنى أن ترسل إليه المشهد البحري الخاص بجوجان. كم أنا سعيد لرد ترستيج بهذه الطريقة.

حين تكتب إليه، أخبره عن راسل. وحين أكتب لراسل بنفسي، سأتحدث عن لوحاته وسأسأله أن يقوم بمبادلة معي، لأننا سنود أن نذكره ونعرض لوحاته فيما يخص مسألة مدرسة النهضة الحديثة المعاصرة.

لقد انتهيت للتو من رسم حرش من أشجار المشمش في عريشة صغيرة وخضراء ونضرة.

واجهتُ بعض المشاكل مع غروبٍ بشخوص وجسر كنت أحادث برنار حوله. بينما صدني الطقس السيء عن العمل في الموقع، فقد اشتغلت على تلك الدراسة باستماتة محاولا الانتهاء منها في البيت. على أي حال، بدأت بالموضوع نفسه ثانية على قماشة أخرى فور انتهائي، لكن لما كان الطقس مختلفا، استخدمت باليتة رمادية وبلا شخوص.

لا أظنها فكرة سيئة إرسالك إحدى دراساتي إلى ترستيج، هل تقصد اللوحة الكليشيه التي تضم جسرا وسماء صفراء وبيتين منعكسين في الماء؟

(اسكتش أ)

هذه أو الفراشات أو حقل الخشخاش ستفي بالغرض. على أي حال، أتمنى أن أصنع أشياء أفضل هنا. إن حدث وشعرت بذلك، يمكنك إخبار ترستيج أنني لا أزال أظنني أحظى بفرصة أفضل للمبيعات في هولندا بدراسات الطبيعة في الجنوب، وأنه وحين يأتي ترستيج إلى باريس في مايو سيجد شحنة ببعض المواضيع من هنا.

وثانية، شكرٌ عميق لكل المبادرات التي قمت بها من أجل معرض المستقلين، وعموما فإنني مسرور لأنهم قد وضعوهم مع الانطباعيين الآخرين. لكن، على الرغم من أن ذلك لا يصنع فارقا في هذه المرة، في المستقبل لا بد أن يوضع اسمي في الكتالوج بالطريقة التي أوقع بها على القماش، أي فنسنت، وليس فان جوخ، لسبب ممتاز وهو أن الناس هنا لن يمكنهم نطق الاسم.

نهر السين وجسر كليشي

إنني أرفق بخطاب هذا الرسالة التي وصلتني من ترستيج وتلك التي وصلتني من راسل، ربما يكون من الشائق الاحتفاظ بمكاتبات الفنانين.

لو تضمنت شحنتك رأس المرأة البريتونية الصغيرة التي رسمها صديقنا برنار، فلن تكون تلك فكرة سيئة. لا بد أن نريه أنّ كل الانطباعيين جيدون وأن عملهم متنوع للغاية.

أظن صديقنا ريد قد ندم على الانشقاق عنا، لسوء الحظ لا يمكننا عرض المميزات ذاتها عليه مرة أخرى - أي أن ندعه يحصل على لوحاتٍ مقابل عمولة. ليس من الكافي أن تحب اللوحات، وقد بدا لي أنه يعوزه الشعور الدافئ ناحية المصورين. إن غيّر من نفسه في هذا الخصوص فلن يتم الأمر بين ليلة وضحاها.

ترستيج كان صديقا شخصيا لموف والعديد من الآخرين، ولديه ذلك الشيء الذي يأسر محبي الفن فورا. سترى أن ما يوفر الثقة بالنفس هو التعرف إلى الناس.

سأكتب أكثر في الأيام القادمة، لكنني أردت فقط أن أهنئك توا على تجديد علاقاتك بهولندا.

مصافحة.

المخلص لك»

فنسنت.

مدينة باريس ليست مستعدة لدفع شيء، سيكون من المؤسف رؤية لوحات سورا في متحف ريفي أو قبو. يجب أن تظل هذه اللوحات في أيدٍ حيّة. إن أراد ترستيج، إن قمنا بالمعارض الثلاثة الدائمة، فسنحتاج لوحة كبيرة لسورا في باريس، وواحدة للندن، وواحدة لمرسيليا.

٥٩٠ | آرل، نحو الجمعة ٣٠ مارس ١٨٨٨
إلى وليماين فان جوخ (D)

اختي العزيزة،

حتى لا أدع خطابك يمرّ بلا رد، فإنني أكتب فور وصول خطابك وخطاب أمي والأمنيات السعيدة التي وصلت منكما.

عليك أن تعلمي أنني سيسعدني أن أكتب لكِ بشكل أكثر تواترًا لولا العديد من الأشياء التي لا تجعلني مالكًا وقتي، ولا يجب أن تتصوري أنني أفعل ما يحلو لي وأترك ما يحلو لي. العمل يمسكني بقبضته الآن طوال الوقت، وعلى الرغم من أن هذا ليس أمرا تعيسا، فإنني أتصور أن السعادة شيءٌ مختلف تماما.

بدايةً، لقد أصابتني بكم هائل من السعادة أن علاقة نشأت بين تيو والسيد ترستيج كيما يجعل عمل الرسامين هنا الذين يسمونهم الانطباعيين معروفا في هولندا أيضًا. عن نفسي فإنني لست نادما على المجيء إلى هنا، فأنا أجد الطبيعة هنا بارعة الجمال. بحلول العام القادم، حين يُعقد المعرض العالمي، لا بد أن أصنع كما كبيرا من الأشياء، لأن رفاقي لن يفشلوا قطعا في الحصول على العديد من الأشياء المثيرة.

وليس الأمر أنني وأصدقائي سنعرضُ مع المصورين الآخرين، لكن معرضا مفتوحا سيقام بالتوازي مع المعرض الرسمي في الوقت نفسه. الآن، هنا، في الوقت الحالي على سبيل المثال، لدي ست لوحاتٍ لأشجار فاكهةٍ مثمرة. وتلك التي أحضرتها اليوم إلى البيت ستعجبك، إنها تصور حفرةً في الأرض في بستان، وسورًا من الغصون وشجرتي خوخ تامتي الأزهار، ورديتين على خلفية سماء زرقاء لامعة بسحب بيضاء في وقت الشمس فيه ساطعة. يمكنك أن تريها بما أنني قررت أن أرسل تلك اللوحة إلى يت موف. لقد كتبت عليها:

تذكار لموف

فنسنت وتيو

الآن أعلم جيدا أنني كنت لأستطيع العثور على موضوع للتصوير في مكان آخر، لكن حين أفكر أن العديد من المصورين سيفعلون الأمر ذاته فأنا أعتبر العمل في الطبيعة هامًا للغاية، فالطبيعة وعلى الرغم من أنها تماما كما لدينا في الوطن في موضوعها وأصلها، لكنها بلا شك أكثر ثراءً وأغنى لونًا.

فضلا عن هذا، فإن للناس هنا هيئات مغرية للتصوير، وبينما أن شحاذًا في بلدنا سيبدو كالشبح، فإنه هنا يصبح كاريكاتيرًا. وحيث إن الناس -كما سترين حين تقرئين زولا، وجي دو موباسان- يريدون من الفن شيئا غنيا ومبهجًا للغاية، وعلى الرغم من أن زولا وموباسان قد قالوا أشياء تقطع نياط القلوب، فإن الحركة نفسها قد بدأت تصبح قاعدة في فن التصوير. على سبيل المثال يمكنني تصور أن الرسام في يومنا هذا يمكنه صنع شيءٍ مشابه لما يمكن أن نجده في كتاب بيير لوتي، "زواج لوتي"، حيث توصف الطبيعة في أوتاهيتي. وهو كتاب أنصحك بقراءته.

تفهمين طبعًا أن ريف الجنوب لا يمكن تصويره بباليتة موف على سبيل المثال، الذي ينتمي إلى الشمال وسيكون دائما سيدا على الرمادي. لكن باليتة اليوم هي باليتة زاهية بالتأكيد، أزرق سماوي، وردي، برتقالي، قرمزي، أصفر زاهٍ، أخضر براق، نبيذي زاهٍ، وبنفسجي.

لكن بتقوية كل الألوان يحرز المرء الهدوء والتناغم. ويحدث شيء ما كما في موسيقى فاجنر، فهي حين تؤديها أوركسترا كبيرة، لن تكون أقل حميميةً لهذا السبب. الناس فقط يفضلون التأثيرات المشمسة والزاهية، ولا يمنعني شيء من التفكير أحيانا أن العديد من المصورين في المستقبل سيذهبون للعمل في البلدان المدارية. سيتسنى لك أن تفهمي التغيير في التصوير إن فكرتِ مثلا في اللوحات اليابانية الزاهية التي يراها المرء في كل مكان، مشاهد طبيعية، وشخوصا. أنا وتيو لدينا المئات من تلك الطبعات اليابانية.

كما ترين فإنني أكتب لك عن العمل فقط اليوم، ولا بد أن أنهي الخطاب، ولا أعرف إن كان سيمكنني الكتابة إليك أكثر من ذلك. أجمل الأماني لك ولأمي، وشكرا لخطابيكما.

فنسنت.

عن نفسي، لا بد أن أتمنى لك أيضا عيد ميلاد سعيدًا، وبما أنني أود أن أعطيك شيئا من عملي يعجبك فسأضع جانبا دراسة لكتاب وزهرة لك، في حجم كبير ولمجموعة كبيرة من الكتب بأغلفة بالوردي، والأصفر، والأخضر والأحمر الناري، لوحتي "الروايات الباريسية" كانت عن الموضوع نفسه،

سيحضر لك تيو هذه، لدي أيضا دراسة للسيد يت موف.

٥٩٢ | آرل، نحو الثلاثاء ٣ أبريل ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إنني في غمرة العمل بالأشجار المزهرة وأريد أن أصنع بستانا بروفنساليا بزهاء هائل، الكتابة لك ببالٍ هادئٍ تبدو صعبة للغاية، بالأمس كتبت بضعة خطابات دمرتها لاحقا. إنني أشعر كل يوم يمضي بأننا مضطرون لفعل شيء في هولندا، وأنه علينا أن نبدأ بهذا بحمية دهماء فرنسا، بالزهاء الفرنسي اللائق بالقضية التي ننشدها.

وعليه، فهذه خطة للهجوم ستكلفنا بعض أفضل اللوحات التي صنعناها معا، بما يعادل، لنقل، عدة آلاف من الفرنكات، حسنا وبأي حال كانت ستكلفنا المال وجزءا من حيواتنا. لكنها ستكون ردًا واضحًا على بعض التلميحات المغطاة التي تعاملنا وكأننا موتى بالفعل، وستكون أيضا ثأرًا لرحلتك العام الماضي حين كان ترحيبهم بك ينقصه الدفء الكافي.

دعنا نفترض، إذن، أننا أولا قد أعطينا يت موف تذكارا لموف.

دعنا نفترض أنني أهديت دراسة لبرايتنر (لدي دراسة مشابهة لتلك التي بادلتها مع ل. بيسارو وتلك التي لريد، برتقاليات، مقدمة بيضاء، خلفية زرقاء).

دعنا نفترض أيضا أننا أعطينا أختنا دراسة أو شيئا آخر.

دعنا نفترض أننا أعطينا المتحف الحديث في لاهاي المنظرين الطبيعيين من مونمارتر المعروضين في معرض المستقلين، بما أن لدينا العديد من الذكريات في لاهاي.

ثمة شيء آخر ليس سهلا على الإطلاق. وبما أن ترستيج كتب إليك "أرسل إليّ بعض الانطباعيين، لكن فقط لوحات تظن أنت أنها بين الأفضل"، وبما أنك قد ضمّنت الطلبية واحدة من لوحاتي، فإنني في موقف محرج يلزمني فيه أن أقنع ترستيج بأنني حقا انطباعي من البوليفار الصغير، وأنني أتوقع استمرار هذا الاعتبار. أوه حسنا، سيحصل على إحدى لوحاتي لمجموعته الخاصة. لقد فكرت في هذا في الأيام الماضية ووجدت شيئا غريبا لن أفعله كل يوم. إنه الجسر المتحرك بالعربات الصفراء الصغيرة ومجموعة من النساء اللائي يغسلن الثياب، دراسة فيها حقول برتقالية زاهية، والعشب جدّ أخضر، والسماء والمياه زرقاوان.

تحتاج فقط إلى إطار مصمم لها خصيصا، في أزرق ملكي وذهبي مثل هذا، الجزء المسطح أزرق، والشريط الخارجي ذهبي.

(اسكتش أ)

لو لزم الأمر، يمكن أن يكون الإطار أزرق غنيا، لكن سيكون من الأفضل طلاؤه.

أظنني بإمكاني طمأنتك أن ما أفعله هنا أفضل من حملتي في أسنير في الربيع الماضي.

لا شيء تم إقراره تماما في الخطة كلها عدا الإهداء في ذكرى موف والإهداء إلى ترستيج. لم أتمكن بعد من الكتابة إليه، لكن سأتدبر الأمر، بما أن اللوحة قد انتهت فسيأتيني الأمر تلقائيا، لكنك واعٍ أن لدينا القدرة على إلزامهم بالحديث عنا لو أردنا، وأن بإمكاننا الاستمرار في تقديم الانطباعيين هناك بهدوء كبير وثقة عالية بالنفس.

زاويـــة إطار

إن رأيت ريد ثانية فستكون فكرة جيدة أن تخبره بأننا لا نثق في نجاح الطموحين، وأننا نفضل العمل الجيد، وأننا أدهشنا أسلوبه في التصرف، والذي كان في نهاية الأمر غير قابل للتفسير، وأننا منذ ذلك الوقت لم نعد نعرف ماذا نظن في أمره. أظن راسل يحاول أن يقيم سلاما بيني وبين ريد، وأنه كتب الرسالة تحديدا بهذه النية. سأكتب إلى راسل بالتأكيد قائلا إنني أخبرت ريد مباشرة بأنني كنت متأكدا أنه كان خطأ من طرفه وجنونًا أن يحب لوحات ميتة ليس بها اعتبار للرسامين الأحياء. وانني بأي حال تمنيت أن أراه يغير رأيه في هذا الخصوص.

بمجرد أن استلمت الرسالة اضطررت لإنفاق كل شيء تقريبا على الألوان والأقمشة، وسأكون مسرورا إن كان ممكنا لك أن ترسل إلي شيئا إضافيا في الأيام القليلة القادمة. لوحة الحديقة مع الحبيبين في تياترو ليبر. بويير، الفلاح، ما زال يملك الطبّعة الحجرية، الرجل المسن أصلع الرأس.

أود أن تحصل على الطلبية التي سأصنعها لك قبل أن يصل ترستيج إلى باريس، ويمكنك أن تضع أشجار التفاح المزهرة في الغرفة. إنني سعيد حقا لأن الأمور على ما يرام مع كونينج وأنك لا تعيش وحيدا. يا له من أمر سيئ بالنسبة لفينيون، لا بد أن السيد جندر كان متورطا، لا أتمنى للسيد جندر سوى السوء، فهو يسيء كثيرا للآخرين. إنها نهاية حزينة للأب مارتن. لم أزل أستطيع كتابة خطاب من الذي تفضله. العمل يستغرقني تماما. حسنا، أولا وقبل كل شيء إنه خطاب لإخبارك أنني أريد أن أصنع بضع دراسات لهولندا، وبعدها سأترك هولندا لحالها للأبد.

إن بالي مشغول بموف، وفايسنبروخ، وترستيج، وأمنا، وويل. في الأيام الماضية، شعرت بعواطف أكثر من المعقول، ويهدئني أن أقول لنفسي إننا سنقوم ببعض التصوير من أجل هولندا. وبعد هذا سأنسى أمرهم وأفكر بالأحرى فقط في البوليفار الصغير.

كن مطمئنا أن ترستيج لن يرفض اللوحة، وأنه قرارٌ نهائي أن تلك والأخرى التي ليت موف ستذهبان إلى هولندا. عن نفسي لن أكتب مباشرة إلى ترستيج، إن قلت له شيئا فسأرسله إليك مع اللوحة.

٥٩٥ | آرل نحو الأربعاء، ١١ أبريل ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إنه لفضل منك أن أرسلت إلي طلبية الألوان كلها، لقد استلمتها للتو ولم أحظ بفرصة لأفحصها بعد. لكنني مسرور بها. اليوم كان يوما جيدا أيضا. هذا الصباح عملتُ على بستان أشجار برقوق مثمرة، وفجأة، هبت ريح عاصفة، وهو تأثير لم أره إلا هنا، وعادت ثانية على فترات. في الفترات تلك، سطع ضوء الشمس على الزهور البيضاء البراقة. كانت بارعة الجمال! صديقي الدنماركي التحق بي، وفي خطر أن أرى اللوحة على الأرض بفعل الريح في أي لحظة استمررت في التصوير، في هذا التأثير الأبيض كان ثمة الكثير من الأصفر مع الأزرق والليلكي، والسماء بيضاء وزرقاء. لكن بالنسبة لتنفيذ ما نفعله في الهواء الطلق هكذا، ماذا سيقولون. حسنا، لننتظر ونرى.

ثم، بعد العشاء بدأت العمل على اللوحة نفسها التي أنوي إرسالها إلى ترستيج، "جسر الإنجليز" وهي لك. وإنني أود حقًا أن أصنع إعادةً لتلك التي لجت موف أيضًا، لأنه وبما أنني أنفق كثيرا فلا بد ألا ننسى حقيقة أنه علينا أن نجرب استعادة بعض المال، الذي ينفلت سريعا من بين أيدينا.

بعدها كنت آسفا على عدم طلبي الألوان من الأب تانجي، الرغم من أنه ليس ثمة أي ميزة في ذلك، بل على النقيض، لكنه شخص مرح ولم أزل أفكر فيه أحيانا. لا تنس أن تبلغه تحيتي إن رأيته، وتخبره أنه إن أحب أن يحصل على أي لوحة لواجهة

متجره يمكنه الحصول عليها مني، بل وأفضل لوحة من أجله. آه، لقد صار واضحا لي أن الناس هم جذر كل شيء، وأنه وعلى الرغم من أن عدم الاندماج بالحياة الحقيقية يظلّ مما يثير الأسى دائما، ونظن أنه كان من الأفضل أن نعمل في اللحم نفسه بدلا من الألوان أو الجص، بمعنى أنه من الأفضل أن نصنع أطفالا بدلا من أن نصنع لوحات أو أعمالا، ففي الوقت نفسه تشعر أنك تعيش حين ترى أن لديك رفاقا من أولئك الذين ليسوا في الحياة الحقيقية هم أيضًا.

لكن تحديدا لأن ما في قلوب الناس هو قلب العمل نفسه، لا بد أن نصنع صداقات في هولندا، أو بالأحرى أن نبعث هذه الصداقات ونحييها. بما أننا وفيما يخص قضية الانطباعيين، لدينا القليل مما نخافه في لحظة عدم الربح والمضي قدما. وبسبب ذلك النصر الذي يكاد يكون مضمونا مقدما، فإننا من جانبنا يجب أن نكون راقين في أسلوبنا ونفعل كل شيء بهدوء.

أود حقا لو أنني رأيت تجسيد مارات الذي أخبرتني عنه في ذلك اليوم. سيثير هذا اهتمامي كثيرا. بشكل عفوي أتصور مارات على أنه مكافئٌ أخلاقي (لكنه أقوى) لزانثيبه، المرأة التي أصبح حبها محزنا. والتي مع ذلك تظل تمس قلبك، لكن في النهاية ليس ببهجة ما كتبه جي دو موباسان في منزل آل تيلبير.

هل انتهى لوتريك من لوحته عن النساء اللائي يستندن على طاولة صغيرة في المقهى؟

إن استطعت أن أتعلم كيف أشتغل الدراسات التي صنعتها من الحياة على قماشات أخرى، فستحصل على مبيعات ممكنة. أتمنى أن أنجح في هذا هنا، وهذا هو السبب الذي يجعلني أجدُّ في التجريب مع اللوحتين اللتين سأرسلهما إلى هولندا، من جهة أخرى، ستحصل عليهما أيضا وبهذه الطريقة لن يكون أمرا بلا طائل.

كنتَ مُحقا في إخبار تاسّيه أن لوحة "بحيرة زهور الجيرونيا" لا بد من أن يتم ضمّها بعد كل شيء، لقد أرسلها، لقد تأكدت للتو، كل الألوان التي جعلتها الانطباعية صرعةً غيّارةً، وهذا أيضا مدعاة إلى استخدامها بجرأة، الزمن وحده

سيهدئ منها وينعمها. حسنا، كلّ الطلبية التي صنعتها، سواء الألوان الكرومية الثلاثة (البرتقالي، الأصفر، الليموني)، أو الأزرق البروسي، والزمردي، وزرقة الفوّة، الأخضر الفيروني، الرصاص البرتقالي، كل هذا لا يكاد يوجد في الباليتة الهولندية: ماريس، وموف، وإسرائيل. لكنه موجود في باليتة ديلاكروا، الذي لديه شغف باللونين اللذين لا يعجبان أحدا، ولأفضل الأسباب، الليموني والأزرق البروسي. على أي حال، أظن أنه صنع أشياء رائعة بهما، الأزرقات والأصفرات الليمونية. مصافحة لك، لكونينج، وأشكرك ثانية على الألوان.

المخلص دوما،

فنسنت.

٥٩٧ | آرل، نحو الجمعة ١٣ ابريل ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك الذي يحوي نماذج من القماشات الماصة. سيسعدني أن ترسل إليّ، ليس على الفور، ثلاثة أمتار من النوع الذي سعره ستة فرنكات.

أما عن طلبية الألوان، لم يكن بها سوى أربعة أنابيب كبيرة من الأبيض، بينما كانت الأنابيب الأخرى متوسطة الحجم (البيضاء). إن كان قد أخذ سعرها بالنسب نفسها، فسيكون ذلك جيدا، لكن أريدك أن تنتبه لهذا.

أربعة أنابيب أبيض بسعر فرنك، لكن البقية ستكون بنصف السعر. أجد هذا الأزرق البروسي ضعيفا، والقرمزي أيضا. البقية جيدة.

Mon cher Theo, merci de ta lettre contenant les échantillons de toile absorbante. Je serai bien aise de recevoir — mais cela ne presse aucunement — 5 mètres de celle à 6 fr.

Pour ce qui est de son envoi de couleurs il n'y avait que 4 gros tubes de blanc tandis que tous les autres tubes étaient des demi gros (de blanc). S'il les a comptés dans les mêmes proportions c'est fort bien mais fais attention à cela.

4 tubes de blanc à 1 fr. mais le reste ne doit être qu'à moitié prix.

Je trouve son bleu de Prusse mauvais et son cinabre. Le reste est bien.

Maintenant je te dirai que je travaille aux 2 tableaux desquels je voulais faire des répétitions. Le pêcher rose me donne le plus de mal.





pêcher rose



ثلاثة بساتين

الآن سأخبرك أنني أعمل على لوحتين أردت أن أكررهما. شجرة الخوخ الوردية هي الأكثر إشكالا.

(اسكتش أ)

يمكنك أن ترى من المربعات الأربعة على الجانب الآخر أن البساتين الثلاثة تتماشى معا بشكل أو بآخر. لدي الآن أيضا شجرة كمثرى صغيرة، رأسية، على جانبيها لوحتان أفقيتان. وهذا يجعل المجموع ست لوحات لبساتين مزهرة.

في اللحظة الحالية أحاول الانتهاء منها كل يوم، وأن أجعلها متماشية معا.

أجرؤ على تمني صناعة ثلاثٍ أخرى، متماشية أيضا، لكن تلك لم تزل في مرحلة الجنين.

إنني أود حقا صناعة تلك المجموعة المكونة من تسع لوحات.

تفهم أننا يمكننا بحرية اعتبار اللوحات التسع كفكرة ابتدائية للوحات أكبر بكثير، تزيينية بالضرورة (هذه تتكون من قماشات مقاس ٢٥ ومقاس ١٢) يمكن صناعتها عن الموضوع نفسه، في الوقت نفسه من العام القادم.

(اسكتش ب)

ها هي القطعة الوسطى من قماشات مقاس ١٢.

الأرضية بنفسجية، في الخلفية جدار من شجر الحور المستقيم، وسماء زرقاء للغاية.

شجرة الكمثرى الصغيرة بجذع بنفسجي وزهور بيضاء، وفراشة صفراء كبيرة على أحد العناقيد.

على اليسار، في الركن، حديقة صغيرة مع حدٍّ من الأقصاب الصفراء والشجيرات الخضراء وحوض زهور. وبيت وردي صغير.

وهكذا تكون هذه هي تفاصيل ديكور البساتين المزهرة، التي أنتوي إرسالها إليك.

لكن اللوحات الثلاث الأخيرة موجودة فقط بشكل مبدئي، ومن المفترض أن تعرض بستانا كبيرا جدا مع حدٍّ من أشجار السرو وأشجار كمثرى وتفاح كبيرة.

"جسر لانجلوا" الذي لك، يمضي العمل عليه بشكل جيد، وسيكون أفضل من الدراسة، كما أظن.

إنني على عجلة كبيرة للعودة للعمل. أما عن لوحة جيومان، لو كان ممكنا شراؤها فإن ذلك سيكون صفقة جيدة، لكن بما أنهم يتكلمون عن طريقة جديدة لتثبيت الباستيل، فسيكون من الحكمة أن نطلب منه أن يثبتها بتلك الطريقة، في حالة الشراء. مصافحة لك ولكونينج.

المخلص لك أبدا،

فنسنت.

لقد حصلت على خطاب من برنار مع بعض السوناتات التي كتبها وبعضها ناجح بالفعل، سينجح في صناعة سوناتا جيدة، وهو ما أحسده عليه.

بمجرد أن تجف "جسر لانجلوا" والنسخة المكررة للوحة الأخرى (شجرة الخوخ الوردية)، سأرسلها طردًا.



Voici l'autre pour le milieu des toiles de 12

terrain violet. dans le fond un mur avec des peupliers [illegible]

Le petit poirier a un tronc violet et des fleurs blanches un grand papillon jaune sur une des touffes à gauche dans le coin un petit jardin avec bordure de roseaux jaunes et des arbustes verts [illegible] — Une maisonnette rose.

Décoration

de vergers en fleurs que je te destinais: [illegible]

[illegible]

suis pressé de retourner travailler. Pour le Guillaumin, si cela est possible c'est [illegible]

[illegible]

Vincent

شجرة كمثرى صغيرة مزهرة

٥٩٩ | آرل، الخميس، ١٩ أبريل ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار،

شكرا جزيلا لإرسال سوناتاتك. شكلا وصوتا فإنني أحب الأولى كثيرا، "تحت عرائش الأشجار الهائلة النائمة". أما عن الفكرة والعاطفة فإنني ربما أفضل الأخيرة: "فالأمل قد صبّ عصابه على صدري"، لكنه يبدو لي أن ما تريد أن تبعثه في الشعور ليس واضحا بما يكفي: اليقين الذي لدينا والذي يمكننا إثباته بطرق عديدة، على عدمية، وخواء، وخداع المرغوبات الطيبة والجميلة، وعلى الرغم من تلك المعرفة فإننا نسمح لأنفسنا أبدًا بأن ننخدع بسحر هذه الحياة الخارجية، والأشياء التي خارج أنفسنا، ملقاة على حواسنا الست، وكأننا لا نعرف شيئا، وخصوصا الفارق بين الموضوعي والذاتي. ولحسن طالعنا، بهذه الطريقة نظل جهلاء وآملين. أحببت أيضا "في الشتاء، ليس لدي قرش ولا زهرة"، و"ازدراء". "ركن الكنيسة" و"لوحة لألبرشت دورر" يبدوان لي أقل وضوحا، على سبيل المثال، تحديدا، أي لوحة لألبرشت دورر هي؟ لكن بها فقرات ممتازة مع ذلك. "بعد أن أتيت من السهوب الزرقاء، شاحبا من السفر الطويل" هي ترجمة ممتعة وجيدة لمناظر طبيعية تضج بالصخور الزرقاء التي تلتف بينها الطرق في خلفيات كراناخ وفان آيك.

"ملتويا على صليبه في الحلزون" هي ترجمة رائعة للنحول المبالغ فيه للمسيح، لماذا لا يضاف إليها أن التعبير المعذّب للشهيد مثل حصان جرٍ كسير القلب؟ بهذه الطريقة ستكون باريسية تماما، حيث يمكنك رؤية هذه الهيئة سواءً على المتقاعدين في العربات الصغيرة، أو الشعراء والفنانين. لكن على أي حال، هي ليست بجودة تصويرك بعد. لكن لا تيأس. سيتأتى لك الأمر، ولا بد أن تستمر حقا في كتابة السوناتات.

ثمة أناس كثيرون، خصوصا بين رفاقنا، يتصورون أن الكلمات لا شيء. في المقابل، ألا تظن، أنها مثيرة للاهتمام وبالصعوبة نفسها لرسم شيء ما. ثمة فن للخطوط والألوان، لكن أيضًا ثمة فنًا للكلمات التي تبقى.

(الاسكتش أ)

هاك بستان جديد، بسيط في تكوينه، شجرة بيضاء، شجرة خضراء صغيرة، وركنٌ من الخضرة، حقل من الليلك، وسقفٌ من البرتقال، وسماء زرقاء كبيرة. لدي تسعة بساتين، أبيض، ووردي، وواحد يكاد يكون ورديا أحمر، وأبيض وأزرق، ووردي رمادي، وأخضر ووردي.

اشتغلت على أحدها باستماتة بالأمس، به شجرة كرز على خلفية سماء زرقاء، غصون الأوراق الفتية كانت برتقالية وذهبية، وعناقيد الزهور بيضاء. هذا على خلفية أزرق السماء المخضر، كان مجيدا بحق. لسوء الحظ فالطقس ممطر اليوم، ما يمنعني من العودة للهجوم.

رأيت ماخورا هنا يوم الأحد (وأيامًا أخرى كثيرة)، غرفة كبيرة مدهونة بجير مزرق، مثل مدرسة قروية، خمسون أو نحو ذلك من الجنود الحمر والمدنيين السود، بوجوه صفراء وبرتقالية (يا لدرجات ألوان الوجوه هنا)، النساء في أزرق سماوي، في قرمزي، كل شيءٍ نقي ومرح. كله في ضوء أصفر. أقل كآبة من تلك التي من النوع نفسه في باريس. الضجر ليس في الجو هنا. في الوقت الحالي فإنني هادئ وصامت، لأنني أولًا لا بد وأن أتغلب على مرض أعاني منه في المعدة، يا لسعادتي، لكن بعدها سأضطر لعمل جلبة كبيرة، لأنني أرجو أن أشارك شهرة الكتاب الخالد "تارتاران دو تاراسكون".

من المثير بالنسبة لي نيتك أن تمضي وقتًا في الجزائر. هذا أمر رائع، وبعيد كل البعد عن أن يكون سيئا. إنني أهنئك حقًا على ذلك. سنرى بعضنا في مرسيليا على أي حال.



بستان وشجر كمثرى مزهر

ستستمتع برؤية الأزرق هنا، والشعور بالشمس.

لدي الآن شرفةٌ مغطاة أستخدمها كمرسم.

إنني أنوي حقا أن أمضي قدما في تصوير المناظر البحرية أيضًا في مرسيليا، فليس بي شوق هنا لرمادي البحر في الشمال. إن رأيت جوجان، فأبلغه تحيتي الحارة، لا بد أن أكتب له في خلال دقائق.

عزيزي برنار، لا تأسَ، وفوق كل شيء، لا تيأس وتُحبط يا صديقي الطيب، لأنك وبموهبتك وإقامتك في الجزائر، ستصبح فنانا رائعا. حقًا، ستصبح جنوبيا أيضًا. لو أن لدي نصيحة أسديها لك، فهي أن تبني نفسك بأكل الطعام الصحي والبسيط لعام كامل، نعم، بداية من الآن. لأنه من الأفضل ألا تأتي إلى هنا بمعدة مريضة أو دم فاسد. لقد كانت تلك حالي، وعلى الرغم من أنني أتعافى، فالتعافي بطيء، وأشعر بالندم لأنني لم أكن حريصا من البداية. لكن من يمكنه فعل أي شيء في شتاء سيئ كهذا، فقد كان شتاءً غير طبيعي. لذا احرص على أن يكون دمك جيدا قبل المجيء، فالطعام السيئ هنا يجعل من الصعوبة الحفاظ على صحتك، لكن بمجرد أن تكون صحيحا، من السهل الحفاظ على الصحة في باريس.

اكتب لي قريبا، على العنوان نفسه، مطعم كاريل، آرل.

مصافحة،

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٠٢ | آرل، الثلاثاء، ١ مايو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لخطابك وورقة الخمسين فرنكا التي احتواها. لا أرى المستقبل داكنا، لكنني أراه مليئا بالصعوبات، وفي أوقات أتساءل إن كانت ستكون تلك الصعوبات أقوى مني. خصوصا في أوقات الضعف الجسدي، والأسبوع الماضي عانيت من ألم في الأسنان كان مضنيا حتى إنه جعلني أضيع الوقت رغمًا عن إرادتي. مع ذلك، لقد أرسلت إليك منذ قليل لفافة من الرسومات بالحبر، دستة كما أظن. وبهذا سترى أنه وعلى الرغم من أنني توقفت عن التصوير فإنني لم أتوقف عن العمل. بينها ستجد كروكيًا متسرعا على ورقة صفراء، نجيلٌ في الحديقة العامة عند مدخل المدينة. وفي الخلفية بيتٌ يشبه هذا البيت بشكل أو بآخر.

(اسكتش أ)

آه، حسنا، اليوم استأجرت الجناح الأيمن من هذا المبنى، الذي يحتوي على أربع غرف، أو لأكون دقيقا، اثنتين، وغريفتين صغيرتين.

إنه مطلي بالأصفر من الخارج، ومطلي بالجير الأبيض من الداخل، ومعرض للشمس طوال اليوم. لقد استأجرته مقابل خمسة عشر فرنكا شهريا. الآن ما أود أن أفعله هو تأثيث غرفة، تلك التي في الطابق الأول، ليمكنني النوم فيها. الاستوديو، والمتجر، سيظلان هنا طوال معسكري هنا في الجنوب، وبهذه الطريقة سأحصل على استقلالي عن العراكات التافهة في الفنادق، والتي هي مدمرة للمزاج وتصيبني بالاكتئاب. في الواقع، كتب لي برنار أنه لديه بيت كامل لنفسه هو الآخر، لكنه لا يدفع شيئا. يا له من محظوظ. سأرسمه لك مرة أخرى بشكل أفضل من ذلك الكروكي. وفي الوقت الحالي فإنني أجرؤ على إخبارك أنني أنوي دعوة برنار وبعض الآخرين لإرسال لوحاتهم لأعرضها هنا إن سنحت الفرصة، وستسنح يقينا في مرسيليا. أتمنى

Mon cher Theo merci beaucoup de ta lettre et du billet de 50 fr qu'elle contenait. Ce n'est pas en noir que je vois l'avenir mais je le vois très hérissé de difficultés et par moments je me demande si ces dernières ne seront pas plus fortes que moi. Cela c'est surtout dans les moments de faiblesse physique et la semaine dernière je souffrais d'un mal de dents assez cruel pour qu'il m'ait bien malgré moi fait perdre du temps. Pourtant je viens de t'envoyer un rouleau de petits dessins à la plume une douzaine je crois. Par où tu verras que si j'avais cessé de peindre j'ai pas cessé de travailler. Tu y trouveras un croquis hatif sur papier jaune

une pelouse dans le square qui se trouve à l'entrée de la ville, et au fond d'une bâtisse à peu près comme ceci –
Eh bien – j'ai aujourd'hui loué l'aile droite de



cette construction qui contient 4 pièces ou plutôt deux avec deux cabinets.
C'est peint en jaune dehors blanchi à la chaux à l'intérieur – en plein soleil
je l'ai loué à raison de 15 francs par mois

المنزل الأصفر

أن أكون محظوظا هذه المرة. كما تعلم، أصفر بالخارج وأبيض بالداخل، في الشمس تماما. أخيرا سأرى لوحاتي في داخلٍ ساطع. الأرضية مصنوعة من القرميد الأحمر. وفي الخارج، الحديقة العامة، التي سترى لها رسمين آخرين.

الرسومات، أؤكد لك، ستكون أفضل.

لقد وصلني خطاب من راسل، الذي اشترى لوحة لجيومان واثنتين أو ثلاثًا لبرنار. إنني مسرور حقا بهذا، لقد كتب لي أيضًا أنه سيتبادل الدراسات معي. لن أخشى من أي شيء سوى من صحتي السيئة. ومع ذلك فإنني أفضل حالا مما كنت عليه في باريس، وإن أصبحت معدتي ضعيفة للغاية فإن هذه مشكلة أصبت بها هناك، بالأحرى بسبب النبيذ السيئ، الذي شربت منه الكثير. النبيذ هنا بالسوء نفسه، لكنني أشرب القليل منه. والواقع أنه بما أنني لا أكاد آكل أو أشرب، فإنني ضعيف للغاية، لكن دمي يتحسن بدلا من أن يصبح سيئا. لذا ومرة أخرى، إنه الصبر ما أحتاجه في الظروف الحالية، والمثابرة.

بعد أن استلمت القماشات الماصة، فإنني سأبدأ في هذه الأيام بلوحة من مقاس ٣٠ جديدة، أتمنى أن تكون أفضل من الأخريات. هل تذكر في "البحث عن السعادة" الشاب الذي اشترى من الأرض ما يقدر على قطعه ركضا في يوم واحد؟ حسنا، بديكور البساتين فقد أصبحت ذلك الرجل، بشكل أو بآخر، نصف دستة من اللستة التي لدي بأي حال، لكن الست الأخريات لسن بالجودة نفسها، وأنا آسف لأنني لم أركز على اثنتين منها بدلا من الست الأخيرة.

بأي حال، سأرسل إليك عشرًا أو نحو ذلك في الأيام القليلة القادمة.

اشتريت زوجين من الأحذية، ما كلفني ستة وعشرين فرنكا، وثلاثة قمصان كلفتني سبعة وعشرين فرنكا، ما يعني أنه وعلى الرغم من ورقة مائة الفرنك، فإنني لم أصبح غنيا. لكن في ضوء حقيقة أنني أخطط للعمل في مرسيليا، فإنني أريد أن أبدو بهيئة جيدة، ولا أنتوي أن أشتري سوى الجودة العالية. والأمر نفسه بالنسبة للعمل، سيكون من الأفضل أن أصنع عددا أقل من اللوحات، بدلا من صناعة لوحات سيئة.

إن حدث واضطررتَ لترك أولئك السادة المحترمين، فلا تفكر أن لدي شكوكًا حول إمكانية العمل مع ذلك، لكننا لا يجب أن يباغتنا شيء، هذا كل ما في الأمر، وإن استمر الأمر لمدة أطول قليلا، فسيكون ذلك أحسن في الواقع.

بالنسبة لي، لو أنني صرت جاهزا بعد عدة شهور من الوقت الحالي لحملة إلى مرسيليا، فسيكون بإمكاني أن أفعل الأشياء بثقة أعلى من الثقة التي قد تكون لي إن ذهبت إلى هناك بصحة سيئة. لقد رأيت مكنايت مرة أخرى، لكن لم أر عمله بعد. لا تزال الألوان لدي، والفرش، ولدي العديد من الأشياء. ولا يجب أن نفرّطَ في ذخيرتنا.

أظنك إن تركتَ أنت أولئك السادة، فعن نفسي سيكون علي أن أعيش دون أن أنفق أكثر من مائة وخمسين فرنكا على سبيل المثال شهريا. لا يمكنني فعل ذلك الآن، لكنك سترى أنه وفي خلال شهرين سأكون على ذلك الوضع. إن كسبنا أكثر، فسيكون من الأفضل، لكنني أريد أن أطمئنك.

ثم إنني لو حصلت على حساء قوي جدا، فسيساعدني ذلك على المضي قدما، من المريع أنني لم يمكنني قط الحصول على تلك الأشياء البسيطة التي طلبتها من أولئك الناس. والأمر ذاته يحدث في كل تلك المطاعم الصغيرة. مع ذلك، ليس من الصعب سلق البطاطس. محال!

ولا أرز ولا معكرونة أيضًا، إما ذلك وإما أنها فاسدة بسبب الدهن، ويعطون تبريرا لعدم طبخها: أنها من أجل الغد، لا يوجد مكان كافٍ لها في الموقد.

من السخيف ولكنه حقيقي مع ذلك أن يكون ذلك هو سبب سوء صحتي.

مع ذلك، يكلفني حمل نفسي على اتخاذ القرار الكثير من الألم، لأنني قلت لنفسي إنني في لاهاي وفي نيونن قد حاولت أن آخذ استوديو، وقلت لنفسي إن الأمر أصبح سيئا وقتها. لكن العديد من الأشياء قد تغيرت منذ ذلك الوقت. وبما أنني أشعر أنني على أرضية صلبة، فدعنا نمضِ قدما. وعلينا أن نحرص على أنه وبما أننا أنفقنا الكثير من المال على هذا التصوير اللعين فلن ننسى أن نحصل على لوحات في المقابل.

لو جرؤنا على الإيمان، وأنا أكيد من ذلك، بأن اللوحات الانطباعية سيرتفع سعرها، فعلينا صناعة الكثير منها والحفاظ على السعر عاليا.

لذا يجب أن نمتني هادئين بجودة الأشياء ولا نضيع الوقت. وبعد بضع سنوات، يمكنني رؤية إمكانية عودة رأس المال لأيدينا، وإن لم يكن على هيئة أموال، فسيكون على هيئة قيمة.

والآن إن وافقتَ، فسأؤجر أو أشتري أثاثا من أجل غرفة النوم. سأذهب لألقي نظرة اليوم أو صباح الغد.

لم أزل مقتنعا بأن الطبيعة هنا هي ما تحتاجه صناعة اللون. لذا فإنه من المرجح أنني لن أنتقل بعيدا عن هنا.

رفائيلّي قد صنع بورتريها لإدمون دو جونكور، هل فعل؟ لا بد أنه كان جميلا. لقد رأيت لوحة "الصالون" منشورة في لي ليستراسيون. هل لوحة جول بريتون جميلة؟

ستستلم قريبا لوحة صنعتها من أجل الأول من مايو.

وإن كان ذلك ضروريا، يمكنني أن أعيش في الاستوديو الجديد مع أحدهم، وسأحب ذلك كثيرا. ربما يأتي جوجان لزيارة الجنوب. ربما أرتب الأمر مع مكنايت. حينها يمكننا أن نطبخ في البيت.

بأي حال، الاستوديو مكشوف للغاية ولن يغري أي امرأة، وأي حادثة تخصّ الجنس اللطيف سيكون من الصعب أن تؤدي إلى التعايش. وعلى أي حال، فإن المعايير الأخلاقية تبدو لي أقل وحشية وتضادا مع الطبيعة من باريس. لكن مع مزاجي هذا، فإن الحياة بجنون والعمل لا يتماشيان معا، وفي الظروف الحالية سيكون علي أن أرضى بصناعة اللوحات. ليست هذه السعادة وليست الحياة الحقة، لكن ماذا بإمكانك أن تقول، فحتى تلك الحياة الفنية، التي نعلم أنها ليست حياة حقة، تبدو حيّةً بالنسبة لي، وسيكون نكرانا للجميل الا نقنع بها.

إن أحد أسباب القلق الكبيرة قد اختفى الآن وقد وجدت الاستوديو الأبيض الصغير. كنت قد رأيت الكثير من الشقق بلا فائدة. سيبدو مضحكا لك أن تكون دورة المياه عند الجيران، في بيت كبير يملكه المالك نفسه. لا يحق لك الشكوى من أمر كهذا في مدينة جنوبية، لأن تلك المرافق قليلة ومتباعدة وقذرة ولا يمكنك أن تفكر بها إلا كأعشاش للجراثيم.

من جهةٍ أخرى، لدي ماء هنا.
سأضع بعض المطبوعات اليابانية على الحائط.

لو حدث وكانت لديك بضع لوحات في شقتك تعيق الطريق، فإن هنا يمكنه دائما أن يكون مخزنا لك، قد يصبح ذلك ضروريا، لأنك عليك ألا تحتفظ بأشياء متوسطي الموهبة في مكانك.

لقد كتب برنار إليّ وأرسل كروكيا.
إنني مسرور لأنك وجدت أمّنا وأختنا في حال جيدة.

هل سيذهب ريد إلى مرسيليا؟ هل سبب ذلك ربما أنه يحب تلك المرأة التي لم تثق بنا، شاعرة بأننا ربما لن نريد أن نشجع التعايش بينهما. إنني أميل لأن أظن أنها السبب النفسي لعودته. ستقول إنه وفي تلك الحال سيكون علينا ملاحظة كلّ ما يفعله في المستقبل، ونضبط أنفسنا حاليا. هل ستذهب إلى هولندا في أعياد الميلاد؟ ربما يمكنك فعل الاثنين، الذهاب لرؤية ترستيج، والذهاب إلى مرسيليا من أجل العمل الخاص بالانطباعيين، والراحة في بريدا بين المهمتين. هل رأيت سورا ثانيةً؟

أصافحك بشدة، وأتمنى لك عاما مليئا بنور الشمس مثل الطقس هنا، تحيات دافئة لكونينج.

المخلص دوما،

فنسنت

إن استطعت إرسال ١٠٠ فرنك في المرة القادمة، فسيمكّنني ذلك من النوم في الاستوديو في الأسبوع الحالي. سأكتب لك أيضا عن الترتيبات التي يريد أن يصنعها بائع الأثاث.

٦٠٣ | آرل، الجمعة، ٤ مايو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

بالأمس ذهبتُ لأرى بعض تجار الأثاث لأرى إن كان بإمكاني استئجار سرير... إلخ. لسوء الحظ علمت أنهم لا يؤجرون شيئا، ورفضوا حتى أن يبيعوا بالتقسيط. هذا أمر غريب. الآن فكرت أنه ربما، إن كان كونينج سيغادر بعد رؤية الصالون، كما أظن أنها كانت نيته الأصلية، فبعد مغادرته قد يمكنك إرسال سريره الذي يستخدمه الآن.

علينا أن نلاحظ أنه لو نمت في الاستوديو فإن ذلك يصنع فارقا ماليا قيمته نحو ثلاثمائة فرنك في نهاية العام، والذي يُنفَقُ في الحال الأخرى على الفنادق. أنا واعٍ تماما أنه ليس ممكنا أن أقول مقدما: إنني سأمكث هنا وقتًا طال أم قصر، مع ذلك، لدي العديد من الأسباب لكي أصدق أن إقامة طويلة هي ما سيحدث.

بالأمس كنت في فونتفيي، عند مكنايت، لديه باستيل جميل، شجرة وردية، ولوحتان مائيتان قيد التنفيذ، ووجدته يعمل على رأس امرأة عجوز بالفحم. إنه في مرحلة تعذبه فيها نظريات اللون الجديدة، وبينما تمنعه من صناعة الأشياء طبقا للنظام القديم، فإنه لم يملك بعد بما يكفي باليتته الجديدة لكي يصبح قادرا على النجاح بتلك الطريقة. أصابه الحرج من عرضها علي، لذا كان علي أن أذهب إلى هناك وأخبره كم أردت رؤية عمله، والآن ليس من المستحيل أنه قد يأتي ليمكث معي هنا لفترة. حينها سنستفيد على الجانبين.

أفكر كثيرا برنوار هنا وفي رسمه النقي النظيف. فهكذا هي الأشياء والشخوص هنا، في الضوء الساطع.

لدينا كم هائل من الريح وعواصف الميسترال هنا، ثلاثة أيام من أربعة في الوقت الحالي، دائما مع سطوع الشمس، مع ذلك من الصعب العمل بالخارج.

أظن أنه يمكن فعل شيء حيال البورتريهات هنا. قد يكون الناس جهلة للغاية فيما يخص فن التصوير، لكنهم عموما أكثر فنا من الناس في الشمال في شكلهم وحيواتهم الخاصة. لقد رأيت شخوصا هنا بجمال شخوص جويا وفيلاسكيز. يعرفون كيف يضعون لمسة من الوردي على حلة سوداء، أو يصنعون زيا أبيض، أو أصفر، أو ورديا، أو أخضر وورديا، أو أزرق وأصفر، لا يحتاج أن يتغير فيه شيء من وجهة النظر الفنية.

سيجد سورا شخوص رجالٍ مميزة هنا للتصوير، على الرغم من حللهم الحديثة.

الآن أجرؤ على قول إن الناس هنا ستسعد بتصويرها في بورتريه. لكن قبل أن أقدم على المخاطرة بإلقاء نفسي في هذا الخضم، أريد أن يهدأ جهازي العصبي أولا، ثم أريد أن أكون مستقرا بطريقة يمكننا فيها استقبال الناس في الاستوديو. وإن كان علي ذكر الموضوع الأهم، فوفقا لحساباتي فإنني بحاجة لعام كامل لتتحسن صحتي وأتعود على المناخ هنا، وكيما أستقر سأحتاج لألف فرنك. إن أنفقت في العام الأول ـ الحالي ـ مائة فرنك لأعيش ومائة أخرى لهذا التأسيس شهريا، فيمكنك أن ترى أنه لن يبقى مليم في الميزانية للتصوير. بنهاية العام الحالي، أظن أنني سوف أكون قد حصلت على الاستقرار والصحة. وشغلي بينما أنتظر هذا سيكون وفوق كل شيء قضاء كل الأيام في الرسم، بالإضافة إلى لوحتين أو ثلاث لوحات شهريا.

في الاستقرار هذا فإنني أضع في الحسبان تجديدا شاملا لكل الشراشف والملابس والأحذية. وسأكون رجلا مختلفا بنهاية العام. سيكون لدي بيتٌ واطمئنان حول صحتي. وهكذا فإنني أتمنى ألا أنهار وألّا ألفظ أنفاسي قبل الأجل هنا. مونتيتشيلّي كان أقوى مني جسديا، أظن ذلك، وإن كانت لدي القدرة فسأحيا يومًا بيوم مثله.

لكنه إن كان هو قد أصيب بشلل ودون أن يكون مدمنا على الشراب، فهذا سبب آخر لعدم قدرتي على مقاومته. لقد كنت يقينا في طريقي لأصاب بالشلل حين

غادرتُ باريس. لقد لحقني بعدها، في الوقت المناسب! حين أقلعت عن الشرب، والإفراط في التدخين، وحين بدأت بتأمل الأشياء مرة أخرى بدلا من محاولتي ألا أفكر بشيء، يا إلهي، يا للحزن والأسى. العمل في تلك الطبيعة الرائعة حافظ على معنوياتي، لكن هناك أيضا، وبعد كم معين من الجهد لم أجد القدرة على فعل شيء.

آه حسنا، لهذا السبب حين كتبتُ إليك في اليوم السابق قلت إنك إن تركت آل جوبيل فستشعر بأنك أفضل فيما يخص المعنويات لكن التعافي سيكون أليما. بينما أنت لا تشعر بالمرض نفسه. صديقي، إن عصابنا وما إلى ذلك يأتي أيضا من حياتنا الفنية، لكنه أيضا ميراثٌ مميت، حيث إننا في تلك الحضارة نصبح أضعف جيلا بعد جيل.

خذ أختنا ويل مثلا، لم تشرب ولم تعش حياة فوضوية، على الرغم من ذلك فإن لدينا صورة لها تبدو فيها كامرأةٍ مجنونة. أليس هذا برهانًا كافيًا على أننا إن أردنا النظر للحال الحقيقية لمزاجنا وجها لوجه فسيكون علينا وضع أنفسنا بين أولئك الذين يعانون من عصابات ترجع للماضي البعيد.

أظن أن جربي محق في هذه الحالات ـ كلْ جيدا، عشْ جيدا، تعرّفْ إلى القليل من النساء، بكلمة واحدة عش كما لو كنت في انتظار الموت مثل واحد مصاب بمرض في المخ والنخاع، ناهيك بالعصاب، الموجود بالفعل.

يقينا إن هذا هو مربط الفرس، وهو لا بأس به كسياسة.

وديجا، يفعل هذا وينجح. بأي حال، ألا تشعر كما أشعر أن هذا صعبٌ للغاية؟

وباختصار أليس من مصلحتنا الإنصات إلى النصيحة الحكيمة من ريفيه وبانجلوس، هذين المتفائلين اللذين ينتميان إلى الجنس الغالي الحقيقي المرح الذي يمنحك ثقة بالنفس؟ مع هذا، إن أردنا أن نحيا ونعمل، فلا بد أن نكون حذرين للغاية وأن نعتني بأنفسنا. الماء البارد، الهواء، الطعام البسيط الجيد، أن نلبس الملابس

الجيدة، وأن ننام في سرير جيد ولا نقلق حيال شيء. وعدم إطلاق العنان لنفسك مع النساء والحياة الحقيقية للمدى الذي تحبه.

لستُ مستقرا على النوم في الاستوديو، لكن إن أردتُ النوم هناك، فسيكون ذلك مشروطا بأن أجد إمكانية الاستقرار بشكل نهائي ولوقت طويل. بما أنني لست بحاجة لمكان في الفندق فلدي الاستوديو في مكان آخر، سأخبر الناس أنه بثلاثة فرنكات يوميا، قرار نهائي. وعليه فلا شيء يدفعنا إلى التعجل. لكن الأمر سيان بالنسبة لك، أرسل إلي مائة فرنك بأي حال في المرة القادمة، فأنا أود أيضا أن أحصل على أدراجٍ خشبية، كما أريد أن أحصل على قمصان وأحذية، ولأنني أيضا أريد كل ثيابي نظيفة وأريد إصلاح التالف منها. حينها ستصبح كلها جيدة تماما. هذا أمر عاجل، في حال أردت الذهاب إلى مرسيليا أو أردت لقاء الناس هنا. وبكل تلك الاحتياطات التي نتخذها الآن سنتيقن من إمكانية الصمود على المدى الطويل ومن إمكانية تنظيم عملنا.

هنا نحو عشر لوحات، أبحث عن صندوق يحويها لأرسلها إليك في الأيام القادمة.

أصافحك بشدة، وكونينج أيضا. وصلتني منه بطاقة بريدية يقول فيها إنه استلم رسالة تطلب منه جمع اللوحات من المستقلين. لكن بالطبع كان عليه أن يجمعها، ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟

المخلص لك أبدا،

فنسنت.

(لا داعي لذكر أنه إن كان في بيتك لوحات تشغل مساحة كبيرة يمكنك إرسالها إلي هنا في قطار البضائع وسأحفظها في الاستوديو معي. إن لم تكن هذه هي الحال الآن، فستصبح لاحقا، لهذا أحتفظ بعدة دراسات هنا لا أظنها جيدة كفاية لإرسالها إليك.)

٦٠٩ | آرل، السبت، ١٢ مايو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

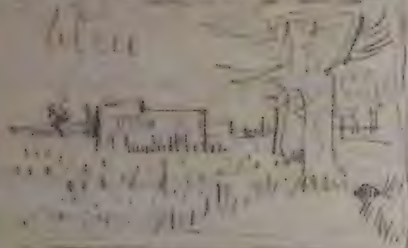
إنني أكتب لك بضعة سطور أخرى لأخبرك أنني ذهبت لرؤية السيد الذي يسميه العربي اليهودي بلكنته "جاضي (قاضي) المصالحات" مع ذلك فقد حصلت على الاثني عشر فرنكا وقد وبخت مضيفي لاحتفاظه بحقيبة السفر الخاصة بي، فبما أنني لم أرفض الدفع، لم يكن له الحق في الاحتفاظ بها. لو أنهم تحيزوا للجانب الآخر، لم يكن هذا ليؤذيني، لأنه لم يكن سيجد من الصعوبة الذهاب إلى كل مكان وقول إنني لم أكن قادرا أو إنني رفضت دفع ما علي له، وإنه كان مضطرا لمصادرة حقيبتي. بينما في الوضع الحالي -ولأنني غادرتُ في توقيت مغادرته نفسه- فقد قال بينما نمضي إنه كان غاضبا لكن لم يشأ إهانتي، لكن ذلك هو بالضبط ما كان يحاول فعله، بالأحرى بما أنه عرف أنني ضقت ذرعا بكوخه، وأنه لن يستطيع حملي على المكوث، كان سيذهب ويروي حكايات عن مكاني الحالي. حسنا. إن أردت الحصول على التخفيض الفعلي، كنت سأدعي مبالغ أكثر للضرر، مثلا. إن تركت نفسي تنزعج من أي شخص فلن أجد مكانا أذهب إليه، كما تفهم.

لقد وجدت مطعما أفضل يمكنني أن آكل فيه مقابل فرنك واحد.
صحتي صارت أفضل في هذه الأيام.
لدي أيضا دراستان كهذه

(اسكتش أ)

لديك رسمٌ لها بالفعل، بيت في الحقل بجوار طريق عريض في حقول القمح

(اسكتش ب)





(من الأعلى إلى الأسفل) منزل مزرعة في حقل قمح، منظر لمدينة آرل وزهور السوسن في المقدمة

مرجٌ مليء بزهور الحوذان الصفراء للغاية، ومجرى مائي بنبات الزنبق وأوراقه الخضراء، وزهور أرجوانية، البلدة في الخلفية، وبعض أشجار الصفصاف الرمادية، وشريط من السماء الزرقاء.

إن لم يقصوا عشب المرج فإنني أود إعادة هذه الدراسة، لأن الموضوع كان جميلا بحق، وواجهت مشكلة في إيجاد التكوين. بلدة صغيرة محاطة بالريف ومغطاة تماما بالزهور الصفراء والأرجوانية. سيكون هذا حقا حلما يابانيا كما تعلم.

سألت عن سعر إرسال الشحنة التي ستذهب في قطار البضائع، وسيكون سبعة فرنكات في محطة باريس. وبما أنني ليس لدي الكثير مما تبقى لم أضع طابع البريد عليها هنا، لكن إن طلبوا المزيد من المال فسيكون عليك أن تشكوهم. الصندوق مكتوب عليه UV وW1042.

هبت ريح الميسترال ثانية بالأمس واليوم. أتمنى أن تصل طلبيتي قبل أن يحضر ترستيج لباريس.

مصافحة، اكتب قريبا.

المخلص لك،

فنسنت.

٦١١ | آرل، نحو الأحد، ٢٠ مايو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

ما كتبته عن زيارتك لجربي ضايقني، لكن في الوقت نفسه طمأنني أنك ذهبت إلى هناك. هل فكرتَ أن خمولك، وشعورك بالكسل الشديد، قد يكون سببه تلك الحالة

في القلب، وأنه وفي تلك الحال، لن يلام يوديد البوتاسيم على فترات الإنهاك الشديد؟ قد تذكر كيف كنت أنا مرهقا في هذا الشتاء، إلى حد أن كنتُ غير قادر على فعل شيء بالمرة! بخلاف لوحة صغيرة، على الرغم من أنني لم يوديد البوتاسيم قط. لذا فإن كنتُ مكانكَ، فسأقرر الإقلاع عنه مع ريفيه إن كان جربي يقول ألا تأخذه.

وستكون نيتك، على أي حال، أن تحافظ على صداقتيهما معا. لا شك لدي في ذلك.

يخطر جربي على بالي كثيرا هنا والآن، وباختصار فإنني أشعر بأنني على ما يرام، لكنه بسبب أنني هنا لدي الجو النقي والدفء، ما يجعل الأشياء ممكنة بالنسبة لي. وبين كل مساوئ باريس وجوها السيئ، ريفيه يأخذ الأشياء على ما هي عليه دون أن يحاول خلق جنة ودون أن يحاول جعلنا كاملين بأي طريقة كانت. لكنه يصنع بذلة مدرعة، أو بالأحرى يجهزنا للمرض ويحفظ معنوياتنا، كما أرى، بالسخرية من مشاكلنا.

لذا إن كان بإمكانك الآن الحصول على عام من الحياة في الريف قريبا للطبيعة، فسيجعل هذا علاج جربي أسهل كثيرا. لذا فإنني أظنه سيحضك على عدم رؤية النساء إلا للحاجة القصوى، لكن بأقل ما يمكن. الآن وعن نفسي، أشعر أنني على ما يرام هنا بهذا الخصوص، لكن هنا، بما أن لدي العمل والطبيعة، وإن لم أحصل على هذا فسأكون تعيسا. وما دامت لديك رغبة للعمل هناك، وما دام الانطباعيون بخير، فسيكون هذا نصرا كبيرا. لأن الوحدة، والقلق، والصعوبات، والحاجة للصداقة والشعور بالرفقة التي لا تتحقق بما يكفي، هذا هو الأمر السيئ للغاية، عاطفة الحزن العقلية أو الإحباط يدمراننا أكثر من الحياة الفوضوية: نحن، أي أولئك المحظوظين بقلوب منهكة.

أظن أن يوديد البوتاسيوم ينقي الدم والنظام كله، أليس كذلك، هل سيمكنك العيش بدونه؟ بأي حال سيكون عليك أن تتحدث مباشرة إلى ريفيه، الذي لا يجب أن يشعر بالغيرة.

كنت لأتمنى أن يكون بجوارك شيء حيّ بفظاظة، أكثر دفئا من الهولنديين، لكن بأي حال، كونينج بتزواته هو استثناء للقاعدة. بأي حال، إنه من الجيد أن يكون بجوارك أحدهم. لكنني كنت لأتمنى أن يكون لديك صديق جيد أو صديقان بين الفرنسيين. هل بإمكانك أن تسدي لي معروفا: صديقي الدنماركي، الذي سيغادر إلى باريس يوم الثلاثاء، سيعطيك لوحتين صغيرتين، ليستا بالشيء الكبير، أود أن أعطيهما لمدام كونتيسة لا بواسيري في أسنيير. هي مقيمة في شارع فولتير، في الطابق الأول للبيت الأول في نهاية جسر الكليشيه. مطعم الأب بيروشو في الطابق الأرضي. أيمكنك أخذها إليها بنفسك نيابة عني، وتقول إن لدي أمنية أن أراها ثانية في هذا الربيع وإنني حتى هنا لم أنسها، لقد أعطيتها وابنتها لوحتين صغيرتين العام الماضي. أظن أنك لن تندم على معرفة هاتين السيدتين. فبعد كل شيء، إنهما عائلة.

الكونتيسة بعيدة عن الشباب لكنها فضلى الكونتيسات، وهي سيدة، وابنتها أيضا.من المعقول أن تذهب أنت، بما أنني لست متأكدا إن كانت العائلة تقيم في المكان نفسه هذا العام (بأي حال، لقد مكثوا هناك لعدة أعوام، وبيروشو لا بد يعرف عنوانهم في المدينة). ربما أضلل نفسي، لكن لا يمكنني التوقف عن التفكير بهم، وربما سيسرهم ويسرك أيضا إن التقيتم.

اسمع، سأفعل كل ما أستطيع لأرسل إليك بعض الرسوم الجديدة للووردريخت.

هذا الأسبوع صنعت لوحتي طبيعة صامتة.

(اسكتش أ)

إبريق قهوة صفيحي مطلي بالمينا الزرقاء، فنجان أزرق ملكي وذهبي (على اليسار)، جرة لبن مربعات أزرق فاتح وأبيض، فنجان، على اليمين، أبيض، بتصاميم زرقاء وبرتقالية، على طبق من الطمي الأصفر الرمادي، جرة من السيراميك أو الصلصال الملون زرقاء، بتصاميم حمراء، وخضراء، وبنية، وأخيرا برتقالتان وثلاث ليمونات، الطاولة مغطاة بمفرش أزرق، والخلفية صفراء وخضراء، صانعا ست درجات للأزرق وأربعًا أو خمس درجات للأصفر والبرتقالي.

Il est logique que tu y ailles parce que nous ne pouvons désirer que la famille reste [illegible] surtout cette année [illegible] aller y vivre après plusieurs années [illegible] et [illegible] l'adresse [illegible])
C'est peut-être aux [illegible] que je me [illegible] - je ne peux m'empêcher [illegible] et peut-être [illegible]
Ecoutes - je ferai tout mon possible de t'envoyer de nouveaux dessins pour Dordrecht
J'ai fait cette semaine deux natures mortes

toile de 30

une cafetière en fer émaillé bleu une tasse (à gauche) bleu de roi et or un pot à lait en carreaux bleu pâle et blanc, une tasse - à droite - blanche à dessins bleu & orangé sur une assiette de faïence jaune-grise un pot en barbotine ou majolique bleu avec dessins rouges verts bruns enfin 2 oranges et 3 citrons la table est couverte d'une draperie bleue. Le fond est jaune vert donc 6 bleus différents et 4 ou 5 jaunes & orangés.
L'autre nature morte est le pot de majolique avec des fleurs sauvages.

رسم حي لأواني القهوة

الطبيعة الصامتة الأخرى هي لجرة من الصلصال الملون بزهور برية.

جزيل الشكر للخطاب وورقة الخمسين فرنكا. أتمنى أن يصلك الصندوق في الأيام القليلة المقبلة. في المرة القادمة أظنني سأنزع اللوحات عن الأطر وألفها وأرسلها، بالبريد السريع. أظنك سرعان ما ستبدأ صداقة مع الدنماركي، لا يفعل الكثير لكنه، لديه ذكاء وقلب جيد، ربما أنه لم يبدأ التصوير منذ وقت طويل. خذه إلى نزهة يوم الأحد لتتعرف إليه.

عن نفسي، أشعر أنني أفضل، دمي يدور جيدا، ومعدتي تهضم. لقد وجدت طعاما جيدا للغاية، ما كان له تأثير فوريّ علي.

هل رأيت وجه جربي حينما يكز على شفتيه ويقول "لا نساء"؟ لعله صالح لصناعة لوحة جيدة لديجا ـ هذا الوجه، هكذا. لكن لا شيء يمكن قوله ضد ذلك، لأنه حين تضطر للعمل طوال النهار بعقلك، حاسبا، مفكرا، مخططا للعمل، فإن هذا وحده كافٍ لأعصابك. اذهب الآن وزر امرأة في عالم الفن أو ما شابه، وسترى أنك ستنجح، حقا. سترى أن الأمر سيحدث هكذا وأنك لن تخسر الكثير، أليس كذلك؟

لم أستطع بعد عمل صفقة مع تاجر الأثاث، لقد رأيت سريرا لكنه أبهظ ثمنا مما ظننت. أشعر بالحاجة للانتهاء من الأعمال قبل أن أنفق أكثر على الأثاث.

نزلي يكلفني فرنكا في الليلة. لقد اشتريت مفارش وألوانا أيضا.

لقد اشتريت مفارش قوية.

وبينما يعود دمي لحالته العادية، فإن فكرة النجاح تعود لي أيضا. لن أندهش إن كان مرضك أيضا هو رد فعل على ذلك الشتاء القارس، الذي استمر طويلا. ثم سينسحب كما حدث لي. تنفس الكثير من هواء الربيع واذهب إلى السرير مبكرا جدا لأنك بحاجة إلى النوم، ثم كلِ الطعام، الكثير من الخضار الطازج ولا تشرب نبيذا ولا خمرا سيئا. والقليل من النساء والكثير من الصبر. إن لم ينقشع المرض فورا فإن ذلك لا يهم. والآن سيعطيك جربي وصفة غذائية بها الكثير من اللحم هناك. هنا، عن نفسي،

لم أستطع أخذ الكثير، وليس من الضروري هنا. شعوري بالإنهاك يذهب كل يوم، ولا أشعر بالحاجة لتسلية نفسي، وأنا بدأت التخلص من سيطرة أهوائي ويمكنني العمل بهدوء، ويمكنني أن أكون وحيدا دون أن أشعر بالملل. لقد خرجت من كل هذا شاعرا بأن العمر تقدم بي، لكن بلا حزن.

لن أصدقك إن كتبت في خطابك القادم أنك على ما يرام، ربما هو تغير جادّ، ولا يجب أن أندهش إن حدث وخلال ذلك الوقت اللازم للتعافي وأصبت ببعض الأسى. ثمة شوق للحياة الحقيقية في وسط الحياة الفنية كان وسيكون وسيظل أبدا، كمثال لا يمكن إحرازه.

ونحن أحيانا ما نفتقد الرغبة للقفز في خضم الفن ثانية ولبناء أنفسنا لهذا. نعرف أننا أحصنة جر وأنها ستكون العربة نفسها التي سنلجم فيها ثانية. وهكذا لا نشعر بالرغبة في القيام بالأمر ونفضل الحياة في المرج تحت الشمس، بجوار نهر، ورفقة أحصنة أخرى تكون حرة مثلنا، وعملية الخلق. وربما في النتيجة النهائية فإن حالة القلب التي لديك تأتي جزئيا من هناك، لن يدهشني هذا كثيرا. لم نعد نثور على الأشياء، ولسنا راضين أيضا، نحن مرضى ولن يتحسن الوضع أبدا، ولا يمكننا فعل أي شيء حيال هذا. لا أعرف من لقّب هذه الحالة بالإصابة بالموت والخلود. العربة التي نجرها قدما لا بد أنها مفيدة لأناس لا نعرفهم. لكن كما ترى، إن آمنّا بالفن الجديد، وبفناني المستقبل، فلن تخدعنا هواجسنا. حين قال الأب كورو قبل أن يموت بأيام قليلة: الليلة الماضية رأيت في أحلامي مناظر طبيعية بسماوات وردية تماما، حسنا ألم تظهر هذه السموات الوردية والأصفر والأخضر، في مناظر الانطباعيين الطبيعية؟ كل هذا لأقول إن ثمة أشياء يشعر بها المرء في المستقبل لكنها تحدث حقا.

ونحن الذين كما أميل للاعتقاد، لسنا بأي حال قريبين للموت، مع ذلك نشعر أن ثمة شيئًا أكبر منا وسيعيش بعدنا.

لا نشعر بأننا سنموت، لكننا نشعر بحقيقة الأمر، أننا لسنا كثيرين، وأنه كي نكون حلقة في سلسلة المصورين فإننا ندفع ثمنا باهظا من صحتنا وشبابنا وحريتنا،

وهو ما لا يعجبنا البتة، كما لا يعجب حصان الجرّ جرُّ عربة مليئة بأناس، سيستمتعون بالربيع وغيره. حسنا إذن، ما أتمناه لنفسي ولك أيضا هو أن ننجح في استعادة صحتنا، لأننا سنحتاجها. لوحة "الأمل" لبوفي دو شافان هي حقيقة. ثمة فن في المستقبل وسيكون يقينا جميلا وشابا لدرجة أنه وفي الحاضر -إن منحناه شبابَنا- يمكننا فقط أن نحرز منه السكينة. ربما من السخيف كتابة كل هذا، لكنه ما شعرت به، أنك مثلي تعاني لرؤية شبابك يطير مع الدخان، لكنه إن عاد وظهر فيما نفعله، فلن يكون قد ضاع أصلا، والقدرة على العمل هي شباب ثانٍ. لذا كن جادا في تعافيك، لأننا نحتاج صحتنا. أصافحك بشدة وكونينج أيضا.

المخلص لك،

فنسنت.

٦١٥ | آرل، الاثنين، ٢٨ مايو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد سعدتُ باستلام خطابك هذا الصباح، جزيل الشكر لورقة مائة الفرنك المرفقة به.

وأنا سعيد لأن الصندوق وصل في النهاية.

إن وجدتَ أن "تذكار لموف" بين اللوحات المرضية، إذن فعليك إضافتها إلى طلبية لاهاي المقبلة، بإطار بسيط أبيض. إن وجدت دراسة أخرى بينها ألبق بترستيج، يجب عليك وضعها بلا إهداء، وعليك أن تحتفظ بتلك التي عليها إهداؤه، والذي يمكنك محوه عندها. لأنه من الأفضل أن نعطيه واحدة بلا أي نوع من الإهداء، حينها يمكنه أن يدعي أنه لم يفهم أنها كانت هدية له، ويرسلها دون أن يقول شيئا عن

رغبته في الاحتفاظ بشيء مني. سيكون لزاما علي أن أعطيه واحدة بنفسي، لأثبت أن بي بعض الحماسة للقضية وأنني أقدر مساندته لتلك القضية، لكن باختصار، افعل ما ينبغي، ولا ترسل أي واحدة، أرسل تلك بإهداء أو بدونه، أو أرسل أخرى، فلن يصنع ذلك فارقا بالنسبة لي مهما يكن. فقط لأنه وموف متقاربان، ففي عاطفة اللحظة بدا لي أمرا بسيطا ومفهوما أن أصنع شيئا لترستيج في الوقت نفسه الذي كنت أصنع فيه تذكارا لموف. ولم تكن ببالي أية فكرة أخرى سوى هذه. لذا فهذا كاف.

دراسة البستان التي ذكرتها، التي بها الكثير من التنقير، هي نصف الموضوع الرئيسي للديكور. النصف الآخر هو دراسة بالشكل نفسه، بدون إطار يشدها.

وهاتان الاثنتان معا ستعطيان فكرة عن البساتين هنا. لكنني عن نفسي ظننت أن دراسة واحدة ستكون ضعيفة جدا، والثانية خشنة جدا، وكلاهما فاشلتان. الطقس المتغير أثر في هذا بالتأكيد أيضا، وأصبحت كالروسيّ الذي حاول اجتياز الكثير من الأراضي في مسيرة يوم واحد.

إنني أتوق لرؤية نتائج نظام جربي، على المدى الطويل، وبعد ـدعنا نقُل ـ سنة من تطبيقه. سيكون من الحكمة أن تزوره أحيانا للمسامرة، ولتحثه على الانتباه وبذل جهد كبير وحقيقي من طرفه، فقد حصل بونجر في النهاية على صداقته واهتمامه العميق. بعدها سأطمئن عليك. لا يسعني الاطمئنان حاليا. العرض الذي قدمه هؤلاء السادة وجملوك تسافر في رحلات قصيرة عبر البحار، أرهقك كثيرا.

وإنني ألوم نفسي لإرهاقك بهذا الشكل، أنا، بحاجتي الدائمة إلى المال.

يبدو لي أن ما يطالبك به هؤلاء السادة يمكنه، على أي حال، أن يكون معقولا إن وافقوا بداية على منحك إجازة لعام كامل (براتب كامل) لاستعادة صحتك. ستكرس تلك السنة للذهاب ورؤية كل الانطباعيين وخبراء الانطباعية في منازلهم ثانية. سيكون هذا عملا أيضا لمصلحة بوسو وشركاه. بعد هذا ستتحسن صحتك وأعصابك تستقر فتكون قادرا على القيام بأعمال أخرى هناك.

لكن أن تذهب وتنزع الكستناء من النار لأولئك السادة في الحالة التي أنت فيها الآن يعني أن تقضي عاما سينهكك للغاية. ولن ينتج عن هذا أي شيء جيد.

أخي العزيز، دعنا نفحص الفكرة الإسلامية أن لكلّ أجلٍ كتاب. بالنسبة لي، يبدو أننا نفتقر لأي برهان علوي على مثل هذا الكلام. على النقيض، يبدو لي أنه قد تم إثبات أن العادات الصحية الجيدة قد لا تطيل العمر فقط، بل وقد تجعله أكثر سكينة أيضا، وتزيد من صفاء مياهه، بينما العادات الصحية السيئة لا تعكر فقط تيار الحياة، لكن وأكثر من هذا، فإن الافتقار إلى العادات الصحية السليمة، قد يضع حدا للحياة قبل أوانها.

رأيت بعيني هاتين رجلا يموت بسبب الافتقار إلى طبيب ذكي، كان هادئا ومستكينا عبر الأمر كله، لكنه فقط ظل يقول: "إن وجدتُ طبيبا آخر"، ومات وهو يهز كتفيه بطريقة لن أنساها أبدا.

هل تود أن أذهب إلى أمريكا معك؟ سيكون ذلك مناسبا إن دفع أولئك السادة ثمن تذكرتي.

ثمة العديد من الأشياء التي لا تهمني بطريقة أو بأخرى، لكن ليس من بينها أن تقوم أولا ببناء صحتك بالشكل الصحيح.

الآن أفكر أنك بحاجة لغمر نفسك ثانية في الطبيعة وبين الفنانين.

وسأفضل رؤيتك مستقلا عن آل جوبيل، وأن تعمل لحسابك الخاص مع الانطباعيين، بدلا من البديل الآخر وهو حياة من السفر مع اللوحات الثمينة الخاصة لأولئك السادة. حين كان خالنا شريكا لهم، في بضع سنين استطاع أن يجمع الكثير من المال، لكن انظر ماذا كلفه هذا.

الآن، رئتاك جيدتان، لكن، لكن، لكن... سنة من جربي أولا، ثم سترى الخطر المحيط بك الآن.

في الوقت الحاضر أمضيت أكثر من عشرة أعوام في باريس، وهو أمر أكثر من جيد. ستخبرني أن دوتاي مثلا، أمضى قرابة الثلاثين عاما في باريس وأنه واقفٌ كالعمود.

حسنا، افعل الأمر نفسه إن كانت لديك إمكانيات يمكن مقارنتها بإمكانياته. لست ضد الأمر، ولعائلتنا قبضة متينة على الحياة. كل ما أود قوله مجتمع في هذا: إن إرسال أولئك السادة لك لتنزع الكستناء من النار في بلاد بعيدة، يستوجب أن يكون ما يدفعونه لك جيدا، أو ارفض، واغمر نفسك بالانطباعيين، ستقوم بقدر أقل من العمل مقارنة بالأموال التي تحصل عليها، لكنك ستعيش قريبا من الطبيعة.

عن نفسي، إنني أتعافى، ومنذ الشهر الماضي تحسنت معدتي بشكل جيد. لكنني لم أزل أعاني تلك المشاعر الاضطرارية التي لا اسم لها، أو الكسل والتخاذل في بعض الأيام، لكن الأمر عامة يصبح أهدأ.

إنني أخطط لعمل رحلة إلى سان ماريز، لأرى البحر المتوسط أخيرا.

أختانا ستكونان سعيدتين بلا شك إن جاءتا إلى باريس ولن تؤذيهما تلك الرحلة، هذا أمر يقيني. أود لو تأتون جميعا إلى هنا، إلى الجنوب أيضا.

إنني ألوم نفسي دائما على كون تصويري لا يستحق ما يُنفَق فيه.

علينا أن نعمل مع ذلك، لكنك يجب أن تعلم أن الظروف إن سمحت في وقت ما بانشغالي بأعمال أكثر، إذا ما أزاح هذا بعض الثقل عن كاهلك، فسأفعل هذا دون ندم.

موريه سيعطيك رسمين زائدين بقلم الحبر.

أتعرف ما عليك فعله بهذه الرسوم؟ ألبوم من مقاس ستة أو عشرة أو اثنا عشر، مثل ألبومات الرسومات اليابانية الأصلية.

إنني مصمم على عمل ألبوم مشابه لجوجان وواحد لبرنار. لأن الرسومات تتحسن وستتحسن.

(اسكتش أ)

لقد اشتريت بعض الألوان اليوم، والقماشات، لأنني أعتمد على الطقس فسأقوم بالهجوم. وهو سبب آخر لعدم تعجلي طلبية الألوان، عدا الأنابيب العشرة الكبيرة للون الأبيض.

من المرح أنني في أمسية قريبة مؤخرا رأيت غروبا أحمر في مونماجور، أرسل أشعته إلى جذوع وأوراق الصنوبر المتجذر في كتل الصخور، ملونا الجذوع والأوراق ببرتقالي ناري بينما وقفت الصنوبرات الأخرى على مسافة في أزرق بروسي على خلفية سماء زرقاء مخضرة-لازوردية.

وهكذا كان تأثير تلك اللوحة لكلود مونيه. كانت ممتازة. الرمل الأبيض وغُرَزْ الصخور البيضاء تحت الأشجار أخذت ظلالا زرقاء. ما أود فعله هو البانوراما التي لديك أول رسوماتها، إنها عريضة جدا، ولا تتلاشى إلى الرمادي، بل تبقى خضراء إلى آخر خط، وهذا الأزرق، سلسلة التلال. عاصفة رعدية ومطر اليوم، والذي سيصنع معروفا بأي حال. إن فضّل كونينج دراسة ملونة، فافعل ما يلزمه الأمر.

فكّر بحذر قبل أن توافق على كل ما يطالبك به آل جوبيل، وإن سبب هذا تغيرًا بالنسبة لي، حقا، الآن ومع تحسن صحتي يمكنني أن أعمل بأي مكان، ولا تكون لدي عقدة معينة حول العمل بهذا الخصوص.

مصافحة لك ولكونينج.

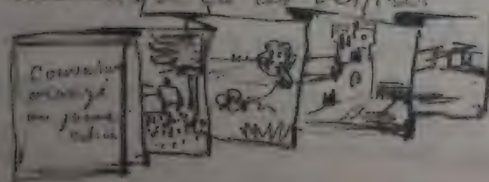
المخلص لك،

فنسنت

أظن أننا سنكون في حاجة لإطار أبيض بارد وطازج للبستان الأبيض.

يجب أن تعلم أنني أفضل التخلي عن التصوير ولا أراك منهكا في سبيل المال. نحن بحاجة إليه بالطبع، لكن هل وصلنا إلى النقطة التي نضطر إلى الذهاب بعيدا للبحث عنه؟

Je voudrais que tout le monde vienne dans le midi également
Je me fais toujours des reproches
que ma peinture ne vaut pas ce
qu'elle coûte
Il faut pourtant travailler - seulement
tant que je pourrai les [illegible]
autrement décidée que je m'y [illegible]
plutôt dans le commerce pourvu
que cela te dédommage je le ferai
sans regrets
Mourier te donnera encore des dessins
à la plume
Sais tu ce qu'il faut en faire
de ces dessins - des albums de
6 ou 10 ou 12 comme les albums
de dessins originaux japonais
J'ai grande envie de faire un tel
album pour Gauguin et un
pour Bernard cela deviendra
mieux que ça les dessins



البوم الرسومات

إنك ترى بوضوح أن "استعداد المرء للموت"، هي فكرة مسيحية، (لحسن حظه فالمسيح نفسه لم يتحدث عنها قط، كما يبدو لي، وهو الذي أحب الناس وأشياء هذه الأرض، أكثر مما ينبغي طبقا لهؤلاء الذين يرون فيه مجنونا)، ولو أنك ترى جيدا أن تحضر المرء للموت هو شيء، لتركه هناك على ما هو عليه. ألا ترى أيضا، أن التفاني والحياة من أجل الآخرين خطأ يتم تعقيده بالانتحار، بما أنه في تلك الحالة يجعل من أصدقائه قاتليه.

لذا إن وصلت إلى النقطة التي عليك فيها أن تقوم برحلات مثل هذه دون الحصول على السلام والهدوء، فإن هذا ينزع عني شهيتي لاستعادة سكينتي.

وإن وافقت على هذه العروض، حسنا، لكن حينها، اسأل هؤلاء الجوبيل، أن يأخذوني ثانية براتبي الأول ويأخذوني معك في هذه الرحلات. الناس أثمن من الأشياء، وبالنسبة لي، كلما عانيت المشاكل بسبب التصوير جعلتني اللوحات مجردًا، باردا. السبب الذي يدفعني إلى صناعتها هو التواجد بين الفنانين. ستتفهم، سيحزنني أن أقودك للحصول على المال، دعنا نبق معا بأي حال. وكلما كانت هناك إرادة كان هناك طريق، وأنا أشعر أنك ستشفي نفسك لسنوات طويلة جيدة إن شفيت نفسك الآن. لكن لا ترهق نفسك الآن، من أجلي أو من أجل الآخرين. أنت تعرف بورنريه الشيوخ الستة، رجل يغادر، قفازاه في يديه. حسنا، عش حتى تغادر كهذا الشيخ. هكذا أراك، متزوجا، وبوضع مستقر في باريس. ستلعب دورا مهما بهذه الطريقة. فكر بالأمر واستشر جربي قبل قبول عرض كهذا.

المخلص لك أبدا،

فنسنت.

٦١٦ | آرل، الاثنين ٢٨، أو الثلاثاء ٢٩ مايو ١٨٨٨

إلي تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

فكرتُ في جوجان وهاك ما لدي: لو أراد جوجان المجيء إلى هنا فسنحتاج إلى اجرة سفره، ثم هناك سريران أو مرتبتان علينا شراؤهما.

لكن لاحقا، بما أن جوجان بحار، فعلى الأغلب سنطهو طعامنا في البيت. وسنحيا نحن الاثنان بالمال نفسه الذي أنفقه على نفسي وحيدا.

أنت تعلم أنني طالما ظننت أنه من الهراء بالنسبة للمصورين أن يعيشوا وحيدين... إلخ. إن المرء يخسر حين ينعزل.

حسنا، إن هذا رد على أمنيتك بأن تساعده.

لا يمكنك أن ترسل إليه ما يحتاجه للعيش في بريتاني، وما أحتاجه أنا للعيش في بروفانس. لكنك قد توافق على أن نتشارك كلانا، وتضع مبلغا، قل مثلا، مائتين وخمسين شهريا، بالإضافة إلى ذلك، وبعيدا عن عملي، ستحصل على لوحات جوجان. وما دمنا لم نتجاوز ذلك المبلغ، ألن يكون هناك فائدة؟ بجانب ذلك، فإنني أتساءل عن توحيد قوانا مع آخرين.

وعليه، ستجد مرفقا، مسودة خطاب لجوجان، والذي سأكتبه إن وافقت، مع التغييرات التي لا شك سيجب إدخالها على بعض التراكيب اللغوية. لكنني كتبت بهذه الطريقة أولا. فكر في الأمر كاتفاقية عمل بسيطة، ستكون أفضل لكل الأطراف، ودعنا نتعامل معها بشكل مباشر وبهذه الطريقة. فقط، مع اعتبار أنك لن تصنع تجارتك لحسابك الخاص. يمكنك، على سبيل المثال، أن تفكر أنه من العدل أن أتعهد أنا بالأمر، وينضم إلي جوجان كرفيق.

فكرتُ أن لديك رغبة بمساعدته، وأنا أعاني من تصور أنه واقع في ضائقة، وهو ما لن يتغير بين ليلة وضحاها. لا يمكننا أن نقدم عرضا أفضل من هذا، ولن يقدم الآخرون عرضًا مشابهًا.

عن نفسي، يقلقني أن أنفق الكثير على نفسي وحيدا، لكن كيما أجد علاجا لهذا لن يكون هناك طريق سوى إيجاد زوجة ثرية أو رفاق يتشاركون من أجل التصوير. حاليا لا يمكنني أن أرى زوجة، لكنني أرى رفاقا. فإن ناسبه هذا العرض، لا يجب أن نتركه ينتظر.

ستكون هذه بداية شراكة إذن. برنار الذي سيأتي إلى الجنوب أيضا، سينضم إلينا، وكن واثقا من هذا، ما زلتُ أراك في فرنسا، ترأس اتحادا للانطباعيين. وإن كنت أستطيع أن أضعهم معا، فسأعمل على جعلهم أكثر قدرة مني. يجب عليك أن تشعر كم يضنيني أن أنفق أكثر مما يفعلون. علي إيجاد شراكة، أكثر تميزا، لك ولهم. وهذا ما يجب أن يكون عليه الأمر. بأي حال، فكر في الأمر بحذر، لكن أليس صحيحا أنه في الشراكة الصحيحة يمكنك أن تحيا على القليل ما دمت أنفقت مالك في البيت.

لاحقا قد تأتي أيام نكون فيها أقل احتياجا، لكنني لا أعتمد على ذلك. سيسعدني كثيرا إن أخذت جوجان أولا. لستُ جيدا في الطبخ... إلخ. لكنهم تمرنوا على هذا بشكل مختلف، آل جوجان، بما أنهم التحقوا بالخدمة العسكرية و... إلخ.

مصافحة وأجمل الأمنيات لكونينج، بعد كل شيء، فإنه مصدر رضا لك أن توصله إلى حالٍ جيد، وهو ما لم يكن سيؤول إليه الحال إن لم تضَيِّفه. من المُرضي أيضا أن آل جوبيل مهتمون بالحصول على الغرفة التي اقترحتها.

المخلص لك،

فنسنت.

هل وصل ترستيج إلى باريس بعد؟ كي نجهز الأشياء، وكي أوسع تلك الرسالة، فإنني سأكتب إلى جوجان، لكن دون إخباره أي شيء من هذا كله، فقط لأتحدث عن العمل.

يجب أن تفكر في الأمر بحذر شديد جدا قبل أن تبدأ بالسفر. يبدو من المرجح أن مهنتك هي أن تبقى في فرنسا.

(ملحق: مسودة الخطاب لبول جوجان)

عزيزي جوجان،

لقد فكرت فيك كثيرا وكوني لم أكتب إلا الآن يعود إلى أنني لم أرد أن أكتب عبارات فارغة.

الصفقة مع راسل لم تحدث بعد، لكن راسل اشترى بعض لوحات الانطباعيين على كلّ حال، جيومان وبرنار، وانتظر وقتك، سيأتي من نفسه، لكنني لم أستطع أن ألح على تلك النقطة مرارا، بعد أن تلقيت رفضين، لكن مع وعد في الحالتين للمستقبل.

لقد أردت أن أكتب لك الآن لأخبرك أنني قد أجرتُ بيتا بأربع غرف هنا في آرل. وأنه يبدو لي أنني إن وجدتُ رساما آخر يشعر بالاستفادة من الجنوب، ويكون مستغرقا في عمله مثلي بما يكفي لمنح نفسه لحياة مثل حياة كاهن يذهب إلى الماخور مرة كل أسبوعين، وبخلاف ذلك، مرتبطًا بعمله ولا يضيع الوقت، وقتها سيكون كل شيء على ما يرام. عن نفسي، فإنني أعاني من العزلة قليلا. لذا فقد فكرت أكثر من مرة في الحديث إليك مباشرة.

أنت تعرف أننا أنا وأخي نحترم تصويرك وأنه يسعدنا كثيرا أن نراك في حال جيدة. لكن بأي حال، لن يستطيع أخي أن يرسل إليك المال في بريتاني ويرسل في الوقت نفسه المال إليّ في البروفانس. فهل تريد أن تشترك معي هنا؟ وبتوحيد قوانا، سيكون ربما هناك ما يكفي لاثنين، بل أنا واثق من هذا.

بعد أن غزوت الجنوب مرة، لا أرى سببا لتركه. لقد كنت مريضا حين أتيت، وأنا الآن أحسن، بل أشعر أنني منجذبٌ إلى الجنوب، حيث العمل في الهواء الطلق ممكن طوال العام تقريبا.

الحياة هنا تبدو أبهظ ثمنا، مع ذلك، لكن أليست فرصة للحصول على لوحاتٍ أكبر؟ بأي حال، إن قام أخي بإرسال مائتين وخمسين فرنكا شهريا لنا، فهل ستحب أن تأتي، ونتشارك؟ لكن في هذه الحال سيجب علينا أن نقرر أن نأكل في البيت معظم الأوقات، وقد نحاول الحصول على خادمة نهارية لبضع ساعات يوميا، متفادين كل نفقات الفنادق بهذه الطريقة.

وسيكون عليك أن تعطي أخي لوحةً شهريا، بينما ستكون حرا في فعل ما نشاء بالبقية.

وهكذا سيبدأ كلانا العرض في مرسيليا مباشرة، وسنفتح الطريق لانطباعيين آخرين كما سنفتحه لأنفسنا.

لا يجب أن ننسى أننا سنحتاج لنفقات السفر ونفقات شراء سرير، والتي سيكون علينا دفعها باللوحات أيضا. ستكون لك بالطبع حرية التواصل مع أخي حول هذا الأمر، لكنني أحذرك أنه سيرفض أن يقوم بهذه المسؤولية.

سيطمئنك فقط أن الوسيلة الوحيدة التي وجدناها حتى الآن لمساعدتك بطريقة أكثر عمليةً، هي هذا الترتيب، إن ناسبك. لقد فكرنا في الأمر مليا. يبدو لي أن ما نحتاجه لأجل صحتك هو السلام والهدوء فوق كل شيء. إن كنتُ مخطئا، وإن ثبت أن حرارة الجنوب زائدة، حسنا، فسيكون علينا أن نرى. عن نفسي، حتى الآن أشعر أنني أحسن في هذا المناخ. ثمة الكثير مما يمكنني أن أخبرك به، لكن ها نحن، العمل أولا. اكتب لنا ردك قريبا.

٦١٩ | سان ماري دو لا مير، نحو الأحد ٣ أو ٤ يونيو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إنني أكتب لك من سان ماري المطلّة على البحر المتوسط أخيرا، البحر الأبيض المتوسط، له لون الماكريل. بكلمات أخرى، يتغير، إنك لا تعرف دائما ما إذا كان أخضر أم أرجوانيا، لا تعرف إذا ما كان أزرق، لأنه وبعد لحظة، سيتخذ انعكاسه المتغير درجةً وردية أو رمادية.

إنه أمر غريب -العائلة. عن دون قصد، وعلى الرغم من نفسي، فكرت هنا كثيرا بخالنا البحّار، الذي بالتأكيد قد رأى سواحل هذا البحر مرات عديدة.

لقد أحضرت ثلاث لوحات وغطيتها، منظرين بحريين، ومشهدًا للقرية، وبعض الرسومات التي سأرسلها إليك بالبريد حين أعود إلى آرل غدا.

أبيت وآكل مقابل أربعة فرنكات يوميا. لقد طلبوا ستة في البداية.

بمجرد أن يمكنني ذلك، سأعود لأصنع بعض الدراسات هنا.

الشاطئ هنا رملي، لا سفوح ولا صخور، مثل هولندا، دون الكثبان ومع الكثير من الأزرق.

إنك تأكل هنا سمكا مقليًا أفضل من السمك الذي تأكله على ضفاف السين، لكن السمك ليس متوافرًا يوميا لأن الصيادين يذهبون للبيع في مرسيليا. لكن حين يتوفر البعض، فهو رائع. وإن لم يتوفر، فإن طعام الجزار ليس مشهيا أكثر من جزار مسيو جيروم الفلاح، إن لم يكن هناك سمك فمن الصعب الحصول على ما تأكله هنا، كما يبدو لي. لا أظن أن بهذه القرية أو البلدة أكثر من مائة بيت. المبنى الرئيسي بعد الكنيسة هو حصن قديم، به ثكنة عسكرية. والمنازل مثل تلك التي في مروج درينته ومستنقعات الأشن، سترى بعض النماذج في الرسومات.

علي أن أترك ثلاث دراسات ملونة هنا، بسبب أنها لم تجف بعد لتحتمل خمس ساعات من التقافز الرهيب في العربة.

لكنني أظنني سأعود لهذا المكان.

في نهاية الأسبوع القادم أود الذهاب إلى تاراسكون لعمل دراستين أو ثلاث.

إن لم تكتب بعد فسأنتظر خطابك في آرل، بالطبع.

لقد أتى حارسٌ شديد الوسامة لمقابلتي هنا. والقس أيضا، الناس جيدون هنا، لأن حتى القس بدا كشخصٍ دمث الخلق.

الشهر القادم سيكون موسم أحواض السباحة العامة.

عدد المستحمين يتراوح بين ٢٠ و٥٠.

سأمكث هنا حتى عصر الغد، علي أن أرسم.

تمشيت طويلا على الساحل في ليلة، على الشاطئ الخاوي. لم يكن بالأمر السعيد، لكن لم يكن حزينا أيضا، كان جميلا. السماء، أزرق عميق، كانت مرقطةً بالسحاب الأغمق زرقة من الأزرق الأساسي، أزرق شديد الدكنة، ومرقطة بسحب أخرى كانت زرقاء فاتحة، مثل الابيضاض الأزرق لدرب التبانة. على خلفية الزرقة لمعت النجوم، ساطعة، مخضرة، بيضاء، وردية فاتحة، أسطع وأكثر لمعانا، أكثر شبها بالحجارة الكريمة من نجوم بلدتنا، أكثر من باريس حتى. لذا يبدو من العادل أن أتحدث عن الأوبال، والزمرد، والياقوت، والزفير. البحر كان لازورديا عميقا للغاية، الشاطئ ظلال بنفسجية وحمراء باهتة، بدا لي، باحمرارات بالإضافة إلى الرسومات على نصف ورقة، لدي رسم كبير، هو درة الرسوم الأخيرة.

سأكتب أكثر قريبا، أتمنى ذلك.

مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٢٠ | آرل، نحو الثلاثاء، ٥ يونيو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لرسالتك الطيبة وورقة الخمسين فرنكا المرفقة بها.

سيكون علينا أن نكتب إلى جوجان. المشكلة هي تلك الرحلة اللعينة، بما أننا نحضه على الموافقة، وبعدها سنكون في موضع محرج إن لم يناسبه الأمر. أظنني سأكتب له اليوم وسأرسل إليك الخطاب.

الآن وقد رأيت البحر هنا فإنني أشعر تماما بأهمية المكوث في الجنوب وأشعر -إن كانت الألوان ستصبح أكثر زهاء- فأفريقيا ليست بعيدة عن المرء.

إنني أرسل إليك في البريد نفسه بعض رسومات من سان ماري. لقد صنعت رسم القوارب قبل مغادرتي في الصباح الباكر، أنا أعمل على اللوحة، من مقاس ثلاثين، ببحر أكبر وسماء على اليمين. كان ذلك قبل أن تبحر القوارب، لقد رأيت الأمر كله في صباحات أخرى، لكن بما أنها تغادر في وقت مبكر جدا، لم يتسن لي الوقت لأفعلها.

لدي ثلاثة رسومات أخرى لأكواخ لم أزل بحاجة إليها وسوف تتبع، تلك التي للأكواخ خشنة قليلا، لكن لدي أخرى مرسومة بحذر. سأصنع لك طردًا من اللوحات الملفوفة بمجرد أن تجف المناظر البحرية.

هل ترى غرور أولئك المعاتيه في دوردريخت، هل ترى ذلك التكبر والشعور بأهمية الذات، إنهم سعيدون بالتنازل لديجا وبيسارو، اللذين لم يروا شيئا من أعمالهما بالمناسبة، أكثر من أي من الآخرين. لكنها علامة جيدة جدا أن الشباب مغتاظ، ربما يثبت ذلك أن ثمة كبارًا قد مدحوها.

أما عن المكوث جنوبا، حتى إن كان أكثر تكلفة، انظر، إننا نحب التصوير الياباني، لقد اختبرنا تأثيره، كلّ الانطباعيين يشتركون في هذا، ألا يدفعنا هذا

للذهاب إلى اليابان، بكلمات أخرى، إلى ما يكافئ اليابان - الجنوب؟ لذا أعتقد أن مستقبل الفن الجديد ما زال في الجنوب بعد كل شيء.

لكنها سياسة سيئة أن تعيش هنا وحدك بينما ثمة اثنان أو ثلاثة ممن يمكنهم مساعدة بعضهم على العيش قليلا.

أود لو قضيتَ بعض الوقت هنا، ستشعر بالأمر، بعد مدة قصيرة، سيتغير بصرك، سترى بعين أكثر يابانية، ستشعر باللون بشكل مختلف. أنا مقتنع أيضا بأنه تحديدا وعبر المكوث طويلا هنا، سأستطيع أن أستخرج شخصيتي. الياباني يرسم بسرعة، بسرعة للغاية، مثل لمح البرق، لأن أعصابه أدق، وشعوره أبسط. لقد مضى علي هنا بضعة شهور فقط لكن، خبرني، في باريس هل كنت سأستطيع أن أرسم رسم القوارب في ساعة فقط؟

دون إطار حتى. الآن حدث ذلك دون قياسات، تاركا للقلم العنان. لذا أخبر نفسي أن النفقات ستتوازن تدريجيا مع العمل. أود لو أحرزنا الكثير من المال لنحضر فنانين جيدين إلى هنا، من أولئك الذين يصابون بالقنوط في وحل البوليفار الصغير. لحسن الحظ من السهل بحق أن تبيع اللوحات الصحيحة في المكان الصحيح للسيد الصحيح. بما أن ألبير المعروف قد أعطانا الوصفة، فكل صعوباتنا اختفت كالسحر. كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى رو دو لا باي، هناك يتمشى لهذا الهدف فقط، محب الفن الجيد.

إن حضر جوجان هنا، فسيمكننا أنا وهو ربما أن نرافق برنار إلى أفريقيا حين يذهب إلى هناك لتأدية خدمته العسكرية.

ماذا قررت حول أختينا؟

أنكيتان ولوتريك، كما أظن، لن يحبا ما أقوم به. يبدو أن مقال عن أنكيتان نُشِرَ في ريفو إنديبندانت، والذي يبدو أنهم وصفوه فيه بقائد حركة جديدة يطغى عليها الفن الياباني... إلخ. لم أقرأه، لكن بعد كل شيء، قائد البوليفار الصغير هو بلا

شك سورا، وبرنار الشاب قد ذهب إلى ما هو أبعد من أنكيتان فيما يخص الأسلوب الياباني. قل لهم إن لدي لوحة القوارب، هي وجسر لانجلوا قد يناسبان أنكيتان. ما يقوله بيسارو صحيح، التأثيرات التي تنتجها الألوان عبر تناغمها أو تنافرها يجب أن تكثّف بقوة. الأمر نفسه في الرسم، الرسم المعين، اللون الصحيح، ليس ربما ما ينبغي أن نبحث عنه، لأن انعكاس الحقيقة في المرآة، إن كان من الممكن تثبيته بلون وكل شيء، لن يصبح لوحة بشكل ما، أكثر من صورة فوتوغرافية.

سأكتب أكثر قريبا، مصافحة.

المخلص،

فنسنت.

٦٢٢ | آرل، نحو الخميس ٧ يونيو ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار،

يبدو لي أكثر فأكثر أن اللوحات التي يجب صنعها، أن اللوحات الضرورية، التي هي أساسية للتصوير في يومنا هذا كيما يصبح مستقلا بذاته ويرتفع إلى مرحلة مكافئة للقمم السامية التي أنجزها النحاتون اليونانيون، والموسيقيون الألمان، وكتاب الرواية الفرنسيون، تتجاوز قدرة الفرد المنعزل، وعليه ستُخلَق ربما من قبل جماعات من البشر المتحدين لتنفيذ فكرة مشتركة. لدى أحدهم مناغمة عالية للألوان ويفتقر إلى الأفكار. والآخر ينضح بالمفاهيم الجديدة السحرية والكاسحة، لكنه غير قادر على التعبير عنها بطريقة واضحة خوفًا من باليتته المحدودة.

سبب جيد لنندم على عدم توفر روح الجماعة بين الفنانين، الذين ينتقدون ويضطهدون بعضهم البعض، بينما لا يمكنهم النجاح تماما في إلغاء بعضهم البعض.

ستقول إن كل هذه المسألة هي ابتذال. لتكن ابتذالا، لكن الشيء في ذاته، وجود النهضة، هذه الحقيقة ليست ابتذالا.

سؤال تقني. أعطني رأيك في الخطاب القادم.

أنا أنوي وضع الأسود والأبيض بوضوح في باليتتي، تماما كما يبيعهم بائع الألوان لنا، وسأستخدمهما كما هما.

حين، ولاحظ أنني أتحدث عن تبسيط الألوان بالأسلوب الياباني، حين أرى في متنزه أخضر بطرق وردية سيدا يرتدي الأسود، مهنته قاضي مصالحات (العربي اليهودي في كتاب دوديه "تارتاران" يسمي ذلك قاضي المصالحات) يقرأ صحيفة لانترانسيجان.

فوقه وفوق المتنزه سماء من الأزرق الداكن البسيط.

إذن لماذا لا نلون قاضي المصالحات المذكور بالأسود البسيط والجريدة بالأبيض الفج البسيط؟

لأن الياباني يتجاهل الانعكاس، ويضع درجاته الصلبة واحدة تلو الأخرى، وخطوطا صريحة في سذاجة توضّح الحركات أو الأشكال.

في نمط آخر للأفكار، حين تكون موتيفة لونية، معبرة عن -على سبيل المثال- سماء المساء الصفراء.

الأبيض الصلب، الفظ، لجدار أبيض على خلفية السماء يمكن أن يعبر عنه، بضربة سريعة، وبطريقة غريبة، بأبيض فظ، وبهذا الأبيض نفسه وقد نغّمناه بدرجة متعادلة. لأن السماء نفسها تلونه بدرجة ليلكية رقيقة.

(اسكتش أ)

ثانية، في هذا المنظر الطبيعي الساذج للغاية، والمعني بأن يعرض علينا كوخا مطليا كله بالجير الأبيض (السطح أيضا)، متموضعا في حقل برتقالي، بالطبع، لأن

سماء الجنوب والبحر المتوسط الأزرق ينتجان برتقاليا أشد كلية وأعلى في درجات مجال الأزرقات. نغمة الباب السوداء، والنوافذ، والصليب الصغير على السطح، تخلق تباينا تلقائيا بين الأبيض والأسود.

(الاسكتش ب)

يسر العين تماما مثل ذلك الذي بين الأزرق والبرتقالي.

وكيما نتخذ موضوعا أكثر إمتاعا، دعنا نتصور امرأة ترتدي فستانا أبيض وأسود (مربعات)، في المنظر الطبيعي البدائي نفسه لسماء زرقاء وأرض برتقالية، سيسر هذا من يراه، كما أرى. في الواقع، في آرل فإنهم غالبا ما يرتدون مربعات الأبيض والأسود.

باختصار، الأبيض والأسود لونان أيضا، أو بالأحرى في حالات كثيرة يمكن اعتبارهما لونين، بما أن تباينهما التلقائي بحدةِ تباينِ الأخضر مع الأحمر نفسها.

الياباني يستخدم ذلك أيضا بالمناسبة، يعبرون عن لون بشرة فتاة شابة باهتٍ ومطفأ، وتباينه الحاد مع شعرها الأسود بشكل رائع بورقة بيضاء وأربع ضربات بالقلم. وغني عن الذكر شجيرات الشوك السوداء المرصعة بألف زهرة بيضاء.

لقد رأيت البحر الأبيض أخيرا، الذي قد تعبره قبلي. أمضيت أسبوعا في سان ماري، وكيما أصل إلى هناك عبرت منطقة "الكامارج" حثيثا، بكرومها، ومروجها، وحقوله السهلية كما في هولندا. هناك، في سان ماري، كان ثمة فتياتٌ جعلن المرء يفكر في سيمابو وجيوتّو: نحيفات، مستقيمات، حزينات قليلا وغامضات. على الشاطئ المسطح تماما، الرملي، مراكب صغيرة، خضراء، حمراء، وزرقاء، جميلة الشكل واللون بحيث تذكر المرء بالزهور، تسع راكبا واحدا، ولا تكاد تدخل إلى البحر العميق، تسرع حين تهدأ الريح وتعود لليابسة إن هبت الريح قليلا. يبدو أن جوجان ما زال مريضا. أتوق لمعرفة ما فعلتَه أنت مؤخرا، لم أزل أصنع المناظر الطبيعية، ثمة كروكي مرفق بخطابي. أود لو أرى أفريقيا أيضا، لكنني لم أصنع أي

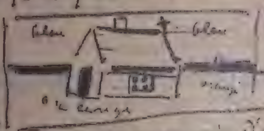
خطط للمستقبل، سيعتمد الأمر على الظروف. ما أود معرفته هو تأثير الأزرق الحاد في السماء. فرومنتان وجيروم بريان الأرض عديمة اللون في الجنوب، والعديد من الناس يرونها بهذه الطريقة. يا إلهي، نعم، إن أخذت رملا جافا في يدك ونظرت إليه عن كثب. الماء أيضا، الهواء، لو نظرنا إليها بهذه الطريقة، فستبدو عديمة اللون. لا أزرق بلا أصفر، وبلا برتقالي، وإن صنعت أزرق، فاصنع برتقاليا وأصفر أيضا، بالتأكيد. آه حسنا، ستخبرني أنني لا أكتب لك إلا ابتذالا. أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت.

(اسكتش ج-هـ)

le blanc cru et dur d'un mur blanc contre le ciel à la rigueur s'exprime et d'une façon étrange par le blanc cru et ce même blanc rabattu par un ton neutre. Car le ciel même le colore d'un ton lilas fin.



Encore dans ce paysage si naïf lequel est censé nous représenter une cabane blanchie entièrement à la chaux (la clôture aussi) posée sur un terrain orangé certes car le ciel du midi et la méditerranée bleue provoquent un orangé d'autant plus intense que la gamme des bleus est plus montée de ton la note noire de la porte des vitres de la petite croix de faîte font qu'il y ait un contraste simultané du noir et du blanc tout aussi agréable à l'œil autant que celui du bleu avec l'orangé – Prenons un motif plus amusant supposons une femme habillée d'une robe carrelée noir et blanc dans le même paysage primitif d'un ciel bleu et d'une terre orangée. Ce serait assez drôle à voir je m'imagine justement à Arles on porte souvent du carrelé blanc et noir.



Suffit que le noir et le blanc sont des couleurs aussi plutôt dans bien des cas peuvent être considérés comme couleurs car leur contraste simultané est aussi piquant que celui du vert et du rouge par exemple.

(من الأعلى إلى الأسفل) كوخ في سان ماري؛ امرأة تحمل مظلة



صف من الأكواخ في سان ماري



(من اليسار إلى اليمين، ومن الأعلى إلى الأسفل) قوارب الصيد في البحر، منظر طبيعي على حدود الطريق، منزل مزرعة في حقل قمح



قوارب الصيد على الشاطئ في سان ماري



رسم حي لأواني القهوة

٦٢٥ | آرل، نحو الجمعة، ١٥ والسبت، ١٦ يونيو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

حين يصيبك الشك، من الأفضل أن تمتنع. هذا، كما أظن، هو ما قلته في خطابي إلى جوجان، وهو ما أعتقده حاليا، بعد أن قرأت رده. إن عاد هو إلى العرض، وهو حر تماما في العودة إليه، لكن وضعنا لا أعرف كيف سيكون، إن ضغطنا على المسألة، لحمله على الموافقة.

كما ترى فقد استلمت خطابك، أشكرك كثيرا عليه وعلى كل ما كان به، أشكرك كثيرا على ورقة مائة الفرنك، أما عن تأخر البرقية، فقد كانت مؤرخةً بالأحد، فهو إذن خطأ ساعي البريد، لكن لم يصنع ذلك فارقا، بما أن الحافلة إلى سان ماري تغادر يوميا.

لكن ما عطلني هو الحاجة لشراء قماشات ودفع الإيجار. لقد حدث وذكرت لك أنني لا أحب قماش تاسيه كثيرا للعمل بالخارج. في المستقبل أظن أننا سنستعمل النوع العادي. لقد اشتريت ما قيمته خمسون فرنكا من القماش بأطر للشد، أيضا لأنني أحتاج إطارات شدٍ بأحجام مختلفة لأشد القماش عليها، على الرغم من أنني سأرسلها إليك ملفوفة. إن أحجامها تميل إلى الكبر، ٣٠، ٢٥، ٢٠، ١٥، وكلها مربعة الشكل. يبدو لي أن الأحجام الكبيرة (وفي النهاية، هي ليست كبيرة للغاية) تناسبني أكثر.

لكنني أتحدث عما كتبتَه في خطابك. أهنئك على الحصول على معرض مونيه في أرضك، وأشعر بالأسف على عدم قدرتي على رؤيته. لن يضير ترستيج أن يرى هذا المعرض، سيمكنه رؤيته، لكن كما ترى أنت، سيكون هذا متأخرا للغاية. من المثير للفضول تغير رأيه في موضوع زولا. أعرف من خبراتي أنه لا يطيق الاستماع لأي

حديث عنه. يا له من شخصية غريبة هذا الترستيج، لكن لا يجب أن نفقد أملنا حياله، الأمر الرائع فيه هو أنه ومهما كان عنيدًا متصلب الرأي، فبمجرد أن يعترف بأن شيئا ما يختلف عمّا كان يظنه -مثل زولا- فهو يغير رأيه ويساند القضية.

لسوء الحظ، لا يمكننا أن نكون قديمين في العصر الحديث، وقد عاش السيد ترستيج أطول مما سيعيشه. وأين هو خليفته؟ يا إلهي، يا له من أمر محزن كونكما لستما متحدَي الرأي في شؤون العمل هذه الأيام. لكن ماذا عساك أن تقول، إنه كما أعتقد ما يسمونه الشؤم.

إنه لمن حسن حظك، أنك رأيت جي دو موباسان، لقد قرأت لتوي كتابه الأول "أبيات"، قصائد مهداة لمعلمه فلوبير. ثمة قصيدة منها "على متن الماء" والتي تشبهه كثيرا. وكما ترى، فإنه بمنزلة فرمير الديلفتي بجوار رامبرانت بين الرسامين، كما هو بين الروائيين الفرنسيين بجوار زولا.

باختصار، زيارة ترستيج ليست ما كنت آمل فيه، ولا أخفيك سرا أنني أسأت حساب احتمالات تعاونه.

وربما في مسألة العمل مع جوجان، أيضا. دعنا نلق نظرة على هذا: لقد ظننته في المتناول وألوم نفسي على امتلاك المال والرفيق الذي يعمل أفضل مني. لا، بل أقول إنه مخول لنصفه إن أراد. لكن، إن كان جوجان ليس في المتناول، فلن أكون على عجل. وسأنسحب تماما من الأمر، والسؤال الوحيد الباقي لدي سيكون ببساطة: إن بحثت عن رفيق ليعمل معي، فهل سأكون أفعل شيئا صحيحا، أسيكون هذا أعم فائدة لأخي ولي، هل سيخسر الرفيق أم يكسب بانضمامه لي؟

وهكذا، فتلك أسئلةٌ تشغل بالي بالتأكيد، لكنها تحتاج لأن تواجه الحقيقة كيما تصبح وقائع مؤكدة.

لا أود مناقشة خطة جوجان، بعد أن وضعت الموقف في اعتباري مرةً، الشتاء الماضي، فأنت تعلم النتائج. وأنت تعلم أنني أعتقد أن اتحادا للانطباعيين سيكون شيئا

يشبه اتحاد الاثني عشر ما قبل رفائيلي في إنجلترا، وأنني أظنه يمكنه أن يحدث. وأميل إلى الاعتقاد بأن الفنانين سيوفرون متطلبات معيشتهم فيما بينهم، بشكل متبادل، ومستقل عن التجار، كل منهم سيوافق على إعطاء عدد معقول من اللوحات إلى الجمعية، وستتشارك المكاسب والخسارة. لا أعتقد أن تلك الجمعية ستستمر إلى أجل غير مسمى، لكنني أظن أنه وفي مدة بقائها عاملة سنعيش بجسارة وننتج. لكن إن حدث بالغد وجاء جوجان ومصرفيوه اليهود وطلبوا مني عشر لوحاتٍ لجمعية تجار وليس فنانين، حسنا، لا أعرف إن كنتُ سأثق فيهم ـ أنا الذي سأكون سعيدا لمنح خمسين لوحة لجمعية من الفنانين.

أليس الأمر مشابهًا لما حدث مع ريد، لماذا تقول إن جابرييل. دو لا روكيت خسيس إن كنت تفعل الفعل ذاته؟ لماذا تقول إنّها جمعية فنية إن كانت مكونة من مصرفيين؟ يكفي هذا بحق السماء، ولندع صديقنا يفعل ما يحلو له، لكن خطته أبعد ما تكون عن نيل حماسي. أُفضِّل الأشياء كما هي عليه، أن آخذها على ما هي عليه، دون أن أغير أي شيء فيها، إلى تحسينات غير مكتملة.

الثورة العظيمة، الفن للفنانين، يا إلهي، ربما هي مدينة فاضلة، وسيئة للغاية، إذن. أظن الحياة قصيرة وسريعة. والآن كونك مصورا فعليك ممارسة التصوير، بأي حال.

وأنت واعٍ أيضا أنه وبسبب تلك المرة، الشتاء الماضي مع بيسارو والآخرين، حدث وتكلمنا عن الأمر كثيرا، إنني الآن أقوم بجهد كبير لكي لا أضيف شيئا سوى هذا، أنه وعن نفسي، وقبل العام القادم، أريد أن أقوم بالمشاركة بخمسين لوحة. إن استطعت أن أقوم بهذا فسألزم رأيي.

لقد أرسلت إليك ثلاثة رسومات بالبريد اليوم.

اللوحة التي بها حزمات من القش في ساحة حقل ستبدو غريبة بالنسبة لك، لكنها صُنعت على عجالة كمشروع لوحة، وهي لتريك ماذا سيكون عليه الأمر.

الآن، فإن الحصاد جادٌ نوعا. وهذا هو الموضوع الذي كنت أعمل عليه هذا الأسبوع، على لوحة من مقاس ٣٠، لم تنته بعد، لكنها تقتل كلَّ ما لديَّ، بخلاف طبيعة صامتة، اشتغلت عليها بصبر.

مكنايت وأحد أصدقائه الذين زاروا أفريقيا أيضا رأوا هذه الدراسة اليوم وقالوا إنها أفضل ما صنعته. مثل أنكيتان وصديقنا توماس، إنك حقا لا تكون على يقين مما تظن في نفسك حين تسمع الناس يقولون هذا، لكنني أقول لنفسي: لا بد أن البقية سيئة بحق، بالتأكيد.

حسنا، في الأيام التي أحضر فيها دراسة مما سبق أقول لنفسي: إن كان الأمر هكذا كل يوم فقد أنجح، لكن في الأيام حينما تعود إلى بيتك خالي الوفاض وتأكل وتنفق المال بأي حال، لا تشعر بالرضا عن نفسك، وتشعر كمجنون، أو كخسيس أو كشخص أحمق.

والطبيب العزيز أوكس، أعني صديقنا السويدي مورير، لقد أعجبت به بسبب، أنه وبنظاراته، عاش بسذاجة وطيبة في هذا العالم الشرير، ولأنني افترضت أن لديهِ قلبا أنقى من أي قلب، بل وميل للاستقامة أكثر من أمهر الناس الذين عرفتهم. وبينما أعرف أنه لم يكن يرسم لوقت طويل لم يصنع ذلك فارقا بالنسبة لي أن عمله كان في قمة التفاهة. ولقد رأيته يوميا لعدة شهور. حسنا. ماذا عساه يكون سبب فقدانه لميزاته؟ هذا ما أظن أنه الحال. ضع في بالك أنه أتى إلى الجنوب ليتغلب على مشكلة عصبية سببتها مشاكل كثيرة واجهها، وكنتيجة لها غير مهنته.

لقد كان بخير تماما هنا، كان هادئا... إلخ. لكن صدمة باريس كانت كبيرة، والتغير مفاجئًا، لم يجد باريس أحلامه، وها هو، قلق وربما كان غير محبوبٍ، وبأي حال يقوم بأعمال سخيفة. سيبذر قريبا الشوفان البري، كما أتمنى. وفي الانتظار، دعه يفعل ما يحلو له دون أن تعيره أي اهتمام. إنه يضع أمله في راسل (أظن ذلك)، إنه يبحث عن ناصح ومعلم، الآن، لا حاجة لقول إن راسل لن يكون بالنسبة له كل ما يريده، لكنني أظن أن راسل سيرى أنه شخص لا يعرف دوائر الناس الذين يتعامل

معهم، وأظن راسل سيأخذه على محمل الجد وسيحاول أن يكون جيدا معه. أعتقد أن راسل يصنع اسما لنفسه بين أولئك الذين يخافون باريس غريزيا. من الصعب شرح ما أعنيه بهذا.

إن راسل شخص رائع، لكنك كما تعرف، لا يمكنك نصح الناس بمحبة باريس، ولا إجبارهم عليها، أكثر مما يمكنك النصح بفليون أو قهوة سوداء مع الكونياك. وراسل ثري، وقد خسر مالاً في باريس، فيمكنه أن يقول للناس، وهو ما يقوله: "انظروا ما اضطررت للتعامل معه". لكن بأي حال، سأكتب كلمة لراسل.

يبدو أن مكنايت لم يكن مسرورا بي، لكن راسل أشار إليه أن عليه أن يخرس. وكل هذا لأخبرك أنني أفهم تماما، وقد رأيت أنه ظهر هكذا، أنك لست متوافقا تماما مع السويدي، الذي بالأحرى، وفقا لما كتبته لي، قد انتابته مشكلته العصبية ثانية ويشعر بالتوتر بسبب باريس. لو أن لديه المال الكافي ليضيعه على الحصول على استوديو مثل استوديو جيروم، فسيكون هذا عويصا. وبما أنني أشك شكا طفيفا في أن لديه مبلغا ضخما من المال لينفقه، فهو جاهز لهزيمة ساحقة مستحقة، يمكنني أن أجزم بذلك. ليس باليد حيلة إن هو لم ينصت، لكن يمكنك العيش معه. لن أكتب مباشرة إلى جوجان، سأرسل إليك الخطاب، لأنه في حال الشك، من الأفضل أن تمتنع. إن توقفنا عن الحديث، إن كانت الإجابة تظهر أننا قلنا شيئا مثل هذا وأنه يجب أن تكون هناك مبادرة في الأمر من جانبه أيضا، فحينها سنرى إن كان مهتما بالأمر. إن لم يكن مهتما، وإن كان الأمر كله يتشابه بالنسبة له، وإن كان لديه رأيٌ مختلفٌ، فلندعه مستقلا، وأنا أيضا.

مصافحة لك ولموريير.

المخلص دائما،

فنسنت.

أجد ما يلي خصوصا، غريبا في خطة جوجان هذه: الجمعية تعرض حمايتها في مقابل عشر لوحات على الفنان منحها، إن فعل عشرة فنانين ذلك، فالشركة اليهودية

تحرز مائة لوحة بوضوح، "كبداية". حماية هذه الجمعية التي ليست موجودة أصلا تكلف الكثير من المال.

ها هو الخطاب لجوجان، إنني واعٍ تماما بأن في خطابه ثمة تلك الفقرة "إنني أسأل إن كان رأس المال وقد جمع معظمه، فهل سيبذل أخوك جهده لصنع نجاح لهذا العمل وهل سيكون مديره". إنني أيضا أعرف أنه كتب أيضًا "أوافق على عرضك مبدئيا". لكنني أعتقد أننا سنضل إن لم نكن ثابتين في التوضيح له أن عرضنا لم يتضمن كل تلك الأفكار التي تلته، وأننا عن أنفسنا معوزون ولا يمكننا أن نخاطر بأي شيء سوى تجهيز بيت معا والتشارك في المال شهريا.

وصحيح أنني لم أعرف أن لديه عائلة كبيرة، وعلى الأرجح أنه سيريد البقاء في الشمال لهذا السبب.

أكثر ما يمكننا فعله جذرية سيكون أن أقوم أنا بالتخلي عن الجنوب، وإن كان ذلك سيخرجه من مشاكله، أن أذهب وأنضم إليه في بريتاني بنفسي. ورغبتي في العمل بالجنوب بالتأكيد أقل أهمية من اهتمامات شخص مثله.

على أي حال، لا يجب أن نتغير بسهولة.

وأنا خائف من أن ألام على الملأ بسبب اختطافه من عائلته، أو عش دبابير كهذا. يا إلهي، لو أن لديه عائلة بهذا الحجم فسيكون من واجباته ألا يختفي عنهم أكثر من هذا. وربما سيكون هو أسعد كثيرا إن اشتريت أنت منه لوحة من آن لآخر.

إن لم أذكر هاتين الفقرتين وفقرات أخرى في خطابه، فذلك بسبب أنه من الصعب علي أن أوافق على كل هذا صراحةً. على أي حال، إن كان الوضع هو أن كل خطته ليست إلا سرابا، وهكذا فهو سيختفي، وسيتحدث عنه ثانية من تلقاء نفسه.

لكن هناك أجرة المواصلات، والأجرة المتراكمة للنزل، وفاتورة الطبيب، إنه الآن يتحدّث عن دين آخر قيمته ثلاثمائة فرنك سيسويه بتلك اللوحة إن وافق جامع

اللوحات الخاص به. لكن ماذا إن لم يوافق؟ حسنا، الآن لن يكون من الحكمة أن نعطيه آمالا أبعد من مواردنا وأن نلزم أنفسنا بفعل ما لن يمكننا الالتزام به. من الممكن لجوجان أن يقول، إنه ضائق للغاية ويا للأسف، وإن ذلك لن يكون في صا لح عمله. كلا، لا يجب علينا تغيير ما قلناه، لنعتبر أن الأمر لن يتقدم بسبب الشكوك والتغييرات التي لا يعتبر وجودها علامة جيدة.

كلما هدأت نفسي هنا، استعدت قواي أكثر، وشعرت أن العمل هو أكثر الأشياء أمانا. أعترف بأنه إن كان العيش في بريتاني أقل تكلفة، وإن كان لزاما فعلي أن أضحي بخطتي للعمل هنا، وسأفعل هذا عن طيب خاطر إن كان هذا يصبّ في مصلحته. لكن كل هذا لكي أعمل جاهدا على اللوحات الخمسين التي أردتها قبل الحديث ثانية عن مشاريع من النوع الذي ناقشناه في الشتاء الماضي. لقد وصلتني رسالة من الوطن الآن.

أنت تعلم أنني على ما يرام الآن وليس من الضروري البقاء هنا من أجل الصحة وحدها. علينا أن نعمل بحيث لا تكون نفقاتي كلها على كاهلك، هذا هو الضروري والعاجل الآن.

٦٢٦ | آرل، بين السبت ١٦ والأربعاء ٢٠ يونيو ١٨٨٨
إلى ويليماين فان جوخ (D)

أختي العزيزة،

جزيل الشكر لخطابك، الذي كنت في انتظاره، لا أجرؤ على التخلي عن رغبتي في الكتابة لك أكثر وتشجيعك على فعل هذا بدورك. كل هذه الرسائل لا تساعدنا دوما، ونحن العصابيين، على المحافظة على قوانا في حالات الغرق في الحزن من نوع ما

تشيرين إليه في خطابك والذي أصاب به أنا أيضا من آن لآخر. أحد أصدقائي يقول أن أفضل علاج لكل الأمراض هو أن تعاملها باحتقار عميق.

علاج الحالات التي تشيرين إليها، بحسب معرفتي، لا ينمو بين الأعشاب الطبية المعروفة. ومع ذلك أنا أشرب كميات ضخمة من القهوة السيئة في هذه الحالات، ليس لأن هذا من الجيد للأسنان السيئة بالفعل، لكن لأن قدراتي القوية على التخيل في هذا الخصوص تمكنني من الحصول على عقيدة دينية واثقة، تليق بوثني، أو مسيحي، أو آكل بشر، في التأثير المفرح للسائل الذي أتيت على ذكره. ومن حسن حظ الكائنات من حولي أنني حتى الآن امتنعت بحذر عن نصحهم بهذا العلاج أو بعلاجات مشابهة على أنها مؤثرة. الشمس هنا، هذا أمر مختلف البتة، وإن شرب المرء لفترة ما، النبيذ الذي على الأقل كان جزء منه ناتجًا عن عصر الكروم. إنني أطمئنك أن الناس في بلادنا عميان مثل الخلد الأعمى، وأغبياء بشكل مجرم لأنهم لا يقومون بأي جهد زائد للذهاب إلى الجزر الهندية أو مكان آخر تسطع فيه الشمس. ليس من الجيد أن نعرف شيئا واحدا، يجعل ذلك المرء سفيها. لا يجب أن يهدأ للمرء بالٌ حتى يعرف النقيض أيضا.

ما تقولينه عن الظروف اللطيفة، وأنها للأسف لا تزيل تأثير فعل شيء مخطئ أو فساد أمر ما، هو صحيح للغاية. حسنا، فكري فقط في تاريخنا الوطني، الصعود والهبوط للجمهورية الهولندية، وستفهمين ما أقصده، لا يجب أن نستسلم كثيرا للظروف اللطيفة التي تمنعنا عن كذا... إلخ. إنه أقل مسيحيةً (بالمعنى الذي يقصده الناس في هذه الأيام ليقللوا من غلواء الامر). لكنه من الأفضل لنا وربما للآخرين أيضا.

والطاقة تولد الطاقة، وأيضا الشلل يشل الآخرين.

إننا نعيش في عالم التصوير وهو عالم مشلول وبائس بشكل لا يصدق. المعارض، ومتاجر اللوحات، كل شيء، كل شيء منشغل بأناس يحصلون على المال. ولا يمكنك التفكير بأنني أتخيل هذا. الناس يدفعون أكثر للوحة مات من رسمها. ويقوم

الناس دوما بالحط من مكانة الرسام الحي بالإشارة بشكل لا يمكن التشكيك فيه إلى أعمال أولئك الذين لم يعودوا معنا.

أعرف أننا لا يمكننا صنع أي شيء لتغيير هذا. من أجل السلام يجب على المرء تبعا أن يستسلم لهذا، أو أن يحصل على نوع من الرعاية أو أن يأسر امرأة ثرية أو شيء من هذا القبيل، دون ذلك، لن يمكنه العمل. كل ما يتمناه المرء من قبيل الاستقلال عبر عمله، والتأثير على الآخرين، لا يحدث البتة.

ومع هذا فإنه من المثير للفرح أن يصنع المرء لوحة، وعلى الرغم من ذلك ثمة عشرون مصورا تقريبا هنا الآن، لدى كل منهم ديون أكثر من أموالهم... إلخ. وكلهم ذوو سبل عيش مثل الكلاب الضالة، وكلهم سيعانون أكثر من مسألة المعارض الرسمية فيما يخص أسلوب العمل في المستقبل.

الميزات الأساسية لمصور، كما أتصور، هو أنه يعمل بشكل جيد للغاية، أولئك الذين يمكنهم الرسم، أولئك الذين يمتازون بجودة التصوير، هم جراثيم شيء سيستمر لوقت طويل، ما دامت قد وجدت العيون التي تستمتع بشيء فريد في جماله.

حسنا، إنني أندم طوال الوقت على أن المرء لا يمكنه جعل نفسه ثريا بالكد في العمل - بل العكس صحيح.

إن كان للمرء فعلا أن يفعل ذلك، فسيمكنه أن ينهي أعمالا أكثر، ويكون قادرا على الانضمام للآخرين، وكل هذا. بالنسبة للوقت الحالي فكل شخص مرتبط بفرصته على إحراز عيشه، والمرء أبعد ما يكون عن الحرية، بالضبط.

أنت تتحدثين عن "إذا ما سلمت شيئا لآرتي"، لا بالطبع، تيو فقط أرسل شحنة من اللوحات الانطباعية إلى السيد ترستيج ولوحة لي متضمنة فيها. بأي حال، ما علمته هو أنه لا ترستيج ولا الفنانون، هكذا قال تيو، قد وجدوا شيئا فيها.

حسنا، إن هذا مفهوم جدا لأن الأمر طالما كان هكذا، الناس سمعوا بالانطباعيين، لديهم توقعات وآمال تخصهم، وعندما يرونهم للمرة الأولى يصابون

بالإحباط تماما ويجدون أن اللوحات سيئة، بشعة، مرسومة بشكل سيئ، ملونة بشكل سيئ، دون عناية، سيئة اللون، وكل شيء تعيس آخر. كان هذا أول انطباعاتي أيضا حين وصلت إلى باريس بأفكار موف وإسرائيل والرسامين المهرة الآخرين. وحينما يعقد معرض في باريس للانطباعيين وحدهم، أظن أن جيشًا من الزوار يعودون منه بإحباط شديد، بل وشعور بالإهانة، بالمزاج نفسه الذي كان للهولنديين الشرفاء في الوقت الذي حضروا فيه محاضرة لدوميلا نويوينهويز، أو أي اشتراكي آخر، بعد خروجهم من الكنيسة.

ومع ذلك، كما تعلمين، في خلال عشرة أو خمسة عشر عاما كل هذا المبنى الضخم للدين الوطني، سقط، والاشتراكيون ما زالوا هناك وسيكونون هناك لوقت طويل، مع أنه لا أنت ولا أنا ننتمي إلى أي من القناعتين.

الفن ـالفن الرسمي ـ وتعليمه، وإدارته، وتنظيمه، هو بسفاهة وتهتك الدين الذي نراه يسقط، ولن يستمر، مهما وجدت معارضه، واستوديوهاته، ومدارسه... إلخ، لن يستمر أكثر من هوس التيوليب.

لكن ذلك لا يعنينا، فنحن لم ننشئ شيئا جديدا ولا نحن مدعوون للحفاظ على شيء قديم.

لكن ما يبقى هو هذا، المصور هو شخص يصور، تماما كما أن محب الزهور الأصيل هو شخصٌ يحب النباتات ويزرعها بنفسه، وليس هو تاجر التيوليب.

وأولئك العشرون رساما الذين يسميهم الناس انطباعيين، على الرغم من أن بعضا منهم قد أصبح ثريا وكبيرا في العالم، بأي حال، معظمهم أرواح مسكينة وفقيرة تعيش في المقاهي، وينزلون في فنادق رخيصة، ويعيشون على الكفاف يوميا.

لكن في يوم ما كل هؤلاء العشرين الذين ذكرتهم لك يرسمون كل ما تقع عليه أعينهم، وأفضل من الكثير من العظماء ذوي الاسم اللامع في عالم الفن.

إنني أقول هذا لأحملك على فهم أي نوع من العقد يربطني إلى الرسامين الفرنسيين الذين يسميهم الناس الانطباعيين، وأنني أعرف الكثير منهم شخصيا وأعجب بهم.

وفضلا عن هذا، فإن أسلوبي التقني في التصوير به الأفكار نفسها حول الألوان، والتي كنت أفكر بها حين كنت في هولندا. زهور الذرة، والأقحوانات البيضاء، وبعض زهور المخمل ـ هكذا يكون لديك تأثير أزرق وبرتقالي.

زهور لسان الثور والورود الصفراء ـ تأثير بالليلكي والأصفر.

زهور الخشخاش وزهور إبرة الراعي الحمراء وسط أوراق خضراء عريضة ـ تأثير بالأحمر والأخضر.

هكذا يكون لديك المبادئ التي يمكن تقسيمها لأبعد من ذلك، والإسهاب فيها، لكنها كافية لتريك دون لوحة فعلية أن هناك ألوانًا تجعل بعضها البعض يلمع، تصنع أزواجا، وتكمل بعضها مثل الرجل وزوجته.

سيحتاج شرح النظرية كلها لك الكثير من الكتابة، لكن مع ذلك، يمكن إنجازه.

الملابس، ورق الحائط، ما الذي لا يمكن للمرء أن يجعله أجمل كثيرا بأخذ قانون الألوان بالاعتبار.

أنت تفهمين أن إسرائيل وموف، اللذين لم يستخدما ألوانا تامة، واللذين عملا دائما بالرمادي، لم يشبعا الحاجة الحالية للون، مع كل احترام وحب لهما.

شيء آخر: شخص يمكنه عزف الكمان أو البيانو هو، كما يبدو لي، شخص مسلٍ كثيرا. يلتقط كمانه ويبدأ بالعزف، وكل الجمع يستمتع به طوال المساء. على الرسام أن يكون قادرا على فعل ذلك أيضا.

ومما يسعدني أحيانا، أن أعمل بالخارج جوار شخص يراقبني. واحدٌ في القمح، مثلا. حسنا، في خلال ساعات على المرء أن يكون قادرا على رسم حقل القمح والسماء فوقه والمنظر على مسافة. أي شخص يراقب هذا ويمكنه أن يبقى صامتا بعدها ولا يتحدث عن لطخات الانطباعيين ورسمهم السيئ، كما ترين. لكن في أيامنا هذه بالكاد لدينا علاقات مع أناس يهتمون بالقدوم ورؤية ذلك مرات ومرات. لكن حين يفعلون، فهم يتحولون إلى صفنا للأبد.

الآن قارني هذا بالذين يحتاجون الاستوديو، وشهورًا وشهورًا، وما لا أعرفه بعد لكي يصنعوا شيئا، وسيكون الشيء سخيفا بعد كل هذا ومضجرا.

ألا يمكنك أن تفهمي أن ثمة شيئًا في الأسلوب الجديد؟ وأنا أيضا أريد هذا، أريد أن أكون قادرا على رسم بورتريه في صبيحة أو مساء، وقد فعلت هذا مرات، في واقع الأمر.

هذا العمل بالتأكيد لا يغير واقع أن المرء يمكنه العمل لفترات أطول على لوحات أخرى. بالأمس أرسلت إليك بالبريد رسما هو خربشة أولى للوحة كبيرة.

لكن أليس من المثير للفضول، كما قلت لك حينها، أن ثمة على الأقل عشرات من الذين في ساعة أو نحو ذلك يمكنهم رسم بورتريه بشخص فيه، الناس لم يعودوا يطلبون شيئا من هذا، عشرون أو نحو العشرين من الرسامين يمكنهم رسم أي منظر طبيعي يعجبك، في أي ساعة من النهار، بأي تأثير لوني تريدينه، في المكان، دون تردد، لا يراقبهم أحد، فهم دوما وحيدون. آه لو يعلم الجميع هذا، لكن كما ترين فظروف الرسم مجهولة. أنا أتصور فقط أن بعد جيل أو في أحد الأجيال القادمة ـ هذا العمل دون تردد، والقياس الصحيح في لحظة، والخلط الماهر للألوان، والرسم بسرعة البرق، سيأتي جيل يفعل هذا وليس كما نفعله الآن، وحيدين، دون حب، بل بجمهور سيحبه في بورتريهات الناس وفي المناظر الطبيعية والدواخل.

بأي حال، إنني أكتب إليك الكثير عن التصوير، فقط لأني أردت أن أحملك على فهم أهمية اشتغال تيو على أن يكون ثمة معرض للانطباعيين في يومنا هذا عبر الشركة التي يديرها. في العام القادم سيكون هذا من الهام جدا. وتماما كما أن الفرنسيين هم سادة الأدب دون جدل، فهو الحال في التصوير أيضا، في تاريخ الفن الحديث ثمة أسماء مثل ديلاكروا، وميبه، وكورو، وكوربيه، ودومييه، وهم يسيطرون على كل ما أنتج في بلاد أخرى. لكن زمرة المصورين الذين يقفون حاليا على رأس عالم الفن الرسمي، يقفون على الأكاليل التي حصل عليها أولئك السابقون، وهي في ذاتها ذات قدر أقل. لذا لا يمكنهم فعل شيء في المعرض العالمي القادم لمساعدة الفن الفرنسي

على الاحتفاظ بأهميته التي حازها حتى الآن. في العام القادم، فإن الانتباه ـليس انتباه الجمهور، الذين ينظرون بشكل طبيعي إلى كل شيء دون التساؤل عن تاريخه، لكن انتباه أولئك ممن يعرفون جيداـ سينجذب إلى المعرض المقام بشكل استعادي للوحات الرجال العظام الذين ماتوا بالفعل، وإلى الانطباعيين. وحتى هذا لن يغير الظروف توا، الظروف التي يجد فيها الانطباعيون أنفسهم، لكنه على الأقل سيساعد على تفكيك الأفكار وتوليد بعض الإعجاب والحماس. الأساتذة البليدون الذين يرأسون لجنة الاختيار للصالون لن يقبلوا الانطباعيين حتى. والانطباعيون لن يريدوا ذلك بأي حال، وسيعرضون مستقلين. حينما تدركين أنني أريد أن أحصل على ما لا يقل عن خمسين لوحة تقريبا بذلك الوقت، سترين أنني ـالذي لن يعرض عملهـ سألعب مع ذلك، ببطء وبانتظام، دوري في معركة يمكن للمرء فيها على الأقل أن يقول هذا، أنه إن لعب المرء دورا فيها، فلا يجب على المرء أن يخاف من جائزة أو ميدالية كولد طيب. إنّهم طموحون هنا أيضا، لكن لم يزل هناك اختلاف، والعديدون هنا قد بدؤوا بفهم كم هو سخيف جعل المرء معتمدا على رأي آخرين فيما يفعله هو. إنني أكره الكتابة عن نفسي ولا أعرف لماذا أفعل هذا. ربما لأجيب على أسئلتك. يمكنك أن تري ماذا وجدت ـ عملي، ويمكنك أن تري أيضا ما لم أجده ـ كل شيء آخر يشكل جزءا من الحياة. والمستقبل؟ إما أن أوخذ بعيدا عن كل ما هو ليس بعملي أو... لا أجرؤ على الإسهاب في تلك الـ "أو"، لأن تحولي إلى آلة للعمل، غير مناسبة أو غير مهتمة بكل ما ليس ذلك، يمكن أن يكون من الأفضل أو الأسوأ من المتوسط. يمكنني أن أخلص نفسي إلى المتوسط، وفي الوقت الحالي فإن الواقع هو أنني لم أزل كما كنت أبدا، كومة الخردة نفسها.

بمناسبة الحديث عن الخردة. يمكن أن يكون إنقاذ أي شيء جيدًا من كومة خردتي التي يقول تيو إنها لم تزل في الصندرة في بريدا، لكنني لا أجرؤ على طلب ذلك منك وربما تكون قد فقدت، لذا فلا تقلقي بخصوص هذا.

لكن هذه هي المسألة. أنت تعلمين أن تيو قد أحضر طلبية كاملة من الطبعات الخشبية في العام الماضي؟ ومع ذلك، بعض أفضل الملفات مفقودة والبقية ليست

بالجودة نفسها تحديدا لأنها لم تعد كاملة. من الواضح أن الطبعات الخشبية التي تنشر في المجلات المصورة تصبح أندر فأندر بتقادم الزمن على أعداد المجلات. هذا كافٍ، هذه القمامة لا تجعلني غير مبالٍ تماما، على سبيل المثال، ثمة نسخة من "الملهاة الإنسانية" لجافارني، وكتاب "التشريح للفنانين"، باختصار، بضعة أشياء أجود من أن تضيع. إنني أعتبرها ضائعة مقدما، مع ذلك، كل ما لم يزل موجودا فهو مكسب صافٍ. لم أعرف حين غادرت أنني سأغادر إلى الأبد هكذا. لأن العمل لم يكن سيئا في نيونن وكان مسألة استمرار فيه. لا أزال أفتقد الموديلات الذين خلقوا من أجلي ولم أزل أحبهم، لو أنهم لي هنا والآن، فأنا واثق أن الخمسين لوحة الخاصة بي ستؤدي مهمتها. هل تفهمين أنني لست غاضبا من الجنس البشري لأنهم يظنونني هذا أو ذاك، إنني أقبل برغبتي كونهم محقين مقدما، لكن ما يحزنني هو أنني لا أملك القدرة الكافية لأحصل على من أريد ليكون موديلا للرسم، أينما أردت وللمدة التي أريدها طالت أم قصرت. المشكلة التي يجب أن أنهيها، وأن أتغلب عليها، تكمن في ذلك وليس في الصعوبات التقنية. واليوم أنا مصور مناظر طبيعية بينما أنا مهيأ أكثر للبورتريهات. لذا لن يدهشني كثيرا إن غيرت أسلوبي ثانية في وقت ما. رسامٌ مثل تشابلن وهو يرسم البورتريهات لأجمل النساء في باريس، نساء في أسرةٍ مرتديات ملابسهن أو عاريات، وقد رسم مناظر طبيعية قوية وقطعانًا من الخنازير في المروج. ما أريد قوله هو إن على المرء أن يفعل ما هو بمتناول يده ويتمسك بتقنيته.

إن كنتِ معي، أظنك كنت ستستسلمين لأن تصبحي موضوعا لتصويري. ثمة نساء باريسيات ضمن الانطباعيين، واحدة منهن على الأقل جيدة للغاية، بل اثنتان.

وحين أفكر كيف سيمكن للأسلوب الجديد أن يساعد على وضع النساء غير القادرات على الدقة التامة، اللائي يشعرن بشكل موسيقي، على الطريق الصحيح، حينها أندم من آن لآخر على أنني أشيخ وأصبح أقبح فيما هو ضد لمصلحتي.

من الجيد أن تيو الطيب قد دعاك إلى باريس، لا أعرف أي الانطباعات ستتركه عليك. أول مرة أراها فيها شعرت أكثر بكل البؤس الذي لا يستطيع الواحد إزاحته بعيدًا والجاثم كرائحة المرض في المستشفى مهما كان نظيفًا. وظلّ هذا معي لاحقا،

لكنني لاحقا فهمت أنها حوض أفكار، وكيف أن الناس يحاولون الحصول على كل شيء من الحياة التي يمكن أن توجد فيها. مدن أخرى تتقلص مقارنة بباريس، فهي تبدو كبيرة كالبحر. لكن المرء دائما ما يترك قطعة من حياته بكاملها وراءه هناك.

ومن اليقيني أنه ليس ثمة ما هو طازج هناك. لهذا السبب، حين يأتي المرء من هناك، فإنه يجد الكثير من الأشياء الممتازة في أي مكان آخر.

إنني مسرور باستعادتك صحتك، يفعل المرء كل شيء دون حكمة وبشكل خاطئ، ودون أن يفهم، حين يكون مريضا.

إنك لن تجدي الشمس هنا جيدة على الإطلاق كما أظن، إنني معتاد على العمل في الخارج في أكثر أجزاء اليوم حرارة. الطقس جاف، وحار.

اللون هنا رائع وجميل، حين تكون الخضرة طازجة فهو أخضر غني مثل ذلك الذي لا نكاد نراه في الشمال، هادئ. وحين ترتفع الحرارة ويثور الغبار لن يصبح اللون قبيحا، لكن المناظر تأخذ درجاتٍ من كل درجة من الذهبي، الذهبي الأخضر، والذهبي الأصفر، والذهبي الأحمر، وكذلك البرونزي، والنحاسي، وباختصار، من الأصفر الليموني إلى الأصفر الباهت لكومة من القمح المضروب. هذا مع الأزرق، من أدكن درجات الأزرق الملكي في الماء إلى أزرق زهور أذن الفأر. الأزرق الداكن فوق كل هذا، الأزرق الساطع الواضح، الأزرق المخضر، والأزرق البنفسجي.

بشكل طبيعي يتضمن ذلك البرتقالي، وجه مدبوغ بالشمس يبدو برتقاليا، علاوة على هذا، لأن كلا من الأصفر، والبنفسجي هنا ناطقان، فإن سورًا من القش أو سقفًا رماديًا من القش أو حقلًا محروثًا، يبدو بنفسجيا أكثر مما يبدو عليه في بلدنا. علاوة على ذلك، وكما ظننتِ أنتِ، فإن الناس هنا وسيمون في أغلب الأحيان. بكلمة واحدة، فأنا أظن أن الحياة هنا مكسبٌ أكثر منها في أمكنة كثيرة أخرى. لكن الناس هنا يبدون كسالى قليلا، يتزلقون بقدر أكثر من المعتاد أسفل منحدر الإهمال، والتجاهل، بينما إن كانوا أكثر حماسا، كانت الأرض ستنتج أكثر. لم أقرأ كثيرا مؤخرا، عدا "السيدة أقحوان" كتاب بيير لوتي.

أيضا "الأب قسطنطين" لـ أونيه، سماوي وجميل للغاية، حتى ليبدو كتابه "سيد الحدادين" مشكوكا في أمره، وهو الذي يؤثر في العواطف بهذه الطريقة. أحيانا، وبسبب الجوع الضاري، أقرأ حتى الجريدة بنهم، لكن لا تعتبري لذلك أن بي حاجة للقراءة. على النقيض من ذلك، وفي الواقع، فإنني أحب أن أرى الأشياء بشكل شخصي. لكنها أصبحت ببساطة عادة لدي أن أقرأ لعدة ساعات في المساء، فالمرء لا يمكنه أن يتوقف عن الشعور بأنه فوّت شيئا، لكنك يمكنك القول بأن ذلك ليس مزعجا من واقع أن ما يراه المرء مثير للاهتمام.

لقد أمضيت أسبوعا على ساحل البحر المتوسط، كنتِ ستظنينه جميلا. ما يدهشني هنا وما يجعل التصوير هنا جاذبا لي هو صفاء الهواء، لا يمكنك معرفة مغزى ذلك لأننا في بلدنا محرومون منه، لكن على بعد ساعة يمكن للمرء أن يفرق بين الألوان، الأخضر الرمادي لأشجار الزيتون، والأخضر الزرعي لمرج على سبيل المثال، والليلكي الوردي لأرض محروثة، في بلدنا لا نرى إلا رماديا غامضا في الأفق، هنا الخط حادّ ويمكن تمييز شكله عن بعد. يعطي هذا فكرة عن الفضاء والهواء.

بما أنني مشغول بنفسي، فإنني أود أن أرى أيضا إن كان بإمكاني صناعة بورتريه شخصي كتابةً. أولا أبدأ بقول إنه وبالنسبة لي فإن الشخص نفسه يكون مادةً لبورتريهات متنوعة.

ها هو انطباع لي، وهو نتيجة بورتريه رسمته في المرآة، يملكه تيو: وجه وردي رمادي بعيون خضراء، شعرٌ بلون الرماد، وتجاعيد على الجبهة وحول الفم، يابسة كالخشب، لحية حمراء للغاية، غير معتنى بها وحزينة، لكن الشفاه ممتلئة، وسترة زرقاء من الكتان الخشن، وباليتة بها أزرق ليموني، وقرمزي، وأخضر فيروني، وأزرق كوبالتي، باختصار كل الألوان، عدا برتقالي اللحية، على الباليتة، فقط الألوان التامة. الشخص على خلفية جدار أبيض رمادي. ستقولين إن هذا الشيء يشبه، مثلا، وجه الموت في كتاب فان إيدين، أو شيئا مشابها، حسنا، لكن بأي حال أليس شخصٌ كهذا، وليس من السهل رسم المرء لنفسه، هو بأي شكل، شيئًا مختلفا

عن صورة فوتوغرافية؟ وأنت ترين، هذا ما تتميز به الانطباعية، في رأيي، على كل البقية، ليست مبتذلة، ويرجو المرء تشابها أعمق من ذلك الذي في الفوتوغرافيا.

أبدو مختلفا هذه الأيام، فأنا ليس لدي شعر أو لحية، كلاهما محلوق، ولوني تغير من الوردي الرمادي المخضر إلى الرمادي البرتقالي، ولدي حلة بيضاء بدلا من الزرقاء، وأنا دائما مغبر، ومثقل مثل قنفذ بالعصي، والحامل والقماش وأغراض أخرى. فقط العينان الخضراوان بقيتا على ما هما عليه، لكن لونا آخر في البورتريه، هو قبعة من القش الأصفر مثل جزاز العشب، وغليون أسود للغاية. أعيش في بيت أصفر صغير بباب أخضر ونوافذ خضراء، مطلي بالجير الأبيض من الداخل، وعلى الجدران البيضاء، رسومات يابانية بألوان زاهية، وبلاط أحمر على الأرضية، والبيت مشمسٌ، وفوقه سماء زرقاء ساطعة، والظل في منتصف النهار أقصر كثيرا منه في بلدنا. بأي حال، لكن ألا يمكنك أن تفهمي أن بإمكان المرء تصوير شيء كهذا ببضع ضربات بالفرشاة، لكن في الوقت ذاته ألا يمكنك أن تفهمي أن الناس تقول "تبدو غريبة جدا"، وغني عن الذكر أولئك الذين لا يجدون فيها شيئا أو يجدونها بشعة؟ لو أنها تبدو مشابهة، لكنها تبدو مختلفة عن عمل الفوتوغرافي بظلاله السوداء، لا بد أن تصنع من أجل هذا السبب وحده. إنني حقا لا أحب السيد فوسماير على الإطلاق، وأنا سميك الجلد بما يكفي كي لا أهتم بتبديل الرجل للمؤقت بما هو أبدي. إنه لشيء جيد جدا كونك وماما قد حصلتما على حديقة بقطط وعصافير وفراشات، بدلا من الحصول على سلم إضافي. لا يمكنني التعود أبدا على تسلق سلالم باريس، وطالما كنت دائخا في كابوس مرعب تركني هنا، لكنه تكرر بانتظام هناك.

إن لم أضع هذا الخطاب في البريد فسأمزقه يقينا إن قرأته ثانية، لذا فلن أقرأه ثانية وأشكك في صلاحيته، فليس لدي دائما وقت للكتابة.

لا أظن أن بهذا الخطاب شيئا ولا يمكنني أن أفهم كيف استطعت كتابته بهذا الطول. اشكري أمي لخطابها.

منذ وقت طويل أردت أن أمنحك دراسة، وستحصلين عليها. أنا خائف أنه بالبريد حتى لو دفعت القيمة، سيجعلونك تدفعين قيمة مضافة، مثل الزهور من منتون، وهذا أكبر حتى، لكن تيو سيرسل إليك واحدة بالتأكيد، إن نسيت، فاسأليه عنها.

أنت وأمي في بالي.

المخلص لك بمحبة،

فنسنت.

تيو يعمل لكل الانطباعيين، لقد أسدى خدمة وباع لكل شخص فيهم، وسيستمر يقينا في فعل ذلك. لكن تلك الأشياء القليلة التي أكتبها لك عن الأمر ستريك كيف أنه شيء مختلف تماما عن معظم التجار، الذين لا يهتمون بالرسامين.

هل كان هناك ما يكفي من الطوابع على الرسم؟ اكتبي وأخبريني لأنني يجب أن أعلم.

٦٢٨ | آرل، نحو الخميس، ١٩ يونيو ١٨٨٨
إلى إميل برنار

عزيزي برنار،

سامحني إن كتبت مسرعا، أخشى ألا يكون خطابي مناسبا، لكنني أود أن أرد على خطابك مباشرة.

هل تعرف أننا حمقى، أنا وأنت وجوجان، لأننا لم نذهب إلى المكان ذاته؟ لكن حين غادر جوجان، لم أكن واثقا من قدرتي على المغادرة. وعندما غادرت، كان هناك ذلك المبلغ المخيف من أجل التذكرة، والأخبار السيئة التي اضطررت لحملها عن

النفقات هنا، والتي منعته. إن كنا غادرنا كلنا إلى آرل معا لم يكن الأمر ليكون بهذه السخافة، لأن ثلاثتنا كنا سنقوم بتدبير أمر المنزل. والآن وقد وجدت مكاني هنا وتأقلمت أكثر، فإنني قد بدأت برؤية مميزات المكان. عن نفسي، فإن صحتي أفضل هنا في الجنوب، إنني حتى أعمل في حقول القمح بمنتصف النهار، في حرارة الشمس، دون أي ظل كان، وكما ترى، أجدُ فيها مثل جندب. يا إلهي، لو كنت عرفت عن هذا البلد حين كان عمري خمسة وعشرين عاما بدلا من خمسة وثلاثين، في تلك الأيام كنت متحمسا للرمادي، أو بالأحرى لانعدام اللون. كنت أحلم دائما بميبه، وكانت لدي علاقات في هولندا مع رسامين من نوعية موف وإسرائيل.

(الاسكتش أ)

هذا كروكي للبذّار.

حقل كبير بكتل من الأرض المحروثة، أغلبه بنفسجي.

حقل من القمح الناضج بأصفر أكسيد الرصاص وقليل من القرمزي.

السماء بالأصفر الكرومي (١) ساطعة كالشمس نفسها التي لونتها بصبغة الكروم (١) مع القليل من الأبيض، بينما بقية السماء الأصفر كرومي (١) و(٢) مخلوطين، صفراء للغاية إذن.

سترة البذّار زرقاء، وبنطاله أبيض، قماشة مقاس ٢٥ مربعة. ثمة العديد من تكرار الأصفر في الأرض، درجاتٌ محايدة، ناتجة عن خلط البنفسجي بالأصفر، لكنني لا أعبأ البتة بدقة اللون. من الأفضل صناعة صور ساذجة لتتيجة الحائط، نتيجة حائط ريفية وقديمة، حيث البرد، والجليد، والمطر، والطقس الجيد ممثلة بطريقة بدائية. بالطريقة التي حصل بها أنكيتان على حصاده بشكل جيد.

لا أخفي عليك فأنا لا أكره الريف، فقد ترعرعت فيه، ولا تزال تسحرني -كما كانت تسحرني في الماضي- نتفات من الذكريات الماضية، وأشواق للانهاية التي يكون البذّار، والحزمة، رمزين لها.

لكن متى سأرسم السماء بنجومها، هذه اللوحة التي طالما كانت ببالي؟ يا للأسف، إن الأمر كما يقول صديقنا الرائع سيبريان، في "العائلة" التي كتبها ج. ك. إيسماس: أجمل اللوحات هي تلك التي يحلم بها المرء في أثناء تدخينه الغليون في سريره، لكنه لا يصنعها. لكنها مسألة مهاجمتها مع ذلك، مهما شعر المرء بأنه لا يقدر على مجابهة الكمالات غير المفهومة لروعة الطبيعة المجيدة.

لكنني أود أن أرى الدراسة التي صنعتها في المبغى. إنني أؤنب نفسي لما لا نهاية لأنني لم أصنع شخوصا هنا بعد.

(اسكتش ب)

ها هو مشهد طبيعي آخر. شمسٌ غاربة؟ قمر بازغ؟ أمسية صيفية على أي حال.

مدينة بنفسجية، نجمٌ أصفر، سماء زرقاء مخضرة، حقول القمح بكل الدرجات: الذهبي القديم، النحاسي، الذهبي الأخضر، الذهبي الأحمر، الذهبي الأصفر، الأخضر، الأحمر، والبرونزي الأصفر. قماشة مقاس ٣٠ مربعة.

لقد لونتها بالخارج في أثناء ريح الميسترال. حاملي كان مثبتا إلى الأرض بأوتادٍ حديدية، وهي طريقة أنصحك بها.

(اسكتش ج)

تغرس قدم الحامل ثم تدفع وتدا حديديا بطول خمسين سنتيمترا بجوارها. تربط كل شيء معا بالحبال، بهذه الطريقة يمكنك العمل في الريح.

هذا هو ما أردت قوله عن الأبيض والأسود. دعنا نتناول البذّار مثالا. اللوحة مقسومة لقسمين، نصف أصفر، الأعلى، والأسفل بنفسجي. حسنا، البنطال الأبيض يريح العين ويشغلها فقط حين يزعجها التباين التلقائي الزائد للأصفر مع البنفسجي. هذا ما أردت قوله.

زارع، وشمس وقت الغروب

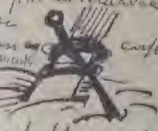
mais quand donc ferai je le ciel étoilé ce tableau
qui toujours me préoccupe . . helas helas c'est bien
comme dit l'excellent copain Cyprien dans "en ménage" de
JK Huysmans : les plus beaux tableaux sont ceux que l'on rêve
en fumant des pipes dans son lit mais qu'on ne fait pas. Il s'agit
pourtant de les attaquer quelqu'incompétent qu'on se sente vis à vis
des ineffables perfections de splendeurs glorieuses de la nature.

mais comme je voudrais voir l'étude que tu as fait au bordel
je me fais des reproches à n'en plus finir de ne pas encore avoir fait
de figures ici

Voici encore
un paysage
Soleil couchant?
Lever de lune?
Soir d'été en
tout cas.
Ville violette
astre jaune
ciel bleu vert
les blés ont
tous les tons
vieil or cuivre
or vert ou rouge
or jaune
bronze jaune
vert rouge. toile de 30 carrée



je l'ai peint en plein mistral. mon chevalet était fixé en terre avec
des piquets de fer procédé que je te recommande.
On enfonce les pieds du chevalet et puis on enfonce
à côté un piquet de fer long de 50 centimètres
vous pouvez ainsi travailler dans le vent.



Voici ce que j'ai voulu dire pour le blanc et le noir
prenons le Semeur le tableau est coupé en deux
une moitié est jaune, le haut, le bas est violet.
eh bien le pantalon blanc repose l'oeil
et le distrait au moment où le contraste simultané
excessif de jaune et de violet l'agacerait. Voilà
ce que j'ai voulu dire.

(من الأعلى إلى الأسفل) حقل قمح وقت الغروب: حامل لوح الرسم ومسمار أرضيّ

أعرف ملازما في جند المستعمرات هنا اسمه ميه. أعطيته دروسا في الرسم، بوجهة نظري، وقد بدأ بصناعة الرسومات، بشرفي، لا بأس به أبدًا، وهو شغوف بالتعلم، وقد زار تونكين... إلخ، وسيغادر إلى أفريقيا في أكتوبر. لو كنت في كتيبة المستعمرات كان ليأخذك معه ويؤمن لك هامشا من الوقت كافيًا للتصوير إن ساعدته قليلا في مشاريعه الفنية. هل سيكون هذا مفيدا لك؟ إن كانت إجابتك بنعم، فأخبرني بأسرع ما يمكنك.

من ضمن الأسباب التي تحضّ على العمل هو أننا ندفع مالا للحصول على القماش. ستقول لي قبل كل شيء إن هذا السبب اعتيادي، ثم ستقول إنك تشك في صحته. لكنه صحيح. من ضمن أسباب عدم العمل هو أنه وفي الوقت الحالي فإن القماش والألوان تكلفنا المال. الرسومات مع ذلك، لا تكلفنا الكثير.

جوجان ضجر أيضا في بون أفون، يشكو من العزلة، مثلك. إن أردت رؤيته، لكنني ليست لدي فكرة إن كان سيمكث هناك، وأميل لأن أظن أنه ينتوي الذهاب إلى باريس. لقد قال إنه ظنك ستأتي لبون أفون.

يا إلهي، لو كنا ثلاثتنا هنا! ستخبرني أنه مكان بعيد جدا. حسنا، لكن في الشتاء، لأن المرء بإمكانه العمل هنا بالخارج طوال العام. هذا هو سببي لحب تلك البقعة من العالم، لعدم اضطراري للخوف من البرد كثيرا، والذي يمنع دمي من الدوران فيمنعني من التفكير، ومن عمل أي شيء البتة. يمكنك التحقق من هذا بنفسك حين تصبح جنديا. سيذهب أساك، والذي قد يكون بحق اللعنة قد أصابك لأن لديك دما قليلا جدا، أو دما مصابا، وهو ما لا أظنه الحال عموما. إنه نبيذ باريس الملعون الوسخ والدهن الوسخ لقطع اللحم هو ما فعل بك هذا، يا إلهي! لقد وصلت لحال لم يكن دمي فيها يعمل البتة، حرفيا، البتة، كما يقولون. لكن بعد أربعة أسابيع هنا، بدأ يتحرك ثانية، لكن، يا رفيقي العزيز، في الوقت ذاته أصبت بنوبة من الحزن مثل نوبتك، والتي كنت سأعاني منها كما عانيتَ لولا أنني رحبت بها بسرور كبير كعلامة على أنني ماضٍ في التعافي، وهو ما حدث.

بدلا من العودة إلى باريس إذن، ابق في الريف، لأنك تحتاج القوة لعبور محنة الذهاب إلى أفريقيا. وكلما زاد الدم، الدم الجيد، الذي تصنعه لنفسك مقدما، كان أفضل، لأن هناك في الحرّ، ربما يكون من الأصعب إنتاجه. التصوير والجنس الزائد ليسا متوافقين، إنه يضعف العقل، وهذا هو الأمر المزعج اللعين. رمز القديس لوقا، شفيع الرسامين، هو كما تعلم، الثور، يجب علينا إذن أن نكون بصبر الثيران إن أردنا أن نعمل في المجال الفني.

لكن الثيران سعيدة جدا لعدم اضطرارها للعمل في ذلك المجال القذر، مجال التصوير.

لكن ما أردت قوله هو التالي: بعد فترة من الحزن ستصبح أقوى مما مضى، وستستعيد عافيتك، وستجد الطبيعة المحيطة بك جميلة لدرجة أنك لن تجد بك رغبة سوى أن تقوم بالتصوير. أظن قصائدك ستتغير أيضا، بطريقة تغير تصويرك نفسها. فبعد بعض الأشياء الغريبة توصلت لصناعة ما له هدوء مصري وبساطة كبيرة.

كم كانت قصيرة الساعة
التي أمضيناها في الحب
أقل من لحظة
وأطول قليلا من حلم
الوقت يذهب
بتراتيلنا السحرية

هذا ليس بودلير، لا أعرف حتى من كتبها، إنها كلمات أغنية اقتبستها من كتاب دوديه "النباب"، لكن أليست تعبر عن الشيء وكأنها هزة كتف امرأة حقيقية.

في الأيام القليلة الماضية قرأت كتاب بيير لوتي "السيدة أقحوان"، في الكتاب ملاحظات شائقة عن اليابان. في اللحظة الحالية هناك معرض لكلود مونيه عند شقيقي، أود لو يمكنني أن أراه. وكان جي دو موباسان من ضمن زوار المعرض، ذهب إليه، وقال إنه من الآن فصاعدا سيزور بوليفار مونمارتر.

يجب أن أذهب لأرسم، لذا فسأنهي هذا الخطاب، سأكتب لك ثانية بالأحرى قبل فترة طويلة. أستميحك ألف عذر لأنني لم أضع ما يكفي من الطوابع على الرسالة، ومع ذلك فقد زودتها بطابع من مكتب البريد، وهذه ليست المرة الأولى التي يحدث هذا هنا، فأنا كنت في شكٍ من الأمر، وقد سألت في مكتب البريد نفسه، مع ذلك فقد ضللوني فيما يخص الطوابع.

لا يمكنك تصور كم الإهمال، واللامبالاة التي لدى الناس هنا. بأي حال، سترى ذلك قريبا بعينيك حين تصل إلى أفريقيا. شكرا لخطابك، أتمنى أن أكتب لك قريبا في لحظة أكون فيها أقل تعجلا. مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٣١ | آرل، نحو الاثنين، ٢٥ يونيو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إن أخذنا قطعة من القماش العادي، فهذا هو السعر الصافي، والذي وجدته للتو بمحض صدفة:

قطعة قماش عادية خشنة صفراء، رقم صفر
العرض ٢ متر
طول القطعة كلها ١٠ متر
السعر ٤٠ فرنكا
الخصم سيكون ٢٥% بالضبط
سعر المصنع سيكون لواحدة جديدة، ٣٣ ١/٣%.

وهكذا لدينا فرصة لمراجعة أسعار تاسيه. دون أن نضع في الحسبان، أو بوضعها، خمسة الأمتار التي طلبتها، أفضل ترتيب سيكون أن نأخذ القطعة كلها.

بما أنني مؤخرا اشتريت بعض القماش والذي سأحتفظ منه بأطر الشد، فهو موفر للغاية.

لصناعة اللوحة مقاس ٣٠، دون وضع إطار الشد الذي أملكه في الحسبان، القماشة لا تكلفني ١.٥٠ (بالسعر المذكور أعلاه)، وفي الوقت الحالي، مع إطار الشد، ٤ فرنكات. وضع فرنكا لحساب إطار الشد، والذي يكلف أقل، مع كل لوحة مقاس ٣٠ يصنع هذا فارقا من ١.٥٠ ، وأكثر. هذا المال الزائد يذهب لنفقة النقل، والتي ستكون ٥ فرنكات.

انظر، إن استطعت، إلى ما يقوله تاسيه حين تسأله عن سعر القطعة. لكن ما أقوله لك عن السعر بالقطعة هو هذا، وسيكون بإمكانك أن تقارن.

هل تذكر بين الرسومات الصغيرة، جسرا خشبيا بموقع للغسيل، ومشهدٍ للبلدة في الخلفية؟ لقد انتهيت للتو من تصوير هذا الموضوع بحجم كبير.

يجب أن أحذرك أن الجميع سيجدون أنني أعمل بسرعة، لا تصدق كلمة منهم.

أليست العاطفة، وإخلاص مشاعرنا نحو الطبيعة، هي ما يقودنا، وإن كانت تلك العواطف في بعض الأحيان من القوة لدرجة أن نعمل، دون أن نشعر أننا نعمل، حين تأتي ضربات الفرشاة بترتيب معين وبعلاقات مع بعضها البعض مثل كلمات في خطبة أو رسالة. حينها علينا تذكر أن الأمر لم يكن دائما هكذا، وأنه وفي المستقبل ستمر أيام صعبة دون إلهام. لذا علينا أن نطرقَ الحديد وهو ساخن ونضع جانبا القضبان التي صنعناها.

لم أحصل بعد على نصف الخمسين لوحة التي ستعرض على الجمهور، وأنا في حاجة إليها كلها بنهاية هذا العام.

أعرف مقدما أنها ستُنتقد على أنها صنعت على عجل.

أعرف أيضا أنني أتمنى أن ألتزم بحجتي في الشتاء الماضي، حين تحدثنا عن جمعية للرسامين. ليس لأن لدي رغبة كبيرة أو أمنية في تحقيقها، لكنه كان نقاشًا جادا، يجب أن نحافظ على حجتنا ونحافظ على حقنا في العودة إليها، إلى تلك المسألة.

إن لم يعد جوجان للعمل معي، فلن يكون لدي أي مصادر لموازنة نفقاتي سوى عملي.

الاحتمال وحده يخيفني قليلا. إن لم تخنّي صحتي فسأصنع كومة كبيرة من اللوحات ومن هذه المجموعة سيكون هناك ثمة ما يستحق.

إنني أكاد أن أكون متصالحا مع البستان، والذي لم يوضع على إطار شد، وحليته بالتنقيط. ومن المجموعة كلها، فإن هاتين تستحقان. لكنني أعمل بقلق أقل في الحرارة، أفضل مما فعلت في الربيع الماضي.

وقريبا سأرسل إليك بعض اللوحات الملفوفة، والبقية حين يتسنى لي لفها.

سأود كثيرا أن أضاعف طلبية الأبيض الزنكي. هذا الأبيض الزنكي هو جزء من السبب الذي لأجله يجف كل شيء ببطء، لكن له مميزات أخرى في المزج.

ألم يكن الشتاء الماضي رائعا عند جيومان، وقد وجدنا الأرضية، والسلالم، وحتى الاستوديو، وكومة كبيرة من القماش. أنت تفهم أنني منذ ذلك الوقت كان لدي طموح معين، ليس متعلقا بعدد اللوحات، لكن بأن تلك اللوحات ككل، يجب، وبعد كل شيء، أن تمثل شغلا حقيقيا من جانبك وجانبي أيضا.

حقول القمح تلك كانت فرصة للعمل، مثل البساتين المزهرة. ولدي الوقت الكافي فقط لتجهيز نفسي للحملة الجديدة على كروم العنب. وبين الاثنين أود أن أصنع بعض المناظر البحرية.

البساتين قدمت الوردي والأبيض،
وقدمت حقول القمح الأصفر،
والمناظر البحرية الأزرق.

ربما الآن عليّ تجربة الأخضر. الخريف قد حان، ما يعطيك الطيف الكامل لكل الدرجات.

ينتابني الفضول حول ما سيفعله جوجان، الشيء الأساسي ألا نثبط من عزمه، لم أزل أظن أن خطته كلها كانت نزوة.

أريد أن أكرر لك أن رغباتي الشخصية مرتبطة بمصالح عدد من الأشخاص، وأنه طالما بدا لي أن شخصا آخر قد يستفيد من المال الذي أنفقه بنفسي. إما فينيون وإما جوجان، أو برنار أو شخص آخر. وأنه ولأجل تلك الترتيبات، حتى إن اشتملت على انتقالي من السكن الحالي، فأنا مستعد. شخصان يعيشان معا وحتى ثلاثة أشخاص - لا ينفقون ما ينفقه شخص واحد. ولا حتى على الألوان.

لذا، ومن دون حساب الزيادة في الأعمال المنجزة، فستسعد لتوفير نفقة المعيشة لشخصين أو ثلاثة أشخاص بدلا من واحد.

إن قرب هذا الوقت أو بعد. وما دمت قويًا كالآخرين. يمكنك أن تتأكد من أنه سيكون من الصعب علينا أن ننخدع، وقد رأينا أنهم يضعون العراقيل أمام العمل، فأنا أعرف تلك العراقيل أيضا. وسأعرف ما أصل الحكاية كلها.

نحن لدينا الحق الكامل الآن، وربما الواجب حتى، في أن نحثهم على العمل.

وهذا هو ما علينا فعله.

إن كنتُ وحيدا، أقسم، فلن يمكنني فعل شيء حيال ذلك، حينها ستكون حاجتي للرفقة أقل من حاجتي للغرق في العمل، ولهذا تحديدا أطلب القماش والألوان بجرأة.

وهكذا فأنا أشعر أنني حي فقط حين أغرق في العمل.

وفي حالة الرفقة فسأشعر بحاجة أقل لأن أفعل هذا، أو بالأحرى، سأعمل على أشياء أكثر تعقيدا. لكن في العزلة يمكنني فقط الاعتماد على حماسي في لحظات معينة، ثم أترك نفسي للتبذير.

وهكذا فإن القماش الذي اشتريته هنا منذ وقت ليس بطويل مغطى معظمه. حين أرسل إليك اللوحات الملفوفة ربما سيكون عليك أن تزيل بعض الأشياء غير الهامة عن أطر الشد. بحيث تكون قادرا بنهاية العام، على أن تعرض خمسين منها على بيسارو والآخرين. أما البقية، فهي دراسات، والتي ستكون مصدرا للمعلومات، وبعد أن تجف تماما، يمكننا الاحتفاظ بها في ملف أو خزانة دون أن تشغل مساحة كبيرة.

مصافحة لك، وللرفاق إن رأيت أيا منهم.

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٣٢ | آرل، الثلاثاء، ٢٦ يونيو ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار،

إن قراءتك للكتاب المقدس لأمر رائع، أبدأ من هناك لأنني طالما امتنعت عن نصحك بقراءته.

حين أقرأ اقتباساتك العديدة من موسى، والقديس لوقا... إلخ، لا يمكنني إلا أن أقول لنفسي، حسنا، حسنا، هذا كل ما كان يحتاجه. هذا هو الأمر، برمته - عصاب الفنان. لأن دراسة المسيح تؤدي لذلك لا محالة، خصوصا في حالتي، حيث يزداد الأمر تعقيدا بتبهير غلايين لا تعد. الكتاب المقدس، هذا هو المسيح، لأن العهد القديم يؤدي إلى تلك القمة، القديس بولص والرسل الآخرون يحتلون السفح الآخر للجبل المقدس.

كم هي قصة بائسة! يا إلهي، ألا يوجد سوى هؤلاء اليهود في العالم إذا؟ الذين يبدؤون بقول إن كل ما عداهم نجس؟

بقية الناس تحت الشمس العظيمة هناك، المصريون، الهنود، الإثيوبيون، البابليون، نينوى. لماذا لم يكتبوا أراشيفهم بالدقة نفسها؟ مع ذلك، فإن دراسته جميلة، وبأي حال، أن تكون قادرا على قراءة كل شيء سيكون تقريبا ما يكافئ عدم قدرتك على القراءة البتة. لكن ما قد يواسينا في هذا الكتاب المقدس المحزن للغاية، الذي يثير بؤسنا وامتعاضنا، ويضايقنا بعمق، نحن الشاعرين بالإهانة ببؤسه وحماقته المعدية ـ المواساة التي يحملها، مثل لبّاب داخل ثمرة جافة، لباب مر، هو المسيح. شخص المسيح تم تصويره، كما أشعر به، من قبل ديلاكروا ورامبرانت فقط، ثم قام ميه برسم... تعاليم المسيح.

البقية تجعلني أبتسم، بقية التصوير الديني، من وجهة النظر الدينية، وليس من وجهة نظر التصوير. والبدائيون الإيطاليون (مثل بوتيتشيلي، مثلا)، والفلمنكيون، والبدائيون الألمان (فان آيك، وكراناخ). إنهم وثنيون، ويثيرون اهتمامي فقط للسبب نفسه الذي يثير الإغريق به اهتمامي، وفيلاسكيز، والعديد من الطبيعيين. المسيح، وحده، من بين كل الفلاسفة، والسحرة... إلخ، أعلن الحياة الأبدية، لا نهائية الزمن، عدم وجود الموت، كيقين أولي. ضرورةً وسببا وجوديا للإخلاص والسكينة.

عاش السكينة كفنان أعظم من الفنانين كافة، مزدريا الرخام والطمي والألوان، عاملا على اللحم الحي. أي إن هذا الفنان الاستثنائي، والذي يصعب تلقيه بأدواتنا العصبية وبعقولنا الحديثة الغبية، لم يصنع تماثيل ولا لوحات ولا حتى كتابا. لقد أعلنها صريحةً وواضحةً، لقد صنع رجالا أحياء، خالدين.

هذا أمرٌ جاد، كما تعلم، خصوصا لأنها الحقيقة.

هذا الفنان العظيم لم يصنع كتبا حتى، الأدب المسيحي ككل من اليقين أنه كان سيغضبه، وإنتاجاته الأدبية التي بإمكانها البروز بجوار إنجيل لوقا، ورسائل بولس، البسيطة بشكلها الفج والحربي، هي قليلة ومتباعدة. هذا الفنان العظيم، المسيح، على

الرغم من أنه ازدرى كتابة الكتب عن الأفكار والمشاعر، كان بالتأكيد أقل ازدراءً للكلمة المنطوقة، المثال فوق كل شيء. (يا له من بذّار، يا له من حصاد، يا لها من شجرة تين... إلخ.)

ومن يجرؤ أن يخبرنا أنه كذب، هذا اليوم حين توقع بامتعاض سقوط مباني الرومان، وأعلن: "السماء والأرض ستزولان، لكن كلماتي لن تزول."

هذه الكلمات المنطوقة، والتي لم يكتبها كعبقري، وسيد عظيم، هي واحدة من أعلى، أعلى القمم التي أحرزها الفن، والتي يصبح فيها قوةً خلاقةً، قدرةً صافيةً من الخلق.

هذه التأملات، يا عزيزي برنار، تأخذنا في طريق طويل جدا، طريق طويل جدا، رافعةً إيانا فوق الفن نفسه. تمكننا من لمح، فن صناعة الحياة، وفن أن تكون خالدا، حيا.

هل لها اتصال بالتصوير؟ شفيع الرسامين، القديس لوقا، طبيب، رسام، ومبشر، متخذا كرمز، للأسف، لا شيء سوى الثور، هو موجود لمنحنا الأمل.

مع ذلك، حياتنا الحقيقية، هي متواضعة بحق، حياتنا كرسامين. راكدة تحت النير الصادم لصعوبات صنعة تكاد تكون مستحيلة الأداء على هذا الكوكب العدائي، الذي على سطحه "يؤدي حب الفن لخسارة الحب الحقيقي".

وبما أن لا شيء يقف في طريق افتراض أن على الكواكب الأخرى العديدة والشموس قد توجد خطوط وأشكال وألوان، لم يزل بإمكاننا، أن نحتفظ بقدر من السكينة النسبية حيال إمكانات القيام بالتصوير في ظروف وجودية مختلفة وأفضل من الحالية، وجود غيرته ظاهرة قد لا تكون أمهر ولا أكثر إدهاشا من تحول اليرقة إلى فراشة، والدودة إلى خنفساء.

وجود الرسام كفراشة سيتخذ كمجاله الفعلي إحدى النجوم التي لا تعد، والتي، بعد الموت، لن تظل بعيدة المنال وغير قابلة للوصول بالنسبة لنا، كالنقاط

السوداء التي ترمز للمدن والقرى على خريطة حياتنا الأرضية. العلم، التفكير العلمي، يبدو لي كأداة ستقطع شوطا طويلا في المستقبل.

للسبب التالي، كنا نظن الأرض مسطحة، كان هذا حقيقيا، ولا تزال في يومنا هذا، من باريس إلى أسنيير، على سبيل المثال. لكن هذا لم يمنع العلم من إثبات أن الأرض كروية. الحقيقة التي لا يجادل أحد فيها اليوم.

حاليا، وعلى الرغم من ذلك، فنحن ما زلنا في موقع نؤمن فيه بأن الحياة مسطحة، من الميلاد إلى الممات. لكن قد تكون الحياة أيضا كروية، وأعلى في مداها وإمكاناتها من نصف الكرة الواحد المعروف لنا الآن.

أجيال المستقبل، بالأحرى، ستنيرنا بهذا الخصوص الشائق، وحينها، العلم نفسه سيمكنه، بكل الاحترام اللازم، أن يصل إلى نتائج موازية بشكل أو بآخر لكلمات المسيح المتعلقة بالنصف الآخر من الوجود.

ومهما كانت الحال، فالواقع هو أننا مصورون في الحياة الواقعية، والمسألة هي مسألة التنفس ما دام قد ظل فيك رمق.

آه، لوحة يوجين ديلاكروا الجميلة، قارب المسيح على بحر جنساريت، هو، بهالته الليمونية الباهتة، نائما، منيرا، داخل الرقعة الحمراء كالدم، الزرقاء الغامقة، البنفسجية الدرامية، لمجموعة تلاميذه المندهشين. على البحر الزمردي المخيف، العالي، الصاعد ليطول الإطار. آه، الاسكتش الرائع.

لولا إنهاكي من الرسم والتصوير لثلاث أو أربع ساعات يوميا مع موديل، جندي زوافي من كتيبة المستعمرات، كنت صنعت لك كروكيا. وفي المقابل فالكتابة مريحة ومسلية.

ما صنعته قبيح جدا: رسمة (جندي المستعمرات)، جالسا، واسكتش ملون له على خلفية جدار أبيض، وأخيرا بورتريه له على خلفية باب أخضر وبعض القوالب البرتقالية لحجارة الجدار. إنه فج، حسنا، وقبيح ومصنوع بشكل سيئ. مع ذلك، بما

أن تلك هي الصعوبة الحقيقية وقد تمت مهاجمتها، فقد تفتح الطريق في المستقبل. الشخوص التي أصنعها دائما ما تكون كريهة في عيني، وعيون الآخرين أيضا. مع ذلك، فإن دراسة الشخص هي ما تقوينا أكثر من أي شيء آخر، إن قمنا بها بطريقة مختلفة عن تلك التي تعلمناها عند مسيو بنيامين كونستانت على سبيل المثال.

خطابك أسعدني كثيرا، والكروكي مثير للاهتمام فعلا وأشكرك عليه، عن نفسي سأرسل إليك رسما في أحد تلك الأيام، هذا المساء أنا منهك، وعيناي متعبتان إن لم يكن عقلي متعبا.

اسمع، هل تذكر لوحة بوفي يوحنا المعمدان؟ أجدها رائعة وأجده ساحرا كيوجين ديلاكروا.

الفقرة عن يوحنا المعمدان التي استخرجتها من الإنجيل هي تماما ما رأيته فيها... الناس تتزاحم على شخص ما، هل أنت المسيح، هل أنت إلياس؟ كما قد يحدث في يومنا أن يسألوا الانطباعية أو أحد باحثيها أو ممثليها: "هل أنشأتها؟" متشابهان تماما.

في اللحظة الحالية فإن أخي لديه معرض لكلود مونيه، عشر لوحات مصنوعة في أنتيبيس من فبراير حتى مايو. يبدو أنها جميلة جدا.

هل سبق لك وقرأت حياة لوثر؟ لأن كراناخ، ودورر، وهولباين ينتمون إليه، إنه هو، شخصيته، هي العلو الشاهق للعصور الوسطى.

لا أحب "ملك الشمس" أكثر مما تحبه، يبدو لي مطفئا للنور بالأحرى، هذا اللويس الرابع عشر، يا إلهي، يا له من إزعاج، بكل شكل ممكن، سليمان المنهجي هذا. لا أحب سليمان أيضا، ولا طائفة الميثوديين بتاتا. سليمان يبدو لي كوثني منافق، ليس لدي احترام لمعماره، وتقليد لأساليب أخرى، ولا لكتابته، التي صنع الوثنيون أفضل منها بكثير.

خبرني قليلا عن وضعك بالنسبة للخدمة العسكرية، هل علي أن أكلم الملازم من كتيبة الزواف أم لا؟ هل أنت ذاهب إلى أفريقيا أم لا؟ وفي حالتك، هل يحسب

العام بعامين في أفريقيا أم لا؟ أهم شيء أن تتأكد أن دمك جيد، لن تذهب بعيدا إن كنت مصابا بالأنيميا. التصوير يكون بطيئا، من الأفضل أن تحاول أن تجعل بنيتك قوية كزوج من الأحذية القديمة، بنية لصناعة عظام قديمة، من الأفضل أن تعيش ككاهن يذهب إلى المبغى كل أسبوعين، أنا أفعل ذلك، إنه ليس شاعريا جدا، لكن بأي حال، أشعر أن واجبي أن أخضع حياتي للتصوير.

إن ذهبت معك إلى اللوفر، فسأود حقيقةً أن أرى الأشياء القديمة من جديد. في اللوفر أواصل العودة بحب شديد إلى الهولنديين، رامبرانت أولا وقبل الآخرين، رامبرانت الذي درسته مرةً بعمق، ثم بوتر على سبيل المثال، الذي يصنع، على لوحة مقاس ٤ أو ٦، جوادا أبيض وحيدا في المرج، جوادا يصهل، مهجورا وحزينا تحت سماء تتجهز لعاصفة رعدية، مكسور القلب في الضخامة الخضراء الناعمة لمرج مخضل، آه حسنا، ثمة أشياء جميلة في المدرسة الهولندية القديمة ولا علاقة لها بأي شيء آخر. مصافحة، وشكرا لخطابك والكروكي ثانية.

المخلص دوما،

فنسنت.

السوناتات جيدة، أي، اللون فيها جيدٌ، التصميم ليس بالقوة المعهودة، وأقل ثقة بالنفس، المفهوم متردد، لا أعرف كيف أعبر عن ذلك، هدفها الأخلاقي ليس واضحا.

٦٣٥ | آرل، نحو الأحد، ١ يوليو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لخطابك، وورقة الخمسين فرنكا المرفقة، وطلبية الألوان والقماش من تاسيه، والتي وصلت توا. لقد وضع فيها فاتورته، والتي تصل إلى ٥٠.٨٥ فرنكا، والتي مكنتني من فحص الأسعار ومقارنتها بأسعار إدوار. إن أسعاره أقل كلفة بشكل ملحوظ من أسعار إدوار، التي مصحوبة بالخصم بقيمة ٢٠٪، تعني أن ليس لدينا شكاوى بخصوصه. الآن بخصوص قماشه الذي بسعر ٤.٥٠، فسيمكنني على الأرجح أن أجد السعر بالقطعة الجديدة.

الآن، لقد أتى خطابك بأخبار عظيمة، أن جوجان قبل العرض. حقا، أفضل شيء بالنسبة له هو أن يسرع بقدومه إلى هنا بدلا من محاولته إصلاح الفوضى التي لديه هناك، ربما سيصل إلى فوضى أخرى إن ذهب إلى باريس أولا. ربما، أيضا، سيصنع صفقة باللوحات التي سيجلبها، وهو ما سيكون رائعا. ردي مصحوب بخطابي. أريد حقا أن أقول هذا: إنني أشعر بحماسة كبيرة ليس فقط بخصوص التصوير في الجنوب، بل وفي الشمال أيضا، أشعر بعافيتي أفضل من ستة أشهر مضت. لذا من الأفضل الذهاب إلى بريتاني حيث يمكن المرء أن يجد نزلا زهيد الثمن، من وجهة نظر الخروج من المنزل فأنا جاهز حتما للعودة إلى الشمال. لكن لا بد أن ذلك جيد بالنسبة له أيضا، أن يأتي للجنوب. خاصة وأنه بعد أربعة أشهر سيكون الشتاء قد حل شمالا. وما سأقوله يبدو يقينيا بالنسبة لي، أن شخصين بالعمل نفسه، إن منعت الظروف أن ينفقا المزيد، فلا بد أنهما قادران على العيش في البيت على الخبز والنبيذ، حسنا، وكل ما يمكنك إضافته. الصعوبة هي أن تأكل في البيت وحده. المطاعم هنا غالية الثمن لأن الناس يأكلون في البيوت.

من الأكيد أنه لا ريكارد ولا ليوناردو دافنشي أقل جمالا لأنه يوجد القليل منهما، من جهة أخرى، فإن مونتيتشيلي، ودومييه، وكوروه، ودوبيني، وميه ليسوا

قبيحين لأنه وفي حالات كثيرة قد صنعت لوحاتهم بسرعة كبيرة ويوجد الكثير منها نسبيا. أما عن المناظر الطبيعية، فإنني بدأت بأن أجد أن بعضا مما صنعت بسرعة كبيرة هي بين أفضل ما صنعت.

الأمر كذلك بالنسبة للتي أرسلت إليك رسمها، الحصاد وحزم القش أيضا، ربما من الأصح أن أضيف رتوشا على كل شيء لأضبط المهنية قليلا، ولأناغم ضربات الفرشاة، لكن كل العمل الأساسي قد أنجز في مرة واحدة طويلة، وسأتركها على حالها بقدر المستطاع لحين أعود إليها.

لكن حين أعود من جلسة تصوير كهذه يمكنني أن أطمئنك أن عقلي يكون من الإرهاق لدرجة أن هذا العمل لو تم تكراره مرة أخرى، بالطريقة نفسها التي كانت خلال هذا الحصاد، فأنا أكون مشتتًا للغاية وغير قادر على عمل الكثير من الأشياء العادية. في تلك اللحظات فإن احتمال ألا أكون وحيدا ليس سيئا. ويطرأ على تفكيري أكثر من مرة هذا الرسام الممتاز مونتيتشيلي، الذي يقول الناس عنه إنه عربيد وسكير، حين أرى نفسي عائدا من عمل عقلي لموازنة الألوان الستة الأساسية، الأحمر والأزرق والأصفر والبرتقالي والليلكي والأخضر. إنه العمل، والحسابات الجافة، التي يكون عقل المرء معها مشدودا للغاية، مثل ممثل على المسرح في دور صعب، حيث عليك أن تفكر في ألف شيء في الوقت ذاته في نصف ساعة مفردة.

بعد ذلك، فإن الشيء الوحيد الذي يريحك ويشغل بالك، في حالتي، كما مع آخرين، هو أن أدوخ نفسي بالشراب أو التدخين الشره. هو الأمر الذي لا يعتبر من الفضائل، لكنه ذكر كيما أعود لذكر مونتيتشيلي.

أود حقا أن أرى سكيرا أمام قماشة، أو على لوحة. بالطبع، إنها كذبة وقحة، تلك الحكاية الماكرة الخبيثة عن بائعة الجرجير ومونتيتشيلي.

مونتيتشيلي الملوِّن المنطقي، القادر على إنجاز أكثر الحسابات تشعبا وتعقيدا لطيف درجات لونية قام هو بموازنتها، بالتأكيد فقد أرهق عقله في العمل، كما فعل ديلاكروا، وريتشارد فاجنر.

لكنه إن كان يشرب ربما، فهذا فقط بسبب يونكيند أيضا، كونه أقوى جسديا من ديلاكروا، وأنه عانى جسديا أكثر منه أيضا (ديلاكروا كان أغنى). أنا، سأكون أمْيَلُ للتصديق، لأنهم إن لم يفعلوها، فإن أعصابهم الثائرة ستكون قد خدعتهم. وجول، وإدمون دو جونكور يقولان هذا كلمة بكلمة، "لقد أخذنا تبغا قويا جدا لنصدم أنفسنا في فرن الإبداع".

لا تصدق إذن، أنني قد أحافظ على حالة من الحمى الصناعية، لكن عليك أن تعلم أنني في وسط حساب معقد يؤدي إلى لوحات منجزة بسرعة واحدة تلو الأخرى لكن محسوبة قبلا. وانظر، حين يقول الناس إنها مصنوعة بعجلة سيكون بإمكانك أن ترد أنهم رأوها سريعا. بجانب ذلك، فأنا أراجع كل اللوحات مرة أخرى قبل أن أرسلها إليك.

لكن خلال الحصاد، كان عملي أسهل من عمل الفلاحين أنفسهم الذين يقومون بهذا الحصاد. وبعيدا عن أن تكون مصدر شكواي، فإنه تحديدا في تلك اللحظات في الحياة الفنية، حتى إن لم تكن حقيقية، أشعر بسعادة تضاهي وجودي في الحياة الحقيقية المثالية.

إن كان كل شيء على ما يرام، وباعتقاد جوجان أنها فكرة جيدة أن ينضم إلينا، يمكننا أن نجعل الأمر أكثر جدية باقتراح أن يضع كل لوحاته في مشاركة مع لوحاتي في الربح والخسارة. لكن هذا لن يحدث من تلقاء نفسه، سيتوقف على إذا ما وجد لوحاتي جيدة أو سيئة، وأيضا على إذا ما فعلنا أم لم نفعل كل شيء متحدين. علي أن أكتب لراسل الآن، وسأسرّع تبادلي معه. سيكون علينا أن نكد في محاولة بيع شيء من جانبي ليساعد في النفقات، لكن دعنا نكُن متفائلين، على الرغم من الصعوبات في العمل على تأمين حياة الفنانين، سنكون مستعدين للقتال. مصافحة، سأكتب لك ثانية قريبا. أنا ذاهب إلى الكامارج ليومين أو ثلاثة، لأقوم بالرسم هناك.

المخلص دوما،

فنسنت

من الجيد أنك ستستضيف أختينا.

كن صبورا لمدة أطول مع موريير، ربما تكون حالته مزرية ويمر بكارثة.

سأكتب لموريير في أحد هذه الأيام، سأرسل إليك ما سأرسله إليه، وسترى الطريقة التي اعتدت أن أكلمه بها. يمكنني أن أرى الرسم من هنا!!! الرأس بأسلوب ديلاروش.

٦٣٨ | آرل، الاثنين ٩ أو الثلاثاء ١٠ يوليو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد عدت لتوي من يوم في مونماجور، وصديقي الملازم كان في رفقتي. وهكذا قمنا باستكشاف الحديقة القديمة وسرقنا بعض أفضل التينات هناك. إن كانت أكبر كانت ستجعلك تفكر في بارادو الخاصة بزولا، أقصاب طويلة، وكروم، ولبلاب، وأشجار تين، وأشجار زيتون، وأشجار رمان، بزهور كبيرة بلون برتقالي ساطع، سروات بعمر مائة عام، أشجار دردار وصفصاف، بلوط صخري. سلالم محطمة، نوافذ قوطية مدمرة، صخور بيضاء مغطاة بالطحلب الأخضر، وقطع من جدار متهدم متناثرة هنا وهناك وسط العشب، عدت برسم كبير لها. ليس للحديقة. هذا يجعلها ثلاثة رسوم، حين أحصل على نصف دستة، سأرسلها.

بالأمس ذهبت إلى فونفيل لأزور بوش ومكنايت، لكن هذين السيدين غادرا في رحلة قصيرة إلى سويسرا تستغرق أسبوعا.

أظن أن الحرارة تحسن صحتي إلى الآن، على الرغم من البعوض والذباب.

الجنادب، ليست كتلك التي في بلدنا ولكن مثل هذا:

(اسكتش أ)

يمكنك أن تجدها في الألبومات اليابانية. والذباب الإسباني الذهبي والأخضر متجمعا على أشجار الزيتون. هذه الجنادب (أظن أن اسمها هو الجندب) تغني بصوت يضاهي صوت الضفادع في العلو.

مرت ببالي فكرة، إن كنتَ تذكر أنني صنعتُ بورتريها للأب تانجي (والذي لا يزال في حوزته)، وللأم تانجي (والذي باعوه)، ولصديقهم (صحيح أنني تلقيت ثمنًا عشرين فرنكا للبورتريه الأخير)، وأنني حصلت على ما قيمته مائتان وخمسون فرنكا من الألوان من تانجي دون خصم، وهو ما ربح فيه بالطبع، وأنه وبعد كل شيء، لم أكن بصديق له أقل مما هو صديق لي، ولدي أكثر الأسباب جدا لأشك في حقه في طلب المال مني، والذي تمت تسويته بالفعل بدراسة مني لم تزل في حوزته، خصوصا وقد كان هناك شرط واضح مفاده أن أدفع له ببيع اللوحات. زوجة سقراط تلك، الأم تانجي، وبضع سيدات أخريات لديهن، بسبب الطبيعة المجنونة، مخ من البارود أو الرماد. بالتأكيد أولئك النسوة هن أكثر ضررا في المجتمع المتحضر الذي يتحركن فيه من مواطنين عضهم كلب مسعور يعيشون في معهد لوي باستور. لذا فإن للأب تانجي كل الحق في قتل هذه السيدة. لكنه لا يفعل هذا كما لم يفعله سقراط.

ولهذا السبب فإن الأب تانجي مرتبط بشكل وثيق، فيما يخص التخلي والصبر الطويل، بالشهداء المسيحيين الأوائل والعبيد، أكثر من ارتباطه بقوّادي باريس المعاصرين.

وهو ما لا يعني أن ثمة سببًا واحدًا لدفع ثمانين فرنكا له، لكن ثمة أسبابًا كي لا تغضب، حتى إن غضب هو ـ في هذه الحالة ـ حين أرسلته محقًا في نزهة في الخارج، أو بالأحرى طردته صراحةً.

إنني أكتب لراسل في الوقت نفسه، إننا نعلم، أن الإنجليز والأمريكان... إلخ، وهم يتشاركون في هذا مع الهولنديين، في أن إحسانهم... مسيحي جدا. في حين بقيتنا ليسوا مسيحيين صالحين. هذا ما لا أستطيع ان أبعده عن تفكيري إذ أكتب ثانية.

Je viens de passer une journée à Montmajour et mon ami le sous-lieutenant m'a tenu compagnie. Nous avons alors à nous deux exploré le vieux jardin et y avons volé d'excellentes figues. Si ç'eût été plus grand cela m'eût fait penser au Paradou de Zola, de grands roseaux, de la vigne du lierre des figuiers des oliviers des grenadiers aux fleurs grasses du plus vif orangé des cyprès centenaires des frênes et des saules des chênes de roche. Des escaliers démolis à demi des fenêtres ogivales en ruines des blocs de blanc rocher couverts de lichen et des pans de murs écroulés épars ou cela dans la verdure. J'en ai encore rapporté un grand dessin non pas du jardin cependant. Cela me fait 3 dessins. Lorsque j'en aurai une demi-douzaine je les enverrai.

Hier j'ai été à Fontvieille pour faire une visite à Boch et Mac Knight seulement ces messieurs étaient partis pour 8 jours pour un petit voyage en Suisse.

Je crois que la chaleur me fait toujours du bien malgré les moustiques et les mouches.

Les cigales — non pas celles de chez nous mais des comme ceci

Ces cigales (je crois que leur nom est Cicada) chantent au moins aussi fort qu'une grenouille.

introuvables des albums japonais

puis des Cantharides dorées et vertes en essaims sur les oliviers.

حشـرة الـزيـز

هذا البوش يبدو كسيد مهذب فلمنكي من زمن تسوية نزاع النبلاء في زمن الصامت والمارنيكس. لن أندهش البتة إن كان شخصا جيدا.

لقد كتبت لراسل أنه وبخصوص التبادل بيننا سأرسل إليه طلبيته ملفوفة مباشرة إلى بيته، إن علمت أنه في باريس. بهذه الطريقة سيكون عليه أن يرد في الأيام القليلة القادمة ضرورة.

والآن سأحتاج قماشًا وألوانًا أكثر قريبا. لكنني ليس لدي عنوان تلك الأقمشة بسعر ٤٠ فرنكا لعشرين مترا.

أظن أنه في هذه اللحظة فأنا أفعل الأمر الصحيح بالعمل في الرسوم بشكل رئيسي، والتأكد من أنني لدي الألوان والأقمشة مخزنة للوقت الذي سيأتي فيه جوجان. أتمنى من كل قلبي أن يمكننا أن نلجم أنفسنا باستخدام ألوان قليلة كما يحدث بين القلم والورق.

وبسبب قلقي من تبديد الألوان، أخرب دراسة ملونة من آن لآخر.

بالنسبة للورق، إن لم يكن خطابا أكتبه بل رسما أصنعه، فأنا لا أخطئ صناعته أبدا: صفحات كثيرة من الواتمان، رسوم كثيرة. أظنني إن كنت غنيا كنت سأنفق أقل الآن. آه حسنا، الأب مارتان كان سيقول، سيكون علينا إذن أن نتأكد من كوننا أغنياء، وهو محق، كما هو محق عن العمل الأعظم.

هل تذكر في جي دو موباسان، السيد الذي كان يصطاد الأرانب والطرائد الأخرى والذي أنهك نفسه في الصيد لعشرة أعوام وكان مرهقا من الركض وراء الطرائد، حتى وصل لنقطة أراد فيها أن يتزوج فلم يستطع أن يحظى بانتصاب وسبّب له هذا قلقا عظيما وفزعا.

ودون أن أكون في مكان هذا السيد فيما يخصّ الاضطرار للزواج أو الرغبة فيه، فأنا أشبهه من الجانب البدني. ووفقا للمعلم الرائع زيم، يصبح الرجل طموحا في

اللحظة التي يفشل فيها في الانتصاب. الآن، بما أنني لا أبالي سواء إن حصلت أم لم أحصل على انتصاب، فأنا أعترض على أن يؤدي ذلك لا محالة إلى الطموح.

لا أحد غير أعظم فلاسفة عصره وبلده، وعليه كل البلاد والعصور، المعلم الرائع بانجلوس، الذي يمكنه، إن كان هناك، أن يعطيني نصيحة ويهدئ روحي.

وها هي، الرسالة لراسل في مظروفها، وقد كتبتها كما فكّرتُ. لقد سألته إن كانت لديه أخبار عن ريد، وأضع السؤال نفسه أمامك.

لقد أخبرت راسل أنه حر ليأخذ ما يريده، ومن الطرد الأول أيضا. وأخبرته أنني أنتظر إجابة واضحة كيما أعرف إن كان يريد أن يختار بين بيته وبيتك. وأنه وفي الحالة الأولى، إن أراد أن يراها في بيته، فسترسل إليه بعض البساتين أيضا. وأنك ستعمل على إعادتها كلها، بعد أن يتم اختياره. لذا لا يمكنه الاعتراض على هذا. إن لم يشتر لوحة لجوجان، فذلك لأنه لا يمكنه. إن أمكنه، فليته يفعلها.

لقد أخبرته أنني إن كنت جريئا بما يكفي لأصر على الشراء، فليس الأمر أن من دونه لن يحدث شيء، لكن لأن جوجان كان مريضا، والأمور معقدة كونه طريح الفراش وعليه الدفع للطبيب، فالعمل كان صعبا علينا وكنا شغوفين لنجد جامع لوحات ليأخذ لوحة.

جوجان في بالي، ولدي العديد من الأفكار للتصوير وللعمل عموما. في الوقت الحالي لدي خادمة نهارية، تمسح وتنظف البيت مرتين في الأسبوع مقابل فرنك واحد، أضع أملي فيها، وأعتمد عليها في تسوية الأسرّة إن كنا سننام في البيت. من جهة أخرى، هناك ترتيب ممكن مع الشاب الذي أسكن عنده حاليا. بأي حال، سنسعى في النهاية لأكون مقتصدًا بدلا من التبذير.

كيف هي صحتك الآن؟ هل لم تزل ترى جربي؟

ما قلته عن الحوار في أثينا الجديدة مثير للاهتمام. أنت تعرف البورتريه الصغير الذي يصور ديسبوتان والموجود عند بورتييه. إنها بالتأكيد ظاهرة غريبة أن كل

الفنانين، والشعراء، والموسيقيين والرسامين، ذوو حظ عاثر فيما يخص المادة، حتى السعداء منهم. ما كنت تقوله مؤخرا عن جي دو موباسان يؤكد هذا ثانية. وهذا يثير التساؤل الأبدي: هل الحياة مرئية لنا بكليتها، أم هل نعرف فقط نصف الكرة قبل أن نموت؟

الرسامون -لنتحدث عنهم فحسب- بعد موتهم ودفنهم، يتحدثون إلى الجيل القادم أو إلى عدة أجيال عبر أعمالهم. هل هذا كل شيء، أم هل هناك المزيد؟ في حياة رسام، قد لا يبدو أن الموت هو أصعب شيء.

عن نفسي، فأنا أعلن أنني لا أعرف شيئا عن الأمر. لكن مرأى النجوم يجعلني أحلم بشكل بسيط كالنقاط السوداء على خريطة ممثلة البلاد والقرى، يجعلني أحلم. أقول لنفسي، لماذا يجب أن تكون نقاط النور في السماء أقل في إمكانية الوصول إليها عن النقاط السوداء على خريطة فرنسا.

تماما كما نأخذ القطار لنذهب إلى تاراسكون أو روان، نأخذ الموت لنذهب إلى نجمة. ما هو صحيح يقينا في هذه المسألة هو أننا ونحن أحياء لا يمكننا الذهاب إلى نجمة، ولا نكون قادرين كأموات على أخذ القطار. لذا لا يبدو لي مستحيلا أن الكوليرا، والفالج، والسل، والسرطان تكون وسائل مواصلات سماوية، تماما كما أن الزوارق البخارية، والترولي باص، والسكك الحديدية هي وسائل مواصلات دنيوية.

أن تموت بسلام بسبب العمر، سيكون أشبه بالذهاب إلى هناك مشيا على الأقدام. سأنام الآن لأن الوقت قد تأخر، أتمنى لك ليلة سعيدة وحظا سعيدا.

مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٤٢ | آرل، الأحد، ١٥ يوليو ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد استلمتَ بالفعل خطابي هذا الصباح، والذي ضمّنتُه خمسين فرنكا لبينج، وإنني أكتب إليك الآن ثانية عن مسألة بينج هذه. الحقيقة أننا لا نعرف ما يكفي عن الفن الياباني. لحسن الحظ، فإننا نعرف أكثر عن الياباني الفرنسي - الانطباعيين. هذا هو الأساس يقينا والأمر الرئيسي.

الفن الياباني، لو صح القول، بمكانه المعهود في المجموعات، ونادر الوجود في اليابان نفسها، أصبح اهتماما ثانويا.

لكن ذلك لا يعني أنه إن كان بمقدوري توفير يوم لزيارة باريس ثانية، فلن أتصل ببينج تحديدا لأذهب وأرى هوكوسايس ورسوما أخرى من الفترة الحقيقية. ما قاله بينج بنفسه لي حين أعجبت كثيرا بالطبعات اليابانية العادية، لدرجة أن تبهرني أشياء أخرى لاحقا. كتاب لوتي "المدام أقحوان" علمني هذا: الشقق عارية من الديكور والزينة. وكان هذا ما أثار فضولي عن الرسومات الصناعية بشكل زائد، من فترة أخرى. والتي مقارنة بطبعاتنا اليابانية هي كمييه الرصين بالنسبة لمونتيتشيلي. أنت تعرف جيدا أنني لا أكره مونتيتشيلي عن نفسي. ولا الطبعات اليابانية الملونة أيضا، حتى حين يخبرك الناس "لا بد أن تتخلص من تلك العادة". لكن يبدو لي في النقطة التي وصلنا إليها، أنه من الضروري بحق أن نعرف الجودة الرصينة المكافئة لميه عديم اللون.

لا يتعلق ذلك تقريبا بالمخزون، إذا صح القول، والذي قد يظل كما هو. لأنني لا أتعب من تلك الشخوص والمناظر الطبيعية. وهو لديه العديد منها.

إن لم أكن مشغولا وغارقا في العمل، فكم كنت سأود أن أبيع كل هذه المجموعة!! ليس هناك الكثير مما يمكن ربحه منها، ولهذا لم يأخذها أحد. مع ذلك، بعد

عدة سنوات ستصبح نادرة جدا، وستباع بأسعار أعلى. لهذا السبب لا بد ألا نلوم الميزة الصغيرة التي لدينا حاليا، ميزة البحث ضمن آلاف لنختار منها.

الآن، إن كرست أحدا كاملا لهذا بنفسك، لو اخترت مخزونا جديدا مقابل نحو مائة فرنك، يمكنك أن ترى بنفسك مقدما أنك لن تبيع تلك، بعد أن اخترتها بنفسك (إلا إن لم تعجبك)، يمكنك أن تدفع ثمنها بينما تبدلها كلها في الوقت المناسب. في النهاية، حين تكون قد دفعت مقابل الطلبية كلها في الوقت الذي يحلو لك، سيكون لديك الكثير في المخزون. والنتيجة أن ما نحبه أكثر من المجموعة سيبقى معنا. وبإدارة الأمر بهذه الطريقة، وفي المكان الخاص بك حاليا، ثمة الكثير من الصفحات القديمة التي تساوي ما قدره فرنك للواحدة.

لذا فأنا أحضك، احفظ ميزات المخزون ولا تتخلص من الصفحات الجيدة، بالعكس، بل إننا سنربح بمضاعفتها.

ثمة بعض الصفحات من تلك التي لدينا تستحق خمسة فرنكات. يا إلهي، لم أستطع أن أفعل ما تمنيته، لأنني كنت متحمسا لأن تمر تلك المجموعة التي تتشكل من عشرة آلاف طبعة يابانية مثلما يتحمس توريه لبيع لوحات هولندية، بينها بعض اللوحات المثيرة.

حقا، في الوقت الحالي فإن عملي قد شغلني، لا يمكنني أن أفعل شيئا حيال ذلك لكنني أنصحك بمخزن بينج.

لقد تعلمت هناك بنفسي وحملت أنكيتان وبرنار على التعلم أيضا. والآن، لا يزال هناك المزيد مما يمكن معرفته عند بينج، ولهذا أستحثك على أن تحتفظ بمجموعتنا وأن تنقب في المخازن والأقبية، وأنت تعرف كم أنا بعيد عن أن أراها كنوع من المضاربة. إن افترضنا أنها ستكلفنا (عن نفسي لا أظن أننا سنخسر بها)، فلن تكلف مبلغا كبيرا.

ماذا يفعل ريد؟؟؟ كان سيصل إلى هناك بنفسه، ربما، مثلما سيصل راسل. لم أخف أن هناك بعض الأشياء عند بينج، لكنني قلت فقط إنها بخمسة فلسات وهو ما قاله بينج لي، أو بالأحرى، المدير. إن احتفظت بالمخزون، فأخبره مرة ثانية أننا نبحث

الناس غالبا إليه مباشرة لكنه يجب أن يحافظ على الطبعات اليابانية بالسعر المذكور، خمسة فلسات، وليس أقل. أخبرك بهذا فحسب، لقد بحثت في المجموعة أربعًا أو خمس مرات، الطبعات التي لدينا هي نتيجة لتجديد المخزون عدة مرات.

دعنا نستمر بالطريقة نفسها. لقد ندمت كثيرا بالفعل، وأنا الذي يعلم بأمر المجموعة، لأنني لم أدفع في رأس السنة بنفسي، ولم أختر المخزون الجديد بنفسي. ولأنك حائر، فثمة الكثير منها.

وفي متاجر أخرى، ليس الشيء نفسه بتاتا، لأن الناس خائفة من الذهاب إلى بينج، يظنونه باهظ الثمن. الآن، ما لم أبحث فيه كان المكتبة، حيث ثمة المئات والآلاف من الكتب المجلدة.

اسمع، ستنتفع كثيرا من زيارة مديرهم، أنسى اسمه دائمًا، وصَلّ له اعتذاراتي العميقة، أرجوك، لكن أخبره أنني ذهبت إلى هناك ثلاث مرات في رأس السنة لأدفع، وأنني بعد ذلك رحلت للجنوب. وهذا سيضمن لك لوحة لكلود مونيه ولوحات أخرى، لأنك لو تجشمت عناء البحث في الطبعات اليابانية، فسيكون لك حق عمل تبادلات معهم، مع الرسامين، باللوحات.

لكن أن نقطع علاقاتنا ببينج، لا، أبدا.

الفن الياباني شيء مثل الفن القديم، مثل الإغريقي، مثل الهولنديين القدماء، رامبرانت، وبوتر، وهالز، وفرمير، وأوستاد، ورويزديل - لا ينتهي.

مع ذلك، إن رأيتُ مدير بينج، فسأخبره أنك حين قمت بالبحث عن جامعي طبعات يابانية لطبعاته، فأنت تضيع يومك كله دون التفكير بالأمر، وفي نهاية الأمر، سواء أبعتَ أم لم تبع، فستخسر المال.

وأنت، إن أردت ألا تخسر فيها، فأنا أحضك على عمل بعض التبادلات مع الرسامين الذين تعرفهم، فبيسنار لم يزل يدين لك بدراسة حقيقية. بأي حال، هذه هي صعوبة العمل في باريس وهذا أمر طبيعي تماما.

اليوم أرسلت إلى برنار ستة رسوم عن دراسات ملونة، لقد وعدته بستة أخرى وطلبت منه تبادلا للكروكيات عن دراساته الملونة. وها هو الأمر يحدث أمامك، الجنرال بولانجيه ذهب وفعلها ثانية. يبدو لي أن كليهما كانا محقين في العراك، حيث إنهما لم يستطيعا أن يتعايشا معا. بهذه الطريقة على الأقل لن يكون هناك ركود، وكلاهما سيربح جراء ذلك.

ألا تجد أن بولانجيه يتحدث بطريقة سيئة؟ إنه لا يترك انطباعا بالكلمات أبدا. لا أظنه أقل جديةً بسبب ذلك، بما أنه سيعتاد على استخدام صوته لأغراض عملية، ليشرح أشياء لضباطه أو لمديري الترسانات. لكنه لا يترك أي انطباع في العلن أمام الآخرين.

بأي حال، إنها مدينة غريبة، باريس، حيث عليك أن تعيش بإرهاق نفسك، ولا يمكنك أن تنجز شيئا ما لم تكن نصف ميت من التعب. لقد انتهيت من قراءة كتاب فيكتور هوجو السنة الرهيبة. ثمة أمل هناك، لكن... هذا الأمل في النجوم. أجده محقا، ومكتوبًا جيدا وجميلا، وماذا بعد، إنني أصدقه بنفسي أيضا.

لكن لا يجب أن ننسى أن الأرض كوكب أيضا، وهكذا فهي نجم أو كرة سماوية. وماذا إن كانت كل النجوم الأخرى متشابهة! لن يكون هذا سعيدا جدا، بل في الواقع سيكون عليك أن تبدأ من جديد.

للفن، الآن، الذي تحتاج إلى وقت من أجله، لن يكون سيئا أن تعيش أكثر من حياة. وليس دون طائل أن تؤمن بأن الإغريق، والهولنديين القدامى والمعلمين اليابانيين، يكملون مدرستهم الجيدة على كواكب أخرى. بأي حال، يكفي هذا اليوم.

وانظر، لقد مر أسبوع آخر، لكنه لم يبد طويلا بالنسبة لي وأنا أكتب لك ولبرنار. مصافحة.

المخلص لك أبدا،

فنسنت

إن استطاعت أختانا أن تجلبا منحوتات خشبية أكثر وأشياء كملهاة جافارني الإنسانية، مائة طبعة ليتوغراف، والتشارلز كينيز، التي يوجد منها مائتان تقريبا، سيكون ذلك حسنًا. ثمة أيضا كتاب جيد، التشريح للفنانين.

٦٤٥ | آرل، نحو الأحد، ٢٢ يوليو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إن كنتُ أصغر عمرا كنت سأفكر يقينا باقتراح على الأب بوسو أن يرسلنا أنا وأنت إلى لندن، دونما أي راتب سوى مائتي فرنك ائتمانًا شهريا، ولكن نصف الربع العائد من لوحات الانطباعيين، والذي يمكنهم خصم هذا المبلغ الشهري منه. الآن، ولكن جئتانا لم تعودا شابتين، ورحلة للذهاب إلى لندن للتنقيب عن المال من أجل الانطباعيين ستكون شيئا على طريقة بولانجيه، على طريقة جاريبالدي، على طريقة دون كيخوته.

وبجانب ذلك، سيعيدنا الأب بوسو خائبين إن اقترحنا شيئا مشابها عليه. إنني فقط أود أن أراك ذاهبا إلى لندن بدلا من نيويورك.

أصابعي كرسام أصبحت أكثر مهارة، في الوقت الذي تتهاوى فيه جثتي. فبما يكسب عقلك الخبرة كتاجر، كبائع، وكأي متخصص في صنعة أخرى تستغرق وقتا لتعلمها. في وضعنا، والذي كما تقول أنت محقا، إنه مهلهل جدا، دعنا لا ننسى ميزاتنا، ودعنا نحافظ على صبرنا حتى نصل إلى بر الأمان، وقدرتنا على الحكم. أليس صحيحا، على سبيل المثال، أنه من الأفضل بأي حال إن أخبروك في يوم ما أن تذهب إلى لندن، بدلا من طردك والاستغناء عن خدماتك.

إنني أتقدم في العمر أسرع منك، وما أسعى إليه هو أن أكون أقل عبئا عليك.
والآن وبخصوص ذلك وإن لم تحدث كارثة رهيبة أو لم تمطر السماء ضفادع، فأنا أتمنى أن أحقق ذلك.

لقد أخذت للتو ثلاثين لوحة من أطر الشد.

لو أننا في أمور العمل نبحث فقط عن تكلفة العيش، أسيكون من الحظ العاثر حقا أن تذهب إلى لندن، حيث يبدو لي أنه ثمة فرصة أكبر للبيع من أي مكان آخر؟ بأي حال، أنا أخبر نفسي بأنه، وعلى سبيل المثال، في حالة الثلاثين دراسة التي سأرسلها إليك فلن يمكنك بيع واحدة منها في باريس. لكن ثانية، كما اعتاد أن يقول عمنا من برنسنهاج: "أي شيء قابل للبيع". وفي حالتنا، ما أقوم به ليس قابلا للبيع مثل لوحات بروتشارتس، مثلا، لكنه قابل للبيع بالنسبة لأولئك الذين يشترون أشياء لأن بها لمحة من الطبيعة. انظر، قماشة مغطاة بالألوان تستحق أكثر من واحدة تركتها شاغرة. هناك، ادعاءاتي لن تستمر لأبعد من ذلك، لا تشك بأن حقي في التصوير، والسبب الذي يدفعني للتصوير، قد حصلت عليه!

لم يكلفني الأمر سوى جثتي المتهاوية، عقلي قد فسد فيما يخص العيش كما أحب وكما يجب - العيش كمحب للبشر. ألم يكلفك الأمر، دعنا نقُل، نحو الخمسة عشر ألف فرنك التي دفعتها لي.

الآن، لا يوجد سبب لأن نبدو كالقرود.
وهذه هي نهاية جدلي في مسألة السيد بوسو.
حافظ على هدوئك النفسي والعصبي.

وإن حادثوك عن لندن، فلا تخبرهم بالأمر مباشرة، كما فعلت أنا في أول الخطاب.

لكنك محق في ألا تعاند قوى القدر الموجودة (يا لها من قوى قدرية!).

أخي العزيز، إن لم أكن في حال سيئة، ومدفوعا للجنون من هذا التصوير اللعين، فما هو حال التاجر الذي سأكون عليه مع الانطباعيين. لكن ها نحن، لم أزل في حال سيئة. لندن جيدة، لندن هي ما نحتاجه الآن، لكن للأسف، أشعر أنني لم بعد بمقدوري فعل ما كان بإمكاني فعله. لكنني -مكسورا كما هي حالي- لا أرى حظا سيئا إن ذهبتَ إلى لندن، لو أن هناك ضبابًا، فإن الضباب يزداد في باريس أيضا.

الأمر في الواقع هو أننا مضينا في العمر، وعلينا أن نتصرف وفقا لذلك، لا شيء آخر سوى ذلك. الآن، ثمة حسنة في تلك السيئة، وسيجب علينا الانتفاع بها.

يبدو غريبا بحق بالنسبة لي أنك في الوقت الحالي ليست لديك أخبار من جوجان أيضا، وأظن أنه مريض وفاقد للعزم أيضا.

إن كنت أذكرك الآن بأن التصوير يكلفنا، فإن هذا كان فقط كيما أوضح ما هو الشيء الذي يجب أن نخبر به أنفسنا، أننا مضينا بعيدا بحيث لا يمكننا العودة، وأما عن البقية، فأنا لا أشير لأي شيء آخر. لأنه ودون الوجود المادي، ما عساه ضروري بالنسبة لي من الآن فصاعدا؟

إن لم يستطع جوجان دفع دينه ولا دفع تكلفة الرحلة، ولو أنه يضمن لي حياة أزهد ثمنا في بريتاني، فلماذا لا أذهب وأعيش معه، إن كنا نريد مساعدته؟

إن قال "أنا حي وبخير وموهبتي على أشدها"، فلماذا لا أقول الشيء ذاته عن نفسي؟ لكن كما ترى، فإن تمويلنا ليس على أشده.

وعلينا أن نختار ما يعمل بأقل التكاليف.

الكثير من التصوير، والقليل من النفقات، هو المسار الذي علينا أن نتخذه.

هذا تكرار ثانٍ لأنني وضعت جانبا قدرتي على الاختيار والتفضيل بين الشمال والجنوب.

كل الخطط التي نصنعها تلاحقها المصاعب المتجذرة عميقا.

كم سيكون الأمر بسيطا لجوجان، عدا عن الانتقال. بعد ذلك، هل سيظل سعيدا؟ لكن بما أن التخطيط الآن، لا يمكن فعله، فأنا لست قلقا أن الوضع واو. وبما أنني أعلم بحاله تلك، وأشعر بها، فهذا يجعلنا نفتح أعيننا ونعمل. إن قمنا بالعمل على هذا المنوال واستفدنا من الوضع، لا أظن ذلك مرجحا عن نفسي، فسيتبقى لدينا شيء. لكن انظر، إنني أعلن أنني لست أتوقع أي شيء، حين ترى أناسا مثل جوجان وقد توقفوا في مواجهة جدار. دعنا نأمل أن ثمة مهربا له ولنا.

إن استغرقت في التفكير، وانشغلت بالاحتمالات الكارثية، لا يمكنني فعل شيء، أقذف بنفسي في العمل هاربا، وأخرج منه بدراساتي، إن زأرت العاصفة الداخلية عاليا، أشرب كثيرا لأخدر نفسي. إنه جنون، مقارنة بما يجب أن يكون عليه المرء. لكن سابقا، كنت أشعر بأنني أقل من رسام، التصوير يصبح شاغلا لي عن كل شيء، مثل صيد الأرانب للمجانين الذين يفعلون ذلك ليشغلوا أنفسهم. انتباهي يصبح شديدا، ويدي أكثر ثباتا.

لهذا أجرؤ على أن أعطيك ما يضاهي الطمأنينة بأن تصويري سيصبح أفضل. لأن هذا هو كل ما بقي لي.

هل قرأت في كتاب دو جونكور أن جول دوبريه أعطاهم انطباعا بأنه مجنون؟
جول دوبريه وجد راعيًا للفنون ليدفع له.
لو أن بإمكاني فقط أن أجد هذا، وألا أكون عبئا عليك.

بعد الكارثة التي واجهتها حين أتيت إلى هنا، لم يعد بإمكاني التخطيط لأي شيء، أنا أحسن حالا الآن، لكن الأمل، والرغبة في الإنجاز، مكسوران، وأنا أعمل مدفوعا بالضرورة، حتى لا أعاني عقليا، حتى أشغل نفسي.

بالأمس كسر مكنايت صمته قليلا وقال إنه أحب دراستيّ الأخيرتين كثيرا (حديقة الزهور)، وثرثر عنهما لوقت طويل جدا.

حسنا، لكن هل تعلم أنك إن كنت تعمل لحسابك، فستضطر للبحث عن اتصالات مع الإنجليز؟ هذا تكرار مرة أخرى، هل سيكون من سوء الطالع أن تذهب

إلى لندن، لو، بأي حال، لم يعد مناص؟ هل علينا أن نستاء؟ بأي حال، لا مقارنة عدا عن المناخ، فهو أفضل بمراحل من الكونفو. مصافحة جيدة، وجزيل الشكر لك لخطابك والخمسين فرنكا المرفقة.

المخلص دوما،

فنسنت.

٦٥٠ | آرل، الأحد، ٢٩ يوليو ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لخطابك الطيب. إن كنت تذكر، فخطابي انتهى بـ "أننا نتقدم في العمر"، هذا هو الأمر الرئيسي والبقية ليست إلا خيالا وليست موجودة حقا. الآن، قلت هذا لنفسي أكثر منك. وقلته وأنا شاعر بالضرورة المطلقة لأن أتصرف وفقا لذلك، ألا أستمر في العمل إلا بمفهوم أكثر جدية.

الآن فإنك تتحدث عن الفراغ الذي تشعر به أحيانا، هذا هو الأمر ذاته الذي أشعر به أيضا. إن سمحت لي، وباعتبار الزمن الذي نعيش فيه كإحياء حقيقي وعظيم للفن، فإن التقليد الرسمي القديم الذي أكلته العثة، الذي لا يزال قائمًا، هو في قعره عاجز وعاطل. الرسامون الجدد، وحيدون، فقراء، يعاملون كالمجانين، وكنتيجة لهذه المعاملة يصبحون مجانين حقا، على الأقل فيما يخص حياتهم الاجتماعية.

ثم تذكَّرْ، أنك تفعل ما كان يفعله هؤلاء الرسامون القدماء نفسه، بما أنك توفر لهم المال وتبيع لوحاتهم لهم، ما يمنحهم فرصة إنتاج لوحات أخرى.

إن دمر رسام شخصيته بالعمل والكد في التصوير، وهو ما يجعله عقيما بالنسبة للعديد من الأشياء، بالنسبة لحياة العائلة... إلخ، إلخ.

إن كان يقوم تبعا لذلك بالتصوير لا فقط بالألوان ولكن بنكران الذات، وإنكار النفس، وبقلب كسير.

إنك لا تُجازى على عملك، لكنه فوق ذلك يكلفك ما يكلفك إياه من انمحاء الشخصية، سواء عن عمد أو بالصدفة.

هذا أشبه بقول إنك لو كنت تمارس التصوير بشكل غير مباشر، فأنت أكثر إنتاجا مني مثلا. كلما اكتمل كونك تاجرًا للفن، أصبحت فنانا. تماما كما أرجو أن أكون بالحال نفسه ـ كلما أصبحتُ مشتتا، ومريضا، ومكسورا كجرّة، أصبحت أنا أيضا فنانا مبدعا في إحياء الفن العظيم الذي نتحدث عنه.

تلك الأشياء حقيقة، لكن هذا الفن الموجود أبدا، وهذا الإحياء، هذه الفسيلة الخضراء النابتة عن جذور الجذع القديم المشؤوم، هذه هي الأشياء الروحية لدرجة أن نوعا من الأسى يبقى بنا حين نتأمل كيف أننا وبثمنٍ أقل كان بمقدورنا صناعة حياة بدلا من الفن. عليك حقا، إن استطعت، أن تجعلني أشعر أن الفن حيٌ، أنت الذي يحب الفن ربما أكثر مني.

أقول لنفسي هذا، الذي لا يتعلق بالفن، لكن بي: إن الطريق الوحيد لي لاستعادة الثقة بالنفس، والسلام العقلي هو أن أقوم بأفضل ما أستطيع.

وها نحن ثانية في نهاية خطابي الأخير، إنني أتقدم في العمر، لكنه خيال فقط إن كنت سأصدق أن الفن هو شيء قديم وفاسد. الآن لو تعرف ما معنى كلمة "موسميه" (ستعرف حين تقرأ كتاب لوتي "السيدة أقحوان")، لقد رسمت واحدة لتوي. لقد استغرقني هذا أسبوعا كاملا، لم يكن باستطاعتي فعل أي شيء آخر، وقد ذهبت عني حالي الجيدة ثانية. هذا ما يزعجني، لو كنت بحال جيدة كنت سأصنع بعض المناظر الطبيعية ثانية في الأوقات الخالية بين العمل والآخر. لكن ولكي أنتهي من الموسميه التي

تخصني كان علي أن أحفظ قواي العقلية. الموسميه هي الفتاة باليابانية، وهي هنا من إقليم البروفانس الفرنسي، يتراوح عمرها بين الثانية عشرة والرابعة عشرة. هذا يصنع شخصين -جندي مستعمرات فرنسيًا، وهي- هذا ما لدي.

اعتن بصحتك، خذ حماماتك، خاصة إن نصحك جربي بذلك. لأنك سترى في خلال أربعة أعوام، السنين التي أكبرك بها، كم أن الصحة النسبية ضرورية من أجل العمل. نحن الذين نعمل برؤوسنا، وسيلتنا الوحيدة والفريدة لتفادي أن نقضي سريعا هي الإطالة الصناعية التي توفرها الصحة الحديثة، متبعةً بضراوة بما يمكننا من عزم. لأنني عن نفسي لا أفعل كل ما يجب علي فعله. وقليل من الحماسة والسعادة أفضل من أي علاج آخر.

لقد حصلت على خطاب من راسل. يقول إنه كان سيكتب لي مسبقا لولا انتقاله إلى بيل إيل الذي شغله تماما. إنه هناك الآن، ويقول إنه سيسعد إن ذهبت الآن قبل غدا، لإمضاء الوقت معه. لم يزل يريد أن يصنع بورتريها لي. إنه يقول حتى "كنت سأذهب إلى بوسو لرؤية جوجان، والسوداوات يتحدثن، لولا أن منعني من ذلك السبب نفسه".

باختصار، لم يرفض شراء واحدة، لكنه يريد أن يوضح أنه لن يريد جودة أقل من جودتنا. كما ترى فإن هذا وبأي حال أفضل من لا شيء البتة.

سأكتب هذا لجوجان وسأطلب منه كروكيا للوحات. لا يجب علينا استعجال هذا العمل واليأس من راسل في الوقت الحالي، لكن لنعتبر الأمر عملا في طور التنفيذ وسيجني ربحه لاحقا.

والأمر نفسه مع جيومان، أود لو يشتري شخصا من تصوير جوجان. يقول إنه استلم تمثالا رأسيا رائعا لزوجته، من صناعة رودان، وإنه بهذه المناسبة تناول غداء مع كلود مونيه وإنه رأى عشر لوحات لأنتيبي حينها. سأرسل إليه مقال جوفروا. إنه ينتقد لوحات مونيه بشكل جيد، بادئا بإبداء محبة كبيرة لها: وقد هاجم العسر، وغلاف الهواء الملون، اللون. بعد هذا يقول: ما يجب التأكيد عليه هو أنها تفتقر إلى البنية في

كل مكان، على سبيل المثال، فإن شجرة له ستحصل على الكثير من الأوراق مقارنة بحجم جذعها، وهذا دائما وفي كل مكان، من وجهة نظر حقيقة الأشياء، ومن وجهة نظر عدد كامل من قوانين الطبيعة، إنه لا أمل لديه إطلاقا. ينهي مقالته قائلا إن ميزة مهاجمة العسر هي ما يجب أن يتحلى به الجميع.

لقد استلمت من برنار عشرة كروكيات تشبه مبغاه، ثلاثة منها بأسلوب ريدون، حماسه الذي يبديه لهذا لا أشاركه إياه عن نفسي. لكن ثمة امرأةً تغتسل، رامبرانتية للغاية، أو بأسلوب جويا، ومنظرًا طبيعيًا غريبًا للغاية بشخوص. إنه يمنعني بوضوح من أن أرسلها إليك، لكنك ستستلمها في البريد نفسه. أظن راسل سيشتري شيئا آخر من برنار. أخيرا شاهدت أعمالا لهذا البوش، إنه انطباعيٌّ بضراوة لكنه ليس قويا، في هذه اللحظة فإن هذه التقنية الجديدة تشغله كثيرا ولا تسمح له أن يكون نفسه. سيصبح أقوى وسيظهر فرديته، كما أظن. لكن مكنايت يصنع اللوحات الملونة بالألوان المائية بقوة تلك التي لديستريه، كما تعلم، هذا الهولندي الشرير الذي كنا نعرفه سابقا في الأيام الخوالي.

بأي حال، لقد قام بصناعة بعض الطبيعات الصامتة الصغيرة، جرة صفراء على مقدمة بنفسجية، جرة حمراء على أخضر، جرة برتقالية على أزرق: أفضل، لكنها سيئة لا تزال.

القرية التي يعيشون فيها كأنها محض لوحة من عمل ميبو، فلاحون صفار، ولا شيء غير هذا، بدائية بالكامل وحميمة. هذه الشخصية تروغ منهم. أظن أن مكنايت قد قام بتثقيف مؤجره الأخرق وتحويله للمسيحية المتحضرة. على الأقل حين تذهب إلى هناك فإن ذلك اللعين وقرينته الغالية يصافحانك، إنهم في مقهى بالطبع، وحين تطلب مشروبا فإن لهم طريقة في رفض المال: "أوه، لا يمكنني أخذ المال من فنان". بأي حال، إنه خطؤهم أن الأمر مريع، وهذا البوش لا بد قد فقد عقله مع مكنايت. أظن أن لدى مكنايت المال، لكن ليس الكثير منه. وهكذا يلوثان القرية، ولولا هذا كنت سأذهب إلى هناك للعمل. ما على المرء فعله هناك هو ألا يتحدث مع الناس المتحضرين، لكنهم يعرفون ناظر المحطة وعددا من الملاعين الآخرين، وهذا هو السبب

الرئيسي في أنهم لا يفعلون شيئا بحق اللعنة. لقد أخبرت موريه بهذا سلفا، وهو الذي اعتاد أن يصدق أن مكنايت كان ذكيا للغاية مع "رجل الحقول".

بطبيعة الحال، هؤلاء البسطاء والسذج في الحقول يسخرون منهم، ويكرهونهم. وعلى النقيض من ذلك، إن قمت بعملك دون الانشغال بوجهاء القرى وياقات قمصانهم المنشاة، يمكنك عندها الذهاب إلى منازل الفلاحين، ممكنا إياهم من كسب بضعة قروش. وهكذا فإن فونتفيي اللعينة ستكون كنزا لهم، لكن سكانها، فلاحي زولا الصغار، بريثون ورقيقون، كما نعلم. من المرجح أن مكنايت سيصنع قريبا مناظر طبيعية مع الخراف، لعلب الحلوى.

ليست فقط لوحاتي، لكن أنا نفسي، قد أصبحت مؤخرا، فاتحا عنيّ، مثل هوجو فان در جوز في لوحة إميل واوترز.

لكن بعد أن حلقت لحيتي، صار لي شكل القس الهادئ في اللوحة نفسها كالرسام المجنون الذي صوَّر فيها بحذق. لست تعيسا كوني في مكان ما بين الاثنين، فالمرء مضطر للعيش. خاصة وأنه لا مناص من واقع أنه في يوم ما قد تحدث كارثة إن تغير وضعك مع آل بوسو. وهو سبب آخر للحفاظ على علاقاتنا مع الفنانين من طرفي وطرفك. بجانب أنني أظنني قلت الحقيقة، بأي حال. إن نجحت في استعادة الأموال التي أنفقت برفع الأسعار، فلن يكون ذلك سوى واجبٍ علي. والشيء العملي الذي يمكنني فعله هو البورتريه. فيما يخص الشرب حتى الثمالة، لا أعرف إن كان سيئا. لكن انظر لحال بزمارك، والذي هو بأي حال عملي وحاذق للغاية. طبيبه الصغير أخبره أنه يشرب كثيرا وأنه شق على نفسه طوال حياته من معدته إلى دماغه. بزمارك توقف عن الشرب في التو واللحظة. منذ ذلك الوقت فقد موقعه وأصبح بلا فائدة. لا بد أنه يضحك بالداخل عند طبيبه، والذي من حسن حظه لم يستشره سريعا. بأي حال، مصافحة طيبة.

المخلص دوما،

فنسنت.

تذكر أنه ومع جوجان ليس علينا بأي حال أن نغير فكرة مساعدته إن كان العرض مقبولا ما دام قائما. لكننا لسنا بحاجة إليه. لذا، وفيما يخص العمل وحيدا، لا تظن أن الأمر سيزعجني، ولا تحاول الضغط بخصوص الأمر من أجلي، تأكد من ذلك واطمئن.

بورتريه الفتاة الشابة على خلفية بيضاء وعليه طبقة قوية من الأخضر الفيروني، والصدارة مقلمة بالأحمر الدموي والبنفسجي. التنورة بالأزرق الملكي بتنقيط كبير من البرتقالي الأصفر. والمساحات الشاحبة من اللحم من الرمادي الأصفر، والشعر يميل إلى البنفسجي، وحاجبا العينين بالأسود، والأهداب، والعينان بالبرتقالي والأزرق البروسي، وغصين من دفلى بين الأصابع، لأن اليدين مشتملتان في اللوحة.

٦٥١ | آرل، الاثنين، ٣٠ يوليو ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار

ستوافق، بلا شك، على أنه لا أنت ولا أنا يمكننا إبداء فكرة كاملة عن حياة فيلاسكيز وجويا كرجلين وكمصورين، لأنه لا أنت ولا أنا قد زرنا إسبانيا، بلدهما، ولا رأينا العديد من الأشياء الجميلة التي بقيت في الجنوب. مع ذلك، ما نعرفه عنهما يمكن اعتباره كشيء مستقل بذاته.

وغني عن الذكر أنه وبالنسبة للشماليين، وأولهم رامبرانت، فحين نحكم على أولئك الرسامين، يكون مطلوبًا للغاية أن نعرف أعمالهم كاملةً وبلادهم، والتاريخ الحميم المخفي لتلك الأيام، وأن نعرف العادات في تلك البلاد القديمة.

أريد أن أكرر أنه لا بودلير ولا أنت تملكان فكرة كافية حين يتعلق الأمر برامبرانت.

وحين يأتي الأمر لك أنت، فلم يمكنني تشجيعك بما يكفي لتلقي نظرة على الهولنديين الكبار والصغار قبل أن تصل لرأي. هنا ليس الأمر مجرد مسألة حجارة غريبة وثمينة، لكنها مسألة ترتيب واختيار عجائب من بين عجائب.

وكم كبير من العجين بين الألماس. لذا، عن نفسي، وقد درست في مدارس بردي لعشرين عاما حتى الآن، وفي معظم الحالات لا أرد إن ذكر الأمر، وأنا أسمع الناس عموما تتحدث خارج النقطة الرئيسية حين يُناقش رسامو الشمال.

لذا يمكنني فقط أن أرد عليك، تعال، ألق نظرة عن كثب، حقا، إن الأمر يستحق جهد ألف مرة.

الآن، وعلى سبيل المثال، أنا أدعي أن لوحة فان أوستاد في اللوفر، التي تعرض عائلة الرسام، الرجل، والزوجة، وعشرة أولاد أو نحو ذلك - هي لوحة تستحق الدراسة والفكر، تماما مثل لوحة تير بورش، سلام الوحوش. لو أن اللوحات في معرض اللوفر التي أفضلها شخصيا وأجدها مدهشة، كانت منسية من قبل الفنانين الذين يذهبون لرؤية الهولنديين، فلن يدهشني ذلك أبدا، وأنا أعلم أن خياري في ذلك المعرض قائم على معرفة بالموضوع لا يملكها معظم الفرنسيين.

لكن، على سبيل المثال، إن اختلف رأيي عن رأيك في تلك المواضيع، فأنا واثق أنك ستوافقني لاحقا. ما يحزنني في اللوفر هو رؤية لوحات رامبرانت تفسد والمعاتيه في الإدارة يخربون العديد من اللوحات الجميلة. وهكذا فإن الدرجات الصفراء المزعجة لبعض لوحات رامبرانت هي تأثير ناتج من التدهور عبر الرطوبة وأسباب أخرى، وهي أمثلة يمكنني توضيحها لك.

إنه من الصعب تحديد لون رامبرانت كما هو صعب إعطاء اسم لرماديات فيلاسكيز، يمكننا أن نقول، بسبب حاجتنا لشيء أفضل، "ذهبيّ رامبرانت"، وهذا ما نفعله، لكنه غامض تماما.

بعد أن أتيت لفرنسا، شعرت، ربما أحسن من العديد من الفرنسيين أنفسهم، بديلاكروا وزولا، اللذين يمتد إعجابي الخالص والأمين بهما لما لا نهائية.

وبما أنه لدي فكرة تامة عن رامبرانت. فأحدهما، ديلاكروا، يتقدم باللون، والآخر رامبرانت بالقيم، ولكن لهما المعيار نفسه.

زولا وبلزاك، كرسامين للمجتمع، للحقيقة ككل، يثيران عواطف فنية نادرة في أولئك الذين يحبونهما، للسبب نفسه الذي يجعلهما يضمّان كل الحقبة التي يرسمانها. حين يرسم ديلاكروا البشرية، والحياة عموما بدلا من حقبة معينة، فإنه ينتمي إلى عائلة العباقرة العالميين نفسها بأي حال.

أحب كلمات سيلفستر النهائية، أظنه هو من أنهى مقالا بأستاذية بهذه الطريقة:

وهكذا مات، يكاد يكون مبتسما، يوجين ديلاكروا، رسامٌ من فصيلة رفيعة، كانت لديه شمس في رأسه وعاصفة رعدية في قلبه، والذي ذهب من المقاتلين إلى القديسين، ومن القديسين إلى الأحباء، ومن الأحباء إلى النمور، ومن النمور إلى الزهور.

دوميه هو أيضا عبقرية عظيمة.
مييه، رسام آخر لعرق كامل والبيئة التي يعيش فيها هذا العرق.

من الممكن أن تلك العبقريات العظيمة ليست إلا جنونا، وأنه وكيما نتحلى بالإيمان، والإعجاب اللانهائي بهم لا بد أن تكون مجنونا أيضا.

قد يكون هذا صحيحا، إنني أفضل جنوني على حكمة آخرين.

والذهاب إلى رامبرانت بشكل غير مباشر هو ربما أكثر الدروب مباشرة. دعنا نتكلم عن فرانز هالز. لم يرسم المسيح ولا مرة، ولا بشارات الملائكة، ولا الملائكة، ولا الصلبان، ولا القيامات، لم يرسم أيضا نساء عاريات وحشيات وشهوانيات. رسم البورتريهات، لا شيء سوى هذا.

بورتريهات الجنود، تجمعات الضباط، بورتريهات العُمَد المجتمعين لأشغال الجمهورية، بورتريهات الأمهات ببشرة وردية أو صفراء، يلبسن أغطية الشعر البيضاء، يلبسن الصوف والساتان الأسود، يناقشن مصروفات بيت للأيتام أو بيت

للزكاة. لقد صنع بورتريهات لمواطنين شرفاء مع عائلاتهم، الرجل، وزوجته، وطفله. رسم السكران، بائعة السمك العجوز مليئة بفرح الساحرات، العاهرة الغجرية الجميلة، الرضع في القماط، الشهم، السادة المفعمين بالحياة، بشواربهم، وبأحذيتهم ومهاميزها. رسم نفسه وزوجته كحبيبين شابين على مقعد في حديقة، بعد أولى ليالي زواجهما. رسم أطفال الشوارع والأطفال اللعوبين الضاحكين، رسم الموسيقيين ورسم طباخا سمينا.

لا يعرف الكثير فيما عدا ذلك، لكنه يصل لمقام فردوس دانتي ولوحات مايكل أنجلو ورفائيل وحتى الإغريق. إنه بجمال زولا، وأكثر صحة وسرورا، لكنه بالحيوية نفسها، لأن عصره كان أكثر صحة وأقل حزنا. الآن ما هو رامبرانت؟ الشيء ذاته تماما، رسام بورتريهات. هذه هي الفكرة الواسعة الواضحة التي على المرء أن يملكها قبل كل شيء عن الهولنديين البارزين، اللذين في المعيار ذاته، قبل الدخول في الموضوع بشكل أعمق.

بوضع هذا في الحسبان وفهمه، كل هذه الجمهورية الجيدة، ممثلة بفنانَي البورتريهات غزيرَي الإنتاج هذين، ومعادة التكوين بضربات عريضة، فإننا نحفظ هوامش عريضة للمناظر الطبيعية، والمشاهد الداخلية، والحيوانات، والمواضيع الفلسفية.

لكنني أتوسل إليك، أن تتبع هذا الجدل المباشر بحذر، والذي أفعل ما بوسعي لأقدمه لك بطريقة بسيطة للغاية.

أدخله في رأسك، هذا الأستاذ فرانز هالز، رسام البورتريهات المتعددة للجمهورية الخالدة الحيوية الواثقة من نفسها. ضع في رأسك الآخر الذي لا يقل عظمة، الأستاذ رسام البورتريهات العالمي من جمهورية هولندا، رامبرانت هارمينز فان رين، رجل عريض وطبيعي ووفير الصحة، تماما كهالز نفسه. وبعد هذا سنرى متدفقا من هذا المصدر، رامبرانت، التلاميذ المباشرين والحقيقيين، فرمير الديلفتي، وفابريتيوس، ونيكولاس، وميس، وبييتر دي هوخ، وبول، وهؤلاء المتأثرين به،

بونر، ورويزديل، وأوستاد، وتير بورخ. إنني أذكر فابريتيوس لك هناك، والذي نعرف له لوحتين فقط، إنني لا أذكر كومة من الرسامين الجيدين، وخاصة لا أذكر العجين وسط تلك الجواهر، العجين الموضوع بثبات في الجماجم الفرنسية العادية.

هل أنا، يا عزيزي برنار، غير مفهوم تماما هذه المرة؟ إنني أحاول حملك على رؤية شيء عظيم وبسيط، تصوير البشرية، دعنا نقُل تصوير جمهورية كاملة، عبر الوسيط البسيط للبورتريه. هذا أولا. لاحقا، في موضوع رامبرانت، نحن نتعامل إلى حد ما مع السحر، مع لوحات المسيح، والنساء العاريات، إنه أمر شائق، لكنه ليس الموضوع الرئيسي. دع بودلير يحفظ لسانه في هذا القسم، إنها كلمات تتردد، وكم هي فارغة!!! دعنا نأخذ بودلير على ما هو عليه، شاعرًا حديثًا مثل موسيه، لكن دعه يتركنا لحالنا حين نتحدث عن التصوير.

مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

لا أحب رسمك "خلاعة" بقدر الأخرى، أحب "الشجرة" مع ذلك، لها مظهر رائع.

٦٥٥ | آرل، نحو الأحد، ٥ اغسطس ١٨٨٨
الى اميل برنار (F)

عزيزي برنار،

لقد أدركت أنني نسيت الإجابة على سؤالك إن كان جوجان لم يزل في بون أفون. نعم، إنه لم يزل هناك، وإن كنت تشعر أنك يجب أن تكتب إليه فأنا أميل

لاعتقاد أن ذلك سيسعده. لا يزال من المرجح أنه سوف ينضم إلي هنا قريبا، بمجرد أن يستطيع أحدنا توفير نفقات السفر.

لا أظن أن مسألة الهولنديين، التي نناقشها هذه الأيام، دون عائد. إنه من المثير للاهتمام أن نستشيرهم حين يتعلق الأمر بالقوة، والأصالة، والطبيعية.

في المقام الأول، لا بد أن أحدثك ثانية عن نفسك، وعن الطبيعتين الصامتتين اللتين صنعتهما، وعن بورتريهي جدتك. هل صنعت أحسن منهما قط، هل كنت نفسك ومتفردًا أكثر من هذا؟ ليس في رأيي، الدراسة العميقة لأول ما تحصل عليه، لأول شخص يأتي، كانت كافية لخلق شيء حقيقي. هل تعرف ما يعجبني بهذه الدراسات الثلاث أو الأربع كثيرا؟ ذلك الشيء المقصود، الحكيم، ذلك الشيء المتزن، والمتسق، والواثق بنفسه الذي تبديه تلك اللوحات. لم تكن أقرب من هذا لرامبرانت قط، يا صديقي العزيز. في استوديو رامبرانت، أبو الهول غير القابل للمقارنة، فرمير الديلفتي، وجد تلك التقنية الرائعة التي لم يتجاوزها أحد. والتي نحترق اليوم شوقا لنجدها. أوه، أعرف أننا نعمل ونجادل في اللون بينما كانوا يفعلون حيال الجلاء والإعتام، والقيمة. وما نفع هذه الاختلافات حين يكون في نهاية الأمر ما يهم هو التعبير عن النفس بقوة؟

في الوقت الحالي، أنت تفحص تقنيات الإيطاليين القدماء والألمان، المعنى الرمزي الذي قد تحتويه تجريدات الإيطاليين ولوحاتهم الغامضة الباطنية. افعل ذلك. عن نفسي أحب تلك الحكاية عن جيوتو، كانت هناك مسابقة لتنفيذ لوحة لعذراء. العديد من العروض قُدمت لسلطات الفنون الجميلة لتلك الأيام، أحدها، مذيل بتوقيع جيوتو، كان ببساطة عبارة عن بيضوي، على شكل بيضة،

«sketch A»

السلطات، وقد أصابها الفضول والثقة، عهدت العذراء موضع السؤال إلى جيوتو. سواء أكانت حقيقية أم لا، فأنا لا أعرف، لكنني أحب الحكاية.

بأي حال دعنا نعُد إلى دوميه وجدتك. متى ستعرض علينا أكثر من ذلك، من دراسات الرجحان تلك؟ إنني أحضك على فعل ذلك، وفي الوقت ذاته لا أقلل من اختباراتك فيما يخص خصائص الخطوط في الحركة المضادة، والتي لن تتجاهل كما أتمنى، التباينات التلقائية للخطوط في الأشكال. المشكلة هي، هل تراها يا عزيزي برنار، أن جيوتو، وسيمابو، بالإضافة إلى هولباين وفان أيك، عاشوا في مجتمع هرمي، إن سمحت لي بالقول، له طبقات، مبني معماريا، وكل فرد فيه كان أشبه بحجر، وكلهم متماسكون ويشكلون مجتمعا كالنصب المعماري. لا أشك أننا سنرى تجسيدا ثانيا لهذا المجتمع حين يبني الاشتراكيون صرحهم الاجتماعي، الذي يبعدون عنه مسافة كبيرة الآن. لكن كما تعلل فنحن في حالة من التراخي والفوضى التامة. نحن، الفنانين المغرمين بالنظام والتناظر، نعزل أنفسنا ونعمل على تعريف شيء وحيد.

بوفي يعرف هذا جيدا، وحين قرر بحكمة وعدل أن ينزل بطبيعته الجيدة إلى حميمية عصرنا، ناسيا حقوله الفردوسية، صنع بورتريها جميلا، الرجل الشيخ الهادئ وداخله الأزرق الساطع، يقرأ رواية بغلاف أصفر، وكوب من الماء بجواره، الذي فيه فرشاة ألوان مائية ووردة. وأيضا سيدة مجتمع مثل اللاتي صورهن دو جونكور.

الهولنديون، الآن نراهم يصورون أشياء كما هي، دون فكر واضح، بالشكل الذي يرسم به كوربيه نساءه الجميلات العاريات. يصنعون بورتريهات، مناظر طبيعية، طبيعة صامتة. يمكن أن يكون المرء أغبى من ذلك ويرتكب حماقات أعظم. إن لم نعرف ما علينا فعله، يا عزيزي برنار، إذن فدعنا نفعل مثلهم، وإن كان السبب الوحيد هو ألا نسمح لقوانا العقلية بالتبخر في تأملات ميتافيزيقية عقيمة ليست قوية بما يكفي لتقنين الفوضى، والتي هي فوضوية للسبب ذاته الذي يجعلها لا تنحصر في أي كوب بمعيارنا.

يمكننا، وهذا ما فعله أولئك الهولنديون، وهم الماكرون بشكل يائس في عيون أهل النظام - يمكننا تصوير ذرة من الفوضى. حصانا، بورتريها، جدتك، تفاحا، منظرا طبيعيا.

شكل اهليجيّ

لماذا تقول إن ديجا لديه مشكلة في الحصول على انتصاب؟ ديجا يعيش كمحام صغير، ولا يحب النساء، وهو يعرف أنه إن أحبهن ومارس معهن الجنس كثيرا فسيعمي دماغه ويصبح يائسا فيما يخص التصوير. تصوير ديجا قوي، وغير ذاتي تحديدا لأنه أخلص نفسه بطريقة لا يكون معها شخصيا سوى محام صغير، مع رعب الحياة الصاخبة. إنه يشاهد الحيوانات الإنسانية الأقوى منه تحصل على انتصاب وتمارس

الجنس، ويصورهم جيدا، تحديدا لأنه لا يصنع ادعاءات كبيرة حول حصوله على انتصاب.

روبنز، آه، ها هو الأمر، كان رجلا وسيما وممارسا جيدا للجنس، كوربيه أيضا، صحتهما سمحت لهما بالشرب، والأكل، والجنس.

في حالتك، يا عزيزي المسكين برنار، لقد أخبرتك مسبقا في الربيع الماضي. كلّ جيدا، وقم بتدريبك العسكري جيدا، لا تمارس الجنس كثيرا، إن لم تفعل فسيكون رسمك أكثر رجولة وخصبا بسبب ذلك.

آه، بلزاك، الفنان العظيم القدير، قد أخبرنا بالفعل أنه بالنسبة للفنانين الحداثويين فإن عفّة ما جعلتهم أقوى.

الهولنديون كانوا متزوجين منجبين، وهي مهنة، رائعة، بل رائعة للغاية، وطبيعية.

عصفور واحد لا يصنع صيفا. لا أقصد بقولي هذا أن بين دراساتك الجديدة البريتونية لا توجد دراسات قوية وفحلة، لكنني لم أرها بعد ولهذا لن يمكنني الحديث عنها. لكن، لقد رأيت تلك الأشياء القوية الفحلة، بورتريه جدتك والحيوات الصامتة، وبالحكم على رسومك، لدي شكوك غامضة إن كانت تلك الدراسات الجديدة ستتوفر لديها القوة ذاتها، فقط من وجهة النظر الفحولية.

تلك الدراسات التي أتحدث عنها أولا، إنها كما ترى هي أول عصافير صيفك كفنان. إن أردنا، بأنفسنا، أن نحصل على انتصاب لعملنا، فلا بد أن نسلم أنفسنا إلى ممارسة جنسٍ قليلة، وفي البقية نكون وفقا لمزاجنا وحاجاته، جنودا أو كهنة. الهولنديون مرة أخرى، كانوا خلوقين، وكانت لهم حياة هادئة ومنظمة.

ديلاكروا، آه، هو، "أنا"، يقول، "وجدتُ التصوير حين لم تعد لدي أسنان أو أنفاس". وهؤلاء الذين رأوا ذلك الفنان الشهير يرسم قالوا: حين يرسم ديلاكروا فإن

ذلك يشبه أسدا يفترس قطعة من اللحم. لقد مارس قليلا من الجنس، وحظي بعلاقات غرامية عابرة حتى لا يحول تركيزه عن عمله.

هذه الرسالة، تبدو على السطح غير متجانسة، ومنفصلة عن سياق المراسلات السابقة، وبالذات الصداقة، أكثر مما أتمنى، ولو أنك تجد في هذه الرسالة بعضًا من القلق والهموم بأي حال من جانبي على صحتك، قلقًا على الامتحان الصعب الذي سُتضطرُ إلى خوضه في خدمتك العسكرية، الإلزامية، للأسف، إذًا ستقرؤها بشكل صحيح. أعرف أن دراسة الهولنديين لن تؤدي بك إلا إلى خير، فعملهم رجولي وصحي.

شخصيا، فأنا أجد أن كبح الشهوة لي. من الكافي لأدمغتنا الضعيفة الانطباعية الفنية أن تعطي روحها إلى خلق لوحاتنا. لأنه في التفكير، والحساب، وفي إنفاق صحتنا، نوسع نشاطنا الدماغي. لماذا نجهد أنفسنا في إنفاق كل عصائرنا الإبداعية، بينما أولئك القوادون وزبائنهم الذين يتغذون جيدا، يعملون على إشباع الأعضاء الجنسية للعاهرة المسجلة أكثر منّا في هذه الحالة. العاهرة موضع السؤال ستنال شفقتي أكثر من عطفي. لأنها منفية، ومنبوذة اجتماعيا، مثل الفنانين، مثلك ومثلي، المنبوذين أيضا، فهي بكل تأكيد رفيقتنا وأختنا. وتجد، في هذا الوضع، وضع المنبوذ، مثلنا، استقلالا ليس دون مميزات، وباعتبار كل شيء، دعنا لا نتبنى موقفا كاذبا باعتقاد أننا نخدمها عبر إعادة التهيئة اجتماعيا، والتي هي بأي حال ليست عملية وقد تكون قاتلة لها.

لقد صنعت بورتريها لساعي البريد، أو بالأحرى، بورتريهين، من النوع السقراطي، وليس أقل سقرطة لكونه مدمنا على الشراب، وبلون عالٍ كنتيجة لذلك. زوجته أنجبت للتو، ورفيقنا الطيب كان يشع بالرضا. إنه جمهوري لا يشق له غبار، مثل الأب تانجي. اللعنة، يا له من موضوع للرسم الدوميهي، ها؟ كان متجمدا في أثناء تموضعه للرسم، لهذا رسمته مرتين، الثانية في جلسة واحدة، على قماشة بيضاء، بخلفية زرقاء، تكاد تكون بيضاء في وجه كل الدرجات المكسورة: الأصفر، الأخضر، البنفسجيات، الورديات، الأحمرات، زيه بالأزرق البروسي المحدد بالأصفر.

اكتب لي قريبا إن شعرت بذلك، إنني مثقل ولم أجد بعد وقتا لاسكتشات الشخوص. مصافحات.

المخلص لك حقا،

فنسنت.

سيزان هو رجل متزوج محترم كالهولنديين القدماء. لو أن له انتصابا جيدا في عمله فلأنه لم ينهك نفسه بحياة صاخبة.

٦٥٧ | آرل، الأربعاء، ٨ أغسطس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد أرسلت للتو ثلاثة رسوم كبيرة، بجانب أخرى صغيرة وطبعتي الليتوغراف لدو لومود.

حديقة المنزل الريفي الرأسية الصغيرة هي أفضل الثلاثة الكبيرة برأيي. وتلك التي بها عبادات الشمس هي حديقة صغيرة لحمام.

الحديقة الثالثة، الأفقية، هي التي قمت بعمل عدة دراسات ملونة لها.

تحت السماء الزرقاء، فإن بقع الزهور الحمراء، والصفراء، والبرتقالية، تأخذ سطوعا مدهشا، وفي الهواء النقي ثمة شيء أكثر سرورا وأكثر إيحاء بالحب من الشمال. إنه يرنّ، مثل باقة مونتيتشيلي التي لديك. أنا منزعج من نفسي لأنني لم أصور زهورا هنا. بأي حال، حتى بعد أن أنتجت قرابة الخمسين رسما أو دراسة ملونة هنا، فأنا أشعر كأنني لم أقم بفعل شيء البتة. سأرضي نفسي بكوني لست إلا رائدا لرسامين مستقبليين سيأتون للعمل في الجنوب. الآن، فإن الحصاد، والحديقة، والبذّار،

والمنظرين البحريين، هي كروكيات عن دراسات ملونة. أظن كل تلك الأفكار جيدة، لكن الدراسات الملونة تفتقر إلى وضوح اللمسة. وهو سبب آخر يحضني على رسمها.

أردت أن أصور فلاحا شيخا كان له شبه كبير بأبينا في الملامح. لكنه كان من العوام، وقارب أن يكون كاريكاتيرا. مع هذا، كنت مزمعا على رسمه كما هو كفلاح صغير. وعدني أن يأتي، ثم قال إنه عليه أن يحصل على اللوحة لنفسه، لذا اضطررت لعمل اثنتين متشابهتين، واحدة له، والأخرى لي. قلت له كلا. ربما سيأتي في يوم ما. أنا متشوق لمعرفة إن كنت تعرف آل دو لومود.

في الوقت الحالي ثمة العديد من الليتوغراف التي تستحق أن نملكها، ولوحات لدومييه، وإعادات إنتاج للوحات ديلاكروا، وديكان، ودياز، وروسو، ودوبريه... إلخ. قريبا سينتهي كل شيء، ويا للأسف الشديد أن الفن يميل إلى الاختفاء.

ما سبب عدم احتفاظنا بما لدينا، كما يقوم الأطباء والميكانيكيون؟ بمجرد أن يُكتَشَف شيء ويوجد، يحتفظون بمعرفته، أما في تلك الفنون الجميلة البائسة، ننسى كل شيء، لا نحتفظ بشيء.

مييه أعطانا روح الفلاح، والآن، نعم، ثمة ليرميت، صحيح أن ثمة واحدا أو اثنين آخرين، ميونيه. وهل عرفنا الآن عموما كيف نرى الفلاحين، لا، بل لا يكاد أحد يعرف كيف يظهر واحدا.

أليس هذا ولو جزئيا خطأ باريس والباريسيين، مترددين وبلا انتماء مثل البحر؟ حسنا إذن، بحق اللعنة، لك الحق في أن تقول، دعنا نمضِ في طريقنا بهدوء، عاملين لأنفسنا. كما ترى، مهما آل الحال بالانطباعية المقدسة، فسأود عن نفسي أن أقوم بالأشياء التي يمكن للجيل السابق أن يفهمها، ديلاكروا، ومييه، وروسو، ودياز، ومونتيتشيلي، وأزابي، ودكان، ودوبريه، ويونكيند، وزيم، وإسرائيل، وميونيه، وكومة من الآخرين، كوروه، وجاك...

آه، مانيه كان قريبا من ذلك، وكوربيه، من اقتران الشكل باللون. أنا، سأسعد بأن أظل صامتا لعشرة أعوام لا أفعل فيها شيئا سوى رسم الدراسات، ثم أصنع تصوير شخوص أو تصويرين.

الخطة القديمة، التي يُنصح بها غالبا ولا ينفذها أحد.

لو أن الرسوم التي أرسلها إليك جافة للغاية، فإن ذلك بسبب أنني صنعتها بطريقة تمكنني لاحقا -إن كانت لا تزال معنا- أن أستخدمها كمعلومات للتصوير.

حديقة المنزل الريفي الرأسية الصغيرة هذه ملونة بشكل فائق الجودة في الحقيقة. زهور الداليا غنية وبنفسجية غامقة، والصف المزدوج للزهور وردي وأخضر من جهة ويكاد يكون برتقاليا دون خضرة من جهة أخرى. في المنتصف، داليا بيضاء خفيضة، وشجرة رمان صغيرة، بزهور من أسطع الأحمر البرتقالي، وثمار صفراء مخضرة، والأرضية رمادية، والأقصاب العالية من الأخضر المزرق، وأشجار التين زمردية، والسماء زرقاء، والبيوت بيضاء بنوافذ خضراء، وسقوف حمراء. في سطوع شمس الصباح، في المساء تستحم كلها بالظل الممدود من شجر التين والأقصاب. لو أن كوست كان هنا، أو جيانين، فماذا عساك ستقول، كيما تحيط بكل ما تريده ستحتاج مدرسة كاملة من الناس الذين يعملون معا في المكان نفسه، يتممون بعضهم مثل الهولنديين القدماء: رسامي بورتريه، ورسامين نوعيين، ورسامي مناظر طبيعية، ورسامي حيوانات، ورسامي حيوات صامتة.

علي إخبارك أيضا أنني قمت بجولة مثيرة للاهتمام حول الحقول مع واحد يعرف المنطقة. لكنك تعرف أنه وفي البروفانس الحقيقية يغلب على الواقع الفلاحون الصغار على طريقة مييه فوق كل شيء آخر.

مكنايت وبوش لا يفهمان معظم هذا، أو بالأحرى لا يفهمان شيئا. الآن وإن كنت عن نفسي قد بدأت برؤية الأمر بطريقة أوضح، فسأحتاج لإقامة طويلة كافية للعمل.

في أوقات ما مع ذلك يبدو من المرجح بالنسبة لي أنني سأضطر لأن أقوم بالرحلة بنفسي إن لم يستطع جوجان أن يتخلص من الفوضى التي هو فيها، هذا في حالة أن

أردنا أن نضع خطتنا موضع التنفيذ. وليكن هذا ما يكونه، فأنا لم أزل وسط الفلاحين بأي حال، الأمر نفسه. بل إن رأيي حتى أننا علينا أن نظل جاهزين للذهاب إليه. لأنني أظن أنه يمكنه قريبا أن يكون في مأزق ثانٍ، على سبيل المثال، إن لم يدنه صاحب العقار أكثر من ذلك.

إن ذلك قابل للتوقع، وأزمته ستكون عظيمة لدرجة أن يكون من الحتمي وضع الشراكة قيد التنفيذ. بالنسبة لي ثمة فقط الرحلة ذات الوجهة الواحدة، والأسعار هناك التي ذكرها هي بأي حال أقل بشكل واضح مما ينفقه المرء هنا.

إنني معتمد على وصول خطابك صباح السبت. لقد اشتريت قماشتين أخريين، لذا فلدي الآن خمسة فرنكات فقط، وقد أمسينا في الأربعاء بالفعل.

هنا، في أيام الإفلاس، ثمة ميزة أخرى في صالح الجنوب: الجو الجميل (لأنه خلا وقت هبوب عواصف الميسترال فالطقس رائع).

أشعة الشمس مجيدة، والتي جفف فيها فولتير نفسه وهو يحتسي القهوة.

لا يمكنك ألا تشعر بفولتير وزولا في كل مكان. إن المكان مليء بالحيوية! بطريقة يان ستين، بطريقة أوستاد.

تظل إمكانية مدرسة للتصوير هنا. لكنك ستقول إن الطبيعة جميلة في كل مكان إن تعمق المرء فيها كفاية.

هل قرأت بعد "السيدة أقحوان"، هل تعرفت على قواد "الأدب المفاجئ"، والمسيو كانجورو؟ والفلفلات المسكَّرة، والجليد المقلي، والحلويات المملحة؟

لقد كنت على ما يرام، وبأفضل حال في تلك الأيام الماضية، وعلى المدى الطويل أظنني سأنتمي إلى تلك البقاع بالنسبة لكل شيء.

في حديقة الفلاح، رأيت شخصَ امرأة محفورًا في الخشب، من مقدمة سفينة إسبانية في الأصل.

كانت في بستان سرو، وكانت تنتمي إلى مونتيتشيلي تماما.

آه، حدائق البيوت الريفية تلك بورود البروفانس الحمراء الكبيرة، والكروم، وأشجار التين، إنها شاعرية تماما، والشمس الأبدية الساطعة، التي تُبقي الخضرة دائمة رغمًا عنها.

الخزان، الذي تتدفق منه المياه الصافية التي تروي الحقل عبر قنوات تشكل نظامَ قنواتٍ صغيرًا. حصانٌ شائخ من منطقة الكامارج وأبيض تماما يقود الميكنة. لا بقر في هذه الحقول الصغيرة.

جاري وزوجته (بقالان) يشبهان آل بوتو بقوة، على سبيل المثال.

لكن هنا، البيوت الريفية، ومتاجر المشروبات الروحية الرخيصة، أقل كآبة، وأقل مأسوية من الشمال، فالدفء وما إلى ذلك يجعل الفقر أقل شدة وأسى. أود لو ترى هذا الجزء من الريف. حسنا، أولا يجب أن نرى ماذا سيؤول إليه حال جوجان.

لم أخبرك بعد أنني حصلت على خطاب من كونينج، لقد كتبت له منذ أسبوع. يمكنني بسهولة أن أتصوره عائدا بعد فترة. هل موريير ما زال هناك؟

سيدهشني بحق إن لم يعد لكتاب كاسانيّ هذا وجود. سيعرفونه بالتأكيد في لاتوشه أو عند بائع ألوان الفنانين في شوسّي دانتان. أو يعرفون أين هو. إن حدث وقمت بإعطاء دروس في الرسم، أو كان علي أن أحادث الرسامين عن مبادئ التقنية، فسيكون عليّ أن أحصل عليه. فهو الكتاب العملي الوحيد الذي أعرفه، وأعرف من خبرتي كم هو مفيد.

موريير، ومكنايت، وحتى بوش، كلهم سيحتاجونه، والعديد من الآخرين. مكنايت لم يزل يأتي.

لقد اشتغلتُ على شخص زوافي آخر، جالسا على مقعد على خلفية جدار أبيض، ما يجعله الشخص الخامس.

هذا الصباح كنت في مكان غسيل بشخوص نساء عريضات كنساء جوجان السوداوات. واحدة منهن بالخصوص، بالأبيض والأسود والوردي.

وأخرى كلها أصفر، كان هناك ثلاثون منهن، شابات وعجائز. أتمنى أن أرسل إليك كروكيات أخرى عن دراسات ملونة.

أتمنى أن أسمع منك قريبا.

مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت

٦٦٠ | آرل، نحو الاثنين، ١٣ أغسطس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

بالأمس أمضيت المساء مع الملازم المذكور، وهو يخطط للمغادرة يوم الجمعة، ثم سيمضي ليلة في كليرمون، ومن كليرمون سيرسل إليك برقيةً ليخبرك بأي قطار سيصل. الأحد صباحا بالتأكيد. اللفافة التي سيجلبها لك تحتوي ثلاثًا وستين دراسة، العديد منها لا يرضيني، والتي أرسلها إليك على أي حال لأنها ستعطيك فكرة مبهمة عن بعض المواضيع الجميلة في الريف.

على سبيل المثال، ثمة اسكتش سريع صنعته لنفسي مثقلا بالصناديق، والعصي، والقماش، على ممشى مشمس في طريق تاراسكون، ثمة منظر لنهر الرون، فيه السماء والمياه بلون الأفسنتين، بجسر أزرق، وشخوص سوداء لمثبري المشاكل، ثمة بذّار، مكان غسيل، وأخريات، ليست ناجحة تماما وغير منتهية، خاصة منظرًا طبيعيًا لغصون متساقطة ومكسرة.

ماذا حدث لتذكار موف؟ لم أسمع منك عما آل إليه حالها، فملت لأن أظن ترستيج قد قال شيئا غير ملائم لك، ليخبرك أنها لن تُقبل، أو أمرا مزعجا آخر. بطبيعة الحال، لن يشغلني الأمر في هذه الحالة.

في الوقت الحالي أنا أشتغل على دراسة كهذه:

«*sketch* A»

زوارق مرئية من مرسى، من الأعلى، الزورقان بوردي بنفسجي، والمياه خضراء للغاية، لا سماء، علم ثلاثي الألوان على السارية. عامل بعربة يدوية يفرغ حمولة من الرمل. لدي رسم له أيضًا. هل استلمت الرسوم الثلاثة التي للحديقة؟ سينتهي بها الحال مرفوضة في مكتب البريد لأنها كبيرة جدا.

أخشى أنني لن أحصل على موديل نسائي جميل للغاية. لقد وعدَتْ، ثم كما يبدو كسبت بضعة قروش من وراء مجونها ولديها أشياء أفضل لتصنعها. كانت رائعة، تعبيرها كتعبيرات ديلاكروا. وهيئة بدائية غريبة. إنني صبور حيال الأشياء عموما، لأنني أريد أن أراها بطريقة أخرى لاحتملها، لكن الأمر مزعج، هذا الفشل المستمر مع الموديلات. أود أن أقوم بدراسة لشجرة سرو في الأيام القادمة. لو رسمنا بنعومة مثل بوجيرو فلن يشعر الناس بالعار للسماح بأن نرسمهم، لكنني أعتقد أن ذلك جعلني أخسر الموديلات، أن الناس وجدوها "مصنوعةً بشكل سيئ"، لم يكن ما أفعله سوى صوَرٍ مليئة بالرسم. وهكذا تخشى العاهرات الطيبات أن ننال منهن، ويضحك الناس على بورتريهاتهن. لكن ذلك كاف لجعلك تخسر شجاعتك حين تشعر أن بإمكانك فعل شيء إن كانت للناس نية حسنة. لا يمكنني أن أحمل نفسي على قول: "العنب مرّ". لا يمكنني تجاوز حقيقة أنني ليس لدي موديلات. حسنا، يجب أن نكون صبورين ونبحث عن أخريات.

الآن ستأتي أختنا قريبا لتمضي بعض الوقت معك، لا شك لدي أنها ستستمتع بذلك.



مرفأ للزوارق (القوارب مسطحة القاع)

إنه احتمالٌ مزعجٌ أن أضطر لأن أقول لنفسي إن التصوير الذي أقوم به قد لا يحرز أي قيمة. لو أنه يستحق ما ينفق فيه فقد أقول لنفسي، إنني لم أهتم قط لأمر المال. لكن في الظروف الحالية، وعلى النقيض، فإن المرء سيضطر لامتصاص الأمر. آه، حسنا، وبأي حال، يجب أن نستمر في محاولة تحسين الأمر. يبدو لي أحيانا من الحكمة أن أذهب إلى جوجان بدلا من نصحه بالحياة هنا، إنني أخشى بحق أنه في النهاية سيشكو من عدم الراحة. هل من الممكن أن نعيش في البيت هنا، هل سيمكننا أن نوصل بين الطرفين؟ لأن تلك مغامرة جديدة. في بريتاني، الآن، يمكننا أن نحسب التكلفة، وهنا لا فكرة لدي عن الأمر. إنني عند رأيي بأن الحياة هنا باهظة الثمن، ولا تصل لشيء مع الناس. هنا سيكون ثمة أسرّة وبعض قطع الأثاث التي يجب أن نبتاعها، ونفقات رحلته وكل ديونه. يبدو لي هذا كمخاطرة أكبر من اللازم، في حين أنه هو وبرنار ينفقان القليل في بريتاني. حسنا، سيكون علينا أن نقرر سريعا، وعن نفسي فليس لدي تفضيل معين. إنها مسألة متعلقة بالمكان الذي يمكننا العيش فيه مقابل مبلغ زهيد.

يجب أن أكتب إلى جوجان اليوم لأسأله ما القيمة التي يدفعها للموديلات، وكيما أعرف إن كان ثمة أي موديلات. وكما ترى، حين تصبح كهلا ويتقدم بك العمر، من المهم أن تقرر ما هو الوهم وأن تحسب قبل القفز في المخاطر. وإن كنت في شبابك قادرا على تصديق أنك بإمكانك تحقيق حاجاتك عبر العمل الجاد، يصبح الأمر مشكوكا فيه أكثر فأكثر الآن. لقد أخبرت جوجان أيضا في خطابي الأخير، أننا إن رسمنا مثل بوجيرو، فحينها يمكننا أن نأمل في الكسب، لكن الجمهور لن يتغير أبدا وسيظل يحب الأشياء الناعمة والسلسة. وفي حالة أن تكون لديك موهبة زهيدة، فلا يمكنك أن تعتمد على نتيجة كدك، ومعظم الناس الأذكياء بما يكفي لتفهم وحب اللوحات الانطباعية، يظلون أفقر من أن يشتروا. هل سيعمل جوجان أو أنا أقل بسبب ذلك، لا، لكننا سنضطر لتقبل الفقر والعزلة الاجتماعية كشرط مسبق. ولنبدأ بالعيش في المكان الأقل تكلفة. ونتمنى أن يأتي النجاح، وأن نجد أنفسنا في وضع أفضل.

ما يمسني عميقا في كتاب زولا "العمل" هو شخصية بونجران، يوندت. حقيقي للغاية ما يقوله: إنكم تصدقون، أيتها الأرواح التعيسة، أنه حين تمكن الفنان من موهبته وحصل على صيته، فقد وصل إلى بر الأمان؟

على النقيض من ذلك، فمنذ تلك اللحظة لن يسمح له أن ينتج شيئا ليس جيدا من كل جهة. وسمعته نفسها تجبره على أن يعتني بعمله بينما تنخفض فرص البيع. وبأول بادرة ضعف ينقض عليه القطيع الذي يشعر بالغيرة ويدمر تلك السمعة تحديدا وتلك الثقة التي وضعها فيه الجمهور المتقلب الشرير.

وأقوى من هذا ما يقوله كارلايل. هل تعرف الحباحب البرازيلية اللامعة للغاية التي تضعها السيدات في شعرها بواسطة الدبابيس ليلا. إنها جميلة جدا، تلك هي الشهرة، لكنها للفنان ما هو الدبوس لتلك الحشرات.

أتود النجاح واللمعان، هل تعرف حقا ماذا تريد؟

الآن لدي رعب النجاح، إنني أخشى من الصباح التالي لنجاح الانطباعيين، حتى الأيام العصيبة الحالية ستبدو كـ "أيام الهناء" بالنسبة لنا.

حسنا، لا بد أن ننظر كلٌ من جوجان وأنا إلى الأمام، لا بد أن نعمل على إيجاد سقف يؤوينا، وسريرين، والأشياء الضرورية، باختصار، ما يجعلنا نحتمل حصار الفشل الذي سيستمر طيلة حياتينا.

ولا بد أن نستقر في أزهد الأماكن سعرا. ثم سيكون علينا أن نحصل على الهدوء والسكينة اللازمين لإنتاج قدر كبير من اللوحات، حتى إن بعنا القليل أو لم نبع شيئا.

لكن إن فاقت النفقات الدخل، فسنكون مخطئين إن أملنا في كثيرا أن كل شيء سينصلح ببيع لوحاتنا. على النقيض من ذلك، سنضطر لأن نفارقها بأي سعر في الوقت الخاطئ.

أنهي قائلا، يجب أن نحيا بشكل أو بآخر حياة الرهبان والناسكين، ويكون عملنا هو الشغف الذي يحدونا، متخلين عن رغد العيش. الطبيعة، الجو الرائع هنا،

هذه هي ميزة الجنوب. لكنني أظن أن جوجان لن يتخلى عن معركة باريس أبدا، إنه يحتفظ بها في صدره، ويؤمن بنجاح دائم أكثر مما أفعل. لن يضيرني ذلك، بالعكس، قد أكون مصابا باليأس أكثر من اللازم. لذا لندع له ذلك الوهم، لكن دعنا نحذر أن ما سيحتاجه هو دائما سيكون الإقامة، وخبز يومه، والألوان. هذا هو الشرخ في درعه، وبسبب أنه يستدين الآن، سينتهي أمره لاحقا. وفي الواقع، إننا بمساعدته الآن، نجعل نصره ممكنا في باريس. لو أن لي طموحه، فلن نستطيع أن نحتمل بعضنا جيدا. لكنني لا أهتم بنجاحي ولا بسعادتي، أنا أهتم فقط باستمرار التعهدات الحيوية للانطباعيين، أهتم بمسألة الملجأ والخبز اليومي لهم. وأشعر أنها جريمة أنني متوفر لدي ذلك بينما يمكن لاثنين أن يعيشا بالقدر نفسه.

لو أنك رسام، فسيظنونك إما مجنونا وإما ثريا. يكلف كأس الحليب فرنكا، وشريحة الخبز بالزبدة فرنكين، واللوحات لا تبيع. هذا هو السبب الذي يدفعنا للانضمام معا كما فعل الرهبان القدامى، أخوية الحياة المشتركة لأراضينا الهولندية. إنني مدرك سلفا أن جوجان يبحث عن النجاح، لا يمكنه أن يفعل ذلك دون باريس، ولا يرى أبدية الفقر في الأفق. أنت تفهم أنه وبالظروف الحالية فإنه سيان بالنسبة لي أن أرحل أو أبقى هنا. يجب أن نمنحه فرصة القتال في معركته. سينتصر. وبعيدا عن باريس سيظن نفسه عاطلا. لكن بالنسبة لنا، دعنا نتحلَّ باللامبالاة تجاه النجاح أو الفشل. لقد بدأت بتذييل لوحاتي بتوقيع لكنني سرعان ما توقفت، لقد بدا الأمر سخيفا بالنسبة لي. على منظر بحري ثمة توقيع أحمر شائن، لأنني أردت درجة حمراء في الخضار. ستراها قريبا، بأي حال. ستكون نهاية أسبوع عصيبة، لذا أتمنى أن تصل رسالتك أبكر يوما بدلا من أن تتأخر يوما.

مصافحة.

المخلص دومًا

فنسنت

٦٦٣ | آرل، السبت، ١٨ أغسطس ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

ستتعرف قريبا إلى السيد بيشانس إسكالير، وهو رجل بفأس، راع كامارجي عجوز، وهو الآن بستاني في مزرعة في كراو.

اليوم ودون تأخير سأرسل إليك الرسم الذي صنعته عن لوحته، بجانب الرسم عن بورتريه لرولان رجل البريد.

لون بورتريه الفلاح هذا ليس داكنا كآكلي البطاطس من نيونن، لكن الباريسي المتحضر للغاية، بورتبيه، الذي قد يكون قد سمي بذلك الاسم لأنه يركل اللوحات خارجن الباب، سيجد نفسه في مواجهة تساؤل مرة أخرى. لقد تغيرت أنت منذ ذلك الوقت، لكنك سترى أنه لم يتغير، ومن المؤسف حقا أنه ليس ثمة لوحاتٌ أكثر في باريس. لا أظن الفلاح الخاص بي سيضير أحدا، على سبيل المثال، لن يضر لوحة لوتريك التي لديك، وأجرؤ أيضا أن أظن أن لوحة لوتريك، ستصبح بارزة بتباين تلقائي، وستكسب لوحتي من المجاورة الغريبة، بسبب طبيعتها المضاءة بالشمس والمحروقة من الطقس المشمس بسبب الشمس القوية والهواء القوي، وكذا ستظهر بوضوح بجوار مسحوق تجميل الوجه والملابس الغالية. يا له من خطأ أن الباريسين لم يكتسبوا ذوقا مناسبا للأشياء الخشنة، للوحات مونتيتشيلي، للطمي السائل.

حسنا، أعرف أن على المرء ألا ييأس لأن اليوتوبيا لم تتحقق. الأمر أنني أجد أن ما تعلمته في باريس، يتلاشى، وأنني أعود لأفكاري التي راودتني في الريف قبل أن أعرف الانطباعيين. ولن أندهش إن وجد الانطباعيون ما أفعله مخطئا بعد فترة قصيرة، وهو ما اختمر وتأثر بأفكار ديلاكروا أكثر من أفكارهم.

لأنه وبدلا من نقل ما أراه أمام عيني بالضبط، فإنني أستخدم اللون بشكل أكثر عشوائية لكي أعبر عن نفسي بقوة. حسنا، لندع ذلك موجودا ما دامت قد وجدت النظرية، لكنني سأعطيك مثالا لما أعنيه.

أود لو أصنع بورتريها لصديق فنان يحلم أحلاما عظيمة، ويعمل كما يغني العندليب، لأن تلك هي طبيعته. هذا الرجل سيكون أشقر. أود أن أضع في اللوحة تقديري، وحبي الذي أملكه له. سأرسمه إذن، كما هو، بأمانة قدر مستطاعي. لكن اللوحة لن تنتهي هكذا. لإنهائها، سأصبح ملونا عشوائيا.

سأبالغ في شقرة الشعر، سآتي إلى درجات برتقالية، صبغات ليمونية باهتة. خلف الرأس، بدلا من تصوير حائط ممل للغرفة الحالية، سأصور اللانهائي.

سأصنع خلفية بسيطة من أغنى درجات الأزرق الحادة التي بإمكاني تحضيرها، وبهذه التركيبة البسيطة، سيحرز الشعر الأشقر الساطع، على خلفية الأزرق الغني، تأثيرا غامضا، مثل نجمة في الأزرق العميق.

وبشكل مشابه، قد عملت بهذه الطريقة في بورتريه الفلاح.

مع ذلك، دون أن أود إبراز ألق غامض لنجم فاتح في الأزرق اللانهائي في هذه الحالة.

لكن متخيلا الرجل الرهيب الذي رسمته، في لهيب زمن الحصاد نفسه، عميقا في الجنوب. لذا تجد البرتقاليات، متوهجة كحديد أحمر ساخن، ولذا تجد درجات الذهبي العتيقة، لامعة في العتمة. آه، يا أخي العزيز، والناس الطيبة لن ترى سوى الكاريكاتير في هذه المبالغة. لكن ماذا يفعل ذلك بنا، لقد قرأنا "الأرض" و"جرمينال"، وإن صورنا فلاحا فنحن نود أن نعرض أن تلك القراءة قد أضحت بطريقة ما جزءا منا.

لا أعرف إن كنت سأستطيع تصوير رجل البريد كما أشعر به، وكثوري فإن ذلك الرجل يشبه الأب تانجي، وربما يعتبر جمهوريا قحا لأنه يكره الجمهورية التي

نستمتع بها حاليا من كل قلبه، ولأنه، وباختصار، يشك في فكرة الجمهورية نفسها. لكن في يوم ما رأيته يغني النشيد الوطني الفرنسي، وظننت أنني أرى العام ٨٩، ليس العام القادم، بل العام الذي مضى منذ ٩٩ عاما. كان شيئا خارجا عن ديلاكروا، خارجا عن دومييه، خارجا عن لوحة هولندية قديمة.

لسوء الحظ من المستحيل أن تحصل على هذا عن طريق تمثيل وضعية ما، ومع ذلك فانت بحاجة إلى موديل ذكي ليمكنك من عمل اللوحة.

لا بد أن أخبرك أنه ومن الناحية المادية، فهذه الأيام عصيبة.

مهما فعلت، فإن العيش باهظ الثمن هنا، تقريبا مثل باريس، حيث، بإنفاقك خمسة أو ستة فرنكات يوميا، لا تحصل على الكثير. حين أحصل على موديلات، أعاني بشكل كبير كنتيجة لهذا. لا يهم، وهكذا سأمضي.

لذا اطمئنك، أنه إن حدث وأرسلت إلي مالا أكثر بالصدفة، فإن ذلك سيكون في صالح اللوحات، وليس في صالحي. عن نفسي، فإنني أمام خيارين لا ثالث لهما، أن أكون رساما جيدا، أو رساما سيئا. أختار الأول. لكن الأشياء التي يحتاجها التصوير مثل تلك التي تحتاجها عشيقة سيئة، لا يمكنك أن تفعل شيئا دون مال، وليس لديك ما يكفي منه أبدا.

وهكذا فإن التصوير يجب أن يكون على نفقة المجتمع، ولا يجب أن يثقل الفنان كاهله بنفقاته.

لكن كما ترى، لا بد أن نصمت ثانية، لأنه لا أحد يجبرنا على العمل، واللامبالاة تجاه التصوير هي أمر عام وأبدي.

لحسن الحظ، تعافت معدتي لدرجة أنني عشت ثلاثة أسابيع من الشهر على بسكويت السفن مع اللبن والبيض.

إن الحرارة هي ما يعطيني القوة، وأنا بالتأكيد لم أكن مخطئا في ذهابي إلى الجنوب الآن بدلا من الانتظار حتى يصبح الضرر غير قابل للإصلاح. نعم، إنني بخير الآن

كالرجال الآخرين، وهي حال لم أحرزها إلا مؤقتا في نيونن مثلا، وليس هذا أمرا سيئا. بـ "الرجال الآخرين" أقصد مثل مصلحي الطرقات المضربين عن العمل، والأب تانجي، والأب مييه، والفلاحين. إن كنت على ما يرام، فسيكون بمقدورك أن تعيش على قطعة من الخبز، بينما تعمل طوال اليوم، ولم تزل لك قوة على التدخين وعلى أن تشرب كأسك، ستحتاج إلى هذا في تلك الظروف. ويمكنك مع ذلك أن تشعر بالنجوم واللانهائي، بوضوح، هناك بالأعلى. حينها تكاد تكون الحياة سحرية، بعد كل هذا. آه، أولئك الذين لا يؤمنون بالشمس هنا هم جماعة من الهراطقة.

لسوء الحظ أنه وبجوار الشمس، يا إلهي، فإن ثلاثة أرباع الوقت مخصصة لشيطان الميسترال.

بريد السبت قد مر، اللعنة، ولم يكن لدي شك في استلام خطابك، لكن كما ترى فأنا لست ضائقا بسبب ذلك.

مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت

٦٦٥ | آرل، نحو الثلاثاء، ٢١ أغسطس ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار،

أريد أن أصنع شخوصا، شخوصا وشخوصا، الأمر أقوى مني، تلك السلسلة من ثنائيي القدم من الرضيع إلى سقراط ومن المرأة سوداء الشعر بيضاء البشرة إلى المرأة صفراء الشعر ذات البشرة التي لوحتها الشمس بلون القرميد.

في أثناء ذلك، أقوم غالبا بأشياء أخرى.
شكرا لخطابك، هذه المرة أكتب بسرعة كبيرة فأنا منهك للغاية.
إنني مسرور للغاية بانضمامك إلى جوجان.

آه، إن لدي شخصا جديدا مع ذلك، والذي هو مجرد استمرار لدراسات معينة للرأس صنعتها في هولندا، لقد أريتك إياها في مرة، مع اللوحة من ذلك الوقت، آكلي البطاطس. أتمنى لو بإمكاني أن أعرضها عليك.

مرة ثانية، هي دراسة يلعب فيها اللون الذي لا يمكن لأبيض وأسود الرسم أن يلعباه.

أردت أن أرسل إليك رسما لها كبيرًا جدا ومنهيًّا بحذر.

حسنا، لقد تحولت إلى شيء مختلف تماما، بينما لم تزل صحيحة.

لأن اللون مرة أخرى يوحي بجو الحصاد المسفوع بالشمس بمنتصف النهار تحت الحر الشديد، ودون ذلك فهي لوحة مختلفة. أجرؤ على أن أظنك وجوجان ستفهمانها، لكن كم سيجدونها قبيحة.

أنتم يا رفاق تعرفون ما هو الفلاح، وكم هو حيوان بري حين تلقاه وتجده من نسل نقي.

لدي أيضا رجل يفرغ قاربا من الرمل. هذا يعني أن ثمة قاربين، ورديين مائلين إلى البنفسجي، في مياه بأخضر فيروني، برمل أصفر رمادي، وعربات، وألواح خشبية، ورجل صغير بالأزرق والأصفر. كل هذا مرئيا من على المرسى، المعلقة على كل المنظر بمنظور عين الطائر. لا سماء. إنه مجرد اسكتش، أو بالأحرى، اسكتش تقريبي مصنوع بالخارج في أثناء رياح الميسترال. تاليا لذلك، فأنا أحاول صناعة أشواك مترِبة بسرب كبير من الفراشات التي تدور فوقها. أوه، يا لروعة الشمس هنا في منتصف الصيف، تضرب رأسك ولا شك لدي مطلقا بأنها تصيبك بالجنون. وهذا هو طقس هذه الأيام الذي أستمتع به طيلة الوقت. إنني أفكر بتزيين الاستوديو بنصف

دستة من لوحات لعباد الشمس. وهو ديكور ستنفجر فيه الأصفرات الخشنة والمتقطعة على خلفيات متنوعة من الأزرق، من أفتح درجات الأزرق الفيروني والملكي، مؤطرة بألواح نحيفة مطلية بالرصاص البرتقالي.

أنماط من تأثيرات النوافذ الزجاجية الملونة لكنيسة قوطية. آه، يا رفاقي الأعزاء، نحن المجانين، دعونا نستمتع بأعيننا، هلا فعلنا؟ للأسف، نشتري من الطبيعة بالمقايضة، وأجسادنا وضيعة وأحيانا ما تكون حملا ثقيلا. لكن منذ جيوتو، والشخصية عليلة، والأمور على هذا الحال.

أوه، ومع ذلك، يا لها من بهجة للنظر ويا له من ضحك، ضحك رامبرانت الأهتم، الأسد الشائخ، رأسه مغطى بالقماش، وباليتته في يده.

كم أتمنى أن أمضي الأيام الحالية في بون أفون، لكن بأي حال، إنني أعزي نفسي بإعادة التفكير في عبادات الشمس.

أصافحك بشدة، سأكتب أكثر قريبا.

المخلص دوما،

فنسنت

٦٦٩ | آرل، نحو الأحد، ٢٦ أغسطس ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لخطابك ولورقة الخمسين فرنكًا التي احتواها. بالتأكيد ليس من المستحيل لأختنا أن تأتي لاحقا وتعيش معنا. إنها علامة جيدة فيما يخص ذوقها كونها

تحب النحت، لقد أسعدني هذا حقا. التصوير كما هو حاله الآن يعد بأن يصبح أكثر دقة، أكثر موسيقى وأقل نحتا، في الواقع، إنه يعد باللون. ما دام قد حفظ عهده.

عبادات الشمس في تقدم، ثمة باقة جديدة من أربع عشرة زهرة على خلفية خضراء صفراء، لذا فالتأثير نفسه تماما، لكن بحجم أكبر، لوحة رقم ٣٠، كحياة صامتة لسفرجلات وليمونات عندي بالفعل، لكن في عبادات الشمس يكون التصوير أبسط كثيرا. هل تذكر أنه في يوم ما في فندق دروت رأينا باقة من زهور عود الصليب رسمها مانيه؟ زهور وردية، أوراقها خضراء للغاية، ملونة بألوان سميكة، وليست مصقولة، مثل لوحة جيانين. بارزة على خلفية بيضاء بسيطة كما أظن. الآن ثمة شيء كان صحيا بحق.

أما عن التنقيط، وعمل الهالات أو أشياء أخرى، أجد ذلك اكتشافا حقيقيا، لكن يمكن التوقع سلفا أن هذه التقنية لن تصبح عقيدة عالمية أكثر من أية تقنية أخرى. وهو سبب آخر لأن مناظر سينياك الطبيعية في لوحته "لو جراند جات" المملوكة لسورا حاليا بالتنقيط العريض، وزورق أنكيتان ـ ستصبحان مع الوقت أكثر شخصانية، وأكثر أصالة.

فيما يخص ملابسي، لقد بدأت تعاني بالتأكيد. لكن في الأسبوع الماضي اشتريت سترة من القطيفة سوداء بجودة عالية مقابل عشرين فرنكا، وقبعة جديدة، لذا فمسألة الملابس ليست ضرورية.

لكنني استشرت رجل البريد الذي صورته، والذي قام بإنشاء منزله الصغير ثم تفكيكه ثانية أكثر من مرة، ناقلا سكنه مقابل سعر قطع الأثاث التي لا يستغني عنها تقريبا، وقد قال إنك لن تجد هنا سريرا معمرا، بأقل من مائة وخمسين فرنكا، إن أردت شيئا صلبا، بالطبع.

بأي حال، لا يفسد هذا الحسبة التي مفادها أنه بتوفير ثمن السكن، في نهاية العام ستجد أنك تمتلك أثاثا دون إنفاق المزيد خلال العام. وبمجرد أن أقدر، فلن أتردد في فعل ذلك.

إن امتنعنا عن الاستقرار بهذه الطريقة، فإنني وجوجان يمكننا أن ننتقل من عام لآخر عبر مساكن صغيرة حيث لا يمكن للمرء إلا أن يصبح منطفئ الذكاء. إن تلك هي حالي تقريبا، لأنها تعود لزمن طويل مضى. في الحاضر توقف ذلك عن أن يكون مصدرا للألم، وربما في البداية لن أشعر بأنني في البيت في بيتي الخاص. لا تهتم. بأي حال، دعنا لا ننس بوفار وبيكوشيه، دعنا لا ننس "مع التيار" رواية أويسمان، لأن كل ذلك حقيقي بعمق. "من أجل سعادة السيدات" لزولا و"صديقي الجيد" لموباسان، والتي هي أيضا حقيقية بأي حال. إنها طريقة لرؤية العالم. الآن، مع الأولى، فالموقف أقل خطرا من التصرف كدون كيخوته، من الممكن، ومع الفكرة الأخيرة، أن نفعل الأمر لنهايته.

الآن، فإن لدي الفلاح المسن ثانية هذا الأسبوع.

آه، مكنايت رحل أخيرا، لست نادما على هذا البتة. رفيقه البلجيكي لم يبدُ حزينا لذلك أيضا حين أتى بالأمس ليخبرني بالأمر، وأمضينا المساء معا. إنه معقول جدا في أفكاره، ويعرف ماذا يريده، على الأقل. في الوقت الحالي يمارس انطباعيةً متخوفة، لكنها متقيدة بالقواعد، منضبطة. وقد أخبرته أن ذلك هو أفضل ما يمكنه فعله، مع أنه سيخسر عامين في هذا ربما، مؤخِرا أصالته، لكن بعد كل شيء، أخبرته، أنه من الضروري الآن أن يمر عبر الانطباعية بشكل صحيح كما كان يوما ليمر باستوديو في باريس. وقبِل هو بهذا كله تماما، تحديدا لأنك بتلك الطريقة لا تصدم أحدا، ولا يمكنك لاحقا أن تُتهمَ بعدم مواكبة الأشياء. إنه يفكر بجد في الذهاب لتصوير عمال مناجم الفحم في بوريناج، وإن كان ما زال هنا حين يأتي جوجان، فلن يكون مستحيلا إن طلبنا منه أن يفعل لنا في الشمال ما سنفعله له في الجنوب، نفعل مستطاعنا لنمكنه من العيش بثمن أزهد مما ينفقه وحيدا. سأكتب أكثر قريبا.

المخلص دوما،

فنسنت

٦٧٠ | آرل، الأحد، ٢٦ اغسطس ١٨٨٨
إلى ويليماين فان جوخ (F)

اختي العزيزة،

إن سمحت لي أن أكتب بالفرنسية، فسيجعل هذا خطابي لك أسهل بالنسبة لي. إنك تسعدينني كثيرا كونك تتأثرين بالنحت أكثر من التصوير، وأكثر لأن تيو طمأنني أن لك رؤية جيدة للوحات. بطبيعة الحال، لا يمكن لذلك أن يكون ذوقا مستقرا لن يهتز أبدا، لكنه حدث، غريزة، وهو أمر كبير حقا، وتحديدا ما لا يملكه كل الناس دائما. لكن بأي حال، إنني متشوق لمعرفة تأثير اللوكسمبورج عليك.

هل هو حقيقي -كما أفكر في لحظات حين أكون بمزاج جيد- أن ما هو حيٌ بالفن، وحيٌ أبدًا، هو أولا الفنان، ثم اللوحة؟ حسنا، ما الفارق الذي يصنعه ذلك؟ لكن إن رأى المرء الناس تعمل، فإنه أمر لا يجده المرء تحت زجاج المتاحف.

الآنسة هارييت المسكينة، في كتاب جي دو موباسان، كانت محقة ربما. لكن أكان الرسام محقا في الذهاب مع فتاة الحقل؟ ربما لا. في الحياة، ثمة دائما القدر الذي هو مزعج للغاية. والعديد من الرسامين يموتون أو يصابون بالجنون من اليأس، أو يصبحون مشلولين في إنتاجهم لأن لا أحد يحبهم شخصيا.

هل قرأت قصائد ويتمان الأمريكية بعد؟ لا بد أنها لدى تيو، وأنا أحثك على قراءتها حقا، أولا لأنها جميلة بحق، وأيضا، لأن الإنجليز يتحدثون عنها كثيرا في الوقت الحالي. إنه يرى في المستقبل، وحتى الحاضر، عالما من الصحة، من الحب الجسدي الواضح، من الصداقة، من العمل، مع سماء النجوم العظيمة. شيئا، باختصار، يمكن للمرء تسميته بالله، وبالأبدية، موضوعا في مكانه فوق هذا العالم. إنها تضحكك في البداية، فهي صريحة للغاية، ثم تجعلك تفكرين، للسبب نفسه. صلاة كريستوفر كولومبوس جميلة جدا.

ما قولك عن باقة أزهار مونتيتشيلي التي عند تيو وامرأة بريفوست الإسبانية؟ ثمة لوحتان حقيقيتان عن الجنوب.

عن نفسي أفكر بمونتيتشيلي كثيرا هنا. لقد كان رجلا قويا، صغيرا، بل حتى مشروخا، حالما بأشعة الشمس والحب والبهجة، لكن مقهورًا بالفقر دائما، ذا ذوق رفيع في الألوان، رجلًا من نسل نادر، وقد أوصل لنا أفضل التقاليد العتيقة. مات في مرسيليا، بشكل محزن وقد يكون ذلك بعد أن مر بجثسمانية حقيقية. آه حسنا، أنا عن نفسي واثق أنني سأحافظ على ذكراه هنا وكأنني ابنه أو أخوه.

لقد كنا نتحدث للتو عن قدر بدا حزينا لنا. لكن أليس ثمة قدر آخر، سعيد؟ وماذا يعنينا إن كان ثمة بعث أم لا، حين نرى الرجل الحي ينهض توا في مكان الرجل الميت؟ ناهضا بالقضية نفسها، مستمرا بالعمل نفسه، حيا بطريقة الحياة نفسها، وميتا بالموت نفسه.

حين يأتي الصديق جوجان إلى هنا، ونذهب إلى مرسيليا، فأنا أنوي بشدة أن أمشي هناك على الكانبيير، مرتديا ملابسه نفسها، كما رأيت في البورتريه الخاص به، بقبعة صفراء ضخمة، وسترة قطيفة سوداء، وبنطال أبيض، وقفازات صفراء، وعصا من القصب، بطريقة جنوبية عظيمة.

وسأجد مرسيليين عرفوه حين كان حيا، وإن كنت قرأت في تارتاران ما هو الـ *fên de brût*

سنقوم بجلبة كبيرة بهذه المناسبة.

مونتيتشيلي هو رسام صنع جنوبا بالأصفر، بالبرتقالي، بالكبريت. معظم الرسامين، لأنهم ليسوا ملونين كما ينبغي، لا يرون تلك الألوان هناك، ويعلنون أن الرسام الذي يرى بأعين أخرى غير أعينهم، يكون مجنونا. (في اللوكسمبورج سترين لوحات لمونتينار ليست صفراء، ومع ذلك فأنا أحبها كثيرا، لكن من الأرجح أن يجد مونتينار ما أفعله سيئا للغاية ومثيرا لحنقه). كل هذا ممكن توقعه، بالطبع.

لذا فقد حضرت لوحة مخصوصة كلها بأصفر عباد الشمس (أربع عشرة زهرة) في مزهرية صفراء على خلفية صفراء (إنها لوحة أخرى بالإضافة إلى السابقة التي بها اثنتا عشرة زهرة على خلفية زرقاء مخضرة). وأتوقع أنه في يوم ما سأعرض هذه في مرسيليا. وسترين أنه سيكون هناك مرسيلي ما يتذكر ما قاله مونتيتشيلي ولعله في يوم ما. هل أراك تيو الصلصال السائل بعد؟ إنه جميل حقا. استمتعي بوقتك، قبلة لك.

المخلص لك أبدا،

فنسنت

٦٧٢ | آرل، السبت، ١ سبتمبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أكتب لك بضعة سطور مسرعا لأشكرك كثيرا، كثيرا بحق، على خطابك المستعجل. في الواقع، لقد أتى المؤجر ليأخذ الإيجار صباح اليوم. بالطبع، كان علي أن أخبره بقراري اليوم إن كنت سأبقى في البيت (لأنني أجرته حتى عيد القديس ميشيل، وعليك أن تجدد أو تغادر قبل هذا). لقد أخبرت المؤجر أنني سآخذ البيت ثانية لثلاثة أشهر فقط، أو من الأفضل أن أدفع شهريا. بهذه الطريقة، وعلى افتراض أن صديقنا جوجان سيأتي، لن يكون لدينا عقد إيجار طويل أمامنا إن لم يعجبه الأمر.

إنني أصاب بالإحباط مرات عديدة، مفكرا بما سيقوله جوجان عن ذلك الجزء من الريف في المدى الطويل. إن الاعتزال هنا أمر يوضع بالاعتبار، وبينما تدفع المال، سيكون عليك أن تنزع كل خطوة خارج الثلج كيما تحصل فقط على ما ستحصل عليه من يوم عمل لآخر. الصعوبة في الحصول على الموديلات قائمة، لكن الصبر، ودائما ما يساعد امتلاك بعض القروش، بالطبع. لكن هذه الصعوبة حقيقية.

أشعر بأنه وحتى في الوقت الحالي يمكنني أن أكون رساما مختلفا تماما إن كنت قادرا على حل مسألة الموديلات. لكنني أشعر أيضا بإمكانية أن أصبح غبيا وأن أرى زمن القدرة على الإنتاج الفني يختفي، تماما كما تخذلنا خصانا مع تقدم العمر. هذا أمر غير قابل للتفادي، وبالطبع، هنا أو هناك، ما يهم هو الثقة بالنفس والطرق على الحديد وهو ساخن.

وغالبا ما يصيبني اليأس. لكن جوجان والعديد من الآخرين في الوضع نفسه، ولا بد وفوق كل شيء أن نبحث عن العلاج في أنفسنا، بالإرادة والصبر. وبالرضا بأننا لسنا سوى متوسطي موهبة. وبالتصرف بهذه الطريقة، ربما سنفتح أمامنا طريقا جديدا.

أنا متحمس جدا لخطابك القادم، الذي ستخبرني فيه بشكل مطول عن زيارتك لبينج. لا يدهشني أنك قلت إنه وبعد مغادرة أختنا شعرت بخواء وفراغ. لا بد أن تملأه. وما عساه يكون المانع في أن يأتي جوجان ويعيش معك؟ بهذه الطريقة يمكنه أن يرضي نفسه في مسألة باريس بينما يعمل في الوقت ذاته.

لكن في هذه الحالة سيكون من العدل أن يعوضك باللوحات لما ستفعله من أجله. أما عنّي، فإنه حزن دائم لأنني أقوم بالقليل بالمقارنة بالمال الذي أنفقه.

حياتي بلا راحةٍ ومليئة بالقلق، لكن بتغيير البيت والتنقل كثيرا، ربما سيؤدي هذا بالأمور لأن تسوء. وكوني لا أتحدث اللغة الريفية يعقد الأمور كثيرا.

ما زلت أفكر في استخدام ألوان سميكة، والتي لن تقل في صلابتها لكونها مطحونة إلى فتات دقيق. في الحاضر غالبا ما أوقف نفسي حين أخطط للوحة، لأن الألوان تكلفنا الكثير. إن ذلك مؤسف، بأي حال، لهذا السبب، يجب أن نعمل اليوم بما أن لدينا القدرة، بينما قد تنتفي القدرة على العمل في الغد. مع ذلك، وبدلا من فقدان القوة الجسدية، فأنا أستعيدها، ومعدتي بالذات، أصبحت أقوى. إنني أرسل إليك ثلاثة مجلدات لبلزاك اليوم، إنها قديمة بحق... إلخ، لكن عمل دومييه ودو لومود

ليس قبيحا لانتمائه إلى حقبة لم تعد موجودة. في الحاضر، إنني أخيرا أقرأ "الخالد" لدوديه، والذي أجده جميلا بحق لكنه لا يقدم أي سلوى.

اظنني سيكون علي قراءة كتاب عن صيد الفيلة، أو كتاب كاذب آخر عن مغامرات مستحيلة قطعا، لجوستاف آيمارد مثلا، كيما أتجاوز انفطار القلب الذي سيسببه "الخالد". خصوصا لأنه جميل وحقيقي، في جعل المرء يشعر بخواء العالم المتحضر. يجب أن أقول إنه ومن أجل القدرة الحقيقية فأنا أفضل كتابه تارتاران. تحيات دافئة لأختنا، ومرة أخرى أشكرك على خطابك.

المخلص دوما،

فنسنت

٦٧٣ | آرل، الاثنين، ٣ سبتمبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

بالأمس، أمضيت يوما آخر مع ذلك البلجيكي، الذي له أخت بين مجموعة العشرين، لم يكن الطقس جيدا لكنه كان يوما جميلا للدردشة، ذهبنا للتمشية، ورأينا أشياء جميلة في مصارعة الثيران وخارج البلدة. تحدثنا جديا عن الخطة التي مفادها أنني إن احتفظت بسكن في الجنوب، فإن عليه أن ينشئ محطة في حقول الفحم. وأنني وجوجان وهو في حالة أن تكون أهمية التصوير سببًا للسفر، يمكننا أن نتبادل الأماكن، لنكون أحيانا في الشمال، لكن في مكان مألوف من الريف حيث نملك صديقا، وأحيانا في الجنوب. ستراه قريبا، هذا الشاب الذي له وجه دانتي، لأنه سيذهب إلى باريس، وإن كانت الغرفة متاحة فستكون قد صنعت له معروفا إن ضيّفته. إن له مظهرًا مميزًا، وستكون لوحاته مميزة أيضا، كما أظن. إنه يجب

ديلاكروا، ونكلمنا كثيرا عن ديلاكروا بالأمس، في الواقع إنه على دراية بالاسكتش العنيف لزورق المسيح.

آه حسنا، بفضله، لدي الاسكتش الأول لتلك اللوحة التي كنت أحلم بها لوقت طويل - الشاعر. لقد اتخذ وضعا لأرسمه. رأسه الجميل، بنظراته الخضراء، يقف في البورتريه على خلفية سماء زرقاء مليئة بالنجوم، ملابسه هي سترة صغيرة صفراء، وياقة من الكتان غير المصبوغ، وربطة عنق ملونة. لقد جلس مرتين لأرسمه في يوم واحد.

بالأمس استلمت خطابا من أختنا، التي رأت أشياء كثيرة، آه، لو أنها تزوجت بفنان، فلن يكون ذلك سيئا. حسنا، سيكون علينا أن نحثها على فك تعقيد شخصيتها، بدلا من قدراتها الفنية. لقد انتهيت من كتاب دوديه "الخالد"، أحب تعليق النحات فيدرين، الذي يقول إن إحراز الشهرة يشبه أن تضع طرف السيجار المشتعل في فمك. الآن أحب "الخالد" أقل بكثير من تارتاران.

تعرف، يبدو لي أن "الخالد" ليست بجمال تارتاران اللوني، لأنها، بكمية ملاحظاتها الدقيقة والذكية، تجعلني أفكر في لوحات جان بيرو المخيفة، جافة، وباردة. تارتاران من جهة أخرى، عظيمة في أصالتها، بعظمة عمل كبير، تماما مثل كانديد.

إنني أود أن أطلب منك أن تعرض دراساتي من هنا، التي لم تجف تماما بعد، إلى الهواء لأطول مدة ممكنة. إن ظلت مغلقة أو في الظلام، فستتدهور الألوان. وعليه، بورتريه الفتاة الشابة، والحصاد (منظر طبيعي عريض بالخراب في الخلفية وسلسلة جبال الألبي)، ومنظر بحري صغير، والحديقة بالشجرة الباكية والشجيرات الصنوبرية، إن استطعت وضعها في أطر للشد فسيكون ذلك جيدًا. إنني مرتبط بها بشدة.

يمكنك أن ترى بوضوح من رسم المنظر البحري الصغير أن تلك الدراسة هي أكثرهم شغلا.

لقد طلبت صناعة إطارين من البلوط، لرأس الفلاح الجديد ولدراستي عن الشاعر. آه، يا أخي العزيز، أحيانا ما أعرف تماما ماذا أريد. في الحياة كما في التصوير

أيضا، بمكنني التخلي عن الرب العزيز، لكن لا يمكنني، وأنا أهالي، أن أتخلى عن شيء أعظم من نفسي، والذي هو حياتي، القدرة على الإبداع.

وإن كنا مُثَبَّطي الهمة جسديا، فإننا نحاول أن نخلق أفكارا بدلا من الأطفال، بهذه الطريقة، نكون جزءا من الإنسانية أيضا. وفي لوحة أود أن أقول ما يعزي، مثل قطعة من الموسيقى. أود أن أصور رجالا ونساء بذلك الشيء المبهم من الأبدي، الذي كانت الهالة ترمز له، والذي نحاول أن نحرزه عبر الضياء نفسه، عبر رنين تلويناتنا.

البورتريه مكونا بتلك الطريقة لا يصبح لوحة لأري شافر، لأن ثمة سماء زرقاء خلفه، مثلما في القديس أوغسطين. لأن أري شافر هو ملوّنٌ سيئ.

لكن هذا قد يكون متماشيا مع ما كان يبحث عنه يوجين ديلاكروا ووجده في لوحته "تاسو في السجن" والعديد من اللوحات التي تصور رجلا حقيقيا. آه البورتريه، البورتريه بأفكار الموديل، بروحه، يبدو لي أنه يجب أن يأتي.

لقد تحدثنا كثيرا بالأمس، البلجيكي وأنا، عن مميزات وعيوب هذا المكان. إننا متفقان في كليهما. وعلى الفائدة الهائلة التي تنتج عن قدرتنا على التنقل في الأنحاء، مرة في الشمال، ومرة في الجنوب. إنه سيسكن مع مكنايت ثانية لأسباب متعلقة بالعيش بثمن زهيد.

مع ذلك فإن في ذلك ما ليس في صالحه، كما أظن، لأن العيش مع متبطل يجعلك متبطلا. أظنك ستستمتع بلقائه، إنه لم يزل شابا. وأظن أنه سيطلب نصيحتك حول شراء الطبعات اليابانية وطبعات دوميه الحجرية. بالنسبة لطبعات دوميه، من الجيد أن يشتري المزيد لأننا لاحقا لن نستطيع أن نجدها.

كان البلجيكي يقول إنه دفع ثمانين فرنكا مع مكنايت من أجل المبيت والعيش. العيش معا مختلف إذن، أنا عن نفسي مضطر لدفع خمسة وأربعين فرنكا شهريا من أجل المبيت وحده. وهكذا أعود دائما للحساب نفسه، أنه ومع جوجان سأنفق ما لا يزيد عما أنفقه على نفسي، وهذا دون معاناة.

أما عنهما، لا بد أن نضع في الحسبان أن منزلهما كان سيئا، ليس بالنسبة لسريريهما، لكن لإمكانية العمل في البيت.

لذا لم أزل بين تيارين من الأفكار، الأول، الصعوبات المادية، والتحول لتلك الطريق ولتلك لأبني وجودا، ثم دراسة اللون. ما زالت لدي آمال أن أجد شيئا هناك. أن أعبر عن حب حبيبين عبر تزويج لونين متكاملين، وخلطهما وتباينهما، والرنين الغامض للدرجات المجاورة. أن أعبر عن تفكير جبهة عبر سطوع درجة النور على خلفية داكنة. أن أعبر عن الأمل عبر نجمة ما. وعن الرغبة في الحياة عبر أشعة شمس غاربة. هذه بالطبع ليست تصويرا واقعيا، لكن أليست شيئا موجودا بحق؟ سأكتب أكثر قريبا، سأخبرك متى سيصل البلجيكي، لأنني سأراه ثانية غدا.

مصافحة.

المخلص لك،

فنسنت

البلجيكي قال إنهم في البيت لديهم قطعة لديجرو، اسكتش للوحة صلاة الشكر التي في متحف بروكسل.

بورتريه البلجيكي به شيء من بورتريه ريد الذي لديك فيما يخص التنفيذ.

٦٧٧ | آرل، الأحد ٩ سبتمبر، ١٨٨٨
الى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد وضعت للتو تخطيطًا للّوحة الجديدة، "مقهى ليلي" في البريد، بجوار لوحة أخرى صنعتها منذ وقت طويل. سينتهي بي الحال ربما صانعا بعض الطبعات اليابانية.

بالأمس عملت على تأثيث البيت. تماما كما أخبرني رجل البريد وزوجته، السريران، إن أردت شيئا متماسكا، سيكلفان مائة وخمسين فرنكا للواحد. وجدت أن كل ما أخبروني به حول الأسعار كان حقيقيا. وكنتيجة لهذا، كان علي أن اغير التكتيك، وهذا ما فعلته: اشتريت سريرا من الجوز وآخر من الخشب الرخيص، والذي سيكون لي، وسأصوره لاحقا.

ثم اشتريت مفارش لأحد السريرين، واشتريت مرتبتين من القش. إن أتى جوجان أو أي شخص آخر، فها هو، سريره سيعد في دقيقة. من البداية، أردت أن أرتب البيت ليس فقط من أجلي لكن لكي يكون جاهزا لاستقبال شخص آخر. بطبيعة الحال، استهلك ذلك معظم المال الذي لدي.

بما تبقى اشتريت اثني عشر كرسيا، ومرآة، وبضعة أشياء ضرورية صغيرة. ما يعني أنني في الأسبوع القادم سيمكنني الذهاب والعيش هناك. ستكون هناك غرفة جميلة لاستضافة أي شخص في الطابق العلوي، وسأزينها قدر المستطاع، كسرير امرأة، فني حقا. ثم سيكون هناك غرفة نومي، التي أود أن تكون بسيطة بشكل استثنائي، لكن أثاثها سيكون قويا وعريضا. السرير، والكراسي، والطاولة كلها من الخشب الرخيص. بالأسفل، المرسم وغرفة أخرى، مرسم أيضا، لكنها ستكون مطبخا في الوقت ذاته.

في أحد هذه الأيام سترى تصويرا للبيت الصغير نفسه، في أشعة الشمس، أو مع نافذة مضاءة وسماء مليئة بالنجوم. حينها سيمكنك أن تصدق أن لديك بيتا ريفيا هنا في آرل. لأنني متحمس لفكرة تجهيزه بطريقة ستحبها، وأنه سيكون استوديو بأسلوب مقصود به أن يكون استوديو تماما.

دعنا نقُل إنك وفي خلال عام ستأتي لتمضي العطلة هنا وفي مرسيليا، سيكون جاهزا حينها، والطريقة التي أتصوره بها، سيكون مليئا باللوحات من أعلاه لأسفله.

الغرفة التي ستنزل فيها، أو التي ستكون لجوجان إن أتى جوجان، سيكون بها ديكور من عبادات شمس صفراء كبيرة على جدرانها البيضاء. وفاتحا النافذة في الصباح، سترى الخضرة في الحدائق، والشمس الشارقة ومدخل البلدة.

لكنك سترى تلك اللوحات الكبيرة لباقات من اثنتي عشرة وأربع عشرة زهرة عباد شمس محشورة في غرفة النوم الصغيرة بسريرها الجميل وكل شيء أنيق. لن يكون شيئا عاديا.

والمرسم، وبلاطات الأرضية الحمراء، والجدران البيضاء والسقف، والكراسي الريفية، وطاولة الخشب الرخيص، مع ديكور من البورتريهات كما أرجو. ستكون لها شخصية على طريقة دوميه، وأجرؤ على توقع أنها لن تكون عادية أبدا.

الآن سأطلب منك أن تبحث عن بعض طبعات دوميه للاستوديو، وبعض الطبعات اليابانية، لكن ليس هذا عاجلا، وفقط حين تجد نسخا منها. وبعض من ديلاكروا أيضا، طبعات ليتوغراف عادية لفنانين حداثيين.

ليس الأمر عاجلا أبدا، لكن الفكرة في رأسي. أريد أن أصنع منه بيتا للفنانين، لكن ليس باهظ الثمن، على النقيض، لا شيء سيكون باهظا، لكن كل شيء من الكرسي حتى الطلاء سيكون ذا شخصية خاصة.

لهذا، اشتريت سريرين محليين، سريرين مزدوجين عريضين، بدلا من الأسرة الحديدية. يعطيان انطباعا بالصلابة، والتحمل، والهدوء، ولو أنهما احتاجا مفارش أكبر فهذا سيئ لكن يجب أن تكون ذات شخصية.

من حسن طالعي أن لدي خادمة نهارية مطيعة، ودون هذا لن أجرؤ على بدء العيش في مكاني. إنها عجوز ولديها مجموعة مختلطة من الأطفال، وتحافظ على البلاط جميلا وأحمر ونظيفا.

لن يمكنني أن أشرح لك كم سعادتي لأنني وجدت شاغلا ضخما كهذا. لأنني أرجو أن يكون ديكورا حقيقيًا ما سأفعله هناك. لذا، وكما أخبرتك سلفا، سأقوم بتصوير سريري الخاص، سيكون ثمة ثلاثة مواضيع. ربما امرأة عارية، لم أقرر، ربما مهد بطفل، لا أعرف، لكنني سأستغرق الوقت الذي أحتاجه.

الآن لم أعد أشعر بأي تردد حول البقاء هنا، لأن أفكار العمل تأتي لي بوفرة. إنني أخطط الآن أن أشتري شيئا للبيت كل شهر. ومع الصبر، سيكون البيت رائعا بالأثاث والديكور.

يجب أن أحذرك أنني قريبا سأحتاج طلبية كبيرة من الألوان للخريف، والذي أظنه سيكون رائعا. وبعد تفكير سأرسل إليك الطلبية مرفقة بهذا الخطاب.

في تصويري للمقهى الليلي حاولت أن أعبر عن فكرة أن المقهى هو مكان يمكنك تدمير النفس فيه، أن تصاب بالجنون، وترتكب الجرائم. بأي حال، لقد حاولت مع تباينات الوردي الرقيق والأحمر الدموي، والأحمر النبيذي. ولويس الخامس عشر الخفيف، والأخضر الفيروني متباينا مع الأخضر المصفر والأخضر المزرق الشديد. كل هذا في جو من الفرن الجهنمي، بكبريت باهت، لأعبر عن شيء من القوة التي في الأركان المظلمة لمتجر كحول، ومع ذلك بمظهر مبهج ياباني وبطبيعة طيبة كتارتاران.

لكن ماذا عسى السيد ترستيج يقول عن تلك اللوحة؟ هو الذي، ناظرا لسيسلي -سيسلي الذي هو أكثر الانطباعيين إحساسا وتهذيبا- قال: "لا يمكنني منع نفسي من أن أفكر أن الفنان الذي رسم هذا كان ثملا". وناظرا للوحتي، سيقول إنها حالة من الهذيان الارتجافي.

لا أجد شيئا لأعترض على ما تقوله، عن عرض شيء في مجلة إنديبندانت، ما دمت لست أعوق طريق أحد ممن يعرضون عملهم هناك. فقط سنضطر لأن نخبرهم حينها أنني أود أن أحجز معرضا ثانيا لنفسي، بعد هذا الأول الذي للدراسات فقط. حينها، سأعطيهم في العام القادم ديكور البيت ليعرضوه، حين تكون ثمة مجموعة منه. ليس أنني أصمم على هذا ولكن الأمر أن الدراسات لا يجب أن تخلط مع التكوينات، ولنقول مقدما إن المعرض سيكون معرض دراسات. لأنه ليس لدي سوى البذار ومقهى الليل كمحاولات للوحات مؤلفة.

بينما أكتب، دخل المقهى فلاح صغير يشبه كاريكاتيرا لأبينا. التشابه مدهش بأي حال. الحال المنكفئة والإنهاك والفم غير المحدد، خصوصا. لا أزال أشعر بالأسف كوني لم أستطع أن أصوره.

إنني أضيف إلى هذا الخطاب طلبية الألوان، التي ليست عاجلة. لكنني فقط مليء بالخطط، ثم إن الخريف يعد بمواضيع رائعة لدرجة أنني لا أعرف ببساطة إن كنت سأبدأ بخمس أم ست لوحات.

سيكون الشيء نفسه كما كان في الربيع، مع البساتين المزهرة، ستكون المواضيع عديدة. إن أعطيت الأب تانجي الألوان السميكة، فسيفعل هذا بشكل جيد. ألوانه الجميلة الأخرى هي من درجة أقل جودة، خاصة الدرجات الزرقاء. أتمنى، في أثناء تحضير الطلبية القادمة، أن أحصل على شيء من الجودة.

إنني أقوم بمقارنة، وسأعود له ثانية لوقت أطول. لقد ادخرت خمسين فرنكا للأسبوع الحالي، وهكذا أنفقت مائتين وخمسين للأثاث. وسوف أستعيدها بأي حال، لو استمر الحال كما هو عليه. ومن اليوم يمكنك أن تقول لنفسك إنك لديك بيت ريفي، لسوء الحظ يبعد مسافة طويلة. لكنه سيتوقف عن كونه بعيدا للغاية إن حصلنا على معرض دائم في مرسيليا. سنرى هذا بعد مرور عام، ربما. مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٦٧٨ | آرل، الأحد، ٩ ونحو الجمعة، ١٤ سبتمبر ١٨٨٨

إلي ويليماين فان جوخ (F)

أختي العزيزة،

لقد أسعدني خطابك أيما سعادة، واليوم لدي الوقت الكافي لأكتب لك ردا بهدوء وسلام. إذن فزيارتك لباريس كانت نجاحا كبيرا. سأسعد كثيرا إن أتيت إلى هنا العام القادم. في اللحظة الحالية أقوم بتأثيث الاستوديو بطريقة تسمح بضيافة أحدهم في أي وقت. لأنه ثمة غرفتان صغيرتان في الدور العلوي، تطلان على حديقة عامة جميلة،

ويمكنك رؤية الشروق في الصباح. سأرتب لكي تكون إحداهما لاستقبال صديق والأخرى لي.

لا أريد شيئا في تلك الغرفة سوى كرسي منجد بالقش وطاولة وسرير من خشب رخيص. الجدران مطلية بالجير الأبيض، والبلاط أحمر. لكنني سأضع فيها ثروة من البورتريهات والدراسات الملونة للشخوص، والتي أخطط لصناعتها بينما يمضي الوقت. لدي واحدة كبداية، بورتريه لانطباعي بلجيكي شاب، لقد صورته كشاعر، رأسه الجميل والعصبي على خلفية من السماء الليلية الزرقاء، بنجوم لامعة.

أما الغرفة الأخرى، أود أن تكون أنيقة، بسرير من الجوز وبطانية زرقاء.

والبقية، خزانة الغيار، وصندوق الأدراج أيضا، من الجوز الشاحب. أريد أن أحشو هذه الغرفة الصغيرة بست لوحات ضخمة، كما يفعل اليابانيون، خاصة باقة كبيرة من عباد الشمس. تعلمين أن اليابانيين يبحثون عن التباين بشكل غريزي، ويأكلون فلفلا محلّى، وحلويات مملحة، ومثلجات مقلية، ومقليات مثلجة. لذا أيضا، ومتبعا النظام نفسه، عليك أن تضع لوحات صغيرة جدا في غرفة كبيرة، لكن في غرفة صغيرة تضع العديد من اللوحات الضخمة.

أتمنى أن يأتي اليوم وأتمكن من أعرض عليك هذا المكان الجميل من العالم.

لقد انتهيت للتو من لوحة لداخل مقهى بالليل، مضاء بالمصابيح. بضعة متسكعين ليليين نائمين في الركن. الغرفة ملونة بالأحمر، وبالداخل، في ضوء الغاز، طاولة البلياردو الخضراء، التي ترمي بظل هائل على الأرض. في تلك اللوحة ثمة ست أو سبع درجات للأحمر، من الأحمر الدموي إلى الوردي الرقيق، متباينة مع العدد نفسه من درجات الأخضر الفاتح والداكن.

اليوم أرسلت إلى تيو رسما لها، والذي يبدو كطبعة يابانية.

تيو كتب لي قائلا إنه أعطاك بضع طبعات يابانية. إنها بالتأكيد أكثر الطرق عملية لتفهم الاتجاه الذي اتخذه فن التصوير في الوقت الحاضر. ملون وزاهٍ.

عن نفسي، لا أحتاج طبعات يابانية هنا، لأنني دائما ما أقول لنفسي إنني هنا في اليابان. وأنه وكنتيجة ليس علي سوى أن أفتح عيني وأصور ما هو أمامي مباشرة ويترك انطباعا عليّ.

هل رأيت قناعا صغيرا لامرأة يابانية سمينة مبتسمة في مكاننا؟ التعبير الذي على هذا القناع مدهش بحق.

هل فكرت في أخذ إحدى لوحاتي لنفسك؟ أتمنى ذلك، وأنا متشوق حقا لمعرفة أيها ستختارين. لقد فكرت أنك ستأخذين الأكواخ البيضاء تحت السماء الزرقاء وسط الخضرة، والتي صنعتها في سان ماري، على البحر المتوسط.

كان من الواجب أن أعود لسان ماري، الآن وقد انتشر الناس على الشاطئ. لكن بأي حال، لدي الكثير مما علي إنجازه هنا.

إنني أود حقا أن أصور سماء بنجوم الآن. يبدو لي أحيانا أن الليل أغنى لونا من النهار، ملون بأكثر البنفسجيات ودرجات الأزرق والأخضر شدة.

إن نظرت بحذر فسترين أن بعض النجوم بلون ليموني، والأخرى لها وهج وردي، وأخضر، وأزرق كزهور لا تنسني. ودون أن أشرح الفكرة، من الواضح أنه لتصوير سماء بنجوم ليس كافيا أن تضعي نقاطا بيضاء على أزرق أسود.

بيتي هنا مطلي من الخارج بأصفر الزبد الطازج، بشبابيك خضراء فاقعة، وهو معرض للشمس وفي الميدان، حيث ثمة حديقة خضراء من أشجار الدلب، والدفلى، والسنط. وفي الداخل مطلي بالجير الأبيض، والأرضية مكونة من بلاط أحمر. والسماء الزرقاء الزاهية بالأعلى. بالداخل، يمكنني أن أعيش وأتنفس، وأفكر وأصور. ويبدو لي أنه يجب أن أتعمق في الجنوب بدلا من العودة شمالا، لأن بي حاجة شديدة للحرارة الشديدة كيما يدور دمي بشكل طبيعي. إنني بصحة أفضل هنا عن باريس.

الآن ليس لدي شك بأنك أيضا ستحبين الجنوب كثيرا. إنها الشمس، التي لم تخترقنا بما يكفي قط نحن الشماليين.

لقد بدأت هذا الخطاب منذ عدة أيام ووقفت عند هذه النقطة، وسأستكمله الآن. لقد عطلني تحديدا العمل الذي منحني في الأيام الماضية لوحةً لخارج مقهى في المساء. في الشرفة، ثمة شخوص صغيرة لأناس يشربون. يضيء الشرفة فانوس أصفر ضخم، والواجهة، والرصيف، بل ويسقط الضوء على حجارة الطريق، التي تأخذ صبغة بنفسجية وردية. جمالونات البيوت في شارع ممتد تحت سماء زرقاء مرصعة بالنجوم، زرقاء غامقة، أو بنفسجية، مع شجرة خضراء. الآن ثمة لوحة لليل دون أسود. دون شيء سوى أزرق جميل، وبنفسجي، وأخضر، وفي هذه الأنحاء يكون لون الميدان المضاء بالكبريت الشاحب، والأخضر الليموني. إنني أستمتع كثيرا بالتصوير في تلك البقعة ليلا. في الماضي اعتادوا أن يرسموا ويصوّروا اللوحة من رسم نهاري. لكنني أجده مناسبا لي أن أصور الشيء مباشرة. من الممكن أن أظن الأزرق أخضر في الظلمة، أو الأزرق الليلكي، ورديا ليلكيا، لأنك لا يمكنك تحديد طبيعة الدرجة بوضوح. لكنها الطريقة الوحيدة للهروب من أسود الليل التقليدي، مع الضوء الشاحب الفقير المبيض، بينما ضوء شمعة فقط كافٍ ليعطينا أغنى درجات الأصفر والبرتقالي. لقد صنعت أيضا بورتريها شخصيا، كدراسة، أبدو فيه كياباني. لم تخبريني قط إن كنت قد قرأت كتاب جي دو موباسان "الصديق الطيب"، وكيف ترين موهبته عموما؟ أقول هذا لأن بداية "الصديق الطيب" هي تحديدا وصف لسماء بنجوم في باريس، مع المقاهي المضاءة في البوليفار، وهي شيء مشابه للموضوع الذي صورته الآن.

بالحديث عن جي دو موباسان، أجد ما يفعله جد جميل، وأنصحك حقا بقراءة كل ما كتبه. زولا، وموباسان، ودو جونكور، يجب على المرء أن يقرأهم بأكثر ما يستطيع من عمق كيما يحصل على فكرة جيدة وواضحة عن الرواية الحديثة. هل قرأت بلزاك؟ إنني أقرؤه ثانية هنا.

أختي العزيزة، أعتقد أننا في الحاضر يجب أن نصور جوانب الطبيعة الغنية والرائعة، نحتاج لحماس جيد وسعادة، أمل وحب. كلما صرت أقبح، وأكبر سنا، وأبخل، وأكثر مرضا، وأفقر، وددت أن أنتقم بعمل ألوانٍ ساطعة، مرتبة جيدا،

وهاجة. الجواهريون عجزة وقبيحون أيضا، ويعرفون كيف يرتبون الأحجار الكريمة جيدا. وترتيب الألوان في لوحة لجعلها تتلألأ وتبرز عبر تبايناتها، هذا يشبه ترتيب الجواهر، أو تصميم الأزياء. سترين الآن أنه بالنظر إلى الطبعات اليابانية بانتظام ستستمتعين بتنميق الزهور في الباقات أكثر، والعمل وسط الزهور. لا بد أن أنهي هذه الرسالة إن كنت سأرسلها اليوم. سيسعدني كثيرا أن أحصل على صورة أمنا الفوتوغرافية التي ذكرتِها، لذا لا تنسي إرسالها إلي. أوصلي تحياتي الحارة لأمنا، أفكر فيكما دائما، وأنا حقا سعيد لأن حياتنا أفضل الآن. أخشى أن تيو سيشعر بالوحدة. لكن في أحد تلك الأيام سيكون هناك رسام انطباعي بلجيكي الذي ذكرته أعلاه، وسيمضي بعض الوقت في باريس. وسيكون هناك العديد من الرسامين الآخرين الذين سيعودون لباريس بدراساتهم التي صنعوها في الصيف.

أقبلك بحب، وأمي أيضا.

المخلص لك أبدا،

فنسنت

٦٨٣ | آرل، الثلاثاء ١٨ سبتمبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد كتبت لك بالفعل مبكرا في هذا الصباح، ثم ذهبت للعمل على لوحة لحديقة مشمسة. ثم أحضرتها معي، وذهبت للخارج ثانية مع قماشة خالية وانتهيت منها أيضا. والآن أشعر أنني أريد أن أكتب إليك ثانية.

لأنني لم أحظ قط بحظ جيد، فالطبيعة هنا جميلة بشكل استثنائي. كل شيء، وكل مكان. قبة السماء زرقاء بجمال، الشمس لها ضياء كبريتي شاحب، ناعم

وساحر، مثل تركيبة درجات الأزرق السماوي والأصفر في لوحات فرمير الديلفتي. لا يمكنني أن أصور بجمال ذلك، لكنني أغرق في الجمال لدرجة أنني أترك لنفسي العنان دون التفكير بأي قاعدة.

هذا يعطيني ثلاث لوحات للحديقة المواجهة للبيت، ثم المقهيين، ثم عباد الشمس، ثم بورتريه بوش، وبورتريهًا شخصيًا، ثم الشمس الحمراء فوق المصنع والرجال يفرغون الرمال، والطاحونة القديمة. تاركا الدراسات الأخرى جانبا، يمكنك أن ترى أنني كددت وانتهيت من أعمال كثيرة.

لكن ألواني، وقماشاتي، ومحفظة نقودي كلها استهلكت اليوم. آخر لوحة، مصنوعة بآخر أنابيب الألوان على آخر قماشة، هي بطبيعة الحال حديقة خضراء، ملونة دون أخضر، دون شيء سوى الأزرق البروسي والكروم الأصفر. لقد بدأت أن أشعر بشكل مختلف عما كنت أشعر به حين جئت إلى هنا، ليست لدي شكوك، ولم أعد أتردد في تناول أي موضوع، وقد يزيد هذا لأبعد من ذلك.

لكن أي مشهد! إنها حديقة عامة حيث أعيش، مباشرة بالقرب من شارع السيدات الطيبات الصغيرات، وموريير على سبيل المثال، لم يذهب إلى هناك قط، بينما اعتدنا التمشية في هذه الحدائق يوميا، لكن من الجهة الأخرى (ثمة ثلاث منها). لكنك ستفهم أن ذلك تحديدا يعطي ذلك الشيء الغامض الخاص ببوكاتشيو للمكان. هذا الجانب من الحديقة أيضا، لسبب العفة أو الأخلاق نفسه، خالٍ من الشجيرات المزهرة مثل الدفلى، إنها أشجار دلب عادية، وصنوبرات في كتل طويلة، وشجرة باكية، وعشب أخضر. لكنها جد حميمة! ثمة حدائق كهذه صورها مونيه.

ما دمت قد أمكنك أن تتحمل ثقل الألوان، والقماش، والمال الذي أضطر لإنفاقه، فاستمر في إرسالها لي. لأن ما أحضّره سيكون أفضل من الطلبية الأخيرة، وصدقني حين أقول إننا سنكسب ولن نخسر فيها، إن استطعت عمل مجموعة يمكنها أن تتماشى معا. وهو ما أحاول فعله.

لكن هل من المستحيل تماما على توماس أن يقرضني مائتين أو ثلاثمائة فرنك على دراساتي؟ سيعني هذا أنني سأربح أكثر من ألف منها، لأنني لا يمكنني أن أخبرك كفاية، أنني مفتون، مفتون، مفتون بما أراه.

وهذا يصيبك بأشواق الخريف، وهو حماس يعني أن يمر الوقت دون أن تشعر به. حذار من الصباح التالي، حذار من ميسترال الشتاء.

اليوم، بينما أعمل، فكرت كثيرا ببرنار. خطابه مليء بتبجيل لموهبة جوجان، يقول إنه يجده فنانا عظيما لدرجة أن الأمر يخيفه، ويجد أن كل ما يفعله هو، برنار، سيئ بالمقارنة بجوجان. وأنت تعرف أنه في الشتاء الماضي كان برنار لا يزال يحاول أن يتعارك مع جوجان. آه حسنا، مهما يكن، ومهما يحدث، فمما يعزيني أن أولئك الفنانين أصدقاء لنا، وأجرؤ على الاعتقاد بأن تلك الحال ستستمر، مهما يحدث.

لدي حظ جميل مع البيت، مع العمل، لدرجة أنني أجرؤ على الاعتقاد بأن البركات لا تأتي فرادى، وأنك أيضا ستنال نصيبك منها، وتحظى بحسن الطالع أيضا. لقد قرأت منذ فترة مقالا عن دانتي، وبترارك، وبوكاتشيو، وجيوتو، وبوتيتشيلي، يا إلهي، يا له من انطباع ذلك التي تركته علي، قارئا حروف هؤلاء! لقد كان بترارك يعيش قريبا من هنا، في أفنيون، وأنا أرى السرو والدفلى نفسه.

لقد حاولت أن أضع شيئا من هذا في الحدائق، ملونة بألوان سميكة، أصفر ليموني وأخضر ليموني. جيوتو هو أكثر ما مسني، يعاني دائما وممتلئ دائما بالطيبة وحب الحياة كأنه يحيا في عالم آخر غير هذا.

جيوتو استثنائي، بأي حال، وأشعر به أكثر من الشعراء، دانتي، وبترارك، وبوكاتشيو. طالما بدا لي أن الشعر أشنع من التصوير، على الرغم من أن التصوير أكثر وسخا وإزعاجا بحق اللعنة. وبوضع كل شيء في الحسبان فإن الرسام لا يقول شيئا، يظل صامتا، وذلك أفضل جدًا.

عزيزي تيو، حين ترى السرو، والدفلى، والشمس هنا، وهذا اليوم سيأتي لا تقلق، ستفكر أكثر بالأعمال الجميلة لبوفي دو شافان: الأرض السعيدة، والعديد من الأعمال الأخرى.

في نواحي تارناران ونواحي دوميه من هذا الجزء الطريف من البلاد، حيث يتحدث الناس الطيبون بلكنة تعرفها، ثمة الكثير مما هو يوناني بالفعل، وثمة فينوس آرل، مثل تلك الخاصة بليسبوس، ويمكنك الشعور بذلك الشباب، على الرغم من كل شيء. لا شك لدي أنه في يوم ما ستعرف الجنوب أنت أيضا.ربما ستذهب لترى كلود مونيه حين يكون في أنتيب، أو ستجد فرصة بأي حال.

حين تهب الميسترال، تكف الأرض عن أن تكون سعيدة هنا، لأن الميسترال هي حقا ريح تضعضع كل شيء. لكن يا له من تعويض، يا له من تعويض حين يمر يوم دون ريح. يا لحدة الألوان، يا للهواء النقي، يا للحيوية الهادئة. بالغد سأرسم حتى تصل الألوان. لكن الآن قد وصلت إلى نقطة قررت فيها ألا أرسم لوحة بالفحم ثانية. لا طائل من هذا، يجب أن تتناول الرسم بالألوان نفسها كيما ترسم جيدا.

آه، المعرض الذي في مجلة إنديبندانت، حسنا، لكن مرة وللأبد، إننا مدخنون مخضرمون ولن نضع السيجار في أفواهنا من الجهة الخطأ.

سنضطر لمحاولة البيع، كيما نكون قادرين على أن نفعلها ثانية، بأحسن من المرة الأولى، الأشياء نفسها ستكون مبيعة، هذا لأننا في صنعةٍ لعينة، لكن دعنا نبحث عن شيء غير بهجة البلدة، والتي تعني الحزن في البيت.

هذا المساء كان لدي جمهور خاص، أربعة أو خمسة قوادين ودستة من الأطفال الذين وجدوا من المثير رؤية الألوان تخرج من الأنابيب. آه، حسنا، هذا النوع من الجمهور، هذه هي الشهرة، أو بالأحرى، لدي نية ثابتة لأقلب أنفي على الطموح والشهرة، مثل أولئك الأطفال وأولئك الأشرار من ضفاف الرون، وشارع دو بوت دآرل.

كنت عند ميه اليوم، سيأتي غدا، بعد أن مدد إقامته لأربعة أيام. أود أن يذهب برنار ليؤدي خدمته العسكرية في أفريقيا، لأنه سيفعل أشياء جميلة هناك، ولا أزال لا أعرف ماذا أقول له. قال إنه سيبادل بلبورتريه له إحدى دراساتي. لكنه قال إنه لا يجرؤ على رسم جوجان، كما طلبت منه، لأنه يشعر بخجل كبير من جوجان. برنار

مزاجي للغاية!! أحيانا ما يكون مجنونا وشريرا، لكنني لست بمن يلومه على ذلك، لأنني أعرف ذلك العصاب بنفسي، وأعرف أنه لن يلومني أيضا. لو ذهب ليرى مييه في أفريقيا، فمييه سيصادقه بالتأكيد. لأن مييه شخص مخلص كصديق، وهو يحب بسهولة لدرجة أنه يكره الحب.

ماذا يفعل سورا الآن؟ لن أجرؤ على أن أريه الدراسات التي أرسلتها بالفعل، لكن تلك التي لعباد الشمس والحانات والحدائق، هذه أود أن يراها، أحيانا أفكر بنظامه، على الرغم من ذلك لن أتبعه أبدا، لكنه مُلوِّنٌ أصلي، والشيء نفسه بالنسبة لسينياك، لكن لدرجة مختلفة، التنقيطيون قد وجدوا شيئا جديدا، وأنا أحبهم كثيرا ما زلت. لكنني، أقولها بوضوح، أنا عائد لما كنت أبحث عنه قبل المجيء لباريس، ولا أعرف إن قام أحد قبلي بالحديث عن اللون الإيحائي. لكن ديلاكروا، ومونتيتشيلي، دون الحديث عنه، فعلاه.

لكنني عدت لحالي التي كانت في نيونن، حين حاولت دون طائل أن أتعلم الموسيقى، حتى حينها، شعرت باتصال قوي بين اللون وموسيقى فاجنر. الآن الأمر حقيقي، أرى في الانطباعية بعثا ليوجين ديلاكروا، لكن التفسيرات متشعبة ومتضادة بشكل ما، لن تكون الانطباعية هي من يشكّل التعاليم. إن ذلك هو سبب بقائي بين الانطباعيين، لأن ذلك لا يقول شيئا ولا يلزمك بشيء. وكوني هناك كرفيق، ليس علي أن أوضح موقفي.

يا إلهي، عليك أن تمارس دور الأحمق في الحياة، كل ما أطلبه هو الوقت للدراسة، وأنت، هل تطلب شيئا غير ذلك؟ لكنني أشعر أنك لا بد، مثلي، تائق للسلام والهدوء المطلوبين كي تدرس بعقل منفتح.

وأخشى أنني أنزع منك هذا بطلباتي للمال.

بأي حال، إنني أقوم ببعض الحسابات، وبالفعل اليوم وجدت أنني حسبت الألوان بالشكل الصحيح بالنسبة لعشرة أمتار من القماش، عدا واحدا، الأصفر الأساسي. لو نفدت كل ألواني في الوقت نفسه، أليس هذا دليلا على أنني يمكنني

الشعور بتناسباتها مثل شخص يسير وهو نائم؟ إنها تلك الطريقة مع الرسم، لا أقيس أبدا، وفي هذا أنا على النقيض تماما من كورمون، الذي يقول إنه إن لم يقس فسيرسم كالخنزير.

أظنك أحسن صنعا بأي حال، بشرائك العديد من أطر الشد، لأنك مضطر للحصول على عدد معين كي تجفف اللوحات تماما، ما يحفظها، وأنا أيضا لدي مجموعة كاملة منها هنا. لكنك يجب ألا تتردد بنزعها من الأطر الشادة، بحيث لا تشغل مساحة كبيرة.

هنا أدفع فرنكا ونصفًا للأطر مقاس ثلاثين، وخمسة وعشرين، وعشرين، وفرنكا لرقم خمسة عشر، واثني عشر، وعشرة. إن جعلت نجارا يصنعها. وبما أن النجارة باهظة الثمن هنا، يمكن لتانجي أن يمدنا بها إن وافق على السعر نفسه. إنني أبحث عن إطار من خشب الجوز الخفيف، بخمسة فرنكات، للقماشة رقم ثلاثين المربعة، وأظنني سأحصل عليه. وإطار من البلوط الثقيل للقماشة رقم عشرة، بورتريه، سيكلفني أيضا خمسة فرنكات.

اضطررت أيضا لطلب خمسة أطر مقاس ثلاثين للقماشات الجديدة، والتي صنعت بالفعل وعلي التقاطها من النجار. هذا سيثبت لك أنني لا يمكن أن أكون دون مال في هذه الفترة من العمل.

ثمة سلوى في أننا دائما بين مواد أولية، ولسنا نهوم بل نحاول الإنتاج. وبهذا لا يمكننا أن نضل الطريق.

أتمنى أن يكون الأمر كذلك، وإن كنت قد وقعت في الضرورة التي لا يمكن تفاديها لنفاد ألواني وقماشي ومحفظة نقودي، يمكنك أن تكون واثقا أن تلك ليست الطريقة التي سينتهي بها أمرنا.

حتى لو كنت من طرفك تستهلك محفظتك وما بها، حقا، فهذا أمر سيئ، لكن قل لي بهدوء: لم يبق شيء، حينها سيكون ثمة مزيد، بسبب ما فعلته أنا بالمال.

لكن، ستقول لي محقا، ماذا عن الوقت الحالي؟ في الوقت الحالي، سأرسم، لأنه من الأنسب ألا أفعل شيئا سوى الرسم بدلا من التصوير. أصافحك بشدة. يا لها من أيام نعيشها، ليس بسبب الأحداث، لكنني أشعر بقوة بأننا لسنا متهتكين، أنت وأنا، ولم ينته أمرنا بعد، ولن يفعل، في الزمن القادم.

لكنك تعرف أنني لا أناقض النقاد الذين يقولون إن لوحاتي ليست منتهية. أصافح يدك، وسأكتب أكثر قريبا.

المخلص لك،

فنسنت

لقد قرأت كتاب ريتشبيان، وسيزارين أيضا، أحب ما تقوله المرأة المجنونة، كل الحياة هي معادلات مبنية جيدا.

٦٨٦ | آرل، الأحد، ٢٣ أو الاثنين، ٢٤ سبتمبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

الطقس الرائع للأيام الماضية اختفى واستُبدل به الوحل والمطر. لكنه سيعود مرة أخرى بالتأكيد قبل الشتاء.

وستكون المسألة هي الاستفادة منه، لأن الأيام الجميلة قصيرة، خاصة للرسم. أخطط للقيام بالكثير من الرسم هذا الشتاء. لو أن بإمكاني رسم الشخوص من الذاكرة، فسيكون لدي دائما ما أفعله، لكن، خذ شخصا لأحد أمهر الفنانين الذين يصنعون الاسكتشات من الحياة، هوكوساي، ودومييه، بالنسبة لي الشخص لا يكون أبدا هو الشخص المصور من موديل من قبل هؤلاء الأساتذة، أو أساتذة البورتريه.

آه حسنا، إن كنا نواجه بقلة عدد الموديلات دائما، وخاصة الموديلات الذكية، لا يجب أن نيأس أو ننهك من الصراع بسبب ذلك.

لقد رتبت كل الطبعات اليابانية في الاستوديو، وكل لوحات دوميه وديلاكروا وجيريكوه. إن وجدتَ لوحة ديلاكروا "بابيتا" أو لوحة لجيريكوه، أحثك على شراء أكبر عدد منها.

شيء آخر أود لو أحصل عليه للاستوديو، هو عمل ميبه "عمال الحقول"، ونقش ليرا للبذّار الذي يبيعه ديوراند رويل مقابل فرنك وربع الفرنك. وأخيرا النقش الصغير لجاكمارت عن ميسيونيه "القارئ".

وهو عمل ميسيونير الذي طالما وجدته جميلا. لا يمكنني أن أتوقف عن حب أعمال ميسيونير.

إنني أقرأ مقالا عن تولستوي في مجلة دي ديو موند، يبدو أن تولستوي مهتم للغاية بدين الناس. مثل جورج إليوت في إنجلترا.

يقال إن ثمة كتابًا دينيًا لتولستوي، أظنه بعنوان "ديني"، لا بد أنه جميل جدا. مما قرأته في المقال، يبحث فيه عما سيبقى حقيقيا للأبد في دين المسيح، وعما تشترك فيه كل الأديان، يبدو أنه لا يعترف ببعث الروح ولا الجسد، لكنه يقول مثل العدميين إنه وبعد الموت لا يوجد شيء، لكن بينما يموت الإنسان حقا، فإن الإنسانية تبقى للأبد.

بأي حال، بما أنني لم أقرأ الكتاب نفسه، لا يمكنني أن أحدد ما يقوله عن الأمر، لكنني أظن أن دينه لا يمكن أن يكون بشعا ويزيد عذابنا، لكن على النقيض، لا بد أنه مواسٍ ولا بد أنه يلهم السكينة، والطاقة، والشجاعة على العيش، وأشياء أخرى كثيرة.

أجد بين نسخ بينج رسم "نصل العشب" والقرنفلات، وعمل هوكوساي، جميلة.

لكن مهما يقُل المرء، بالنسبة لي، فإن الطبعات اليابانية العادية، الملونة بدرجات مسطحة، جميلة للسبب نفسه الذي أجد لوحات روبنز والفيروني جميلة له.

أعرف تماما أن ذلك ليس فنا قديما. لكن حقيقة أن الفن القديم جميل ليست سببا لكي أقول، كما صار من العادة، "حين أذهب للّوفر لا يمكنني تجاوز الفن القديم".

افترض أن يقال لجامع فن ياباني جاد، لليفي نفسه، سيدي، لا يمكنني أن أتوقف عن قول إن تلك الطبعات اليابانية التي ثمنها خمسة قروش جميلة.

من الأرجح أن ذلك الشخص سيصدم وسيشفق على جهلي وذوقي السيئ.

تماما كما كان في الماضي ذوقا سيئا أن تحب روبنز، وجورداين، وفيرون.

أظنني سأتوقف عن الشعور بالوحدة في البيت في يوم ما، وأنني في أيام الشتاء ذات الطقس السيئ مثلا، وفي الأمسيات الطويلة، سأجد شغلا يستغرقني تماما.

إن النساجين، وصناع السلال، يمضون الموسم كاملا وحيدين، أو وحيدين تقريبا، ويكون عملهم هو تسليتهم الوحيدة.

لكن ما يجعل هؤلاء يبقون في مكانهم هو الشعور بالبيت، الطمأنينة، والألفة مع الأشياء. بالطبع أود أن تكون لدي رفقة، لكن إن لم أحصل عليها فلن أكون تعيسا لهذا السبب، وحينها، وفوق كل شيء، سيأتي الوقت حين يكون لدي أحدهم. لا شك لدي في ذلك. والآن في بيتك أيضا، أظن أنه إن أراد المرء ضيافة الناس فيمكنه أن يجد العديد بين الفنانين، الذين يشكل السكن بالنسبة لهم مشكلة عويصة.

بالنسبة لي، أظن أنه من الواجب علي أن أحاول كسب المال بعملي، لذا أرى عملي سابقا لي.

آه، لو كان لكل الفنانين كفاية مما يعينهم على العيش، والعمل، لكن تلك ليست الحال، أود أن أنتج، وأن أنتج كثيرا، بتصميم وجهد شديد. وربما سيأتي اليوم الذي نوسع فيه عملنا ونكون أكثر تأثيرا على الآخرين. لكن ذلك طريق طويل، وثمة الكثير من العمل الذي يجب أن ننجزه أولا.

لو كنا نعيش في زمن الحرب، فسيكون علينا أن نقاتل، وسنحزن كثيرا، وسنتأسى على كوننا لسنا في زمن السلم، لكن بأي حال، وبسبب الضرورة، سيكون علينا أن نقاتل.

وعلى المنوال نفسه، لا بد أن من حقنا أن نتمنى وضعا لا نكون فيه في حاجة إلى المال كي نعيش. بأي حال، وبما أن كل شيء يحدث بالمال الآن، فلا بد أن نفكر في الحصول عليه بينما ننفقه. لكنني لدي فرصة أكبر لصناعة المال من التصوير بدلا من الرسم.

باختصار، ثمة العديد ممن يمكنهم بمهارة صناعة الكروكيات، أكثر ممن يمكنهم التصوير بحرية والذين يحيطون بالطبيعة من وجهة نظر اللون. سيكون ذلك دائما أندر، وحتى إن كانت اللوحات ستحظى بالإعجاب ببطء، فستجد جامع لوحات في يوم ما.

لكنني أظن أنه وبالنسبة للوحات الملونة بألوان سميكة، فستحتاج لأن تجف هنا.

لقد قرأت أن لوحات روبنز التي في أسبانيا ظلت أغنى في اللون من تلك التي في الشمال. الحطام، المعرَّض للهواء الطلق، يبقى أبيض هنا، بينما في الشمال يتحول إلى الرمادي، ويتسخ، ثم يسودّ... إلخ. يمكنك أن تثق أن لوحات مونتيتشيلي إن كانت قد جفت في باريس لكانت باهتة الآن.

لقد بدأت برؤية جمال النساء بصورة أفضل هنا، ودائما، دائما أفكر بمونتيتشيلي.

اللون يلعب دورا هائلا في جمال النساء هنا، لا أقول إن أشكالهن ليست جميلة، لكنها ليست مكانا للجمال المحلي. إنها الخطوط العريضة للزي المليء بالألوان، مُرتدىً بشكل جيد، ودرجة اللحم اللونية أكثر من شكله. لكنني سأواجه الصعوبات قبل أن يمكنني أن أصورهن بالطريقة التي بدأت أن أشعر بهن بها. لكن ما أنا واثق منه هو أنني سأحرز تقدما في أثناء مكوثي هنا. وليست المهارة كافية لصناعة لوحة حقيقية عن الجنوب. بل النظر إلى الأشياء لفترات طويلة هو ما ينضجك ويجعلك تفهمها بشكل أعمق.

لم أفكر قط حين غادرت باريس أنني سأجد أن مونتيتشيلي وديلاكروا حقيقيان بهذا الشكل. الآن فقط، وبعد شهور وشهور، بدأت بإدراك أنهما لم يتخيلا أي شيء.

وأظنك في العام القادم سترى المواضيع نفسها: البساتين، والحصاد، لكن بلون مختلف علاوة على كل شيء، وتنفيذ مختلف. وسيستمر هذا، هذه التغييرات والتنويعات. حتى في أثناء العمل، لا أشعر أن علي التعجل. بعد كل شيء، ماذا ستكون نتيجة تطبيق المقولة القديمة بأن على المرء الدراسة لعشرة أعوام تقريبا ثم يبدأ بإنتاج بضع لوحات للشخوص؟ هذا ما فعله مونتيتشيلي. فكر في عدة مئات من لوحاته كدراسات ليس أكثر.

ثم إن الشخوص مثل المرأة الصفراء، ومثل المرأة بالمظلة، ومثل الصغيرة التي لديك، والأحباء التي لدى ريد، هذه شخوص كاملة، والتي لا يمكنك سوى الإعجاب بها فيما يخص الرسم. لأن مونتيتشيلي هناك ينجز طريقة للرسم غنية وفائقة مثل دوميه وديلاكروا. وبالتأكيد سيكون شراء مونتيتشيلي بأسعاره الحالية فكرة ممتازة. سيأتي اليوم حين تعتبر شخوصه المرسومة جيدا فنا عظيما.

أعتقد أن بلدة آرل كانت مجيدة في يوم ما بسبب جمال نسائها، وجمال زيها التقليدي. الآن كل شيء يبدو مريضا وباهتا فيما يخص الشخصية. لكن إن نظرت لمدة طويلة، ينكشف السحر العتيق. ولهذا السبب أعرف أنني لا أخسر شيئا البتة بمكوثي حيث أنا، وأرضي نفسي برؤية الأشياء تمر مثل العنكبوت في شباكه منتظرا الذباب.

لا يمكنني دفع أي شيء للحدوث، وبما أنني مستقر الآن يمكنني أن أستغل كل الأيام الجميلة، وكل الفرص لأصطاد لوحة حقيقية من آن لآخر.

ميبه محظوظ، لديه كل الآرليات اللائي يريد، لكنه لا يمكنه تصويرهن، إن كان رساما لم يكن ليجد أيا منهن. لا بد أن أنتظر وقتي الآن، دون استعجال أي شيء. لقد قرأت مقالا عن فاجنر، الحب في الموسيقى، كتبه شخص كتب كتابا عن فاجنر كما أظن. كم نحتاج الشيء ذاته في التصوير!

يبدو أنه في كتاب "ديني" يقترح تولستوي أنه مهما يحدث في الطريق لثورة عنيفة، فسيكون أيضا ثمة ثورة سرية، خاصة في الناس، والتي سيولد منها دين جديد، أو بالأحرى شيء مختلف تماما، ولن يكون له اسم ولكنه سيحوز التأثير

المعزي نفسه، الذي يجعل الحياة ممكنة، الذي كان للدين المسيحي في يوم ما. يبدو لي أن الكتاب لا بد مثير للاهتمام. سنتحلى بما يكفي من التهكم، والتشكك، والسخرية، وسنريد الحياة، بشكل أكثر موسيقية. كيف سيحدث هذا، وماذا سنجد؟ سيكون من المشوق محاولة توقع هذا، لكنه من الأفضل حتما أن نشعر بما سيكون عليه الحال، بدلا من ألا نرى في المستقبل سوى الكوارث، والتي مع ذلك بالتأكيد ستسقط على العالم الحديث والحضارة مثل الصواعق، عبر الثورة أو الحرب أو إفلاس الحكومات البالية.

إن درسنا الفن الياباني، فسنرى رجلا، حكيما بلا شك، وفيلسوفا وذكيا، يمضي وقته، فيم؟ دارسا المسافة بين الأرض والقمر؟ لا، دارسا سياسات بسمارك؟ لا، إنه يدرس عودًا واحدا من العشب.

لكن عود العشب ذاك يؤدي به لرسم كل النباتات، ثم المواسم، والملامح العريضة للمناظر الطبيعية، وأخيرا، الحيوانات، ثم الشخص الإنساني. يمضي حياته هكذا، والحياة أقصر من أن تفعل كل شيء.

فكر بهذا فقط، أليس يكاد يكون دينا جديدا ما يعلموننا إياه هؤلاء اليابانيون، البسيطون للغاية والذين يعيشون في الطبيعة كما لو كانوا أنفسهم زهورا؟

ولن يمكننا دراسة الفن الياباني، كما يبدو لي، دون أن نصبح أسعد وأمرح، وهو يجعلنا نعود للطبيعة على الرغم من تعليمنا وعملنا في عالمنا التقليدي.

أليس من المحزن أن مونتيتشيلي وحتى الآن لم يتم نسخه في طبعات حجرية جميلة أو نقوش حيوية؟ أود أن أرى ماذا سيقوله الفنانون لو أن حفارا مثل الذي حفر أعمال فيلاسكيز صنع نقوشا جميلة لهم. وليكن ذلك ما يكون، فأنا أظن أنه من واجبنا أن نحب ونعرف الأشياء بنفسنا بدلا من تعليمها للآخرين. لكن الشيئين يتماشيان معا. أغبط اليابانيين على الوضوح الشديد الذي يتحلى به كل شيء في عملهم. لا يبهت أبدا، ولا يبدو مصنوعا على عجل أبدا. عملهم ببساطة التنفس، ويصنعون الشخص بعدة ضربات واثقة بالسهولة نفسها لإغلاق أزرار صديريتك. آه،

يجب أن أتمكن من عمل شخص بعدة ضربات. سيبقيني هذا مشغولا طوال الشتاء. بمجرد أن أحصل على هذا، سأقدر على رسم الناس الذين يتمشون في البوليفارات، والشوارع، جيش من المواضيع الجديدة. بينما أكتب لك تلك الرسالة، رسمت دستة منهم. إنني على الطريق لإيجادها. لكنها معقدة جدا، لأن ما أبحث عنه، هو أنه وبعدة ضربات، شخص رجل، امرأة، طفل، حصان، كلب، يصبح له رأس، وجسد، وأرجل، وأذرعة متناسقة. سأكتب أكثر قريبا، مصافحة جيدة.

المخلص دوما،

فنسنت

٦٨٩ | آرل، الأربعاء، ٢٦ سبتمبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

إنني واع بأنني كتبت لك بالأمس فقط، لكن اليوم كان جميلا للغاية مرة أخرى. حزني العظيم هو أنك لا ترى ما أراه هنا. من السابعة صباحا جلست أمام شيء هو بعد كل شيء ليس بتلك الخصوصية، شجيرة أرز أو سرو، مزروعة في العشب. أنت تعرف تلك الشجيرة الدائرية بالفعل، بما أنك لديك دراسة الحديقة. بالمناسبة، متضمنا بالرسالة تجد كروكيا للوحتي، رقم ثلاثين مربعة.

الشجيرة بالأخضر المرقش، مخضب قليلا بالبرونزي، العشب أخضر للغاية، فيروني مخضب بالليموني، السماء زرقاء للغاية.

خط الشجيرات في الخلفية هو من الدفلى المنتشرة بجنون. تلك النباتات اللعينة تزهر بطريقة يمكنها معها أن تصاب بالترنح الحركي! وهي مغطاة بالزهور الطازجة،

ثم كتل من الزهور الباهتة، أوراقها مستمرة في إعطاء براعم جديدة، لا تنضب كما يبدو.

سروة حزينة، سوداء تماما، تقف أمامها وعدد من الشخوص الملونة الصغيرة تتمشى عبر درب وردي.

نصنع لوحةً مكمِّلةً للوحة أخرى من مقاس ٣٠ للمكان نفسه، لكنها من منظور مختلف تماما، والذي فيه تلونت الحديقة كلها بأخضر مختلف تحت سماء صفراء ليمونية شاحبة. لكن أليس حقيقيا أن تلك الحديقة لها هيئة غريبة تعني أن بإمكانك تخيل شعراء النهضة، دانتي، وبيترارك، وبوكاتشيو يتمشون بين تلك الشجيرات على العشب المزهر؟ صحيح أنني تركت بعض الأشجار، لكن ما حفظته في التكوين هو كذلك حقا. هم فقط جعلوها مزدحمة بعدد من الشجيرات التي ليست من شخصيتها، ولكي أجد تلك الشخصية الحقيقية والأساسية، فإن هذه هي المرة الثالثة التي أصور فيها البقعة ذاتها.

الآن هذه هي الحديقة التي تقبع أمام منزلي مباشرة. لكن ركن الحديقة هذا هو مثال جيد على ما كنت أخبرك به، أنه وكي تجد الشخصية الحقيقية للأشياء هنا، عليك أن تنظر إليها وتصورها لوقت طويل جدا. ربما لأنك سترى من الاسكتش وحده أن الخط بسيط الآن. مرة ثانية، التصوير سميك وثقيل، مثل اللوحة التي تكملها بالسماء الصفراء.

بالغد آمل أن أعمل مع ميبه ثانية. اليوم عملت ثانية من السابعة صباحا حتى السادسة مساء دون أن أتحرك عدا لكي آكل شيئا على بعد رمية حجر. ولهذا يجري العمل سريعا.

لكن ماذا عساك تقول عن هذه، كيف ستبدو لي أيضا بعد مرور بعض من الوقت؟

في اللحظة الحالية، عقلي صافٍ، أو ربما أنا أعمى عمى المحبين عن عملي.

ولأن كوني محاطًا بالألوان شيء جديد علي، ويحمسني بشكل استثنائي. لا يزورني التعب، يمكنني أن أصنع لوحة أخرى الليلة حتى، وأحضرها إلى البيت.

سأخبرك أنه من الضروري والعاجل أن أستلم

٦ أنبوب كبير من الكروم الليموني الأصفر

٦ "" "" من الأخضر الفيروني

٣ "" "" الأزرق البروسي

١٠ "" "" الزنك الأبيض

أنابيب كبيرة مثل الأبيض الزنكي والفضي.

لذا ستخصم هذه التي أعلاه من طلبية الأمس.

أيضا خمسة أمتار من القماش.

لا يمكنني التوقف عن هذا، أشعر أنني في إطار عقلي صاف وأريد من كل قلبي أن أتأكد أن لدي عددا كافيا من اللوحات لأحفظ وضعي حين يجتهد الآخرون أيضا من أجل العام ٨٩. لدى سورا ما يكفي باثنتين أو ثلاث من لوحاته الضخمة، كيما يعرضها بنفسه، سينياك الذي هو عامل مجتهد، لديه ما يكفي أيضا، وجوجان أيضا وجيومان. لذا أود أن أحصل عند حلول الوقت، سواء أعرضنا أم لا، سلسلة الدراسات:

الديكور

بهذه الطريقة سنكون أصليين تماما، لأن الآخرين لن يمكنهم أن يجدونا مدعين حين يكون هذا كل ما لدينا. لكن اطمئن لأنني سأحاول أن أعطيها أسلوبا.

ميه كان سعيدا اليوم لأنني صنعت "الحقل المحروث"، في العادة هو لا يحب ما أفعله، لكن لأن أكوام الطمي كانت ناعمة اللون، مثل زوج من الأحذية، لم يزعجه ذلك، بالسماء بلون زهور لا تنسني ونتف السحاب البيضاء. إن جلس بشكل أفضل لرسمه فسيسعدني كثيرا، وسيكون لديه بورتريه أكثر وسامةً من الذي قد أصنعه في

الظروف الحالية، على الرغم من أن الموضوع نفسه جميل: وجهه بلون بشرته الشاحب المنطفئ، البيريه الأحمر على خلفية زمردية.

آه، كم أود لو ترى كل ما أراه هذه الأيام! بكل الأشياء الجميلة التي أمام ناظري، لا أستطيع أن أمنع نفسي من الانطلاق. خصوصا وأنا بأشعر أن هذه الشحنة ستكون أفضل من الشحنة الأخيرة. لكن الشحنة الأخيرة كانت شحنة دراسات جعلتني جاهزا للعمل بثقة هذه الأيام عديمة العواصف.

لماذا لا يريد أبونا الطيب توماس أن يقرضني شيئا على حساب دراساتي؟ سيكون مخطئا إن لم يفعل، وأتمنى أن يفعل. إنني أخشى أن أثقل عليك، ومع ذلك فأنا أريد أن أطلب ما قيمته مائتا فرنك من الألوان والقماش والفُرَش. ليست لشيء آخر، هي للعمل. قد يكون الخريف بأكمله جيدا، وإن صنعت لوحة من رقم ثلاثين كل يومين أو ثلاثة أيام، فسأكسب العديد من أوراق الفرنكات الألف. لم تزل قواي مركزة، ولا تطلب شيئا سوى أن تستخدم في العمل، لكن لا مناص من أن أستخدم كمية من الألوان، لهذا نحتاج توماس.

إن استمررت بالعمل على الوتيرة نفسها، فسيمتلئ مكتبي بدراسات رائعة، كما هو مكتب جيومان. لا بد أن لدى جيومان أشياء جميلة، بالطبع، لا أشك في هذا وأود لو أراه بحق.

الدراسات الحالية مكونة من دفق واحد من اللون السميك (الإمباستو). ضربات الفرشاة ليست موزعة، والدرجات مكسورة في أغلب الوقت. وفي النهاية، ودون أن أقصد، فأنا مضطر لوضع اللون بسماكة، على طريقة مونتيتشيلي.

أحيانا أعتقد حقا أنني أتمم عمل هذا الرجل، عدا أنني لم أصنع شخوصا للأحياء مثله. ومن المحتمل أنني لن أفعل، قبل بعض الدراسات الجادة على الطبيعة. لكن ذلك ليس عاجلا، الآن أنا مصمم على الكد في العمل حتى أتغلب على تلك الصعوبات. وإن كنت أريد لتلك الرسالة أن تذهب فعليّ أن أسرع.

هل لديك أخبار من جوجان؟ إنني أنتظر خطابا من برنار في أي لحظة، بعد أن أرسلت إليه الكروكي.

لا بد أن لدى جوجان شراكة أخرى يفكر بها، لقد شعرت بهذا لأسابيع.

وهو حر فيما يريد.

كوني وحيدا لن يزعجني في الوقت الحالي، ولاحقا سنجد بعض الرفقة بأي حال، وربما أكثر مما سنريده. لكنني أظننا لا يجب أن نقول شيئا مزعجا لجوجان إن غيّر رأيه، ويجب أن نأخذ الأمر بصدر رحب، لأنه إن انضم إلى لافال، فسيكون ذلك ملائما، بما أن لافال هو تلميذه وقد عاشا معا من قبل.

وإن لزم الأمر فقد يأتيان كلاهما إلى هنا وسنجد حينها وسيلة لضيافتهما.

أما عن الأثاث، إن كنت علمت مقدما أن جوجان لن يأتي، لم أكن لأغير رأيي في الحصول على سريرين في حال أردت أن أُضَيِّف أحدهم. لذا فهو حر فيما يريد تماما. سيكون هناك دائما من يريد أن يرى الجنوب. كيف حال فينيون؟ آه حسنا، إن مضى الأمر جيدا فسيتأكد الجميع من قيامهم بتطوير أنفسهم والتقدم، وأنا أيضا. إن كنتَ لا يمكنك رؤية الأيام الجميلة هنا، فسيمكنك رؤية لوحات لها. وأنا أحاول جعلها أفضل من الأخريات. مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

«*sketch* A»



الحديقة العامة (حديقة الشاعر)

٦٩١ | آرل، نحو السبت، ٢٩ سبتمبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لخطابك وورقة الخمسين فرنكا التي تضمّنها. من المؤسف أن آلام ساقك عادت ثانية، يا إلهي، لا بد أن يكون ممكنا لك أن تأتي وتعيش في الجنوب معي، لأنني أفكر دائما أن ما نحتاجه هو أشعة الشمس والطقس الجيد والسماء الزرقاء كأنجع علاج. الطقس لم يزل جيدا هنا، وإن دام على هذه الحال فستكون هذه أجمل من جنة الرسامين، ستكون اليابان نفسها. كم أفكر بك وبجوجان وبرنار، في كل زمان ومكان! الجو رائع، وأتمنى لو يأتي الجميع هنا.

مرفق بخطابي تخطيط للوحة من مقاس ثلاثين مربعة، نجوم السماء أخيرا، مصورة بالفعل ليلا، على ضوء مصباح الغاز. السماء زرقاء مخضرة، المياه بالأزرق الملكي، الحقول بالموف. البلدة زرقاء وبنفسجية. ضوء الغاز أصفر، وانعكاساته أحمر ذهبي متدرجا حتى الأخضر البرونزي. على خلفية حقل السماء الأزرق الأخضر، يكون الدب الأكبر بلمعان أخضر ووردي تتباين درجته الفاتحة مع الذهبي الخشن لضوء الغاز.

وشخصان صغيران ملونان لأحباء في المقدمة.

بالمثل كروكي للوحة مقاس ثلاثين مربعة يعرض البيت ومحيطاته تحت سماء كبريتية، تحت سماء زرقاء كوبالت. هذا موضوع صعب بحق! لكنني أريد أن أنجزه لهذا السبب. لأنها هائلة، تلك البيوت الصفراء في ضوء الشمس ثم الطزاجة التي لا تقارن للأزرق.

الأرضية كلها صفراء أيضا. سأرسل إليك رسما آخر لها، أفضل من التخطيط المعتمد على الذاكرة، البيت على اليسار وردي، بشبابيك خضراء، وذلك الذي

تظلله شجرة، هذا هو المطعم الذي آكل فيه العشاء يوميا. صديقي رجل البريد يعيش في آخر الشارع على اليسار، بين جسري السكة الحديد.

مقهى الليل الذي صورته ليس في اللوحة، إنه على يسار المطعم.

مييه يجدها مريعة، لكن لا حاجة لكي أخبرك أنه حين يقول إنه لا يفهم أن يستمتع أحدهم برسم متجر بقالة عادي، وتلك البيوت المربعة اليابسة دون أي سحر، يجعلني أتأمل أن زولا وصف بوليفار معينا في بداية روايته متجر الكحول، وفلوبير صور ركنا لمرسى فيلليت في حرارة الصيف، في بداية بوفار وبيكوشيه، وليست سيئة. ومن الأفضل لي أن أفعل ما هو صعب. وهذا لا يمنعني من أن أكون في حاجة ماسة إلى -سأقولها بصراحة- إلى الدين، لذا أخرج ليلا لأصور النجوم، وطالما حلمت بلوحة كهذه بمجموعة من الشخوص الحية للرفاق.

لدي الآن خطاب من جوجان، الذي يبدو حزينا جدا ويقول إنه سيأتي حتما بعد أن يبيع، لكنه لا يلزم نفسه، إن دُفعت نفقة سفره، بأن يفك ارتباطه هناك. يقول إن الناس في المكان الذي يعيش فيه كانوا وما زالوا جيدين معه، وأن يتركهم هكذا سيكون فعلا شائنا. لكنني أدير خنجرا في قلبه إن كنت لا أصدق أنه سيأتي مباشرة إن كان بإمكانه ذلك. وعلاوة على هذا، أنك إن استطعت بيع لوحاته بسعر رخيص، فسيكون سعيدا. سأرسل إليك خطابه مع الرد.

بالتأكيد سيزيد مجيئه أهمية مغامرة التصوير في الجنوب مائة بالمائة. وبمجرد أن يصل، لا أظنه سيغادر سريعا، لأنني أعتقد أنه سيضع جذورا ويستقر.

ودائما أقول لنفسي إنه بالتعاون معه، ما تقوم به بشكل خاص، سيصبح أكثر اعتبارا من عملي وحدي، سيزيد رضاؤك أيضا دون زيادة في النفقات.

لاحقا، إن حدث في يوم ما وكنتَ قد أسستَ من طرفك وحدك شيئا مع لوحات الانطباعيين، فسيكون علينا فقط أن نستكمل ونوسع ما هو موجود حاليا. وأخيرا، يقول جوجان إن لافال وجد شخصا سيعطيه مائة وخمسين فرنكا شهريا،

لعام على الأقل، وإن لافال قد يأتي في فبراير. وبعد أن كتبت لبرنار قائلا إنه لا يمكنه العيش في الجنوب على أقل من ثلاثة ونصف أو أربعة فرنكات يوميا للعيش والمبيت وحدهما، فإن جوجان يقول إن مقابل مائتي فرنك شهريا سنضمن المعيشة والمبيت لثلاثتنا، وهو ما ليس مستحيلا، بالمناسبة، إن عشنا وأكلنا في الاستوديو.

لا بد أن كاهن البندكتين كان مثيرا للاهتمام. ماذا سيكون في رأيه دين المستقبل؟ سيقول بالأرجح، أنه سيظل على ما كان في الماضي. فيكتور هوجو يقول، "الله منارة تومض أشعتها وتنطفئ"، والآن بالطبع، نحن نمر خلال تلك العتمة. أمنيتي الوحيدة أن يستطيعوا إثبات شيء يهدئنا، ويعزينا فلا نعود نشعر بالذنب والتعاسة، وتماما كما هي حالنا يمكننا أن نستمر دون أن نضيع في الوحدة والعدم، ودون أن نضطر في كل خطوة لأن نخاف أن نحسب بعصبية الأذى، الذي -دون قصد منا- قد يصيب الآخرين.

هذا الشخص الغريب، جيوتو، الذي تقول سيرته إنه كان على غير ما يرام دائما، وممتلئا بحب الحياة والأفكار دائما. حسنا، أود لو أستطيع أن أحرز تلك الثقة في النفس التي تجعل المرء سعيدا، ومرحا، وحيا طوال الوقت. يمكن أن يحدث ذلك في الريف أو في بلدة صغيرة أسهل منه في ذلك الفرن الباريسي.

لن يدهشني إن أحببتَ نجوم الليل والحقول المحروثة، إنها أهدأ من بعض اللوحات الأخرى. إن استمر العمل على الوتيرة نفسها فستقل همومي حول الحصول على المال، لأن الناس سيأتون لنا بسهولة أكثر إن استمرت التقنية على هذا المنوال المتناغم. لكن تلك الميسترال اللعينة هي إزعاج حقيقي ولا تمكن من جعل ضربات الفرشاة متماسكة ومتضافرة جيدا، بإحساس، مثل قطعة من الموسيقى المعزوفة بجيشان العاطفة.

مع هذا الطقس الهادئ، أطلق لنفسي العنان ولا يعود بي حاجة للصراع مع المستحيلات.

لقد وصلت طلبية تانجي وأشكرك بهذا الخصوص كثيرا جدا، لأنه بتلك الطريقة أتمنى أن أكون قادرا على فعل شيء خلال الخريف للمعرض القادم. الأمر العاجل الآن هو خمسة أو حتى عشرة أمتار من القماش. سأكتب لك ثانية وسأرسل إليك خطاب جوجان مع الرد. ما تقوله عن مورين مثير للاهتمام، بسعر أربعين فرنكا، لا بد أن لوحاته ليست عزيزة عليه. أظن أكثر فأكثر أننا يجب أن نعتقد أن التجارة العادلة والصحيحة في اللوحات هي أن نتبع ذوقنا الشخصي، وتعلمنا بالنظر إلى الأساتذة، بكلمة واحدة، إيماننا. إن صناعة لوحة جيدة ليس أسهل من إيجاد ماسة أو لؤلؤة، يحتاج الجهد، وتراهن بحياتك كتاجر أو كفنان عليها. وبمجرد أن نحصل على الجواهر الجيدة، من المهم ألا تفتقر إلى الإيمان بنفسك أيضا، ولكن يجب أن تحافظ على سعر معين بشجاعة.

في الانتظار، بأي حال. لكن مع ذلك، تلك الفكرة تزيد من شجاعتي على العمل، بينما أعاني بطبيعة الحال من واقع اضطراري لإنفاق المال. لكن فكرة اللؤلؤة تلك تبادرت إلي في وسط معاناتي، ولن أندهش إن جملتك تشعر شعورا جيدا، في لحظات يأسك. اللوحات الجيدة ليست أكثر من الماسات.

وليس ثمة غشّ في التجارة بالماس. يمكن للمرء أن يؤمن بذاته حين يبيع شيئا جيدا. أما إن كان الناس يحبون العجين، فلهم حرية ذلك، وبما أنهم يطلبونه، حسنا، يمكن للمرء أن يحافظ عليه مُخزّنا.

لكن ذلك ليس بكافٍ كيما يشعر المرء بنفسه، مع اللوحات الجيدة، يمكن للمرء أن يشعر بنفسه ويكون ثابتا، لأنه من الخطأ أن يظن أن ثمة لوحات بعدد ما يتمنى. ربما أسيء التعبير عن نفسي، لكنني فكرت في الأمر كثيرا مؤخرا، ووصلت لسكينة بخصوص أمر جوجان.

كل لوحات جوجان هذه جواهر جيدة، ودعنا نكُن شجعانا في التجارة بلوحات جوجان.

مييه يرسل تحياته الدافئة، لدي بورتريه له الآن، بالقبعة الحمراء على خلفية زمردية، وفي هذه الخلفية شعار كتيبته، الهلال والنجمة الخماسية.

«*sketch* A»

مصافحة لك وسأكتب أكثر قريبا، وأشكرك كثيرا، وأتمنى ألا يستمر ألمك. هل زرت الطبيب ثانية. اعتن بنفسك لأن الألم الجسدي مزعج.

المخلص لك أبدا،

فنسنت

«*sketch* B»

«*sketch* C»

/pour le commerce [illegible] des bonnes
pierres cela n'a absolument rien de
malhonnête on peut croire en sus
lorsqu'on voit que la chose qu'on vend est
[illegible] maintenant depuis tant les gens
[illegible] le [illegible] cela [illegible] est [illegible]
~~[illegible]~~ et jusqu'à [illegible] [illegible] bons
on peut en avoir aux magasins
mais cela ne suffit pas pour se sentir
sûr - avec les bons tableaux pour
on peut se sentir sûr et être ferme
car c'est par erreur qu'il y en a et
tant qu'on veut. Peut-être je m'ex[prime]
mal mais j'y ai beaucoup pensé
de ce [illegible] et le [illegible] m'est venu
pour l'affaire [illegible]
Tous ces [illegible] sont de bonnes
pierres et [illegible] marchands
[illegible] hardiment.
[illegible]
[illegible] le [illegible] j'ai
[illegible] maintenant avec
~~f~~ son [illegible] [illegible] et
le [illegible] [illegible] et le [illegible]
dans [illegible] les [illegible] [illegible]
le croissant et une étoile [illegible]
bonne [illegible] de [illegible] et à bientôt
et bien merci et j'espère que les [illegible]
ne [illegible] pas [illegible] [illegible] physique est si
[illegible] car la [illegible]
[illegible] [illegible] Vincent

هـلال ونجـمة



المنزل الأصفر (الشارع)



لوحة ليلة مرصعة بالنجوم فوق نهر الرون

٦٩٥ | آرل، الأربعاء، ٣ أكتوبر ١٨٨٨
إلى بول جوجان (F)

عزيزي جوجان،

هذا الصباح، استلمت خطابك الممتاز، الذي أرسلته فورا إلى أخي، مفهومك عن الانطباعية عموما، والذي يرمز له بورتريهك، مدهش. أنا تائق لرؤيته، لكنه سيبدو لي، أنا واثق، أن هذا العمل أهم من أن أتمنى الحصول عليه في مبادلة.

لكن إن أردتَ أن تحفظه من أجلنا، فسيشتريه منك أخي، كما طلبت منه توا، بأقرب فرصة إن أردتَ، ودعنا نأمل أن يكون ذلك قريبا.

لأننا سنحاول مرة أخرى أن نستعجل إمكانية مجيئك.

يجب أن أخبرك أنه حتى في أثناء العمل لا أتوقف عن التفكير بمشروع إنشاء استوديو نسكنه أنا وأنت بشكل دائم، وسنتمنى كلانا أن نجعله ملجأ ومأوى لرفاقنا في اللحظات التي يجدون أنفسهم فيها متورطين في صراعهم. حين غادرتَ باريس، أمضيت انا وأخي وقتا طويلا هناك معا لن أنساه أبدا. اتخذت نقاشاتنا بؤرة أوسع، مع جيومان، وبيسارو، الأب والابن، مع سورا، الذي لم أكن أعرفه (زرت الاستوديو الخاص به قبل ساعات من مغادرتي). في هذه النقاشات، كان الموضوع العزيز علي قلبينا، أنا وأخي، هو الخطوات التي يجب اتخاذها لكي نحافظ على كيان تمويلي للمصورين، وكي نحفظ وسائل الإنتاج (الألوان، القماش)، ولكي نحفظ مباشرة لهم نصيبهم من سعر اللوحات الذي تبلغه بعد مرور وقت طويل من خروجها من ملكيتهم.

حين تأتي إلى هنا سنعود لكل هذه النقاشات.

بأي حال، حين تركتُ باريس، ضائقا، ومريضا ومدمنا على الشراب تقريبا، وبينما كانت قواي تخور، انسحبت لنفسي، دون أن أجرؤ على الأمل حتى.

في الحاضر، ها هو أملي يعود إليّ، خافتا على الأفق، هذا الأمل المتقطع الذي عزّاني أحيانا في حياتي الوحيدة.

الآن، أريدك أن تأخذ نصيبا كبيرا من تلك العقيدة بأننا سنكون ناجحين نسبيا في إيجاد شيء دائم.

حين نتحدث عن هذه الأيام الغريبة التي أمضيناها في النقاش في استوديوهات فقيرة ومقاهٍ في البوليفار الصغير، وسترى أفكارنا كلها، أخي وأنا، والتي لم تنفذ بعد، فيما يخص تشكيل اتحاد.

مع ذلك، سترى أنها كانت تدور بحيث إن كل ما سنفعله في المستقبل لعلاج الحالة المريعة لتلك السنوات الماضية، سنكون قد قلناه، أو قلنا ما يشبهه. سنحصل على أساس لا يتزعزع، وستعترف، حين تحصل على التوضيح الكامل، بأننا قد تجاوزنا تلك الخطة التي أخبرناك بها. إنه ليس سوى واجبنا كتجار لوحات أن نذهب لأبعد من ذلك، لأنك ربما تعرف أنني أيضا أمضيت سنوات في الصنعة، ولا أحتقر تلك المهنة التي وفرت لي خبز أيامي.

يكفي أن أقول إنني لا أعتقد أنه حتى حين تقطع نفسك عن باريس ستتوقف عن أن تشعر بأنك على اتصال مباشر مع باريس.

لدي حمى عملٍ هذه الأيام بشكل استثنائي، في الوقت الحالي أنا مشتبك مع منظر طبيعي بسماء زرقاء فوق كرم هائل أخضر، وبنفسجي، وأصفر بفسائل سوداء وبرتقالية.

شخوص صغيرة لسيدات بقبعات حمراء لحجب الشمس، وشخوص صغيرة لقاطفي العنب بعربتهم، تحيي اللوحة أكثر.

مقدمة من الرمل الرمادي. مرة أخرى قماشة رقم ثلاثين مربعة لديكور البيت.

لدي بورتريه لنفسي، رمادي كله، الرمادي الذي ينتج من خلط الفيروني مع الرصاص البرتقالي، على خلفية شاحبة من الفيروني المتجانس، بثوب أحمر بني. لكنه

يبالغ في شخصيتي أيضا، لقد بحثت أكثر عن شخصية راهب بوذي، عابد بسيط لبوذا الأبدي. لقد جشمتني عناء كثيرا، لكن سيكون علي أن أعيد العمل عليها من البداية إن أردت أن أعبر عن ذلك الشيء. سيكون علي أن أعالج نفسي بشكل أعمق من الخدر التقليدي لما يسمى بالحالة الحضارية، كيما أحصل على موديل أفضل للوحة أفضل.

ثمة ما أصابني ببهجة كبيرة، لقد استلمت خطابا من بوش بالأمس (أخته واحدة من مجموعة العشرين البلجيكيين) وقد كتب قائلا إنه مستقر في البوريناج ليصور عمال المناجم ومناجم الفحم هناك. سيعود، مع ذلك، لما يدور في باله في الجنوب، لينوع انطباعاته، وفي هذه الحالة سيأتي بالتأكيد إلى آرل.

إنني أجد أفكاري الفنية عادية بشكل كبير بالمقارنة بأفكارك.

طالما كانت لدي شهية حيوان فظة. أنسى كل شيء من أجل الجمال الخارجي للأشياء، والذي لا أستطيع ترجمته لأنني أجعله قبيحا بتصويري، وفظا، بينما الطبيعة تبدو كاملة بالنسبة لي.

الآن، مع ذلك، فإن طاقة هيكلي العظمي تذهب مباشرة إلى الهدف، ربما ينتج عن ذلك أحيانا، إخلاص أصيل فيما أصنعه، إن أعار الموضوع نفسه لتنفيذي الخشن غير الماهر.

أظنك إن بدأت من الآن فصاعدا أن تفكر بنفسك كرئيس هذا الاستوديو، والذي سنحاول جعله ملجأ لعدة أشخاص، رويدا رويدا، شيئا فشيئا، بينما يوفر لنا عملنا المنتظم وسائل الاستمرار، أظنك حينها ستشعر بتعزية نسبية عن سوء حظك الحالي وإفلاسك ومرضك، واضعين في الاعتبار أننا نهب حياتنا لجيل من الرسامين سوف يبقى لسنوات عديدة قادمة. هذه الأجزاء من العالم قد شهدت كلا من عبادة فينوس، وهي فنية بالأساس في اليونان، وشعراء وفناني النهضة. وحيث استطاعت هذه الأشياء أن تزدهر، يمكن للانطباعية أن تفعل أيضا.

أما عن الغرفة التي ستنزل بها، لقد صنعت ديكورا خاصا بها، حديقة شاعر (في الكروكي الذي لدى برنار تجد الفكرة الأولية لها، والمبسطة لاحقا). الحديقة العامة العادية تحتوي نباتات وشجيرات تجعل المرء يحلم بمناظر طبيعية يمكن للمرء فيها أن يتصور سريعا بوتيتشيلي، وجيوتو، وبترارك، ودانتي، وبوكاتشيو. في الديكور حاولت أن أتناول كنه ما يكون الشخصية الثابتة لهذا الإقليم.

وكنت سأتمنى أن أصور تلك الحديقة بطريقة تجعل المرء يفكر في شاعر هذا المكان القديم (أو بالأحرى، أفينيون)، بيترارك، وبشاعرها الجديد، بول جوجان.

ومهما كان هذا الجهد أخرق، فإنك سترى مع هذا، ربما، أنني وفي أثناء تحضير الاستوديو الخاص بك فكرت فيك بعاطفة عميقة.

دعنا نفرح لنجاح مشروعنا، وأتمنى أن يستمر شعورك بالألفة وكأنك في بيتك هنا.

لأنني أميل للاعتقاد أن كل هذا سيستمر لزمن طويل.

مصافحة، وصدقني.

المخلص لك،
فنسنت

أخشى فقط أن تجد أن بريتاني أكثر جمالا، حتى إن كنت لا ترى شيئا جميلا عدا الأشياء التي ينتجها دوميه، الشخوص هنا هي تشبه عمل دوميه تماما. الآن، بالنسبة لك، لن يستغرقك الأمر طويلا حتى تكتشف، تحت كل الحداثة، يرقد العالَمَ القديم وعصر النهضةَ. وفيما يخص ذلك فلك كل الحرية لإيقاظها.

برنار أخبرني أنه هو، وموريه، ولافال، وشخص آخر، سيقومون بمبادلة معي. انني، مبدئيا، مساند كبير لنظام التبادل بين الفنانين، بما أنني أعرف أنه كان يشغل جزءا معتبرا في حياة الرسامين اليابانيين. لذا ففي يوم من تلك الأيام سأرسل إليك بعض الدراسات الجافة، التي يمكنني أن أبدلها، وسيكون لك الخيار الأول.

لكنني لن أبادل ولا واحدة معك إن كان الأمر بالنسبة لك سيعني تكليفك شيئا
ذا معنى لك مثل بورتريهك، والذي سيكون جميلا للغاية. بالتأكيد، لن أجرؤ، لأن
أخي سيشتريه منك مقابل مصاريف شهر كامل.

٦٩٨ | آرل، نحو الجمعة، ٥ أكتوبر ١٨٨٨

إلى إميل برنار (F)

عزيزي برنار،

الطرد الذي أرسلته أنت وجوجان، وصل في الوقت نفسه الذي أرسلتُ فيه دراساتي. لقد أسعدني ذلك، لقد أثلجت صدري رؤية الوجهين ثانية. أما عن البورتريه الخاص بك، فكما تعلم، أحبه كثيرا. في الواقع، فإنني أحب كل ما تفعله، كما تعلم، وربما لم يحب أحد من قبلي ما تفعله بالقدر الذي أحبه به.

إنني أحثك على دراسة البورتريه، اصنع منه العديد ولا تستسلم، لاحقا سنضطر لأن نجذب الجمهور عبر البورتريهات، في رأيي إن المستقبل في هذا الاتجاه. لكن دعنا لا ننحرف إلى التكهنات الآن. لأنه من واجبنا أن نشكرك على مجموعة الاسكتشات التقريبية المسماة "في المبغى".

برافو! المرأة التي تغسل نفسها والأخرى التي تقول "أنا الأحسن فيما يخص الحصول على شيء من الرجال" هما الأفضل، كما يبدو لي. الأخرى عابسة أكثر مما ينبغي، تحديدا، غامضة، وبها القليل من اللحم والعظم المبني كما يجب.

لا يهم، إنه شيء جديد ومثير للاهتمام، والبقية أيضا، في المبغى، نعم، هذا ما يجب فعله، وأؤكد لك أنني عن نفسي أغبطك تقريبا على تلك الفرصة الجيدة التي لديك بالذهاب إلى هناك بزيك العسكري. الذي تحبه أولئك النساء الصغيرات.

القصيدة التي في النهاية جميلة للغاية، وواضحة أكثر من بعض الشخوص. ما تريده، وما تقول إنك تؤمن به، تقوله بشكل جيد ورنان.

اكتب لي حين تكون ذاهبا إلى باريس، الأمر أنني كتبت لك ألف مرة أن المقهى الليلي ليس مبغىً، إنه مقهى حيث يتوقف فيه جوالو الليل عن أن يكونوا جوالي ليل. فهم، جاثمين على الطاولات، يمضون الليل كله هناك دون تجوال. من آن لآخر تأتي عاهرة برفيقها إلى هناك. لكنني في مرة كنت فيها هناك، رأيت قواد وعاهرة يتصالحان بعد عراك. المرأة تظاهرت بعدم الاكتراث والتعالي، والرجل كان لطيفا. لقد بدأت بتصوير الأمر لك من الذاكرة، على قماشة صغيرة من مقاس أربعة أو ستة.

الآن، إن كنت ستغادر قريبا، فسأرسلها إليك على باريس، إن كنت ستبقى لمدة أطول من ذلك فأخبرني، وسأرسلها إليك على بون أفون. لم يمكنني إضافتها إلى الطرد، لم تكن جفت بعد بما يكفي.

لكنني لا أود توقيع هذه الدراسة، لأنني لا أعمل من الذاكرة أبدا، سيكون فيها لون، وسيناسبك، لكن سأكرر، إنني هنا أصنع دراسة لك لا أفضل أن أصنعها. لقد دمرت قماشة مهمة بلا رحمة، مسيح مع ملاك في جثسماني، وأخرى تصور شاعرا بسماء مليئة بالنجوم، لأن الشكل لم يكن مدروسا من الموديل الذي أمامي، وهو الأمر الضروري في أحيان كهذه، على الرغم من حقيقة أن اللون كان صحيحا.

إن لم تناسبك الدراسة التي أرسلها إليك كمبادلة، فانظر إليها لفترة أطول فقط.

لقد كان من المستحيل بحق اللعنة صناعتها في أثناء رياح الميسترال المزعجة (مثل الدراسة التي بالأحمر والأخضر أيضا). حسنا، على الرغم من حقيقة أنها لم تُرسم بطلاقة كالطاحونة القديمة، فإنها أكثر رقة وحميمية. كما ترى فإن كل هذا قد لا يكون انطباعيا بالمرة، حسنا، هذا سيئ، لا يمكنني فعل أي شيء حياله، لكنني أفعل ما أفعله منغمسا في الحقيقة، دون التفكير في هذا أو ذاك. وغني عن الذكر أنك إن فضلتَ دراسة أخرى من الشحنة، إلى الرجل الذي يفرغ الرمال، يمكنك أن تأخذها

وتزيل إهدائي إن أرادها شخص آخر. لكنني أظن أن هذه ستناسبك بمجرد أن تنظر إليها لوقت أطول.

إن وافق لافال، وموريه، والشخص الآخر على التبادل معي، فسيكون هذا رائعا، لكن من طرفي، سأكون راضيا إن أرادوا أن يصنعوا بورتريهات لي.

أنت تعلم، يا برنار، أنه يبدو لي دائما أنه إن أردتُ عمل دراسات للمباغي فسأحتاج لمال أكثر مما أملك، لست شابا ولا زير نساء بما يكفي لهن ليجلسن لأرسمهن مجانا. ولا يمكنني العمل دون موديل. ليس هذا أشبه بقول إنني لا أدير ظهري تماما للحقيقة لأحول دراسة إلى لوحة، بترتيب اللون، بالتكبير، والتبسيط، لكنني لدي خوف من فصل نفسي عما هو ممكن وعما هو صحيح فيما يخص الشكل.

لاحقا وبعد عشرة سنوات من الدراسات، قد يكون هذا، لكن في الحقيقة إن لدي فضولًا كبيرًا لما هو ممكن وما هو موجود حقيقة، ما يجعل رغبتي وحماسي للبحث عن المثالي قليلين، فيما يخص ما ينتج عن دراساتي التجريدية.

قد يكون الآخرون أصفى بالا مني فيما يخص الدراسات المجردة، وقد تكون أنت من بين هؤلاء، كما قد يكون جوجان، وأنا حين أصير كهلا.

لكن في الوقت الحالي لم أزل أقتات على العالم الحقيقي. أبالغ، وأحيانا أغير في الموضوع، لكنني ما زلت لا أخترع اللوحة كلها، على النقيض، إنني أجدها مصنوعة سلفا، لكنها تحتاج أن تتكشف في الطبيعة.

لكنك ربما تجد تلك الدراسات قبيحة، لا أعرف. بأي حال، لا أنت ولا أي شخص آخر يجب أن يعمل تبادلا قسريا.

كتب أخي قائلا إن أنكيتان في باريس، أشعر بالفضول إزاء ما قد صنعه. حين تراه أوصل له تحياتي الحارة.

سيبدو البيت أكثر حياة لأنني سأرى البورتريهات فيه.

كم سيسعدني أن أراك هناك بنفسك في الشتاء، من الحقيقي أن الرحلة مكلفة، مع ذلك، لعلنا لا نخاطر بتلك النفقات إن انتقمنا بالعمل. العمل صعب في الشمال شتاءً. وهنا أيضا، ربما، لم أحظ بتجربة ذلك بعد وتظل مما أترقب رؤيته. لكنه من المفيد رؤية الجنوب، حيث الحياة معيشة أكثر في الهواء الطلق، كيما نفهم اليابانيين أفضل.

ولمسة النبل والترفع تلك التي تتحلى بها بعض الأماكن هنا ستناسب عملك للغاية. في الغروب الأحمر، لا بد أن تتصور الشمس أعلى، خارج اللوحة، دعنا نقُل فقط عند مستوى الإطار. لأن ذلك يحدث، أنه قبل غروبها بساعة أو بساعة ونصف، تحتفظ الأشياء التي على الأرض بلونها هكذا. لاحقا يلونها الأزرق والبنفسجي لتصبح أدكن، بمجرد أن ترسل الشمس أشعة أكثر أفقية.

شكرا مرة ثانية لما أرسلت إلي، لقد أثلج صدري.

ومصافحة جيدة، واكتب لي يوم سفرك لأعرف متى ستكون في باريس، لم يزل عنوانك في باريس هو ٥، أفينو دو بوليو؟

المخلص لك دائما،

فنسنت

٧٠٢ | آرل، الأربعاء، ١٠ أو الخميس، ١١ أكتوبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

مؤخرا، حين أفكر كثيرا في أن نفقات التصوير تثقل عليك، لا يمكنك تصور القلق الذي يسببه ذلك لي. حين تحدث لنا أشياء مثل التي تصف في خطابك أنها

وقمت مع باج، حينها يجب أن نكون في أثناء البيع. أو على الأرجح نكون قد وصلنا لنقطة نستطيع فيها أن نجد المساعدة، من توماس أو من غيره، ممن هم نصف تجار، نصف هواة. وحتى العم كور. ليس من اللازم أن يساعدنا بطريقة مباشرة ، فقد يشتري دراسة منا.

لا أعرف إن كنت قد قرأت "الأخوة زمجانو" التي كتبها آل دو جونكور، التي تقتفي تاريخهم الشخصي ربما. إن كنت تعرفها، فستعرف، أكثر مما أستطيع أن أعبر لك، أنني أخشى أن جهد الحصول على المال من أجلنا مرهق للغاية لك.

إن لم يكن ذلك القلق يروعني ويعذبني دائما، كنت سأقول إن الأمور على ما يرام، لأن العمل سيتحسن وصحتي أفضل بكثير مما كانت عليه في باريس. إنني أدرك أكثر فأكثر أن العمل يستمر بشكل أفضل حين تطعم نفسك جيدا، وحين يكون لديك ألوان، واستوديو، وكل هذا. لكن هل كل ما يريده قلبي هو أن يستمر العمل بشكل جيد؟ لا، وألف لا. أود أن أنجح في جعلك تشعر بوضوح بهذه الحقيقة، أنك بإعطائك المال للفنانين فأنت نفسك تصنع صنيع الفنانين، وأنني أتمنى فقط أن تكون لوحاتي من نوع لا يجعلك تعيسا في عملك.

وليس هذا كل شيء، أريدك أيضا أن تشعر بأننا نربح من الذي نحوله، وأننا بفعل ذلك، سنحرز استقلالا أكثر اكتمالا من ذلك الذي توفره الصنعة.

وما سنفعله لاحقا لإحياء الصنعة قد يكون تحديدا أن التجار يعيشون مع الفنانين، ما يمكن أن نطلق عليه، جانب تدبير المنزل، أن يمدّوا الاستوديو بما يحتاجه، الطعام، الألوان... إلخ. والجانب الآخر هو الإنتاج. للأسف، لسنا عند هذه المرحلة من الصنعة القديمة، والتي ستتبع دائما الروتين القديم الذي لا يفيد أحدا من الأحياء ولا يصنع معروفا في الموتى أيضا. لكن أيا يكون ما يتركنا باردين، دون واجب لتغيير ما هو موجود ولا للتعارك مع جدار. بأي حال يكون علينا أن نحصل على نصيبنا من أشعة الشمس دون أن يضار أحد. ودائما أقول لنفسي إنك لا تملك نصيبك الكامل من أشعة الشمس بما أنك تعمل في باريس مع آل جوبيل عملا مرهقا. لذا حين أفكر

في هذا، يكون لدي غضب تاجر، ثم أفكر أنني أريد أن أحرز المال لتكون أنت أكثر حرية في الذهاب وفعل ما تريد. أشعر أننا في مرحلة البيع أو إيجاد المساعدة التي ستعطينا متسعا للتنفس.

ها أنت، ربما أظن أن ما هو بعيد للغاية يقترب أكثر من واقع الحال، ثم أشعر بهذا القلق يعتريني، قلق إنفاق الكثير.

بأي حال، يصبح التصوير أفضل حين يعتني المرء بنفسه ويحافظ على صحته. لكن بالنسبة لك، لعملك، لكل حياتك كذلك، لا بد ألا تقلق كثيرا. كيف هي آلام عرق النسائي؟ هل توقفت؟

مهما يحدث، ستساعدني أكثر بأن تعتني بحالك، وأن تعيش جيدا، حتى إن اضطرت طلبية الألوان للمعاناة كنتيجة، فذلك أفضل من أن تعاني أنت بسببي. أظن اليوم سيأتي حين سيريد الناس العمل، حسنا، لكن ربما ذلك اليوم بعيد جدا، وفي الوقت الحالي، لا تشقُقْ على نفسك.

لأن العمل أيضا، سيأتي إليك من نفسه وكما في حلم، أفضل وأسرع إن اعتنيت بنفسك ولم تشقُقْ عليها. وانظر، في عمرنا، بالتأكيد يمكننا أن نجد سكينة ما، وحكمة ما في عمل الأشياء. ما أخافه حاليا (وأحاول تجنبه) هو الفقر، والصحة السيئة، وكل هذا، وأتمنى أن يكون لديك الشعور نفسه.

لذا فإنني أكاد أن أشعر بالندم لشرائي اليوم قطعة الأثاث هذه، على الرغم من أنها جيدة، لأنني طلبت منك إرسال المال بأسرع مما كنت ستفعل لو لم أشترها.

تأكد من هذا. إن كنت مريضا أو لديك ألم شديد وصعوبات، فلن يفيد شيء ثانية. وإن كنت حسنا، فسيأتيك العمل من تلقاء نفسه، وأفكار العمل ستأتيك بشكل لا نهائي إن أكلت جيدا أكثر مما قد يحدث إن لم تأكل ما يكفي.

صح عليَّ أن أتوقف إن كنت أبالغ. إن لم أكن، فإن هذا بطبيعة الحال أفضل، لأنه بالنسبة لي أيضا، يمكنني أن أعمل بشكل أحسن إن كنتُ مرتاحا أكثر مما سيكون

عليه الحال إن شققت على نفسي. لكن لا تذهب إلى اعتقاد أنني مرتبط بالعمل أكثر من ارتباطي بالصحة الجيدة لنا، أو على الأقل لهدوء البال، فوق كل شيء. بمجرد أن يأتي جوجان سيشعر بالأمر ذاته، وسيتعافى.

سيأتي عليه يوم سيتمنى فيه، وسيكون قادرا، أن يكون رب الأسرة ثانية كما كان. إنني تائق لأن أعرف ماذا فعل في بريتاني. برنار كتب لي أشياء جيدة عن ذلك. لكن التصوير الغني صعب صنعه في البرد والفقر، وقد يتضح أن بيته الحقيقي حين ينتهي كل شيء، هو الجنوب الأدفأ والأسعد.

لو رأيت الكروم! ثمة عناقيد تزن كيلوجراما كاملا، والعنب رائع هذا العام، من أيام خريفية جميلة تأتي بنهاية صيف ترك لنا الكثير لنرغبه.

إنني نادم على إنفاق المال على صندوق الأدراج هذا، لكنه قد يوفر علينا شراء واحد أثمن، كان سعره ٣٥ على الأقل. وحين يأتي جوجان، سيكون بأي حال محتاجا لشيء يضع فيه ملابسه، وبأي حال ستكون غرفة نومه أكثر اكتمالا هكذا. (ألاحظ أن في هذه الخزانة ألواحًا تماما كتلك التي رسم عليها مونتيتشيلي.)

بمجرد أن تمر علينا لحظة نكون فيها أيسر حالا سآخذ هذا لنفسي وسيأخذ هو ذلك الذي سعره خمسة وثلاثون فرنكا. بهذا السعر سيمكننا دائما شراء شيء مستعمل، لكن ليس دائما بالسعر نفسه الذي اشتريت به هذا.

لقد كنت أفكر أن دراسات معينة لديك قد تشغل مساحة كبيرة في مكانك وتعيقك، يمكنك أن تنزعها من أطر الشد وترسلها إلي، حيث لدينا مساحة لتخزينها. إنني أقصد بهذا أشياء معينة من العام الماضي، أو في الواقع، أي شيء قد يعيق طريقك. ستكون باريس جميلة في الخريف، بأي حال. المدينة هنا تكون معتمة بالليل، كل شيء معتم.

أظن أن وفرة ضوء الغاز، الذي هو أصفر وبرتقالي، تزيد من حدة الأزرق، لأن سماء الليل هنا تبدو لي، وهذا أمر غريب، أدكن منها في باريس. وإن رأيت باريس ثانية، فسأحاول أن أصور تأثيرات ضوء الغاز على البوليفار.

آه، لا بد أن الأمر عكس ذلك في مرسيليا، أتصور أنها أجمل من باريس لا بد، لا كانبيير.

أفكر غالبا بمونتيتشيلي، وحين أتأمل ما يقولونه عن موته، يبدو لي أنه ليس فقط علينا أن نضع جانبا فكرة أنه مات مدمنا على الشراب بمعنى مخدرا بالشراب، لكن لا بد أيضا أن نعرف، أنه وأكثر من الشمال، فالحياة تمضي هنا في الهواء الطلق والمقاهي. صديقي رجل البريد، على سبيل المثال، يمضي وقتا طويلا في المقاهي وهو بالتأكيد مدمن على الشرب بشكل أو بآخر وكان كذلك طيلة حياته. لكنه وعلى النقيض من الخدر، نشوته طبيعية، وهو ذكي، ويجادل جدلا عريضا، على طريقة جاريبالدي، لدرجة أنني مستعد لاختزال أسطورة مونتيتشيلي شارب الأفسنتين لتناسب حالة رجل البريد هذا. لقد امتلأت ورقتي، اكتب لي بأسرع وقت ممكن. مصافحة، وحظا سعيدا.

المخلص دوما،

فنسنت

في يوم ما سأعرف ربما تفاصيل أيام مونتيتشيلي الأخيرة تلك.

في يوم ما قالت لي السيدة لاربي لا روكيت: مونتيتشيلي، الآن، مونتيتشيلي، لكنه رجل يجب أن يكون رئيس استوديو كبير في الجنوب.

في يوم آخر، أتذكر، كتبت لأختنا ولك أنني أحيانا أظن أن لدي شعورًا بأنني أتمم ما فعله مونتيتشيلي هنا. حسنا، لكن كما ترى الآن، فإننا نجهز الاستوديو المقصود. ما سيفعله جوجان، وما سأفعله بنفسي، سيكون تتمة للعمل الرائع الذي أنجزه مونتيتشيلي، وسيكون علينا أن نثبت للناس أن مونتيتشيلي لم يمت تماما، أنه جثم على طاولات المقاهي في لا كانبيير، لكنه الرجل المسن لا يزال حيا.

ولن ينتهي الأمر بنا، إننا نبدأ حركة على أرضية ثابتة.

٧٠٣ | آرل، السبت، ١٣ أكتوبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لم أتمنَّ أن يصل طلب الخمسين فرنكًا بأسرع من هذا، أشكرك جزيل الشكر.

لدي العديد من النفقات، ويضيق صدري أحيانا حين أدرك أن التصوير صنعة يمارسها أناس فقراء للغاية، وهي تكلف الكثير من المال.

لكن الخريف مستمر في كونه جميلا! يا له من مكان غريب من الريف، وطن تارتاران هذا! نعم، إنني سعيد بما لدي، إنه ليس ريفا ساميا وعاليا، إنه شيء من دومييه أصبح حيا. هل أعدت قراءة تارتاران بعد؟ آه، لا تنس ذلك! هل تذكر في تارتاران الحسرة على اجتهاد تاراسكون الشيخ، تلك الصفحة الرائعة. حسنا، لقد رسمت تلك العربة الحمراء والخضراء في ساحة الحانة. سترى.

(*sketch* A)

هذا الكروكي السريع سيعطيك تكوينها.
مقدمة بسيطة من الرمال الرمادية.

الخلفية بسيطة جدا أيضا، جدران صفراء ووردية بنوافذ خضراء، وركن من السماء الزرقاء.

العربتان كثيرتا الألوان: أخضر، أحمر، العجلات صفراء، أسود، أزرق، برتقالي، وقماشة رقم ٣٠ ثانية. العربتان ملونتان بأسلوب مونتيتشيلي، بتلوين سميك. لقد كان لديك في مرة لوحة جميلة لكلود مونيه تصور زوارق على الشط. حسنا، هنا أصور عربتين، لكن التكوين من النوع نفسه.

الآن تخيل شجرة تنوب ضخمة زرقاء وخضراء تفرش فروعها الأفقية على رقعة من العشب جد خضراء ورمال مرقشة بالضوء والظل.

«*sketch* B»

ركن الحديقة البسيط هذا تنعشه أحواض من زهور إبرة الراعي بالرصاص البرتقالي في مساحات الخلفية، تحت الفروع السوداء. شخصان لمحبين يقفان في ظل الشجرة الضخمة. قماشة رقم ٣٠.

ثم قماشتان رقم ثلاثين أخريان، جسر ترينكتاي، وجسر آخر، السكة الحديدية تعبر الطريق.

«*sketch* C»

هذه اللوحة مثل لوحة ملونة لبوسبوم.

«*sketch* D»

أخيرا، جسر ترينكتاي بكل درجاته، هي لوحة مصنوعة في صباح رمادي، الحجارة، الأسفلت، حجارة الشارع رمادية، السماء أزرق باهت، الشخوص الصغيرة ملونة، شجرة صغيرة بأوراق صفراء. لوحتان إذن، بالرمادي، ودرجات مكسورة، ولوحتان بألوان عالية.

سامحني على الكروكيات السيئة.

إنني منهك من تصوير اجتهاد تاراسكون ذاك، ويمكنني أن أرى أنني لست صافي الذهن كفاية لكي أرسم. إنني ذاهب لتناول العشاء، وسأكتب لك ثانية هذا المساء.

لكن هذا الديكور بدأ في الاتضاح قليلا، وأعتقد أنه سيوسع طريقة نظري ورسمي.

سيكون متاحا لألف نقد، حسنا، لكن لا يهم ذلك، ما دمت قد استطعت أن أضع بعض الروح فيه.

Mon cher Theo, je n'avais tout a fait osé espérer aussitôt ton nouveau mandat de 50 francs dont je te remercie beaucoup.
J'ai beaucoup de frais et cela me chagrine bien quelquefois lorsque de plus en plus je m'aperçois que la peinture est un métier qui probablement est exercé par des gens excessivement pauvres puisqu'il coûte beaucoup d'argent.
Mais l'automne continue encore à être d'un beau! quel drôle de pays que cette patrie de Tartarin. Oui je suis content de mon sort, c'est pas un pays superbe et sublime ce n'est que du Daumier bien vivant.
As tu déja relu les Tartarin ah ne l'oublie pas! Te rappelles tu dans Tartarin la complainte de la vieille ~~omnibus~~ diligence de Tarascon - cette admirable page. Eh bien je viens de la peindre cette voiture rouge et verte dans la cour de l'auberge. Tu verras.



ديليجينس (عربة جياد فرنسية)

Carriages [illegible] t'en donne la composition avant plan simple de sable gris fond aussi très simple murailles roses et jaunes avec fenêtres à persiennes vertes coin de ciel bleu. Les deux voitures très colorées vert rouge roues jaune noir bleu orangé. Toile de 30 toujours. Les voitures sont peintes à la Monticelli avec des empâtements. Tu avais dans le temps un bien beau Claude Monet représentant 4 barques colorées sur une plage. Eh bien c'est ici des voitures mais la composition est dans le même genre.



Suppose maintenant un sapin bleu vert immense étendant des branches horizontales sur une pelouse très verte et du sable tacheté de lumière et d'ombre. Ce coin de jardin fort simple est égayé par des parterres de géraniums orangé dans les fonds sous les branches noires. Deux figures d'amoureux se trouvent à l'ombre du grand arbre. Toile de 30.

الحديقة العامة واثنان يتجولان. (حديقة الشاعر)



(من الأعلى إلى الأسفل) الجسر، جسر ترينكويتاي

لكن نعم، ريف تارتاران، إنني أستمتع بنفسي هنا أكثر وأكثر، وسيكون كوطن جديد لنا. لم أنس هولندا مع ذلك، إنها التباينات تحديدا ما يجعلني أفكر فيها كثيرا. سأعود لهذا الخطاب بعد قليل.

الآن عدت لهذا الخطاب ثانية. كم أود لو أستطيع عرض العمل الذي يتم إنجازه عليك!

إنني جد مرهق وأستطيع أن أرى أنني لن أكتب كثيرا.

سأكتب لك بشكل أفضل في مرة أخرى، لأنها بدأت تتخذ شكلا الآن، فكرة الديكور تلك.

لقد كتبت لجوجان ثانية في يوم أمس، لأقول له ثانية إنه سيتعافى سريعا هنا.

وسيصنع أشياء جميلة هنا. سيحتاج وقتا لكي يتعافى. أؤكد لك أنني أعتقد أنه إن كانت أفكار العمل تأتيني بشكل أوضح وبشكل أغزر في الوقت الحاضر، فإن تناول الطعام الجيد له يد في ذلك. وهذا ما يجب أن يحظى به كل من يمتهن التصوير.

كم من الأشياء لم يزل يحتاج التغييرا أليس صحيحا أن كل الرسامين عليهم أن يعيشوا مثل العمال اليدويين؟ نجار، أو حداد، ينتج أكثر بكثير مما ينتجونه. في التصوير أيضا، لا بد من وجود استوديوهات كبيرة يمكن لكل شخص أن يعمل فيها بشكل ثابت.

إنني أنا واقف، ولا يمكنني أن أرى جيدا، عيناي متعبتان.

سأكتب أكثر قريبا، لأن لدي الكثير مما أريد قوله، ويجب أن أصنع لك تخطيطات أفضل. من الأرجح أنني سأصنعها غدا.

أشكرك كثيرا ثانية على المال. أصافحك بقوة.

المخلص دوما،

فنسنت

لقد بدأت العمل على خمس لوحات هذا الأسبوع، هذا يجعل عدد لوحات الديكور من القماشات مقاس ٣٠، خمس عشرة لوحة.

٢ لوحة لعباد الشمس
٣ "" لحديقة الشاعر
٢ "" حديقة أخرى
١ "" مقهى الليل
١ "" جسر ترينكتاي
١ "" جسر السكة الحديد
١ "" البيت
١ "" اجتهاد تاراسكون.
١ "" ليلة النجوم
١ "" الشقوق
١ "" الكرم

٧٠٦ | آرل، الأربعاء، ١٧ أكتوبر ١٨٨٨

إلى بول جوجان (F)

عزيزي جوجان،

شكرا لخطابك، وشكرا جزيلا لوعدك بالمجيء في العشرين من الشهر. أوافقك، فهذا السبب الذي تذكره لن يجعل رحلة القطار رحلةً ممتعة، ومن الصحيح أنك يجب أن تؤجل الرحلة حتى يمكنك أن تقوم بها دون أن تشكل إزعاجا سخيفًا. لكن بوضع ذلك جانبا، إنني أغبطك على هذه الرحلة، والتي ستريك، أميالا وأميالا من الأرياف المتنوعة بروعة الخريف. لا أزال أحتفظ في ذاكرتي بمشاعر أعطتني إياها الرحلة من باريس لآرل في الشتاء الماضي. كم انتظرت لأرى "إن كانت أصبحت كاليابان بعد" طفولي، أليس كذلك؟

انظر هنا، لقد كتبت لك في ذلك اليوم أن بصري مرهق بغرابة. حسنا، لقد ارتحت ليومين ونصف اليوم، ثم عدت للعمل. لكن لأنني لست مستعدا للخروج خارج البيت، صنعت، من أجل الديكور مرة أخرى، لوحة مقاس رقم ٣٠ لغرفة نومي بالأثاث المصنوع من الخشب الأبيض الذي تعرفه. آه، حسنا، لقد استمتعت كثيرا بصنع هذا الديكور المنزلي العاري. ببساطة على طريقة سورا.

«*sketch* A»

بظلال مسطحة، لكن ملونة بألوان سميكة بالفرشاة، الجدران ليلكي شاحب، الأرضية بأحمر مكسور ومتلاشٍ، الكراسي والسرير بكروم أصفر، الوسائد والملاءة بأخضر ليموني شاحب، الفرش بالأحمر الدموي، طاولة الملابس بالبرتقالي، حوض الغسيل بالأزرق، النافذة خضراء. لقد أردت أن أعبر عن الهدوء التام بهذه الدرجات المختلفة، كما ترى، والتي بينها يكون الأبيض الجيد هو درجة صغيرة تعطيها المرآة ذات الإطار الأسود (لنحشر فيها الزوج الرابع من المتكاملات أيضا).

بأي حال، ستراها مع الأخريات، وسنتحدث عنها. ولأنني غالبا لا أعرف ما أفعله، أعمل مثل من يسير وهو نائم.

لقد بدأ الطقس يصبح أبرد، خاصة في الأيام التي تهب فيها الميسترال.
لقد حصلت على غاز في الاستوديو، ليمكننا أن نحصل على إضاءة جيدة في الشتاء.

ربما ستفقد رغبتك بالمكوث في آرل إن أتيت في أثناء هبوب الميسترال، لكن انتظر... إنه في المدى الطويل حيث الشاعرية التي هنا تبدأ في الظهور.

لن تجد البيت مريحا كما نود أن نجعله بالتدريج. ثمة العديد من النفقات، ولا يمكن فعل ذلك في مرة واحدة. بأي حال، أعتقد أنك بمجرد أن تحضر هنا، مثلي، ستجتاحك رغبة عارمة في تصوير آثار الخريف، بين نوبات الميسترال. وأنك ستفهم لماذا أصررت على مجيئك الآن في هذه الأيام الجميلة. وداعا الآن.

المخلص أبدا،

فنسنت

Eh bien cela m'a énormément amusé de faire cet intérieur sans rien. D'une simplicité à la Seurat



À teintes plates mais grossièrement brossées en pleine pâte les murs lilas pâle le sol d'un rouge rompu & fané les chaises & le lit jaune de chrome les oreillers et le drap citron vert très pâle la couverture rouge sang la table à toilette orangée la cuvette bleue la fenêtre verte J'avais voulu exprimer un repos absolu par tous ces tons très divers vous voyez et où il n'y a de blanc que la petite note que donne le miroir à cadre noir (pour fourrer encore la quatrième paire de complémentaires dedans)
Enfin vous verrez cela avec les autres et nous en causerons car je ne sais souvent

غـرفـة النــوم

٧٠٩ | آرل، الأحد، ٢١ أكتوبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكر خطابك والخمسين فرنكا التي احتواها. وشكرت لكتابتك لي أكثر عن تصوير أولئك الفنانين الهولنديين.

لقد حصلت على الغاز، في الاستوديو والمطبخ، ما كلفني ٢٥ فرنكا للتركيب. إن عملتُ أنا وجوجان كل مساء لأسبوعين، ألن نحصل عليها ثانية؟ لكن بما أن جوجان قد يحضر في أي يوم الآن، فسأحتاج حتما خمسين فرنكا أخرى.

أنا لست مريضا، لكنني سأصبح مريضا دون شك إن لم آكل جيدا وإن لم أتوقف عن التصوير لبضعة أيام. في الواقع، لقد كادت تصل بي الحال إلى جنون هوجو فان در جوز في لوحة إميل فاوترز. ولولا أن لدي طبيعة مزدوجة، شيئًا من الكاهن والرسام، كنت سأكون منذ ذلك الوقت في الحال التي ذكرتها أعلاه. لكن حتى مع كل هذا، لا أظن جنوني سيكون من نوعية الاضطهاد، بما أن مشاعري في حالة من الإثارة مرتبطة أكثر بانشغالات بالأبدية والحياة الخالدة.

لكن مع ذلك، لا بد أن أحاذر من أعصابي... إلخ.

أقول هذا فقط لأنك ستكون مخطئا إن ظننت أنني شعرت بأي تحفظ حول هذين الرسامين الهولنديين. لكن في الحقيقة، فقط بعد خطابك الثاني يمكنني أن أشكل فكرة عما يفعلانه، وأنا تائق لرؤية صور فوتوغرافية لعملهما.

لدي رغبة ملحة في كتابة خطاب لك لكي يمكنك أن تجعلهما يقرآنه، لأشرح مرة أخرى لماذا أومن بالجنوب للمستقبل والحاضر.

وفي الوقت نفسه لأقول كم أومن بقوة بأننا محقون في رؤيتنا في حركة الانطباعية ميلا تجاه الأشياء العظيمة، وليس فقط مدرسة ستحدد نفسها بصناعة تجارب بصرية.

والحال نفسه مع أولئك الذين يصنعون تصويرا تاريخيا، أو على الأقل صنعوه في الماضي، وبينما ثمة بعض المصورين التاريخيين السيئين، مثل ديلاروش، وديلروت، أليس ثمة جيدون مثل ديلاكروا وميسيونير؟

حسنا إذن، وبما أن لدي نية ثابتة للتوقف عن التصوير لثلاثة أيام، ربما سأرتاح بالكتابة لك ولهم في الوقت ذاته. لأنك تعلم أن ذلك يهمني كثيرا، التأثير الذي للانطباعية على الرسامين الهولنديين ومحبي الفن الهولنديين.

‹sketch A›

ها هو تخطيط تقريبي للوحتي الأخيرة. صف من السرو الأخضر على خلفية سماء وردية بهلال ليموني شاحب.

المقدمة قطعة من الأرض الخربة، وبعض الرمال، والشوك. محبان، الرجل أزرق شاحب بقبعة صفراء، والمرأة بصدرية وردية وتنورة سوداء. هذا يصنع اللوحة الرابعة من "حديقة الشاعر" التي هي ديكور لغرفة نوم جوجان.

يرعبني أن أطلب منك مالا ثانية، لكن ليس باليد حيلة، وأنا مجهدٌ مرة أخرى. بأي حال، أظن أن العمل الذي أفعله في أثناء إنفاق مال أكثر قليلا سيبدو لنا في يوم ما أقل نفقة من عملي السابق.

بالإضافة إلى أنني قد أخبرتك بالفعل أنه لو نجح الأمر، أن تصنع صفقة مع توماس، فستكون لدي رغبة قوية لأضع حتى ٢٠٠ فرنك زائدة في العمل قبل وصول جوجان.

وبما أن ذلك لم يمكن فعله، فإنني ضغطت قدما مع ذلك بما يمكنني في العمل الذي يجري حاليا، في رغبة قوية ليمكنني أن أريه شيئا جديدا. وكي لا أقع تحت تأثيره (لأنه بالتأكيد سيكون له تأثير علي، أرجو ذلك) قبل أن يمكنني أن أريه ودون أي شك، أصالتي. سيرى ذلك بأي حال من الديكور كما هي حاله الآن.



صف من أشجار السرو واثنان يتجولان

أرجوك، إن كان ذلك ممكنا بالنسبة لك، أرسل لي خمسين فرنكا أخرى مباشرة، لا يمكنني أن أعرف ماذا سأفعل دونها. أنا سعيد لأنك قد قرأت تارتاران ثانية. بأي حال. أتمنى أن يكون باستطاعتك أن تكتب لي بعودة هذا البريد. أصافحك بشدة.

المخلص دوما،

فنسنت

٧١٢ | آرل، نحو الخميس، ٢٥ أكتوبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك والخمسين فرنكا التي تضمنها. كما علمت من برقيتي، وصل جوجان بسلام. بل لقد أعطاني انطباعا بأنه في حال أفضل من حالي.

إنه بطبيعة الأمر سعيد جدا بالبيع الذي حققته، ولست أقل سعادة منه، بما أنه بهذه الطريقة فإن نفقات معينة أخرى ضرورية تماما للانتقال لن تحتاج الانتظار ولا ستقع على كاهلك وحدك. جوجان سيكتب لك اليوم بالتأكيد. إنه رجل مثير للاهتمام، ولدي كل الثقة أننا معه سنصنع أشياء عظيمة وعديدة. من المرجح أنه سينتج كثيرا هنا، وأنا أيضا ربما، أتمنى.

ثم إنني أجرؤ على أن أظن أن الحمل سيكون أقل ثقلا عليك، وأجرؤ على الاعتقاد أنه سيصبح أخف بكثير.

أنا بنفسي أشعر بالحاجة للإنتاج، إلى حد التحطم العقلي والاستهلاك الجسدي، تحديدا لأنه باختصار ليس لدي وسيلة أخرى، البتة، كيما أسترجع نفقاتنا.

لا يمكنني فعل شيء حيال ذلك إن لم تبع لوحاتي. سيأتي يوم، مع ذلك، حين يرى الناس أنها تستحق أكثر من ثمن الألوان وثمن معيشتي، الضئيل جدا، الذي نضعه فيها. ليست لدي أي أمنية أخرى ولا أي هم آخر متعلق بالمال أو التمويل سوى أن أكون دونَ ديونٍ أولا.

لكن يا أخي العزيز، إن ديني كبير لدرجة أنني حين أكون قد وفيته، وهو ما أظنني سأنجح في فعله، ستكون صعوبات إنتاج اللوحات قد استهلكت حياتي كلها، وسيبدو لي أنني لم أعش. الشيء الوحيد هو ربما أن إنتاج اللوحات سيكون أصعب عليّ، وبخصوص الأرقام، لن تكون عديدة.

واقع أنها لا تبيع الآن يجعلني قلقًا لأنك تعاني أيضا، لكنه لن يهمني إن كنت لست في ضائقة مالية بسبب أن لوحاتي لا تبيع.

لكن فيما يخص المال فإنه من الكافي بالنسبة لي أن أشعر بتلك الحقيقة، أن الرجل الذي يعيش لخمسين عاما وينفق ألفي فرنك في السنة، ينفق مائة ألف فرنك، وعليه أن يكسب مائة ألف أيضا. أن تصنع ألف لوحة ثمن كل منها مائة فرنك في عمر واحد كفنان هو أمر صعب للغاية، وحين تكون اللوحة بمائة فرنك، وأيضًا، فإن مهمتنا تكون شاقة. لكن لا شيء من هذا يمكن تبديله.

سنخذل تاسيه تماما، على الأرجح، لأنه ولمدى كبير على الأقل، سنستخدم ألوانا أقل كلفة، كلٌ من جوجان وأنا. أما عن القماش، فسنحضره بنفسينا.

لقد شعرت لفترة بأنني سأسقط مريضا، لكن حضور جوجان قد شغل بالي لدرجة أنني متأكد أن ذلك سيمر. لا بد ألا أهمل في غذائي لفترة، وهذا كل شيء. تماما كل شيء.

وبعد فترة ستحصل على بعض العمل.

جوجان أحضر لوحة رائعة بادلها مع برنار، امرأة بريتونية في مرج أخضر. أبيض، أسود، أخضر، ودرجة حمراء، والدرجات الشاحبة للحم. بأي حال، لنشعر بالرضا جميعا.

أنا مؤمن بأن يوما سيأتي وسأبيع فيه أنا أيضا لكنني متأخر معك، وبينما أنفق الكثير لا أكسب مالا. ذلك الشعور يجعلني حزينا في بعض الأحيان.

إنني سعيد للغاية لما كتبتَه، أن أحد الهولنديين سيأتي ليعيش معك، وأنك بهذه الطريقة لن تكون وحيدا. إن ذلك رائع تماما، خصوصا وأن الشتاء على الأبواب. بأي حال، إنني على عجلة من أمري، ويجب أن أخرج لأعود للعمل على لوحة مقاس ثلاثين أخرى.

قريبا حين يكتب لك جوجان، سأضيف خطابا آخر إلى خطابه.

بالطبع، لا أعرف مقدما ما سيقوله جوجان عن هذا الجزء من العالم وعن حياتنا، لكن بأي حال فإنه سعيد للغاية بالبيع الذي أديته له.

سأكتب قريبا، مصافحة لك.

المخلص أبدا،

فنسنت

٧١٦ | آرل، الخميس ١ أو الجمعة ٢ نوفمبر ١٨٨٨

فنسنت فان جوخ وبول جوجان إلى إميل برنار (F)

لقد أنجزنا الكثير من العمل في هذه الأيام القليلة الماضية، وفي الوقت الحالي قد قرأت كتاب زولا "الحلم"، لذا فإنني لا أكاد أجد وقتا للكتابة.

جوجان يثير اهتمامي كرجل، بشكل كبير. لوقت طويل بدا لي أن في عملنا الوسخ كرسامين لدينا حاجة كبيرة لأناس لهم أيدي ومعدات العمال، وأذواق طبيعية، وأمزجة كريمة ومحبة، وليسوا كرجال المدينة المهترئين والمرهقين في باريس.

الآن وهنا، دون أدنى شك، إننا في حضرة كائن لم تفسده الحضارة، بغرائز وحش بري. مع جوجان، فإن الدم والجنس لهما الصدارة على الطموح. لكن يكفي هذا، لقد رأيته عن قرب أكثر مما فعلت أنا، فقط أردت أن أخبرك بانطباعي المبدئي بكلمات قليلة.

ثم إنني لا أظنك ستندهش إن قلت لك إن نقاشاتنا تميل للتعامل مع الموضوع الرائع لاتحاد فنانين معينين. وهل ستكون لذلك الاتحاد شخصية تجارية، نعم أم لا؟ لم نصل لأي نتيجة بعد، ولم نفعل سوى أن وضعنا أقدامنا على شاطئ قارة جديدة.

وأنا من يحدس بعالم جديد، والذي يؤمن بالتأكيد بإمكانية نهضة عظيمة للفن. والذي يؤمن بأن ذلك الفن الجديد سيتخذ المناطق المدارية كبيت له.

يبدو لي أننا نعمل فقط كوسطاء. وأن الجيل التالي فقط هو من سينجح في الحياة بسلام. بأي حال، كل هذا، واجباتنا وإمكانات الفعل، يمكن أن تصبح أوضح لنا عبر التجربة الفعلية.

لقد اندهشت قليلا لأنني لم أستلم الدراسات التي وعدتَ أن تبادل بها دراساتي.

الآن شيءٌ سيثير اهتمامك، لقد قمنا ببعض البعثات الاستكشافية للمواخير، ومن المرجح أننا سنذهب هناك للعمل. في الوقت الحالي فإن جوجان لديه لوحة قيد العمل للمقهى الليلي نفسه الذي رسمته بنفسي. لكن بشخوص رآها في المواخير. إنها لوحة تعد بشيء جميل.

لقد صنعت دراستين لأوراق متساقطة في درب من أشجار الحور، ودراسة ثالثة لهذا الدرب كاملا، صفراء بالكامل.

إنني أعلن عدم فهمي للسبب الذي يمنعني من عمل دراسات للشخوص، بينما نظريا يبدو لي أنه من الصعب تصور تصوير المستقبل كأي شيء غير سلسلة جديدة من رسامي البورتريه الأقوياء، بسيط ومفهوم لكل الجمهور العام. بأي حال، ربما سأقوم بتصوير المواخير قريبا.

سأترك صفحة لجوجان، الذي سيكتب لك على الأرجح، وأصافحك بشدة.

المخلص لك»

فنسنت

مييه الملازم من جند المستعمرات قد رحل إلى أفريقيا، وسيكون سعيدا إن كتبت له في يوم ما.

(مستكملا بوساطة بول جوجان)

ستصنع معروفا إن كتبت له عن نياتك، حتى يتسنى له اتخاذ الخطوات المسبقة لتحضير الطريق لك.

السيد مييه، الملازم في الزواڤي، جويلما، أفريقيا.

لا تنصت إلى فنسنت، كما تعرف فهو مهيأ للإعجاب وخلاف ذلك من المتع. فكرته عن مستقبل جيل جديد في المناطق المدارية تبدو صحيحة تماما بالنسبة لي كمصورآم، وما زلت أنوي الذهاب إلى هناك حين أجد تمويلا. بعض من الحظ، من يعلم؟ لقد صنع فنسنت دراستين لأوراق متساقطة في درب، وهما في غرفتي وأظنك ستحبهما للغاية. سميكة للغاية لكنها متشبعة جيدا.

أرسل أخبارا عنك وعن كل الرفاق.

المخلص،

بول جوجان

٧١٨ | آرل، السبت، ١٠ نوفمبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد استلمت رسالة من السيد إي. دوجاردان بخصوص عرض بعض لوحاتي في حفرته المظلمة. أجده من المقرف للغاية أن أدفع للمعرض المزمع بلوحة، وليس ثمة رد آخر ممكن لرسالة ذلك السيد. ثمة رد واحد ستجده مرفقا. أرسل ردي إليك وليس إليه حتى تعرف أفكاري وحتى تقول له ببساطة إنني غيرتُ رأيي وليست لدي رغبة في العرض في الوقت الحاضر. لا نفع من أن نغضب على هذا السيد، من الأفضل أن نبدي أدبا مبتذلا.

إذن لا عرض في مجلة إنديبندانت، إنني أجرؤ على الاعتقاد بأن لجوجان الرأي نفسه. بأي حال فهو لا يحثني على فعل هذا.

لم نعرض تقريبا، هل فعلنا؟

كانت هناك بضع لوحات في مكان تانجي بداية، وعند توماس، وعند مارتان.

الآن سأعلن هنا أنني لا أعرف البتة أي هدف يخدمه هذا. ويبدو لي عادلا، بالتأكيد، أن تحتفظ بالدراسات التي أحببتها في شقتك، وأن ترسل البقية إلي هنا ملفوفة، بما أن شقتك صغيرة وإن احتفظت بها كلها فسوف تعيق الحركة.

لذا، دون عجلة، فإنني أحضر هنا ما يستلزمه تنفيذ معرض أكثر جدية.

أما عن مجلة إنديبندانت فسأسألك أن تضع نهاية لهذا، الفرصة جيدة أكثر من اللازم، وستشعر بأنهم مخطئون إن تصوروا أنني سأدفع لأعرض لوحاتي في حفرة صغيرة ومظلمة وفوق كل شيء ماكرة.

الآن وباعتبار اللوحات القليلة التي عند تانجي أو توماس، فإن هذا الأمر لا يهمني وفي الحقيقة لا يستحق التحدث عنه، لكن يجب أن تعلم أنت وفوق كل شيء أنني لست مرتبطا بتلك الفكرة. أعرف مقدما ما سأفعله في اللحظة التي أملك فيها عددا كافيا من اللوحات. في الحاضر إنني فقط أشغل نفسي بصناعتها.

ما سيسعدك هو أن جوجان أنهى لوحته التي تصور نساء يقطفن العنب، إنها بجمال النساء السود، وإن دفعت السعر نفسه لها كما للنساء السود (٤٠٠ كما أظن) فسيكون هذا جيدا أيضا. لكن بطبيعة الأمر سيكون عليك أن تختار من بينها كلها، ولم أر بعد أشياء بريتون. لقد شرح بعضا منها لي، ولا بد أنها جيدة.

لقد صنعت تخطيطًا تقريبيا لمبغى، وفي الواقع فإنني أخطط للوحة للمبغى. جوجان وصل في العشرين من أكتوبر، ويجب أن نضع في الحسبان أنه استلم منك خمسين فرنكا الشهر الماضي.

أظن أنه حول عرض أعمالي يجب أن نشرح رأينا بوضوح. أما عنك، فأنت مع آل جوبيل، وليس مسموحا لك أن تقوم بأعمال خارج الشركة. وبما أنني لست موجودا فلن أعرض. اكرر، إنني لا أبالي بمكان تانجي، بما أن تانجي واع تماما بأنه لا حق له في لوحاتي، البتة. إذن، موقفي واضح على الأقل، وهو ما يهمني. بالعمل أكثر سيكون لدي ما يجعلني مستغنيا عن العرض تماما، هذا ما أهدف إليه.

أنا أيضا انتهيت من لوحة الكرم، بالأرجواني والأصفر وقليل من الشخوص بالأزرق والبنفسجي وشمس صفراء.

أظنك ستكون قادرا على وضع هذه اللوحة بجوار مناظر مونتيتشيلي الطبيعية.

سأبدأ بالعمل من الذاكرة، واللوحات المصنوعة من الذاكرة هي أقل غرابة ولديها هيئة فنية أكثر من الدراسات المصنوعة من الطبيعة، خاصة وأنا أعمل في ظرف الميسترال.

لا أظنني قد أخبرتك بعد بأن مييه ذهب إلى أفريقيا. لديه دراسة لي بسبب الصعوبات في أخذ اللوحات لباريس، وجوجان أعطاه رسما صغيرا مقابل نسخة بها رسومات من المدام أقحوان. لم أستلم بعد مبادلتي من بون أفون لكن جوجان طمأنني بأن اللوحات قد انتهى صنعها.

الطقس ماطر وعاصف هنا، وأنا سعيد جدا لأنني لست وحيدا، أعمل من الذاكرة في الأيام سيئة الطقس، ولم يكن هذا ممكنا إن كنت وحيدا.

جوجان كاد أن ينتهي أيضا من مقهاه الليلي. إنه صديق مثير للاهتمام، يجب أن أخبرك أنه يعرف كيف يطبخ ببراعة، أظنني سأتعلم ذلك منه، إن ذلك مريح جدا.

إننا راضون بصنع الإطارات من قطع بسيطة من الخشب مسمرة على إطار الشد ومطلية، وهو ما بدأت بعمله.

«*sketch* A»

هل تعلم أن جوجان شارك في اختراع الإطار الأبيض؟ لكن الإطار الذي صنعه من أربع شرائط من الخشب مسمرة على إطار الشد يكلف خمسة قروش، ونحن ماضون في تعلم صناعة ذلك. إنه مناسب للغاية، بما أن هذا الإطار لا يخرج عن نطاق اللوحة ويكون متحدا مع القماش.

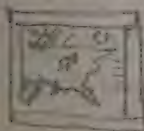
سأكتب أكثر قريبا، أصافحك بشدة وتحياتي للهولندي.

المخلص لك،

فنسنت

جوجان يرسل إليك تحياته الدافئة، ويطلب منك أن تحتفظ من سعر أول لوحة ستبيعها بالمبلغ اللازم من أجل إطارات الشد، التي يريدها مع المفاتيح، وأيضا ما سيطلبه برنار منك كعمولة.

J'ai fait une nouvelle toile d'une vigne toute pourpre et jaune avec des figures bleues et violettes et un soleil jaune.
Je crois que tu pourras mettre cette toile à côté des paysages de Monticelli.
Je vais me mettre à travailler souvent de tête et les toiles de tête sont toujours moins gauches et ont un air plus artistique que les études d'après nature surtout lorsqu'on travaille par un temps de mistral.
Je crois ne pas encore t'avoir dit que Milliet est parti en Afrique. Il a une étude de moi pour la peine qu'il s'est donnée pour porter les toiles à Paris et Gauguin lui a donné un petit dessin en échange d'une étude [illegible].
Je n'ai toujours pas reçu les échanges de [illegible]. [illegible] Gauguin me confirme que les toiles [illegible].
Il fait un temps de vent et de pluie et je suis bien content de ne pas être seul je travaille de tête les jours mauvais et cela si j'étais seul ne serait pas.
Gauguin a aussi presque fini son café de nuit. Il est bien intéressant comme ami — il faut que je te dise qu'il sait faire la cuisine parfaitement je crois que j'apprendrai cela de lui c'est bien commode.
Nous nous trouvons fort bien de faire des cadres avec de simples baguettes clouées sur le châssis et peintes [illegible]



[illegible] Gauguin [illegible] bleues [illegible] mais le cadre de 4 baguettes clouées sur le châssis coûte 5 sous

نموذج لإطار بسيط وكروم حمراء

٧٢١ | آرل نحو الاثنين، ١٩ نوفمبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لوحة جوجان "أطفال بريتون" وصلت، وقد غير فيها بشكل جيد للغاية. لكن على الرغم من أنني أحب تلك اللوحة، فمن الأفضل أن تباع، بما أن الاثنتين اللتين سيرسلهما إليك من هنا أفضل ثلاثين مرة. إنني أقصد النساء اللائي يجمعن العنب والمرأة مع الخنازير. سبب هذا أن جوجان بدأ يتغلب على مشكلة كبده أو معدته التي ضايقته مؤخرا.

الآن أكتب لك ردا على ما كنت تخبرني به، أنك ستؤطر اللوحة الصغيرة التي تحتوي شجرة الخوخ الوردية كما أظن، لتضعها مع أولئك السادة.

لا أريد أن أترك شكا فيما أظنه بهذا الخصوص.

أولا، إن كنت تريد بنفسك أن تضع شيئا جيدا أو سيئا لي هناك، فكلمتي إن كان ذلك سيسعدك، هي أنك بالطبع لديك كل الحرية في فعل ذلك إما الآن وإما لاحقا.

لكن، من جهة أخرى، لو كان ذلك من أجل رضاي أو فائدتي، فسيكون رأيي أن ذلك لا داعي له البتة.

إن كنت ستسألني عما يجعلني سعيدا، فهو ببساطة شيء واحد، أن تحتفظ لنفسك بما تحب مما أصنع، في الشقة، وألا تبيع أيا منها الآن.

الباقي، الأشياء التي تعيق الطريق، أرسلها إلي هنا لهذا السبب الجيد، أن كل ما صنعته من الطبيعة سيكون إرساله إلي بمنزلة عمل معروف كبير لي.

جوجان، رغما عن نفسه وعني، قد أثبت لي نوعا أن الوقت قد حان لأنوّع الأشياء قليلا، إنني قد بدأت بالتأليف من ذاكرتي، وكل دراساتي ستظل مفيدة لي لهذا العمل، بما

أنها تذكرني بأشياء قد رأيتها. إذن ما نفع بيع أي منها إن لم نكن في حاجة للمال؟ لأنه وبالإضافة إلى ذلك، أنا واثق أنك وحتى في ظروفنا الحالية سترى الأشياء بهذه الطريقة.

بالنسبة لك، أنت مع آل جوبيل، لكنني لست معهم بالتأكيد. بعد العمل هناك لست سنوات كنا غير راضين تماما من الجانبين، أنا لم أرضَ بهم وهم لم يرضوا بي. إنها حكاية قديمة، لكن هذه هي الحال.

لذا استمر في طريقك، لكن فيما يخص العمل يبدو لي أنه من غير اللائق بسلوكي السابق أن أعود إلى هناك مع لوحة بريئة كشجرة الخوخ الصغيرة أو أي شيء يشبهها. كلا. إن كنت أمتلك ما يكفي لعمل معرض لي في خلال عام أو اثنين، دعنا نقُل ثلاثين أو نحو ذلك العدد من اللوحات مقاس رقم ٣٠.

وإن قلت لهم، هل ستفعلون هذا من أجلي، فبوسو سيرفض بالتأكيد. وبما أنني أعرفهم للأسف جيدا، فأظنني لن أحاول معهم. ليس لأنني سأحاول أن أفسد أي شيء، بالعكس، يجب أن تعترف بأنني أنصح الجميع بهم بحماس.

لكن بالنسبة لي، كلمتي أنني لدي ضغينة قديمة عليهم.

تأكد تماما وكن واثقا أنني أعتبرك -كبائع للوحات الانطباعيين- مستقلا للغاية عن آل جوبيل، لدرجة أنه سيكون من دواعي سروري دائما أن أحث الفنانين على الذهاب إلى هناك. لكنني لا أريد أن يحظى بوسو أبدا بفرصة أن يقول "هذه اللوحة الصغيرة ليست سيئة بالنسبة لمبتدئ مثل هذا الشاب"، كأن لم يحدث في السابق أن...

على النقيض من ذلك، لن أعود إليهم، وأفضل ألا أبيع على الإطلاق على أن أدخل إليهم بشكل غير مباشر جدا. وهم ليسوا بمن يحب المباشرة، لذا لا يستحق الأمر أن أبدأ من جديد.

كن واثقا بأننا كلما كنا واضحين حيال هذا أتوا إليك ليروها. أنت لا تبيعها، لذا بعرضك لعملي عليهم فأنت لا تتاجر خارج شركة بوسو، فالدون أند سي. وهكذا تكون قد تصرفت بأمانة، وهذا جدير بالاحترام.

إن أراد أحد الشراء، حسنا، فكل ما عليهم فعله أن يتعاملوا معي مباشرة. لكن كن واثقا من هذا: إن كنا نستطيع أن نتحمل الحصار فسيأتي يومي. لا يمكنني ولا يجب أن أفعل أي شيء سوى العمل.

يبقى شيء واحد ربما مع ذلك، سأقوم بالرد على جت موف، وأخبرها عددًا من الأمور عن جوجان... إلخ، وأرسل إليها بعض الكروكيات، وهكذا سينتبه ترستيج بشكل غير مباشر. أنا وجوجان نتحدث غالبا عن حاجتنا لعمل معارض في لندن، وربما سنرسل إليك رسالة ليقرأها ترستيج. الأمر هو كالتالي، إن جاء شخص متحمس خلفًا لترستيج، وهذا اليوم يقترب، فلن يقدر الأخير على العمل مع أي شيء سوى اللوحات الجديدة.

مصافحة، سنحتاج ألوانا أكثر.

يجب أن أخبرك أيضا أن الشهر يمضي بنا نحن الاثنين بشكل أفضل وكل منا ينفق مائة وخمسين فرنكا بدلا من إنفاقي مائتين وخمسين وحدي فقط. بنهاية العام ستلاحظ أن ذلك أفضل ومناسب بأي حال.

لا يمكنني أن أقول رأيي بعد. وأنا نادم على ملء الغرفة باللوحات وعدم وجود ما أرسله حين يرسل جوجان لوحته.

الأمر كالتالي، بخصوص اللوحات الإمباستو، جوجان قد أخبرني كيف أتخلص من الدهن بغسيلها من آن لآخر.

وعلاوة على ذلك، حين ينتهي هذا، يجب أن أشتغل عليها ثانية بإضافة بعض اللمسات الأخيرة.

إن أرسلت إليك أيا منها الآن، فسيكون لونها كابيا عما سيكون عليه إن أرسلتها لاحقا.

كلهم يظنون أن ما أرسلته صُنعَ على عجل. لن أنكر ذلك، وسأقوم ببعض التغييرات.

إن مرافقة جوجان أمر رائع وأن أراه يعمل هو أمر أروع. سترى أن أناسا معينين سينتقدون جوجان لأنه لم يعد يصور بالطريقة الانطباعية.

لوحتاه الأخيرتان اللتان ستراهما ثابتتا الإمباستو، بل إنه استخدم السكين فيهما. وسيضع هذا لوحات بريتون في الظل قليلا، ليس كلها، بعضًا منها فقط.

ليس لدي وقت للكتابة، وإلا كنت قد كتبت إلى هذين الهولنديين. حصلت على رسالة من بوش، تعرف ذلك البلجيكي الذي لديه أخت من جماعة العشرين. إنه مستمتع بالعمل هناك.

إنني أتمنى حقا أن نظل دائما أصدقاء جوجان، وأن نعمل معه، وإن نجح في إنشاء استوديو في المناطق المدارية فسيكون هذا هائلا. لكن هذا سيحتاج لمال أكثر بحساباتي من حساباته.

جيومان كتب إلى جوجان، يبدو أنه واقع في مشكلة لكن لا بد أنه صنع أعمالا جيدة. لديه طفل الآن، لكنه مرتعب من الحبس جراء ذلك، ويقول إنه سيكون لديه "الرؤية الحمراء" للأمر أمام عينيه. جوجان فقط رد عليه، قائلا إنه، جوجان، قد رآها ست مرات.

جت موف في صحة أفضل، وكما قد تعلم فهو يعيش في لاهاي منذ أغسطس الماضي، بقرب المقبرة اليهودية، أي يكاد يكون في الريف.

لن تخسر شيئا بانتظارك عملي لمدة أطول قليلا، وسنترك رفاقنا الأعزاء لينتقدوا بهدوء اللوحات الحالية. لحسن حظي أنني أعرف ما أريده أكثر مما يظنون، وأنا لا أبالي البتة لما يقولونه عن تعجلي في العمل. وكرد عليهم قد أنتجت هذه الأيام الماضية أعمالًا على عجلة أكبر.

جوجان أخبرني أنه قد رأى لوحة لكلود مونيه تصور عباد الشمس في مزهرية يابانية كبيرة، لكنه يظن أن لوحتي أفضل.

ليس هذا رأيي، لكن فقط لا تظن أنني أضعُف. إنني حزين لم أزل لندرة الموديلات، وللعراقيل الألف التي تقف في طريقي للحصول عليهم.

إن كنت رجلا مختلفا تماما وكنت ثريا كنت سأستخدم نفوذي، في الوقت الحالي لست أستسلم وأمضي قدما ببطء. إن صنعت لوحة لشخوص في سن الأربعين مثل الزهور التي كان جوجان يتحدث عنها فسأحفظ موقعي كفنان بجوار أي شيء آخر. لذا، علي أن أثابر.

في أثناء ذلك يمكنني أن أخبرك بأي حال أن الدراستين الأخيرتين غريبتان. على قماشة مقاس ٣٠، كرسي من الخشب والقش كله أصفر على بلاط أحمر وخلفية جدار (نهارا). ثم مقعد جوجان، أخضر وأحمر، تأثير ليلي، وعليه روايتان وشمعة. على قماشة توال، بألوان إمباستو سميكة.

ما أقوله عن إرسال الدراسات، هو إنه لا عجلة البتة، وأنا أقصد بحديثي تلك الدراسات السيئة التي سأستفيد منها كوثائق، أو تلك التي تتراكم في شقتك. أما ما أقوله عموما عن الدراسات، فأنا مصمم على شيء واحد: أن يكون موقفي واضحا. لا تتاجر نيابة عني خارج الشركة، أما عني، فإنني إما لن أعود أبدا لآل جوبيل، وهو المرجح، وإما سأعود بشكل مباشر وهو الأمر المستحيل.

مصافحة، وشكرا لكل ما تفعله من أجلي.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٢٣ | آرل، نحو السبت، ١ ديسمبر ١٨٨٨
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

بالنسبة لي أيضا، فقد حان الوقت لكي أكتب لك ببال مستريح ولو لمرة. شكرا لخطابك الطيب ولورقة الفرنكات المائة المرفقة به. أيامنا تمضي في العمل، العمل دائما، في المساءات نكون منهكين ونذهب للمقهى قبل أن نخلد إلى النوم مبكرا. هذا هو وجودنا. بطبيعة الحال جاء الشتاء هنا أيضا، وعلى الرغم من أن الطقس يكون جيدًا في بعض الأحيان إلا أنني لا أجد العمل من الخيال سيئا، بما أن ذلك يتيح لي البقاء في الداخل. العمل في حرارة الموقد لا يضايقني، لكن البرد لا يناسبني، كما تعرف. لقد أفسدت ما فعلته في نيونن، لوحة الحديقة، وأشعر بأن التعود شيء ضروري لأعمال الخيال. لكني قد صنعت بورتريهات لعائلة كاملة، عائلة رجل البريد الذي رسمت وجهه قبل ذلك، الرجل، وزوجته، والرضيع، والولد الصغير والابن الذي عمره ستة عشر عاما، كلها شخصيات فرنسية للغاية. على الرغم من أن لهم هيئة روسية. لوحات من مقاس ١٥. يمكنك أن تتكهن كيف يشعرني ذلك، وأنه يعزيني إلى حد ما عن عدم كوني طبيبا.

أتمنى أن أثابر في هذا وأن أكون قادرا على الحصول على جلسات أخرى جادة، والتي يمكن أن أدفع ثمنها بالبورتريهات.

وإن استطعت أن أرسم كل تلك العائلة فسيكون أفضل، سأكون قد فعلت على الأقل شيئا واحدا على ذوقي ومن أجل شخصي.

في الوقت الحالي فإنني في كومة من الخراء، دراسات، دراسات، دراسات، وسيستمر هذا لفترة ما. فوضى تحطم قلبي، ولكنها ستعطيني أناقة حين أبلغ الأربعين. من آن لآخر تتحول دراسةٌ إلى لوحة، مثل ذلك البذّار، والتي أظنّ أنا أيضا أنها أفضل من الأولى.

إن كان باستطاعتنا احتمال الحصار، فسيأتي يوم النصر لنا، حتى ونحن لسنا ضمن الناس الذين يدور عنهم الحديث. إنها حالة من تأمل هذا المثل، فرح في المدينة، وحزن في البيت.

ماذا تتوقع؟ إن افترضنا أن لدينا معركة كاملة لنقاتلها، إذن فسيكون علينا أن ننضج بهدوء. لقد قلت لي دائما أن أهتم بالكيف أكثر من الكم. الآن، لا شيء يمنعنا من الحصول على العديد من الدراسات المصنفة هكذا، وبالتالي لن نحصل على كومة من أشياء للبيع. وإن اضطررنا سريعا أو لاحقا للبيع، فسنبيع بالسعر الأعلى قليلا تلك الأشياء التي يمكنها أن تتماسك من وجهة نظر البحث الجاد.

أظن أنني، وعلى الرغم من نفسي، لن أكون قادرا على منع نفسي من إرسال بضع لوحات إليك قريبا، قل في خلال شهر. أقول إن ذلك على الرغم من نفسي، لأنني مقتنع بأن اللوحات تكسب من جفافها هنا في الجنوب، إلى النقطة التي يجف فيها الإمباستو بعمق وييبس، ما يستغرق وقتا طويلا، قرابة العام. إن منعت نفسي من إرسالها فسيكون هذا من أجل صالحنا. لأننا لا نريد أن نعرضها في الوقت الحالي، وأنا واع تماما بهذا.

جوجان يعمل كثيرا، إنني معجب بحياة صامتة بخلفية ومقدمة صفراء. إنه يعمل على بورتريه لي لا أعتبره كأحد تعهداته التي بلا طائل.

في الوقت الحالي يقوم بالمناظر الطبيعية، وأخيرا لديه لوحة جيدة لنساء يغسلن، بل جيدة جدا كما أرى.

يجب أن تستلم رسمين لجوجان مقابل خمسين فرنكا أرسلتَها إليه في بريتاني. لكن الأم العجوز برنار حصلت عليها ببساطة.

وبالحديث عن الحكايات غير القابلة للوصف، فهذه واحدة منها. أظنها ستردها في النهاية. احذر عائلة برنار، لكنك يجب أن تعلم أن في رأيي فإن عمل برنار جميل جدا وسينجح نجاحا مستحقا في باريس.

مثير للاهتمام أنك التقيت بشاتريان. هل هو أشقر أم ذو بشرة داكنة؟ أود معرفة ذلك، بما أنني أعرف البورتريهين.

في عملهم، فإنني معجب خصوصا بالمدام تيريز والصديق فريتز. وبالنسبة ل "تاريخ مساعد مدرس" يبدو لي أن ثمة أخطاء أكثر مما بدا لي حينها.

أظننا سينتهي بنا الحال ممضين مساءاتنا في الرسم والكتابة، ثمة عمل أكثر مما يمكننا إنجازه.

أنت تعرف أن جوجان دُعيَ ليعرضَ مع جماعة العشرين. خياله يقوده ليفكر بالبقاء في بروكسل، ما سيكون وسيلة لإيجاد نفسه في موقف رؤية زوجته الدنماركية ثانية. إنه ناجح مع الآرليات حاليا، لن أعتبر ذلك بلا تبعات البتة.

إنه متزوّج ولا يبدو عليه ذلك، باختصار أخشى أنه ثمة عدم توافق تام في الشخصية بينه وبين زوجته، لكن بطبيعة الحال هو مرتبط أكثر بأطفاله، وهم بالحكم من بورتريهاتهم جميلون للغاية. نحن، من جهة أخرى، لسنا موهوبين في هذا الخصوص. سأكتب أكثر قريبا، مصافحة لك وللهولنديين.

فنسنت

جوجان سيكتب لك غدا، إنه ينتظر ردا على رسالته ويرسل تحياته الحارة.

٧٢٦ | آرل، الاثنين، ١٧ أو الثلاثاء، ١٨ ديسمبر ١٨٨٨

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

بالأمس ذهبتُ أنا وجوجان إلى مونبيلييه لرؤية المتحف هناك، وخاصة مجموعة جامع التحف الفريد بروبا، ثمة العديد من البورتريهات لبروبا نفسه رسمها ديلاكروا وريكارد وكوربيه وكابانيل وكوتور وفردييه، وتاسير، وآخرون أيضا. بعد هذا ثمة

لوحات أخرى لديلاكروا وكوربيه وجيوتو وبول بوتر وبوتيتشيلي وتي. روسو، جميلة جدا.

لقد كان برويا راعيًا للفنانين، وهذا كل ما سأقوله لك: في بورتريه ديلاكروا، فهو سيد بلحية، وشعر أحمر يبدو مثلك أو مثلي بحق اللعنة، وجعلني أفكر بتلك القصيدة لموسيه. أينما لمست الأرض، يأتي رجل تعيس الحظ مرتديا الأسود ويجلس جوارنا، رجل نظر لنا كأخ. سيكون لها التأثير نفسه عليك، أنا واثق.

سأطلب منك أن تذهب وترى، في تلك المكتبة حيث يبيعون طبعات ليتوغراف لفنانين قدامى ومحدثين، إن استطعت أن تجد طبعة ديلاكروا "تاسو في مصحة المجانين" دون كلفة كبيرة، فإنه يبدو لي أن ذلك الشخص بوساطة ديلاكروا لا بد له علاقة مع بورتريه برويا الرائع هذا.

لديهم لوحات أخرى لديلاكروا هنا، دراسة لامرأة خلاسية (والتي نسخها جوجان في مرة)، والجارية، ودانيال في عرين الأسود.

ولوحات لكوربيه، أولاها، بنات القرية، رائعة، امرأة عارية من الخلف، وأخرى على الأرض، في منظر طبيعي. ثانيتها، امرأة تغزل (رائعة)، والعديد من لوحات كوربيه الأخرى. بأي حال، لا بد أن تعلم أن تلك المجموعة موجودة، أو ربما تعرف آخرين رأوها، وبالتالي يمكنهم الحديث عنها. لذا فلن أصر على هذا المتحف (عدا لوحات باريي، والبرونزيات!)

أنا وجوجان نتحدث كثيرا عن ديلاكروا ورامبرانت... إلخ.

النقاش يكون حادا ومكهربا. نخرج منه بعقول متعبة، مثل بطاريات كهربائية خالية.

لقد كنا تماما في منتصف السحر، فكما يقول فرومنتان جيدا، رامبرانت فوق كل شيء ساحر وديلاكروا رجلُ الله، رجل رعد الله واغرب عن وجهي باسم الله.

إنني اكتب هذا بالإشارة إلى أصدقائنا، الهولنديين، دي هان وإيزاكسون، اللذين أحبا وسعيا وراء رامبرانت، من أجل أن يشجعاك على البحث عن الباحثين.

لا يجب أن ييأس المرء من هذا. تعرف بورتريه رامبرانت الرائع والغريب في معرض لا كازه. لقد أخبرت جوجان، أنني عن نفسي رأيت فيه عائلة معينة أو تشابها عرقيا مع ديلاكروا، أو معه هو، جوجان.

لا أعرف لماذا، لكن دائما أستعيد ذلك البورتريه "المسافر" أو "الرجل الآتي من بعيد".

هذه فكرة مكافئة وموازية لما أخبرتك به سلفا، دائما انظر لبورتريه الستة القدامى. البورتريه الجميل بقفاز لمستقبلك، ونقش رامبرانت، ستة يقرؤون جوار نافذة في شعاع الشمس، لماضيك وحاضرك.

هذه هي المرحلة التي نحن فيها.

جوجان أخبرني هذا الصباح، حين سألته كيف يشعر: "أنه يستطيع أن يشعر بنفسه القديمة تعود إليه"، ما أصابني بسرور كبير.

أما عني، وقد أتيت هنا الشتاء الماضي، منهكا وأكاد أن أغيب عن الوعي عقليا، فأنا أيضا عانيت داخليا لفترة قبل أن أستطيع تمالك نفسي.

كم أود لو ترى متحف مونبيلييه في يوم ما، ثمة أشياء رائعة هناك!

قل لديجا، إن جوجان وأنا ذهبنا لرؤية بورتريه ديلاكروا لبروياس في مونبيلييه، لأننا يجب أن نؤمن بشجاعة بأن ما هو كائن، كائن، وبورتريه برو ياس لديلاكروا يشبهنا أنت وأنا كأخ جديد.

أما بخصوص إنشاء حياة برفقاء من الرسامين، فأنت ترى أشياء غريبة كهذه، وسأنهي بما تقوله أنت دائما، الوقت سيثبت.

يمكنك أن تقول كل هذا لصديقينا إيزاكسون ودي هان، بل واقرأ لهم هذه الرسالة بشجاعة، كنت سأكتب لهم مباشرة لو كنت شعرت بالطاقة اللازمة.

نيابة عن جوجان وأصالة عن نفسي، مصافحة جيدة وحارة لكم جميعا.

المخلص أبدا،

فنسنت

لو كنت تظن أن جوجان أو أنا لدينا سهولة في عملنا، فالعمل لا يعيننا دائما. وعلى الهولنديين ألا ييأسا من صعوباتهما أكثر منا، هذا ما أتمناه لهما، ولك أيضا.

٧٢٨ | آرل، الأربعاء، ٢ يناير ١٨٨٩

فنسنت فان جوخ وفليكس راي، إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

من أجل أن أطمئنك تماما بنفسي فأنا أكتب لك هذه الكلمات من مكتب السيد راي، الطبيب، الذي رأيته بنفسك. سأبقى هنا في المستشفى لعدة أيام، بعد ذلك أجرؤ على التخطيط للعودة للبيت بهدوء. الآن أطلب منك شيئا واحدا، ألا تقلق، لأن ذلك سيصيبني بالقلق الشديد.

الآن دعنا نتحدث عن صديقنا جوجان، هل أخفتُه؟ باختصار، لماذا لا يعطيني إشارة على حياته؟ لا بد أنه غادر معك.

بجانب أنه احتاج أن يرى باريس ثانية، وربما سيشعر أنه في بيته في باريس أكثر من هنا. أخبر جوجان أن يكتب لي، وأنني لم أزل أفكر فيه.

مصافحة طيبة، لقد قرأت وأعدت قراءة خطابك عن اللقاء مع آل بونجر. إنه رائع. أما عني، فأنا راضٍ بالبقاء حيث أنا. مرة أخرى، مصافحة لك ولجوجان.

المخلص لك،

فنسنت

اكتب لي على العنوان نفسه، ٢ بلاس لامارتين.
(مستكملة من قبل فليكس راي)

سيدي،
ساضيف بعض كلمات إلى رسالة أخيك لأطمئنك بدوري، على حالته.

يسرني أن أخبرك أن توقعاتي صدقت، وأن إثارته الزائدة كانت مجرد شيء عابر. أنا مؤمن بقوة بأنه سيتعافى في بضعة أيام. لقد أردته أن يكتب لك بنفسه، ليطمئنك بنفسه عن حالته. لقد أحضرته إلى مكتبي لنتحدث قليلا. سيسرني ذلك وسيكون في صالحه. تحياتي المخلصة.

راي ف.

٧٣٠ | آرل، الجمعة، ٤ يناير ١٨٨٩

إلى بول جوجان (F)

إنني أستغل أول رحلة لي خارج المستشفى لأكتب لك كلمات صداقة قليلة ومخلصة وعميقة.

لقد فكرت بك كثيرا في المستشفى، وحتى عبر الحمى والضعف النسبي. أخبرني، هل كانت رحلة أخي تيو ضرورية، يا صديقي؟ الآن على الأقل طمئنه تماما وطمئن نفسك، أرجوك. وثق أنه في الواقع لا شر واقع في أفضل العوالم الممكنة، حيث كل شيء يحدث من أجل الأفضل. لذا أريدك أن توصل أحر تحياتي لشوفنيكر الطيب. وأن تتوقف عن قول الأشياء السيئة عن بيتنا الأصفر الصغير المسكين حتى نتأمل ما حدث بنضج من الطرفين. وأن تبلغ تحياتي للرسامين الذين رأيتهم في باريس.
أتمنى لك الازدهار في باريس. بمصافحة.
المخلص دوما،
فنسنت

رولان كان طيبا معي، لقد كان هو من كان عقله حاضرا ليخرجني من المستشفى رغمًا عن عدم اقتناع الآخرين. أرجو أن ترد.

٧٣٢ | آرل، الاثنين، ٧ يناير ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

ربما لن أكتب لك خطابا طويلا اليوم، لكن بأي حال هذه سطور لأعلمك أنني عدت إلى البيت اليوم. وكم أنا آسف على تعرضك للقلق بسبب شيء صغير كهذا، سامحني، لأني بعد كل شيء السبب الرئيسي في كل هذا. لقد تنبأت بأن ذلك سيؤدي لأن يخبرك أحدهم عما حدث. يكفي.

السيد راي جاء ليرى اللوحات مع اثنين من أصدقائه الأطباء، وقد فهموا سريعا ما هي الألوان المتكاملة. الآن أخطط لرسم بورتريه للسيد راي، وربما بورتريهات أخرى بمجرد أن أعتاد على التصوير ثانية.

أشكر خطابك، إنني أشعر بالفعل بحضورك، لكن من طرفك يجب أن تعلم أنني أعمل على الشيء نفسه الذي تعمل عليه.

آه، كم أتمنى لو رأيتَ بورتريه برويا لديلاكروا والمتحف كله في مونبيلييه حيث أخذني جوجان. كم أن الناس عملوا في الجنوب من قبلنا! في الحقيقة، من الصعب علي أن أصدّقَ أننا ضللنا طريقنا طويلا.

أما عن كونه ريفًا حارًا، فرأيي، لا يمكنني إلا أن أفكر في ريف معين يتحدث عنه فولتير، وهذا دون أن نعتبر القلاع التي تُبنى في الهواء. هذه هي الأفكار التي تراودني بينما أعود إلى البيت.

إنني شغوف بمعرفة كيف حال آل بونجر، وإن كانت العلاقات بهم لم تزل جيدة، وهو ما أتمناه.

لو ناسبك هذا، بما أن جوجان قد غادر، فسنعود إلى ١٥٠ فرنكا شهريا. أظنني سأشهد أياما أهدأ هنا ثانية، مما كان عليه الوضع في خلال العام الماضي. ما سأحتاجه بشدة لإرشادي هي كل نسخ لوحات ديلاكروا التي يمكن للمرء الحصول عليها في ذلك المتجر حيث يبيعون طبعات ليتوغراف للفنانين المحدثين والقدامى مقابل فرنك، كما أظن. أنا بالتأكيد لا أريد باهظة الثمن.

كيف حال صديقيك الهولنديين، دي هان وإيزاكسون؟ وصّل لهما تحياتي الدافئة.

أظن أننا يجب أن نهدأ بخصوص تصويري. إن أردت بعض اللوحات يمكنني أن أرسلها إليك الآن بالتأكيد، لكن حين يهدأ روعي أرجو أن أصنع شيئا آخر.

بأي حال، وبخصوص المستقلين، افعل ما هو في مصلحتك وما سيفعله الآخرون.

لكنك لن تتصور مدى أسفي لأنك لم تقم برحلتك إلى هولندا بعد. آه حسنا، لا يمكننا تغيير الوقائع، لكن عوّضْ ذلك بأسرع ما يمكنك بالتراسل أو بأي كيفية تمكنك، وأخبر آل بونجر أنني آسف على تسبيب التأخير دون دراية. سأكتب لأمنا ولويل في أحد تلك الأيام، لا بد أيضا أن أكتب لجت موف.

اكتب لي قريبا، واطمئن على حال صحتي، سيشفيني تماما معرفة أن الأشياء تجري معك على ما يرام.

ما الذي يفعله جوجان؟ بينما عائلته في الشمال، وبينما هو قد تمت دعوته ليعرض في بلجيكا وقد أحرز بعض النجاح في باريس الآن، أظن أنه وجد طريقه. أنا سعيد بأي حال أن ذلك أمر من الماضي. مصافحة قوية أخرى.

مصافحة،

المخلص لك،

فنسنت

اخي العزيز،

أتمنى ألا يدهشك كثيرا، ورغم أنني كتبت لك هذا الصباح فإنني أضيف بعض كلمات في المساء نفسه. لأنني لم أكن قادرا على الكتابة لعدة أيام، لكنك يمكنك أن ترى أن هذا الوضع انتهى الآن.

لقد كتبت لأمنا ولويل، على عنوان أختنا، بهدف طمأنتهما، إن كنت قد أخبرتهما بما حدث وبمرضي. من طرفك، أخبرهما ببساطة أنني كنت مريضا مثلما أصبت بالسيلان في لاهاي، وأنني عولجت في المستشفى. وأن الأمر لا يستحق الذكر، بما أنني ذهبت مرتعبا للمستشفى ومكثت فيه لعدة أيام. وهكذا ستكون بلا شك موافقا على الملاحظة التي أرسلتها إليهما وصدقتاها هناك في هولندا. وبهذا لن تشغلا بالهما بي. في الواقع، ستتصوران أنني كدت أن أصاب بالسيلان. أتمنى أن تجد هذه الخطة بريئة بما يكفي. أيضا سترى من هذا أنني لم أنس كيفية التمثيل أحيانا.

إلى العمل يوم غد، سأبدأ بعمل طبيعة صامتة أو اثنتين لأعود لطريق التصوير.

رولان كان ممتازا معنا، وأجرؤ على تصديق أنه سيظل صديقا دائما سأحتاجه غالبا، لأنه يعرف الريف جيدا.

لقد تعشينا معا اليوم.

إن أردت أن تصيب الطبيب راي بالسرور الشديد، فهذا ما قد يجعله سعيدا: لقد سمع عن لوحة لرامبرانت، درس التشريح. أخبرته أننا قد نحصل على نسخة حفر لها لمكتبه. أرجو أن أصنع بورتريهه قريبا بمجرد أن أشعر بعافيتي تعود لي.

في الأحد الماضي قابلت طبيبا آخر، يعرف نظريا على الأقل من هو ديلاكروا وبوفي دو شافان، وهو متحمس ليعرف عن الانطباعية.

أتمنى أن أتعرف إليه أكثر.

أظن ذلك الحفر لدرس التشريح منشورًا من قبل فرنسوا بوفا وأبنائه، وأن سعره الصافي سيكون بين ١٢ و١٥ فرنكا. سيكون من الأفضل وضعه في إطار هنا لنوفر نفقات التوصيل.

يمكنني أن أخبرك أن الأيام التي أمضيتها في المستشفى كانت مثيرة للاهتمام، وأن المرء ربما يتعلم كيف يعيش من المرضى.

أرجو أن ما أصابني كان نوبة جنون من التي تصيب الفنانين ثم الكثير من الحمى بعد نزيف شديد، فقد تم قطع شريان في الحادث.

لكن شهيتي عادت فورا، وهضمي جيد، والدم يتعافى يوما بعد يوم، والسكينة تعود أيضا لبالي يوما بعد يوم. لذا أرجو أن تنسى رحلتك الحزينة ومرضي.

التصوير هو المهنة التي تعرفها، ويا إلهي فنحن ربما لسنا مخطئين بالحفاظ على إنسانيتنا. يمكنك أن ترى أنني أقوم بما طلبته مني، وأنني أكتب ما أشعر به وما أفكر فيه. أما عنك، تابع هذا اللقاء مع آل بونجر بهدوء، وأتمنى أن تستمر هذه الصداقة بصلابة، وربما تكون شيئا أكثر من ذلك. إن بقيتُ هنا فذلك لأنني قد لا أكون قابلا لإعادة زرع نفسي في الوقت الحالي. بعد مدة يمكننا أن نراجع مميزات وعيوب الوضع ونقوم بالحساب مرة ثانية.

أصافحك بقوة.

المخلص لك،

فنسنت

٧٣٦ | آرل، الخميس، ١٧ يناير ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك الطيب وللخمسين فرنكا التي تضمنها. أما عن الإجابة عن كل تساؤلاتك، أبإمكانك فعل ذلك بنفسك؟ في الوقت الحالي لا أشعر بالقدرة على

ذلك. وبعد تأمل فإنني بالفعل أريد أن أبحث عن حل، لكنني يجب أن أعيد قراءة خطابك ثانية.

لكن قبل مناقشة ما قد أنفقه وما قد لا أنفقه في عام كامل، قد يضعنا على الطريق مراجعة الشهر الحالي.

بأي حال، لقد كان الحال مما يرثى له، وقد أعد نفسي محظوظا إن كنتَ أخيرا مستعدا للانتباه للطريقة التي جرت بها الأمور لفترة طويلة.

لكن ماذا عسانا أن نفعل، من سوء الحظ أن الأمر معقد بعدة طرق، لوحاتي بلا قيمة، وهي تكلف كمّا استثنائيا من النفقات، هذا حقيقي، بل هي تكلف أحيانا من الدم والعقل. لن أزعجك بتكرار هذا، وماذا عساك وعساني أن أفعل حيال ذلك. دعنا نعُد للشهر الحالي ونتحدث فقط عن المال.

في الثالث والعشرين من ديسمبر كانت ثمة عملة ذهبية وبضعة قروش في صندوق المال. في هذا اليوم نفسه حصلت على مائة فرنك منك.

ها هي النفقات:

أعطيت رولان ليدفع للخادمة عن شهر ديسمبر	٢٠ فرنكا
كذا لأول أسبوعين من يناير ١٠ فرنكات أي	٣٠ فرنكا للخادمة
مدفوع للمستشفى	٢١ فرنكا
للممرضات اللائي ضمدن الجرح	١٠ فرنكات
لدى عودتي هنا دفعت لمدفأة الغاز المستعارة	٢٠ فرنكا
دفعت لغسيل الشراشف المدماة	١٢.٥٠
مشتريات متنوعة مثل فُرَش وقبعة... إلخ لنقل	١٠ فرنكات
	١٠٣.٥٠

وهكذا نصل، في اليوم الذي تركت فيه المستشفى أو اليوم اللاحق له، إلى مجموع نفقات لازمة من طرفي قيمتها ١٠٣.٥٠، والتي يجب أن يضاف إليها أنني في اليوم الأول ذهبت بسرور لتناول العشاء مع رولان في المطعم، مطمئنا تماما ودون خوف من تجدد آلامي. باختصار، نتيجة كل هذا أنني أفلست قرابة اليوم الثامن من الشهر. لكن بعد يوم أو يومين من هذا اقترضت خمسة فرنكات. كنا بالكاد في اليوم العاشر. كنت أتمنى وصول خطاب منك قرابة العاشر، لكن بما أن تلك الرسالة لم تصل إلا اليوم، ١٧ يناير، فإن الفترة كانت صياما من نوعية ضارية، وخاصة وأن تعافيَّ لم يكن ليحدث في هذه الظروف.

مع ذلك، لقد بدأت العمل ثانية ولدي بالفعل ثلاث دراسات صنعتها في الاستوديو بالإضافة إلى بورتريه السيد راي، الذي أعطيته له ليكون ملكه.

والآن لم أعد أشعر بأذى حقيقي سوى بعض المعاناة مع الألم النسبي. وأحافظ على أملي. لكنني أشعر بالضعف وبعض القلق والخوف.

وهو ما سينقضي، كما أرجو، باستعادتي قواي.

راي أخبرني أن كوني مستقبلا حساسا للانطباعات كان كافيا لأُصاب بما أصابني من تلك الكارثة، وأنني الآن أعاني من الأنيميا ليس إلا، فعليّ أن أطعم نفسي جيدا، لكنني أخبرت السيد راي أنه إن كانت الأولوية هي لاستعادتي قواي، فإن حدث بالصدفة أو بإساءة الفهم أنني اضطررت للصيام لمدة أسبوع، وإن كان قد رأى في ظروف مشابهة رجالا مجانين هادئين وقادرين على العمل، وإن لم تكن تلك هي الحال فهل سيتعطّف ويذكر من آن لآخر أنني حاليا لست مجنونا بعد.

الآن، هل يوجد فيما أنفقته أي شيء غير مضمون، أو باذخ، ومبالغ فيه في تلك النفقات، باعتبار أن البيت قد انقلب كله رأسا على عقب في تلك المغامرة، وكل المفارش وملابسي اتسخت؟ وإن دفعت ما أدين به لأناس يكادون يكونون فقراء مثلي بمجرد عودتي، هل ثمة خطأ من طرفي أو هل كان علي أن أقتصد أكثر؟

اليوم، السابع عشر، استلمت خمسين فرنكا أخيرة. ومنها سأدفع خمسة فرنكات استدنتها من صاحب المقهى، من أجل عشرة مرطبات أخذتها في الأسبوع الماضي بالدين، ما يجعل المبلغ سبعة فرنكات ونصفًا.

ما زلت مضطرا لدفع المفارش العائدة من المستشفى، ثم لهذا الأسبوع الماضي، لإصلاح الأحذية وبنطال، بالتأكيد سيكون المبلغ مقابل كل هذا شيئا مثل ٥ فرنكات.

خشب وفحم سأدفع مقابلها لشهر ديسمبر، ولكي أشتري المزيد منها ثانية، ليس أقل من ٤ فرنكات.

الخادمة لأسبوعين من يناير ١٠ فرنكات

٢٦.٥٠

صباح الغد، حين أدفع كل هذا سيتبقى لدي صافيا ٢٣.٥٠ فرنكا، اليوم هو السابع عشر، وثمة ١٣ يوما لأعبرها حتى أول الشهر.

سؤال: كم يمكنني أن أنفق يوميا؟ تاليا لهذا يجب أن نضيف حقيقة أنني أرسلت ثلاثين فرنكا إلى رولان، والذي دفع منها ٢١.٥٠ فرنكًا لإيجار ديسمبر.

وهكذا كما ترى، يا أخي العزيز، هذا هو حساب الشهر الجاري. الذي لم ينته بعد.

الآن نأتي لنفقات من أجل برقية من جوجان، والذي أنبته رسميا لإرساله.
هل النفقات المفترضة خطأ أقل من ٢٠٠ فرنك؟
هل يدعي جوجان نفسه أنه تصرف بذكاء حيال هذا؟

انظر، لن أكرر ما قلته ثانية عن عبثية هذا الفعل. دعنا نفترض أنني كنت ثائرا أيما ثورة، لماذا إذن لم يكن صديقنا الشهير أكثر هدوءا! لن أضني نفسي بقول هذا ثانية. لا يمكنني أن أمدحك بما يكفي لدفعك لجوجان بطريقة تجعله لا يقوم إلا بتهنئة نفسه على العلاقة التي كانت لديه معنا.

لسوء الحظ، هذه نفقة أخرى، وقد تكون أكبر مما كانت من المفترض أن تكونه، لكن بأي حال، إنني ألمح فيها بصيصا من أمل. أليس من الواجب عليه، أو أليس من المفترض على الأقل أن يبدأ برؤية أننا لم نكن نبتزه، بل على النقيض، كنا نحاول تأمين وجوده، وإمكانية عمله، و... نزاهته.

إن كان ذلك لا يليق بنشرة اتحاد الفنانين العظيمة (التي اقترحها ولم يزل يعقدها) بالطريقة التي تعلمها، إن كان ذلك لا يليق بقلاعه التي في الهواء.

لماذا إذن لا نعتبره غير مسؤول عن الأحزان والضرر الذي كان من الممكن أن يسببه لنا بشكل غير واعٍ في عماه، يسببه لك بقدر ما سببه لي. إن كان ذلك الافتراض يبدو جريئا جدا بالنسبة لك، فلن أضغط أكثر عليك، لكن دعنا ننتظر ونرَ. لقد كانت لديه خبرة سابقة بما يسميه "استخدام البنوك في باريس" ويظن أنه ماهر فيه. ربما كلٌ منا أنا وأنت حتما لسنا فضوليين بهذا الخصوص.

بأي حال، ليس هذا معارضا لفقرات معينة من رسالتنا السابقة.

إن قام جوجان بفحص نفسه بشكل جيد في باريس أو طلب مساعدة طبيب متخصص، فإنني لا أعلم ما ستكون نتيجة ذلك.

لقد رأيته عدة مرات يفعل أشياء لن نسمح أنت وأنا لأنفسنا بفعلها لما لدينا من ضمير يشعر بالأشياء بشكل مختلف، وقد سمعت شيئا أو اثنين عنه على المنوال نفسه، لكنني، وقد رأيته عن كثب، فقد صدقته منقادا وراء خياله، ووراء كبره ربما لكن، غير مسؤول بالمرة. هذه النتيجة لا تفترض أنني أنصحك بشدة بالسماع له في كل الظروف. لكن بالنسبة لتسوية حسابه أجدك قد تصرفت بضمير عالٍ، وهكذا أظننا ليس لدينا ما نخشاه من الانقياد وراءه لأخطاء "استخدام البنوك في باريس". أما عنه، صدقني، دعه يفعل ما يريده، دعه يحصل على استقلاله؟؟ (بأي طريقة يعتبر شخصيته مستقلة؟)، آراؤه، دعه يذهب في طريقه، الذي يبدو له أنه يعرفه أكثر منا. إنني أجد أنه من الغريب أنه يطلب لوحة عباد الشمس مني، عارضا علي كمبادلة كما أفترض، أو كهدية، بضع دراسات تركها هنا. سأرسل إليه دراساته، والتي

سيحتاجها بالتأكيد أكثر مني. لكن بالنسبة للحظة الحالية، فأنا سأحتفظ بلوحاتي هنا، وسأحتفظ بعبادات الشمس تلك بالطبع. لديه اثنتان منها بالفعل، وليكن هذا كافيا له. وإن لم يسعده التبادل الذي قام به معي، يمكنه أن يستعيد لوحته عن المارتينيك والبورتريه الذي أرسله من بريتاني، ويعيد لي من طرفه كلا من بورتريهي ولوحتي عباد الشمس اللتين أخذهما في باريس. وإن أثار هذا الموضوع ثانية فما قلته واضح بما يكفي للرد.

كيف يمكن لجوجان أن يدعي أنه خشي أن يزعجني بوجوده في حين أنه سيجابه صعوبة في إنكار أنه يعلم أنني طلبته باستمرار، والناس قد أخبروه أكثر من مرة أنني كنت أصر على رؤيته في تلك اللحظة؟ تحديدا لأخبره أن يحتفظ بالأمر بيني وبينه دون أن يزعجك. لم يكن سيسمع كلامي.

اختصار كل هذا وقوله ينهكني، وحساب وإعادة حساب أشياء من هذا القبيل.

لقد حاولت في هذا الخطاب أن أريك الفرق الموجود بين نفقاتي الصافية التي تأتي مباشرة مني وتلك التي أنا أقل مسؤولية عنها. لقد كنت آسفا لكونك مضطرا إلى تلك النفقات في الوقت الحالي، والتي لم تكن مفيدة لأي شخص.

ما سيحدث تاليا، سأرى إن كان موقفي مقبولا بينما أستعيد قواي. وأنا أخشى من التغيير أو الانتقال لبيت آخر تحديدا بسبب النفقات الجديدة. لوقت طويل لم أكن قادرا على التقاط أنفاسي تماما. لن أتخلى عن العمل، لأنه يجري على ما يرام في الوقت الحالي، وأعتقد أنه بالصبر تحديدا سأصل لأن أكون قادرا على استعادة النفقات السابقة بالتصوير الذي قمت به.

رولان سيغادر، وبحلول يوم الواحد والعشرين سيكون موظفا في مرسيليا.

زيادة الراتب ضئيلة، وسيكون عليه أن يترك زوجته وأبناءه لفترة، والذين لن يكون بإمكانهم أن يتبعوه إلا بعد مرور فترة طويلة لأن نفقات العائلة كلها ستكون أثقل في مرسيليا.

إنها ترقية له، لكنها تعزية ضئيلة للغاية تعطيها له الحكومة بهذه الطريقة لموظف مثله بعد سنوات طويلة من العمل.

أظن أنهم، هو وزوجته، ضائقان للغاية. لقد رافقني رولان خلال هذا الأسبوع الماضي.

أوافقك تماما على أننا لا يجب أن نتدخل في أمور الطبيب التي لا علاقة لها بنا.

فقط لأنك كتبت ملاحظة للسيد راي قائلا إنك ستقدمه في باريس، ظننت أنك ستقدمه لريفيه.

لم أظن أنني أضر أحدا حين قلت للسيد راي بنفسي إنه إن ذهب إلى باريس فسيكون من دواعي سروري إن أراد أن يأخذ لوحة مني لريفيه ليحتفظ بها.

بطبيعة الحال لم أتحدث عن شيء آخر، لكن ما قلته هو إنني سأندم دائما على عدم كوني طبيبا، وإن أولئك الذين يظنون التصوير جميلا سيحسنون صنعا إن رأوه مجرد دراسة للطبيعة.

بأي حال، ستستمر حسرة أنني وجوجان تسرعنا في إسقاط نقاشنا حول رامبرانت والضوء الذي كنا قد بدأناه.

هل دي هان وإيزاكسون ما زالا هناك، لا بد ألا ييأسا.

بعد مرضي صارت عيناي حساستين بطبيعة الحال. وقد أعدت النظر إلى حانوتي دي هان، الذي كان طيبا بما يكفي ليرسل إلي صورة فوتوغرافية له. حسنا، يبدو لي أن ثمة روحا رامبرانتية في ذلك الشخص، والذي يبدو أنه مضاء بانعكاس نور يفيض عن القبر المفتوح الذي يقف أمامه الحانوتي المذكور كمن يسير وهو نائم. إن تلك الروح هناك بطريقة محسوسة. لا أتناول مسألة الفحم وهو -دي هان- قد اتخذ هذا الفحم كوسيلة للتعبير، والتي هي مادة غير ملونة.

أود لو رأى دي هان دراسة لي لشمعة مضاءة وروايتين (صفراء ووردية) موضوعة على كرسي خالٍ (مقعد جوجان لأكون محددا)، مقاس رقم ٣٠ بالأحمر والأخضر. لقد كنت أعمل على اللوحة المكمِّلة ثانيةً اليوم، مقعدي الخالي، من الخشب الرخيص وعليه غليون وكيس تبغ. في هاتين الدراستين، كما في دراسات أخرى، لقد كنت أبحث بنفسي عن تأثير الضوء بلون ساطع، دي هان سيفهم على الأرجح ما أبحث عنه إن قرأت له ما أكتبه له بهذا الخصوص.

مهما كانت تلك الرسالة طويلة، والتي حاولت فيها أن أحلل الشهر، والتي أشكو فيها قليلا من ظاهرة امتناع جوجان عن الحديث معي، تلك الظاهرة الغريبة، بينما في الوقت ذاته يخفي نفسه، تظل رغبتي في إضافة بضع كلمات للتقدير. ما هو جيد فيه هو أنه يعرف كيف يوزع النفقات على الأيام بشكل جيد للغاية. بينما أنا، غائب العقل غالبا، مشغول بالوصول لنهاية جيدة. لديه قدرة على موازنة المال لكل يوم أكثر مما لدي. لكن نقطة ضعفه هي أنه بضربة واحدة مفاجئة وعاطفة حيوانية أفسد كل ما صنعه.

الآن، هل من المفترض أن يبقى المرء في مركزه بعد أن حققه أم عليه أن يغادره؟ لا أحكم على أحد في هذا، راجيا ألا أدان شخصيا إن افتقرت إلى القوة. لكن إن كان لجوجان الكثير من الفضيلة الحقيقية والقدرة على فعل الخير، فكيف سيوظف نفسه؟ أما عني، فأنا لم أعد مستطيعا لتتبع أفعاله، وأنا أتوقف بصمت وبعلامة استفهام كبيرة. من آن لآخر تبادلنا أنا وهو الأفكار عن الفن الفرنسي، عن الانطباعية.

يبدو مستحيلا الآن، أو على الأقل غير مرجح، أن الانطباعية ستنظم نفسها وتهدأ.

لماذا لا يحدث ما حدث في إنجلترا في زمن ما قبل الرافائيليين؟
لقد انحل الاتحاد.

ربما أنا أبالغ باعتبار كل هذا، وربما أنا حزين أكثر مما يجب بسببه. هل قرأ جوجان قط "تارتاران على جبال الألب"، وهل يذكر رفيق تارتاران الشهير من

تاراسكون الذي كان خياله غنيا لدرجة أنه تخيل سويسرا خيالية كاملة بضربة واحدة.
هل يذكر العقدة في الحبل التي أعادوا اكتشافها عاليا في جبال الألب قبل السقوط؟
وأنت، الذي تتمنى أن تعرف كيف حدث كل هذا، هل قرأت تارتاران كله قط؟
سيعلمك هذا أن تتعرف على جوجان جيدا.

أحثك جديا على إلقاء نظرة على تلك الفقرة في كتاب دوديه ثانية.

خلال رحلتك إلى هنا هل أمكنك أن تلاحظ الدراسة التي صورتها لجهد تاراسكون، والتي كما تعلم مذكورة في تارتاران صائد الأسود؟ ثم هل تذكر بومبارد في "الفرح بعيدا عن الوطن والحزن قريبا في الوطن" وخياله السعيد؟

هذا ما لدينا هنا، وإن كان من نوع آخر، جوجان لديه خيال جنوبي كامل وواضح، وبهذا الخيال سيعمل في الشمال! وسترى، قد نرى أشياء غريبة ستحدث!

والآن إن شرّحنا الموقف بكل جرأة، فلن يمنعنا شيء من رؤيته كنمر بنوابارت الصغير بالنسبة للانطباعية فيما يخص... لا أعرف كيف أقول هذا. اختفاؤه من آرل يمكن مقارنته أو هو مواز لعودة ذلك العريف من مصر كما ذكرت أعلاه، والذي ذهب أيضا إلى باريس لاحقا. والذي دائما ما ترك الجيش بالخداع.

الشيء السعيد هو أن جوجان، وأنا، ومصورين آخرين لسنا مسلحين بعد بالمدافع الرشاشة ووسائل الحرب المضرة الأخرى. أنا عن نفسي، مصمم على محاولة أن أبقى مسلحا بفرشاتي فقط وقلمي.

بصيحات عالية طلب مني جوجان مع ذلك في خطابه الأخير "أقنعة مبارزته، وقفازاته" المخبأة في الغرفة الصغيرة في منزلي الأصفر الصغير.

سأسرع بإرسال تلك الأشياء الطفولية بطرد بريدي إليه. راجيا أنه لن يستخدم أشياء أكثر جدية.

إنه أقوى جسديا منا، لذا فإن شغفه لا بد أكبر من شغفنا. ثم إنه أب لأبناء، ولديه زوجة وأطفال في الدنمارك، وفي الوقت ذاته يريد أن يذهب إلى نهاية الكرة

الأرضية لمارتينيك. من المرعب كل عكوسات الرغبات غير المتوافقة والحاجات التي نسببها له. لقد جرؤت على أن أطمئنه أنه إن بقي هادئا معنا، عاملا هنا في آرل دون تضييع المال، رابحا المال، بما أنك كنت تشغل نفسك بلوحاته، كانت زوجته بالتأكيد ستكتب له وتستحسن حياته الهادئة. ثمة أمور أخرى بجوار ذلك، ثمة واقع أنه كان مريضا للغاية، وأنها كانت مسألة اكتشاف كلٍّ من المرض وعلاجه. الآن، هنا، آلامه قد توقفت. يكفي لليوم.

هل لديك عنوان لافال، صديق جوجان؟ يمكنك أن تخبر لافال أنني مندهش جدا لأن صديقه جوجان لم يأخذ بورتريهي الذي أردت أن يأخذه، ليعطيه إياه. سأرسله إليك الآن ويمكنك أن تدعه يأخذه. لدي واحد آخر جديد لك أيضا. شكرا ثانية على خطابك. أرجوك جرب وفكر أنه سيكون حقيقة من المستحيل أن أعيش لـ ١٣ يوما على الـ ٢٣.٥٠ فرنكا التي بقيت لدي. سأحاول أن أعيش بالـ ٢٠ فرنكا التي سترسلها الأسبوع القادم.

مصافحة، وسأقرأ خطابك ثانية وسأكتب لك قريبا عن أمور أخرى.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٣٩ | آرل، الاثنين، ٢١ يناير ١٨٨٩
إلى بول جوجان (F)

صديقي العزيز جوجان،

شكرا لخطابك. متروكا وحدي في بيتي الأصفر الصغير، بما أنه كان ربما من واجبي أن أكون آخر من يبقى هنا بأي حال، فألمي ليس قليلًا بمغادرة أصدقائي.

رولان انتقل عمله إلى مرسيليا وقد غادر للتو. كان مما يمس القلب رؤيته هذه الأيام الماضية مع مارسيل الصغيرة حين جملها تضحك وتتقافز على ركبتيه.

انتقاله أوجب انفصاله عن عائلته، ولن يدهشك أنه وكنتيجة فإن الرجل الذي أطلقنا عليه كلانا أنا وأنت "العابر" قد كان حزينا للغاية في مساء ما. وأنا أيضا، شاهدا على ذلك وعلى أشياء أخرى تكسر القلب. صوته وهو يغني لطفلته اتخذ رنينا غريبا كان فيه تلميح لامرأة تهز مهدا أو مرضعة تعيسة، ثم صوتا آخر برونزيا مثل بوق فرنسي.

الآن أشعر بالندم، أنا الذي أرى أنه يجب أن تبقى هنا لتنتظر الأحداث وأعطيتك أكثر من سبب جيد لهذا، الآن أشعر بالندم لتسببي في مغادرتك ربما، إلا إن كانت مغادرتك مخططا لها مسبقا؟ وفي هذه الحالة كان واجبا علي أن أريك أن لدي كل الحق في أن أكون على علم بنيتك.

على أي حال، أتمنى أن نكون ما زلنا على وفاق بما يكفي لنبدأ ثانية لو لزم الأمر، أو ضربنا الإفلاس الذي للأسف لا يغرب عنا نحن الفنانين الذين لا رأس مال لهم.

إنك تكلمني في رسالتك عن لوحة لي، عباد شمس بخلفية صفراء، تقول إنه قد يسعدك أن تستلمها. لا أظنك قد قمت بخيار سيئ، إن كان لدى جيانين نبات الفوانيا، ولكوست نبات الخطمي، فإنني وقبل الآخرين لدي عباد الشمس.

أظنني سأبدأ بإعادة ما يخصك، موضحا أن في نيتي، بعد ما حدث، أن أطعن في حقك في الحصول على اللوحة موضع السؤال. لكن بما أنني أمدح ذكاءك في اختيارك لتلك اللوحة فأقوم بجهد صناعة اثنتين منها، متشابهتين. في تلك الحالة سيحسم الأمر إلى الأبد بشكل ودي، وتحصل على ما تريده بأي حال.

اليوم بدأت العمل من جديد على اللوحة التي تصور السيد رولان، التي ظلت في حالة غامضة فيما يخص اليدين بسبب حادثي. كترتيب للألوان: الأحمر يعبر إلى البرتقالي الصافي، مشتدا أكثر في درجات اللحم حتى الكرومات، مارا بالوردي

وممزوجا بالزيتوني ودرجات الأخضر الفيروني. كترتيب انطباعي للألوان، لم أقم بشيء أفضل من هذا قط.

وأعتقد أنه إن وضع أحد تلك اللوحة كما في زورق، حتى لو كان زورق صيادين آيسلنديين، فسيكون هناك من يشعر بهدهدة فيها. آه! يا صديقي العزيز، لنصنع من لوحة ما كانته موسيقى برليوز وفاجنر أمامنا ـ فنًّا مُعزًّا للقلوب التعيسة! ثم القليل ممن يشعرون بهذا بالطريقة التي نشعره بها أنا وأنت!!!

أخي يفهمك جيدا، وحين يخبرني أنك تعيس الحظ مثلي، فإن هذا يثبت فعلا أنه يفهمنا.

سأرسل إليك أغراضك، لكن أحيانا ما يغلبني الضعف ثانية، ولا يمكنني أن أقوم بلمحة بسيطة كإرسال أغراضك إليك. سأستعيد شجاعتي في بضعة أيام. وستنتظر "أقنعة المبارزة والقفازات" هذا الوقت (لا تستخدم أدوات الحرب الطفولية تلك) أدوات الحرب المريعة تلك ستنتظر حتى ذلك الوقت. إنني أكتب لك الآن بهدوء، لكنني لم يمكنني أن أجمع كل البقية.

في جنوني العقلي أو حماي العصبية، لا أعرف كيف أقول أو ماذا أسميها، أبحرت أفكاري في بحور عدة. بل إنني حلمت بالسفينة الشبح الهولندية والهورلا، ويبدو أنني غنيت حينها، أنا الذي لا يمكنه الغناء في مناسبات أخرى، تحديدا أغنية مرضعة تفكر فيما غنت من تهز المهد بينما هزت البحارة وأولئك الذين بحثت عنهم في ترتيب ألوان قبل أن أسقط صريع المرض. غير عارف بموسيقى برليوتز. مصافحة قلبية.

المخلص لك،

فنسنت

سيسعدني كثيرا إن كتبت لي قريبا. هل قرأت تارتاران كله الآن؟ خيال الجنوب يكون الرفقاء، أليس كذلك، بيننا نحن الاثنان صداقة أبدية.

هل قرأت بعد وأعدت قراءة كوخ العم توم لبيتشر ستو؟ ربما لا تكون مكتوبة جيدا من ناحية الأدب. هل قرأت جيرميني لاسرتو بعد؟

٧٤٠ | آرل، نحو الثلاثاء، ٢٢ يناير ١٨٨٩

إلى آرنولد كونينج (D)

صديقي العزيز كونينج،

شكرا لإرسالك تحيات العام الجديد من الشمال البعيد لوطننا القديم. لقد استلمت بطاقتك البريدية في المستشفى بآرل، حيث كنت محجوزا في ذلك الوقت بسبب هجمة من حمى عقلية أو ما إلى ذلك والتي قد مرت وانتهت. وبالنسبة لأسباب وتأثيرات المرض، سنفعل ما بوسعنا لنتركه للنقاشات المحتملة من قبل معلمي الدين المسيحي الهولنديين ليقرروا إن كنت أو ما زلت، مجنونا، ظننت نفسي مجنونا، أو اعتُبِرتُ مجنونا في رحلة خيال تتكون فقط من المنحوتات.

وإن لم أكن حينها، فهل كنت قبلها، وأكون أو لا أكون حاليا، أو سأكون بعدها.

وبعد أن أعلمتك بما يكفي عن حالتي الجسدية والعقلية، سيبدو أقل غرابة بالنسبة لك أنني لم أرد عليك قبل هذا. لكن في الوقت الحالي لا يجب أن نترك مسدساتنا.

وبداية من هنا أسألك: ماذا تفعل في التصوير حاليا، وكيف تعمل مع اللون؟

لم أر أيا من دراساتك التي أرسلتها إلى تيو (كما أظن)، على الرغم من حثك على عمل مبادلة. هل هذا الأمر متعلق بتيو، الذي كان باله مشغولا ربما، أم بالمسافة الكبيرة التي بيننا؟

هل عرفت أن تيو عقد خطوبته وسيتزوج بفتاة من أمستردام قريبا؟

بعد هذا السؤال عن عملك، أضيف بضع كلمات عن عملي. في الوقت الحالي لدي بورتريه لفتاة على الحامل.

والتي سميتها "التهويدة"، أو كما نقول بالهولندية مع فان إيدن (أتعرف، هو الذي كتب ذلك الكتاب الذي جعلتك تقرؤه)، أو سأسميها بهولندية فان إيدن ببساطة "تهويدتنا"، أو "المرأة بجوار المهد".

إنها امرأة ترتدي الأخضر (بالأعلى أخضر زيتوني، والتنورة أخضر فيروني). شعرها مضفر وبرتقالي. ولون البشرة مصنوع بالكروم الأصفر، مع بضع درجات مكسورة، بالطبع، من أجل أن تكون موديلًا. اليدان اللتان تمسكان حبل المهد كمثل ذلك. الخلفية قرمزي في القعر (ممثلة ببساطة أرضية من البلاط، أو القرميد). الجدار مغطى بورق الحائط، وبالطبع قد حسبته بنفسي مرتبطا ببقية الألوان. ورق الحائط أزرق أخضر مع زهور الداليا الوردية ومنقط بالبرتقالي والألترامارين. أعتقد أنني كنت موازيا لفان إيدن في هذه، وبالتالي لا أعتبر أسلوبه في الكتابة غير مواز لأسلوبي في التصوير في مسألة الألوان. وإن كنت قد غنيت هدهدة بالألوان فعليا، فهو أمر متروك للنقاد، تحديدا أولئك الذين ذكرتهم أعلاه. لكننا قد تحدثنا بما يكفي عن هذا في الماضي، ألم نفعل؟ عن سؤال اللون الأبدي الذي يرشدنا، لأبعد ما قد يحتمله صمودنا.

بأي حال، بعد تركي للمستشفى رسمت بورتريها لطبيبي. ولم أفقد اتزاني كرسام.

لكن من الواضح أنني قمت بتصوير دراسات كثيرة أو لوحات في كل هذا الوقت. وبين أشياء أخرى في هذا الصيف، قطعتان للزهور لا يوجد فيهما إلا عباد الشمس في جرة من الطين صفراء. ملونة بثلاث درجات من الكروم الأصفر، والمغرة الصفراء، والأخضر الفيروني ولا شيء سوى هذا.

بالنسبة للوقت الحالي فأنا ما زلت في آرل ومتاحًا لك كي تكتب لي أو ترسل دراساتك. لقد ذهب تيو ليرى برايتنر مؤخرا، وقال عن عمله إن برايتنر أفضل رسام ومفكر بينكم هناك.

تحياتي، يا صديقي العزيز، بمصافحة.

صديقك،

فنسنت

العنوان كما هو
٢ بلاس لامارتين
آرل.

إن رأيت برايتنر، يمكنك أن تسمح له بقراءة هذا الخطاب أو تخبره عنه كما كتبته، دون أن تجعل خيالك يتدخل في الأمر.

٧٤١ | آرل، الثلاثاء، ٢٢ يناير ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك وورقة الخمسين فرنكا التي احتواها. بطبيعة الحال أنا الآن مغطى ماليا حتى وصول خطابك بعد أول الشهر. ما حدث بخصوص ذلك المال هو صدفة محضة وسوء فهم لست أنت ولا أنا مسؤولين عنه. لم أستطع أن أرسل إليك تليفرافا كما قلت محقا، بسبب الصدفة المحضة نفسها، لأنني لم أعرف إن كن لم تزل في أمستردام أم عدت لباريس. إنه، مع البقية الآن، وهو إثبات آخر للمثل الذي يقول إن المصائب لا تأتي فرادى. غادر رولان بالأمس (بطبيعة الحال فإن بريدي بالأمس قد غادر قبل وصول خطابك هذا الصباح). كانت رؤيته مع أصدقائه في اليوم الأخير مؤثرة، خاصة أصغرهم حين جعلها تضحك وتتقافز على ركبتيه وغنى لها.

كانت لصوته رنة صافية، عاطفية، حملت في أذني لمحة حلوة من أغنية مرضعة تعيسة وشيئا كصدى بعيد لبوق فرنسي ثوري. لم يكن حزينا، مع ذلك، بل بالعكس، كان مرتديا زيه الرسمي الجديد، الذي استلمه في اليوم ذاته، وكان الجميع فخورا به.

لقد انتهيت لتوي من لوحة جديدة لها مظهر أنيق، سلة مليئة بالليمون والبرتقال، غصن سرو وزوج من القفازات الزرقاء، لقد رأيتَ سلفا بعضًا من سلال الفاكهة خاصتي.

اسمع، ما تعلم أنني أحاول فعله، بنفسي، هو أن أستعيد المال الذي كلفه تمريني كرسام، لا أكثر ولا أقل. هذا حقي، كما أن كسبي خبز يومي هو حق لي.

يبدو من العادل لي أن أستعيده، لا أقول إليك، بما أننا فعلنا ما فعلنا معا، ونحن نجد أن الحديث عن المال يضايقنا.

لكن لعله يذهب إلى يدي زوجتك، والتي ستنضم إلينا بأي حال لتعمل مع الفنانين.

إن لم أكن أشغل نفسي بالبيع المباشر فسبب ذلك أن أرشيف لوحاتي ليس مكتملا بعد، لكنه يكتمل بالتدريج وقد قررت العمل ثانية بهذا العزم الحديدي.

لدي حظ جيد وسيئ في إنتاجي، وليس حظا سيئا فقط. إن كان سعر باقة مونتيتشيلي التي نملكها على سبيل المثال خمسمائة فرنك بالنسبة لمحب للفن، وهي تستحق ذلك، فإنني أجرؤ على قول إن لوحتي عباد الشمس تستحقُ خمسمائة فرنك من أحد أولئك الاسكتلنديين أو الأمريكيين. ولكي تسخن بما يكفي لتذويب درجات الزهور والدرجات الذهبية تلك، يلزمها طاقة كاملة وانتباه شخص معين وليس أي شخص.

حين رأيت لوحاتي ثانية بعد مرضي، بدا لي أن أحسنها هي غرفة النوم.

يبدو لي أن شقتك ستمتلئ بالكراكيب إن أرسلت إليك كل هذا على باريس، خاصة وأن زوجتك ستقيم هناك أيضا. وسيؤدي ذلك باللوحات بأن يُعرَفَ أنها فقدت رونقها ويتحدث عنها الناس بالأسفل كما لو كانت لا شيء، قبل الوقت والساعة المرغوبين.

المبلغ الذي نعمل به هو مبلغ محترم بالتأكيد، لكن الكثير منه يهرب من أيدينا ويجب علينا أن نكون حذرين ولا ندع كل شيء ينسل من شباكنا من عام لآخر. وإنها حقيقة أنه وحتى إن كان الشهر يمضي قدما فأنا أحاول أن أقيم توازنا بشكل أو بآخر عبر الإنتاج ولو نسبيا. العديد من الإزعاجات تجعلني قلقا قليلا أو خائفا، لكنني لست يائسا بعد.

المشكلة التي أتنبأ بها هي أن الكثير من الاحتراس سيكون مطلوبا كيما نمنع النفقات التي لدينا حين نبيع من أن تفوق البيع نفسه حين يأتي الوقت. وبخصوص ذلك، كم مرة كنا في موقف مماثل ورأينا ذلك الشيء الحزين يحدث في حيوات الفنانين.

لدي بورتريه لزوجة رولان أعمل عليه. كنت قد بدأت العمل عليه قبل أن أمرض. وقد راوحت فيه درجات الأحمر من الوردي إلى البرتقالي، الذي يعلو إلى الأصفر وحتى الليموني مع درجات الأخضر الفاتح والغامق. إن أمكنني الانتهاء من ذلك فسيسرني كثيرا، لكنني أخشى أنها لن تريد أن تجلس لتُرسم ثانية، بعد أن رحل زوجها.

أنت محق في أن ترى مغادرة جوجان مريعة، لأنها تدفعنا إلى الأسفل ثانية في حين أننا خلقنا بيتا وأثثناه لنضيِّف أصدقاء في أوقات سيئة.

لكننا سنحتفظ مع ذلك بالأثاث. وعلى الرغم من أن الجميع سيخشى مني الآن، إلا أن ذلك قد يتلاشى مع مرور الوقت.

إننا بشر ومتاحون للمرض، وماذا عسانا أن نفعل حيال الأمر خاصة إن كان المرض من نوع سيئ. أفضل ما يمكننا فعله هو محاولة التعافي من المرض.

أجدني نادما أيضا حين أفكر في المشكلة التي سببتها من طرفي لجوجان، مهما كانت خارجة عن إرادتي. لكن قبل الأيام الماضية كنت أرى شيئا واحدا، أنه كان

يعمل بقلب منقسم بين رغبة الذهاب إلى باريس لينفذ خططه، والحياة في آرل. ما الذي سيصيبه من جراء كل هذا؟

ستشعر بأنه، وعلى الرغم من أن لك راتبا جيدا فإننا لا نزال نفتقد إلى رأس المال، سوى على هيئة سلع، وأننا نحتاج أن نكون أقوى كيما نغير الموقف الحزين للفنانين الذين نعرفهم. لكن المرء لا ينفك يلاقي انعدام الثقة من جانبهم، وحقيقة أنهم دائما يخططون لأمور سيئة بينهم، ما يؤدي دائما إلى نتيجة لا تكون سوى العدم. أظن أنه في بون أفون ثمة خمسة أو ستة منهم قد كونوا مجموعة جديدة، وربما قد تكون تفككت بالفعل.

هم ليسوا مدلسين، لكن شيء لا اسم له وهو أحد عيوبهم كأطفال بشعين.

الآن فالأمر الرئيسي ألا يتأجل زواجك. فبزواجك تُريح بال أمنا وتجعلها سعيدة، وفي النهاية هو ما يحتاجه قليلا وضعك في الحياة والعمل. هل سيقدّر المجتمع الذي تنتمي إليه ذلك؟ ألن ينظر الفنانون بارتياب إلى هذا؟ أنا عملت وسطهم وعانيت من هذا المجتمع. ومني أنا شقيقك، ألن ترغب في التهاني المبتذلة والطمأنة أنك ستنتقل مباشرة إلى الفردوس.

ومع زوجتك ستكفّ عن أن تكون وحيدًا، وهو ما أتمناه لأختنا ويل أيضا.

ما زلت أتمنى أن نستطيع أن نجعلها تلتقي برسّام إن لم نستطع أن نقابلها ونزوجها بطبيب. وهذا، ما أتمناه بعد زواجك، أكثر من أي شيء آخر.

بمجرد أن يتم زواجك، سينضم آخرون للعائلة، وبأي حال، سترى طريقك جيدا ولن يكون البيت خاليا. مهما يكُن رأيي في بعض النقاط الأخرى، فإن أبانا وأمنا كانا نموذجا يحتذى للمتزوجين. ولن أنسى ما حييت أمنا حين توفي أبونا، حين قالت فقط كلمات صغيرة، والتي جعلتني أحبها ثانية أكثر من ذي قبل. بأي حال، فإن أبوينا كزوجين كانا نموذجين، مثل رولان وزوجته كمثالين آخرين. حسنا، امض في هذا الطريق المستقيم.

خلال مرضي رأيت كل غرفة في بيت زونديرت القديم، كل طريق، وكل نبات في الحديقة، والمناظر المحيطة، الحقول، الجيران، المقبرة، الكنيسة، حديقة مطبخنا الخلفية صعودا إلى عش المقاعق في السنطة العالية بالمقبرة. وهكذا فلدي ذكريات من تلك الأيام تخصكم جميعا، ولن يتذكر كلّ هذا غيري أنا وأمي. لن أستمر لأنه من الأفضل ألا أحاول استعيد كل ما حدث وكل ما مر ببالي في المستشفى.

اعرف فقط أنني سأكون سعيدا حين تتم زيجتك. أنصت لي الآن، بخصوص زوجتك، إن كان من الأفضل للوحة من لوحاتي أن تكون عند آل جوبيل من آن لآخر، فسأسقِطُ ضغينتي القديمة التي لدي ضدهم بالطريقة التالية. لقد قلت إنني لا أود العودة إلى هناك بلوحة بريئة. لكنك يمكنك أن تعرض لوحتي عباد الشمس هناك إن أردت.

جوجان سيسعد إن حصل على إحداهما، وأنا سأسعد بعمل معروف كبير في جوجان. إذن، فهو يريد إحدى هاتين اللوحتين، حسنا، سأعيد تصوير إحداهما ثانية، التي يريدها. سترى أن تينك اللوحتين تجذبان الأنظار. لكنني سأنصحك بالاحتفاظ بهما لنفسك، لك أنت وزوجتك.

إنها نوع من اللوحات التي تغير سيماءها قليلا، والتي تزداد غنى كلما أطلت النظر إليها. بجانب أنك تعلم أن جوجان يحبهما بشكل استثنائي. لقد قال لي عنهما: "هذه.. هذه الـ.. الزهرة"

أنت تعرف أن جونان لديه زهرة الفاوانيا، وكوست زهرة الخطمي، لكنني لدي زهرة عباد الشمس، بطريقة ما. وبأي حال إنني سعيد لأن أستمر في التبادل مع جوجان، حتى إن كلفني هذا ثمنا غاليا أيضا.

هل رأيت، خلال زيارتك الخاطفة، البورتريه بالأسود والأصفر للسيدة جينو؟

هذا بورتريه مرسوم في ثلاثة أرباع الساعة. لا بد أن أنهي هذا الخطاب الآن.

التأخر في إرسال المال حدث بالصدفة المحضة، وهكذا لا يمكننا لا أنا ولا أنت أن نفعل شيئا حيال ذلك.

مصافحة.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٤٣ | آرل، الاثنين، ٢٨ يناير ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

كلمات قليلة لأخبرك أن الأمور ليست سيئة بخصوص صحتي والعمل. ما أجده مدهشا حين أقارن حالتي اليوم بحالتي منذ شهر. إنني أعرف جيدا أن المرء قد يكسر ذراعيه وساقيه، ثم يتحسن ذلك، لكنني لم أعرف أن المرء قد يكسر دماغه ثم يتحسن أيضا.

ما زال لدي شعور معين هو: "وما فائدة التحسن" في الحماس التي يسببه التعافي المستمر، والتي لم أكن في حالة تسمح بالاعتماد عليه.

حين زرتني أظنك لا بد قد لاحظت في غرفة جوجان لوحتين مقاس رقم ٣٠ لعباد الشمس. لقد انتهيت للتو من وضع اللمسات النهائية على النسختين المطابقتين المكافئتين. أظنني قد أخبرتك سلفا أنه بالإضافة إلى ذلك لدي لوحة "تهويدة"، اللوحة نفسها التي كنت أعمل عليها حين هاجمني المرض وقاطع ذلك. اليوم لدي أيضا نسختان من تلك اللوحة.

بالنسبة لموضوع تلك اللوحة، لقد أخبرت جوجان لتوي أنه بما أننا تحدثنا عن الصيادين الآيسلنديين، وعزلتهم الأسيانة، معرضين للأخطار كافة، وحيدين في

البحر الحزين، لقد قلت لجوجان عن هذا إنه، وبعد تلك الحوارات الحميمة، واتتني فكرة تصوير لوحة يكون فيها البحارة، أطفالا وشهداء، ورأيتها في كابينة قارب الصيادين الآيسلنديين، الذين سيختبرون شعورا بالهدهدة، يذكرهم بهدهداتهم. الآن هي تبدو كطبعة ليتوغراف ملونة من بازار القرش الواحد. امرأة ترتدي الأخضر بشعر برتقالي تقف على خلفية خضراء بزهور وردية. درجات الوردي المبهرجة الحادة المتنافرة، والبرتقالي المبهرج، والأخضر المبهرج، تنخفض درجاتها بدرجات الأحمر والأخضر السطحية. يمكنني أن أتصور هذه اللوحات تحديدا بين تلك اللوحات لعباد الشمس، التي هكذا تشكل قاعدتي مصباحين، أو شمعدانين على الجانبين، بالحجم نفسه، وهكذا يكون المجموع مكونا من سبع أو تسع لوحات.

(أود أن أصنع نسخة أخرى لهولندا إن استطعت أن أحصل على الموديل ثانية.)
بما أن الشتاء لم ينقض بعد، فأنصت. دعني أستمر بعملي بهدوء، وإن كان عمل رجل مجنون، فسيكون ذلك سيئا. ولا يمكنني أن أفعل شيئا حيال ذلك.

بأي حال، لقد توقفت الهلوسات المريعة حاليا، مختزلة نفسها إلى كوابيس بسيطة بسبب أخذ بروميد البوتاسيوم كما أظن. ولا يزال مستحيلا بالنسبة لي أن أتعامل مع مسألة المال بالتفصيل، لكنني أريد التعامل معها بالتفصيل مع ذلك، وأنا أعمل بجد من الصباح حتى الليل لأثبت لك (إلا إن كان عملي هلوسة أخرى)، لأثبت لك أنه حقا، حقا، إننا نتبع درب مونتيتشيلي في هذه الحالة، بل إن طريقنا منير ولدينا مصباح أمام خطواتنا في العمل القوي لبروريا في مونبيلييه، الذي صنع الكثير لعمل مدرسة في الجنوب. لا يجب أن تندهش إن اضطررت لطلب الشهر كاملا منك في خلال الشهر القادم، وحتى إن طلبت الزيادة النسبية.

بعد كل شيء، من الصحيح في أوقات الإنتاج تلك حين أنفق كل دفئي الحيوي سيكون علي أن أصر على ما هو ضروري لأخذ بعض الاحتياطات. الفارق في الإنفاق بالتأكيد ليس باهظا من طرفي، ولا حتى في هذه الحالات. ومرة أخرى، إما أن تحبسني في مصحة المجانين مباشرة، فلن أقاوم ذلك إن كنتُ مخطئا، وإما أن تدعني أعمل بكل طاقتي، آخذا الاحتياطات التي ذكرتها.

إن لم أكن مجنونا، فسيأتي الوقت الذي سأرسل إليك فيه ما وعدتك به منذ البداية. الآن، هذه اللوحات ربما يكون قدرها التشتت، لكن حين ترى أنت المجموع الذي أريده، ستتمنى -أجرؤ على أن آمل- أن تستقبل الانطباع المعزّي منها.

لقد رأيتَ، كما فعلتُ، جزءا من مجموعة فاور في النافذة الصغيرة لمتجر فلاح في طريق لافاييت، أليس كذلك؟ لقد رأيتَ، كما فعلتُ، أن رَكبَ اللوحات ذاك الذي كان سابقا مكروها، أصبح مثيرا للاهتمام بغرابة.

جيد. رغبتي الكبيرة ستكون أن تحصل أنت عاجلا أم آجلا على سلسلة من اللوحات مني يمكنها أن تكون طابورا في النافذة نفسها للدكان ذاك.

الآن، وباستمرار الكد في شهري فبراير ومارس أتمنى أن أنهي النسخ الهادئة لعدد من الدراسات التي صنعتها العام الماضي. وهذه، جنبا إلى جنب مع بعض لوحاتي التي لديك، مثل الحصاد والبستان الأبيض، ستشكل قاعدة ثابتة. في هذا الوقت نفسه، وليس بعد مارس، سيمكننا أن نرسي ما يمكن إرساؤه في مناسبة زواجك. لكن على الرغم من أنني سأعمل في فبراير ومارس، سأعتبر نفسي ما زلت مريضا، وأخبرك مقدما أن في خلال هذين الشهرين سيكون علي أن آخذ مائتين وخمسين شهريا من مصروف العام.

ستفهم ربما ما سيطمئنني بطريقة ما بخصوص مرضي، وإمكانية الانتكاس، هو أن أرى أنني وجوجان لم نستهلك عقلينا دون طائل، بل مقابل لوحات جيدة نتجت من هذا. وأجرؤ على أن آمل أنه في يوم ما سترى أنه في بقائي قويا وهادئا الآن، تحديدا حيال مسألة المال، سيكون من المحال لاحقا أن أكون قد تصرفت بشكل سيئ تجاه آل جوبيل. إن كنت قد أكلت بعض خبزهم بشكل غير مباشر، بالتأكيد عبرك كوسيط، فسأحافظ على نزاهتي بشكل مباشر.

لذا، وبعيدا عن أن نظل محرجين من بعضنا كل هذا الوقت بسبب ذلك، يمكننا أن نشعر كأخوين مرة أخرى بعد أن يكون ذلك انقضى. ستكون قد صرت فقيرا لتطعمني، لكنني سأعيد هذا المال أو أقضي دونه.

الآن ستأتي زوجتك، والتي تبطن الخير، وتجعلنا نشعر بشبابنا مرة أخرى.

لكنني مؤمن بهذا، أننا أنا وأنت سيكون لدينا خلف في العمل، وأنه تحديدا في اللحظة التي تركتنا فيها العائلة لنتصرف وحيدين، من الناحية المالية، سنكون نحن اللذين لم نهتز بسبب ذلك.

صدقني، ولتأت الكوارث بعد ذلك. هل أنا مخطئ إذن؟

صدقني، وما دام الكوكب الحالي مستمرا فسيكون هناك فنانون وتجار لوحات، خاصة أولئك الذين سيكونون رسلا في الوقت نفسه، مثلك. وإن حدث وأصبحنا مرتاحين ماليا، حتى ونحن ربما مدخنان يهوديان قديمان، على الأقل سنكون قد عملنا بالتقدم السريع ولن نكون قد نسينا أمور القلب كثيرا، حتى إن كنا قد قمنا بالقليل من الحساب.

ما أخبرك به حقيقي: إن لم يكن ضروريا أن تحبسني في مستشفى المجانين فسأكون ما زلت صالحا لدفع ما أدين به، على الأقل بالسلع.

ثم، يا أخي العزيز، لدينا العام ٨٩. فرنسا كلها ارتعشت فيه ونحن الهولنديين أيضا ارتعشنا بالقلب نفسه.

حاذر من ٩٣، قد تقول لي. للأسف يحمل ذلك بعض الحقيقة، وفي هذا الوضع يجب أن نظل مع اللوحات. في النهاية، يجب أن أخبرك أيضا أن رئيس مفتشي الشرطة أتى بالأمس لرؤيتي، بطريقة ودية للغاية. أخبرني بينما يصافحني أنني إن احتجت إليه أبدا يمكنني أن أستشيره كصديق. وهو ما أبعد كل البعد عن رفضه، وقد أكون واقعا في المشاكل التي قد تصدر من البيت. وأنا منتظر للحظة التي سأدفع فيها إيجاري الشهري لأستجوب المدير أو المالك وجها لوجه. لكن إن طردوني خارجا فسيحصلون لا محالة على ركلة في مؤخراتهم، في هذه المناسبة على الأقل. ماذا عساك أن تقول، لقد غامرنا بكل شيء من أجل الانطباعيين، أما عني، فأنا أحاول الانتهاء من اللوحات التي ستؤمن دون شك مكاني الصغير الذي أخذته بينهم.

آه، مستقبل ذلك. لكن منذ اللحظة التي يطمئننا فيها المفكر بانجلوس أن كل شيء هو في صالحنا في أحسن التقديرات، هل يمكننا أن نشك في هذا.

لقد طالت رسالتي عما خططت له، وهذا لا يهم، الأمر الرئيسي هو أنني أطلب عمل شهرين قبل تسوية ما يمكن تسويته بحلول وقت زواجك.

بعدها، ستقوم أنت وزوجتك بإنشاء شركة تجارية لعدة أجيال متجددة. لن يكون بالأمر السهل. وبمجرد أن ننهي ذلك الأمر فأنا أطالب فقط بمكاني كرسام موظف ما دام ثمة ما يكفي للدفع لي.

في واقع الأمر، العمل يلهيني. ولا بد أن تكون لدي إلهاءات، بالأمس ذهبت للمسرح الآرلي (فولي آرليزيان)، وهو مسرح تبرعم هنا، كانت المرة الأولى التي أنام فيها دون كوابيس. كانوا يؤدون (كانت جمعية أدبية بروفانسالية) ما يسمونه نويل أو رعوية، وهي بقايا من المسرح المسيحي في العصور الوسطى. كانت مدروسة جدا ولا بد أنها كلفتهم بعض المال.

بطبيعة الحال وصفت ميلاد المسيح، مخلوطا بالحكاية الساخرة لعائلة من الفلاحين البروفانساليين المندهشين. جيد، الأمر المدهش، مثل نقش لرامبرانت، كانت الفلاحة العجوز، وهي امرأة من نوع السيدة تانجي نفسه، برأس يابس كالصوان، كاذبة، غدارة، مجنونة، يمكن رؤية كل هذا في المسرحية. لكن تلك المرأة، في المسرحية، حين مثلت أمام المهد الروحي، بدأت تغني بصوتها المرتعش ثم تغير صوتها، تغير من ساحرة إلى ملاك ومن صوت الملاك إلى صوت الطفل ثم أجابه صوت آخر، صوت ثابت ورنان ودافئ، صوت امرأة، من وراء الكواليس.

كان هذا رائعا، رائعا. صدقني، تلك "الجمعيات الأدبية" كما يسمونها لم توفر على نفسها لا العناء ولا النفقات.

أما عني، فبهذا الريف الصغير هنا، ليست بي حاجة للذهاب إلى المناطق المدارية. أنا مؤمن وسأظل مؤمنا دائما بالفن الذي يبتدع في المناطق المدارية، وأعتقد

أنه سيكون رائعا، لكنني صرت كهلا (وخاصة بعد أن حصلت على أذن من الورق والصمغ) وأضعف من الذهاب إلى هناك.

هل سيفعلها جوجان؟ ليس هذا ضروريا. لأن الأمر إن كان ضروريا فسيحدث من تلقاء نفسه. نحن مجرد حلقات في سلسلة.

في أعماق قلوبنا أنا وجوجان الطيب نفهم بعضنا البعض، وإن كنا مجنونين قليلا، فليكن هذا، ألسنا أيضا فنانين في أعماقنا بما يكفي لنكافح القلق بهذا الخصوص بما نقوله بالفرشاة. ربما سيصاب الجميع في يوم ما بالعصاب، بالهورلا، ورقصة القديس فايتاس، أو ما شابه.

لكن أليس العلاج موجودا؟ في ديلاكروا، في برليوز وفاجنر؟ وحقيقة، جنوننا الفني الذي نملكه كلنا، لا أقول إنني لم أضرب به حتى النخاع بشكل خاص. لكنني أقول وسأظل أقول إن علاجنا وعزاءنا يمكنه، ببعض الإرادة، أن يعتبر قويا وناجعا. انظر "أمل" بوفي دو شافان.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٤٧ | آرل، الاثنين، ١٨ فبراير ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

ما دام عقلي ليس بخير، فستكون محاولة الكتابة ردا على خطاب الطبيب بلا طائل. اليوم عدت للبيت للوقت الحالي، أتمنى أن تكون العودة نهائية. ثمة العديد من اللحظات التي أعتبر نفسي فيها بخير تماما، وفي الواقع يبدو لي أنه إن كان ما لدي هو

مرضًا خاصًا بتلك البقاع، فلا بد أن أنتظر هنا حتى ينتهي. حتى إن كان سيتكرر (وهو الأمر الذي لن يحدث).

لكن ها هو ردي النهائي لك وللسيد راي. إن كان من المرغوب لاحقا أن أذهب إلى إكس، كما اقترحتم، فأنا موافق مقدما وسأستسلم لهذا.

لكن في وضعي كرسام وعامل ليس مسموحا لأي كان، ولا حتى أنت أو الطبيب، أن يفعل هذا دون تحذيري واستشارتي عنه، لأنه وحتى الآن فإن لدي الحضور العقلي النسبي اللازم للعمل، ومن حقي أن أقول إذن (أو أن أبدي رأيي على الأقل) ما سيكون الأفضل، وأن أبقي على الاستوديو هنا، أو أنتقل إلى إكس. وهذا كيما أتفادى النفقات والخسارات جراء الانتقال بقدر استطاعتي، وألا أفعل هذا إلا في حالة الضرورة القصوى.

يبدو أن الناس هنا لديهم أسطورة تجعلهم يخشون التصوير وقد تحدث الناس عن هذا في المدينة. جيد. بالنسبة لي، فأنا أعرف أن الأمر ذاته عند العرب، وعلى الرغم من ذلك لدينا العديد من الرسامين في أفريقيا، أليس كذلك؟ وهو ما يثبت أنه ببعض العزم يمكن للمرء أن يبدّل تلك القناعات، أو على الأقل يقوم بعمله بأي حال. الأمر المؤسف هو أنني أميل إلى أن أتأثر، وأشعر بعقائد الآخرين ولا أسخر من وجود الحقيقة، فيا للأمر العبثي.

بجانب أن جوجان مثلي في هذا الأمر، كما أمكنك أن تلاحظ وهو أيضا كان مرهقا في أثناء إقامته بسبب إنهاكٍ ما.

وبما أنني مكثت هنا لأكثر من عام، وقد سمعت الناس تقول الأشياء السيئة كافة عني، وعن جوجان، وعن التصوير عموما، لماذا لا آخذ الأشياء كما هي عليه وأنتظر النتائج هنا.

أين يمكنني الذهاب إلى أماكن أسوأ من التي ذهبت لها، زنزانة العزلة.

الميزات التي لدي هنا، كما قد يقول ريفيه، أولا، "إن الجميع مرضى هنا"، لذا فلن أشعر بالوحدة.

ثم، كما تعرف جيدا، أنا أحب آرل كثيرا، على الرغم من أن جوجان محق في وصفها بأوسخ بلدة في الجنوب.

بالإضافة إلى أنني وجدت ودا من جيراني، من السيد راي، ومن كل من كان في المستشفى، لذا أفضل أن أبقى هنا ولو كنت مريضا على أن أنسى الطيبة في الناس أنفسهم الذين يظنون أفظع الظنون في الرسامين والتصوير، وليس لديهم فكرة واضحة وصحية عنه كما نفعل نحن.

ثم إنهم يعرفونني في المستشفى الآن، وإن حدث هذا ثانية فسيمر بهدوء، وسيعرفون كيف يتصرفون. ليست لدي رغبة البتة بأن أعالج من قبل أطباء آخرين، ولا بي حاجة لذلك. الرغبة الوحيدة التي لدي هي أن أستطيع أن أكسب بيدي ما أنفقه.

كونينج كتب لي خطابا طيبا، قائلا إنه وصديقًا آخر قد يأتون للجنوب معي لفترة طويلة. وهذا ردا على خطاب كتبته له منذ عدة أيام. لم أعد أجرؤ على دعوة الرسامين للمجيء بعد ما حدث لي، إنهم سيخاطرون بأن يفقدوا عقولهم مثلي. والأمر نفسه مع دي هان وإيزاكسون.

دعهم يذهبوا إلى أنتيب، أو نيس، أو مونتو، فهي ربما أماكن أفضل للصحة.

كتبت أمنا وأختنا لي خطابا أيضا، كانت الأخيرة حزينة بسبب المرأة المريضة التي تعتني بها. وفي الوطن الجميع سعيد بسبب زواجك.

يجب أن تعي أنك لا حاجة بك لأن تقلق لحالي كثيرا، ولا تجهد نفسك.

لا بد أن يمضي الأمر في طريقه للنهاية، ونحن لا يمكننا أن نغير أقدارنا بالحذر.

مرة أخرى، دعنا نحاول أن نقبض على قدرنا في أي شكل من أشكاله. أختنا كتبت لي قائلة إن خطيبتك ستذهب وتبقى معهم قليلا. أحسنت. آه، حسنا، أصافحك بحرارة، ودعنا لا نيأس. صدقني.

المخلص أبدا،

فنسنت

تحيات حارة لجوجان، أتمنى أن يكتب لي، سأكتب له أيضا.

أرسل إلي خطابك القادم على بلاس لامارتين.

٧٥٠ | آرل، الثلاثاء، ١٩ مارس ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

أخي العزيز،

يبدو لي أنني أرى الكثير من الألم الأخوي المكبوت في خطابك الطيب لدرجة أنه بدا لي من واجبي أن أكسر صمتا. أكتب لك وأنا في كامل قواي العقلية ليس كمجنون بل كأخيك الذي تعرفه. ها هي الحقيقة: عدد من الناس هنا قدموا عريضةً (كان ثمة ثمانون توقيعا عليها) للعمدة (أظن أن اسمه إم. تارديو) قائلين إنني رجل لا يستحق العيش حرا، أو شيئا كذلك. ثم قام رئيس الشرطة أو رئيس المحققين بإعطاء أمر بحبسي مرة ثانية.

بأي حال، ها أنا، محبوسا لأيام طويلة بالقفل والمفتاح وبحراس في زنزانة انفرادية، دون أن يتم إثبات إدانتي.

وغني عن الذكر أنني في أعمق أعماقي لدي الكثير لأقوله بخصوص ذلك. وغني عن الذكر أنني لا يجب أن أغضب، وأن الاعتذار يبدو لي اتهاما لنفسي. فقط

لسنا في وضع يحتمل النفقات. لا يمكنني الانتقال دون نفقات، والآن مضت ثلاثة أشهر لم أعمل فيها، واسمح لي، كنت سأعمل لولا مضايقاتهم وتعكيرهم لصفو حالي.

كيف هي أمنا وأختنا؟ ودون أن يكون لدي ما يسليني، فأنا ممنوع حتى من التدخين، وهو ما يسمح به للمرضى الآخرين. ودون أن يكون لدي ما أفعله فأنا أفكر في كل من أعرفهم ليلا ونهارا.

يا للبؤس! وكل هذا مقابل لا شيء.

لن أخفيك سرا أنني أفضل الموت على أن أقع في مشكلة كهذه. إن الدرس الوحيد الذي يجب تعلمه في هذه الحياة هو أن نعاني دون شكوى.

والآن، في كل هذه المشاكل، إن كان علي أن أستمر في مهمة التصوير فأنا بطبيعة الحال أحتاج الاستوديو والأثاث الذي لا يمكنني تجديده لأسباب مادية إن ضاع.

وأنت تعلم أن عملي لن يسمح بأن أعود للعيش في فندق، لا بد أن يكون لي موطئ قدم خاص بي. وإن تظاهر أولئك الناس هنا ضدي، فسأتظاهر ضدهم، وعليهم أن يمدوني بالضرر والمصلحة بطريقة ودية، باختصار، عليهم أن يعطوني ما سأفقده بسبب جهلهم وخطئهم.

إن حدث، دعنا نقُل، وأصبحت مجنونا تماما، بالتأكيد لا أقول إن ذلك محال، بأي حال عليهم أن يعاملوني بشكل مختلف، ويعطوني حريتي وعملي... إلخ.

حينها، سأتنازل. لكننا لم نصل لهذا بعد، وإن كنت قد حصلت على هدوء بالي، كنت سأستعيد عافيتي منذ وقت طويل. إنهم يعنفونني على ما دخنته وشربته، حسنا.

لكن ماذا عساك أن تقول، بكل رزانتهم فهم يزيدون من بؤسي. أخي العزيز، ربما أفضل ما تبقى لنا هو المزاح بخصوص بؤسنا الجديد، وربما أيضا نمزح قليلا عن عظماء البشرية. خذ الأمر كرجل وامش نحو حتفك مباشرة إلى الهدف. نحن الفنانين في المجتمع المعاصر لسنا سوى جرار مكسورة. كم أود لو بإمكاني أن أرسل إليك

لوحاتي، لكن كل شيء مغلق بالقفل والمفتاح، والشرطة، وحراس المجانين. لا تحرروني، ستتم تسوية الأمر من تلقاء نفسه. بأي حال، حذر سينياك أن عليه ألا يتدخل حتى أكتب ثانية، لأنه بهذا سيضع يده في عش الزنابير. أصافحك بحرارة وتحياتي لخطيبتك وأمنا وأختنا.

المخلص لك»

فنسنت

سأقرأ هذه الرسالة كما هي للسيد راي، إنه غير مسؤول عما حدث، فقد كان مريضا. بلا شك سيكتب لك هو أيضا. بيتي مغلق بأمر الشرطة.

لدي ذكرى مبهمة عن خطاب مسجل منك جعلوني أوقعه لكنني لم أرد أن أقبلها لأنهم صنعوا جلبة بخصوص التوقيع، ولم تصلني أخبار عنها بعد ذلك.

واشرح لبرنار أني لم يمكنني أن أرد على خطابه، فذلك صعب للغاية: العديد من الإجراءات في السجن. أخبره أن يطلب النصيحة من جوجان، لكن صافحه بشدة لي.

مرة أخرى تحياتي الحارة لخطيبتك ولبونجر.

كنت لأفضل عدم الكتابة لك بعد خوفا من أن أزعجك وأخل بما يجب أن يستمر بالعمل بأي حال. سيسوي الأمر نفسه، إنه من الغباء بحيث أنه لن يستمر.

حين تنقل بيتك، أرسل إلي العنوان الجديد أرجوك.

لقد تمنيت أن السيد راي سيأتي ليراني فأكلمه قبل إرسال هذه الرسالة، لكن على الرغم من أنني أعلمت الجميع بأنني أنتظره، لم يأت أحد. أحثك على الحذر ثانية. أنت تعرف كيف هو الذهاب إلى السلطات المدنية للشكوى. انتظر حتى رحلة هولندا على الأقل.

أنا شخصيا أخشى أنه إن ذهبت إلى الخارج وأصبحت حرا فلن أكون سيد نفسي إن أثارني أحدهم أو أهانني، وقد يتخذ أحدهم من هذا ذريعة. يظل واقعًا أن الالتماس تم إرساله إلى العمدة. لقد أجبت بصراحة أنني كنت معرضا للقذف بنفسي

في الماء، على سبيل المثال، لو أن هذا سيجعل أولئك الفضلاء سعيدين للأبد، لكن بأي حال إن كنت قد جرحت نفسي في الواقع، فإنني لم أفعل شيئا مشابها لأولئك الناس... إلخ. لذا الشجاعة، إذن، على الرغم من أن شجاعتي تخذلني أحيانا. مجيئك إلى هنا، صدقني، قد يفسد الموقف. سأنقل بيتي حين يمكنني ذلك بطبيعة الحال.

أتمنى أن يصلك هذا الخطاب وأنت بحال جيد. دعنا لا نخشى شيئا، فأنا هادئ تماما الآن. دعهم لما يريدون أن يفعلوه. ستصنع معروفا إن كتبت مرة أخرى، ولا أكثر في الوقت الحاضر. إن كنتُ صبورا فسيجعلني هذا أقوى ويمنعني من السقوط في انتكاسة أخرى. بطبيعة الحال، أنا الذي بلغ قصارى جهده ليكون ودودا مع الناس هنا ولم أتوقع ذلك، كانت تلك ضربة قاصمة لي.

سأكتب لك أكثر قريبا، كما أرجو، يا أخي العزيز، لا تقلق. إنه ربما نوع من الحجر الصحي. ما أدراني؟

٧٥٢ | آرل، الأحد، ٢٤ مارس ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أكتب لك لأخبرك أنني رأيت سينياك، وهو ما كان نافعا لي. لقد كان جيدًا معي ومباشرًا وبسيطًا حين ظهرت مشكلة أن نكسر الباب الذي أغلقته الشرطة أم لا، وقد دمرت الشرطة القفل. بدؤوا بمنعنا من فعل ذلك، لكن في النهاية فعلناها. لقد أعطيته لوحة طبيعة صامتة ليحتفظ بها، ما أغضب درك بلدة آرل لأنها صورت سمكتي رنجة مدخنتين، من النوع الذي يسمى "الدرك" كما تعلم. أنت تعرف أنني قمت بتصوير هذه الطبيعة الصامتة مرتين أو ثلاث مرات من قبل في باريس، وبادلت بها سجادة في مرة ما حينها. هذا كاف لترى كم هم أغبياء بتدخلهم في شؤوني.

لقد وجدت أن سينياك هادئ جدا على الرغم مما يقال عنه إنه عنيف، لقد أعطاني انطباع شخص واثق ومتزن، هذا كل شيء. لم أشارك قط في حوار مع أحد الانطباعيين كان خاليًا من المعارضة أو الصدامات المزعجة على الجانبين.

على سبيل المثال، لقد ذهب لرؤية جول دوبريه وهو يحترمه. لا بد أن لك يدًا في مجيئه للرفع من معنوياتي قليلا، وأشكرك لهذا. لقد استغللت رحلتي لشراء كتاب "أقنان الأرض" لكاميل لومونييه. لقد التهمت فصلين منه، إنه كتاب جاد، وعميق للغاية. انتظر أن أرسله إليك. هذه المرة الأولى التي ألتقط فيها كتابا منذ شهور. يشي هذا بالكثير ويشفيني كثيرا.

في الواقع، فإن ثمة عدة لوحات لأرسلها إليك، كما أمكن لسينياك أن يراها، وقد أحب تصويري، أو هكذا بدا لي.

يعتقد سينياك أنني أبدو بخير، وهذا حقيقي تماما.

علاوة على ذلك، لدي رغبة شديدة في العمل. بالطبع، ويبقى أنه إذا تعرّضت للمضايقات اليومية من رجال الدرك أو العاطلين الحاقدين من ناخبي البلدية الذين يرفعون عريضةً ضدي لعمدتهم المنتخب (الذي يعتمد على أصواتهم في الانتخابات) فسيكون من الطبيعي أن أنهارَ ثانية. سيخبرك سينياك كما أظن بأمر مماثل.

في رأيي لا بد أن نعارض بوضوح فقدان الأثاث... ثم، صدقني، لا بد أن أحصل على حريتي في ممارسة مهنتي.

السيد راي يقول إنه وبدلا من أن آكل جيدًا وبانتظام فقد عشتُ على الكحول والقهوة. وأنا موافق على ذلك، لكن الحقيقة أيضا أنني اضطررت لأن أعلّي روحي قليلا لأصلَ إلى النغمة الصفراء العالية التي بلغتها في الصيف الماضي. وأنه وبعد كل شيء فإن الفنان هو رجل يعمل، ولا ينبغي له أن يُهزم من أول ضربةٍ لعابر سبيل.

هل علي أن أعاني الحبس أو الاحتجاز في مصحة المجانين، لم لا؟ ألم يعطنا هوجو وروشفور وكينيه وآخرون المثال الأبدي بالمعاناة من المنفى، والأول أيضا أعطانا مثال المستعمرة العقاب.

لكن كلّ ما أود قوله إن ذلك فوق مسألة الصحة والمرض. بطبيعة الحال يكون المرء خارج ذاته في الحالات الموازية، لا أقول الحالات المطابقة، لأن مكاني أقل كثيرا وثانوي، لكنني أقول موازية. وهذا هو أول وآخر أسباب خروجي عن حالتي العقلية السليمة.

هل تعرف هذا التعبير الذي كتبه شاعر هولندي:

أنا مربوط بالأرض

بأكثر من الروابط الدنيوية.

هذا ما اختبرته في لحظات عديدة من الألم، وفوق كل شيء، في ما يسمى مرضي العقلي. وللأسف فإنني لا أعرف مهنتي جيدا لأعبر عن نفسي كما أتمنى.

سأتوقف الآن خشية الانتكاس، وأكمل بشيء آخر.

هل يمكنك أن ترسل إلي قبل مغادرتك:

٣ أنابيب من الأبيض الزنكي السادة

١ أنبوبة من الحجم نفسه كوبالت

١ " " " ألترامارين

٤ " " " أخضر فيروني

١ " " " أخضر زمردي

١ " " " رصاص برتقالي.

هذا في حال، إن وجدت طريقة للعمل ثانية، أن أبدأ بعد فترة قصيرة بالعمل ثانية في البساتين. آه، لو لم يحدث ما يعكر صفو الحال بالنسبة لي!

دعنا نفكر بحذر قبل الذهاب إلى مكان آخر. كما ترى فإنني في الجنوب ليس لدي حظ أكثر من الشمال. إن الأمر ذاته في كل مكان. أظنني أقبل بوضوح مهنتي كرجل مجنون تماما كما قبل ديجا وظيفة كاتب العدل. لكن كما ترى، لست أشعر بالقوة الكافية التي يحتاجها هذا الدور.

إنك تكلمني عما تسميه "الجنوب الحقيقي". أعلاه تجد السبب الذي يمنعني من الذهاب إلى هناك. إنني أترك ذلك لأناس أكثر اكتمالا مني. أما عني، فأنا مناسب فقط لشيء وسطي من الدرجة الثانية وغير ذي بال.

مهما كانت شدة مشاعري أو القوة التي يكتسبها تعبيري، في عصر يكون فيه الشغف المادي أكثر سطوعا، لن يمكنني أن أبني نصبا جليلا على ماضٍ محطم عفن.

لذا فأنا لا أبالي حقا بما يحدث لي، حتى إن بقيت هنا، أظن أن قدري سيتوازن على المدى البعيد. احذر العواطف المفاجئة، بما أنك ستتزوج وأنا رجل كبير السن، فإن تلك هي السياسة الوحيدة المناسبة لنا.

سأكتب قريبا، كما أرجو. اكتب لي دون تأخير وصدقني، تحياتي الدافئة لأمنا، وأختنا وخطيبتك، أخوك الذي يحبك كثيرا،

فنسنت.

سأرسل إليك كتاب كاميل لومونييه قريبا.

٧٥٦ | آرل، الأربعاء، ١٠ أبريل ١٨٨٩

إلى بول سينياك (F)

صديقي العزيز سينياك،

أشكرك كثيرا على بطاقتك البريدية، والتي أخبرتني عن حالك. أما عن عدم رد أخي على خطابك بعد، فأنا أميل للاعتقاد بأن ذلك ليس خطأه. أنا أيضا لم تردني أخباره منذ أسبوعين. ذلك بسبب أنه في هولندا، حيث سيتزوج هذه الأيام. الآن، وعلى الرغم من أنني لا أنكر مميزات الزواج أبدا بمجرد أن يتم ويستقر المرء في بيته، أما البهرجة الجنائزية لحفل العرس... إلخ، والتهاني التي يُرثى لها للعائلتين

(المتحضرتين حتى) في الوقت ذاته، وغنيٌّ عن الذكر المراسم المحفوظة في قوارير الصيادلة حيث يجلس رجل الدين أو موثق العقود المدني، صدقني، أليس ثمة سبب أكثر وجاهة للشفقة على التعيس المضطر لأن يتقدم مسلحا بالأوراق الضرورية، في الأماكن التي وبضراوة تتعدى أبشع أكلة لحوم البشر، يتم تزويجك حيا على الحرارة الهادئة للاستقبالات الجنائزية المذكورة أعلاه.

إنني أظل شاكرا لزيارتك الودود والطيبة، والتي ساعدت بشكل كبير في إسعادي. أنا بخير الآن وأعمل في المستشفى أو حولها. وهكذا قد جلبت دراستين للبساتين.

(*sketch* A)

هاك تخطيط مصنوع على عجل لهما، الكبيرة ريف فقير أخضر مع بضعة أكواخ، والخط الأزرق لجبال الألبيي، وسماء زرقاء وبيضاء. المقدمة، تسييجات بأسوار من الأقصاب حيث تزهر أشجار الخوخ الصغيرة - كل ما هنالك صغير، الحدائق، والحقول، والأشجار، حتى تلك الجبال، كأنها في مناظر طبيعية يابانية بعينها، وهذا هو سبب انجذابي لهذا الموضوع.

المنظر الطبيعي الآخر يكاد يكون أخضر كله مع الليلكي والرمادي، في يوم ماطر.

أسعدني كثيرا أن أسمع باستقرارك، وسأتمنى كثيرا أن أسمع أخبارا أكثر عنك. كيف حال العامل، ما هي طبيعة تلك الأماكن؟

(*sketch* B)

بما أن عقلي قد عاد لحالته الطبيعية، في الوقت الحالي لا أطلب أكثر، إن كان سيستمر. سيعتمد هذا علاوة على كل شيء، على نظام من الامتناع عن الكحول والتدخين. في الشهور الأولى على الأقل، أخطط للبقاء هنا. لقد أجرت شقة مكونة من غرفتين صغيرتين. لكن في بعض الأحيان أشعر بأنها ليست مريحة تماما لي كي

أعود للحياة ثانية، لأنني لدي تعاسة داخلية من عيار ثقيل. صدقني، هذا القلق... من يمكنه أن يعيش في الحياة الحديثة دون أن ينال نصيبه منه؟

المزاء الأفضل، إن لم يكن العلاج الوحيد، هو، ما زال يبدو لي، الصداقات العميقة، حتى إن كانت تثبّتنا في الحياة بشكل أكثر صلابة مما نرغب في أيام المعاناة الكبيرة.

أشكرك ثانية على زيارتك، التي أسعدتني كثيرا.

مصافحة قوية.

المخلص لك»

فنسنت

العنوان حتى نهاية أبريل هو بلاس لامارتين ٢ ، آرل.

Je vous demeure bien obligé de votre
si aimable et bienfaisante visite qui
a considérablement contribué à me
remonter le moral
Je vais bien maintenant et je travaille
à l'hospice ou dans les environs.
Ainsi je viens de rapporter deux
études de vergers.



Voici croquis hatif – le plus grand
est une pauvre campagne verte à petites maisons
ligne bleue des Alpines ciel blanc & bleu.
Le devant des clotures en roseaux où de petits
pêchers sont en fleur – tout y est petit les jardins
les champs les jardins les arbres même ces montagnes
comme dans certains paysages japonais c'est pourquoi
ce motif m'attirait
L'autre paysage est presque tout vert avec un peu
de lilas et de gris – par un jour pluvieux
Bien aise [illegible] que vous [illegible]
[illegible] et serais désireux d'avoir encore de vos nouvelles
[illegible]

بستان مزهر مع منظر لمدينة آرل



مدينة لاكرو وشجر الكمثرى المثمر

٧٦٠ | آرل، الأحد، ٢١ أبريل ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

على الأرجح أنك ستكون قد عدت لباريس حين تصلك هذه الرسالة. أتمنى لك ولزوجتك الكثير من السعادة.

أشكرك كثيرا على خطابك والفرنكات المائة المرفقة. من الـ ٦٥ فرنكًا التي أدين بها لصاحب البيت، دفعت له ٢٥ منها، وقد اضطررت لدفع إيجار ثلاثة أشهر مقدما لغرفة لن أعيش فيها ولكن سأخزن فيها أثاثي، وقد أنفقت أيضا عشرة فرنكات كنفقات انتقال متعددة...

ثم، بما أن ملابسي لم تكن في حالة جيدة، ولأنني سأبدأ في الخروج إلى الشارع فقد أصبح ضروريا الحصول على شيء جديد، فاشتريت حلّة ثمنها ٣٥ فرنكا وأربعة فرنكات لستة أزواج من الجوارب. لذا فإن لدي القليل من الفرنكات المتبقية من تلك الورقة، وبنهاية الشهر سيكون علي الدفع لصاحب البيت ثانية، لكننا يمكننا أن نجعله ينتظر لعدة أيام. في المستشفى، بعد أن سويت الفاتورة اليوم، ثمة ما يكفي تقريبا لنهاية الشهر من المال الذي وضعته تحت الحساب.

بنهاية الشهر ما زلت أود أن أذهب إلى مصحة الأمراض العقلية في سان ريمي، أو منشأة أخرى من ذلك النوع، والتي أخبرني بها السيد سال. واعذرني إن لم أتطرق لتفاصيل مميزات وعيوب هذا الموضوع. سيرهق عقلي كثيرا أن أتحدث عن هذا.

سيكفي، كما أتمنى، أن أقول إنني أشعر بعدم قدرتي على إنشاء مرسم جديد والعيش فيه وحيدا، هنا في آرل، أو في مكان آخر، الأمر نفسه، بالنسبة للوقت الحالي، مع أنني حاولت أن أحمل نفسي على أن أبدأ مجددا. لكن في الوقت الحالي هذا

غير ممكن. سأخشى أن أفقد قدرتي على العمل، والتي تعود لي الآن. بإجبار نفسي على الحصول على مرسم، وكل تحمل المسؤوليات الأخرى على كاهلي.

وبالنسبة للوقت الحالي، أتمنى أن أبقى محدد الإقامة، من أجل سلامي العقلي وسلام الآخرين. ما يعزيني قليلا هو أنني بدأت اعتبر الجنون مرضًا مثل أي مرض آخر وتقبلت الأمر كما هو، بينما خلال الكارثة نفسها بدا لي أن كل ما تخيلته كان حقيقيا. بأي حال، في الواقع لا أريد أن أفكر أو أتحدث عن الأمر. أعذرني على الاختصار، لكنني أطلب منك ومن السيد سال والسيد راي، أن تتدخلوا بحيث أذهب إلى هناك كنزيل محتجز عند نهاية الشهر أو بداية مايو.

أن أستأنف حياة الرسام التي عشتها حتى الآن، منعزلا في المرسم دائما، ودون أي وسيلة أخرى للتسلية سوى الذهاب إلى مقهى أو مطعم مع كل انتقادات الجيران... إلخ. لا، لا أستطيع فعل ذلك. والعيش مع شخص آخر -حتى إن كان فنانا- صعب، صعب للغاية، تُصبح على كاهل المرء مسؤولية كبيرة. لا يمكنني حتى أن أجرؤ على التفكير بالأمر. بأي حال دعنا نبدأ بثلاثة أشهر، بعدها سنرى. الآن فإن ثمن الإقامة لا بد أن يكون نحو ثمانين فرنكا وسأقوم بالقليل من التصوير والرسم. دون أن أضع الكثير من الهياج في الأمر مثل العام الماضي. لا تضق بكل هذا.

وهكذا هو الأمر، تلك الأيام كانت حزينة، نقل بيتي، ونقل كل أثاثي، وحزم كل لوحاتي التي سأرسلها إليك، لكن فوق كل شيء فإنه أمر محزنٌ لي، أن آتي بعد كل ما أعطيتني إياه بمحبة أخوية، ولسنوات طويلة، تساندني فيها وحدك، فأخبرك في النهاية بهذه القصة البائسة. لكنه من الصعب علي أن أعبر عن هذا كما شعرت به.

إن الخير الذي رأيته منك لم يضع، بما أنه كان لديك ولا يزال، لذا فإن كانت النتيجة المادية عدما، فأنت ما زلت تحتفظ بهذا، لكنني لا يمكنني التعبير عما شعرت به. الآن أنت تفهم جيدا أن الكحول كان أحد الأسباب الكبيرة لجنوني، فقد أتى ببطء وسيذهب ببطء أيضا. إن ذهب، بالطبع. وإن جاء من التدخين، فالأمر ذاته.

لكنني سأنتظر فقط ذلك التعافي، أما التطير المخيف لدى بعض الناس من موضوع الكحول، فلينتصروا على أنفسهم ولا يشربوا أو يدخنوا. إننا نعرف أنه لا يجب أن نكذب أو نسرق أو نرتكب الجرائم الأخرى الكبيرة والصغيرة، ويصبح الأمر معقدا للغاية لو كان من الضروري ألا نملك سوى الفضائل في مجتمع نحن بلا شك متجذرون فيه، سواء أكان جيدا أم سيئا.

أطمئنك أنه وفي تلك الأيام الغريبة التي تبدو لي أشياء كثيرة غريبةً بالنسبة لي لأن عقلي مهزوز، أطمئنك أنني لا أكره الأب بانجلوس في كل هذا. لكنك ستسدي لي معروفا إن تناولت المسألة مباشرة مع السيد سال والسيد راي.

يبدو لي أنه بإقامة تكلف خمسة وسبعين فرنكا شهريا لا بد من طريقة لإبقائي محتجزا بحيث يكون لديَّ كل ما أحتاجه. ثم إنني أتمنى بشدة، إن كان ممكنا، أن أقدر على الخروج في النهار لأرسم وأصوّر بالخارج. كما أخرج كل يوم هنا، وأظنّ أن ذلك سيستمر.

أحذرك أنه بدفع المزيد سأكون أقل سعادة. إن رفقة المرضى الآخرين، كما تعلم، ليست سيئة بالنسبة لي، بالعكس، إنها تسلّيني. والطعام العادي يناسبني تماما، خاصة إن أعطوني نبيذا أكثر كما يفعلون هنا، نصف ليتر بدلا من ربع ليتر مثلا.

لكن شقة منفصلة، سنرى ما تكون قواعد مؤسسة كتلك. يجب أن تعي أن راي مثقل بالعمل، مثقل. إن كتب لك أو كتب لك السيد سال، فمن الأفضل أن تفعل تماما ما يقولانه.

على أي حال، يا عزيزي، يجب أن نتقبل الأمر. إنها أمراض عصرنا، وبأي حال فمن العدل أنه وبعد أن عشنا سنوات بصحة جيدة نسبيا، أن نحصلَ الآن أو لاحقا على نصيبنا منها. أما عني، ستشعر قليلا بأنني لم أكن سأختار الجنون لو كان لي الخيار، لكن بمجرد أن يكون لدى المرء شيء كهذا، لا يمكن للمرء أن تصيبه عدواه ثانية. بأي حال، بالإضافة إلى ذلك سيكون ربما ثمة تعزية في القدرة على الاستمرار بالعمل على بعض اللوحات قليلا. ماذا ستفعل كيلا تخبر زوجتك عن الكثير من

الأشياء الطيبة أو الشريرة في باريس وعن الأشياء الأخرى؟ هل تشعر مقدما بأنك قادر تماما على الحفاظ على المعيار الصحيح دائما، من كل وجهات النظر؟

أصافحك مصافحة قلبية، لا أعرف إن كنت سأكتب لك بانتظام، لأن كل أيامي ليست واضحة بما يكفي لأكتب بشكل منطقي. كلّ طيبتك معي، وجدتها أكبر من أي وقت مضى اليوم.

لا يمكنني أن أخبرك بالأمر كما أشعر به، لكنني أطمئنك أن تلك الطيبة كانت ذات قيمة عظيمة، وإن لم تر نتائجها، يا أخي العزيز، فلا تضق، فستظلّ تلك الطيبة في قلبك. فقط حوّل هذا الحب إلى زوجتك قدر استطاعتك.

وإن تبادلنا عددا أقل من الرسائل، فسترى أنها إن كانت كما أظنّها، فستعزيك. هذا ما أتمناه.

راي شخص جيد بحق، يكد بشكل رهيب، دائما في طاحونة العمل اليومي. يا لهم من أناس أطباء اليوم!

إن رأيت جوجان أو إن كتبت له، فابلغه تحياتي الطيبة.

سيسعدني كثيرا أن أحصل على القليل من الأخبار مما تقوله عن أمنا وأختنا وإن كانتا بحال جيدة، قل لهما أن تأخذا حكايتي -صدقني- كشيء لا يجب أن تحزنا لأجله بشكل زائد، لأنني قد أكون سيئ الحظ نسبيا، لكن على الرغم من هذا، وبعد كل شيء، ربما لم تزل أمامي بعض السنوات الطبيعية: إنّه مرض كأي مرض، وحاليا فإن كلّ من نعرفهم من أصدقائنا مصابون بشيء ما. فهل يستحق الأمر الحديث عنه؟ إنني آسف على تسبيب المشاكل للسيد سال، وراي، ولك بالخصوص، لكن ماذا عسى المرء أن يفعل. العقل ليس متزنا بما يكفي للبدء من جديد كما في الماضي. لذا فالمسألة هي مسألة عدم التسبب في فضائح بالعلن، وبطبيعة الحال بما أنني أهدأ من ذي قبل، أشعر تماما بأنني كنت في حالة مرضية، عقليا وجسديا. وكان الناس طيبين معي

حينها، من أتذكرهم والبقية، بأي حال لقد سببت قلقا، وإن كنت في حالة عادية لم يكن كل هذا ليحدث بهذه الطريقة، وداعا، واكتب حين تستطيع.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٦٤ | آرل، بين السبت ٢٨ أبريل، والخميس ٢ مايو ١٨٨٩
إلى ويليماين فان جوخ (F)

أختي العزيزة،

لقد مستني رسالتك الطيبة، خاصة وقد أخبرتني أنك عدت للعناية بالسيدة دو كويسنه. إن السرطان مرض رهيب، بالنسبة لي، فإنني أرتجف دائما حين أرى حالة سرطان، وهو ليس نادرا في الجنوب، مع أنه لا يكون دائما المرض الحقيقي الذي لا علاج له، ولكن خراريج سرطانية يتعافى منها المرء أحيانا. وأيا كانت الحال، فأنت شجاعة جدا، يا أختي، في صمودك أمام هذه العذابات. وأشعر بأنني أقل شجاعة منك حين أفكر بهذه الأشياء، شاعرا بالحرج، والثقل، والحمق أمامها. إن لدينا مثلا هولنديا إن أسعفتني الذاكرة يقول: لا تنهش الزنابير الفواكه العطنة.

هذا يقودني مباشرة لما أردت أن أقوله، اللبلاب يحب الصفصافات الشائخة المدلاة كل ربيع، اللبلاب يحب جذع شجرة بلوط عجوز، وهكذا السرطان، هذا النبات الغامض، يربط نفسه بأناس لم تكن حيواتهم إلا حبا شغوفا وإخلاصا. لذا، ومهما كان غموض هذه الآلام رهيبا، فإن رعبها مقدس، وفيها قد يكون فعلا، ثمة شيء رقيق، يفطر القلوب، تماما كما نرى الطحلب الأخضر وفيرا على سقف من القش القديم. مع ذلك، لا أعرف الكثير عنه، وليس لي الحق في الكلام عنه.

ليس على مبعدة من هنا ثمة قبر عتيق للغاية، أقدم من المسيح، محفور عليه "مباركة هي طيبة، بنت تيلهوي، كاهنة أوزوريس، التي لم تشكُ أحدًا." لم أستطع الا أفكر بهذا حين أخبرتني في خطابك السابق أن تلك المرأة المريضة التي تعتنين بها لا تشكو.

لا بد أن أمي سعيدة بزواج تيو، وقد كتبَ لي قائلا إنها تبدو وكأنها استردت بعض شبابها. يسعدني هذا كثيرا. وهو أيضا سعيد بتجربة الزواج، ومطمئن لها تماما. وليس لديه أوهام، فشخصيته قوية لدرجة نادرة، فهو يتقبل الأشياء كما هي دون إطلاق الأحكام عن الخير والشر. وهو محق في هذا، فماذا نعرف نحن عن أفعالنا؟

اما عني، فأنا ذاهب على الأقل لمدة ثلاثة أشهر إلى مصحة نفسية في سان ريمي، ليست بعيدة عن هنا. وعموما، فقد حدثت لي أربع أزمات كبرى لم يكن لديّ خلالها وعيٌ بما أقوله أو أريده أو أفعله. وهذا دون حساب أنني أغشي عليّ ثلاث مرات سابقا دون سبب يذكر، ودون أن أحتفظ بأي ذاكرة عما شعرت به حينها.

حسنا، إنه أمرٌ فادح، لكنني أهدأ الآن، وجسديا فأنا بخير تماما. وما زلت أشعر بعدم القدرة على شغل المرسم بعد. مع ذلك فأنا مستمر بالعمل، وقد صنعت لوحتين للمستشفى. واحدة لجناح مرضى، جناح مرضى طويل بصفوف من الأسرة والستائر البيضاء حيث تتحرك بعض شخوص لمرضى.

الجدران، والسقف بعوارضه الكبيرة، كل شيء بالأبيض أو الأبيض الليلكي أو الأخضر المبيض. وهنا وهناك ثمة نافذة بستارة خضراء ساطعة أو وردية.

الأرضية مبلطة بالقرميد الأحمر. وفي النهاية باب عليه صليب.

إنها بسيطة للغاية. ثم كلوحة مكمّلة، الباحة الداخلية. وهو رواق ذو عقود كالمباني العربية، مطليٌ بالجير الأبيض. وأمام تلك الأروقة حديقة عتيقة ببحيرة في الوسط وثمانية أحواض للزهور، زهر لا تنسني، وورود الميلاد، وشقائق النعمان، وعشب الحوذان، والأقحوان، وزهر المنثور الأصفر... وتحت البهو، أشجار برتقال

ودفلى. وهكذا فهي لوحة مليئة بالأزهار وخضرة الربيع. بأي حال، تعبرها ثلاثة جذوع سوداء مثل الثعابين، وفي المقدمة، أربع شجيرات كبيرة حزينة تشبه الصندوق.

لن يرى الناس هنا الكثير في هذه اللوحات، لكن بأي حال لقد كانت دائما رغبتي أن أصور لأولئك الذين لا يعرفون الجانب الفني للتصوير.

ماذا عساي أن أقول لك، أنت لا تعرفين طريقة تفكير الأب بانجلوس في رواية كانديد لفولتير، ولا رواية فلوبير بوفار وبيكوشيه. هذه كتب من رجل لرجل، ولا أعرف إن كانت النساء سيفهمنها. لكن ذكريات ذلك تساندني في ساعات النهار والليل العصيبة الكريهة.

لقد أعدت قراءة "كوخ العم توم" لبيتشر ستوي بانتباه شديد تحديدا لأنه كتاب نساء، مكتوب ـكما تقولـ بينما تعد الحساء لأطفالها، وأيضا بانتباه شديد أقرأ حكايات الكريسماس لتشارلز ديكنز.

أقرأ قليلا لأفكر أكثر. من المرجح أنه لا يزال لدي المزيد من المعاناة. وهذا لا يناسبني إطلاقًا، فبصراحة، أنا لا أتمنى أن أحظى بمنصب شهيد بأي حال. كنت أبحث دائمًا عن أي شيء غير البطولة التي لا أملكها، والتي أعجب بها في الآخرين بالطبع لكن التي، أكرر، لا أومن بأنها واجبي أو مثلي الأعلى.

لم أعد قراءة تلك الكتب الرائعة لرينان لكنني أفكر بها هنا، حيث لدينا أشجار الزيتون ونباتات أخرى مميزة وسماء زرقاء. آه، كم هو محق، رينان، ويا لجمال أعماله، تحدثنا بفرنسية لا يتكلمها سواه. فرنسية تحتوي في صوت كلماتها على السماء الزرقاء والرفيف الرقيق لأوراق الزيتون وألف شيء حقيقي وشرح باختصار يحول تاريخه إلى شيء مبعوث. إنه شيء من أتعس ما أعرفه، قناعات الناس الذين عبر الظلم يعارضون العديد من الأشياء الجميلة والجيدة التي حدثت في عصرنا. آه، الجهل الأبدي، وعدم الفهم الأبدي، وكم هي تلك الكلمات خيرة ومليئة بالسكينة... مباركة هي طيبة، بنت تيلهوي، كاهنة أوزوريس، التي لم تشك أحدا.

عن نفسي، فأنا قلق من كون حياتي غير هادئة بما يكفي مؤخرا، كل هذه الإحباطات، والإزعاجات، والتغييرات تعني أنني لا أنمو بشكل طبيعي وكامل في مهنتي الفنية.

"الحجر الدائر لا يجمع الطحالب"
هكذا يقولون، أليس كذلك؟

لكن ما نفع ذلك إن كان الأب بانجلوس المذكور أعلاه وحده يثبت أن: "كل شيء يحدث لصالح الجميع في أفضل العوالم الممكنة".

في العام الماضي صنعت نحو عشرة أو دستة من البساتين المزهرة، وفي هذا العام لدي أربعة فقط، لذا فالعمل ليس على ما يرام.

إن كان لديك كتاب درون الذي تتحدثين عنه فأنا أرغب كثيرا في أن أقرأه، لكن اصنعي معروفا ولا تشتريه خصيصا في الوقت الحالي. لقد رأيت بعض الراهبات المثيرات للاهتمام هنا، معظم الكهنة يبدون لي في حال من الأسى. لقد أفزعني الدين لسنوات عديدة حتى الآن. على سبيل المثال، هل تعرفين أن الحب ليس موجودا كما يتصور المرء. الطبيب الشاب هنا، رجل ذو قيمة عالية، مخلص، شجاع، دافئ، بقلب رجل، يسلي نفسه بتحيير النساء قائلا لهن إن الحب هو جرثومة. مع أن النساء حينها وبعض الرجال حتى، يصيحون عاليا، فهو لا يبالي بالمرة ويحافظ على هدوئه بذلك الخصوص.

أما عن التقبيل وبقية الأشياء التي يسعدنا أن نضيفها إليه، فهذا مجرد نوع طبيعي من التصرفات كشرب كوب من الماء أو أكل قطعة من الخبز. بالتأكيد إن التقبيل أمر لا غنى عنه، وإلا حدثت اختلالات خطيرة. والآن، هل على التعاطفات الوجدانية أن تسير مع أو عكس ما قلناه. لماذا ننظم كل هذا، هه، وما الفائدة؟ بالنسبة لي فأنا لا أعارض كون الحب جرثومة، ومع ذلك، فإن هذا لا يمنعني البتة من الشعور بأشياء كالاحترام أمام آلام السرطان مثلا.

وهل ترين، الأطباء الذين تقولين عنهم، أحيانا لا يستطيعون عمل الكثير (وهو ما أدعك تقولينه ما دمتِ قد اعتبرتِه صحيحا)، حسنا، هل تعرفين ما يمكنهم عمله مع ذلك، يمطونك مصافحة حارة، بأيدٍ أرق من العديد من الأيدي، ووجودهم قد يكون مريحا ومطمئنا أحيانا.

ها أنا، تاركا لنفسي العنان. مع أنني غالبا لا يمكنني كتابة سطرين، وأخاف حقا أن تكون أفكاري بلا طائل أو بلا رابط هذه المرة أيضا. فقط أردت أن أكتب إليك بينما أنتِ هناك. لا يمكنني أن أصف تحديدا ما الذي لدي، ثمة نوبات رهيبة من القلق أحيانا، دون سبب واضح، أو شعور بالفراغ والإرهاق العقلي.

إنني أعتبر الأمر كله كحادثة بسيطة، ولا شك أن جزءا كبيرا منها بسببي، ومن آن لآخر أصاب بنوبات من الأسى، والندم الرهيب، لكن كما ترين، عندما يؤدي ذلك لإحباطي تماما وجعلي كئيبا، فأنا لست محرجا البتة من قول إن الندم والخطأ هما جرثومتان أيضا، تماما مثل الحب.

كل يوم أتناول العلاج الذي يصفه ديكنز الذي لا شبيه له، ضد الانتحار. يتكون من كأس من النبيذ، وقطعة من الخبز، والجبن، وغليون من التبغ. إنه ليس علاجا معقدا، ستقولين لي، ألا تظن أن الكآبة تأتيك من هذا المكمن ذاته في بعض الأحيان! آه لكن...

على أي حال، ليس الأمر ممتعا دائما، لكنني أحاول الا أنسى تماما كيف أمزح، أحاول أن أتفادى كل ما يتعلق بالبطولة والشهادة، باختصار أحاول الا آخذ الأشياء الكئيبة بكآبة.

الآن أتمنى لك ليلة سعيدة، واحتراماتي لمريضتك، على الرغم من أنني لا أعرفها.

المخلص دوما،
فنسنت

لا أعرف إن كانت ليز في سوستربرج في الوقت الحالي، إن كانت هناك، فتحياتي لها.

٧٦٨ | آرل، الجمعة، ٣ مايو ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لقد أسدى لي خطابك الطيب معروفا اليوم، صدقني. لنختر سان ريمي إذن. لكنني أخبرك مرة أخرى، إن حدث، بعد التفكير اللازم في الأمر واستشارة الطبيب، وكان من الضروري أو ببساطة من المفيد أن ألتحق بالجيش، فدعنا ننظر إلى هذا بعين الاعتبار كباقي الأمور دون تحيز ضده. فمع استبعاد فكرة التضحية التي به، وكنت ذاك اليوم أكتب لشقيقتنا أنه وخلال حياتي، أو معظمها على الأقل، كنت أبحث عن شيء سوى مهنة الشهيد، التي لست بقادر عليها.

إن لاقيت نوعًا من الضيق أو سببته، صدقني، فإنني أظل مذهولا بسببه. بالتأكيد أنا أحترم بعض الشهداء بكل حب ومعجب بهم، لكنك يجب أن تعلم أنه في "بوفار وبيكوشيه"، على سبيل المثل، ثمة شيء آخر يتكيّف ببساطة لصالح وجودنا الصغير.

على كل حال، فأنا أحزم متاعي، ومن المحتمل أن يذهب السيد سال معي إلى هناك ما إن يستطيع.

إن ما قلته عن بوفي وديلاكروا صحيح جدًا، فهؤلاء برهنوا جيدًا على ما استطاع أن يصل إليه التصوير، لكن دعنا لا نخلط الأمور فثمة مسافات شاسعة. الآن، أنا كمصور، لن أمثل شيئا هاما أبدًا، أشعر بهذا تماما. لكن بافتراض أن كل شيء تغير، الشخصية والنشأة والظروف، هل كان سيحدث أي شيء؟ إننا إيجابيون لدرجة لا نخلط معها الأشياء. أحيانا أندم على عدم احتفاظي بالباليتة الهولندية ودرجات الرمادي، وأني لونت مناظر طبيعية في مونمارتر دون الاتكاء على الريشة.

أيضا، أفكر في أن أعاود الرسم بالقلم المصنوع من البوص مثل مناظر مونماجور العام الماضي، هو أقل تكلفة ويسليني بالقدر نفسه.

لقد صنعت اليوم أحد تلك الرسوم التي جاءت داكنةً جدا وأسيانة بالنسبة للربيع، لكن على أي حال، مهما يحدث لي وتحت أي ظروف، فإن ذلك شيء يمكنه أن يشغلني لوقت طويل، وبطريقة ما قد يكون وسيلة لكسب العيش.

وعلى أي حال، أنا وأنت في الإجمال، ماذا يمكن أن يزيد من ضيقنا وماذا يقلل منه. وما دمنا قد بلغنا هذه النقطة، فبالتأكيد أنت قد التحقت قبلي بشركة جوبيل حيث مرت بك لحظات سخيفة فعلا لم يتم تعويضك عنها دائمًا. وقد فعلت أنت ذلك بحماس وإخلاص، لأن أبانا كان في موقف حرج أمام العائلة الكبيرة في ذلك الوقت، وكان ضروريا أن تلقي بنفسك في هذا الخضم كي تسير الأمور. لقد فكرت ثانية بعاطفة كبيرة في كل تلك الأشياء القديمة خلال مرضي.

وفي النهاية فالأمر الرئيسي هو أن نشعر بأنفسنا متحدين وعن قرب، وهذا الأمر لم يختل بعد.

لدي أمل ما أنني وبما أعرفه عن فني عموما، سيأتي وقت أنتج فيه ثانية، حتى إن كنت في المصحة. ما نفع حياة الفنان المصطنعة في باريس لي، وهي التي، عموما، ستستغفلني والتي ليس لدي الحماس البدائي اللازم لأنطلق فيها. من المدهش كم أنا على ما يرام جسديا، لكن ذلك ليس كافيا كقاعدة لأستمر بالتصديق أن الحال هي نفسها على المستوى الذهني.

سيسرني، بمجرد أن أصبح معروفا هناك، أن أحاول وأجعل نفسي ممرضا شيئا فشيئا، باختصار كي أشتغل بأي شيء وأحصل على أي مهنة، ما أجده متاحًا.

سأحتاج بشدة للأب بانجلوس حين أصبح جاهزا للحب ثانية. الكحول والتبغ هما بعد كل هذا عامل جيد أو سيئ، الأمر نسبي قليلا، كعوامل مثبطة للشهية

الجنسية، على المرء أن يسميهما كذلك كما أظن. وليسا مكروهين دائما في ممارسة الفنون الجميلة.

بأي حال، ستكون محنة يجب ألا ينسى المرء خلالها أن يمزح. لأنني أخشى أن الفضيلة ورجاحة العقل سيقودانني إلى تلك البقاع التي أفقد فيها بوصلتي سريعا، حيث هذه المرة سيكون علي أن أحوز شغفا أقل وطيبة قلب أكثر.

الشيء المليء بالشغف القابل للحدوث، ليس عظيما بالنسبة لي، على الرغم من أن القدرة باقية، أعتقد، لأن يشعر المرء بنفسه مرتبطا بالكائنات البشرية التي يعيش معها. كيف حال الأب تانجي، عليك أن تبلغه تحياتي الدافئة.

قرأت في الجريدة أنه ثمة أشياء جيدة في الصالون. اسمع، لا تجعل من نفسك انطباعيا وحسب، إن قابلك شيء جيد فلا تتركه يضيع منّا. بالتأكيد يصنع اللون تقدما، تحديدا من قبل الانطباعيين، حتى حين يضلّون الطريق. لكن ديلاكروا كان أكثر اكتمالا منهم. ويا إلهي، مييه، الذي يكاد لا يستعمل اللون، يا لروعة أعماله!

الجنون صحي لهذا، أن يكون المرء أقل اختصاصا. إنني لست نادما على رغبتي في أن أعرف عن مسألة نظريات الألوان بشكل تقني. إننا كفنانين حلقات في سلسلة، وسواء عثرت على شيء أو لم تعثر، فبإمكاننا تعزية أنفسنا على هذا.

لقد سمعت حديثا عن ديكور داخلي أخضر بالكامل بامرأة خضراء في الصالون، حيث يقول الناس أشياء جيدة عن ذلك، بجانب حديث عن بورتريه لماتي، وآخر لبينار، "حورية البحر". الناس أيضا يذكرون شيئا استثنائيا لشخص اسمه زورن، لكنهم لم يقولوا ما هو بالتحديد، ويقولون إن عملا لكارولاس دوران كان موجودا، "انتصار باخوس"، سيئ.

على أي حال، ما زلت أظن أن "السيدة بالقفاز" في معرض اللوكسمبورج جيدة للغاية. وثمة أشياء ليست جادة وأحبها مع ذلك كثيرا، كتب مثل "الصديق

الطبيب". وعمل كارولاس يشبه ذلك قليلا. لقد كانت حقبتنا كذلك أيضا، وحقبة بادينجي كذلك. وإن فعل المصور ما يرتئيه، فهو يصبح دائما شخصا بارزا.

آه، أن ترسم شخوصا مثلما يرسم كلود مونيه المناظر. هذا ما يجب عمله رغما عن كل شيء، وقبل أن يصبح مونيه مركز القوة الوحيد بين الانطباعيين.

لأنه وبعد كل هذا، فإن ديلاكروا، وميه، ونحاتين آخرين قد صنعوا أشياء أفضل من الانطباعيين وحتى بريتون.

على كل حال، يا أخي العزيز، دعنا نكُن عادلين، وأقول لك قبل أن أتقاعد، دعنا نفكر، في حين أننا قد أصبحنا أكبر عمرا من أن نضع نفسينا في المعيار نفسه الذي ينطبق على الشباب، فدعنا نفكر بما أحببناه في زمننا: ميه وبريتون وإسرائيل وويسلر وديلاكرو، وليبيز. وكن واثقا أنني عن نفسي مقتنع بما يكفي أنني لن أرى مستقبلا وراء ذلك، ولا حتى أرغب فيه.

الآن، المجتمع كما هو، بطبيعة الحال لا يمكننا أن نتمنى أن يؤقلم نفسه على حاجاتنا الشخصية. بأي حال، بينما أجد من الجيد حقيقة أن أذهب لسان ريمي، وحتى إن كان مكان أناس مثلي هو الالتحاق بالجيش. لا يمكننا أن نفعل شيئا حيال ذلك، لكنهم سيرفضونني هناك، على الأقل هنا يعرف الناس مغامراتي جيدا، ويبالغون في وصفها. أقول هذا بجدية واضحة، إنني أفضل جسديا من كل الأعوام الماضية، ويمكنني أن ألتحق بالخدمة العسكرية. لذا دعنا نفكر ثانية بهذا بينما أذهب إلى سان ريمي. أصافحك بحرارة، وزوجتك أيضا.

المخلص لك،

فنسنت

آه، حين كتبت لك قائلا إن علينا ألا ننسى تقدير ما هو جيد في أولئك الذين ليسوا انطباعيين، لم يكن قصدي تماما أن أحثك على الإعجاب بالصالون بشكل مبالغ فيه، ولكن بجماعة من الناس مثل جوردان على سبيل المثال، الذي توفي للتو في أفينيون، وأنتينيا، وفيين بيران، كل هؤلاء الذين عرفناهم جيدا من قبل، حين كنا

أصفر همرا، لماذا ننساهم أو لماذا لا نعطيهم أهمية بالنسبة لأقرانهم اليوم؟ لماذا ليس دوبيني وكوست وجيانين ملونين على سبيل المثال؟ العديد من التفرقات في الانطباعية ليست مهمة كما يود المرء أن يراها.

الكرينولينيون كان لديهم شيء جميل وجيد بالتالي، لكن تلك الموضة كانت للأسف قصيرة الأمد. ليس لبعض الناس.

وهكذا سنحتفظ دائما بشغف للانطباعية، لكنني أشعر بأنني أعود أكثر فأكثر لأفكاري قبل المجيء لباريس.

والآن وقد تزوجتَ أنت ليس علينا أن نعيش من أجل الأفكار الكبيرة، ولكن، صدقني، من أجل الصغيرة فقط. وأجد في هذا متنفسا حقيقيا لا أشكو منه البتة.

(في غرفتي لديَّ البورتريه الشهير لرجل (حفر على الخشب) الذي تعرفه، امرأة صينية رسمها مونورو (الطبعة الكبيرة من ألبوم بينج)، وعود العشب (من الألبوم نفسه)، والبييتا، والسامري الطيب لديلاكروا، وقارئ ميسيونير، ثم رسمان بقلم البوص الكبير.)

في الوقت الحالي أقرأ كتاب بلزاك، طبيب المعسكر، وهو جميل بحق، فيه شخصية امرأة، ليست مجنونة، ولكنها حساسة جدا، وهي شخصية ساحرة بحق، سأرسله إليك حين أنتهي منه. ويل كتبت لي رسالة طيبة، لا تزال ثابتة وهادئة.

لديهم مساحة كبيرة هنا في المستشفى، كافية لعمل استوديوهات لثلاثين رساما تقريبا.

علي حقيقة أن أقرر، من الحقيقي أن عددا كبيرا من الرسامين يُجنّون، إنها حياة من الهموم. إن ألقيت بنفسي في خضم العمل ثانية، فسيكون جيدا، لكنني أظل مشروخا. إن استطعت أن ألتحق بالجيش لخمس سنوات، فسأتعافى بشكل كبير وسأصبح أكثر عقلانية وأكثر تحكما بنفسي. وسواء كان ذلك أو غيره، الكل سواء بالنسبة لي.

أرجو أن تكون في كومة اللوحات التي أرسلتها إليك واحدة تمنحك السعادة في النهاية. إن ظللت رساما، فسأرى باريس عاجلا أم آجلا مرة أخرى، وأنا أعد نفسي بأنني سأعيد العمل على عدة لوحات قديمة في تلك المناسبة. ماذا يفعل جوجان، إنني ما زلت أتفادى الكتابة إليه حتى أصبح بخير تماما، لكنني أفكر فيه كثيرا، وأريد أن يكون بخير حال.

لو لم أكن على عجلة، واحتفظت بالمرسم، كنت سأعمل هذا الصيف على كل اللوحات التي أرسلتها إليك. وما دام الإمباستو لم يجف تماما، فبطبيعة الحال لا يمكن كشطه. سترى بوضوح أن تعبيرات المرأتين مختلفة عن التعبيرات التي يراها المرء في باريس.

هل عاد سينياك إلى باريس بعد؟

٧٧٢ | سان ريمي دو بروفانس، الخميس، ٩ مايو ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ وجو فان جوخ - بونجر (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك. إنك محق في قول إن السيد سال كان رائعا في كلّ هذا، إنني أدين له بالكثير.

أردت أن أخبرك أنني أظنني أحسنت صنعًا بالمجيء إلى هنا، أولا، برؤية حقيقة الحياة بالنسبة لمجموعة منوعة من المجانين والحمقى في حديقة الحيوان هذه، إنني أفقد الخوف الغامض، الخوف من الأشياء. وشيئا فشيئا أصل لقناعة أن الجنون هو مرض مثل أي مرض. وتغيير البيئة مفيد لي، كما أتصور.

على حد علمي فإن الطبيب هنا يميل لاعتبار ما جرى لي كنوبة من الصرع. لكنني لم أسأل بعد.

هل استلمت صندوق اللوحات؟ أريد أن أعرف إن كانت قد تضررت من الرحلة، نعم أم لا. لدي اثنتان أعمل عليهما، سوسنات بنفسجية، وشجيرة ليلك. موضوعان مأخوذان من الحديقة. فكرة أن من الواجب أن أعمل تراودني كثيرا، وأظن أن كل قدراتي على العمل ستعود لي سريعا. الأمر أن العمل يستغرقني كثيرا لدرجة أنني أظن أنني سأظل غائب العقل ومرتبكا لبقية حياتي.

لن أكتب لك خطابا طويلا، سأحاول أن أرد على خطاب من شقيقتي الجديدة، فقد مسني كثيرا، لكنني لا أعرف إن كنت سأستطيع ذلك.

مصافحة، والمخلص أبدا،

فنسنت

اختي العزيزة،

أشكرك كثيرا لخطابك، الذي بحثت فيه فوق كل شيء عن أخبار أخي. وأجدها أخبارا جيدة جدا. يمكنني أن أرى أنك قد لاحظت بالفعل حبه لباريس وأن ذلك يدهشك قليلا، أنت التي لا تحبينها، أو بالأحرى تحبين بخلاف كل شيء الزهور هناك، مثل، كما أفترض، زهرة الحلوة التي بدأت على الأرجح بالإزهار. أليس المرء عندما يحبّ شيئا يراه بشكل أفضل وأدق من شيء لا يحبه. بالنسبة له، وبالنسبة لي، باريس هي مقبرة بشكل ما، حيث هلك كثير من الفنانين، ممن نعرفهم مباشرة وبشكل غير مباشر.

بالتأكيد ميبه، الذي ستتعلمين أن تحبيه كثيرا، ومع العديد من الآخرين، حاولوا أن يخرجوا من باريس. لكن يوجين ديلاكروا على سبيل المثال، من الصعب أن تتصوريه كرجل وليس كباريسي.

كل هذا لأحضك، بكل حذر، أن تصدقي إمكانية وجود بيوت في باريس، وليس مجرد شقق.

بأي حال، لحسن الحظ أنت الآن بيته شخصيا.

من الغريب ربما أن نتيجة تلك النوبة الرهيبة لم يبق في بالي أي رغبة واضحة أو أمل، وأنا أتساءل إن كانت تلك هي الطريقة التي يفكر بها المرء حين ينطفئ شغفه، ويهبط من الجبل بدلا من تسلقه. بأي حال يا أختي، إن كنت تستطيعين أن تؤمني، بأن كل شيء يحدث هو من أجل الصالح في أفضل العوالم الممكنة، فحينها ستكونين قادرة على الإيمان، ربما، بأن باريس هي أفضل البلاد.

هل لاحظت بعد أن أحصنة الجرّ الشائخة لديها عيون كبيرة وجميلة ومكسورة القلب، مثل المسيحيين أحيانا. أيا يكن، فنحن لسنا همجيين ولا فلاحين، وواجب علينا ربما أن نحب الحضارة (المزعومة). بأي حال، سيكون ربما من النفاق أن أقول أو أومن بأن باريس سيئة حين يعيش فيها المرء. في المرة الأولى التي يرى فيها المرء باريس، يراها بحيث يبدو كل شيء فيها ضد الطبيعة، وسخة وحزينة. وعلى أي

حال، إن كنت لا تحبين باريس، فلا تحبي التصوير أو كل أولئك المرتبطين به مباشرة أو بشكل غير مباشر، لأنه من المشكوك فيه إن كان جميلا أو مفيدا.

لكن ماذا عساك تفعلين، ثمة من يحبون الطبيعة بينما هم مشروخون أو مرضى، أولئك هم الرسامون، ثم هناك البعض ممن يحبون ما تصنعه يد الإنسان، وهؤلاء يذهبون إلى حب اللوحات. وعلى الرغم من وجود بعض الأشخاص المرضى بحق هنا، فإن خوف الجنون الذي كان لدي سابقا، قد تلاشى وهدأ.

وعلى الرغم من أن المرء يسمع باستمرار صراخا وعواء كأنه صوت حيوانات في حديقة حيوان، وعلى الرغم من هذا، فالناس هنا يعرفون بعضهم جيدا، ويساعدون بعضهم حين يواجهون كارثة. كلهم يأتون ليروني حين أعمل في الحديقة، ويمكنني أن أؤكد لك أنهم مؤدبون وهادئون ويتركونني أعمل بسلام، أكثر من، على سبيل المثال، مواطني آرل الشرفاء.

من الممكن أن أبقى هنا لوقت طويل، لم أكن بهذه السكينة التي لديّ هنا وكانت لدي في مستشفى آرل، ما يسمح لي أخيرا أن أرسم قليلا. قريبًا من هنا ثمة جبال زرقاء أو رمادية، بحقول قمح خضراء للغاية عند قاعدتها، وصنوبرات.

سأعد نفسي سعيدا للغاية إن استطعت أن أعمل ما يكفي لكسب عيشي، لأنني أقلق حين أخبر نفسي أنني صنعت العديد من اللوحات والرسومات دون بيع أي منها. لا تتسرعي بقول إن هذا غير عادل، فأنا لا أعرف أي شيء عن ذلك.

أشكرك ثانية للكتابة لي، وأشعر بالسعادة لأن أخي لن يعود لشقة خالية حين يعود للبيت مساء، أصافحك، وصدقيني.

أخوك،

فنسنت

٧٧٦ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الخميس ٢٣ مايو ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

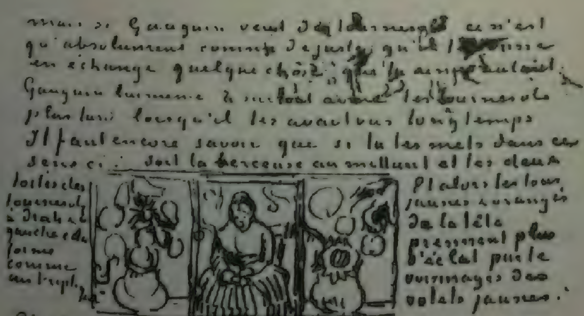
عزيزي تيو،

خطابك الذي استلمته للتو أصابني بفرحة كبيرة. تقول لي إن فايسنبروخ لديه لوحتان في المعرض، لكنني ظننته قد مات، هل أنا مخطئ؟ إنه فنان رائع وإنسان جيد، بقلب كبير أيضا.

ما قلته عن "التهويدة" أسعدني أيضا، إنه من الحقيقي أن العامة الذين يشترون لأنفسهم طبعاتٍ ملونة وينصتون بعواطف جياشة إلى الأرغن، هم محقون بشكل غامض ربما أكثر إخلاصا من متسكعي المدينة الذين يذهبون إلى الصالون.

جوجان، إن قبل ذلك، فعليك أن تعطيه نسخة "التهويدة" التي لم توضع على إطار الشد، ولبرنار أيضا، كهدية صداقة. لكن إن أراد جوجان عباد الشمس فإنه من العدل أن يعطيك شيئا تحبه بالقدر نفسه للمبادلة. جوجان نفسه قد أحب عباد الشمس مؤخرا، بعد أن رآها بوقت طويل. يجب أن تعلم أيضا أنك إن وضعتها بهذا الترتيب:

«*sketch* A»



mais si Gauguin veut des tournesols ce n'est qu'absolument comme de juste qu'il te donne en échange quelque chose que tu aimes autant. Gauguin lui-même a surtout aimé les tournesols plus tard lorsqu'il les avait vus longtemps. Il faut encore savoir que si tu les mets dans ce sens ci: soit la berceuse au milieu et les deux toiles des tournesols à droite et à gauche cela forme comme un tryptique. Et alors les tons jaunes et orangés de la tête prennent plus d'éclat par le voisinage des volets jaunes.

Et alors tu comprendras ce que je t'en écrivais que mon idée avait été de faire une décoration comme serait par exemple pour le fond d'une cabine dans un navire. Alors le format s'élargissant la facture prend sa raison d'être. Le cadre du milieu est alors le rouge. Et les deux tournesols qui vont avec sont ceux entourés de baguettes.

Tu vois que cet encadrement de simples lattes

لوحة ثلاثية تضم المهد ونسختين من عباد الشمس في مزهرية

بمعنى، التهويدة في المنتصف، ولوحتا عباد الشمس على اليمين واليسار، فإن هذا يشكل ثلاثية. ودرجات الأصفر والبرتقالي التي في الرأس تسطع باقترابها من المصراعين الأصفرين. وحينها ستفهم ما كنت أكتبه لك عنها، أن فكرتي كانت أن أصنع عملا تزيينيًا مثل الذي قد يوضع في نهاية الكابينة في سفينة، مثلا. ثم وبازدياد الحجم، يتخذ تنفيذ الاختصار سبب وجوده. الإطار الأوسط هكذا يكون الأحمر. ولوحتا عباد الشمس اللتان تتماشيان معه هما اللتان يحيطهما شرائط من الخشب. كما ترى فذلك التأطير بشرائح خشبية بسيطة هو فكرة ناجحة، وإطار مثل هذا يكلّف القليل. ربما سيكون جيدا أن نؤطر الكروم الخضراء والحمراء، والبذّار، والأخاديد وغرفة النوم أيضا.

‹sketch B›

هاك لوحة مقاس ٣٠ أخرى، عادية مرة أخرى، مثل إحدى تلك الطبعات الملونة من بازار القرش الواحد تصور أعشاش الخضرة الأبدية للمحبين. ثلاثة جذوع سميكة عليها لبلاب، والأرض مغطاة باللبلاب والعناقيد، ومقعد حجري وشجيرة ورود، مبيضةً في الظل البارد. في المقدمة بضعة نباتات بكؤوس بيضاء. إنها خضراء، وبنفسجية، ووردية.

إنها مسألة وضع بعض الأسلوب فيها، وهو للأسف ما ينقص طبعات الليتوغراف الملونة في في البازارات الرخيصة وأورغن الشوارع.

منذ أن جئت هنا، وفرت لي الحديقة المهملة المزروعة بصنوبرات عالية ينمو تحتها عشب مختلط بعدة أعشاب ضارة، عملا كافيا، ولم أخرج خارجها بعد.

بأي حال، فإن مناظر سان ريمي جميلة للغاية، وشيئا فشيئا سأصنع رحلات فيها. لكن مكوثي هنا حيث أنا سهّل للطبيب معرفة سبب المرض، وسيطمئن، كما أرجو، فيتركني أقوم بالتصوير.

Voici une nouvelle toile de 30 encore banale comme un chromo de bazar qui représente les éternels nids de verdure pour les amoureux.
Des gros troncs d'arbres couverts de lierre le sol également couvert de lierre et de pervenche un banc de pierre et un buisson de roses pâlies à l'ombre froide.
Sur l'avant plan quelques plantes à calice blanc.
C'est vert violet et rose.

Il ne s'agit – ce qui manque malheureusement aux chromos de bazar et aux orgues de barbarie – d'y mettre du style.

Depuis que je suis ici le jardin désolé planté de grands pins sous lesquels croît haute et mal entretenue une herbe entremêlée d'ivraies diverses m'a suffi pour travailler et je ne suis pas encore sorti dehors.
Cependant le paysage de St Remy est très beau et peu à peu je vais y faire des étapes probablement.
Mais en restant ici naturellement le médecin a mieux pu voir ce qui en était et sera j'ose espérer plus rassuré sur ce qu'il peut me laisser peindre.

Je t'assure que je suis bien ici et que provisoirement je ne vois pas de raison du tout de venir en pension à Paris ou aux environs. J'ai une petite chambre à papier gris vert avec deux rideaux vert d'eau à dessins de roses très pâles ravivés de minces traits de rouge sang.
Ces rideaux probablement des restes d'un riche ruiné et défunt sont fort jolis de dessin. De la même source provient probablement un fauteuil très usé recouvert d'une tapisserie tachetée à la Diaz à la Monticelli, brun rouge rose blanc crème noir bleu myosotis et vert bouteille.
À travers la fenêtre barrée de fer j'aperçois un carré de blé dans un enclos une perspective à la van Goyen au dessus de laquelle le matin je vois le soleil se lever dans sa gloire.

أشجار ولبلاب في حديقة المصحة

أؤكد لك أنني بخير هنا، وأنني في الوقت الحالي لا أرى سببا البتة للقدوم إلى باريس والإقامة فيها أو في محيطها. لدي غرفة صغيرة بورق حائط أخضر رمادي بستارتين بلون الأخضر المائي بتصميم ورود تقويه خطوط حمراء دموية. هذه الستائر، ربما تكون ما تبقى من رجل ثري ميت ومحطم، هي رائعة التصميم. ربما من المصدر نفسه أتى مقعد مهترئ مغطى بنسيج مطرز مرقش بطريقة دياز أو مونتيتشيلي، أحمر بني، وردي، وأبيض كريمي، وأسود، وأزرق لا تنسني، وأخضر داكن.

عبر النافذة المسيجة بعواميد حديدية يمكنني أن أرى مربعا من القمح المسوّر، مشهد على طريقة فان جويين، وفوقه في الصباح أرى الشمس تشرق بمجدها.

بهذا، وثمة ثلاثون غرفة أخرى خالية، ولدي غرفة أخرى لأعمل فيها.

الطعام متوسط الجودة. تفوح منه رائحة نتنة بطبيعة الحال، كما في مطاعم باريس الرخيصة أو في مدرسة داخلية. وبما أن أولئك التعساء لا يفعلون شيئا (ولا كتابًا، ولا شيئًا ليسليهم سوى لعبة كرات ولعبة داما) فليس لديهم أي تسلية يومية سوى أن يلتهموا الحمص، وحبوب اللوبياء، والعدس وبقول أخرى، وأطعمة المستعمرات بكميات مقننة وفي مواعيد ثابتة.

وبما أن هضم تلك الأطعمة يؤدي لبضع صعوبات، فهم يمضون أيامهم بأسلوب رخيص وغير مؤذٍ. لكن دون مزاح، فإن خوف الجنون انتهى بشكل كبير بعد رؤية المجانين عن قرب، وقد أكون بسهولة مثلهم في المستقبل.

قبل هذا كنت أنفر من تلك الكائنات، وكان شيئا يضايقني أن أفكر أن الكثير من أهل مهنتنا، ترويون، ومارشال، وميريون، ويوندت، وإم. ماريس، ومونتيتشيلي، وجيشًا من الآخرين، انتهوا بتلك الطريقة. لم يكن بإمكاني تصورهم بتلك الهيئة. حسنا، الآن أفكر بكل هذا دون خوف، أي أنني لا أجده أبشع من الإصابة بالسل أو الزهري مثلا.

هؤلاء الفنانون، أراهم يتخذون هيئتهم الهادئة ثانية، وهل تظنه أمرا صغيرا أن تعيد اكتشاف أعضاء قدماء في المهنة.

دون مزاح، هذا ما أشعر بأنني ممتن له بعمق. فعلى الرغم من أن البعض يعوي أو يهذر غالبا، هنا ثمة الكثير من الصداقة الحقيقية التي يبدونها لبعضهم البعض. يقولون، يجب أن يحتمل المرء الآخرين لكي يحتملوه، وتفكير آخر صحيح يضعونه قيد التنفيذ. ونتفهم بعضنا البعض بشكل جيد، يمكنني، على سبيل المثال، أن أثرثر أحيانا مع أحد لا يرد بسوى أصوات غير مفهومة، لأنه غير خائف مني.

إن أصيب أحد بنوبة يعتني الآخرون به، ويتدخلون كيلا يؤذي نفسه.

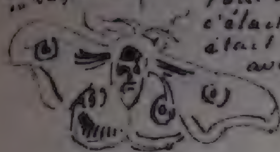
الأمر نفسه مع أولئك المصابين بجنون الغضب. موظفو حديقة الحيوان يركضون ويفصلون بين المتعاركين، إن كان ثمة شجار.

من الحقيقي أنه هناك بعض المصابين بحالات خطيرة، إما أن يكونوا متسخين، وإما خطيرين. هؤلاء محجوزون في باحة أخرى. الآن أقوم بالاستحمام مرتين أسبوعيا، وأبقى في الحمام ساعتين، ثم إن معدتي أفضل بأشواط من العام الماضي، لذا علي فقط أن أستمر، على حد علمي. أظنني سأنفق مالا أقل هنا من أي مكان آخر، بما أنني هنا لدي الكثير لأقوم به، لأن الطبيعة خلابة.

أملي هو أنه بنهاية العام سأعرف أفضل من الآن، ماذا علي أن أفعل وما الذي أريده. حينها، ورويدا رويدا، ستبادرني فكرة عن البدء من جديد. لا أحبذ العودة إلى باريس أو إلى مكان آخر في الوقت الحالي، أشعر بأنني في مكاني الصحيح هنا. في رأيي، ما يعانيه معظم النزلاء عبر سنوات هو الكسل الرهيب. الآن، سيحميني عملي من هذا بطريقة ما.

الغرفة التي نقطنها في الأيام الماطرة تشبه غرفة انتظار الدرجة الثالثة في محطة قرية فقيرة، خاصة وأن بعض المجانين الشرفاء يرتدون قبعة، ونظارات وملابس سفر ويحملون عصا، تقريبا مثل أن تكون على الساحل البحري، ويمثلون الركاب هناك.

Lorsque je t'enverrai les 4 toiles que j'ai en train du
jardin tu verras que comptant que la vie se passe surtout
au jardin ce n'est pas si triste. J'ai dessiné hier
un très grand papillon de nuit assez rare qu'on
appelle la tête de mort d'une coloration d'une distinguée
étonnante noir gris blanc nuancé et à reflets carminés
ou vaguement tournant sur le vert olive il est très grand
Pour le peindre il aurait fallu le tuer et
c'était dommage tellement la bête
était belle je t'en enverrai le dessin
avec quelques autres dessins de plantes



لوحة فراشة الطاووس

أنا مضطر لأن أطلب منك بعض الألوان، وخصوصا بعض القماش. حين أرسل إليك اللوحات الأربع التي تصور الحديقة التي أعمل عليها، سترى أنه باعتبار أن الحديقة هي أوفر مكانًا بالحياة هنا، فهي ليست حزينة بالمرة. بالأمس رسمت فراشة ليلية ضخمة ونادرة يسمونها رأس الموت، ألوانها مميزة بشكل مدهش: أسود، رمادي، أبيض، مظللة، بوميض قرمزي أو مائل بغموض ناحية الأخضر الزيتوني، وهي كبيرة للغاية.

«sketch C»

لكي أرسمها كنت سأضطر لقتلها، وكان هذا ليكون من العار بما أنها كانت جميلة جدا. سأرسل إليك رسما لها مع بضعة رسومات للنباتات.

يمكنك أن تنزع اللوحات التي جفت بما يكفي عند تانجي أو عندك من أطر الشد ثم تضع اللوحات الجديدة التي تعتبرها تستحق على أطر الشد تلك. يمكن أن يعطيك جوجان عنوان مبطنٍ ليبطن لوحة غرفة النوم ولن يكون باهظ الثمن. أتصور أن يكلف الترميم خمسة فرنكات، إن كان السعر أعلى من ذلك فلا تقم بالتبطين، لا أظن أن جوجان دفع أكثر من ذلك حين قام بتبطين لوحاته أو لوحات سيزان وبيسارو.

بالحديث عن حالتي، فأنا ممتن أيضا لأمر آخر. لقد لاحظت أن آخرين مثلي، سمعوا أصواتا غريبة خلال كوارثهم، وأن الأشياء تبدلت أمام أعينهم. وهذا يهدئ من رعبي من أنني أول من حدث له ذلك، والذي إن حدث لك دون إنذار، لا يمكن

سوى أن تخيفك للغاية. بمجرد أن يعرف المرء أن ذلك جزء من المرض، يهدأ روعه ويعتبره شيئا ضمن بقية الأشياء. ولولا أنني رأيت مجانين آخرين عن كثب لم أكن سأتخلص من التفكير في الأمر طوال الوقت. لأن عناءات الألم ليست غريبة حين تكون في كارثة. معظم المصابين بالصرع يعضون ألسنتهم ويجرحونها. راي أخبرني أنه يعرف حالة جرح فيها المريض أذنه مثلما فعلت، وأظنني سمعت طبيبا هنا جاء لزيارتي مع المدير يقول إنه هو أيضا رأى ذلك من قبل. إنني أجرؤ على أن أعتقد أنه بمجرد أن يعرف المرء ما به، بمجرد أن يعي حالته وكونه معرضًا لكارثة، يمكنه حينها أن يفعل شيئا حيال الأمر بنفسه فلا يؤخذ على حين غرة بالألم والرعب. الآن يمكنني القول إن ذلك بدأ يتلاشى خلال خمسة أشهر، ولدي أمل كبير بتجاوزه، أو على الأقل ألا تحدث نوبة بهذه القوة. ثمة شخص هنا يصرخ دائما ويتكلم دائما، مثلي، لمدة أسبوعين، يظن أنه يسمع أصواتا وكلمات في أصداء الممر، ربما لأن عصبه السمعي مريض وحساس للغاية، وبالنسبة لي كان الصوت والصورة في الوقت ذاته، والذي وفقا لما قاله راي في يوم، هو بداية الصرع.

كانت الصدمة من القوة بحيث شعرت بالامتعاض من الحركة حتى، ولم يكن شيء ليفرحني إلا ألا أصحو من النوم أبدا. في الوقت الحالي فإن ذلك الرعب من الحياة أصبح أقل حدة، والأسى أيضا أقل. لكنني لم أزل دون إرادة تماما، ولا رغبات عندي، وكل أشياء الحياة العادية، رغبة رؤية الأصدقاء مثلا، الذين أفكر بهم مع ذلك، تكاد تكون معدومة. لهذا لست في وضع يسمح بالمغادرة قريبا، سيكون لدي أسى حيال كل شيء. ولم يتغير نفوري من الحياة جذريا إلا في الأيام الأخيرة فقط. وسيمكنني من هذه النقطة أن أذهب للإرادة والفعل.

من العار أنك محتجز في باريس، وأنك لا ترى الريف عدا ذلك المحيط بباريس. ولا أظن أنني أتعس منك حالا ببقائي برفقة من أنا معهم، وأنت تواجه المصير المحتوم مع ما تتعرض له من أشياء برفقة جوبيل وسي. من وجهة النظر هذه فنحن متساويان تماما. فأنت لا يمكنك أن تعيش وفق أفكارك إلا جزئيا. بما أننا مع ذلك قد اعتدنا على تلك المصاعب، حتى أصبحت طبيعتنا الثانية.

مع أن اللوحات تكلفنا القماش والألوان... فبنهاية الشهر مع ذلك من الأفضل أن ننفق أكثر قليلا بهذه الطريقة، وأن نصنعها بما تعلمته إجمالا، بدلا من هجرها تماما بينما المرء مضطر للإنفاق على الإقامة والمبيت بأي حال. وهذا هو السبب الذي يجعلني أستمر في التصوير. لذا في هذا الشهر لدي لوحات مقاس رقم ٣٠ ورسمان أو ثلاثة رسومات. ولكن مهما فعل المرء فإن مسألة المال باقية كعدو أمام القوات، ولا يمكن للمرء أن ينكرها أو ينساها. إنني أحتفظ بواجبي في هذا الخصوص كأي شخص آخر. وربما في يوم ما سأكون في وضع يسمح لي برد كل ما أنفقته، لأنني أعتبر أن ما أنفقته إن لم يكن مأخوذا منك فمن العائلة، لذا، وبالتالي فقد أنتجت لوحات وسأنتج أكثر. هذا كي أفعل كما تفعل أنت. إن كانت لي طريقة خاصة في الحصول على المال، فربما سيكون عقلي حرا في صنع الفن من أجل الفن، الآن مع ذلك، أرضي نفسي بأن أصدق أنه بالاجتهاد في العمل، دون التفكير بذلك، قد يصنع المرء تقدما.

هذه هي الألوان التي سأحتاجها:

أنابيب كبيرة

٣ أخضر زمردي

٢ كوبالت

١ ألترامارين

١ رصاص برتقالي

٦ زنك أبيض

٥ متر قماش

أشكرك على خطابك الطيب، وأصافحك بحرارة أنت وزوجتك.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٧٩ | سان ريمي دو بروفانس، الأحد، ٩ يونيو ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

جزيل الشكر لطرد القماش والألوان، والفرش، والتبغ والشوكولاتة، التي وصلتني بحال جيدة. لقد أسعدتني كثيرا، فقد كنت مشتاقا للعمل. أيضا، ولعدة أيام، كنت أذهب للخارج لأعمل في الجوار.

خطابك الأخير كان ذاك المؤرخ بـ ٢١ مايو، إن لم تخني الذاكرة. لم تصلني أخبارك منذ ذلك الحين، عدا أن السيد بيرون قد أخبرني أنه استلم خطابا منك. أتمنى أن تكون وزوجتك في صحة جيدة.

السيد بيرون ينوي الذهاب إلى باريس لرؤية المعرض وزيارتك بعد ذلك.

ماذا عساي أن أخبرك، ليس الكثير. لدي منظران طبيعيان أعمل عليهما (لوحتان مقاس ٣٠) لمشاهد مأخوذة في التلال. أحدهما للريف الذي ألمحه من نافذة غرفة نومي. في المقدمة حقل قمح، مخرب ومضروب بالأرض بعد عاصفة. جدار فاصل، ووراءه أوراق شجر رمادية لعدة زيتونات، وأكواخ وتلال. أخيرا، في أعلى اللوحة، سحب بيضاء ورمادية كبيرة مغمورة في اللازوردي الأزرق. إنها منظر طبيعي ببساطة كبيرة، وبالنسبة للتلوين أيضا. قد تنفع كلوحة تكميلية لدراسة غرفة النوم التي تضررت.

حين يكون الشيء الذي تم تصويره متفقا أسلوبيا ومتحدا مع أسلوب التصوير، أليس هذا ما يخلق جودة القطعة الفنية؟

لذلك، وبالنسبة للتصوير، فإن رغيفا منزليا يكون جيدا إن صوره شاردان.

الآن بالنسبة للفن المصري، مثلا، ما الذي يجعله استثنائيا، أليس أن هؤلاء الملوك الهادئين، الرقيقين، الحكيمين الصبورين والخيرين، يبدون غير قادرين على أن

مصريا في المعرض، مبنيا من قبل المعماري جول جارنييه، ملونا بالأحمر، والأصفر، والأزرق، بحديقة منقسمة لأحواض بصفوف القرميد، مسكن أناس نعرفهم فقط في هيئة مومياوات أو في الجرانيت.

يكونوا شيئا آخر. فلاحون أبديون يقدسون الشمس. كم كنت سأحب أن أرى منزلا

لكن كما ترى، لنعُد إلى النقطة، بما أن الفنانين المصريين لديهم إيمان، يعملون منطلقين من الشعور والغريزة، يعبرون عن كل تلك الأشياء غير المحسوسة، الخير، الصبر اللا نهائي، الحكمة، السكينة، ببعض المنحنيات المتقنة والنسب الرائعة. هذا أشبه بقول، حين يكون الشيء المُصوَّر وأسلوب التصوير متوافقين، يكون للشيء أسلوب وجودة.

هكذا هي الخادمة في لوحة ليس الجصية العظيمة، حين يحفرها براكمون، تصبح عملا فنيا جديدا، أو قارئ ميسيونييه الصغير حين يحفره جاكمارت، بما أن طريقة الحفر والشيء المصور هما الشيء ذاته.

بما أنني أريد الاحتفاظ بدراسة غرفة النوم تلك، فإن أرسلتها إلي ثانية حين يصلني القماش، ملفوفة، فسأعيد تلوينها. في البداية أردت أن أبطنها لأنني لم أظن أنني سأقدر على عملها ثانية. بأي حال، وبما أن عقلي أصبح أهدأ منذ ذلك الوقت، يمكنني أن أعيد عملها الآن.

الأمر كالتالي، بين عدد من الأشياء التي يمكن للمرء عملها، هناك دائما بعضها يشعر به المرء أو أراد أكثر من البقية فيريد أن يحتفظ به بأي حال.

حين أرى لوحة تجذبني، لا يمكنني إلا أن أسأل نفسي، "بأي بيت، أو غرفة، أو ركن غرفة، وفي بيت مَن ستكون مناسبة، وتكون في مكانها الصحيح".

هكذا تكون لوحات هالز، ورامبرانت، وفرمير في مكانها الطبيعي في البيت الهولندي القديم.

بالنسبة للانطباعيين، مرة أخرى، إذا كان تنسيق داخلي لبيت لا يكتمل دون عمل فني، فاللوحة لا تكون في مكانها إن لم تكن متحدة مع محيط أصيل، ونتاج العصر الذي أنتجها ذاته. ولا أعرف إن كانت قيمة الانطباعيين تفوق زمنهم، أم أنهم لا يستحقونه بعد.

بمعني: هل ثمة أرواح ودواخل بيوت أكثر أهمية مما تم التعبير عنه في التصوير، أنا أميل لهذا الاعتقاد.

لقد رأيت إعلانا عن معرض قادم للانطباعيين، أسماؤهم هي: جوجان، وبرنار، وأنكيتان وآخرون. يبدو أن طائفة أخرى قد تشكَّلت، ليست أقل عصمة من الأخرى التي هي موجودة بالفعل. هل هذا هو المعرض الذي كنت تحدثني عنه؟ يا للزوابع في الفناجين.

أنا بصحة جيدة، متوسطة، وأنا سعيد بعملي هنا أكثر من الخارج. بالبقاء هنا لوقت طويل، سأكتسب التحكم في تصرفي، وعلى المدى الطويل ستكون النتيجة نظاما أكثر لحياتي وقابلية أقل للتأثر. وسيكون هذا شيئا ربحناه. بجانب أنني لن أملك الشجاعة للبدء من جديد بالخارج. لقد ذهبت إلى القرية مرة مصحوبا بموظف من هنا. مجرد رؤية الناس والأشياء كان لها تأثير علي كأنني سيغشى علي، وشعرت بأنني مريض للغاية. إن الشعور بالحاجة للعمل هو ما يحملني قدما في وجه الطبيعة. لكن بأي حال، هذا لأخبرك أن بداخلي لا بد أن هناك بعض العواطف القوية التي جلبت ذلك، وليس لدي أي فكرة عن سبب ذلك. أشعر بملل مميت بعد العمل، ومع ذلك ليست لدي رغبة بالبداية من جديد. الطبيب الذي جاء للتو قال إنه لن يذهب إلى باريس في الأسابيع القادمة، لذا لا تتوقع زيارته في الوقت الحالي.

أتمنى أن تكتب لي قريبا.
هذا الشهر سأكون مرة أخرى بحاجة إلى:
٨ أنابيب أبيض فضي
٦ " أخضر فيروني

٢ " ألترامارين

٢ " كوبالت

٢ " مغرة صفراء

٢ " " حمراء

١ " تربة سيينّا خام

١ " أسود عاجي

من الغريب أنه في كل مرة أحاول أن أفكر لأصل إلى صورة واضحة للأمور، لماذا أتيت إلى هنا، وأنها بعد كل شيء حادثة كأي حادثة أخرى، يمسكني رعب وفزع رهيبان يمنعانني من التفكير. هو آخذ في التلاشي تدريجيًا، لكن وجوده يثبت أن هناك خللًا ما في ذهني، لا أعرف ما هو. لكن المذهل هو هذا الخوف من لا شيء، وألا أكون قادرا على التذكر.

ثق أنني أفعل ما بوسعي لأصبح نشطا ونافعا ثانيةً ربما، بهذا المعنى على الأقل، أريد أن أصنع لوحات أفضل من ذي قبل. العديد من الأشياء في المناظر الطبيعية هنا يستدعي رويزديل، لكن شخص العامل الزراعي مفقود. في ريفنا يرى المرء الرجال، والنساء، والأطفال، والحيوانات في العمل بكل مكان وكل وقت من أوقات العام، وهنا لا يوجد حتى ثلث ذلك، بالإضافة إلى أنهم ليسوا عمال الشمال المخلصين. ويبدون وكأنهم يعملون في الأرض بطريقة خرقاء ومتخاذلة ودون طاقة. ربما تلك فكرة خاطئة كونتها هنا، أتمنى ذلك على الأقل، بما أنني غريب عن هذه البلاد. لكن الأشياء تبدو أكثر برودة مما ينتج عن قراءة تارتاران، الذي قد يكون قد تم نفيه منذ سنوات عديدة مع عائلته كلها.

الأهم أن تكتب لي قريبا، فخطابك بطيء في الوصول، أتمنى أن تكون بخير. معرفة أنك لم تعد وحيدا في البيت تعزيني كثيرا.

إن حدث في أحد الشهور ولم يكن من السهل عليك أن ترسل إلي الألوان والقماش... إلخ، فلا ترسلها، صدقني، من الأفضل أن تعيش ولا تصنع فنا بعقل

غائب. وأهم من أي شيء ألا يكون بيتك حزينا أو مغتما. هذه هي الأولوية قبل التصوير. ثم إنني أشعر ثانية بإغراء استعمال ألوان أبسط، المغرة على سبيل المثال. هل لوحة فان جوين قبيحة لأنها مرسومة كلها بالزيوت والقليل من الألوان المحايدة، أو لوحة ميشيل؟ لوحتي التي تصور الخضرة مع اللبلاب قد انتهت تماما، أود لو أرسلها إليك توا، بمجرد أن تجف وتكون قابلة للطي.

بمصافحة قوية لك ولزوجتك.

المخلص دوما،

فنسنت

٧٨٢ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الثلاثاء، ١٨ يونيو ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطاب الأمس. أنا أيضا لا يمكنني الكتابة كما أود أن أفعل، لكن على أي حال، فنحن نعيش في عصر شديد الاضطراب لدرجة أنه لم يعد هناك مجال لأن تكون للمرء آراء حاسمة بما يكفي للحكم على الأمور.

وددت كثيرا أن أعرف إن كنتما لم تزالا تأكلان في المطعم أم تعيشان أكثر في البيت. أتمنى ذلك، فذلك أفضل على المدى الطويل.

بالنسبة لي، الأمور بخير، ستفهم أنه بعد مرور نصف عام تقريبا من الاعتدال في الطعام والشراب والدخان، ومع حمامين في الأسبوع يستغرق كل منهما ساعتين مؤخرا، فلا بد أن يهدأ روعي إلى حد كبير. لذا فالأمور تجري على ما يرام، أما بالنسبة للعمل، فهو يشغلني ويسليني، ما أحتاجه للغاية، وبعيد كل البعد عن أن ينهكني.

أسعدني كثيرا أن إيزاكسون قد وجد أشياء تعجبه في طردي. يبدو هو ودي هان كشخصين مخلصين، وهو أمر نادر في هذه الأيام فمن العدل أن يستحق التقدير. وأن كان هناك كما تقول شخص آخر قد وجد شيئا جيدًا في التكوين الأصفر والأسود لامرأة، لا يدهشني ذلك، على الرغم من أنني أجد أن جودتها ناتجة عن الموديل وليس عن تصويري.

لقد يئست من إيجاد الموديلات. آه، لو أنني وجدت واحدة من آن لآخر مثل تلك، أو مثل المرأة التي جلست للوحة التهويدة، كنت سأصنع شيئا مختلفا.

أظنك فعلت الشيء الصحيح بعدم عرض لوحاتي في معرض جوجان والآخرين. ثمة ما يكفي من الأسباب للامتناع عن ذلك دون أن أهينهم ما دمت لم أشفَ بعد.

بالنسبة لي لا شك أن جوجان وبرنار لديهما ما يستحق.

ومن المفهوم تماما، مع ذلك، أنه بالنسبة لكائنات مثلهما، حيّة وشابة، يجب أن تعيش وتشق طريقها، من المستحيل أن تحجب لوحاتهما حتى يتم قبولها في الدوائر الرسمية. يصنع المرء جلبة بالعرض في المقاهي، وهو ما لا أنفي أنه ذوق سيئ. لكن عن نفسي، لدي تلك الجريمة التي تثقل ضميري، بل وقد فعلتها مرتين، فقد عرضت في التامبورين، وجادة الكليشيه. دون حساب الإزعاج الذي تسببت به لواحد وثمانين من آكلي لحوم البشر من بلدة آرل الطيبة ولعمدتها الرائع. لذا بأي حال، فأنا أسوأ وأكثر استحقاقا للوّم منهما في هذا الخصوص (إحداث جلبة دون قصد، صدقني).

برنار الشاب، وفقا لي، قد صنع بضع لوحاتٍ مدهشة تماما فيها رقة وشيء فرنسي في كنهه، وصادق، بجودة نادرة.

على أي حال، لا هو ولا جوجان من نوعية الفنانين الذين يبدون كأنهم يحاولون الذهاب للمعرض العالمي من السلالم الخلفية. يمكنك أن تثق في هذا. من المفهوم أنهما لم يستطيعا البقاء صامتين. وكون حركة الانطباعيين لم تحظَ بوحدة هو ما يثبت أنهما لا يزالان مقاتلين ماهرين أكثر من فنانين آخرين مثل ديلاكروا وكوربيه.

وأخيرا صار لدي مناظر طبيعية بأشجار زيتون، وأيضا دراسة جديدة لنجوم السماء. وعلى الرغم من أنني لم أر لوحات جوجان وبرنار الأخيرة، فأنا واثق أن هاتين الدراستين اللتين أتكلّم عنهما يمكن مقارنتهما بعملهما في العاطفة. حين تنظر إلى هاتين الدراستين لبرهة، بجانب دراسة اللبلاب، سيمكنني ربما أن أعطيك، بطريق أحسن من طريق الكلمات، فكرة عن الأشياء التي تناقشنا حولها أنا وجوجان وبرنار وشغلتنا. إنها ليست ردة إلى الرومانسية والأفكار الدينية، لا. إنه المشي المتخفي على خطى ديلاكروا، باللون وبرسم أكثر تصميما من الدقة الواقعية، يمكن للمرء أن يعبر عن طبيعة ريفية أنقى من ضواحي وحانات باريس. يمكن للمرء أن يصور بشرًا أكثر سكينة وأنقى مما كان لدوميه قبلا. لكن بالطبع متبعا دوميه في رسمهم. سنضع جانبا مسألة وجود هذا من عدمه، لكننا نؤمن بأن الطبيعة تمتد لما وراء سان أوين.

ربما، حين نقرأ زولا، نسمع صوت رينان بفرنسيته الصافية على سبيل المثال. بعد كل شيء، بينما يصور لنا ملهى "القط الأسود" النساء بطريقته الخاصة، ويفعل فوراين ذلك بطريقة أستاذية، نقوم نحن ببعض ما يخصنا، أقل باريسية ولكنه ليست أقل حبا لباريس وأناقتها، نحاول أن نثبت أن هناك شيئا آخر مختلفا تماما في حيز الوجود.

جوجان، وبرنار، وأنا، سنظل هناك ربما، ولن نغلِب ولكننا لن نُغلَب. ربما نحن لسنا هناك من أجل شيء ما، من أجل التعزية أو التحضير لتصوير أكثر تعزية. إيزاكسون ودي هان قد لا ينجحان أيضا، لكنهما شعرا في هولندا بالحاجة لإثبات أن رامبرانت صنع تصويرا عظيما وليس واقعيا، هما أيضا شعرا بشيء مختلف.

إن أمكنك أن تبطن "غرفة النوم" فمن الأفضل أن يحدث هذا قبل أن ترسلها إليّ.

ليس لدي أنبوبة أبيض واحدة.

ستسعدني كثيرا إن كتبت لي ثانية في وقت قريب. أفكر أحيانا أنك ستجد في الزواج، كما أرجو، وسيلة للحصول على قوة جديدة، وأنه بعد عام من الآن ستتحسن صحتك.

ما أود فعلا أن يكون لدي هنا لأقرأه من آن لآخر هو شكسبير. ثمة كتاب سعره شلن، وهو كامل. ليس ثمة نقص في الطبعات، وأظن أن تلك الكتب الرخيصة تم تغييرها أقل من تلك الغالية. بأي حال، لن أريد واحدة تكلف أكثر من ثلاثة فرنكات.

الآن، استبعد أي لوحة سيئة في الشحنة، لا فائدة من أن نحصل على أشياء كهذه، ربما تكون مفيدة لي لاحقا لتذكرني بأشياء. وأي لوحة جيدة ستبدو أحسن بكونها جزءا من عدد أقل من اللوحات. البقية، إن وضعتها في ركن، بين لوحين من الورق المقوى، مع الجرائد القديمة بين الدراسات، فهذه هي قيمتها.

سأرسل إليك لفة من اللوحات.

مصافحة لك، ولجو، ولأصدقائنا.

المخلص لك،

فنسنت

الرسومات "المستشفى في آرل"، و"الشجرة الباكية في العشب"، و"الحقول وشجر الزيتون"، هي استكمال لتلك التي من مرحلة مونماجور. الأخرى هي دراسات متعجلة صنعت في الحديقة.

ليس ثمة استعجال بالنسبة لشكسبير، إن لم تكن لديهم تلك الطبعة، فلن يستغرق إرسال واحدة وقتًا طويلا.

لا تخشَ، فلن أغامر بإرادتي بالصعود إلى الأعالي المدوخة، للأسف، فنحن خاضعون، شئنا أم أبينا، لظروف وأمراض عصرنا. لكن بالاحتياطات التي أتخذها الآن، سيكون من الصعب أن أنتكس، وأتمنى ألا تعاودني النوبات ثانية.

٧٨٤ | سان ريمي دو بروفانس، الثلاثاء، ٢ يوليو ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

مرفقا بخطابي، أرسل إليك خطابا من أمي، بطبيعة الحال أنت تعرف كلّ الأخبار التي يحتويها. أظنه من المنطقي أن يذهب كور إلى هناك. فالأمر المختلف هناك عن البقاء في أوروبا هو أنه هناك لا يضطر المرء للوقوع تحت سطوة المدن الكبيرة كما يحدث هنا، في تلك المدن قديمة لدرجة أن كل ما بها يبدو خَرِفًا يترنح. لذا، وبدلا من رؤية قوى المرء وطاقته الحيوية والطبيعية تتبخر في اللف والدوران، من الممكن أن يكون المرء أسعد بالبعد عن مجتمعنا. حتى إن كان الحال مختلفا، تبقى حقيقة أنه لا يجب أن يتردد في قبول ذلك الموقع إن كان يتصرف وفقا لتربيته ووفقا للاستقامة. أنا لا أكتب لك لأخبرك بكل تلك الأخبار التي تعرفها مسبقا. لكن لكي تلاحظ فيها قليلا كيف أن الكتابة أصبحت ثابتة بشكل مدهش ومنتظمة حين يفكر المرء أن ما تقوله صحيح، أنها "أم تقارب السبعين". وكما قد كتبت لي مسبقا، وكما كتبت أختنا أيضا، أنها تبدو وكأنها تصغر في الأعوام، فأنا أرى ذلك بنفسي من هذه الكتابة الواضحة وفي منطقها المحكم، وفي البساطة التي تقدر بها الوقائع. إنني الآن أعتقد أن استعادة الشباب تلك قد أتتها بشكل واضح لأنها سعيدةٌ بزواجك، الذي أرادته منذ وقت طويل، وأهنئك على كون زواجك يمكنه أن يعطيك أنت وجو المتعة النادرة برؤية أمنا تصغر في الأعوام. إن هذا هو سبب كتابتي هذا الخطاب. لأن، يا أخي العزيز، من الضروري أحيانا أن نذكر لاحقا ـوهو أمر في وقتهـ أن في اللحظة نفسها التي ستتألم فيها لفراق كور، وسيكون هذا قاسيا عليها، سيكون عزاؤها أنك تزوجت. وإن كان ذلك ممكنا، فلا يجب أن تنتظر عاما كاملا قبل أن تعود إلى هولندا، لأنها ستكون مشتاقة لرؤيتك ثانية، ورؤية زوجتك.

في الوقت ذاته، فكونك تزوجت بامرأة هولندية، قد يعيد ذلك، عاجلا أم آجلا، الدفءَ إلى علاقات العمل مع أمستردام ولاهاي ثانية.

ومرة أخرى لم أر قط رسالة من أمي تشير إلى كم كبير من السكينة الداخلية والرضا الوادع، كهذه الرسالة، لم يحدث هذا منذ سنوات. وأنا واثق أن سبب هذا هو زواجك. يقال إن إسعاد أبوي المرء يتسبب في إطاله عمرهما.

الآن أود شكرك كثيرا على طلبية الألوان، اخصمها من الطلب الذي طلبته مسبقا، لكن إن كان ممكنا، فلا تخصم كمية الأبيض. أشكرك بحرارة على شكسبير. سيساعدني ذلك في عدم نسيان الإنجليزية القليلة التي أعرفها، لكن وفوق كل شيء إنه جميل.

لقد بدأت بقراءة سلسلة أعرفها جيدا، وإن كنت مشغولا عنها بشيء آخر في السابق، أو لضيق الوقت كان مستحيلا علي أن أقرأها، أعني سلسلة الملوك لشيكسبير. لقد قرأت بالفعل ريتشارد الثاني، وهنري الرابع، ونصف هنري الخامس. أقرأ دون تأمل واقع أن أفكار الناس من ذلك الوقت هي أفكارنا نفسها، أو ماذا يحدث لهم إن ووجهوا بالعقائد الاشتراكية أو الجمهورية... إلخ. لكن ما يلمسني فيها كما في أعمال روائيين بعينهم من زماننا، هو أن أصوات أولئك الناس، والتي في حالة شكسبير تصلنا عبر القرون، لا تبدو مجهولة لنا. إنها حية لدرجة أن المرء يعرفها ويراها.

ما يملكه رامبرانت وحده، أو يكاد يكون وحده وسط الرسامين، هو تلك الرقة في نظرات الناس الذين نراهم في "الحجاج في عمواس"، أو "العروس اليهودية"، أو في شخص غريب لملاك مثلما في اللوحة التي سمح حظك برؤيتها. تلك الرقة مكسورة القلب، تلك اللمحة لما هو غير متناه وفوق بشري والذي يبدو طبيعيا حينها، يقابلها المرء في مواضع عدة عند شكسبير. ثم في البورتريهات الجادة أو المبهجة مثل "الستة"، مثل "المسافر"، مثل "الساكسيا"، إنها وفوق كل شيء مليئة بهذا. يا لها من فكرة رائعة أن ترجمها ابن فيكتور هوجو إلى الفرنسية لتكون هكذا في متناول الجميع. حين أفكر

بالانطباعيين وكل مسائل الفن في يومنا هذا، فكم هي عديدة الدروس التي نستفيدها من تلك المسرحيات.

ومما قرأته تأتيني فكرة أن الانطباعيين محقون ألف مرة. مع ذلك حتى لو توجب عليهم التفكير في هذا لوقت طويل ودائما. وإن انبثق عن هذا أن لهم الحق ولديهم الواجب في إنصاف أنفسهم، وإن جرؤوا على تسمية أنفسهم بدائيين، فهم بالتأكيد يحسنون صنعا أيضًا لو تعلموا أن يكونوا بدائيين كبشر قليلًا، قبل أن يتشدقوا بكلمة بدائي كلقب قد يمنحهم أي حقوق كانت. أمّا أولئك الذين يسببون تعاسة الانطباعيين، فحالتهم حرجة بطبيعة الحال، حتى إن كانوا يستخفون بها.

ثم سيبدو أن شن الحرب لسبع مرات في الأسبوع لن يمكنه الاستمرار. من المدهش مع ذلك كيف تتماسك مسرحية رينان الوحيدة "أبيس دو جوار" بجانب شكسبير. أظن أن رينان مكن ذلك لنفسه كيما يكون قادرا على قول كلمات جميلة وممتلئة وعلى مهل، لأن تلك كلمات جميلة.

ولتكون لديك فكرة عما أعمل عليه، سأرسل إليك عشرة رسوم أو نحو ذلك اليوم، كلها للوحات أعمل عليها.

آخر ما بدأت به هو حقل قمح به فلاح يحصد بحجم صغير وشمس كبيرة. اللوحة كلها صفراء عدا خلفية من تلال بنفسجية. اللوحة التي لها الموضوع نفسه تقريبا تختلف في التلوين، كونها بالأخضر المائل للرمادي وسماء بالأبيض والأزرق.

أفكر كثيرًا في ريد حين أقرأ شكسبير، وقد تذكرته مرات عديدة حين كنت مريضا أكثر من الآن. ووجدت أنني كنت خشنا معه وربما محبِطا له بادعاء أنه من الأفضل محبة الرسامين على محبة اللوحات. لم يكن من صلاحياتي أن أضع قواعد كهذه، حتى حين أكون في وجه المشكلة التي نرى أصدقاءنا الأحياء يعانون منها كثيرا من الافتقار إلى المال اللازم للطعام والدفع للحصول على الألوان، ومن جهة أخرى الأسعار الباهظة التي تدفع للوحات الرسامين الموتى. كنت أقرأ في الجريدة رسالة من جامع تحف يونانية لأحد أصدقائه احتوت على هذه الجملة "أنت يا من تحب الطبيعة،

وأنا الذي يحب كل ما صنعته يد الإنسان، هذا الاختلاف في أذواقنا يخلق الوحدة في عمقه". وأجد في ذلك تفكيرا أفضل من تفكيري.

لدي لوحة لشجر سرو مع بعض سنابل القمح، والخشخاش، وسماء زرقاء، ما يشبه نسيجا مقلما اسكتلنديا. هذه اللوحة، الملونة بالإمباستو مثل مونتيتشيلي، وحقل القمح تحت الشمس التي تمثل الحرارة الشديدة، ملونة بسماكة الإمباستو أيضا، أظن ذلك سيشرح له بشكل أو بآخر، أنه لم يكن سيخسر الكثير لكونه صديقنا. لكن ذلك محق بالنسبة لك أيضا، وتحديدا أننا كنا على حق لنرفض منهجه، وعلينا من طرفنا أن نبادر بالمصالحة. بأي حال، لا أجرؤ بعد أن أكتب الآن مخافة قول العديد من الحماقات، لكن حين أكون أكثر ثقة بقلمي ساود أن أكتب له في يوم ما. الأمر نفسه مع أصدقاء آخرين، لكنني حقيقة أخبرت نفسي أنني يجب أن أنتظر بقدر استطاعتي قبل أن أصبح قادرا، حتى في أفضل الظروف، لأصل لهذا "أن أكون أكثر ثقة بنفسي".

ما زال لدي لوحات لم تكن قد جفت حين غادرت في آرل، أود كثيرا أن أذهب وأحضرها في أحد تلك الأيام كيما أرسلها إليك. ثمة نصف دستة منها. الرسومات تبدو لي بألوان أقل هذه المرة، وهذا على الأرجح بسبب الورق الناعم.

بأي حال، ف"الشجرة الباكية" و"باحة المستشفى" في آرل أكثر ألوانا، لكن مع ذلك سيعطيك هذا فكرة عمّا أقوم به حاليا. لوحة الحصّاد ستصبح شيئا مثل البذّار من العام الماضي.

كما أنه لاحقا ستظل كتب زولا جميلة تحديدا لأن بها حياة.

ما يملك حياة أيضا هو واقع أن أمنا سعيدة بزواجك، وأظن أن ذلك لا يمكن أن يكون سيئا بالنسبة لك ولجو. لكن الانفصال عن أخينا كور سيكون صعبا عليها لدرجة كبيرة. أن نتعلّم أن نعاني دون شكوى، ونتعلّم أن نتجاوز الألم دون امتعاض، هنا تحديدًا يكمن خطر الدوار، ومع ذلك قد يكون ممكنًا. لكن المرء يلمح إمكانية غامضة أنه على الجهة الأخرى من الحياة سندرك علّة الألم، وهو الذي نراه من هنا

يبتلع الأفق كله كطوفان مجتاح لا نعرف منتهاه. وعن هذا فعلمنا جد قليل. ومن الأفضل أن ننظر إلى حقل من القمح، حتى لو كان مجرد لوحة. أصافحك بشدة وأرجو أن تصلني أخبارك قريبا. أتمنى لكما الصحة الجيدة.

المخلص أبدا،

فنسنت

٧٨٥ | سان ريمي دو بروفانس، الثلاثاء، ٢ يوليو ١٨٨٩
إلى ويليماين فان جوخ (F)

أختي العزيزة،

في الأيام الأخيرة كنت قد بدأت بكتابة خطاب آخر ردا على خطابك، لكنني أدركت عدم تحكمي في عقلي بما يكفي لأن أكتب. أشكرك وليس على كتاب رود الذي انتهيت من قراءته وسأعيده لك قريبا. العنوان الرهيب "عدم الحياة" أرعبني قليلا، لكن بما أنه لم يُذكر تقريبا في هذا المجلد، كنت راضيا بقراءة شيء له شبه عائلي بكتاب سوفستر "الفيلسوف تحت السقوف"، أو كما في "السيد، والسيدة، والرضيع" لدروز. الدرس المستفاد منه هو أنه في بعض الحالات ينتهي الحال بالسيد المهذب مفضلا العيش مع زوجة مخلصة جميلة ومع طفله عن حياة المطاعم، والبوليفار والمقهى التي عاشها مسبقا دون مبالغة. هذا شيء جميل بلا شك.

من المدهش بالفعل أن مرض السيدة دو كويسنه انتهى نهاية غير متوقعة. لا بد أنه كان يوم نجاة عظيمًا بالنسبة لها بأي حال.

إن كنت تقولين في خطابك إنك ترين العديد من الآخرين في الحياة، يذهبون ويأتون، باحثين عن طريقهم الخاص، ويبدون كمن يصنع تقدما أكثر منك، فماذا عساي أقول لك، إنني أنا أيضا وفي بعض الأحيان أشعر بالصدمة في مواجهة حياتي،

وفيما يخصّ عدة حيوات لمن يمتهنون مهنتي أيضا. لقد أرسلت للتو دستة من الرسومات واللوحات إلى تيو وهو ما أعمل عليه، بينما بقية حياتي خرقاء كما كانت في الوقت الذي كنت فيه بعمر الاثني عشر، وكنت في المدرسة الداخلية حيث لم أتعلم شيئا بالمرة.

عدد هائل من الرسامين الذين يمكنهم أن يصنعوا لوحاتي الاثنتي عشرة في شهرين أو في اثني عشر شهرا يعتبرون فنانين وبذكاء الناس في المدينة أو في الريف. لكن صدقيني، إنني أقول هذا كي أشرح وليس لأنني أريد أن أرى أية عجلة، أو إمكانية، أو رغبة في تغيير الأشياء. إننا لا نكاد نعرف الحياة، ونحن غافلون عن جوانبها الخفية، وبأي حال فنحن نعيش في عصر حيث كل شيء يبدو خرفًا ومترنحًا، وليس من المؤسف أن نجد واجبا يدفعنا إلى البقاء هادئين في ركننا، مشغولين بجهد أبسط قليلا، بواجبات محددة تحمل علةً للوجود.

في هذه الأيام التي نعيش فيها نخاطر بالعودة من معركة شاعرين بالخزي بسبب أننا صنعنا معركة. صديقي الذي كان معي في آرل وآخرون نظموا معرضا كنت سأشارك فيه لو سَمَحَت حالتي الصحية. وما كانوا قادرين على فعله، يكاد يكون لا شيء، ومع ذلك وفي لوحاتهم كان ثمة شيء جديد، جيد، شيء أسعدني وجعلني متحمسا على سبيل المثال، أنا، أؤكد لك هذا. بينما كفنانين لم نعد نعرف ماذا عسانا نقول لبعضنا البعض، لا نعرف إن كان يجب أن نضحك أم نبكي الأمر، وبعدم فعلنا لا هذا ولا ذاك، فنحن أسعد ما نكون حين نملك بعض الألوان والقماش، وهو ما نفتقر إليه أحيانا وما يمكننا أن نعمل عليه على الأقل. لكن أي فكرة عن حياة عادية، أي فكرة عن إيقاظ أفكار أو مشاعر رقيقة في أنفسنا أو في الآخرين، كل هذا يبدو لنا بالضرورة طوباويا تماما.

وعلى الرغم من أن أكثر من نصف مليون فرنك دفعت للوحة مييه "البشارة"، فلا تصدقي أن أرواحا أخرى ستشعر بما كان في روح مييه. أو أن أفراد وعمال الطبقة الوسطى سيبدؤون مستنسخات لبشارة مييه تلك في بيوتهم، مثلا. لا تصدقي أن الرسامين الذين ما زالوا يعملون في بريتاني وسط الفلاحين سيحوزون تشجيعا أكثر

بهذا الخصوص، ولا أن المجاعة السوداء التي أحاطت بمبيه دائما قد انتهت، هي ميزة الشجاعة بالذات.

للأسف، نحن غالبا نفتقر إلى الدأب والإيمان، عن خطأ بالتأكيد، لكن ها نحن نعود إلى النقطة نفسها، لو أردنا أن نعمل فلا بد من الاستسلام للخشونة العنيدة للعصر ولعزلتنا، القاسية أحيانًا كمنفى. والآن بعد سنواتنا المهدرة نسبيًا، نواجه الفقر والمرض والكهولة، والجنون، ودائما المنفى. إنها بالفعل اللحظة التي نقول فيها: "مباركة طيبة، ابنة تيلهوي، كاهنة أوزوريس، التي لم تشْكُ أحدا"

نحتفي بذكرى الأخيار، أليست لذلك قيمة أكبر من أن نكون بين الطموحين عموما؟

إنني مستغرق تماما في قراءة شكسبير الذي أرسله إلي تيو هنا، حيث لدي الهدوء اللازم أخيرا للقيام بالقراءة الصعبة. لقد بدأت بقراءة سلسلة الملوك، والتي انتهيت فيها من قراءة ريتشارد الثاني، وهنري الرابع، وهنري الخامس، وجزء من هنري السادس، فتلك الدراما لم تكن مألوفة لي. هل قرأت الملك لير؟ لكن بأي حال، أظنني لن أحثك على قراءة كتب درامية كتلك في حين أنني عائدا من قراءة تلك الكتب أضطر للذهاب والنظر إلى عشبة، أو فرع صنوبر، أو سنبلة قمح، لأهدئ نفسي.

إن كنت تريدين أن تفعلي كما يفعل الفنانون، فانظري إلى الخشخاشات البيضاء والحمراء بأوراقها المزرقة، وتلك البراعم التي ترفع نفسها على العيدان بمنحنياتها كريمة. أوقات المصاعب والمعارك ستأتي لنا من نفسها دون أن نذهب للبحث عنها.

الانفصال عن كور سيكون صعبا. وسيحدث قريبا. ماذا عسانا نفعل حيال كل هذه الأشياء التي لا يفهم المرء سببها، سوى النظر إلى حقول القمح. حكايتها هي حكايتنا، فنحن الذين نعيش على الخبز، ألسنا قمحا نحن أيضًا بشكل ما، على الأقل لسنا مضطرين للاستسلام للنمو ثابتين في مكاننا كنبات، وهو ما قد يرغبه خيالنا أحيانا، ثم ألن يكون علينا أن نُحصَدَ حين ننضج مثله.

بالنسبة لي فأنا أظنه من الحكمة ألّا نتمنى أن نكون في حال أفضل، ولا نتمنى أن نستعيد قوانا أكثر من الآن، وسأتعود على هذا ربما، على أن أكون مشروخا. عاجلا أم آجلا، ما همني في ذلك؟

ما تكتبينه عن صحة تيو أعرفه تماما، مع ذلك فإن أملي أن تشفيه الحياة الزوجية. أظن زوجته حكيمة ومحبة بما يكفي لتعتني به جيدا وتعمل على الا يأكل طعام المطاعم، بل أن يعود للمطبخ الهولندي. المطبخ الهولندي طيّب، لذا فعليها أن تتحول إلى طاهية تقريبًا، وأن تتخذ مظهرا مطمئنا وإن كان ذلك غير أنيق. تيو نفسه مضطر لأن يكون باريسيا، لكنه مع هذا محتاج لما يذكره بشبابه وماضيه. أنا الذي ليست لدي لا زوجة ولا أطفال، أحتاج لأن أرى حقول القمح، ويصعب عليّ أن أكون في المدينة لوقت طويل. وبما أنني أعرف شخصيته، فأنا متفائل بأن زواجه سيسدي إليه معروفا كبيرا. وقبل أن يمكننا أن نكوّن فكرة عن صحته يجب أن نتيح لهما بعض الوقت ليستقرا معا. وبعدها، أتمنى أن تجدَ طرقا كثيرة لتجعل حياته أسعد مما كانت. فهو قد رأى أوقاتًا صعبة. بأي حال، يجب أن أنهي هذا الخطاب إن كنت سأعمل اليوم، وليس لدي وقت لأعيد قراءته. لذا فإن كنت قد قلت العديد من السخافات أرجو أن تعذريني. اعتني بنفسك، ولا تشعري بالملل، وباعتنائك بحديقتك كما تفعلين، وبقية ما تفعلينه، كوني واثقة أنك تقومين بالكثير. أقبلك بمحبة.

المخلص ابدًا،

فنسنت

٧٩٠ | سان ريمي دو بروفانس، الأحد، ١٤ أو الاثنين، ١٥ يوليو ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ،

عزيزي تيو،

إن كنت أكتب لك خطابا ثانيا اليوم فهذا لأنني أضمنه بعض كلمات كتبتها لصديقنا جوجان، فقد شعرت بالهدوء يعود لي في الأيام الماضية بما يكفي كي لا تكون كتابتي غير ذات معنى تمامًا. بجانب أنه لا دليل على أنه بشحذ هواجس المرء حيال الاحترام أو الحس السليم، فإنه يكتسب احتراما أو فهما جيدا. وبما أن هذه هي الحال، فإن الحديث مع الرفاق ثانية مفيد بالنسبة لي، حتى وإن كان على مسافة. وأنت، يا صاحبي العزيز، كيف هي أمورك، اكتب لي كلمة في أحد هذه الأيام، فأنا أستطيع أن أتصور العواطف التي لا بد تحرك رب العائلة الذي يتكون، عواطف كان أبونا يحب أن يتحدث عنها، لا بد أنها عواطف كبيرة، وذات قيمة لديك، كما كانت لديه، لكن الآن تقريبا من المستحيل عليك التعبير عنها في الخليط غير المفهوم لمصاعب باريس البائسة. حقائق من هذا النوع لا بد أنها مثل هبة قوية من ريح الميسترال، ليست مهدئة أبدا، لكنها تحسّن الصحة. أما عني، فإنها تسعدني كثيرا، أستطيع أن أؤكد لك هذا، وستساهم كثيرا في إخراجي من الإرهاق الأخلاقي وربما من الإنهاك المعنوي أيضا.

على أي حال، ثمة ما يكفي لاستعادة طعم الحياة قليلا حين أفكر أنني مقدم على أن أترقى لأكون عمًا لهذا الولد الذي تخطط له زوجتك. أجد من المضحك أنها موقنة من أنه سيكون ولدا، لكن بأي حال سنرى.

في الوقت الحالي لا يمكنني أن أفعل شيئا سوى العبث بلوحاتي قليلا. لدي لوحة قيد التنفيذ لقمر فوق الحقل نفسه الذي في التخطيط بخطاب جوجان، لكن تحل فيها حزَم التبن محل القمح. إنها بأصفر الأوكسيد الصلد والبنفسجي. وعلى أي حال، ستراها قريبا.

لدي أيضا واحدة أخرى قيد التنفيذ تصوّر اللبلاب. يا صاحبي العزيز، ارجوك، لا تقلق أو تغضب أو تأسَ لحالي، فكرة أن تفعل ذلك، بالتأكيد في هذا الحجر الصحي الضروري، لن يكون لها مبرر ونحن نريد تعافيا بطيئا وصبورا. إن استطعنا أن نفهم ذلك، فسنوفر طاقاتنا لهذا الشتاء. أتصور أن الشتاء كئيب هنا، وسأضطر مع ذلك لأن أشغل نفسي. إنني أتصور غالبا أنني يمكنني أن أضيف هذا الشتاء بعض اللمسات الخفيفة إلى الكثير من دراسات العام الماضي في آرل.

وهكذا، بعد أن احتفظت هذه الأيام الماضية بدراسة كبيرة لبستان كانت صعبة للغاية (إنه البستان نفسه الذي ستجد تنويعا عليه في الشحنة، ولكنه غامض)، فقد هممت بإعادة العمل عليه من الذاكرة، ووجدت طريقة أفضل للتعبير عن تناغم الدرجات.

أخبرني، هل استلمت أي رسومات مني؟ لقد أرسلت إليك بعضها في مرة ما بطرد بريدي، نصف دستة، ثم لاحقا عشرة تقريبا. إن حدث ولم تكن قد استلمتها، فلا بد أنها بقيت في محطة القطار لأيام وأسابيع.

كان الطبيب يحدثني عن مونتيتشيلي، واعتبره شخصا غريبا، أما عن الجنون، فلم يكن مجنونا إلا قليلا قرب النهاية. باعتبار كل المآسي التي حدثت في عام مونتيتشيلي الأخير هل من المفاجئ أنه ناء تحت حمل ثقيل، وهل يكون المرء محقا إن حاول أن يستنتج من كل ذلك أنه فشل في عمله، من الناحية الفنية؟ إنني لا أظن ذلك. كانت ثمة بعض الحسابات المنطقية عنده، وأصالته كرسام، لذا يظل من المؤسف أن المرء لم يكن قادرا على احتمالها كيما يجعل ازدهارها أكمل من ذلك.

إنني أرفق كروكيا للجنادب التي هنا. إن غناءها في أوقات الحر ساحر بالنسبة لي مثل الجرادة موقد الفلاح في وطننا. صاحبي العزيز، دعنا لا ننسى أن العواطف الصغيرة هي الربان العظيم لحيواتنا، وأننا نطيعها دون أن ندري. إن كان من الصعب علي أن أستعيد الشجاعة بعد الأخطاء التي ارتكبتها والتي سأرتكبها، والتي ستكون استعادتي لصحتي، فدعنا لا ننسى أنه من تلك اللحظة فصاعدا، لا أسانا ولا

سوداويتنا ولا مشاعرنا ذات الطبيعة الطيبة والفهم الطيب هي مرشدنا الوحيد وليست هي القيم الوحيد علينا، وأنه إن كنت أنت قد وجدت نفسك في مواجهة مسؤوليات صعبة، لتغامر فيها إن لم تكن ستلتزم بها، فصدقني، دعنا لا نقلق على بعضنا البعض، في حين أنه يحدث أن ظروف الحياة في مواقف بعيدة كل البعد عن مفاهيمنا الشابة عن حياة الفنان تجعلنا أخوين بعد كل شيء، وكرفيقي درب لهما القدر ذاته في نواح كثيرة. الأشياء مرتبطة ببعضها وقريبة من بعضها بشكل ما لدرجة أن المرء يجد أحيانا صراصير في طعامه كما لو أنه في باريس، من جهة أخرى يحدث لك في باريس أن تفكر في الحقول. بالتأكيد ليس كثيرا، ولكن ذلك مطمئن بأي حال. لذا فكر في أبوتك كما قد يفكر أحد الرفاق من حقولنا القديمة، تلك الحقول التي تظلّ عزيزة علينا بشكل غير مفهوم خلف كلّ الضوضاء، والجلبة، والضباب، وألم المدن، مهما كانت رقتنا مهددة. هذا أشبه بالقول: خذ أبوتك من هناك. من طبيعتك كمنفيٍّ وغريب وفقير، يستقر بغريزة الفقير على إمكانية الوجود الحقيقي للوطن، الوجود الحقيقي لذكرى الوطن على الأقل، حتى إن نسينا كل يوم. وهكذا عاجلا أم آجلا نجد قدرنا. لكن بالتأكيد بالنسبة لك، كما هو بالنسبة لي، سيكون من النفاق أن ننسى تماما طبيعتنا المازحة، وعبثنا اللاهي الذي كان لنا كشيطانين مسكينين يذهبان ويعودان في باريس، الغريبة الآن، والتي تضع الكثير من الثقل على كاهلينا. أنا سعيد بحق من واقع أنه وإن كان أحيانا ثمة صراصير في الطعام هنا، ففي بيتك ثمة زوجة وطفل.

بجانب أنه من المطمئن أن فولتير، مثلا، ترك لنا حرية ألا نؤمن تماما بكل ما نتخيله. وهكذا وأنت تشارك زوجتك همومها حول صحتك فأنا لن أتمادى لدرجة أن أظن ما خلته لحظيا، أن قلقك علي كان سبب صمتك الطويل عني، على الرغم من أن السبب واضح حين يفكر المرء بالحمل وكيف يكون شاغلا بالضرورة. لكن ذلك جيد جدا وهو الدرب الذي يتخذه الجميع في الحياة. سأكتب أكثر قريبا، مصافحة لك ولجو.

المخلص دوما،

فنسنت

على عجل، لكن لم أرد أن أؤخر إرسال خطاب إلى صديقنا جوجان، لا بد أن لديك العنوان.

sketch A8



حشـرة الـزيـز

٧٩٧ | سان ريمي دو بروفانس، الخميس، ٢٢ أغسطس ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكر جو كثيرا لكتابتها لي، وعارفا أنك تود أن أكتب لك فأنا أعلمك أنه من الصعب علي كثيرا أن أكتب، عقلي مشوش للغاية. لذا فأنا أنتهز فرصة فترة من الصفاء.

الدكتور بيرون طيب معي وصبور بحق. يمكنك أن تتخيل أنني متزعج بعمق لعودة النوبات في الوقت الذي كنت بدأت فيه التفاؤل بأنها لن تعود.

ربما ستسدي لي معروفا إن كتبت للدكتور بيرون لتخبره أن العمل على لوحاتي ضروري لكي أتعافى. لأنني في هذه الأيام، ودون أي شيء أفعله ودون أن أستطيع الذهاب إلى الغرفة التي حددها لأقوم بالرسم، لا يمكنني تحمل مرور الوقت.

لقد استلمت دليلا لمعرض جوجان وبرنار وشوفينيكر وشركاهم، وقد وجدته مثيرا للاهتمام. جوجان أيضا كتب لي خطابا طيبا، لكنه غامض ومبهم، لكن بأي حال يجب أن أقول إنهم محقون بعرض أعمالهم فيما بينهم.

لقد مرت أيام عديدة كنت فيها مضطربا تماما، كما حدث في آرل، بالقدر نفسه أو ربما أسوأ، ومن المفترض أن تعاودني تلك النوبات في المستقبل، إنها شنيعة. لم أستطع الأكل لأربعة أيام، لأن حلقي كان محتقنًا، إن كنت أخبرك بهذه التفاصيل فليس هذا من قبيل الإكثار من الشكوى كما أرجو، لكن لأثبت لك أنني لست في حالة تسمح لي بالذهاب إلى باريس أو بون أفون إلا لو كان لشارينتون.

يبدو أنني ألتقط أشياء وسخة وآكلها، على الرغم من أنني أتذكر هذا بشكل غائم، ويبدو لي أن ثمة شيئا شريرا بهذا الخصوص، وهو السبب ذاته الذي يجعلهم يكونون قناعات مسبقة حول المصورين هنا.

لم أعد أرى إمكانية للشجاعة أو الأمل، لكننا لم نعرف بالأمس فقط أن تلك المهنة ليست سعيدة. وعلى أي حال، يسعدني أنك استلمت الشحنة من هنا، المناظر الطبيعية. وأشكرك كثيرا على ذلك الحفر لرامبرانت. إنه مدهش، ومع ذلك يجعلني أفكر ثانية في الرجل ذي العصا في معرض لا كازه. إن أردت أن تسدي لي معروفا فأرسل نسخة منها إلى جوجان. ثم إن كتيب رودان وكلود مونيه مثير للاهتمام بحق.

هذه النوبة الجديدة، يا أخي العزيز، داهمتني في الحقول، وكنت في منتصف العمل على لوحة في يوم عاصف. سأرسل إليك اللوحة، التي انتهيت منها مع ذلك. وهي تحديدا محاولة أكثر صحوًا، شاحبة اللون دون أن تبدو مثيرة، درجات أخضر مكسورة، أحمر، وأصفر أوكسيدي، كما أخبرتك فمن وقت لآخر أرغب أن أبدأ ثانية ببالية مثل تلك التي في الشمال.

سأرسل إليك اللوحة بأقرب ما يمكنني. يومك سعيد، أشكرك لكل طيبتك، مصافحة لك ولجو، ولكور أيضا إن كان لم يزل هناك.

فنسنت

أمي وويل كتبتا لي خطابا جميلا.

بينما لا أحب كتاب رود كثيرا، فقد صنعت لوحة لتلك الفقرة التي يتحدث فيها عن الجبال الداكنة والأكواخ.

(صديقنا رولان كتب لي أيضا)

٧٩٨ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الاثنين، ٢ سبتمبر ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشعر بتحسن منذ كتبت لك، وبينما لا أعرف إن كان سيستمر فلا أريد أن أنتظر أكثر لأكتب لك ثانية.

أشكرك ثانية على الحفر الرائع لرامبرانت. إنني أود كثيرا أن أتعرف على اللوحة، وأن أعرف في أي فترة من حياته قام بتصويرها. كل هذا يتماشى مع بورتريه فابريتيوس في روتردام، والمسافر في معرض لا كازه، تحت صنف خاص به يتحور بورتريه الإنسان إلى شيء مضيء ومعزٍ. كم هو مختلف ذلك عن مايكل أنجلو أو جيوتو، على الرغم من أن الأخير يقاربه، جيوتو بهذا الشكل يمثل جسرًا بين مدرسة رامبرانت والإيطاليين.

«*sketch* A»

بالأمس بدأت بالعمل ثانية قليلا، شيء رأيته من نافذتي، حقل من القش الأصفر يتم حرثه، تقابُل الأرض المحروثة البنفسجية مع خطوط القش الأصفر، على خلفية التلال.

العمل يلهيني تماما أكثر من أي شيء آخر، وإن أمكنني أن أرمي بنفسي في غماره بكل طاقتي فقد يكون هذا أفضل علاج. استحالة الحصول على موديلات، وكومة من الأشياء الأخرى تمنعني من التحكم فيه بأي حال. لا بد أن أعامل الأشياء بصبر وهدوء.

أفكر غالبا برفاقنا في بريتاني، الذين يقومون بعمل أفضل مني بالتأكيد. إن كان ممكنا بالنسبة لي أن أبدأ ثانية بالخبرة التي لدي الآن، فلن أذهب وأبحث في الجنوب.

mon cher Theo,



حقل وحارث

إن كنت مستقلا وحرا، كنت سأحتفظ بحماسي مع ذلك، لأن ثمة أشياء جميلة لأفعلها. كتصوير كروم العنب، وحقول الزيتون. إن كنت واثقا في الإدارة هنا، فمن الأفضل أن أضع كل أثاثي هنا في المستشفى والاستمرار بهدوء. إن كنت سأتعافى، أو في الفترات بين النوبات، يمكنني عاجلا أم آجلا أن أعود لباريس أو لبريتاني لفترة. لكن أولا الأسعار باهظة هنا، ثم إنني خائف من المرضى الآخرين في الوقت الحالي. بأي حال، كومة من الأسباب تعني أنني لم أكن محظوظا هنا أيضا.

ربما أبالغ في الحزن الذي أشعر به لأن المرض ضربني ثانية، لكنني أشعر بنوع من الخوف. ستخبرني ما أخبر به نفسي أيضا، أن الخطأ لا بد فيّ أنا ليس في الظروف أو الآخرين. بأي حال، ليس الأمر ممتعا.

السيد بيرون كان طيبا معي ولديه خبرة طويلة، لن أغضب مما قاله أو اعتبره جيدا. لكن هل لديه رأي واضح، هل كتب لك أي شيء بالتحديد؟ أي شيء ممكن؟

يمكنك أن ترى أنني ما زلت في مزاج سيئ جدا، لأن الأمور لا تجري جيدا. ثم إنني أعتبر نفسي غبيا في ذهابي لأطلب من الأطباء تصريحا لصنع اللوحات. بجانب أنه من المأمول في حالي أن أتعافى عاجلا أم آجلا، لحد معين، سيكون ذلك بسبب أنني عالجت نفسي بالعمل، الذي يحصّن الإرادة وبالتالي يضعف ذلك الخلل العقلي.

أخي العزيز، أردت أن أكتب لك كلامًا أفضل من هذا، لكن الأمور ليست على ما يرام. لدي رغبة كبيرة في الذهاب إلى لجبال والتصوير لأيام، أرجو أن يسمحوا لي بذلك في الأيام المقبلة.

سترى قريبا لوحة لكوخ في الجبال صنعتها تحت تأثير ذلك الكتاب لرود. سيكون من الجيد لي أن أبقى في الحقل لفترة، على الأقل سيمكنني ذلك من العمل هناك.

لا بد أن أكتب لأمنا ولويل في الأيام القادمة. ويل طلبت لوحة، وأود أيضًا أن أعطي واحدة لليز في المناسبة نفسها، فليس لديها ولا واحدة على حد علمي.

ما رأيك في انتقال أمنا للعيش في لايدين؟ أظنّها محقة بهذا المعنى، إنني أتفهم أنها مشتاقة لأحفادها. ثم إنه لم يبق أحد منا في برابنت.

بذكر هذا، كنت أقرأ كتابا من مدة ليست طويلة في آرل، لا أتذكر أي كتاب، لهنري كونسيونس. إنه كتاب عاطفي جدا، عن الفلاحين، لكن بالحديث عن الانطباعية، هل تعرف أنه احتوى وصفا لمناظر طبيعية بدرجات ألوان دقيقة، شعور وبدائية من الطراز الرفيع. والأمر هكذا دائما، لكن يا أخي العزيز تلك الحقول في كِمبِن كانت رائعة. لكن بأي حال، لن يعود هذا، ونمضي قدما.

لقد وصف، كونشنس، بيتا جديدا صغيرا بسقيفة من القرميد الأحمر تحت سطوع الشمس، حديقة ببركة وبصل، وبطاطس بأوراق داكنة، وسور من الزان، وكرم، وصنوبرات، ونباتات الرتم الصفراء تماما. لا تخف، لم تكن ككازان، بل ككلود مونيه. ثم إن ثمة أصالة في العاطفية الزائدة.

وبالنسبة لي، الذي يشعر بذلك ولا يمكنه أن يفعل شيئا بحق اللعنة، أليس هذا مثيرا للغثيان.

إن وضعت يدك على طبعات حجرية لديلاكروا، وروسو، ودياز... إلخ، الفنانين القدامى والمحدثين، المعرض الحديث... إلخ، لا يمكنني أن أنصحك بما يكفي لتحتفظ بها، لأنك سترى أنها أصبحت نادرة. لكنها كانت الطريقة لجعل الأشياء الجميلة شهيرة، تلك الصفحات بسعر فرنك واحد في تلك الأيام الماضية، تلك النقوش... إلخ من ذلك الزمن. كتيب كلود مونيه وروودان مثير للاهتمام. كم وددت لو رأيت ذلك. لا طائل من أن أقول إنني مع ذلك لا أوافقه حين يقول إن ميسيونير ليس شيئا وإن تي. روسو ليس بالأمر الهام. لوحات ميسيونير وروسو هي شيء مثير للاهتمام بالنسبة لأولئك الذين يحبونهما ويحاولون اكتشاف ماذا كان يشعر الفنان. ليس من الممكن أن يكون للجميع هذا الرأي، لأن المرء يجب أن يراها وينظر إليها، وأنت لا تجد ذلك في كل مكان. لوحة ميسيونير إن نظرت إليها لمدة عام فثمة ما يكفي لتنظر إليه لعام تال، لا تخف من ذلك. وغني عن الذكر أنه كان رجلًا عاش أوقاته

السعيدة، بلُقَطِها الكاملة. بالتأكيد أعرف أن لدوميه ومييه وديلاكروا طريقة أخرى في الرسم، لكن تنفيذ ميسيونير، فهذا شيء فرنسي أولا، على الرغم من أن الهولنديين القدماء لن يجدوا شيئا مخطئا فيه، ولكنه شيء مختلف عنهم وحديث، يكون المرء أعمىً إن صدق أن ميسيونير ليس فنانا، وأحد فناني الطبقة الأولى.

هل صُنعتْ أشياء كثيرة لتعطي فكرة عن القرن التاسع عشر أفضل من بورتريه هنزل؟ وحين قام بينار بتصوير هاتين اللوحتين الجميلتين، "الرجل البدائي" و"الرجل الحديث"، اللتين رأيناهما عند بوتي، فعندما جعل الإنسان الحديث قارئا كانت لديه الفكرة نفسها.

سأندم دائما على أنه في عصرنا يؤمن الناس بعدم توافق ما يسمونه جيل ١٨٤٨ والجيل الحالي. أنا شخصيا أومن بأن الجيلين متماسكان بأي حال، على الرغم من أنني لا يمكنني إثبات ذلك.

دعنا نتناول بودمير مثالا، ألم يكن قادرا على دراسة الطبيعة كصياد، كهمجي، ألم يحبها ويعرفها بخبرة حياة طويلة ورجولية، وهل ترى أن أول باريسي يأتي ويذهب إلى الضواحي، يعرف عنها ما يكفي أو زيادة لأنه سيصنع منظرا طبيعيا بدرجات خشنة؟ ليس لأنه من السيئ أن نستخدم درجاتٍ متصادمة ونقية، ولا لأنه من وجهة نظر اللون فأنا سأظل دائما معجبا ببودمير، لكنني معجب بالرجل الذي عرف كل غابات فونتان بلو، من الحشرة للخنزير البري ومن الظبي إلى القبرة. من البلوطة العالية إلى الحصاة إلى السرخس ونصل العشبة. شيء كهذا، لا يمكن لأي شخص أن يشعر به أو يجده إذا أراد.

وبريون، أوه، صانع مدرسة اللوحات الإلزاسية، سيقول الناس. حسنا، لقد صنع بالفعل لوحة "وليمة الخطوبة"، و"الزواج البروتستانتي"... إلخ، وهي إلزاسية بالفعل. حين لا يقدر أحد على رسم "البؤساء"، يقوم هو بذلك بطريقة لم يصل أحد لها حتى الآن، وهو ليس مخطئا في أنماطه. هل هو شيء تافه أن تعرف الناس جيدا، إنسانية تلك المرحلة، من الجودة لدرجة أن يكاد المرء لا يخطئ في التعبير والنمط؟

آه، سيكون على بقيتنا أن تطعن في السن بالكد في العمل، هذا هو سبب قنوطنا حين لا تكون الأشياء على ما يرام.

أظنك إن رأيت متحف برويا في مونبيلييه يوما ما، أظنك لن يحركك شيء سوى برورياس نفسه، حين يدرك المرء مما اشتراه ماذا كان يود أن يكون بالنسبة للفنانين. من المقلق أحيانا حين يرى المرء في بورتريهات معينة له، كم كان التعبير على وجهه مكسور القلب ويائسا. إن لم ينجح المرء في الجنوب يظل هو الذي عانى كثيرا في حياته من أجل تلك القضية.

البورتريهات الهادئة ليس إلا لديلاكروا وريكارد.

مثلا، بصدفة عظيمة فإن بورتريه كابانيل دقيق ومثير للاهتمام في ملاحظته، على الأقل يعطيك فكرة عن الرجل.

أنا سعيد لأن أم جو وصلت إلى باريس. في العام القادم سيكون الأمر مختلفا وسيكون لك طفل، وهذا يجلب عددا من صعوبات الحياة الإنسانية البائسة. لكن بالتأكيد ستختفي المآسي العظيمة للسوداوية للأبد، بهذه الطريقة بالتأكيد ستكون الأمور.

سأكتب لك ثانية عما قريب، لم أكتب لك كما وددت، أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام عندك وسيستمر كذلك. إني سعيد للغاية لأن ريفيه خلصك من السعال، ما أقلقني قليلا أيضا.

تورم حلقي بدأ يختفي، ما زلت أواجه صعوبة في الأكل، لكن بأي حال لقد تحسن.

مصافحة لك ولجو.

المخلص للأبد،
فنسنت

٨٠١ | سان ريمي دو بروفانس، الثلاثاء، ١٠ سبتمبر ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أظن خطابك كان جيدا جدا، ما تقوله عن روسو وفنانين مثل بودمير، إنهم بشر على أي حال، ومن نوع خاص يتمنى المرء إن كان العالم مأهولا به، نعم، هذا ما أشعر به أيضا.

وأن جي. إتش. وفايسنبروخ يعرف ويصنع الدروب الموحلة بجانب القناة، والصفصافات القصيرة، والتصغيرات ووجهات النظر الغريبة والمثقفة للقنوات "كما يصنع دومييه محاميه"، أظن ذلك كاملا. لقد أبلى ترستيج بلاء حسنا بشراء بعض أعماله منه، وواقع أن أناسًا مثله لا يبيعون، وفقا لي فإن ذلك بسبب وجود العديد من الباعة الذين يحاولون بيع أشياء أخرى، يضللون بها الجمهور ويخدعونه.

أتعرف أنني ما زلت حتى اليوم، حين أقرأ بالصدفة قصة رجل صناعة نشيط أو ناشر، تأتيني مشاعر الإهانة نفسها، المشاعر الغاضبة نفسها من الأيام الخالية حين كنت مع جي. آند سي.

الحياة تمضى بذلك الشكل، الزمن لا يعود للوراء، لكنني أعمل بنهم بسبب حقيقة أنني أعرف أن فرص العمل لا تعود بعد أن تمضي.

علاوة على كل هذا، وفي حالتي، حيث يمكن لنوبة عنيفة أن تدمر قدرتي على التصوير للأبد. في أثناء النوبات أشعر بالجبن في مواجهة الألم والمعاناة، أجبن مما يمكن تبريره، قد يكون هذا هو الجبن الأخلاقي الذي -في حين أنني فيما مضى لم تكن لدي رغبة في التحسن- يجعلني الآن آكل ما يكفي اثنين، وأكد في العمل، وأعتني بنفسي في علاقاتي مع المرضى الآخرين مخافة الانتكاس، بأي حال إنني أحاول أن أتحسن الآن مثل شخص، أراد أن ينتحر، فوجد المياه باردة للغاية، ويحاول الإمساك بالضفة ثانية.

أخي العزيز، انت تعلم أنني جئت إلى الجنوب وألقيت بنفسي في العمل لألف سبب.

أن تريد أن ترى ضوءا مختلفا، أن تؤمن بأن النظر إلى الطبيعة تحت سماء مشرقة يمكن أن يعطينا فكرة دقيقة عن الطريقة اليابانية في الشعور والرسم. وأخيرا، إرادة أن ترى شمسا أقوى، لأن المرء يشعر أنه دون معرفتها لن يفهم لوحات ديلاكروا من وجهة نظر التنفيذ، التقنية، ولأن المرء يشعر أن ألوان الموشور محتجبة بضباب الشمال.

كل هذا يظل صحيحا. ثم سيضيف المرء أيضا إليه ميلا قلبيا ناحية الجنوب الذي صنعه دوديه في تارتاران، وواقع أنني هنا وهناك وجدت أصدقاء أيضا وأشياء أحبها هنا.

هل ستفهم إذن أنه وبينما أجد مرضي مريعا، فأنا أشعر بأي حال بأنني دخلت في ارتباطات قوية قليلا هنا، ارتباطات قد تعني أنه لاحقا ستعتريني رغبة العمل هنا ثانية، بينما وبأي حال قد يعني ذلك أنني سأعود للجنوب في وقت قريب نسبيا.

نعم، فأنا لا أخفي عليك حقيقة أنه وبالطريقة نفسها التي أنا نهم بها لطعامي حاليا، فلدي رغبة رهيبة تراودني برؤية أصدقائي ثانية ورؤية الريف الشمالي ثانية.

العمل يجري على ما يرام، وأنا أجد الأشياء التي بحثت عنها لسنين، وأشعر بأنني أفكر دائما بكلمات ديلاكروا التي تعرفها، أنه وجد التصوير حين لم تعد لديه أسنان ولا أنفاس. آه، حسنا، أنا شخصيا مع المرض العقلي الذي لدي، أفكر في العديد من الفنانين الآخرين الذين يعانون عقليا، وأخبر نفسي أن هذا لا يمنع المرء من ممارسة دور الرسام كما لو أن شيئا لم يحدث.

حين أرى أن النوبات هنا تميل لاتخاذ طابع ديني عبثي، فإنني أظن أن هذا يجعل العودة للشمال ضرورية. لا تتحدث عن ذلك كثيرا مع الطبيب حين تراه، لكنني لا أعرف إن كان سبب هذا هو العيش لشهور عديدة في مستشفى آرل وهنا في هذه

الأروقة العتيقة. بأي حال ليس علي العيش في محيط كهذا، يكون الشارع أفضل إذن. لست لا مباليا، وفي المعاناة تعزيني الأفكار الدينية أحيانا لمدى كبير. وهكذا هذه المرة خلال مرضي حدث لي السوء، تلك الطبعة الحجرية لديلاكروا، البييتا، مع أوراق أخرى وقعت في الزيت والألوان وفسدت.

كنت حزينا لذلك، ثم في الوقت الحالي شغلت نفسي بتصويرها، ستراها في يوم ما، على قماشة رقم ٥ أو ٦ صنعت نسخة منها أظن أن بها شعورا، بجانب أنه، وبما أنني رأيت دانيال والحريم منذ وقت ليس بالطويل، وبورتريه بروياس والمرأة الخلاسية في مونبيلييه، فأنا ما زلت تحت الانطباع الذي تركته علي. هذا ما يرشدني، كما تفعل قراءة كتاب جيد مثل كتب بيتشر ستوي أو ديكنز. لكن ما يزعجني هو الرؤية المستمرة لأولئك النساء الطيبات اللاتي يؤمن في "عذراء لورد" ويصطنعن أشياء كهذه، وبقولي لنفسي إنني مأسور في إدارة كهذه، التي تزرع واعية تلك التشوهات الدينية غير الصحية في حين أنها يجب أن تعالجها. لذا فإنني أقول إنه قد يكون من الأفضل أن أذهب، إن لم يكن للخدمة الجزائية فعلى الأقل إلى الكتيبة.

إنني أؤنب نفسي على جبني، كان علي أن أدافع عن الاستوديو بشكل أفضل، حتى إن اضطررت للعراك مع أولئك الدرك والجيران. آخرون في موقعي كانوا سيستخدمون مسدسا، وبالفعل إن قتل المرء المتطفلين من هذا النوع كفنان كان سيحظى بالعفو. كان يجب أن أصنع أفضل من هذا حينها والآن، كنت جبانا وسكران.

مريضا أيضا، لكنني لم أكن شجاعا. ثم إنني في مواجهة معاناة تلك النوبات أشعر بالخوف أيضا، ولذا لا أعرف إن كانت حماستي هي شيئًا مختلفًا عما أقوله، إنها مثل رجل أراد أن ينتحر وحين وجد الماء باردا جدا، صارع من أجل الوصول إلى الضفة ثانية.

لكن اسمع، أن أعيش في نُزُل مثلما رأيت برات حينها، لحسن الحظ لقد مضى ذلك الزمن، لا، وثانية لا.

سيكون أمرا مختلفا إن أراد الأب بيسارو أو فينيون أن يُضيِّفاني في بيتيهما. حسنا فأنا رسام، ويمكن الاعتناء بذلك، ومن الأفضل أن يذهب المال لإطعام الرسامين بدلا من الراهبات الممتازات.

بالأمس سألت السيد بيرون مباشرة: بما أنك ذاهب إلى باريس، ماذا ستقول إن اقترحت عليك أن تأخذني معك؟ أجابني بطريقة مناورة، أنه من التسرع فعل هذا، وأنه يجب أن يكتب إليك أولا.

لكنه طيب ومتسامح معي، وفي حين أنه ليس رئيس المكان هنا، وأبعد من أن يكون، فأنا أدين له بحريات عديدة.

بأي حال، لا يجب أن يصنع المرء اللوحات فقط ولكنه يجب أن يرى الناس، ومن آن لآخر، أن يختلي بهم أيضا، ويستعيد مزاجه ويؤثث نفسه بالأفكار. أترك جانبا أمل ألا تتكرر، على النقيض يجب أن أخبر نفسي من وقت لآخر أنني سأصاب بنوبة. لكن المرء يمكنه في هذا الوقت أن يذهب إلى المصحة أو حتى إلى سجن البلدة، حيث توجد غالبا زنزانة انفرادية. لا تزعج نفسك بأي حال، العمل يجري جيدا، وانظر، لا يمكنني أن أخبرك كم يعطيني ذلك وهجا دافئا أحيانا حين أقول، إنني ذاهب لأصنع هذا أو ذاك، حقول القمح... إلخ.

لقد صنعت بورتريها لعامل، ولدي نسخة منه لك. إنه متباين بوضوح عن البورتريه الذي صنعته لنفسي، الذي فيه النظرة غامضة ومحتجبة، بينما هو لديه لمحة عسكرية، وعينان داكنتان صغيرتان وحيويتان. لقد أعطيته له كهدية، وسأصنع أيضا واحدا لزوجته إن أرادت أن تجلس للرسم. إنها امرأة فانية، بائسة، ومتخلية، وليست شيئا في الواقع، وليست مهمة لدرجة أنني عن نفسي لدي رغبة كبيرة لأرسم نصل العشبة المترب ذلك. لقد تحدثت معها من وقت لآخر حين كنت أصنع شجر الزيتون خلف بيتهم الريفي الصغير، ثم أخبرتني أنها لا تظنني مريضا، بأي حال، كنت ستقول ذلك أيضا في الوقت الحاضر إن رأيتني أعمل، ببال صاف وبأصابع واثقة

لدرجة أنني رسمت لوحة البييتا لديلاكروا دون عمل قياس واحد، على الرغم من وجود أربع أيدٍ وأذرعة، وملامح وأوضاع جسدية ليست سهلة أو بسيطة.

أرجوك أرسل إلي قماشا عما قريب، إن أمكن ذلك، ثم أظنني سأحتاج عشرة أنابيب من الزنك الأبيض أيضا.

بأي حال، إنني أعلم تماما أن الشفاء يأتي، إن كان المرء شجاعا، من الداخل، عبر التخلي العظيم للمعاناة والموت، وعبر هجر إرادة المرء وحبه لنفسه. لكنها لا تأتي إلي، أنا أحب التصوير، وأن أرى الناس والأشياء وكل ما يصنع حياتنا، مصطنع، إن أردتَ. نعم، الحياة الحقة في شيء آخر، لكنني لا أظنني أنتمي إلى ذلك النوع من الأرواح التي هي مهيأة للعيش وأيضا مهيأة في أي لحظة للمعاناة.

يا له من شيء غريب تلك اللمسة، ضربة الفرشاة تلك. خارج الأبواب، مكشوفا للريح، والشمس، وفضول الناس، يعمل المرء قدر استطاعته، ويملأ لوحته مع ذلك. لكن حينها يمسك بالحقيقي والأساسي، هذا هو أصعب شيء. لكن حين يعود المرء لتلك الدراسة ثانية بعد فترة، ويأمر ضربة فرشاته باتجاه المواضيع، بالتأكيد فإن ذلك أكثر تناغما وأجمل للعين، ويضيف المرء إليه مما لديه من السكينة والبسمات.

آه، لن أتمكن أبدًا من ترجمة انطباعاتي عن شخوص بعينها رأيتها هنا. من الأكيد أن الطريق إلى الجنوب هو طريق به شيء طازج، لكن رجال الشمال يواجهون صعوبة في العبور. ويمكنني أن أرى نفسي مقدما، في اليوم الذي سألقي فيه نجاحا، مشتاقا إلى عزلتي وأزمتي هنا حين أرى الحصّاد في الحقل بالأسفل عبر قضبان الزنزانة الانفرادية الحديدية. لكل غيمة حدود فضية.

كي ينجح، وكي يحصل على ازدهار دائم، على المرء أن يتحلى بمزاج مختلف عن مزاجي، لن أفعل أبدا ما كان بإمكاني وكان علي أن أريده وأبحث عنه.

لكن بما أنني أصاب بنوبات من الدوخة غالبا، يمكنني فقط أن أعيش في وضع من الدرجة الرابعة أو الخامسة. بينما أشعر بوضوح بقيمة وأصالة وسمو ديلاكروا وميه

مثلا، فإنني أخبر نفسي، نعم أنا شيء، يمكنني صنع شيء. لكن لا بد أن أجد قاعدة لي في أولئك الفنانين، ثم أنتج القليل الذي أنا قادر عليه بالاتجاه نفسه.

إذن فالأب بيسارو قد ضربه القدر بهاتين الكارثتين في الوقت ذاته.

بمجرد أن قرأت ذلك راودتني فكرة سؤالك إن كانت هناك طريقة للذهاب والبقاء معه. إن دفعت له القدر نفسه الذي تدفعه هنا، فسيجد ذلك يستحق، فأنا لا أحتاج الكثير، عدا العمل. لذا افعل ذلك مباشرة، وإن لم يرد فسأذهب طواعية لفينيون.

إنني خائف قليلا من بون أفون، ثمة العديد من الناس هناك. لكن ما تقوله عن جوجان يثير اهتمامي كثيرا. وما زلت أخبر نفسي أنني وجوجان ربما سنعمل معا ثانية. عن نفسي أعرف أن جوجان يمكنه أن يصنع أشياء أفضل مما صنعه، لكن كيف نطمئنه! ما زلت أتعشم صناعة بورتريه له. هل رأيت ذلك البورتريه الذي صنعه لي وأنا أرسم عباد الشمس؟ لقد أضاء وجهي كثيرا منذ ذلك الوقت، لكنه كان يشبهني بحق، متعبا للغاية ومشحونا بالكهرباء كما كنت حينها.

ولكن كيما ترى الريف يجب عليك أن تعيش مع البسطاء في البيوت الصغيرة والبارات... إلخ. وهذا كان ما قلته لبوش، الذي اشتكى من أنه لا يرى ما يغريه أو يصنع انطباعا عليه. أمشي معه ليومين وأريه ثلاثين لوحة ليصنعها، مختلفة عن الشمال باختلاف المغرب عن الشمال. أشعر بالفضول لمعرفة ما الذي يفعله في الوقت الحاضر.

وهل تعرف لماذا لوحات إيه. ديلاكروا، اللوحات التاريخية والدينية، مركب المسيح، البييتا، والصليبيون، لها تلك الجاذبية؟ لأن إيه. ديلاكروا، عندما يصنع الجثسمانية، يريد أن يرى في البقعة أما كيف كان يبدو بستان من الزيتون، والأمر ذاته بالنسبة للبحر المخفوق بميسترال قوية، ولأنه قد قال لنفسه، أولئك الناس الذين يتحدث عنهم التاريخ، وقضاة البندقية، والصليبيون، والحواريون، والنساء

المقدسات، كانوا من النوع نفسه وعاشوا بالطريقة نفسها التي يعيش بها من انحدروا عنهم في الوقت الحاضر.

لذا علي أن أخبرك، ويمكنك رؤية ذلك في "الهدهدة"، مهما تكُن تلك المحاولة ضعيفة وفاشلة. إن كانت لي القوة للاستمرار، كنت سأصنع بورتريهات لقديسين وقديسات من الحياة، وكانوا سيظهرون كأنهم من قرن آخر ومع ذلك سيكونون مواطنين من الزمن الحاضر، ومع ذلك كانوا سيحوزون شيئا مشتركا مع المسيحيين الأوائل.

العواطف التي يسببها ذلك قوية بما يكفي لئلا أقدر عليها، لكن لاحقا، لاحقا، لا أقول إنني لن أقدم على هجوم طازج.

كم كان فرومنتان رجلا عظيما، لأجل أولئك الذين يريدون رؤية الشرق سيظل هو دائما مرشدا. لقد كان أول من عقد علاقات بين رامبرانت والجنوب، بين بوتر وما رآه بنفسه.

أنت محق ألف مرة، لا يجب أن يفكر المرء بكل هذا، يجب أن يفعل، حتى إن كانت دراسات للكرنب والسلاطة لتهدئة المرء قليلا، وبعد أن يهدأ، يصنع ما هو قادر عليه.

حين أراها ثانية سأصنع نسخا لتلك الدراسة التي لجهد تاراسكون، الكرم، الحصاد وفضلا عن كل هذا الحانة الحمراء، وذلك المقهى الليلي المميز فيما يخص اللون. لكن الشخص الأبيض في المنتصف، الصحيح فيما يخص اللون، لا بد من إعادة رسمه، ببنية أفضل. لكنني أجرؤ على قول إن تلك لمحة من الجنوب الحقيقي، وخلطة محسوبة من درجات الأخضر والأحمر.

لقد أنهكت بشدة سريعا، لكنني يمكنني أن أرى عن بعد إمكانية لصناعة الآخرين لأشياء جميلة لما لا نهاية. وثانية وثانية تظل تلك الفكرة صحيحة، أنه كيما نسهل رحلة الآخرين سيكون من الجيد إنشاء استوديو في مكان ما من تلك البقاع.

أن ترحل من الشمال إلى إسبانيا مباشرة، على سبيل المثال، ليس جيدا، لن يرى المرء هناك ما عليه أن يراه، يجب على المرء أولا وتدريجيا أن يعوّد عينيه على الضوء المختلف.

أنا شخصيا ليست بي حاجة كبيرة لرؤية أعمال لتيتان وفيلاسكيز في المتاحف، لقد رأيت أنماطا حية محددة جعلتني أعرف أفضل الآن ما هي اللوحة المصنوعة من الجنوب أكثر مما كنت أعرف قبل رحلتي الصغيرة.

يا إلهي، يا إلهي، الجيدون ضمن الفنانين الذين يقولون إن ديلاكروا ليس من الشرق الحقيقي! انظر، هل الشرق الحقيقي إذن هو ما يصنعه الباريسيون مثل جيروم؟

لأنك تصور قطعة من جدار مشمس، حتى لو من الحياة وجيد وحقيقي وفقا لطريقتنا الشمالية في النظر، هل يثبت ذلك أيضا أنك قد رأيت الناس في الشرق؟ هذا ما كان ديلاكروا يبحث عنه هناك، والذي لم يمنعه إطلاقا من تصوير جدران في العرس اليهودي والحريم.

أليس هذا حقيقيا، ثم يقول ديجا إن الشرب في الحانات في أثناء صناعة اللوحات باهظ الثمن، لا أعارض، لكن هل سيدعني إذن، أذهب للممرات أو الكنائس، هناك سأكون أنا من يشعر بالخوف.

لهذا أبذل جهدا للهرب عبر الخطاب الحالي، مصافحات كثيرة لك ولجو.

المخلص لك أبدا،
فنسنت

ما زلت يجب أن أهنئك بمناسبة عيد ميلاد أمي، لقد كتبت لهم بالأمس لكن الخطاب لم يذهب بعد، لأنني لم أكن في مزاج يسمح بإنهائه.

من الغريب أن الفكرة راودتني مرتين أو ثلاثًا من قبل، أن أذهب إلى بيسارو، هذه المرة، بعد أن أخبرتني بمصائبه الأخيرة، لا أتردد أن أطلب ذلك منك.

نعم يجب أن ننتهي مما هنا، لم أعد قادرا على فعل الشيئين معا، أن أعمل وأفعل كل ما بوسعي لأعيش مع المرضى الغريبين هنا، إنه مما يخلخل الاتزان. أود لو أجبر نفسي على نزول السلالم، لكن لا طائل من ذلك. ومع ذلك فقد مر شهران منذ أن خرجت للهواء الطلق.

على المدى الطويل هنا سأخسر قدرتي على العمل، الآن، ها أنا قد بدأت بالتوقف، ولذا سأرفض عرضهم، إن وافقت. وأن ندفع لهذا أيضا، كلا، ثم سيوافق أحد الفنانين الواقعين في المصائب على إنشاء بيت معي.

لحسن الحظ، يمكنك أن تكتب أنك وجو بخير، وأن أختها معكما. أود كثيرا أن أكون قد عدت حين يصل ابنكما، ليس معك، بالتأكيد لا، ليس هذا ممكنا، لكن في المنطقة التي حول باريس مع رسام آخر.

يمكنني، لأذكر شخصا ثالثا، أن أذهب وأعيش مع جوف، الذي لديه العديد من الأطفال وبيت كامل.

ستفهم أنني حاولت أن أقارن النوبة الثانية بالأولى، وأقول لك هذا فقط: تبدو لي أنها نوع من تأثير الخارج وليس سببها من داخلي. قد أكون مخطئا، لكن أيا كانت الحال أظنك ستعتبر من الحق أنني مرتعب قليلا من كل المبالغات الدينية. لا يمكنني أن أتوقف عن التفكير بأندريه بونجر الطيب، حين كان يصرخ عاليا كلما أراد أحد أن يجرب نوعا من المراهم أو شيئا آخر عليه. السيد بيرون الطيب سيخبرك بكومة من الأشياء، عن إمكانيات واحتمالات الأفعال اللا إرادية. جيد، لكن إن كان محددا فلن أصدق شيئا من ذلك. وسنرى إن كان ما يحدده محددا. العلاج الذي يقدمه المستشفى للمرضى سهل اتباعه، حتى في أثناء رحلة، فهم لا يفعلون شيئا، يتركون المرضى عاطلين لينموا كالنبات، ويطعمونهم طعاما بائتا وفاسدا قليلا. وسأخبرك الآن أنني منذ اليوم الأول رفضت أكل هذا الطعام، وحتى أصبت بالنوبة لم آكل شيئا سوى الخبز والقليل من الحساء، وهو ما سأستمر بفعله ما دمت هنا. من الحقيقي أنه بعد تلك النوبة أعطاني السيد بيرون بعض النبيذ واللحم، ما قبلته طواعية في هذه الأيام

الأولى لكن لم أكن سأريد أن أخل بتلك القاعدة لوقت طويل، والصحيح أن نحترم المؤسسة وفقا لنظامها العادي. يجب أن أقول أيضا إن السيد بيرون لا يعطيني الكثير من الأمل في المستقبل، وهو يجعلني حقيقة أشعر بأن كل شيء مشكوك في أمره، وأنه لا شيء يمكن تأكيده مقدما. لكنني عن نفسي أتحسّب لتكرار النوبة، لكن العمل فقط يشغلني بعمق لدرجة أنني أظن أنها ستستمر كذلك لوقت طويل واضعين في الحسبان الجسد الذي لدي. إن التبطل الذي ينمو فيه أولئك المساكين كالنباتات، يشبه الطاعون، وها هي الحال، إنه شر عام في البلدات ومناطق الريف تحت تلك الشمس القوية، وبعد أن فهمت أن الحال تختلف من الواجب مقاومتها، بالتأكيد بالنسبة لي. أنهي هذا الخطاب بشكرك ثانية على خطابك وأطلب منك أن تكتب لي قريبا، والعديد من المصافحات لك.

٨٠٤ | سان ريمي دو بروفانس، الخميس، ١٩ سبتمبر ١٨٨٩
إلى ويليماين فان جوخ (F)

أختي العزيزة،

لقد حاولت أكثر من مرة، في الفترة منذ خطابي الأخير، أن أكتب لك ولأمي. لذا أشكرك لأنك كتبت لي ثانية ذلك الخطاب الطيب. كم أظنه صحيحا أنك وأمي غادرتما بريدا لفترة بعد مغادرة كور. لا بد ألا يعلو الحزن في قلبيكما مثل الماء في حوض عكر. من آن لآخر أشعر بذلك في داخلي، كما لو أن لدي روحا عكرة جدا، لكن ذلك مرض، وبالنسبة للناس الأصحاء والنشيطين، بالتأكيد عليهم أن يفعلوا كما فعلتما.

بينما أكتب لأمي فسأرسل إليها لوحة في غضون شهر، وستكون هناك لوحة لك أيضا.

لقد رسمت قليلا لنفسي، أيضا، في هذه الأسابيع الماضية، لا أحب رؤية لوحاتي في غرفة نومي، لذا قد نسخت لوحة لديلاكروا وبضع لوحات لميه.

لوحة ديلاكروا هي البييتا، أي المسيح ميتا مع ماتر دولوروسا. الجثة المنهكة ترقد منحنية للأمام على جانبها الأيسر عند مدخل كهف، يداها ممدودتان، والأم تقف وراءها. لقد مر مساء منذ العاصفة، وهذا الشخص المغطى بالأزرق، الخرِب بارزا، ملابسها الفضفاضة منتفخة بفعل الريح، على خلفية سماء بها تطفو سحابات بنفسجية محددة بالذهب. في لفتة عظيمة من الحزن هي أيضا تمد ذراعيها الخاليتين، ويمكن للمرء رؤية يديها، يدي امرأة عاملة قويتين وصلبتين. بملابسه الفضفاضة هذا الشخص له عرض مماثل في امتداده للطول. وبينما وجه الميت في الظل، فإن رأس المرأة الشاحبة يبرز مضيئًا على خلفية سحابة، وهو تعارض يجعل ذينك الرأسين يبدوان كزهرة داكنة مع زهرة فاتحة، مرتبَين بشكل معبر ليظهرا بشكل أفضل. لا أعرف ما جرى لهذه اللوحة، لكن بينما كنت أعمل عليها مررت بمقالة لبيير لوتي، مؤلف "أخي إيف" و"صياد الجزيرة" و"السيدة أقحوان".

مقال له عن كارمن سيلفا.

إن لم تخني الذاكرة، فأنت قد قرأت قصائدها. إنها ملكة، إنها ملكة المجر ودولة أخرى (لا أعرف أي دولة)، وفي وصف غرفتها، أو بالأحرى الاستوديو حيث تكتب وتصنع لوحاتها، يقول لوتي إنه رأى لوحة ديلاكروا تلك هناك، والتي أدهشته كثيرا.

ويتحدث عن كارمن سيلفا، جاعلا المرء يشعر بأنها أكثر إثارة للاهتمام من كلماتها، مع أنها تقول أشياء كهذه: امرأة دون طفل هي جرس دون لسانه، صوت البرونز قد يكون جميلا جدا، لكن...

بأي حال، يسعد المرء لمعرفة أن لوحة كهذه في أيدٍ أمينة، ويعزي الرسام كثيرا أن يتصور أن ثمة أرواحًا لها مشاعر ناحية اللوحات.

لكن ثمة القليل من تلك نسبيا.

لقد فكرت في أن أرسل إليك اسكتشًا لأعطيك فكرة عمن هو ديلاكروا. هذه النسخة بالطبع ليست لها أي قيمة من أي وجهة نظر. بأي حال، سيمكنك رؤية أن ديلاكروا لا يرسم ملامح ماتر دولورسا بطريقة التماثل الرومانية،

وأن المنظر الشاحب، والنظرة الضائعة الغامضة لشخص متعب من الألم ودامع ويسهر جوار جثة، حاضرة فيها بدلا من طريقة جيرمني لاسيرتوه.

أظنه من الجيد جدا ومن حسن الطالع أنك لست متحمسة لكتاب دو جونكور العظيم. من الأفضل بمراحل أنك تفضلين تولستوي، أنت التي تقرئين الكتب علاوة على كل شيء كيما تشتقي منها الطاقة للفعل. أظنك محقة ألف مرة.

لكن أنا، الذي يقرأ الكتب ليبحث فيها عن الفنان الذي صنعها، هل أنا مخطئ بمحبة الروائيين الفرنسيين كثيرا؟

لقد انتهيت لتوي من بورتريه لامرأة أربعينية أو يزيد، مغمورة. الوجه شاحب ومتعب، مخدد، وله صبغة زيتونية، مدبوغ بالشمس، وشعر أسود.

فستان أسود رث مزين بزهور إبرة الراعي الرقيقة الوردية، والخلفية درجة محايدة بين الأخضر والوردي.

لأنني أحيانا أرسم هكذا، بالدراما القليلة الموجودة بنصل مترب من العشب على جانب الطريق، من الصحيح كما يبدو لي، أن أحوز إعجابا لا محدودا بدو جونكور، وزولا، وفلوبير، وموباسان، وأويسمان. أما بالنسبة لك، لا تتعجلي، واستمري مع الروس. هل قرأت "ديني" لتولستوي بعد، لا بد أنه عملي جدا ومفيد بحق. لذا اذهبي لأعماق هذا، بما أنك تحبينه.

مؤخرا صنعت بورتريهين لنفسي، أحدها يبرز الشخصية، كما أظن، لكن في هولندا سيهزؤون على الأرجح بفكرة البورتريه التي تنبت هنا. هل رأيت عند تبو بورتريهًا للرسام جيومان وبورتريهًا لامرأة شابة للفنان نفسه؟ هذا يعطيك فكرة بحق عما يبحث عنه المرء. حين عرض جيومان البورتريه، ضحك الجمهور والفنانون منه

كثيرا، ومع ذلك فهو أحد الأشياء النادرة التي تقف بجوار حتى الهولنديين القدامى مثل رامبرانت وهالز.

أنا شخصيا ما زلت أجد الصور الفوتوغرافية مريعة ولا أحب أن أحوز أيا منها، خاصة لأناس أعرفهم وأحبهم.

هذه البورتريهات، أولا، تذوي أسرع منا، بينما البورتريه المرسوم يظل لأجيال عديدة. بجانب أن بورتريها مرسوما هو شيء من الشعور مصنوع بحب أو احترام للشخص الذي يصوره. ماذا بقي لنا من الهولنديين القدامى؟ البورتريهات.

وهكذا في عائلة موف سيواصل الأطفال رؤيته في البورتريه الذي صنعه ميسكر له بجودة عالية.

في هذه اللحظة استلمت خطابا من تيو يجيبني فيه على موضوع ما قلته حول رغبتي في العودة إلى الشمال لفترة. من المرجح أن يحدث ذلك، ولكن متى، يعتمد هذا على الفرص التي هناك كيما أذهب وأعيش مع أحد الفنانين.

لكن كما نعلم ثمة العديد منهم ومن المفيد أحيانا أن نعيش في أزواج، لن يستغرق هذا طويلا.

أخيرا، أقول لك "إلى لقاء قريب" شاكرا إياك ثانية على خطاباتك.

لا أعرف بعد أي لوحة سأرسلها إليك وإلى أمي، على الأرجح حقل قمح وبستان زيتون مع نسخة ديلاكروا تلك.

الطقس بالخارج رائع وكان رائعا لمدة طويلة، لكنني لم أغادر غرفتي لشهرين، لا أعرف لماذا.

أحتاج الشجاعة، وأنا مفتقر إليها.

منذ أن مرضت، وشعور الوحدة ينتابني في الحقول بطريقة مخيفة لدرجة أنني أتردد في الخروج. مع الوقت، سيتغير ذلك أيضا. فقط أمام الحامل بينما أرسم أشعر ببعض من الحياة.

بأي حال، سيتغير ذلك مرة أخرى، لأن صحتي جيدة وسيفوز الجسدي مرة أخرى.

أقبلك بحب، وسأكتب أكثر قريبا.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨٠٥ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الجمعة، ٢٠ سبتمبر ١٨٨٩

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكرك كثيرا على خطابك. أولا، يسعدني كثيرا أنك، من طرفك، قد فكرت بالفعل بالأب بيسارو.

سترى أن ثمة إمكانيات أخرى، إن لم يكن هناك ففي مكان آخر. العمل هو العمل، وأنت تطلب مني أن أبت في الأمر، وأنت محق في ذلك، بخصوص موافقتي على الذهاب لمصحة في باريس إن انتقلت مباشرة هذا الشتاء.

وجوابي على ذلك هو نعم، بالهدوء نفسه وللأسباب نفسها لدخولي لهذه المصحة هنا، على الرغم من أن تلك المصحة في باريس قد لا تكون مثالية، وهو ما قد يكون عليه الحال بسهولة، لأن فرصة العمل ليست سيئة هنا، والعمل هو إلهائي الوحيد.

لكن بما أنني قلت هذا، فسأشير إلى أنني في خطابي أبديت دافعا جادا كسبب لرغبتي في الانتقال.

وأنا مصر على تكراره، إنني مندهش من أنه ومع أفكاري الحديثة، وكوني معجبًا بزولا، ودو جونكور وبالأشياء الفنية التي أشعر بها كثيرا، فإنني أصاب بنوبات كما قد يصاب شخص متطير، وإن أفكارا دينية بشعة، ومختلطة، تنتابني كما لم يحدث لي قط في الشمال.

وبافتراض أن كوني حساسًا للأشياء المحيطة، والإقامة الطويلة في هذه الأروقة العتيقة التي هي المستشفى في آرل وبيتي هنا قد تكون أسبابا كافية لشرح تلك النوبات، إذن، وحتى كوسيلة مؤقتة، قد يكون من الضروري الذهاب إلى مصحة عامة في الوقت الحالي.

مع هذا، ولتفادي العجلة أو الظهور بمظهر المتعجل، فأنا أعلن لك، بعد أن حذرتك مما قد أرغب فيه عند نقطة محددة، أي الانتقال، فأنا أعلن لك أنني أشعر بالهدوء الكافي والثقة لأنتظر لفترة أطول كي أرى إن كنت سأصاب بنوبة في هذا الشتاء.

لكن إن حدث حينها وكتبت لك: أريد الخروج من هنا، فلن تتردد وسيتم ترتيب الأمر مقدما، لأنك ستعرف حينها أن لدي سببا جادا، أو حتى عدة أسباب، كيما أذهب لمنزل لا يدار كهذا من قبل راهبات، مهما كن ممتازات.

الآن إن حدث وانتقلنا عاجلا أم آجلا بهذا الترتيب أو ذاك، فدعنا نبدأ إذن كما لو لم يكن شيء قد حدث، في الوقت نفسه يجب أن نكون حذرين وجاهزين للإنصات لأقل شيء يقوله ريفيه، لكن دعنا لا نبدأ فورا باتخاذ إجراءات رسمية كما لو كانت قضية خاسرة.

أما عن الإفراط في الطعام، فأنا أفعل ذلك، لكن إن كنت طبيبي الخاص كنت سأمنع ذلك.

لا أرى أي خير لنفسي في القوة الجسدية الهائلة، لأنني مستغرق في فكرة العمل الجيد والرغبة في أن أكون فنانا ولا شيء غير هذا، سيكون هذا أكثر الخيارات منطقية.

أمي وويل، قد هيرتنا بيتهما بعد مغادرة كور، وكانتا محقتين. لا يجب أن ينمو الحزن في أرواحنا مثل ماء مستنقع. لكن الانتقال أحيانا ما يكون باهظ الثمن ومستحيلا في آن.

لقد كتبت لي ويل بوضوح، أن مغادرة كور كانت حزنا عظيما لهما.

من الغريب أنني في اللحظة نفسها التي كنت أصنع فيها نسخة للبييتا لديلاكروا اكتشفت أين هو مكان هذه اللوحة. إنها في حيازة ملكة المجر ودولة أخرى التي كتبت قصائد باسم كارمن سيلفا. المقال الذي تحدث عنها وعن اللوحة كتبه بيير لوتي، الذي جعل المرء يشعر بأن كارمن سيلفا كانت شخصا أكثر إثارة للمشاعر مما تكتبه، مع أنها تكتب أشياء مثل هذا: المرأة دون طفل كالجرس دون لسانه، صوت البرونز قد يكون جميلا لكن لن يسمعه أحد.

في الوقت الحالي لدي سبع نسخ من أصل عشر لعمل مييه "أعمال الحقول".

يمكنني أن أؤكد لك أنها مثيرة للاهتمام بالنسبة لي لدرجة عمل النسخ، وبما أنني ليس لدي موديلات في الوقت الحالي فستؤمن لي، مع ذلك، ألا أفقد قدرتي على عمل الشخص.

فضلا عن هذا، ستعطيني ديكورا للاستوديو لنفسي أو لأحد غيري.
أود أيضا أن أنسخ البذّار والحفارين.
ثمة صورة فوتوغرافية للحفارين عن الرسم.
ونقش ليرا للبذّار عند ديوراند رويل.

في تلك النقوش نفسها ثمة الحقل تحت الجليد مع فأس. ثم أوقات النهار الأربعة، ثمة أمثلة لها في مجموعة الحفر على الخشب.

أود أن أحصل على كل هذا، على الأقل النقوش والمحفورات على الخشب. إنها دراسة أحتاجها، لأنني بحاجة للتعلم. مع أن النسخ قد يكون من النظام القديم، لا يزعجني ذلك البتة. سأقوم بنسخ لوحة ديلاكروا "السامري الطيب" أيضا.

لقد صنعت بورتريها لامرأة، زوجة عامل النظافة، التي أظنك ستحبها. لقد صنعت نسخة منها لم تكن بجودة التي صنعتها من الحياة.

وأخشى أنهم سيأخذون الأخيرة، كنت أود لو أخذتها أنت، إنها بالوردي والأسود.

اليوم أرسل إليك بورتريها لنفسي، يجب أن تطيل النظر إليه، سترى كما أتمنى، أن ملامحي أصبحت أهدأ بكثير، على الرغم من أن النظرة قد تكون أكثر غموضا مما مضى، كما يبدو لي. ولدي واحدة أخرى هي محاولة قمت بها حين كنت مريضا. لكنني أظن هذه ستسعدك أكثر، وقد حاولت أن أخلق شيئا أبسط، اعرضها على الأب بيسارو إن رأيته.

ستندهش من التأثيرات التي اتخذتها "أعمال الحقول" في اللون، إنها إحدى سلاسله الحميمة.

ما أبحث عنه فيها، وسبب أنها تبدو لي جيدة للنسخ، سأحاول أن أخبرك به. نحن الرسامين يُطلب منا أن نهدئ أنفسنا وألا نكون سوى مؤلفين.

حسنا، لكن في الموسيقى ليس هذا هو الحال، وإن قام شخص بعزف بعض من موسيقى بتهوفن فسيضيف تفسيره الخاص إليها، في الموسيقى وبالطبع في الغناء، يكون تفسير المؤلف مهما، وليس من الصعب ولا هو قانونا لازما أن يقوم المؤلف بعزف تأليفه فقط.

جيد، لأنني علاوة على كل شيء في الحاضر، أحاول أن أقوم بشيء يعزيني لمتعتي الخاصة.

أضع الأبيض والأسود لديلاكروا أو مييه أو نسخا عنها أمامي كموضوع. ثم ارتجل اللون عليها، لكن بطابعي أنا، ليس تماما بالطبع، لكن باحثا عن ذكريات للوحاتهم، لكن الذاكرة، والتوافق الغامض للألوان التي لها العاطفة نفسها، إن لم يكن صحيحا، فهذا هو تفسيري الخاص.

العديد من الناس لا ينسخون. والعديد منهم ينسخ، بالنسبة لي، فأنا قمت بذلك من قبيل الصدفة، وأجد أن ذلك يعلمني، وفضلا عن هذا يعزيني.

وحينها تتحرك فرشاتي بين أصابعي كما لو كانت قوس كمان وخالصة لمتعتي. اليوم حاولت أن أصنع حلاق الخراف بطيف ألوان يتدرج من الليلكي للأصفر. إنها لوحات صغيرة، نحو رقم خمسة.

أشكرك كثيرا على طلبية القماش والألوان. من جهة أخرى، سأرسل إليك بعض اللوحات مع البورتريه، التالية:

شروق القمر (أكوام القمح)

دراسة للحقول

دراسة لأشجار الزيتون

دراسة ليل

الجبل

حقل من القمح الأخضر

أشجار الزيتون

بستان مزهر

مدخل المحجر

اللوحات الأربع الأولى هي دراسات ليس لها تأثير المجموعة كالأخريات. عن نفسي فأنا أحب "مدخل المحجر" التي قمت بها حين شعرت ببداية النوبة، لأنه بالنسبة لذوقي فإن الأخضر الغامق يتماشى جيدا مع درجات المغرة، ثمة شيء حزين فيها وهو شيء صحي، لهذا لا تزعجني. ربما الحال نفسها مع الجبل. سيقول لي الناس إن الجبال ليست بهذا الشكل، وأن ثمة خطوطًا خارجية سوداء بسماكة الأصبع. لكنها بأي حال بدت لي تعبر عن الفقرة في كتاب رود، وهي إحدى الفقرات النادرة له التي أظنها جيدة، في أرض مفقودة في الجبال الداكنة التي لاحظ فيها المرء أكواخا داكنة لرعاة الماعز، حيث يزهر عباد الشمس.

أشجار الزيتون مع السحاب الأبيض وخلفية الجبال، كما شروق القمر وتأثير الليل.

هذه مبالغات من وجهة نظر الترتيب، خطوطها ملتوية مثل تلك التي في الطبعات الخشبية العتيقة. أشجار الزيتون بارزة الشخصية، كما في الدراسة الأخرى وقد حاولت أن أعبر عن الوقت الذي يمكن للمرء فيه رؤية الخنافس الخضراء والجنادب تطير في الحر.

اللوحات الأخرى، الحصّاد... إلخ، ليست جافة. والآن في الموسم السيئ سأقوم بعمل العديد من النسخ، لأنني حقا يجب أن أقوم بعمل على الشخوص أكثر من ذلك. إن دراسة الشخوص هي ما يعلم المرء أن يتقن الأساسي ويبسط.

حين تقول في خطابك إنني لم أفعل سوى العمل، لا، ليس هذا صحيحا، أنا عن نفسي غير راض بالمرة عن عملي، والشيء الوحيد الذي يعزيني هو أن الخبراء يقولون إن على المرء أن يرسم لعشر سنوات مقابل لا شيء. لكن ما فعلته هو تلك السنوات العشر من الدراسات البائسة التي لم تجلب شيئا. الآن قد تأتي فترة أفضل، لكن سيكون علي أن أقوي عمل الشخص، ولا بد أن أنعش ذاكرتي بدراسة عن كتب لديلاكروا وميبه. ثم سأحاول أن أرتب رسمي. نعم، لكل غيمة حدٌّ فضي، تمطي المرء وقتا أكثر للدراسة.

إنني أيضا أضيف دراسة للزهور إلى لفة اللوحات، ليست جيدة، لكنني لا أريد أن أمزقها بأي حال.

فضلا عن كل شيء فإن تلك التي أعتبرها جيدة قليلا هي حقل القمح، والجبل، والبستان، وشجر الزيتون مع التلال الزرقاء والبورتريه ومدخل المحجر، والبقية لا تخبرني بشيء، لأنها تفتقر إلى الإرادة الشخصية، والشعور في الخطوط. حيث تقترب تلك الخطوط من بعضها وتكون واعية، تبدأ اللوحة، حتى إن كانت مبالغًا فيها. هذا ما يشعر به برنار وجوجان قليلا، لن يسألا عن الشكل الصحيح لشجرة أبدا، لكنهما يصران تماما على أن يقول المرء إن كان الشكل دائريا أم مربعا،

وصدقني، هما محقان، ضائقان بكمال بعض الناس السخيف والفوتوغرافي. لن يسألا عن درجة الجبال الصحيحة لكن سيقولان: لأجل المسيح، إن كانت الجبال زرقاء، فلطخها ببعض الأزرق ولا تقل لي إنها كانت زرقاء قليلا كهذا أو ذاك، كانت زرقاء أليس كذلك؟ حسنا، اجعلها زرقاء وهذا كاف! جوجان عبقري أحيانا حين يشرح بهذه الطريقة، لكن بالنسبة للعبقرية التي لدى جوجان، فهو يتخوف من إظهارها أحيانا، ومن المؤثر كم يحب أن يساعد الشباب. يا له من شخص غريب مع ذلك.

يسعدني كثيرا أن جو بخير، وأظنك ستشعر بارتياح كبير حين تفكر بحملها، وبطبيعة الحال ستقلق حيال ذلك أيضا، بدلا عن كونك وحيدا ستنشغل بهموم العائلة تلك. فأنت ستشعر باقترابك من طبيعة الحياة.

حين يفكر المرء بميبه وديلاكروا، يا له من تباين. ديلاكروا دون زوجة، دون أطفال، ميبه في عائلته تماما، أكثر من أي شخص آخر.

ومع ذلك كم هما متشابهان في أعمالهما.

إذن فجوف احتفظ بالاستوديو الكبير ويعمل على ديكورات.

لقد اقترب كثيرا من أن يكون رساما ممتازا. إن مشكلته تكمن في المال، من أجل أن يأكل هو مضطر لأن يفعل ألف شيء سوى التصوير، ما يكلفه مالا أكثر مما يحصل عليه حين يصنع شيئا جميلا.

وهو يخسر لمسته في الرسم بالفرشاة سريعا. ربما سبب هذا أسلوب التمرين القديم، وهو نفسه الأسلوب الحالي، في الاستوديوهات، يملؤون الخطوط الخارجية. ودوميه كان دوما يصور وجهه في المرآة ليتعلم كيفية الرسم!

أتعلم أنني أفكر أحيانا، ما اعتدتُ أن أقوله له في الأيام الخوالي، إنني إن لم أنجح فأظن ما عملت عليه سيستمر. ليس مباشرة، لكن المرء ليس وحيدا في تصديق الأشياء الحقيقية. وماذا يشكل المرء من أهمية وحيدا إذن؟ أشعر بقوة أن حكاية الناس

كحكاية القمح، إن لم يُبذَر المرء في الأرض لينبت هناك، فماذا يهم سوى ذلك، يُطحَن المرء ليكون قمحا.

الفارق بين السعادة والتعاسة، اثناهما مفيد وضروري، والموت أو العبور. الأمر نسبي، وهكذا هي الحياة. حتى في مواجهة مرض مخلخل أو مقلق، تقف هذه العقيدة بثبات.

كنت سأحب أن أرى لوحات مونيه تلك.

حسنا، ليكن مفهوما أنني إن كتبت لك ثانية بشكل واضح ووجيز أنني أريد الذهاب إلى باريس، فسيكون لدي سبب لهذا، والذي شرحته أعلاه، أنه في الوقت الحالي ليس ثمة عجلة كبيرة، وأنا واثق تماما، بعد أن حذرتك، في أنني سأنتظر مرور الشتاء والنوبة التي قد تتكرر حينها. لكن إن أصابتني نوبة أخرى من السمو الديني، إذن فلا يجب أن أتأخر، أود أن أغادر فورا دون إعطاء أسباب. فنحن لا حق لنا، على الأقل سيكون ذلك من الحمق، أن نتدخل في إدارة الراهبات أو حتى أن ننتقدهن. إن لهن عقيدتهن الخاصة وطريقتهن في إسداء الخير للآخرين، أحيانا يقمن بذلك جيدا. لكنني لا أحذرك باستخفاف. والأمر ليس كي أكتسب حرية أخرى أو شيئا آخر ليس لدي. لذا دعنا ننتظر بهدوء جم حتى تقدم الفرصة نفسها لإيجاد مكان.

إنه تقدم كبير أن تعمل معدتي جيدا، وهكذا لا أظنني سأكون حساسا للبرد. ثم إنني أعلم ما علي فعله حين يكون الطقس سيئا، فأنا لدي خطة لنسخ عدة أشياء لدي.

سأود كثيرا أن أرى نسخ مييه في المدارس، أظن أن ثمة أطفالًا سيصبحون رسامين إن رأوا أشياء جميلة.

أبلغ تحياتي الدافئة لجو، مصافحة، وسأكتب أكثر قريبا.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨١١ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الاثنين، ٢١ أكتوبر ١٨٨٩
إلى أنّا فان جوخ-كاربينتوس (D)

امي العزيزة،

أردت أن أكتب لك مرة أخرى بينما ما زلت في البيت القديم، لأشكرك على خطابك الأخير وأخبار وصول كور بالسلامة.

أظنه سيعمل هناك بحماس ويحصل على بعض المتع في حياته من آن لآخر. ما يكتبه لك يذكرني بما أخبرني به صديقي جوجان عن بنما والبرازيل. لم أعرف أن إيزاكسون ذاهب أيضا إلى ترانسفال. أنت تعرفين أنني لم ألتق به شخصيا قط، لكنني كتبت لها مؤخرا بسبب أنه ينوي الكتابة عن عملي في جريدة هولندية، ما طلبت منه ألا يفعله، لكن في الوقت نفسه لأشكره لتعاطفه المخلص، لأننا من البداية فكرنا بعمل بعضنا البعض وكانت لدينا الأفكار نفسها عن الهولنديين القدماء، والرسامين الفرنسيين الحاليين.

وأنا أحب أيضا عمل دي هان كثيرا.

الآن يمكنني أن أعلمك أن ما وعدتك به جاهز تماما، أي خمسًا من دراسات المناظر الطبيعية وبورتريهًا صغيرًا لنفسي ودراسة داخلية، أخشى ألا تعجبك، مع ذلك، وأشياء قليلة تبدو لك غير مهمة وقبيحة. يمكنك وويل أن تفعلا بها ما تريدان، وأن تعطيا الأخوات الأخريات بعضا منها إن أحببتما، لهذا سأرسل أكثر قليلا.

لكن ذلك لا يهمني، فقط أردت أن أتأكد من وجود بعض من عملي في العائلة، وأنا أحاول فقط أن أشكل بضعة أشياء على هيئة مجموعة أفضل أن أراها معا حتى تصبح أكثر أهمية مع الوقت. وأنا متفهم مقدما أنك قد لا تجدين مكانا كافيا لكل الست، وهكذا فافعلي بها ما تريدين. لكنني أنصحك بإبقائها معا، على الأقل لمدة، لأنك هكذا ستتمكنين من الحكم بأيها تحبين على المدى الطويل.

أشعر بالأسف لمعاناة الخالة مينا، كما كتبت، لقد مرت سنوات عديدة منذ رأيتها.

إنني متفق معك بالتأكيد على أن تيو أفضل حالا من ذي قبل، وأتمنى أن يجري كل شيء على ما يرام في بقائه مع جو، ثم سيصبحان مستقرين لفترة طويلة. من الجيد دائما أن نختبر كيف يأتي كائن بشري إلى العالم، وهذا يؤدي بالكثير من الشخصيات للسلام والحقيقة.

الريف هنا جميل جدا في الخريف، والأوراق الصفراء. أنا فقط حزين لعدم وجود كروم أكثر من ذلك هنا، على الرغم من أنني ذهبت ورسمت واحدا على بعد عدة ساعات. ما يحدث هو أن حقلا كبيرا يتحول بالكامل إلى البنفسجي والأحمر، مثل زاحفات فرجينيا في الوطن، وبجواره مربع أصفر وعلى بعد أكثر رقعة لم تزل خضراء.

كل هذا تحت زرقة رائعة للسماء، وصخور ليلكية على المدى. في العام الماضي كانت لدي فرصة أفضل من الآن لتصوير كل هذا.

كنت أود أن أضمن شيئا كهذا فيما سأرسله إليك، لكنني سأدين لك بها حتى العام القادم.

سترين من بورتريه صغير لي أضمّنه أنه وعلى الرغم من أنني رأيت باريس، ولندن، والعديد من المدن الكبيرة، ومكثت في بعضها لسنوات، فإنني ما زلت أبدو بشكل أو بآخر كذلك المزارع من زوندرت، أو من تون، أو بيت برينز، مثلا، وأتصور أحيانا أنني أفكر وأشعر كذلك أيضا، سوى أن للمزارعين فائدة أكبر في العالم. إن الناس تشعر وتفكر بحاجتها للوحات والكتب... إلخ، بعد أن تحصل على كل شيء آخر. لذا فبالنسبة لتوقعي الخاص فأنا أعتبر نفسي بالتأكيد أقل من المزارعين. بأي حال، فأنا أحرث لوحاتي كما يفعلون في الحقول.

سوى هذا فالأمور بائسة بما يكفي في مهنتنا، وقد كانت هذه الحقيقة دائما، لكن الأوضاع سيئة للغاية في الوقت الحالي. ومع ذلك، فلم تُدفع أسعار باهظة كالتي تدفع الآن مقابل اللوحات.

ما يجعلنا نعمل هو صداقاتنا فيما بيننا وحب الطبيعة، وبأي حال، حين يتجشم المرء عناء تعلم استخدام الفرشاة، لا يتوقف المرء عن التصوير.

مقارنة بالآخرين فأنا بين المحظوظين، لكن تصوري فقط كيف يكون الحال حين يبدأ أحدهم في مهنة ثم يضطر إلى التخلي عنها قبل أن يقوم بأي شيء، وثمة الكثير ممن هم على هذه الحال.

فكري في عشر سنوات يحتاجها المرء ليتعلم المهنة، أي ممن يعبرون السنوات الست، ويدفع نفقاتها ثم يضطر لأن يتخلى عن الأمر، لو عرفت فقط كم هذا بائس وكم يوجد ممن هم على هذه الحال. والأسعار الباهظة التي يسمعها المرء، تدفع لأعمال رسامين قد ماتوا ولم يدفع لهم هكذا حين كانوا أحياء، إنها نوع من جنون التيوليب التي يضار بها الرسامون الأحياء أكثر مما ينتفعون. وسوف تمر وتنتهي مثل جنون التيوليب.

يمكن أن يفكر المرء مع ذلك أنه وعلى الرغم من أن هوس التيوليب مرّ منذ زمن ونُسي، فإن زارعي الزهور ظلوا وسيظلون.

وهكذا أعتبر التصوير بالطريقة نفسها، أن ما يبقى هو نوع من زراعة الزهور. وبهذا أعتبر نفسي محظوظا كوني جزءاً منه. لكن البقية!

هذه الأشياء لتثبت لكِ أن المرء لا يجب أن يتوهم. لا بد أن أرسل خطابي، في الوقت الحالي أنا أعمل على بورتريه لأحد المرضى هنا. من الغريب أنه حين يكون المرء معهم لفترة ما ويعتادهم، لا يعود يفكر أنهم مجانين. أحتضنكِ بفكري.

المحب،

فنسنت

٨١٦ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الأحد، ٣ نوفمبر ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

مرفقا أرسل إليك قائمة بالألوان التي أحتاجها بأقرب فرصة.

لقد أسعدتني كثيرا بإرسالك لوحات مييه تلك، إنني أعمل عليها بحماس كبير. لقد كنت قد أصبحت متراخيا بصدأ عدم رؤية أي شيء فني، وهذه تنعشني. لقد انتهيت من "المساء" وأعمل حاليا على "الحفارين" وعلى الرجل الذي يضع سترته، قماش رقم ٣٠، والبذّار، أصغر. "المساء" بمجال من البنفسجيات والليلكي الرقيق، بضوء المصباح ليموني شاحب، ثم الوهج البرتقالي للنار والرجل بالمغرة الحمراء. ستراها. يبدو لي أن صناعة لوحة عن رسومات مييه هي كترجمتها إلى لغة أخرى، أكثر من كونها نسخا لها. سوى ذلك لدي تأثير للمطر أعمل عليه، وتأثير للمساء بصنوبرات طويلة. وأيضا تساقط للأوراق.

صحتي جيدة جدا، عدا عن الكثير من الأسى مع ذلك، لكنني أشعر أنني أفضل كثيرا مما كنت عليه حين أتيت إلى هنا، أفضل حتى من باريس.

أيضا، بالنسبة للعمل، فالأفكار أصبحت أقوى، كما يبدو لي. لكنني لا أعرف تماما إن كنت ستحب ما أفعله الآن. فعلى الرغم مما تقوله في خطابك السابق، إن البحث عن الأسلوب غالبا ما يضر الصفات الأخرى، فالواقع أنني أشعر بدافع قوي للبحث عن الأسلوب، لكنني بذلك أعني ربما أكثر رجولة ووعيا. إن كان هذا سيجعلني أشبه بجوجان أو برنار، لا يمكنني فعل شيء حياله. لكنني أميل إلى أنك ستعتاد الأمر على المدى الطويل.لأنه من الصحيح أن المرء يجب أن يشعر بكليّة الريف، أليس هذا ما يميز عمل سيزان عن أي شيء آخر. وجيومان، الذي تذكره، لديه أسلوب قوي وطريقة شخصية في الرسم. بأي حال، سأفعل ما بوسعي.

الآن وقد سقطت معظم الأوراق يبدو المنظر الطبيعي أشبه بالشمال، ثم إنني أشعر حقا بأنني إن عدت إلى الشمال فسأراه بشكل أوضح من ذي قبل. الصحة شيء هام، والكثير يعتمد عليها، وبالنسبة للعمل أيضا. لحسن الحظ لم تعد تعذبني تلك الكوابيس البشعة. أتمنى أن أذهب إلى آرل في الأيام القليلة القادمة.

أود كثيرا أن ترى جو "المساء"، أظنني سأرسل إليك شحنة عما قريب، لكنها تجف ببطء بسبب رطوبة الاستوديو. هنا، البيوت ليس لها أساس أو قبو، ويشعر المرء بالرطوبة أكثر من الشمال.

في الوطن سيكونون قد انتقلوا بحلول هذا الوقت، سأضيف ست لوحات لهم في الشحنة القادمة. من الضروري أن تؤطر، ربما لا، لأنها لا تستحق. فضلا عن هذا، لا تؤطر الدراسات التي أرسلها إليك من آن لآخر، يمكن فعل ذلك لاحقا، من غير الضروري أن تشغل مساحة كبيرة. لقد صنعت أيضا لوحة للسيد بيرون، منظرًا للبيت مع شجرة صنوبر عالية. أتمنى أن تستمر صحتكما في حال جيد أنت وجو. وأنا سعيد جدا لأنك لم تعد وحيدا، وأن كل شيء بخير أكثر من ذي قبل.

هل عاد جوجان، وماذا يفعل برنار؟

سأكتب أكثر قريبا، أصافحك بشدة، وجو، ورفاقنا، وصدقني.

المخلص للأبد،

فنسنت

أحاول تبسيط قائمة الألوان بقدر استطاعتي، وهكذا أستخدم المغرات غالبا كما في الأيام الخوالي.

أعرف جيدا أن الدراسات المرسومة بخطوط طويلة منحنية في الشحنة السابقة لم تكن ما كان المفترض أن تصبحه، بأي حال، أحثك على تصديق أنه في المناظر الطبيعية، سيستمر المرء بملء كتل الأشياء بوساطة أسلوب الرسم الذي يبحث عن

التعبير عن تشابك الكتل. وهكذا، هل تتذكر مناظر ديلاكروا الطبيعية، يعقوب يصارع الملاك؟ وثمة أخريات له! على سبيل المثال السفوح، والزهور التي تتحدث عنها أحيانا. برنار قد وجد حقا أشياء جميلة هناك. بأي حال، لا تسرع بتبني قناعة مسبقة ضدها.

بأي حال سترى أن ثمة شخصية في المنظر الطبيعي الكبير مع الصنوبرات، جذوع من المغرة الحمراء محددة بخط أسود أكثر من السابقات.

٨٢٠ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الثلاثاء، ١٩ نوفمبر ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك، وأنا سعيد جدا لكتابتك أن جو بخير. الحدث العظيم يقترب الآن، أفكر بكما كثيرا. بالنسبة لك، حين تكتب عن أنك رأيت الكثير من اللوحات وتتمنى ألا ترى المزيد لفترة، فهذا يثبت أنك لديك الكثير من القلق حيال العمل. ثم، نعم ثمة ما هو في الحياة سوى اللوحات، وهذا الشيء الآخر يهمله المرء ويبدو أن الطبيعة تنتقم حينها، وبجانب أن القدر ماضٍ في ضربنا. أظن أنه في تلك الظروف يجب على المرء أن يلزم اللوحات بقدر ما يتطلب الواجب وليس أكثر. أما عن مجموعة العشرين، فها هو ما أريد أن أعرضه:

١ و٢ قلادتا عباد الشمس
٣ اللبلاب، قائمة
٤ البستان المزهر (التي يعرضها تانجي حاليا، مع أشجار الحور تعبر اللوحة)
٥ الكرم الأحمر
٦ حقل القمح، الشمس المشرقة، التي أعمل عليها حاليا

جوجان كتب لي خطابا طيبا وتحدث بحماس عن دي هان وحياتهما الخشنة على الساحل. وبرنار كتب لي أيضا، شاكيا كومة من الأشياء التي يتقبّلها كالولد الطيب، لكنه ليس سعيدا بالمرة، بكل موهبته، وكل عمله، وكل انتباهه، يبدو أن البيت جحيم بالنسبة إليه.

خطاب إيزاكسون أسعدني كثيرا، أرفق هنا ردي الذي ستقرؤه، الأفكار بدأت بالاتصال معا بشكل أكثر هدوءا، لكن كما سترى منه فأنا لا أعرف إن كنت سأستمر بالتصوير أم أترك التصوير لنفسه.

إن استمررت، فبالتأكيد أنا أوافقك على أنه ربما من الأفضل أن أهاجم الأشياء ببساطة بدلا من البحث عن التجريدات.

وأنا لست معجبا بمسيح جوجان في حديقة الزيتون على سبيل المثال، وقد أرسل إلي عنها كروكيا. ثم بالنسبة لبرنار، لقد وعدني بصورة فوتوغرافية عنها، لا أعرف، لكنني أظن أن تأليفاته الإنجيلية ستجعلني أتمنى شيئا آخر. مؤخرا قد رأيت امرأة تقطف وتجمع الزيتون، لا طريقة بالنسبة لي للحصول على الموديلات، لذا فلم أفعل أي شيء حيال الأمر. مع ذلك فهذه ليست اللحظة المناسبة لتطلب مني الموافقة على تأليف صديقي جوجان، وصديقي برنار لم ير شجرة زيتون في حياته ربما. وعليه فهو الآن يتجنب أي تفهم لفكرة الممكن ولحقيقة الأشياء، وهذه ليست الطريق نحو الصناعة. لا، لم أتورط قط بتفسيراتهم الإنجيلية. لقد قلت إن رامبرانت وديلاكروا قد فعلا ذلك بشكل رائع، وإنني أحببت ذلك أكثر حتى من البدائيات، فقط. لا أريد أن أبدأ بهذا الفصل ثانية. إن بقيت هنا فلن أحاول تصوير المسيح في حديقة الزيتون، لكن سأصور قطف الزيتون كما يمكن رؤيته في يومنا هذا، ثم بإعطاء النسب الصحيحة للشخص البشري فيها، سيجعل هذا ربما الناس يفكرون بها على أي حال. قبل أن أكون قد صنعت دراسات جادة أكثر مما لدي الآن لن يكون لدي الحق في الاشتراك بهذا. ثم إن ما قبل الرافائيليين قد قطعوا شوطا طويلا في هذا النوع من الأفكار. حين رسم ميلايس "ضوء العالم" الخاص به كانت جادة بطريقة أخرى. لا مقارنة في الحقيقة. وغني عن الذكر هولمان هنت وآخرون، بينويل وروزيتي.

ثم هناك بوفي دو شافان.

الآن سأخبرك أنني ذهبت إلى آرل ورأيت السيد سال، الذي سلمني بقية المال الذي أرسلته إليه وبقية ما سلمته له، أي ٧٢ فرنكا. مع ذلك، لم يبق إلا قرابة العشرين فرنكا في صندوق النقدية لدى السيد بيرون حاليا، بما أنني هناك قد حصلت على الألوان ودفعت للغرفة التي بها الأثاث وخلافه. بقيت هناك ليومين، ولا أعرف ماذا سأفعله بعد ذلك، من الجيد أن أظهر نفسي هناك من آن لآخر كي لا تبدأ الحكاية نفسها ثانية مع الناس. حاليا لا أحد هناك عدائي تجاهي في حدود علمي، على النقيض من ذلك، كانوا ودودين للغاية، وأعطوني ترحيبا دافئا. وإن مكثت في الجوار، شيئا فشيئا فستكون لدي الفرصة لكي أتأقلم، وهو ليس بالأمر السهل على الغرباء وسيكون له نفعه بالنسبة للتصوير هناك. لكن أولا سنرى إن كانت تلك الرحلة قد تسبب نوبة أخرى. أتمنى ألا يحدث ذلك.

الطقس بارد غالبا هنا أيضا، لكن بأي حال فنحن محميون بالجبال من الميسترال. وفي أثناء ذلك فأنا مستمر بالعمل. لدي عدة أشياء أرسلها إليك مع اللوحة التي للعشرينيين. ما زلت أنتظر أن تجف تلك اللوحة.

إن كنت عرفت في الوقت المناسب أن ثمة قطارات من هنا لباريس بخمسة وعشرين فرنكا فقط كنت سآتي بالتأكيد. لم أعرف ذلك إلا حين ذهبت إلى آرل، وبسبب النفقات لم أفعل ذلك، في الوقت الحالي سيبدو لي أنه سيكون من الجيد أن آتي في الربيع لأرى الناس والأشياء في الشمال ثانية. فالحياة هنا مخدرة بشكل مريع، وعلى المدى الطويل سأفقد طاقتي. لا أكاد أتمنى أنني سأظل بخير كما هي الحال.

بأي حال، كل شيء يعتمد على أن يناسبك ذلك من عدمه، وأنا أظن أنه من الحكمة ألا نتعجل الأمور. ربما بالانتظار قليلا لن نحتاج إلى الطبيب في أوفور أو إلى آل بيسارو.

إن ظلت صحتي مستقرة، وإن بدأت ثانية في أثناء عملي بمحاولة البيع، والعرض، وعمل المبادلات، فربما سيكون ثمة تقدم كيما أكون أقل عبئا عليك من

جهة وأن أستعيد حماسا أكثر من جهة أخرى. فأنا لا أخفيك سرا أن إقامتي هنا مرهقة في رتابتها، ولأن تلك المجموعة الكبيرة من المساكين، الذين لا يفعلون شيئا، تسبب لي الشد العصبي. لكن ماذا عسى المرء أن يفعل، لا يمكن للمرء أن يدعي في حالتي، فأنا لدي الكثير من الادعاءات.

جوجان يقول إنهم يحصلون على الموديلات بسهولة. هذا ما أفتقر إليه هنا. برنار يحدثني عن مبادلة، أنت حر تماما في التعامل معه بهذا الخصوص إن أراد وتحدث عن الأمر معك. سأحب ذلك كثيرا، بجوار بورتريه جدته، عليك أن تحصل على شيء جيد له. يبدو أنه معجب بالهدهدة.

أظن أن اللوحات الست للمجموعة العشرين ستصنع مجموعة كذلك، حقل القمح ستكون لوحةً مكملةً جيدة جدا للبستان.

سأكتب خطابا للسيد ماوس لأعطيه العناوين، كما طلب في خطابه.

الآن تحيات دافئة لجو، ومصافحة.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨٢١ | سان ريمي دو بروفانس، الأربعاء، ٢٠ نوفمبر ١٨٨٩
إلى أوكتاف ماوس (F)

سيدي،

أقبل بسعادة دعوتك للعرض مع مجموعة العشرين. ها هي قائمة اللوحات التي أنوي عرضها

رقم ١ عباد الشمس

٢ عباد الشمس

٣ اللبلاب

٤ بستان مزهر (آرل)

٥ حقل قمح، شروق الشمس (سان ريمي)

٦ الكرم الأحمر (مونماجور)

(كل هذه اللوحات على قماشات مقاس ٣٠)

ربما قد تجاوزت مساحة الأمتار الأربعة لكن كما أظن فإن تلك اللوحات الست معا، بهذا الاختيار، ستصنع تأثيرا لونيا منوّعا، وربما ستجد طريقة في وضعها.

أرجو أن تقبل تعبيري عن الشعور برفقة مجموعة العشرين.

فنسنت فان جوخ

٨٢٢ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الثلاثاء، ٢٦ نوفمبر ١٨٨٩
إلى إميل برنار (F)

صديقي العزيز برنار،

أشكرك لخطابك، وأشكرك خصوصا لصورك، التي أعطتني فكرة عن عملك.

بالصدفة، كتب لي أخي عنه في يوم سابق، قائلا إنه معجب بتناغم الألوان، وبنبل معين في عدة شخوص.

انظر، في "حب الرعاة"، يسحرني المنظر الطبيعي لدرجة لا أجرؤ معها على الانتقاد، ومع ذلك، إنه من المستحيل تخيل ميلاد كذلك، على قارعة الطريق، والأم التي تبدأ بالصلاة بدلا من أن ترضع وليدها، وعظماء الشأن الكنسيين السمان، راكعين كما لو في نوبة صرع، الله يعلم كيف أو لماذا هم هناك، لكنني شخصيا لا أظن ذلك صحيا.

لأنني أحب الحقيقي، الممكن، وإن كنت قادرا على الحمية الدينية، لذا أنحني أمام هذه الدراسة، إنها من القوة لتجعلك ترتجف، للأب مييه، الفلاحون يحملون عجلا وُلد في الحقول للمنزل الريفي. الآن يا صديقي، يشعر الناس بذلك من فرنسا وإلى أمريكا. بعد ذلك، هل ستعود لتجديد المنسوجات القروسطية لنا؟ حقيقة، هل هذا اقتناع مخلص؟ لا، يمكنك أن تقوم بأحسن من ذلك، وأنت تعرف أن على المرء البحث عن الممكن، المنطقي، الحقيقي، حتى إن كنت مضطرا إلى حد ما لنسيان الأشياء الباريسية على طريقة بودلير. كم أفضل دومييه على ذلك الجنتلمان!

بشارة ماذا!! أرى شخوص ملائكة، أنيقة، صدقني، وشرفة بشجرتي سرو، التي أحبها كثيرا، ثمة كمية هائلة من الهواء، ومن الوضوح فيها. لكن في النهاية، بمجرد أن يمضي هذا الانطباع الأول، أتساءل إن كانت إبهاما، وتلك الشخصيات الثانوية لا تعود تخبرني شيئا.

لكن هذا يكفي لك لتفهم أنني أتوق لرؤية أشياء لك ثانية، مثل لوحتك التي لدى جوجان، أولئك النساء البريتونيات يمشين في المرج، التي لها ترتيب رائع، واللون مميز بشكل ساذج جدا. آه، أن تستبدل بذلك شيئًا، هل علي أن أقول تلك الكلمة، شيئًا مصطنعًا، شيئًا متأثرًا.

العام الماضي، مما أخبرني به جوجان، كنت تصنع لوحة تقريبا كهذه كما أتصور

‹*sketch* A›

على خلفية العشب، شخص فتاة شابة بفستان أزرق أو أبيض، مستلقية بطولها الكامل. خلف ذلك: حافة غابة من الزان، والأرض مغطاة بأوراق حمراء ساقطة، والجذوع الملونة بأسيتات النحاس الخضراء تعبره بشكل رأسي، أتصور الشعر بنغمة لونية في درجة لازمة كتكامل مع الفستان الأبيض: سوداء إن كانت الملابس بيضاء، برتقالية إن كانت الملابس زرقاء. لكن بأي حال، لقد قلت لنفسي، يا له من موضوع بسيط، وكم هو يعرف كيف يخلق أناقة من لا شيء.

جوجان حدثني عن موضوع آخر، ليس سوى الشجرات الثلاث، بتأثير الأوراق البرتقالية على خلفية سماء زرقاء، لكن ما تزال موصوفة بوضوح، مقسمة جيدا، بشكل جذري، لمستويات من الألوان الصافية والمتباينة، هذه هي الروح المطلوبة!

‹*sketch* B›

وحين أقارن هذا بكابوس المسيح في حديقة الزيتون، حسنا، يجعلني ذلك أشعر بالحزن، وها أنا أسألك ثانية، صارخا بصوت عال ومعطيا إياك قطعة من عقلي بكل قوة لدى رئتي، أن تعود لنفسك مرة أخرى.

المسيح حاملا صليبه شنيعة. هل لطخات اللون بها متناغمة؟ لكنني لن أتركك لحالك من أجل هذه الغوغائية ـالغوغائية، هل تسمع؟ـ في التأليف.

حين كان جوجان في آرل، سمحت لنفسي مرة أو مرتين أن أنقاد إلى التجريد، كما تعرف، في المرأة التي تهز المهد، وامرأة داكنة تقرأ الروايات في مكتبة صفراء، وفي ذلك الوقت بدا التجريد دربا جذابا بالنسبة لي.

لكن تلك أرض مسحورة، يا صاحبي الطيب، وسرعان ما يجد المرء نفسه بمواجهة الجدار. لا أقول إن المرء لا يجب أن يخاطر بعد حياة رجولية كاملة من البحث، ومن القتال اليدوي مع الحقيقة، لكن بالنسبة لي فأنا لا أريد أن أجهد عقلي بسبب هذا النوع من الأشياء. وطوال عام، بعد أن عبثت في الحياة، ولم أكد أفكر في الانطباعية، أو هذا أو ذاك.

بأي حال، مرة أخرى أسمح لنفسي بصنع نجوم كبيرة... إلخ، انتكاسات جديدة، وقد نلت ما يكفي من هذا.

في الوقت الحالي أعمل على أشجار الزيتون، باحثا عن تأثيرات مختلفة للسماء الرمادية مع الأرض الصفراء، بنغمة خضراء للأوراق، ومرة أخرى الأرض والأوراق كلها بالبنفسجي على خلفية سماء صفراء، ثم أرض من المغرة الحمراء وسماء بالأخضر والوردي. انظر، إن هذا يثير اهتمامي أكثر مما يسمى بالتجريد.

وإن لم أكتب لوقت طويل، فذلك بسبب أنني لم أشعر بالقدرة على المناقشات بعد أن صارعت المرض وحاولت أن أهدئ رأسي، ووجدت أن تلك التجريدات خطيرة. وبالعمل بهدوء شديد، ستُبرز مواضيعُ جميلةٌ نفسَها تلقائيا، إنها في المقام الأول مسألة غمس المرء لنفسه في الواقع ثانية، دون خطط مسبقة، ودون ميل باريسي. بجانب أنني غير راض عن هذا العام الحالي، لكن ربما سيثبت أنه أساس صلب للعام القادم. لقد تركت نفسي تصطبغ بهواء الجبال الصغيرة والبساتين. بهذا، سأرى ماذا سيحدث. طموحي محدود حقيقةً ببضعة أكوام من الطين، وبعض القمح النابت، بستان من الزيتون، سروة، والأخيرة ليست سهلة الرسم، على سبيل المثال. أنت يا من تحب البدائيين، ومن يدرسهم، أسألك لماذا تبدو غير عارف بجيوتو. جوجان وأنا رأينا لوحة صغيرة له في مونبلييه، موت قديسة أو شيئًا آخر. تعبيرات الألم والنشوة التي بها إنسانية لدرجة أنها ومع كونها من القرن التاسع عشر، فأنت تشعر بأنك فيها، وتؤمن بأنك كنت هناك، حاضرا، وتشاركها العاطفة بشكل كبير. إن رأيت لوحاتك الفعلية، أظن اللون سيثيرني مع ذلك. لكنك تتحدث عن البورتريهات التي صنعتها، والتي التقطتها بالتحديد، هذا شيء سيكون جيدا، وسيكون شيئا قد كنت فيه بنفسك.

(من الأعلى إلى الأسفل) رسومات مستوحاة من إميل برنار، مادلين في غابة الحب وأشجار الحور الحمراء

ها هو وصف للّوحة التي أعمل عليها في الوقت الحاضر. منظر حديقة المصحة التي أنا فيها، على اليمين شرفة رمادية، وقسم من بيت، وبعض شجيرات الورد التي فقدت زهورها، على اليسار، أرض الحديقة، مغرة حمراء، أرض سفعتها الشمس، مغطاة بغصون الصنوبر الساقطة. هذا الطرف من الحديقة مزروع بصنوبرات كبيرة بجذوع وغصون من المغرة الحمراء، وأوراق خضراء تصبح حزينة بخليط من الأسود. هذه الأشجار العالية تبرز على خلفية سماء مسائية مخططة بالبنفسجي على خلفية صفراء. عاليا، يتحول الأصفر إلى وردي، ثم إلى أخضر. جدار، من المغرة الحمراء ثانية، يسد المشهد، وليس فوقه شيء سوى تل من المغرة الصفراء والبنفسجي. الآن، للشجرة الأولى جذع هائل، لكنها مضروبة بالبرق ومنشورة. غصن جانبي يندفع عاليا مع ذلك، ويسقط ثانية في شلال من الغصون الخضراء الغامقة.

هذه العملاقة الداكنة، مثل رجل متكبر قد سقط، تتباين، حين ترى كشخصية كائن حي، مع البسمة الشاحبة للوردة الأخيرة في الشجيرة، التي تتلاشى أمامها. تحت الشجر، مقاعد حجرية خالية، وصندوق داكن. السماء تنعكس صفراء في بركة صغيرة بعد المطر. شعاع الشمس، آخر التماعة، يرفع المغرة الداكنة إلى البرتقالي. شخوص داكنة صغيرة تتجول هنا وهناك بين الجذوع. ستفهم أن ذلك الجمع بين المغرة الحمراء، والأخضر المحزون بالرمادي، والخطوط السوداء التي تحدد خوارج الأشياء، يعطي هذا شعورا بالقلق الذي يعاني منه بعض رفاقي في سوء الطالع غالبا، والذي يطلق عليه "الرؤية بالأحمر". وعلاوة على ذلك، تفصيلة الشجرة العظيمة المضروبة بالبرق، البسمة المريضة الأخيرة بالأخضر والوردي لآخر زهور الخريف، تؤكد هذه الفكرة. لوحة أخرى تصور الشمس بازغة على حقل من القمح الجديد. الخطوط المتراجعة للأخاديد تجري عاليا على اللوحة، باتجاه جدار ومجال من التلال الليلكية. الحقل بالبنفسجي والأخضر المصفر. الشمس البيضاء محاطة بهالة صفراء كبيرة. فيها، متباينة مع اللوحة الأخرى، حاولت أن أعبر عن الهدوء، والسلام العظيم.

إنني أحدثك عن هاتين اللوحتين، وبالخصوص اللوحة الأولى، لأذكرك أنه ولكي تعطي انطباعا بالقلق، يمكنك أن تحاول أن تفعل ذلك دون أن تذهب مباشرة إلى حدية الجسمانية مباشرة، وكيما تعرض موضوعا رقيقا ومعزيا ليس من الضروري أن تصور شخوصا من عظة الجبل، آه، إنه، بلا شك، من الحكمة أن تتأثر بالإنجيل، لكن الواقع المعاصر له يد علينا لدرجة أننا حتى حين نحاول بتجريد أن نعيد إنشاء الأوقات العتيقة في أفكارنا، في اللحظة نفسها تنتزعنا الأحداث البائسة لحيواتنا عن تلك التأملات وترمي بنا مغامراتنا إلى أحساسينا الشخصية: البهجة أو الضجر أو المعاناة أو الغضب أو الابتسام. الكتاب المقدس، تربى عليه مييه منذ طفولته، واعتاد على قراءة هذا الكتاب فقط ولم يصنع قط لوحة إنجيلية. كوروه صنع حديقة الزيتون مع المسيح ونجمة بيت لحم: سامية. في عمله تشعر بهوميروس، وإسخيلوس، وسوفوكليس أيضا، أحيانا، كما تشعر بالأناجيل، لكن كم هو مفيق وكم يعطي الوزن اللازم للمشاعر الحديثة الممكنة التي نتشاركها كلنا. لكنك ستقول ديلاكروا، نعم، ديلاكروا، لكنك حينها ستضطر لأن تدرس بطريقة مختلفة تماما، نعم، تدرس التاريخ قبل وضع الأشياء في مكانها بهذه الطريقة.

لذا فهي انتكاسة، يا صاحبي العزيز، لوحاتك الدينية، لكن ثمة القليل ممن يقعون في خطأ كهذا، وهو خطأ، لكن عودتك منه ستكون ـأجرؤ على القولـ مدهشة، وإنه بالوقوع في الأخطاء يجد المرء طريقه أحيانا. انظر، انتقم لنفسك بتصوير حديقتك كما هي، أو أي شيء تحبه. بأي حال، من الجيد البحث عما هو مميز، وما هو نبيل في الشخوص، ودراساتك تمثل جهدا صنعته، وهي أي شيء سوى مضيعة للوقت.

أن تعرف كيف تقسم لوحة إلى مستويات متشابكة وكبيرة مثل هذه، أن تجد الخطوط والأشكال المتباينة، هذه هي التقنية، الخداع، لكن بأي حال، يعني هذا أنك تتعلم صنعتك بعمق أكبر، وهذا أمر جيد. مهما كان التصوير كريها وعصيبا، في زمننا هذا الذي نعيش فيه، فإن الشخص الذي اختار تلك الصنعة، إن مارسها مع ذلك بحماس، فهو رجل واجب، عاقل ومخلص. المجتمع أحيانا يجعل وجودنا صعبا

علينا، ومن هذا أيضا ينبع عجزنا والخلل في عملنا. أظن أن جوجان نفسه يعاني كثيرا من هذا، أيضا، ولا يمكنه أن يتطور وفقا لقدرته الخاصة.

أنا شخصيا أعاني من كوني دون موديلات بالمرة. من جهة أخرى، ثمة مواقع جميلة هنا. لقد قمت للتو بلوحات مقاس رقم ٥ و٣٠ لأشجار الزيتون. وإن بقيت هنا فهذا لأن صحتي تتحسن بشكل جيد. ما أصنعه خشن، وجاف، لكنه لأنني أحاول أن أقوي نفسي بوسيلة العمل والكد، وأخشى أن تجعلني التجريدات ضعيفا. هل رأيت دراستي التي بها الحصّاد؟ حقل من القمح الأصفر وشمس صفراء. لم تصل إلى هناك بعد، ولكنني فيها هاجمت شيطان مسألة الأصفر. أتكلم عن تلك التي هي ملونة بالإمباستو ومصنوعة في المكان نفسه، وليس عن النسخة مع التخطيط، التي تأثيرها أضعف. أردت أن أصنعها بكبريت صافٍ. لدي الكثير من الأشياء الأخرى التي أريد أن أخبرك بها، لكن على الرغم من أنني أكتب اليوم لأن عقلي أقوى بشكل ما، فسابقا كنت خائفا من أن أرهقه قبل أن أشفى، أصافحك مصافحة حارة، وأنكيتان أيضا، وأصدقاءنا الآخرين إن رأيتهم، وصدقني.

المخلص للأبد،

فنسنت

لا حاجة بي لإخبارك أنني أشعر بالأسف، لك ولأبيك، على أنه لم يوافق على أن تمضي الموسم مع جوجان. الأخير كتب لي أنه بسبب أحوالك الصحية قد تأجلت خدمتك العسكرية لعام. أشكرك بأي حال على وصفك للمنزل المصري. كنت سأحب أن أعرف إن كان أكبر أم أصغر من كوخ من أكواخ وطننا، والحجم بالنسبة للشخص البشري، باختصار. كنت أبحث عن معلومات عن التلوين خصوصا.

٨٢٩ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الخميس، ١٩ ديسمبر ١٨٨٩
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكرك كثيرا على خطابك الأخير، أنا سعيد لأنك وجو بصحة جيدة، وأفكر بكما أوقاتا كثيرة.

من المثير للاهتمام ما تقوله لي عن نشر الطبعات الحجرية الملونة مع نص عن مونتيتشيلي، بأمانة يسعدني هذا كثيرا، وأنا أتوق لرؤيتها يوما ما. أتمنى أنه سيعيد إنتاج الباقة التي لديك ملونة، فذلك شيء من الطراز الأول بالنسبة للون. يوما ما أتمنى أن أصنع طبعة أو اثنتين بهذه الطريقة عن لوحاتي. وهكذا فأنا أعمل على لوحة في الوقت الحاضر، نساء يقطفن الزيتون، والتي قد تعطي نفسها لذلك، كما أظن. هذه هي الألوان: الحقل بنفسجي وعلى مسافة أبعد يكون بالمغرة الصفراء، أشجار الزيتون بالجذوع البرونزية لها أوراق رمادية خضراء، السماء وردية تماما، وثلاثة شخوص صغيرة بالوردي أيضا. الشيء كله بطيف ألوان متحفظ. إنها لوحة أعمل عليها من الذاكرة عن دراسة بالحجم نفسه مصنوعة في الموقع، لأنني أريد شيئا بعيدا كذكرى غامضة رققها الزمن. ثمة درجتان فقط، وردي وأخضر، تتناغمان، وتعادلان تأثير بعضهما البعض، وتقابلان بعضهما البعض. سأصنع على الأرجح نسختين أو ثلاثًا منها، فهي في الواقع نتيجة نصف دستة من الدراسات لأشجار الزيتون.

أظن من المرجح أنني لن أفعل أي شيء بالإمباستو ثانية، هذا نتيجة حياة العزلة الهادئة التي أعيشها، وأشعر أنني أفضل بسببها. بشكل أساسي لم أعد عنيفا كما مضى، بأي حال أشعر أنني أشبه نفسي أكثر في الهدوء.

سترى ذلك أيضا ربما في اللوحة التي أرسلتها إلى مجموعة العشرين بالأمس، حقل القمح مع شمس بازغة. ستستلم "غرفة النوم" في الوقت نفسه. وقد أضفت إليهما دراستين أيضا. أتوق لمعرفة ما ستقوله عن حقل القمح، ربما سيتوجب عليك النظر

إليها لفترة. بأي حال، أتمنى أن تكتب لي قريبا إن كانت قد وصلت بحال جيد وإن كان لديك نصف ساعة خالٍ في الأسبوع القادم.

سأخلص إلى البقاء هنا العام القادم أيضا، لأنني أظن العمل سيكون جيدا بصورة ما. وعبر الإقامة الطويلة، أشعر بأن الريف هنا مختلف عن رؤيتي له للمرة الأولى، أفكار جيدة تنبت قليلا ولا بد أن أسمح لها بالتطور. وهكذا لن أكون بعيدا عن فكرة الذهاب للبحث عن شيء في أرض تارتاران.

لدي رغبة كبيرة لصناعة أكثر من لوحة لكلٍ من السروات وجبال الألبيي، وبذهابي في أوقات كثيرة للتمشية طويلا في كل الاتجاهات لاحظت العديد من المواضيع، أعرف أماكن جيدة لحين يتحسن الطقس. ثم من جهة الإنفاق لن يكون ثمة فائدة من الانتقال كما أظن، والانتقال يجعل نجاح العمل مشكوكا بأمره. لقد استلمت خطابا آخر جميلا من جوجان، خطابًا به رائحة البحر، أظنه يفعل أشياء جيدة وهمجية بالأحرى.

أنت تخبرني ألا أقلق كثيرا وأن أياما أفضل ستأتي ثانية لي. سأقول إن تلك الأيام قد بدأت بالنسبة لي، حين ألمح إمكانية استكمال العمل بطريقة تتمكن أنت فيها من الحصول على سلسلة من الدراسات البروفانسالية المصنوعة بشعور سيستمر، هذا ما أتمناه، مع ذكرياتنا البعيدة للشباب في هولندا، وهكذا أعالج نفسي بإعادة صنع أشجار الزيتون ثانية لأمنا وأختنا. وإن استطعت يوما ما أن أثبت أنني لن أفقر العائلة، فسيريحني هذا. ففي الوقت الحالي أشعر بندم كبير لإنفاق المال الذي لا يعود. لكن كما تقول، الصبر والعمل هما الطريقة الوحيدة للخروج من هذا.

مع ذلك، أقول لنفسي أحيانا لو إنني فعلت مثلك، وبقيت مع آل جوبيل، ومنعت نفسي عمّا سوى بيع اللوحات، كنت سأصبح بحال أفضل. ففي التجارة، إن لم ينتج المرء بنفسه فهو يجعل الآخرين ينتجون، الآن والعديد من الفنانين يحتاجون مساندة من التجار ولا يجدونها.

المال الذي كان مع السيد بيرون نفد، ومنذ عدة أيام أعطاني عشرة فرنكات مقدما. وخلال الشهر سأحتاج بالتأكيد لعشرة أخرى، وفي رأس السنة سأعتبره من العدل أن أعطي شيئا للفتيان الخدم الذين يعملون هنا، وللحمّال، ما يصنع عشرة أخرى أو نحو ذلك.

أما عن الملابس الشتوية، ما لدي ليس بكثير، كما ستفهم، لكن الجو دافىء بما يكفي وهكذا يمكننا انتظار الربيع. إن ذهبت للخارج فهو للعمل، وحينها أرتدي ملابسَ رثة من التي لدي، ولدي صديرية من القطيفة وبنطال مناسب للمكان هنا. في الربيع، إن كنت لم أزل هنا، أخطط للخروج وصناعة بضع لوحات في آرل أيضا، وإن حصلت على شيء جديد حينها، فسيكون هذا كافيا.

إنني أرسل إليك مرفقا طلبية قماش وألوان، لكنني ما زلت محتفظا ببعضها ويمكنها الانتظار للشهر القادم إن كان الشهر الحالي مثقلًا بالكثير فعلا.

أذكر لوحة مانيه التي تتكلم عنها. بالنسبة للشخص، فبورتريه لرجل التي صنعها بوفي دو شافان ستظل دائما مثالية بالنسبة لي، رجل عجوز يقرأ رواية صفراء، بجانبه وردة وفرش ألوان مائية في كوب من الماء، وبورتريه لسيدة التي عرضها بالمعرض نفسه، امرأة عجوز لكن كما شعر بها مشيليه، أنه لا وجود لشيء اسمه امرأة عجوز. هذه أشياء معزية، أن ترى الحياة الحديثة مشرقة على الرغم من الأحزان التي لا يمكن تفاديها.

في الوقت نفسه بالعام الماضي لم أكن أفكر بالتأكيد أنني سأتعافى بهذا القدر.

أبلغ تحياتي الدافئة لإيزاكسون إن رأيته، ولبرنار.

أنا نادم على عدم قدرتي على إرسال أشجار الزيتون في هذه الأيام، لكنها تجف بشكل سيئ وسيكون علي الانتظار.

أظنه سيكون جيدا أن تأتي أختنا في يناير. آه، إن كان لها أن تتزوج، فسيكون هذا شيئا رائعا.

أصافحك بدفء، سأذهب للعمل بالخارج قليلا، ريح الميسترال تهب. إنها تكف عن الهبوب بغروب الشمس، ثم يكون ثمة تأثيرات رائعة للسموات الليمونية الشاحبة، والصنوبرات الخربة ترمي بظلالها عليها مع تأثيرات حريرية سوداء رائعة.

في أوقات أخرى تكون السماء حمراء، وأوقات أخرى تكون بدرجة رقيقة للغاية ومحايدة ما زالت، ليمونيا شاحبا يعادله الليلكي الرقيق.

لدي تأثير مسائي للصنوبرات ثانية على خلفية وردية وخضراء مصفرة. بأي حال، سترى تلك اللوحات عما قريب، والتي أولاها حقل القمح قد غادرت. سأكتب كثيرا عما قريب، أتمنى، تحياتي الدافئة لجو.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨٣٦ | سان ريمي دو بروفانس، السبت، ٤ يناير ١٨٩٠

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا لخطابك. على الرغم من أنني قد كتبت لك بالأمس، فسأرد عليه فورا.

حقيقة أنني لم أعمل بهدوء قط سوى في لوحاتي الأخيرة، ستستلم بعضا منها في الوقت نفسه لاستلام هذه الرسالة، كما أتمنى. في الوقت الحاضر قد فاجأني إحباط كبير. لكن بما أن تلك النوبة انتهت في أسبوع، فما نفع إخبار المرء نفسه أنها يمكن أن تتكرر في الواقع؟ أولا لا نعرف، ولا يمكننا أن نتنبأ كيف وبأي شكل.

لذا دعنا نستمر في العمل بقدر الإمكان كأن شيئا لم يحدث. قريبا ستكون لديّ الفرصة للخروج حين يصبح الطقس دافئًا قليلًا، وعندها سأفضل أن أنهي العمل الذي قمت به هنا.

ولكي أعطي فكرة عن البروفانس فمن الحيوي أن أصنع بضع لوحات أخرى لسروات وجبال.

الوادي ولوحة أخرى للجبال بمدق في المقدمة هما من هذا النوع. وخاصة الوادي التي ما زالت هنا معي لأنها لم تجف. وأيضا مشهد للمتنزه، بصنوبرات. لقد استغرقت وقتي اللازم لملاحظة شخصية الصنوبرات والسروات... إلخ في الهواء النقي هنا، الخطوط الثابتة التي لا تتغير والتي يجدها المرء ثانية في كل خطوة. من الصحيح تماما أنه في العام الماضي تكررت النوبة في أوقات عديدة، لكن أيضا، بالعمل تحديدا عادت الحالة العادية رويدا رويدا. ربما سيكون الحال نفسه في هذه المناسبة أيضا. لذا تصرف كأن لم يحدث شيء، فنحن ليس بمقدورنا أن نفعل شيئا حيال ذلك. وما سيكون أسوأ بمراحل هو أن أدع نفسي تنزلق لحالة رفاقي في البؤس الذين لا يفعلون شيئا طوال اليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة، كما أخبرتك مرات عديدة وكررت للسيد سال، جاعلا إياه يعدني بألا ينصح بتلك المصحة أبدا. ما زال العمل يجعلني أستعيد حضور عقلي، ويجعل ممكنا أن أخرج من هنا في يوم ما.

في الوقت الحالي لدي لوحات ناضجة في عقلي، وأرى مقدما أماكن أريد أن أصورها في الشهور القادمة. لماذا قد أغير وسائل التعبير؟

بمجرد عودتي من هنا، دعنا نفترض، سيكون علينا أن نرى إن كان ثمة شيء نفعله بلوحاتي، سيكون لدي عدد ما من لوحاتي، وعدد ما من لوحات الآخرين، وربما سأحاول عمل بعض التجارة. لا أعرف مقدما، لكنني لا أرى سببا يمنع من صناعة لوحات أكثر هنا سأحتاجها حتما إن خرجت من هنا. مرة أخرى، لا يمكنني التكهن بالمستقبل، ولا أرى طريقا للخروج، لكنني أرى أيضا أن مكوثي هنا لا يمكن أن يستمر لأجل غير معلوم. ثم ومن أجل ألا نتعجل أي شيء أو نقطع بشكل مفاجئ، سأتمنى أن أستمر كالمعتاد ما دمت هنا.

بالأمس أرسلت لوحتين إلى مرسيليا، أي إنني أهديتها إلى صديقي رولان، بيتًا ريفيًا أبيض وسط أشجار زيتون، وحقل قمح بخلفية جبال ليلكية وشجرة داكنة، كما في اللوحة الكبيرة التي أرسلتها إليك.

وقد أعطيت السيد سال لوحة صغيرة بزهرات إبرة الراعي الحمراء والوردية على خلفية سوداء تماما، كما اعتدت أن أفعل في باريس.

بالنسبة للمال الذي أرسلته، عشرة فرنكات منه كنت أدين بها للسيد بيرون، الذي أعطاها لي مقدما بالشهر الماضي، وأعطيت عشرين فرنكا كهدايا لرأس السنة، وأخذت عشرة لتكلفة البريد للوحات ونفقات أخرى، وهكذا تبقت عشرة فرنكات في صندوق النقدية.

في الوقت الحالي قد صنعت لتوي بورتريها صغيرا لأحد الفتيان هنا قد أراد أن يرسله إلى أمه، هذا أشبه بقول إنني بدأت بالعمل ثانية، والسيد بيرون لم يكن ليدعني أفعل ذلك إن رأى ما يعيق ذلك. ما قاله لي هو "دعنا نأمل ألا يحدث ذلك ثانية"، ما يقوله نفسه في كل مرة. تحدث معي بطيبة كبيرة وهكذا لم يتفاجأ بما حدث، لكن بما أنه ليس ثمة علاج ناجع فالوقت والظروف فقط هما ما سيكون لهما تأثير ربما.

سأود كثيرا أن أذهب لآرل مرة أخرى، ليس على الفور، ولكن بنهاية فبراير مثلا، أولًا لأرى الأصدقاء، الذين يرفعون من روحي دائما، ثم لنرى إن كنت قادرا على المخاطرة بالرحيل إلى باريس.

أنا سعيد للغاية بمجيء أختنا. تحيات دافئة لها ولجو، وأما عنك وعني، دعنا لا نقلق أنفسنا. بأي حال، لن يستمر ذلك كما حدث في العام الماضي، وهكذا ما زال يمكننا أن نأمل أنه شيئا فشيئا سيجعل الوقت كل هذا يمر. حسنا، كن بخير، ومصافحة.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨٣٩ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الاثنين، ١٣ يناير ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

شكرا على خطابك الأخير، أتمنى أن تكون ويل قد تعافت من وعكتها وألا تكون أكثر خطورة مما تقول. أشكرك كثيرا أيضا على طلبية الألوان والقماش التي وصلت للتور. لدي موضوعات تكفي للوحات في رأسي لحين يسمح الطقس لي بالعمل بالخارج.

ما تقوله عن النسخة عن مييه، "المساء"، يسعدني. كلما فكرت بالأم وجدت تبريرا لمحاولة إعادة إنتاج أشياء لمييه لم يكن لديه الوقت ليصورها بالزيت. لذا لا يكون العمل على رسوماته أو الحفر الخشبي، نسخا بالشكل المعروف. إنه بالأحرى ترجمة إلى لغة أخرى، لغة الألوان، انطباعات توزيع العتمة والجلاء والأبيض والأسود. بهذه الطريقة قد انتهيت من ثلاث من "أوقات النهار"، عن حفر خشبي لـ لافييّ. لقد عانيت كثيرا واستغرقت وقتا طويلا بها. فكما تعلم قد قمت هذا الصيف بعمل "أعمال الحقول". الآن إعادات الإنتاج هذه، ستراها في يوم ما، لم أرسلها، فهي وأكثر من السابقات مجرد محاولات لتحسس الأمر، لكنها مع ذلك خدمتني جيدا في "أوقات النهار". لاحقا، من يدري، ربما يمكنني صناعة طبعات ليتوغراف لها. إنني أتوق لمعرفة ما سيقوله السيد لوزيه عنها. ستستغرق شهرا كاملا لتجف، الثلاث الأخيرة، لكن بمجرد أن تحصل عليها سترى بوضوح أنها صنعت عبر إعجاب عميق وتخلص لمييه. ثم إن تم انتقادها في يوم ما أو كرهها كنسخ، فسيظل من الصحيح أنه من المبرر جعل أعمال مييه أكثر إتاحة للجمهور العادي.

الآن سأحدثك ثانية عما أظن أنه يمكننا فعله في المستقبل للحد من النفقات. في مونفيرجو ثمة مصحة كان أحد الموظفين هنا حارسا فيها. أخبرني أنهم هناك يدفعون ٢٢ قرشا يوميا، وأن المرضى يحصلون على ملابسهم من المؤسسة. ثم يحملونهم

يعملون في الأراضي التابعة للبيت، وثمة حداد، وورشة نجارة... إلخ. بمجرد أن يتعرفوا إلي قليلا لا أظنني سأمنع من التصوير، ثم أنها أزهد ثمنا، وثانيا، يمكن للمرء أن يشتغل بشيء. وبإرادة جيدة لن يكون المرء تعيسا هناك، ولن يكون مأسوفا عليه كثيرا. الآن، بوضع مونفيرجو جانبا، والعودة لهولندا، أليس ثمة مؤسسات في بلدنا الأم حيث يعمل الناس أيضا وحيث السعر ليس باهظا، ومن حق المرء أن يستفيد منها، في حين أنني لست متأكدا من أن السعر ليس أعلى قليلا في مونفيرجو للأجانب، وفضلا عن هذا صعوبات الدخول للمصحة التي من الأفضل تجنبها. يجب أن أخبرك أني مطمئن بإخبار نفسي أننا بإمكاننا تبسيط الأشياء إن دعت الحاجة لذلك. ففي الوقت الحالي يكلف ذلك كثيرا، وفكرة الذهاب لباريس ثم للريف، وبما أنني ليس لدي أي مصدر لمحاربة النفقات سوى التصوير، يعني ذلك صناعة اللوحات التي تأتي بثمن باهظ.

لا بد أن تتحدث عن هذا في يوم ما مع العم كور إن رأيته فأخبره بوضوح أنني مستعد للقيام بما فيه الصالح، وأنه ليس لدي تفضيل ما بأي حال.

رأيت السيد بيرون ثانية هذا الصباح، يقول إنه يسمح لي بالعمل في حرية تامة لألهي نفسي، وأنني يجب أن أدافع عن نفسي ضد الأسى بكل قواي، ما أفعله طواعية. وأنا أجابه ذلك جيدا بالتأمل الحازم، وهو أيضا واجب. أنت تفهم أنه في مؤسسة يعمل فيها المرضى في الحقول يمكنني أن أجد مواضيعَ للرسم والتصوير، ولن أكون تعيسا هناك بالمرة. بأي حال، من الضروري أن نتأمل ما دام لدينا الوقت لذلك.

أظنني إن أتيت لباريس فلن أفعل شيئا سوى رسم التماثيل اليونانية ثانية في البداية، لأنني يجب أن أستمر بالدراسة.

في الوقت الحالي أشعر بأنني بخير، وأتمنى أن أظل كذلك.

ولدي آمال حتى أن ذلك سيختفي أكثر إن عدت إلى الشمال. لكن لا يجب أن ننسى أن جرةً مكسورةً سظلُ مكسورةً، وهكذا ليس لدي الحق بأي حال للتمتع بالادعاءات.

أخبر نفسي أنه في وطننا بهولندا يقدر الناس دائما التصوير بشكل أو بآخر، وأنه في مؤسسة ما لن يضعوا صعْوبات أمام تَركي أفعل ذلك. وسيكون كثيرا بأي حال أن أحصل على فرصة لإشغال نفسي بالتصوير، وسيكلف ذلك مالا أقل. ألم يكن الريف والعمل فيه جيدا بالنسبة لذوقنا دائما؟ وألسنا لا نبالي أنت وأنا بالعيش في المدن الكبيرة.

يجب أن أخبرك أنني في بعض الأحيان أشعر بأنني أحسن من أن أظل عاطلا، وفي باريس أخشى أنني لن أفعل شيئا جيدا.

لذا حين ترى العم كور ويبدو من المرجح لي أنه سيمر بك في فبراير ليرى الصغير الذي تنتظرونه، دعنا نحاول قليلا أن نتصرف بحزم.

أستطيع وحقا أريد أن أكسب بعض المال بتصويري، ويجب أن نتأكد أن نفقاتي لن تزيد على قيمتها، وحتى في تلك الحال يعود المال المدفوع رويدا رويدا. حسنا، يمكن فعل ذلك بحماس، وهو واجب. بالتصرف بشكل جيد أظن أن المرء يمكنه الوصول إلى حرية نسبية، حتى في مؤسسة للمجانين. ويبدو لي أن النوبات كانت متواترة، ومحددة، وعليه لا يمكنني أن أتوقف عن اعتبار نفسي مريضا.

لنتحدث عن شيء آخر، لا يمكنني أن أرى الجنوب مثل الإيطاليين، فورتوني وجيمنيز وتابيرو وآخرين، بل على النقيض من ذلك يجعلني أراه أكثر بعينيْ الشماليتين!

ليس الأمر، صدقني، أنني لا أتمنى العيش كما فعلت في السابق، دون هذا الانشغال بالصحة. بأي حال، سنحاول مرة، لكن ليس مرتين، في الربيع إن شفيت تماما.

اليوم أخذت عشرة فرنكات كانت مع السيد بيرون. حين أذهب لآرل سيتوجب علي دفع إيجار ثلاثة أشهر للغرفة التي بها أثاثي. سيكون هذا في فبراير. هذا الأثاث، يبدو لي، سيعود بالنفع، إن لم يكن لي، فلرسام آخر يريد الاستقرار في الريف.

ألن يكون من الحكمة، في حال مغادرتي هنا، أن نرسله إلى جوجان، الذي على الأرجح يمضي وقتا أكثر في بريتاني، بدلا منك، أنت الذي ليس لديك مساحة له. هذا أمر آخر يجب أن نفكر فيه في وقته.

أظن أنه بإعطاء صندوقي أدراج ثقيلين وعتيقين لأحدهم، يمكنني أن أعفي نفسي من دفع بقية الإيجار ونفقات التعبئة بالأحرى. إنهما يكلفانني قرابة الثلاثين فرنكا. سأكتب لجوجان ودي هان لأرى إن كانا يخططان للبقاء في بريتاني وإن كانا يريدانني أن أرسل الأثاث، وأيضا إن كانا يريدانني أن أذهب لهما أيضا. لن ألزم نفسي بأي شيء، فقط قل إنني على الأرجح لن أستمر هنا.

هذا الأسبوع سأقوم بالبدء بالعمل على لوحة مييه "الحقل المغطى بالجليد"، و"الخطوات الأولى" بطريقة الأخريات نفسها. ثم سيصبح ثمة ست لوحات تشكل سلسلة، وأؤكد لك أنني عملت عليها، تلك الثلاث الأخيرة من "أوقات النهار"، بالكثير من الفكر لحساب الألوان.

كما ترى، هذه الأيام هناك العديد من الناس الذين لا يشعرون بأنهم مصنوعون للجمهور لكنهم يساندون ويثبتون ما يفعله الآخرون. أولئك الذين يترجمون الكتب، مثلا. الحفارون، وطباعو الحجر. خذ فيرنبيه مثالا، وليرا. هذا أشبه بقول إنني لا أتردد بصناعة النسخ. إن كان لدي الوقت الكافي للسفر، فكم كنت سأحب نسخ أعمال جيوتو، هذا الرسام الذي هو حديث كما ديلاكروا إن لم يكن بدائيا، وهو مختلف بشدة عن بقية البدائيين. لم أر العديد من أعماله، مع ذلك. لكن ثمة واحدة معزية.

ما أفكر بعمل لوحة له هو "السكارى" لدومييه، و"السجن" ريجامي. ستجدها بين المحفورات الخشبية. أنا مشغول بمييه حاليا، لكن هذا أشبه بقول إنني لا أفتقر إلى ما أعمل عليه. وهكذا وحتى إن كنت نصف مسجون فسأتمكن من شغل نفسي لوقت طويل.

ما وجده الانطباعيون في اللون سيتطور أكثر من ذلك، لكن ثمة حلقة ينساها الكثيرون تربط هذا بالماضي، وسأجتهد لأري الناس أن لدي إيمانا قليلًا بالانفصال

العميق بين الانطباعيين والآخرين. أجده شيئا سعيدا أنه في هذا القرن كان ثمة رسامون مثل مييه، وديلاكروا، وميسونييه، لا يمكن تجاوزهم. فعلى الرغم من أننا لا نحب ميسونية كما يحبه أشخاص بعينهم، فليس ثمة مهرب منه، حين يرى المرء "القراء" له، و"التوقف" والكثير من اللوحات الأخرى، فإن هذا شيء مميز بحق. ثم لا يغفل المرء نقطة قوته، أي التصوير العسكري، لمجرد أننا نفضل الحقول أكثر من ذلك. مع هذا، لنكون عادلين يجب أن نقول إن ما فعله لا يمكن تجاوزه أو تغييره. مرة أخرى أتمنى أن تكون أختنا قد تعافت.

تحيات دافئة للجميع.

المخلص للأبد،

فنسنت

٨٤١ | سان ريمي دو بروفانس، الاثنين ٢٠ يناير ١٨٩٠
إلى ويليماين فان جوخ (F)

شقيقتي العزيزة،

رأيت ذاك اليوم أناسًا مرضى بالإنفلونزا وانتابني الفضول لمعرفة إن كنتِ قد أصبتِ بها أنت أيضًا، كما أميل للاعتقاد؟ رأيت امرأة مريضة تعاني من مضاعفات عصبية مقلقة وتغير فاجع في حياتها.

هل تستمتعين بوجودك في باريس؟ أستطيع أن أتخيل أنها قد صدمتك كمدينة مفرطة في كبرها ومدوخة للغاية. ذلك يزعجنا دائما، نحن من اعتدنا الأجواء الأكثر بساطة.

اكتبي لي قريبًا لو أحببت ذلك، فأنا أرجو أن أسمع أنك قد تعافيتِ.

أخشى قليلًا من أثر باريس عليّ إذا عدت لها، كما يمكن أن يحدث في الربيع. فخلال عام كامل كنت أعمل على نسيان باريس قدر استطاعتي من زاوية الاضطراب والإثارة اللذين تثيرهما الإقامة الطويلة فيها. ومهما قال الناس، فنحن المصورين نعمل بشكل أفضل في الريف، فكلّ شيء هناك يتكلم بوضوح أكثر، وكل شيء متماسك، وكل شيء يشرح نفسه، بينما في المدن الكبيرة وإذ يصيبنا الإرهاق، نتوقف عن الفهم ونشعر بالضياع.

أتمنى أن تكون لوحة "النساء بين أشجار الزيتون" مناسبة لذوقك. لقد أرسلت رسمتها إلى جوجان هذه الأيام وقد أخبرني أنه وجدها جيدة. وهو يعرف شغلي جيدًا ولا يتردد في مصارحتي عندما يرى عكس ذلك. لك مطلق الحرية أن تأخذي واحدة أخرى، لكنني أعتقد تقريبًا أنك في النهاية ستعودين لهذه. لم يعد الطقس باردًا هنا هذه الأيام، وفي الشهر القادم سأذهب إلى العمل في الخارج بكل طاقتي. آه، وبالكلام عن الفرق بين المدينة الكبيرة والريف. يا له من معلم ذلك مييه. فبحكمة وشغف شديدين صور الريف بطريقة تجعلنا نشعر به حتى ونحن في المدن. ثم إن لديه شيئًا فريدًا وصالحًا حتى أعماقه، حتى إن المرء يشعر بالمواساة حين ينظر إلى أعماله، فيتساءل إن كان قد صنعها هكذا خصيصًا لمواساتنا. أنا الآن أرى ريف البروفانس الحقيقي بشكل أفضل من البداية. وهو فيما يخص الناس متماثل تمامًا كما في بلادنا، وإن ظهر عكس ذلك. بينما تختلف ممارسة الفلاحة وأعمال الحقول كليةً عما يحدث لدينا في حقول الحث الشمالية. أفكر كثيرًا في هولندا وفي شبابنا المنصرم، تحديدًا لشعوري بأنني في عمق الريف هنا. أتعرفين، إنني أتقدم في العمر، ويبدو لي أن الحياة قد مضت سريعًا، وكلما كانت المسؤولية أكثر جديةً كانت مسألة العمل للحاق بالوقت الضائع أكثر حرجًا. قضاء الأيام صار أكثر صعوبة، والمستقبل أكثر غموضًا، وصدقيني قد يكون أكثر إظلامًا أيضًا.

أرجو أن أكتب كلمة لأمي هذه الأيام أيضًا، كلنا ندين لك بالكثير لأنك تعتنين بها بإخلاص ونرجو أن تحفظيها لنا طويلا.

أعتقد أن تيو ربما يكون سعيدًا جدا هذه الأيام، فلدي فكرة ما أن أيام السهر السابقة وفي أثنائها كان هناك قلق كبير. وقد شاركتهم في ذلك نوعًا ما. كما أن جو كما يكتب لي شجاعة جدًا ويقظة للغاية. وهذه هي الطريقة المثلى للتعامل مع الأمور. أحب كثيرًا صديقي جوجان، لأنه نجح في إنتاج الأطفال واللوحات في الوقت نفسه. وهو في هذه اللحظة في كرب شديد وقلق لأن أحد أبنائه أصابه مكروه ما وهو ليس هناك ليستطيع نجدته.

هل قابلت إميل برنار الآن؟ أرغب بشدة في أن يذهب ليرى لوحاتي هذه الأيام. يجب أن أكتب له لكنني أتوقع رسالة منه كل يوم. لا بد وأنه يواجه مصاعب هذه الأيام. فهو شخص باريسي للغاية بطبيعته، وهو مثال للحيوية بالنسبة لي، وله هيئة تذكرني بشخصيات دوديه لكنه أقل نضجًا وبشكل طبيعي أقل اكتمالًا أيضًا.

على أي حال يا أختي العزيزة، إن للأطباء أو الحرفيين وجماعات كثيرة من البشر أفكارًا أكثر عملية وأكثر تماسكًا من الفنانين. وأحيانًا أتنهد بعمق متحسرًا لأني أصبحت منهم. سوف أكفّ عن هذا الكلام حالًا حتى لا أحبط ذاتي. وعلى كل حال لا يمكن أن يرجع الواحد عن الخطوات التي قطعها، وتلك الخطوات ستؤثر في المستقبل. أتمنى أن تري الكثير من الأشياء الجميلة، وفوق كل شيء أن تكوني أفضل الآن.

هل قرأت شيئا مؤخرا أو في القريب، أنا لم أفعل.

لو توفر لك بعض الوقت، فأنا أرشح لك نفسي كثيرًا لتطلعيني على أخبارك. أقبلك في أفكاري كثيرًا.

المخلص دوما،

فنسنت

قولي لي بالأخص رأيك في إيزاكسون، أنا عن نفسي أقدره كثيرًا، وأرشحه لك بقوة.

٨٤٩ | سان ريمي دو بروفانس، السبت أول فبراير ١٨٩٠
إلى جان بيتر رسل (F)

صديقي العزيز رسل،

أرسل إليك اليوم لفافة من صور فوتوغرافية عن أعمال لميه ربما لا تعرفها.

وعلى أي حال، هذا لتتذكرنا، أنا وأخي، ولذكراك الطيبة. هل تعرف أن أخي قد تزوج بعدها، وهو هذه الأيام في انتظار وليده البكري؟ ولعل الأمور تمضي بخير، لديه زوجة هولندية شديدة الطيبة.

كم يسعدني أن أكتب لك بعد صمت طويل. هل تذكر ذلك الوقت، عندما التقينا في تزامن تقريبًا مع صديقنا جوجان، قابلته أنت في الأول على ما أذكر ثم أنا. إنه لا يزال يواصل النضال، وحده، أو تقريبًا وحده شجاعًا كعادته. وأنا متأكد أنك لا تنساه.

أنا وهو لا نزال صديقين، أستطيع أن أؤكد لك، لكنك ربما على علم بأنني مريض، وأنه قد داهمتني نوبات عصبية أكثر من مرة مع هذيانات. ولهذا اضطررت لأن أذهب إلى مصحة للأمراض العقلية فافترقت أنا وإياه. كنا نتكلم عنك في مرات عديدة قبل هذا! ويعيش جوجان حاليا مع مواطن لي اسمه دي هان، ودي هان يمتدحه كثيرًا ويجد الإقامة معه لا بأس بها.

ستجد مقالا عن لوحاتي لدى مجموعة العشرين، وأؤكد لك أني مدين بالكثير للأشياء التي أخبرني إياها جوجان عن الرسم، كما أني أقدر بشدة، بشدة، طريقة حبه للطبيعة. لأن قيمته كإنسان من وجهة نظري أكبر حتى من قيمته كفنان. هل تسير الأمور معك على ما يرام؟ وأما زلت تعمل كثيرًا؟

إن المرض وإن كان ليس من أسباب السعادة، فلا أجد لديّ الحق في التشكي. ففيما يبدو لي إن الطبيعة تجعل المرض وسيلة لتقويمنا، لشفائنا عوضًا عن شر مطلق.

لو حدث وذهبت إلى باريس، فخذ إحدى لوحاتي من لدى أخي لو أحببت، لو كانت لا تزال لديك فكرة تكوين مجموعة لتأخذها إلى وطنك. أنت تذكر أنني سبق وكلمتك عن هذا، وهي رغبتي فعلا أن أعطيك واحدة لهذا الغرض. كيف حال صديقنا ماكنايت؟ لو كان لا يزال معك، أو لو كان معك بعض الآخرين ممن أعرفهم فأبلغهم تحياتي الحارة. وقبل ذلك أبلغ تحياتي للسيدة رسل، وتقبل مني مصافحة في الخيال.

المخلص حقًا،

فنسنت فان جوخ

طرف الدكتور بيرون

سان ريمي دو بروفانس

سان ريمي دو بروفانس، السبت الأول من فبراير ١٨٩٠ ٨٥٠

إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

وصلني اليوم فقط النبأ السعيد أنك صرت أبًا أخيرًا، وأن جو قد تجاوزت الحالة الحرجة، والمولود بخير الآن. ذلك حسن مزاجي للغاية وأسعدني كثيرًا بما لا أستطيع أن أصفه بالكلمات. مرحى، وكم ستسعد أمي لذلك. وقد استلمت منها هي أيضًا خطابا مطمئنًا قبل يومين. أخيرًا تحقق ما كنت أرجوه منذ فترة طويلة. ولست بحاجة لأن أقول لك إني كنت أفكر فيكما أنتما الاثنين كثيرًا طوال الأيام الماضية، وقد تأثرت بشدة لأن جو قد تكرمت وكتبت لي في الليلة السابقة. كم هي شجاعة وثابتة حتى وهي في لحظات الخطر، ذلك أثر فيّ كثيرًا. ذلك ساهم كثيرًا في نسياني تلك الأيام الأخيرة التي كنت مريضًا فيها، فلم أعد أدري أين أنا وقد تحيّر ذهني.

لقد فوجئت بشدة بالمقال الذي أرسلته إلي والذي يتناول لوحاتي، ولست بحاجة لأن أقول لك إنني أرجو أن أواصل الاعتقاد أنني لا أرسم هكذا، وأنني بالأحرى أرى من خلال المقال كيف ينبغي أن أرسم. فالمقال محق فعلًا حتى إنه يشير إلى الفجوة التي

ينبغي ملؤها، وأعتقد أن الكاتب يكتب ذلك لا ليرشدني أنا فقط، ولكن كل الانطباعيين الآخرين أيضًا، ليضع الاختراق في موضعه الصحيح. وهو يقترح ذاتًا جماعية تكون مثلا أعلى لي وللآخرين أيضًا. هو يخبرني ببساطة أن ثمة أشياء جيلة هنا وهناك، تقريبًا، حتى في أقل أعمالي اكتمالًا، وهذا هو الجانب المواسي الذي أقدره وأمتن له بسببه. لكن يجب أن يكون مفهومًا أن ظهري لا يحتمل ثقل عمل كهذا، وبتركيز المقال عليّ أشعر بحالي غارقًا في الإطراء، وهو من رأيي مبالغ فيه كما كتب إيزاكسون في مقال ما عنك ولأجلك، أن الفنانين حاليًا يرفضون النقاش، وأن حركة جادة كانت تتخلق في هدوء في حانوت صغير بجادة مونمارتر. أعترف أنه من الصعب أن يقول، أو أن يعبر الواحد عن نفسه بشكل آخر، تماما كما لا يستطيع أن يصور كما يرى، وبالتالي فأنا لا أنتقد جرأة إيزاكسون أو الناقد الآخر، لكن فيما يخصنا، فها نحن نجلس للموديل كي يرسمنا بدوره مرةً، وصدقني إنه واجب وعمل كغيره. فلو كان لنا أن نحوز صيتًا أنا أو أنت، فعلينا أن نحاول الحفاظ على بعض الهدوء، وحضور الذهن إن أمكن. لماذا لم يقل عن زهور الخطمي العظيمة والمكتملة تمامًا لدى كوست أو عن سوسناته الصفراء أو عن زهور الفاونيا الرائعة لدى جونان ما قاله عن زهور عباد الشمس التي تخصني وكان سيكون محقًا أكثر. وأنت مثلي تخمن أن المديح لا بد وله جانبه الآخر، الوجه الآخر للعملة. لكنني ممتن حقًا لهذا المقال، أو بالأحرى "قلبي سعيد" كما تقول الأغنية الفكاهية، بما أن المرء يحتاج إلى ذلك كما يحتاج حقًا إلى وسام. ثم إن عملًا كهذا له جدارته كنقد فني، وعلى هذا النحو فأنا أراه يستحق الاحترام، وعلى الكاتب أن يستخدم نبرات عليا، وأن يُحكم ختام مقاله... وما إلى ذلك.

ولكن علينا من البداية أن نفكر في إبعاد أسرتك الصغيرة قليلًا عن الوسط الفني. إن الشيخ جوبيل يدير أمور بيته جيدًا في أحراش باريس، وأعتقد أنك ستظل تفكر فيه أحيانًا. لقد تغيرت الأمور كثيرًا، فانعزاله وفتوره سيكون اليوم صادمًا، لكن قوته على الصمود في وجه العواصف كانت شيئا يستحق مع ذلك.

اقترح جوجان، وإن كان ذلك بعدم وضوح، أن نجد مرسمًا باسمه، له ولي ولدي هان، لكنه قال إنه سيواصل أولًا العمل بقوة على مشروعه، وهو يبدو مصابًا بالفتور

تجاه الاستمرار في التصوير، لا أعرف لماذا تحديدًا. وهو من ذلك النوع من الرجال الذي قد يفرّ إلى تونكين حقًا، فلديه حاجة معينة للتوسع، وهو، محقًا، يجد حياة الفنان وضيعة. وماذا نقول له، مع كل تجاربه في الأسفار؟ فأرجو أن يعتبرنا، أنا وإياك صديقين حقيقيين دون أن يعتمد علينا كثيرًا، وهو لا يفعل ذلك على أي حال. إنه يكتب بشكل أكثر تحفظًا وجدية من السنة السابقة. كتبتُ للتو كلمة لرسل مرةً أخرى فقط لأذكره بجوجان، لأنني أعرف أن رسل قوي وجاد كرجل. ولو اجتمعت ثانيةً مع جوجان فسنحتاج إلى رسل ساعتها. فجوجان ورسل رجلان بخلفية ريفية؛ لا أعني بدائية، لكن فيهما لطف الحقول النائية بشكل فطري أكثر مني ومنك حتى، هكذا أراهما.

حقيقةً، يجب أن يؤمن به المرء قليلًا، ومن وقت لآخر حتى يراه. نعم، فمن نفسي أريد الاستمرار في ـدعنا نقُلـ "ترجمة" بعض الصفحات من كتاب ميه، فلتجنب مضايقات وإعاقة الآخرين لي بحجة أني أصنع مستنسخات، ولن أقول انتقاداتهم، فمن بين الفنانين سأحتاج إلى أناس كرسل وجوجان لأنهي هذه المهمة على خير وجه، ولأخلق منها شيئا حقيقيًا. سأشتغل على قطع ميه التي أرسلتها إلي، وهو الخيار الذي أعتبره صائبًا للغاية. لدي هواجس في ذهني، وقد أخذت كومة الصور الفوتوغرافية وأرسلتها دون تردد إلى رسل حتى لا أراها ثانية قبل أن أكون قد أمعنت التفكير فيها. لا أريد أن أفعلها قبل سماع شيء من رأيك، وأيضًا آراء بعض الآخرين عن تلك التي ستستلمها قريبًا. وبدون ذلك ستكون لدي هواجس وخوف من أن تكون مجرد ضرب من الانتحال. وفيما بعد، خلال بضعة أشهر سأحاول الحصول على رأي رسل الصادق حول جدوى الأمر. وفي كل الأحوال، رسل ينفجر ويغضب ويقول شيئا حقيقيًا، وهذا ما أحتاجه أحيانًا. أتعرفُ، لقد وجدت "العذراء" مُبهرةً لدرجة لم أقو معها على النظر. لقد شعرت في الحال بـ "ليس بعد". إن المرض يجعلني شديد الحساسية الآن، ولست قادرًا في هذه اللحظة على مواصلة هذه "الترجمة" التي قد تتناول تحفًا فنية كهذه. أنا متوقف مع لوحة "البذّار" وهي تتطور لكنها لا تبدو كما كان مرجوًا منها. ومع ذلك، فخلال مرضي، فكرت كثيرًا في مسألة إكمال هذا العمل، وإنني إذ أفعل ذلك فأنا أفعله بهدوء، ستراها قريبًا عندما أرسل إليك

اللوحات الخمس أو الست المتهية. أتمنى أن يأتي السيد لوزيه، فأنا أرغب بشدة في التعرف إليه. لقد وثقت في رأيه حين قال إنه إقليم البروفانس. لقد وضع يده على المشكلة، وهو كالآخر يشير لما يجب أن يُفعَل عوضًا عما قد صنع بالفعل. المنظر الطبيعي مع أشجار السرو! آه، لن يكون ذلك مريحًا. إن أورييه قد شعر بذلك أيضًا حين قال إن حتى الأسود هو لون، وعن مظهرها كلهب. أنا أتأمل ذلك، ولا أجرؤ مع ذلك وأقول كإيزاكسون الحذر: لا أشعر بعد أننا قد نتوصل إلى ذلك. يتطلب الأمر جرعة من الإلهام، أو شعاعًا علويًا من خارجنا كي نصنع أشياء جميلة. عندما انتهيت من صنع زهور عباد الشمس كنت أبحث عن شيء مناقض وأيضًا معادل لها، وقلت لنفسي إنها أشجار السرو. سأتوقف عند هذا الحد، فأنا قلق بشأن صديقة يبدو أنها لا تزال مريضة، وأرغب في زيارتها، إنها تلك التي كنت قد صنعت لها البورتريه بالأصفر والأسود، وقد تغيرت كثيرًا. إنها نوبات عصبية ومضاعفات النكوص لعمر ما قبل النضج. باختصار فإن الأمر مؤلم بشدة. في المرة الأخيرة بدت كشيخ مسن. وقد وعدتها بالعودة بعد أسبوعين ثم سقطت مريضًا أنا نفسي.

وعلى أي حال، فإن الأنباء الطيبة التي أخبرتني بها وهذا المقال وحزمة من الأشياء السعيدة جعلتني أشعر شخصيًا بأنني في حالة جيدة للغاية اليوم.

والآن إذ أختم خطابي سأبقى معكم جميعًا بأفكاري. لتدم جو لنا جميعًا سالمةً. وبالنسبة للمولود، لِمَ لا نسميه تيو تيمنًا بأبينا الراحل؟ ذلك بالتأكيد سيسعدني جدًا. أصافحك.

المخلص دوما،

فنسنت

شعرت بالأسف أيضًا لأن السيد سال لم يجدك. وشكري ثانية لويل على رسالتها، وكنت أود لو أرد عليها اليوم لكنني سأرجئها عدة أيام من الآن، وأخبرها أن أمي كتبت لي رسالة طويلة أخرى من أمستردام. وكم ستفرح هي أيضًا.

لو رأيت السيد أورييه فاشكره كثيرًا على مقاله، وسأرسل إليك بالطبع كلمة له، مع لوحة.

٨٥٣ | سان ريمي دو بروفانس، الأحد ٩، أو الاثنين ١٠ فبراير ١٨٩٠ إلى البير أورييه (F)

عزيزي السيد اورييه،

أشكرك بشدة على مقالك في مجلة "ميركور دو فرانس" الذي فاجأني بشدة. وقد أعجبني كثيرًا كقطعة فنية في حد ذاتها، وأشعر بأنك خلقت الألوان بكلماتك؛ وقد أعدت اكتشاف لوحاتي في مقالك، لكن بشكل أفضل مما هي عليه، أكثر ثراءً ودلالةً. مع ذلك، أشعر بالحرج عندما أفكرُ أن ما قلته ينبغي أن ينطبقَ على آخرين أكثر مني. وبالأخص مونتيتشيلي قبل أي شخص آخر. إن كلامًا مثل "هو المصور الوحيد، على حد علمي، الذي يعرف كيفية تلوين الأشياء بمثل هذه الكثافة، وبمثل هذا السمت المعدني المشابه للجواهر". لو تكرمت بالذهاب إلى بيت أخي لرؤية لوحة معينة له عن باقة من زهور أذن الفأر بيضاء وزرقاء وبرتقالية، فلسوف تشعر بما أعنيه. ولكن لفترة طويلة ظلت أفضل أعمال مونتيتشيلي وأكثرها إدهاشًا في اسكتلندا وإنجلترا. ومع ذلك ففي أحد متاحف مدن الشمال، في مدينة ليل فيما أعتقد، لا تزال هناك رائعة له، أكثر ثراءً ولا تقل في فرنسيتها عن لوحة "الرحيل إلى كيثيرا" لواتو. إن السيد لوزيه حاليًا بصدد استنساخ ثلاثين عملًا لمونتيتشيلي. ودعني أقُل لك، فعلى حد علمي لا يوجد مصور تنحدر ألوانه مباشرةً وباستقامة من تراث ديلاكروا، ومن وجهة نظري يبدو أن مونتيتشيلي وصلته نظرية ديلاكروا في التلوين بشكل غير مباشر، وتحديدًا عبر دياز وزيم. ويبدو لي أن مزاجه الفني، أعني مونتيتشيلي، هو بالضبط كمزاج بوكاتشيو مؤلف ملحمة الديكاميرون، رجل أسيان وغير سعيد، أو بالأحرى رجل معتزل، يرى حفلات المجتمع الراقي تعبر، وعشاق زمنه، فيصورهم ويحللهم، وهو المنبوذ. آه، هو لم يقلد بوكاتشيو أكثر مما قلد هنري لايز البدائيين. حسنًا، إن تلك الطريقة لقول الأمور ضلت طريقها نحوي، وكان من الأفضل أن تقولها عن مونتيتشيلي، الذي أدين له بالكثير. وثانيًا أنا أدين بالكثير أيضًا لبول جوجان، الذي عملت معه لبضعة أشهر في آرل، وكنت قد عرفته قبل ذلك في باريس.

إن جوجان، ذلك الفنان المثير والغريب الذي تُذكر تصرفاته ونظرته ببورتريه لرامبرانت في صالة عرض لا كازه، ذلك الصديق الذي يجعل المرء يعتقد أن اللوحة الجيدة لا بد وأن تكون في منزلة عمل صالح، هو لا يقول هذا بالنص، لكن من الصعب أن تقضي وقتًا معه دون أن تفكر في مثل هذه المسؤولية الأخلاقية. قبل أن نفترق ببضعة أيام، عندما أجبرني المرض على دخول إحدى المصحات حاولت أن أرسم "مكانه الشاغر". إنها دراسة عن كرسيه ذي الخشب البني المحمر الداكن، بالمقعدة القشية المخضرة، وفي مكان الشخص الغائب شمعدان مضاء وبعض الروايات الحديثة. فلو أتيحت لك الفرصة، وكذكرى منه، فاذهب وألق نظرة ثانيةً على هذه الدراسة، وهي كلها بدرجات مكسورة من الأخضر والأحمر. ربما تتحقق ساعتها من أن مقالك كان ينبغي أن يكون أكثر دقةً، وكان سيبدو لي كذلك أكثر قوةً لو أنك بالتعامل مع مسألة مستقبل "التصوير في الأماكن الاستوائية" وفي مسألة الألوان، لو أنك أنصفت جوجان ومونتيتشيلي قبل أن تتكلم عني. فأنا أؤكد لك أن نصيبي من هذا الموضوع كان وسيظل ثانويًا.

ثم لدي أمر آخر أستفسر عنه منك. فلنفرض أن لوحتي عباد الشمس الموجودتين حاليًا في فينجتيستس بهما جودة ما في الألوان، وأنهما تعبران عن فكرة الترميز لـ "الامتنان". هل ذلك يفرق عن لوحات كثيرة لزهور صنعت بمهارة أكبر ولم يقدرها الناس على النحو الكافي بعد، كسوسنات الأب كوست الصفراء وزهور الخطمي؟ والباقات الرائعة من الفاونيا التي أنتجها جونان بغزارة؟ أترى؟ يبدو لي أن من الصعب فصل الانطباعية عن الأشياء الأخرى، لا أرى مبررًا لكل ذلك التفكير المذهبي الذي رأيناه في السنين الأخيرة، وأخشى أنه ضرب من العبث.

وختامًا، أصرح بأني لم أفهم كلامك عن مخازي ميسونييه. ربما عبر الصديق الرائع موف ورثت إعجابي غير المحدود بميسونييه؛ كان موف يمتدحه كثيرًا هو وترويون، ويا له من مزيج.

ذلك لألفت انتباهك إلى كيف الناس في الخارج يُبدون إعجابهم دون أن يلقوا بالًا لما يفرق الفنانين، لسوء الحظ، هنا في باريس. ما كان موف يردده دائمًا هو شيء

ى "لو أردت أن تصنع لونًا فلا بد أن تكون قادرًا أيضًا على رسم حياة منزلية أو منظر داخلي كميسونييه".

سأضيف دراسة عن شجر السرو مخصصة لك في الطرد القادم الذي سأرسله إلى شقيقي، لو تكرمت بقبولها كرد جميل على مقالك. ما زلت أعمل عليها حتى اللحظة، وأريد أن أضع بها شخصًا صغيرًا. إن شجر السرو من الملامح المميزة للمنظر الطبيعي في البروفانس، وقد شعرتَ أنت بذلك حين قلت: "حتى اللون الأسود". حتى الآن لم أستطع تصويرها كما أشعر بها؛ في حالتي فإن العواطف التي تستولي عليّ في مواجهة الطبيعة قد تصل بي لحد الإغماء، فتكون النتيجة أسبوعين من العجز عن العمل. وعلى كل حال، فقبل مغادرتي لهنا سأخطط للعودة إلى أرض المعركة لمهاجمة أشجار السرو. إن الدراسة المزمعة لك تصور مجموعة منها في ركن حقل للقمح في يوم صيفي تعصف فيه ريح الميسترال. ولهذا فإن بعض درجات السواد المغلف بالأزرق تتحرك في تيارات الهواء العظيمة التي تلف المكان، ويتعارض قرمزي زهور الخشخاش مع تلك الدرجات السوداء.

سترى أن هذا يشكل، بطريقة ما، مزيج الدرجات الذي نجده في الأقمشة الاسكتلندية ذات النقوش المربعة: أخضر، أزرق، أحمر، أصفر، أسود، والتي بدت لك ساحرةً ذات مرة كما بدت لي، والتي للأسف نادرًا ما يراها المرء هذه الأيام.

وتقبل يا سيدي العزيز شكري وامتناني للمقال، ولو قدر لي الذهاب إلى باريس في الربيع، فلن أتخلف عن المجيء وتقديم الشكر لك بنفسي.

فنسنت فان جوخ

عندما تجف الدراسة التي سأرسلها إليك تمامًا، وأيضًا الإمباستو وهو ما لن يحدث قبل عام، أعتقد أن من الأفضل أن تعطيها طبقة جيدة من الورنيش. ومن وقت لآخر يجب أن تُغسل بماء غزير عدة مرات لتزيل الزيت نهائيًا. تلك الدراسة ملونة بالكامل بالأزرق البروسي، ذلك اللون الذي لا يمتدحه أحد وإن كان ديلاكروا قد استخدمه كثيرًا مع ذلك. وأعتقد بمجرد أن تصبح درجات الأزرق البروسي جافة

حقًا، فبتلميعها بالورنيش ستحصل على الدرجات الداكنة، الداكنة جدًا اللازمة لإظهار درجات الأخضر الداكن المختلفة.

لا أعرف بالضبط كيف يجب تأطير هذه الدراسة، ولكن لما كنت أريدها أن تذكّر المرء بتلك المنسوجات الاسكتلندية العزيزة، فقد لاحظتُ أن إطارًا مسطحًا شديد البساطة، من الرصاص البرتقالي الفاتح سيخلق التأثير المرجو مع أزرقات الخلفية والأخضر الداكن للأشجار، بدون ذلك ربما لن يكون هناك أحمر كاف في اللوحة، وسيظهر الجزء العلوي باردًا قليلًا.

٨٥٦ | سان ريمي دو بروفانس، الأربعاء ١٩ فبراير ١٨٩٠

إلى ويليماين فان جوخ (F)

اختي العزيزة،

أشكرك كثيرًا جدًا على رسالتيك الأخيرتين، تلك التي من باريس ورسالة اليوم. ما كتبتِه أيضًا عن مخاض جو مسني بشدة، لقد كنتِ في غاية الطيبة والشجاعة بوقوفك معها. في الظروف التي يسيطر فيها الخوف علينا سأكون رعديدًا مقارنة بك.

ولكن على أي حال، كانت النتيجة أن جاء المولود، وكما كتبت لجدته، فقد بدأت أرسم له هذه الأيام الأخيرة. لوحة كبيرة لأغصان محملة بالزهور على خلفية سماء زرقاء. من الممكن أن أراه قريبًا، أو أتمنى ذلك على الأقل نحو نهاية مارس. سأحاول الذهاب إلى آرل مرةً أخرى غدًا أو بعد غد لأرى إن كنت سأتحمل الرحلة والحياة العادية دون أن تعاودني الأزمة.

ربما لا بد في حالتي أن أعزز تصميمي على عدم الرغبة في الوهن العقلي.

وطبيعيًا، وعبر العمل الذهني المتواصل، فإن أفكار الفنان تنحو أحيانًا باتجاه المبالغة أو غرابة الأطوار. أعتقد أن مقال السيد أورييه، وبغض النظر عن استحقاقي لما قاله عني من عدمه، فني جدًا في حد ذاته ومثير، لكنه بالأحرى ما ينبغي أن أكون عليه لا الواقع التعيس لما أشعر به بخصوص ذاتي. وقد كتبت له أنه يبدو لي في كل الأحوال أن مونتيتشيلي أو جوجان هما من في الحقيقة هكذا، ولهذا فإن النصيب المستحق لي من ذلك ثانوي، وثانوي جدًا. إن تلك الأفكار التي يتحدث عنها لا تخصني، فكل الفنانين الانطباعيين في العموم هكذا، واقعون تحت التأثير نفسه، وكلّنا عصابيون بشكل ما. وهذا يجعلنا حساسين للغاية للألوان ولغتها الخاصة، وتأثيراتها في التكامل والتضاد والتناغم. ولكن عندما قرأت المقال فقد جعلني حزينا بالتقريب إذ فكرت: أيكون الأمر هكذا وأنا أشعر بالدونية. إن الفخر يسكر كالشراب، وعندما يُمتدح المرء أو يسكر يصبح حزينًا، أنا لا أعرف على أي حال كيف أصف ما شعرت به، لكن يبدو لي أن أفضل عمل يمكن أن يقوم به المرء هو ما يفعله في بيت أسرته دون إطراء للذات. ثم إنه في وسط الفنانين، فإن التصرفات الودود ليست كافية دائمًا. فهم إما يبالغون في مدح مزايا أحدهم، وإما يغالون في تجاهله. وعلى أي حال، يا ليته يكون صحيحًا أن العدالة من حيث المبدأ في حال أفضل مما تبدو عليه. لا بد وأن يكون الواحد قادرًا على الضحك في بعض الأحيان، ويكون فرحًا قليلًا أو حتى كثيرًا. أعتقد أنك محظوظة لرؤيتك ديجا في منزله.

لدي بورتريه لامرأة من آرل جاهز أبحث فيه عن تعبير مختلف عن ذاك الذي في بورتريه المرأة الباريسية.

يا لميه، ميه! كيف استطاع ذلك الرجل تصوير الإنسانية و"ما يوجد في الأعالي"، باعتيادية ومع ذلك بجلال.

أن تتخيل هذه الأيام أن ذاك الرجل كان يتحب إذ يأخذ في الرسم، وأن جيوتو وانجيليكو كانا يمارسان التصوير وهما جاثيان على ركبهما، وديلاكروا وهو حزين ومتأثر للغاية، تقريبًا مبتسمًا. من نحن الانطباعيين كي نفعل مثلهم؟ موحولون في معركة الحياة "من سيعيد للروح ما أخذته ريح الثورات"، تلك كانت صيحة أحد

شعراء الجيل الماضي ويبدو أنه كان يستبق التحذير من ضعفنا الحالي واعتلالنا واضطرابنا. وأنا أقولها غالبًا، هل نحن جديدون للغاية كالبلجيكي الشيخ هنري كونسيونس؟ لهذا تقريبا كنت راضيًا بالنجاح في بروكسل، بسبب كيمبن تلك التي في أنتويرب التي ما زلت أحاول استدعاءها من وقت لآخر في ممرات الحقول الهادئة فيما أشعر بحالي كطفل في حالة مزرية. أفكر هكذا، وأنا بمنأى عن كل شيء، فتواتيني الرغبة في أن أعيد صياغة نفسي وأن أحاول نول الصفح عن كون لوحاتي صرخات عذاب مبرح فيما ترمز للامتنان لزهور عباد الشمس البرية. بإمكانك أن تري أنني لا أفكر جيدًا، من الأفضل أن يعرف المرء كيف يحسب قيمة رطل من الخبز وربع من القهوة، كأي فلاح. ثم ها نحن ثانيةً، لقد ضرب مييه المثال بمعيشته في كوخ ريفي، واحتفاظه بعلاقة طيبة مع الناس دون هفوات غرابة أطوارنا وغرورنا. فقليل من الحكمة أفضل من الكثير من المزاج. كتلك الأيام.

أرجو أن أكتب لك ثانيةً في القريب. اعتني بنفسك وبأمنا أيضًا.

أتمنى أن أصنع بعض البورتريهات في باريس، دائمًا ما أعتقد أن الواحد من خلال البورتريه يتعلم التأمل. إنه ليس أكثر شيء يعجب عشاق الفن، لكن البورتريه شيء مفيد تقريبًا وأحيانًا مفرح، كقطع الأثاث التي نألفها، تستدعي ذكريات من زمن بعيد.

أقبلك في خيالي. لو كانت شقيقتنا الأخرى ترغب في لوحات بدورها، فبإمكانك أن تطلبي بعضها من تيو، وأن تختارا من بينها وفقًا لذوق كل منكما. تحياتي الحارة مرةً أخرى، ومصافحة قوية.

المخلص حقًا،

فنسنت

٨٥٧ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الاثنين ١٧ مارس ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أردت اليوم أن أحاول قراءة الخطابات التي وصلتني، لكن ذهني لم يكن صافيًا بشكل كاف كي أفهمها. ومع ذلك، سأحاول أن أجيب عليك مباشرةً، وارجو أن ينتهي ذلك خلال أيام قلائل. وأتمنى فوق كل شيء، أن تكون بخير أنت وزوجتك والطفل.

لا تقلق بشأني، حتى لو طال الأمر قليلًا، واكتب الشيء نفسه لأهل البيت وأبلغهم سلامي الحار.

وتحية حارة أيضًا لجوجان، الذي أرسل إلي خطابًا أشكره عليه كثيرًا، أنا ضجرٌ للغاية، لكن لا بد وأن أصبر. ومرة أخرى سلامي لجو وللصغير، وأصافحك في خيالي.

المخلص دوما،
فنسنت

ها أنا ألتقط هذه الرسالة ثانية وأحاول الكتابة، وستأتي شيئا فشيئا، فذهني متأثر بشدة، دون ألم مع ذلك، لكنه ذاهل تمامًا. ويجب أن أخبرك أن هناك، وبقدر ما أستطيع التمييز، آخرين في مثل حالتي، ممن تم علاجهم في فترة من حياتهم لكنهم تدهوروا بعد ذلك للعجز التام. لا يتعلم المرء أي شيء مفيد بين أربعة جدران، وهذا مفهوم، لكن مع ذلك فهناك أناس لا يمكن تركهم أحرارًا كالأسوياء، تلك حقيقة. ولهذا فأنا تقريبًا يائس من نفسي تمامًا. ربما، ربما تتحسن حالتي في الريف لفترة.

كان العمل يسير على ما يرام، وسترى أن آخر لوحات عن الأغصان المزهرة هي أكثر الأعمال التي صُنِعت بصبر، وهي أفضل الأشياء التي أنجزتها، وقد رسمت

بهدوء وثقة أعظم في اللمسات. وفي اليوم التالي انتهزت الفرصة كوحش. من الصعب فهم أشياء كهذه، ولكن هذا هو الأمر مع الأسف. لدي رغبة عارمة في العودة للعمل مع ذلك، لكن جوجان أيضًا كتب لي أنه، وإن كان مثابرًا، فهو يائس من قدرته على الاستمرار. وأليس حقيقة أن مثل تلك القصص الخاصة بالفنانين تتكرر كثيرًا. وعليه، يا أخي المسكين، تقبل الأشياء كما هي، ولا تبتئس من أجلي، فسوف يلهمني ويشجعني بشكل لا تتخيله أن أعرف أنك تدير أمور أسرتك جيدًا. ثم، بعد فترة من المحاولة، فقد تعود لي أيام السكينة أيضًا. لكن خلال ذلك سأرسل إليك لوحات في القريب.

رسل أيضًا كتب لي، وأعتقد أنه كان من الحسن أننا كتبنا له فلا ينسانا تمامًا. ومن ناحيتك تكلّم عنه من وقت لآخر حتى يعرف الناس أنه رجل جيد جدًا وإن كان يعمل في عزلة، وأعتقد أنه سيصنع أشياء جيدة كالتي اعتدنا على رؤيتها في إنجلترا مثلًا. إنه محق ألف مرة في أن يعزل نفسه في القليل.

أبلغ تحياتي لآل بيسارو. سأقرأ رسائلك لاحقًا بهدوء أكبر، وأتمنى أن أكتب ثانية غدًا أو بعد غد.

٨٦٣ | سان ريمي دو بروفانس، الثلاثاء ٢٩ أبريل ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

لم أستطع الكتابة لك سوى الآن، ولكن بما أني شعرت بتحسن هذه الأيام فلم أرد تأجيل تهنئتي بعيد ميلادك أكثر من هذا، فأمنياتي لك ولزوجتك وطفلك بعام سعيد. وتقبل أيضًا اللوحات المختلفة التي أرسلها إليك مع شكري لكل اللطف الذي أبديته لي، فبدونك لم أكن لأسعد قط.

ستری أولا أن هناك لوحات عن أعمال لميه. تلك اللوحات ليست للعرض على الجمهور، فربما تهديها لشقيقاتنا إن آجلا أم عاجلا. ولكن يجب في البداية أن تحتفظ لنفسك باللوحات التي تجدها جيدة، وعلى قدر ما ترغب، فهي كلها لك اصلا. يجب أن ترسل إلي ذات يوم أعمالًا أخرى لفنانين قدامى أو محدثين كي أشتغلها، لو عثرت على أشياء كهذه.

أما باقي اللوحات فهزيلة، أنا متراجع جدًا، لم أكن قادرًا على العمل لمدة شهرين. ستجد أن أشجار الزيتون مع السماء الوردية هي الأفضل، ولوحة الجبال كما أتخيل. الأولى ستتماشى جدًا مع اللوحات ذات السماء الصفراء. وبالنسبة لبورتريه المرأة من آرل، فأنت تعرف أني قد وعدت صديقنا جوجان بواحد منها، فتأكد أنه قد حصل عليه. أما أشجار السرو فهي للسيد أوربيه. كنت لأود أن أعيدها بتقليل تقنية الإمباستو، لكن لم يكن هناك وقت لذلك.

وعلى أي حال فهي لا بد وأن تغسل ثانية وعدة مرات بالماء البارد، ثم بورنيش قوي عندما يجف الإمباستو مباشرةً، فلا يبدو الأسود متسخًا عندما يتبخر كل الزيت. والآن سأحتاج إلى ألوان بالضرورة، بإمكانك أن تشتري جزءاً منها من عند تانجي، لو كان في ضائقة مالية، أو لو كان ذلك سيسعده. لكن بالطبع على ألا يكون أغلى من الآخر.

وهاك قائمة بالألوان التي أحتاجها:

أنابيب كبيرة: ١٢ أبيض زنك، ٣ كوبالت، ٥ أخضر فيروني
١ لازوردي اعتيادي
٢ أخضر زمردي، ٤ أحمر كروم، ٢ كروم رقم ٢
١ برتقالي رصاصي، ٢ أزرق بحري

ثم (ومن محل تاسيه) أنبوبتان متوسطتان من أزرق الجيرانيوم

ستسدي لي معروفًا لو أنك أرسلت نصف هذه الكمية على الأقل في الحال، في الحال، فقد أضعت الكثير من الوقت.

وسوف أحتاج أيضًا إلى ست فرشات.

«sketch A»

ست فرشات من الشعر الحيواني.

«sketch B»

أريدها من هذا المقاس تقريبًا، وأريد سبعة أمتار من قماش الرسم أو حتى عشرة.

ماذا يمكن أن أقول لك عن الشهرين الماضيين، الأمور لا تمضي على ما يرام أبدًا، إنني اكثر حزنًا وضجرًا مما أستطيع أن أصف لك، ولم أعد أعرف في أي نقطة أنا.

وبما أن طلبية الألوان كبيرة، فدعني أنتظر نصفها إن كان ذلك يلائمك أكثر.

حين كنت لا أزال مريضًا، صنعت بعض اللوحات الصغيرة من الذاكرة ستراها لاحقًا، من ذكريات الشمال، وقد انتهيت الآن من لوحة عن ركن مشمس في المروج أعتقد أنها قوية بما يكفي، وستراها قريبًا.

وبما أن السيد بيرون ليس هنا، فأنا لم أقرأ رسائلك وبعد، ولكنني أعرف أن بعضها قد وصل. لقد كان لطيفًا بما يكفي ليخبرك عن الوضع، فبالنسبة لي فأنا لا أعرف ماذا أفعل أو فيم أفكر. ولكن لدي رغبة ملحة في مغادرة هذا المكان. وذلك لن يفاجئك، فلستُ بحاجة لأن أقول لك ذلك ثانيةً.

وصلت رسائل أيضًا من بيت والدينا، لم تواتني الشجاعة بعد لقراءتها، لشدة شعوري بالأسى.

رجاءً اطلب من السيد أورييه ألا يكتب مقالات أخرى عن لوحاتي، أخبره بجدية أنه لا يفهمني، فالكرب يجعلني في حالة لا أستطيع معها تقبل الدعاية. إن صنع اللوحات يخفف عني ولكن أن أستمع لكلام عنها فذلك يؤلمني بشكل لا يتخيله. كيف حال برنار؟ بما أن هناك لوحات متكررة، فلو رغبت فقم بالتبادل معه، فبعض لوحاته الجيدة ستشكل إضافةً لمجموعتك. سقطتُ مريضًا في أثناء صنعي للوحة زهور شجرة اللوز، لو كنتُ قادرًا على مواصلة العمل، تفهم طبعًا أنني كنت لأصنع لوحات أخرى عن الأشجار المزهرة. والآن فإن الأشجار المزهرة قد انتهت تقريبًا، إن حظي سيئ حقًا. نعم، يجب أن أحاول مغادرة هنا، ولكن إلى أين أمضي؟ لا أعتقد أن المرء سيكون حبيسًا ومسجونًا في الأماكن التي لا يدعون فيها أنهم يتركونك حرًا، كما في شارنتون أو مونتفيرج.

لو كتبت للبيت فأبلغهم تحياتي الحارة وأخبرهم أنني أفكر فيهم كثيرًا.

مصافحة لك ولجو، صدقني.

المخلص دوما،
فنسنت

رجاءً أرسل إلي ما تجده من لوحات الشخوص من بين رسومي القديمة. أفكر في إعادة لوحة الفلاحين يتناولون العشاء، مع تأثير ضوء مصباح. تلك اللوحة لا بد قد أصبحت داكنة جدًا الآن، ربما أستطيع إعادتها بالكامل من الذاكرة. يجب قبل كل شيء أن ترسل إلي الحاصدات والحفارين، لو تبقى منها شيء.

ولو أحببت فسوف أعيد البرج القديم من نيونن والكوخ. أعتقد أنه لو كنتَ لا تزال محتفظا بها فبإمكاني أن أصنع منها شيئا أفضل من الذاكرة.

٨٦٥ | سان ريمي دو بروفانس، نحو الأول من مايو ١٨٩٠
إلى تيوفان جوخ (F)

أخي العزيز،

اليوم، وإذ عاد السيد بيرون، قرأت رسائلك الرقيقة، ثم رسائل الأسرة أيضًا، وذلك أحسن إلي بأن أعاد لي القليل من الطاقة، أو بالأحرى الرغبة في الخروج ثانية من حالة الغم التي أرزح فيها. وأشكرك كثيرًا على قطع الحفر، لقد اخترت بعض القطع التي طالما أعجبتني بالذات، تلك التي عن داود، وأليمازر، والسامريين، والمحفورة الكبيرة عن الرجل الجريح، وقد أضفتَ إليها الرجل الضرير وتلك المحفورة الأخرى الصغيرة جدًا، تلك الأخيرة شديدة الغموض التي تخيفني ولا أود حتى أن أعرف عمَّ تكون. لم أعرفها، صائغ الذهب الصغير. ولكن أليمازر! تطلعت إليها هذا الصباح المبكر، وتذكرت ليس فقط ما قاله شارل بلان عنها، لكن ما لم يقله أيضًا.

ولسوء الحظ فإن الناس هنا متطفلون وعاطلون ويجهلون ما هو التصوير مما لا يتيح لي ممارسة مهنتي. وهذا ما يستطيع المرء ملاحظته دائمًا، وهو أني وإياك قد بذلنا جهدًا في الاتجاه نفسه كبعض الآخرين ممن لم يُفهَموا، وقد كدرتهم الظروف بمرارة.

لو حدث وذهبت إلى مونبلييه فسترى أن ما أخبرتك عنه هنا حقيقي.

والآن الأفضل أن تقترح العودة إلى الشمال، وسوف أقبل.

لقد عشت حياة شديدة الشقاء قد تسفر عن هلاكي أو فقدي القدرة على العمل.

إن جوجان وجيومان، كليهما يريدان إجراء مبادلة لقاء المنظر الطبيعي من الألبي، وهناك لوحتان لهذا المنظر، لكنني أعتقد أن تلك التي أنهيتها مؤخرًا، والتي أرسلتها للتو قد صنعت بإحكام أكبر والتعبير فيها أكثر دقة.

ربما أشتغلُ على أعمال رامبرانت، وبالأخص لدي فكرة أن أصنع لوحة "الإنسان والصلاة" بطيف الألوان المتدرج من الأصفر المشع للبنفسجي.

مرفق هنا رسالة جوجان، افعل ما تراه الأفضل فيما يخص المبادلة، وخذ اللوحات التي تعجبك لنفسك، وأنا واثق أن ذوقينا يصيران إلى التماثل بشكل متنام.

آه لو كنت أستطيع العمل بدون هذا المرض اللعين! كم من الأشياء كنت سأكون قد أنجزتها وأنا معزول عن الآخرين وفقًا لما قد تمليه عليّ الأرض. لكن نعم، هذه الرحلة قد انتهت بسلام حقيقةً. وعلى أي حال ما يعزيني هو رغبتي القوية في أن أراك ثانيةً أنت وزوجتك وطفلك، والعديد من الأصدقاء ممن تذكروني في محنتي، فأنا لا أكفّ عن التفكير فيهم أيضًا.

أنا بالتقريب واثق من أن حالتي ستتحسن في الشمال، على الأقل لفترة طويلة نوعًا ما، فيما أخشى التدهور ثانيةً خلال بضع سنوات، ولكن ليس في التو. هذا ما أتخيله بعد مراقبة المرضى الآخرين هنا، وبعضهم أكبر مني عمرًا بمقدار معتبر، أو بين الشباب ومعظمهم من العاطلين أو الطلبة. وعلى أي حال، فمن يدري؟

لحسن الحظ فإن الرسائل من شقيقتنا وأمنا هادئة جدًا. إن شقيقتنا تجيد الكتابة ببراعة، وهي تصف منظرًا طبيعيًا أو أحد جوانب المدينة وكأنها صفحة في رواية من الأدب الحديث. أنا دائمًا ما أستحثها على أن تشغل نفسها بالأعمال المنزلية عوضًا عن الأمور الفنية، لأنني أعرف أنها بالفعل حساسة جدًا، وفي عمرها ستجد صعوبةً في أن تشق طريقها نحو التطور الفني. وأخشى أيضًا أنها قد تعاني من رغبتها الفنية المحبطة. لكنّها نشيطة جدًا وسوف تتجاوز هذا. لقد تكلمت مع السيد بيرون عن الوضع، وأخبرته أنه من المستحيل تقريبًا أن أتحمل مصيري هنا، وحيث إني لا أعرف في أي اتجاه سأسير، فيبدو أنه من الأفضل لي أن أعود إلى الشمال.

لو كنت تعتقد أنها فكرة جيدة، ولو اقترحت موعدًا تنتظرني فيه بباريس، فسوف أجعل أحدهم يرافقني من هنا لجزء من الطريق، حتى تاراسكون أو ليون مثلًا. ثم لتكن أنت في انتظاري، أو ترسل أحدًا لينتظرني في المحطة بباريس. افعل ما تجده مناسبًا. وسأترك أثاثي الآن كما هو في آرل. إنه لدى بعض الأصدقاء، وأنا واثق أنهم سيرسلونه في الوقت الذي سأحتاجه فيه. لكن حزم المتاع وشحنه سيكون أسوأ شيء تقريبًا.

٨٦٨ | سان ريمي دو بروفانس، الأحد ٤ مايو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

اخي العزيز،

أشكرك على رسالتك الطيبة وعلى صورة جو، وهي جميلة جدًا وموفقة في زاوية التقاطها. حسنًا، سأكون في غاية البساطة والعملية في ردي عليك. أولًا، أرفض بشكل قاطع ما قلته إنه يجب أن يصحبني أحدهم خلال الرحلة. فبمجرد أن أكون في القطار، لن أشكل أي خطورة، فلست واحدًا من الخطيرين. وبفرض أن داهمتني الأزمة، أليس هناك ركاب آخرون في العربة، وإلى جانب ذلك، ألا يعرفون في كلِّ المحطات كيفية التصرف في مثل هذه الحالة؟ أنت تحمِّل نفسك هنا مخاوف تثقل عليَّ بشدة وقد تحبطني مباشرةً.

للتو قلت الشيء نفسه للسيد بيرون، وقد أشرت إلى أن أزمة كالتي مررت بها لتوي تعقبها دائمًا ثلاثة أو أربعة أشهر من الهدوء التام. وأنا أرغب في الاستفادة من هذه الفترة في الانتقال. أريد الانتقال على أي حال، فرغبتي في مغادرة هنا لا رجعة فيها.

لا أشعر بأنني كفء لأحكم على الطريقة التي يعاملون بها المرضى هنا، ولا أرغب في الدخول في التفاصيل، لكن أرجوك تذكر أنني حذرتك منذ نحو ستة أشهر أنه لو تملّكت مني أزمة أخرى من الطبيعة نفسها فأنا أُفضل تغيير المصحة. وقد أجلت ذلك طويلًا بالفعل، حتى جاءت الأزمة وأنا في منتصف العمل، وكنت أريد الانتهاء من اللوحات قيد التنفيذ، وإلا ما كنت سأكون هنا الآن. وعليه، فأنا أخبرك أن أسبوعين على أقصى تقدير (أسبوع واحد قد يسرني أكثر) سيكونان كافيين لاتخاذ الخطوات اللازمة للمغادرة. سأجعل أحدهم يصحبني حتى بلدة تاراسكون أو محطة أو محطتين بعد ذلك لو أصررتَ على الأمر. وبمجرد وصولي باريس (سأرسل برقية لدى مغادرتي هنا) لتأت لاصطحابي من محطة ليون.

والآن يبدو من المفضل بالنسبة لي أن أرى ذلك الطبيب في الريف في أقرب وقت ممكن، ولنترك المتاع في المحطة.

وهكذا فسوف أمكث لديك لنقُل يومين أو ثلاثة، ثم سأغادر إلى تلك القرية، حيث سأبتدئ بإقامتي في النزل.

هذا ما يبدو لي ما يمكن أن تفعله في الأيام القادمة، دون تأجيل، أن تكتب لصديقنا المستقبلي، ذلك الطبيب: "سيسعد شقيقي بالتعرف إليك، وهو يود لو يستشيرك قبل أن يطيل بقاءه في باريس، ويرجو أن توافق على قضائه بضعة أسابيع في قريتكم، حيث سيصنع بعض الدراسات؛ ولديه ثقة تامة أنه سيتوصل إلى تفاهم معك، موقنًا أنه بعودته إلى الشمال فإن مرضه سيتراجع، في حين ستزداد الحالة حدة وستصبح حالته خطرة إذا بقي في الجنوب."

هاك! تستطيع أن تكتب له على هذا المنوال، ولنرسل إليه برقية في اليوم التالي لوصولي باريس، أو اليوم الذي يليه، وربما يكون في انتظاري في المحطة.

إن الأجواء هنا أصبحت ثقيلةً بما يفوق قدرتي على التعبير، أقسم لك، لقد انتظرت بصبر لأكثر من عام، أحتاج إلى الهواء، أشعر بأنني قد أتلفني الضجر والغم. ثم إن العمل محبط، سأكون بصدد إضاعة الوقت هنا. أنا أسألك لماذا إذن تخشى الحوادث إلى هذه الدرجة؟ ليس هذا ما ينبغي أن يخيفك، أقسم لك، منذ مجيئي إلى هنا وأنا أرى أناسًا يتهاوون أو يفقدون عقولهم كل يوم، ما هو أكثر خطورةً أن تحاول أخذ سوء الحظ في الاعتبار. أطمئنك أنه بالفعل لأمر جاد أن ينسحب المرء ليعيش تحت الحراسة، حتى في حالة كونها حراسة لطيفة، وأن يضحي المرء بحريته ليقف خارج المجتمع، ويكون له فقط أن يعمل بلا تشويش. إن ذلك قد يترك تجاعيد لن تنمحي بسرعة. وقد أخذ يثقل عليّ بشكل كبير هنا، وأعتقد أن الصواب هو فقط أن نضع حدًا لهذا.

فأرجوك اكتب للسيد بيرون أن يسمح لي بالمغادرة، ولنقل نحو يوم ١٥ في الشهر على أقصى تقدير. لو انتظرت، فستنقضي اللحظة الطيبة بين نوبتين، أما بمغادرتي الآن فسيكون لدي وقت الفراغ الكافي للتعرف إلى الطبيب الآخر. ثم لو عاودني المرض بعد فترة من الآن فسيكون ذلك متوقعًا، ووفقًا لدرجة حدته سيكون

بإمكاننا أن نرى إن كنت سأستمر طليقًا أم أنه ينبغي أن أحشر نفسي في مصحة إلى الأبد. وفي الحالة الثانية، وكما أخبرتك في رسالتي السابقة فقد أذهب إلى مصحة يعمل نزلاؤها في الحقول وفي الورشة. وأعتقد فوق ذلك، أنني سأجد موضوعات للوحاتي أكثر من هنا.

اعتبر إذن أن الرحلة ستكلف الكثير، وأنها بلا داع وأن لدي الحق في تغيير المصحة إذا راق لي ذلك، فأنا لا أطالب بحريتي المطلقة.

لقد حاولت أن أكون صبورًا حتى هذه اللحظة، ولم أتسبب في أذية أي شخص، فهل من العدل أن يرافقني أحدهم في الرحلة كما لو كنت حيوانًا خطيرًا؟ لا شكرًا، أنا أعترض. لو حدثت أزمة ما، فإنهم يعرفون كيف يتصرفون في كل المحطات، وسوف أسمح لهم بذلك وقتها. لكن لديّ جسارة الاعتقاد بأن اتزاني لن يفارقني. أنا مكروب جدًا من العيشة هكذا، وهذا الكرب سيكون أقسى من الجنون ولهذا فإن لدي الجرأة اللازمة كما أعتقد. إن السيد بيرون يقول كلامًا غامضًا ليخلي مسؤوليته كما يقول، ولكن بهذه الطريقة فلن نضع أبدًا أبدًا حدًا لذلك، وسيستمر الأمر إلى ما لا نهاية، وسننتهي للغضب أحدنا من الآخر.

وبالنسبة لي فإن صبري ينفد، ينفد يا شقيقي العزيز، لا أستطيع الاستمرار، لا بد وأن أنتقل من هنا، حتى لو كان ذلك بصورة مؤقتة.

وأيًا كان الأمر، هناك فرصة حقيقية أن التغيير سيكون مفيدًا لي، العمل يسير بشكل جيد، أنجزت لوحتين عن الحشائش النضرة في المتنزه، واحدة منها بسيطة للغاية. هاك رسم كروكي لها على عجالة.

«sketch A»

جذع شجرة الصنوبر من الوردي البنفسجي، ثم العشب بزهور بيضاء ونبتات الهندباء البرية، خميلة ورد صغيرة وجذوع أشجار أخرى في الخلفية، في الجزء الأعلى

من اللوحة. سأكون في الخارج هناك. وأنا متأكد أن الرغبة في العمل ستلتهمني وستجعلني في مزاج طيب وغير مكترث بأي شيء آخر. وسأترك ذاتي تنطلق هناك، لا دون أي اعتبارات، لكن دون تأسّ على الأشياء التي لم تحدث.

يقولون إنه في التصوير لا يجب على المرء أن يلتمس شيئا أو يأمل في شيء غير اللوحة الجيدة ومحادثة طيبة وعشاء طيب كقمة السعادة، دون أن نحسب التفاصيل الأقل روعة. ربما يكون ذلك حقيقيًا، فلماذا نرفض القبول بما هو متاح، خاصة أنه بفعل ذلك قد نهرب من المرض.

مصافحة قوية لك ولجو، وأعتقد أنني سأصنع لوحة لشخصي بعد موضوع البورتريه، ربما لا تكون مطابقة، ولكن سأجرب على كل حال.

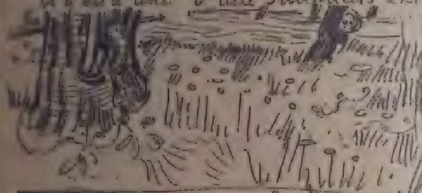
مزيد من التفاصيل في القريب، كما أرجو. وأرجوك، جنبني ذلك المرافق الإجباري في السفر.

المخلص دوما،

فنسنت

Mais j'ose croire que mon aplomb ne me manquera pas. J'ai tant de chagrin de quitter comme cela que le chagrin aura plus fort que la folie. J'aurai donc j'ose croire l'aplomb nécessaire.
M. Peyron dit des choses vagues pour dégager dit-il sa responsabilité mais ainsi on n'en finirait jamais jamais. La chose traînerait en longueur et finirait par se fâcher de part et d'autre. Mais ma patience est à bout à bout mon cher frère je n'en peux plus il faut changer même pour un pis aller. —

Cependant il y a une chance réellement que le changement me fasse du bien. — Le travail marche bien. J'ai fait 2 toiles de l'herbe fraîche dans le parc dont il y en a une d'une simplicité extrême en voici un croquis hâtif. — Un tronc de pin violet rose et puis de l'herbe avec des fleurs blanches et des pissenlits, un petit rosier et d'autres troncs d'arbre dans le fond tout en haut de la toile. Je serai là bas dehors je suis sûr que l'envie de travailler me dévorera et me rendra insensible à tout le reste et de bonne humeur. Et je m'y laisserai aller mais pas sans réflexion mais dans un apaisement sur des regrets de choses qui auraient pu être.



Ils disent que dans la peinture il ne faut rien chercher ni espérer qu'un bon tableau et une bonne causerie et un bon dîner comme maximum de bonheur sans compter les parenthèses moins brillantes. — C'est peut-être vrai et pourquoi refuser de prendre le possible surtout si ainsi faisant on donne le change à la maladie.
Bonne poignée de main à toi et à Jo. Je crois que je ferai une peinture pour vous d'après le motif des pissenlits cela ne sera pas sans difficultés peut-être mais enfin je chercherai. J'espère à bientôt — et voyons apaisez-vous ce compagnon de voyage forcé. — t. à t. Vincent.

حديقة المصحة، جذوع الشجر ونبات الهندباء

٨٧٢ | سان ريمي دو بروفانس، الثلاثاء ١٣ مايو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

اخي العزيز،

بعد المناقشة الأخيرة مع السيد بيرون أخذت تصريحا بحزم صندوق متاعي، وشحنته في قطار البضائع. ستسمح لي الثلاثون كيلو من المتاع المتاحة أن آخذ معي بعض البراويز، والحامل، وبعض إطارات الشد وما إلى ذلك.

سأغادر ما إن تكتب للسيد بيرون، وأنا أشعر بهدوء كاف ولا أعتقد أن اضطرابًا ذهنيًا يمكن أن يداهمني بسهولة في الحالة التي أنا فيها. وعلى أي حال، أتمنى أن أكون في باريس قبل يوم الأحد الذي سيكون عطلتك، لقضاء النهار في هدوء معكم جميعًا. وأرغب حقًا في رؤية أندريه بونجر أيضًا في أقرب فرصة.

لقد انتهيت أيضًا لتوي من لوحة لزهور وردية في مزهرية خضراء على خلفية من الأصفر المخضر. وأتمنى أن تعوضنا لوحات الأيام الأخيرة عن نفقات السفر.

هذا الصباح، وإذ ذهبت كي أختم صندوق متاعي، رأيت الريف ثانيةً، شديدَ النضارة بعد المطر ومكسوًا بالزهور، يا لكمية الأشياء التي كان يمكن أن أرسمها.

وكتبت أيضًا لآرل كي يرسلوا إلي السريرين ومفرش السرير في قطار البضائع. وقد قدرت أن ذلك قد يكلف نحو عشرة فرنكات كمصاريف نقل، وهو ما ربحناه من الكساد. ستكون نافعة لي في الريف بالتأكيد.

لو لم تكن قد رددت بعد على رسالة السيد بيرون، فأرسل إليه برقية أرجوك، بحيث أقوم بالرحلة يوم الجمعة أو السبت على الأكثر لأقضي الأحد معكم. وهكذا، سأفقد أقل ما يمكن من وقت العمل الذي انتهى هنا الآن.

وفي باريس، لو استطعت فسوف أصنع في الحال لوحة عن متجر كتب أصفر (بتأثير إضاءة الغاز) وهي في ذهني من فترة طويلة. وسترى أنني سأنخرط في العمل من لحظة وصولي. أخبرتك أنه فيما يخص العمل فإن ذهني في حالة سكينة تامة وضربات فرشاتي تتوالى خلف بعضها في غاية المنطقية.

وفي النهاية، وحتى نلتقي يوم الأحد على الأكثر، أصافحك بقوة، وتحياتي الحارة لجو.

المخلص دوما،

فنسنت

٨٧٣ | أوفير سور واز، الثلاثاء ٢٠ مايو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ وجو فان جوخ بونجر (F)

عزيزي تيو وعزيزتي جو،

بعد تعرفي إلى جو سيكون من الصعب من الآن فصاعدًا أن أكتب لتيو وحده، ولكن لتأذن لي جو أن أكتب بالفرنسية، حيث أعتقد، أنني وبعد سنتين في الجنوب سأقول بها وبشكل أفضل ما لدي كي أقوله. إن أوفير جميلة حقًا، فمن بين أشياء أخرى كثيرة، هناك العديد من الأسقف القشية وهو أمر صار نادرًا.

أتمنى لو يؤمّن لي صنع عدد من اللوحات عن هذا بعض تكلفة الإقامة، فهي حقًا جميلة بشكل خطير، إنها قلب الريف، مميزة ويليق بها التصوير.

لقد رأيت الدكتور جاشيه، وقد خلف لديّ انطباعًا بأنه شخص غريب الأطوار، ولكن تجربته كطبيب لا بد وأنها تحافظ على توازنه وهو يصارع التوعك العصبي الذي من الواضح لي أنه بدوره يعاني منه وبالحدة نفسها مثلي.

وقد دلني على نزل يطلبون فيه ستة فرنكات عن اليوم.
ومن ناحيتي وجدت واحدًا سأدفع فيه ثلاثة ونصفًا فقط في اليوم.

وحتى يطرأ أي تغير في الظروف، فأعتقد أنه تجب الإقامة هناك. وعندما أكون قد أنجزت عدة دراسات، فسأرى إن كانت هناك مزايا ترجى من الانتقال. ولكن لا يبدو لي أنه من العدل إذا كان المرء يريد ويستطيع الإنفاق والعمل كأي عامل آخر، أن يتوجب عليه دفع الضعف فقط لأنه يعمل كمصور. وعلى أي حال فسوف أبدأ في نزل الفرنكات الثلاثة والنصف.

ربما ترى الدكتور جاشيه هذا الأسبوع، لديه لوحة رفيعة المستوى لبيسارو، شتاء ببيت أحمر في الثلوج، وباقتان رائعتان لسيزان. وواحدة أخرى لسيزان عن القرية. عن نفسي، سأكون سعيدًا للغاية أن أجرب ضربات فرشاتي هنا.

أخبرت الدكتور جاشيه أنني كنت لأجد النزل الذي اقترحه مناسبًا بأربعة فرنكات فقط في اليوم، لكن الستة تفوق إمكانياتي في الإنفاق بفرنكين. ولا بأس بالنسبة له أن أقول إنني سأكون أكثر هدوءا هناك. وهذا يكفي.

إن بيته مليء بالأشياء القديمة، وهو معتم معتم معتم، باستثناء الاسكتشات القليلة التي ذكرتها للانطباعيين. وعلى الرغم من حقيقة كونه رجلا مسنًا فهو لم يترك لدي انطباعًا سيئًا. وبينما نثرثر حول بلجيكا وزمن المصورين القدامى استعاد وجهه العبوس ابتسامته ثانيةً، وأعتقد حقيقة أنه سيصير صديقي وأنني سأصنع بورتريهًا له. ثم قال لي إنني يجب أن أعمل كثيرًا وبجرأة، وألا أفكر فيما جرى لي على الإطلاق.

في باريس، شعرت أن كل ذلك الضجيج ليس هو ما أحتاجه.

ولقد سررت للغاية لرؤية جو والصغير وشقتكما التي هي أفضل بكثير من الأخرى.

أتمنى لكما حظًا سعيدًا وصحة طيبة، وأرجو أن أراكما ثانيةً في القريب. أصافحكما بقوة.

فنسنت.

٨٧٥ | أوفير سور واز، الأحد ٢٥ مايو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ وجو فان جوخ بونجر (F)

عزيزي تيو، عزيزتي جو،

أشكركما على الرسالة التي استلمتها هذا الصباح، وعلى الخمسين فرنكًا المرفقة بها.

رأيت الدكتور جاشيه اليوم أيضًا، وسأذهب لممارسة التصوير في بيته يوم الثلاثاء صباحًا، ثم سأذهب للغداء معه وبعدها سيأتي ليرى تصويري. يبدو لي شخصًا في غاية التعقل، لكنه محبط في عمله كطبيب ريفي كما أنا محبط من التصوير، فقلت له إنني ساكون سعيدًا لو تبادلنا مهنتينا. وعلى أي حال، فأنا أعتقد أننا سنصبر صديقين. وأخبرني إلى جانب ذلك، أنه إذا كانت هجمات الاكتئاب أو أي شيء آخر تفوق احتمالي، فهو قد يستطيع أن يفعل شيئًا ليخفف من وطأتها، وأنني لا يجب أن أتحرج من أن أكون منفتحًا معه. حسنًا، فتلك اللحظة التي سأحتاجه فيها قد تأتي فعلًا، وإن كانت الأمور تمضي بسلام حتى اليوم. بل وقد تصير أفضل أيضًا، فما زلت أعتقد أنني قد التقطت مرضًا من الجنوب، وأن العودة إلى هنا ستكون كافية لتبديد كل هذا.

كثيرًا، وكثيرًا جدا ما أفكر في صغيركما، وأقول لنفسي إنني أرغب في أن يكبر قليلًا حتى يأتي إلى الريف. فأفضل نظام هو تربية الأطفال هنا. كم أود أن تأتوا أنت وجو والصغير لتقضوا استراحةً في الريف عوضًا عن الرحلة التقليدية إلى هولندا. نعم، أنا واع بأن أمي ترغب بشدة في رؤية الصغير، وهو بالتأكيد سبب للذهاب إلى هناك. لكنها مع ذلك ستتفهم، لو كان ذلك في مصلحة الصغير.

نحن هنا بعيدون بما يكفي عن باريس حتى نعتبر ريفًا حقيقيًا، وإن تغير المكان كثيرًا عن زمن دوبيني. لكنه ليس تغيرًا كريهًا، فهناك الكثير من الفيلات والعديد من مساكن الطبقة المتوسطة الحديثة، مبهجة للغاية ومشرقة ومغطاة بالزهور، ما من شيء كريه في ريف خصب تقريبًا، في هذه اللحظة التي يتطور فيها مجتمع جديد داخل القديم؛ هناك الكثير من الرخاء في الجو. إنني أرى أو أعتقد أني أرى هدوءا هناك على طريقة لوحات بوفي دو شافان، لا مصانع، فقط خضرة جميلة كثيفة وفي نظام جيد.

هل تخبرني عندما تسنح لك الفرصة أي لوحة قد ابتاعتها الآنسة بوش؟ لا بد أن أكتب لشقيقها لأشكرهما، ثم قد أقترح مبادلة دراسة لكل منهما بدراستين لي.

مرفق مذكرة صغيرة برجاء إرسالها إلى إيزاكسون.

لدي رسم لكرم عنب قديم أخطط لأن أصنع منه لوحة من مقاس ٣٠، ثم دراسة عن أشجار كستناء وردية، وواحدة عن أشجار كستناء بيضاء. ولكن لو سمحت الظروف، فأنا أتمنى أن أعمل بعض لوحات الشخوص. تقدم لوحات التصوير نفسها لرؤيتي بغموض فهي ستستغرق وقتًا حتى تتشكل، لكن ذلك سيأتي شيئا فشيئا. لو لم أكن مريضًا لكنت قد كتبت لبوش وإيزاكسون منذ فترة طويلة. لم يصل صندوق متاعي بعد، وهو ما يضايقني، وقد أرسلت إليهم برقيةً هذا الصباح.

أشكرك مقدمًا على قماشات الرسم والأوراق. إنها تمطر منذ الأمس والطقس عاصف، لكن لا بأس من رؤية هذه التأثيرات ثانيةً. لم تصل الأسِرّة أيضًا. ولكن على الرغم من هذه المضايقات، أشعر بسعادة لأنني لم أعد بعيدًا للغاية عنكم جميعًا وعن أصدقائي. أتمنى أن تكون بصحة أفضل. ويبدو لي مع ذلك أن شهيتك للطعام أقل من ذي قبل، وحسب ما يقوله الطبيب فلا بد لنا من طعام قوي لهذه التقلبات. فكن حذرًا لهذا، وجو بدورها كذلك، لا سيما أنها تغذي الصغير. حقيقة يجب مضاعفة كميات الطعام، ولن تكون هناك أي مبالغة في ذلك إن كان هناك أطفال نربيهم ونطعمهم. وبدون هذا يكون الأمر أشبه بقطار يسير متباطئًا والطريق مستقيم. بالإمكان توفير البخار لوقت كاف عندما يكون الطريق أقل استواءً.

أصافحك في خيال.

المخلص دوما،

فنسنت

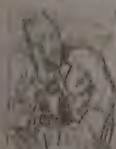
٨٧٧ | أوفير سور واز، الثلاثاء ٣ يونيو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

منذ أيام وأنا أتوق لأن أكتب إليك بذهن صاف، لكن العمل استغرقني. وهذا الصباح وصلت رسالتك التي أشكرك عليها وعلى ورقة الخمسين فرنكًا المرفقة بها. نعم، أعتقد أنه ولأسباب عديدة، سيكون من الحسن أن نكون جميعًا معًا هنا مرةً أخرى، لأسبوع من عطلتك، لو لم يكن متاحًا لك أطول من هذا. أفكر فيك كثيرًا وفي جو والصغير، وأرى أن الأطفال هنا يبدون أصحاء في الهواء النقي والنظيف. ومع أنه من الصعوبة بمكان تربيتهم، حتى هنا، فبالأحرى يكون الأمر فظيعًا أحيانًا، فقط أن تحاول المحافظة عليهم في صحة وسلامة في شقة بالطابق الرابع في باريس. ولكن على أي حال، علينا أن نتقبل الأمور كما هي. يقول السيد جاشيه إن الأب والأم لا بد وأن يتغذيا بشكل طبيعي، ويتكلم عن تناول ليترين من البيرة يوميًا وما إلى ذلك، في هذه الحدود. لكنك حتمًا ستستمتع بتعميق معرفتك به، وهو من الآن يتطلع إلى ذلك، وكلما رأيته كلمني عن مجيئكم جميعًا إلى هنا. إنه يبدو لي وبالتأكيد، معتلًا ومضطربًا مثلي ومثلك، وهو أكبر في العمر، وقد فقد زوجته منذ سنوات قليلة، لكنه طبيب بمعنى الكلمة ومهنته وإيمانه يجعلانه قادرًا على الاستمرار على الرغم من كل شيء. قد صرنا بالفعل صديقين حميمين، وبالصدفة هو يعرف أيضًا بروياس من مونبيلييه ويشاركني الرأي نفسه بخصوصه، أنه شخص مهم في تاريخ الفن الحديث. أنا أعمل على بورتريه له.

(sketch A)

الرأس بقلنسوة بيضاء، أشقر ورقيق للغاية، واليدان بلون بشرة فاتح أيضًا، معطف أزرق ضاف وخلفية بزرقة الكوبالت مستندًا إلى طاولة حمراء عليها كتب صفراء ونبتة قفاز الثعلب بزهور أرجوانية. إن بها الإحساس نفسه الذي بالبورتريه الذاتي لي الذي أخذته عندما غادرت إلى هنا.



دکتور جاشیه

إن السيد جاشيه مولع بجنون بهذا البورتريه ويريدني أن أعمل البورتريه الخاص به تمامًا كهذا لو استطعت، وهو ما أرغب فيه أيضًا. وهو الآن قد توصل لفهم البورتريه الأخير للمرأة من آرل، كالذي لديك باللون الوردي، إنه يعود لهما دائما عندما يأتي ليشاهد الدراسات، لهذين البورتريهين وهو يتقبلهما بالكامل، وتماما كما هما. أتمنى أن أرسل إليك بورتريهًا له قريبًا. ثم أنجزت دراستين في بيته أعطيته إياهما الأسبوع الماضي. واحدة عن صبارات وسرو ونبات الأذريون، ثم الأحد الماضي زهور بيضاء وكروم ووجه أبيض بينها.

وفي الغالب سأعمل أيضًا بورتريهًا لابنته ذات التسعة عشر ربيعًا، والتي أتخيل أن جو سترتبط سريعا بالصداقة معها.

وأنا أتطلع لأن أرسمكم جميعًا في الهواء الطلق، أنت وجو والصغير.

لم أعثر حتى الآن على أي شيء مثير للاهتمام فيما يتعلق بالمرسم، ومع ذلك فعلي أن أجد غرفة أضع بها اللوحات غير المكتملة التي تزحم شقتك وتلك التي لدى تانجي. لأنها لا تزال بحاجة للكثير من اللمسات الأخيرة. ولكن على أي حال، فأنا أعيش اليوم بيومه. والطقس جيد جدًا. وصحتي جيدة، أذهب للنوم في التاسعة مساءً لكنني أستيقظ في الخامسة صباحا معظم الوقت.

لدي آمال أن الأمر سيكون لا بأس به أن نجتمع ثانية بعد غياب طويل. وآمل أيضًا أن أستمر في الثقة في فرشاتي أكثر مما كنت قبل ذهابي إلى آرل. ويقول السيد جاشيه إنه يعتبر ذلك غير قابل للتكرار، وإن الأمور تمضي على نحو جيد جدًا. لكنه أيضًا يشتكي وبمرارة من حالة الأشياء في كل مكان في الريف، حيث لم يأت أي أجنبي، إذ أصبحت الحياة فيه باهظة بشكل رهيب. ويقول إنه مذهول من أن أصحاب النزل يجعلونني أقيم وأتناول الطعام نظير ذلك فقط، وأنني أعتبر محظوظًا مقارنة بآخرين ممن جاؤوا من معارفه. وإنه إذا جئت أنت وجو والصغير فليس هناك أفضل من أن تقيموا في النزل نفسه. والآن فليس هناك شيء، مطلقًا، يبقينا هنا سوى جاشيه، وسيبقى هو صديقًا كما أتوقع. أشعر أنني أستطيع أن أصنع لوحة لا بأس بها

في كل مرة أذهب إلى بيته، وهو بالتأكيد سيواصل دعوتي على العشاء كل أحد أو اثنين.

ولكن حتى الآن، وإن كانت ممارسة التصوير هناك لطيفة، فإنه من الرتيب بالنسبة لي أن أتناول الغداء أو العشاء هناك، لأن الرجل الرائع يرهق نفسه بإعداد وجبة من أربعة أو خمسة أطباق، وهو أمر ثقيل بالنسبة لي وله، فمعدته بالتأكيد لا تحتمل. وما منعني من الاعتراض على هذا هو رؤيتي أن ذلك يذكره بالأيام الخوالي حين كان الناس يجتمعون في عشاءات عائلية، وهو ما خبرناه جيدًا نحن أيضًا. ولكن الفكرة الحديثة بتناول طبق واحد أو اثنين على الأكثر تشكل تطورًا رغم ذلك، وعودة صحية للماضي الحقيقي.

وعلى أي حال فالأب جاشيه يعني الكثير، الكثير مثلي ومثلك. لقد سعدت لقراءتي في رسالتك أن السيد بيرون قد سأل عن أخباري عندما كتب لك. سأكتب له في هذا المساء ذاته أن الأمور تمضي على ما يرام، فقد كان طيبًا للغاية معي وأنا بالتأكيد لن أنساه. لقد عاد دومولان، صاحب اللوحات اليابانية في شان دو مار، إلى هنا، وأنا أتوق للغاية إلى مقابلته.

ماذا قال جوجان عن آخر بورتريه للمرأة من آرل والذي صُنع عن رسمة له؟ سترى في النهاية، كما أعتقد، أنه واحد من أقل الأشياء التي صنعتها رداءة. لدى جاشيه لوحة لجيومان، امرأة عارية على سرير، التي أعتبرها جميلة جدًا، ولديه أيضًا بورتريه ذاتي قديم لجيومان بريشته، مختلف جدًا عن ذلك الذي عندنا، قاتم لكنه مثير للإعجاب.

أما منزله فهو مليء، مليء كبيت تاجر عاديات بأشياء ليست جميلة كلها، بل وبشعة أحيانًا. ولكن وسط كل هذا، هناك ذلك الجانب الجيد، حيث سأجد دائمًا ما أحتاجه لتنسيق زهور أو طبيعة صامتة. وقد صنعت له بعض الدراسات، لأريه أننا، وإن كنا لن ندفع له نقودًا، فنحن مع ذلك نكافئه لقاء ما يفعله من أجلنا.

هل تعرف عمل حفر لبراكموند، بورتريه لكونت، إنه تحفة فنية.

سأكون بحاجة في القريب العاجل لاثنتي عشرة أنبوبة من لون أبيض الزنك من عند تاسيه وأنبوبتين متوسطتين للون أحمر الجيرانيوم. وما إن تستطيع إرسالها فسأعمل فورًا على نسخ دراسات براج في فوسان ثانيةً، تلك الشخوص العارية، تعرفها. أستطيع أن أرسمها بسرعة معقولة، لنقل تلك الستون ورقة المتوافرة خلال شهر واحد. فبإمكانك أن ترسل نسخة على سبيل الإعارة، وسأحرص على عدم تبقيعها أو اتساخها. لو أهملت مواصلتي لدراسة نسب الجسد العاري فسأجد نفسي في وضع سيئ لاحقًا. لا تظن أن ذلك ضرب من العبث أو اللاجدوى.

قال لي جاشيه أيضًا إنه يسعده أن أعيد له نسخ لوحة البييتا لديلاكروا، التي كان يتطلع إليها منذ فترة طويلة. وفيما بعد ربما يساعدني في موضوع الموديلات، وأعتقد أنه سيفهمنا بشكل كامل، وأنه سيعمل بكل ذكائه معي ومعك دون أي تحفظات، ومن أجل الفن وحب الفن. وربما يجعلني أصنع بعض البورتريهات. والآن للحصول على زبائن للبورتريهات فلا بد أن يكون الواحد قادرًا على عرض القطع المختلفة التي صنعها في ذلك النوع. هذه هي الإمكانية الوحيدة لإيجاد طريق لها. لكن، مع ذلك فإن بعض اللوحات ستجد من يقتنيها في يوم ما. وأعتقد أن كل تلك الضجة المثارة بسبب الأسعار المرتفعة التي دُفعت مؤخرًا في أعمال مييه وغيره، قد جعلت الوضع أكثر سوءا فيما يتعلق بفرص استعادة المرء حتى لتكلفة لوحاته. وهذا كفيل بإصابة الواحد بالدوار. فلماذا إذن نفكر في هذا، ذلك سيخدرنا. من الأفضل ربما أن نلتمس بعض الصداقة ونعيش اليوم بيومه. أتمنى أن يظل الصغير بصحة جيدة، وأنتما أيضًا حتى نلتقي ثانيةً في القريب العاجل. أصافحك بقوة.

فنسنت

٨٧٩ | أوفير سور واز، الخميس ٥ يونيو ١٨٩٠
إلى ويليماين فان جوخ (F)

اختي العزيزة،

كان ينبغي أن أرد على رسالتيك اللتين استلمتهما وأنا لا أزال في سان ريمي منذ وقت طويل، لكن الرحلة والعمل وحزمة من المشاعر الجديدة جعلتني أؤجل ذلك يومًا بعد الآخر. لقد أثارت عنايتك بالمرضى في مستشفى والون اهتمامي للغاية، وهكذا بالتأكيد يتعلم المرء الكثير من الأمور، أفضل وأهم ما يستطيع أن يتعلمه، وعن نفسي فأنا أندم على أنني لا أعرف شيئًا، أو القليل جدًا في أفضل الأحوال عن كلّ هذا.

كان من عظيم سعادتي أن أرى تيو ثانيةً، وأن أقابل جو والصغير. كان تيو يسعل بأشد مما كان يفعل عندما تركته آخر مرة منذ سنتين. ولكن مع ذلك، فعندما رأيته عن قرب وتحدثنا، فقد لاحظت أنه تغيّر للأفضل، كل الأمور في نصابها، وجو تبدو مفعمة بالتعقل والنية الطيبة. لا يبدو الصغير سقيمًا، لكنه ليس قويًا أيضًا. سيكون نظامًا جيدًا لو أن من يعيشون في مدينة كبيرة تأتي نساؤهم ليلدن في الريف ويقضين الأشهر الأولى به مع الصغير. ولكن، ها أنت ترين، وبما أن الولادة مخيفة وخاصةً في المرة الأولى، فهما بالتأكيد قد فعلا أفضل ما يستطيعان أن يفعلاه. أتمنى أن يأتيا هنا إلى أوفير لعدة أيام في القريب.

وبالنسبة لي، فإن الرحلة وما بعدها قد مضت بسلام حتى الآن، والرجوع إلى الشمال رفه عني كثيرًا. ثم إنني وجدت في الدكتور جاشيه صديقًا جاهزًا ونوعًا من أخ جديد، فنحن نتشابه كثيرًا في الشكل والطباع أيضًا. هو بدوره عصبي جدًا وغريب الأطوار. وقد أبدى صداقة كبيرة وأسدى خدمات كثيرة لعدد من فناني المدرسة الحديثة، ما دام ذلك في مقدوره. وقد صنعت له بورتريهًا ذاك اليوم، وسأصور أيضًا واحدًا لابنته التي في التاسعة عشرة من عمرها. لقد فقد زوجته منذ سنوات قليلة،

وهو ما أسهم بشدة في تحطيمه. أصبحنا صديقين في الحال، إذا جاز التعبير، وسوف أقضي يومًا أو يومين أسبوعيًا في بيته أعمل في حديقته، والتي أنجزت بالفعل عنها دراستين، واحدة بنباتات جنوبية، صبار وسرو وأذريون. وأخرى بزهور بيضاء، وكروم وشخوص. ثم باقة من شقائق النعمان. ومع هذا لدي أيضًا لوحة أكبر عن كنيسة القرية، بتأثير يظهر في المبنى أرجوانيًا على خلفية السماء بأزرق عميق وبسيط من الكوبالت الخام. ويبدو زجاج النوافذ الملون كبقاع زرقاء من أعماق البحر، والسقف بنفسجي وفي موضع منه برتقالي. وفي المقدمة شيء من الخضرة المزهرة، وبعض الرمل الوردي المشمس. مرة ثانية هو تقريبًا الشيء نفسه الذي فعلته في نيونن في الدراسات عن البرج القديم والمقبرة. فقط اللون ربما هو الآن أكثر تعبيرًا وبذخًا. ولكن في آخر أيامي في سان ريمي، كنت أعمل كشخص مجذوب، لا سيما على باقات الزهور، الورد والبنفسج والسوسن.

من أجل صغير تيو وجو فقد أخذت لهما لوحةً أكبر، وقد علقّاها فوق البيانو، زهور لوز بيضاء، أغصان كبيرة خلفها أرضية من الأزرق السماوي، وفي شقتهم الجديدة لديهم أيضًا بورتريه لامرأة من آرل، صديقي الدكتور جاشيه متحمس بشدة لهذا البورتريه الأخير للمرأة من آرل، واحد آخر لدي، ولبورتريه شخصي لي، وذلك شيء أسعدني، حيث إنه سيجعلني أنجز لوحات عن شخوص وأرجو أن يجد لي موديلات مثيرة لأصورها. إن ما يثير شغفي أكثر من أي شيء آخر في عملي هو فن البورتريه، فن البورتريه الحديث. ألتمسه عبر الألوان، وبالتأكيد لست الوحيد الذي يلتمسه بهذه الطريقة. ولكم أود، وها أنت ترين أنني بعيد عن أن أقول إنني أستطيع كل ذلك، أود لو أصنع بورتريهات تبدو كتجليات أطياف للناس بعد قرن من الزمان، وعليه فأنا لا أحاول أن أصنعها بالتماثل الفوتوغرافي ولكن بتعبيراتنا الشغوف، باستخدام معرفتنا وذوقنا الحديث في الألوان كوسائل للتعبير عن الشخصية وتكثيفها. وهكذا فإن بورتريه الدكتور جاشيه يريك وجهًا في لون قالب طوب ملوّح ومصطلٍ بالشمس، ورأسًا بشعر أصهب، وقلنسوة بيضاء في محيط منظر طبيعي، خلفية من التلال الزرقاء، وسترته في زرقة بحرية داكنة، وذلك يبرز الوجه ويجعله

أكثر شحوبًا على الرغم من كونه في لون الطوب. اليدان، يدا طبيب نساء وتوليد، أكثر شحوبًا من الوجه. وأمامه، على طاولة حديقة حمراء روايات صفراء، وزهرة قفاز الثعلب أرجوانية داكنة. البورتريه الذاتي عني هو الشيء نفسه تقريبًا، لكن الأزرق هنا هو أزرق جنوبي رقيق والسترة بلون ليلكي فاتح. بورتريه السيدة من آرل بدرجة لحمية عديمة اللون وغير مصقولة، العينان هادئتان وبسيطتان جدًا، والملابس سوداء، والخلفية وردية، وهي تستند بمرفقها على طاولة خضراء عليها كتب خضراء أيضًا. ولكن في تلك اللوحة التي لدى تيو، فالملابس وردية، والخلفية أبيض مصفر، ومقدمة الصدرية هي من الحرير الموصلي الأبيض تقارب الأخضر. في كل تلك الألوان الناصعة، فقط الشعر والرموش والعينان تشكل بقعًا داكنة.

«sketch A»

لا أستطيع أن أصنع تخطيطًا كروكيًا جيدًا لها.

في المعرض هناك لوحات رائعة من تصوير بوفي دو شافان.

«sketch B»

ترتدي الشخوص ملابس بألوان ناصعة ولا يعرف المرء أهي ملابس حالية أم هي من الماضي العتيق؛ سيدتان تتحدثان (أيضًا في ملابس بسيطة ضافية) في ناحية، وفي الأخرى رجال في هيئة فنية، وفي المركز امرأة، طفلها على يديها تلتقط زهرة من شجرة تفاح مزهرة. أحد الشخوص في زرقة نبات أذن الفأر الفاتحة، وآخر في لون الليمون الناصع، وآخر من الوردي الرقيق، وآخر أبيض، وآخر بنفسجي، والأرض مرج مرقط بقليل من الزهور البيضاء والصفراء. مسافة زرقاء مع مدينة بيضاء ونهر. كل الإنسانية وكل الطبيعة مختصران، ولكن كيف يمكن ذلك لو لم تكن موجودة بالفعل.

إن الوصف لا يقول أي شيء، ولكن برؤية اللوحة، وبالنظر إليها لمدة طويلة قد يشعر المرء بأنه كان حاضرًا لإعادة ميلاد طيبة وحتمية لكل ما يمكن أن يكون قد آمن به، أو ما رغب فيه، لقاء غريب وسعيد بين الأيام الموغلة في القدم والحداثة الخام.

(من اليسار إلى اليمين) ماري جينو؛ رسم مستوحى من بيير بوفيس دو شافان (بين الفن والطبيعة)

كنت مسرورًا أيضا لرؤيتي أندريه بونجيه ثانيةً؛ يبدو قويًا وهادئًا، ورأيي يجد مسوّغه في الأمور الفنية. وقد كان من دواعي سروري أن يجيء خلال وجودي في باريس.

أشكرك ثانيةً على الرسالتين، وقبلاتي لكِ.

المخلص دوما،

فنسنت

٨٨٩ | أوفير سور واز، الثلاثاء ١٧ يونيو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

عزيزي تيو،

أشكرك بشدة على رسالة قبل البارحة، وعلى الخمسين فرنكًا التي احتوتها. كنت أنتظر شحنة الألوان وقماشات- الرسم من تاسيه وقد وصلت لتوها، وأنا أشكرك أيضًا عليها بشدة. وللإجابة عن سؤال الفرق بين ألوان تاسيه وألوان تانجي: حسنًا، هي الشيء نفسه تمامًا. بعض أنابيب تاسيه تكون أحيانًا غير ممتلئة بشكل جيد، خاصة الأبيض، ومع ذلك فتانجي أيضًا بدوره لا يملؤها جيدًا، بالتأكيد دون قصد، أنابيب الكوبالت مثلًا كالتي أمسك بها الآن، فأنا أتكلم فقط بناءً على الحقيقة الموجودة لدى الاثنين، وأنا لا أجد سببا للتشكي من أحدهما على حساب الآخر.

هل هناك فرق في السعر؟ ذلك ما قد يهمني أكثر. ثم هنالك غشّ في صناعة الألوان كما في صناعة الأنبذة. فكيف للواحد أن يحكم بدقة عندما يكون -كما في حالتي- لا يفقه شيئا في الكيمياء. سيكون من الأولى، مع ذلك، إذا كان الأب تانجي قد بذل مجهودا

ووقتًا زائدًا لنا في حزم وشحن قماشات الرسم التي لديه في المخزن، أن تأخذ منه الألوان حتى لو كانت أسوأ قليلًا مما لدى الآخر. إن ذلك سيكون أكثر إنصافًا فقط.

لكن ما يقوله عن الفرق في الأنابيب، فأنا أكرر لك، هو محض خيال من جانبه. والسبب الذي دفعنا للجوء إلى تاسيه هو أن ألوانه أكثر تشبعًا. والآن فإن هذا الفرق ليس مهمًا، ولو كان لدى تانجي النية لشحن القماشات المخزنة لديه، فمن العدل أن يتولى طلبية الألوان.

لقد تعرفت لسعادتي إلى رجل هولندي وصل بالأمس. يبدو أطيب من أن يمارس التصوير في الظروف الحالية. ولو أصرّ مع ذلك على ممارسته فسأخبره أنه قد يحسن صنعًا إذا ذهب إلى بريتاني مع جوجان ودي هان، لأنه سيعيش هناك على ثلاثة فرنكات في اليوم عوضًا عن خمسة، وسيستمتع بصحبة طيبة. وأنني أتمنى بشدة لو ألحق به، بما أن جوجان ذاهب إلى هناك. لقد سعدت حقًا عندما علمت أنهما سيجددان محاولتهما هناك. وبالتأكيد أنت محق في أن ذلك أفضل لجوجان من البقاء في باريس. وأنا مسرور كذلك لأنه أعجب بذلك البورتريه للمرأة من آرل. أتوق فعلا لصنع بعض أعمال الحفر عن موضوعات من الجنوب، ولنَقُل ست قطع بما أنني سأستطيع أن أطبعها مجانًا لدى السيد جاشيه، هو ينتوي فعلا تنفيذها بلا مقابل لو أنجزتها. هو أمر لا بد وأن يُفعل، وستتصرف بحيث تكون أشبه بتكملة لإصدارات لوزيه مونتيتشيلي، لو وافقتني. وربما يصنع جوجان بعض أعمال الحفر عن بعض لوحاته بالاشتراك معي. لوحته التي تمتلكها أنت وبالذات بقية أعماله من المارتينيك.

أي قوالب أيضًا سينجزها السيد جاشيه لنا. بالتأكيد سنترك له حرية أن يطبع نسخًا لنفسه. وسيجيء السيد جاشيه ذات يوم ليرى لوحاتي في باريس، وعندها سننتقي اللوحات التي سنحفر عنها. وفي هذه اللحظة لديّ دراستان على أهبة الاستعداد، واحدة عن باقة من نباتات برية، حسك، وسنابل قمح، وأوراق لأنواع مختلفة من النبات. واحدة يغلب عليها الأحمر، وأخرى خضراء جدًا، وثالثة تصفر.

الدراسة الأخرى بيت أبيض وسط الخضرة مع نجمة في سماء الليل وضوء برتقالي في النافذة وخضرة معتمة ودرجة من الوردي الداكن.

هذا كل شيء حاليًا. ولدي فكرة أن أصنع لوحات أكثر أهمية عن بيت دوبيني وحديقته التي صنعت عنها دراسة صغيرة بالفعل.

سعدت حقيقة لأن جوجان سيسافر مع دي هان ثانية. وبالطبع فإن خطة مدغشقر تلك تبدو لي عصية بشدة على التنفيذ، وقد أفضل أن أراه يسافر إلى تونكين. ومع ذلك، فلو استطاع الذهاب إلى مدغشقر فقد ألحق به هناك، لأن الذهاب إلى هناك لا بد وأن يكون في أزواج أو ثلاثات. لكننا لم نذهب بعد. بالتأكيد فإن مستقبل التصوير سيكون في المناطق الاستوائية، سواء في جاوا أو المارتينيك أو البرازيل أو أستراليا، وليس هنا، ولكنك تشعر بأنه لم يثبت لي أنني أو أنت أو جوجان من أناس ذاك المستقبل. ولكن بالتأكيد هناك وليس هنا، سيرى المرء، ربما في القريب، الانطباعيين يصنعون ما يجعلهم يصمدون أمام مييه أو بيسارو. من الطبيعي أن تعتقد في ذلك، لكن الذهاب إلى هناك بدون وسائل العيش أو علاقة مع باريس هو طفرة مجنونة، فيما يكون المرء قد صدئ بينما هو جالس لسنوات هنا بلا حراك. حسنًا، أشكرك ثانيةً، وسلامي لك ولزوجتك، وأتمنى موفور الصحة للصغير الذي أتوق فعلًا لرؤيته ثانيةً.

المخلص،

فنسنت

٨٩٦ | أوفير سور واز، الأربعاء ٢ يوليو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ وجو فان جوخ بونجر (F)

عزيزي تيو وعزيزتي جو،

استلمت للتو الرسالة التي تقولان فيها إن الطفل مريض؛ وأود بشدة لو آتي وأزوركم، وما يمنعني هو التفكير في أنني سأكون أكثر عجزًا منكما في هذه المحنة الطارئة. لكنني أستطيع أن أشعر كيف هي مرهقة، وودت لو كان باستطاعتي مد يد المساعدة. وبمجيئي مباشرةً أخشى أن أزيد اضطرابكما. لكنني أشارككما القلق من كل قلبي. من المؤسف حقيقةً أن بيت السيد جاشيه مكتظ بأشياء من كل نوع، وإلا لكانت الإقامة هنا مع الصغير خطة جيدة لكم، على الأقل لنحو شهر كامل، أعتقد أن هواء الريف له مفعول عظيم. يوجد في الشارع هنا أطفال مولودون في باريس وهم عليلون للغاية، لكنهم مع ذلك بخير. والقدوم إلى النزل هنا قد يكون ممكنًا أيضًا، حقيقةً. ولكي لا تبقوا وحيدين فبإمكاني المجيء عندكم وقضاء أسبوع أو أسبوعين.

هذا لن يرفع النفقات. وبالنسبة للصغير فأنا أخشى أنه يجب أن يحصل على بعض الهواء، وخاصة حيوية الأطفال الآخرين في القرية. وبالتأكيد جو أيضًا التي تشاركنا القلق والمخاطر، فأنا أعتقد أنها بحاجة لهذه العطلة الريفية من وقت لآخر.

ثمة خطاب أسيان من جوجان، يتكلم بغموض عن قراره الحاسم بالذهاب إلى مدغشقر، ولكن بشكل غامض جدًا بحيث يرى المرء بوضوح أنه يفكر في هذا فقط لأنه لا يعرف حقيقة فيمَ يفكر بخلاف ذلك. وتنفيذ هذه الخطة يبدو عبثيًا تماما بالنسبة لي.

«sketch A ،C»

هنا نجد ثلاثة رسوم تخطيطية، أحدها عن امرأة فلاحة، قبعة صفراء كبيرة وعقدة من شرائط بلون سماوي ووجه شديد الحمرة. قميص أزرق خشن ببقاع برتقالية، وخلفية من سنابل القمح.

إنها لوحة من مقاس ٣٠. لكنني أخشى أن تكون خشنة قليلًا. ثم منظر طبيعي أفقي عن الحقول، كأحد موضوعات ميشيل، لكن ألوانها أخضر رقيق، أزرق مصفر ومخضر.

ثم دغل من جذوع الحور البنفسجية التي تقطع المنظر رأسيًا كأعمدة. عمق الدغل أزرق، وتحت الجذوع الكبيرة المرج المزهر، أبيض، وردي، أصفر، أخضر، حشائش خمرية طويلة وزهور.



(من اليسار إلى اليمين، ومن أعلى إلى أسفل) فتاة وخلفية من القمح، زوج يمشي بين صفوف شجر الحور، وحقول قمح

الناس هنا في النزل كانوا يعيشون في باريس، وقد كانوا متوعكين دائمًا هناك، آباءً وأبناءً، أما هنا فلم يعانوا من أي شيء، خاصة أصغر الأطفال الذي جاء إلى هنا وعمره شهران فقط، وكانت أمه تلقى صعوبة في إرضاعه، بينما هنا مضت كل الأمور على ما يرام بمجرد وصولهم تقريبًا. وعلى صعيد آخر أنت تعملُ طوال اليوم، وربما تنام قليلا هذه الأيام. وأنا أعتقد أن جو سيكون لديها ضعف الكمية من الحليب هنا، وإذا جاءت فبالإمكان الاستغناء عن الأبقار والأتن والدواب الأخرى. وبالنسبة لجو، فخلال ساعات النهار ستستمتع بصحبة، أعدكم، وبإمكانها أيضًا أن تذهب إلى النزل المقابل للأب جاشيه، ربما تذكر أن هناك نزلًا أمامنا في أسفل المنحدر.

ماذا تريدني أن أقول فيما يخص المستقبل المحتمل، المحتمل دون آل بوسو؟ ليكن ما يكون، أنت تحملت كل مشاكلهم، وخدمتهم بإخلاص مثالي طوال الوقت.

أنا أيضًا أحاول أن أفعل ما في وسعي، لكن لا أخفي عليك أنني لا أعول على تمتعي دائمًا بالصحة الجيدة. ولو عاودني المرض، فاعذرني، ما زلت أحب الفن والحياة كثيرًا، ولكن أن تكون لي زوجة فأنا لا أعتقد في ذلك كثيرًا. أنا بالأحرى أخشى، أنني في نحو عمر الأربعين لنقل، لكن دعنا لا نقول شيئا، أقرّ بأنني لا أعرف شيئا، لا شيء على الإطلاق، عن أي منحنى قد تتخذه الأمور.

لكنني أكتب لك الآن أنه فيما يخص الصغير لا يجب أن تقلق نفسك بشدة؛ فلو الأمر متعلق بنمو الأسنان في لثته، فلجعل الأمر أيسر عليه ربما نستطيع تسليته أكثر هنا حيث يوجد أطفال وحيوانات وزهور وهواء نظيف.

أصافحك أنت وجو بقوة في أفكاري، وقبِّل لي الصغير.

المخلص دوما،

فنسنت

أشكرك على طرد الألوان وعلى الخمسين فرنكًا وعلى المقال حول المستقلين.

ربما يأتي لزيارتك رجل إنجليزي أسترالي يدعى والبول بروك، إنه يسكن في ١٦ شارع لا جراند شوميير، أخبرته أنك ستعلمه بوقت يستطيع فيه أن يأتي لرؤية أعمالي التي لديك. وربما يريك هو بعض دراساته، التي لا تزال تنقصها الحياة، ولكن مع ذلك فهو يتأمل الطبيعة. لقد كان هنا في أوفير لمدة شهور، وكنا نخرج معًا أحيانًا، لقد نشأ في اليابان، وهذا لا يظهر في أعماله مطلقًا، لكن قد يحدث.

٨٩٨ | أوفير سور واز، نحو الخميس ١٠ يوليو ١٨٩٠

إلى تيو فان جوخ وجو فان جوخ بونجر (F)

أخي وأختي العزيزان،

إن رسالة جو كانت أشبه بترنيمة لي، وخلاص من الكرب الذي سببته لي الساعات الصعبة والشاقة التي تشاركناها معًا. ليس بالأمر الهين أن نشعر جميعًا بالتهديد في خبز كفافنا، ليس بالهين عندما نشعر أيضًا لأسباب أخرى بهشاشة وجودنا.

وعند عودتي إلى هنا، كنت لا أزال أشعر بالغم، والإحساس بأن العاصفة التي تهددكما تثقل كاهلي أنا أيضًا. ما الذي يمكن أن نفعله، تريان أنني أحاول دائمًا أن أحتفظ بهدوئي، ومزاجي، لكن حياتي أيضًا مهددة من جذورها وخطوتي تترنح. وأخشى، بشكل ما، من أن أكون قد شكلت خطرًا عليكما، بمعيشتي على نفقاتكما. لكن رسالة جو أثبتت لي أن ما تشعران به حيالي هو أنني أعمل وأكدح مثلكما.

بمجرد عودتي إلى هنا جلست للعمل ثانية، وعلى الرغم من أن الفرشاة كانت تسقط من يدي تقريبًا، فقد أنجزت منذ ساعتها ثلاث لوحات كبيرة حيث كنت

أعرف ما أريده بالضبط. هي امتدادات شاسعة من حقول القمح تحت سماء عاصفة، وقد حاولت بقصد أن أعبر عن الحزن والوحدة المطلقة. ستريان ذلك في القريب، كما أتمنى، فأنا أود أن آخذها لكم في باريس في أقرب وقت ممكن، بما أنني أكاد أومن بأن هذه اللوحات ستقول ما أعجز عن قوله بالكلمات، وهو ما أعتبره صحيًا وداعمًا في الريف.

اللوحة الثالثة هي "حديقة دوبيني"، وهي لوحة كنت أفكر فيها منذ مجيئي إلى هنا.

أتمنى من كل قلبي أن تمدكما رحلتكما المزمعة ببعض الترفيه.

أفكر كثيرًا في الصغير، وأعتقد أن تربية الأطفال أفضل من تبديد كل الطاقة العصبية في التصوير، لكن ما العمل، فأنا عن نفسي أشعر الآن بأنني أكبر عمرًا من أن أعيد تصحيح مساري أو أن أرغب في شيء مختلف. لقد غادرتني هذه الرغبة وإن كان ألمها المعنوي لا يزال موجودًا.

أشعر بأسف شديد لأني لم أر جيومان ثانيةً، لكن يسعدني أنه قد رأى لوحاتي. لو كنت قد انتظرته، كنت سأبقى لأتحدث معه وربما فاتني القطار.

أتمنى لكما حظًا سعيدًا وطيبة وازدهارًا. ورجاءً أخبرا أمي وأختي أنني أفكر فيهما دائمًا، وقد تلقيت منهما خطابًا هذا الصباح وسأرد عليه في القريب العاجل.

مصافحة بأفكاري.

المخلص دوما،

فنسنت

لن تصمد نقودي طويلًا هذه المرة. إذ اضطررت عند عودتي لدفع نفقات شحن متاعي من آرل. أحتفظُ بذكريات طيبة للغاية من هذه الرحلة لباريس. منذ أشهر قليلة كنت لا أظن أنني سأرى أصدقاءنا ثانيةً. أعتقد أن تلك السيدة الهولندية لديها قدر كبير من الموهبة.

إن بورتريه لوتريك للسيدة الموسيقية مذهل بشكل كبير، لقد حركت رؤيته مشاعري.

٨٩٩ | أوفير سور واز، بين الخميس ١٠ والاثنين ١٤ يوليو ١٨٩٠ إلى آنا فان جوخ كاربينتوس وويليماين فان جوخ (D)

امي العزيزة، وأختي العزيزة،

جزيل الشكر على رسالتكما الرقيقة، التي أسعدتني كثيرًا. أشعر بأنني أكثر هدوءا في الوقت الحالي عمّا كنت عليه العام الماضي، وقد خفت الاضطراب في ذهني كثيرًا. دائمًا ما اعتقدت أن رؤية الصحبة القديمة سيكون لها هذا التأثير.

كثيرًا ما أفكر فيكما أنتما الاثنتين، وأود بشدة أن أراكما ثانيةً.

من الجيد جدًا أن ويل قد بدأت في العمل في المستشفى. وأنها تقول إن العمليات ليست سيئة كما توقعتها، تحديدًا لأنها تقدر وسائل تخفيف الألم، والطريقة التي يدأب بها أطباء عديدون على فعل ما في وسعهم ببساطة وحساسية وكل طيبة، حسنًا، هذا ما أعتبره النظر للأمور على نحو صحيح، وامتلاك الإيمان. وتحديدًا أيضًا من أجل صحة المرء كما تقولين، فمن الضروري جدًا العمل في الحديقة ومشاهدة الزهور تنمو.

ومن جانبي، فأنا مستغرق تماما في الامتدادات الفسيحة لحقول القمح ومن خلفها التلال، شاسعة كبحر، وأصفر رقيق، وأخضر رقيق شاحب، وأرجواني رقيق لقطعة أرض محروثة ومعشوشبة، تبرقشها بانتظام خضرة نبتات البطاطس المزهرة، وكل هذا تحت سماء بزرقة رقيقة، وأبيض وردي، مع درجات بنفسجية.

أنا عمومًا في مزاج هادئ جدًا تقريبًا، في مزاج لأن أصور هذا.

أتمنى مخلصًا أن تقضيا أياما سعيدة مع تيو وجو، وستريان مثلي كيف أنهما يبدوان بخير بعد الطفل، الذي يبدو بخير هو أيضًا.

لا بد وأن أبناء آنا قد كبروا الآن.

تحيات مني الآن، فلا بد وأن أخرج للعمل. أعانقكما بأفكاري.

المحب لكما،

فنسنت

٩٠٢ | أوفير سور واز، الأربعاء ٢٣ يوليو ١٨٩٠
إلى تيو فان جوخ (F)

أخي العزيز،

أشكرك على رسالة اليوم وعلى الخمسين فرنكًا المرفقة بها.

ربما كنت أود الكتابة لك بخصوص عدد من الأمور، لكن الرغبة قد تلاشت بدرجة ما، ثم شعرت بعدم جدوى ذلك.

أرجو أن تكون قد وجدت أولئك السادة ميالين نحوك.

وفيما يخص أسرتك فأنا مقتنع بإمكانية الحفاظ على حالة السلام فيها من العاصفة التي تتهددها.

أفضل ألا أنسى القليل الذي أعرفه من الفرنسية، وبالتأكيد ما من داع للخوض في الصواب والخطأ في أي نقاش كان. فقط لأن هذا غير مثير لي.

الأشياء تسير بسرعة هنا، ألسنا مقتنعين قليلا بهذا أنا وأنت ودرايز، ألا نشعر بهذا أكثر قليلًا من هؤلاء السيدات؟ ذلك أفضل لهن، ولكن على أي حال، وبكل هدوء فنحن لا يمكننا حتى الاعتماد على هذا.

وبالنسبة لي فأنا أنخرط في لوحاتي بكل انتباهي، أحاول أن أفعل كبعض المصورين الذين أحببتهم وأعجبت بهم كثيرًا.

ما بدا لي عند عودتي هو أن المصورين أنفسهم صاروا أكثر تباعدًا. طيب. لكن هل فات وقت إقناعهم بضرورة وجود نقابة بالفعل؟ ومن ناحية أخرى، فإن النقابة، لو كانت قد تكونت، هل كانت ستنهار لو انهارت الأشياء الأخرى؟ ربما قلت لي إن تجار الفن

سيتحدون من أجل الانطباعيين؛ قد يكون ذلك بشكل عابر. وعلى أي حال، يبدو لي أن المبادرة الشخصية ستظل غير فعالة، وبعد خوضنا للتجربة نفسها، هل نشرع فيها ثانية؟

لاحظت مسرورًا أن لوحة جوجان من بريتاني التي رأيتها كانت جميلة جدًا، ويبدو لي أن اللوحات الأخرى التي صنعها هناك لا بد وأن تكون كذلك أيضًا.

ربما سترى تخطيطًا للوحة حديقة دوبيني، إنها واحدة من أكثر لوحاتي إتقانًا. وسأضيف إليها تخطيطًا للوحة عن أسقف قشية لأكواخ قديمة وتخطيطين للوحتين من مقاس ٣٠ تصوران امتدادات واسعة من حقول القمح بعد المطر. طلب مني هرتشيج أن أسألك أن تتفضل وتطلب له قائمة الألوان المرفقة من البائع نفسه الذي أرسلت إلي من عنده. بإمكان تاسيه أن يرسلها مباشرة إليه، والنقد عند الاستلام، مما يستوجب دفعه لل٢٠%. وهو ما سيكون أسهل.

أو أن تضعها مع الفاتورة مع شحنة الألوان المخصصة لي، أو تخبرني بتكلفتها، فيرسل إليك هو النقود. هنا لا يستطيع الواحد أن يعثر على أي ألوان جيدة.

لقد اختصرت طلبيتي إلى الحد الأدنى تقريبًا.

بدأ هرتشيج يفهم قليلًا، وقد صنع البورتريه الذي أعطاه إياه معلم المدرسة المسن جيدًا فيما يبدو لي، ثم لديه دراسات عن مناظر طبيعية تشبه إلى حد ما أعمال كونينجز التي لديك على مستوى الألوان. ستصبح تماما كذلك ربما أو كأعمال فيرمان التي رأيناها معًا.



حديقة دوبيني

إلى القريب. اعتنِ بنفسك، وحظ سعيد في العمل وتحياتي الحارة لجو مع مصافحة في الخيال.

المخلص حقاً،

فنسنت

«sketch A»

حديقة دوبيني

في مقدمة اللوحة حشائش خضراء ووردية، وخميلة من الليلك وجذوع نباتات بأوراق شبه بيضاء. وفي المنتصف حوض للورد، وإلى اليمين حاجز، حائط، وفوق الحائط شجرة بندق بأوراق بنفسجية.

ثم سياج من الليلك، وصفٌ من أشجار الليمون الصفراء المدوّرة. المنزل نفسه في الخلفية، وردي بسقف من القرميد المزرق. دكة وثلاثة مقاعد، وشخص داكن بقبعة صفراء، وفي المقدمة قط أسود. السماء أخضر شاحب.



حقول القمح



أكواخ وشخوص



حقول القمح

قائمة بأسماء الأعلام الواردة في الرسائل

مرتبة وفقاً لاسم العائلة بالترتيب الأبجدي للحروف اللاتينية

برجاء الرجوع للموقع التالي للاستعلام عن أي أشخاص آخرين ورد ذكرهم من دون الإشارة لأسمائهم: www.vangoghletters.org

A

(Abbey, Edwin Austin (1852–1911، آبي، إدوين أوستين - فنان أمريكي

(Adler, August Carl (1835–1907، آدلر، أوجست كارل - رجل دين من أمستردام

(Aertsen, Adriana (1851–after 1883، إيرتسن، أدريانا - ابنة يان إيرتسن

(Aertsen, Cornelia (1837–after 1910، إيرتسن، كورنيليا - ابنة يان إيرتسن

(Aertsen (Aerssen or Aarssen), Johannes (Jan) (1805–1877، إيرتسن، يوهانس - فلاح من رايسبرجن

(Aeschylus (525 bc–456 bc، إسخيلوس - شاعر مسرحي إغريقي

(Aimard, Gustave (1818–1883، إيمار، جوستاف - كاتب فرنسي

Albertien see Brugsma, Albertina Ludovica ألبرتينا- أنظر بروجسما، ألبرتينا لودوفيكا

(Allan, Henry (1865–1912، آلان، هنري - طالب فنون أيرلندي في أكاديمية أنتويرب

(Allebé, August (1838–1927، أليبه، أوجست - فنان هولندي

(Andersen, Hans Christian (1805–1875، أندرسون، هانز كريستيان - كاتب أطفال دنماركي

أندري، جون باتيست بنجامان لوثر - رجل دين من ويزميس ، Andry, Jean Baptiste Benjamin Luther (1845–1903)

أنجيليكو، فرا - فنان إيطالي ، Angelico, Fra (c. 1395/1400–1455)

أنكر، ألبرت - فنان سويسري ، Anker, Albert (1831–1910)

Anna see Gogh, Anna Cornelia van أنظر جوخ، آنا كورنيليا فان

Anne de Bretagne see Anne of Brittany آن دو بريتاني، انظر آن أوف بريتاني

آن أوف بريتاني - ابنة فرانسوا الثاني دوق بريتاني ، Anne of Brittany (1488–1514)

أنكيتان، لوي إميل - فنان فرنسي ، Anquetin, Louis Emile (1861–1932)

أنتيجانا، جون بيير ألكسندر - فنان فرنسي ، Antigna, Jean Pierre Alexandre (1817–1878)

Apol, Lodewijk (Louis) Franciscus Hendrik (1850–1936) آبول، لودفيك (لويس) فرانسيسكوس هندريك – فنان هولندي

Arouet, François Marie أرويه، فرانسوا ماري، انظر فولتير

Artz, David Adolph Constant (1837–1890), Dutch artist أرتز، دافيد أدولف كونستانت

Auerbach, Moses Baruch (Berthold) (1812–1882), German writer أويرباخ، موزيس باروخ "برتولد" - كاتب ألماني

Aunt Bertha see Gogh, Elisabeth Hubertha van العمة بيرتا انظر جوخ، اليزابيث هوبيرتا فان

Aunt Cornelie see Gogh-Carbentus, Cornelia van العمة كورنيليا انظر جوخ، كاربينتوس، كورنيليا فان

Aunt Fie see Carbentus-Van Bemmel, Sophie Cornelia Elisabeth العمة فاي انظر كاربينتوس فان بيميل، صوفي كورنيليا إليزابيث

العمة Aunt Leentje see Haanebeek-Stricker, Leonarda Catharina Adriana ليتاي انظر هاينبيك سترايكر، ليوناردا كاتارينا أدريانا

العمة ماتي انظر جوخ بون، Aunt Mietje see Gogh-Boon, Maria Johanna van ماريا يوهانا فان

العمةAunt Mina see Stricker-Carbentus, Willemina Catharina Gerardina مينا انظر سترايكر كاربينتوس، ويليمينا كاتارينا جيراردينا

العمة بومب انظر جوخ، Aunt Pompe see Gogh, Elisabeth Hubertha van إليزابيث هوبيرتا فان

أوريه، جوستاف ألبير - كاتب وناقد فني فرنسي Aurier, Gustave Albert (1865–1892)

B

بيكون، فرانسيس - فيلسوف إنجليزي Bacon, Francis (1561–1626)

بيكون مارتن، ماري - صديقة ألكساندر ريد Bacon Martin, Mary (?–?)

باج، أثاناز - تاجر فن باريسي Bague, Athanase (1843–1893), art dealer in Paris

باخويزين انظر ساند باخويزين Bakhuyzen see Sande Bakhuyzen

بلزاك، هونوريه دو - كاتب فرنسي Balzac, Honoré de (1799–1850)

بارج، شارل - فنان فرنسي Bargue, Charles (c. 1826/27–1883)

بارنارد، فريدريك - فنان إنجليزي Barnard, Frederick (1846–1896)

بارون، أونري شارل أنطوان، فنان فرنسي Baron, Henri Charles Antoine (1816–1885)

بارون، تيودور - فنان بلجيكي Baron, Théodore (1840–1899)

(1875–Barye, Antoine Louis (1796 باري، أنطوان لوي ـ نحات فرنسي

(1884–Bastien-Lepage, Jules (1848 باستيان لوباج، جول ـ فنان فرنسي

(1867–Baudelaire, Charles (1821 بودلير، شارل ـ شاعر فرنسي

(1886–Baudry, Paul Jacques Aimé (1828 بودري، بول جاك إيميه ـ فنان فرنسي

Beecher Stowe see Stowe, Harriet Elizabeth Beecher بيتشر ستو انظر ستو، هارييت إليزابيث بيتشر

(1901–Beek, Ardina (Dien) van der (1840 بيك، أردينا (دين) فان در ـ من أهالي نيونن

(1919–Beekmans, Wilhelmus (1853 بيكمانز، ويلهيلموس ـ رجل دين في نيونن

(1888–Beers, Jan van (1821 بيرس، جان فان ـ شاعر بلجيكي

(1927–Beers, Jan Maria Constantijn van (1852 ،بيرس، يان ماريا كونستانتاين فان

(1827–Beethoven, Ludwig van (1770 ، بيتهوفن، لودفيج فان ـ موسيقي ألماني

(1944–Begemann, Aart Maria Anthonij (1868 ، بيجمان، آرت ماريا أنتوني ـ ابن لويس بيجمان

(1919–Begemann, Amalia Polixena Rosina (1840 ، بيجمان، أماليا بوليكسينا روزينا ـ شقيقة مارجو بيجمان

(1906–Begemann, Jacobus Lodewijk (Louis) (1838 بيجمان، جاكوبوس لودفايك ـ شقيق مارجو بيجمان

(1906–Begemann, Lutgera Wilhelmina (1834 ، بيجمان، لوتجيرا فيلهلمينا ـ شقيقة مارجو بيجمان

(1838/39–1909) Bernard-Bodin, Héloïse Henriette، برنار بودان، هيلويز هينرييت ـ أم إميل برنار

(1823–1902) Bernier, Camille، برنييه، كامي ـ فنان فرنسي

(1820–1882) Bertall, vicomte d'Arnoux, Charles Albert، برتال، فيكومت دارنو، شارل ألبير ـ فنان فرنسي

(1849–1934) Besnard, (Paul) Albert، بينار، (بول) ألبير ـ فنان فرنسي

(1838–1902) Beyle, Pierre Marie، بييل، بيير ماري ـ فنان فرنسي

(1823–1895) Bida, Alexandre، بيدا، ألكسندر ـ فنان فرنسي

(1838–1865) Bilders, Albertus Gerardus (Gerard)، بيلدرز، ألبرتوس جيراردوس ـ كاتب وفنان هولندي

(1811–1890) Bilders, Johannes Warnardus، بيلدر، يوهانس وارناردوس ـ فنان هولندي

(1838–1905) Bing, Siegfried بينج، سيجفريد ـ تاجر منتجات فنية شرقية في باريس

(1825–1870) Bingham, Robert Jefferson، بينجهام، روبرت جيفرسون ـ مصور فوتوغرافي إنجليزي

(1815–1898) Bismarck-SchÖnhausen, Otto von، بيسمارك شونهاوزن، أوتو فون ـ سياسي ألماني

(1813–1882) Blanc, Charles، بلان، شارل ـ كاتب فرنسي

(1832–1905) Blok, Jozef، بلوك، جوزيف ـ تاجر كتب في لاهاي

(1845–1914) Blommers, Bernardus Johannes، بلومرز، برناردوس يوهانوس ـ فنان هولندي

(1313–1375) Boccaccio, Giovanni، بوكاتشيو، جيوفاني ـ كاتب إيطالي

(1848–1936) Boch, Anna، بوش، آنا ـ فنانة بلجيكية

Boch, Eugène Guillaume (1855–1941)، بوش، يوجين جيوم ـ فنان بلجيكي

Bock, Théophile Emile Achille de (1851–1904)، بوك، تيوفيل إميل أخيل دي ـ فنان هولندي

Bodmer, Karl (1809–1893)، بودمر، كارل ـ فنان سويسري

Boetzel, Ernest Philippe (1830–c. 1920)، بيتزيل، إرنست فيليب ـ فنان فرنسي

Boissière, Countess Clara Levaillant de la (c. 1857–؟)، بواسيير، الكونتيسة كلارا ليفايان دو لا ـ زوجة يوجين ليفايان دو لا بواسيير

Boissière, Eugénie Jeanne (c. 1874–?), daughter of Eugène Levaillant de la Boissière بواسيير، أوجيني جون ـ ابنة يوجين لو فايان دو لا بواسيير

Bokma, Dirk Rochus (1831–1911)، بوكما، ديرك روشوس ـ مدير الكلية الفلمنكية في بروكسل

Boks, Mari(n)us (Martinus) (1849–1885)، بوكس، مارتينوس ـ فنان هولندي

Boldini, Giovanni Giusto (Jean) (1842–1931)، بولديني، جيوفاني جيوستو ـ فنان إيطالي

Bonger family آل بونجر

Bonger, Andries (André or Dries) (1861–1936)، بونجر، أندريس ـ شقيق جو زوجة تيو فان جوخ

Bonger, Hendrik Christiaan (1828–1904)، بونجر، هندريك كريستيان ـ والد جو

Bonger, Hermina (Mien) (1858–1910)، بونجر، هرمينا ـ شقيقة جو

Bonger, Johanna Gezina see Gogh-Bonger, Johanna Gezina van (Jo)بونجر، يوهانا جيزينا وشهرتها جو وهي زوجة تيو فان جوخ

Bonger, Willem (Wim) Adriaan (1876–1940), brother of Jo van Gogh-Bonger بونجر، فيليم أدريان ـ شقيق جو زوجة تيو

Bonger-Van der Linden, Anne (Annie) Marie Louise (1859–1931)، بونجر، فان در ليندن، آن ماري لويز ـ زوجة أندرياس بونجر

Bonger-Weissman, Hermine Louise (1831–1905)، بونجر فايسمان، هيرمين لويز ـ أم جو زوجة تيو

Bonheur, Marie-Rosalie (Rosa) (1822–1899)، بونور، ماري روزالي (روزا) ـ فنانة فرنسية

Bonington, Richard Parkes (1802–1828)، بونينجتون، ريكارد باركس ـ فنان إنجليزي

Bonnat, Léon (1833–1922)، بونا، ليون ـ فنان فرنسي

Borch (the Younger), Gerard ter (1617–1681)، بورتش (الأصغر) جيرارد تير ـ فنان هولندي

Borchers family عائلة بورتشرز

Borchers, Boukje (1853–1914)، بورتشرز، بوكي ـ شقيقة إجبرت ريوبرتوس بورتشرز

Borchers, Egbert Rubertus (1849–1932)، بورتشرز، إجبرت ريوبرتوس ـ موظف في لاهاي

Borchers-Middel, Haika (1822–1891)، بورتشرز ميدل، هايكا ـ أم إجبرت ريوبرتوس بورتشرز

Bosboom, Johannes (1817–1891)، بوسبوم، يوهانس ـ فنان هولندي

Botticelli, Sandro (1444/45–1510)،بوتيتشيلي، ساندرو ـ فنان إيطالي

Boudin, Eugène Louis (1824–1898)، بودان، أوجين لوي ـ فنان فرنسي

Boughton, George Henry (1833–1905)، بوتون، جورج هنري ـ فنان إنجليزي

Bouguereau, Adolphe William (1825–1905)، بوجيرو، أدولف وليام ـ فنان فرنسي

(1837–1891) Boulanger, Georges Ernest Jean Marie، بولانجيه، جورج ارنست جون ماري - سياسي وعسكري فرنسي

(1806–1867) Boulanger, Louis، بولانجيه، لوي - فنان فرنسي

(1857–1918) Boussod, Etienne، بوسو، إتيان - تاجر فن في باريس وابن ليون بوسو

(1826–1896) Boussod, Léon، بوسو، ليون - تاجر فن في باريس

(Boussod, Valadon & Cie (see also Goupil & Cie، بوسو وفالدون وسي - تجار فن في باريس وورثة جوبيل وسي

(1850–after 1906) Boyer, Jean Marie، بوييه، جون ماري - صانع براويز في باريس

(1852–1888) Braat, Frans، برات، فرانس - موظف لدى جوبيل وسي في باريس

(1823–1888) Braat, Pieter Kornelis، برات، بيتر كورنيليس - مدير مكتبة بلوسيه وفان برام في دوردريخت

(1833–1914) (Bracquemond, Joseph Auguste (Félix، براكمون، جوزيف أوجست (فليكس) - فنان فرنسي

(Braekeleer (the Elder), Ferdinand de (1792–1883، بريكلير (الأكبر) فرديناند دو - فنان بلجيكي

(1840–1888) Braekeleer, Henri de، بريكلير، أونري دو - فنان بلجيكي

(1812–1877) Braun, Adolphe، براون، أدولف - ناشر مستنسخات فنية فرنسي

(1857–1923) Breitner, George Hendrik، برايتنر، جورج هندريك - فنان هولندي

Breton family عائلة بريتون

(Breton, Emile Adélard (1831–1902، بريتون، إميل أديلار - فنان فرنسي

(Breton, Jules Adolphe Aimé Louis (1827–1906، بريتون، جول أدولف إيميه

لوي ـ فنان وشاعر فرنسي

(1836–1909) Breton-De Vigne, Elodie، بريتون دو فيني، إيلودي ـ زوجة جول بريتون

(1867–1939) Briët, Arthur Henri Christiaan، برايت، أرتور هنري كريستيان ـ طالب فنون هولندي في أكاديمية أنتويرب

(1853–1938) Brinkman Jr, Carel Leonhard، برينكمان الصغير، كاريل ليونهارد ـ تاجر كتب وناشر في أمستردام

(1824–1877) Brion, Gustave، بريون، جوستاف ـ فنان فرنسي

(1816–1899) Brochart, Constant-Joseph، بروشار، كونستان جوزيف ـ فنان فرنسي

(1816–1855) Brontë, Charlotte (pseudonym: Currer Bell)، برونتي، شارلوت ـ كاتبة إنجليزية

Brooke, Edmund Walpole (؟–؟)، بروك، أدموند والبول ـ فنان قد يكون إنجليزيا

(1829–1890) Brown, John Lewis، براون، جون لويس ـ فنان فرنسي

Browne, Henriette (pseudonym of Sophie de Saux-De Bouteillier) (1829–1901)، براون، هونرييت (اسم مستعار لصوفي دو سو دو بوتييه) ـ فنانة فرنسية

(c. 1525/30–1569) Bruegel the Elder (Peasant Bruegel), Pieter بروجل الكبير، بيتر ـ فنان فلمنكي

(1568–1625) Brueghel the Elder (Velvet Brueghel), Jan، بروجل الصغير، جان ـ فنان فلمنكي

(1859–1891) Brugsma, Albertina (Albertine, Albertien) Ludovica، بروجزما، ألبرتينا ـ صديقة لايز فان جوخ

بروينينجا، كاترينا هيلينا ـ من Bruininga, Catharina Helena (1828-1918)، سكان تونجرلي بالقرب من نيونن

برويياس، ألفريد ـ مقتني Bruyas, Alfred (1821-1877), French art collector لوحات فرنسي

بوكمان، أدوين ـ فنان إنجليزي Buckman (Buckmann), Edwin (1841-1930)

بوفا وأبناؤه، فرانسوا ـ ناشرون وتجار فن في Buffa & fils, François (Frans) أمستردام

بووه، فيليكس ايلير ـ فنان فرنسي Buhot, Félix Hilaire (1847-1898)

بونيان، جان ـ كاتب إنجليزي Bunyan, John (1628-1688)

Bürger, W. see Thoré, Etienne Joseph Théophile

بوتان، أوليس لوي أوجست ـ Butin, Ulysse Louis Auguste (1838-1883) فنان فرنسي

C

سي. إم. انظر جوخ، كورنيليس C.M. see Gogh, Cornelis Marinus van مارينوس فان

كابانيل، ألكسندر ـ فنان فرنسي Cabanel, Alexandre (1823-1889)

كابا، لوي ـ فنان فرنسي Cabat, Louis (1812-1893)

كالام، ألكسندر ـ فنان سويسري Calame, Alexandre (1810-1864)

كالدكوت، راندولف ـ فنان Caldecott, Randolph (1846-1886), English artist إنجليزي

عائلة كاربينتوس Carbentus family

كاربينتوس، آنا كورنيليا – أنظر جوخ كاربينتوس، Carbentus, Anna Cornelia

آنا كورنيليا فان أو أنظر لوكونت كاربينتوس، آنا كورنيليا (أمي)

Carbentus, Ariëtte Sophia Jeanette (Jet) آكاربينتوس، آرييت سوفيا جانيت (جيت) أنظر موف، آرييت سوفيا جانيت

Carbentus, Willemina Catharina Gerardina (Aunt Mina) كاربينتوس، ويليمينا كاتارينا جيراردينا – أنظر سترايكر كاربينتوس، ويليمينا كاتارينا جيراردينا (العمة مينا)

Carbentus-Van Bemmel, Sophie (Fie) Cornelia Elisabeth (Aunt Fie) (1828–1897)، كاربينتوس فان بيميل، صوفي (فاي) كورنيليا إليزابث (العمة فاي) زوجة آري كاربينتوس

Carlyle, Thomas (1795–1881)، كارلايل، توماس ـ فيلسوف إنجليزي

Carolus-Duran (Charles Emile Auguste Durand) (1837–1917)، كارولوس، دوران ـ فنان فرنسي

Carrel, Albert (1847–1912)، كاريل، ألبير ـ صاحب مطعم وفندق كاريل في آرل

Carrel-Garcin, Cathérine (1851–1931)، كاريل جارسان، كاترين ـ زوجة ألبير كاريل

Cassagne, Armand Théophile (1823–1907)، كاساني، أرمان تيوفيل ـ فنان فرنسي

Cassirer, Bruno (1872–1941)، كاسيرر، برونو ـ ناشر وتاجر فن ألماني

Caton Woodville see Woodville, Richard Caton كاتون وودفيل، انظر وودفيل، ريتشارد كاتون

Cavenaille, Hubertus Amadeus (1841–1914)، كافناي، هوبيرتوس أماديوس ـ طبيب في أنتويرب

Caxton, William (c. 1415/22–1491)، كاكستون، ويليام ـ فنان إنجليزي

Cazin, Jean-Charles (1841–1901)، كازان، جون شارل ـ فنان فرنسي

Cézanne, Paul (1839–1906), French artistسيزان، بول ـ فنان فرنسي

Chamaillard, Ernest Ponthier de (1862–1930)، شاميار، إرنست بونتيه دو ـ فنان فرنسي

Champaigne, Philippe de (1602–1674)، شامباني، فيليب دو ـ فنان فلمنكي فرنسي

Chaplin, Charles (1825–1891)، شابلان، شارل ـ فنان فرنسي

Chardin, Jean Baptiste Siméon (1699–1779)، شاردان، جون باتيست سيميون ـ فنان فرنسي

Charlet, Nicolas Toussaint (1792–1845)، شارليه، نيكولا توسان ـ فنان فرنسي

شاتيل، دو انظر روسوم دو شاتيل Chattel, du see Rossum du Chattel

Chatrian, (Charles) Alexandre (1826–1890)، شاتريان، شارل ألكسندر ـ كاتب فرنسي

Chenavard, Paul Marc Joseph (1807–1895)، شونافار، بول مارك جوزيف ـ فنان فرنسي

Chenu, Fleury (1833–1875)، شينو، فلوري ـ فنان فرنسي

شوفاليه، هيبوليت سولبيس جييوم Chevalier, Hippolyte Sulpice Guillaume - أنظر جافارني بول

Chintreuil, Antoine (1814–1873)، شانتروي، أنطوان ـ فنان فرنسي

كريستين Christien or Christine see Hoornik, Clasina (Sien) Maria انظر هورنيك، كلاسينا (سين) ماريا

Cimabue, Cenni (Benciviene) di Pepo (1240–1302)، تشيمابو، تشني (بينتشيفين) دي بيبو ـ فنان إيطالي

Clausen, George (1852–1944)، كلاوزن، جورج ـ فنان إنجليزي

Codde, Pieter (1599–1678)، كود، بييتر ـ فنان هولندي

Collart, Marie (1842–1911), Belgian artistكولار، ماري ـ فنانة بلجيكية

Collin, Louis Joseph Raphaël (1850–1916)، كولان، لوي جوزيف رافايل ـ فنان فرنسي

Compte-Calix, François-Claudius (1813–1880)، كونت كالي، فرانسوا كلاوديوس ـ فنان فرنسي

Conscience, Henri (Hendrik) (1812–1883)، كونسيونس، هنري ـ كاتب بلجيكي

Constable, John (1776–1837)، كونستابل، جان ـ فنان إنجليزي

Constant كونستانت – أنظر بنيامين ـ كونستانت، جان جوزيف

Coosemans, Joseph Théodore (1828–1904)، كوزيمان، جوزيف تيودور ـ فنان بلجيكي

Coppée, François Edouard Joachim (1842–1908)، كوبيه، فرانسوا إدوار جواكيم ـ شاعر فرنسي

Cor see Gogh, Cornelis Vincent vanكور، انظر جوخ، كورنيليس فنسنت فان

Cormon, Fernand Piestre (1845–1924)، كورمون، فرنان بييستر ـ فنان فرنسي

Corot, Jean Baptiste Camille (1796–1875)، كورو، جون باتيست كامي ـ فنان فرنسي

Correggio (Antonio Allegri) (c. 1489/94–1534)، كوريجيو، أنطوان أليجري ـ فنان إيطالي

Courbet, Gustave (1819–1877)، كوربيه، جوستاف ـ فنان فرنسي

Couture, Thomas (1815–1879)، كوتور، توما ـ فنان فرنسي

Craik, Dinah Maria Mulock كريك، دينا ماريا مالوك أنظر مالوك كريك

Cranach the Elder, Lucas (1472–1553)، كراناخ الكبير، لوكاس - فنان ألماني

Crevoulin, François Damase (1844–1903)، كريفولان، فرانسوا داماز - بقال وجار لفنسنت في آرل

Crevoulin-Favier, Marguerite (1856–1927)، كريفولان فافييه، مارجريت - زوجة فرانسوا كريفولان

Crome, John (Old Crome) (1768–1821)، كرم، جون - فنان إنجليزي

Cromwell, Oliver (1599–1658)، كرومويل، أوليفر - سياسي إنجليزي

Cruikshank, George (1792–1878)، كرويكشانك، جورج - فنان إنجليزي

Cuyp, Aelbert (1620–1691)، كويب، ألبرت - فنان هولندي

Cuyp, Jacob Gerritsz. (1594–1652)، كويب، جاكوب جريتز - فنان هولندي

D

Dalou, Jules (Aimé-Jules) (1838–1902)، دالو، جول (إيميه جول) - نحات فرنسي

Dante Alighieri (1265–1321)، دانتي أليجيري- شاعر إيطالي

Dauban, Jules Joseph (1822–1908)، دوبان، جول جوزيف - فنان فرنسي

Daubigny, Charles-François (1817–1878)، دوبيني، شارل فرانسوا - فنان فرنسي

Daudet, Alphonse (1840–1897)، دوديه، ألفونس - كاتب فرنسي

Daumier, Honoré (1808–1879)، دوميه، هونوريه - فنان فرنسي

David, Jacques Louis (1748–1825)، دافيد، جاك لوي - فنان فرنسي

Decamps, Alexandre-Gabriel (1803–1860)، ديكام، ألكسندر جابريل - فنان فرنسي

Decrucq, Charles Louis (1822–1884)، ديكروك، شارلز لويس ـ مالك منزل فنسنت في كويزموس

Degas, (Hilaire Germain) Edgar (1834–1917)، ديجا، إدجار ـ فنان فرنسي

Degroux, Charles Camille Auguste (1825–1870)، ديجرو، شارل كامي أوجست ـ فنان بلجيكي

Dekkers, Driek (1875–1952)، ديكرز، دريك ـ من أهالي نيونن

Delacroix, Ferdinand Victor Eugène (1798–1863)، ديلاكروا، فرديناند فيكتور اوجين ـ فنان فرنسي

Delarebeyrette, François Joseph (1825–1886)، ديلاربيريت، فرانسوا جوزيف ـ تاجر فن في باريس

Delarebeyrette, Gabriel ('Gabriel de la Roquette') (1862–1891)، ديلاربيريت، جابرييل ـ تاجر فن في باريس

Delarebeyrette-Lassarre, Evelina (?–after 1891)، ديلاربيريت لاسار، إيفلينا ـ تاجرة فن في باريس

Delaroche, Paul (Hippolyte) (1797–1856)، ديلاروش، بول (هيبوليت) ـ فنان فرنسي

Delon, Albert (1857–?), doctor in Arles ديلون، ألبير ـ طبيب في آرل

Delort, Charles Edouard Edmond (1841–1895)، ديلور، شارل إدوار إدمون ـ فنان فرنسي

Denis, Jean-Baptiste (1825–1893)، دوني، جون باتيست ـ مالك منزل فنسنت في بيتي كويزموس

Desboutin, Marcellin Gilbert (1823–1902)، ديبوتان، مارسلان جيلبير ـ فنان فرنسي

Destrée, Johannes Joseph (1827–1888)، ديتريه، جوهانس جوزيف ـ فنان بلجيكي

(1848–1912) Detaille, Edouard Jean Baptiste، ديتاي، إدوار جون باتيست ـ فنان فرنسي

(1808–1876) Diaz de la Peña, Narcisse Virgile، دياز دي لا بينيا، نارسيس فيرجيل ـ فنان فرنسي

(1812–1870) Dickens, Charles John Huffam، ديكنز، تشارلز ـ كاتب إنجليزي

(1616–1686) Dolci, Carlo (Carlino)، دولتشي، كارلو ـ فنان إيطالي

(1846–1919) Domela Nieuwenhuis, Ferdinand، دوميلا نيوفينهويس، فرديناند ـ اشتراكي هولندي

(1832–1883) Doré, Gustave، دوريه، جوستاف ـ فنان فرنسي

Douwes Dekker, Eduard see Multatuli دوويس ديكر، إدوارد انظر مولتاتولي

(?–1882) Drift, Adrianus Johannes van der، دريفت، أدريانوس جوهانيس فان در ـ مالك منزل فنسنت في لاهاي

(1832–1895) Droz, Antoine Gustave، دروز، أنطوان جوستاف ـ كاتب فرنسي

(1843–1896) Duez, Erneste Ange، دويز، إرنست أونج ـ فنان فرنسي

(1861–1949) Dujardin, Edouard، دوجاردان، إدوار ـ كاتب فرنسي

(1834–1896) Du Maurier, George، ديموريه، جورج ـ فنان فرنسي

(1860–1924) Dumoulin, Louis Jules، دومولان، لوي جول ـ فنان فرنسي

(1811–1889) Dupré, Jules، دوبريه، جول ـ فنان فرنسي

(1851–1910) Dupré, Julien، دوبريه، جوليان ـ فنان فرنسي

Durand, Charles Emile Auguste see Carolus-Duran دوران، شارل إميل أوجست انظر كارولوس دوران

E

Eyck, Margaretha van (؟-؟)، إيك، مارجريتا فان ـ شقيقة جان وهوبرت فان إيك

F

Fabritius, Carel (1622–1654)، فابريتيوس، كاريل ـ فنان هولندي

Faed, Thomas (1826–1900)، فايد، توماس ـ فنان إنجليزي

Fantin-Latour, Henri (1836–1904)، فانتان لاتور، أونري ـ فنان فرنسي

Father Bernhard see Zuijlen, Cornelius Johannes van الأب بيرنهارد انظر زويلين، كورنيليوس يوهانس فان

Faure, Jean Baptiste (1830–1914)، فور، جون باتيست ـ مقتني لوحات فرنسي

Feyen, (Jacques) Eugène (1815–1908)، فيين، جاك أوجين ـ فنان فرنسي

Feyen-Perrin, François Nicolas Auguste (1826–1888)، فيين بيران، فرانسوا نيكولا أوجست ـ فنان فرنسي

Fildes, Samuel Luke (1844–1927)، فايلدز، صمويل لوك ـ فنان إنجليزي

Fisher, Edmund Henry (1835–1879)، فيشر، إدموند هنري ـ رجل دين إنجليزي

Fitzgerald, Patrick Michael (fl . 1871–1891)، فيتزجيرالد، باتريك مايكل ـ فنان أيرلندي

Flaubert, Gustave (1821–1880)، فلوبير، جوستاف ـ كاتب فرنسي

Forain, Jean Louis (1852–1931)، فوران، جون لوي ـ فنان فرنسي

Fortuny y Carbó, Mariano José Maria Bernardo (1838–1874)، فورتيني اي كاربو، ماريانو خوسيه ماريا برناردو ـ فنان إسباني

Français, Louis-François (1814–1897)، فرانسيه، لوي فرانسوا ـ فنان فرنسي

Francq, Edouard Joseph (or Joseph Edouard) (1819-1902)، فرانك، إدوارد جوزيف - مبشر إنجيلي في كويزموس

Franken, Johanna see Gogh-Franken, Johanna van

Frère, Edouard (1819-1886), French artist فريير، إدوار - فنان فرنسي

Fromentin, Eugène (1820-1876)، فرومانتان، أوجين - فنان وكاتب فرنسي

G

Gachet, Clémentine Elisa Marguerite (Marguerite-Clémentine) (1869-1949)، جاشيه، كليمنتين، إليزا مارجريت أو مارجريت كليمنتين - ابنة بول فردينان جاشيه

Gachet Sr, Paul-Ferdinand (1828-1909)، جاشيه، بول فردينان - طبيب في أوفير

Gachet-Castets, Elisa Angélique (Blanche) (1840-1875)، جاشيه كاستيه، إليزا أنجيليك بلانش - زوجة بول فردينان جاشيه

Gagnebin, Ferdinand Henri (1816-1890)، جاجنبان، فرديناند هنري - رجل دين في أمستردام

Gainsborough, Thomas (1727-1788)، جينسبورو، توماس - فنان إنجليزي

Garnier, Jean Louis Charles (1825-1898)، جارنييه، جون لوي شارل - فنان فرنسي

Gauguin, Jean René (1881-1961) جوجان، جون رينيه - ابن بول جوجان

Gauguin, (Eugène Henri) Paul (1848-1903)، جوجان، بول - فنان فرنسي

Gauguin-Gad, Mette Sophie (1850-1920)، جوجان جاد، ميت صوفي - زوجة بول جوجان

Gautier, Théophile (1811-1872)، جوتييه، تيوفيل - كاتب فرنسي

Gavarni, Paul (pseudonym of Hippolyte Sulpice Guillaume Chevalier) (1804–1866)، جافارني، بول ـ فنان فرنسي

Geffroy, Gustave (1855–1926)، جوفروا، جوستاف ـ كاتب فرنسي

Gendre (?–?), (French؟ جوندر ـ مقتني لوحات قد يكون فرنسيًا

Genk, Ludovicus Cornelis van (1832–1888)، جنك، لوفيكوس كورنيليوس فان ـ طبيب في أيتن

Géricault, (Jean Louis André) Théodore (1791–1824)، جيريكو، تيودور ـ فنان فرنسي

Germanicus, Gaius Julius Caesar (15 bc–ad 19)، جيرمانيكوس، كايوس يوليوس قيصر ـ عسكري روماني

Gérôme, Jean Léon (1824–1904)، جيروم، جون ليون ـ فنان فرنسي

Gigoux, Jean François (1806–1894)، جيجو، جون فرانسوا ـ كاتب وفنان فرنسي

Gilbert, John (1817–1897)، جيلبرت، جان ـ فنان إنجليزي

Ginoux, Joseph Michel (1835–1902)، جينو، جوزيف ـ مدير مقهى المحطة في آرل

Ginoux-Julien, Marie (1848–1911)، جينو جوليان، ماري ـ زوجة جوزيف جينو ومديرة مقهى المحطة

Giotto di Bondone (1267/75–1337)، جيوتو دي بوندوني ـ فنان إيطالي

Giraud, Eugène (1833–?), Justice of the Peace in Arles

Gladwell familyعائلة جلادويل

Gladwell, Harry (1857–1927)، جلادويل، هاري ـ صديق فنسنت في باريس

Gladwell, Henry William (1834–1893)، جلادويل، هنري وليام ـ أبو هاري جلادويل

Gladwell, Susannah Eleanor (1858/59–1876) جلادويل، سوزانا إليانور ـ

شقيقة هاري جلادويل

(1806–1874) Gleyre, Charles، جلير، شارل ـ فنان سويسري

(c. 1440–1482) Goes, Hugo van der، جوز، هوجو فان در ـ فنان فلمنكي

(1804–1864) Goethals, Raymond Eugène، جوتال، ريمون أوجين ـ فنان فرنسي

(1749–1832) Goethe, Johann Wolfgang von، جوته، يوهان فولفجانج فون ـ كاتب وشاعر ألماني

Gogh, Van, family عائلة فان جوخ

(1855–1930) Gogh, Anna Cornelia van (Anna)، جوخ، آنا كورنيليا فان ـ شقيقة فنسنت وزوجة جوان مارينوس فان هوتن

(1824–1908) Gogh, Cornelis Marinus van (Uncle Cor or C.M.)، جوخ، كورنيلس مارينوس فان (العم كور أو سي إم) شقيق تيودوروس فان جوخ ـ تاجر فن وكتب في أمستردام

(1867–1900) Gogh, Cornelis Vincent van (Cor) جوخ، كورنيلس فنسنت فان ـ شقيق فنسنت

(1859–1936) Gogh, Elisabeth Huberta van (Lies)، جوخ، لايز - شقيقة فنسنت والزوجة الثانية لجون فيليب تيودور دو كيزن فان برتشيم

Gogh, Elisabeth Hubertha van (Aunt Bertha, Aunt Pompe) (1823–1895), second wife of Abraham Pompe, sister of Theodorus van Goghجوخ، اليزابيث هوبيرتا فان ـ شقيقة تيودوروس فان جوخ

(1859–1938) Gogh, Elisabeth Hubertha Vincentia van (Bertha)، جوخ، بيرتا ـ ابنة فيليم دانييل فان جوخ

(1853–1886) Gogh, Hendrik Jacob Eerligh van،جوخ، هندريك جاكوب ايرلخ فان ـ ابن يوهانس فان جوخ

(1814–1877) Gogh, Hendrik Vincent van (Uncle Hein)،جوخ، هندريك

فنسنت فان أو العم هاين - شقيق تيودوروس فان جوخ

Gogh, Johanna Hendrina van (1863–1945)، جوخ، يوهانا هندرينا فان - ابنة كونيليس مارينوس فان جوخ

Gogh Sr, Johannes van (Uncle Jan) (1817–1885)، جوخ، يوهانس فان أو العم جان شقيق تيودوروس فان جوخ ومدير مرفأ البحرية في أمستردام

Gogh, Mr van see Gogh, Theodorus van جوخ، السيد فان انظر تيودوروس فان

Gogh, Mrs van see Gogh-Carbentus, Anna Cornelia van جوخ، السيدة فان، انظر جوخ كاربينتوس، آنا كورنيليا فان

Gogh, Theodorus van (Pa, or Mr van Gogh) (1822–1885)، جوخ، تيودوروس فان (أبي أو السيد فان جوخ) - والد فنسنت وهو رجل دين

Gogh, Vincent van (1789–1874)، جوخ، فنسنت فان - جد فنسنت

Gogh, Vincent van (Uncle Cent or Uncle Vincent) (1820–1888)، جوخ، فنسنت فان أو العم سنت - شقيق تيودوروس فان جوخ وهو تاجر فن

Gogh, Vincent Willem van (1890–1978)، جوخ، فنسنت فيليم فان - ابن تيو فان جوخ

Gogh, Willemina Jacoba van (Wil or Willemien) (1862–1941)، جوخ، ويل أو ويليماين - شقيقة فنسنت

Gogh-Bonger, Johanna Gezina van (Jo) (1862–1925)، جوخ بونجر، جو - زوجة تيو فان جوخ

Gogh-Boon, Maria Johanna van (Aunt Mietje) (1819–1885)، جوخ بون، ماريا يوهانا فان أو العمة مايتي - زوجة هاين فنسنت فان جوخ

Gogh-Carbentus, Anna Cornelia van (Ma or Mrs van Gogh) (1819–1907)، جوخ كاربينتوس، آنا كورنيليا فان (أمي أو السيدة فان جوخ) والدة فنسنت وزوجة تيودوروس فان جوخ

Gogh-Carbentus, Cornelia van (Aunt Cornelie) (1829–1913)، جوخ كاربينتوس، كورنيليا فان (الخالة كورنيلي) زوجة العم سنت وخالة فنسنت شقيقة أمه في الوقت نفسه

Gogh-Franken, Johanna van (1836–1919)، جوخ فرانكين، يوهانا فان - الزوجة الثانية لكورنيليس مارينوس فان جوخ

Goncourt, Edmond de (1822–1896)، جونكور، إدمون دو - كاتب فرنسي

Goncourt, Jules Huot de (1830–1870)، جونكور، جول هيو دو - كاتب فرنسي

Gorkom, Jacobus van (1827–1880)، جوركوم، ياكوبوس فان - فنان هولندي

Goupil, Albert (1840–1884)، جوبيل، ألبير - مقتني لوحات فرنسي

Goupil, Adolphe (1806–1893)، جوبيل، أدولف - مؤسس شركة جوبيل وسي

Goupil, Jules Adolphe (1839–1883)، جوبيل، جول أدولف - فنان فرنسي

Goupil & Cie (see also Boussod, Valadon & Cie)، جوبيل وسي (انظر أيضًا بوسو وفالدون وسي) شركة لتجارة الفنون والمطبوعات لها فروع في باريس ولندن ولاهاي وبروكسل

Goya (y Lucientes), Francisco José de (1746–1828)، جويا، فرانسيسكو خوسيه دي - فنان إسباني

Goyen, Jan van (1596–1656)، جوين، يان فان - فنان هولندي

Greef, Renier de (1855–1910)، جريف، راينر دي - مزارع في نيونن

Green, Charles (1840–1898)، جرين، تشارلز - فنان إنجليزي

Green, Henry Towneley (1836–1899)، جرين، هنري توينلي - فنان إنجليزي

Gregory, Edward John (1850–1909)، جريجوري، إدوارد جان - فنان إنجليزي

Groot, Antonie (Toon) de (1829–1909)، جروت، أنطوني - من أهالي نيونن

H

Haden, Francis Seymour (1818–1910)، هادن، فرانسيس سيمور ـ فنان إنجليزي

Hals, Frans (1581/85–1666), Dutch artist هالز، فرانز ـ فنان هولندي

Hamman, Edouard Michel Ferdinand (1854–1952)، هامان، إدوارد ميشيل فرديناند ـ نجل إدوارد جون كونراد

Hamon, Jean Louis (1821–1874)، هامون، جون لوي ـ فنان فرنسي

Harper, Fletcher (1806–1877)، هاربر، فليتشر ـ ناشر أمريكي

Harpignies, Henri Joseph (1819–1916)، هاربيني، أونري جوزيف ـ فنان فرنسي

Haverman, Hendrik Johannes (1857–1928)، هافرمان، هندريك يوهانس ـ فنان هولندي

Hébert, Ernest (1817–1908)، هيبير، إرنست ـ فنان فرنسي

Heilbuth, Ferdinand (1826–1889)، هيلبوت، فردينان ـ فنان فرنسي

Heine, Heinrich (1797–1856)، هايني، هنريش ـ شاعر ألماني

Heldring, Ott(h)o Gerhard (1804–1876)، هلدرنج، أوتو جريهالد ـ رجل دين هولندي

Henkes, Gerke (1844–1927)، هنكس، جيركي ـ فنان هولندي

Henner, Jean Jacques (1829–1905)، انير، جون جاك ـ فنان فرنسي

Herkomer, Hubert von (1849–1914)، هيركومر، هوبرت فون ـ فنان إنجليزي

Hermans, Petrus Antonius (Antoon) (1822–1897)، هيرمانس، بيتروس أنطون ـ فنان هاوٍ وصديق فنسنت في آيندهوفن

Hetzel, Pierre Jules (1814–1886)، ايتزل، بيير جول ـ كاتب وناشر فرنسي

Heyerdahl, Hans Olaf (1857–1913)، هيردال، هانز أولف ـ فنان نرويجي

Hirschig, Anthonius (Anton, Tony) Matthias (1867–1939)، هيرشيج، أنطونيوس ماتياس - فنان هولندي

Hoffmann, E.T.A. (Ernst Theodor Amadeus) (1776–1822)، هوفمان، إ. ت. أ. (إرنست تيودوروس أماديوس) كاتب ألماني

Hokusai, Katsushika (1760–1849)، هاكوساي، كاتسوشيكا - فنان ياباني

Holbein the Younger, Hans (1497–1543)، هولباين الصغير، هانز - فنان ألماني

Holl, Francis Montague (1845–1888)، هول، فرانسيس مونتاج - فنان إنجليزي

Holloway & Sons, art dealers in London هولواي وأبناؤه - تجار فن في لندن

Hombergh, Johannes van (1814–1895)، هومبيرج، يوهانس فان - عمدة نيونن

Homer (c. 800 bc–c. 750 bc)، هوميروس - شاعر إغريقي

Hooch, Pieter de (1629–c. 1683)، هوتش، بيتر دي - فنان هولندي

Hoornik, Carolus Ernestus Jacobus (1856–1904)، هورنيك، كارولوس إرنستوس جاكوبوس - شقيق كلاسينا ماريا هورنيك

Hoornik, Clasina (Sien) Maria (also Christien, Christine, Sien) (1850–1904)، هورنيك، كلاسينا (سين) ماريا وأيضًا كريستين - عشيقة فنسنت في لاهاي.

Hoornik, Maria Wilhelmina (1872–1931)، هورنيك، ماريا فيلهلمينا - شقيقة كلاسينا ماريا هورنيك

Hoornik, Maria Wilhelmina (1877–1940)، هورنيك، ماريا فيلهلمينا - ابنة كلاسينا ماريا هورنيك

Hoornik, Willem (1882–c. 1958/60)، هورنيك، فيليم - ابن كلاسينا ماريا هورنيك

Hoornik-Pellers, Maria Wilhelmina (1829–1910)، هورنيك بيلرز ، ماريا فيلهيلمينا - أم كلاسينا ماريا هورنيك

Hoornik-Rombouts, Johanna Elisabeth Angenita (1863–after 1890), wife

هورنيك رومبوتس، يوهانا إليزابيث ـ of Carolus Ernestus Jacobus Hoornik
زوجة كارلوس هورنيك

هوبكنز، آرثر ـ فنان إنجليزي Hopkins, Arthur (1848–1930), English artist

هوتون، آرثر بويد ـ فنان Houghton, Arthur Boyd (1836–1875), English artist
إنجليزي

عائلة فان هوتن Houten, Van, family

Houten, Anna (Annie) Theodora van (1883–1969)، هوتن، آنا تيودور فان ـ
ابنة آنا فان جوخ

Houten, Joan Marius van (1850–1945)، هوتن، جوان ماريوس فان ـ زوج آنا
فان جوخ

Houten, Sara (Saar) Maria van (1880–1977)، هوتن، سارة – ابنة آنا فان
جوخ

Houten-Van Gogh, Anna Cornelia van see Gogh, Anna Cornelia van (Anna) هوتن فان جوخ، آنا. انظر جوخ، آنا كورنيليا فان

أويه، بول ـ فنان فرنسي Huet, Paul (1803–1869), French artist

Hugo, Victor Marie (1802–1885)، هوجو، فيكتور ـ كاتب وشاعر فرنسي

هنت، ألفريد ويليام ـ فنان Hunt, Alfred William (1830–1896), English artist
إنجليزي

هنت، وليام هولمان ـ فنان Hunt, William Holman (1827–1910), English artist
إنجليزي

Huysmans, Joris-Karl (1848–1907)، أويسمان، جوريس كارل ـ كاتب فرنسي

I

Idenburg, Petrus Johannes (1825–1899)، إدنبرج، بيتروس يوهانس ـ طبيب في أوتريخت

Ingres, Jean Auguste Dominique (1780–1867)، إنجر، جون وجست دومينيك ـ فنان فرنسي

Isaäcson, Joseph Jacob (1859–1942)، إيزاكسون، جوزيف جاكوب ـ كاتب وفنان هولندي

Isabey, Louis Gabriel Eugène (1803–1886)، إيزابي، لوي جابرييل أوجين ـ فنان فرنسي

Israëls, Jozef (1824–1911), Dutch artist إسرائيل، جوزيف ـ فنان هولندي

Iterson, Teunis van (1847–1925)، إيترسون، توينس فان ـ موظف بشركة جوبيل وسي في لاهاي

J

J.P.S. see Stricker Sr, Johannes Paulus جي بي إس. انظر سترايكر، يوهانس باولوس

Jacquand, Claude (1803–1878), French artist جاكان، كلود ـ فنان فرنسي

Jacque(s), Charles Emile (1813–1894)، جاك، شارل إميل ـ فنان فرنسي

Jacquemart, Jules Ferdinand (1837–1880)، جاكمار، جول فرديتان ـ فنان فرنسي

Jacquet, Gustave Jean (1846–1909)، جاكيه، جوستاف جون ـ فنان فرنسي

Jalabert, Charles François (1819–1901)، جالابير، شارل فرانسوا ـ فنان فرنسي

Jan and Piet, employees of Goupil & Cie in The Hague; see Gisolf, P. W.

(Piet)يان وبييت، موظفان بشركة جوبيل وسي في لاهاي. انظر Gisolf, P. W

(Jeannin, Georges (1841–1925، جونان، جورج ـ فنان فرنسي

(Jiménez Aranda, José (1837–1903، خيمينيز آراندا، خوسيه ـ فنان إسباني

(Johannot, Tony (1803–1852، جوهانو ، توني ـ فنان فرنسي

Jones, Mr جونز، السيد. انظر سليد ـ جونز، توماس

(Jonge, Nicolaas de (1845–1898، يونج، نيكولاس ـ رجل دين في بروكسل

(Jongkind, Johan Barthold (1819–1891، جونكيد، يوهان بيرتولد ـ فنان هولندي

(Jordaens, Jacob (1593–1678، جوردانس، جاكوب ـ فنان فلمنكي

(Jourdan, Adolphe (1825–1889، جوردان، أدولف ـ فنان فرنسي

(French ,(?–Jouve, Auguste (1846؟) جوف، أوجست ـ فنان قد يكون فرنسيًا

(Jundt, Gustave Adolphe (1830–1884، جونت، جوستاف أدولف ـ فنان فرنسي

K

(K.V. see Vos-Stricker, Cornelia Adriana (Kee Vosكي في انظر فوس سترايكر، كورنيليا (كي فوس)

(Kam, Jan Gerrit (1833–1917، كام، يان جيريت ـ رجل دين في ليور

(Karr, Alphonse (1808–1890، كار، ألفونس ـ كاتب فرنسي

(Kate, Jan Jacob Lodewijk ten (1819–1889، كات، يان جاكوب لودفيج تن ـ شاعر ورجل دين هولندي

Kaufmann, Piet (1864–1940), gardener in Ettenكاوفمان، بييت ـ بستاني في أيتن

Kee Vos see Vos-Stricker, Cornelia Adrianaكي فوس. انظر فوس سترايكر،

كورنيليا أدريانا

Keene, Charles Samuel (1823–1891)، كين، تشارلز صامويل ـ فنان إنجليزي

Kempis, Thomas a (1379/80–1471)، كيمبس، توماس آ ـ كاتب هولندي

Kerssemakers, Antonius (Anton) Cornelius Augustinus (1846–1924), tanner in Eindhoven, pupil of Van Gogh كريسماكر، أنطونيوس كورنيليوس أوجستينوس ـ دباغ جلود في آيندهوفن وتلميذ فان جوخ

Keyser, Thomas de (1596/97–1667)، كيسير، توماس دي ـ فنان هولندي

Kiesenberg, Willem (1814–1904)، كيسنبرج، فيليم ـ من معارف فنسنت في لاهاي

Knaus, Ludwig (1829–1910)، كنوس، لودفيج ـ فنان ألماني

Koekkoek, Barend Cornelis (1803–1862)، كوكوك، بريند كورنيليس ـ فنان هولندي

Koninck, Philips (de) (1619–1688)، كونينك، فيليبس ـ فنان هولندي

Koning, Arnold Hendrik (1831–1895)، كونينج، أرنولد هندريك ـ محام ووالد أرنولد هندريك كونينج

Koning, Arnold Hendrik (1860–1945)، كونينج، أرنولد هندريك ـ فنان هولندي

Kroes, Jacobus Cornel(i)us (1829–1899)، كروس، جاكوبوس كورنيلوس ـ راعي كنيسة أوستكيرك في أمستردام

L

La Caze, Louis (1798–1869)، لا جاز، لوي ـ مقتني لوحات فرنسي

Lagye, Victor (1825–1896)، لاجي، فيكتور ـ فنان بلجيكي

Lamartine, Alphonse Marie Louis Prat de (1790–1869)، لامارتين ألفونس

دو ـ شاعر فرنسي

Lambinet, Emile Charles (1815–1877)، لامبينيه، إميل شارل ـ فنان فرنسي

Lamennais, (Hugues) Félicité Robert de (1782–1854)، لامينيه، روبير دو ـ كاتب فرنسي

Lançon, Auguste André (1836–1885), French artistلانسون، أوجست أندريه ـ فنان فرنسي

Landseer, Edwin Henry (1802–1873)، لاندسير، إدوين هنري ـ فنان إنجليزي

Latouche, Louis (1829–1884)، لاتوش، لوي ـ تاجر مستلزمات فنية في باريس

Laurillard, Eliza (1830–1908)، لوريارد، إليزا ـ شاعر ورجل دين هولندي

Lauzet, Auguste Marie (1865–1898)، لوزيه، أوجست ماري ـ فنان فرنسي

Laval, Charles (1862–1894)، لافال، شارل ـ فنان فرنسي

Lavater, Johann Caspar (1741–1801)، لافاتير، يوهان جاسبر

Lavieille, Adrien (Jacques Adrien) (1818–1862)، لافييّ، أدريان ـ فنان فرنسي

Lavieille, Eugène Antoine Samuel (1820–1889)، لافيي، أوجين أنطوان صامويل ـ فنان فرنسي

Lecomte (Le Comte), Adolf (1850–1921)، لوكونت، أدولف ـ زوج آنا كورنيليا لوكونت كاربينتوس

Lecomte-Carbentus, Anna Cornelia (1854–1926)، لوكونت كاربينتوس، آنا كورنيليا ـ زوجة أدولف لوكونت

Leech, John (1817–1864)، ليتش، جان ـ فنان إنجليزي

Lefebvre, Jules Joseph (1836–1911)، لوفيفر، جول جوزيف ـ فنان فرنسي

Legros, Alphonse (1837–1911)، ليجرو، ألفونس ـ فنان فرنسي

Lemonnier, (Antoine Louis) Camille (1844–1913)، ليمونييه، كامي - كاتب بلجيكي

Lemud, François Aimé de (1816–1887)، لومود، فرانسوا إيميه دو - فنان فرنسي

Leonardo da Vinci (1452–1519)، ليوناردو دافينشي - فنان إيطالي

Lerat, Paul-Edmé (1849–1892)، ليرا، بول إيدميه - فنان فرنسي

Lessore, Emile Aubert (1805–1876)، ليسور، إميل أوبير - فنان فرنسي

Lessore, Henri Emile (1830–1894)، ليسور، أونري إميل - فنان فرنسي

Lessore, Jules (?–1895)، ليسور، جول - فنان فرنسي

Leurs, Wilhelmus Johannes (1828–1895)، لورس، فيلهيلموس يوهانس - تاجر مستلزمات فنية وصانع براويز في لاهاي

Lévy, Emile (1826–1890)، ليفي، إميل - فنان فرنسي

Lévy, Nephtalie (؟–؟)، ليفي، نفتالي - مدير جاليري سيجفريد بينج في باريس

Lévy-Bing, Lazare (1814–1888)، ليفي بينج، لازار - مصرفي فرنسي

Leys, (Jean Auguste) Henri (1815–1869)، لييز، هنري - فنان بلجيكي

Lhermitte, Léon Augustin (1844–1925)، ليرميت، ليون أوجستين - فنان فرنسي

Liebermann, Max (1847–1935)، ليبرمان، ماكس - فنان ألماني

Lies see Gogh, Elisabeth Huberta van ليز. انظر جوخ، إليزابيث هوبيرتا فان

Linder, Philippe Jacques (؟–؟)، ليندر، فيليب جاك - فنان فرنسي

Lith, Johan van (1814–1893)، ليث، يوهان فان - من أهالي تونجيرلي بالقرب من نيونن

Livens, Horace Mann (1862–1936)، ليفنز، هوراس مان - فنان إنجليزي

Longfellow, Henry Wadsworth (1807–1882)، لونجفيلو، هنري وادزوورث ـ شاعر أمريكي

Loo, Arnold Louis Karel Hubert van de (1852–1898)، لو، هوبرت فان دي ـ طبيب في آيندهوفن

Loti, Pierre (1850–1923)، لوتي، بيير ـ كاتب فرنسي

Louis XIV (1638–1715)، لويس الرابع عشر ـ ملك فرنسا

Loyer, Sarah Ursula (1815–1895)، لوير، سارة أورسولا ـ مشرفة نزل في لندن

Luther, Martin (1483–1546)، لوثر، مارتن ـ لاهوتي ألماني

Lynen, Amédée Ernest (1852–1938)، لينن، أميدية إرنست ـ فنان بلجيكي

M

Ma see Gogh-Carbentus, Anna Cornelia van أمي ـ أنظر جوخ – كاربينتوس، آنا كورنيليا فان

Maaten, Jacobus (Jakob) Jan van der (1820–1879)، ماتن، جاكوب فان در ـ فنان هولندي

MacKnight, Dodge (1860–1950)، ماكنايت، دودج ـ فنان أمريكي

Madiol, Adriaan Johannes (Jan) (1845–1927)،ماديول، أدريان يوهانس ـ فنان هولندي

Madrazo y Garreta, Raimundo de (1841–1920)، مادرائو اي جاريتا، راموندو دي ـ فنان إسباني

Maes, Nicolaes (1632/34–1693)، مايس، نيكولاس ـ فنان هولندي

Mager, Nicolaas (1857-?)، ماجير، نيكولاس ـ موظف في دوردريخت

Manet, Edouard (1832–1883)، مانيه، إدوار ـ فنان فرنسي

Mantz, Paul (1821–1895)، مانز، بول ـ ناقد فني فرنسي

Marat, Jean Paul (1743–1793)، مارا، جون بول ـ ثوري فرنسي

Marchal, Charles François (1825–1877)، مارشال، شارل فرانسوا ـ فنان فرنسي

Marchetti, Ludovico (1853–1909)، مارتشيتي، لودفيكو ـ فنان إيطالي

Marie (؟–؟)، ماري ـ عشيقة تيو في باريس

Maris, Jacob (Jaap) Hendrik (1837–1899)، ماريس، جاكوب هندريك ـ فنان هولندي

Maris, Matthijs (Thijs) (1839–1917)، ماريس، ماتياس ـ فنان هولندي

Maris, Willem (1844–1910)، ماريس، فيليم ـ فنان هولندي

Marks, Henry Stacy (1829–1898)، ماركس، هنري ستاسي ـ فنان إنجليزي

Marnix, Lord of Sint-Aldegonde, Philips van (1538–1598)، مارنيكس، فيليب فان ـ شاعر ودبلوماسي هولندي

Martin (père Martin), Pierre Firmin (1817–1891)، مارتان (الأب مارتان) بيير فيرمان ـ تاجر فن في باريس

Mathey, Paul (1844–1929)، ماتي، بول ـ فنان فرنسي

Maupassant, Guy de (1850–1893)، موباسان، جي دو ـ كاتب فرنسي

Maurin, (Jean Baptiste Joseph Antonin) Charles (1856–1914)، موران، شارل ـ فنان فرنسي

Maus, Octave (1856–1919)، مو، أوكتاف ـ سكرتير مجموعة العشرين في بروكسل

Mauve family عائلة موف

Mauve, Anton Rudolf (1838–1888)، موف، أنطوان رودولف ـ فنان هولندي

Mauve-Carbentus, Ariëtte (Jet) Sophia Jeanette (1856–1894)، أنطوان موف موف كاربينتوس، آرييت - زوجة

Max, Gabriel Cornelius Ritter von (1840–1915)، ماكس، جابرييل فون - فنان تشيكي

Meissonier, Ernest (1815–1891)، ميسونييه، إرنست - فنان فرنسي

Mellery, Xavier (1845–1921)، ماليري، زافييه - فنان بلجيكي

Memling, Hans (1430/40–1494), German/Flemish artist ميملنج، هانز - فنان ألماني فلمنكي

Mendes da Costa, Maurits Benjamin (1851–1938)، ميندس دي كوستا، ماوريتش بنجامان - معلم فنسنت في أمستردام

Menzel, Adolf Friedrich Erdmann (1815–1905)، مينزل، أدولف فريدريش إردمان - فنان

Mercier, Michel Louis Victor (1810–c. 1894)، ميرسييه، ميشيل لوي فيكتور - نحات فرنسي

Mertens, Charles (Karel) (1865–1919)، ميرتينز، كارل - فنان بلجيكي

Meryon, Charles (1821–1868)، ميريون، شارل - فنان فرنسي

Mesdag, Hendrik Willem (1831–1915)، ميسداج، هندريك فيليم - فنان هولندي

Mesker, Theodorus (Theo) Ludovicus (1853–1894)، ميسكير، تيو لودفيكوس - فنان هولندي

Meulen, François (Frans) Pieter ter (1843–1927)، مويلين، فرنس بيتر تر - فنان هولندي

Meunier, Constantin Emile (1831–1905)، مونييه، كونستانتان إميل - فنان بلجيكي

Meusnier, Mathieu see Robert, Georges Karl موزنييه، ماتيو. انظر روبرت، جورج كارل

Meyboom (Meijboom), Claas (1851–1911) ، ميبوم، كلاس- شقيق مارجريت ميبوم

Meyboom (Meijboom), Margreet Anna Sophia (1856–1927) ، ميبوم، مارجريت ـ عشيقة بول سترايكر

Michel, Georges (1763–1843) ، ميشيل، جورج ـ فنان فرنسي

Michelangelo Buonarroti (1475–1564) ، مايكل أنجلو ـ فنان إيطالي

Michelet, Jules (1798–1874) ، ميشيل، جول ـ كاتب فرنسي

Middelbeek (؟–؟)، ميدلبيك ـ من معارف عائلة سترايكر في أمستردام

Millais, John Everett (1829–1896) ، ميليه، جان إيفريت ـ فنان إنجليزي

Millet, Jean-François (1814–1875) ، مييه، جون فرانسوا ـ فنان فرنسي

Milliet, Paul Eugène (1863–1943)، مييه، بول أوجين ـ ملازم في القوات الفرنسية شمال أفريقيا

Mirbeau, Octave (1848–1917) ، ميرابو، أوكتاف ـ كاتب فرنسي

Molenaar, Cornelis Anthonie (1856–1887) ، مولينار، كورنيليس أنطوني ـ مساعد طبيب في لاهاي

Moller, Frederick William (fl . 1862–1865) ، مولر، فريدريك وليام ـ فنان إنجليزي

Mols, Robert (1848–1903) ، مول، روبير ـ فنان بلجيكي

Monet, Claude Oscar (1840–1926) ، مونيه، كلود ـ فنان فرنسي

Monnier, Henry Bonaventure (1799–1877) ، مونييه، أونري بونافنتور ـ كاتب فرنسي

Montenard, Frédéric (1849–1926) ، مونتينار، فريدريك ـ فنان فرنسي

(Monticelli, Adolphe Joseph Thomas (1824–1886، مونتيتشيلي، توما ـ فنان فرنسي

(Morelli, Domenico (1823–1901، موريللي، دومينيكو ـ فنان إيطالي

(Moret, Henry (1856–1913، موريه، أونري ـ فنان فرنسي

(Morin, Edmond (Edward) (1824–1882، موران، إدمون ـ فنان فرنسي

(Morris, Philip Richard (1836–1902، موريس، فيليب ريتشارد ـ فنان إنجليزي

(Motley, John Lothrop (1814–1877، موتلي، جان لاثروب ـ كاتب أمريكي

(Mourier Petersen, Christian Vilhelm (1858–1945، موريير بيترسن، كريستيان فيلهيلم ـ فنان دنماركي

(Mulock Craik, Dinah Maria (1826–1887، مولوك كريك، دينا ماريا ـ كاتبة إنجليزية

(Multatuli (1820–1887، مولتاتولي ـ كاتب هولندي

(Murger, Henri (1822–1861، مورجيه، أونري ـ كاتب فرنسي

(Musset, Louis Charles Alfred de (1810–1857، موسيه، ألفريد دو ـ شاعر فرنسي

(Muyden, (Jacques) Alfred van (1818–1898، مويدن، جاك ـ فنان سويسري

N

(Nanteuil-Leboeuf, Célestin François (1813–1873، نانتوي لابوغ، سيلستان فرانسوا ـ فنان فرنسي

(Nash Jr, Joseph (?–1922، ناش الصغير، جوزيف ـ فنان إنجليزي

(Neuhuys, Johannes Albert (1844–1914، نويهويس، يوهانس ألبرت ـ فنان هولندي

(Neuhuys, Jozef Hendrikus (1841–1889، نويهويس، جوزيف هندريكوس ـ

فنان هولندي

Nuijen, Wijnand Johannes Joseph (1813–1839)، نويين، ويناند يوهانس جوزيف ـ فنان هولندي

O

Obach, Charles (Carl) (1840/41-?)، أوباخ، تشارلز ـ مدير في شركة جوبيل وسي في لندن

Obach, Lena (?–?), daughter of Charles Obach أوباخ، لينا ـ ابنة تشارلز أوباخ

Obach, Malchen (?–?), daughter of Charles Obach أوباخ، مالتشين ـ ابنة تشارلز أوباخ

Obach, Pauline (1847–?), wife of Charles Obach أوباخ، باولين ـ زوجة تشارلز أوباخ

Offermans, Anton (Tony) Lodewijk George (1854–1911)، أوفرمانز، أنطون ـ فنان هولندي

Ohnet, Georges (1848–1918)، أونيه، جورج ـ كاتب فرنسي

O'Kelly, Aloysius (1853–1892)، أوكيلي، أوليزوس ـ فنان أيرلندي

Old Crome see Crome, John أولد كروم انظر كروم، جان

d'Ornano, Joseph (1843–?), chief of police in Arles دورنانو، جوزيف ـ قائد الشرطة في آرل

Ostade, Adriaen van (1610–1685)، أوستاد، أدريان فان ـ فنان هولندي

Ostade, Isaac van (1621–1649)، أوستاد، أيزاك فان ـ فنان هولندي

P

Pa see Gogh, Theodorus van أبي، انظر جوخ - تيودوروس فان

Paillard, Jacques Michel (1808–between 1878 and 1884) بايار، جاك ميشيل - تاجر مستلزمات فنية وصاحب مصنع للألوان في باريس

Palissy, Bernard (1510–1589/90) باليسي، برنار - كاتب وفنان فرنسي

Pasini, Alberto (1826–1899) باسيني، ألبرتو - فنان إيطالي

Pasteur, Louis (1822–1895) باستور، لوي - كيميائي وعالم فرنسي

Pauwels, Andreas (1826–1889) باولز، أندرياس - رجل دين في نيونن

Perruchot, Marcellin (1836-?) بيروشو، مارسلان - صاحب مطعم وتاجر نبيذ في أنسيار

Petrarch (Francesco Petrarca) (1304–1374) بيترارك - شاعر إيطالي

Peyron, Théophile Zacharie Auguste (1827–1895) بيرون، تيوفيل زاكاري أوجست - مدير المصحة في سان ريمي

Pieneman, Jan Willem (1779–1853) بيينمان، يان فيليم - فنان هولندي

Pieneman, Nicolaas (1809–1860) بيينمان، نيكوس - فنان هولندي

Pieterszen see Waeyen Pieterszen, Abraham van der بييترزين. انظر وايين بيترزين، أبراهام فان در

Pille, Charles Henri (1844–1897) بيي، شارل أونري - فنان فرنسي

Pinwell, George John (1842–1875) بينويل، جورج جان - فنان إنجليزي

Pissarro, Lucien (1863–1944) بيسارو، لوسيان - فنان فرنسي ونجل كامي بيسارو

Pissarro, Camille Jacob (1830–1903) بيسارو، كامي - فنان فرنسي

Pissarro-Vellay, Julie (1838–1926) بيسارو فاليه، جولي - زوجة كامي بيسارو

Poe, Edgar Allan (1809–1849)، بو، إدجار ألان ـ شاعر وكاتب أمريكي

Polack, Emile Ferdinand (1859–after 1904)، بولاك، إميل فرديناند ـ فنان فرنسي

Pompe Sr, Abraham (Uncle Pompe) (1831–1909)، السيد بومب (العم بومب) ـ عسكري هولندي وعم فنسنت

Pompe, Elisabeth Hubertha (Aunt Bertha) بومب، إليزابيث هوبرتا (العمة برتا) أنظر جوخ، إليزابيث هوبرتا فان

Portier, Alphonse (1841–1902)، بورتييه، ألفونس ـ تاجر فن في باريس

Meijjes, Jeremias (Jeremie) (1831–1908)، مييس جيرمياس ـ رجل دين في أمستردام، ونجل السيد راينر بوثيموس مييس

Posthumus Meijjes Sr, Reinier (1803–1891)، بوثيموس مييس، راينر ـ رجل دين في أمستردام

Potter, Paulus (1625–1654)، بوتر، باولوس ـ فنان هولندي

Poussin, Nicolas (1594–1665)، بوسان، نيكولا ـ فنان فرنسي

Prévost, Charles Eugène (1855-?)، بريفوست، شارل أوجين ـ فنان فرنسي

Prins, Antonie (Toon) (1849–1932)، برنس، أنطوني ـ فلاح في زوندرت وزميل دراسة قديم لفنسنت

Prins, Petrus (Piet) (1851–1892)، برينس، بيتروس ـ فلاح في زوندرت وزميل دراسة قديم لفنسنت

Provily, Jan (1800–1875)، بروفيلي، يان ـ مالك مدرسة داخلية في زيفنبرجن

Puvis de Chavannes, Pierre (1824–1898)، بوفي دو شافان، بيير ـ فنان

Pyle, Howard (1853–1911), American artist بايل، هاوارد ـ فنان أمريكي

Q

Quinet, Edgar (1803–1875), French writer كينيه، إدجار ـ كاتب فرنسي

Quost, Ernest (1844–1931)، كوست، إرنست ـ فنان فرنسي

R

Rabelais, François (c. 1494–1554)، رابليه، فرانسوا ـ كاتب فرنسي

Raffaëlli, Jean-François (1850–1924)، رافائيلي، جون فرانسوا ـ فنان فرنسي

Ralston, John McL. (fl. 1872-1880)، رالستون، جان ماك إل ـ فنان إنجليزي

Raphael (Rafaello Sanzio) (1483–1520)، رافاييلو ـ فنان إيطالي

Rappard, Anthon Gerard Alexander, ridder van (1858–1892)، رابارد، أنطون فان ـ فنان هولندي

Rappard, Frans Alexander Lodewijk, ridder van (1828–1888)، رابارد، فرانس ألكساندر فان ـ والد أنطون فان رابارد

Rappard, Wilhelmina Elisabeth van (1861–1934)، رابارد، فيلهلمينا إليزابيث فان ـ شقيقة أنطون فان رابارد

Rappard-Lantsheer, Suzanna Adriana Carolina van (1832–1902)، رابارد لانتشير، سوزانا فان ـ والدة أنطون فان رابارد

Raumer, Karl Georg von (1783–1865)، راومر، كارل جورج فون ـ كاتب ألماني

Ravoux, Arthur Gustave (1848–1914)، رافو، أرتور جوستاف ـ صاحب نزل رافو في أوفير

Ravoux, Germaine (1888-?)، رافو، جيرمين ـ ابنة أرتور جوستاف رافو

Ravoux-Touillet, Adeline Louise (1855-?) رافو توييه، أدلين لويز ـ زوجة

أرتور جوستاف رافو

(Read, Samuel (1815–1883، ريد، صمويل - فنان إنجليزي

(Redon, Odilon (1840–1916، ريدون، أوديلون – فنان فرنسي

(Régamey, Félix Elie (1844–1907، ريجامي، فيليكي إيلي - فنان فرنسي

(Régamey, Guillaume Urbain (1837–1875، ريجامي، جيوم أوربان - فنان فرنسي

(Regnault, Alexandre Georges Henri (1843–1871، رينيو، ألكساندر جورج أونري - فنان فرنسي

(Reid, Alexander (1854–1928، ريد، ألكسندر - تاجر فنون اسكتلندي

(Reid, George Robert (1851–after 1916، ريد، جورج روبرت - فنان إنجليزي

(Reinhart, Charles Stanley (1844–1896، رينهارت، تشارلز ستانلي - فنان أمريكي

(Rembrandt van Rijn (1606–1669، رامبرانت فان ريين - فنان هولندي

(Renan, (Joseph-Ernest) Ernest (1823–1892، رينان، إرنست - كاتب فرنسي

(Renoir, Pierre Auguste (1841–1919، رينوار، بيير أوجست - فنان فرنسي

(Renouard, Charles Paul (1845–1924، رينوار، شارل بول - فنان فرنسي

Rethel, Alfred (1816–1859), German artist ريتل، ألفريد - فنان ألماني

Reuter, Fritz (1810–1874), German writer رويتر، فريتز - كاتب ألماني

(Rey, Félix (1865–1932، راي، فيليكس - طبيب مساعد في مستشفى آرل

Reynolds, Joshua (1723–1792), English artistرينولدز، جوشوا - فنان إنجليزي

(Ricard, Louis Gustave (1823–1873، ريشار، لوي جوستاف - فنان فرنسي

Richard, Jacques Jeremie (1823–1897), clergyman in Vlissingenريتشارد، جاك جيرمي - رجل دين في فيلسنجن

Richard-Nieuwenhuis, Anna Jacoba Maria Geertruida (1826–1877)، ريتشارد نيوينهويس، آنا جاكوب ماريا جيرترودا، زوجة جاك جيرمي ريتشارد

Richardson (؟–؟)، ريتشاردسون ـ أحد معارف فنسنت في فرع لندن لشركة جوبيل وسي

Richepin, Jean (Auguste-Jules) (1849–1926)، ريشبان، جون ـ كاتب فرنسي

Ridley, Matthew White (1837–1888)، ريدلي، ماتيو وايت ـ فنان إنجليزي

Rijken, Adriaan (1834–1915)، رايكن، أدريان ـ بستاني في نيونن

Rijken, Pieter (1841–1922)، رايكن، بيتر ـ مسؤول نزل في دوردريخت

Rijken-Aelmans, Maria (1863–1922)، رايكن ألمانس، ماريا ـ زوجة بيتر راينكن

Rink, Paulus (Paul) Philippus (1861–1903)، رينك، باولوس ـ طالب فنون هولندي في أكاديمية أنتويرب

Rivet, Louis Marie Hippolyte (1851–1931/32?)، ريفيت، لوي ماري إيبوليت ـ طبيب في باريس

Robert, Georges Karl (pseudonym of Mathieu Meusnier) (fl . 1874–1882)، روبير، جورج كارل (الاسم المستعار لماتيو موسنييه) ـ فنان وكاتب فرنسي

Rochefort-Luçay, Victor Henri Marquis de (1831–1913)، روشفور، فيكتور أونري كاركيز دو ـ صحفي فرنسي

Rochussen, Charles (1814–1894)، روتشوسن، تشارلز ـ فنان هولندي

Rod, Edouard (1857–1910)، رود، إدوار ـ كاتب سويسري

Rodin, Auguste (1840–1917)، رودان، أوجست ـ نحات فرنسي

Roelofs, Willem (1822–1897)، رولوفس، وليم ـ فنان هولندي

Roland Holst, Richard (1868–1938)، رولاند هولست، ريتشارد ـ فنان وكاتب هولندي

Roll, Alfred Philippe (1846–1919)، رول، ألفريد فيليب ـ فنان فرنسي

Romano, Giulio (1499?–1546)، رومانو، جيليو ـ فنان إيطالي

Rooij, Anthonius van (1823–1908)، روي، أنطونيوس فان ـ ابن عم جوردينا دي جروت

Rooij, Francis (Frans) van (1839–1917)، روي، فرانسيس فان ـ ابن عم جوردينا دي جروت

Roos family عائلة روس

Roos, Willem Marinus (1816–1893)، روس، فيليم مارينوس ـ مسؤول نزل في لاهاي

Roos-Van Aalst, Dina (Dientje) Margrieta van (1813–1904)، روس فان ألست، دينا ـ زوجة فيليم مارينوس روس

Roosmaelen-Duerwaerder, Isabella Adriana de (1830–1928)، روزمالن ديرويردر، إيزابيلا أدريانا دي ـ صاحبة البيت في أنتويرب

Roqueplan (Rocoplan), Camille Joseph Etienne (1803–1855)، روكوبلان، كامي جوزيف إتيان ـ فنان فرنسي

Roquette, Gabriel de la روكيت، جابرييل دو لا. انظر ديلاربيريت، جابرييل

Rossetti, Dante Gabriel (1828–1882)، روسيتي، دانتيل جابرييل ـ فنان إنجليزي

Rossum du Chattel, Fredericus Jacobus van (1856–1917)، روسوم دو شاتيل، فريدريكوس جاكوبوس فان ـ فنان هولندي

Roulin, Armand Joseph Désiré (1871–1945)، رولان، أرمان جوزيف ديزيريه ـ ابن جوزيف رولان

Roulin, Camille (1877–1922)، رولان، كامي ـ ابن جوزيف رولان

Roulin, Joseph Etienne (1841–1903)، رولان، جوزيف ـ موظف بريد في آرل

Roulin, Marcelle (1888–1980)، رولان، مارسيل ـ ابنة جوزيف رولان

Roulin-Pelicot, Augustine Alex (1851–1930)، رولان بيليكو، أوجستين أليكس - زوجة جوزيف رولان

Rousseau, Théodore (1812–1867)، روسو، تيودور - فنان فرنسي

Rubens, Peter Paul (1577–1640)، روبنز، بيتر بول - فنان فلمنكي

Ruipérez, Luis (1832–1867)، رويبيريث، لويس - فنان إسباني

Ruisdael, Jacob Isaacksz. van (1628/29–1682)، رويزديل، جاكوب إيزاكس فان - فنان هولندي

Russell, John Peter (1858–1931)، راسل، جان بيتر - فنان أسترالي

Russell-Mattiocco, Anna-Maria (Marianna) Antoinetta (1865–1908)، راسل ماتيوكو، آنا ماريا - زوجة جان بيتر راسل

S

Saal, Georg Eduard Otto (1818–1870)، سال، جيورج أوتو - فنان ألماني

Sainte-Beuve, Charles Augustin (1804–1869)، سان بوف، شارل أوجستين - شاعر فرنسي

Salles, Frédéric (1841–1897)، سال، فريدريك - رجل دين في آرل

Sambourne, Edward Linley (1845–1910)، سامبورن، إدوارد لينلي - فنان إنجليزي

Sand, George (pseudonym of Amandine Lucile [Lucie] Aurore Dupin) (1804–1876)، صاند، جورج (الاسم المستعار لأماندين لوسيل أورور دوبان) كاتبة فرنسية

Sande Bakhuyzen, Julius Jacobus van de (1835–1925)، ساندي باخويزن، جوليوس جاكوبوس فان - فنان هولندي

Sarto, Andrea del (1486–1530)، سارتو، أندريا ديل - فنان إيطالي

Saux-De Bouteillier, Sophie de see Browne, Henriette سو دو بوتييه، صوفي دو. انظر براون، هنرييت

Schalekamp, J.M., bookseller in Amsterdam شاليكامب جي إم - تاجر كتب في أمستردام

Scheffer, Ary (1795–1858)، شيفر، أري - فنان هولندي

Schelfhout, Andreas (1787–1870)، شيلفهوت، أندرياس - فنان هولندي

Schmidt, Tobias Victor (1842–1903)، شميدت، توبياس فيكتور - مدير بشركة جوبيل وسي ببروكسل

Scholte, Hendrik (1841–1915)، شولتي، هندريك - حارس نزل في نيو أمستردام

Schreyer, Adolphe (1828–1899)، شريير، أدولف - فنان ألماني

Schuffenecker, Claude Emile (1851–1934)، شوفينكر، كلود إميل - فنان فرنسي

Schuler, (Jules) Théophile (1821–1878)، شولر، (جول) تيوفيل - فنان فرنسي

Seeley & Co سيلي وشركاؤه - ناشرون وتجار كتب في لندن

Segatori, Agostina (1841–1910)، سيجاتوري، أجوستينا - مديرة مقهى وملهى لاتامبورين في باريس

Sensier, Alfred Jean Philippe Auguste (Alfred) (1815–1877)، سونسييه، ألفريد - شاعر فرنسي

Serret, Charles Emmanuel (1824–1900)، سيريه، شارل إيمانويل - فنان فرنسي

Seurat, Georges (1859–1891)، سورا، جورج - فنان فرنسي

Shakespeare, William (1564–1616)، شكسبير، وليم - شاعر ومسرحي إنجليزي

Siberdt, Eugène François Joseph (1851–1931)، سيبردت، يوجين فرانسوا جوزيف - فنان بلجيكي ومدرس في أكاديمية أنتويرب للفنون

Siebenhaar, Christiaan (1824–1885)، سيبينهار، كريستيان - مدرب مبارزة هولندي

Sien see Hoornik, Clasina (Sien) Mariaسين انظر هورنيك، كلاسينا

Signac, Paul (1863–1935)، سينياك، بول - فنان فرنسي

Silvestre, Théophile (1823–1876)، سيلفستر، تيوفيل - كاتب فرنسي

Sisley, Alfred (1839–1899)، سيسلي، ألفريد - فنان فرنسي

Six, Jan (1618–1700)، سيكس، يان - عمدة أمستردام

Slade-Jones family عائلة سليد جونز

Slade-Jones, Annie (1838–1924)، سليد جونز، آني - زوجة توماس سليد جونز

Slade-Jones, Thomas (Mr Jones) (1829–1883)، سليد جونز، توماس - رجل دين وناظر مدرسة في أيلزوورث

Small, William (1843–1929)، سمول، وليم - فنان إنجليزي

Smedley, William Thomas (1858–1920)، سميدلي، وليم توماس - فنان أمريكي

Smulders & Co., Jos.، سملدرز وشركاؤه - تجار أدوات مكتبية ومطبوعات في لاهاي

Socrates (469 bc–399 bc)، سقراط - فيلسوف يوناني

Soek, Frans (?–1879)، سوك، فرانس - موظف بشركة جوبيل وسي في فرنسا

Sophia Frederika Mathilda (1818–1877)، صوفيا فريدريكا ماتيلدا - ملكة هولندا وزوجة الملك وليم الثالث

Sophocles (496 bc–406/405 bc)، سوفوكليس - كاتب مسرح إغريقي

Soulé, Bernard (1826–1903)، سوليه، برنار - وكيل صاحب بيت فنسنت في آرل

Souvestre, Emile (1806–1854)، سوفيستر، إميل - كاتب فرنسي

Staniland, Charles Joseph (1838–1916)، ستانيلاند، تشارلز جوزيف ـ فنان إنجليزي

Steen, Jan (1626–1679), Dutch artistستين، يان ـ فنان هولندي

Steffens, Louise Eugénie (1841–1865)، ستيفنس، لويز أوجيني ـ فنانة هولندية

Stevens, Alfred (1823–1906)، ستيفنس، ألفريد ـ فنان بلجيكي

Stieler, Adolf (1775–1836)، ستيلير، أدولف ـ صانع خرائط ألماني

Stockum, Van, family عائلة فان ستوكم

Stockum, Wilhelmus Petrus van (1810–1898)، ستوكم ، فيلهيلموس بيتروس فان ـ والد وليم جاكوب فان ستوكم

Stockum, Willem Jacob van (1846–1900)، ستوكم، فيليم جاكوب فان ـ زوج كارولينا أدولفينا هاينبيك

Stockum-de Langen, Maria van (1814–1882)، ستوكم دي لانجن، ماريا فان ـ أم فيليم جاكوب فان ستوكم

Stockum-Haanebeek, Carolina (Caroline) Adolphina van (1852–1926)، ستوكم هانيبيك، كارولينا أدولفينا فان ـ زوجة فيليم فان ستوكم

Stokes, William Port (c. 1832–1890)، ستوكس، وليم بورت ـ معلم ورجل دين في رامسجيت

Stokes-Blyth, Lydia (before 1835–1878)، ستوكس بليث، ليديا ـ زوجة وليم بورت ستوكس

Stowe, Harriet Elizabeth Beecher (1811–1896)، ستو ، هاريت بيتشر - كاتبة أمريكية

Stricker family عائلة سترايكر

Stricker, Cornelia Adriana (Kee) see Vos-Stricker, Cornelia Adrianaسترايكر، كورنيليا أدريانا (كي) انظر فوس سترايكر

Stricker, Johannes Andries (1848–1901)، ستراايكر، يوهانس أندريس - ابن العم ستراايكر

Stricker Sr, Johannes Paulus (Uncle Stricker or J.P.S.) (1816–1886)، السيد ستراايكر، يوهانس باولوس - رجل دين في أمستردام وعم فنسنت.

Stricker-Carbentus, Willemina Catharina Gerardina (Aunt Mina) (1816–1904)، ستراايكر كاربينتوس - ويليمينا كاترينا جيراردينا (العمة مينا) - زوجة السيد يوهانس باولوس ستراايكر

Swain, Joseph (1820–1909)، سوين، جوزيف - فنان إنجليزي

Swart, Elisabeth Sara Clasina de (Sara) (1861–1951)، سوارت، إليزابيث سارة كلاسينا - نحاتة هولندية

Sylva, Carmen (pseudonym of Elizabeth Pauline Ottilie Louise of Wied) (1843–1916)، سيلفا، كارمن (الاسم المستعار لإليزابيث باولين أوتيلي لويز أوف فايد) كاتبة ألمانية وملكة رومانيا

T

T. (Mr T.) see Tersteeg, Hermanus Gijsbertus ت أو تي أو السيد تي انظر ترستيج، هيرمانوس جويبرتوس

Taine, Hippolyte Adolphe (1828–1893)، تين، هيبوليت أدولف - كاتب فرنسي

Tanguy (père Tanguy), Julien François (1825–1894)، تانجي (الأب تانجي) جوليان فرانسوا - تاجر مستلزمات فنية في باريس

Tanguy-Briend, Renée Julienne (1821–1897)، تانجي بريند، رينيه جوليان - زوجة جوليان تانجي

Tapiró y Baró, José (1830–1913)، تابيرو اي بارو، خوسيه - فنان إسباني

Tardieu, Jacques (1834–after 1894)، تارديو، جاك - عمدة آرل

Tassaert, Nicolas François Octave (1800–1874)، تاسير، نيكولا فرانسوا أوكتاف - فنان فرنسي

Tasset, Guillaume Charles (1843–1925)، تاسيه، جيوم شارل - تاجر مستلزمات فنية في باريس

Tasset & Lhote, sellers of artists' materials in Paris تاسيه ولوت - تجار مستلزمات فنية في باريس

Teixeira de Mattos, Isaäc (1821–1904)، تيكسيرا دي مانوس، إيزاك - معلم فان جوخ في أمستردام

Tenniel, John (1820–1914)، تينيل، جان - فنان إنجليزي

Tersteeg family عائلة ترستيج

Tersteeg, Elisabeth (Betsy) (1869–1938)، ترستيج، إليزابيث (بيتسي) ابنة السيد ترستيج

Tersteeg, Hermanus Gijsbertus (H.G.T., T. or Mr T.) (1845–1927)، ترستيج، هيرمانوس جيبرتوس (ه. ج. ت. أو السيد ت. أو ت.) مدير فرع شركة جوبيل وسي في لاهاي

Tersteeg-Pronk, Maria Magdalena Alida (1845–1925)، ترستيج بونك، ماريا ماجدلينا أليدا - زوجة هيرمانوس جيبرتوس ترستيج

Thomas (père Thomas), Georges (?–after 1908)، توما (الأب توما) جورج - تاجر فن في باريس

Thomas, Jean Joseph (1814–1898)، توما، جون جوزيف - تاجر مستلزمات فنية في باريس

Thoré, Etienne Joseph Théophile (pseudonym: W. Bürger (1807–1869)توريه، إتيان جوزيف تيوفيل (و. بيرجر) - ناقد فني فرنسي

Thorvaldsen, Bertel (1770–1844)، ثورفالدسن، بيرتل - نحات دنماركي

العم ستر ايكر انظر السيد Uncle Stricker see Stricker Sr, Johannes Paulus
ستر ايكر ، يوهانس باولوس

العم فنسنت انظر جوخ، فنسنت فان Uncle Vincent see Gogh, Vincent van

أورابييتا بييرج، دانيال ـ فنان إسباني ، Urrabieta Vierge, Daniel (1851–1904)

V

فالادون، رينيه ـ تاجر فن في باريس ، Valadon, René (1848–1921)

فالنتان، أونري ـ فنان فرنسي ، Valentin, Henri (1820–1855)

فالكيس، ويليم مارينوس ـ ساكن مع ويليم مارينوس روس في لاهاي ، Valkis, Willem Marinus (1853–1935)

فوتييه (الكبير) بنجامان ـ فنان سويسري ، Vautier (the Elder), Benjamin (1829–1898)

بيلاسكيث، دييجو رودريجث دي سيلفا ـ فنان إسباني ، Velázquez, Diego Rodríguez de Silva y (1599–1660)

فيلدن، بيتروس فان در ـ فنان هولندي ، Velden, Petrus (Piet) van der (1837–1913)

فيرديه، لوسيان ايميه أنطوان ـ صاحب البيت الأصفر في آرل ، Verdier, Lucien Aimé Antoine (1813-?)

فيردييه، مارسيل أنطوان ـ فنان فرنسي ، Verdier, Marcel-Antoine (1817–1856)

فيركيسن، فرانسوا أنطوان ـ صانع مسطردة في سانت جيل ، Verkissen, François Antoine (1839–1881)

فيرلات، كارل ـ فنان بلجيكي ومدير أكاديمية أنتويرب للفنون ، Verlat, Charles (Karel) Michel Marie (1824–1890)

(1632–1675) Vermeer, Johannes (Jan)، فيرمير، يوهانس ـ فنان هولندي

(1828–1905) Verne, Jules Gabriel، فيرن، جول ـ كاتب فرنسي

(1829–1887) Vernier, Emile Louis، فرنييه، إميل لوي ـ فنان فرنسي

(c. 1528–1609) Veronese, Paolo (Paolo Caliari)، فيرونيزي، باولو ـ فنان إيطالي

(1812–1874) Verschuur, Wouterus (Wouter)، فيرشور، فوتيروس ـ فنان هولندي

فيو، لوي ماري جوليان انظر لوتي Viaud, Louis Marie Julien see Loti, Pierre، بيير

فيرجVierge, Daniel Urrabieta see Urrabieta Vierge, Daniel، دانيال أورابييتا انظر أورابييتا فيرج، دانيال

(1847–1909) Vignon, Victor Alfred Paul، فينيون، فيكتور ألفريد بول ـ فنان فرنسي

(1827–1903) Vinck, Frans (François) Kasper Huibrecht، فينك، فرانسوا كاسبر هويبرشت ـ فنان بلجيكي

(1822–1876) Vintcent-De Lezenne Greve, Cornelia Wilhelmina، فنسنت دي ليزن جريف، كورنيليا فيلهلمينا ـ من معارف عائلة فان جوخ في لاهاي

(1814–1879) Viollet-le-Duc, Eugène Emmanuel، فيوليه لو دوك، يوجين إيمانويل ـ معماري فرنسي

(1857–1941) Voerman Sr, Jan، فورمان السيد، يان

(1833–1900) Vollon, Antoine، فولون، أنطوان ـ فنان فرنسي

(1694–1778) Voltaire (pseudonym of François Marie Arouet)، فولتير (الاسم الأدبي لفرانسوا ماري أرويه) ـ كاتب فرنسي

(1841–1878) Vos, Christoffel Martinus، فوس، كريستوفيل مارتينوس -

رجل دين في أمستردام وزوج كي فوس

(Vos, Johannes (Jan) Paulus (1873–1928، فوس، يوهانس - ابن كريستوفيل وكي فوس

(Vosmaer, Carel (1826–1888، فوسماير، كاريل - كاتب هولندي

(Vos-Stricker, Cornelia Adriana (Kee, Kee Vos, K.V.) (1846–1918، فوس سترايكر، كورنيليا أدريانا (كي فوس) ابنه يوهانس باولوس سترايكر، وزوجة كريستوف ألمارتينوس فوس

(Vriendt, Albert (Albrecht) Frans Lieven de (1843–1900، فرندت، ألبرت - فنان بلجيكي

(Vriendt, Juliaan (Julien) de (1842–1935، فرندت، جوليان - فنان بلجيكي

(Vries, Theodorus de (1836–1890، فريس، تيودوريس دي - نجار في نيونن

W

(Waeyen Pieterszen, Abraham van der (1817–1880، فاين بيترزين، أبراهام فان در - رجل دين في ميشيلين

(Wagner, Richard (1813–1883، فاجنر، ريتشارد - موسيقي ألماني

(Wahlberg, Alfred (Herman Alfred Leonard) (1834–1906، والبيرج، ألفريد - فنان سويسري

(Wakker, Willem van de (1859–1927، واكر، فيليم فان دي - عامل تليغراف وفنان هاو في نيونن

(Waldorp, Antonie (1803–1866، والدورب، أنطوان - فنان هولندي

(Walker, Frederick (1840–1875، ووكر، فريدريك - فنان إنجليزي

(Wallace, Richard (1818–1890، والاس، ريتشارد - مقتني لوحات في لندن

Wallis, Thomas (؟–؟)، واليس، توماس ـ تاجر فن في لندن

Watteau, Jean Antoine (1684–1721)، واتو، جون أنطوان ـ فنان فرنسي

Wauters, Emile (1846–1933)، واوترز، إميل ـ فنان بلجيكي

Weber, Otto (1832–1888)، فيبر، أوتو ـ فنان ألماني

Weehuizen, Johannes Wilhelmus (1852–1875)، ويهويزن، يوهانس فيلهيلموس ـ زميل فنسنت في السكن في لاهاي

Weele, Herman Johannes van der (1852–1930)، ويلي، هرمان يوهانس فان در ـ فنان هولندي

Weissenbruch, Johan Hendrik (Jan Hendrik) (1824–1903)، فايسنبروخ، يوهان هندريك ـ فنان هولندي

Wenckebach, Ludwig Willem Reijmert (1860–1937)، فينكباخ، لودفيج فيليم رايمرت ـ فنان هولندي

Whistler, James Abbot McNeill (1834–1903)، ويسلر، جيمس أبوت ماكنيل ـ فنان أمريكي

Whitman, Walt (1819–1892)، ويتمان، والت ـ شاعر أمريكي

Wied, Elizabeth Pauline Ottilie Louise of see Sylva, Carmen ويد، انظر سيلفا

Wil see Gogh, Willemina Jacoba van ويل انظر جوخ، ويليماينا جاكوبا فان

Wilhelm I (1797–1888)، فيلهلم الأول ـ ملك بروسيا

Willemien ويليماين – أنظر جوخ، ويليمينا جاكوبا فان

Willette, Adolphe (1857–1926)، وييت، أدولف ـ فنان فرنسي

William the Silent (William i, Prince of Orange) (1533–1584)، وليم الصامت (أمير أورانج) سياسي هولندي

Wisselingh, Elbert Jan van (1848–1912)، ويسلينج، إلبرت يان فان ـ تاجر

فنون هولندي

(Witkamp, Ernest (1854–1897، ويتكامب، إرنست ـ فنان هولندي

(Woodville (II), Richard Caton (1856–1927، وودفيل الثاني، ريتشارد كاتون ـ فنان إنجليزي

(Wyllie, William Lionel (1851–1931، ويلي، ويليام ليونيل ـ فنان إنجليزي

Z

(Zahn, Albert von (1836–1873، زان، ألبرت فون ـ كاتب ألماني

(Zamacois y Zabala, Eduardo (1842/43–1871، ثاماكويس اي ثابالا، إدواردو ـ فنان إسباني

(Ziem, Félix (1821–1911، زييم، فيليكس ـ فنان فرنسي

(Zilcken, Charles Louis Philippe (1857–1930، زيلكن، شارل لويس فيليب ـ فنان هولندي

(Zola, Emile (1840–1902، زولا، إميل ـ روائي فرنسي

Zorn, Anders Leonard (1860–1920), Swedish artist، زورن، أندريس ليونارد ـ فنان سويدي

(Zuijlen (Father Bernhard), Cornelius Johannes van (1836–1901، زويلين، الأب برنهارد ـ رجل دين في لاهاي

(Zuyderland, Adrianus Jacobus (1810–1897، زويدرلاند، أدريانوس جاكوبوس ـ أحد سكان بيت المسنين في لاهاي

(Zwart, Michiel Antonie de (1853–1922، زوارت، ميشيل أنطوان دي - صاحب سكن فنسنت في لاهاي

الأعمال الكاملة







في عام ١٨٨٨، انتقل فان جوخ إلى بروفانس في جنوب فرنسا حيث رسم سلسلة لوحات زهور عباد الشمس الشهيرة. عرض على جوجان الانتقال معه، لكنهما بدآ في الشجار. وذات ليلة هدد فان جوخ جوجان بموسى الحلاقة، ومن شدة ندمه على تلك الحادثة، قطع فان جوخ جزءًا من أذنه بنفس الموسى.

كانت تلك بداية مشاكل فان جوخ الذهنية التي صحبته بقية حياته، قضى الكثير من الوقت في المصحات النفسية، وترنح بين فترات من البطالة والاكتئاب ثم نشاط فني هائل بشغف لا يصدق، وهكذا.

في السابع والعشرين من يوليو سنة ١٨٩٠، في أثناء نوبة اكتئاب أخرى، أطلق فنسنت النار على نفسه ومات بعد يومين.